



2. A. or. 42 - 2°
- 2

Alcoranus

182

<36621131560011

<36621131560011

Bayer. Staatsbibliothek

K

بائلا فاعله



بائلا فاعله

بائلا فاعله بائلا فاعله بائلا فاعله بائلا فاعله بائلا فاعله
بائلا فاعله بائلا فاعله بائلا فاعله بائلا فاعله بائلا فاعله

خاتمة الكتاب

قال المصنف رضي الله عنه في آخر نسخته - وهذه النسخة هي نسخة الاصل الاولى التي نقلت من السواد وهي أم الكشاف الحرمية المباركة المتمسح بها المحقوقة بأن تستنزل بها بركات السماء ويستمطر بها في السنة الشهداء فرغمت منها يد المصنف تجاه الكعبة في جناح داره السليمانية التي على باب اجياد الموسومة بمدرسة العلامة ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وخمسائة وهو حامد لله على باهر كرمه ومصلى على محمد عبده ورسوله وعلى آله واصحابه اجمعين والحمد لله رب العلمين *

خاتمة الطبع

قد وقع الفراغ من طبع هذا الكتاب المستطاب بعون الله الملك الوهاب نهار ستة خلون من شهر جمادى الثاني سنة ١٢٧٤ هجرية مطابقا لسلخ شهر ديسمبر سنة ١٨٥٩ عيسوية *

سورة الناس ١١٤ في صَدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ۝

الجزء ٣٠

ع ٣٩

غفل وسوس اليه [الَّذِي يُوسُّوسُ] يجوز في محله الحركات الثلاث - فالجزة على الصفة - والرفع - والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القارئ على الخناس ويتبدى الَّذِي يُوسُّوسُ على احد هذين الوجهين [مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ] ببيان للَّذِي يُوسُّوسُ على ان الشيطان ضربان جنِّي وانسي كما قال شَيْطَانُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ - وعن ابي ذر انه قال لرجل هل تعودت بالله من شياطين الانس - ويجوز ان يكون مِنَ متعلقا بِيُوسُّوسُ ومعناه ابتداء الغاية اي يُوسُّوسُ فِي صَدُورِهِمْ من جهة الجن ومن جهة الناس - وقيل مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ببيان للناس ان اسم الناس يطلق على الجنة واستدلوا بنقرو رجال في سورة الجن وما أَحَقُّهُ لَانِ الْجِنِّ سَمُوا جَنًّا لِاجْتِنَانِهِمْ وَالنَّاسِ نَامَا لظُهُورِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ وَهُوَ الْإِبْصَارُ كَمَا سَمُوا بِشَرِّهِمْ وَلَوْ كَانَ يَقَعُ النَّاسُ عَلَى انْقِبِيلَتَيْنِ وَصَحَّ ذَلِكَ وَتَبَيَّنَ لَمْ يَكُنْ مَنَاسِبًا لِفَصَاحَةِ الْقُرْآنِ وَبَعْدَهُ مِنَ التَّصْنَعِ وَاجُودِ مَنَّهُ اِنْ يَرَادُ بِالنَّاسِ النَّاسِي كَقَوْلِهِ تَعَالَى يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ وَكَمَا قَرِئَ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ثُمَّ يُبَيِّنُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّاسِ لَانِ الثَّقَلَيْنِ هُمَا الذَّوْعَانِ الْمُوصَفَانِ بِفَسَادِ حَقِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيَّ سُورَتَانِ مَا أَنْزَلَ مِنْهُمَا وَانْكَ لَنْ تَقْرَأَ سُورَتَيْنِ أَحَبَّ وَلَا أَرْضَى عِنْدَ اللَّهِ مِنْهُمَا وَيُقَالُ لِلْمُعَوَّذَتَيْنِ الْمُقَشَّقَشَتَانِ - قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنَا أَعُوذُ بِهِمَا وَبِجَمِيعِ كَلِمَاتِ اللَّهِ الْكَامِلَةِ التَّامَّةِ - وَالْوُذُ بِكَفِّ رَحْمَتِهِ الشَّامِلَةِ الْعَامَّةِ - مِنْ كُلِّ مَا يَكْلَمُ الدِّينَ - وَيُثْلِمُ الْيَقِينَ - أَوْ يَعُودُ فِي الْعَاقِبَةِ بِالنَّدَمِ - أَوْ يَقْدَحُ فِي الْإِيمَانِ الْمَسْرُوطِ بِاللَّحْمِ وَالدَّمِ - وَاسْأَلُهُ بِخُضُوعِ الْعِزِّ وَخُشُوعِ الْبَصَرِ - وَرُضِعِ الْخُذْ لَجَلَالِهِ الْأَعْظَمِ الْأَكْبَرِ - مُسْتَشْفَعًا إِلَيْهِ بِذُورِهِ الَّذِي هُوَ الشَّيْبَةُ فِي الْإِسْلَامِ - مُتَوَسِّلًا بِالتَّوْبَةِ الْمَحْكُضَةِ لِلْإِثَامِ - وَبِمَا عَنَيْتُ بِهِ مِنْ مَهَاجِرَتِي إِلَيْهِ وَمَجَازِرَتِي - وَمُرَابَطَتِي بِمَكَّةَ وَمَصَابِرَتِي - عَلَى تَوَاكُلٍ مِنَ الْقُرَى - وَتَخَاذُلٍ مِنَ الْخَطَى - ثُمَّ اسْأَلُهُ بِحَقِّ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ - وَقِرَانِهِ الْمَجِيدِ الْكَرِيمِ - وَبِمَا لَقِيتُ مِنْ كَدْحِ الْيَمِينِ - وَعَرَقِ الْجَبِينِ - فِي عَمَلِ الْكُشَافِ عَنْ حَقَائِقِهِ - الْمُخْلَصِ عَنْ مَضَائِقِهِ - الْمُطَّلِعِ عَلَى غَوَاصِهِ - الْمُثَبِّتِ فِي مَدَاحِضِهِ - الْمُلْتَخِصِ لِنُكْتِهِ وَلَطَائِفِ نَظْمِهِ - الْمُنْقَرِعِ عَنْ فِقْرَةٍ وَجَوَاهِرِ عِلْمِهِ - الْمَكْتَنِزِ بِالْفَوَائِدِ الْمُقْتَنَةِ الْمَلْتِي لَا تَوْجِدُ إِلَّا فِيهِ - الْمَحِيطُ بِمَا لَا يَكْتَنُهِ مِنْ بَدْعِ الْفَاطِظِ وَمَعَانِيهِ - مَعَ الْإِيجَازِ الْحَازِفِ لِلْفُضُولِ - وَتَجَدُّبِ الْمُسْتَكْرَةِ الْمَمْلُولِ - وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي مَضْمُونِهِ - إِلَّا إِبْرَادُ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى قَانُونِهِ - لَكَفَى بِهِ ضَالَّةً يَنْشُدُهَا مُحَقِّقَةُ الْإِحْبَارِ - وَجَوْهَرَةً يَتَمَنَّى الْعُثُورَ عَلَيْهَا غَاصَّةُ الْبَحَارِ - وَبِمَا شَرَفَنِي بِهِ وَمَجَّدَنِي - وَاخْتَصَنِي بِكَرَامَتِهِ وَتَوَحَّدَنِي - مِنْ ارْتِفَاعِهِ عَلَى بَدَنِي فِي مَهَبِطِ بَشَارَاتِهِ وَنُذْرِهِ - وَمُنْزَلِ آيَاتِهِ وَسُورِهِ - مِنَ الْبَلَدِ الْأَمِينِ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْحَرَمِ - وَبَيْنَ يَدَيِ الْبَيْتِ الْمُحَرَّمِ - حَتَّى وَقَعَ التَّأْوِيلُ - حَيْثُ رُجِدَ التَّنْزِيلُ - أَنْ يَهْبَ لِي خَاتِمَةُ الْخَبَرِ - وَيَقِينِي مَصَارِعَ السُّوءِ - وَيَتَجَاوَزَ عَنْ فِرْطَانِي يَوْمَ التَّنَادِ - وَلَا يَفْضَحْنِي بِهَا عَلَى رُؤْسِ الْأَشْهَادِ - وَيُحَلِّنِي دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ - بِوَسَائِعِ طَوْلِهِ وَسَائِغِ نَوْلِهِ - أَنَّهُ هُوَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ - الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ •

كلماتها ٢٠	سورة الناس مدنية وهي ست آيات •	حرفها ٨١	سورة الناس ١١٤
		الجزء ٣٠	
		ع ٣٨	

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ

يظهر اثر ما اضره فلا ضرر يعوذ منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بصور غير -
وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد - و يجوز ان يراك بشر الحاسد اثمه
وسماجة حاله في وقت حسده و اظهاره اثره - فان قلت قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعان
منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق و الذفائن و الحاسد - قلت قد خص شر هؤلاء من كل شر
لخفاء امره و انه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به و قالوا شر العداة المدابي الذي يكيدك
من حيث لا تشعر - فان قلت فلم عرف بعض المستعان منه و نكر بعضه - قلت عرفت الذفائن لان
كل نقانة شريفة و نكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض و كذلك كل
حاسد لا يضر و رب حسد محمود و هو الحسد في الخيرات و منه قوله عليه السلام لا حسد الا في اثنين -
و قال ابو تمام ع * و ما حاسد في الكرمات بحاسد * و قال ع * ان العلى حسن في مثلها الحسد * عن
رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتاب اللتي انزلها الله تعالى كلها *

سورة الناس

قرئ قل أعوذ بحذف الهمزة و نقل حركتها الى اللام و نحوه فخذ أربعة من الطير - فان قلت لم قيل
[برّب الناس] مضافا اليهم خاصة - قلت لان الاستعاذة وقعت من شر الوسوس في صدور الناس فكأنه قيل
اعوذ من شر الوسوس الى الناس برّبهم الذي يملك عليهم امورهم و هو الههم و معبودهم كما يستغيث بعض
الموالي اذا اعتراهم خطب بسيدهم و مخدومهم و والي امرهم - فان قلت [ملك الناس اله الناس] ما هما من
رب الناس - قلت هما عطف ببيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا
بالناس لانه قد يقال لغيرة رب الناس كقوله تعالى اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله و قد
يقال ملك الناس و اما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان - فان قلت هلا اكتفي باظهار
المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة - قلت لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار
[الوسواس] اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزة و اما المصدر فوسواس بانكسر كزلزال و المراد به
الشيطان سمي بمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها ضعيفته و شغله الذي هو عاكف عليه - او يريد ذو الوسواس
و الوسوسة الصوت الخفي و منه وسواس الحلي [الخناس] الذي عادته ان يخنس مذسوب الى الخنوس
و هو التأخر كالعواج و البتات لما روي عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان و لم ي و اذا

من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر - وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن الذبابة والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك - وقيل هو داء في جهنم او حب فيها من قولهم لما اطمأن من الارض الفلق والجمع فلقان - وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فرأى دُرَّ اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالي أليس من درائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره [مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ] من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والمائم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله في الموات من انواع الضرر كالحرق في النار والقتل في السم - والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى اِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ومنه غسقت العين امتلأت دمعاً وغسقت الجراحة امتلأت دماً - وقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفي الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلتها يعني صلوٰة المغرب - وقيل هو القمر اذا امتلأ - وعن عائشة رضي الله عنها اخذ رسول الله بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذني بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقوبه دخوله في الكسوف واسوداده - ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات وقوبه ضربه ونقبه والنقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثائه فيه اكثر والتحرز منه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل وقولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر اليه لملا بسته له من حدوته فيه [النَّفْثُ] الفساد - او النفوس - او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تأثير لذلك اللهم الا اذا كان ثمة اطعام شيء ضار او سقيه او اشمامه او مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبوت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينصبه الحشو والرعاغ اليهن والى نفثهن والذابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعباون به - فان قلت فما معنى الاستعاذة من شرهن - قلت فيه ثلثة اوجه - احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك - والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطنهن - والثالث ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن - ويجوز ان يراد به النساء الكيادات من قوله ان كَيْدُكُنَّ عَظِيمٌ تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد - او اللاتي يقتن الرجال بتعرفهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك [اِذَا حَسَدَ] اي اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم

سورة الفلق ١١٣
حروفها ٧٣
الجزء ٣٠

سورة الفلق مدنية وهي خمس آيات •

كلمات
٢٣

ع ٣٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ •

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ • مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ • وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ • وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ •

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً [وَلَمْ يُولَدْ] لَأَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ مُحَدَّثٌ وَجَسْمٌ وَهُوَ قَدِيمٌ لَا أَوَّلَ لوجوده وليس بجسم - وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَحَدٌ أَيْ لَمْ يَمِثْلْهُ وَلَمْ يَشَاكِلْهُ - وَيجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح نفياً للصاحبة - سألوه أن يصفه لهم فأوحى إليهم ما يحتوي على صفاته - فقله هو الله إشارة لهم إلى من هو خالق الأشياء وناظرها وفي طي ذلك وصفه بأنه قادر عالم لأن الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية أحكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بأنه حي سميع بصير - وقوله أَحَدٌ وصف بالوحدانية ونفي الشركاء - وقوله الصَّمَدُ وصف بأنه ليس إلا محتاجا إليه وإذا لم يكن إلا محتاجا إليه فهو غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما أنه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه - وقوله لَمْ يُولَدْ وصف بالقدم والاولية - وقوله لَمْ يَلِدْ نفى للشبه والمجانسة - وقوله وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ تقرير لذاك وبت المحكم به - فَإِنَّ قَلَّتِ الْكَلَامُ الْعَرَبِيَّ الْفَصِيحُ أَنْ يُوَخَّرَ الظَّرْفُ الَّذِي هُوَ لَفْظٌ غَيْرٌ مُسْتَقَرٌّ لَا يَقْدَمُ وَقَدْ نَصَّ سَيِّدِيهِ عَلَى ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ فَمَا بِهِ مَقْدَمَا فِي أَفْصَحِ كَلَامٍ وَأَعْرَبِهِ - قَلَّتْ هَذَا الْكَلَامُ إِنَّمَا سَيِّقُ لِنَفْيِ الْمَكَانَةِ عَنْ ذَاتِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَهَذَا الْمَعْنَى مُصَبَّهُ وَمَرْكَزُهُ هُوَ هَذَا الظَّرْفُ فَكَانَ لِذَاكَ أَهَمُّ شَيْءٍ وَأَعْدَاهُ وَاحِقُهُ بِالتَّقْدِيمِ وَاحْوَاهُ - وَتَرَجَّى كُفُوًا بِضَمِّ الْكَافِ وَالْفَاءِ - وَبِضَمِّ الْكَافِ - وَكُسْرُهَا مَعَ سُكُونِ الْفَاءِ - فَإِنَّ قَلَّتْ لَمْ كَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عِدْلَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ عَلَى قَصْرِ مَتْنِهَا وَتَقَارُبِ طَرَفَيْهَا - قَلَّتْ لِأَمْرِ مَا يَسُودُ مِنْ يَسُودُ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَحْتَوَائِهَا عَلَى صِفَاتِ اللَّهِ وَعَدْلِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَكَفَى دَلِيلًا مَنْ اعْتَرَفَ بِفَضْلِهَا وَصَدَّقَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيهَا أَنَّ عِلْمَ التَّوْحِيدِ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ وَكَيْفٍ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَالْعِلْمُ تَابِعٌ لِلْمَعْلُومِ يَشْرَفُ بِشَرَفِهِ وَيَتَضَعُ بِضَعْفِهِ وَمَعْلُومُ هَذَا الْعِلْمِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَصِفَاتُهُ وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا لَا يَجُوزُ فَمَا ظَنُّكَ بِشَرَفِ مَزْنَلَتِهِ وَجَلَالَةِ مَحَلَّتِهِ وَأَنَافَتِهِ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ وَاسْتِيلَانُهُ عَلَى قَصَبِ السَّبْقِ دُونَهُ وَمَنْ أَزْدَرَاهُ فَلَضَعْفِ عِلْمِهِ بِمَعْلُومِهِ وَقِلَّةِ تَعْظِيمِهِ لَهُ وَخُلُوعِهِ مِنْ خَشْيَتِهِ وَبُعْدِهِ مِنَ النَّظَرِ لِعَاقِبَتِهِ اللَّهُمَّ احْشُرْنَا فِي زَمْرَةِ الْعَالَمِينَ بِكَ الْعَامِلِينَ لَكَ الْقَائِلِينَ بِعَدْلِكَ وَتَوْحِيدِكَ الْخَائِفِينَ مِنْ وَعِيدِكَ - وَتَسْمَى هَذِهِ الْأَسَاسُ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى أَصُولِ الدِّينِ - وَرَوَى أَبِي رَأْسٍ عَنْ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُنْسِمَتِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ عَلَى قَوْلٍ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يَعْنِي مَا خُلِقَتْ إِلَّا لَتَكُونَ دَلَائِلُ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَمَعْرِفَةِ صِفَاتِهِ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا هَذِهِ السُّورَةُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَقَالَ وَجِبَتْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا وَجِبَتْ قَالَ وَجِبَتْ لَهُ الْحَقَّةُ •

سورة الفلق

[الْفَلَقُ] وَالْفَرْقُ الصَّبْحُ لَنَ اللَّيْلِ يَفْلُقُ عَنْهُ وَيَفْرُقُ فَعَلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ يُقَالُ فِي الْمَثَلِ هُوَ ابْنُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿٢﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٣﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٤﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٥﴾

جيدتها حبل مما مُسد من الحبال فانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الخطابون تخسيساً لحالها وتحقيراً وتصويراً لها بصورة بعض الخطابات من المواهن لتمتع من ذلك ويمتع بعض بعلمها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الذروة والسجدة ولقد عيّر بعض الفاس الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الخطب فقال • شعر • ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي • ام ما تُعيّر من حمالة الخطب • عراء شاذخة في المجد غرتها • كانت سائلة شيخ ثاقب الحسب • ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليه حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تنال على ظهرها حزمة من حطاب النار من شجرة الزقوم او من الضريع وفي جيدها حبل مما مُسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة •

سورة الاخلاص

[هو] ضمير الشأن و [الله أحد] هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له - فان قلت ما محل هو - قلت الرفع على الابتداء والخبر الجملة - فان قلت الجملة الواقعة خبراً لابد فيها من راجع الى المبتدأ فاين الراجع - قلت حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدأ في المعنى وذلك ان قوله الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما - وعن ابن عباس قالت قریش يا مُحَمَّد صف لنا ربك الذي تدعوننا اليه فنزلت يعني الذي سألتهموني وصفه هو الله وأحد بدل من قوله الله ار على هو أحد وهو بمعنى واحد واصله واحد - وقرأ عبد الله وابي هو الله أحد بغير قل - وفي قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الله أحد بغير قل هو و قال من قرأ الله احد كان يعدل القرآن - وقرأ الاعمش قل هو الله الواحد - وقرأ أحد الله بغير تنوين اسقط لملاقاة لام التعريف ونحوه • ولا ذكر الله الا قليلاً • الجيد هو التذوين وكسرة الالتقاء الساكنين - و [الصمد] فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقررون بانه خالق السموات والارض وخالقكم ورازقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم [لم يلد] لانه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيقول الذا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون

الاسم او الاسم على الكنية عطف بيان فلما اريد تشهيرة بدعوة السوء وان تبقى سمة له ذكر الاشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يَدَا أَبَوَيْهِ كَمَا قِيلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمَعُوبَةُ بْنُ أَبِي سَفِينٍ لَدَا يَغْيَرُ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُشْكَلُ عَلَى السَّامِعِ وَلَقَلَّيْتَهُ بْنُ قَاسِمٍ أَمِيرَ مَكَّةَ ابْنَانِ أَحَدُهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بِالْجَرِّ وَالْآخَرُ عَبْدُ اللَّهِ بِالنَّصَبِ - وَالدَّانِي كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الْعَزِزِيِّ فَعُدِلَ عَنْهُ إِلَى كَنِيَّتِهِ - وَالثَّالِثُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَارِ وَمَالِهِ إِلَى نَارِ ذَاتِ لَهَبٍ وَافَقَتْ حَالَهُ كَنِيَّتُهُ فَكَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يُذَكَرَ بِهَا وَيُقَالُ أَبُو لَهَبٍ كَمَا يُقَالُ أَبُو الشَّرِّ لِلشَّرِيرِ وَابُو الْخَيْرِ لِلخَيْرِ وَكَمَا كُنِيَ رَسُولُ اللَّهِ أبا المَهْلَبِ أبا صَفْرَةَ بِصَفْرَةٍ فِي وَجْهِهِ - وَقِيلَ كُنِيَ بِذَلِكَ لِللَّهَبِ وَجَنَّتِيهِ وَاشْرَاقَهُمَا فَيَجُوزُ أَنْ يُذَكَرَ بِذَلِكَ تَهْنُؤًا بِهِ وَبِافْتِخَارِهِ بِذَلِكَ - وَقَرِئَ أَبِي لَهَبٍ بِالسُّكُونِ وَهُوَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَعْلَامِ كَقَوْلِهِمْ شَمْسُ بْنُ مَالِكٍ - [مَا أَغْنَى] اسْتَفْهَامٌ فِي مَعْنَى الْإِنْكَارِ وَمَحَلُّهُ النَّصَبُ - أَوْ نَقْيٍ - [وَمَا كَسَبَ] مَرْفُوعٌ وَمَا مَوْصُولَةٌ أَوْ مَصْدَرِيَّةٌ بِمَعْنَى وَكَسَبَهُ أَوْ وَكَسَبَهُ وَالْمَعْنَى لَمْ يَنْفَعَهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ بِمَالِهِ يَعْنِي رَأْسَ الْمَالِ وَالْأَرْبَاحَ أَوْ مَا شِئْتَهُ وَمَا كَسَبَ مِنْ نَسْلِهَا وَمَنَافِعِهَا وَكَانَ ذَا مَا يَبْدَأُ - أَوْ مَالَهُ الَّذِي وَرَثَهُ مِنْ أَبِيهِ وَالَّذِي كَسَبَهُ بِنَفْسِهِ - أَوْ مَالَهُ التَّالِدَ وَالطَّارِفَ - وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَا كَسَبَ وَلَدُهُ - وَحَكِي أَنْ بَنِي أَبِي لَهَبٍ احْتَكَمُوا إِلَيْهِ فَاتَّقَدَّلُوا فَقَامَ يُحْجِزُ بَيْنَهُمْ فِدْعَةً بَعْضُهُمْ فَوْقَ فِعْضٍ فَقَالَ اخْرُجُوا عَنِّي الْكَسْبُ الْخَبِيثُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ أَطِيبَ مَا يَأْكُلُ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَأَنْ وَلَدُهُ مِنْ كَسْبِهِ - وَعَنْ الضَّحَّاكِ مَا يَنْفَعُهُ مَالُهُ وَعَمَلُهُ الْخَبِيثُ يَعْنِي كَيْدَهُ فِي عِدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ - وَعَنْ قَتَادَةَ عَمَلُهُ الَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ - وَزَيَّيْ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ أَنْ كَانَ مَا يَقُولُ ابْنُ أَخِي حَقًّا فَإِنَّا افْتَدَيْتُ مِنْهُ نَفْسِي بِمَالِي وَوَلَدِي [سَيِّضَلِي] - قَرِئَ بِفَتْحِ الْيَاءِ - وَبُضْمِهَا - مَخْفَفًا - وَمَشْدَدًا وَالسَّيْنُ لِلْوَعْدِ أَيْ هُوَ كَاتِنٌ لَا مَحَالَةَ وَأَنْ تَرَخِي وَقْتَهُ [وَأَمْرَاتُهُ] هِيَ أُمُّ جَمِيلَ بِذَتْ حَرْبٍ أَيْ سَفِينٌ وَكَانَتْ تَحْمِلُ حَزْمَةً مِنَ الشُّوكِ وَالْحَسَكِ وَالسَّعْدَانِ فَتَنْثَرُهَا بِاللَّيْلِ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ - وَقِيلَ كَانَتْ تَمْشِي بِالْخَمِيمَةِ وَيُقَالُ لِلْمَشَاءِ بِالْزَمَائِمِ الْمَغْسَدِ بَيْنَ النَّاسِ يُحْمَلُ الْحَطَبُ بَيْنَهُمْ أَيْ يُوقَدُ بَيْنَهُمُ النَّائِرَةُ وَيُورَثُ الشَّرُّ - قَالَ * شَعْرٌ * مِنَ الْبَيْضِ لَمْ تَصْطِدْ عَلَى ظَهْرِ لَامَةٍ * وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْحَطَبِ الرُّطْبِ * جَعَلَهُ رَطْبًا لِيَدُلَّ عَلَى التَّدْخِينِ الَّذِي هُوَ زِيَادَةُ لِي الشَّرِّ وَرَفَعَتْ عَطْفًا عَلَى الضَّمِيرِ فِي سَيِّضَلِي أَيْ سَيِّضَلِي هُوَ وَأَمْرَاتُهُ - وَ[فِي جِيدِهَا] فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَوْ عَلَى الْإِبْدَاءِ وَفِي جِيدِهَا الْخَبَرُ - وَقَرِئَ حَمَالَةُ الْحَطَبِ بِالنَّصَبِ عَلَى الشَّتْمِ وَأَنَا اسْتَحْبُّ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ وَقَدْ تَوَسَّلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِجَمِيلٍ مِّنْ أَحَبِّ شَتْمٍ أَمْ جَمِيلٍ - وَقَرِئَ حَمَالَةُ لِلْحَطَبِ - وَحَمَالَةُ لِلْحَطَبِ بِالتَّنْوِينِ - وَالرَّفْعِ - وَالنَّصَبِ - وَقَرِئَ وَمَرْيَتُهُ بِالتَّصْغِيرِ - الْمَسَدُ الَّذِي قُدِّلَ مِنَ الْحَبَالِ فَتَلَا شَدِيدًا مِنْ لَيْفٍ كَانَ أَوْ جِلْدًا أَوْ غَيْرَهُمَا - قَالَ * ع * وَ مَسَدٌ أَمْرٌ مِنْ أَيْلَاقٍ * وَرَجُلٌ مِمَّسُودِ الْحَلْقِ مَجْدُولُهُ وَالْمَعْنَى فِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ©

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ

العباس فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما يبكيك يا عم قال نعتت اليك نفسك فقال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا - وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله لقد أوتي هذا الغلام علما كثيرا - وروي انه لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان عبدا خيرة الله بين الدنيا وبين لقائه فاختر لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وابائنا واولادنا - وعن ابن عباس ان عمر رضي الله عنهما كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن أتأذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسألهم عن قول الله تعالى إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ لَآ اِِرَاهُ سَأَلَهُم اَلَا مِنْ اَجَلِي فَقَالَ بَعْضُهُمْ اَمْرَ اللَّهِ نَبِيَّهُ اِذَا فَتَحَ عَلَيْهِ اَنْ يَسْتَغْفِرَ وَيَتُوبَ اِلَيْهِ فَقُلْتُ لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنْ نُعِيْتُ اِلَيْهِ نَفْسُهُ فَقَالَ عَمْرُو مَا اَعْلَمُ مِنْهَا اِلَّا مِثْلَ مَا يَعْلَمُ ثُمَّ قَالَ كَيْفَ تَلُومُونَنِي عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَرَوْنَ - وَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اَنَّهُ دَعَا فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَالَ يَا بِنْتَاهُ اِنَّهُ نُعِيْتُ اِلَى نَفْسِي فَبَكَتْ فَقَالَ لَا تَبْكِي فَاِنَّكَ اَوَّلُ اَهْلِي لِحَقِّقَا بِي - وَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ اَنْ هَذِهِ السُّورَةُ تَسْمَى سُوْرَةُ التَّوْبَةِ [كَانَتْ تَوْبَةً] اَي كَانَتْ فِي الْاَزْمَةِ الْمَاضِيَةِ مِنْذُ خَلَقَ الْمَكْلُوفِينَ تَوْبَةً عَلَيْهِمْ اِذَا اسْتَغْفَرُوا فَعَالَى كُلُّ مُسْتَغْفِرٍ اَنْ يَتَوَقَّعَ مِثْلَ ذَلِكَ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ اِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ اَعْطِيَ مِنَ الْجَزْرِ كَمَنْ شَهِدَ مَعَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ •

سورة اللمب

التبَابُ الْهَلَاكُ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ أَشَابَتْهُ أُمُّ تَابَةَ اَي هَالَكَةُ مِنَ الْهَرَمِ وَ التَّعْجِيزُ وَ الْمَعْنَى هَلَكْتَ يَدَاهُ لِأَنَّهُ فِيمَا يَرَوْنِي أَخَذَ حَجْرًا لِيَرْمِي بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ تَبَّ وَ هَالَكُ كُلُّهُ - اَوْ جُعِلَتْ يَدَاهُ هَالِكَتَيْنِ وَ الْمُرَادُ هَلَاكُ جَمْلَتِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى بِمَا قَدَّمْتُ يَدَاكَ وَ مَعْنَى وَ تَبَّ وَ كَانَ ذَلِكَ وَ حَصَلَ كَقَوْلِهِ • شَعْر • جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ • جَزَاءُ الْكَلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَ قَدْ فَعَلَ • وَ يَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ وَ قَدْ تَبَّ - وَ رَوَى اَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ وَ اَنْذِرَ عَشِيرَتَكَ الْاَقْرَبِينَ رَقِيَ الصَّفَا وَقَالَ يَا صَبَاحَاةُ فَاسْتَجْمَعِ اِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ اَرْبٍ فَقَالَ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَا بَنِي فَهَوِ اِنْ اَخْبَرْتَكُمْ اَنْ يَسْفَحَ هَذَا الْجَبَلُ خِيَلًا اُكْنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَاَنِّي نَذِيرُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فَقَالَ اَبُو لَهَبٍ تَبَّ اَلَيْكَ اَلْهَذَا دَعْوَتُنَا فَنَزَلَتْ - فَاِنْ قُلْتَ لِمَ كَدَّاهُ وَ التَّكْنِيَةُ تَكْرِمَةٌ - فَلَمَّا فِيمَ ثَلَاثَةٌ اَوْجُهُ - اَنْ يَكُونَ مُشْتَهَرًا بِالْكُنْيَةِ دُونَ الْاِسْمِ فَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ مَعْرُوفًا بِاَحَدِهِمَا وَ لِذَلِكَ تُجَرَّى الْكُنْيَةُ عَلَى

في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع - فان قلت ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه - قلت النصر الغلبة والظهور على العدو ومنه نصر الله الارض غاتها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله على العرب او على قريش وفتح مكة - وقيل جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم و كان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب و اقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن و حين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده و نصر عبده و هزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عذوة و كانوا له فيئاً فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام [في دين الله] في مكة الاسلام اللتي لا دين له يضاف اليه غيرها و من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه [افواجاً] جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحداً واحداً و اثنين اثنين - و عن جابر بن عبد الله انه بكى ذات يوم ف قيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا و سيخرجون منه افواجا - و قيل اراد بالذاس اهل اليمن قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح و جاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان و الفقه يمان و الحكمة يمانية و قال اجد نفس ريم من قبل اليمن - و عن الحسن لما فتح رسول الله مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما ان ظفر باهل الحرم فليس به يدان و قد كان الله اجارهم من اصحاب الغيل و عن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال - وقرأ ابن عباس فتح الله والنصر - و قرئ يدخلون على البناء للمفعول - فان قلت ما محل يدخلون - قلت النصب اما على الحال على ان رأيت بمعنى ابصرت او عرفت او هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت [فسبح بحمد ربك] فقل سبحن الله حامداً له - او فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم و احمده على صفة - او نازكه مستبحاً حامداً زيادة في عبادته و الثناء عليه لزيادة انعامه عليك - او فصل له - روت ام هانئ انه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمانين ركعات - و عن عائشة كان يكثر قبل موته ان يقول سبحنك اللهم و بحمدك استغفرك و اتوب اليك و الامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين الطاعة و الاحتراس من المعصية و ليكون امرة بذلك مع عصمة لطفاً لامته و لان الاستغفار من التواضع لله و هضم النفس فهو عبادة في نفسه - و عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه استغفر في اليوم و الليلة مائة مرة - و روي انه لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اصحابه استبشروا و بكى

سورة الكفرون ١٠٩	كلماتها ٢٦	سورة الكفرون مكية وهي ست آيات •	حروفها ٩٩
الجزء ٣٠	ع ٣٤		

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ •

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات •	كلماتها ١٩	حروفها ٨٢
----------------------------------	------------	-----------

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ •

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

سورة الكفرون

المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون - روي ان رهطاً من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا وتبع دينك تعبد الهنا سنة و نعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك و نعبد الهك فنزلت فعداً الى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فابسوا [لَا أَعْبُدُ] اريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال الا ترى ان لَنْ تأكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل في لَنْ ان اصله لَا اَنْ والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم [وَلَا أَنْتُمْ] فاعلون فيه ما اطالب منكم من عبادة الهي [وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ] اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم يعبد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام [وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ] اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته - فان قلت فهلا قيل ما عبدت كما قيل مَّا عَبَدْتُمْ - قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت - فان قلت فلم جاء على ما دون من - قلت لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق - وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ] لكم شرككم ولي توحيدني والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافاً ولا تدعوني الى الشرك - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الكفرون فكانما قرأ ربع القرآن و تباعدت منه مردة الشياطين و بري من الشرك و يعانى من الفرع الاكبر •

سورة النصر

[إِذَا] منصوب بسبح وهو لما يستقبل و الاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة - وروي انها نزلت

أَنَا آتَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝ع

[illegible]

لِّلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۖ الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۖ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۖ ع

عن الصلوة اللتي هي عماد الدين و الفارق بين الايمان والكفر و الرياء الذي هو شعبة من الشرك و منع الزكوة اللتي هي شقيقة الصلوة و قنطرة الاسلام علما على انهم يكذبون بالدين و كم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه - و طريقة اخرى ان يكون فذلك عطفاً على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة و يكون جواب آرييت محذرفاً لدلالة ما بعده عليه كأنه قيل اخبرني و ما تقول فيمن يكذب باجزاء و فيمن يؤذي اليتيم و لا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب و ما اضيف اليهم ساهين عن الصلوة مرانين غير مرتين اموالهم - فان قلت كيف جعلت المصلين قائماً مقام ضمير الذي يكذب و هو واحد - قلت معناه الجمع لان المراد به الجذس - فان قلت اي فرق بين قوله [عَنْ صَلَاتِهِمْ] و بين قولك في صلواتهم - قلت معنى عَنْ انهم ساهون عنها سهوت ترك لها وقلة التفات اليها و ذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين - و معنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس و ذلك لا يكاد يخلو منه مسلم و كان رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم يقع له السهو في صلواته فضلاً عن غيره و من ثمة اثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم - و عن انس الحمد لله على ان لم يقل في صلواتهم - و قرأ ابن مسعود لاهون - فان قلت ما معنى المرأة - قلت هي مفاعلة من الراء لان المراعي يرى الناس عمله و هم يروونه الثناء عليه و الاعجاب به و لا يكون الرجل مرئياً باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها و تشهيرها لقوله عليه السلام و لا غمة في فرائض الله لانها اعلام الاسلام و شعائر الدين و لان تاركها يستحق الذم و المقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار و ان كان تطوعاً فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه و لانه فيه فان اظهرة قاصدا للاقتداء به كان جميلاً و انما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فتذني عليه بالصلاح - و عن بعضهم انه رأى رجلاً في المسجد قد سجد سجدة الشكر فاطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك و انما قال هذا لانه توسم فيه الرياء و السمعة على ان اجتذاب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص و من ثمة قال رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم الرياء اخفى من ديب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الاسود [الماعون] الزكوة - قال الراعي * شعر * قوم على الاسلام لما يمنعو * ماعونهم و يضيّعوا التهليلاً * و عن ابن مسعود ما يتعارف في العادة من الفأس و القدر و الدلو و المقدحة و نحوها - و عن عائشة رضي الله عنها الماء و النار و الملح و قد يكون منع هذه الاشياء محظوراً في الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار و قبيلها في المروة في غير حال الضرورة - عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم من قرأ سورة آرييت غفر الله له ان كان للزكوة مؤدياً •

وَأَمَّنَّهُمْ مِنَ الْخَوْفِ ۝

سورة الماعون ١٠٧

الجزء ٣٠

حروفها ١١٥

سورة الماعون مكية وهي سبع آيات •

كلماتها ٢٥

ع ٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالذِّينِ ۝ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ

الجهة التي يرحل اليها والتذكير في جوع وخوف لشدةهما يعني [أطعمهم] بالرحلتين [من جوع] شديد كانوا فيه قبلهما [وَأَمَّنَّهُمْ مِنَ الْخَوْفِ] عظيم وهو خوف اصحاب الفيل - او خوف التخطف في بلدهم ومساثرهم - وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف - العظام المحرقة وَأَمَّنَّهُمْ مِنَ الْخَوْفِ الجذام فلا يصيبهم ببلدهم - وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه السلام - و من يدع التفاسير وَأَمَّنَّهُمْ مِنَ الْخَوْفِ من ان تكون الخلافة في غيرهم - و قرئ من خوف باخفاء الفون - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة لعيلف قرش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها •

سورة الماعون

قرئ أَرَيْتَ بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع و ام يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام - ونحوه شعر • صاح هل ريت او سمعت براع • رد في الضرع ما قرئ في العلاب • وقرأ ابن مسعود أَرَيْتَكَ بزيادة حرف الخطاب كقوله تعالى أَرَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ والمعنى هل عرفت [الَّذِي يَكْذِبُ] بالجزاء من هو ان لم تعرفه [فَذَلِكَ الَّذِي] يكذب بالجزاء هو الذي [يَدْعُ الْيَتِيمَ] اي يدفعه دفعا عذيفا بجفوة و اذى ويرده ردا قبيحا بزجر و خشونة - و قرئ يدع اي يترك و يجفو [وَلَا يَحْضُ] و لا يبعث اهله [عَلَىٰ] بذل [طَعَامِ الْمِسْكِينِ] جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على اذاء الضعيف يعني انه لو آمن بالجزاء و ايقن بالوعيد لخشي الله و عقابه و لم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه علم انه مكذب فما اشد من كلام و ما اخونه من مقام و ما ابلغه في التحذير من المعصية و انها جديرة بان يستدل بها على ضعف الايمان و رخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله [فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ] كأنه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلوة قلعة مبالاة بها حتى تفوتهم - او يخرج وقتها - او لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و سلم و السلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع و اخبات ولا اجتذاب لما يكره فيها من العبث بالمحبة و الثياب و كثرة التثاؤب و الالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف و لا ما قرأ من السورة و كما ترى صلوة اكثر من ترى الذين عادتهم الرياء باعمالهم و منع حقوق اموالهم و المعنى ان هؤلاء احق بان يكون سهوهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِيُذِلَّ قُرَيْشًا ۖ إِنْ فِيهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۖ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ۖ

يأكله الدود - اوبتجن اكلته الدواب ورائته و لكنه جاء على ما عليه اديب القرآن كقوله كَانَا يَأْكُلَنِ الطَّعَامَ - او اريد اكل حبة فبقية صفرا منه - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسح •

سورة القريش

[لِيُذِلَّ قُرَيْشًا] متعلق بقوله فَلْيَعْبُدُوا رَبَّهُمْ ان يعبدوا لاجل ايلافهم الرحلتين - فان قلت فلم دخلت الفاء - قلت لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة - وقيل المعنى اعجبوا لِيُذِلَّ قُرَيْشًا - وقيل هو متعلق بما قبله اي فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ لِيُذِلَّ قُرَيْشًا وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل - وعن عمر رضي الله عنه انه قرأهما في الثانية من صاوة المغرب وقرأ في الاولى والتين والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامر في رحلتهم فلا يجترئ احد عليهم - وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتازون ويتجرون وكانوا في رحلتهم اُميين لانهم اهل حرم الله وولاية بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم - والايلاف من قولهم ألغت المكان أولفه ايلافا اذا ألغته فانما مؤلف - قال • ع • من المؤلفات الزهو غير الاراك • و قرئ لِيُذِلَّ قُرَيْشًا اي لمؤلفة قريش وقيل يقال ألغته الفا والافا - وقرأ ابو جعفر لِيُذِلَّ قُرَيْشًا - وقد جمعها من قال • شعر • زعمتم ان اخوتكم قريش • لهم الف وليس لكم الاف • وقرأ عكرمة لِيُذِلَّ قُرَيْشًا إِنْ فِيهِمْ رَحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ - وقريش ولد النضر بن كذابة سموه بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبت بالسفن ولا تطاق الا بالذار - وعن معوية انه سأل ابن عباس رضي الله عنه لم سميت قريش قال بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلو وانشد • شعر • وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا • والتصغير للتعظيم - وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم و ضربهم في البلاد اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا بعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به كما نصب يتيما باطعم و اراد رحلتني الشتاء والصيف فانرد لامن الالباس كقوله • كلوا في بعض بطنكم • و قرئ رَحْلَةً بالضم وهي

مات حتى انصدع صدره عن قلبه و انفلت وزيرة ابو يكسوم و طائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه - و قيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله باربعين سنة - و قيل بثلاث وعشرين سنة - و عن عائشة رضي الله عنها رايت قائد الفيل و مائسته اعميين مقعدين يستطعمان - و فيه ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فجهزه و كان رجلا جسيما وسيما و قيل هذا سيد قريش و صاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل و الوحوش في رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك و دين ابائك و عصمتك و شرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذرد اخذ لك فقال ان ارب الابل و للبيت رب سيمنه ثم رجع و اتى باب البيت فاخذ بحلقته و هو يقول * شعر * لاهم ان المرء يمنع رحله * فامنع حلالك * لا يغلبن صليبههم و محالهم * غدا محالك * ان كنت تاركهم و كعبتنا * فامر ما بدا لك * شعر * يا رب لا ارجو لهم سواك * يا رب فامنع منهم حماكا * فالتفت و هو يدعوا فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية و لا تهامية - و فيه ان اهل مكة قد احتوا على اموالهم و جمع عبد المطلب من جواهرهم و ذهبهم الجور و كان سبب يساره - و عن ابي سعيد الخدري انه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها - و قيل جاءت عشية ثم صبحتهم - و عن عكرمة من اصابته جذرته و هو اول جذري ظهر - قرى ألم تتر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم والمعنى انك رايت اثار فعل الله بالحبشة و سمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة و [كيف] في موضع نصب بفعل ربك لا بالتم تر لما في كيف من معنى الاستفهام [في تضليل] في تضيع و ابطال يقال ضل كيد اذا جعله ضالا ضائعا و نحوه قوله تعالى و ما كيد الكافرين الا في ضل و قيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضل ملك ابيه ابي ضيعه يعني انهم كادوا البيت اولا ببذاء القليس و ارادوا ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه و كادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم [ابايل] حرائق الواحد ابالة و في امثالهم ضغت على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبت الحزقة من الطير في تضامها بالابالة - و قيل ابايل مثل عباديد و شاطئ لا واحد لها - وقرأ ابو حنيفة رحمه الله يرميهم ابي الله تعالى از الطير لانه اسم جمع مذكرو انما يؤنس على المعنى و [سجيل] كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم للديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون و اشتقاقه من الاسجال و هو الارسال لان العذاب موصوف بذلك و ارسل عليهم طيرا - فارسلنا عليهم الطوفان - و عن ابن عباس من طين مطبوخ كما يطبخ الجبر - و قيل هو معرب من سنگ گل - و قيل من شديد عذابه و رورا بيت ابن مقبل * ع * ضربا تواصت به الابطال سجلا * وانما هو سجينا و القصيدة نونية مشهورة في ديوانه - و شبهوا بورق الزرع اذا اكل ابي وقع فيه الاكال و هو ان

سورة الفيل ١٠٥
الجزء ٣٠
ع ٢٩
كلماتها ٢٤
عمد ممددة ع
وَمَا آذَانُكَ مَا الْخُطْمُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْافْتِدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝ فِي

سورة الفيل مكية وهي خمس آيات *
حروفها ٩٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

الَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝

الْخُطْمُ يعني انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وَتَطَّلِعُ عَلَى افْتِدَتِهِمْ وهي اوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تألما منه بادننى اذنى يمتسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه - ويجوز ان تخص الافئدة لانها موطن الكفر والعقائد الفاسدة والذيات الخبيثة ومعنى اطلع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها او تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها [مُّوَصَّدَةٌ] مطبقة - قال * شعر * تحن الى اجبال مكة فاقتي * و من دونها ابواب صنعاء موصدة * و قرع في عمدة بضممتين - وعمد بسكون الميم - وعمد بفتحتين والمعنى انه يؤكد ياسهم من الخروج و يقيضهم بحبس الابد فتوصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمدة استيثاقا في استيثاق - ويجوز ان يكون المعنى انها عليهم مُّوَصَّدَةٌ موثقين في عمدة ممددة مثل المقاطر التي يقطر فيها اللصوص اللهم اجرنا يا خير مستجار - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من امتنزا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه *

سورة الفيل

روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسمها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعدها فيها ليلا فاغضبه ذلك - وقيل اخرجت رفقة من العرب فارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدم من الكعبة فخرج بالحبشة و معه فيل له اسمه محمود و كان قويا عظيما و اثنى عشر فيلا غيره - وقيل ثمانية - وقيل كان الف فيل - وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب و عرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبا جيشه و قدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك و لم يبرح و اذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هزل فارسل الله طير سودا - وقيل خضرا - وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره و حجارا في رجليه اكبر من العدسة و اصغر من الحمصة - و عن ابن عباس انه رأى منها عند ام هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره و على كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق و منهل و دري ابرهة فتساقطت انامله و اوابه و ما

حروفها
١٣٥

سورة الهمزة ١٠٤

الجز ٣٠

ع ٢٨

سورة الهمزة مكية و هي تسع آيات •

كلماتها
٣٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ يُحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝

و رُسُلُهُ و الزهد في الدنيا و الرغبة في الآخرة [وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ] عن المعاصي و على الطاعات و على ما يبلو الله به عباده - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة وَ الْعَصْرُ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ وَ كَانَ مِمَّنْ تَوَاصَى بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَى بِالصَّبْرِ •

سورة الهمزة

الهمز الكسر كالهزم و اللمز الطعن يقال لَمَزَ لَمَزَةً وَ لَهَزَ طَعَنَهُ و المراد الكسر من اعراض الناس و الغض منهم و اغتيايهم و الطعن فيهم و بناء فَعْلَةٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ عَادَةٌ مِنْهُ قَدْ ضَرَبَ بِهَا وَ نَحْوُهُمَا الْمَعْنَةُ وَالضَّكَّةُ - قال • ع • و ان أُغْيِبَ فانت الهماز اللمزة • و قرئ وَيْلٌ لِّلْهُمَزَةِ اللَّمَزَةِ - و قرئ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ بِسُكُونِ الْمِيمِ وَهُوَ الْمُسَخَّرَةُ الَّتِي يَأْتِي بِالْأَوْبَدِ وَ الْإِضَاحِيكَ فَيُضَحِّكُ مِنْهُ وَيُسْتَمُّ - و قيل نزلت في الاخنس بن شريق و كانت عادته الغيبة و الوقعة - و قيل في أمية بن خلف - و قيل في الوليد بن المغيرة و اغتيايهم لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و غَضَهُ مِنْهُ - و يجوز ان يكون السبب خاصاً و الوعيد • مَا لِيَتَنَادَلَ كُلُّ مَنْ بَاشَرَ ذَلِكَ الْقَبِيحَ وَ لِيَكُونَ جَارِيًا مَجْرَى التَّعْرِيفِ بِالْوَارِدِ فِيهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَزْجَرُ لَهُ وَ انْكَرَى فِيهِ [الَّذِي] بَدَلَ مِنْ كُنَّ - أَوْ نَصَبَ عَلَى الذَّمِّ - وَ قُرِئَ جَمَعَ بِالتَّشْدِيدِ وَ هُوَ مُطَابِقٌ لِعَدَدَةٍ - وَ قِيلَ عَدَدَةٌ جَعَلَهُ عَدَّةً لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ - وَ قُرِئَ وَ عَدَدَهُ أَيَّ جَمَعَ الْمَالَ وَ ضَبَطَ عَدَدَهُ وَ أَحْصَاهُ - أَوْ جَمَعَ مَالَهُ وَ قَوْمَهُ الَّتِي يَنْصُرُونَهُ مِنْ قَوْمِكَ فَلَانِ ذُو عَدَدٍ وَ عَدَدٌ إِذَا كَانَ لَهُ عَدَدٌ وَافِرٌ مِنَ الْإِنصَارِ وَ مَا يُصَالِحُهُمْ - وَ قِيلَ وَ عَدَدَةٌ مَعْنَاهُ وَ عَدَّةٌ عَلَى فَلَكَ الْإِدْغَامُ نَحْوُ ضَنَنُوا [أَخْلَدَهُ] وَ خَلَدَهُ بِمَعْنَى أَيَّ طَوَّلَ الْمَالُ أَمَلَهُ وَ مَنَاهُ الْإِمَانِيَّ الْبَعِيدَةَ حَتَّى أَصْبَحَ لِفَرْطِ غَفْلَتِهِ وَ طَوَّلَ أَمَلَهُ يُحْسِبُ أَنَّ الْمَالَ تَوَكَّلَهُ خَالِدًا فِي الدُّنْيَا لَا يَمُوتُ - أَوْ يَعْمَلُ مِنَ تَشْيِيدِ الْبَنِيَانِ الْمُوثَقِ بِالصَّخْرِ وَ الْأَجْرِ وَ غَرْسِ الْأَشْجَارِ وَ عِمَارَةِ الْأَرْضِ عَمَلٌ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ مَالَهُ أَبْقَاهُ حَيًّا - أَوْ هُوَ تَعْرِيفُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَخْلَدَ صَاحِبَهُ فِي الْغَيْمِ فَأَمَّا الْمَالَ فَمَا أَخْلَدَ أَحَدًا فِيهِ - وَ رَوَى أَنَّهُ كَانَ لِأَخْنَسَ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ دَنِيَارَ - وَ قِيلَ عَشْرَةُ أَلْفٍ - وَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ عَادَ مُوسِرًا فَقَالَ مَا تَقُولُ فِي الْوَفِّ لَمْ أَفْتَدِ بِهَا مِنْ لُئِيمٍ وَ لَا تَفَضَّلْتُ عَلَى كَرِيمٍ قَالَ وَ لَكِنْ أَمَا إِذَا قَالَ لَنَبُوءَةِ الزَّمَانِ وَ جَفْوَةِ السُّلْطَانِ وَ نَوَائِبِ الدَّهْرِ وَ مَخَافَةِ الْفَقْرِ قَالَ أَذِنَ تَدَعُهُ لِمَنْ لَا يَحْمَدُكَ وَ تَوَدَّ عَلَى مَنْ لَا يَعْذُرُكَ [كَلَّا] رَدْعٌ لَهُ عَنْ حِسْبَانِهِ - وَ قُرِئَ لَيُنْبَذَنَّ أَيَّ هُوَ وَ مَالَهُ - وَ لَيُنْبَذَنَّ بِضَمِّ الذَّالِ أَيَّ هُوَ وَ انْصَارَهُ - وَ لَيُنْبَذَنَّ [فِي الْحُطَمَةِ] فِي النَّارِ الَّتِي مِنْ شَانِهَا أَنْ تَحْطُمَ كُلُّ مَا يُلْقَى فِيهَا وَ يَقَالُ لِلرَّجُلِ الْآكُولِ أَنَّهُ لِحُطْمَةٍ - وَ قُرِئَ

سورة العصر ١٠٣

الجزء ٣٠

ع ٢٧-٢٨

كلماتها
١٤

لَتَرْوُنَّ الْجَحِيمَ ۖ ثُمَّ لَتَرْبُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۖ تَمْ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۖ

سورة العصر مكية وهي ثلث آيات •

حرفها
٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۖ

وَالْعَصْرِ ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۖ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ ۖ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۖ

جَهْلَةٌ - ثم قال [لَتَرْوُنَّ الْجَحِيمَ] فبين لهم ما اندرهم منه واعد لهم به وقد مر ما في ايضاح الشيء بعد ابهامه من تعظيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اعدوا به ما لا مدخل فيه للريب وكرره معطوفا بتم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل - وقرئ لَتَرْوُنَّ بالهمز وهي مستكرهة - فان قلت لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد - قلت ذلك في الواو اللتي ضمنها لازمة وهذه عارضة للقاء الساكنين - وقرئ لَتَرْوُنَّ - وَاَتَرَبُّنَّهَا عَلَى الْبَفَاءِ لِلْمَفْعُولِ [عَيْنَ الْيَقِينِ] اي الرؤية اللتي هي نفس اليقين وخالصته - ويجوز ان يراد بالرؤية العلم والابصار [عَنِ النَّعِيمِ] عن اللهو والتفهم الذي شغلكم الانتذان به عن الدين وتكليفه - فان قلت ما النعيم الذي يسأل عنه الانسان ويعاتب عليه فما من احد الا وله نعيم - قلت هو نعيم من عكف همته على استيفاء الذات ولم يعيش الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله وازرقه اللتي لم يخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يروى انه اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ آلهكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي افعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كأنما قرأ الف آية •

سورة العصر

اقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةَ الْعَصْرِ فِي مَصْحَفِ حَفْصَةَ وَقَوَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَكَأَنَّمَا وَتَرَ اهْلَهُ وَمَالَهُ وَلَنْ التَّكْلِيفُ فِي ادَائِهَا اشْقُ لِنَهَانَتِ النَّاسَ فِي تَجَارَاتِهِمْ وَمَكَامِبِهِمْ آخِرَ النَّهَارِ وَاشْتَغَالَهُمْ بِمَعَايِشِهِمْ - او اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة - او اقسم بالزمان لما في مروره من اصناف العجائب [وَالْإِنْسَانِ] للجنس - وَالْخُسْرِ الْخُسْرَانُ كَمَا قِيلَ الْكُفْرُ فِي الْكُفْرَانِ وَالْمَعْنَى انَّ النَّاسَ فِي خُسْرَانٍ مِنْ تَجَارَتِهِمْ اِلَّا الصَّالِحِينَ وَحَدَّثَهُمْ لَانَّهُمْ اشْتَرَوْا الْآخِرَةَ بِالدُّنْيَا فَرَبَحُوا وَسَعَدُوا وَمَنْ عَدَاهُمْ تَجَرُّوا خِلَافَ تَجَارَتِهِمْ فَوَقَعُوا فِي الْخُسَارَةِ وَالشَّقَاةِ [وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ] بِالْأَمْرِ الثَّابِتِ الَّذِي لَا يَسُوغُ انْكَارَهُ وَهُوَ الْخَيْرُ كُلُّهُ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ كُتُبِهِ

هَآوِيَةً ۖ وَمَا أَذْرَبَكُمْ مَا هِيَّةُ ۖ نَارُ حَامِيَةٍ ۖ ع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۖ

الذار - وقيل للمأوى أم على التشبيه لان الأم مأوى الولد و مفزعه - و عن قتادة فأمه هَآوِيَةً فأم رامة هَآوِيَةً في قعر جهنم لانه يطرح فيها مذكوسا [هِيَّة] ضمير الداهية اللتي دل عليها قوله فأمه هَآوِيَةً في التفسير الاول - او ضمير هَآوِيَةً و الهاء للمسكت و اذا وصل القاري حذفها - وقيل حقه ان لا يدرج للنلا يقطعها الادراج لانها ثابتة في المصحف و قد أجزا ثباتها مع الوصل - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة القارة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة •

سورة التكاثر

آلهة عن كذا واقهاه اذا شغله - و [التَّكَاثُرُ] التباري في الكثرة و التباهي بها و ان يقول هؤلاء نحن اكثر و هؤلاء نحن اكثر - روي ان بني عبد مناف و بني سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالأحياء و الأموات فكثرتهم بنو سهم و المعنى انكم تكاثرتُم بالأحياء حتى اذا استوعبتُم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتُم بالأموات عبّر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم - وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان و هذا قبر فلان عند تفاخرهم و المعنى الْهَيْكُمُ ذَلِكَ و هو مما لا يعنيتكم و لا يجدي عليكم في دنياكم و أخرتكم عما يعنيتكم من امر الدين الذي هو أهم و اعنى من كل مهم - او اراد الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ بالاموال و الاولاد الى ان مُتُّم و قُبرْتُم منفقين اعماركم في طلب الدنيا و الاستباق اليها و التهاك عليها الى ان اتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو اولى بكم من السعي لعاقبتكم و العمل لأخرتكم و زيارة القبر عبارة عن الموت - قال • شعر • لن يخلص العام خليل عشا • ذات الضماد او يزور القبرا • و قال الاخطل • شعر • زار القبور ابو مالك • فاصبح الأم زوارها • و قرأ ابن عباس الْهَيْكُمُ على الاستفهام الذي معناه التقرير - [كَلَّا] ردع و تنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان يكون الدنيا جميع همّه و لا يهتم بدينه [سَوْفَ تَعْلَمُونَ] انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم و التكرير تأكيد للردع و الانذار عليهم - و [ثُمَّ] دلالة على ان الانذار الثاني ابلغ من الاول و اشد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل و المعنى سَوْفَ تَعْلَمُونَ الخطاء فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قد امكم من هول لقاء الله تعالى و ان هذا التنبيه نصيحة لكم و رحمة عليكم ثم كرر التنبيه ايضا و قال [لَوْ تَعْلَمُونَ] محذوف الجواب يعني لَوْ تَعْلَمُونَ ما بين ايديكم [عِلْمَ] الامر [الْيَقِينِ] اي كعلمكم ما تستيقنونونه من الامور اللتي وكنتم بعامها هممكم لفعلتُم ما لا يوصف و لا يكتفه و لكنكم ضلال

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۖ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝

سورة القارعة مكية وهي احدى عشر آية •

حروفها
١٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

الْقَارِعَةُ ۖ مَا الْقَارِعَةُ ۖ وَمَا أَزْلَمَكَ مَا الْقَارِعَةُ ۖ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۖ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَأَمَّهُ

لَبْخِيلٌ ممسك - او اراد بالشديد القوي وَاِنَّهُ لِحُبِّ الْمَالِ وَايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة
الله و شكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا - او اراد أَنَّهُ
لِحُبِّ الْخَيْرَاتِ غير هَشٍّ منبسط ولكنه شديد منقبض - [بُعْثَر] بُعِثَ - و قَرِئَ بِحَذَرٍ - وَبِحَسَرٍ - وَبَحْسَرٍ
وَحَصَّلَ عَلَى بَنَائِهِمَا لِلْفَاعِلِ - وَحَصَّلَ بِالتَّخْفِيفِ وَ مَعْنَى [حُصِّلَ] جُمِعَ فِي الصَّحْفِ أَيِ أَظْهَرَ مَحْصَلًا
مَجْمُوعًا - وَ قِيلَ مُتَبَيِّنِينَ خَيْرُهُ وَ شَرُّهُ وَ مِنْهُ قِيلَ لِلْمُتَخَلِّلِ الْمَحْصَلِ - وَ مَعْنَى عِلْمُهُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَجَازَاتُهُ
لَهُمْ عَلَى مَقَادِيرِ أَعْمَالِهِمْ لَأَنَّ ذَلِكَ أَثَرُ خُبْرَةٍ بِهِمْ - وَ قَرَأَ أَبُو السَّمَالِ أَنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْعَدِيثِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ بَاتَ
بِالْمُزْدَلِفَةِ وَ شَهِدَ جَمْعًا •

سورة القارعة

الظرف نصب بمضمردلت عليه القارعة اي تفرع [يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ] شَبَّهِهُمْ
بِالْفَرَاشِ فِي الْكَثْرَةِ وَ الْإِنْتِشَارِ وَ الضَّعْفِ وَ الذَّلَّةِ وَ التَّطَايُرِ إِلَى الدَّاعِي مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَمَا يَتَطَايَرُ الْفَرَاشُ
إِلَى النَّارِ - قَالَ جَرِيرٌ * شَعْرٌ * أَنَّ الْفَرَزْدَقَ مَا عَلِمْتَ وَ قَوْمَهُ * مِثْلَ الْفَرَاشِ غَشِيَتْ نَارَ الْمِصْطَلِيِّ * وَ فِي أَمْثَالِهِمْ
أَضْعَفُ مِنْ فَرَاشَةٍ وَ أَذَلُّ وَ أَجْهَلُ وَ هَمِّي فَرَاشًا لَتَفْرِشُهُ وَ انْتِشَارُهُ - وَ شَبَّهَ الْجِبَالَ بِالْعِهْنِ وَ هُوَ الصَّوْفُ الْمَصْبُغُ
الْوَانُ لِأَنَّهَا الْوَانُ وَ بِالْمَنْفُوشِ مِنْهُ لَتَفَرُّقِ أَجْزَائِهَا - وَ قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ كَالصُّوْفِ - الْمَوَازِينُ جَمْعُ مَوْزُونٍ وَ هُوَ
الْعَمَلُ الَّذِي لَهُ وَزْنٌ وَ خَطَرٌ عِنْدَ اللَّهِ - أَوْ جَمْعُ مِيزَانٍ - وَ ثَقُلَهَا رَجَحَانَهَا وَ مِنْهُ حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ لِعُمَرَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ فِي وَصِيَّتِهِ لَهُ وَ أَنْمَا ثَقُلْتَ مَوَازِينَ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ وَ ثَقُلَهَا فِي الدُّنْيَا
وَ حَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يَوْضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَسَنَاتُ أَنْ يَثْقُلَ وَ أَنْمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَ خَفَّتْهَا
فِي الدُّنْيَا وَ حَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يَوْضَعُ فِيهِ إِلَّا السَّيِّئَاتُ أَنْ يَخْفَ [فَأَمَّهُ هَارِيَةً] مِنْ قَوْلِهِمْ إِذَا دُعُوا عَلَى الرَّجُلِ بِالْهَلَكَةِ هَوَتْ
أَمَّهُ لِأَنَّهُ إِذَا هَوَىٰ أَيِ سَقَطَ وَ هَلَكَ فَقَدْ هَوَتْ أَمَّهُ ثَكَلًا وَ حَزَنًا - قَالَ * شَعْرٌ * هَوَتْ أَمَّهُ مَا يَبْعَثُ الصَّبْحُ غَاثِيًا •
وَ مَاذَا يُؤَدِّي اللَّيْلُ حِينَ يُوْرُبُ * فَكَأَنَّهُ قِيلَ وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَقَدْ هَلَكَ - وَ قِيلَ هَارِيَةً مِنْ أَسْمَاءِ
النَّارِ وَ كَأَنَّهَا النَّارُ الْعَمِيقَةُ لِهَوَىٰ أَهْلِ النَّارِ فِيهَا مَهْوًى بَعِيدًا كَمَا رَوَى يَهُودِيٌّ فِيهَا مَبْعُوعِينَ خَرِيفًا أَيِ قَمَارًا

لِرَبِّهِ لَكُذُوبٌ ۖ وَ إِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ أَشْهَدٌ ۖ وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۚ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَا فِي الْقُبُورِ ۖ

سورة العنكبوت ١٠٠

الجزء ٣٠

ع ٢٤

عنقرة • شعر • والخيل تكدر حين تضبح في حياض الموت ضبحاً • وانتصاب ضبحاً على يضبح ضبحاً -
 او بالعديت كانه قيل والضاحيات لان الضبح يكون مع العدو - او على الحال اي ضاحيات [فالمؤريت] توري فار
 الحباحب و هي ما تنقذ من حوافرها [قدحاً] قاذحات صاكت بحوافرها الحجارة و القدح الصك و
 الايراء اخراج النار تقول قدح فارى و قدح فاصلد و انتصب قدحاً بما انتصب به ضبحاً [فالمغيرت] [فالمغيرت]
 تغير على العدو [ضبحاً] في وقت الصبح [فأثرن به نقعاً] فميتجن بذلك الوقت غباراً [فوسطن به]
 بذلك الوقت - او بالنقع اي وسطن النقع الجمع - او فوسطن ملتبسات به جمعاً من جموع الاعداء و وسطه
 بمعنى توسطه - و قيل الضمير امكان الغارة - و قيل للعدو الذي دل عليه و العديت - و يجوز ان يراد بالنقع
 الصباح من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة - و قول لبيد • ع • فمتى ينقع صراخ صادق • اي فميتجن في
 المغار عليهم صياحاً و جلبة - و قرأ ابو حنيفة فأتون بالتشديد بمعنى فظهرن به غباراً لان التأخير فيه معنى
 الاظهار - او قلب تون الى وتون و قلب الواو همزة - و قرئ فوسطن بالتشديد للمتعدية و البداء مزبدة للتوكيد
 كقوله تعالى وارتوا به او هي مبالغة في وسطن - و عن ابن عباس كذت جالسا في الحجر فجاء رجل
 فقال الذي عن العديت ضبحاً ففسرتها بالخيل فذهب الى علي و هو تحت سقاية زمزم فسأله و ذكر له
 ما قلت فقال ادته اي فلما وقعت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول
 غزوة في الاسلام بدرو ما كان معنا الا فرسان فرس للزبير و فرس للمقداد و العديت ضبحاً الابل من عرفة
 الى المزدلفة و من المزدلفة الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشار
 و الحافر للانسان و الشقذان للمهر و الثفر للذرة و ما شبه ذلك - و قيل الضبح لا يكون الا للفرس و الكاب
 و الثعلب - و قيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل و ضبعت اذا مدت اضباعها في السير
 و ليس بثبت و جمع هو المزدلفة - فان قلت علام عطف فأتون - قلت على الفعل الذي وضع اسم
 الفاعل موضعه لان المعنى و اللاتي عدون فأوربن فأغرن فأتون - الكذوب الكفور و كند النعمة كذودا - و منه
 سمي كندة لانه كند اباه ففارقته - و عن الكلبي الكذوب بلسان كندة العاصي و بلسان بني مالك البخيل
 و بلسان ربيعة و مضر الكفور يعزي انه لنعمة ربه خصوصاً لشديد الكفران لان تفريطه في شكر نعمة غير الله
 تفريط قريب لمقارنة النعمة لان اجل ما أنعم به على الانسان من مثله نعمة ابويه ثم ان عظامها في جنب
 ادنى نعمة الله قليلة ضئيلة - [و انه] و ان الانسان [على ذلك] على كذوبة [لشهيد] يشهد على نفسه
 ولا يقدر ان يحجده لظهور امره - و قيل و ان الله على كذوبة لشاهد على سبيل الوعيد - [الخير] المال من
 قوله تعالى ان ترك خيراً - و الشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد و متشدد - قال طرفة • شعر • ارى الموت
 يعنام الكرام و يصطفي • عقيلة مال الفاحش المتشدد • يعني و انه لاجل حب المال و ان انفاقه يثقل عليه

سورة العديت ١٠٠

الجزء ٣٠

ع ٢٤

كلماتها
٤٠

سورة العديت مكية وهي احدى عشرة آية •

حروفها
١٧٠

بَانَ رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۖ يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ۚ لَيُرَوْنَ أَعْمَالَهُمْ ۖ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ ع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

وَالْعَدِيثُ ضَبْحًا ۝ فَاَلْمُورِيَّتُ قَدَحًا ۝ فَاَلْمَغِيرَتُ صُبْحًا ۝ فَاتَرَنَ بِهِ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ

حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء
يُفْذَرُونَهُ وَيُحْذَرُونَ منه - و قيل يُنطقها الله على الحقيقة وتُخبر بما عمل عليها من خير و شر - و روي عن رسول
الله صلى الله عليه و آله و سلم تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها - فان قلت اذا و يَوْمَئِذٍ ما ناصبهما -
قلت يَوْمَئِذٍ بدل من اذا و ناصبهما تُحَدِّثُ - ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر و يَوْمَئِذٍ يُتَحَدَّثُ - فان قلت
ابن مفعولا تُحَدِّثُ - قلت قد حذف اولهما و الثاني أَخْبَارَهَا واصله تُحَدِّثُ الْخَلْقَ أَخْبَارَهَا إِلَّا ان
المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيماً لليوم - فان قلت بم تعلقت الباء في قوله [بَانَ رَبِّكَ] -
قلت بتحديث معناه تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بسبب إحصاء ربك لها و امره آياها بالتحديث - ويجوز ان يكون المعنى
يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بَانَ رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا تحديث بتحديثها
كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين - ويجوز ان يكون بَانَ رَبِّكَ بدلا من أَخْبَارَهَا كأنه قيل
يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ بِأَخْبَارَهَا بَانَ رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا و[أَوْحَىٰ لَهَا] بمعنى اوحى اليها
وهو مجاز كقوله تعالى اَنْ نَّقُولَ لَهُ كُنْ - قال ع • اوحى لها القرار فاستقرت * وقرأ ابن مسعود تُذَبِّي أَخْبَارَهَا -
و معيد بن جبير تُذَبِّي بالتخفيف - يَصْدُرُونَ عن مخارجهم من القبور الى الموقف [أَشْتَاتًا] بِيض الوجوه
أَمْذِينَ و سُود الوجوه فزعين - او يَصْدُرُونَ عن الموقف أَشْتَاتًا يتفرق بهم طريقا الجنة و النار [لَيُرَوْنَ] جزاء
[أَعْمَالَهُمْ] و في قراءة النبي عليه السلام لَيُرَوْنَ بالفتح - وقرأ ابن عباس و زيد بن علي يَرَهُ بالضم - ويحكى ان
اعرابيا آخر خيرا يَرَهُ ف قيل له قدمت و آخرت فقال * شعر * خذا بطن هرشى او قفاها فانه * كلا جانبي هرشى لهن
طريق * و الذرة النملة الصغيرة - و قيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء - فان قلت حسرات
الكافر مُحِبَّة بالكفر و سَيِّئَات المؤمنين معفوة باجتذاب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير
و الشر - قلت المعنى فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا مِنْ فَرِيقِ السُّعْدَاءِ و مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا مِنْ
فَرِيقِ الْأَشْقِيَاءِ لانه جاء بعد قوله يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مَنْ قَرَأَ
إِذَا زُلْزِلَتْ اربع مرات كان كَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ كَلَّةً *

سورة العديت

اقسم بخيل الغزاة تعدو فتصبح و الضبح صوت انفاسها اذا عدون - وعن ابن عباس انه حكاه فقال أح - قال

أَمْرًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۖ
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ إِنَّ
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَدَّتْ غَدَنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۖ

سورة الزلزال ٩٩

الجزء ٣٠

ع ٢٣

حروفها
١٥٨

سورة الزلزال مدنية وهي ثمان آيات *

كلما
٣٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۖ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۖ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۖ

و منهم من انكر وقال ليس به و منهم من عرف وعاند - فان قلت لم جمع بين اهل الكتاب والمشركون
 اولاً ثم انرد اهل الكتاب في قوله [و مَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ] - قلت لانهم كانوا على علم به لوجوده في
 كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف [و مَا أَمْرًا] يعني في التوراة
 والانجيل [الآ] بالدين الحذيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا [وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ] اي دين الملة القيمة - و قرئ
 وَذَلِكَ الدِّينُ الْقِيَمَةُ على تأويل الدين بالملة - فان قلت ما وجه قوله وَ مَا أَمْرًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ - قلت
 معناه وَ مَا أَمْرًا بما في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة - وقرأ ابن مسعود الا ان يعبدوا
 بمعنى بان يعبدوا - قرأ نافع البرية بالهمز - والقراء على التخفيف - والذبي والبرية مما استمر الاستعمال على
 تخفيفه ورفض الاصل - و قرئ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جمع خَيْر كجيد وطيب في جيد و طيب - من رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساءً ومقيلاً *

سورة الزلزال

[زِلْزَالَهَا] - قرئ بكسر الزاي - وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم و ليس في الابنية فعلا بالفتح
 الا في المضاعف - فان قلت ما معنى زِلْزَالَهَا بالاضافة - قلت معناه زِلْزَالَهَا الذي تستوجب في الحكمة
 ومشية الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحو قولك اكرم التقى اكرامة واهن الفاسق اهانة
 تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة - او زِلْزَالَهَا كله وجميع ما هو ممكن منه - الاثقال جمع ثقل وهو
 متاع البيت و تحمّل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن اثقالاً لها [وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا] زلزلت هذه
 الزلزلة الشديدة و لفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ اصواتها احياء فيقولون
 ذلك لما ينبرهم من الامر الفظيع كما يقولون مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا - وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن
 بالبعث فاما المؤمن فيقول هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ - فان قلت ما معنى تحديد الارض
 والابحار لها - قلت هو مجاز عن احداث الله تعالى فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديد باللسان

وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۖ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۖ

سورة البينة مدنية وهي ثمان آيات •

حروفها
٤١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ ۝ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۖ ۝ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۖ ۝ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۖ ۝ وَمَا

اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك و تقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي - وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد [تنزل] الى السماء الدنيا - وقيل الى الارض - والروح جبرئيل - وقيل خلق من الملكة لا تراهم الملكة الا تلك الليلة [من كل امر] اي يتنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل - وقرئ من كل امرجي اي من اجل كل انسان - قيل لا يلقون مؤمناً ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة [سلم هي] ما هي السلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة - او ما هي الا سلام لكثرة ما يستلمون على المؤمنين - وقرئ [مطلع] بفتح اللام - وكسرهما - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر •

سورة البينة

كان الكفار من الفريقين اهل الكتاب و عبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لانفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقربهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقاً فيقول واعظه لم تكن منفكاً عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق الا بعد اليسار بذكره ما كان يقول توبيحاً والزماً وانفك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى انهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجيء البينة - و [البينة] الحجة الواضحة و [رسول] بدل من البينة - وفي قراءة عبد الله رسولا حالاً من البينة [صحفاً] قراطيس [مطهرة] من الباطل [فيها كتب] مكتوبات [قيمة] مستقيمة ناطقة بالحق والعدل - والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه - او تفرقهم فرقاً فمنهم من آمن

مَدَدُ الزَّيْنَةِ ۝ كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝

سورة القدر ٩٧

الجزء ٣٠
حروفها ١١٣

سورة القدر مكية وهي خمس آيات •

كلماتها ٣٥

ع ٢١
السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنْزِيلُ الْمَلَكَةِ ۝

• ع • وفيهم مقامات حسان وجوههم • والمقامة المجلس - روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي فقال ألم أنهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فذرت - وقرأ ابن ابي عملة سيدتي الزبانية على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشَّط الواحد زبنة كعقوبة من الزين وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب الى الزين ثم غير للنسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملكة العذاب - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لودعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا [كَلَّا] ردع لابي جهل [لَا تَطِعْ] اي اثبتت على ما انت عليه من عصيانه كقوله فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ [وَاسْجُدْ] ودم على سجودك يريد الصلوة [وَاقْتَرِبْ] وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كأنما قرأ المفصل كله •

سورة القدر

عظم القرآن من ثلثة اوجه - احدها ان اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره - والثاني انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التذنية عليه - والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه - روي انه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبرئيل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله فجاءه في ثلث وعشرين سنة - وعن الشعبي المعنى انا ابتدأنا انزاله في ليلة القدر - واختلفوا في وقتها فاکثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاخر في اوتارها و اكثر القول انها السابعة منها ولعل الداعي الى اخفائها ان يحيي من يريد بها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وان لا يتكلم الناس عند اظهارها على اصابة الفضل فيها فيفترطوا في غيرها - ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضاؤها من قوله فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ - وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي [وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ] يعني ولم تدبغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بانها [خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ] وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملكة والروح وفصل كل امر حكيم - وذكر في تخصيص هذه المدة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر رجلا من بني

يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۞ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ۞ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ۞ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ۞
أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۞ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ ۞ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۞ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۞

[الرجعى] واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان - والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع - وقيل نزلت في ابي جهل وكذلك أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى - وروى انه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبرئيل فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله عن الدعاء ببقاء عليهم - وروى عنه لعنه الله انه قال هل يعقر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رأيت توطأت عنقه فجاهه ثم نكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخذقا من نار وهولا واجنحة فنزلت [أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى] ومعناه اخبرني عن من ينهى بعض عباد الله عن صلواته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان أمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتواي عن الدين الصحيح كما نقول نحن [أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى] ويطاع على احواله من هداية وضلالة فيجازه على حسب ذلك وهذا وعيد - فان قلت ما متعلق أَرَأَيْتَ - قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين - فان قلت فابن جواب الشرط - قلت هو محذوف تقديره إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني - فان قلت فكيف صح ان يكون [أَلَمْ يَعْلَمْ] جوابا للشرط - قلت كما صح في ذلك ان اكرمك أكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه - فان قلت فما أَرَأَيْتَ الثانية وتوسطها بين مفعولي أَرَأَيْتَ - قلت هي زائدة مكررة للتوكيد - وعن الحسن انه أُمِيَّة بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة - [كَلَّا] ردع لابي جهل وخس له عن نهيه عن عبادة الله وامره بعبادة الالات ثم قال [لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ] عما هو فيه [لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ] لنأخذن بناصيته ولنسحقه بها الى النار - والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة - قال عمرو بن معدى كرب شعر قوم اذا نفع الصريح رأيتهم من بين ملجم مهرة او سافع * وقرئ أَنَسَفَعْنَ بالنون المشددة - وقرأ ابن مسعود لَأَسْفَعْنَ وكتبها في المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم انها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الاضافة [نَاصِيَةٍ] بدل من النَّاصِيَةِ وجاز بدلها عن المعرفة و هي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة - وقرئ نَاصِيَةً على هي نَاصِيَةٌ - وَنَاصِيَةٍ بالنصب وكلاهما على الشتم وصفها بالكذب والخطا على الاسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطي - والنادي المجلس الذي يندى فيه القوم اي مجتمعون والمراد اهل النادي - كما قال جرير * مع * اهل مجالس صهب السبال اذلة وقال زهير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۖ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَبْفٍ لِّيَظُنِّي ۖ أَنَّ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ۖ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۖ أَرَأَيْتَ الَّذِي

سورة العلق

عن ابن عباس ومجاهد هي اول سورة نزلت و اكثر المفسرين على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم - محل [باسم ربك] الذنب على الحال اي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل باسم الله ثم اقرأ - فان قلت كيف قال [خلق] فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان - قلت هو على وجهين - اما ان لا يقدر له مفعول وان يراد انه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه - واما ان يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض - وقوله [خلق الانسان] تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التذليل اليه وهو اشرف ما على الارض - ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان فليل الذي خلق مبهما ثم فسر بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجب فطرته - فان قلت لم قال [من علق] على الجمع واما خلق من علقه كقوله تعالى من نطفة ثم من علقه - قلت لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر [الاكرم] الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر و يقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا امد و كانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبة على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزل الا بالكتابة ولو لا هي لما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به - ول بعضهم في صفة القلم شعر • ورواقه رقيق كمثل اراقم • قطف الخطي نباله اقصى المدى • سون القوائم ما يجد مسيرها • الا اذا لعبت بها بيض المدى • وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم - [كلاً] ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه [ان رآه] ان رأى نفسه يقال في افعال القلوب رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين [واستغنى] هو المفعول الثاني [ان الى ربك]

سورة التين ٩٥
الجزء ٣٠
ع ٢٠
الثلاث

أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿١﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴿٣﴾
أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَكَمِينَ ﴿٤﴾ ع

بمعنى مفعول من آمنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرماً آمناً بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمذبت الدين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشأه - والطور المكان الذي نودي منه موسى - ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعلمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومبعثه [في أحسن تقويم] في احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لعضائه ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددته أسفل من سفلى خلقاً وتركيباً يعنى اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار - او أسفل من سفلى من اهل الدركات - او ثم رددته بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفلى في حسن الصورة والشكل حتى تكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله و ابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضاً وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف - وقرأ عبد الله أسفل السافلين - فان قلت فكيف الاستثناء على المذهبين - قلت هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعنى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تحازل نهوضهم - فان قلت [فما يكذبك] من مخاطب به - قلت هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات اى فما يجعلك كاذباً بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعنى انك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فإي شيء يضطرك الى ان تكون كاذباً بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشراً مويماً وتدرجته في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارضل العمر لا ترى دليلاً اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع - وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [أليس الله بأحكم الحكمين] وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهل - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا قرأها قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه من قرأ سورة التين اعطاه الله خصلتين العانية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ

ذَنبُهَا بآخِرَى - و عن ابن عباس فَإِذَا فَرَّغْتَ مِنْ صَلَاتِكَ فَاجْتَهِدْ فِي الدُّعَاءِ - وعن الحسن فَإِذَا فَرَّغْتَ مِنَ الْغَزْوِ فَاجْتَهِدْ فِي الْعِبَادَةِ - و عن مجاهد فَإِذَا فَرَّغْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَانْصَبْ فِي صَلَاتِكَ - وعن الشعبي انه رأى رجلاً يُشِيلُ حَجَرًا فَقَالَ لَيْسَ بِهَذَا أَمْرُ الْفَارِغِ وَقَعُودُ الرَّجُلِ فَارِغًا مِنْ غَيْرِ شُغْلٍ أَوْ اشْتِغَالِهِ بِمَا لَا يَعْزِيهِ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاةٍ مِنْ سَفَهِ الرَّأْيِ وَسَخَافَةِ الْعَقْلِ وَاسْتِغْلَاءِ الْغَفْلَةِ - ولقد قال عمر رضي الله عنه اني لا كره ان ارى احداكم فارغا سبَّهلاً لا في عمل دنيا ولا في عمل الآخرة - و قرأ ابو السمال فَرَّغْتَ بِكسر الراء و ليست بفصيحة - ومن البدع ما روي من بعض الرافضة انه قرأ فَاَنْصَبْ بِكسر الصاد اي فَاَنْصَبْ عَلَيَا لِلإمامة و لو صح هذا للرافضي لصح للناصري ان يقرأ هكذا و يجعله امرا بالانصب الذي هو بغض علي و عداوته [وَالِى رَيْكَ فَارْغَبْ] واجعل رغبتك اليه خصوصاً و لا تسأل الا فضله متوكلاً عليه - و قرئ فَرَّغْتَ اي رَغِبَ النَّاسُ اِلَى طَلَبِ مَا عِنْدَهُ - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مَنْ قَرَأَ الْمِ نَشْرَحْ فَكَأَنَّمَا جَاءَنِي وَ اَنَا مَغْتَمٌ فَفَرَّجَ عَنِّي •

سورة التين

اقسم بهما لانهما عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة - روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم طبق من تين فاكل منه و قال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير و تدفع من النقرس - و مر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيباً و استاك به و قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم و يذهب بالحفرة و سمعته يقول هي سواكي و سواك الانبياء قبلي - و عن ابن عباس هو تينكم هذا و زيتونكم - و قيل جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا و طور زيتا لانهما مذهبنا التين و الزيتون - و قيل التين جبل ما بين حلوان و همدان و الزيتون جبل الشام لانهما مذهبتهما كأنه قيل و مذهب التين و الزيتون و اضيف الطور و هو الجبل الى سينين و هي البقعة و نحو سينون يثرون في جواز الاعراب بالواو و الياء و الاقوار على الياء و تحريك النون بحركات الاعراب - و [البلد] مكة حماها الله تعالى و [الامين] من آمن الرجل امانة فهو امين - و قيل امان كما قيل كرام في كريم و امانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه - و يجوز ان يكون فعلاً

الْعُسْرُ يُسْرًا ۖ إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرٌ ۖ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝

فان قلت اي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه - قلت في زيادة لك ما في طريقة الابهام والايضاح كأنه قيل ألم نشرح لك ففهم ان نعمة مشروحا ثم قيل صدرك فارضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرتك وعذك وزرك - فان قلت كيف تعلق قوله [فان مع العسر يسرا] بما قبله - قلت كان المشركون يعيرون رسول الله و المؤمنين بالفقر والضيق حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لانتقار اهله واحتقارهم فذكره ما انعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تئأس من فضل الله فان مع العسر الذي انعم فيه يسرا - فان قلت ان مع المصحبة فما معنى اصطحاب العسر و اليسر - قلت أراد ان الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التساوية وتقوية للقلوب - فان قلت ما معنى قول ابن عباس و ابن مسعود لن يغلب عسر يسرين - وقد روي مرفوعا انه خرج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ذات يوم وهو يضحك و يقول لن يغلب عسر يسرين - قلت هذا عمل على الظاهر و بناء على قوة الرجاء و ان موعده الله لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ و ابغى و القول فيه انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ لتقرير معناها في النفوس و تمكينها في القلوب و كما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد و ان تكون الاولى عدة بان العسر مردوف بيسر لا محالة و الثانية عدة مستأنفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف و انما كان العسر واحدا لانه لا يخالو اما ان يكون تعريفه للعهد و هو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا و اما ان يكون للجنس الذي يعلمه كل احد فهو ايضا و اما اليسر فمفكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال - فان قلت فما المراد باليسرين - قامت يجوز - ان يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في ايام رسول الله و ما تيسر لهم في ايام الخلفاء - و ان يراد يسر الدنيا و يسر الآخرة كقوله تعالى قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا اِلَّا اِحْدَى الْحُسْنَيْنِ و هما حسنى الظفر و حسنى الثواب - فان قلت فما معنى هذا التذكير - قلت التفتيح كأنه قيل ان مع العسر يسرا عظيما و اي يسر و هو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة - فان قلت و اذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال و الذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطابه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين - قلت كأنه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفتيح فتأوله بيسر الدارين و ذلك يسران في الحقيقة - فان قلت فكيف تعلق قوله [فاذا فرغت فانصب] بما قبله - قلت أما عدد عليه نعمه السائلة و وعده الأنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبدية و النصب فيها و ان يواصل بين بعضها و بعض و يتابع و يحرض على ان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ •

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ مَدْرَكَ • وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ • الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ • وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ • فَإِنَّ مَعَ

البارحة خيرا قرأت كذا وصليت كذا فإذا قيل له يا أبا فراس أمثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ و أنتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وإنما يجوز مثل هذا إذا قصد به اللطف و ان
يقصد به غيره و امن على نفسه الفتنة و الستر افضل و لو لم يكن فيه الا التشبه باهل الرياء و السمعة
لكفى به - و في قراءة علي رضي الله عنه فَخَبِّرْو المعنى انك كذبت يتيما و ضالاً و عائلاً فأوالك الله و هداك
و اغناك فمهما يكن من شيء و على ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثام و اقتد بالله
فتعطف على اليتيم و اوة فقد ذقت اليتيم و هو انه و رأيت كيف فعل الله بك و ترحم على المسائل
و تفقد بمعروفك و لا تنجرة عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر و حدث بنعمة الله كلها و
تدخل تحته هدايته الضلال و تعليمه الشرائع و القرآن مقتدياً بالله في ان هداه من الضلال - عن رسول الله صلى
الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة الضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له و عشر حسنات يكتبها
الله له بعدد كل يتيم و سائل •

سورة الانشراح

استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح و ايجابه فكانه قيل شرحنا لك مدرك
ولذلك عطف عليه و وضعنا اعتبارا للمعنى و معنى شرحنا مدرك فستحذاه حتى وسع هموم النبوة و دعوة
الثقلين جميعا - او حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك و غيرهم - او فستحذاه بما اودعناه
من العلوم و الحكم و ازلنا عنه الضيق و الحرج الذي يكون مع العمى و الجهل - و عن الحسن مكي حكمة
و علما - و عن ابي جعفر المنصور انه قرأ ألم نشرح بفتح الحاء و قالوا لعنه بين الحاء و اشبعها في مخرجها
فظن السامع انه فتحها - و الوزر الذي انقض ظهرك اي حمله على النقيض و هو صوت الانتفاض و الانفكاك
لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و يغتمه من فرطاته قبل النبوة - او من
جهله بالاحكام و الشرائع - او من تهالكه على اسلام اولى العناد من قومه و تلهفه - و وضعه عنه ان غفر له - او علم
الشرائع - او مهد عذرة بعد ما بلغ و بالغ - و قرأ انس و حثلنا و حططنا - و قرأ ابن مسعود و حللنا عنك
و قررك - و رفع ذكره ان قرن بذكر الله في كلمة الشهادة و الاذان و الإقامة و التشهد و الخطب و في غير
موضع من القرآن و الله و رسوله آحق ان يرضوه - و من يطع الله و رسوله - و اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و في
تسميته رسول الله و نبي الله و منه ذكره في كتب الاولين و الاخذ على الانبياء و أممهم ان يؤمنوا به -

سورة الضحى ٩٣ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ ع

الجزء ٣٠

ع ١٨

الجملة و المبتدأ محذوف تقديره و لانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لاقسم ان المعنى لانا اقسم و ذلك انها لا تخلو من - ان تكون لام قسم او ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التأكيد فبقي ان يكون لام ابتداء و لام الابتداء لا تدخل الا على الجملة من المبتدأ و الخبر فلا بد من تقدير مبتدأ و خبر - و ان يكون اصله و لانت سوف يعطيك - فان قلت ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد و التأخير - قلت معناه ان العطاء كائن لا محالة و ان تأخر لما في التأخير من المصلحة - عدد عليه نعمه و ايايه و انه لم يخله منها من اول تربيته و ابتداء نشئه ترشيعا لما اراد به ليقبس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الا الحسن و زيادة الخير و الكرامة و لا يضيق صدره و لا يقل صدره [ألم يجذك] من الوجود الذي بمعنى العلم و المنصوبان مفعولا و جد - و المعنى ألم تكن يتديما و ذلك ان اياه مات و هو جنين قد اتت عليه ستة اشهر و ماتت امه و هو ابن ثمانين حنينا فكفله عمه ابو طالب و عطفه الله عليه فاحسن تربيته - و من بدع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة و ان المعنى ألم يجذك واحدا في قرين عديم النظير فاربك - و قرين فارى و هو على معنيين - اما من آواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة يقول ابن ابي هذه الموقسة - و اما من آوى له اذا رحمه [ضلأ] معناه الضلال عن علم الشرائع و ما طريقه السمع كقوله تعالى مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ - و قيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فردّه ابو جهل الى عبد المطلب - و قيل اضلته حليلة عند باب مكة حين فطمته و جاءت به لترده على عبد المطلب - و قيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب - فهذا كنعونك القرآن و الشرائع - او فازل ضالك عن جذك و عمك و من قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه كان على خلوقهم عن العلوم السمعية فنعيم و ان اراد انه كان على دينهم و كفرهم فمعاد الله و الانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل الذبوة و بعدها من الكبائر و الصغائر الشائنة فما بال الكفر و الجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء و كفى بالذبي نقيصة عند الكفار ان يسبق له كفر [عاثا] فقيرا - و قرين عاثا كما قرين سيجت و عديما [فاعلى] فاعذاك بمال خديجة او بما افاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي - و قيل قدعك و اغنى قلبك [فلا تقهر] فلا تغلبه على ماله و حقه لضعفه - و في قراءة ابن مسعود فلا تقهر و هو ان يعبس في وجهه و فلان ذو كهورة عابس الوجه و منه الحديث فبابي رامي هو ما كهربي - الظهر و النهم الزجر - و عن النبي صلى الله عليه و اله وسلم اذا رددت السائل ثلثا فلم يرجع فلا عليك ان تزيرة - و قيل اما انه ليس بالسائل المستجدي و لكن طالب العام اذا جاءك فلا تنهه - الحديث بنعمة الله شكرها و اشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء و الهداية و الاغذاء و ما عدا ذلك - و عن مجاهد بالقران فحدثا اقرأ و بلغ ما ارسلت به - و عن عبد الله بن غالب انه كان اذا اصبح يقول رزقني الله

سورة الضحى ٩٣
حروفها ١٩٩
الجزء ٣٠

سورة الضحى مكية وهي إحدى عشر آية •

كلماتها ٤٠

ع ١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝ وَالْآخِرَةَ خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝

سورة الضحى

المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها - وقيل انما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التي كلم فيها موسى وألقي فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى - وقيل اريد بالضحى النهار بيانه قوله أن يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بيانا - [سجى] سكن وكد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح - وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجى البحر سكنت امواجه وطرف ساج ساكن فانثر [ما ودعك] جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع - وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال • شعر • وثم ودعنا آل عمرو وعامر • فرائس اطراف المتنفقة السمر • والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك - روي ان الوحي قد تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه - وقيل ان ام جميل امرأة ابي لهب قالت له يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فذلمات - حذف الضمير من [قللى] كحذفه من الذكرت في قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى - فهدى - فأغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف - فان قلت كيف اتصل قوله [والآخرة خير لك من الأولى] بما قبله - قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقللى ان الله مواسلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره ان حاله في الآخرة اعظم من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع انبياء الله ورسله وشهادة امته على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية [ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى] موعود شامل لما اعطاه في الدنيا من الفلج والظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على قريظة والضمير واجلائهم وبت عساكرة وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في اقطار الارض من المدائن وهدم بايديهم من ممالك الجبابرة وانهيهم من كنوز الكفرة وما قذف في قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام ونشوة الدعوة واستيلاء المساهين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله - قال ابن عباس له في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المصك - فان قلت ما هذه اللام الداخلة على سرف - قلت هي لام الابتداء المؤكدة المضمون

فَسَيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ۖ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۚ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ۖ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ۚ
فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۚ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۚ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۚ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۚ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ
يَتَزَكَّى ۚ وَمَا لِاحِدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۚ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۚ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ۚ

الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر - او اراد بهما طريقَي الجنة والذاري فسندهما في الآخرة للطريقين -
وقيل نزلتا في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفي ابي سفيان بن حرب - [وَمَا يُغْنِي] استفهام في
معنى الانكار او نفى [تَرَدَّى] تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت - او تَرَدَّى في الحفرة اذا قبر - او تَرَدَّى
في قعر جهنم - [إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى] ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع
[وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى] ابي ثواب الدارين للمهتدي كقوله تعالى وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي
الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ - وقرأ ابو الزبير تَذَلَّى - فان قلت كيف قال لا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى
وقد علم ان كل شقي يصلها و كل تقى يجنبها لا يختص بالصالي اشقى الاقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء
وان زعمت انه فكر الذار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى فقد علم ان
افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة - قلت الآية واردة في الموازنة بين
حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد ان يُبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقلل الاشقى
وجعل مختصا بالصلي كان الذار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم
تخلق الا له - وقيل هما ابوجهل او أمية بن خلف و ابوبكر رضي الله عنه [يَتَزَكَّى] من الزكاة ابي
يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكاة - فان قلت ما محل يَتَزَكَّى -
قلت هو على وجهين - ان جعلته بدلا من يُوْتِي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها
وان جعلته حالا من الضمير في يُوْتِي فمحلها انصب - [ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى] مستثنى من غير جنسه
وهو النعمة ابي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار احد الاحمارا - وقرأ يحيى بن وثاب
الْأَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ بِالرَّفْعِ عَلَى لُغَةٍ مِنْ يَقُولُ مَا فِي الدَّارِ أَحَدُ الْأَحْمَارِ - وانشد في اللغتين قول بشر بن ابي حازم
• شعر • اضحكت خلاء قفاراً لا انيس بها • إلا الجأذر والظلمان تختلف • وقول القائل • شعر • وبلدة ليس بها
انيس • إلا اليعافير والاعيس • ويجوز ان يكون ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ مفعولا له على المعنى

ان معنى الكلام لا يوتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا كمكافاة نعمة [وَلَسَوْفَ يَرْضَى]

موعد بالثواب الذي يرضيه و يقر عينه - عن رسول الله صلى الله

عليه و آله سلم من قرأ سورة الليل اعطاه الله

حتى يرضى و عافاه من العسر

و يسر له اليسر •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٣﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴿٥﴾ فَمَا مَنَ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴿٦﴾ وَصَدَقَ بِالْحَسَنِ ﴿٧﴾ فَسَنِّيَسْرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنَ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٩﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِ ﴿١٠﴾

[وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا] اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيدبتي بعض الابقاء - ويجوز ان يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالارض او في الهلاك ولا يخاف عقبي هلاكها - وفي مصاحف اهل المدينة والشام فلا يخاف - وفي قراءة النبي ولم يخف - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر •

سورة الليل

المغشي اما الشمس من قوله تعالى وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا واما النهار من قوله يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ واما كل شيء يواريه بظلامه من قوله إِذَا وَقَبَ [تَجَلَّى] ظهر بزوال ظلمة الليل او تبيين وتكشف بطولع الشمس [وَمَا خَلَقَ] والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد - وقيل هما آدم وحواء - وفي قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وَالذَّكَرَ وَالْأُنثَى - وقرأ ابن مسعود وَالَّذِي خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى - وعن الكسائي وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى بالجر على انه بدل من محل مَا خَلَقَ بمعنى وما خلقه الله اي ومخلوق الله الذكر والانثى - وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم لانفرادة بالخلق اذ لا خالق سواه - وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوي الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى وقد لقي خنثى مشكلا كان حائثا لانه في الحقيقة اما ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا [شَتَّى] جمع شتيت اي ان مساعيكم اشدت مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على اثره - [أُعْطِيَ] يعني حقوق ماله [وَاتَّقَى] الله فلم يعصه [وَصَدَقَ بِالْحَسَنِ] بالخصلة الحسنى وهي الايمان - او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام - او بالثوبة الحسنى وهي الجنة [فَسَنِّيَسْرُهُ لِلْيُسْرَى] فسنيسته لها من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها و ألجمها ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له والمعنى فسئلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة ايسر الامور عليه واهونها من قوله فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ [وَاسْتَغْنَى] وزهده فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقنه - واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه في مقابلة وَاتَّقَى [فَسَنِّيَسْرُهُ لِلْيُسْرَى] فسئلطف به ونمذعه الاطاف حتى تكون الطاعة ايسر شيء عليه واشده من قوله تعالى يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ - او سمى طريقة الخير باليسر لان عاقبتها اليسر وطريقة

وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا ۖ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۖ كَذَبَتْ ثُمُودٌ بِطَغْوَاهَا ۖ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۖ فَقَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۖ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَّرُوهَا ۖ فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۖ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۖ ع

بَقَاهَا وَنَفْسٍ وَالْحَكِيمِ الْبَاهِرِ الْحِكْمَةِ الَّذِي سَوَّاهَا وَفِي كَلَامِهِمْ سَبْحَنَ مَا سَخَّرَكُنْ لَنَا - فَإِنْ قُلْتَ إِمَّا نَكُوتِ النَّفْسُ - قُلْتَ فِيهِ وَجْهَانِ - أَحَدُهُمَا أَنْ يَرِيدَ نَفْسًا خَاصَةً مِنْ بَيْنِ النَّفُوسِ وَهِيَ نَفْسُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَأَنَّهُ قِيلَ وَوَاحِدَةٌ مِنَ النَّفُوسِ - وَالثَّانِي أَنْ يَرِيدَ كُلَّ نَفْسٍ وَيَتَكَلَّفُ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ عَلِمَتْ نَفْسٌ - وَمَعْنَى الْهَامِ الْفُجُورَ وَالتَّقْوَى أَفْهَمَهُمَا وَاعْقَالَهُمَا وَأَنَّ أَحَدَهُمَا حَسَنٌ وَالْآخَرُ قَبِيحٌ وَتَمَكِينُهُ مِنْ اخْتِيَارِ مَا شَاءَ مِنْهُمَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا فَجَعَلَهُ فَاعِلَ التَّزْكِيَةِ وَالتَّدْصِيمَةِ وَمَتَوَاتِيهِمَا وَالتَّزْكِيَةُ الْإِنْمَاءُ وَالْإِعْلَاءُ بِالتَّقْوَى وَالتَّدْصِيمَةُ النِّقْصُ وَالْإِخْفَاءُ بِالْفُجُورِ وَاصِلُ دَسَّاهَا دَسَّاسٌ كَمَا قِيلَ فِي تَقْضُصٍ تَقْضَى - وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْهُ فَقَالَ أَتَقْرَأُ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن حَمَلَ ظُلْمًا - وَإِنَّمَا قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي زَكَّى وَدَسَّى لِلَّهِ تَعَالَى وَأَنَّ تَأْنِيثَ الرَّاجِعِ إِلَى مَنْ لَانَهُ فِي مَعْنَى النَّفْسِ فَمَنْ تَعَكَّسَ الْقُدْرَةُ الَّذِي يَتَوَكَّنُ عَلَى اللَّهِ قَدَرًا هُوَ بَرِيٌّ مِنْهُ وَمُتَعَالٍ عَنْهُ وَيُحْيُونَ لِيَالِيَهُمْ فِي تَمَحُّلٍ فَاحِشَةٍ يَدْسِبُونَهَا إِلَيْهِ - فَإِنْ قُلْتَ فَإِنَّ جَوَابَ الْقِسْمِ - قُلْتَ هُوَ مُحَذَّرٌ تَقْدِيرُهُ لِيُدْمَدَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَيْ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ لَتَكْذِبِيَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا دَمَدَمَ عَلَى ثُمُودَ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا صَالِحًا وَإِنَّمَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا فَكَلَامٌ تَابِعَ لِقَوْلِهِ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِطْرَادِ وَلَيْسَ مِنْ جَوَابِ الْقِسْمِ فِي شَيْءٍ - الْبَاءُ فِي [بَطَّغُوْهَا] مِثْلُهَا فِي كَذَبَتْ بِالْقَلَمِ وَالتَّطْغَوَى مِنَ الطَّغْيَانِ فَصَلُّوا بَيْنَ الْأَسْمِ وَالصِّفَةِ فِي فَعَلَى مِنْ بَذَاتِ الْبَاءِ بَانَ قَلْبُوا الْبَاءَ وَارَا فِي الْأَسْمِ وَتَوَكَّوْا الْقَلْبَ فِي الصِّفَةِ فَقَالُوا امْرَأَةً خَزِيًّا وَصَدِيًّا يَعْنِي فَعَلَتْ التَّكْذِيبَ بِطَغْيَانِهَا كَمَا تَقُولُ ظَلَمْنِي بِجُرْأَتِهِ عَلَى اللَّهِ - وَقِيلَ كَذَبَتْ بِمَا أَوْعَدَتْ بِهِ مِنْ عَذَابِهَا ذِي الطَّغْوَى كَقَوْلِهِ فَاهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ - وَقَرَأَ الْحَسَنُ بِطَغْوَاهَا بِضَمِّ الطَّاءِ كَالْحُسْنَى وَالرَّجْعَى فِي الْمَصَادِرِ [إِذِ انْبَعَثَ] مِنْصُوبٌ بِكَذَبَتْ أَوْ بِالطَّغْوَى - وَ[أَشْقَاهَا] قَدَارُ بْنُ سَالِفٍ - وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمَاعَةً وَالتَّوْحِيدَ لَتَسْوِيَتِكَ فِي أَفْعَلِ التَّقْضِيلِ إِذَا أَضْفَعْتَهُ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ وَالْمَذْكُورِ وَالْمَوْثِقِ - وَكَانَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ أَشَقَّوْهَا كَمَا تَقُولُ أَفْضَلُهُمْ - وَالضَّمِيرُ فِي [لَهُمْ] يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْأَشْقِيَيْنِ وَالتَّفْضِيلُ فِي الشَّقَاوَةِ لِأَنَّ مَنْ تَوَلَّى الْعَقْرَ وَبَاشَرَهُ كَانَتْ شَقَاوَتُهُ أَظْهَرَ وَابْغَى وَ[نَاقَةَ اللَّهِ] نَصَبٌ عَلَى التَّحْذِيرِ كَقَوْلِكَ الْأَسَدَ الْأَمَدَ وَالصَّبِيَّ الصَّبِيَّ بِاضْمَارِ ذَرَا أَوْ أَحْدَرُوا عَقْرَهَا [وَسُقْيَاهَا] فَلَا تَزْوَرُهَا عَنْهَا وَلَا تَسْتَأْتِرُوا بِهَا عَلَيْهَا [فَكَذَّبُوهُ] فِيمَا حَذَرَهُمْ مِنْهُ مِنْ نَزُولِ الْعَذَابِ أَنْ فَعَلُوا [فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ] فَطَبَّقَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ وَهُوَ مِنْ تَكْوِيرِ قَوْلِهِمْ ذَقَّةً مَدْمُومَةً إِذَا الْبَسَى الشَّحْمَ [بِذَنبِهِمْ] بِسَبَبِ ذَنْبِهِمْ وَفِيهِ إِذْذَارٌ عَظِيمٌ بِعَاقِبَةِ الذَّنْبِ فَعَلَى كُلِّ مَذْنَبٍ أَنْ يُعْتَذَرَ وَيُحْذَرُ [فَسَوَّاهَا] الضَّمِيرُ لِلدَّمْدَمَةِ أَيْ فَسَوَّاهَا بَيْنَهُمْ لَمْ يُفَلِّتْ مِنْهُمْ صَغِيرَهُمْ وَلَا كَبِيرَهُمْ

وَتَوَاصُوا بِالرَّحْمَةِ ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۖ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ۖ ع
 سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية •
 كلماتها ٥٩
 حروفها ٢٥٤
 الجزء ٣٠
 ع ١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۖ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۖ وَالنَّهَارُ إِذَا جَآئَهَا ۖ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ۖ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ۖ

السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الآ به - و المرحمة الرحمة اي ارضى بعضهم بعضا - بالصبر على الايمان و الثبات عليه - او بالصبر عن المعاصي و على الطاعات و المحن التي يتبدل بها المؤمن و بان يكونوا متراحمين متعاطفين - او بما يؤدى الى رحمة الله - الميمنة و المشددة اليمين و الشمال - او اليمن و الشوم اي الميامين على انفسهم و المشائيم عليهم - قرى [مؤصدة] بالواو - والهمزة من اوصدت الباب و اصدته اي اطبقته و اغلقته - و عن ابي بكر بن عياش اذا امام يهزم مؤصدة فاشتهى ان اسد اذني اذا سمعته - عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة •

سورة الشمس

[ضُحَاهَا] ضوءها اذا اشرقت و قام سلطانها و لذلك قيل وقت الضحى و كان وجهه شمس الضحى - و قيل الضحوة ارتفاع النهار و الضحى فوق ذلك و الضحاه بالفتح و المد اذا امتد النهار و كرب ان يفتصف - [إِذَا تَلَّهَا] طالعا عند غروبها اخذا من نورها و ذلك في النصف الاول من الشهر - و قيل اذا استدار فتلاها في الضياء و النور - [إِذَا جَآئَهَا] عند انتفاخ النهار و انبساطه لان الشمس تنجاي في ذلك الوقت تمام الانجلاء - و قيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض و ان لم يجز لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون الغداة و ارسلت يريدون السماء [إِذَا يَغْشَاهَا] فتغيب و تظلم الاناق - فان قلت الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو - اما ان تجعل الواو عاطفة فت نصب بها و تجز فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك مررت امس بزيد و اليوم عمرو - و اما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل و سيديويه على استكراهه - قلت الجواب فيه ان واو القسم مطروح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شان خلاف شان الباء حيث ابرز معها الفعل و اضر فكانت الواو قائمة مقام الفعل و الباء سادة مسددها معا و الواو العواطف نواصب عن هذه الواو فحقق ان يكن عوامل عمل الفعل و الجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا و بكر خالدا فترفع بالوار و تنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما - جعلت ما مصدرية في قوله و ما بَنَاهَا - و ما طَحَّاهَا - و ما سَوَّاهَا و ايس بالوجه لقوله فآلهمها و ما يؤدى اليه من فساد النظم و الوجه ان تكون موصولة و انما اُثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل و السماء و القادر العظيم الذي

وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۖ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۚ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۚ فَكَّ رَقَبَةً ۚ أَوْ إِطْعَمَ
فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۚ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۚ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۚ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

المريثات [وَلِسَانًا] يترجم به عن ضمائره [وَشَفَتَيْنِ] يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق
والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك [وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ] اي طريقَي الخير والشر - وقيل النديين
[فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ] يعني فلم يشكر تلك الايادي والنعيم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام
اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذي هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم
والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي الذائع عند الله لا ان يهلك مالا لبدا في الرياء
والفخار فيكون مثله مثل ربح فيها صرأصابت حرث قوم الآية - فان قلت قل ما تقع لا الداخلة على
الماضي الا مكررة ونحو قوله فاي امر سيء لا فعله لا يكاد يقع فما لها لم تكرر في الكلام الانصح - قلت هي
متكررة في المعنى لان معنى فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة
بذلك - وقال الزجاج قوله ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يدل على معنى فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ولا آمن و الاقتحام
الدخول والمجازاة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك
من معاناة المشقة ومجاهدة النفس - وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه
الشيطان - وفك الرقبة تخليصها من رق او غيره وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم دُلّني على عمل يُدخلني الجنة فقال تعتق الذمّة وتفلّ الرقبة قال أو ليستا سواء قال لا اعتاقها
ان تنفرد بعقبتها ونكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم والعنق والصدقة من افضل الاعمال - وعن
ابي حنيفة ان العنق افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والآية ادل على قول ابي حنيفة
لتقديم العنق على الصدقة - وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة يضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة
قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا
منه من النار - قرئ فَلَكَ رَقَبَةٌ أَوْ إِطْعَمُ على هي فك رقبة او اطعام - و قرئ فَلَكَ رَقَبَةٌ أَوْ إِطْعَمُ على
الابدال من اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وقوله وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ اعراض ومعناه انك لم تدركه صعوبتها على
النفس وكنه ثوابها عند الله - والمَسْغَبَةُ - والمَقْرَبَةُ - والمَتْرَبَةُ مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب
يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار
ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اترى - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ذَا مَتْرَبَةٍ الذي
مأواه المزابل ووصف اليوم بذِي مَسْغَبَةٍ نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ذاصب ذو نصب - وقرأ
الحسن ذَا مَسْغَبَةٍ نصبه باطعم ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذامسغبة [ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا]
جاء بتم لتراخي الايمان وتباعده في الرقبة والفضيلة عن العنق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو

أَنْ لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۖ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ۖ أَيْحَسِبُ أَنْ لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۖ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۖ سورة البلد ٩٠
الجزء ٣٠

ع ١٤

صَبَابَةٌ وَغَيْرُهَا وَحَرَمُ دَارِ أَبِي سَفِينٍ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَافَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَهِيَ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ لَمْ تَحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَنْ تَحَلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي وَ لَمْ تَحَلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَلَا يُعْصَدُ شَجَرُهَا وَلَا يُخْتَلَى خِلَافُهَا وَلَا يَنْفَرُ صِيْدُهَا وَلَا تَحَلَّ لِقُطْعِهَا إِلَّا لِمَنْشَدٍ فَقَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الْإِذْخَرَ فَإِنَّهُ لَقِيُونَنَا وَقُبُورُنَا وَبَيْوتُنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الْإِذْخَرَ - فَإِنْ قُلْتَ أَيْنَ نَظِيرُ قَوْلِهِ وَأَنْتَ حَلٌّ فِي مَعْنَى الْإِسْتِقْبَالِ - قُلْتَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ وَمِثْلُهُ وَاسْمٌ فِي كَلَامِ الْعِبَادِ تَقُولُ لِمَنْ تَعُدُّ الْأَكْرَامَ وَالْحَبَاءَ أَنْتَ مُكْرَمٌ مُحِبُّوهُ وَهُوَ نَبِيٌّ كَلَامُ اللَّهِ وَاسِعٌ لِأَنَّ الْأَحْوَالَ الْمُسْتَقْبَلَةَ عِنْدَهُ كَالْحَاضِرَةِ الْمَشَاهِدَةِ وَكَفَالِكَ دَائِلًا قَاطِعًا عَلَى أَنَّهُ لِلْإِسْتِقْبَالِ وَأَنَّ تَفْسِيرَهُ بِالْحَالِ مُحَالٌ لِأَنَّ السُّورَةَ بِالِاتِّفَاقِ مَكِّيَّةٌ وَآيِنُ الْهَجْرَةِ عَنْ وَقْتِ نَزُولِهَا فَمَا بِالِالْفَتْحِ - فَإِنْ قُلْتَ مَا الْمُرَادُ بِـ [وَالِدٌ وَمَا وَلَدٌ] - قُلْتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ وَلَدَهُ أَقْسَمَ بِبَلَدِهِ الَّذِي هُوَ مُسَقِّطُ رَأْسِهِ وَحَرَمُ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْشَأُ أَبِيهِ إسماعِيلَ وَمَنْ وَلَدَهُ وَبِهِ - فَإِنْ قُلْتَ لِمَ نَكَرَ - قُلْتَ لِلْأَبْهَامِ الْمُسْتَقْلَ بِالْمَدْحِ وَالتَّعَجُّبِ - فَإِنْ قُلْتَ هَلَّا قِيلَ وَمَنْ وَلَدَ - قُلْتَ فِيهِ مَا فِي قَوْلِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ أَيُّ بَابٍ شَيْءٍ وَضَعْتَ يَعْنِي مَوْضِعًا عَجِيبَ الشَّانِ - وَقِيلَ هُمَا أَدَمُ وَوَلَدَهُ - وَقِيلَ كُلُّ وَالِدٍ وَوَلَدٍ - وَكَبَدَ أَصْلُهُ مِنْ قَوْلِكَ كَبَدَ الرَّجُلُ كَبَدًا فَهُوَ أَكْبَدُ إِذَا وَجَعَتْ كَبِدُهُ وَانْفَعَتْ فَاتَّسَعَ فِيهِ حَتَّى اسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ وَمِنْهُ اسْتَقْتِ الْمَكَابِدُ كَمَا قِيلَ كَبَدَتْهُ بِمَعْنَى أَهْلَكَهُ وَأَصْلُهُ كَبَدَهُ إِذَا أَصَابَ كَبِدَهُ - قَالَ لَبِيدٌ * شَعْرٌ * يَا عَيْنٍ هَلَّا بِكَيْتٍ أَرِيدُ إِذْ * قَمْنَا وَقَامَ الْخَصُومُ فِي كَبَدٍ * أَيُّ فِي شِدَّةِ الْأَمْرِ وَصُعُوبَةِ الْخُطْبِ - وَالضَّمِيرُ فِي [أَيْحَسِبُ] لِبَعْضِ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ الَّذِينَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُكَابِدُ مِنْهُمْ مَا يُكَابِدُ وَالْمَعْنَى أَيْظُنُّ هَذَا الصَّنَدِيدَ الْقَوِيَّ فِي قَوْمِهِ الْمَتَضَعِفِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَنْ تَقُومَ قِيَمَةٌ وَلَنْ يَقْدِرَ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ وَعَلَى مَكَافَاتِهِ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَقُولُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَإِنَّهُ [يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا] يُرِيدُ كَثْرَةَ مَا أَنْفَقَهُ فِيمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَسْتَوْنَهَا مَكَارِمَ وَبَدْعُونَهَا مَعَالِي وَمَفَاخِرَ [أَيْحَسِبُ أَنْ لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ] حِينَ كَانَ يُنْفِقُ مَا يُنْفِقُ رِيَاءَ النَّاسِ وَافْتِخَارًا بَيْنَهُمْ يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ كَانَ يَرَاهُ وَكَانَ عَلَيْهِ رَقِيدًا - وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِلنَّاسِ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَقْسَمَ بِهَذَا الْبَلَدِ الشَّرِيفِ وَمِنْ شَرَفِهِ أَنْكَرَ حَلَّ بِهِ مِمَّا يَقْتَرِفُهُ أَهْلُهُ مِنَ الْمَآثِمِ مُتَحَرِّجٌ بِرَبِّي فَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنَّ أَعْظَمَهُ بِقِسْمِي بِهِ - لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ أَيُّ فِي مَرَضٍ وَهُوَ مَرَضُ الْقَلْبِ وَفَسَادُ الْبَاطِنِ يُرِيدُ الَّذِينَ عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ حِينَ خَلَقَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَوْمِنُونَ وَلَا يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ - وَقِيلَ الَّذِي يَحْسِبُ أَنْ لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ هُوَ أَبُو الْأَشَدِّينَ وَكَانَ قَرِيبًا يَبْسُطُ لَهُ الْأَدِيمَ الْعَمَّاظِي فَيَقُومُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ مَنْ أَزَالِ الَّذِي عَذَّبَهُ فَلَهُ كَذَا فَلَا يَنْزِعُ عَذْبَهُ إِلَّا قِطْعًا وَيَبْقَى مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ - وَقِيلَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ - لُبَدًا قَرِيبٌ بِالضَّمِّ - وَالْكَسْرُ جَمْعُ لُبْدَةٍ وَلِبْدَةٌ وَهُوَ مَا تَلْبُدُ يَرِيدُ الْكَثْرَةَ - وَقَرِيبٌ لُبَدًا بِضَمِّينَ جَمْعُ كَبُودٍ - وَلُبَدًا بِالتَّشْدِيدِ جَمْعُ لَابِدٍ [أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ] يُبْصَرُ بِهَا

سورة البلد ٩٠

الجزء ٣٠

ع ١٤

كلماتها ٨٢

سورة البلد مكية و هي عشرون آية •

حروفها ٣٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُفْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۖ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۖ وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدَ ۚ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۚ ائْتَسِبْ

يقول الله للمؤمن يَأْتِيهَا النَّفْسُ إِمَّا أَنْ يَكْتُمَهُ إِكْرَامًا لَهُ كَمَا كَلَّمَ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ
مَلِكٍ وَ [الْمُطْمَئِنَّةُ] الْأَمْنَةُ الَّتِي لَا يَسْتَفْرِغُهَا خَوْفٌ وَلَا حُزْنٌ وَهِيَ النَّفْسُ الْمُؤْمِنَةُ أَوْ الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَى الْحَقِّ
الَّتِي سَكَنَهَا ثَلَجُ الْيَقِينِ فَلَا يُخَالِجُهَا شَكٌّ وَيَشْهَدُ لِلتَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ قِرَاءَةُ أَبِي بِنِ كَعْبٍ يَأْتِيهَا النَّفْسُ
الْأَمْنَةُ الْمُطْمَئِنَّةُ - فَإِنْ قَلَّتْ مَتَى يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ - قَلَّتْ إِمَّا عِنْدَ الْمَوْتِ وَإِمَّا عِنْدَ الْبُعْثِ وَإِمَّا عِنْدَ
دُخُولِ الْجَنَّةِ عَلَى مَعْنَى [ارْجِعِي إِلَى] مَوْعِدِ [رَبِّكِ رَاضِيَةً] بِمَا أُوتِيتِ [مَرْضِيَّةً] عِنْدَ اللَّهِ [فَادْخُلِي فِي]
عِبْدِي [فِي] جَمَلَةِ عِبَادِي الصَّالِحِينَ وَانْتَظِمِي فِي سَلَكِهِمْ [وَادْخُلِي جَنَّتِي] مَعَهُمْ - وَقِيلَ النَّفْسُ
الرُّوحُ وَمَعْنَاهُ فَادْخُلِي فِي أَجْسَادِ عِبَادِي - وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَادْخُلِي فِي عِبْدِي - وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ
فِي جَسَدِ عِبْدِي - وَقَرَأَ أَبِي إِيثْبَنٍ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبْدِي - وَقِيلَ نَزَلَتْ فِي حُمْزَةِ بَنِ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - وَقِيلَ فِي خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ الَّذِي صَلَّاهُ أَهْلُ مَكَّةَ وَجَعَلُوا وَجْهَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ
كَانَ لِي عِزْدُكَ خَيْرٌ فَحَوِّلْ وَجْهِي نَحْوَ قَبْلَتِكَ فَحَوَّلَ اللَّهُ وَجْهَهُ نَحْوَهَا فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَحْوِلَهُ وَالظَّاهِرُ
الْعَمُومُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْفَجْرِ فِي اللَّيَالِي الْعَشْرِ غُفِرَ لَهُ وَ مَنْ
قَرَأَهَا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ *

سورة البلد

اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الإنسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد
واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله [وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ] يَعْنِي وَمَنْ الْمَكَابِدَةُ أَنْ مَثَلَكُ عَلَى عَظَمِ
حُرْمَتِكَ يَسْتَحِلُّ بِهَذَا الْبَلَدِ الْحَرَامِ كَمَا يَسْتَحِلُّ الصَّيْدُ فِي غَيْرِ الْحَرَمِ - عَنْ شُرَحْبِيلٍ يَحْكُمُونَ أَنْ يَقْتُلُوا بِهَا
صَيْدًا وَيَعْضِدُوا بِهَا شَجَرَةً وَيَسْتَحِلُّونَ أَخْرَاجَكَ وَقَتْلَكَ وَفِيهِ تَثْبِيْتُ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَبُعْثُ عَلَى أَحْتِمَالِ مَا كَانَ يَكْبَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَتَعْجِيبُ مَنْ حَالَهُمْ فِي عِدَاوَتِهِ - أَوْسَلَى
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْقَسَمِ بِلَدِهِ عَلَى أَنْ الْإِنْسَانَ لَا يَخْلُو مِنْ مَقَاسَاةِ الشَّدَائِدِ وَاعْتَرَضَ
بِأَنَّ وَعْدَهُ فَتَحَ مَكَّةَ تَمْدِيمًا لِلتَّسْلِيَةِ وَالتَّنْفِيسِ عَنْهُ فَقَالَ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ يَعْنِي وَأَنْتَ حِلٌّ بِهِ فِي
الْمُسْتَقْبَلِ تَصْنَعُ فِيهِ مَا تُرِيدُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَاحْتَلَاهَا لَهُ وَمَا فَتَحَتْ عَلَى
أَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا أَحَلَّتْ لَهُ فَاحِلَ مَا شَاءَ وَحَرَّمَ مَا شَاءَ قَتَلَ ابْنُ خُطَلٍ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَمُقَيِّسٌ بِنِ

سورة الفجر ٨٩

الجزء ٣٠

ع ١٣

رَبِّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا ۖ وَجِئْتُ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنْتَ لَهُ الذِّكْرَى ۖ يَقُولُ يَلَيْتَنِي
قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۖ فَوَيْلٌ لَّيَعَذَّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۖ وَ لَا يُؤْتَقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ۖ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ

و نصيب غيرهم - و قيل كانوا لا يورثون الذماء و لا الصبيان و يأكلون ثرائهم مع ثرائهم - و قيل يأكلون ما
جمعه الميت من الظلمة و هو عالم بذلك فيعلم في الأكل بين حلاله و حرامه - و يجوز ان يذم الوارث
الذي ظفر بالمال سهلاً مهلاً من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه و يأكله ألا و اسعا جامعاً بين
الوان المشتبهات من الاطعمة و الاشربة و الفواكه كما يفعل الوارث البطالون [حُبّاً جَمّاً] كثيراً شديداً
مع الحرص و الشره و منع الحقوق [كَلّاً] رَدَع لهم عن ذلك و انكار لفعلمهم - ثم اتى بالوعيد و ذكر تحسّرهم
على ما فرطوا فيه حتى لا تنفع الحسرة [يَوْمَئِذٍ] بدل من اِذَا دُكَّتِ اَلْأَرْضُ و عامل النصب فيهما
يَتَذَكَّرُ [دَكّاً دَكّاً] اي دَكّاً بعد دَكِّ كقولك حسبتك باباً باباً اي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثاً -
فان قلت ما معنى اسناد المجيء الى الله و الحركة و الانتقال انما يجوز ان على من كان في جهة - قلت
هو تمثيل لظهور آيات اقتداره و تبين اثار قهره و سلطانه مؤثمت حاله في ذلك بحال الملك اذا حضر
بنفسه ظهر بحضوره من اثار الهيبة و السياسة ما لا يظهر بحضور عسكري كلها و وزرائه و خواصه عن بكرة ايدهم
[صَفّاً صَفّاً] ينزل ملكة كل سماء فيصطقون صفّاً بعد صفّ محققين بالجن و الانس [وَ جِئْتُ يَوْمَئِذٍ
بِجَهَنَّمَ] كقوله وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ - و روي انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم
و عرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا علياً رضي الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه و قبل
بين عاتقه ثم قال يا نبي الله بابي و أمي ما الذي حدث اليوم و ما الذي غيرك فتلا عليه الآية فقال
علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شرده لو تركت
لا حرقتم اهل الجمع - اي يتذكر ما فرط فيه او يتعظ [وَأَنْتَ لَهُ الذِّكْرَى] و من اين له منفعة الذكرى لا بد
من تقدير حذف المضاف و الالفين يوم يتذكر و بين و أنتَ لَهُ الذِّكْرَى تذاً و تذاً [قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي]
هذه و هي حيوة الآخرة - او وقت حيوتي في الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب و هذا
ابين دليل على ان الاختيار كان في ايديهم و معلقاً بقصدهم و ارادتهم و انهم لم يكونوا مجبورين عن
الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب اهل الاهواء و البدع و الا فما معنى التمسر - قرئ بالفتح
يُعَذَّبُ وَيُؤْتَقُ و هي قراءة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم - و عن ابي عمر انه رجع اليها في آخر
عمرة - و الضمير للانسان الموصوف - و قيل هو ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه و لا يؤتق
بالعسل و الاغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره و عذابه - او لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله و لا تَزِرُ وَازِرَةٌ
وِزْرَ أُخْرَى - و قرئ بالكسر - و الضمير لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله احد لان الامر لله وحده في ذلك
اليوم - او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه [يَأْتِيهَا النَّفْسُ] على ارادة القول اي

إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ۖ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۖ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ
الْمَسْكِينِ ۖ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثِ أَكْلًا لَّمًّا ۖ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۖ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ وَجَاءَ

الملك فشكور أما إذا احصنت إلى زيد فهو محسن إليك و أما إذا أسأت إليه فهو مسيء إليك - قلت
هما متوازنان من حيث أن التقدير و أما هو إذا ما ابتلاه ربه و ذلك أن قوله فيقول ربّي أكرمن
خبر المبتدأ الذي هو الإنسان و دخول الفاء لما في أمّا من معنى الشط و الظرف المتوسط بين المبتدأ
و الخبر في تقدير التأخير كأنه قيل فاما الإنسان فقاتل ربّي أكرمن وقت الابتلاء فوجب أن يكون فيقول
الثاني خبراً لمبتدأ واجب تقديره - فإن قلت كيف سمي فلا الامرين من بسط الرزق و تقديره
ابتلاء - قلت لأن كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله أي شكر ام يكفر و اذا
قُدِر عليه فقد اختبر حاله أي صبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة و نحوه قوله و فَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ
فِتْنَةً - فإن قلت هلا قل فاهانه و قدر عايمه رزقه كما قال فَاكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ - قلت لأن البسط اكرام من
الله لعبد به بانعامه عليه متعصلاً من غير سابقة و اما التقدير فليس باهانة له لأن الاخلال بالتفضل
لا يكون اهانة و لكن تركاً للكرامة و قد يكون المولى مكرماً لعبد و مهيناً و غير مكرم و لا مهين و اذا اهين
لك زيد هدية قلت اكرمني بالهدية و لا تقول اهانني و لا اكرمني اذا لم يهد لك - فإن قلت فقد قال
فَاكْرَمَهُ فَصَحَّحَ اكرامه و اثبتته ثم انكر قوله رَبِّي اَكْرَمَنِ و ذمه عليه كما انكر قوله اَهَانَنِ و ذمه عليه - قلت
فيه جوابان - احدهما انه انما انكر قوله رَبِّي اَكْرَمَنِ و ذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه
و اثبتته و هو قصده الى ان الله اعطاه ما اعطاه اكراماً له مستحقاً مستوجباً على عادة انتخاهاهم و جلالة
اقدارهم عندهم كقوله اِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِزِّدْنِي و انما اعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب
منه و لا سابقة مما لا يعتد الله الا به و هو التقرى دون الأنساب و الأحساب اللتي كانوا يفتخرون بها و يرون
استحقاق الكرامة من اجلها - و الثاني ان ينساق الانكار و الذم الى قوله رَبِّي اَهَانَنِ يعني انه اذا تفضل
عليه بالخير و اكرم به اعترف بتفضل الله و اكرامه و اذا لم يتفضل عليه سمي ترك التفضل هو انما
و ليس بهوان و يعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله فَاكْرَمَهُ - و قرئ فَقَدَرَ بِالْخَفِيفِ - و التشديد - وَاَكْرَمَنِ -
و اَهَانَنِ بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في الدرج مكثفياً منها بالكسرة - [كَلَّا] ردع للانسان عن
قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول و هو ان الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدرون ما يلزمهم فيه من
اكرام اليتيم بالتفقد و المبرة و حض اهله على طعام المسكين و يأكلونه اكل الأنعام و يحبونه فيشكرون به -
و قرئ يَكْرُمُونَ و ما بعده بالياء - و التاء - و قرئ [تَحْضُونَ] اي يحض بعضهم بعضاً - و في قراءة ابن مسعود
وَلَا تَحْضُونَ بضم التاء من المحاضاة [اَكْلًا لَّمًّا] ذال لم و هو الجمع بين الحلال و الحرام - قال الحطّينّة • شعر • اذا كان
لما يتبع الذم ربه • فلا قدس الرحمن تلك الطواحي • يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم من الميراث

فَعَلَّ رَبُّكَ بِعَادٍ ۖ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۚ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۚ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ
بِالْوَادِ ۚ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۚ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۚ فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۚ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ
عَذَابٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۚ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ۖ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۚ وَأَمَّا

سورة الفجر ٨٩

الجزء ٣٠

ع ١٣

ثلثمائة سنة و كان عمره تسع مائة سنة و هي مدينة عظيمة قصورها من الذهب و الفضة و اطرافها من
الزبرجد و الياقوت و فيها اصناف الاشجار و الانهار المطردة و لما تم بذورها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها
على مسيرة يوم و ليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا - و عن عبد الله بن قلابه انه خرج في
طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة و بلغ خبره معوية فاستحضرة فقص عليه فبعث الى
كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد و سيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير
على حاجبه خال و على عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابه فقال هذا والله
ذلك الرجل [لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا] مثل عاد [فِي الْبِلَادِ] عظم اجرام و قوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع
و كان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقدها على الحي فيهلكهم - اولم يخلق مثل مدينة شداد في جميع
بلاد الدنيا - و قرأ ابن الزبير لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا اي لم يخلق الله مثلها [جَابُوا الصَّخْرَ] قطعوا صخر الجبال
و اتخذوا فيها بيوتهم كقوله وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا - قيل اول من نحت الجبال و الصخور و الرخام ثمود
و بذوا الغا و سبعمائة مدينة كلها من الحجارة - قيل له ذو الاوتاد لكثرة جذوده و مضاربهم اللتي كانوا يضربونها
اذا فزلوا - او لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته و بأسية [الَّذِينَ طَغَوْا] احسن الوجوه فيه ان يكون في
محل النصب على الذم - و يجوز ان يكون مرفوعا على هم الَّذِينَ طَغَوْا - ار مجرورا على وصف المذكورين
عاد و ثمود و فرعون - يقال صب عليه السوط و غشاه و قنعه و ذكر السوط اشارة الى ان ما احله عليهم في
الدنيا من العذاب العظيم بانقياس الى ما اعتد لهم في الآخرة كالسوط اذا قيدس الى سائر ما يعذب به - و عن
عمر بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الآية قال ان عند الله اسواط كثيرة فاخذهم بسوط منها -
المرصاد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته و هذا مثل لارصاد العصاة
بالعقاب و انهم لا يفوتونه - و عن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد - و عن عمرو بن عبيد انه
قرأ هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه الآية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له في هذا الذداء
بانه بعض من توعد بذلك من اسبابه فله درة اي اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره و يقطع
اهل الاهواء و البدع باحتجاجة - فان قلت بم اتصل قوله [فَأَمَّا الْإِنْسَانُ] - قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه
فيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة و السعي للعاقبة و هو مرصد بالعقوبة للعاصي فاما الانسان فلا يريد
ذلك و لا يهتم الا العاجلة و ما يلذه و ينعمه فيها - فان قلت فكيف توازن قوله فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
رَبُّهُ و قوله وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ و حق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد أمّا و أمّا تقول أمّا الانسان فكفور و أمّا

فها عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة - قلت لو فعل ذاك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التذكير وان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية - وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعا ووترها واما شفعا هذه الليالي ووترها - ويجوز ان يكون شفعا يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها وذلك عاشرها - وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه فسرهما بذلك - وقد اكدوا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتأني عنه - وبعد ما اقسام بالليالي المخصوصة اقسام بالليل على العموم [اِذَا يَسْرِ] اي اذا يمضي كقوله تعالى وَالْيَلِ اِذَا ادْبَرَ - وَالْيَلِ اِذَا عَسَسَ - وقرئى وَالْوَتْرِ بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده - وقرئى وَالْوَتْرِ بفتح الواو وكسر الداء رواها يونس عن ابي عمرو - وقرئى وَالْفَجْرِ - وَالْوَتْرِ - وَيَسْرِ بالتثنية وهو التثنية الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق - وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر - ويا يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة - وقيل معنئ يسري يسري فيه [هَلْ فِي ذَلِكَ] اي فيما اقسمت به من هذه الاشياء [قَسَم] اي مقسم به [اِنِّي حَجَر] يريد هل تحقق عنده ان تعظم بالاقسام بها - او هل في اقسامها بها اقسام لذني حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه - والحجر العقل لانه يحجر عن التهاوت فيما لا ينبغي كما معني عقلا ونهية لانه يعقل وينهي وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذب بدل عليه قوله اَلَمْ تَرَ اِلَى قَوْلِهِ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ - قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدتهم ولعن بعدهم عاد الاخيرة - قال ابن الرقيات شعر • مجدا تليدا بناه اوله • ادرك عادا وقبلها ارضا • فارم في قوله بعاد ارم عطف بيان لعاد وايدان بانهم عاد الاولى القديمة - وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله تعالى وَسَعَلَ النَّفْثَةُ وَلَمْ تَنْصُرْ قَبِيلَةَ كَانَتْ اَوْ ارضا للتعريف والتأنيث - وقرأ الحسن بعاد ارم مفتوحين - وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم - وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة - وقرئ بعاد ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك - وذات العماد اذا كانت صفة لقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد - او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع - وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين - وروي انه كان لعاد ايدان شدان وشديد فملا وقهرا ثم ماتت شديدة وخلص الامر لشدان فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع ذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحارى عدن في

وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ وَآلِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ فَذَكَرْ ۖ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۖ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۖ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۖ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۖ

سورة الفجر ٨٩
الجزء ٣٠
ع ١٣
كلماتها ١٣٧
سورة الفجر مكية وهي ثلثون آية
حروفها ٥٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

وَالْفَجْرِ ۖ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۖ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۖ وَالْأَيْلِ إِذَا يَسِرَ ۖ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ۖ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ

وَالْغَيْمِ وَالْعَيْنِ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَأَمَّا رَأَى السَّحَابَ مُشْتَبِهًا بِالْأَيْلِ كَثِيرًا فِي أَشْعَارِهِمْ فَجَوَزَ أَنْ يَرَادَ بِهَا السَّحَابُ عَلَى طَرِيقِ التَّشْبِيهِ وَالْمَجَازِ [كَيْفَ رُفِعَتْ] رَفْعًا بَعِيدَ الْمَدَى بِأَسَالٍ وَبَغَيْرِ عَمْدٍ - وَ[كَيْفَ نُصِبَتْ] نَصَبًا ثَابِتًا فِيهِ رَاسِخَةٌ لَا تَمِيلُ وَلَا تَزُولُ - وَ[كَيْفَ سُطِحَتْ] سَطْحًا بِتَمْهِيدٍ وَتَوَاطِيَةٍ فِيهِ مَهَادٌ لِلْمُتَقَلِّبِ عَلَيْهَا - وَقُرَأَ عَلَيَّ رِضَى اللَّهِ عَنْهُ خَلَقَتْ وَرَفَعَتْ وَنَصَبَتْ وَسَطَحَتْ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَتَوَاتُرِ الضَّمِيرِ وَالتَّقْدِيرِ فَعَلَتْهَا فَحَذَفَ الْمَفْعُولُ - وَ عَنْ هُرُونَ الرَّشِيدِ أَنَّهُ قَرَأَ سَطَحَتْ بِالتَّشْدِيدِ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الشَّاهِدَةِ عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ حَتَّى لَا يَذْكُرُوا اقْتِدَارَهُ عَلَى الْبَعْثِ فَيَسْمَعُوا أَنْذَارَ الرَّسُولِ وَيُؤْمِنُوا بِهِ وَيَسْتَعِدُّوا لِلِقَائِهِ أَيْ لَا يَنْظُرُونَ [فَذَكَرْ] هُمْ وَلَا نُلْحِ عَلَيْهِمْ وَلَا يَهْمُكَ أَنَّهُمْ لَا يَنْظُرُونَ وَلَا يَذْكُرُونَ [إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ] كَقَوْلِهِ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ [لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ] بِمُتَسَلِّطٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ - وَقِيلَ هُوَ فِي لُغَةٍ تَمِيمٍ مَفْتُوحٌ الطَّاءُ عَلَى أَنْ سَيَطُرَ مَتَعَدٌّ عِنْدَهُمْ وَقَوْلُهُمْ تَسَيَطُرُ يَدُلُّ عَلَيْهِ [إِلَّا مَنْ تَوَلَّى] اسْتِثْنَاءٌ مَنْقُطَعٌ أَيْ لَسْتَ بِمُسْتَوِلٍ عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ مَنْ تَوَلَّى مِنْهُمْ فَإِنَّ لِلَّهِ الرُّوَابِيَّةَ وَالْقَهْرَ فَهُوَ يُعَذِّبُهُ [الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ] الَّذِي هُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ - وَقِيلَ هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ قَوْلِهِ فَذَكَرْ أَيْ فَذَكَرْ إِلَّا مَنْ انْقَطَعَ طَمَعُكَ مِنْ إِيْمَانِهِ وَتَوَلَّى فَاسْتَحَقَّ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ - وَقَرِئَ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى عَلَى التَّنْبِيهِ - وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَإِنَّهُ يُعَذِّبُهُ - وَقُرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَدَنِيُّ إِيَابَهُمْ بِالتَّشْدِيدِ وَوَجْهُهُ أَنْ يَكُونَ فِعْعَالًا مُصَدَّرَ إِيَابٍ فَيَعْلَمُ مِنَ الْإِيَابِ وَأَنْ يَكُنْ أَصْلُهُ إِيَابًا فِعْعَالًا مِنْ أَوْبٍ ثُمَّ قَالَ إِيَابًا كَدِيَوَانٍ فِي دِرْوَانٍ ثُمَّ فَعَلَ بِهِ مَا فَعَلَ بِأَصْلِ حَيْدٍ - فَإِنَّ قَلْتَ مَا مَعْنَى تَقْدِيمِ الظَّرْفِ - قَلْتَ مَعْنَاهُ التَّشْدِيدُ فِي الْوَعِيدِ وَأَنْ إِيَابَهُمْ لَيْسَ إِلَّا إِلَى الْجَبَّارِ الْمُقْتَدِرِ عَلَى الْإِنْتِقَامِ وَأَنْ حَسَابَهُمْ لَيْسَ بِوَاجِبٍ إِلَّا عَلَيْهِ وَهُوَ الَّذِي يُحَاسِبُ عَلَى الذَّقِيرِ وَالْقُطْمِيرِ وَمَعْنَى الْوَجُوبِ الْوَجُوبُ فِي الْحِكْمَةِ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْغَاشِيَةِ حَاسِبَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَسَابًا يَسِيرًا •

سورة الفجر

اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح في قوله تعالى وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ - وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ - وَقِيلَ بِصَلْوَةِ الْفَجْرِ - وَارَادَ بِاللَّيَالِي الْعَشْرَ عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ - فَإِنَّ قَلْتَ فَمَا بِهَا مِنْ مَذْكُورَةٍ مِنْ بَيْنِ مَا اقسم بِهِ - قَلْتَ لِأَنَّهَا لَيْدَالٌ مَخْصُومَةٌ مِنْ بَيْنِ جَنْسِ اللَّيَالِي الْعَشْرَ بَعْضُ مِنْهَا أَوْ مَخْصُومَةٌ بِفَضِيلَةٍ لَيْسَتْ لغيرِهَا - فَإِنَّ قَلْتَ

رَاضِيَةً ۖ فِي جَذَّةٍ عَلِيَّةٍ ۖ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۖ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۖ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ وَآكَوَابٌ مُّوضُوعَةٌ ۖ
وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۖ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۖ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَنَقَطَ

البدن - او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفى الظل على التوكيد - وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يُسْمَنُ فلا يخلو - اما ان يتكذبوا ويتعنثوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع - واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مُسَمَّن ولا مغني من جوع [نَاعِمَةٌ] ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ الدَّعِيمِ او متنعمة [تَسْعِيهَا رَاضِيَةً] رضية بعملها لما رأت ما انهم اليه من الكرامة والثواب [عَلِيَّةٌ] من علو المكان او المقدار [لَا تَسْمَعُ] يا مخاطب او الوجوه [لَٰغِيَةً] اي لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة و حمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم - و قرئ لَا يُسْمَعُ على البناء للمفعول بالتاء - و الياء [فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ] يريد عيونها في غاية الكثرة كقوله عَلِمَتْ نَفْسٌ [مَّرْفُوعَةٌ] من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلاسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم - وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء اذ اخبأه [مَوْضُوعَةٌ] كلما ارادها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيقة حاضرة لا يحتاجون الى ان يدعوا بها - او مَوْضُوعَةٌ على حافات العيون مُعَدَّة للشرب - ويجوز ان يراد مَوْضُوعَةٌ عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله تعالى قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا [مَصْفُوفَةٌ] بعضها الى جذب بعض مساند ومطارج اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى اخرى [وَزَرَابِيُّ] وبسط عراض فاخرة - وقيل هي الطنانيس التي لها خمل رقيق جمع زربة [مَبْثُوثَةٌ] مبسوطة - او مفرقة في المجالس [أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ] نظر اعتبار [كَيْفَ خُلِقَتْ] خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدّر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها للفهوض بالاثقال وجبرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تذهب بما حملت وسخرها منقادا لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمنع مغيرا وبرأها طوال الاعناق لذوء بالاقار - وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير و بديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماءها لترفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمغازي مما لا يرعى سائر البهائم - وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قالت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت - فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة - قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم و بواديههم فانظروها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب

وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۖ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۖ ع

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية •

كلماتها ٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ أَنْيَدٍ ۝ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝ لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۝ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِسَعْيِهَا

قرأ سورة الأعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد - وكان اذا قرأها قال سبحن ربّي الأعلى و كان علي وابن عباس يقولان ذلك وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحبها وقال اول من قال سبحن ربّي الأعلى ميكائيل •

سورة الغاشية

[الْغَاشِيَةُ] الداهية التي تغشى الناس بشدائدها و تلبسهم احوالها يعزي القيمة من قوله تعالى يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ - وقيل النار من قوله تعالى وَتَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ - وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ [يَوْمَئِذٍ] يوم ان غشيت [خَاشِعَةٌ] ذليلة [عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ] تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرّها السلاسل والاعلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دأبة في صعود من نار وهبوطها في حدير منها - وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها و تنعمت فهي في نصب منها في الآخرة - وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدى عليها في الآخرة من قوله تعالى وَقَدْ مَنَّا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ - وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا - أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ - وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم والدائب والتهجد الواصب - وقرئ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ على الشتم - قرئ تَصْلَى بفتح التاء - وَتَصْلَى بِضَمِّهَا - وَتُصَلَّى بِالْقَشْدِيدِ - وقيل المصلي عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلّى او في التنور فلا يسمى مصليا [اَنِية] متناهية في الحر كقوله تعالى بَيْنَ حَمِيمٍ اِنْ - الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطباً فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل - قال ابو ذؤيب • شعر • رعى الشبرق الريان حتى اذا ذرى • وعاد ضريعا بان عنه النحائض • وقال • شعر • وحُيِّنَ في حزم الضريع فكلمها • حدباء دامية اليدين حروء • فان قلت كيف قيل [لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ] وفي الحاقّة وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلٍ - قلت العذاب الوان والمعدبون طبقات فمنهم آكلة الزقوم ومنهم آكلة الغسلين ومنهم آكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم [لَا يَسْمِنُ] مرفوع المحل او مجرورة على وصف طَعَامٌ او ضَرِيعٌ يعنى ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتوقع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء مفتفتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في

فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ۖ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ۖ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۖ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۖ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۖ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ

في تذكيرهم وحرصاً عليه فقل له و ما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد - وأعرض عنهم و قل سأل - فذكر إن نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير - والثاني ان يكون ظاهرة شرطاً ومعناه ذمماً للمذكرين و اخباراً عن حالهم و استبعاداً للتأثير الذكرى فيهم و تسجيلاً عليهم بالطبع على قلوبهم كما نقول للواعظ عظم الكامبين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك و انه لن يكون - [سَيَذَكِّرُ] سيقبل التذكرة و ينتفع بها [مَنْ يَخْشَى] الله و سوء العاقبة فينظر و يفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشعين و لا ناظرين فلا تأمل ان يقبلوا منك [وَيَتَجَنَّبُهَا] و يتجنب الذكرى و يتحاشاها [الْأَشْقَى] الكافر لانه اشقى من الفاسق - او الذي هو اشقى الكفرة لتوغلهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم - و قيل وردت في الوليد بن المغيرة و عتبة بن ربيعة [الْكُبْرَى] السفلى من اطباق النار - و قيل الْكُبْرَى نار جهنم و الصغرى نار الدنيا - و قيل [ثُمَّ] لان الترجيح بين الحياة و الموت انقطع من الصلوة فهو متراخ عنه في مراتب الشدة و المعنى [لَا يَمُوتُ] فيستريح [وَلَا يَحْيَى] حياة تدفعه [تَزَكَّى] تطهر من الشرك و المعاصي - او تطهر للصلوة - او تكثر من التقوى من الزكاة و هي الذمء - او تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة [فَصَلَّى] فصلّى الصلوات الخمس نحو قوله و أقام الصلوة و أتى الزكاة - و عن ابن مسعود رحم الله امرأ تصدق و صأى - و عن علي رضي الله عنه انه التصدق بصدقة الفطر و قل لا أبالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى اي اعطى زكاة الفطر فتوجه الى المصلّى فصلّى صلوة العيد [وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ] فكبر تكبيرة الافتتاح - و به يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح و على انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها و على ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل - و عن ابن عباس رضي الله عنه ذكر معادة و موقفه بين يدي ربه فصلّى له - و عن الضحاك و ذكر اسم ربه في طريق المصلّى فصلّى صلوة العيد [بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا] فلا تفعلون ما تفعلون به - و قرئ يُؤَثِّرُونَ على الغيبة و تعضد الاولى قراءة ابن مسعود بَلْ أَنْتُمْ تُؤَثِّرُونَ [خَيْرٌ وَ أَبْقَى] افضل في نفسها و انعم و ادم - و عن عمر رضي الله عنه ما الدنيا في الآخرة الا كنفة ارنب - [هَذَا] اشارة الى قوله قَدْ أَفْلَحَ الى ابقى يعني ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف - و قيل الى ما في السورة كلها - و روي عن ابي ذر انه سأل رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم كم انزل الله من كتاب فقال مائة و اربعة كتب - منها على آدم عشر صحائف - و على شيث خمسون صحيفة - و على اخنوخ و هو ادريس ثلثون صحيفة - و على ابراهيم عشر صحائف - و التوراة - و الانجيل - و الزبور - و الفرقان - و قيل ان في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظاً للسان عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه - عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم من

غُذَاءَ أَخَوِي ۖ سَنَقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى ۖ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۖ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۖ وَيُخَوِّفُ لِيَئْسَرِيَ ۖ

حورة الأعلى ٨٧

الجزء ٣٠

ع ١١

النصف

وأتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه صنعة حكيم [قَدَّرَ فَهَدَى] قَدَّرَ لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به - يحكى ان الاموى اذا اتت عليها الف سنة عميت و قد الهما الله ان مسح العين بوبرق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن الله وهدايات الله للانسان الى ما لا يحسد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في اغذيته وادويته و في ابواب دنياه ودينه و الهامات البهائم و الطيور و هوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحن ربى الاعلى - و قرى قَدَّرَ بالتخفيف [أَخَوِي] صفة لغذاء اى اخرج المرعى انبتة فجعله بعد خضرته و ريفه غُذَاءَ أَخَوِي دريذا اسود - ويجوز ان يكون أَخَوِي حالا من الموى اى اخرج اخوى اسود من شدة الخضرة و الري فجعله غُذَاءَ بعد حوته * بشرة الله باعطاء آية بيته و هي ان يقرأ عليه جبرئيل ما يقرأ عليه من الوحي و هو أَمِّي لا يكتب و لا يقرأ فيحفظه و لا ينساه [إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ] فيذهب به عن حفظه برفع حكمه و تلاوته كقوله تعالى أَوْ نَفْسًا - وقيل كان يُعْجَلُ بالقراءة اذا لقَّه جبرئيل فليل لا تعجل فان جبرئيل مأمور بان يقرأه عليك قراءة مكررة الى ان تحفظه ثم لا تنساه إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ثم تذكره بعد النسيان - او قال إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ يعنى القلة و الذرة كما روى انه اسقط آية في قرأته في الصلوة فحسب أبي انها نسخت فسأله فقال نسيته - او قال إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ والغرض نفي النسيان رأسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيدي فيما امك الا في ما شاء الله و لا يقصد استثناء شيء و هو من استعمال القلة في معنى النفي - وقيل قوله فَلَا تَنْسَى على النهي و الالف مزيدة للفاصلة كقوله السَّبِيلَ يعنى فلا تغفل قرأته و تكرره فتدساه إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ان ينسيك برفع تلاوته للمصلحة [إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ] يعنى اذك تجهر بالقراءة مع قراءة جبرئيل مخافة التفتت و الله يعلم جهرك معه و ما في نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانما اكفيلك ما تخافه - او يعلم ما اسررتك و ما اعلنتك من اقوالكم و افعالكم و ما ظهر و ما بطن من احوالكم و ما هو مصلحة لكم في دينكم و مفسدة فيه فيؤذي من الوحي ما يشاء و يدرك محفوظا ما يشاء [وَيُخَوِّفُ لِيَئْسَرِيَ] معطوف على سَنَقَرْتُكَ و قوله إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى يخفى اعتراض و معناه و نوتقك للطريقة اللتي هي ايسر و اسهل يعنى حفظ الوحي - وقيل للشرعية السمحة اللتي هي ايسر الشرائع و اسهلها مأخذها - وقيل نوتقك لعمل الجنة - فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مأمورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع - قلت هو على وجهين - احدهما ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم و ما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الاعتوا و طغينا و كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم يتلظى حسرة و تلهفا و يزدان جدا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝ فَجَعَلَهُ

وَدَّ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ * فقال ما اغفله عما في و السَّمَاءِ وَالْطَّارِقِ [فَمَا لَهُ] فما للانسان [مِنْ قُوَّةٍ] من مَنَعَةٍ في نفسه يمتنع بها [وَلَا فَاَصِرَ] ولا مانع يمنعه - سَمِي الْمَطَرُ رَجْعًا كَمَا سَمِي اَوْبًا - قال * شعر * رَبَّاءُ شَمَاءُ لَا يَأْوِي لِقَلَّتْهَا * إِلَّا السَّحَابُ وَالْأَرْبُ وَالسَّبَلُ * تسمية بمصدرين رَجَعَ وَأَبَّ و ذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض - او ارادوا التفوق فسموه رَجْعًا و اوبا ليرجع ويؤب - وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا - قالت الخنساء * ع * كالرجع في المدجزة السارية * والصدع ما ينصدع عنه الارض من الذبات [إِنَّهُ] الضمير للقرآن [فَصَّلَ] فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فَرَّقَانِ [وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ] يعني انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يتوقع به قارنه و سامعه ان يلتم بهزل او يتفكه بمزاج و ان يلقي ذهذه الى ان جبار السموات يخاطبه فيأمره و ينهاه و يعده ويوعده حتى ان لم يستغز الخوف و لم يتبالغ فيه الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى الله على المشركين ذلك في قوله وَ تَضَحَّكُونَ وَ لَا تَبْكُونَ وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ والغوا فيه [إِنَّهُمْ] يعني اهل مكة يعملون المكائد في ابطال امر الله و اطفاء نور الحق و انا أقابلهم بكيدي من استدراجي لهم و انتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم [فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ] يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به [أَمَهُلَهُمْ رُؤْدَا] اي امهالا يسيرا و كرر و خالف بين اللفظين لزيادة التمسكين منه و التصبير - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات *

سورة الاعلى

تسبيح اسمه عز و علا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني اللتي هي الحاد في اسمائه كالجب و التشبيه و نحو ذلك مثل ان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر و الاقتدار لا بمعنى العلو في المكان و الاستواء على العرش حقيقة و ان يسان عن الابتذال و الذكر لا على وجه الخشوع و التعظيم - و يجوز ان يكون الاعلى صفة للمرتب و الاسم - و قرأ علي رضي الله عنه سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى و في الحديث لما نزلت فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قال اجعلوها في سجودكم و كانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت و في السجود اللهم لك سجدت [خَلَقَ فَسُوَّى] اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية و لم يأت به متفاوتا غير ملتئم و لكن على احكام

الإنسان مِمَّ خُلِقَ ۖ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۖ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۖ
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۖ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۖ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۖ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۖ إِنَّهُ لَقَوْلُ

سورة الطارق ٨٦

الجزء ٣٠

ع ١٠

الا ترجمة كلمة أخرى فبين لي اتي فائدة تحته - قلت اراد الله عز وجل من قائل ان يقسم بالنجم
الذائب تعظيما له لما عرف فيه من عجب القدرة و لطيف الحكمة و ان ينبيه على ذلك فجاء بما هو صفة
مشتركة بينه وبين غيره و هو الطارق ثم قال و مَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ النِّجْمُ الذَّائِبُ
كل هذا اظهارا لفخامة شأنه كما قال تعالى فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَاِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ - و روي ان
ابا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فانحط نجم فامتلاء ما ثمة نورا ففرع ابو طالب
و قال ابي شيء هذا فقال عليه السلام هذا نجم رُمي به و هو آية من آيات الله فعجب ابو طالب فنزلت -
فان قلت ما جواب القسم - قلت [ان كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ] لان ان لا تخلو - فيمن قرأ لَمَّا مشددة بمعنى الا
ان تكون نافذة - و فيمن قرأها مخففة على ان ما صلة ان تكون مخففة من الثقل و آيتهما كانت فيهما مما يتلقى به
القسم - حَافِظٌ مهيمٌ عليها رقيب و هو الله عز وجل و كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا - و كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
مُقِيتًا - و قيل ملك يحفظ عملها و يحصي عليها ما تكسب من خير و شر - و روي عن النبي صلى الله عليه و آله
و سلم و كل المؤمن مائة و ستون ملكا يذوقون عنه كما يذوق عن قصعة العسل الذباب و لو و كل العبد الى نفسه
طرفه عين لا تخطفته الشياطين - فان قلت ما وجه اتصال قوله [فَلْيَنْظُرْ] بما قبله - قلت وجه اتصاله به انه لما ذكر
ان على كل نفس حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في اول امره و نشأته الاولى حتى يعلم ان من انشاء قادر
على اعداته و جزائه فيعمل ليوم الاعادة و الاجزاء و لا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته و [مِمَّ خُلِقَ]
استفهام جوابه [خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ] و الدفق صب فيه دفع و معنى دافق الذسبة الى الدفق الذي هو
مصدر دفق كالابن و التامر - او الاسناد المجازي و الدفق في الحقيقة لصاحبه - و لم يقل مائدين لامتزاجهما في
الرحم و اتحادهما حين ابتدئ في خلقه [مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ] من بين صلب الرجل و ترائب
المرأة و هي عظام الصدر حيث تكون القلادة - و قرئ الصُّلْبُ بفتح السين - و الصُّلْبُ بضم السين - و فيه اربع
لغات صُلْبٌ و صُلْبٌ و صُلْبٌ و صَالِبٌ - قال العجاج ع • في صُلْبٍ مثل العذان المؤدِم • و قيل العظم و العصب
من الرجل و اللحم و الدم من المرأة [إِنَّهُ] الضمير للخالق ادلالة خالق عليه و معناه ان ذلك الذي خلق الانسان
ابتداء من نطفة [عَلَى رَجْعِهِ] على اعداته خصوصا [لَقَادِرٌ] لبيّن القدرة لا يلتفت عليه ولا يعجز عنه
كقوله انني لفقير [يَوْمَ تُبْلَى] منصوب برَجْعِهِ - و من جعل الضمير في رَجْعِهِ للماء و فسره برجعه الى
مخرجه من الصلب و الترائب او الاحليل او الى الحالة الاولى نصب الظرف بمضمر - [السَّرَائِرُ] ما أسر
في القلوب من العقائد و الذيات و غيرها و ما اخفي من الاعمال و بلاؤها تعرفها و تصفحها و التمييز بين ما طاب
منها و ما خبت - و عن الحسن انه سمع رجلا يمشد شعر • متبقي لهافي مضمر القلب و الحشى • سريرة

سورة الطارق ٨٦

الجزء ٣٠

ع ١٠

كلماتها
٦١

سورة الطارق مكية وهي سبع عشر آية •

حرونها
٢٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنْظُرِ

على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولقتلتهم - البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذهم بالعذاب والانتقام [إِنَّهُ هُوَ يَنْدِي وَيُعِيدُ] اي يبدى البطش ويعيده يعنى يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة - او دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه - او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة - وقرئ يَبْدَأُ - [الْوَدُّ] الفاعل باهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا - وقرئ ذِي الْعَرْشِ صفة لِرَبِّكَ - وقرئ الْمَجِيدُ بالجزم صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه [فَعَالٌ] خبر مبتدأ محذوف وانما قيل فَعَالٌ لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة - [فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ] بدل من الْجُنُودِ و اراد بِفِرْعَوْنَ اياه و اله كما في قوله تعالى مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم [بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا] من قومك [فِي تَكْذِيبٍ] اي تكذيب واستيجاب للعذاب [وَاللَّهُ] عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به - ومعنى الاضراب ان امرهم اعجب من امر اولئك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم وراوا اثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا اشد من تكذيبهم [بَلْ هُوَ] اي بل هذا الذي كذبوا به [قُرْآنٌ مَجِيدٌ] شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه - وقرئ قُرْآنٌ مَجِيدٌ بالاضافة اي قرآن رب مجيد - وقرأ يحيى بن يعمر في نوح واللوح الهواء يعنى اللوح فوق السماء السبعة الذي فيه اللوح [مَحْفُوظٌ] من وصول الشياطين اليه - وقرئ مَحْفُوظٌ بالرفع صفة للقرآن - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة ويوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات *

سورة الطارق

[النَّجْمُ الثَّاقِبُ] المضيء كانه يثقب الظلام بضوءه فينفذ فيه كما قيل دري لانه يدرؤ اي يدنعه و وصف بالطارق لانه يبدؤ بالليل كما يقال للاتي ليلا طارق اولانه يطرق الجنتي اي يصته والمراد جنس النجوم او جنس الشهب اللتي يرجم بها - فان قلت ما يشبه قوله وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ

سورة البروج ٨٥

الجزء ٣٠

ع ٩

اذْهُمْ عَلَيْهِمْ قَعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ اِلَّا اَنْ يُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۝ وَاللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ فَتَنَّا الْمُؤْمِنِيْنَ
وَالْمُؤْمِنٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوْا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ ۝ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيْقِ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَهُمْ
جَنّٰتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ ۝ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيْرُ ۝ اِنْ بَطَشَ رَبِّكَ لِشَيْءٍ ۝ اِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيُعِيْدُ ۝

الله تعالى قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذاك ان الله قد حرّمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت ابسط
فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخايد و ايقاد النيران و طرح من
ابى فيها فهم الذين ارادهم الله بقوله قَتَلَ اَصْحٰبُ الْاُخْدُوْدِ - و قيل وقع الى نجران رجل ممن كان
على دين عيسى فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجند من حمير فخيرهم بين النار
و اليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخايد - و قيل سبعين الفا - و ذكر ان طول الاخدود
اربعون ذراعا و عرضه اثني عشر ذراعا - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم انه كان اذا ذكر اصحاب
الاخدود تعود من جهد البلاء [النار] بدل اشتغال من الاخدود - و [ذَاتِ الْوَقُوْدِ] وصف لها باتها نار عظيمة
لها ما يرتفع به لهبها من الخطب الكثير و ابدان الناس - و قرئ الْوَقُوْدُ بالضم [اذ] ظرف لَقَتَل ابي
لُعْنُو حِينَ اَحْدَقُوا بالنار قاعدتين حولها و معنًى [عَلَيْهَا] على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله * ع
و بات على النار الذئب و المخلق * و كما تقول مررت عليه تريد مستعليا لمكان يدنو منه - و معنًى شهادتهم
على احراق المؤمنين انهم و كلوا بذلك و جعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم
لم يفرط فيما امر به و فوض اليه من التعذيب - و يجوز ان يراد انهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤثرون
شهادتهم يوم القيامة يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ اَلْسِنَتُهُمْ وَاَيْدِيُهُمْ وَاَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ] و ما عابوا
منهم و ما انكروا الا الايمان كقوله * ع * و لا عيب فيهم غير ان سيوفهم * و قال ابن الرقيات * شعر * ما نقموا من
بني امية الا * انهم يحلمون ان غضبوا * و قرأ ابو حنيفة يَقْمُوا بالكسر و الفصيح هو الفتح و ذكر الاوصاف التي
يستحق بها ان يؤمن به و يعبد و هو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منيعا يجب له الحمد على
نعمته و يرجى ثوابه [لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَ الْاَرْضِ] فكل من فيهما يحق عليه عبادته و الخشوع له تقريره
لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي و ان الناقمين اهل الانتقام الله منهم
بعذاب لا يعدله عذاب [وَاللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] و عيد لهم يعني انه علم ما فعلوا و هو مجازيهم
عليه - يجوز ان يريد بـ [الَّذِيْنَ فَتَنَّا] اصحاب الاخدود خاصة و بـ [الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا] المطروحين في الاخدود و معنًى
فَتَنُوْهُمْ عذبوهم بالنار و احرقوهم [فَلَهُمْ] في الآخرة [عَذَابٌ جَهَنَّمُ] بكفرهم [وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيْقِ] و هي نار
اخرى عظيمة تتسع كما تتسع الحريق باحراقهم المؤمنين - اولهم عَذَابٌ جَهَنَّمُ في الآخرة و لهم عَذَابُ الْحَرِيْقِ
في الدنيا لما روي ان النار انقلببت عليهم فاحرقتهم - و يجوز ان يريد الَّذِيْنَ فَتَنَّا الْمُؤْمِنِيْنَ ابي بلوهم بالاذنى

قِيلَ وَشَهِيدٌ وَمَشْهُودٌ لَا يَكْتَنُزُهُ وَصَفُهَا - وَقَدْ اضْطَرَبَتْ اقَارِيلُ الْمَفْسُورِينَ فِيهِمَا - فَقِيلَ الشَّاهِدُ وَالْمَشْهُودُ
 مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ - وَقِيلَ عَيْسَى وَآمَتُهُ لِقَوْلِهِ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ
 فِيهِمْ - وَقِيلَ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ وَسَائِرُ الْأُمَمِ - وَقِيلَ يَوْمَ التَّوْبَةِ وَيَوْمَ عَرَفَةَ - وَقِيلَ يَوْمَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ - وَقِيلَ الْحَجَّارُ
 الْأَسْوَدُ وَالْحَجَّاجُ - وَقِيلَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي وَبَنُوا أَدَمَ - وَعَنِ الْحَسَنِ مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَنِيَادِي أَنِّي يَوْمٌ جَدِيدٌ
 وَأَنِّي عَلَى مَا يَعْمَلُ فِي شَهِيدٍ فَانْتَظِمْنِي فَلَوْ غَابَتْ شَمْسِي لَمْ تُدْرِكْنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ - وَقِيلَ الْحَفَظَةُ
 وَبَنُوا أَدَمَ - وَقِيلَ الْأَنْبِيَاءُ وَمُحَمَّدٌ - فَإِنْ قُلْتَ إِنَّ جَوَابَ الْقَسَمِ - قُلْتَ مَحْذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى قَتَلَ أَصْحَابُ
 الْأَخْدُودِ كَأَنَّهُ قِيلَ أَقْسَمُ بِهِذِهِ الْأَشْيَاءُ أَنَّهُمْ مَلْعُونُونَ يَعْنِي كَقَارِ قَرِيشٍ كَمَا لَعَنَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ وَذَلِكَ أَنَّ السُّورَةَ
 وَرَدَّتْ فِي تَثْبِيهِتِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَصْبِيهِهِمْ عَلَى أَذَى أَهْلِ مَكَّةَ وَتَذَكِيرِهِمْ بِمَا جَرَى عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ
 التَّعْذِيبِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ أَنْوَاعِ الْأَذَى وَصَبْرِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ حَتَّى يَأْتَسُوا بِهِمْ وَيَصْبِرُوا عَلَى مَا كَانُوا
 يَلْقَوْنَ مِنْ قَوْمِهِمْ وَيَعْلَمُوا أَنَّ كَفَارَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ أُولَئِكَ الْمَعْذِبِينَ الْمُحْرَقِينَ بِالذَّارِ مَلْعُونُونَ أَحْقَاءُ بَانَ
 يُقَالُ فِيهِمْ قَتَلْتُ قَرِيشَ كَمَا قِيلَ [قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ] وَقَتَلَ دَعَاءَ عَلَيْهِمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ -
 وَقَرِيشٌ قَتَلَ بِالتَّشْدِيدِ - وَالْأَخْدُودُ أَخَذَ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الشَّقُّ وَنَحْوُهُمَا بِنَاءٌ وَمَعْنَى الْخَقِّ وَالْأَخْقُوقُ وَمِنْهُ
 فَسَاخَتْ قَوَائِمُهُ فِي أَخَاقِيْقٍ جَرْدَانٍ - رَوَى عَنِ الذَّبِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ
 سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبُرَ ضَمَّ إِلَيْهِ غُلَامًا لِيَعْلَمَهُ السَّحْرَ وَكَانَ فِي طَرِيقِ الْغُلَامِ رَاهِبٌ فَسَمِعَ مِنْهُ فَرَأَى فِي
 طَرِيقِهِ ذَاتَ يَوْمٍ دَابَّةً قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ فَآخَذَ حَجَرًا فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا الرَّاهِبُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ
 السَّاحِرِ فَاقْتُلْهَا فَقَتَلَهَا فَكَانَ الْغُلَامُ بَعْدَ ذَلِكَ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُشْفِي مِنَ الْأَدْوَاءِ وَعَمِيَ جَلِيسٌ
 لِلْمَلِكِ فَاِبْرَأَهُ فَاِبْصَرَهُ الْمَلِكُ فَسَأَلَهُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بِصْرَكَ فَقَالَ رَبِّي فَغَضِبَ فَعَذَّبَهُ فَدَلَّ عَلَى الْغُلَامِ فَعَذَّبَهُ
 فَدَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَلَمْ يَرْجِعِ الرَّاهِبُ عَنْ دِينِهِ فَقَدْ بِالْمَنْشَارِ وَابَى الْغُلَامُ فَذَهَبَ بِهِ إِلَى جَبَلٍ لِيَطْرَحَ
 مِنْ ذُرْوَتِهِ فَدَعَا فَرُجِفَ بِالْقَوْمِ فَطَاحُوا وَنَجَا فَذَهَبَ بِهِ إِلَى قُرْقُورٍ فَلْتَجَّجُوا بِهِ لِيَغْرُقُوهُ فَدَعَا فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ
 السَّفِينَةُ فَغَرَقُوا وَنَجَا فَقَالَ لِلْمَلِكِ لَسْتُ بِقَاتِلِي حَتَّى تَجْمَعَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَتُصَلِّبْنِي عَلَى جَذَعٍ
 وَتَأْخُذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي وَتَقُولَ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ تَرْمِيْنِي بِهِ فَرَمَاهُ فَوَقَعَ فِي صَدْعِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ
 وَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ أَمَّا رَبُّ الْغُلَامِ فَقِيلَ لِلْمَلِكِ نَزَلَ بِكَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ فَأَمَرَ بِأَخَاذِهِ فِي أَنْوَاعِ السَّكَبِ
 وَأَرْقَدَتْ فِيهَا الْغَيْرَانُ فَمَنْ لَمْ يَرْجِعْ مِنْهُمْ طَرَحَهُ فِيهَا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِيٌّ فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا
 فَقَالَ الصَّبِيُّ يَا أُمَّةَ أَصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ فَانْتَحَمْتَ وَقِيلَ قَالَ لَهَا قَعِي وَلَا تُنَافِقِي وَقِيلَ
 قَالَ مَا هِيَ إِلَّا غَمِيضَةٌ فَصَبَرَتْ - وَعَنِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ حِينَ اخْتَلَفُوا فِي أَحْكَامِ الْمَجُوسِ قَالَ هُمْ
 أَهْلُ كَذَابٍ وَكَانُوا مَتَمَسِّكِينَ بِكُتَابِهِمْ وَكَانَتْ الْخَمْرُ قَدْ أُحْلَتْ لَهُمْ فَتَنَازَلُوا بِبَعْضِ مَلُوكِهِمْ فَسَكَرَ فَوَقَعَ عَلَى
 اخْتِهِ فَلَمَّا صَحَّى نَدِمَ وَطَلَبَ الْمَخْرَجَ فَقَالَتْ لَهُ إِنَّ الْمَخْرَجَ أَنْ تَخْطُبَ النَّاسَ فَتَقُولَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ

سورة البروج ٨٥	لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ۝ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝	كلماتها ١٠٩
الجزء ٣٠	فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝	سورة البروج مكية وهي اثنان وعشرون آية *
ع ٩	حروفها ٤٧٥	
السجدة		

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَهِيدٍ مَّشْهُودٍ ۝ قَاتِلِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ ۝ الذَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝

ومنه قيل للغطاء الطبق واطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبقاً ومنه قوله عز وجل [طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ] أي حالاً بعد حال كل واحدة مطابقة لآخرها في الشدة والهول - ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركب أحوالاً بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من موطن القيمة وأهوالها - فإن قلت ما محل عن طبق - قلت الذنب على أنه صفة لطبقاً أي طبقاً مجازاً لطبق - أحوال من الضمير في لتركب أي لتركب طبقاً مجازين لطبق أو مجازاً أو مجازة على حسب القراءة - وعن مكحول كل عشرين عاماً تجدون أمراً لم تكونوا عليه [لَا يَسْجُدُونَ] لا يستكينون ولا يخضعون - وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم واستجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فزلفت وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة - وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة - وعن أبي هريرة أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله يسجد فيها - وعن أنس صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فسجدوا - وعن الحسن هي غير واجبة [الَّذِينَ كَفَرُوا] إشارة إلى المذكورين [بِمَا يُوعُونَ] بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغى والبغضاء - أو بما يجمعون في صنفهم من أعمال السوء ويتخرون لأنفسهم من أنواع العذاب [إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا] استثناء منقطع - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة انشقت أعاده الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره *

سورة البروج

هي البروج الاثنى عشر وهي قصور السماء على التشبيه - وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر - وقيل عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها - وقيل ابواب السماء [وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ] يوم القيمة [وَشَهِيدٍ مَّشْهُودٍ] يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه - وطريق تذكيرهما إما ما ذكرته في قوله عز وجل عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ كَأَنَّهُ قِيلَ وَمَا افْرَطَتْ كَثْرَتَهُ مِنْ شَهِيدٍ وَمَشْهُودٍ وَإِنِ الْإِبْهَامُ فِي الْوَصْفِ كَأَنَّهُ

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۖ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كَذِبَةً وَراءَ ظَهْرِهِ ۖ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۖ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۖ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يُخَوَّرَ ۖ بَلَىٰ ۖ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۖ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۖ وَالْيَلِّ ۖ وَمَا وَسَقَ ۖ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۖ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۖ فَمَا

العمل والكذب فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلدته اذا خدشه ومعنى [كادح الى ربك] جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء [فمليته] فملاق له لا محالة لا مفتر لك منه - وقيل الضمير في مآقيه للكدح [يسيرا] سهلا هينا لا يذاقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال - وعن عائشة رضي الله عنها هو ان يعرف ذنبه ثم يتجاوز عنه - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من يحاسب يعذب فليل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من فوئش في الحساب عذب [الى اهله] الى عشيرته ان كانوا مؤمنين - او الى فريق المؤمنين - او الى اهله في الجنة من الحور العين [وراء ظهره] قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره - وقيل يخلع يده اليسرى من وراء ظهره [يدعوا ثبورا] يقول يا ثبورا والذبور الهالك - وقرئ ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم - ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصليه جهنم [في اهله] فيما بين ظهرانيهم او معهم على انهم كانوا جميعا مسرورين يعني انه كان في الدنيا متفرقا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهتمهم امر الآخرة ولا يفكرون في العواقب ولم يكن كذبا حزينا متفكرا كعادة الصالحين والمتقين وحكاية الله عنهم انا كذا قبل في اهلنا مشفقين [ظن ان لن نخور] لن يرجع الى الله تعالى تكذبا بالمعاد يقال لا يخور ولا يحول اي لا يرجع ولا يتغير - قال لبيد * ع * يخور رمادا بعد اذ هو ساطع * وعن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يخور حتى سمعت اعرابية تقول لبنتها لها خوري اي ارجعي [بلى] ايجاب لما بعد النفي في ان يخور اي بلى ليخورن [ان ربه كان به بصيرا] و باعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها - وقيل نزلت الايتان في ابي سامة بن عبد الاشد و اخيه الاسود بن عبد الاشد - الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس و يسقطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند غامة العلماء الا ما يروى عن ابي حنيفة في احدى الراويين انه البياض - و روى اسد بن عمرو انه رجع عنه سمي لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه [وما وسق] وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق - قال * ع * مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيرة في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وسترة و اوى اليه من الدواب وغيرها [اذا اتسق] اذا اجتمع واستوى ليلة اربع عشرة - قرئ لتركبن على خطاب الانسان في يائها الانسان - و [لتركبن] بالضم على خطاب الجنس لان الذداء للجنس - ولتركبن بالكسر على خطاب النفس - ولتركبن بالياء على لتركبن الانسان - والطبق ما طبق غيره يقال ما هذا يطبق كذا اي لا يطابقه

سورة الانشقاق ٨٤

الجزء ٣٠
حروفها ١٤٨

ع ٨

يُضْحَكُونَ ۖ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۖ هَلْ تُؤِوبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۖ ع

حورة الانشقاق مكتبة وهي خمس وعشرون آية •

كلماتها
١٠٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۖ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۖ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۖ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۖ
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۖ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۖ فَمَا مِنْ أَوْتِيٍّ كِتَبَهُ يَمِينُهُ

وجدتهم في ذلك [عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ] حال من يَضْحَكُونَ أي يضحكون منهم ناظرين اليهم و الى ما هم فيه من الهوان و الصغار بعد العزة و الكبر و من الوان العذاب بعد النعيم و الترفه و هم على الارائك امنون - وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا فيضحك المؤمنون منهم - ثوبه واثابه بمعنى اذا جازاه - قال اوس * شعر * ساجزيك او يجزيك عني مثوب * وحسبك ان يثنى عليك و تحمدي * و قرى بادغام اللام في الثاء - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة *

سورة الانشقاق

حذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكويد و الانفطار - وقيل جوابها ما دل عليه فمُلَاقِيهِ أي اذا السماء انشقت لاقي الانسان كدحه - و معناه اذا انشقت بالغمام كقوله تعالى يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ - وعن علي رضي الله عنه تشقق من المجرة - اذن له استمع له و منه قوله عليه السلام ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران - وقال حجاج بن حكيم * ع * اذنت لكم لما سمعت هريركم * و المعنى انها فعلت في انقيادها لله حين اراد انشقاقها فعل المطواع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع انصت له و اذعن و لم ياب و لم يمتنع كقوله تعالى آتَيْنَا طَائِعِينَ [وَحُقَّتْ] من قولك هو محقوق بكذا و حقيق به يعني و هي حقيقة بان تقاد و لا تمتنع و معناه الايدان بان القادر الذات يجب ان يتأتى له كل مقدور و يحق ذاك [مُدَّتْ] من مد الشيء فامتد و هو ان تزال جبالها و اكامها و كل امت فيها حتى تمتد و تنبسط و يستوي ظهرها كما قال قاعاً صَفْصَفًا لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا - و عن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه و امت و استوى - او من مدة بمعنى امدة أي زبدت سعة و بسطة [وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا] و رمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى و الكنوز [وَتَخَلَّتْ] و خلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم و ترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما في الكرم و الرحمة و تكلفا فوق ما في طبعهما [وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا] في القاء ما في بطنها و تخليها - الكدح جهد النفس في

كُتِبَ الْآبَرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كُتِبَ مَرْقُومٌ ۝ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۝ إِنَّ الْآبَرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ۝ خِتْمُهُ مِسْكَ ۝ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُ مِنَ التَّسْنِيمِ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا يَكْهِنُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ۝ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ

و إما لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريماً له و تعظيماً - و روي ان الملكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبادي و انا الرقيب على ما في قلبه و انه اخلص عمله فاجعلوه في عِلِّيِّين فقد غفرت له و انها لتصعد بعمل العبد فيزكو به فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة على عبادي و انا الرقيب على قلبه و انه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سَجِّين [الْأَرَائِكِ] الاسرة في الحجال ينظرون الى ما شاؤا مد اعيذهم اليه من مناظر الجنة و الى ما اولاهم الله من النعمة و الكرامة و الى اعدائهم يعذبون في النار و ما يحجب الحجال ابصارهم عن الادراك [نَضْرَةَ النَّعِيمِ] بهجة التمتع و مائة و رونقه كما ترى في وجوه الانبياء و اهل الترفه - و قرئ يعرف على البناء للمفعول و نَضْرَةُ النَّعِيمِ بالرفع - الرَّحِيقُ الشراب الخالص لا غش فيه - مَخْتُومٌ تختم اوانيه من الاكواب و الاباريق بمسك مكان الطينة - و قيل [خِتْمُهُ مِسْكَ] مقطعة رائحة مسك اذا شرب - و قيل يمزج بالكافور و يختم مزاجه بالمسك - و قرئ خِتْمُهُ بفتح التاء و كسرهما اي ما يختم به و يقطع [فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ] فليرتغب المرتغبون [تَسْنِيمِ] علم لعين بعينها سميت بالتسنييم الذي هو مصدر سَنَمَ اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة و اما لانها تأتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسائمة فتصب في اوانيهم [وَ عَيْنًا] نصب على المدح - و قال الزجاج نصب على الحال - و قيل هي للمقربين يشربونها صرفاً و تمزج لسائر اهل الجنة • هم مشركوا مكة ابو جهل و الوليد بن المغيرة و العاص بن وائل و اشياعهم كانوا يضحكون من عمار و صهيب و خباب و بلال و غيرهم من فقراء المؤمنين و يستهزئون بهم - و قيل جاء علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون و ضحكوا و تغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلح فضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم [يَتَغَامَزُونَ] يغمز بعضهم بعضاً و يشيرون باعينهم [فَكِهِينَ] متلذذين بذكرهم و السخري منهم اي ينسبون المسلمين الى الضلال - [وَ مَا أَرْسَلْنَا] على المسلمين [حَفِظِينَ] موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم و يهيئون على اعمالهم و يشهدون برشدتهم و ضلالهم و هذا تهكم بهم - او هو من جملة اقوال الكفار و انهم اذا رأوا المسلمين قالوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ و انهم لم يرسلوا عليهم حَفِظِينَ انكاراً لصدقه ايتهم عن الشرك و دعائهم الى الاسلام

سورة التطفيف ٨٣

الجزء ٣٠

ع ٧

وَمَا أَزِدْكَ مَا سَجَّيْنُ ۖ كُتِبَ مَرْقُومٌ ۖ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۖ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ۖ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ
 إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۖ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۖ كَلَّا بَلْ سَكَنَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۖ
 كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَّحْجُوبُونَ ۖ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۖ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۖ كَلَّا إِنَّ

التطفيف و فيما كان في مثل حاله من الحيف و ترك القيام بالقسط و العمل على السوية و العدل في كل اخذ
 و اعطاء بل في كل قول و عمل - و قيل الظن بمعنى اليقين و الوجه ما ذكر - و نصب [يَوْمَ يَقُومُ] بهبعوثون -
 و قرئ بالجر بدلا من يَوْمَ عَظِيمٍ - و عن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
 بكى نحيبا و امتنع من قراءة ما بعده [كَلَّا] ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف و الغفلة عن ذكر البعث و الحساب
 و نبههم على انه مما يجب ان يتأب عنه و يندم عليه ثم اتبعه و عيد العُجَّار على العموم - و كتاب العُجَّار ما يكتب
 من اعمالهم - فَاِنْ قُلْتَ قد اخبر الله عن كتاب العُجَّار بانه في سَجَّيْنِ و فسر سَجَّيْنَا بكتاب مَرْقُومٍ فكأنه قيل ان
 كتابهم في كتاب مَرْقُومٍ فما معناه - قُلْتَ سَجَّيْنِ كتاب جامع هو ديوان الشرذون الله فيه اعمال الشياطين
 و اعمال الكفرة و الفسقة من الجن و الانس و هو كتاب مَرْقُومٍ مصدر بَيْنَ الكتابة او معلم يعلم من رآه انه
 لا خير فيه فالمعنى ان ما كتب من اعمال العُجَّار مثبت في ذلك الديوان - و سَمِيَ سَجَّيْنَا فعلا من
 السجى و هو الحبس و التضييق لانه سبب الحبس و التضييق في جهنم اولانه مطروح كما روي تحت
 الارض السابعة في مكان وحش مظلوم و هو مسكن ابليس و ذريته استهانة به و اذالة و ليشهده الشياطين
 المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملكة المقربون - فَاِنْ قُلْتَ فما سَجَّيْنِ أصفة هو ام اسم - قُلْتَ بل هو
 اسم علم منقول من وصف كحاتم و هو منصرف لانه ليس فيه الاسباب واحد و هو التعريف [الَّذِينَ
 يُكَذِّبُونَ] مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث * [كَلَّا] ردع للمعتدي
 الاثيم عن قوله [رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ] ركبها كما يركب الصدا و غلب عليها و هو ان يَصْرَ على الكبائر و يسرف
 التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يَقْبَلُ الخير و لا يميل اليه - و عن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود
 القلب يقال رَانَ عَلَيْهِ الذنب و غَانَ عَلَيْهِ رَيْنًا و غِيْنًا و الْغَيْنُ الْغَيْمُ و يقال رَانَ فِيهِ الذنوم رَسَخَ فِيهِ و رَانَتْ
 بِهِ الْخُمُرُ زَهَبَتْ بِهِ - و قرئ بادغام اللام في الراء و بالظهار و الادغام اجود و اُمْلِيَتْ الْاَلْفُ و فَخَمَتْ - [كَلَّا]
 ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم و كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم و اهانتهم لانه لا يؤذن
 على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم و لا يحجب عنهم الا الاذنياء المهانون عندهم - قال * شعر * ان اعتدوا
 باب ذي عُبَيْة رُجِدُوا * و الناس من بين مرجوب و محجوب * و عن ابن عباس و قتادة و ابن ابي مليكة
 محجوبين عن رحمته - و عن ابن كيسان عن كرامته [كَلَّا] ردع عن التكذيب و [كُتِبَ الْاَبْرَارُ] ما كُتِبَ من
 اعمالهم - و عَلِيُونَ عَلَمُ اديوان الخير الذي دُونَ فِيهِ كُلُّ مَا عَمَلَتْهُ الْمَلَكَةُ و صلحاء الثقلين منقول من جمع
 عَلَيَّ فَعِيلٌ مِنَ الْعُلُوِّ سَجَّيْنِ مِنَ السَّجَنِ سَمِيَ بِذَلِكَ اِذَا لَمْ يَكُنْ سَبَبُ الْارْتِفَاعِ اِلَىٰ اَعَالَى الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ

أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿١﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْعِجَارِ لَفِي سَجِينٍ ﴿٤﴾

الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك - ويجوز ان يتعلق على يستوثون و تقدم المفعول على الفعل لانادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها - وقال الفراء من و على يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عاينه فاذا قال اكلت عليك فكأنه قال اخذت ما عليك واذا قال اكلت منك فكقوله استوفيت منك والضمير في [كَالْوَهْمِ أَوْ زَنُوهُمْ] ضمير منصوب راجع الى الناس و فيه وجهان - ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار و وصل الفعل - كما قال • شعر • ولقد جفيتك أكموا وعساقلا • ونقد نهيتك عن بذات الاوبر • والحريص يصيدك لا الجوان بمعنى جنيت لك ويصيد لك - و ان يكون على حذف المضاف و اقامة المضاف اليه مقامه و المضاف هو المكيل او الموزن و لا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا و اذا اعطوهم اخسروا و ان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قواك اذا اخذوا من الناس استوفوا و اذا تولوا الكيل والوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متذافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر و يتعلق في ابطاله بخط المصحف و ان الالف اللتي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رأيت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع و انما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا و هو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما - و عن عيسى بن عمرو حمزة انهما كانا يرتكبان ذاك اي يجعلان الضميرين للمطففين و يقفان عند الواوين و قيفة يبينان بها ما ارادا - فان قلت هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم - قلت كان المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال و يوزن الا بالمكائيل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء و السرقة لانهم يدعدعون و يحتالون في الملء و اذا اعطوا كالوا و وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا [يَخْسِرُونَ] ينقصون يقال خسر الميزان و اخسره [أَلَا يَظُنُّ] انكار و تعجيب عظيم من حالهم في الاجترار على التطهيف كأنهم لا يخطررون بدالهم و لا يخمنون تخميننا [أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ] و محاسبون على مقدار الذرة و الخردلة - و عن قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك و اعدل كما تحب ان يعدل لك - و عن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة - و عن عبد المالك بن مروان ان اعرابيا قال له لقد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك و انت تأخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن و في هذا الانكار و التعجيب وكلمة الظن و وصف اليوم بالعظم و قيام الناس فيه لله خاضعين و وصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب و تفاقم الاثم في

مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ ثُمَّ مَا أَذْرَبَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۝ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝
 كلماتها ١٧٢
 سورة التطفیف مكية وهي ست وثلاثون آية •
 حروفها ٧٥٨
 الجزء ٣٠
 ع ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝
 وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ

يحفظ فيها عمله - وحال الآخرة اللتي يجازى فيها - وحال البرزخ وهو قوله وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ يعني ان امر يوم الدين بحيث لا يدرك دراية دار كنهه في الهول و الشدة و كيف ما تصورتها فهو فوق ذلك و على اضعافه و التكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه فقال [يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا] اي لا تستطيع دفعاً عنها و لا نفعا لها بوجه و لا امر الا لله وحده - من رفع فعلى البدل من يَوْمَ الدِّينِ او على هو يَوْمَ لَا تَمْلِكُ - و من نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر - و يجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن و هو في محل الرفع - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة و بعدد كل قبر حسنة *

سورة التطفیف

التَّطْفِيفُ الخس في الكيل و الوزن لان ما يخس شيء طفيف حقير - و روي ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قدم المدينة و كانوا من اخبث الناس كيلاً فنزلت فاحسنوا الكيل - و قيل قدمها و بها رجل يعرف بابي جهنمة و معه صاعان يكيل باحدهما و يكتال بالآخر - و قيل كان اهل المدينة تجارا يطففون و كانت بياعاتهم المداينة و الملامسة و المخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقرأها عليهم و قال خمس بخمس قيل يا رسول الله و ما خمس بخمس قال - ما نقص قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم - و ما حكموا بغير ما انزل الله الا نشأ فيهم الفقر - و ما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت - و لا طقفوا الكيل الا منعوا الذبات و اخذوا بالسنين - و لا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر - و عن علي رضي الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران و قد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجع بعد ذلك ما شئت كأنه امره بالتسوية اولاً ليعتادها و يفصل الواجب من النفل - و عن ابن عباس انكم معشر الاعاجم و لیتتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال و الميزان و خص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل و الوزن جميعاً و كانا مفرقين في الحرمة كان اهل مكة يزنون و اهل المدينة يكيلون - و عن ابن عمر انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله و ارف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلىجهم - و عن عكرمة اشهد ان كل كيتال و وزن في النار فليل له ان ابذل كيتال او وزن فقال اشهد انه في النار - و عن أبي لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكائيل و السنين الموازين لما كان اكتيالهم من

مَا قَدَّمْتُ وَآخَرْتُ ۖ يَٰ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۖ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۖ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۖ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ ۖ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ۖ إِنَّ الْآبِرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۖ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۖ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۖ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ

غَرَّبَنِي سَتُورُكَ الْمَرْخَاةَ وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ الاعْتِرَافِ بِالْخَطَاةِ فِي الْاِغْتِرَارِ بِالسُّتُرِ وَلَيْسَ بِاعْتِدَارٍ كَمَا يَظُنُّهُ الطَّمَاعُ وَ يَطْرُقُ بِهِ قُصَاصُ الْحَشْوِيَّةِ وَيُرْوَدُ عَنْ أَئِمَّتِهِمْ - إِنَّمَا قَالَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ دُونَ سَائِرِ صِفَاتِهِ لِيَقْلَقَ عَبْدُهُ الْجَوَابَ حَتَّى يَقُولَ غَرَّبَنِي كَرَمُ الْكَرِيمِ - وَقِرَاءَةُ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ مَا أَغْرَبَ إِمَّا عَلَى التَّعَجُّبِ وَإِمَّا عَلَى الِاسْتِفْهَامِ مِنْ قَوْلِكَ غَرَّ الرَّجُلَ فَهُوَ غَارَ إِذَا غَفَلَ مِنْ قَوْلِكَ بَيَّتَهُمُ الْعَدُوَّ وَهُمْ غَارُونَ وَآخِرُهُ غَيْرُهُ جَعَلَهُ غَارًا [فَسَوَّاكَ] فَجَعَلَكَ سَوِيًّا سَالِمًا الْأَعْضَاءَ - فَعَدَلَكَ فَصَيَّرَكَ مَعْتَدَلًا مُتَنَاسِبًا الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ تَفَارُتٍ فِيهِ فَلَمْ يَجْعَلْ أَحَدِي الْيَدَيْنِ اطْوَلَّ وَلَا أَحَدِي الْعَيْنَيْنِ أَرْسَعَ وَلَا بَعْضُ الْأَعْضَاءِ أَبْيَضَ وَبَعْضُهَا أَسْوَدَ وَلَا بَعْضُ الشَّعْرِ فَاحِمًا وَبَعْضُهُ أَشَقَرُ - أَوْ جَعَلَكَ مَعْتَدَلًا خَلْقًا تَمْشِي قَائِمًا لَا كَالْبَهَائِمِ - وَقُرْبَى [فَعَدَلَكَ] بِالتَّخْفِيفِ وَفِيهِ وَجْهَانِ - أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْمَشْدَدِ أَيْ عَدَلَ بَعْضُ أَعْضَائِكَ بِبَعْضٍ حَتَّى اعْتَدَلَتْ - وَالْثَانِي فَعَدَلَكَ فَصَوَّرَكَ يَقَالُ عَدْلُهُ عَنِ الطَّرِيقِ يَعْنِي فَعَدَلَكَ عَنْ خَلْقَةٍ غَيْرِكَ وَخَلَقَكَ خَلْقَةً حَسَنَةً مُفَارِقَةً لِسَائِرِ الْخَلْقِ - أَوْ فَعَدَلَكَ إِلَى بَعْضِ الْأَشْكَالِ وَالْهَيْئَاتِ - مَا فِي [مَا شَاءَ] مَزِيدَةٌ أَيْ رَكَّبَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ اقْتَضَتْهَا مَشِيَّتُهُ وَحُكْمَتُهُ مِنَ الصُّورِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الْحَسَنِ وَالْقُبْحِ وَالطُّوْلِ وَالْقَصْرِ وَالذَّكُورَةِ وَالْأُنُوَّةِ وَالشَّبْهِ بِبَعْضِ الْأَقَارِبِ وَخِلَافِ الشَّبْهِ - فَإِنَّ قُلْتَ هَلَّا عَطَفْتَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ كَمَا عَطَفَ مَا قَبْلَهَا - قُلْتَ لِأَنَّهَا بَيَانٌ لِعَدَلَكَ - فَإِنَّ قُلْتَ بِمُتَعَلِّقِ الْجَارِ - قُلْتَ يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِرَكَّبَكَ عَلَى مَعْنَى وَضَعِكَ فِي بَعْضِ الصُّورِ وَمَتَّكَ فِيهِ - وَبِمَحْذُوفٍ أَيْ رَكَّبَكَ حَاصِلًا فِي بَعْضِ الصُّورِ وَمَحَلِّهِ النِّصْبِ عَلَى الْحَالِ أَنْ عُلِّقَ بِمَحْذُوفٍ - وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِعَدَلَكَ وَيَكُونَ فِي أَيِّ مَعْنَى التَّعَجُّبِ أَيْ فَعَدَلَكَ فِي صُورَةٍ عَجِيبَةٍ ثُمَّ قَالَ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ أَيْ رَكَّبَكَ مَا شَاءَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ يَعْنِي تَرْكِيبًا حَسَنًا [كَلَّا] ارْتَدَّعُوا عَنِ الْاِغْتِرَارِ بِكُورِ اللَّهِ وَالتَّسَاقُ بِهِ وَهُوَ مُوجِبُ الشُّكْرِ وَالطَّاعَةِ إِلَى عَكْسِهِمَا الَّذِي هُوَ الْكُفْرُ وَالْمَعْصِيَةُ ثُمَّ قَالَ [بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ] أَصْلًا وَهُوَ الْجَزَاءُ - أَوْ دِينَ الْإِسْلَامِ فَلَا تَصْدُقُونَ ثَوَابًا وَلَا عِقَابًا وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الطَّمَعِ الْمَذْكُورِ [وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ] تَحْقِيقٌ لِمَا يَكْذِبُونَ بِهِ مِنَ الْجَزَاءِ يَعْنِي أَنَّكُمْ تَكْذِبُونَ بِالْجَزَاءِ وَالْكَاتِبُونَ يَكْتُبُونَ عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ لِتُجَازَا بِهَا - وَفِي تَعْظِيمِ الْكُتُبَةِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ تَعْظِيمٌ لِأَمْرِ الْجَزَاءِ وَأَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جَلَائِلِ الْأُمُورِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَّا وَكَّلَ بِضَبْطِ مَا يَحَاسِبُ عَلَيْهِ وَبِجَازِي بِهِ الْمَلَكَةُ الْكَرَامَ الْحَفَظَةُ الْكُتُبَةُ وَفِيهِ إِذْ بَارَ وَتَهْوِيلٌ وَتَشْوِيرٌ لِلْعَصَاةِ وَلَطْفٌ لِلْمُؤْمِنِينَ - وَعَنِ الْفَضِيلِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا قَالَ مَا إِشْدَاهَا مِنْ آيَةٍ عَلَى الْغَافِلِينَ [وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ] كَقَوْلِهِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا - وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ يَصْلَوْنَ النَّارَ يَوْمَ الدِّينِ وَمَا يَغِيبُونَ عَنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ يَعْنِي فِي قُبُورِهِمْ - وَقِيلَ أَخْبَرَ اللَّهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَنَّ لِبْنِ آدَمَ ثَلَاثَ حَالَاتٍ - حَالُ الْحَيَاةِ الَّتِي

سورة الانفطار ٨٢

الجزء ٣٠

ع ٤

حروفها
٣٣٤

إِلَّا ذَكَرَ لِلْعَالَمِينَ ﴿١﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾

سورة الانفطار مكية وهي تسع عشر آية •

كلماتها

٨٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسُ

الْكُهْنَةِ [فَأَيُّ تَذَهَّبُونَ] امتضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بُذَيَات الطريق ابن تذهب مُتَمَت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل [لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ] بدل من لِلْعَالَمِينَ واما ابدلوا منهم لان الذين شاؤوا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا [وَمَا تَشَاءُونَ] الاستقامة يا من يشاءها الا بتوفيق الله و لطفه - او وَمَا تَشَاءُونَهَا انتم يا من لا يشاؤونها الا بقسر الله و الجأته - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة اذا الشمس كَوُت اعاده الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته •

سورة الانفطار

[انْفَطَرَتْ] انشقت - [فُجِّرَتْ] فتجج بعضها الى بعض فاختلط العذب بالمالح و زال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا - و روي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسيير عند الحسن - و قرئ فُجِّرَتْ بالتخفيف - و قرأ مجاهد [فُجِّرَتْ] على البذاء الفاعل والتخفيف بمعنى بَغَتْ لنزال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لَا يَبْغِيَانِ لَأَنِّ الْبَغْيِ والفجور اخوان [بُعْثِرَتْ] بُعْثِرَ وَنُحْثِرَ بمعنى وهما مركبان من البعث و البحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بُحِثَتْ و اخرج موتاهما - وقيل لبراءة المبعثرة لانها بُعْثِرَتْ اسرار المذاقيدين - فان قلت ما معنى قوله [مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ] وكيف طابق الوصف بالكرم انكار الاعتذار به و انما يغتر بالكرم كما يروى عن علي رضي الله عنه انه صيغ بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك و امني من عقوبتك فاستحسن جوابه و اعتقه - وقالوا من كرم الرجل سوء ادب غلماؤه - قلت معناه ان حق الانسان ان لا يغتر بتكريم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه و بتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكّنه و كلفه فعصى و كفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب و طرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكرا خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم لما تلاها غرة جهله - و قال عمر رضي الله عنه غرة حمقه و جهله - و قال الحسن غرة والله شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي و قال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به اولاً و هو متفضل عليك اخرا حتى ورطه - و قيل للفضيل بن عياض رحمه الله ان اقامك الله يوم القيمة و قال لك ما غرك ربك الكريم ماذا تقول قال اقول

لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿ وَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿ فَإِنْ تَذَهَبُونَ ﴿ أَنْ هُوَ

تحت ضوء الشمس - وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها - عَسَّعَ الليل وسعَّع إذا ادبر - قال العجاج * شعر * حتى إذا أصبح لها تذفعا * وانجاب عنها أيلها وعَسَّعَا * وقيل عسَّع إذا أقبل ظلامه - فإن قلت ما معنى تنفس الصبح - قلت إذا أقبل الصبح أقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح - [إِنَّهُ] الضمير للقرآن [رَسُولٍ كَرِيمٍ] هو جبرئيل صلوات الله عليه [ذِي قُوَّةٍ] كقوله شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال [عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ] ليدل على عظم منزلته ومكانته [ثَمَّ] إشارة إلى الظرف المذكور أعني عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ على أنه عند الله مطاع في ملكوته المقربين يصدر عن أمره ويرجعون إلى رأيه - وقرئ ثَمَّ تعظيما للإمامة وبيانا لأنها أفضل صفاته المعدودة [وَمَا صَاحِبُكُمْ] يعني مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ [بِمَجْنُونٍ] كما تبينه الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبرئيل عليه السلام وفضله على الملائكة ومبايعة منزلته لمنزلة أفضل الانس مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله إِنَّهُ لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وبين قوله وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ - [وَقَدْ رَآهُ] ولقد رأى رسول الله جبرئيل [بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ] بمطلع الشمس الأعلى [وَمَا هُوَ] وما مُحَمَّد [عَلَى] ما يُخْبِرُ بِهِ مِنَ [الْغَيْبِ] من رؤية جبرئيل والوحي إليه وغير ذلك - بِظَنِينٍ بمتهم من الظنة وهي التهمة - وقرئ [بِضَنِينٍ] من الضن وهو البخل أي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغة أو يسأل تعليمه فلا يعلمه هو في مصحف عبد الله بالطاء وفي مصحف أبي بالضاد وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقرأ بهما واتقان الفصل بين الضاد والطاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقاري فإن أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقا غير صواب وبيدهما بون بعيد فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره وكان عمرو بن الخطاب رضي الله عنه اضبط يعمل بكلمات يديه وكان يُخرج الضاد من جانبَي لسانه وهي أحد الحرف الشجرية اخت الجيم والشين وأما الطاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العلى وهي أحد الحرف الذوقية اخت الذال والذاء ولو استوى الحرفان لما ثبت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبليين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتوكيد - فإن قلت فإن وضع المصلي أحد الحرفين مكان صاحبه - قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والذال مكان الشين لأن التفاوت بين الضاد والطاء كالتفاوت بين أخواتهما [وَمَا هُوَ] وما القرآن [بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ] أي بقول بعض المسترقة للسمع وبوحدهم إلى أوليائهم من

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۖ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۖ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ۖ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۖ عَلِمَتْ نَفْسٌ
مَا أَحْضَرَتْ ۖ فَلَا اقْتِسَمَ بِالنَّخَسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۖ وَالْيَدِ إِذَا عَصَّسَ ۖ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۖ إِنَّهُ

سورة التكويم ٨١

الجزء ٣٠

ع ٥

لا يستحق الا بالذنب و اذا بكت الله الكافرين ببراءة المؤددة من الذنب فما اقبل به وهو الذي لا يظلم
مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبتكت من العذاب السرمند -
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية [نُشِرَتْ] - قرئ بالتخفيف -
والتشديد يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب - وعن قتادة
صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيمة فلينظر رجل ما يملى في صحيفته - وعن
عمر رضي الله عنه انه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال يحشر الناس عُرَاءَ حُفَاةٍ فَقَالَتْ ام سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما
شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر و مثاقيل الخردل - ويجوز ان يراد نُشِرَتْ بين اصحابها اي
فرقت بينهم - وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة
المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم و حميم اي مكتوب فيها ذلك وهي
صحف غير صحف الاعمال [كُشِطَتْ] كُشِفَتْ وَاُزِيلَتْ كما يكشط الازهار عن الذبيحة والغطاء عن الشيء - وقرأ
ابن مسعود نُشِطَتْ و اعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد و ابقته و الكافور و القافور - سَعِرَتْ
أوقدت ايقاداً شديداً - و قرئ [سَعِرَتْ] بالتشديد للمبالغة - قيل سَعَرَهَا غضب الله وخطايا بني آدم
[أُزْلِفَتْ] أدنيت من المتقين كقوله وَاُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ - قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست
منها في الدنيا وست في الآخرة - وَعَلِمَتْ هو عامل النصب في إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وفيما عطف عليه -
فَإِنْ قُلْتَ كُلْ نَفْسٌ تَعْلَمُ مَا أَحْضَرْتَ كقوله يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا لَا نَفْسٌ
واحدة فما معنى قوله [عَلِمَتْ نَفْسٌ] - قلت هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس
عنه ومنه قوله عز وجل رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ومعناه معنى كم و ابلغ منه - وقول القائل * ع *
قد اترك القرن مصفراً انا مله * وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرمان فيقول رب فارس عندي اولا تعدم
عندي فارساً و عنده المقانب وقصده بذلك التماذي في تكثير فرسانه و لكنه اراد اظهار براءته من التزبد و انه
ممن يقلل كثير ما عنده فضلاً ان يتزبد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين -
وعن ابن مسعود ان قارئاً قرأها عنده فلما بلغ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ قال وا انقطاع ظهرياه - الخُذْسُ
الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج اذكر راجعاً الى اوله - و الْجَوَارِي السَّيَّارَةُ - و الْكُنَّسُ الْغَيْبُ
من كُنَّسَ الوحشي اذا دخل كئامه - قيل هي الداراي الخمسة بهرام و زحل و عطارد و الزهرة و المشتري
تجري مع الشمس و القمر فترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها و كنومها اختفائها

حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝

دُونَ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ [سُيِّرَتْ] أَيِ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ وَأُبْعِدَتْ - أَوْ سُيِّرَتْ فِي الْجَوِّ تَسِيرَ السَّحَابِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّةً السَّحَابِ [الْعِشَارُ] فِي جَمْعِ عُشْرَاءٍ كَالنِّفَاسِ فِي جَمْعِ نَفَسَاءٍ وَهِيَ اللَّتِي أَتَى عَلَى حَمَلِهَا عَشْرَةُ أَشْهُرٍ ثُمَّ هُوَ اسْمُهَا إِلَى أَنْ تَضَعَ لِتَمَامِ السَّنَةِ وَهِيَ أَنْفُسُ مَا يَكُونُ عِنْدَ أَهْلِهَا وَاعْزَاهَا عَلَيْهِمْ [عَطَلَتْ] تَرَكْتَ مَسِيئَةً مَهْمَلَةً - وَقِيلَ عَطَلَهَا أَهْلُهَا عَنِ الْحَلَبِ وَالصَّرِّ لِاشْتِغَالِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ - وَقُرِئَ عَطَلَتْ بِالتَّخْفِيفِ [حُشِرَتْ] جُمِعَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ - قَالَ قَتَادَةُ يَحْشُرُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الذُّبَابُ لِلْقَصَاصِ - وَقِيلَ إِذَا قُضِيَ بَيْنَهَا رَدَّتْ تَرَابًا فَلَا يَبْقَى مِنْهَا إِلَّا مَا فِيهِ سُرُورٌ لِبَنِي آدَمَ وَاعْجَابٌ بِصُورَتِهِ كَالطَّارِئِ وَنَحْوِهِ - وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ حَشَرَهَا مَوْتَهَا يَقَالُ إِذَا اجْحَفَّتِ السَّنَةُ بِالْغَاسِ وَأَمْوَالُهُمْ حَشَرَتْهُمْ السَّنَةُ - وَقُرِئَ حُشِرَتْ بِالتَّشْدِيدِ - [سُجِّرَتْ] - قُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ - وَالتَّشْدِيدُ مِنْ سَجَرِ التَّنُّورِ إِذَا مَلَأَهُ بِالْحَطَبِ أَيْ مَلَأَتْ وَفَجَّرَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يَعُودَ بِحَرٍّ وَاحِدًا - وَقِيلَ مَلَأَتْ نِيرَانًا تَضْطَرُّمُ لِتَعْذِيبِ أَهْلِ النَّارِ - وَعَنِ الْحَسَنِ يَذْهَبُ مَاءُهَا فَلَا يَبْقَى فِيهَا قَطْرَةٌ - [زُوِّجَتْ] قُرُنَتْ كُلُّ نَفْسٍ بِشَكْلِهَا - وَقِيلَ قُرُنَتْ الْأَرْوَاحُ بِالْأَجْسَادِ - وَقِيلَ بِكُتْبِهَا وَأَعْمَالِهَا - وَعَنِ الْحَسَنِ هُوَ كَقَوْلِهِ وَكُفْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً - وَقِيلَ نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُجُورِ وَنَفُوسُ الْكَافِرِينَ بِالشَّيَاطِينِ - وَأَدَّ يَنْدُ مَقْلُوبٌ مِنْ أَدَّ يُوْدُ إِذَا انْقَلَبَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا يُوْدُهُ حِفْظُهُمَا لِأَنَّهُ انْقَلَبَ بِالتَّرَابِ - كَانَ الرَّجُلُ إِذَا وَلَدَتْ لَهُ بَنَاتٌ وَارَادَ أَنْ يَسْتَحْيِيَهَا ابْنَسَها جَبَّةً مِنْ صُوفٍ أَوْ شَعْرًا قُرِعَ لَهُ الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ فِي الْبَادِيَةِ وَإِنْ ارَادَ قَتْلَهَا تَرَكَهَا حَتَّى إِذَا كَانَتْ سِدَاسِيَةً فَيَقُولُ لَأَمَّهَا طَيِّبِيهَا وَزَيَّنِيهَا حَتَّى إِذَا هَبَّ بِهَا إِلَى أَحْمَائِهَا وَقَدْ حَفَرَ لَهَا بَثْرًا فِي الصَّحْرَاءِ فَيُبَاغِ بِهَا الْبَثْرُ فَيَقُولُ لَهَا أَنْظِرِي فِيهَا ثُمَّ يَدْفَعُهَا مِنْ خَلْفِهَا وَيَهِيلُ عَلَيْهَا التَّرَابَ حَتَّى تَسْتَوِيَ الْبَثْرُ بِالْأَرْضِ - وَقِيلَ كَانَتْ الْحَامِلُ إِذَا اقْرَبَتْ حَفَرَتْ حَفْرَةً فَتَمْتَحِنُ عَلَى رَأْسِ الْحَفْرَةِ فَإِذَا وَلَدَتْ بَنَاتًا رَمَتْ بِهَا فِي الْحَفْرَةِ وَإِنْ وَلَدَتْ ابْنًا حَبَسَتْهُ - فَإِنْ قَلَّتْ مَا حَمَلَتْ عَلَى وَأَدَّ الْبَنَاتِ - قَلَّتِ الْخُوفُ مِنَ لِحَاقِ الْعَارِبِ مِنْ أَجْلِهَا أَوْ الْخُوفُ مِنَ الْأَمَلِاقِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَنْ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ فَالْحَقُّوا الْبَنَاتِ بِهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِنَ - وَصَعَصَعَةُ بْنُ نَاجِيَةٍ مِمَّنْ مَنَعَ الْوَأْدَ فِيهِ افْتَخَرَ الْفَرَزْدَقُ فِي قَوْلِهِ * شَعْرٌ * وَمِنَ الَّذِي مَنَعَ الْوَأْدَاتِ * فَاحْيَا الْوَيْدُ فَلَمْ تُؤَدِّ * فَإِنْ قَلَّتْ فَمَا مَعْنَى سُؤَالِ الْمَوْءُودَةِ عَنْ ذَنْبِهَا الَّذِي قَتَلَتْ بِهِ وَهَلَا سَأَلَ الْوَأْدَ عَنْ مُوجِبِ قَتْلِهِ لَهَا - قَلَّتْ سُؤَالُهَا وَجَوَابُهَا تَبْكِيَّتُ لِقَاتِلِهَا نَحْوُ التَّبْكِيَّتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لَعِيسَى ءَاثَتْ قُلْتُ لِلنَّاسِ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ - وَقُرِئَ سَأَلْتُ أَيْ خَاصَمْتُ عَنْ نَفْسِهَا وَسَأَلْتُ اللَّهَ أَوْ قَاتَلَهَا وَأَمَّا قِيلَ [قُتِلَتْ] بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ أَخْبَارٌ عَنْهَا وَلَوْ حَكِي عَلَى مَا خَوَّطِبَتْ بِهِ حِينَ سُئِلَتْ لَقِيلَ قُتِلَتْ أَوْ كَلَامُهَا حِينَ سَأَلَتْ لَقِيلَ قُتِلَتْ - وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُتِلَتْ عَلَى الْحِكَايَةِ - وَقُرِئَ قُتِلَتْ بِالتَّشْدِيدِ وَفِيهِ دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى أَنَّ أَطْفَالَ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعَذَّبُونَ وَعَلَى أَنَّ التَّعْذِيبَ

وَبَنِيهِ ۖ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُدْمِجَةٌ ۖ عَلَيْهِمْ غَبْرَةٌ ۖ تُرْهَقُهَا فَتَرَةٌ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ۖ

سورة التكويد ٨١
الجزء ٩

ع ٥

حروفها
١٤٣٤

سورة التكويد مكية وهي تسع وعشرون آية •

كلماتها
١٠٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝
إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا الْوُحُوشُ

الوقت ثم رضى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك من مشكلات القرآن - يقال صبح لحديثه مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصيحون لها [يفر] منهم لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا - وبدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم اقرب و احب كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبتة وبنيه - وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلموا ولم ترشدنا - وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبتة نوح ولوط ومن ابنه نوح [يغنيه] يكفيه في الاهتمام به - وقرى يغنيه اي يهيمه [مسفرة] مضيفة متهلة من اسفر الصبح اذا اضاء - وعن ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار - وعن الضحاك من اثار الوضوء - وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله [غبرة] غبار تعلوها [فترة] سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزوج اذا اغبرت و كأن الله عز وجل يجمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيمة وجهه ضاحك مستبشر •

سورة التكويد

في التكويد وجهان - ان يكون من كورت العمامة اذا نفقتها اي يلق ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الافاق وهي عبارة عن ازالتهما والذهاب بها لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف او يكون لقاها عبارة عن رفعها وسترها لان الثوب اذا اريد رفعه نف وتطوى ونحوه قوله يوم نطوي السماء - وان يكون من طعنه فجورة وكورة اذا القاه اي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار - فان قلت ارتفاع الشمس على الابتداء - او على الفاعلية - قلت بل على الفاعلية رافعها فعل مضمير يفسره كورت لان اذا تطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط [انكدرت] انقضت - قال ع • ابصر خربان فضاء فانكدر • ويروى في الشمس والنجوم انها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من

سورة عبس ٨٠

الجز ٣٠

ع ٤

ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۖ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ۖ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۖ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۖ أَنَا صَبَّبْنَا
الْمَاءَ صَبًّا ۖ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۖ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۖ وَعَذَبْنَا وَقْضَبًا ۖ وَزَيَّنَّا أَنْخَلًا ۖ وَحَدَّائِقَ غُلْبًا ۖ وَفَاكِهَةً
وَأَبًّا ۖ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِإِنْعَامِكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۖ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمُّهُ وَأَبْنَاهُ ۖ وَصَاحِبَتُهُ

كقوله أَنَا هَدَيْتُهُ السَّبِيلَ - و عن ابن عباس يبين له سبيل الخير والشر [فَأَقْبَرَهُ] فجعله ذا قبر يوارى فيه
تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الأرض جزا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت إذا دفنه و
أقبره الميت إذا امره أن يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج أقبرنا صاحبنا [أَنْشَرَهُ] أنشأه النشأة الأخرى -
و قرئ نَشَرَهُ - [كَلَّا] ردع للإنسان عما هو عليه [لَمَّا يَقْضِ] لم يقض بعد مع تطاول الزمان و امتداده من
لدى آدم إلى هذه الغاية [مَا أَمَرَهُ] الله حتى يخرج عن جميع أوامره يعني أن إنسانا لم يخل من
تقصير قط - ولما عُدَّ النعم في نفسه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه فقال [فَلْيَنْظُرِ] إلى مطعمه الذي
يعيش به كيف دبرنا امره - [أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ] يعني الغيث - قرئ بالكسر على الاستيفاف - و بالفتح
على البدل من الطعام - و قرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما أَنِّي صَبَّبْنَا بِالْأَمَالَةِ على معنى فَلْيَنْظُرِ
الْإِنْسَانُ كيف صببنا الماء [شَقَقْنَا] من شق الأرض بالنبات - ويجوز أن يكون من شقها بالكرباب على البقر
واسند الشق إلى نفسه اسناد الفعل إلى السبب - و الحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما -
و الْقَضْب الرطبة و المقضاب أرضه سمي بمصدر قَضَبه إذا قطعه لأنه يقضب مرة بعد مرة [وَحَدَّائِقَ غُلْبًا]
يحتمل - أن يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكانفها وكثرة أشجارها و عظمها كما تقول حديقة ضخمة - و أن يجعل
شجرها غُلْبًا أي عظاما غلاظا و الأصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير - قال عمرو بن معدني كرب * شعر *
يمشي بها غلب الرقاب كأنهم * بزل كُسين من الكحيل جلالا * و الأب المرعى لأنه يؤب أي يؤتم و ينتجع
والأب و الأم أخوان - قال * شعر * جذمنا قيس و نجد دارنا * ولذا الأب به و المكرع * و عن أبي بكر رضي الله
عنه أنه سئل عن الأب فقال أي سماء تظلني و أي أرض تقلني إذا قلت في كذاب الله ما لا علم لي به -
و عن عمر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده
و قال هذا لعمر الله التكلف و ما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم
من هذا الكتاب و ما لا فدعوة - فإن قلت فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن و البحث عن مشكلاته -
قلت لم يذهب إلى ذلك و لكن القوم كانت أكبر همهم عاكفة على العمل و كان التشاغل بشيء من
العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه و استدعاء شكره و قد
علم من فحوى الآية أن الأب بعض ما أنبته الله للإنسان متاعا له أو لإنعامه فعليك بما هو أهم من
الذهوض بالشكر لله على ما تبين لك و لم يشكل مما عُدَّ من نعمه و لا تشاغل عنه بطلب معنى الأب
و معرفة النبات الخاص الذي هو اسم له و اكتف بالمعرفة الجملية إلى أن يتبين لك في غير هذا

فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّقُ ۖ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْزُقُكَ ۚ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۖ وَهُوَ يَخْشَى ۚ فَأَنْتَ عَذَّةٌ
تَلْهَى ۖ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۚ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۖ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۖ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۖ كِرَامٍ
بَرَّةٍ ۖ قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۚ مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ مِنْ نُّطْفَةٍ ۚ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۚ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۚ

سورة عبس ٨٠

الجزء ٣٠

ع ١٤

انك لا تدري ما هو مترقب منه من ترك او تذكر و لو دريت لما فرط ذلك منك - وقيل الضمير
في كَعَلَهُ للكافر يعزي انك طمعت في ان يترزقك بالاسلام او يذكر فيقربه الذكرى الى قبول الحق و ما يدريك
ان ما طمعت فيه كائن - و قرى فتنفعه بالرفع عطفًا على يذكر - و بالنصب جوابا للعَل كقوله تعالى فاطَّلَعَ
إِلَى إِلِهِ مُّؤْمِنٍ [تَصَدَّقُ] تتعرض بالاقبال عليه و المصاداة المعارضة - و قرى تَصَدَّقُ بالتشديد بادغام الداء
في الصاد - و قرأ ابو جعفر تَصَدَّقُ بضم الداء اي تُعَرِّضُ و معناه يدعوك دَاعٍ الى التصدق له من الحرص
و التهالك على املاته و ليس عليك بأس في ان لا يترزقك بالاسلام ان عليك الا البلاغ [يَسْعَى]
يسرع في طلب الخير [وَهُوَ يَخْشَى] الله او يخشى الكفار و اذاهم في اتيانك - و قيل جاء و ليس معه
قائد فهو يخشى الكثرة [تَلْهَى] تشغل من لهي عنه و التهي و تلهي - و قرأ طلحة بن مصرف تَلْهَى -
و قرأ ابو جعفر تَلْهَى اي يلهيك شان الصناديد - فان قلت قوله فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّقُ - فَأَنْتَ عَذَّةٌ تَلْهَى كَأَنَّ
فيه اختصاصا - قلت نعم و معناه انكار التصدي و التلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يَصَدَّقَ
للغني و يتلهى عن الفقير - [كَلَّا] ردع عن المعاتب عليه و عن معاودة مثله [إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ] اي موعظة
يجب الاعتاض بها و العمل بموجبها [فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ] اي كان حافظا له غير فاس و ذكر الضمير لان التذكرة
في معنى الذكر و الوعظ [فِي صُحُفٍ] صفة للتذكرة يعزي انها مثبتة في صحف منسوخة من اللوح
[مُّكَرَّمَةٍ] عند الله [مَرْفُوعَةٍ] في السماء او مرفوعة المقدار [مُّطَهَّرَةٍ] منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها
الا ايدي ملئكة مطهرين [سَفَرَةٍ] كتبة ينتسخون الكتب من اللوح [بَرَّةٍ] اتقياء - و قيل هي صحف
الانبياء كقوله تعالى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى - و قيل السفرة القراء - و قيل اصحاب رسول الله - [قِيلَ
الْإِنْسَانُ] دعاء عليه و هي من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شائد الدنيا و فظائعها و [مَا أَكْفَرَهُ] تعجب
من افراطه في كفران نعمة الله و لا ترى اسلوبا اغلظ منه و لا اخشن مسا و لا ادل على سخط و لا ابعد شوطا
في المذمة مع تقارب طرفيه و لا اجمع للأمة على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء حدوده
الى ان انتهى و ما هو مغمور فيه من اصول النعم و فروعها و ما هو غارز فيه رأسه من الكفر و الغمط و قلة
الالتفات الى ما يتقلب فيه و الى ما يجب عليه من القيام بالشكر [مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ] من اي
شيء حقير مهين خلقه - ثم بين ذلك الشيء بقوله [مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ] فهياه لما يصلح له و يختص
به و نحوه وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا - نصب السبيل باضمار يسر و فسر بيسره و المعنى ثم سهل
سبيله و هو مخرجه من بطن امه - او السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير و الشر باقداره و تمكينه

سورة عبس ٨٠ كلماتها ١٣٣ سورة عبس مكية وهي اثنان و اربعون آية وفيها ركوع واحد وكذا الخ •
 الجزء ٣٠ ع ٤

حروفها
 ٥٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى ۖ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۚ

وقيل في القبور [الْأَعَشِيَّةَ أَوْ ضُحَاهَا] - فَنَقَلَتْ كَيْفَ صَحَّتْ إِضَافَةُ الضُّحَى إِلَى الْعَشِيَّةِ - قُلْتُ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَلَابَسَةِ لِاجْتِمَاعِهِمَا فِي نَهَارٍ وَاحِدٍ - فَنَقَلَتْ فَهَلَا قِيلَ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَى وَ مَا فَائِدَةُ الْإِضَافَةِ - قُلْتُ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ مَدَّةَ لَبْنِهِمْ كَأَنَّهَا لَمْ تَبْلُغْ يَوْمًا كَامِلًا وَلَكِنْ سَاعَةً مِنْهُ عَشِيَّتُهُ أَوْ ضُحَاهُ فَلَمَّا تَرَكَ الْيَوْمَ إِضَافَةَ إِلَى عَشِيَّتِهِ فَهُوَ كَقَوْلِهِ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الذِّكْرِ كَانَتْ لَهُ مِثْرَةُ الْجَنَّةِ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ قَدْرَ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ •

سورة عبس

اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأممية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوههم الى الاسلام رجاء ان يسلم باملاهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكرر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين - وقال انس رأيت يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء - وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح في كلح [ان جاءه] منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لأن جاءه الاعمى واعرض لذلك - وقرئ أن جاءه بهمزتين وبالف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى الآن جاءه الاعمى فعل ذلك انكاراً عليه - وروي انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني - وفي الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار لمن يشكو الى الناس جانبا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمى في الشكاية مواجهها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كأنه يقول قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده لعماء تعظفاً وتروفاً وتقرباً وترحيباً ولقد تأدب الناس بادب الله في هذا تأدبا حسنا فقد روي عن سفين الثوري رحمه الله ان الفقراء كانوا في مجلسه امراء [وما يدريك] واي شيء يجعلك دارياً بحال هذا الاعمى [لعله يزكى] اي يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض اوصار الائم [او يذكرك] او يتعظ [فتنفعه] ذكراك اي موعظتك وتكون له لطفاً في بعض الطاعات والمعنى

فَلَمَّا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ۖ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ۖ وَبَرَزَتِ الْحَجَجِيمُ لِمَنْ يَرَى ۖ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۖ
وَأَتَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ فَإِنَّ الْحَجَجِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۖ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۖ
فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۖ يُسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَدُهَا ۖ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ۖ إِلَيَّ رِتْكَ
مُنْتَهَدَا ۖ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ۖ كَانَهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ۖ

هورة الذوات ٧٩

الجزء ٣٠

ع ١٤

مدونة في كتابه تذكرها و كان قد نسيها كقوله اخضه الله و نسوة و ما في ما سعى موصولة او مصدرية
[و برزت] و اظهرت - و قرأ ابو نهيك و برزت [لمن يرى] للرثنين جميعا اي لكل احد يعني انها
تظهر اظهارا بيتا مكشوف اراها اهل الساهرة كلهم كقولهم قد بين الصبح لذي عينين يريدون لكل من له
بصر و هو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد - و قرأ ابن مسعود لمن رأى - و قرأ عكرمة
لمن ترى و الضمير للحجيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد - و قيل لمن ترى ما محمد [فاما] جواب فاذا
اي فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك و المعنى فان الحجيم ماواه كما تقول للرجل غص الطرف تريد
طرفك و ليس الالف و اللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغى هو صاحب المأوى و انه لا يغص الرجل
طرف غيره تركت الاضافة و دخول حرف التعريف في المأوى و الطرف للتعريف لانهما معروفان و هي فصل
او مبتدأ [و نهى النفس] الامارة بالسوء [عن الهوى] المردي و هو اتباع الشهوات و زجرها عنه و ضبطها
بالصبر و التوطين على ايثار الخير - و قيل الايتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير و مصعب بن عمير و قد قتل
مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد و وقى رسول الله بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه [ايان مرسدها] متى
ارساؤها اي اقامتها ارادوا متى يقيمها الله و يثبتها و يكونها - و قيل ايان مستقرها و مستقرها كما ان مرسى
السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه - [فيم انت] في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم و تعلمهم به يعني
ما انت من ذكرها لهم و تبين وقتها في شيء - و عن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله
عليه و اله و سلم يذكر الساعة و يسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكرها لها كأنه قيل
في اي شغل و اهتمام انت من ذكرها و السؤال عنها و المعنى انهم يسألونك عنها فلحرمك على
جوابهم لاتزال تذكرها و تسأل عنها ثم قال [إلى ريتك منتهدا] اي منتهى علمها لم يؤت علمها احدا من
خلقه - و قيل فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكرتها اي ارسلالك و انت خاتم
الانبياء و آخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكرها و علامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على
دنوها و مشارقتها و وجوب الاستعداد لها و لا معنى لسؤالهم عنها [انما انت منذر من يخشها] اي لم
تبعث لتعلمهم بوقت الساعة التي لا فائدة لهم في علمه و انما بعثت لتذير من احوالها من يكون انذارك
لطفاله في الخشية منها - و قرئ منذر بالتنوين و هو الاصل و الاضافة تخفيف و كلاهما يصلح للحال
و الاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس - اي [كانهم لم يلبثوا] في الدنيا -

سورة النجمت ٧٩
الجزء ٣٠
ع ٣

يَسْعَىٰ ۖ فَنُفِثَ ۖ فَنَادَىٰ ۖ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۖ فَاخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنِ يَخْشَىٰ ۚ ۝ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءُ ۖ بَنَاهَا ۖ رَفَعَ سَمَكَهَا ۖ فَسَوَّيَهَا ۖ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ۖ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۖ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۖ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۖ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۖ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِإِنْعَامِكُمْ ۚ

كقوله فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ [فَنَادَى] في المقام الذي اجتمعوا فيه معه - او امر منادياً فنادى في الناس بذلك - وقيل قام فيهم خطيباً فقال تلك العظيمة - وعن ابن عباس كلمته الاولى مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي وَالْآخِرَةُ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى - هو مصدر موكد كوكد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به [نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى] والنكال بمعنى التذكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة - وعن ابن عباس نكال كلمتيه الآخرة وهي قوله أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى والاولى وهي قوله مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي - وقيل كان بين الكلمتين اربعون سنة - وقيل عشرون * الخطاب لمذكري البعث يعني انتم اصعب خلقاً وانشاء [أَمَ السَّمَاءُ] ثم بين كيف خلقها فقال [بَنَاهَا] ثم بين البناء فقال [رَفَعَ سَمَكَهَا] اي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديداً وفيها مسيرة خمس مائة عام [فَسَوَّيَهَا] فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما هلم انها تتم به واصلاحها من قولك سوي فلان امر فلان - غطش الليل وغطشه الله كقولك ظلم وظلمه ويقال ايضاً غطش الليل كما يقال اظلم [وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا] وبرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها - واضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها [مَاءَهَا] عيونها المتفجرة بالماء [وَمَرْعَاهَا] ورعيها وهو في الاصل موضع الرعي ونصب الارض والجبال باضمار دحى وارسى وهو الاضمار على شريطة التفسير - وقراها الحسن مرفوعين على الابتداء - فان قلت هلا ادخل حرف العطف على أَخْرَجَ - قلت فيه وجهان - احدهما ان يكون معنى دحاهها بسطها ومهددها للممكنين ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تأتي سكانها من تسوية امر المأكول والمشرب و امكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى و ارساء الجبال و اثباتها اوتاداً لها حتى تستقر ويستقر عليها - والثاني ان يكون أَخْرَجَ حالا باضمار قد كقوله أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ و اراد بمرعها ما يأكل الناس والآنعام واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله نَرْتَعُ وَنَلْعَبُ وقري نَرْتَعُ من الرعي و لهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء [مَتَاعًا لَّكُمْ] فعل ذلك تمثيلاً لكم [وَلِإِنْعَامِكُمْ] لان منفعة ذلك التمهيد واصله اليهم والى انعامهم [الطَّامَّةُ] الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جرى الوادي فطم على القرى وهي القيمة لطمومها على كل هائلة - وقيل هي النفخة الثانية - وقيل الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار - [يَوْمَ يَتَذَكَّرُ] بدل من اذا جاءت يعني اذا رأى اعماله

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ إِذْ هَبَّ إِلَيْهِ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَّى ۖ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَزْكُى ۖ وَاهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ۖ فَارَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۖ فَكَذَّبَ وَعَصَى ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ

سورة النازعات ٧٩

الجزء ٣٠

ع ٢

وقيل النقد عند الكافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي الصفة - وقرأ ابو حنيفة في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حُفرت اسنانه فحُفرت حفراً وهي حفرة وهذه القراءة دليل على ان الكافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة - يقال نخر العظم فهو نخر ونخر وناخر كقواك طمع فهو طمع وطامع وفعل اباع من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير - واذا منصوب بمحذوف تقديره اذا كُنَّا عظاماً نرد ونبعث [كَرَّةً خَاسِرَةً] منسوبة الى الخسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فخن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم - فان قلت بم تعلق قوله [فَاِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ] - قلت بمحذوف معناه لا تستعبدوها فَاِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة هيئة في قدرته مَا هِيَ إِلَّا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ يريد النفخة الثانية [فَاِذَا هُمْ] احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه - والساهرة الارض البضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة - قال الشعث بن قيس * شعر * وساهرة يضحي السراب مجللاً * لا قطارها قد جبتها متلتما * او لان ساكنها لا يذام خوف الهلكة - وعن قتادة فاذا هم في جهنم [اِذْ هَبَّ] على ارادة القول - وفي قراءة عبد الله اِنْ اِذْ هَبَّ لَنْ فِي الدَّاءِ معنى القول - هل لك في كذا و هل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه و هل ترغب اليه [اِلَى اَنْ تَزْكُى] الى ان تتطهر من الشرك - وقرأ اهل المدينة تزكى بالادغام [وَاهْدِيكَ اِلَى رَبِّكَ] وارشدك الى معرفة الله وانبئك عليه فتعرفه [فَتَخْشَى] لان الخشية لا يكون الا بالمعرفة قال الله تعالى اِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ابي العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشي الله اتي منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل - بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا و اردفه الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستفزه بالمداواة من عتوه كما امر بذلك في قوله فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِيَدْنَا [الْآيَةَ الْكُبْرَى] قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقبل له ادخل يدك في جيبك - او ارادهما جميعا الا انه جعلهما واحدة لان الثانية كأنها من جملة الاولى لكونها تابعة لها [فَكَذَّبَ] بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا [وَعَصَى] الله تعالى بعد ما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت عليه [ثُمَّ اَدْبَرَ يَسْعَى] نبي لما رأى الثعبان ادبر مرعوباً يسعى يسرع في مشيته - قال الحسن كان رجلاً طيئاشاً خفيفاً - او تولى عن موسى يسعى ويجهتد في مكايده - او اريد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انشأ يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال [فَكَشَّرَ] فجمع السحرة

تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۖ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۖ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي
الْحَافِرَةِ ۖ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ۖ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۖ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۖ

ما أمروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم [غرقا] اغراقا في النزع
اي تنزعها من اقامي الاجساد من اناملها و اظفارها - او اقسم بخيل الغزاة اللتي تنزع في اعتقها نزعاً تغرق
فيه الاعنة لطول اعتاقها لانها عراب و اللتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا
خرج من بلد الى بلد و اللتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر و اسناد التدبير
اليها لانها من اسبابه - او اقسم بالنجوم اللتي تنزع من المشرق الى المغرب و اغراقها في النزع ان تقطع الفلك
كله حتى تنحط في اقصى الغرب و اللتي تخرج من برج الى برج و اللتي تسبح في الفلك من السيارة
فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب - و قيل الذائعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام
و اللتي تنشط الاوحاق و المقسم عليه محذوف و هو لتبعثن ادالة ما بعده عليه من ذكر القيمة - و [يَوْمَ تَرْجُفُ]
منصوب بهذا المضمرة - و الرَّاجِفَةُ الواقعة اللتي ترجف عندها الارض و الجبال و هي النفخة الاولى و صفت بما
يحدث بحدوثها [تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ] اي الواقعة اللتي تردف الاولى و هي النفخة الثانية - و يجوز ان يكون
الرادية من قوله تعالى عَسَىٰ اَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ اي القيمة اللتي تستعجلها الكفرة
استبعادا بها و هي رادية لهم لاقترباها - و قيل الرَّاجِفَةُ الارض و الجبال من قوله يَوْمَ تَرْجُفُ الارضُ وَ الْجِبَالُ -
و الرَّادِفَةُ السماء و الكواكب لانها تنشق و تنتثر كواكبها على اثر ذلك - فان قلت ما محل تتبعها - قلت الحال
اي ترجف تابعتها الرادية - فان قلت كيف جعلت يَوْمَ تَرْجُفُ ظرفاً للمضمرة الذي هو لتبعثن و لا يبعثون عند
النفخة الاولى - قلت المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان و هم يبعثون في بعض ذلك
الوقت الواسع و هو وقت النفخة الاخرى و دل على ذلك ان قوله تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ جعل حالاً عن الرَّاجِفَةِ - و يجوز
ان ينتصب يَوْمَ تَرْجُفُ بما دل عليه قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ اي يوم ترجف و جفت القلوب و اجفة شديدة الاضطراب
و الوجيب و الوجيف اخوان [خَاشِعَةٌ] ذليلة - فان قلت كيف جاز الابتداء بالذكرة - قلت قُلُوبٌ مرفوعة بالابتداء
و واجِفَةٌ صفتها و أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ خبرها فهو كقوله و لَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ - فان قلت كيف صح
اضافة الابصار الى القلوب - قلت معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يَقُولُونَ [فِي الْحَافِرَةِ] في الحالة الاولى
يعنون الحيوّة بعد الموت - فان قلت ما حقيقة هذه الكلمة - قلت يقال رجع فلان في حافرة اي في طريقته
اللتي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيئه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا اثر
الأكال في اسنائها و الخط المحفور في الصخر - و قيل حَافِرَةٌ كما قيل عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ اي منسوبة الى الحفر و الرضى
او كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرة اي الى طريقته
و حالته الاولى - قال * شعر * أحافرة على صاع و شيب * معان الله من سفه و عار * يريد أ رجوعاً الى حافرة

خِطَابًا ۝ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ۖ وَقَالَ صَوَابًا ۝ ذَٰلِكَ الْيَوْمَ
الْحَقُّ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ۝ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ۖ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ
يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ۝

سورة النزع ٧٩

الجزء ٣٠

ع ٢

حروفها
٧٩١

سورة النزع مكية وهي ست واربعون آية و فيها ركوعان •

كلماتها
١٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

وَالَّذِينَ عَرَفُوا ۝ وَالنَّشِيطِ نَشْطًا ۝ وَالسَّابِقِ سَبَقًا ۝ فَالْمُدَبِّرِ أَمْرًا ۝ يَوْمَ

ليس في ايديهم مما يخاطب به الله و يأمر به في امر الثواب و العقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف
الملك فيزيدون فيه او ينقصون منه - او لا يملكون ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب او زيادة في الثواب
الا ان يهب لهم ذلك و يأذن لهم فيه - و [يَوْمَ يَقُومُ] متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون و المعنى ان الذين
هم افضل الخلاق و اشرفهم و اكثرهم طاعة و اقربهم منه و هم الروح و الملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما
ظنك بمن عداهم من اهل السموات و الارض - و الروح اعظم خلقا من الملائكة و اشرف منهم و اقرب من رب
العلمين - و قيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا اعظم منه - و قيل ليسوا بالملائكة و هم
يأكلون - و قيل جبرئيل - هما شريطتان ان يكون المتكلم منهن مأذونا له في الكلام و ان يتكلم بالصواب
فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى و لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى - [الْمَرْء] هو الكافر لقوله تعالى إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ
عَذَابًا قَرِيبًا - و [الْكَافِر] ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم و يعني ما قدمت يداه من الشر كقوله تعالى
ذُرِّقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ - و نُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ
يَدَاكَ - بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَهُمْ و اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ - و ما يجوز ان تكون استفهامية منصوبة بقَدَّمْتِ اي ينظر
اي شيء قدمت يداه - و موصولة منصوبة يَنْظُرُ يقال نظرته بمعنى نظرت اليه و الراجع من الصلة محذوف -
و قيل المرء عام و خصص منه الكافر - و عن قتادة هو المؤمن [يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا] في الدنيا فلم اُخلق
و لم اُكلف - او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث - و قيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى
يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيرد الكافر حاله - و قيل الكافر ابليس يرى آدم و ولده و ثوابهم
فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ و خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ - عن رسول الله صلى
الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة عم يتساقطون سقاء الله برد الشراب يوم القيامة •

سورة النزع

اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد و بالطوائف التي تنشطها اي
تخرجها من نشط الدلو من البدر اذا اخرجها و بالطوائف التي تسبح في مضيتها اي تسرع فتسبق الى

إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۖ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۖ فَذُرُونَا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۖ إِنَّ الْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ وَكَاسًا دِهَاقًا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذْبًا ۖ جَزَاءً مِمَّنْ رَبُّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۖ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ

كله فاش في كلام فصحاء العرب لا يقولون غيره وسمعتني بعضهم افسر آية فقال لقد فسرتها فساروا ما سمع بمثله - وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله * شعر * فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه * وهو مثل قوله تعالى أَنبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا يعنى وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَكَذَّبُوا كَذَابًا - او تذببه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب - وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَكَانُوا مَكَاذِبَةً او كَذَّبُوا بِهَا مَكَاذِبِينَ لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين و كان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعَل من يغالب في امره فيبلغ فيه اقصى جهده - و قرئ كَذَابًا وهو جمع كاذب اي كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كاذبين - وقد يكون الكَذَاب بمعنى الواحد ابليل في الكذب يقال رجل كَذَاب كقولك حُصَانٌ وَبُخَالٌ فيجعل صفة المصدر كَذَّبُوا اي تكذبا كَذَابًا مفردا كذبه - وقرأ ابو السمال وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ بِالرُّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ [كِتَابًا] مصدر في موضع احصاء - او أَحْصَيْنَا في موضع كَتَبْنَا لالتقاء الاحصاء و الكتبة في معنى الضبط والتحصيل - او يكون حالاً في معنى مكتوباً في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم كقوله تعالى أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنُصُوهُ وهو اعتراض وقوله فَذُرُونَا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهي آية في غاية الشدة وناهيك بكن نَزِيدَكُمْ و بدلالته على ان ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهداً على ان الغضب قد تبالغ - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار * [مَفَازًا] فوزاً وظفراً بالبغية - او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك - او موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده - وَالْحَدَائِقُ البساتين فيها انواع الشجر المثمر - وَالْأَعْنَابُ الكروم - وَالْكَوَاعِبُ اللاتي فلكت ثديهن وهن النواهد - وَالْأَتْرَابُ اللدات - وَالْدِهَاقُ المتربة وادهق الحوض ملأه حتى قال قُطْنِي - وقرئ [وَلَا كِذْبًا] بالتشديد - والتخفيف اي لا يكذب بعضهم بعضاً - او لا يكذبه - او لا يكاذبه - وعن علي رضي الله عنه انه قرأ بتخفيف الاثنيين [جَزَاءً] مصدر موكّد منصوب بمعنى قوله إِنَّ الْمُتَّقِينَ مَفَازًا كأنه قيل جازى المتقين بمفاز - و [عَطَاءً] نصب بجَزَاءً نصب المفعول به اي جزاءهم عطاءً - و [حِسَابًا] صفة بمعنى كافياً من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حَسْبِي - وقيل على حسب اعمالهم - وقرأ ابن قُطَيْبٍ حِسَابًا بالتشديد على ان الحِسَاب بمعنى المحاسب كالدَّرَك بمعنى المدرك - قرئ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالرَّحْمَنُ بالرفع على هو رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالرَّحْمَنُ - او رَبُّ السَّمَوَاتِ مبتدأ والرَّحْمَنُ صفة و لَا يَمْلِكُونَ خبر - او هما خبران - و بالجور على البدل من رَبِّكَ - و بجر الاول و رفع الثاني على انه مبتدأ خبره لَا يَمْلِكُونَ - او هو الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ - والضمير في لَا يَمْلِكُونَ لاهل السموات والارض اي

لَطِغِينَ مَابًا ۖ لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۖ لَا يَذُرْقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۖ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا ۖ جَزَاءً وِفَاقًا ۖ

سورة النبأ ٧٨

الجزء ٣٠

ع ٢٢

أيديهم وأرجلهم - وبعضهم مصلّبون على جذوع من نار وبعضهم أشدّ نكدًا من الجحيف - وبعضهم ملبّسون جبابا سابعة من قطران لازقة بجلودهم - فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس - واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت - واما المنكسرون على وجوههم فأكلة الربوا - واما العمي فالذين يجورون في الحكم - واما الصم والبكم فامعجبون بآعمالهم - واما الذين يمضغون السننهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم - واما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران - واما المصلّبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان - واما الذين هم أشدّ نكدًا من الجحيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في أموالهم - واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء - قريى وفُتحت بالتشديد - والتخفيف والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملكة كأنها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفُتِحْنَا الْأَرْضَ عَيْنُونَا كَأَنَّ كُلَّهَا عِيدُونَ تتفجر - وقيل الأبواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء [فكانت سرابا] كقوله فكانت هباءً منبثًا يعني انها تصير شيئًا كلاً شيء لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها - المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين الذي يرصدون فيه للعذاب وهي مابهم - او هي مرصاد لاهل الجنة يرصدهم الملكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي ماب للطاغين - وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرًا لاهل الجنة - وقرأ ابن جعفر ان جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصداً للطاغين كأنه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء - قريى [لبثين] - ولبثين واللبث اقوى لان اللبث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه [أحقابا] حُقباً بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحُقب والحُقبه الا حيث يراد تتابع الزمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك الا ترى الى حقيبة الراكب والحُقب الذي وراء التصدير - وقيل الحُقب ثمانون سنة - ويجوز ان يراد لبثين فيها أحقابا غير ذائقين برّداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب وفيه وجه آخر هو ان يكون من حقب عامداً اذا قل مطرة وخيرة وحقب فلان اذا اخطأ الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينصب حالاً عنهم يعني لبثين فيها حقبين جحدين - وقوله [لا يذُرْقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا] تفسيره والاستثناء منقطع يعني لا يذرقون فيها برداً وروحاً ينفس عنهم حرّ الذاو ولا شراباً يسكن من عطشهم ولكن يذرقون فيها حميماً وغساقاً - وقيل البرد النوم - وانشد * شعر * فلو شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم اطعم نفاقاً ولا برداً * وعن بعض العرب منع البرد البرد - وقريى غساقاً بالتخفيف - والتشديد وهو ما يغسق اي يسيل من صديدهم [وفاقاً] وصف بالمصدر اي ذا وفاق - وقرأ ابو حيوة وفاقاً فعال من وفقه كذا [كذاباً] تكذيباً وفعال في باب فعل

نَجَّاجًا ۖ لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَبَاتًا ۖ وَ جَذِبَ أَلْفَا ۖ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۖ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۖ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۖ وَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۖ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۖ

[شَدَادًا] جمع شديدة يعنني محكمة قوية الخلق لا يوتّر فيها مرور الزمان [وَهَاجًا] متلألئاً وقاداً يعنني الشمس و
توهجت النار إذا تَلَطَّت فتوهجت بضوءها وحرّها [الْمُعْصِرَاتِ] السحاب إذا اعصرت أي شارفت أن تعصرها
الرياح فتمطر كقواك اجزّ الزرع إذا حان له أن يجزّ ومنه اعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض - وقرأ
عكرمة بِالْمُعْصِرَاتِ وفيه وجهان - أن تراد الرياح الذي حان لها أن تعصر السحاب - و أن تراد السحاب لأنه
إذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول أعطى من يده درهمًا وأعطى بيده - وعن مجاهد الْمُعْصِرَاتِ الرياح
ذوات الأعاصير - وعن الحسن وقادة هي السموات وتأويله أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب فكأن
السموات يعصرون أي يحملن على العصر ويمكن منه - فإن قلت فما وجه من قرأ مِنَ الْمُعْصِرَاتِ وفسرها
بالرياح ذوات الأعاصير والمطر لا ينزل من الرياح - قلت الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدرأ خلفه
فصيح أن تجعل مبدأ الانزال وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب
فإن صيح ذلك فالانزال منها ظاهر - فإن قلت ذكر ابن كيسان أنه جعل الْمُعْصِرَاتِ بمعنى المغيثات
والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر - فأت وجهه أن يريد اللاتي اعصرن أي حان لها أن
تعصر أي تغيث [نَجَّاجًا] منصوباً بكثرة يقال نَجَّجَ ونَجَّجَ بنفسه وفي الحديث أفضل الحجج العجج والنجج
أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى - وكان ابن عباس منججاً يسيل غرباً يعنني ينسج الكلام نجاً
في خطبته - وقرأ الأعرج نَجَّاجًا ومثاجج الماء مصابة والماء ينثجج في الوادي [حَبًّا وَ نَبَاتًا] يريد ما
يتقوت به من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلُّوا وَارْعُوا أَنْعَامَكُمْ -
وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَ الرِّيحَانُ [أَلْفَا] ملتفة ولا واحد لها كالزراع والأخفاف - وقيل الواحد لَفٌّ - وقال
صاحب الإقليد انشدني الحسن بن علي الطوسي * شعر * جَنَّةُ لَفٍّ وعيش مغدق * وندامى كلهم بيض زُهْر *
وزعم ابن قتيبة أنه لفاء ولف ثم ألفاف وما اظنه واحداً له نظيراً من نحو خضروا أخضاروا حمروا أحمرار -
ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولاً وجيهاً [كَانَ مِيقَاتًا] كان في تقدير الله وحكمه حداً
توقفت به الدنيا وتنتهي عنده - أو حداً للخلائق ينتهون إليه [يَوْمَ يُنْفَخُ] بدل من يَوْمَ الْفَصْلِ أو عطف بيان
[فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا] من القبور إلى الموقف أمّا كل أمة مع امامهم - وقيل جماعات مختلفة - وعن معاذ
رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا معاذ سألت عن امر عظيم من الأمور
ثم أرسل عينيّه وقال يحشر عشرة اصناف من امتي - بعضهم على صورة القردة - وبعضهم على صورة الخنازير -
وبعضهم منكسرون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها - وبعضهم عمياً - وبعضهم صماً بكماً - وبعضهم
يمضغون المنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقدّروهم اهل الجمع - وبعضهم مقطعة

الْأَرْضَ مَهْدًا ۖ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۖ وَخَلَقْنَكُمْ أَزْوَاجًا ۖ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۖ
 وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۖ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۖ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۖ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً
 طَهُورًا ۚ

سورة الذبأ ٧٨
 الجزء ٣٠
 ع ٢٢

وقال حسان * شعر * على ما قام يشتمني لئيم * كخزير تمرغ في رماد * والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أي شأن يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فانت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد أي شيء هو من الأشياء هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية [يتساءلون] يسأل بعضهم بعضا - أو يتساءلون غيرهم من رسول الله و المؤمنين نحو يتداعونهم و يترأونهم و الضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث و يتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء [عن الذبأ العظيم] ببيان للشأن المفخم - و عن ابن كثير انه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان تجري الوصل مجرى الوقف و اما ان يقف و يندمى يتساءلون عن الذبأ العظيم على ان يضمم يتساءلون لان ما بعده يفسره كشيء يبههم ثم يفسر - فان قلت قد زعمت ان الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله [هم فيه مختلفون] - قلت كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث و منهم من يشك - وقيل الضمير للمسلمين و الكافرين جميعا و كانوا جميعا يسألون عنه اما المسلم فليزداد خشية و استعدادا و اما الكافر فليزداد استهزاء - وقيل المتسائل عنه القرآن - وقيل نبوة محمد صلى الله عليه و آله وسلم - و قرئ يسألون بالادغام - و ستعلمون بالتداء [كلا] ردع للمتسائلين هزوا و [سيعلمون] وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه و يضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه و تكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك و معنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول و اشد - فان قلت كيف اتصل به قوله [ألم نجعل الأرض مهادا] - قلت لما انكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث و ما هو الا اختراع كهذه الاختراعات - او قيل لهم ألم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا و ما تذكرونه من البعث و الجزاء مؤد إلى انه عابث في كل ما فعل - مهادا فراشا - و قرئ مهادا و معناه انها لهم كالمهد للصبي و هو ما يمهده له فينوم عليه تسمية للمهد بالمصدر كضرب الأمير - او وصفت بالمصدر - او بمعنى ذات مهد - أي ارميها بالجبال كما يرمى البيت بالوتان [سباتا] موتا و المسبوت الميت من السبت و هو القطع لانه مقطوع عن الحركة و النوم احد التوفيقين و هو على بناء الادواء و لما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا أي حيوة في قوله و جعلنا النهار معاشا أي وقت معاش تستيقظون فيه و تتقلبون في حوائجكم و مكاسبكم - وقيل السبات الراحة - [لباسا] يستركم عن العيون اذا اردتم هربا من عدو او بيانا له او اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور - قال ابو الطيب * شعر * و كم لظلام الليل عندك من يد * تخبر ان المانوية تكذب * [سبعا] سبع سموات

سورة النبأ ٧٨
الجزء ٣٠
ع ٢١ - ٢٢
لَكُمْ كَيْدٌ فَيَكِيدُونَ ۝ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظُلُمٍ وَّ عُيُونٍ ۝ وَفَوَاحِشٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ كُلُوا
وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا
قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ۝ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ۝ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝
فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝

حروفها
٨٠١

سورة النبأ مكتبة وهي اربعون آية وفيها ركوعان •

كلماتها
١٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ

لكل مسبباً عنه لا محالة [جَمَعْنَاهُ وَالْأَوَّلِينَ] نلام موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلم اي هم
بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء واممهم فلا بد من جمع الاولين والاخرين حتى يقع ذاك الفصل
بينهم [فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا] تقرير لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز
والاستكاثرة [كُلُوا وَاشْرَبُوا] في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلم اي هم
مستقرون في ظلم مقولاً لهم ذلك * [كُلُوا وَتَمَتَّعُوا] حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال
لهم كُلُوا وَتَمَتَّعُوا - فان قلت كيف يصح ان يقال لهم ذلك في الآخرة - قلت يقال لهم ذلك في الآخرة
ايداناً بانهم كانوا في الدنيا احقأ بان يقال لهم وكانوا من اهله تذكيراً بحالهم السمجة وبما جنوا على انفسهم
من اثار المتاع انقليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله * شعر * اخوتي لا تبعدوا ابداً * وبلى
والله قد بعدوا * يريد كنتم احقأ في حيوتكم بان يدعى لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على ان
كل مجرم ما له الا الاكل والتمتع ايما قلائل ثم البقاء في الهلاك ابداً - ويجوز ان يكون كُلُوا وَتَمَتَّعُوا كلاماً
مستأنفاً خطاباً للمكذبين في الدنيا [ارْكَعُوا] اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحده واتباع دينه واطرحوا
هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على امتكبارهم - وقيل ما كان على العرب
اشد من الركوع والسجود - وقيل نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع
ولا سجد * [بَعْدَهُ] بعد القرآن يعني ان القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين
لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده يؤمنون - وقرئ يؤمنون بالتاء - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من قرأ سورة والمرسل كذب له انه ليس من المشركين •

سورة النبأ

[عم] اصله عما على انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر -

يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۖ اِنطَلِقُوا اِلَىٰ مَا كُنتُمْ بِهِ تَكْدِبُونَ ۚ اِنطَلِقُوا اِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثُلُثٍ شُعْبٍ ۖ لَا ظَلِيلٌ وَلَا يَغْنِي
 مِنَ اللَّهَبِ ۖ اِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ۖ كَاَنَّهُ جُمَلَتُ صُفْرٌ ۖ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۖ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ۖ
 وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۖ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۖ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۚ جَمَعْتُكُمْ وَالْاَوَّلِينَ ۖ فَاِنْ كَانَ

سورة المرسلات ٧٧

الجزء ٢٩

ع ٢٠

مِنْ بَرْدٍ وَفِيهَا مَاءٌ فَرَاتٍ اِيضًا بَلْ هِيَ مَعْدَنُهُ وَصَبَّه - وان يكون للتفخيم - اي يقال لهم [اِنطَلِقُوا اِلَىٰ مَا]
 كَذَّبْتُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَ [اِنطَلِقُوا] الثاني تكرير - و قرئ اِنطَلِقُوا عَلَى لَفْظِ الْمَاضِي اخبارا بعد الامر عن
 عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه [اِلَىٰ ظِلِّ] يعني دخان جهنم كقوله تعالى وَظِلِّ
 مِّنْ يَّخْمُومٍ [ذِي ثُلُثٍ شُعْبٍ] يتشعب لعظمه ثلث شعب وهذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب -
 وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث شعب فيظلمهم حتى يفرغ
 من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش [لَا ظَلِيلٌ] تهكم بهم وتعريض بان ظلمهم غير ظل المؤمنين [وَلَا يَغْنِي]
 فِي مَحَلِّ الْجَزَائِي وَغَيْرِ مَعْنٍ عَنْهُمْ مِنْ حَرِّ اللَّهَبِ شَيْئًا [بِشَرِّ] - و قرئ بِشَرَّارٍ [كَالْقَصْرِ] اي كل شررة
 كالقصر من القصور في عظمها - وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جَمْرَةٍ وَجَمْرٍ - و قرئ كَالْقَصْرِ
 بِفَتْحَتَيْنِ وَهِيَ اعناق الابل او اعناق النخل نحو شَجَرَةٍ وَشَجَرٍ - و قرأ ابن مسعود كَالْقَصْرِ بِمَعْنَى الْقُصُورِ
 كَرَهْنٍ وَرُهْنٍ - و قرأ سعيد بن جبير كَالْقَصْرِ فِي جَمْعٍ قَصْرَةٍ كحاجة و حَوْجٍ - جُمَلَتُ جَمْعُ جَمَالٍ او
 جمالة جمع جَمَلٍ شَبَّهَتْ بِالْقُصُورِ ثُمَّ بِالْجَمَالِ لِبَيَانِ التَّشْبِيهِ الْاِتْرَاهِمَ يَشَبَّهُونَ الْاِبِلَ بِالْاَفْدَانِ وَالْمَجَادِلَ -
 و قرئ جُمَلَتُ بِالضَّمِّ وَهِيَ قُلُوسُ الْجُسُورِ - وقيل قُلُوسُ مَفْنِ الْبَحْرِ الْوَاحِدَةُ جُمَالَةٌ - و قرئ [جُمَلَتُ] بِالْكَسْرِ
 بِمَعْنَى جَمَالٍ - وَجُمَلَتُ بِالضَّمِّ وَهِيَ الْقُلُسُ - وقيل [صُفْرٌ] لارادة الجُنْس - وقيل صُفْرٌ سُودٌ تَضْرِبُ اِلَى الصَّفْرَةِ -
 وَفِي شَعْرِ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ الْخَارِجِيِّ • شَعْرٌ • دَعَتْهُمْ بِاعْلَى صَوْتِهَا وَرَمَتْهُمْ • بِمَثَلِ الْجَمَالِ الصَّفْرَةِ نَزَاعَةُ
 الشَّوَى • وَقَالَ ابُو الْعَلَاءِ • شَعْرٌ • حُمْرَاءُ سَاطِعَةُ الذَّوَائِبِ فِي الدَّجَى • تَرْمِي بِكُلِّ شَرَارَةٍ كَطِرَافٍ • فَشَبَّهَهَا بِالطَّرَافِ
 وَهُوَ بَيْتُ الْاَدَمِ فِي الْعِظَمِ وَالْحُمْرَةِ وَكَأَنَّهُ قَصْدٌ بِخَبْرِهِ اَنْ يَزِيدَ عَلَى تَشْبِيهِ الْقُرْآنِ وَالتَّبَجُّحِ بِمَا سَوَّلَ لَهُ مِنْ
 تَوْهَمِ الزِّيَادَةِ جَاءَ فِي صَدْرِ بَيْتِهِ بِقَوْلِهِ حُمْرَاءُ تَوَطُّيَةً لَهَا وَ مَنَادَاةً عَلَيْهَا وَتَنْبِيْهًا لِلْسَامِعِينَ عَلَى مَكَانِهَا وَلَقَدْ
 عَمِيَ جَمْعُ اللَّهِ لَهُ عَمَى الدَّارَيْنِ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَ عَلَا كَاَنَّهُ جُمَلَتُ صُفْرًا فَاَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ كَبِيتَ احْمَرَ وَعَلَى اَنْ
 فِي التَّشْبِيهِ بِالْقُصُورِ وَهُوَ الْحَصْنُ تَشْبِيْهًا مِنْ جِهَتَيْنِ مِنْ جِهَةِ الْعِظَمِ وَمِنْ جِهَةِ الطُّوْلِ فِي الْهَوَاءِ وَ فِي التَّشْبِيهِ
 بِالْجَمَالَاتِ وَهِيَ الْقُلُوسُ تَشْبِيْهًا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ مِنْ جِهَةِ الْعِظَمِ وَ الطُّوْلِ وَ الصَّفْرَةِ فَابْعَدَ اللَّهُ اغْرَابَهُ فِي
 طَرَفِهِ وَمَا نَفَخَ شِدْقَتَهُ مِنْ اسْطِطْرَافِهِ • وَ قرئ بِنَصْبِ الْيَوْمِ وَنَصْبِهِ الْاَعْمَشِ اَي هَذَا الَّذِي قُصَّ عَلَيْكُمْ وَاقَعَ
 يَوْمَئِذٍ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ طَوِيلٌ ذُو مَوَاطِنَ وَمَوَاقِدٍ يَنْطِقُونَ فِي وَقْتٍ وَلَا يَنْطِقُونَ فِي وَقْتٍ وَلِذَلِكَ وَرَدَ الْاَمْرَانِ فِي
 الْقُرْآنِ - اَوْ جَعَلَ نَطْقَهُمْ كَلَا نَطَقَ لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَسْمَعُ [فَيَعْتَذِرُونَ] عَظْفٌ عَلَى يُؤْذَنُ مُنْخَرَطٌ فِي سَلَكِ الْغَفِيِّ
 وَ الْمَعْنَى وَلَا يَكُونُ لَهُمْ اَذَنٌ وَاعْتَذَارٌ مُتَعَقِبٌ لَهُ مِنْ غَيْرِ اَنْ يُجْعَلَ الْاَعْتَذَارُ مُسَبِّبًا عَنِ الْاَذَنِ وَلَوْ نَصَبَ

الرُّسُلُ أَقْتَتَ ۖ لَّآئِي يَوْمٍ أَجَلَتْ ۖ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۖ وَمَا آذَرَكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ۖ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۖ
 أَلَمْ نَهْلِكِ الْآوَّلِينَ ۖ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ۖ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۖ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۖ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ
 مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۖ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۖ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۖ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقُدُّونَ ۖ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۖ
 أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۖ أَحْيَاءَ وَآمَوَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِزَاسِي شُهُبٍ ۖ وَاسْقِطْنَا مَاءً فُرَاتًا ۖ وَيَلَّ

والاصل الوارد معنى توقيت الرسل تبدين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم . والتأجيل من الاجل
 كالتوقيت من الوقت [لآئِي يَوْمٍ أَجَلَتْ] تعظيم لليوم وتعجيب من هوله [لِيَوْمِ الْفَصْلِ] بيان ليوم التأجيل وهو
 اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق والوجه ان يكون معنى وَقَّتْ بُلُغَتْ مِيقَاتِهَا الذي كانت تنتظره وهو
 يوم القيمة وَاَجَلَتْ أُخِرَتْ - فَاَنْ قَلَّتْ كَيْفَ وَقَعَ الذِّكْرُ مَبْتَدَأُ فِي قَوْلِهِ [وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ] - قَلَّتْ هُوَ
 فِي اَصْلِهِ مَصْدَرٌ مِّنْصُوبٌ سَادَ مَسَدَ فَعْلُهُ وَلَكِنَّهُ عُدِلَ بِهِ إِلَى الرُّفْعِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى ثَبَاتِ الْهَلَاكِ وَدَوَامِهِ
 لِمَدْعُو عَلَيْهِ وَنَحْوِهِ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ - وَيَجُوزُ وَيَلَّا بِالنَّصْبِ وَلَكِنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهِ يَقَالُ وَيَلَّا لَهُ وَيَلَّا كَيْلًا * قَرَأَ قَدَادَةَ نَهْلِكَ
 بِفَتْحِ الذَّوْنِ مِنْ هَلِكَةٍ بِمَعْنَى اَهْلِكَةٍ - قَالَ الْعَجَّاجُ * ع * وَمَهْمَةٌ هَالِكٌ مَنْ تَعَرَّجَا * [ثُمَّ نَتَّبِعُهُمْ] بِالرُّفْعِ
 عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ وَهُوَ وَعِيدٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ يَرِيدُ ثُمَّ نَفْعَلُ بِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الْآخِرِينَ مِثْلُ مَا فَعَلْنَا بِالْأَوَّلِينَ وَنَسْلُكُ
 بِهِمْ سَبِيلَهُمْ لِأَنَّهُمْ كَذَبُوا مِثْلَ تَكْذِيبِهِمْ وَتَقْوِيهَا قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ ثُمَّ سَتَّبِعُهُمْ - وَقَرِئَ بِالْجَزْمِ لِلْعُطْفِ
 عَلَى نَهْلِكَ وَمَعْنَاهُ وَانْهَ اَهْلِكَ الْاَوَّلِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودٍ ثُمَّ اتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ
 وَلُوطٍ وَمُوسَى [كَذَلِكَ] مِثْلُ ذَلِكَ الْفِعْلُ الشَّذِيعُ [نَفْعَلُ] بِكُلِّ مَنْ اجْرَمَ اِنْذَارًا وَتَحْذِيرًا مِنْ
 عَاقِبَةِ الْجَرَمِ وَسُوءِ آثَرِهِ [إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ] إِلَى مَقْدَارٍ مِنَ الْوَقْتِ مَعْلُومٍ قَدْ عَلِمَهُ اللَّهُ وَحُكْمُ بِهِ وَهُوَ تَسْعَةُ
 الْأَشْهُرِ أَوْ مَا دُونَهَا أَوْ مَا فَوْقَهَا [فَقَدَرْنَا] فَقَدَرْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرًا [فَنِعْمَ الْقُدُّونَ] فَنِعْمَ الْمَقْدُرُونَ لَهُ نَحْنُ - أَوْ
 فَقَدَرْنَا عَلَى ذَلِكَ فَنِعْمَ الْقُدُّونَ عَلَيْهِ نَحْنُ وَالْأَوَّلُ أَوَّلَى لِقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ فَقَدَرْنَا بِالتَّشْدِيدِ وَلِقَوْلِهِ مِنْ نُّطْفَةٍ
 خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ - الْكِفَاتُ مِنَ كَفَتِ الشَّيْءُ إِذَا ضَمَّتْ وَجُمِعَتْ وَهُوَ اسْمٌ مَا يَكْفِتُ كَقَوْلِهِمُ الضِّمَامُ وَالْجَمَاعُ لَمَّا
 يَضُمُّ وَيُقَالُ هَذَا الْبَابُ جَمَاعُ الْبُوابِ وَبِهِ انْتَصَبَ أَحْيَاءٌ وَآمَوَاتٌ كَأَنَّهُ قِيلَ كَافَّةً أَحْيَاءٌ وَآمَوَاتٌ - أَوْ
 بِفِعْلِ مَضْمَرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَهُوَ تَكْفَتُ وَالْمَعْنَى تَكْفَتَ أَحْيَاءٌ عَلَى ظَهَرِهَا وَآمَوَاتٌ فِي بَطْنِهَا - وَقَدْ اسْتَدَلَّ بَعْضُ
 أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى قَطْعِ الذِّبَاشِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْأَرْضَ كِفَاتًا لِلْأَمْوَاتِ فَكَانَ بَطْنُهَا
 حَرًّا لَهُمْ فَالذِّبَاشُ سَارِقٌ مِنَ الْحَرِّزِ - فَإِنْ قَلَّتْ لَمْ يَقِلْ [أَحْيَاءٌ وَآمَوَاتٌ] عَلَى التَّنْكِيرِ وَهِيَ كِفَاتُ الْأَحْيَاءِ
 وَالْأَمْوَاتِ جَمِيعًا - قَامَتْ هُوَ مِنْ تَنْكِيرِ التَّنْخِيمِ كَأَنَّهُ قِيلَ تَكْفَتَ أَحْيَاءٌ لَا يَعْدُونَ وَآمَوَاتٌ لَا يَحْصُرُونَ عَلَى
 أَنَّ أَحْيَاءَ الْإِنْسِ وَأَمْوَاتَهُمْ لَيْسُوا بِجَمِيعِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ - وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى تَكْفَتُمْ أَحْيَاءٌ
 وَآمَوَاتٌ فَيَنْتَصِبُ عَلَى الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهَا كِفَاتُ الْإِنْسِ - فَإِنْ قَلَّتْ فَمَا التَّنْكِيرُ فِي [رِزَاسِي
 شُهُبٍ] وَمَاءٌ فُرَاتًا - قَلَّتْ يَحْتَمَلُ إِفَادَةُ التَّبْعِيضِ لِأَنَّ فِي السَّمَاءِ جِبَالًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ جِبَالٍ فِيهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۖ فَالْعَصْفِ عَصْفًا ۖ وَالنُّشْرِ نَشْرًا ۖ فَالْفَرْقِ فَرْقًا ۖ فَالْمَلَقِ ذِكْرًا ۖ عَذْرًا
أَوْ نَذْرًا ۖ إِنَّمَا تُوعَدُونَ نَوَاقِعَ ۖ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۖ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۖ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۖ وَإِذَا

سورة المرسلات

اقسم سبحانه بطوائف من الملكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيق كما تعصف الرياح تخففا
في امتثال امرة و بطوائف منهم نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في
الارض او نشرن النفوس الموتى بالكفر و الجهل بما اوحى ففرقن بين الحق و الباطل فالقن ذكرا الى
الانبياء [عذرا] للمحققين [او نذرا] للمبطلين - او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن و برياح رحمة نشرن
السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله و يجعله كسفا - او بسحاب نشرن الموت ففرقن بين من يشكر الله
و بين من يكفر كقوله تعالى لَاسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا لِنَقِّنَهُمْ فِيهِ فَالْقَيْنَ ذِكْرًا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله
بتوبتهم و استغفارهم اذا رآوا نعمة الله في الغيث و يشكرونها و اما انذارا للذين يغفلون الشكر لله و ينسبون
ذلك الى الانواء و جعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت - فان قلت ما
معنى عُرْفًا - قلت متتابعة كشعر العرف يقال جازا عُرْفًا واحدا و هم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه و يكون
بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر و انتصابه على انه مفعول له اي ارسلن للاحسان و المعروف و الاول
على الحال - و قرئ عُرْفًا على التثنية نحو نُكِرَ في نكر - فان قلت قد فسرت المرسلات بملكاة العذاب فكيف
يكون ارسالهم معروفا - قلت ان لم يكن معروفا للمكفار فانه معروف للانبياء و المؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم -
فان قلت ما العذرو الذنرو بم انتصبا - قلت هما مصدران من عذرا اذا سحا السائة و من انذر اذا خوف على
فعل كالكفر و الشكر - و يجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة و جمع نذير بمعنى الانذار - او بمعنى العاذر و المذذر
و اما انتصبا بهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على المفعول له و اما على الوجه الثالث فعلى
الحال بمعنى عاذرين او منذرين - و قرنا مخففين و مثقلين - ان الذي توعده من مجيء يوم القيمة لكائن نازل
لا ريب فيه و هو جواب القسم - وعن بعضهم ان المعنى و رب المرسلات [طمسست] محيت و محقت - و قيل ذهب
بذورها و محقق ذواتها موافق لقوله انتذرت و انتذرت - و يجوز ان يحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور [فرجت]
فتحت فكانت ابوابا - قال ع * الفارسي باب الامير المبهمة * [نسفت] كاحب اذا نسف بالمنسف
و نحوه و بسيت الجبال بسا - و كانت الجبال كتيبا مهيبا - و قيل اخذت بسرعة من امكانها من انتسفت الشيء
اذا اختطفته - و قرئ طمسست - و فرجت - و نسفت مشددة - قرئ اقدت - او قدت بالتشديد و التخفيف فيهما

وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۝ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۝
وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ۝ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ
يَشَاءَ اللَّهُ ۝ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۝ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝

في العتو - فان قلت معنى آو ولا تطع احدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتها جميعا - قلت
لوقيل ولا تطعها ليجاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهي عن طاعة احدهما
عن طاعتها جميعا انهى كما اذا نهى ان يقول لا يؤيه اف علم انه منهي عن ضربهما على طريق الاولى
[وَاذْكُرْ اِسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَّاَصِيْلًا] ودم على صلوة الفجر والعصر [وَمِنْ الْاَيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ] وبعض
الليل فصل له يعني صلوة المغرب والعشاء وادخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول
في قوله يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ [وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا] و تهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه •
[اِنَّ هَؤُلَاءِ] الكفرة [يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ] يؤثرونها على الآخرة كقوله بَلْ تُؤْثِرُونَ الدُّنْيَا [وَرَآهُمْ] قد امهم او
خلف ظهورهم لا يعبدون به [يَوْمًا ثَقِيلًا] استعير الثقل لشدة هولاء من الشئ الثقل الباطل لحامله -
و نحوه ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَ الْاَرْضِ - الاسر الربط و التوثيق ومنه أسر الرجل اذا أوثق بالقد و هو الاسار
وفرس مأسور الخلق وترس مأسور بالعقب و المعنى شَدَدْنَا توصيل عظامهم بعضها ببعض و توثيق
مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولته [وَإِذَا شِئْنَا] اهلكناهم و [بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ]
في شدة الاسر يعني الذشاة الاخرى - وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجيء بان لا بانا كقوله
فَإِنْ تَوَلَّوْا يَنْتَحِبِدْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ - اِنْ يَشَاءُ يَذْهَبْكُمْ - [هَذِهِ] اشارة الى السورة او الى الايات القريبة [فَمَنْ شَاءَ]
فمن اختار الخير لنفسه و حسن العاقبة و اتخذا السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه و القوسل بالطاعة
[وَمَا] يَشَاءُونَ الطاعة [اِلَّا اَنْ يَشَاءَ اللَّهُ] بقسره عليها [اِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا] باحوالهم وما يكون منهم [حَكِيمًا]
حيث خلقهم مع علمه بهم - و قرئ تَشَاءُونَ بالتاء - فان قلت ما محل اَنْ يَشَاءَ اللَّهُ - قلت الغصب على
الظرف و اصله الا وقت مشيئة الله و كذلك قراءة ابن مسعود اِلَّا مَا يَشَاءُ اللَّهُ لَانَّ مَا مع الفعل
كَانَ مَعَهُ [يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ] هم المؤمنون ونصب الظالمين بفعل يفسره اَعَدَّ لَهُمْ نحو
اوعد وكافا وما اشبه ذلك - وقرأ ابن مسعود و لِلظَّالِمِينَ عَلَى وَاَعَدَّ لِلظَّالِمِينَ -
وقرأ ابن الزبير و الظالمون على الابتداء و غيرها اولى لذهاب الطباق
بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف -

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ

سورة هل أتى كان جزاؤه على الله

جنة وحريرا •

وَمَقَّهْمُ رَبِّهِمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝ اِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ۝ اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ۝
فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعُ مِنْهُمْ اِثْمًا اَوْ كُفُورًا ۝ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَّاَصِيلاً ۝ وَمِنْ الدَّلِيلِ فَاَسْجُدْ لَهُ

ع ١٩

بالنصب على انه حال من الضمير في يَطُوفُ عَلَيْهِمْ - او في حَسِبْتَهُمْ ابي يطوف عليهم ولدان عالياً للمطوف عليهم ثياب - او حَسِبْتَهُمْ اُولُواً عالياً لهم ثياب - ويجوز ان يراد رأيت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب - وعليتهم بالرفع والنصب على ذلك - وعليتهم - و[خَضُرُوْا اسْتَبْرَقُ] بالرفع حملاً على الثياب - وبالجر على السُّدُس - وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غاط لانه ذكره يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيىصن انه قد يجعل علماً لهذا الضرب من الثياب - وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى بامتناع من البريق وليس بصحيح ايضاً لانه معرب مشهور تعريده وان اصله استبرة [وَحَلُّوا] عطف على وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ - فان قلت ذكر ههنا ان اساورهم من فضة وفي موضع اخر انها من ذهب - قلت هب انه قيل وحلوا اساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على انهم يسوون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تراج نساء الدنيا بين انواع الحلي وجمع بينها وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران من فضة وسوار من ذهب [شَرَابًا طَهُورًا] ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجساً بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف - او لانه لم يعصر فتمتمة الايدي الوضرة و تدوسه الاقدام الدنسة ولم يجعل في الدنان والابريق اللتي لم يعن بتنظيفها - او لانه لا يؤل الى النجاسة لانه يرشح عرقاً من ابدانهم له ريح كريح المسك - اي يقال لاهل الجنة [اِنْ هَذَا] وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جاوزتم به على اعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز - تكرير الضمير بعد ايقاعه اسماً لان تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على ابي وجه نزل الآحكمة وصواباً كانه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلاً مفروقاً منجماً الا اذا لا غيري وقد عرفتني حكيماً فاعلا لكل ما افعله بدواعي الحكمة ولقد دعيتني حكمة بالغة الى ان انزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسأنزل عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين [فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ] الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتأخير نصرته على اعدائك من اهل مكة [وَلَا تَطْعُ مِنْهُمْ] احداً فلة صبر منك على اذاهم وضجرا من تأخر الظفر وكانوا مع افراطهم في العداوة والايذاء له ولين معه يدعوهم الى ان يرجع عن امره و يبدلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم - فان قلت كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله [اِثْمًا اَوْ كُفُورًا] - قلت معناه ولا تطع منهم راكباً لما هو اثم داعياً لك اليه او فاعلاً لما هو كفر داعياً لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الانذين دون الثالث - وقيل الاثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان راكباً للمأثم متعاطياً لانواع الفسوق وكان الوليد غالباً في الكفر شديد الشكيمة

فِيهَا تَسْمَى سَلْسَبِيلًا ۝ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۚ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ۝ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۚ وَحُلُّوا أَسَادِرَ مِنْ فِضَّةٍ ۚ

أنهم قدروا شرابها على قدر الري و هو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عندها ولا يعجز - و عن مجاهد لا تفيض ولا تغيض - و قرئ قدروها على البناء للمفعول و وجهه ان يكون من قدر منقولاً من قدر تقول قدرت الشيء و قدرنيه فلان اذا جعلت قادراً له و معناه جعلوا قادرين لها كما شأوا و اطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهاوا - سميت العين زنجبيلاً لطعم الزنجبيل فيها و العرب تستلذه و تستطيبه - قال الاعشى شعر * كأن القرنفل و الزنجبيل باتا بغيرها و أرياً مشورا * وقال المسيب بن علس * شعر * وكان طعم الزنجبيل به * اذ ذقته و سلافة الخمر * و [سَلْسَبِيلًا] لسلاسة انحدارها في الحلق و سهولة مساغها يعني انها في طعم الزنجبيل و ليس فيها لذعه و لكن نقيض اللذع و هو السلاسة يقال شرابٌ سلسل و سلسال و سلسبيل و قد زيدت البناء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية و دلت على غاية السلاسة - قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة - و قرئ سَلْسَبِيلًا على منع الصرف لاجتماع العلمية و التأنيث و قد عزوا الى علي بن ابي طالب ان معناه سل سبيلاً اليها و هذا غير مستقيم على ظاهرة الا ان يراد ان جملة قول القائل سل سبيلاً جعلت علماً للعين كما قيل تأبط شراً و ذرى حباً و سميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلاً بالعمل الصالح و هو مع استقامته في العربية تكاف و ابتداء و عزوه الى مثل علي رضي الله عنه ابداع - و في شعر بعض المحدثين * شعر * سل سبيلاً فيها الى راحة النفس براح كأنها سلسبيل * و عينا بدل من زنجبيل - و قيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله طعمه فيها و عينا على هذا القول مبدلة من كأساً كأنه قيل و يسقون فيها كأساً كأس عين - او منصوبة على الاختصاص * شبهوا في حسنهم و صفاء الوانهم و انبثاثهم في مجالسهم و منازلهم باللؤلؤ المنتور - و عن المأمون انه ليلة زفت اليه بوزان بنت الحسن بن سهل و هو على بساط منسوج من ذهب و قد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منتورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر و قال لله در ابي نواس كأنه ابصر هذا حيث يقول * شعر * كأن صغرى و كبرى من فوقها * حصباء در على ارض من الذهب * و قيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفة لانه احسن و اكثر ماء [رَأَيْتَ] ليس له مفعول ظاهر و لا مقدر ليشيع و يعم كأنه قيل و اذا وجدت الرؤية ثمه و معناه ان بصر الرائي اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير و ملك كبير و [ثم] في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة و من قال معناه ما ثم فقد اخطأ لان ثم صلة لما و لا يجوز اسقاط الموصول و ترك الصلة [كَبِيرًا] واسعاً و هذياً - و يروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه - و قيل لا زوال له - و قيل اذا ارادوا شيئاً كان - و قيل يستلم عليهم الملكة و يستأننون عليهم - قرئ عَلَيْهِمْ بالسكون على انه مبتدأ خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس - و [عَلَيْهِمْ]

لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۖ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلُّلاً ۝ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِانِيَّةٍ مِّنْ فَضَّةٍ ۖ وَأَكْوَابُ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۝ قَوَارِيرًا مِّنْ فَضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝ عِذًّا

قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساء ذلك فنزل جبرئيل عليه السلام و قال خذها يا محمد هَذَاكَ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِكَ فَاقْرَأْهُ السُّورَةَ - فَاِنْ قَلَّتْ مَا مَعْنَى ذِكْرِ الْحَرِيرِ مَعَ الْجَنَّةِ - قَلَّتِ الْمَعْنَى وَجَزَاهُمْ بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْإِثَارِ وَمَا يُؤْذِي إِلَيْهِ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَرِيِّ بِسْتَنَانٍ فِيهِ مَأْكُلٌ هَنِيءٌ وَحَرِيرًا فِيهِ مَلْبَسٌ بَهِيءٌ - يَعْنِي أَنَّ هَوَاهَا مُعْتَدِلٌ لِاحْتِرَاشِ شَمْسٍ يُكْمِي وَلَا شِدَّةُ بَرْدٍ يُؤْذِي وَفِي الْحَدِيثِ هَوَاهُ الْجَنَّةِ سَجْسَجٌ لَا حَرَّ وَلَا قُرَّ - وَقِيلَ الزَّمْهَرِيرُ الْقَمَرُ - وَعَنْ ثَعْلَبٍ أَنَّهُ فِي لُغَةِ طَيِّ وَانْشُدْ * شَعْرٌ * وَلَيْلَةٌ ظَلَامُهَا قَدْ اعْتَكَرَ * قَطَعُوهَا وَالزَّمْهَرِيرُ مَا زَهَرَ * وَالْمَعْنَى أَنَّ الْجَنَّةَ ضِيَاءٌ فَلَا يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى شَمْسٍ وَقَمَرٍ - فَاِنْ قَلَّتْ [وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا] عُلَامٌ عُطِفَتْ - قَلَّتْ عَلَى الْجُمْلَةِ الَّتِي قَبْلَهَا لِأَنَّهَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الْمُجْزِيَيْنِ وَهَذِهِ حَالُ مِثْلِهَا عَنْهُمْ لِرُجُوعِ الضَّمِيرِ مِنْهَا إِلَيْهِمْ فِي عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنَّهَا اسْمٌ مُفْرَدٌ وَتِلْكَ جُمْلَةٌ فِي حُكْمٍ مُفْرَدٍ تَقْدِيرُهُ غَيْرُ رَائِيْنٍ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَدَخَلَتْ الْوَاوُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَيْنِ مُجْتَمِعَانِ لَهُمْ كَأَنَّهُ قِيلَ وَجَزَاهُمْ جَنَّةً جَامِعِينَ فِيهَا بَيْنَ الْبَعْدِ عَنِ الْحَرِّ وَالْقُرِّ وَدُنُو الظَّلَالِ عَلَيْهِمْ - وَقَرِئَ وَدَانِيَةً بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّ ظِلُّهَا مُبْتَدَأٌ وَدَانِيَةً خَبَرٌ وَالجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَالْمَعْنَى لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا وَالحَالُ أَنَّ ظِلُّهَا دَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ - وَيجوزُ أَنْ يَجْعَلَ مُتَكَبِّرِينَ وَلَا يَرَوْنَ وَدَانِيَةً كُلُّهَا صِفَاتٌ لِجَنَّةٍ - وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ وَدَانِيَةً مُعْطُوفَةً عَلَى جَنَّةٍ أَيْ وَجَدَّةٍ أُخْرَى دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا عَلَى أَنَّهُمْ وَعُدُوا جَنَّتَيْنِ كَقَوْلِهِ رَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَيْنِ لِأَنَّهُمْ وَصَفُوا بِالْخَوْفِ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا - فَاِنْ قَلَّتْ فَعُلَامٌ عُطِفَ [وَذُلَّتْ] - قَلَّتْ هِيَ إِذَا رَفَعَتْ وَدَانِيَةً جُمْلَةً فَعَلِيَّةً مُعْطُوفَةً عَلَى جُمْلَةٍ ابْتِدَائِيَّةٍ - وَإِذَا نَصَبَتْهَا عَلَى الْحَالِ فَهِيَ حَالٌ مِنْ دَانِيَةٍ أَيْ تَدْنُو ظِلَالُهَا عَلَيْهِمْ فِي حَالٍ تَذَلُّلٍ قُطُوفُهَا لَهُمْ أَوْ مُعْطُوفَةٌ عَلَيْهَا عَلَى وَدَانِيَةٍ عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَمَذَلَّةٌ قُطُوفُهَا وَإِذَا نَصَبَتْ وَدَانِيَةً عَلَى الْوَصْفِ فَهِيَ صِفَةٌ مِثْلُهَا إِلَّا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قَلَّتْ جَدَّةٌ ذُلَّتْ قُطُوفُهَا كَانَ مُحْكَمًا وَتَذَلُّلُ الْقُطُوفِ أَنْ تَجْعَلَ ذُلًّا لَا تَمْتَنِعُ عَلَى قُطُوفِهَا كَيْفَ شَاءُوا - أَوْ تَجْعَلَ خَاضِعَةً مُتَقَاصِرَةً مِنْ قَوْلِهِمْ حَائِطٌ ذَلِيلٌ إِذَا كَانَ قَصِيرًا [قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا] قَرَأْنَا غَيْرَ مَذْنُونِينَ - وَبِتَنْوِينِ الْأَوَّلِ - وَبِتَنْوِينِهَا وَهَذَا التَّنْوِينُ بَدَلٌ مِنَ الْفِ الْإِطْلَاقِ لِأَنَّهُ فَاصِلَةٌ وَفِي الثَّانِي لَاتِّبَاعِهِ الْأَوَّلِ وَمَعْنَى قَوَارِيرًا مِنْ فَضَّةٍ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ مِنْ فَضَّةٍ وَهِيَ مَعَ بَيَاضِ الْفِضَّةِ وَحُسْنِهَا فِي صِفَاءِ الْقَوَارِيرِ وَشَفِيفِهَا - فَاِنْ قَلَّتْ مَا مَعْنَى كَانَتْ - قَلَّتْ هُوَ مَنْ يَكُونُ فِي قَوْلِهِ كُنْ فَيَكُونُ أَيْ تَكُونَتْ قَوَارِيرٌ بِتَكْوِينِ اللَّهِ تَفْخِيمًا لِتِلْكَ الْخُلُقَةِ الْعَجِيبَةِ الشَّانِ الْجَامِعَةِ بَيْنَ صِفَتِي الْجَوْهَرَيْنِ الْمُتَبَايِنَيْنِ وَمِنْهُ كَانَ فِي قَوْلِهِ كَانَ مِزَاجُهَا كَأَفْوَرًا - وَقَرِئَ قَوَارِيرٌ مِنْ فَضَّةٍ بِالرَّفْعِ عَلَى هِيَ قَوَارِيرُ [قَدَّرُوهَا] صِفَةٌ لِقَوَارِيرًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعْنَى تَقْدِيرُهُمْ لَهَا أَنَّهُمْ قَدَّرُوهَا فِي أَنْفُسِهِمْ أَنْ تَكُونَ عَلَى مَقَادِيرٍ وَأَشْكَالٍ عَلَى حَسَبِ شَهَوَاتِهِمْ فَجَاءَتْ كَمَا قَدَّرُوا - وَقِيلَ الضَّمِيرُ لِلطَّائِفِينَ بِهَا ذَلْ عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ وَطَافَ عَلَيْهِمْ عَلَى

نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ
شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝ مَذْكُورِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۝

سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من اهل القبلة - وعن ابي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون
وسمى رسول الله الغريم اسيرا فقال غريمك اميرك فاحسن الى اسيرك [إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ] على ارادة
القول - و يجوز ان يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه
الله فلا معنى لمكافاة الخلق وان يكون قولهم لهم لطفاً وتفقيهاً وتذبيهاً على ما يذبغي ان يكون عليه
من اخلص لله - وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل
الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعيت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصاً عند الله - ويجوز
ان يكون ذلك بيانا وكشفاً عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئاً - وعن مجاهد اما انهم ما
تكلموا به ولكن علمه الله منهم فائدى عليهم - و الشُّكُورُ و الكُفُورُ مصدران كالشكر والكفر [إِنَّا نَخَافُ]
يحتمل ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافاتكم وانا لا نريد منكم المكافاة لخوف
عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة - ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين - ان يوصف بصفة اهله
من الاشقياء كقولهم نهارك صائم - روي ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل
القطران - وان يشبهه في شدته و ضرره بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل - و القَمْطَرِيرُ الشديد العبوس الذي
يجمع ما بين عينية - قال الزجاج يقال اقمطرت الذاقة اذا رفعت ذنبها و جمعت قطريها و زمت بانفها
فاشتدقت من القطر وقد جعل الميم مزيدة - قال اسد بن ناعضة * شعر * واصطليت الحروب في كل يوم * باسل
الشر قمطير الصباح * [وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا] اي اعطاهم بدل عبوس الفجار نضرة في الوجوه و سرورا في
القلوب وهذا يدل على ان اليوم موصوف بعبوس اهله [بِمَا صَبَرُوا] بصبرهم على الايثار - وعن ابن
عباس ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في ناس معه فقالوا يا ابا
الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي و فاطمة و فضة جارية لهما ان برأ مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام
فشفيا و ما معهم شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون اليهودي الخيبري ثلاثة اصوع من شعير
فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل
فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة
فأثروا و باتوا لم يذوقوا الا الماء و اصبحوا صياما فلما امسوا و وضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم
فأثروا و وقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين
و اقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فاما ابصرهم و هم يرتعشون كالفرارح من شدة
الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم و قام فانطلق معهم فرأى فاطمة رضي الله عنها في محرابها

فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ اِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ اِمَّا شَاكِرًا وَاِمَّا كَفُورًا ۝ اِنَّا اَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَاسِلًا وَاَغْلًا وَّسَعِيرًا ۝
 سورة الدهر ٧٩
 الجزء ٢٩
 ع ١٨

على طريق الاستعارة - ر عن ابن عباس نُصِرَ في بطن أمه نطفة ثم علقه - وقيل هو في تقدير التأخير
 يعني فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا لِنَبْتَلِيَهُ وَهُوَ مِنَ التَّعَسُّفِ - شَاكِرًا وَكَفُورًا حَالَيْنِ مِنَ الْهَاءِ فِي هَدَيْنَاهُ اِي
 مَكْنَاهُ وَاقْدَرْنَاهُ فِي حَالَتَيْهِ جَمِيعًا - اَوْ دَعَوْنَاهُ اِلَى الْاِسْلَامِ بِادَلَّةِ الْعَقْلِ وَالسَّمْعِ كَانَ مَعْلُومًا مِنْهُ اَنَّهُ يَوْمَنُ
 اَوْ يَكْفُرُ لِالْزَامِ الْحُجَّةِ - وَيجوز ان يكونا حالين من السبيل اِي اعرفناه السبيل اِمَّا سَبِيلًا شَاكِرًا وَاِمَّا سَبِيلًا كَفُورًا
 كَقَوْلِهِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ فَوَصَّفَ السَّبِيلَ بِالشُّكْرِ وَالْكَفْرِ مَجَازًا - وَقَرَأَ أَبُو السَّمَلِ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ فِي اِمَّا وَهِيَ قِرَاءَةُ
 حَسَنَةٌ وَالْمَعْنَى اِمَّا شَاكِرًا فَيَتَوَفَّقُنَا وََاِمَّا كَفُورًا فَيَسُوءُ اخْتِيَارًا - وَلَمَّا ذَكَرَ الْفَرِيقَيْنِ اتَّبَعَهُمَا الْوَعِيدُ وَالْوَعْدُ -
 وَقَوِي سَاسِلًا غَيْرَ مَنُونٍ - وَسَاسِلًا بِالتَّذْوِينِ وَفِيهِ وَجْهَانِ - اَحَدُهُمَا اِنْ تَكُونُ هَذِهِ الذُّنُوبُ بَدَلًا مِنْ حُرْفِ الْاِطْلَاقِ
 وَيجري الوصل مجرى الوقف - وَالثَّانِي اِنْ يَكُونُ صَاحِبُ الْقِرَاءَةِ بِهِ مِمَّنْ ضَرِي بِرَوَايَةِ الشَّعْرِ وَصَرْنِ لِسَانِهِ
 عَلَى صَرْفٍ غَيْرِ الْمَنْصَرَفِ * [الْاَبْرَارُ] جَمْعُ بَرٍّ اَوْ بَارٍ كَرَبٍّ وَارْبَابٍ وَشَاهِدٍ وَأَشْهَادٍ - وَعَنِ الْحَسَنِ هُمُ الَّذِينَ
 لَا يُوْذَنُ الذَّرَّ - وَالْكَاسُ الزَّجَاجَةُ اِذَا كَانَتْ فِيهَا خُمُرٌ وَيُسَمَّى الْخُمُرُ نَفْسَهَا كَاسًا [مِرْزَاجُهَا] مَا تَمَزَّجُ بِهِ
 [كَافُورًا] مَاءٌ كَافُورٌ وَهُوَ اسْمُ عَيْنٍ فِي الْجَنَّةِ مَائُوهَا فِي بِيضِ الْكَافُورِ وَرَائِحَتُهُ وَبَرْدُهُ وَ[عَيْنًا] بَدَلُ مِنْهُ - وَعَنِ
 قَتَادَةَ تَمَزَّجَ لَهُمُ بِالْكَافُورِ وَتَخْتَمُ لَهُمُ بِالْمَسْكَ - وَقِيلَ تَخْلُقُ فِيهَا رَائِحَةُ الْكَافُورِ وَبِيضُهُ وَبَرْدُهُ فَكَأَنَّهُا مَزَّجَتْ
 بِالْكَافُورِ وَ[عَيْنًا] عَلَى هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ بَدَلُ مِنْ مَحَلٍّ مِنْ كَاسٍ عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ مُضَافٍ كَأَنَّهُ قِيلَ يَشْرَبُونَ
 خُمُرًا خُمُرَ عَيْنٍ اَوْ نَصَبَ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ - فَانْ قُلْتَ لِمَ وَصَلَ فَعَلَ الشَّرْبُ بِحُرْفِ الْاِبْتِدَاءِ اَوَّلًا وَبِحُرْفِ
 الْاِلصَاقِ آخِرًا - قُلْتَ لَانِ الْكَاسَ مَبْدَأُ شَرْبِهِمْ وَاَوَّلُ غَايَتِهِ وَاما الْعَيْنُ فَبِهَا يَمَزَّجُونَ شَرَابَهُمْ فَكَانَ الْمَعْنَى يَشْرَبُ
 عَبْدُ اللَّهِ بِهَا الْخُمُرَ كَمَا تَقُولُ شَرِبْتُ الْمَاءَ بِالْعَسَلِ [يَفْجَرُونَهَا] يُجَرُّونَهَا حَيْثُ شَاءُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ [تَفْجِيرًا]
 سَهْلًا لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ [يُوَفُّونَ] جَوَابُ مَنْ عَسَى يَقُولُ مَا لَهُمْ يَرْزُقُونَ ذَلِكَ - وَالْوَفَاءُ بِالذَّرِّ مَبَالِغَةٌ فِي وَصْفِهِمْ
 بِالتَّوَقُّرِ عَلَى اِدَاءِ الْوَاجِبَاتِ لَانَّ مَنْ وَفَى بِمَا اَوْجَبَهُ هُوَ عَلَى نَفْسِهِ لَوْجُهُ اللَّهُ كَانَ بِمَا اَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اَوْفَى
 [مُسْتَطِيرًا] فَاشِيًا مَمْتَشِرًا بِالْغَا اَقْصَى الْمَبَالِغِ مِنْ اسْتِطَارَ الْحَرِيقُ وَاسْتِطَارَ الْفَجْرُ وَهُوَ مَنْ طَارَ بِمَنْزِلَةٍ
 اسْتَنْفَرَ مِنْ نَفَرٍ [عَلَى حَبِّهِ] الضَّمِيرُ لِلطَّعَامِ اِي مَعَ اَشْتِهَائِهِ وَالْحَاجَةِ اِلَيْهِ - وَنَحْوُهُ وَاتَى الْمَالَ عَلَى حَبِّهِ -
 لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ - وَعَنِ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ عَلَى حُبِّ اللَّهِ [وَاعْيَرًا] عَنِ الْحَسَنِ
 كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُوْتَى بِالْاَسِيرِ فَيُدْفَعُهُ اِلَى بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ فَيَقُولُ احْسِنْ اِلَيْهِ
 فَيَكُونُ عِنْدَهُ الْيَوْمَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فَيُوْتِرُهُ عَلَى نَفْسِهِ - وَعِنْدَ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ يَجُوزُ الْاِحْسَانُ اِلَى الْكُفَّارِ فِي دَارِ الْاِسْلَامِ وَلَا
 تَصْرَفُ اِلَيْهِمُ الْوَاجِبَاتُ - وَعَنِ قَتَادَةَ كَانَ اَمِيرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْمَشْرُكَ وَاخْوُكَ الْمُسْلِمَ احَقَّ اَنْ تُطْعَمَهُ - وَعَنِ

سورة الدهر ٧٧
الجزء ٢٩
ع ١٨
نُطْفَةٌ مِنْ مَنِيِّ يُمْنَى ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ نَسَوَى ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۝ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ الْوَيْلَى ۝ ع

كلماتها ٢٤٧
سورة الدهر مكية وهي إحدى وثلاثون آية وركوعان •
حروفها ١٠٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ۝ نَبْتَلِيهِ

يتمطط اي يتمدد لان المتبخر يمد خطاه - وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفي الحديث اذا مشيت امتني المظيطاء وخد متهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بيدهم يعني كذب برحول الله وتواى عنه واعرض ثم ذهب الى قومه بالتبخر افتخاراً بذلك [أولى لك] بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه مايكرة [فخلق] فقدر [نَسَوَى] فعذر - [منه] من الانسان [الزَّوْجَيْنِ] الصنفين [أَلَيْسَ ذَلِكَ] الذي انشا هذا الانشاء [بِقَدِيرٍ عَلَى] الاعادة - وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبرئيل يوم القيمة انه كان مؤمناً بيوم القيمة •

سورة الدهر

[هَلْ] بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل اهل بدليل قوله • ع • اهل رأونا بفتح القاع ذي الاكم •
فالمعنى اقد اتى على التقرير والتقريب جميعا اي [أتى على الانسان] قبل زمان قريب [حِينَ مِنَ الدَّهْرِ] لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْئًا مَذْكُورًا اي كان شيئاً مذهباً غير مذكور نطفة في الاصلاص والمراد بالانسان جنس بني آدم بدليل قوله إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ - حِينَ مِنَ الدَّهْرِ طائفة من الزمان الطويل الممتد - فان قلت ما محل لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا - قلت محله النصب على الحال من الانسان كانه قيل هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور - او الرفع على الوصف لِحِينَ كقوله يوماً لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ - وعن بعضهم انها تليمت عنده فقال ليتها تمت اراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئاً غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف [نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ] كبرمة اعشار وبر اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للانفراد ويقال ايضاً نطفة مشج - وقال الشماخ • شعر • طوت احشاء مرتجة لوقت • على مشج سلالته مهين • ولا يصح امشاج ان يكون تكهيراً له بل هما مذلان في الانراد لوصف المفرد بهما ومشج ومزجج بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماء ان - وعن ابن مسعود هي عروق النطفة - وعن قتادة امشاج الوان و اطوار يريد انها تكون نطفة ثم عاقة ثم مضغة [نَبْتَلِيهِ] في موضع الحال اي خالقنا مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائداً به غدا تريد قاصداً به الصيد غدا - ويجوز ان يراد فاقلين له من حال الى حال فسمي ذلك ابتلاء

سورة القيمة ٧٥

الجزء ٢٩

ع ١٧

تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۖ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۖ وَقِيلَ مَنْ سَكَّتَهُ رَاقٍ ۖ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۖ وَالتَّفْطِ
السَّاقُ بِالسَّاقِ ۖ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ۖ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ۖ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۖ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ
يَتَمَطَّى ۖ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۖ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۖ ائْتَحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى ۖ أَلَمْ يَكُ

الْمُسْتَقَرُّ - إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ - إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ - وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ - وَاللَّهُ الْمَصِيرُ - عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ - وَإِلَيْهِ
أُنِيبُ كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص و معلوم انهم ينظرون الى اشياء لا يحيط بها الحصر
ولا تدخل تحت العدد في محشر تجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الامنون
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على
معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي يريد
معنى التوقع و الرجاء - ومنه قول القائل • شعر • و اذا نظرت اليك من ملك • و البحر دونك زدني نعمة •
وسمعت سرورية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم و يادون الى مقائلهم تقول عييتني نويرة
الى الله و اليكم و المعنى انهم لا يتوقعون النعمة و الكرامة الا من ربه كما كانوا في الدنيا لا يخشون و لا يرجون
الا اياه - و البأسر الشديد العبدوس و البأسل اشد منه و لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه [تَظُنُّ]
تتوقع [أَنْ يُفْعَلَ بِهَا] فعل هو في شدته و فظاعته [فَاقِرَةٌ] داهية تقصم فغار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة ان
يفعل بها كل خير [كَلَّا] ردع عن ايدار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك و تنبهوا على ما بين
ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم و تنتقلون الى الاجلة اللتي تبقون فيها مخلدين - والضمير
في [بَلَغَتِ] للنفوس و ان لم يجز لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها - كما قال حاتم • شعر • أماوي ما
يغذي الثراء عن الفتى • اذا حشرجت يوما و ضاق بها الصدر • و تقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر
و لا تكاد تسمعونهم يذكررون السماء [التَّرَاقِيَ] العظام المكثفة لثغرة النحر عن يمين و شمال ذكرهم صعوبة
الموت الذي هو اول مراحل الآخرة حين يبلغ الروح التراقي و دنا زهوقتها و قال حاضروا صاحبها وهو
المحتضر بعضهم لبعض [مَنْ رَاقٍ] ايتكم برفقه مما به - و قيل هو من كلام ملئكة الموت ايتكم برفقه ببروحه
ملئكة الرحمة ام ملئكة العذاب [وَظَنَّ] المحتضر [أَنَّهُ الْفِرَاقُ] ان هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة
[وَالتَّفْطِ] ساقه بساقه و التوت عليها عند علز الموت - و عن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه و قد كان
عليهما جوالا - و قيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على ان الساق مثل في الشدة - و عن سعيد
بن المسيب هما ساقاه حين تلقان في اصفاه [الْمَسَاقُ] ابي يساق الى الله و الى حكمه [فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى]
يعني الانسان في قوله ائْتَحَسَبُ الْإِنْسَانُ اَلَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ اَلَا تَرَىٰ اِلَىٰ قَوْلِهِ ائْتَحَسَبُ الْإِنْسَانُ اَنْ يَتْرَكَ
سُدًى و هو معطوف على قوله يَفْعَلُ اَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ اَي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول و القرآن و لا
صلّى - و يجوز ان يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاة - و قيل نزلت في ابي جهل [يَتَمَطَّى] يتبختر و امله

سورة القيمة ٧٥
الجزء ٢٩
ع ١٦

الْمُسْتَقَرُّ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۚ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۚ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۚ
لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۚ
كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۚ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۚ وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ۚ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ وَجُودَ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۚ

مشيئة من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار [بما قَدَّمَ] من عمل عمله [و] بما [أَخَّرَ] منه لم يعمله -
او بما قَدَّمَ من ماله فتصدق به وبما أَخَّرَ فحلفه - او بما قَدَّمَ من عمل الخير والشر وبما أَخَّرَ من سنة حسنة او سيئة
فعمل بها بعده - وعن مجاهد باول عمله واخرة - ونحوه فيذنبهم بما عملوا - احصاه الله ونسوه [بصيرة]
حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الايات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم ايتنا
مبصرة - او عين بصيرة والمعنى انه يذنبوا باعماله وان لم يذنبوا ففيه ما يجزى عن الانباء لانه شاهد عليها بما
عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون [ولو القى
معاذيره] ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها - وعن الضحاك ولو ارضى ستورة
وقال المعاذير المستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب -
فان قلت اليس قياس المعذرة ان تجمع معاذير لا معاذير - قلت المعاذير ليس تجمع معذرة وانما هو اسم
جمع لها ونحوه المناكير في المنكر - الضمير في [به] للقران و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اذا لقن الوحي نازع جبرئيل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مصارعة الى الحفظ وخونا من ان ينفلت
منه فامروا بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضي اليه وحيه ثم يقف به بالدراسة الى ان يرسخ
فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبرئيل صلوات الله عليه يقرأ [لتعجل به]
لتأخذ به على عجلة ولنا ينفلت منك - ثم علق النهي عن العجلة بقوله [ان علينا جمعه] في صدرك
وانبات قراءته في لسانك [فاذا قرأه] جعل قراءة جبرئيل قراءته والقران القراءة [فاتبع قرأه] فكن مقفيا له
فيه ولا ترأسه وطأ من نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه [ثم ان علينا بيانه]
اذا اشكل عليك شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والموال عن المعنى جميعا كما ترى بعض
الحراس على العلم ونحوه ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه [كلا] ردع لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناء والتؤدة وقد بالغ في ذلك
باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني آدم لانكم خلقت من عجل وطبعتم عليه تعجلون
في كل شيء ومن ثم [تحبون العاجلة وتذرون الآخرة] - وقرئ بالياء وهو ابلغ - فان قلت كيف اتصل قوله
ولا تحرك به لسانك الى آخرة بذكر القيمة - قلت اتصاله به من جهة هذا التلخيص منه الى التوبيخ بحسب
العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة - الوجه عبارة عن الجملة - والناصرة من نصرة النعيم - [الى ربها ناظرة]
تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ

سورة القيمة ٧٥

الجزء ٢٩

ع ١٦

عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ۖ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۚ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۚ
وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۚ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ ۚ كَلَّا لَا وَزَرَ ۚ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ

و طيرتها في ابعاد الارض - و قيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق و هما اللذان كان رسول
الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه و آله
و سلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم
فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد و لم اؤمن به او يجمع الله العظام ففرمت - [بلى]
اوجبت ما بعد الذغي وهو الجمع فكأنه قيل بلى نجعلها و [قادرين] حال من الضمير في نجعل اي نجعل العظام
قادرين على تاليف جميعها و اعادتها الى التركيب الاول الى [أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ] اي اصابعه اللتي هي
اطرافه و آخر ما يتم به خلقه - او على ان نسوي بنانه و نضم سلامياته على صغرها و لطافتها بعضها الى
بعض كما كانت اولا من غير نقصان و لا تفاوت فكيف بكبار العظام - و قيل معناه بلى نجعلها و نحن
قادرين على ان نسوي اصابع يديه و رجليه اي نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير و حافر الحمار لا
نفرق بينها فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا مما يعمل باصابعه المفردة ذات المفاصل و الانامل من فنون الاعمال
و البسط و القبض و التآني لما يريد من الحوائج - و قرئ قادرين اي نحن قادرين [بَلْ يُرِيدُ] عطف
على ائْتَسَبَ - فيجوز ان يكون مثله استفهاما - و ان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى آخر -
او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب [لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ] ليدوم على فجورة فيما بين يديه من الاوقات
و فيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه - و عن سعيد بن جبير يقدم الذنب و يؤخر التوبة يقول سوف اتوب
سوف اتوب حتى ياتي الموت على شراحواله و امورا اعماله [يَسْأَلُ] سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في
قوله [أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ] ونحوه و يقولون متى هذا الوعد - [بَرِقَ الْبَصَرُ] تحير فزعاً و اصله من برق الرجل اذا
نظر الى البرق فدهش بصره - و قرئ برق من البريق اي لمع من شدة شخوصه - و قرأ ابو السمال بلقى
اذا انفتح و انفرج يقال بلى الباب و ابلقته و بلقته فتحت [وَخَسَفَ الْقَمَرُ] و ذهب ضوءه او ذهب بنفسه -
و قرئ و خسف على البناء للمفعول [وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ] حيث يطلعهما الله من المغرب -
و قيل و جمعا في ذهاب الضوء - و قيل يجمعان امودين مكتوبين كأنهما ثوران عقيران في النار - و قيل
يجمعان ثم يقذفان في البحر فتكون نار الله الكبرى [الْمَفْرُجُ] بالفتح المصدر - و بالكسر المكان - و يجوز ان
يكون مصدرا كالمراجع - و قرئ بهما [كَلَّا] ردع عن طالب المفر [لَا وَزَرَ] لا ملجأ و كل ما التجأت اليه
من جبل او غيره و تخلصت به فهو وزرك [إِلَىٰ رَبِّكَ] خاصة [يَوْمَئِذٍ] مستقر العباد اي استقرارهم يعني
انهم لا يقدر ان يستقروا الى غيره و ينصبوا اليه - او الى حكمه ترجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله
تعالى لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ - او الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار اي مفوض ذلك الى

حروفها
٩٨٢

سورة القيمة مكتبة وهي اربعون آية وفيها ركوعان •

سورة القيمة ٧٥
كلماتها
١٩٤

الجزء ٢٩

ع ١٩

بسم الله الرحمن الرحيم •

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ • وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ • اِنْحَسَبِ الْإِنْسَانُ الْآنَ تَجْمَعُ عِظَامُهُ • بِأَيِّ قَادِرِينَ

الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد و كذب به بمكة •

سورة القيمة

ادخال لا الذاتية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم - قال امرؤ القيس • شعر • لا و ابيك ابنة
العاصري • لا يدعي القوم اني افر • وقال غوبة بن سلمى • شعر • ألا ناديت امامة باحتمال • لتكننني فلا بك ما
أبالي • وفائدتها تأكيد القسم - وقالوا انها صلة مثلها في ثلثا يعلم أهل الكتب - وفي قوله • ع • في بيدرا حورسرى وما
شعر • واعترضوا عليه بانها انما ترد في وسط الكلام لا في اوله واجابوا بان القرآن في حكم سورة واحدة متصل
بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد الا ترى الى
امرؤ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذاك انه لا
يقسم بالشيء الا اعظاما له يدتك عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه
بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعنى انه يستأهل فوق ذلك - وقيل
ان لا نفي لكلام ورد له قبل القسم كأنهم انكروا البعث ف قيل لا ابي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل أقسم
بيوم القيمة - فان قلت قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات اللتي انشدتها المقسم عليه فيها منفي
فها لا زعمت ان لا اللتي قبل القسم زبدت موطئة للنفي بعده و مؤكدة له و قدرت المقسم عليه المحذوف
هذه منفي كقولك لا أقسم بيوم القيمة لا يتحرك مدى - قلت لو قصر الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا
القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف لقي لا أقسم بهذا الباد بقوله لقد خلقنا الإنسان في كبد و كذلك
فلا أقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم - و قرئ لا أقسم على ان الامم لا ابتداء و أقسم خبر مبتدأ
محذوف معناه أنا أقسم قالوا ويعضده انه في الامام بغير الف [بالنفس اللوامة] بالنفس المتقية
التي تلوم النفوس فيه اي في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى - او باللتي لا تزال تلوم نفسها و ان
اجتهدت في الاحسان - و عن الحسن ان المؤمن لا تراه الا لما نفسه و ان الكافر يمضي قدما لا يعاتب
نفسه - وقيل هي اللتي تتلوم يومئذ على ترك الاذيات ان كانت محسنة و على التفريط ان كانت
مسيئة - وقيل هي نفس آدم لم تنزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة - وجواب القسم
ما دل عليه قوله [انحسب الإنسان الآن تجمّع عظامه] وهو لتبعثن - وقرأ قتادة الآن تجمّع عظامه على
البناء للمفعول و المعنى نجمها بعد تمزيقها و رجوعها رميم و رفاتها متقاطعا بالتراب و بعد ما سفتها الرياح

صُحُفًا مَنَشْرُورَةً ۖ كَلَّا ۚ بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۖ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۖ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ
هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۚ

سورة المدثر ٧٤

الجزء ٢٩

ع ١٦

و غيره من المواعظ [معرضين] نصب على الحال كقولك مالك مالك قائما - و المستذكرة الشديدة النفار
كانها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له و حملها عليه - و قرئ بالفتح وهي المذكرة المحمولة على
النفار - و القسورة جماعة من الرماة الذين يتصيدونها - و قيل الاسد يقال ليوث قسار و هي فعولة من
القسر و هو القهر و الغلبة و في وزنه الحيدرة من اسماء الاسد - و عن ابن عباس ركن الناس و اصواتهم -
و عن عكرمة ظلمة الليل - شبههم في اعراضهم عن القرآن و استماع الذكر و الموعظة و شرادهم عنه بحمر جذت
في نفاها مما افزعها و في تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة و تهجين لخالهم بين كما في قوله كمثلي النجم
يحمل أسفارا و شهادة عليهم بالبله و قلة العقل و لا ترى مثل نفار حمير الوحش و اطرادها في العدو اذا
رابها رائب و لذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل و شدة سيرها بالحمر و عدوها اذا وردت
ماء فاحست عليه بقانص [صُحُفًا مَنَشْرُورَةً] قراطيس تنشر و تقرأ كالكتب التي يتكاتب بها - او كتباً
كُتبت في السماء و نزلت بها الملكة ساعة كُتبت منشورة على ايديها غضة رطبة لم تطوب بعد و ذلك انهم
قالوا لرسول الله لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء عُذوانها من رب العالمين الى
فلان بن فلان فامر فيها باتباعك - و نحوه قوله و ان تؤمن لربك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه - و قال و لو
نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم الآية - و قيل قالوا ان كان محمد صادقا فايصبح عند رأس كل
رجل منا صحيفة فيها براءته و آمنه من النار - و قيل كانوا يقولون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل
كان يصبغ مكتوبا على رأسه ذنبه و كفارته فاتنا بمثل ذاك و هذا من الصحف المنشورة بمعزل الا ان
يراد بالصحف المنشورة الكتابات الظاهرة المكشوفة - و قرأ سعيد بن جبير صُحُفًا مَنَشْرُورَةً بتخفيفهما على
ان انشر الصحف و نشرها واحد كآذله و نزل - ردهم بقوله [كَلَّا] عن تلك الارادة و زجرهم عن اقتراح الآيات
ثم قال [بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ] فلذلك اعرضوا عن التذكرة لامتناع ايتاء الصحف - ثم ردهم عن اعراضهم عن
التذكرة و قال [إِنَّهُ تَذَكُّرٌ] يعني تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في الكفاية [فَمَنْ شَاءَ] ان يذكره و لا يغساه و يجعله
نصب عينه فعل فان نفع ذلك راجع اليه و الضمير في انه و ذكره للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة
معرضين و انما ذكر لانها في معنى الذكر او القرآن [وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ] يعني الا ان يقسروهم على
الذكر و يلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم لا يؤمنون اخذيارا [هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ]
هو حقيق بان يتقيه عبادة و يخافوا عقابه فيؤمنوا و يطيعوا و حقيق بان يغفر لهم اذا امنوا و اطاعوا - و روى
انس عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هو اهل ان يتقى و اهل ان يغفر لمن اتقاه - و قرئ
يَذْكُرُونَ بالتاء - و الياء - مشددا - و مخففا - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة المدثر اعطاه

سورة المدثر ٧٤
الجزء ٢٩
ع ١٥
الثالث

أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۖ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ۖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۖ فِي جَنَّاتٍ يَدْخُلُونَ ۖ عَنْ
الْمُجْرِمِينَ ۖ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ وَ لَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۖ وَ كَذًا نَخْوَضُ
مَعَ الْخَائِضِينَ ۖ وَ كَذًا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۖ حَتَّىٰ آتَا الْيَقِينَ ۖ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۖ فَمَا لَهُمْ
عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ۖ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۖ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ۖ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ

ان يصآي و معناه مطلق لمن شاء التقدم او يتأخر و المراد بالتقدم و التأخر السابق
الى الخير و التخلف عنه و هو كقوله فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَ مَنْ شَاءَ فَلْيَنْكُرْ - و يجوز ان يكون لمن شاء بدلا من
للبشر عاى انها منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاؤا تقدموا فجازوا و ان شاؤا تأخروا فهلكوا [رَهِينَةٌ]
ليس بتأنيث رهين في قوله كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقل
رهين لان فعلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكور و المؤنث و انما هي اسم بمعنى الرهن كالشئيمة بمعنى
الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن و منه بيت الحماسة • شعر • أ بعد الذي بالضعف نفع كويكب •
رهينة رمس ذي تراب و جذل • كانه قال رهن رمس و المعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك
[إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ] فانهم فكوا عنه رقابهم بما اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنة بآداء الحق -
و عن علي رضي الله عنه انه فسر اصحاب اليمين بالاطفال لانهم لا اعمال لهم يرتهدون بها - و عن ابن عباس
هم الملائكة [فِي جَنَّاتٍ] اي هم في جنات لا يكتنه وصفها [يَدْخُلُونَ] يسأل بعضهم بعضا
عنهم - او يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوتك و تداعيناه - فان قلت كيف طابق قوله [مَا سَلَكَكُمْ] وهو سؤال
للمجرمين قوله يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ وهو سؤال عنهم و انما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين
مَا سَلَكَكُمْ - قلت مَا سَلَكَكُمْ ليس ببيان للتساؤل عنهم و انما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لان المسؤولين
يلقون الى السائلين ما جرى بينهم و بين المجرمين فيقولون قلنا لهم مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ
الْمُصَلِّينَ الا ان الكلام جيء به على الكذف و الاختصار كما هو نهج التفسير في غرابة نظمه - الخوض
الشروع في الباطل و ما لا ينبغي - فان قلت لم يسألونهم و هم عالمون بذلك - قلت توبيخا لهم و تحسيرا
و ليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين و قد عضد بعضهم تفسير اصحاب اليمين بالاطفال انهم
انما سألوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار - فان قلت أيريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه
الاربعة دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه و بعضهم بهذه - قلت يستعمل الامرين جميعا - فان قلت لم آخر
التكذيب و هو اعظمها - قلت ارادوا انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله
ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا - و [الْيَقِينَ] الموت و مقدماته - اي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة
و الزبدين و غيرهم لم ينفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله و هم مسخوط عليهم و فيه دليل على ان
الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد في درجات المرتضين - [عَنِ التَّذْكَرَةِ] عن التذكير و هو العظة يريد القرآن

سورة المدثر ٧٤

الجزء ٢٩

ع ١٥

مَثَلًا ۖ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُزُوءَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ۚ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۚ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ۚ وَالصُّبْحِ إِذَا أَتَفَرَ ۚ إِنَّهَا إِلَّا لَأَحَدَى الْكُبَرِ ۚ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۚ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ

معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة ان يكون غرضاً الا ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك [مثلاً] تمييزاً لهذا - او حال منه كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية - فان قلت لم سموه مثلاً - قلت هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغراباً منهم لهذا العدد واستبداعاً له والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي غرض قصد في ان جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء و مرادهم انكاره من اصله و انه ليس من عند الله و انه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص - الكف في [كذا] نصب و ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى [يضل الله] الكافرين [ويهدي] المؤمنين يعني يفعل فعلاً حسناً مبنياً على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة و يدعون له لاعتقادهم ان افعال الله كلها حسنة و حكمة فيزيدهم ايماناً و ينكروه الكافرون و يشتمون فيه فيزيدهم كفراً وضلالاً [و ما يعلم جزؤ ربك] و ما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل و بعضها على عدد ناقص و ما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة [إلا هو] ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في اعداد السموات والارضين و ايام السنة و الشهور و البروج و الكواكب و اعداد النصب والحدود والكفارات و الصلوات في الشريعة - او و ما يعلم جزؤ ربك لفرط كثرتها إلا هو فلا يعز عليه تكميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها و هو يعلمها - وقيل هو جواب لقول ابي جهل اما لرب محمد أعوان الا تسعة عشر - و ما جعلنا أصحاب النار الا الى قوله إلا هو اعتراض وقوله [و ما هي الا ذكري] متصل بوصف مقر وهي ضميرها اي و ما سقرو صفتها الا تذكرة للبشر - او ضمير الايات التي ذكرت فيها - [كلاً] انكار بعد ان جعلها ذكري ان يكون لهم ذكري لانهم لا يتذكرون - اوردع لمن يفكر ان يكون احدى الكبر نذيراً - ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل - ومنه صاروا كامس الدابر - وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه - و قرى اذ ادبر [انها لاحدى الكبر] جواب القسم او تعليل لكلاً والقسم معترض للتوكيد - والكبر جمع الكبري جعلت الف التانيث كذاثها فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السواني في جمع السافياء والقوامع في جمع القاصعاء كآتها جمع فاعلة اي لاحدى البليات والدواهي الكبر ومعنى كونها احدهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء [نذيراً] تمييزاً من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذاراً كما تقول هي احدى النساء عفاً - وقيل هي حال - وقيل هو متصل باول السورة يعني قم نذيراً و هو من بدع التفامير - و في قراءة أبي نذير بالرفع خبر بعد خبر لن ان بحذف المبتدأ [ان يتقدم] في موضع الرفع بالابتداء و لمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توفداً

وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا

والانس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرفقة ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوانتهم ولانهم اشد الخلق بأسا واقواهم بطشا - وعن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفع الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اعينهم البرق وكان اقواهم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبتة جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم - وروي انه لما نزلت عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كهشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الداهم أبعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشدة بن اسيد بن كعدة الجهمي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم انذين فانزل الله تعالى وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً أَمْ يَجْعَلُ اللَّهُ أُولَئِكَ أَطْفَالًا مِنْ جَنْسِكُمْ يَطَاقُونَ - فان قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك - قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُم إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا - وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُم إِلَّا تِسْعَةَ عَشَرَ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستعزج ولا يدع اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كانه قيل ولقد جعلنا عِدَّتَهُم عِدَّة من شأنها ان يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان اهل الكتاب لان عِدَّتَهُم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن ايقنوا انه منزل من الله وازداد المؤمنين ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما انزل ولما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك - فان قمت لم قال [وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ] والاستيقان وازدياد الايمان دلا على انتفاء الارتياب - قلت لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفي الشك كان ابلغ وأكد لوصفهم بسكون النفس وتلج الصدر وان فيه تعريضا بحال من عداهم كانه قال ولا يخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من اهل النفاق والكفر - فان قلت كيف ذكر [الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة - قلت معناه وايقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة [مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا] وليس في ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبار بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية - ويجوز ان يراد بالمرضى الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب - فان قلت قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب ان الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح ان يكونا غرضين فكيف صح ان يكون قول المنافقين والكافرين غرضا - قلت افادت اللام

عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ سَاطِلِيهِ سَقَرٌ ۖ
وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۖ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۖ لَوَاحٍ لِلْبَشَرِ ۖ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ۖ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ
إِلَّا مَلَكُةً ۖ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُم إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّانَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا

سورة المدثر ٧٤

الجزء ٢٩

ج ١٤

سمعت من محمد أنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطارة وان اعلاه لمثمر وان احفله لمغدق وانه يعلم وما يعلم فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فقعده اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال اتزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يائره عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه - ثم نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا - لما خطرت ببالي الكلمة الشذعاء وهم بان يرمي بها وصف اشكاهم اللتي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به - وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدبر ما يقول - وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال و ثم نظر عطف على فكرو قدر والدعاء اعتراض بينهما - فان قلت ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء - قلت الدلالة على ان الكوة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله ع * الا يا اسامي ثم اسلمي ثم اسلمي - فان قلت فما معنى المتوسطة بين الافعال اللتي بعدها - قلت الدلالة على انه قد تأنى في التأمل وتمهل وكان بين الافعال المتزامنة تراخ وتباعد فان قلت فلم قيل [فقال ان هذا] بالغاء بعد عطف ما قبله بضم - قات لان الكلمة لما خطرت ببالي بعد التطلب لم يتمالك ان ينطق بها من غير تأبث - فان قلت فام لم يوسط حرف العطف بين الجمليتين - قلت لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد من المؤكد [ساطليهم سقر] بدل من ساطله صغورا [لا تبقي] شيئا يلقي فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذر هالكا حتى يعاد - اولا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة [لواحة] من لوح الهجير - قال شعر * تقول ما لاحك بامسافر يا بذت عمي لاحني الهواجر * قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل - والبشر اعالي الجلود - وعن الحسن تلوح للناس كقوله ثم لقرنها عين اليقين - وقرى لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل [عليها تسعة عشر] اي يلي امرها ويتسلط على اهلها تسعة عشر ملكا - وقيل صنفا من الملكة - وقيل صفا - وقيل نقيبا - وقرى تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد - وقرى تسعة عشر جمع عشير مثل يمين وايم - جعلهم ملكة لانهم خلاف جنس المعتدين من الجن

لَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا عَذَابًا ۚ سَاءَ رَهِيقُهُ صَوُّوْنَ ۚ إِنَّهُ نَكَرَ ۚ وَقَدَّرَ ۚ فَتَقَبَّلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۚ ثُمَّ قَبَّلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۚ ثُمَّ نَظَرَ ۚ ثُمَّ

هو ما كان له بين مكة والطائف من صذوف الاموال - وقيل كان له بستان بالطائف لا يذق ثماره صيفاً وشتاءً - وقيل كان له الف مثقال - وقيل اربعة آلاف - وقيل تسعة آلاف - وقيل الف الف - وعن ابن جريح غلة شهر بشهر [وَبَيِّنَ شَهْرًا] حضوراً معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لانهم مكفيون لو قدر نعمة ايدهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بانفسهم فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق اليهم - ويجوز ان يكون معناه انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل - او تسمع شهاداتهم فيما يتحاكم فيه - وعن مجاهد كان له عشرة بدين - وقيل ثلثة عشر - وقيل سبعة كلهم رجال - الوليد بن الوليد - وخالد - وعمار - وهشام - والعاص - وقيس - وعبد شمس - اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمار [وَمَهَّدَتْ لَهُ تَمِيمًا] وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ومنه قول الناس ادام الله تأييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من رجاء قريش وصادقهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش [ثُمَّ يَطْمَعُ] استبعاد واستنكار لطعمه وحرصه يعني انه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة - وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقاً فما خلقت الجنة الا لي [كَلَّا] ردع له وقطع لرجائه وطعمه [اِنَّهُ كَانَ لَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا عَذَابًا] تعليل للردع على وجه الاستيذان كأن قائله قال لم لا يزد فقل انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد - ويروى انه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك [سَاءَ رَهِيقُهُ صَوُّوْنَ] ساء شيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقي من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما رضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت - وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوى فيه كذاك ابداً [اِنَّهُ فَكَّرَ] تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والدال بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الآخرة بashed العذاب وانطعمه لبلوغه بالعناد غايته واقصاه في تفكيره وتسميته القرآن سحراً - ويجوز ان تكون كلمة الردع متبوعة بقوله سَاءَ رَهِيقُهُ صَوُّوْنَ رداً للزعم ان الجنة لم تخلق الا له واخباراً بانه من اشد اهل النار عذاباً ويعتل ذلك بعناده ويكون قوله اِنَّهُ فَكَّرَ بدلاً من قوله اِنَّهُ كَانَ لَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا عَذَابًا لئلا يبيانا لكذه عناده ومعناه فكر ماذا يقول في القرآن وقدر في نفسه ما يقوله وهيبه [فَتَقَبَّلَ كَيْفَ قَدَّرَ] تعجب من تقديره واصابته فيه المحزن ورميه الغرض الذي ينتجده قريش - او ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به - او هي حكاية لما كروه من قولهم قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ تهنأ بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يتحسد ويدعو عليه حاسده بذلك - روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد

سورة المدثر ٧٤

الجزء ٢٩

ع ١٤

فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ ۖ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۖ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۖ ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتَ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهْدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ

له ولائته - وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلثة اوجه - الابدال من تمنن كأنه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه من المن في قوله عز ولا ثم لا يتبعون ما أنفقوا صدًا ولا اذى لان من شان المذنب بما يعطي ان يستكثره اي يراه كثيرا ويعتد به - وان يشبه ثرو بعضه فيستن تخفيفا - وان يعتبر حال الوقف - وقرأ الاعمش بالنصب باضمار ان كقوله ع * ألا ايها الزاجري احضر الوغى * ويؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر - ويجوز في الرفع ان تحذف ان ويبدل عملها كما روي احضر الوغى بالرفع [ولربك فاضبر] ووجه الله فاستعمل الصبر - وقيل على اذى المشركين - وقيل على اداء الفرائض - وعن النخعي على عظيمك كأنه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار - والوجه ان يكون امرا بنفس الفعل - وان يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على اذى الكفار لانه احد ما يتناولها العام والغاء في قوله فإذا نقر للنسجيب كأنه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والغاء في ذلك للجزاء - فان قلت بم انتصب اذا وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير - قلت انتصب اذا بما دل عليه الجزء لان المعنى فإذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذاك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيمة يأتي ويقع حين يفقر في الناقور - واختلف في انها الفخمة الاولى ام الثانية - ويجوز ان يكون يومئذ مبدئا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير - فان قلت فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغني عنه - قلت لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسايتهم - ويجوز ان يراد انه عسير لا يرجي ان يرجع يسيرا كما يرجي تيسير العسير من امور الدنيا [وحيدا] حال من الله عز وجل على معنيين - احدهما ذرني وحدي معه فانا اجزئك في الانتقام منه عن كل منتقم - والثاني خلقة وحدي لم يشركني في خلقه احد - او حال من المخلوق على معنى خلقة وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة - وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فان كان ملقبابا قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمنونه من مدحه والثناء عليه بانه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا الى وجه الذم والعيب وهو انه خالق وحيدا لا مال له ولا ولد فاذاه الله فذلك فكفر بنعمة الله واشرك به واستهزا بدينه [ممدودا] مبسوطا كثيرا - او ممددا بالنماء من مد النهر ومده نهر اخر - قيل كان له الزرع والضرع والتجارة - وعن ابن عباس

الانصار شعاز والناس دثار - وقيل هي اول سورة نزلت - روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كنت على جبل حراء فذوديت يا محمد انك رسول الله فظننت عن يميني ويساري فلم ار شيئاً فظننت فوقي فرأيت شيئاً وفي رواية عائشة رضي الله عنها فظننت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبرئيل عليه السلام وقال يا ايها المدثر - وعن الزهري اول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك الذي قوله ما لم يعلم فمزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يعلو شواحق الجبال فاتاه جبرئيل فقال انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر - وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بذنوبه مفكراً كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذره - وعن عكرمة انه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال في المزمّل [قُم] من مضجعتك - او قُم قيام عزم وتصميم [فَاذْخُرْ] فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والصحيح ان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد [وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ] واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر - ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اكبر فكبرت خديجة رضي الله عنها وفرحت وايقنت انه الوحي - وقد يحمل على تكبير الصلوة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره [وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ] امر بان يكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلوة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلوة وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثاً - وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرحهم الذيل وذلك ما لا يؤمن معه اصابة النجاسة - وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقدر من الافعال ويستحسن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعائب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلبس الانسان ويشتمل عليه فكُنِّي به عنه الاترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما يقولون اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حُلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاها عنى بتطهير الظاهر وتقويمه وابى الاجتناب الخبث وايدار الطهر في كل شيء [وَالرِّجْزَ] قرعى بالكسر - والضم وهو العذاب ومعناه هجر ما يؤذي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المأثم والمعنى الثبات على هجرة لانه كان بريئاً منه - قرأ الحسن ولا تمن وتستنكث مرفوع منصوب المحل على الحال اي ولا تعط مستكثراً رائيماً لما تعطيه كثيراً او طالبا للكثير نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيئاً وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومذه الحديث المستغزر يثاب من هبته - وفيه وجهان - احدهما ان يكون نهياً خاصاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والى الله عليه وآله وسلم لان الله اختار له اشرف الآداب واحسن الاخلاق - والثاني ان يكون نهياً تزيهياً لا تحريم

مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ط وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ تُجَدِّدُهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا ط وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ط إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ع

سورة المدثر ٧٤
الجزء ٢٩
ع ١٤

كلماتها ٢٥٩
سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية وفيها ركوعان •
حروفها ١١٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ • قُمْ فَأَنْذِرْ • وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ • وَنَبَأُكَ فَطَهِّرْ • وَالرُّجْزَ فَاهْجِرْ • وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ • وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ •

[فَتَأَبَّ عَنْكَ] عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله تعالى فَتَأَبَّ عَنْكَ عَلَىكَمْ وَغَفَا عَنْكُمْ فَالْعَنَ بِأَشْرَوْهِنَّ
والمعنى انه رفع القبعة في تركه عنكم كما يرفع القبعة عن النائب - وعبر عن الصلوة بالقراءة لانها بعض
أركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل وهذا
فاسخ الاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس - وقيل هي قراءة القرآن بعينها - وقيل يقرأ مائة آية ومن
قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن - وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين - وقيل خمسين آية وقد
بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الأرض للتجارة والمجاهدين في
سبيل الله - وقيل هوى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الكمال - وعن عبد الله بن مسعود
ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من
الشهداء - وعن عبد الله بن عمر ما خلق الله مائة أموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان
اموت بين شعبتي رجل اضرب في الأرض ابتغي من فضل الله - وعلم استيناف على تقدير السؤال عن
عن وجه النسخ [وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ] يعنى المفروضة والزكاة الواجبة - وقيل زكاة الفطر لانه لم يكن بمكة
زكاة وانما وجدت بعد ذلك - ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر الصورة مدينا - [وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا] يجوز ان يريد سائر الصدقات - وان يريد اداء الزكاة على احسن وجه من اخراج اطيب المال
واعودة على الفقراء ومراعاة الذية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق - وان يريد كل شيء يفعل
من الخير مما يتعلق بالنفس والمال [خَيْرًا] ثاني مفعولي وجد وهو فصل وجاز وان لم يقع بين
معرفتين لان افعول من اشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة - وقرأ ابو السمال هو خير وأعظم
أجرا بالرفع على الابتداء والخبر - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله
عنه العسر في الدنيا والآخرة •

سورة المدثر

[الْمُدَّثِّرُ] لابس الدثار وهو ما فوق الشعر وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه السلام

يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۖ السَّمَاءُ مَنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۚ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۚ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ
سَبِيلًا ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ
يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَأْتِيَكُمْ فَتَاقِرُوا ۚ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ

القيمة والجزاء لأن تقوى الله خوف عقابه و [يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا] مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد
يوم شيب نواصي الأطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقت على الانسان اصرع فيه الشيب
قال ابو الطيب شعره والهم يختدم الجسم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم وقد مر بي في بعض الكتب
ان رجلا امسى فاحم الشعر كحذك الغراب واصبح وهو ابيض الرأس واللحية كالنغامة فقال اريت القيمة
والجنة والزار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون
ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الأطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب [السَّمَاءُ مَنفَطِرٌ بِهِ]
وصف لليوم بالشدة ايضاً وان السماء على عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلق - قرئ
مَنفَطِرٌ - و مَنفَطِرٌ والمعنى ذات انفطار - او على تأويل السماء بالسقف - او السماء شي منفطرو الباء في به
مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني انها تنفطر بشدة ذلك اليوم و هو له كما ينفطر
الشيء بما يفطر به - ويجوز ان يراد السماء مقلقة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها
من وقوعه كقوله ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ [وَعْدُهُ] من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم -
ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله عز و علا ولم يجز له ذكر لكونه معلوما [إِنَّ هَذِهِ] الايات
الناطقة بالوعيد الشديد [تَذْكِرَةٌ] موعظة [فَمَنْ شَاءَ] اتعظ بها و [اتَّخَذَ] سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى
اتخذ السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة [اَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ] اقل منهما وانما استعير الادنى
وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشئيين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك - و قرئ
و نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين و تقوم النصف و الثلث وهو مطابق لما مر في
اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه و بين قيام الناقص منه وهو الثلث و بين قيام
الزائد عايه وهو ادنى من الثلثين - و قرئ وَ نِصْفِهِ وَ ثُلُثِهِ بالجر اي تقوم اقل من الثلثين و اقل
من النصف و الثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين و الثلث وهو ادنى
من النصف و الربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير [وَ طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ] و تقوم
ذلك جماعة من اصحابك [وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ] ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير
ساعاتهما الا الله وحده و تقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنياً عليه يُقَدِّرُ هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير
و المعنى انكم لا تقدرون عليه و الضمير في [لَنْ تُحْصَوْهُ] لمصدر يُقَدِّرُ اي علم انه لا يصح منكم ضبط
الاوراق ولا يثاقى حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تأخذوا بالوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم

هَجْرًا جَمِيلًا ۝ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَىٰ الدَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا ۝ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا ۖ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيدًا ۖ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا

سورة المزمل ٧٣
الجزء ٢٩
ع ١٢

والاظهار - الهجر الجميل ان يجانبهم بقلبه وهواه وبخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والاغضاء وترك المكافاة - وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقلبيهم - وقيل هو منسوخ بآية السيف - اذا عرف الرجل من صاحبه انه مستهم بخطب يريد ان يكفاه او بعدو يشتبهى ان يذنب له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني واية اي لا يحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا ان تخلي بيدي وبيده بان تكمل امره الي وتستكفيذيه فان في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثمه منع حتى يطلب منه ان يذره واية الا ترك الاستكفاء والتفويض كانه اذا لم يكمل اليه امره فكأنه منعه منه فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واية وفيه دليل على الوثوق بانه يتمكن من الوفاء باقصى ما تدور حوله امنية المخاطب وبما يزيد عليه - النعمة بالفتح التنعم - وبالكسر الانعام - وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عمن وهم صناديد قريش وكانوا اهل تنعم وترنم [ان لديننا] ما يصاد تنعمهم - من انكال وهي القيود الثقالة - عن الشعبي اذا ارتفعوا استقلت بهم الواحد نكل ونكل - ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والانتقاد - ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلق فلا يساغ يعذي الضريع وشجر الزقوم - ومن عذاب اليم من سائر العذاب فلا تروى موكولا اليه امرهم مودورا بيده وبيدهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام - وروي ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قرأ هذه الآية فصعق - وعن الحسن انه امسى صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضعه عنده الليلة الذبيبة فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الثالثة فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق - [يوم ترجف] منصوب بما في لدينا - والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة - والكذيب الرمل المجتمع من كذب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول في اصله ومنه الكذبة من اللبن قالت الصائفة ع • اجز جفالا واحلب كذبا عجالا • اي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيل اي نشر واسيد • الخطاب لاهل مكة [شاهدنا عليكم] يشهد عليكم يوم القيمة بكفركم وتكذيبكم - فان قلت لم نكر الرسول ثم عرف - قلت لانه اراد ارسلا الى فرعون بعض الرسل فلما اعاده وهو معهود بالذكر ادخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه [وبيدا] ثقيل غليظا من قولهم كلاء وبيل وخيم لا يستمرى لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم - [يومًا] مفعول به اي فكيف تقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر وام تؤمنوا وتعملوا صالحا - ويجوز ان يكون ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا - ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم

سورة المزمل ٧٣ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتَلًا ۖ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ

الجزء ٢٩

ع ١٢

القماحد • اوقيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعبادة ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من اول الليل أنقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المصجع ار العبادة اللتي تنشأ بالليل اي تحدث وترتفع - وقيل هي ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد اخرى - وقيل الساعات الاول منه - وعن علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول أما سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل [هي] أشد وطأ [هي خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطاة يواطى قلبها لسانها ان اردت النفس او يواطى فيها قلب القائم لسانه ان اردت القيام ار العبادة او الساعات او أشد موافقة لما يراى من الخشوع والاخلاص - وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق - وقرئ أشد وطأ بالفتح والكسر والمعنى أشد ثبات قدم وابعد من الزلل أو انقل و اغلظ على المصلي من صلوة النهار من قوله عليه السلام اللهم أشد وطأتك على مضر [وأقوم قديلا] وامتد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات - وعن انس رضي الله عنه انه قرأ وأصوب قديلا ف قيل له يا ابا حمزة انما هي وأقوم فقال ان اقوم واصوب و أهيا واحد - و روى ابو زيد الانصاري عن ابي سرار الغنوي انه كان يقرأ فحاسوا بحاء غير معجمة ف قيل له انما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد [سبحا] تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمذاجاة الله اللتي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل فاما القراءة بالحاء فاستعارة من سبغ الصوف وهو نفسه ونشر اجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل - كأنه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان الليل اعون على المواطاة وامتد للقراءة لهدو الزجل وخفوت الصوت وانه اجمع للقلب واضم لنشر الهم من انهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد - وقيل فراغا وسعة لزومك وتصرفك في حوائجك - وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه [وأذكر اسم ربك] ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد و صلوة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره [وتبتل إليه] وانقطع إليه - فان قلت كيف قيل [تبتلا] مكان تبتلا - قلت لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل [رب المشرق والمغرب] - قرئ مرفوعا على المدح - ومجرورا على البدل من ربك - وعن ابن عباس على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لا فعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد - وقرأ ابن عباس رب المشرق والمغرب [فاتخذ وكيفا] مسبب عن التهليل لانه هو وحده هو الذي يجب لتوحده بالربوبية أن توكل اليه الامور - وقيل وكيفا كفيلا بما وعدك من النصر

قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ

سورة المزمل ٧٣

الجزء ٢٩

ع ١٢

عليه - وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلّة بالنسبة الى الكل - وان شئت قلت لما كان معنى قَمِ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا نَصْفَهُ اذا ابدلت النصف من الليل قَمِ اقل من نصف الليل رجع الضمير في منه وعَلَيْهِ الى اقل من النصف فكأنه قيل قَمِ اقل من نصف الليل او قَمِ انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث - ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفُسِّرَتْ به ان تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل اعني الربع نصف الربع كأنه قيل او زد عليه قليلا نصفه - ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تنمى الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع - فان قلت أكان القيام فرضا ام نفلا - قلت عن عائشة رضي الله عنها ان الله جعله تطوعا بعد ان كان فريضة - وقيل كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا به - وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة - وقيل كان واجبا وانما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشرين سنين - وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين - ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار وقوله تعالى وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ - ترتيب القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبها بالثغر المرتل وهو المفتاح المشبه بنور الأقحوان وان لا يهذه هذا ولا يصردة مرورا كما قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقيقية وشر القراءة الهزيمة حتى يشبه المتلو في تدابره الثغر اللص - وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت لا كسر دكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدّها - و [تَرْتِيلًا] تأكيد في الإيجاب الامر به وانه ما لا بد منه للقارئ - هذه الآية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المتكلمين خاصة على رسول الله لانه متكلمها بنفسه ومحمّلها امته فهي اثقل عليه وابهظ له و اراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه - وعن ابن عباس كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتردد له جلده - وعن عائشة رضي الله عنها رأته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيغصم عنه وان جبينه ليرفّض عرقا - وعن الحسن ثقيل في الميزان - وقيل ثقيل على المنافقين - وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف ۝ [نَاشِئَةَ اللَّيْلِ] النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعتها الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشأت السجدة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشأ اذا نهض - قال ۝ شعره ۝ نشأنا الى خوص برى نبيها العرى ۝ والصق منها مشرفات

حروفها
٨٧٤

سورة المزمل مكية وهي عشرون آية و ركوعان •

سورة المزمل ٧٣ كلماتها
٢٠٠

الجزء ٢٩

ع ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴿٢﴾ قُمْ الْبَلَّ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٤﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ

سورة المزمل

[الْمَزْمِلُ] المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه أي تلفف بها بادغام الناء في الزاي ونحوه المذتر في المندثر - وقرئ المزمزم على الأصل وَالْمَزْمِلُ بنخفيف الزاي وفتح الميم وكسرهما على أنه اسم فاعل أو مفعول من زمه وهو الذي زمه غيره أو زمه نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نائمًا بالليل متمزلاً في قطيفة فدبته ونودي بما يتجتن إليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته وامتدادها للاستئصال في الذوم كما يفعل من لا يهتم أمره ولا يعنيه شأن إلا ترمى إلى قول ذي الرمة • شعر • وكأين تخطت ناقتي من مغارة • ومن نائم عن ليلها متمزلاً • يريد الكسلان المتقاعس الذي لا يهتف في معازم الأمور وكفايات الخطوب ولا يحتمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه • ع • مهذا إذا ما نام ليل الهوجل • وفي أمثالهم • شعر • أورد لها سعد ومعد مشتمل • ما هكذا تورداً يا سعد الأبل • فدبته بالاشتغال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وأمر بان يختار على السجود التهجّد وعلى التزمل التشمّر والتخفّف للعبادة والمجاهدة في الله لا جرم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد تشمّر لذلك مع أصحابه حتى تشمروا وقبلوا على أحياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيما في وجوههم وتراعى أمرهم إلى حدّ رحمهم له ربهم فخفف عنهم - وقيل كان متمزلاً في مرط لعائشة يصلي فهو على هذا ليس بتهمجين بل هو نداء عليه وتحسين لحاله اللتي كان عليها وأمر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه - وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت ما كان تزميله قالت كان مرطاً طوله أربع عشرة ذراعاً نصفه عليّ وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي فسألت ما كان قالت والله ما كان خزاناً ولا قرناً ولا مرعزى ولا أبريسماً ولا صوفاً كان سداً شعراً ولحمته وبراً - وقيل دخل على خديجة وقد جثت فوقاً أول ما أتاه جبرئيل وبوادرة ترعد فقال زمّلوني زمّلوني وحسب أنه عرض له فبيدنا هو على ذلك أن ناداه جبرئيل يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ - وعن عكرمة أن المعنى يا أيها الذي زمّل أمراً عظيماً أي حملاً والزمل الحمل وازدمله احتمله - وقرئ قُمْ الْبَلَّ بضم الميم وفتحها - قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبليغ بها هرباً من التقاء الساكنين فبأي الحركات تحرّك فقد وقع الغرض [نِصْفَهُ] بدل من اللّيل وَالْأَقْلِيلُ استثناء من النِصْف كأنه قيل قُمْ أَقَلَّ من نصف الليل والضمير في مِنْهُ وَعَلَيْهِ لِلنِّصْفِ والمعنى التخدير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البتة وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة

سورة الجن ٧٢

الجزء ٢٩

ع ١٢

مَا يُوعَدُونَ فَيَسْتَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا ۝ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوَعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۝ عِلْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ رَمِيمًا خَلْفَهُ رَصَدًا ۝ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ وَاحْطَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝ ع

يوم القيمة فَيَسْتَعْلَمُونَ حينئذ انهم اضعف ناصرا و اقل عددا - ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له و استقلالهم لعدده كانه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون قال المشركون متى يكون هذا الموعد انكرا له فقل قل انه كائن لا ريب فيه فلا تذكره فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد واما وقته فما ادري متى يكون لان الله لم يبينه لما رأى في اخفاء وقته من المصلحة - فان قلت ما معنى قوله [اَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا] والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا - قلت كان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يستقرب الموعد فكأنه قال ما ادري أهو حال متوقع في كل ساعة ام مؤجل ضربت له غاية * اي هو [عِلْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ] فلا يطلع - و [مِنْ رَسُولٍ] تبين لمن ارتضى يعني انه لا يطلع الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى و في هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم و ان كانوا اولياء مرتضين فليدسوا برسول و قد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب و ابطال الكهانة و التنجيم لان اصحابهما ابعد شيء من الارتضاء و ادخله في السخط [فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ] من ارتضى للرسالة [وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا] حَفَظَةً مِنَ الْمَلَكَةِ يَحْفَظُونَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ يطردونهم عنه و يعصمونه من وساوسهم و تخاليلهم حتى يبلغ ما أوحى به اليه - و عن الضحك ما بعث نبي الا و معه ملكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك [لِيَعْلَمَ اللَّهُ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ] يعني الانبياء و قد اولا على اللفظ في قوله مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ثم جمع على المعنى كقوله فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خُلْدَيْنِ و المعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة و النقصان - و ذكر العلم كذكره في قوله تعالى حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ - و ترى ليعلم على البناء للمفعول [وَاحْطَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ] بما عند الرسل من الحكم و الشرائع لا يفوته منها شيء و لا ينسى منها حرفا فهو مهين عليها حافظ لها [وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا] من القطر و الرمل و ورق

الاشجار و زبد البحر فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه و كلامه - و عددا

حال اي وضبط كل شيء معدودا محصورا - او مصدر في معنى احصاء -

عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ

سورة الجن كان له بعدد كل جن

صدق محمدًا و كذب به

عتق رقبة •

قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ ۚ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝
إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ۝ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا

لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعون بنظيرة - وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا
للمشركين في عبادتهم الالهة من دونه كان المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه
متدراكين - لبدا جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد - وقرئ لبدا ولبدة في
معنى اللبدة - ولبدا جمع لبد كساجد وسجد - ولبدا بضمين جمع لبد كصبور وصبور - وعن قتادة تلبدت الانس
والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان يذصرة ويظهره على من ناره - ومن قرأ وأنه بالكسر جعله
من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين ما رأوا من صلاته وازدحام اصحابه عليه في ايتمامهم
به * قال للمتظاهرين عليه [إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي] يريد ما اتيتكم بامر منكم انما اعبد ربي وحده [وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا]
ولا يس ذلك مما يوجب اطباقكم على مقتي و عداوتي - او قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس
ما ترون من عبادتي الله ورفضي الاشراك بامر يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل
له شريكا - او قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [وَلَا رَشَدًا] ولا نفعا -
او اراد بالضرر الغي ويدل عليه قراءة أَبِي غِيَا وَلَا رَشَدًا والمعنى لا أستطيع ان اضركم و ان انفعكم انما
الضار والذافع الله - او لا أستطيع ان افسركم على الغي والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجل
و إِلَّا بَلَاغًا استثناء منه اي لا املك الا بلاغا من الله - [قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي] جملة معترضة اعترض
بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله ان اراد به سوء من مرض او موت
او غيرهما لم يصح ان يجيرة منه احد او يجد من دونه ملاذا يأوي اليه - والمتحد المتجأ واصله المدخل
من اللحد - وقيل محيصا ومعدلا - وقرئ قُلْ لَا أَمْلِكُ اي قال عبد الله للمشركين ار للجن - ويجوز ان
يكون من حكاية الجن لقومهم - وقيل بلاغا بدل من مُلْتَحَدًا اي لن اجد من دونه منجى الا ان ابلاغ عنه
ما ارسلني به - وقيل الا هي ان لا ومعناه ان لا ابلاغ كقولك ان لا قياما فقعودا [وَرِسَالَاتِهِ] عطفا
على بلاغا كأنه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلاغ عن الله فاقول قال الله كذا
ناسبا لقوله إِلَيْهِ و ان ابلاغ رسالاته اللتي ارسلني بها من غير زيادة ولا نقصان - فان قلت ألا يقال بلغ عنه
ومنه قوله عليه السلام باغوا عني بلغوا عني - قلت من ليست بصلة للتبليغ انما هي بمنزلة من في
قوله بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ بمعنى بلاغا كائنا من الله - وقرئ قُلْ لَّهِ نَارُ جَهَنَّمَ على فجزاؤه ان له نار جهنم كقوله
تعالى فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ اي فحكمه ان لله خمسة وقال خُلِدِينَ حملا على معنى اجمع في من - فان قلت
بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له - قلت بقوله يَكُونُونَ عَلَيْهِ لَبَدًا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة
ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده [حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ] من يوم يدر و اظهار الله له عليهم - او من

عَذَابًا ۖ لِّتَذَفْتَهُمْ فِيهِ ۖ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۝

سورة الجن ٧٢

الجزء ٢٩

ع ١١

ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد - [وَأَنَّ لَوْ اسْتَقَامُوا] أن مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى وأوحى الي أن الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى أي لو ثبت أبوهم الجن على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لأدم ولم يكفروا تبعه ولده على الاسلام لأنعمنا عليهم ولو سنعنا رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرهما - وقرئ بهما لانه اصل المعاش وسعة الرزق [لَتَذَفْتَهُمْ فِيهِ] لاختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه - ويجوز ان يكون معناه وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم اللتي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لو سنعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لذفتهم فيه ليكون الذمة سبباً في اتباعهم شهواتهم وقوعهم في الفتنة وازديادهم اثماً - ارلعتهم في كفران النعمة - [عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ] عن عبادته - او عن موعظته - او عن وحده - [يَسْلُكُهُ] - وقرئ بالذون مفتوحة ومضمومة أي ندخله عذاباً والاصل يسلكه في عذاب كقوله تعالى مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ فعدي الى مفعولين إما بحذف الجار وإيصال الفعل كقوله وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ وإما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه واسلكه - قال ع • حتى اذا اسلكوهم في فتادة • والصعد مصدر يعد يقال صعد صعداً وصعوداً فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة الزكاح يريد ما شق علي ولا غلبني [وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ] من جملة الموحى - وقيل معناه ولان المساجد [لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا] على ان اللام متعلقة بلا تَدْعُوا أي فلا تَدْعُوا مع الله احداً في المساجد لانها لله خاصة وعبادته - وعن الحسن يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مسجداً - وقيل المراد بها المسجد الحرام لانه قبله المساجد ومنه قوله تعالى وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ - وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعةهم وكفائسهم اشركوا بالله فأمرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد - وقيل المساجد اعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وسلم امرت ان اسجد على سبعة ارباب وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان - وقيل هي جمع مسجد وهو السجود - [عَبْدُ اللَّهِ] النبي صلى الله عليه وآله وسلم - فان قلت هلا قيل رسول الله او النبي - قلت لان تقديره وأوحى الي أنه لما قام عبد الله فلما كان واقفاً في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل - اولان المعنى ان عبادة عبد الله لله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبداً ومعنى قام بدعوة قام يعبد - يريد قيامه لصلوة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا لقراءته [كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا] أي يزدحمون عليه مدة كمين تعجباً مما رأوا من عبادته واقتداء اصحابه به قائماً وراكعاً وساجداً واعجاباً بما تلا من القرآن

شَهَابًا رَّسَدًا ۖ وَ أَنَا لَا نَذَرُ إِلَّا شَرًّا أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بَيْنَ رَيْبٍ وَرَشْدًا ۖ وَ أَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقُ قِدْدَا ۖ وَ أَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا ۖ وَ أَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ أَمْنَابِهِ ۖ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۖ وَ أَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۖ وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۖ وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً

لَمَّا حَدَثَ هَذَا الْحَادِثُ مِنْ كَثْرَةِ الرِّجْمِ وَ مَنَعِ الْاِسْتِرَاقِ قُلْنَا مَا هَذَا إِلَّا أَمْرُ ارَادَةِ اللَّهِ بِأَهْلِ الْأَرْضِ وَ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ شَرًّا أَوْ رَشْدًا أَيْ خَيْرًا مِنْ عَذَابٍ أَوْ رَحْمَةٍ أَوْ مِنْ خِذْلَانٍ أَوْ تَوْفِيقٍ [مِنَّا الصَّالِحُونَ] الْإِبْرَارُ الْمُتَّقُونَ [وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ] وَمِنَّا قَوْمٌ دُونَ ذَلِكَ فَحَذَفَ الْمَوْصُوفُ كَقَوْلِهِ وَ مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مُعْلُومٌ وَ هُمُ الْمُقْتَصِدُونَ فِي الصَّلَاحِ غَيْرُ الْكَامِلِينَ فِيهِ - أَوْ أَرَادُوا الطَّالِحِينَ - [كُنَّا طَرَائِقُ قِدْدَا] بَيَانٌ لِلْقِسْمَةِ الْمَذْكُورَةِ أَيْ كُنَّا ذَوِي مَذَاهِبٍ مَفْتَرِقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ - أَوْ كُنَّا فِي اخْتِلَافِ أَحْوَالِنَا مِثْلَ الطَّرَائِقِ الْمُخْتَلِفَةِ - أَوْ كُنَّا فِي طَرَائِقِ مُخْتَلِفَةٍ كَقَوْلِهِ ع • كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقُ الثَّعْلَبُ • أَوْ كَانَتْ طَرَائِقُنَا طَرَائِقَ قِدْدَا عَلَى حَذَفِ الْمُضَافِ الَّذِي هُوَ الطَّرَائِقُ وَ إِقَامَةِ الضَّمِيرِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ وَ الْقِدَّةُ مِنْ قَدَّ كَالْقِطْعَةِ مِنْ قِطْعٍ وَ وَصَفَتْ الطَّرَائِقُ بِالْقِدْدِ لِدَلَالَتِهَا عَلَى مَعْنَى التَّقَطُّعِ وَ التَّفَرُّقِ فِي الْأَرْضِ - وَ [هَرَبًا] حَالًا أَيْ لَنْ نَعْجِزَهُ كَأَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ إِذَا كُنَّا فِيهَا وَ لَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا وَ لَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا أَنْ طَابَعْنَا - وَالظَّنُّ بِمَعْنَى الْيَقِينِ وَ هَذِهِ صِفَةُ أَحْوَالِ الْجِنِّ وَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَ عَقَائِدِهِمْ مِنْهُمْ اخْتِلَافٌ وَ أَشْرَارٌ وَ مُقْتَصِدُونَ وَ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَالِبٌ لَا يَفُوتُهُ مَطْلَبٌ وَ لَا يَنْجِي عَنْهُ مِهْرَبٌ [لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى] هُوَ سَمَاعُهُمُ الْقُرْآنَ وَ إِيمَانَهُمْ بِهِ [فَلَا يَخَافُ] فَهُوَ لَا يَخَافُ أَيْ فَهُوَ غَيْرُ خَائِفٍ وَ لَآنَ الْكَلَامِ فِي تَقْدِيرٍ مُبْتَدَأٍ وَ خَبَرٍ دَخَلَتْ الْفَاءُ وَ لَوْلَا ذَلِكَ لَقِيلَ لَا يَخْخَفُ - فَإِنْ قُلْتِ أَيْ فَائِدَةٌ فِي رَفْعِ الْفِعْلِ وَ تَقْدِيرٍ مُبْتَدَأٍ قَبْلَهُ حَتَّى يَقَعَ خَبَرُ الْفَاءِ وَ وَجُوبُ ادْخَالِ الْفَاءِ وَ كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ مُسْتَعْنًى عَنْهُ بَانَ يَقَالُ لَا يَخْخَفُ - قُلْتِ الْفَائِدَةُ فِيهِ أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَكَانَ قِيلَ فَهُوَ لَا يَخْخَفُ فَكَانَ دَالًّا عَلَى تَحْقِيقِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ نَاجٍ لَا مُحَالَةٍ وَأَنَّهُ هُوَ الْمُخْتَصُّ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ - وَ قَرَأَ الْأَعْمَشُ فَلَا يَخْخَفُ عَلَى النَّهْيِ [بَخْسًا وَلَا رَهَقًا] أَيْ جَزَاءُ بَخْسٍ وَ لَا رَهَقٍ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْخَسْ أَحَدًا حَقًّا وَ لَا رَهَقَ ظُلْمَ أَحَدٍ فَلَا يَخْخَفُ جَزَاءَهُمَا - وَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ أَمِنَ بِاللَّهِ أَنْ يَجْتَنِبَ الْمَظَالِمَ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ دِمَائِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ - وَ يُجُوزُ أَنْ يَرَادَ فَلَا يَخْخَفُ أَنْ يَبْخَسَ بَلْ يُجْزَى الْجَزَاءَ الْأَوْفَى وَ لَا أَنْ تَرْهَقَهُ ذَلَّةٌ مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ تَرْهَقَهُمْ ذَلَّةٌ • [الْقَاسِطُونَ] الْكَافِرُونَ الْجَائِرُونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ - وَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْحِجَابَ قَالَ لَهُ حِينَ أَرَادَ قَتْلَهُ مَا تَقُولُ فِي قَالِ قَاسِطٌ عَادِلٌ فَقَالَ الْقَوْمُ مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ حَسَبُوا أَنَّهُ يَصِفُهُ بِالْقَسْطِ وَ الْعَدْلِ فَقَالَ الْحِجَابُ يَا جَهْلَةٌ أَنَّهُ سَمَانِي مُشْرَكَ ظَالِمًا وَ تَلَا لَهُمْ قَوْلَهُ وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ وَ قَوْلُهُ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ وَ قَدْ زَعَمَ مَنْ لَا يَرَى لِلْجِنِّ ثَوَابًا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْعَدَ قَاسِطِيهِمْ وَ مَا وَعَدَ مُسْلِمِيهِمْ وَ كَفَى بِهِ وَعْدًا أَنْ قَالَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا فَذَكَرَ سَبَبَ الثَّوَابِ وَ مَوْجِبَهُ وَ اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ

سورة الجن ٧٢

الجزء ٢٩

ع ١٠

بِرَجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿١﴾ وَآَنَّهُمْ ظَنُّوْا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَّنْ يَدْعُفَ اللّٰهُ اَحَدًا ﴿٢﴾ وَاَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ
فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتٍ حَرَسًا شَدِيْدًا وَشُهْبًا ﴿٣﴾ وَاَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَنْ يَسْمَعُ اِلَّا نَّ يَجِدَ لَهٗ

من العرب كان اذا امسى في وادٍ فقير في بعض مساثره و خاف على نفسه قال اعوذ بسيّد هذا الوادي
من سفهاء قومه يريد الجن و كبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سَدْنَا الْجَنِّ وَالْاِنْسَ فذلك رَهَقَهُمْ -
او فزاد الجنّ الانس رهقا باغوائهم و اضلالهم لاستعانتهم بهم - [وَآَنَّهُمْ] و ان الانس [ظَنُّوْا كَمَا ظَنَنْتُمْ] و هو
من كلام الجنّ يقوله بعضهم لبعض - وقيل الايتان من جملة الوحي و الضمير في وَآَنَّهُمْ ظَنُّوْا لِلْجَنِّ و الخطاب
في ظَنَنْتُمْ لِنَفْسِكَ قَرِيْشٍ - اللّمس اللمس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف - قال شعر • مسسنا من الالباء
شيئا و كلنا الى نسب في قومه غير واضح • يقال لمسه و التمسه و تلمسه كطلبه و اطلبه و تطلبه و نحوه الجس و قولهم
جسوه باعينهم و تجسسوه و المعنى طلبنا بلوغ السماء و استماع كلام اهلها - و الحرس اسم مفرد في معنى
الحراس كالخدم في معنى الخدام و لذلك وصف بشديد و لو ذهب الى معناه لقل شدا و نحوه • ع •
اخشى رجلا او ركبا غاديا • لان الرجل و الركب مفردان في معنى الرجال و الركاب - و الرصد مثل
الحرس اسم جمع للرصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم و هم الملكة الذين يرجمونهم بالشهب
و يمدعونهم من الاستماع - و يجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الرصد او كقوله و معا جديا يعنى يجد
شهابا راصدا له و لاجله - فان قلت كان الرجم لم يكن فى الجاهلية و قد قال الله تعالى و لقد زينّا السماء
الدنيا بمصابيح و جعلنا رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين و رجم الشياطين - قلت
قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو احدى آياته و الصحيح انه كان قبل
المبعث و قد جاء ذكره في شعراهل الجاهلية - قال بشر بن ابي حازم • شعر • و العير يرهقها الغبار و جحشها •
ينقض خلفهما انقضا الكوكب • و قال اوس بن حجر • شعر • و انقض كالدرى يتبعه • نفع يثور تخاله طنبا •
و قال عوف بن الخرع • شعر • يرق علينا العير من دون الغه • او الثور كالدرى يتبعه الدم • و لكن الشياطين كانت
تسترق في بعض الاحوال فاما بعث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كثر الرجم و زاد زيادة ظاهرة حتى
تنبه لها الانس و الجنّ و منع الاستراق اصلا - و عن معمر قلت للزهري ا كان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال
نعم قلت ارأيت قوله و انا كنا نقعد فقال غلظت و شدد امرها حين بعث النبى صلى الله عليه و آله و
سلم - و روى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس بيّنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم
جالس في نفر من الانصار ان رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا فى الجاهلية فقالوا
كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم - و في قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء و الكثرة و كذلك قوله
نقعد منها مقاعد ابي كذا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس و الشهب و ان ملئت المقاعد كلها و هذا
ذكر ما حملهم على الضرب فى البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و استمعوا قراءته يقولون

سورة الجن ٧٢ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۖ وَ أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً ۖ وَلَا وَلَدًا ۖ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۖ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنَا بَدَلًا ۖ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ

ع ١٠

أَفْتَتَ وهو من القلب المطلق جوازه في كل راو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح
وإعادة وإعاء أخيه - وقرأ ابن أبي عبلة رُحِي على الاصل [أَنَّهُ اسْتَمَعَ] بالفتح لانه فاعل أُرْحِي وَاِنَّا
سَمِعْنَا بالكسر لانه مبتدأ محكي بعد القول ثم يحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتج وما كان
من قول الجن كسر وكاهن من قولهم الا الثنتين الاخرين وَاِنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ وَاَنَّهُ لَمَّا قَامَ ومن فتح
كلهن فعطفًا على محل الجار والمجرور في أمثابه كانه قيل صدقناه وصدقنا أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا وَاَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا وكذلك البواقي [نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ] جماعة منهم ما بين الذلثة الى العشرة - وقيل كانوا من
الشياطين وهم اكثر الجن عددا و عامة جنود ابليس منهم [فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا] اي قالوا لقومهم حين
رجعوا اليهم كقوله فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قالوا يا قومنا إِنَّا سَمِعْنَا [قُرْآنًا] كتابا [عَجَبًا] بديعا
مبائنا كسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الاعجاز - وعجب مصدر يوضع موضع العجيب
وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد اشكاله ونظائره [يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ] يدعو الى الصواب - وقيل الى
التوحيد والايمان - الضمير في [بِهِ] للقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبرائة من الشرك
قالوا [وَلَئِنْ نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا] اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به في طاعة الشيطان - ويجوز ان
يكون الضمير لله عز وجل لان قوله بِرَبِّنَا يفسره [جَدُّ رَبِّنَا] عظمته من قواك جد فلان في عيني اي عظم
وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا وروي في اعياننا - او
ملكه و سلطانه - او غناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجددون
والمعنى وصفه بالتعالي عن صاحبة والولد لعظمته او لسلطانه وملكوته او لغناه وقوله [مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً
وَلَا وَلَدًا] ببيان لذلك - وقرئ جَدًّا رَبِّنَا على التمييز وَجَدُّ رَبِّنَا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن
اتخاذ صاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووقفوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطاء فيما
اعتقدوه كفر الجن من تشبيهه الله بخلقه واتخاذ صاحبة ولدا فاستعظموه ونزهوه عنه - سفيهم ابليس
لعنه الله او غيره من مردة الجن - والشطط مجازة الحد في الظلم وغيره ومنه اشط في السوم اذا ابعد فيه
اي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما اشط فيه وهونسبة صاحبة والولد الى الله و كان في ظننا
ان احدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفترى عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه من
ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافترارهم [كَذِبًا] قولا كذبا اي مكذوبا فيه - او نصب نصب المصدر
لان الكذب نوع من القول - ومن قرأ أَن لَّنْ تَقُولَ وضع كذبا موضع تقولا ولم يجمعاه صفة لان التقول لا يكون
الا كذبا - الرهق غيان المحارم والمعنى ان الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك ان الرجل

وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّارًا ۝ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنَاتِ ۝
وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۝

سورة الجن ٧٢

الجزء ٢٩

ع ١٠

النصف

حروفها
١١٢٤

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية و ركوعان •

كلماتها
٢٨٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۝ وَلَن

من مات في ماء او في نار او اكلته السباع او الطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب - و عن الضحاك كانوا يغرقون من جانب و يُحرقون من جانب - و تكثير النار اما لتعظيمها - اولان الله اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار [فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا] تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله و انها غير قادرة على نصرهم و تهكم بهم كانه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم و يمنعونهم من عذاب الله كقوله آم لهم آلهة تمنعهم من دوننا [دِيَارًا] من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار و ديور كقيام و قيوم و هو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد و ميت و لو كان فعلا لكان ديورا - فان قلت بم علم ان اولادهم يكفرون و كيف وصفهم بالكفر عند الولادة - قلت لبيت فيهم الف سنة الا خمسين عاما فذاقهم و اكلهم و عرف طباعهم و احوالهم و كان الرجل منهم ينطلق بابنه الية و يقول احذر هذا فانه كذاب و ان ابي حذرني فدموت الكبير و ينشأ الصغير على ذلك و قد اخبره الله عز وجل انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن و معذني [لَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّارًا] لا يلدوا الا من سيفجر و يكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سابعة * [وَلِوَالِدَيَّ] ابوه امك بن متوشلخ و امه شمعاء بذمت انوش كانا مؤمنين - و قيل هما ادم و حواء - و قرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما و لولدي يريد ساما و حاما [بَيْتِي] منزلي - و قيل مسجدي - و قيل سفينتي خص اولاً من يتصل به لانهم اولى و احق بدعائه ثم عم المؤمنين و المؤمنات [تَبَارًا] هلاكا - فان قلت ما فعل صبيانهم حين اغرقوا - قلت غرقوا معهم لا على وجه العقاب و لكن كما يموتون بالانواع من اسباب الهلاك و كم منهم من يموتون بالغرق و الحرق و كان ذلك زيادة في عذاب الآباء و الأمهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون و مذه قوله عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا و يصدر من مصاد رشتي - و عن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب - و قيل اعقم الله ارحام نسائهم و ايدس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا - عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام •

سورة الجن

قرئ أحي و اصله وحي يقال اوحى اليه و وحي اليه فقلبت الواو همزة كما يقال اعد و ازن و اذا الرسل

وَنَسَرًا ۖ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۝ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَذَلُّوا نَارًا ۝ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ۝ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَفْسِدُوا عِبَادَكَ

قرئ بالتخفيف - والتثقيب والكبار اكبر من الكبير والكبار اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال [وَلَا تَذَرْنِي وَدًا]
كان هذه المسماة كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لَا تَذَرْنِي إِلَهُتَكُمْ وقد انتقلت هذه
الاصنام عن قوم نوح الى العرب - فكان ود للكلب - وسواع لهمدان - ويغوث لمذحج - ويعوق لمراد - ونسر لحميم
ولذلك سميت العرب بعبد ود وعبد يغوث - وقيل هي اسماء رجال صالحين - وقيل من اولاد آدم
هاتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم وكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن
بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم - وقيل كان ود على صورة رجل - وسواع على صورة امرأة - ويغوث
على صورة اسد - ويعوق على صورة فرس - ونسر على صورة نسر - وقرئ ودًا بضم الواو - وقرأ
الاعمش وَلَا يَغُوثًا وَيَعُوقًا بالصرف وهذه قراءة مشككة لانها كانا عربيين او اعجميين ففيهما سببا منع
الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة واعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفة اخواتهما
منصرفات ودًا وسواعا ونسرا كما قرئ وضجها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج [وَقَدْ أَضَلُّوا] الضمير
للرؤساء ومعناه وقد اضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصيين بان يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا باول من اضلوهم -
او قد اضلوا باضلالهم كثيرا يعني ان هؤلاء المضلين فيهم كثرة - ويجوز ان يكون للاصنام كقوله انهن اضلن كثيرا
مِنَ النَّاسِ - فان قلت علام عطف قوله [وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ] - قلت على قوله رَبِّ انهم عصوني على حكاية كلام
نوح بعد قَالَ وبعد الواو الذائبة عنه ومعناه قَالَ رَبِّ انهم عصوني وَقَالَ لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا اي قال هذين
القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قَالَ كقولك قَالَ زيد نودي للصلوة وصل في المسجد تحكي
قوليته معطونا احدهما على صاحبه - فان قلت كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته - قلت
المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا اللطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من ايمانهم وذلك حسن جميل
يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه - ويجوز ان يريد بالضلال الضياع والهالك كقوله وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ
الْآثَارَ - تقديم مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من اجل خطيئاتهم واكد
هذا المعنى بزيادة مَا - وفي قراءة ابن مسعود مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ مَا اغْرَقُوا بتأخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب
الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعت عليهم سائر خطيئاتهم كما
نعت عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب لئلا يتكلم المسلم الخاطي على اسلامه ويعلم
ان معه ما يستوجب به العذاب وان خلا من الخطيئة الكبرى - وقرئ خَطِيئَتُهُمْ بالهمز - وخَطِيئَتُهُمْ بقلبهما
ياء وادغامها - وخَطِيئَتُهُمْ بالتوحيد على ارادة الجفء - ويجوز ان يراد الكفر [فَأَذَلُّوا نَارًا] جعل
دخولهم النار في الآخرة كأنه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لا محالة فانه قد كان - اراد عذاب القبر

لِلَّهِ وَقَارًا ۖ وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۖ وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا
وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۖ وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۖ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ أَخْرَاجًا ۖ وَ اللَّهُ
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا ۖ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۖ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ
وَلَئِنَّهُ إِلَّا خُسَارًا ۖ وَ مَكَرُوا مَكْرًا كُبَرَارًا ۖ وَ قَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لَا سَوَاعًا ۖ وَ لَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

سورة نوح ٧١

الجزء ٢٩

ع ٩

وَاللَّهُ بَيِّنٌ لِلْمُوقِرِّ وَ لَو تَأَخَّرَ لَكَ صَلَاةٌ لِلْوَقَارِ وَ قَوْلُهُ [وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا] فِي مَوْضِعِ الْحَالِ كَأَنَّهُ قَالَ مَا لَكُمْ لَا تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْحَالِ هَذِهِ وَ هِيَ حَالٌ مُوجِبَةٌ لِلَايْمَانِ بِهِ لِأَنَّهُ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا أَي تَارَاتِ خَلْقِكُمْ أَوَّلًا تَرَابًا ثُمَّ خَلَقَكُمْ نَطْفًا ثُمَّ خَلَقَكُمْ عِلْقًا ثُمَّ خَلَقَكُمْ مَضْغًا ثُمَّ خَلَقَكُمْ عِظَامًا وَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأَكُمْ خَلْقًا آخَرَ - أَوَّلًا تَخَانُونَ لِلَّهِ حُلُمًا وَ تَرَكْتُمْ مَعَاجِلَةَ الْعِقَابِ فَتَوُ مَذُوا - وَ قِيلَ مَا لَكُمْ لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ عِظَمًا - وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ عَاقِبَةً لِأَنَّ الْعَاقِبَةَ حَالُ اسْتِقْرَارِ الْأُمُورِ وَ ثُبَاتِ الثَّوَابِ وَ الْعِقَابِ مِنْ وَ قَرَّ إِذَا ثُبِتَ وَ اسْتَقَرَّ - نَبَّهَهُمْ عَلَى الْغُظْرِ فِي أَنْفُسِهِمْ أَوَّلًا لِأَنَّهَا أَقْرَبُ مَنْظُورٍ فِيهِ مِنْهُمْ ثُمَّ عَلَى الْغُظْرِ فِي الْعَالَمِ وَ مَا سُويَ فِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ الشَّاهِدَةِ عَلَى الصَّانِعِ الْبَاهِرِ قُدْرَتِهِ وَ عَاطِيهِ مِنَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ [فِيهِنَّ] فِي السَّمَوَاتِ وَ هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِأَنَّ بَيْنَ السَّمَوَاتِ مَلَابَسَةً مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا طِبَاقٌ فَجَازَ أَنْ يُقَالَ فِيهِنَّ كَذَا وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي جَمِيعِهِنَّ كَمَا يُقَالُ فِي الْمَدِينَةِ كَذَا وَ هُوَ فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا - وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَجُوهَهُمَا مِمَّا يَلِي السَّمَاءَ وَ ظُهُورُهُمَا مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ [وَ جَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا] يُبْصِرُ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي ضَوْءِهَا كَمَا يُبْصِرُ أَهْلَ الْبَيْتِ فِي ضَوْءِ السِّرَاجِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَى ابْصَارِهِ وَ الْقَمَرُ لَيْسَ كَذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ نُورٌ لَمْ يَبْلُغْ قُوَّةَ ضِيَاءِ الشَّمْسِ وَ مِثْلُهُ قُوَّةُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُورًا وَ الضِّيَاءُ أَقْوَى مِنَ النُّورِ - اسْتَعِيرَ الْأَنْبَاتُ لِلْإِنْشَاءِ كَمَا يُقَالُ زَرَعْتُ اللَّهُ لِلْخَيْرِ وَ كَانَتْ هَذِهِ الْاسْتِعَارَةُ ادِّلَّةً عَلَى الْحُدُوثِ لِأَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا نَبَاتًا كَانُوا مُحْدَثِينَ لَا مُحَالَةَ حَدُوثِ النَّبَاتِ وَ مِنْهُ قِيلَ لِلْحَشَوِيَّةِ الْغَابِتَةِ وَ النَّوَابِغِ لِحُدُوثِ مَذْهَبِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِ أَوَّلِيَّةٍ لَهُمْ فِيهِ وَ مِنْهُ قَوْلُهُمْ نَجْمٌ فَلَانٌ لِبَعْضِ الْمَارِقَةِ وَ الْمَعْنَى أَنْبَتَكُمْ فَنَبَّتُمْ نَبَاتًا - أَوْ نَصَبَ بَأَنْبَتَكُمْ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى نَبَّتُمْ [ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا] مُقْبُورِينَ ثُمَّ [يُخْرِجُكُمْ] يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَ أَكَّدَهُ بِالْمَصْدَرِ كَأَنَّهُ قَالَ يُخْرِجُكُمْ حَقًّا وَ لَا مُحَالَةَ [جَعَلَهَا بَسَاطًا] مَبْسُوطَةً تَتَقَلَّبُونَ عَلَيْهَا كَمَا يَتَقَلَّبُ الرَّجُلُ عَلَى بَسَاطِهِ [فِجَاجًا] وَاسِعَةً مُنْفَجَّةً وَ اتَّبَعُوا رُؤُسَهُمُ الْمُقَدِّمِينَ أَصْحَابَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ وَ ارْتَسَمُوا مَا رَسَمُوا لَهُمْ مِنَ التَّمَسُّكِ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَ جَعَلَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَوْلَادَهُمُ اللَّتِي لَمْ تَزِدْهُمْ إِلَّا وَجَاهَةً وَ مُنْفَعَةً فِي الدُّنْيَا زَائِدَةً خُسَارًا فِي الْآخِرَةِ وَ أَجْرَى ذَلِكَ مَجْرَى صِفَةِ لَازِمَةٍ لَهُمْ وَ سَمَةٍ يَعْرِفُونَ بِهَا تَحْقِيقًا لَهُ وَ تَنْبِيْهًا وَ إِبْطَالًا لِمَا سِوَاهُ - وَ قَرِئَ وَ وَلَدَهُ - وَ وَلَدَهُ بُضْمُ الْوَارِ - وَ كَسَرُهَا - [وَ مَكَرُوا] مَعْطُوفٌ عَلَى لَمْ يَزِدْهُ وَ جَمَعَ الضَّمِيرُ وَ هُوَ رَاجِعٌ إِلَى مَنْ لَأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ وَ الْمَأْكُونِ هُمُ الرُّؤُسَاءُ وَ مَكْرُهُمْ احْتِيَالُهُمْ فِي الدِّينِ وَ كَيْدُهُمْ لِنُوحٍ وَ تَحْرِيشُ النَّاسِ عَلَى إِذَا وَ صَدَّهُمْ عَنِ الْمِيلِ إِلَيْهِ وَ الْاسْتِمَاعِ مِنْهُ وَ قَوْلُهُمْ لَهُمْ لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ نُوْحٍ [مَكَرًا كُبَرَارًا] -

وَإِنِّي كَلَّمَا دَعْوَتَهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعْوَتَهُمْ جَهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَزِيدَ ۝ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ

قوله إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَنَّوْنَ صُدُّوهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ إِلَّا حِينَ يَسْتَغْشَوْنَ ثِيَابَهُمْ - الاصرار من اصر الكمار على العانة اذا صر اذنيها و اقبل عليها يكدمها و يطردھا استعير للاقبال على المعاصي و الاكذاب عليها [وَاسْتَكْبَرُوا] و اخذتهم العزة من اتباع نوح و طاعته و ذكر المصدر تأكيد و دلالة على فرط استكبارهم و عتوهم - فان قلت ذكر انه دعاهم ايملا و نهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر و العلن فيجب ان يكون ثلث دعوات مختلفات حتى يصح العطف - قامت قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر في الابتداء بالاهون و الترقى في الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا نذى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار و الاعلان و معنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار و الجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما - و جهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء احد نوعيه الجهار فُنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها احد انواع القعود اولانه اراد بدعوتهم جاهرتهم - ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعأ بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به - او مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا - امرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر و المعاصي و قدم اليهم الموعد بما هو اوقع في نفوسهم و احب اليهم من المذات الحاضرة و الفوائد العاجلة ترغيبا في الايمان و بركاته و الطاعة و نتائجها من خير الدارين كما قال وَ أُخْرِي تُحِبُّونَهَا نَصْرَ مَنْ لِلّٰهِ - وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ وَ لَوْ أَنَّهُمْ آقَمُوا التَّورَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ - وَ أَنَّ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ - و قيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر و اعقم ارحام نسائهم اربعين سنة و روي سبعين فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الله الخصب و دفع عنهم ما كانوا فيه - و عن عمر رضي الله عنه انه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فليل له ما رأيتك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديع السماء اللتي يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالاذواء الصادقة اللتي لا تخطى - و عن الحسن ان رجلا شك اليه الجذب فقال استغفر الله و شكاليه آخر الفقر و آخر قلة النسل و آخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا و يسألون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له هذه الآية [وَ السَّمَاءَ] المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب - ويجوز ان يراد السحاب - او المطر من قوله * ع * اذا نزل السماء بارض قوم * و المدارار الكثيرة الدور و مفعال مما يستوي فيه المذكور والمؤنث كقولهم رجل او امرأة معطار و متفال [جَنَّتٍ] بسايتين [لَا تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقَارًا] لا تأملون له توقيرا اي تعظيما و المعنى ما لكم لا تكونون عاى حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب

أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ فَذَرَهُمْ يَخُوفُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ۝
يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُؤْفَضُونَ ۝ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ
الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ ع

سورة نوح ٧١

الجزء ٢٩

ع ٨

حروفها
٩٧٤

سورة نوح مكية وهي ثمان وعشرون آية وركوعان

كلماتها

٢٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ
مُبِينٌ ۝ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ
إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۚ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝

معناه إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ نَظْفَةٍ كَمَا خَلَقْنَا بَنِي آدَمَ كُلَّهُمْ وَمِنْ حِكْمِنَا أَنْ لَا يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ الْجَنَّةَ إِلَّا بِالْإِيمَانِ
وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَلَمْ يَطْمَعِ أَنْ يَدْخُلَهَا مَنْ لَيْسَ لَهُ إِيْمَانٌ وَعَمَلٌ - وَقَرَّبَىٰ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ - وَ[يُخْرِجُونَ] -
و[يُخْرِجُونَ] - وَ[مِنْ] الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا بِالْأَظْهَارِ - وَالْأَدْغَامِ - وَنُصْبٍ - وَ[نُصْبٍ] وَهُوَ كُلُّ مَا نُصِبَ فَعُيِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
[يُؤْفَضُونَ] يُسْرِعُونَ إِلَى الدَّاعِي مُسْتَبِقِينَ كَمَا كَانُوا يَسْتَبِقُونَ إِلَىٰ أَنْصَابِهِمْ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالِهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُرْآنِ سُورَةِ سَائِلَ سَائِلُ اعْطَاهُ اللَّهُ ثَوَابَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ *

سورة نوح

[أَنْ أَنْذِرْ] أصله بَانَ أَنْذِرْ فحذف الجار وأصل الفعل وهي أَنْ الناصبة للفعل والمعنى أرسلناه
بَانَ قُلْنَا لَهُ أَنْذِرْ أَيْ أَرْسَلْنَاهُ بِالْأَمْرِ بِالْإِنذَارِ - وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَفْسُورَةً لِأَنَّ الْأَرْسَالَ فِيهِ مَعْنَى الْقَوْلِ - وَقَرَأَ ابْنُ
مَسْعُودٍ أَنْذِرْ بِغَيْرِ أَنْ عَلَىٰ أَرَادَةِ الْقَوْلِ - وَ[أَنْ أَعْبُدُوا] نَحْوُ أَنْ أَنْذِرْ فِي الْوَجْهَيْنِ - فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ قَالَ [وَيُؤَخَّرُكُمْ]
مَعَ اخْبَارِهِ بِامْتِنَاعِ تَأْخِيرِ الْأَجَلِ وَهَلْ هَذَا لَا تَنَاقُضَ - قُلْتَ قَضَى اللَّهُ مِثْلًا أَنْ قَوْمُ نُوحٍ إِنْ أَمِنُوا عَمَرَهُمْ
الْفَ سَنَةً وَإِنْ بَقُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ أَهْلَكَهُمْ عَلَىٰ رَأْسِ تِسْعِمِائَةِ فَقِيلَ لَهُمْ أَمِنُوا يُؤَخَّرُكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى أَيْ
إِلَىٰ وَقْتٍ سَمَّاهُ اللَّهُ وَضَرَبَهُ أَمْدًا تَفْتَهُونَ إِلَيْهِ لَا تَتَجَاوَزُونَهُ وَهُوَ الْوَقْتُ الْأَطْوَلُ تَمَامُ الْآلِفِ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ
[إِذَا جَاءَ] ذَلِكَ الْأَجَلَ الْأَمْدَ [لَا يُؤَخَّرُ] كَمَا يُؤَخَّرُ هَذَا الْوَقْتُ وَلَمْ تَكُنْ لَكُمْ حِيلَةٌ فَبَادِرُوا فِي أَوْقَاتِ الْأَمْهَالِ
وَالْتَأْخِيرِ [لَيْلًا وَنَهَارًا] دَائِبًا مِنْ غَيْرِ فَتَوَرَّسْتُمْ بِهِنَّ الْأَوْقَاتِ كُلَّهَا [فَأَمَّ يَزِدْهُمْ دُعَائِي] جَعَلَ الدَّعَاءَ فَاعِلًا
زِيَادَةَ الْفِرَارِ وَالْمَعْنَى عَلَىٰ أَنَّهُمْ أَزْدَادُوا عِذَّةَ فِرَارًا لِأَنَّهُ سَبَبُ الزِّيَادَةِ وَنَحْوُهُ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ -
فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا * [لِتَغْفِرَ لَهُمْ] لِيَتُوبُوا عَنْ كُفْرِهِمْ فَتَغْفِرَ لَهُمْ فَذَكَرَ الْمُسْتَبِيبَ الَّذِي هُوَ حَظُّهُمْ خَالِصًا لِيَكُونَ اقْتِحَامٌ
لِاعْرَاضِهِمْ عَنْهُ - سَدُّوا مَسَامِعَهُمْ عَنْ اسْتِمَاعِ الدَّعْوَةِ [وَاسْتَعْشَوْا يُبَايِعَهُمْ] وَتَغَطَّوْا بِهَا كَأَنَّهُمْ طَلَبُوا أَنْ تَغْشَاهُمْ بُدَايِبُ
أَوْ تَغْشِيَهُمْ لئَلَّا يُبْصِرُوا كَرَاهَةً النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِ مَنْ يَنْصَحُهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ - وَقِيلَ لئَلَّا يَعْرِفَهُمْ وَيَعْصِدَهُ

سورة المعارج ٧٠
الجزء ٢٩
ع ٧

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۖ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۖ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الدِّينِ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ
عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۖ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۖ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعُدُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۖ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ
مُتَرَمِّمُونَ ۖ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مَهْطِعِينَ ۖ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ۖ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ
أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۖ كَلَّا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ۖ فَلَا أَسْمُ بَرِّبِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ۖ عَلَىٰ

روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل العمل أدومه وإن قل - وقول عائشة رضي الله عنها كان عمله ديمة - ومحافظة عليهم عليها أن يراعوا أسباغ الوضوء لها ومواقيتهم ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وأدابها ويحفظوها من الإحباط باقتراف المائثم فالإمام يرجع إلى أنفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها [حَقٌّ مَّعْلُومٌ] هو الزكاة لأنها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤدبها في أوقات معلومة - السائل الذي يسأل - والمحرم الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم [يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الدِّينِ] تصديقا بأعمالهم واستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ أي لا ينبغي لأحد أن بالغ في الطاعة والاجتهاد أن يأمنه وينبغي أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء - قرئ بِشَهَادَتِهِمْ - و [بِشَهَادَتِهِمْ] والشهادة من جملة الأمانات وخصها من بينها إبانة لفضلها لأن في أقامتها أحياء الحقوق وتصحيحها وفي زيتها تضيقها وإبطالها - كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وآله وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهنئون بكلامه ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فنزلت [مُهْطِعِينَ] مسرعين فحوك ما دعي أعناقهم اليك مقبلين بأبصارهم عليك [عِزِينَ] فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعتزى إلى غير من تعتزى إليه الأخرى فهم مقترون - قال الكميث شعر * ونحن وجندل باغ تركنا * كدائب جندل شتى عزيزنا * وقيل كان المستهنئون خمسة أرط - [كَلَّا] ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علق ذلك بقوله إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ إلى آخر السورة وهو كلام دال على إنكارهم البعث فكأنه قال كَلَّا أنهم منكرون للبعث والجزاء فمن أين يطمعون في دخول الجنة - فإن قلت من أي وجه دل هذا الكلام على إنكار البعث - قلت من حيث أنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ أي من النطف وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسا خيرا منهم وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكويده لا يعجزه شيء والغرض أن من قدر على ذلك لم تعجزه الإعادة - ويجوز أن يراد إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ أي من النطفة المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب أرفع منه ولذلك أبهم وأخفى أشعارا بأنه منصب يستحيى من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخل الجنة قبلهم - وقيل

كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَطْفٌ ۖ نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى ۖ تَدْعُوهُ مَنِ ادْبَرَّ وَتَوَلَّى ۖ وَجَمَعَ نَارَعِي ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ
إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۖ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۖ

سورة المعارج ٧٠

الجزء ٢٩

ع ٦

يُودَ لَوْ يَقْتَدِي ثُمَّ لَوْ يُنَجِّيه الْإِفْتِدَاءُ أَوْ مَنِ فِي الْأَرْضِ - وَثُمَّ لَاسْتَبْعَادُ الْإِنجَاءِ بِمَعْنَى يَتَمَنَّى لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا
تَحْتَ يَدِهِ وَبَذَلَهُمْ فِي فِدَاءِ نَفْسِهِ ثُمَّ يُنَجِّيه ذَلِكَ وَهِيَ هَاتِ ان يُنَجِّيه [كَلَّا] رَدَعَ لِلْمَجْرَمِ عَنِ الْوَدَادَةِ وَتَنْبِيهِ
عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُ الْإِفْتِدَاءُ وَلَا يُنَجِّيه مِنَ الْعَذَابِ ثُمَّ قَالَ [إِنَّهَا] وَالضَّمِيرُ لِلنَّارِ وَلَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرُ لَانِ ذِكْرُ الْعَذَابِ
دَلَّ عَلَيْهَا - وَيجوز أن يكون ضميرًا مبهمًا ترجَمَ عَنْهُ الْخَبَرُ - أَوْ ضَمِيرُ الْقِصَّةِ - وَ [لَطْفٌ] عِلْمٌ لِلنَّارِ مَنْقُولٌ مِنَ اللَّطْفِ
بِمَعْنَى اللَّهَبِ - وَيجوز أن يراد اللَّهَبُ - وَ نَزَّاعَةٌ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرِ لَانِ - أَوْ خَبَرٌ لِلطَّيِّ ان كَانَتْ الْهَاءُ ضَمِيرَ الْقِصَّةِ
أَوْ صِفَةً لَهُ ان اردت اللَّهَبُ وَ التَّأْنِيثُ لَانِهِ فِي مَعْنَى النَّارِ - أَوْ رُفِعَ عَلَى التَّهْوِيلِ اِي هِيَ نَزَّاعَةٌ - وَ قَرِئَ
[نَزَّاعَةٌ] بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ الْمُؤَكَّدَةِ - أَوْ عَلَى أَنَّهَا مُتَلَطِّئَةٌ نَزَّاعَةٌ - أَوْ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ لِلتَّهْوِيلِ - وَالشَّوَى الْأَطْرَافُ
أَوْ جَمْعُ شَوَاةٍ وَهِيَ جِلْدَةُ الرَّأْسِ تَنْزَعُهَا فَتَبْتَكِيهَا ثُمَّ تَعَادُ - وَ [تَدْعُوهُ] مَجَازٌ عَنْ احْضَارِهِمْ كَأَنَّهَا تَدْعُوهُمْ فَتَحْضُرُهُمْ
وَنَحْوَهُ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ * تَدْعُو أَنْفَهُ الرِّيبَ * وَقَوْلُهُ * ع * لِيَا أَيُّ الْهَوَاطِطِ بَيْدِي فَاتَّبِعْهُ * وَقَوْلُ أَبِي النُّجُمِ * ع * تَقُولُ
لِلرَّائِدِ اعْشَبْتَ أَنْزَلَ * وَ قِيلَ تَقُولُ لَهُمُ الْيَّ الْيَّ يَا كَافِرِيَا مُنَافِقُ - وَ قِيلَ تَدْعُوهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْكَافِرِينَ
بِلِسَانٍ فَصِيحٍ ثُمَّ تَلْتَقِطُهُمُ التَّقَاطُ الْحَبَّ فَيَجُوزُ ان يَخْلُقَ اللَّهُ فِيهَا كَلَامًا كَمَا يَخْلُقُهُ فِي جُلُودِهِمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلِهِمْ
وَ كَمَا خَلَقَهُ فِي الشَّجَرَةِ - وَيجوز أن يكون دَعَاءُ الزَّبَاقِيَةِ - وَ قِيلَ تَدْعُوهُ تُهْلِكُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ دَعَاكَ اللَّهُ اِي
أَهْلَكَكَ - قَالَ * ع * دَعَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ بِإِغْيَا * [مَنِ ادْبَرَّ] عَنِ الْحَقِّ [وَتَوَلَّى] عَذَهُ [وَجَمَعَ] الْمَالَ فَجَعَلَهُ
فِي وِعَاءٍ وَكَذَرَهُ وَ لَمْ يُوَدِّ الزُّكُوفَ وَ الْحَقُوقَ الْوَاجِبَةَ فِيهِ وَ تَشَاغَلَ بِهِ عَنِ الدِّينِ وَ زُهِىَ بِإِقْتِنَائِهِ وَ تَكَبَّرَ - أَرَادَ بِالْإِنْسَانَ
النَّاسَ فَلِذَلِكَ اسْتَنْذَنِي مِنْهُ إِلَّا الْمُصَلِّينَ - وَ الْهَلْعُ سُرْعَةُ الْجَزَعِ عِنْدَ مَسِّ الْمَكْرُوهِ وَ سُرْعَةُ الْمَنْعِ عِنْدَ مَسِّ
الْخَيْرِ مِنْ قَوْلِهِمْ نَاتَتْ هِلُوعَ سُرْعَةَ السَّيْرِ - وَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مَا الْهَلْعُ
فَقُلْتُ قَدْ فَسَّرَهُ اللَّهُ وَ لَا يَكُونُ تَفْسِيرُ إِبْرِيْنٍ مِنْ تَفْسِيرِهِ وَ هُوَ الَّذِي إِذَا نَالَهُ شَرٌّ أَظْهَرَ شِدَّةَ الْجَزَعِ إِذَا نَالَهُ
خَيْرٌ بَخَلَ بِهِ وَ مَنَعَهُ النَّاسَ - وَ الْخَيْرُ الْمَالُ وَ الْغَنَى وَ الشَّرُّ الْفَقْرُ - أَوْ الصَّحَّةُ وَ الْمَرَضُ إِذَا صَحَّ الْغَنِيُّ
مَنَعَ الْمَعْرُوفَ وَ شَحَّ بِمَالِهِ وَ إِذَا مَرَضَ جَزَعَ وَ أَخَذَ يَوْصِي وَ الْمَعْنَى ان الْإِنْسَانَ لَا يَنْتَازِعُ الْجَزَعَ وَ
الْمَنْعَ وَ تَمَكَّنَهُمَا مِنْهُ وَ رَسُوخُهُمَا فِيهِ كَأَنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَيْهِمَا مَطْبُوعٌ وَ كَأَنَّهُ أَمْرٌ خَلَقِي وَ ضَرُورِي غَيْرُ اخْتِيَارِي
كَقَوْلِهِ تَعَالَى خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ وَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّهُ حِينَ كَانَ فِي الْبَطْنِ وَ الْمَهْدِ لَمْ يَكُنْ بِهِ هَاعَ وَ لَازَهُ
ذِمٌّ وَ اللَّهُ لَا يَذِمُّ فَعْلَهُ وَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ اسْتِثْنَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ جَاهَدُوا أَنْفُسَهُمْ وَ حَمَلُوا عَالِي الْمَكَارَةِ وَ ظَلَفُوهَا
عَنِ الشَّهَوَاتِ حَتَّى لَمْ يَكُونُوا جَازِعِينَ وَ لَا مَانِعِينَ - وَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ شَرُّ مَا أُعْطِيَ
ابْنَ آدَمَ شَحٌّ هَالِعٌ وَ جُبْنٌ خَالِعٌ - فَانْ قَامَتْ كَيْفَ قَالَ [عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ] ثُمَّ عَلَى صَلَاتِهِمْ بِحَافِظُونَ -
قَامَتْ مَعْنَى دَوَامِهِمْ عَلَيْهَا ان يَؤَاطَبُوا عَلَى إِدَائِهَا لَا يُخَلِّتُونَ بِهَا وَ لَا يَشْتَغَلُونَ عَنْهَا بِشَيْءٍ مِنَ الشَّوَالِغِ كَمَا

فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۖ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝ يُبْصَرُونَهُمْ ۝ يَوْمَ الْمَجْرَمِ تَوْقَتِي ۝ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۝ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝

كَانَ مِقْدَارُهُ [كمقدار مدة [خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ] مما يعد الناس - والروح جبرئيل عليه السلام افوده لتمييزه بفضله - وقيل الروح خلق هم حَفَظَةُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ كَمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ حَفَظَةُ عَلَى النَّاسِ - فَإِنَّ قَلَّتْ بِهِ يَتَعَلَّقُ قَوْلُهُ [فَاصْبِرْ] - قَلَّتْ بِسَآلِ سَائِلٍ لَّانِ اسْتَعْجَالَ الْفَضْرِ بِالْعَذَابِ إِنَّمَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الاسْتِهْزَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْوَحْيِ وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَضْجُرُّ رَسُولَ اللَّهِ فَأَمَرَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ مَنْ سَأَلَ عَنِ الْعَذَابِ لِمَنْ هُوَ فَإِنَّمَا سَأَلَ عَلَى طَرِيقِ التَّعَذُّبِ وَكَانَ مِنْ كَقَارِ مَكَّةَ - وَمَنْ قَرَأَ سَآلَ سَائِلٌ أَوْ سَيَّلَ فَمَعْنَاهُ جَاءَ الْعَذَابُ اقْرَبَ وَقَوَّعَهُ - فَاصْبِرْ فَقَدْ شَارَفْتَ الْإِنْتِقَامَ وَفَدَّ جَعَلَ فِي يَوْمٍ مِنْ صَلَوةٍ رَاقِعٍ أَيْ يَقَعُ فِي يَوْمٍ طَوِيلٍ مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ سَنَتِكُمْ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ اسْتِطَالَةً لَهُ لَشِدَّتِهِ عَلَى الْكَفَّارِ وَإِمَّا لِأَنَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَذَلِكَ - قِيلَ فِيهِ خَمْسُونَ مَوْطِنًا كُلُّ مَوْطِنٍ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا قَدَّرَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِ إِلَّا كَمَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ - الضَّمِيرُ فِي [يَرَوْنَهُ] لِلْعَذَابِ الْوَاقِعِ - أَوِ الْيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَيَمُنُ عُلُقٌ فِي يَوْمٍ بَوَاقِعٍ أَيْ يَسْتَبْعِدُونَهُ عَلَى جِهَةِ الْإِحَالَةِ [وَ] نَحْنُ [نَرَاهُ قَرِيبًا] هَيْئًا فِي قَدَرَتْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ عَلَيْنَا وَلَا مُتَعَذِّرٍ فَالْمُرَادُ بِالْبَعِيدِ الْبَعِيدُ مِنَ الْإِمْكَانِ وَبِالْقَرِيبِ الْقَرِيبُ مِنْهُ - نَصَبَ [يَوْمَ تَكُونُ] بِقَرِيبَا أَيْ يُمْكِنُ وَلَا يَتَعَذَّرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ - أَوْ بِاضْمَارٍ يَقَعُ لِدَلَالَةِ رَاقِعٍ عَلَيْهِ - أَوْ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ كَانَ كَيْتٌ وَكَيْتٌ - أَوْ هُوَ بَدَلٌ عَنْ فِي يَوْمٍ فَيَمُنُ عُلُقَهُ بَوَاقِعٍ - كَالْمُهْلِ كَدَّرَدِي الزَّيْتِ - وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ كَالْفَضَّةِ الْمَذَابَةِ فِي تَلَوْنِهَا [كَالْعِهْنِ] كَالصُّوفِ الْمَصْبُوغِ الْوَانَا لَنَّ الْجِبَالَ جُدَدَ بَيْضٍ وَحُمُرٍ مُخْتَلَفٍ الْوَانِيَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ فَإِذَا بُسَّتْ وَطُيِّرَتْ فِي الْجَوِّ اشْبَهَتْ الْعِهْنَ الْمَنْفُوشَ إِذَا طُيِّرَتْهُ الرِّيحُ [وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا] أَيْ لَا يَسْأَلُهُ بِكَيْفٍ حَالُكَ وَلَا يَكَلِّمُهُ لَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ مَا يَشْغَلُهُ عَنِ الْمَسْئَلَةِ [يُبْصَرُونَهُمْ] أَيْ يَبْصُرُ الْأَحْمَاءُ الْأَحْمَاءُ فَلَا يُخْفُونَ عَلَيْهِمْ فَمَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْمُسْأَلَةِ أَنْ بَعْضُهُمْ لَا يَبْصُرُ بَعْضًا وَإِنَّمَا يَمْنَعُهُمُ التَّشَاغُلُ - وَقَرِئَ يُبْصَرُونَهُمْ - وَقَرِئَ وَلَا يَسْأَلُ عَلَى الْبِذَاءِ لِلْمَفْعُولِ أَيْ لَا يَقَالُ لِحَمِيمٍ إِنْ حَمِيمًا وَلَا يَطْلُبُ مِنْهُ لِأَنَّهُمْ يَبْصُرُونَهُمْ فَلَا يُحْتَاجُونَ إِلَى السُّؤَالِ وَالطَّلَبِ - فَإِنَّ قَلَّتْ مَا مَوْقِعُ يُبْصَرُونَهُمْ - قَلَّتْ هُوَ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ كَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا قِيلَ لَعَلَّهُ لَا يَبْصُرُهُ فَقِيلَ يُبْصَرُونَهُمْ وَلَكِنْهُمْ لَتَشَاغَلُهُمْ لَمْ يَتِمَّ كَذَوَا مِنْ تَسْأُلِهِمْ - فَإِنَّ قَلَّتْ لِمَ جَمَعَ الضَّمِيرَانِ فِي يُبْصَرُونَهُمْ وَهُمَا لِلْحَمِيمَيْنِ - قَلَّتْ الْمَعْنَى عَلَى الْعَمُومِ لِكُلِّ حَمِيمَيْنِ لَا لِحَمِيمَيْنِ اثْنَيْنِ - وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ يُبْصَرُونَهُمْ صِفَةً أَيْ حَمِيمًا مُبْصَرَيْنِ مَعْرُوفَيْنِ آيَاهُمْ - قَرِئَ [يَوْمَئِذٍ] بِالْجَرِّ وَالْفَتْحِ عَلَى الْبِذَاءِ لِلْإِضَافَةِ إِلَى غَيْرِ مَتَمِّكَيْنِ وَمِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِتَلْوِينِ عَذَابٍ وَنَصَبِ يَوْمَئِذٍ وَانْتِصَابِهِ بِعَذَابٍ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى تَعْذِيبٍ [وَفَصِيلَتِهِ] عَشِيرَتُهُ الْإِدْنُونَ الَّذِينَ فَصَلَ عَنْهُمْ [تُؤْوِيهِ] تَضَمَّنَهُ انْتِمَاءً إِلَيْهَا أَوْ لِإِذَا بَهَا فِي الذُّوُبِ [يُنْجِيهِ] عَظْفٌ عَلَى يَقْتَدِي أَيْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ۝

اي لا يقدر احد منكم ان يتحجزة عن ذلك ويدفعه عنه - او لرسول الله اي لا تقدر ان تتحجزوا عنه القتال وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك في قوله [وَاِنَّا لَنَعْلَمُ اَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِيْنَ] وهو ايعاد على التذكيب - وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن [وَاِنَّهُ] الضمير للقرآن لَحَسْرَةً عَلَى الْكَافِرِيْنَ به المكذبين له اذا راوا ثواب المصدقين به - او للتكذيب - وَاِنَّ الْقُرْآنَ لِلْيَقِيْنِ حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين [فَسَبِّحْ] الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحانه الله واعبدوه شكرا على ما آتاكم له من ايجائه اليك - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا •

سورة المعارج

ضمن [سَأَلَ] معنى دعا فعدي تعديته كانه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يَدْعُوْنَ فِيْهَا بِكَلِّ فَكَيْهَةٍ - وعن ابن عباس هو النضر بن الحارث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتينا بعذاب اليم - وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استعجل بعذاب للكافرين - وقرئ سَأَلَ سَائِلٌ وهو على وجهين - اما ان يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون سلت تسأل وهما يتسائلان - وان يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سأل سَائِلٌ والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اذ دفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم - وعن قتادة سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل و بمن يقع فنزلت وسأل على هذا الوجه مضمّن معنى عني واهتم - فان قلت بم يتصل قوله [لِلْكَافِرِيْنَ] - قلت هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كائن لِلْكَافِرِيْنَ - او بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع - او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم - وعلى الثاني هو كلام مبتدأ جواب للسائل اي هو للكافرين - فان قلت ف قوله مِنَ اللَّهِ بِم يتصل - قلت يتصل بواقع اي واقع من عنده - او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته و اوجبت الحكمة وقوعه [ذِي الْمَعَارِجِ] ذى المصاعد جمع معراج ثم وصف المصاعد و بعد مداها في العلو والارتفاع فقال [تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ] الى عرشه و حيث تهبط منه او امرة [فِي يَوْمٍ]

وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنًا حَمِيمٌ ۖ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۖ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۚ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۖ وَمَا لَا تَبْصُرُونَ ۚ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۖ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۖ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ۖ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۖ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۖ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۖ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۖ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۖ وَإِنَّهُ لَتَذَكُّرٌ

انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمن أ فلا نخلع نصفها الآخر - وقيل هو منع الكفار وقولهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين [حَمِيمٌ] قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتكاملونه ويفرون منه كقوله وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا - والغسلين غسالة اهل النار و ما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم فعلى من الغسل [الْخَاطِئُونَ] الأثمون اصحاب الخطايا و خطي الرجل اذا تعمّد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس - و قرئ الْخَاطِئُونَ بابدال الهمزة ياء - وَالْخَاطِئُونَ بطرحها - وعن ابن عباس ما الخطاؤون كلنا نخطو - و روى عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخطاؤون انما هو الخطاؤون ما الصابون انما هو الصابئون - و يجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله - هو اقسام بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر - وقيل الدنيا والآخرة و الاجسام و الارواح و الانس و الجن و الخلق و الخالق و النعم الظاهرة و الباطنة - ان هذا القرآن [لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ] اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله [وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ] ولا كاهن كما تدعون - والقلّة في معنى العدم اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة و المعنى ما اكفركم و ما اغفلكم [تَنْزِيلٌ] هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه [مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ] - و قرأ ابو السمال تنزيلا اي نزل تنزيلا - وقيل الرسول الكريم جبرئيل عليه السلام وقوله وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ دليل على انه مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن - التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل - و سمي الاقوال المتقولة اقاريل تصغيرا بها و تحقيرا كقولك الاعاجيب و الاضاحيك كأنها جمع أفعولة من القول و المعنى و لو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبورا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاملة بالسخط و الانتقام فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون اهولا وهو ان يؤخذ بيده و تضرب رقبته - وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره و اذا اراد ان يوقعه في جده و ان يكفحه بالسيف و هو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه و معنى [لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ] لآخذنا بيمينه كما ان قوله [لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ] لقطعنا وتينه وهذا بين و الوتين نياط القلب و هو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه - و قرئ وَلَوْ تَقَوَّلَ على البذاء للمفعول - قيل حاجزين في وصف أحد لانه في معنى الجماعة و هو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد و الجمع و المذكر و المؤنث و منه قوله تعالى لَا نَفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ - لَسْتَنْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ - و الضمير في عنه للقتل

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۖ وَآمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ ۖ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ ۖ يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۖ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ ۖ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ۖ خَذِرَةٌ فَعِلُّوه ۖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه ۖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ

سورة الحاقة ٤٩
الجزء ٢٩
ع ٤

الفعل لها مجازا وهو لصاحبها [عَالِيَةً] مرتفعة المكان في السماء - او رفيعة الدرجات - او رفيعة المباني والقصور و الاشجار [دَانِيَةً] ينالها القاعد و النائم - يقال لهم [كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا] اكلا و شربا هنيئنا - او هنيئتم ههنا على المصدر [بِمَا أَسْلَفْتُمْ] بما قدمتم من الاعمال الصالحة [فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ] الماضية من ايام الدنيا - و عن مجاهد ايام الصيام اي كلوا و اشربوا بدل ما امسكتكم عن الاكل و الشرب لوجه الله - و روي يقول الله تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا و قد قلصت شفاهكم عن الاشربة و غارت اعينكم و خمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم و كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * الضمير في [يَلَيْتَهَا] للموتة يقول يا ليت الموتة التي مُتُّهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ اي القاطعة لامري فلم أُبْعَث بعدها و لم الق ما القى - او للحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه رأى تلك الحالة ابشع و امر مما ذاقه من مرارة الموت و شدته فتمناه عندها - [مَا أَغْنَىٰ] نفى او استفهام على وجه الانكار اي لي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار [هَلْكَ عَنِّي] سُلْطَانِي مُلْكِي و تسلطي على الناس و بقيت فقيرا ذليلا - و عن ابن عباس انها نزلت في الاسود بن عبد الاشد - و عن فدا خُسْرَةَ الملقب بالعصد انه لما قال * شعر * عضد الدولة و ابن ركنها * ملك الاملاك غلب القُدْر * لم يفلح بعده و جُنْ فكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الآية - و قال ابن عباس ضلّت عني حجتني و معناه بطلت حجتني التي كنت احتج بها في الدنيا [ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه] ثم لا تصلوه الا الجحيم و هي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلي النار و صلاه النار - سلكه في السلسلة ان تلوى على جسده حتى يلتف عليه اثنائها و هو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة و جعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً يُرِيدَ مَرَاتٍ كَثِيرَةٌ لَأنها اذا طالمت كان الارهاق اشد و المعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصليية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كأنها افطع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم و معنى ثُمَّ الدلالة على تفارت ما بين العذابين ما بين الغلّ و التصليية بالجحيم و ما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة - [إِنَّهُ] تعليل على طريق الاستيناف و هو ابلاغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك - و في قوله [وَلَا يُخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ] دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين - احدهما عطفه على الكفر و جعله قرينة له - و الثاني ذكر الخوض دون الفعل ليعلم ان تارك الخوض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل - و ما احسن قول القائل * شعر * اذا نزل الاضياف كان عذورا * على الحي حتى تستقل مرآجله * يريد حضهم على القرى و استعجلهم و تشاكش عليهم - و عن ابي الدرداء

فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ۖ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ
أَقْرَبُوا كِتَابِي ۖ إِنَّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٌ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۖ

الدَّكَانَ [فَيَوْمَئِذٍ رَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ] فحينئذٍ نزلت النازلة وهي القيمة [وَاهِيَةٌ] مسترخية ساقطة القوة
جدا بعد ما كانت محكمة متمسكة يريد و الخلق الذي يقال له المَلَكُ ورد اليه الضمير مجموعا في قوله
فَوْقَهُمْ عَلَى الْمَعْنَى - فَإِنْ قُلْتَ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِهِ وَالْمَلَكُ وَبَيْنَ أَنْ يُقَالَ وَالْمَلَكَةُ - قُلْتَ الْمَلَكُ أَعَمُّ
مِنَ الْمَلَكَةِ أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَكَ مَا مِنْ مَلَكٍ إِلَّا وَهُوَ شَاهِدٌ أَعَمُّ مِنْ قَوْلِكَ مَا مِنْ مَلَكَةٍ [عَلَى أَرْجَائِهَا]
عَلَى جَوَانِبِهَا الْوَاحِدُ رَجَاءٌ مُقْصُورٌ يَعْنِي أَنَّهَا تَنْشَقُّ وَهِيَ مَسْكَنُ الْمَلَكَةِ فَيَنْضَوُونَ إِلَى أَطْرَافِهَا وَمَا حَوْلَهَا
مِنْ حَافَاتِهَا [ثَمَنِيَّةٌ] أَيْ ثَمَانِيَّةٌ مِنْهُمْ - وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هُمْ الْيَوْمُ أَرْبَعَةٌ فَإِذَا كَانَ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَيْدُهُمُ اللَّهُ بَارَبَعَةَ أُخْرَيْنَ فَيَكُونُونَ ثَمَانِيَّةً - وَرَوَى ثَمَانِيَّةُ أَمْلَكَ أَرْجُلَهُمْ فِي تَحْوَيمِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ
وَالْعَرْشِ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ وَهُمْ مُطَرَّقُونَ مُسْتَبَحُونَ - وَقِيلَ بَعْضُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ وَبَعْضُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْأَمْدِ
وَبَعْضُهُمْ عَلَى صُورَةِ الثَّوْرِ وَبَعْضُهُمْ عَلَى صُورَةِ الذَّئْبِ - وَرَوَى ثَمَانِيَّةُ أَمْلَكَ فِي خَلْقِ الْأَرْعَالِ مَا بَيْنَ أَظْلَافِهَا
إِلَى رُكْبَتَيْهَا مَسِيرَةٌ مَبْعُوعِينَ عَامًا - وَعَنْ شَهْرِبَنْ حَوْشِبٍ أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ يَقُولُونَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ لَكَ الْحَمْدُ
عَلَى عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ وَأَرْبَعَةٌ يَقُولُونَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ - وَعَنْ الْحَسَنِ
اللَّهُ أَعْلَمُ كَمْ هُمْ أَثْمَانِيَّةٌ أَمْ ثَمَانِيَّةٌ أَلْفٌ - وَعَنْ الْأَصْحَابِ ثَمَانِيَّةٌ صَفُوفٌ لَا يَعْلَمُ عَدَدُهُمْ إِلَّا اللَّهُ - وَبِحُجُوزٍ أَنْ تَكُونَ
الْثَمَانِيَّةُ مِنَ الرُّوحِ أَوْ مِنَ الْخَلْقِ أُخْرٍ فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ خَلْقٍ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ
وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ - الْعَرَضُ عِبَارَةٌ عَنِ الْحَاسِبَةِ وَالْمُسَاءَلَةِ شَبَهَ ذَلِكَ بِعَرَضِ السُّلْطَانِ الْعَسْكَرَ
لَتَعْرِفَ أحواله - وَرَوَى أَنَّ فِي يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ فَأَمَّا عَرَضَتَانِ فَأَعْتَذَارٌ وَاحْتِجَاجٌ وَتَوْبِيخٌ وَأَمَّا الثَّالِثَةُ
فَفِيهَا تَنْثَرُ الْكُتُبُ فَيَأْخُذُ الْفَائِزُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَالْهَالِكُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ [خَافِيَةٌ] سَرِيرَةٌ وَحَالٌ كَانَتْ تَخْفَى
فِي الدُّنْيَا بِسُتْرِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ [فَأَمَّا] تَفْصِيلٌ لِلْعَرَضِ - هَؤُلَاءِ صَوْتٌ يَصُوتُ بِهِ فَيَفْهَمُ مِنْهُ مَعْنَى خُذْ كَأْتِ وَحَسِّنْ
وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ [وَكِتَابِيَّةٌ] مَنْصُوبٌ بِهَؤُلَاءِ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ - وَعِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ بِأَقْرَبُوا لِأَنَّهُ أَقْرَبُ الْعَامِلِينَ
وَأَصْلُهُ هَؤُلَاءِ كِتَابِي أَقْرَبُوا كِتَابِي فَحَذَفَ الْأَوَّلَ لِدَلَالَةِ الثَّانِي عَلَيْهِ وَنَظِيرُهُ أَتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا قَالُوا
وَلَوْ كَانَ الْعَامِلُ الْأَوَّلُ لَقِيلَ أَقْرَبُوا وَافْرَغْ وَهَاءٌ لِلْسَّكْتِ فِي كِتَابِيَّةٍ وَكَذَلِكَ فِي حِسَابِيَّةٍ وَمَالِيَّةٍ وَسُلْطَانِيَّةٍ
وَحَقٌّ هَذِهِ الْهَاءَاتُ أَنْ تُثَبَّتَ فِي الْوَقْفِ وَتَسْقُطَ فِي الْوَصْلِ وَقَدْ اسْتُحِبَّ إِثَارُ الْوَقْفِ إِثَارًا لثَبَاتِهَا لثَبَاتِهَا
فِي الْمَصْحَفِ - وَقِيلَ لَا بَأْسَ بِالْوَصْلِ وَالْإِسْقَاطِ - وَقَرَأَ ابْنُ مُحَيْصِنٍ بِاسْكَانِ الْيَاءِ بِغَيْرِ هَاءٍ - وَقَرَأَ جَمَاعَةٌ
بِاثْبَاتِ الْهَاءِ فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ جَمِيعًا لِاتِّبَاعِ الْمَصْحَفِ - [ظَنَنْتُ] عَلِمْتُ وَأَمَّا أَجْرِي الظَّنُّ مَجْرَى
الْعِلْمِ لِأَنَّ الظَّنَّ الْغَالِبُ يَقَامُ مَقَامَ الْعِلْمِ فِي الْعَادَاتِ وَالْأَحْكَامِ وَيُقَالُ أَظُنُّ ظَنًّا كَالْيَقِينِ أَنَّ الْأَمْرَ كَيْتٌ وَكَيْتٌ
[رَاضِيَةٌ] مَنْسُوبَةٌ إِلَى الرِّضَى كَالدَّارِعِ وَالذَّابِلِ وَالنَّسْبَةُ نَسْبَتَانِ نَسْبَةٌ بِالْحَرْفِ وَنَسْبَةٌ بِالصِّيغَةِ - أَوْ جَعَلَ

سورة الحاقة ٤٩

الجزء ٢٩

ج ٤

فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً ۖ إِذَا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُمُ فِي الْجَارِيَةِ ۖ لَنَجْعَلَنَّ لَكُمُ تَذَكُّرًا وَتَعِيَةً ۚ
 اذُنٌ وَأَعِيَّةٌ ۖ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ فَيَوْمَئِذٍ
 رُفِعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ۖ وَنَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ

الليالي والايام - وقرئ اعجاز نخيل [من باقية] من بقية - او من نفس باقية - او من بقاء كالطائفة بمعنى الطغيان
 [ومن قبله] يريد ومن عنده من تباعه - وقرئ ومن قبله اي ومن تقدمه وتعضد الاولى قراءة عبد الله و
 ابي ومن معه وقراءة ابي موسى ومن تلقاه [والمؤتفكت] قرئ قوم لوط [بالخاطئة] بالخطاء او بالفعل -
 او الافعال ذات الخطاء العظيم [رابية] شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا الشيء
 يربو اذا زاد ليربو في اموال الناس • [حملتكم] حملنا اباكم [في الجارية] في سفينة نوح لانهم اذا كانوا
 من نسل المحمولين الفاجين كان حمل اباؤهم مئة عليهم وكانهم هم المحمولون لان نجابتهم سبب ولادتهم
 [لنجعلها] الضمير للفعل وهي نجاة المؤمنين و اغراق الكفرة [تذكرة] عظة وعبرة [اذن واعية] من
 شأنها ان تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما
 حفظته في غير نفسك فقد اوعيته كقولك اوعيت الشيء في الظرف - وعن النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه عند نزول هذه الآية سألت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي
 رضي الله عنه فما نسيت شيئا بعد وما كان لي ان انسى - فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد
 والتذكير - قلت لا ايدان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن
 الواحدة اذا وعيت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يدالي بهم بالة وان
 ملأوا ما بين الخافقين - وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعي بكيد - اسند الفعل الى المصدر
 وحسن تذكيره للفصل - وقرأ ابو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا للفعل الى الجار والمجرور - فان قلت
 هما نفختان فلم قيل واحدة - قلت معناه انها لا تتثنى في وقتها - فان قلت فاي النفختين هي - قلت
 الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس - وقد روي عنه انها الثانية - فان قلت اما قال
 بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية - قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع
 فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جنته عام كذا
 وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته [وحملت] ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها
 انها تحمل الارض والجبال - او بخلق من الملكة - او بقدرة الله من غير سبب - وقرئ وحملت بحذف
 المحمل وهو احد الثلثة [فدكتا] فدكت الجملتان جملة الارضين و جملة الجبال فضرب بعضها ببعض
 حتى تندق وترجع كنيبا مهيبا وهباء منبئا والدك اباح من الدق - وقيل فبسطتا بسطة واحدة
 فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امنا من قولك اندك السنام اذا تفرش وبغير ادك ونقة دكاه ومنه

وَأَمَّا عَادُ فَاهْلَكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۚ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۖ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۖ

هي اي اي شي هي تفخيما لشانها و تعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمرة لانه اهول لها [و ما ادرنك]
واي شي اعلمك [ما الحاقة] يعني اذك لا علم لك بكنهها ومدى عظمتها على انه من العظم والشدّة
بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك و ما في موضع الرفع
على الابتداء و ادرنك معاقب عذبة لتضمنه معنى الاستفهام - القارعة اللتي تقررع الناس بالافزع والاهوال
و السماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والفسف والنجوم بالطمس والانكدار و وضعت
موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها و فخمها اتبع ذكر
ذلك ذكر من كذب بها و ما حل بهم بسبب الكذيب تذكيرا لاهل مكة و تخويها لهم من عاقبة تكذيبهم
[بالطاغية] بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة - واختلاف فيها فليل الرجفة - وعن ابن عباس الصاعقة -
وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدهم - وقيل الطاغية مصدر كالعانية اي بطغيانهم وليس بذلك
لعدم الطباق بينها وبين قوله بريح صرصر والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة - وقيل الباردة من الصر
كانها اللتي كرر فيها البرد و كثر فهي تحرق لشدّة بردها [عاتية] شديدة العصف والعنوا استعارة - او
عمت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من امتنار ببذاء اوليائه بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت
تزعهم من مكائهم و تهلكهم - وقيل عمت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن - وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ما ارسل الله سقاية من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد
ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغا الماء حملنكم
في الجارية و ان الريح يوم عاد عمت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية ولعلها
عبارة عن الشدة والافراط فيها - الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالشكور
والكفور - فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة او متتابعة هبوب
الرياح ما خففت ساعة حتى امت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد
اخرى حتى ينحسم - وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اي تحسم حسوما بمعنى تستأصل امتيصالا -
او يكون صفة كقولك ذات حسوم - او يكون مفعولا له اي سخرها عليهم للاستيصال - وقال عبد العزيز بن زرارعة الكلابي
* شعر * ففرق بين بينهم زمان * تتابع فيه اعوام حسوم * وقرأ السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي
سخرها عليهم مستأصلة - وقيل هي ايام العجز و ذلك ان عجوزا من عاد توارت في سرب فانزعقتها الريح في
اليوم الثامن فاهلكتها - وقيل هي ايام العجز وهي اخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والأمرو المؤتمر
و المعتل ومطفى الجمر وقيل مكفى الطعن - ومعنى سخرها عليهم سلتها عليهم كما شاء [فيها] في مهبتها - او في

فَاجْتَبِهْ رَبَّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۝ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝

الجزء ٢٩

ع ٤

حروفها

١١٣٤

سورة الحاقة مكية وهي اثنان وخمسون آية وفيها ركوعان

كلماتها

٢٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

أَلْحَاقَةُ ۝ مَا الْحَاقَةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَةُ ۝ كَذَبْتَ ثُمُودَ وَعَادَ بِالْقَارِعَةِ ۝ فَمَآ ثُمُودَ فَأَهْلَكُوا بِطَاغِيَةِ ۝

الحال الماضية بمعنى اولا ان كان يقال فيه تداركه كما يقال كان زيد سيقوم فممنعه فلان اي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام ونعمة ربه ان انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على خلاف الذم حين نُبذ بالعمراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم - وروي انها نزلت بأحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما حل به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا - وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف - وقرئ رَحْمَةً مِنْ رَبِّهِ [فَاجْتَبِهْ رَبَّهُ] فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتأب عليه وهدى [فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ] اي من الانبياء - وعن ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه - [إِنْ] مخففة من الثقيلة واللام علمها - وقرئ لَيُزْلِقُونَكَ بضم الياء - وفتحها - وزلقه وازلقه بمعنى و يقال زلق الرأس وازلقه حلقه - وقرئ لَيُزْهِقُونَكَ من زهقت نفسه وازهقها يعني انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شذرا بعيدون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك او يهلكونك من قولهم نظراي نظرا يكاد يصرعني ويكاد يأكلني اي لو امكنه بنظرة الصرع او الاكل لفعله - قال شعر * يتقارضون اذا التقوا في موطن * نظرا يزل مواطي الاقدام * وقيل كانت العين في بني اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلثة ايام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه فاريد بعض العيانيين ان يقول في رسول الله مثل ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله - وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية [لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ] اي القران لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة [وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ] حيرة في امره وتغيرا عنه والافقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم جفؤوا لاجل القران [وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ] وموعظة [لِلْعَالَمِينَ] فكيف يجن من جاء بمثله - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة

[أَلْحَاقَةُ] الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها - او التي فيها حواقي الامور من الحساب والثواب والعقاب - او التي تحقق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها [مَا الْحَاقَةُ] والاصل الحاقة ما

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۖ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ۖ فَذَرْنِي
وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۖ وَأُمْلِي لَهُمْ ۖ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ۖ
أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ۖ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ۖ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ
كَصَاحِبِ الْحُوتِ ۖ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۖ لَوْلَا أَنْ تَدْرَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۖ

ومنه اكشف الرجل فهو مكشوف اذا انقلبت شفته العليا و ناصب الظرف فليأتوا - او اضمار اذكر - اذ يوم
يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتحويل البليغ وان ثمة من الكوائن ما لا يوصف لعظمه -
عن ابن مسعود تعقم اصلاهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تذني عند الرفع و الخفض وفي الحديث
و تبقى اصلاهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة - فان قلت لم يدعون الى السجود ولا تكليف - قلت
لا يدعون اليه تعبدا و تكليفا ولكن توبيخا و تعذيفا على تركهم السجود في الدنيا مع اقام اصلاهم و الحيلولة
بينهم و بين الاستطاعة تحسيرا لهم و تديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود و هم سالموا الاصاب
و المفاعل ممكنون مزاحوا العلل فيما تعبدا به - يقال ذرني و اياه يريدون كله الي فاني اكفيكه
كانه يقول حسبك ايقاعا به ان تكل امره الي و تخلي بيدي و بينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به مطبق
له و المراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشانه و توكل علي في الانتقام منه تسليمة
لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و تهديدا للمكذبين - استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة
فدرجة حتى يورطه فيه و استدراج الله العصاة ان يرزقهم الصحة و النعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة و متسلقا
الى ازدياد الكفر و المعاصي [مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ] اي من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج
و هو الانعام عليهم لانهم يحسبونهم ايثارا لهم و تفضيلا على المؤمنين و هو سبب لهلاكهم [وَأُمْلِي لَهُمْ]
و أمهلهم كقوله إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا و الصحة و الرزق و المد في العمر احسان من الله و افضال يوجب
عليهم الشكر و الطاعة و لكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك و وصف المنعم
بالاستدراج - و قيل كم من مستدرج بالاحسان اليه و كم من مفتون بالثناء عليه و كم من مغرور بالستر
و سمي احسانه و تمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة
و وصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه للتسبب للهلاك - المغمم الغرامة اي لم تطلب منهم على الهداية
و التعليم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبثهم ذلك عن الايمان [أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ] اي
الموح [فَهُمْ يَكْتُمُونَ] منه ما يحكمون به [لِحُكْمِ رَبِّكَ] و هو امهالهم و تأخير نصرتك عليهم [وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ
الْحُوتِ] يعني يونس صلوات الله عليه [إِذْ نَادَىٰ] في بطن الحوت [وَهُوَ مَكْظُومٌ] مملوء غيظا من كظم
السقاء اذا ملأه و المعنى لا يوجد منكم ما وجد منه من الضجر و المغاضبة فتبتلي ببلائه - حسن تذكير الفعل
لفصل الضمير في [تَدْرَكَهُ] - و قرأ ابن عباس و ابن مسعود تَدْرَكَتْهُ - و قرأ الحسن تَدْرَكَهُ اي تداركه على حكاية

لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ ٥ أَمْ لَكُمْ إِيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ٦ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ
 زَعِيمٌ ٧ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ٨ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ٩ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ
 حورة القام ٢٨
 الجزء ٢٩
 ع ٣

الشيء و اختاره اخذ خيرة و نحوه تنخأه و انتخله اذا اخذ منخوله * افلان علي يمين بكذا اذا ضمنته منه
 و حلفت له على الوفاء به يعني ام ضمنا منكم و اقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد -
 فان قلت لم يتعلق [إلى يَوْمِ الْقِيَمَةِ] - قلت بالمقدّر في الظرف اي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة
 لانخرج عن عهدها الا يومئذ اذا حكمناكم و اعطيناكم ما تَحْكُمُونَ - و يجوز ان يتعلق بِالْغَةِ على انها
 تبلغ ذاك اليوم و تنتهي اليه و افرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التكليم - و قرأ الحسن
 بِالْغَةِ بالنصب على الحال من الضمير في الظرف [إِنَّكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ] جواب القسم لان معنى أَمْ لَكُمْ
 إِيْمَانٌ عَلَيْنَا ام اقسمنا لكم - [أَيْهِمْ بِذَلِكَ] الحكم [زَعِيمٌ] اي قائم به و بالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم
 المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم [أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ] اي ناس يشاركونهم في هذا القول و يوافقونهم عليه و يذهبون
 مذهبهم فيه [فَلْيَأْتُوا] بهم [إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ] في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما
 انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله و لا زعيم لهم يقوم به * الكشف عن الساق و الابداء
 عن الخدام مثل في شدة الامر و صعوبة الخطب و اصله في الرزع و الهزيمة و تشمير المخدرات عن سوقهم في
 الحرب و ابداء خدامهم عند ذلك - قال حاتم * شعر * اخو الحرب ان عصمت به الحرب عضها * وان شمرت عن
 ساقها الحرب شمترا * و قال ابن الرقيات * شعر * تذهل الشيخ عن بنيه و تبدي * عن خدام العقيلة العذراء *
 فمعنى يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ في معنى يوم يشتد الامر و يتفاقم ولا كشف ثمة ولا ساق كما تقول لاقطع الشحيح
 يده مغلوله ولا يد ثمة ولا غل و انما هو مثل في البخل و اما من شبهه فلضيق عطفه و قلة نظره في علم البيان
 و الذي غرة منه حديث ابن مسعود يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدوا و اما
 المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كأن فيها السفافيد و معناه يشتد امر الرحمن و يتفاقم هوله و هو الفرع
 الاكبر يوم القيامة ثم كان من حق الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة
 عذده و هي ساق الرحمن - فان قلت فلم جاءت منكرة في التمثيل - قلت للدلالة على انه امر مبهم في
 الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكُرٍ كأنه قيل يوم يقع امر فظيع هائل
 و يحكى هذا التشبيه عن مقاتل بن سليمان - و عن ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان احدهما شبه
 حتى مثل و هو مقاتل بن سليمان و الآخر نفى حتى عطل و هو جهنم بن صفوان و من احس بعظم
 مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منفعه - و قرئ يَوْمَ يُكْشَفُ بالذنون - و تكشف بالتاء على البناء
 للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة او للحال اي يوم يشتد الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب
 عن ساقها على المجاز - و قرئ تُكْشَفُ بالتاء المضمومة و كسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَاوُمُونَ ۝ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كَذَّابُونَ ۝ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۝ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ۝ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۝ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّا لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ ۝ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ ذِكْرٌ ۝ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝ إِنَّا

فلما تأملوا وعرفوا انها هي قالوا [بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ] حرمنا خيرها لجذابتنا على انفسنا - [أَوْسَطُهُمْ] اعدلهم وخيرهم من قواهم هو من سطة قومه واعطني من سطات مالك ومنه قوله تعالى اُمَّةً وَسَطًا [لَوْلَا تَسْبِيحُونَ] لولا تذكرون الله وتذوبون اليه من خبث ذنبتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول الذقمة فعصوه فعيدهم والدليل عليه قولهم [سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ] فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مفارقة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة - وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء للثقاتهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم - وعن الحسن هو الصلوة كأنهم كانوا يتوانون في الصلوة والآلهتهم عن الفحشاء والمنكر وكانت لهم لطفاً في ان يستثنوا ولا يحرموا - سُبْحَنَ رَبِّنَا سَبَّحُوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء [يَتْلَاوُمُونَ] يلوم بعضهم بعضاً لان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض [أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا] قرئ بالتخفيف - والتشديد [إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ] طالبون منه الخير راجون لعفوه [كَذَلِكَ الْعَذَابُ] مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا [وَلِلْآخِرَةِ] اشد واعظم منه - وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كافتني تعباً - وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيراً منها - وروي عن ابن مسعود بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها الجنة يقال لها الحيوان فيها عذب يحمل البغل منه عنقودا [عِنْدَ رَبِّهِمْ] اي في الآخرة [جَنَّاتِ النَّعِيمِ] جنات ليس فيها الا التمتع الخالص لا يشوبه ما ينقصه كما يشوب جنان الدنيا * كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح اننا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساونا فقل انكيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات [مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ] هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم [أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ] من السماء [تَدْرُسُونَ] في ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ واصل تدرسون ان لكم ما تختارون بفتح أن لانه مدروس فاما جاءت اللام كسرت - ويجوز ان تكون حكاية للمدرس كما هو كقوله وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ - وتخير

مُضْجِحِينَ ﴿١﴾ وَلَا يَسْتَنْذِرُونَ ﴿٢﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٣﴾ فَأَصْبَحَتِ كَالصَّرِيمِ ﴿٤﴾ فَتَنَادَوْا مُضْجِحِينَ ﴿٥﴾ إِنِ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثُكُمْ إِن كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴿٦﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿٧﴾ أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٨﴾ وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٩﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿١٠﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿١١﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٣﴾ فَأَقْبَلَ

سورة القلم ١٨

الجزء ٢٩

ع ٢

فَإِنْ قُلْتَ لِمَ سُمِّيَ اسْتِثْنَاءً وَإِنَّمَا هُوَ شَرْطٌ - قُلْتَ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي مُؤَدَى الاسْتِثْنَاءِ مِنْ حَيْثُ أَنْ مَعْنَى قَوْلِكَ لَا أَخْرِجَنَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَا أَخْرِجْ إِلَّا إِنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاحِدٌ - [فَطَافَ عَلَيْهَا] بَلَاءٌ أَوْ هَلَاكٌ [طَائِفٌ] كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَاحِيطٌ بِثَمَرِهِ - وَقَرِئَ طَائِفٌ [فَأَصْبَحَتِ كَالصَّرِيمِ] كَالْمَصْرُومَةِ لِهَلَاكِ ثَمَرِهَا - وَقِيلَ الصَّرِيمُ اللَّيْلُ أَيْ احْتَرَقَتْ فَاصْوَدَّتْ - وَقِيلَ النَّهَارُ أَيْ يَبْسُتْ وَذَهَبَتْ خَضَرَتُهَا أَوْ لَمْ يَبْقَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِمْ يَبْضُ الْأَنْاءُ إِذَا فَرَّغَ - وَقِيلَ الصَّرِيمُ الرَّمَالُ صَارِمِينَ حَامِدِينَ - فَإِنْ قُلْتَ هَلَا قِيلَ اغْدُوا إِلَى حَرْثِكُمْ وَمَا مَعْنَى عَلَى - قُلْتَ لَمَّا كَانَ الْغَدْوُ إِلَيْهِ لِيَصْرُمَهُ وَيَقْطَعُوهُ كَانَ غَدْوًا عَلَيْهِ كَمَا تَقُولُ غَدَا عَلَيْهِمُ الْعَدُوٌّ - وَيَجُوزُ أَنْ يَضْمَنَ الْغَدْوُ مَعْنَى الْإِقْبَالَ كَقَوْلِهِمْ يَغْدِي عَلَيْهِ بِالْجَفْنَةِ وَيُرَاجُ أَيْ فَاقْبِلُوا عَلَى حَرْثِكُمْ بِأَكْرَبِينَ [يَتَخَفَتُونَ] يَتَسَارَتُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَخَفِيَ وَخَفَتْ وَخَفَدَ ثَلَاثَتُهَا فِي مَعْنَى الْكُتْمِ وَمِنْهُ الْخُفْدُودُ الْخُفَاشُ [أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا] أَنْ مَفْسُورَةٌ - وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَطْرَحُهَا بِأَضْمَارِ الْقَوْلِ أَيْ يَتَخَفَتُونَ بِقَوْلِهِمْ لَا يَدْخُلْنَهَا وَالنَّهْيُ عَنِ الدَّخُولِ لِلْمَسْكِينِ نَهْيٌ لَهُمْ عَنْ تَمَكُّنِهِ مِنْهُ أَيْ لَا تَمَكُّوهُ مِنَ الدَّخُولِ حَتَّى يَدْخُلَ كَقَوْلِكَ لَا أُرِيدُكَ هَهُنَا - الْحَرْدُ مِنَ حَارَدَتْ إِذَا مَضَعَتْ خَيْرَهَا وَحَارَدَتْ الْإِبِلُ إِذَا مَضَعَتْ دَرَاهِمَهَا وَالْمَعْنَى وَغَدُوا قَادِرِينَ عَلَى نَكْدٍ لَا غَيْرَ عَاجِزِينَ عَنِ النِّفْعِ يَعْنِي أَنَّهُمْ عَزَمُوا أَنْ يَتَنَكَّدُوا عَلَى الْمَسَاكِينِ وَيَحْرِمُوهُمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى نَفْعِهِمْ فَعَدُّوا بِحَالِ فَقْرٍ وَذَهَابِ مَالٍ لَا يَقْدِرُونَ فِيهَا إِلَّا عَلَى النِّكْدِ وَالْحَرَمَانِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ طَلَبُوا حَرَمَانَ الْمَسَاكِينِ فَتَعَجَّلُوا الْحَرَمَانَ وَالْمَسْكَنَةَ - أَوْ غَدُوا عَلَى مَحَارِدَةٍ جَنَّتَهُمْ وَذَهَابَ خَيْرُهَا قَادِرِينَ بِدَلِّ كَوْنِهِمْ قَادِرِينَ عَلَى إصَابَةِ خَيْرِهَا وَمَنَافِعِهَا أَيْ غَدُوا حَاصِلِينَ عَلَى الْحَرَمَانِ مَكَانَ الْإِنْتِفَاعِ - أَوْ لَمَّا قَالُوا اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ وَقَدْ خَبِثَتْ نَيْتُهُمْ عَاقِبَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُ حَارَدَتْ جَنَّتَهُمْ وَحُرِمُوا خَيْرَهَا فَلَمْ يَغْدُوا عَلَى حَرْثٍ وَإِنَّمَا غَدُوا عَلَى حَرْدٍ - وَ[قَادِرِينَ] مِنْ عَكْسِ الْكَلَامِ لِلتَّهْكُمِ أَيْ قَادِرِينَ عَلَى مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الصَّرَامِ وَحَرَمَانَ الْمَسَاكِينِ وَعَلَى حَرْدٍ لَيْسَ بِصَلَةِ قَادِرِينَ - وَقِيلَ الْحَرْدُ بِمَعْنَى الْحَرْدِ - وَقَرِئَ عَلَى حَرْدٍ أَيْ لَمْ يَقْدِرُوا إِلَّا عَلَى حَقِّقٍ وَغَضَبٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ كَقَوْلِهِ يَتَلَاوَمُونَ - وَقِيلَ الْحَرْدُ الْقَصْدُ وَالسَّرْعَةُ يَقَالُ حَرَدْتُ حَرْدَكَ وَقَالَ شُعْرٌ أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ * يَحْرُدُ حَرْدُ الْجَنَّةِ الْمَغْلَةِ * وَقَطَا حِرَاءً سِرَاعٌ يَعْنِي وَغَدُوا قَاصِدِينَ إِلَى جَنَّتِهِمْ بِسُرْعَةٍ وَنَشَاطٍ قَادِرِينَ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ نَقْدِرُ عَلَى صَرَامِهَا وَرَزِيٍّ مَنفَعَتِهَا عَنِ الْمَسَاكِينِ - وَقِيلَ حَرْدٌ عِلْمٌ لِلْجَنَّةِ أَيْ غَدُوا عَلَى تِلْكَ الْجَنَّةِ قَادِرِينَ عَلَى صَرَامِهَا عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ أَوْ مَقْدَرِينَ أَنْ يَتَمَّ لَهُمْ مَرَادُهُمْ مِنَ الْبَصَرِ وَالْحَرَمَانِ - [قَالُوا] فِي بَدِيَّةٍ وَمَوَاقِفِهِمْ [إِنَّا لَضَالُونَ] أَيْ ضَالِمْنَا جَنَّتَنَا وَمَا هِيَ بِهَا لَمَّا رَأَوْا مِنْ هَلَاكِهَا

قَالَ اسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ سَدَسُمَهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ۝ إِنْ بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ۖ إِذِ اقْسَمُوا بِصِرْمَتِهَا

الغالب ان الذئقة اذا خبثت خبث الناسي منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده - وَبَعْدَ ذَلِكَ نَظِيرٌ ثُمَّ فِي قَوْلِهِ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا - وقرأ الحسن عَتَلُ رَفَعًا عَلَى الدَّمِ وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ تَقْوِيَةٌ لِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ - وَالزَّيْنِمُ مِنَ الزَّيْمَةِ وَهِيَ الْهِنَةُ مِنْ جِلْدِ الْمَاعِزِ تَقَطَّعَ فَتَخَلَّى مَعْلَقَةً فِي حَلْقِهَا لِأَنَّهُ زِيَادَةٌ مَعْلَقَةٌ بِغَيْرِ أَهْلٍ [أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ] مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ وَلَا تَطْعُ يَعْنِي وَلَا تُطْعَمُ مَعَ هَذِهِ الْمَثَالِبِ لِأَنَّ كَانَ ذَا مَالٍ أَيْ لَيْسَ بِسَارٍ وَحَظُهُ مِنَ الدُّنْيَا - وَيجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولاً مستظهراً بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قَالَ الَّذِي هُوَ جَوَابُ إِذَا لَانَ مَا بَعْدَ الشَّرْطِ لَا يَعْمَلُ فِيمَا قَبْلَهُ وَلَكِنْ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْجُمْلَةُ مِنْ مَعْنَى التَّكْذِيبِ - وَقَرَأْتُ أَنَّ كَانَ عَلَى الْاسْتِفْهَامِ عَلَى الْأَنَّ كَانَ ذَا مَالٍ كَذَبَ أَوْ أَتُطِيعُهُ لِأَنَّ كَانَ ذَا مَالٍ - وَرَوَى الزُّبَيْرِيُّ عَنْ نَافِعٍ أَنَّ كَانَ بِالْكَسْرِ وَالشَّرْطُ لِلْمُخَاطَبِ أَيْ لَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ شَارِطاً يَسَارُهُ لِأَنَّهُ إِذَا أَطَاعَ الْكَافِرَ لَغْنَاهُ فَكَانَهُ اشْتَرَطَ فِي الطَّاعَةِ الْغَنَى وَنَحْوُ صَرْفِ الشَّرْطِ إِلَى الْمُخَاطَبِ صَرْفَ التَّرْجِيهِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ - الْوَجْهَ أَكْرَمَ مَوْضِعَ فِي الْجَسَدِ وَالْأَنْفِ أَكْرَمَ مَوْضِعَ مِنَ الْوَجْهِ لِتَقَدُّمِهِ لَهُ وَلِذَلِكَ جَعَلُوهُ مَكَانَ الْعِزِّ وَالْحَمِيَّةِ وَاشْتَقَوْا مِنْهُ الْأَنْفَ وَقَالُوا الْأَنْفُ فِي الْأَنْفِ وَحَمِيَّ أَنْفِهِ وَفُلَانٌ شَامِخُ الْعَرَنِينَ وَقَالُوا فِي الدَّلِيلِ جُدَعَ أَنْفُهُ وَرَغِمَ أَنْفُهُ فَعَبَّرَ بِالْوَسْمِ عَلَى الْخُرُطُومِ عَنْ غَايَةِ الْإِذْلَالِ وَالْأَهَانَةِ لِأَنَّ السِّمَةَ عَلَى الْوَجْهِ شَيْنٌ وَإِذَالَةُ فَكَيْفَ بِهَا عَلَى أَكْرَمَ مَوْضِعَ مِنْهُ وَلَقَدْ وَهَمَ الْعَبَّاسُ أَبَاعَرَهُ فِي وَجْهِهَا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَكْرِمُوا الْوُجُوهَ فَوَسَمَهَا فِي جَوَاعِرِهَا - وَفِي لَفْظِ الْخُرُطُومِ اسْتِخْفَافٌ بِهِ وَاسْتِهْانَةٌ - وَقِيلَ مَعْنَاهُ سُنْعُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ بَعْلَامَةٌ مَشْهُوَّةٌ يَبِينُ بِهَا عَنْ سَائِرِ الْكُفَرَةِ كَمَا عَادَى رَسُولُ اللَّهِ عِدَاوَةً بَانَ بِهَا عَنْهُمْ - وَقِيلَ خَطَمَ يَوْمَ بَدْرٍ بِالسَّيْفِ فَبَقِيَتْ سِمَةٌ عَلَى خُرُطُومِهِ - وَقِيلَ سُنْشَهْرَةٌ بِهَذِهِ الشَّتِيْمَةُ فِي الدَّارَيْنِ جَمِيعًا فَلَا تَخْفَى كَمَا لَا يَخْفَى السِّمَةُ عَلَى الْخُرُطُومِ - وَعَنْ النُّضَرِ بْنِ شَمِيلٍ أَنَّ الْخُرُطُومَ الْخَمْرُ وَأَنَّ مَعْنَاهُ سُنْحَدَةٌ عَلَى شَرِبِهَا وَهُوَ تَعَسُّفٌ - وَقِيلَ لِلْخَمْرِ الْخُرُطُومُ كَمَا قِيلَ لَهَا السُّلَافَةُ وَهِيَ مَا سَافَ مِنْ عَصِيرِ الْعِنَبِ أَوْ لِأَنَّهُ تَطِيرُ فِي الْخَيْشِيمِ [إِنْ بَلَوْنَا] أَهْلَ مَكَّةَ بِالْقَحْطِ وَالْجُوعِ بِدَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ [كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ] وَهُمْ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ كَانَتْ لِأَيِّهِمْ هَذِهِ الْجَنَّةُ دُونَ صَنْعَةٍ بِفَرَسَخَيْنِ فَكَانَ يَأْخُذُ مِنْهَا قُوَّةً مَفْتَةً وَيَتَصَدَّقُ بِالْبَاقِي وَكَانَ يَتْرَكُ لِلْمَسَاكِينِ مَا أَخْطَأَهُ الْمِنْجَلُ وَمَا فِي أَسْفَلِ الْأَكْدَاسِ وَمَا أَخْطَأَهُ الْقُطَافُ مِنَ الْعِنَبِ وَمَا بَقِيَ عَلَى الْبَسَاطِ الَّذِي يَبْسُطُ تَحْتَ النُّخْلَةِ إِذَا صُرِمَتْ فَكَانَ يَجْتَمِعُ لَهُمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ فَلَمَّا مَاتَ قَالَ بَنُوهُ إِنْ فَعَلْنَا مَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُوْنَا ضَاقَ عَلَيْنَا الْأَمْرُ وَنَحْنُ أَوْلَاؤُا عِيَالٍ فَحَلَفُوا [لَيَصْرِمْنَهَا مُصْبِحِينَ] فِي السَّدَفِ خَفِيَّةً عَنِ الْمَسَاكِينِ وَلَمْ يَسْتَنْتُوا فِي يَمِينِهِمْ فَاحْرَقَ اللَّهُ جَنَّتَهُمْ - وَقِيلَ كَانُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُصْبِحِينَ دَاخِلِينَ فِي الصُّبْحِ مُبْتَكِرِينَ [وَلَا يَسْتَنْتُونَ] وَلَا يَقُولُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ -

خُلِقَ عَظِيمٌ ۝ فَسَتَبْصُرُ وَيَبْصُرُونَ ۝ بِأَنِّكُمْ أَلْمَقْتُونَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۝ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ۝ فَلَا تُطِيعِ الْمَكْذِبِينَ ۝ وَذُوا لَوْ تَذْهَبُ فَيَذْهَبُونَ ۝ وَلَا تُطِيعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۝ هَمَّازٌ مَشَاءٌ
بِذَمِّهِمْ ۝ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَتَيْمٌ ۝ عُدِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنِمْ ۝ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝ إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ أَيْدُنَا

سورة القلم ٢٨
الجزء ٢٩
ع ٢

القرآن أَلَسْتَ تَقْرَأُ القرآنَ قَدْ أَلْفَحَ الْمُؤْمِنُونَ [الْمَقْتُونَ] المجنون لأنه فُتِنَ أي مُجِن بالجنون أو لأن
العرب يزعمون أنه من تخييل الجن و هم الفُتَنان للفتاك منهم و الباء مزيدة - أو الْمَقْتُونَ مصدر كالمعقول
و المجلود أي بايتم الجنون أو باي الفريقين منكم المجنون أم بفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما
يوجد من يستحق هذا الاسم و هو تعريض بابي جهل بن هشام و الوليد بن المغيرة و أضرابهما و هذا كقوله
سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرُ [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ] بالمجانين على الحقيقة و هم الذين ضلوا عن سبيله
[وَهُوَ أَعْلَمُ] بالعلاء و هم المهتدون - أو يكون وعيدا و وعدا و أنه أعلم بجزاء الفريقين [فَلَا تُطِيعِ الْمَكْذِبِينَ] تهديد
و الهاب للتصميم على معاصاتهم و كانوا قد ارادوه على أن يعبد الله مدة و ألهمهم مدة و يكفوا عنه غوائلهم
[لَوْ تَذْهَبُ] لوتلين و تصانع [فَيَذْهَبُونَ] - فَنَ قُلْتُ لِمَ رَفَعُ فَيَذْهَبُونَ و لم ينصب باضمار أَنْ و هو جواب
التمني - قُلْتُ قَدْ عُدِّلَ بِهِ إِلَى طَرِيقٍ آخَرٍ هُوَ أَنْ جَعَلَ خَبْرَ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ أَيْ فُهِمَ يَذْهَبُونَ كقوله تعالى
فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ عَلَى مَعْنَى وَذُوا لَوْ تَذْهَبُ فَيَذْهَبُونَ حِينَئِذٍ - أو وَذُوا إِذْ هَانَكَ فُهِمَ الْآنَ يَذْهَبُونَ
لَطَمَعَهُمْ فِي إِذْ هَانَكَ - قَالَ حَبِيبِيهِ وَ زَعَمَ هَرُونَ أَنَّهَا فِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ وَذُوا لَوْ تَذْهَبُ فَيَذْهَبُونَ [حَلَّافٍ] كَثِيرُ
الْحَلْفِ فِي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَكَفَى بِهِ مَزْجَرَةٌ لِمَنْ اعْتَدَّ الْحَلْفَ وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً
لِإِيمَانِكُمْ [مَهِينٍ] مِنَ الْمَهَانَةِ وَ هِيَ الْقِلَّةُ وَ الْحَقَارَةُ يَرِيدُ الْقِلَّةَ فِي الرَّأْيِ وَ التَّمْيِيزِ - أو ارَادَ الْكَذَّابَ لِأَنَّهُ
حَقِيرٌ عِنْدَ النَّاسِ [هَمَّازٌ] عِيَابٌ طَعَانٌ - وَ عَنِ الْحَسَنِ يَلُوبِي شِدْقِيهِ فِي أَقْفِيَةِ النَّاسِ [مَشَاءٌ بِذَمِّهِمْ]
مَضْرُوبٌ نَقْلًا لِلْحَدِيثِ مَنْ قَوْمٌ إِلَى قَوْمٍ عَلَى وَجْهِ السَّعَايَةِ وَ الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمْ وَ الذَّمِّمْ وَ النَّمِيمَةُ السَّعَايَةُ - وَ انْشَدَنِي
بَعْضُ الْعَرَبِ * شَعْرٌ * تَشْبِيدِي تَشْبِيبُ الذَّمِيمَةِ * تَمْشِي بِهَا زَهْرَاءُ إِلَى تَمِيمَةٍ * [مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ] بِخَيْلٍ وَ الْخَيْرُ الْمَالُ -
أَوْ مَنَاعُ أَهْلِهِ الْخَيْرُ وَ هُوَ الْإِسْلَامُ فَذَكَرَ الْمَمْنُوعَ مِنْهُ دُونَ الْمَمْنُوعِ كَأَنَّهُ قَالَ مَنَاعٌ مِنَ الْخَيْرِ - قِيلَ هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ
الْمَغِيرَةِ الْمَخْزُومِي كَانَ مُوسِرًا وَ كَانَ لَهُ عَشْرَةٌ مِنَ الْبَنِينَ فَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ وَ لِلْحَمْدَةِ مِنْ أَسْلَمَ مِنْكُمْ مَنْعَتُهُ رَفَعَنِي عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ - وَ عَنْهُ أَنَّهُ أَبُو جَهْلٍ - وَ عَنِ مَجَاهِدِ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ - وَ عَنِ السَّدِّيِّ الْأَخْذَسِ بْنِ شَرِيقٍ أَصْلُهُ
فِي ثَقِيفٍ وَ عِدَادُهُ فِي زَهْرَةَ وَ لِذَلِكَ قِيلَ زَيْنِمْ [مُعْتَدٍ] مَجَاوِزِي الظُّلَمِ حَتَّى [أَتَيْمٌ] كَثِيرُ الْأَثَامِ [عُدِّلَ]
غَلِظَ جَانِبٌ مِنْ عُدْلِهِ إِذَا قَادَهُ بَعْنَفٌ وَ غُلْظَةٌ [بَعْدَ ذَلِكَ] بَعْدَ مَا عُدِّلَ مِنَ الْمَثَالِبِ وَ النِّقَائِصِ [زَيْنِمْ]
دَعِيَ - قَالَ حَسَّانٌ * شَعْرٌ * وَ أَنْتَ زَيْنِمْ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ * كَمَا نَيْطُ خَافِ الرَّكَّابِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ * وَ كَانَ الْوَلِيدُ دَعِيَ
فِي قَرِيشٍ لَيْسَ مِنْ سَنَخِهِمْ ادَّعَاهُ أَبُوهُ بَعْدَ ثَمَانِ عَشْرَةٍ مِنْ مَوَادَّةٍ - وَ قِيلَ بَغَتْ أُمُّهُ وَ لَمْ يَعْرِفْ حَتَّى نَزَلَتْ
هَذِهِ الْآيَةُ جَعَلَ جَفَاؤُهُ وَ دَعْوَتُهُ أَشَدَّ مَعَائِبِهِ لِأَنَّهُ إِذَا جَفَا وَ غُلْظَ طَبَعُهُ قَسَا قَلْبُهُ وَ اجْتَرَأَ عَلَى كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَ لَمْ

حروفها
١٢٩٥

سورة القلم مكئية وهي اثنان وخمسون آية وفيها ركوعان •

كلماتها
٣٠٤

سورة القلم ٩٨

الجزء ٢٩

ع ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ٥ مَا أَنْتَ بِذِيْعَمَةٍ رَبِّكَ بَعْجُزُونَ ٥ وَإِنْ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ٥ وَإِنْكَ لَعَلَى

من الجراءة على الله وعلى آياته - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة المُلْك فمكأنما احيا

ليلة القدر •

سورة القلم

قريب ن وَالْقَلَمِ بالبيد - والادغام - وبسكون الذون - وفتحها - وكسرها - كما في صاد والمراد هذا الحرف من حروف المعجم - واما قواهم هو الدواة فما ادري أهو وضع لغوي ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسماً للدواة من ان يكون جنساً او علماً فان كان جنساً فايں الاعراب والتذكير وان كان علماً فايں الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب ان كان جنساً ان تجرّه وتذونه ويكون القسم بدواة منكّرة مجهولة كأنه قيل ودواة والقلم وان كان علماً ان تصرفه وتجرّه او لا تصرفه وتفتحها للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من النيدان او يجعل علماً لليهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك واقسم بالقلم تعظيماً له لما في خلقه وتسميته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد اللتي لا يحيط بها الوصف [وَمَا يَسْطُرُونَ] وما يكتب من كتب - وقيل ما يسطر الحفظة وما موصولة او مصدرية - ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يَسْطُرُونَ لهم كأنه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم - او وسطريهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة - فان قلت بم يتعلق الباء في [بِذِيْعَمَةٍ رَبِّكَ] وما محله - قلت يتعلق بمجنون منفياً كما يتعلق بعقل مثبتاً في قولك انت بذمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتاً ومنفياً اعمالا واحداً ومحله النصب على الحال كأنه قال ما انت بمجنون منعماً عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسب اليه كفار مكّة عداوة وحسد وانه من انعام الله عليه بحصانة العقل والشهامة اللتي يقتضيها الذاهيل للذنبوة بمنزل [وَإِنْ لَكَ] على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه [لَأَجْرًا] لثواباً [غَيْرَ مَمْنُونٍ] غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذون - او غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجب على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالفته ومداراته لهم - وقيل هو الخلق الذي امره الله به في قوله خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ - وعن عائشة ان سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله فقالت كان خلقه

عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ ۖ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَ مَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا فَمَنْ يُجِيرُ
الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَدًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ۝ ع

سورة الملك ٢٧

الجزء ٢٩

ع ٢

العنور والخرور أو مستويي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق
مستوي - ويجوز أن يراد الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وأنه ليس
كالرجل السوي البصر الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل المؤمن والكافر - وعن قتادة الكافر
اكب على معاصي الله تعالى فحشرة الله يوم القيمة على وجهه - وعن الكلبي عني به أبو جهل بن هشام
وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وقيل حمزة بن عبد المطلب * [فَلَمَّا رَأَوْهُ] الضمير للموعظ - والزلفة
القرب وانتصابها على الحال أو الظرف أي رآه ذا زلفة أو مكنا ذا زلفة [سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا] أي هاءت
رؤية الوعد وجوههم بأن علقتها الكأبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد إلى القتل
أدعى على بعض العذاب - وقيل القائلون الزبانية [تَدْعُونَ] تفتعلون من الدعاء أي تطلبون وتستعجلون به -
وقيل هو من الدعوى أي كنتم بسببه تَدْعُونَ أنكم لا تبعثون - وقرئ تَدْعُونَ - وعن بعض الزهاد أنه تلاها
في أول الليل في صلواته فبقي يكررها وهو يبكي إلى أن نودي لصلوة الفجر ولعمري أنها لوقادة لمن تصور
تلك الحالة وتأملها * كان كفار مكة يدعون على رسول الله وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بان يقول لهم نحن
مؤمنون مترقبون لحد الحسينين أما ان نهلك كما تتمنون فنقلب إلى الجنة أو نرحم بالضرورة والادلة الاسلام
كما نرجو فانتهم ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعزي انكم تطلبون اذا الهلاك
الذي هو استعجال للفوز والسعادة وانتم في امر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون
الخلاص منه - او ان اهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداكم والاخذين بحجركم من النار وان رحمنا
بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على ايدينا هالك - او ان اهلكنا الله في الآخرة
بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمن فمن يجير من لا
ايمن له - فان قلت لم آخر مفعول أمداً وقدم مفعول توكَّلنا - قلت لوقوع أمداً تعريضاً بالكافرين حين ورد
عقيب ذكرهم كأنه قيل أمداً ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا خصوصاً لم نتكل على ما انتم متكلمون عليه
من رجالكم واموالكم * [غَوْرًا] غائراً ذاهباً في الارض - وعن الكلبي لا تذال الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل
ورضى - وعن بعض الشطار انها تليت عذبه فقال تجيء به القوروس والمعارل فذهب ماء عيذه نعون بالله

الْأَرْضِ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ ۝ أَمْ آمَنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ۝ وَلَقَدْ
كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ أَرَأَيْتُمْ إِنْ يَرْسِلَ إِلَى الطَّيْرِ فَيَقُولُ هَذَا مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا
الرَّحْمَنُ ۖ إِنَّهُ يُكَلِّمُ شَيْءٌ بِصِيرٍ ۝ أَمْ نَ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ۖ إِنْ الْكَافِرُونَ
إِلَّا فِي غُرُورٍ ۝ أَمْ نَ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۖ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا

و اليه نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم [مَنْ فِي السَّمَاءِ] فيه وجهان - أحدهما مَنْ ملكوته في
السماء لانه مسكن ملكوته وثمة عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكُتبه وادامره ونواهيته -
والثاني انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من
جهتها فقل لهم على حسب اعتقادهم ءَ آمَنْتُمْ مَنْ تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان أَنْ
يعذبكم بخسف او بحاصب كما تقول لبعض المشبهة أَمَا تخاف مَنْ فوق العرش أَنْ يعاقبك بما تفعل اذا
رأيتك يركب بعض المعاصي - [فَسَتَعْلَمُونَ] قرئ بالتاء - والياء [كَيْفَ نَذِيرٍ] اذا رأيت المذنب علمته كيف
انذاري حين لا ينفعكم العلم [صُفَّتِ] باسقاط اجنحتهم في الجوّ عند طيرانها لانهم اذا بسطوها صفق
قوائمها صفاً ويقبضون ويضمونها اذا ضرب بها جنوبهم - فان قامت لم قيل [وَيَقْبِضْنَ] ولم يقل وقابضات -
قلت لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في السباحة
مدّ الاطراف و بسطها و اما القبض فطاري على البسط للامتطهار به على التحرك فجاء بما هو طاري
غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهم صافات و يكون منهم القبض تارة بعد تارة كما يكون من السائح
[مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ] بقدرته وبما دبّر لهن من القوام والخوافي وبنى الاجسام على شكل وخصائص
قد تأتى منها الجري في الجوّ [إِنَّهُ يُكَلِّمُ شَيْءٌ بِصِيرٍ] يعلم كيف يخلق وكيف يدبّر العجائب * [أَمْ نَ]
يشار اليه من الجموع و يقال [هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ] الله ان ارسل عليكم عذابه * [أَمْ نَ]
يشار اليه و يقال [هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ] وهذا على التقدير - ويجوز ان يكون اشارة الى جميع
الاولئان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب و يرزقون ببركة الهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق ونحوه قوله
تعالى أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْهَيَّةُ تَمَنُّعُهُمْ مِنْ دُونِنَا [بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ] بل تماردوا في عناد و شراد عن الحق لثقله عليهم
فلم يتبعوه * يجعل اكتب مطارع كبة و يقال كبته فاكبت من الغرائب والشوائب ونحوه قشعت الريح
السحاب فاقشع و ما هو كذلك ولا شيء من بناء افعال مطارعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب ميبويه
و انما اكتب من باب انقض و الأم ومعناه دخل في الكتب و صار ذا كتب و كذلك اقشع السحاب دخل
في القشع و مطارع كتب و قشع انكتب و انقشع - فان قلت ما معنى [يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ] وكيف قابل
يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ - قلت معناه يمشي معتسفا في مكان متعبد غير مستوفية انخفاص
و ارتفاع فيعثر كل ساعة فيختر على وجهه مكباً فحال نقيض حال من يمشي سَوِيًّا اي قائما سالما من

شَيْءٌ ۚ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ۚ فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ۝ وَاسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ۚ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۝ ءَأَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ

سورة الملك ٢٧

الجزء ٢٩

ع ١

لغلوهم في الانذار كأنهم ليسوا الا انذارا و كذلك قد جاءنا فذير و نظيره قوله إذا رسول رب العلمين اي حاملا رسالته - و يجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ارادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا - او ارادوا بالضلال الهلاك - او سموا عقاب الضلال باسمه - او من كلام الرسل لهم حكمة للخنزة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله [لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ] الانذار سماع طالبين للحق أو نعقله عقل متأملين - وقيل انما جمع بين السمع و العقل لان مدار التكليف على ادلة السمع و العقل - و من يدع التفسير ان المراد لو كذا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الرأي كأن هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين و كأن سائر اصحاب المذاهب و المجتهدين قد انزل الله وعيدهم و كأن من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم اليها حادي عشر و كان من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعو باسم هذين الفريقين [بِذُنُوبِهِمْ] بكفرهم في تكذيبهم الرسل [فَسَحَقًا] - قرئ بالتخفيف - و التثقيب اي فبعدا لهم اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا يذفعهم * ظاهرة الامر باحد الامرين الاسرار و الاجهار و معناه ليستو عندكم اسراركم و اجهاركم في علم الله بهما ثم انه علله بانه [عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] اي بضمائرهما قبل ان تترجم الالسنه عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر و المسر و المجهر من خلق الاشياء و حاله انه [اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ] المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه و ما بطن - و يجوز ان يكون من خلق منصوبا بمعنى ألا يعلم مخلوقة و هذه حاله - و روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون اسرؤا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فذبه الله على جهلهم - فان قلت قدرت في ألا يعلم مفعولا على معنى ألا يعلم ذلك المذكور مما أضمر في القلب و أظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قواهم هو يعطي و يمنع و هلا كان المعنى ألا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم - قلت ابت ذلك الحال التي هي قوله وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ لانك لو قلت ألا يكون عالما من هو خالق و هو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان ألا يعلم معتمد على الحال و الشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال ألا يعلم و هو عالم ولكن الا يعلم كذا و هو عالم بكل شيء - المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل و مجاوزته الغاية لان المنكبين و ملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير و انباءه عن ان يطأه الراكب بقدمه و يعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك - و قيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فاذا امكنكم السلوك في جبالها فهو ابغ التذليل - و قيل جوانبها و المعنى

زِينَةَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۖ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۖ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ۖ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن

وان يتوقف بعدها و يجم بصرة ثم يعاود و يعاود الى ان يحسر بصرة من طول المعاودة فانه لا يعذر على شيء من فطور * [الدنيا] القرى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناها السماء الدنيا منكم - والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بآئقاب المصابيح فليل ولقد زيننا سقف الدار التي اجتمعتم فيها [بمصابيح] اي باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضمننا الى ذلك منافع اخرنا [جعلناها رجومًا] لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر - قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجومًا للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به - وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يبتغون الكهانة ويتخذون النجم علة - و الرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين ان الشهاب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لانهم يرجعون بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص - وقيل من الشياطين المرجومة من يقطعه الشهاب ومنهم من يخبله - وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم النجّامون [واعتدنا لهم عذاب السعير] في الآخرة بعد عذاب الاحراق بالشهب في الدنيا - [وللذين كفروا بربهم] اي لكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم [عذاب جهنم] ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك - وقرى عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير [اذا القوا فيها] اي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به و مثله قوله حصب جهنم [سمعوا لها شهيقا] اما لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها ومن انفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيهها بحديد المذكر الغظيع بالشهيق [تفور] تغلي بهم غليان المرحل بما فيه وجعلت كالمغلاة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا و يتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا صفوه بالانفراط فيه - ويجوز ان يراد غيظ الزبانية - [ألم ياتكم نذير] توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم وخزنتها مالک وأعوانه من الزبانية [قالوا بلى] اعتراف منهم بعدل الله و اقرار بان الله عز و علا اراح عليهم ببعثة الرسل و انذارهم ما رقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدره كما تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله وامره و اوعده على ضده - فان قلت [ان انتم الا في ضلل كبير] من المخاطبون به - قلت هو من جملة قول الكفار و خطابهم للمذمرين على ان النذير بمعنى الانذار والمعنى ألم ياتكم اهل نذير - او وصف مذكروهم

مودة الملك ٧٧

الجزء ٢٩

ع ٢٠

عَمَلًا ٥ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ٥ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ٥ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ ٥ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ٥ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ٥ وَلَقَدْ

و علمت زيدا منطلقا [أَحْسَنُ عَمَلًا] قيل اخلصه واصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه تلاها فلما بلغ قوله أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله يعني ايكم اتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد انه اعطاكم الحيوة اللتي تقدرون بها على العمل و تستمكنون منه و سألط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه - وقدم الموت على الحيوة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عيضة فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الآية اهم [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل [الْغَفُورُ] لمن تاب من اهل الاساءة - [طِبَاقًا] مطابقة بعضها فوق بعض من طباق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا [مِنْ تَفَوتٍ] - و قرئ مِنْ تَفَوتٍ ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظاهروا وتعاهدته وتعهدته اي من اختلاف واضطراب في الخلقه ولا تناقض انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناصب كان بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلايمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف - فان قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها - قلت هي صفة مشاعة لقوله طِبَاقًا واصلاها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خَلَقَ الرَّحْمَنُ تعظيما لخلقهن وتبديها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خَلَقَ الرَّحْمَنُ وانه بظاهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسل ولكل مخاطب - وقوله [فَارْجِعِ الْبَصَرَ] متعلق به على معنى التسبيح - اخبره بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قال فَارْجِعِ الْبَصَرَ حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه [هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ] من صدور و شقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطرو منه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعهذه شق اللحم فطع - وامره بتكرير البصر فيهن متصفا ومتتبعا يلتبس عينا وخللا - [يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ] اي ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد عن اصابة الملتبس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقمامة وبالأعياء والكلال لطول الاجالة والتدريد - فان قلت كيف ينقلب البصر خاسئا حسيروا برجعه كرتين اثنتين - قلت معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبنيك ومعديك يريد اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض وقولهم في المثل دُهِدَرَيْنِ سعد القير من ذلك اي باطلا بعد باطل - فان قلت فما معنى ثُمَّ ارْجِع - قلت امرة برجع البصر ثم امرة بان لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره - وقرئ بكلمة الله وكتبه اي بعيسى و بالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل - فان قلت لم قيل [مِنَ الْقَدَتَيْنِ] على التذكير - قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت من القديلين فغلب ذكره على انائه - ومن للتبعيض - ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من أعقاب هرون اخي موسى صلوات الله عليهما - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع - اسية بنت مزاحم امرأة فرعون - ومريم بنت عمران - وخديجة بنت خويلد - وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام - واما ما روي ان عائشة سألت رسول الله كيف سمى الله المسلمة تعني مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت وما اسمها قال اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة فحديث اثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله جماعة من الكفار باسمائهم وكذاهم ولو كانت التسمية للمحب وتركها للبغض لسمى اسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين و ابي الله الا ان يجعل للمصنوع اشارة تنم عليه وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احكم واسلم من ذلك - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا *

سورة الملك

[تَبَارَكَ] تعالى و تعاضم عن صفات المخلوقين [الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ] على كل موجود [وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] و ذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه - والحياة ما يصح بوجوده الاحساس - وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي يصح منه ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحيوتكم ايها المكلفون [لِيَبْلُوَكُمْ] وسمي علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر - فان قلت من اين تعلق قوله [أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا] بفعل البلوى - قلت من حيث انه تضمن معنى العلم فكأنه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا و اذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليته كما تقول علمته هو احسن عملا - فان قلت أنسمي هذا تعليقا مع عمله لفظا - قلت لا انما التعليق ان توقع بعده ما يستد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايها عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق

فِرْعَوْنَ ۖ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ۝ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا
وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْكِتَابِ وَذِكْرَ الْوَعْدِ ۝

سورة التحريم ٢٢
الجزء ٢٨
ع ٢٠

عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَذَكَرَ الذَّيْنِ الْمَشْهُورَيْنِ الْعُلَمَاءِ بَانَهُمَا عَبْدَانِ لَمْ يَكُنَا إِلَّا كَسَائِرِ عِبَادِنَا مِنْ
غَيْرِ تَفَاوُتٍ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُمَا إِلَّا بِالصَّلَاحِ وَحَدَّةِ أَظْهَارًا وَابْنَةُ لَانِ عَبْدَا مِنَ الْعِبَادِ لَا يَرْجَحُ عِنْدَهُ إِلَّا بِالصَّلَاحِ لَا غَيْرَ
وَ إِنْ مَا سِوَاهُ مِمَّا يَرْجَحُ بِهِ النَّاسُ عِنْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِسَبَبٍ لِلرَّجْحَانِ عِنْدَهُ - فَإِنْ قُلْتَ مَا كَانَتْ خِيَانَتُهُمَا -
قُلْتَ نَفَاقَهُمَا وَابْطَانَهُمَا الْكُفْرَ وَتَظَاهِرَهُمَا عَلَى الرُّسُولَيْنِ فَامْرَأَةُ نُوحٍ قَالَتْ لِقَوْمِهِ إِنَّهُ مَجْنُونٌ وَامْرَأَةُ لُوطَ
دَلَّتْ عَلَى ضَيْفَانِهِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِالْخِيَانَةِ الْفُجُورُ لِأَنَّهُ سَمِعَ فِي الطَّبَاعِ نَقِيصَةَ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ بِخِلَافِ الْكُفْرِ
فَإِنَّ الْكُفْرَ لَا يَسْتَسْمِجُونَهُ بَلْ يَسْتَحْسِنُونَهُ وَيَسَمُونَهُ حَقًّا - وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَا بَغَتْ امْرَأَةُ نَبِيٍّ قَطْ - وَامْرَأَةُ فِرْعَوْنَ
أُسَيَّةُ بِنْتُ مِزَاحِمَ - وَقِيلَ هِيَ عَمَّةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمِنَتْ حِينَ سَمِعَتْ بِتَلَقُّفِ عَصَا مُوسَى الْاَفْكَ
فَعَذَّبَهَا فِرْعَوْنَ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ فِرْعَوْنَ وَتَدَّ امْرَأَتُهُ بَارِبَعَةَ أَوْتَاكِ وَاسْتَقْبَلَ بِهَا الشَّمْسَ وَأَضْجَعَهَا عَلَى ظَهْرِهَا
وَوَضَعَ رَحَى عَلَى صَدْرِهَا - وَقِيلَ امْرَأَتُهُ تَلْقَى عَلَيْهَا صَخْرَةً عَظِيمَةً فَدَعَتْ اللَّهَ فَرَفَعَهَا فَالْقَيْتَ
الصَّخْرَةَ عَلَى جَسَدِهَا لَا رُوحَ فِيهِ - وَعَنْ الْحَسَنِ فَتَجَاهَا اللَّهُ أَكْرَمَ نَجَاةً فَرَفَعَهَا إِلَى الْجَنَّةِ فَهِيَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ وَتَنْعَمُ
فِيهَا - وَقِيلَ لَمَّا قَالَتْ [رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ] أُرِيَتْ بَيْتَهَا فِي الْجَنَّةِ يُبْنَى - وَقِيلَ إِنَّهُ مِنْ
دُرَّةٍ - وَقِيلَ كَانَتْ تَعَذِّبُ فِي الشَّمْسِ فَتَظَلُّهَا الْمَلَكَةُ - فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى الْجَمْعِ بَيْنَ عِنْدَكَ وَفِي الْجَنَّةِ - قُلْتَ
طَلِبْتَ الْقُرْبَ مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ وَالبَعْدَ مِنْ عَذَابِ أَعْدَائِهِ ثُمَّ بَيَّنْتَ مَكَانَ الْقُرْبِ بِقَوْلِهَا فِي الْجَنَّةِ - أَوْ ارَادَتْ ارْتِفَاعَ
الدرَجَةِ فِي الْجَنَّةِ وَانْ تَكُونَ جَنَّتُهَا مِنَ الْجَنَانِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَرْشِ وَهِيَ جَنَاتُ الْمَأْمُونِ فَعَبَّرَتْ عَنْ
الْقُرْبِ إِلَى الْعَرْشِ بِقَوْلِهَا عِنْدَكَ [مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ] مِنْ عَمَلِ فِرْعَوْنَ - أَوْ مِنْ نَفْسِ فِرْعَوْنَ الْخَبِيثَةِ وَسُلْطَانِهِ
الْغُشُومِ وَخُصُوصًا مِنْ عَمَلِهِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَعِبَادَةُ الْأَصْنَامِ وَالظُّلْمُ وَالتَّعْذِيبُ بِغَيْرِ جَرَمٍ [وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ]
مِنْ الْقَبْطِ كُلِّهِمْ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الاسْتِعَاذَةَ بِاللَّهِ وَالِاتِّجَاءَ إِلَيْهِ وَسَبِيلَةَ الْخُلَاصِ مِنْهُ عِنْدَ الْمَحْنِ وَالنَّوَازِلِ مِنْ
سَيْرِ الصَّالِحِينَ وَسُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فَافْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجِّنِي وَ مَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - رَبَّنَا
لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * [فِيهِ] فِي الْفَرْجِ - وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِيهَا كَمَا قُرِئَ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْضَّمِيرُ
لِلْجَمَلَةِ وَقَدْ مَرَّ لِي فِي هَذَا الظَّرْفِ كَلَامٌ - وَ مَنْ يَدْعُ التَّفَاسِيرَ أَنَّ الْفَرْجَ هُوَ جَيْبُ الدَّرْعِ وَمَعْنَى أَحْصَنَتْهُ
مَنْعَتُهُ جَبْرُئِيلَ وَانَّهُ جَمَعَ فِي التَّمْثِيلِ بَيْنَ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ وَالَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا تَسْلِيَةً لِلْأَرَامِلِ وَتَطْيِيبًا لِنَفْسِهِنَّ
[وَ صَدَّقْتَ] قُرِئَ بِالتَّشْدِيدِ - وَبِالتَّخْفِيفِ عَلَى أَنَّهَا جَعَلَتْ الْكَلِمَاتِ وَالْكَتَبَ صَادِقَةً يَعْنِي وَصَفَتْهَا بِالصَّدَقِ
وَهُوَ مَعْنَى التَّصْدِيقِ بِعَيْنِهِ - فَإِنْ قُلْتَ فَمَا كَلِمَاتُ اللَّهِ وَكُتِبَ - قُلْتَ يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِكَلِمَاتِهِ صُحُفُهُ الَّتِي أُنْزِلَتْهَا
عَلَى الْأَدْرِيسِ وَغَيْرِهِ سَمَاهَا كَلِمَاتٌ لِقَصْرِهَا وَبُكْتُبَهُ الْكُتُبُ الْأَرْبَعَةُ وَ أَنْ يَرَادَ جَمِيعُ مَا كَلَّمَ اللَّهُ بِهِ مَلَائِكَتَهُ

كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَأْتِيهَا الذِّبْيُ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۝ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۝ وَبئْسَ الْمَصِيرُ ۝
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ ۝ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَهُمَا
فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ ۝ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ

فيسألون اتمامه تفضلا - وقيل السابقون الى الجنة يَمُرُّونَ مِثْلَ الْبَرْقِ عَلَى الصَّرَاطِ وَبَعْضُهُمْ كَالرَّيْحِ وَبَعْضُهُمْ حَبُورٌ وَزَحْفًا فَارِلُوكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا - فَإِنَّ قَلَّتْ كَيْفَ يَشْفِقُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ أَمِنُوا أَمِنْ يَأْتِي أَمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ - لَا تَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ أَوْ كَيْفَ يَقْرَبُونَ وَلَيْسَتْ الدَّارُ دَارَ تَقَرُّبٍ - قَلَّتْ أَمَّا الْإِشْفَاقُ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى عَادَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَأَنْ كَانُوا مُعْتَقِدِينَ لِلْأَمْنِ وَأَمَّا التَّقَرُّبُ فَلَمَّا كَانَتْ حَالُهُمْ كَحَالِ الْمُتَقَرِّبِينَ حَيْثُ يَطْلُبُونَ مَا هُوَ حَاصِلٌ لَهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ سَمَاءَهُ تَقَرُّبًا [جَاهِدِ الْكُفَّارَ] بِالسَّيْفِ [وَالْمُنَافِقِينَ] بِالْإِحْتِجَاجِ وَاسْتَعْمِلِ الْغَاظَةَ وَالْخَشُونَةَ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ فَيَمَّا تَجَاهَدُهُمَا بِهِ مِنَ الْقِتَالِ وَالْمَحَاجَةِ - وَ عَنْ قِتَادَةِ مُجَاهِدَةِ الْمُنَافِقِينَ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ - وَعَنْ مُجَاهِدِ الْوَعِيدِ - وَقِيلَ بِإِفْشَاءِ أَسْرَارِهِمْ * مِثْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَالِ الْكُفَّارِ فِي أَنَّهُمْ يُعَاقَبُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِدَاوَتِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ مُعَاقَبَةً مِثْلَهُمْ مِنْ غَيْرِ إِبْقَاءٍ وَلَا مَحَابَاةٍ وَلَا يَنْفَعُهُمْ مَعَ عِدَاوَتِهِمْ لَهُمْ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ مِنْ لُحْمَةٍ نَسَبٍ أَوْ وَصْلَةٍ صِهْرٍ لَآنَ عِدَاوَتِهِمْ لَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قَطَعَ الْعِلَاقَ وَبَتَّ الْوَصْلَ وَجَعَلَهُمْ أَبْعَدَ مِنَ الْأَجَانِبِ وَأَبْعَدَ وَأَنْ كَانَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَتَّصِلُ بِهِ الْكَافِرُ نَبِيًّا مِنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ بِحَالِ امْرَأَةِ نُوحَ وَامْرَأَةِ لُوطَ لَمَّا نَافَقَتَا وَخَانَتَا الرُّسُولَيْنِ لَمْ يُغْنِ الرُّسُولَانِ عَنْهُمَا بِحَقِّ مَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُمَا مِنْ وَصْلَةِ الزَّوْجِ اغْنَاءُ مَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ - [وَقِيلَ] لَهُمَا عِندَ مَوْتِهِمَا أَوْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ [ادْخُلَا النَّارَ مَعَ] سَائِرِ [الدَّاهِلِينَ] الَّذِينَ لَا وَصْلَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ - أَوْ مَعَ دَاخِلِيهَا مِنْ إِخْوَانِكُمَا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَقَوْمِ لُوطَ - وَ مِثْلَ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَنْ وَصْلَةَ الْكَافِرِينَ لَا تَضُرُّهُمْ وَلَا تَنْقُصُ شَيْئًا مِنْ ثَوَابِهِمْ وَزَلْفَاهُمْ عِندَ اللَّهِ بِحَالِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَمَنْزِلَتِهَا عِندَ اللَّهِ مَعَ كَوْنِهِ زَوْجَةً أَعْدَى أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّاطِقِ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمِ وَ مَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ وَمَا أُوتِيَتْ مِنْ كَرَامَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْإِصْطِفَاءِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَعَ أَنْ قَوْمَهَا كَانُوا كُفَّارًا وَ فِي طَيِّ هَذَيْنِ التَّمَثِيلَيْنِ تَعْرِيفُ بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَذْكُورَتَيْنِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ وَمَا فُورَطَ مِنْهُمَا مِنَ التَّمَاهِرِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَا كَرِهَهُ وَتَحْذِيرُ لَهُمَا عَلَى إِغْلَظِ رَجَاهُ وَ أَشَدَّهُ لَهَا فِي التَّمَثِيلِ مِنْ ذِكْرِ الْكُفْرِ وَنَحْوِهِ فِي التَّغْلِيظِ قَوْلُهُ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ وَإِشَارَةُ إِلَى أَنْ مِنْ حَقِّهِمَا أَنْ تَكُونَا فِي الْإِخْلَاصِ وَالْكَمَالِ فِيهِ كَمِثْلِ هَاتَيْنِ الْمُؤْمِنَتَيْنِ وَأَنْ لَا تَتَكَلَّأَ عَلَى أَنَّهُمَا زَوْجَا رَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ الْفَضْلَ لَا يَنْفَعُهُمَا إِلَّا مَعَ كَوْنِهِمَا مُخْلِصَتَيْنِ وَالتَّعْرِيفُ بِحَفْصَةِ أَرْجَحٍ لِأَنَّ امْرَأَةَ لُوطَ أَفْشَتْ عَلَيْهِ كَمَا أَفْشَتْ حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَسْرَارَ التَّنْزِيلِ وَرَمْوزَهُ فِي كُلِّ بَابٍ بِالْغَيْهِ مِنَ اللَّطْفِ وَالْخَفَاءِ حَدًّا تَدِقُّ عَنْ تَغْطُنُ الْعَالَمَ وَتَنْزِلُ عَنْ تَبْصُرِهِ - فَإِنَّ قَلَّتْ مَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ [مِنْ عِبَادِنَا] - قَلَّتْ لَمَّا كَانَ مَبْدَى التَّمَثِيلِ عَلَى وَجُودِ الصَّلَاحِ فِي الْإِنْسَانِ كَانَتْ مَنْ كَانَ وَأَنَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُبَالِغُ بِهِ الْفَوْزَ وَيَذَالُ مَا عِندَ اللَّهِ قَالَ

نُصُوْحًا ۖ عَسَىٰ رَبُّكُمْ اَنْ يَّكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللّٰهُ النَّبِيَّ
وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهُ ۚ نُورُهُمْ يَسْعٰى بَيْنَ اَيْدِيْهِمْ وَبِاَيْمَانِهِمْ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا اٰتِنَا لَدُنَّا نُوْرًا وَّ اَغْفِرْ لَنَا ۚ اِنَّكَ عَلٰى

ذلك قوله على اثره [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ] أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لَا تَعْتَذِرُوا لأنه لا عذر لكم أو لأنه لا يذفعكم الاعتذار [تَوْبَةً نُّصُوْحًا] وصفت التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح صفة التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيأتوا بها على طريقتهما متداركة للفراطات ماحدة للمسيئات و ذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها فان مدين عليها مغتمين اشد الغتنام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبائح من القبائح الى ان يعود اللبث في الضرع موطنين انفسهم على ذلك - وعن علي رضي الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشياء - على الماضي من الذنوب الدائمة - وللفرأض الاعادة - ورد المظالم - واستحلال الخصوم - وان تعزم على ان لا تعود - وان تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية - وان تذيبها مرارة الطامعات كما اذقتها حلاوة المعاصي - وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم يعود فيه - وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حُز بالسيف و أُحرق بالنار - وعن ابن السماك ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحياء من الله أمام عينيك وتستعد لمنتظرك - وقيل توبة لا يتاب منها - وعن السدي لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس و المؤمنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله - وقيل نُصُوْحًا من نصيحة الثوب اي توبة ترفأ خرقك في دينك وترم خللك - وقيل خالصة من قولهم غسل ناصح اذا خلص من الشمع - ويجوز ان يراك توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجِد والعزيمة في العمل على مقتضياتها - وقرأ زيد بن علي تَوْبًا نُّصُوْحًا - و قرئ نُصُوْحًا بالضم وهو مصدر نصح و النصيح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور اي ذات نصوح - او تنصح نُصُوْحًا - او توبوا لنصح انفسكم على انه مفعول له - [عَسَىٰ رَبُّكُمْ] اطماع من الله لعباده وفيه وجهان - احدهما ان يكون على ما جرت عليه عادة الجبابرة من الاجابة بعسى و لعل و وقوع ذلك منهم موقع القطع والبت - والثاني ان يجيء به تعليماً للمعباد وجوب الترجيح بين الخوف والرجاء - والذي يدل على المعنى الاول وانه في معنى البت قراءة ابن ابي عتبة وَ يُدْخِلَكُمُ بِالْجَنَمِ عَطْفًا على محل عَسَىٰ اَنْ يَّكَفِّرَ كَانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم [يَوْمَ لَا يُخْزِي اللّٰهُ] نصب بِدْخَلَكُمُ وَلَا يُخْزِي تعريض لمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق واستحسان الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم - [يَسْعٰى] نورهم على الصراط - [اٰتِنَا لَدُنَّا نُوْرًا] قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفق نور المنافقين زشفاقا - وعن الحسن الله متمه لهم ولكنهم يدعون تقرباً الى الله كقوله وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ هو مغفور له - وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطئ اقدامهم لان النور على قدر الاعمال

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٥
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ٦ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً

الصائم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره - وقيل سُحُتْ مِهَاجِرَات - وعن زيد بن اسلم لم يكن في هذه الامة سياحة الا الحجرة - فان قامت كيف تكون المبدلات خيرا مذهب ولم تكن على وجه الارض نساء خيرا من امهات المؤمنين - قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعصيانهن له وايدائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة و كان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله والنزول على هواه و رضا خيرا مذهب وقد عرض بذلك في قوله فَنُذِّتْ لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله - فان قلت لم اخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات و الابكار - قلت لانهما صفتان متناقضتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو [قُوا أَنْفُسَكُمْ] بترك المعاصي وفعل الطاعات [وَأَهْلِيكُمْ] بان تأخذهم بما تأخذون به انفسكم و في الحديث رحم الله رجلا قال يا اهله صلواتكم صيامكم زكواتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم في الجنة - وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيمة من جهل اهله - و قرئ و اهلوكم عظما على واو قوا و حسن العطف للفاصل - فان قلت أليس التقدير قُوا أَنْفُسَكُمْ وليق اهلوكم انفسهم - قلت لا و لكن المعطوف مقارن في التقدير للواو و أَنْفُسَكُمْ واقع بعده فكأنه قيل قُوا أَنْفُسَكُمْ و اهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب [نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ] نوعا من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالمخاطب - وعن ابن عباس هي حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها - و قرئ وَقُودُهَا بالضم اي ذو وقودها [عَلَيْهَا] يلي امرها و تعذيب اهائها [مَلَائِكَةٌ] يعزي الزبانية التسعة عشر و اعوانهم [غِلَظٌ شِدَادٌ] في اجرامهم غلظة و شدة اي جفاء و قوة - او في افعالهم جفاء و خشونة لا تأخذهم رافة في تنفيذ اوامر الله و الغضب له و الانتقام من اعدائه - مَا أَمَرَهُمْ في محل النصب على البدل اي [لَا يَعْصُونَ] ما امر الله اي امره بقوله تعالى أَنْعَصَيْتَ أَمْرِي او لا يعصونه فيما امرهم - فان قلت أليست الجملتان في معنى واحد - قامت لا فان معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره و يلتزمونها و لا يابونها و لا ينكرونها و معنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه و لا يتوانون فيه - فان قلت قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ و قال أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين - قلت الفساق و ان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فذهب مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا قُوا أَنْفُسَكُمْ باجتذاب انفسهم مساكنة الذين اعدت لهم هذه النار الموصوفة - و يجوز ان يأمرهم بالتوقي من الارتداد و الذم على الدخول في الاسلام - و ان يكون خطابا للذين آمنوا بالسنتهم و هم المنافقون و يعضد

قَالَ نَبَانِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ٥ اِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ٦ وَ اِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ
وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ٧ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ٨ عَسَى رَبُّهُ اِنْ طَلَقَكُنْ اَنْ يَبْدِلَهُ اَزْوَاجًا خَيْرًا
مِمَّنْكَ مُسَلِّمَتٍ مُّؤْمِنَةٍ قُتِلَتْ تَبَيَّنَتْ عِدَّتُ سَلْحَتٍ ثَيِّبَتٍ وَ اَبْكَارًا ٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ

سورة التحريم ٢٤

الجزء ٢٨

ع ١٨

بعضهن و عرفها بعضه - قلت ليس الغرض بيان من المذاع اليه و من المعرف و انما هو ذكر جنسية
حفصة في وجود الانبياء به و افشائه من قبلها و ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بكرمه و حلمه لم
يوجد منه الا الاعلام ببعضه و هو حديث الامامة الا ترى انه لما كان المقصود في قوله فلما نبأها به قالت
من اَبَاكَ هذا ذكر المنبأ كيف اتى بضميره • [اِنْ تَتُوبَا] خطاب لحفصة و عائشة على طريقة الالتفات
ليكون ابلغ في معاتبتهما - و عن ابن عباس لم ازل حريصا على ان اسأل عمر عنهما حتى حج و حججت
معه فلما كان ببعض الطريق عدل و عدلت معه بالاداة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال
عجبا يا ابن عباس كأنه كره ما سأله عنه ثم قال هما حفصة و عائشة [فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا] فقد وجد منكما ما
يوجب التوبة و هو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من حب ما يحبه
و كراهة ما يكرهه - و قرأ ابن مسعود فَقَدْ زَاغَتْ [وَ اِنْ تَظَاهَرَا] و ان تعارنا [عَلَيْهِ] بما يسوء من الانحراف في
الغيرة و افشاء سره فلن يعدم هو من يظاهرة وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه اي وليه و ناصره و زيادة
هو ايدان بان نصرته عزيزة من عزائمه و انه يتولى ذلك بذاته [وَ جِبْرِيلُ] رأس الكروبيين و قرن ذكره
بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما له و اظهارا لمكانته عنده [وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ] و من صالح من المؤمنين
يعني كل من آمن و عمل صالحا - و عن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق - و قيل الانبياء - و قيل
الصحابه - و قيل الخلفاء منهم - فان قلت صالح المؤمنين واحد ام جمع - قلت هو واحد اريد به الجمع
كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صالح منهم و مثله قولك كذت
في السامر و الحاضر - و يجوز ان يكون اصله صالحوا المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد
و الجمع واحد فيه كما جاءت اشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط [وَ الْمَلَائِكَةُ] على
تكاثر عددهم و امتلاء السموات من جموعهم [بَعْدَ ذَلِكَ] بعد نصرته الله و ناموسه و صالحه المؤمنين
[ظَهِيرٌ] فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه -
فان قلت قوله بَعْدَ ذَلِكَ تعظيم للملائكة و مظاهرتهم و قد تقدمت نصرته الله و جبريل و صالح المؤمنين
و نصرته الله اعظم و اعظم - قلت مظاهره للملائكة من جملة نصرته الله فكأنه فضل نصرته بهم و بمظاهرتهم
على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه - و قرئ تَظَاهَرَا - و تَظَاهَرَا - قرئ [يَبْدِلُهُ]
بالتخفيف و التشديد للكثرة [مُسَلِّمَتٍ مُّؤْمِنَةٍ] مقرات مخلصات [سَلْحَتٍ] صائمات - و قرئ
سَلْحَتٍ وهي ابلغ - و قيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به

لَكُمْ تَحِلَّةٌ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۚ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ۚ فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ ۚ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ۚ عَرَفَ بَعْضُهُ وَاعْتَرَضَ عَنْ بَعْضٍ ۚ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ ۚ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا ۚ

على اكله او امة فعلى وطئها او زوجة فعلى الایلاء منها اذا لم تكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين وان نوى ثلثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دین فیدما بیده و بین الله ولا یدین فی القضاء بابطال الایلاء - وان قال كل حلال علیه حرام فعلى الطعام و الشراب اذا لم یذووالا فعلى ما نوى - ولا یراه الشافعی یمینا و اكن سببا فی الکفارة فی النساء وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعی عنده - وعن ابي بكر و عمرو ابن مسعود و ابن عباس و زيد ان الحرام یمین - وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعی - وعن علي رضي الله عنه ثلث - وعن زيد واحدة بائنة - وعن عثمان ظهار - و كان مسروق لا یراه شیئا و یقول ما ابالي احرمتها ام قصعة من ثريد - وكذلك عن الشعبي قال ليس بشيء محتجا بقوله تعالى وَ لَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ السِّتْرُ الْكَذِبُ هَذَا حَلْلٌ وَ هَذَا حَرَامٌ وَقوله لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَمَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ فَلَيْسَ لِاحِدٍ أَنْ يُحَرِّمَهُ وَلَا أَنْ يُصَيِّرَ بِتَحْرِيمِهِ حَرَامًا وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِمَا أَحَلَّهُ اللَّهُ هُوَ حَرَامٌ عَلَيَّ وَأَمَّا امْتَنَعَ مِنْ مَارِيَةِ الِیْمَنِ تَقَدَّمتْ مِنْهُ وَهُوَ قَوْلُهُ وَاللَّهِ لَا أَقْرَبُهَا بَعْدَ الْيَوْمِ فَقِيلَ لَهُ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ إِنْ لَمْ تَمْتَنِعْ مِنْهُ بِسَبَبِ الْيَمِينِ يَعْنِي أَقْدَمَ عَلَى مَا حَلَفْتَ عَلَيْهِ وَكَفَّرَ عَنْ يَمِينِكَ وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ إِنْ مَنَعْنَاهُ مِنْهَا وَظَاهِرُ قَوْلِهِ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ أَنَّهُ كَانَتْ مِنْهُ يَمِينٌ - فَإِنْ قُلْتَ هَلْ كَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِذَلِكَ - قُلْتَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ لَمْ يَكْفُرْ لِأَنَّهُ كَانَ مَغْفُورًا لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَأَمَّا هُوَ تَعْلِيمُ لِلْمُؤْمِنِينَ - وَعَنْ مِقَاتِلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اعْتَقَ رَقَبَةً فِي تَحْرِيمِ مَارِيَةِ [وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ] مَيْدَكُمْ وَمَتَوَاتِي أُمُورَكُمْ [وَهُوَ الْعَلِيمُ] بِمَا يُصْلِحُكُمْ فَيُشْرِعُهُ لَكُمْ [الْحَكِيمُ] فَلَا يَأْمُرُكُمْ وَلَا يَنْهَاكُمْ إِلَّا بِمَا تَوْجِبُهُ الْحِكْمَةُ - وَقِيلَ مَوْلَانَكُمْ أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَكَانَتْ نَصِيحَتُهُ أَنْفَعَ لَكُمْ مِنْ نَصَائِحِكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ [بَعْضُ أَزْوَاجِهِ] حَفْصَةُ وَ الْحَدِيثُ الَّذِي أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثُ مَارِيَةِ وَ إِمَامَةُ الشَّيْخَيْنِ [نَبَأَتْ بِهِ] أَنْفُسَهُ إِلَى عَائِشَةَ - وَ قَرِئَ أَنْبَأَتْ بِهِ [وَأَظْهَرَهُ] وَأُطْلِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ [عَلَيْهِ] عَلَى الْحَدِيثِ إِنْ عَنِ أَفْشَائِهِ عَلَى لِسَانِ جَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقِيلَ أَظْهَرَ اللَّهُ الْحَدِيثَ عَلَى النَّبِيِّ مِنَ الظُّهُورِ [عَرَفَ بَعْضُهُ] أَعْلَمَ بِبَعْضِ الْحَدِيثِ تَكْرِمًا - قَالَ سَفِيْنٌ مَا زَالَ التَّغَانُلُ مِنْ فَعَلِ الْكَرَامِ - وَ قَرِئَ عَرَفَ بَعْضُهُ جَازِي عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِكَ لِلْمَسِيِّءِ لَا عَرَفَ لَكَ ذَلِكَ وَقَدْ عَرَفْتُ مَا صَنَعْتَ وَمِنْهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ وَ كَانَ جَزَاؤُهُ تَطْلِيقَهُ إِيَّاهَا - وَقِيلَ الْمَعْرُوفُ حَدِيثُ الْإِمَامَةِ وَ الْمَعْرُضُ عَنْهُ حَدِيثُ مَارِيَةِ - وَ رَوَى أَنَّهُ قَالَ لَهَا أَلَمْ أَقُلْ لَكَ أَكْتُمِي عَلَيَّ قَالَتْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا مَلَكَتْ نَفْسِي فَرَحًا بِالْكَرَامَةِ الَّتِي خَصَّ اللَّهُ بِهَا إِيَّاهَا - فَإِنْ قُلْتَ هَلَا قِيلَ فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ

مِثْلَهُنَّ ط يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝ سورة النحریم ٢٨

الجزء ٢٨

حروفها
١١٢٤

سورة النحریم مدنیة و هی اثنا عشر آية و فیها ركوعان *

کلماتها
٢٥٣

ع ١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۚ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ط وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ

مِنَ الْأَرْضِ - قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع آلهذه - وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك و الارضون مثل السموات [يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ] اي يجري امر الله و حكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن - وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه و امر من امره وقضاء من قضائه - وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيرة - و قرئ يَنْزِلُ الْأَمْرَ - وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال إما ملكة او جن [لِتَعْلَمُوا] قرئ بالياء - والفاء - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم *

سورة النحریم

روى ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خلا بمارية في يوم عائشة رضي الله عنها و علمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى علي و قد حرمت مارية على نفسي و أبشرك ان ابا بكر و عمر يملكان بعدي امرأتي فاخبرت به عائشة و كانتا متصادقتين - وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك و استكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل فساءه و مكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية - و روى ان عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبرئيل عليه السلام و قال راجعها فانها صوامة قوامة و انها لمن نساك في الجنة - و روى انه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة و حفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغانير و كان يكره رسول الله التفل فحرم العسل فمعناه [لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ] من ملك اليمين او من العسل - و [تَبْتَغِي] إما تفسير لتحریم - او حال - او استيناف و كان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله لان الله عز و علا انما احل ما احل لحكمة و مصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة [وَاللَّهُ غَفُورٌ] قد غفر لك ما زلت فيه [رَحِيمٌ] قد رحمتك فام يؤخذك به [قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ] فيه معنيان - احدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلت فلان في يمينه اذا استثنى فيها و منه حلا ابیت اللعن بمعنى استثنى في يمينك اذا اطلقها و ذلك ان يقول ان شاء الله عقبيها حتى لا يحنث - والثاني قد شرع لكم تحليلها بالكفارة - منه قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلاثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم - وقول ذي الرمة * قليلا كتحليل الالي * فان قلت ما حكم تحریم الحلال - قلت قد اختلف فيه - فابو حنيفة يراه يميننا في كل شيء و يعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف

ذُرِّعَةً مِّنْ سَعَتِهِ ^ط وَمِنْ قُدْرٍ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيُذِنُفِقُ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ^ط لَا يَكَيْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ^ط سَيَجْعَلُ اللَّهُ
 بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ^ع وَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ عَمَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلُهَا فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَابُهَا عَذَابًا نُّكْرًا ^ع
 فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ^ع أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ^ط فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ^ط
 الَّذِينَ آمَنُوا ^ع قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ^ع رَسُولًا يَقُولُ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ^ط وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ^ط قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ^ع اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ

معامرة ترضع له ولده ان عاسرته آمة [لِيُذِنُفِقُ] كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به
 من الانفاق على المطلقات والمرضعات كما قال وَ مَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرَهُ - وقرئ
 لِيُذِنُفِقَ بالنصب اي شرعنا ذلك لينفق - وقرأ ابن ابي عتبة قُدْرَ [سَيَجْعَلُ اللَّهُ] موعده لفقراء ذلك
 الوقت بفتح ابواب الرزق عليهم - او لفقراء الازواج ان انفقوا ما قدروا عليه و لم يقصروا - [عَمَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا]
 اعرضت عنه على وجه العتو والعناد [حِسَابًا شَدِيدًا] بالاستقصاء والمناقشة [عَذَابًا نُّكْرًا] - وقرئ نُّكْرًا مذكرا
 عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها و ما يدورون فيها من الوبال و يلقون من الخسر وجيء به على
 لفظ الماضي كقوله وَ نَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ - وَ نَادَى أَصْحَابُ النَّارِ وَ نحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده
 ملقي في الحقيقة وما هو كائن فكان قد كان - وقوله [أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا] تكرير للوعيد و بيان لكونه متوقفا
 كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك يا اولي الابواب من المؤمنين لطفا في تقوى الله
 وحذر عقابه - و يجوز ان يراد احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا و اثباتها في صحائف
 الحفظة و ما اصابوا به من العذاب في العاجل - وان يكون عَمَتْ و ما عطف عليه صفة للقرية و اعد الله لهم
 جوابا لكأين - [رَسُولًا] هو جبرئيل صوات الله عليه ابدل من ذكرا لانه وُصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله
 في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه - او اريد بالذكر الشرف من قوله وَ إِنَّهُ أَذْكُرَّ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ فابدل
 منه كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه و اما لانه ذو مجد و شرف عند الله كقوله عِنْدَ ذِي
 الْعَرْشِ مَكِينٍ - او جعل لكثرة ذكره لله و عبادته كانه ذكر - او اريد ذا ذكر اي ملكا مذكورا في السموات و في
 الارض كلها - او دل قوله أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا على ارسل فكأنه قيل ارسل رسولا - او اعمل ذكرا في رسولا اعمال
 المصداق في المفاعيل اي انزل الله ان ذكر رسولاً او ذكره رسولاً - وقرئ رَسُولٌ على هو رسول - انزله | لِيُخْرِجَ
 الَّذِينَ آمَنُوا بعد انزاله اي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان و العمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله
 غير مؤمنين و انما آمنوا بعد الانزال و التبليغ - او لِيُخْرِجَ الَّذِينَ عرف منهم انهم يؤمنون - قرئ يُدْخِلْهُ
 بالياء - والذون - [قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا] فيه معنى التعجب و التعظيم لما رزق المؤمن من الثواب * [اللَّهُ
 الَّذِي خَلَقَ] مبتدأ وخبر - وقرئ [مِثْلَهُنَّ] بالنصب عطفا على سَبْعَ سَمَاوَاتٍ - و بالرفع على الابتداء و خبره

مِنْ وَجَدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ط وَإِنْ كُنْ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ع
فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ح وَاتِمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ع وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمَنْزُوعٌ لَهُ أُخْرَى ط لِيُنْفِقَ

العظيم - [أَسْكِنُوهُنَّ] وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ كَأَنَّهُ قِيلَ كَيْفَ نَعْمَلُ
بِالتَّقْوَى فِي شَأْنِ الْمُعْتَدَاتِ فَقِيلَ أَسْكِنُوهُنَّ - فَإِنْ قُلْتُمْ فِي [مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ] مَا هِيَ - قُلْتُمْ هِيَ مِنْ
التَّبَعِيَّةِ مَبْعُوضُهَا مَحْذُوفٌ مَعْنَاهُ اسْكِنُوهُنَّ مَكَانًا مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ أَيْ بَعْضُ مَكَانٍ سَكَنْتُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى
يَعُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ أَيْ بَعْضُ أَبْصَارِهِمْ - قَالَ قَتَادَةُ إِنْ لَمْ يَكُنِ الْبَيْتُ وَاحِدًا فَاسْكِنُهَا فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ -
فَإِنْ قُلْتُمْ فَقَوْلُهُ [مِنْ وَجَدِكُمْ] - قُلْتُمْ هُوَ عَطْفٌ بَيَانٌ لِقَوْلِهِ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ وَتَفْسِيرُهُ كَأَنَّهُ قِيلَ اسْكِنُوهُنَّ
مَكَانًا مِنْ مَسْكَنِكُمْ مِمَّا تَطِيقُونَهُ - وَالْوُجْدُ الْوُجُعُ وَالطَّاقَةُ - وَقُرِئَ بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ - وَالسَّكْنَى وَالنَّفَقَةُ
وَاجِبَتَانِ لِكُلِّ مُطَلَّقةٍ - وَعِنْدَ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ لَيْسَ لِلْمُبْتَوتَةِ إِلَّا السَّكْنَى وَلَا نَفَقَةٌ لَهَا - وَعَنِ الْحَسَنِ وَحَمَادٍ
لَا نَفَقَةٌ لَهَا وَلَا سَكْنَى لِحَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ زَوْجَهَا ابْنُ طَلَّاقِهَا فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ لَا سَكْنَى لَكَ
وَلَا نَفَقَةٌ - وَعَنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا نَدْعُ كِتَابَ رَبِّهَا وَسَنَدَّ نَبِيْنَا لِقَوْلِ امْرَأَةٍ لَعَلَّهَا نَسِيَتْ أَوْ شَبَّهَ لَهَا سَمِعْتُ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهَا السَّكْنَى وَالنَّفَقَةُ [وَلَا تَضَارُّوهُنَّ] وَلَا تَسْتَعْمِلُوا مَعَهُنَ الضَّرَارَ
[لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ] فِي الْمَسْكَنِ بِبَعْضِ الْأَسْبَابِ مِنْ أَنْزَالٍ مِنْ لَا يُوَافِقُهُنَّ أَوْ بِشُغْلٍ مَكَانَهُنَّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ
حَتَّى تَضْطَرُّوهُنَّ إِلَى الْخُرُوجِ - وَقِيلَ هُوَ أَنْ يَرَا جَعْلًا إِذَا بَقِيَ مِنْ عَدَّتِهَا يَوْمَانِ لِيُضَيِّقَ عَلَيْهَا أَمْرَهَا -
وَقِيلَ هُوَ أَنْ يُلْجِئَهَا إِلَى أَنْ تَفْتَدِيَ مِنْهُ - فَإِنْ قُلْتُمْ فَإِذَا كَانَتْ كُلُّ مُطَلَّقةٍ عِنْدَكُمْ تَجِبُ لَهَا النَّفَقَةُ فَمَا
فَائِدَةُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ [وَإِنْ كُنْ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ] - قُلْتُمْ فَائِدَتُهُ أَنَّ مَدَّةَ الْحَمْلِ رُبَّمَا طَالَتْ فَظَنَّ
ظَنَّ أَنَّ النَّفَقَةَ تَسْقُطُ إِذَا مَضَى مَقْدَارُ عِدَّةِ الْحَائِلِ فَذَنَّبِي ذَلِكَ الْوَهْمُ - فَإِنْ قُلْتُمْ فَمَا تَقُولُ فِي الْحَامِلِ
الْمُتَوَفَّى عَنْهَا - قُلْتُمْ هِيَ مُخْتَلَفٌ فِيهَا - فَادَّعَوْهُمْ عَلَى أَنَّهُ لَا نَفَقَةَ لَهَا لَوْ قَوَّعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ مَنْ أُجْبِرَ الرَّجُلُ
عَلَى النَّفَقَةِ عَلَيْهِ مِنْ امْرَأَةٍ أَوْ وَلَدٍ صَغِيرٍ لَا يَجِبُ أَنْ يَنْفِقَ عَلَيْهِ مِنْ مَالِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَكَذَلِكَ الْحَامِلُ - وَعَنِ
عَلِيٍّ وَعَبْدِ اللَّهِ وَجَمَاعَةٍ أَنَّهُمْ أَوْجَبُوا نَفَقَتَهَا - [فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ] يَعْنِي هَؤُلَاءِ الْمُطَلَّقاتِ أَنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ وَلَدًا مِنْ
غَيْرِهِنَّ أَوْ مِنْهُنَّ بَعْدَ انْقِطَاعِ عَصْمَةِ الزَّوْجِيَّةِ [فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ] حَكَمَهُنَّ فِي ذَلِكَ حَكَمَ الْأَطْنَارِ - وَلَا يَجُوزُ
عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ الْأَسْتِيجَارُ إِذَا كَانَ الْوَلَدُ مِنْهُنَّ مَا لَمْ يَبْنِ - وَيَجُوزُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ - الْإِيْتِمَارُ
بِمَعْنَى التَّأَمُّرِ كَالِاشْتِوَارِ بِمَعْنَى التَّشَاوُرِ يُقَالُ إِيْتَمَرَ الْقَوْمُ وَتَأَمَّرُوا إِذَا أَمَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَالْمَعْنَى وَالْيَأْمُرُ
بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَالْخُطَابُ لِلْأَبَاءِ وَالْأَهْمَاتُ [بِمَعْرُوفٍ] بِجَمِيلٍ وَهُوَ الْمَسَامَحَةُ وَأَنْ لَا يَمَّاكُسَ الْآبُ وَلَا تَعَاَسَرَ
الْأُمَّ لِأَنَّهُ وَلَدُهَا مَعًا وَهِيَ شَرِيكَةٌ فِيهِ وَفِي وَجُوبِ الْأَشْفَاقِ عَلَيْهِ [وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمَنْزُوعٌ لَهُ أُخْرَى] فَسُتَوْجِدُ
وَلَا تَعُوزُ مَرْضِعَةٌ غَيْرُ الْأُمِّ تُرَضَّعُ - وَفِيهِ طَرَفٌ مِنْ مَعَاتِبَةِ الْأُمِّ عَلَى الْمَعَاوَةِ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ تَسْتَقْضِيهِ حَاجَةً
فَيَتَوَانَى سَيَقْضِيهَا غَيْرُكَ تَرِيدُ أَنْ تَبْقَى غَيْرَ مَقْضِيَةٍ وَأَنْتَ مَلُومٌ - وَقَوْلُهُ لَهُ أَيْ لِلْآبَاءِ سَيَجِدُ الْآبُ غَيْرَ

بَالِغِ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝ وَاللَّيْثِي يَتُسَنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مَنْ نَسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ الْيُسْرَى ۖ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۖ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۖ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۖ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝ اسْكُذُّوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ

له من مخرج فتلاها - وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فقال لم يتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانك منك بثلاث و الزيادة اثم في عنقك - ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلکم يؤعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والاخرة - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة - وقال عليه السلام اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها - وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال ما امسى عند آل محمد الا مد فأتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينما هو في بيته ان قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية - بَالِغِ أَمْرِهِ اي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب - وقرئ [بَالِغِ أَمْرِهِ] بالاضافة - وبَالِغِ أَمْرِهِ بالرفع اي نافذ امره - وقرأ المفضل بَالِغًا أَمْرُهُ على ان قوله قَدْ جَعَلَ اللَّهُ خبر ان وبَالِغًا حال [قَدْرًا] تقديرًا وتوقيتًا هذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل - وروي ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت - فمعنى [إِنْ ارْتَبْتُمْ] ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتدّن فهذا حكمهن - وقيل إِنْ ارْتَبْتُمْ في دم البالغات مبالغ اليأس وقد قدره بستان سنة وخمس وهو دم حيض او استحاضة [فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ] و إذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذاك [وَاللَّيْثِي لَمْ يَحِضْ] هن الصغائر والمعنى فعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ فحذف لدلالة المذكور عليه - اللفظ مطلق في اولات الاحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن - وكان ابن مسعود و أبي و ابو هريرة وغيرهم لا يفرقون - وعن علي و ابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها ابعد الاجلين - وعن عبد الله من شاء لاعتقه ان سورة النساء القصوى نزلت بعد اللتي في البقرة يعني ان هذا اللفظ مطلق في الحوامل - و روت ام سلمة ان سبيعة الاسمية ولدت بعد وفات زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها قد حللت فانكحي [يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا] ييسر له من امره ويحلل له من عقده بسبب التقوى * [ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ] يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات - والمعنى [وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ] في العمل بما انزل الله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الامكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وابتداء اجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والاجر

بُيُوتِهِمْ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ط وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ط وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ
نَفْسَهُ ط لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ٥ فَإِذَا بَلَغَ الْإِنْسَانُ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَ أَشْهَدُوا ذَرْبِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ط ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ط وَ مَنْ
يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ٥ وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ط وَ مَنْ يَقْتُلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ط إِنَّ اللَّهَ

سورة الطلاق ٤٥

الجزء ٢٨

ع ١٩

كوامل لانقصان فيهن [وَلَا تُخْرِجُوهُنَّ] حتى تنقضي عدتهن [مِنْ بُيُوتِهِنَّ] من مساكنهن اللتي يسكنها
قبل العدة وهي بيوت الازواج و اضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى - فان قلت ما معنى
الجمع بين اخراجهم و خروجهم - قلت معنى الاخراج ان لا يُخْرِجَهُنَّ البعولة غضباً عليهن و كراهة لمساكنتهن
او الحاجة لهم الى المساكن و ان لا يأذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذاناً بان اذنهم لا اثر له في رفع
الحظر [وَلَا يُخْرِجَنَّ] بانفسهن ان اردن ذلك [إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ] قرئى بفتح الياء - وكسرهما - قيل
هي الزنا يعني الا ان يزنين فيُخْرِجَنَّ لاقامة الحد عليهن - وقيل الا ان يطلقن على النشوز و النشوز يسقط
حقها في السكنى - وقيل الا ان يبدون فيحمل اخراجهن لبدائهن و يؤكد قراءة ابي الا ان يَفَحَّشْنَ عَلَيْكُمْ -
وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه - الامر الذي يُحْدِثُهُ الله ان يقلب قلبه من بغضها
الى محبتها و من الرغبة عنها الى الرغبة فيها و من عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها و المعنى
فطلقوهن لعدتهن و احصوا العدة لعلكم ترغبون و تزدملون فتراجعون [فَإِذَا بَلَغَ أَجْلَهُنَّ] و هو اخر العدة
و شارفنه فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة و الامساك بالمعروف و الاحسان و ان شئتم فتترك الرجعة و المفارقة
و اتقاء الضرر و هو ان يراجعها في اخر عدتها ثم يطلقها تطويلاً للعدة عليها و تعذيباً لها [وَأَشْهَدُوا] يعني
عند الرجعة و الفرقة جميعاً و هذا الاشهاد منذوب اليه عند ابي حنيفة كقوله تعالى وَ أَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ -
وعند الشافعي هو واجب في الرجعة منذوب اليه في الفرقة - وقيل فائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما
التجاحد و ان لا يَتَّهَمَ في امساكها و ثلاً يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث - [مِنْكُمْ] قال
الحسن من المسلمين - وعن قتادة من احراركم [لِلَّهِ] لوجهه خالصاً و ذلك ان يُقِيمُوهَا لا للمشهود له
ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق و دفع الظلم كقوله تعالى قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ
لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ - اي [ذَلِكَ] الحث على اقامة الشهادة لوجه الله و لاجل القيام بالقسط يُوعِظُ بِهِ - [وَ مَنْ
يَتَّقِ اللَّهَ] - يجوز ان يكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة و طريقه
الاحسن و الابعد من الندم و يكون المعنى وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فطلق للسنة و لم يضار المعتدة و لم يخرجها من
مسكنها و احتاط فاشهد [يَجْعَلْ] الله [لَهُ مَخْرَجًا] مما في شان الازواج من الغموم و الوقوع في المضائق
و يفرج عنه و ينقش و يعطه الخلاص [وَ يَرْزُقْهُ مِنْ] وجه لا يُخْطَرُ ببداله و لا يحْتَسِبُهُ ان اوفى المهر و ادنى
الحقوق و النفقات و قل ماله - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم انه سُئِلَ عَنْ طَلْقِ ثَلَاثًا او الْفَاحِشِ

المصلي [فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ] فطلقوهن مستقبلا لعدتهن كقولك اتيتك الليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها - و
 في قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قُبُلِ عَدَّتِهِنَّ واذا طَلَّقَت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من
 اقرائها فقد طَلَّقَت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلق في طهر لم يجامع فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن،
 وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من الذم - ويدل عليه ما روي عن ابراهيم النخعي ان اصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا ازواجهم للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير
 ذلك حتى تنقضي العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلثا في ثلثة اطهار - وقال مالك بن
 انس لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلث مجموعة كانت او متفرقة - واما ابو حنيفة واصحابه فانما
 كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما متفرقا في الاطهار فلا لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم انه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر
 استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة - وروي انه قال لعمر مربيك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر
 ثم ليطلقها ان شاء فذلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء - وعند الشافعي لا بأس بارسال الثلث
 وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح - فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت -
 و ابو حنيفة يراعي التفريق والوقت - والشافعي يراعي الوقت وحده - فان قلت هل يقع الطلاق
 المخالف للسنة - قلت نعم وهو اثم لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان رجلا طلق امرأته ثلثا بين
 يديه فقال اتلعبن بكتاب الله وانا بين اظهركم - وفي حديث ابن عمر انه قال يا رسول الله ارأيت لو طلقته
 ثلثا فقال له اذن عصيت و بانك امراة - وعن عمر رضي الله عنه انه كان لا يؤتى برجل طلق
 امرأته ثلثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه - وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ان من
 خالف السنة في الطلاق فارقه في حيض او ثلث لم يقع وشبهه بمن وكل غيره بطلاق السنة مخالف -
 فان قلت كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغرا او كبرا او حمل وغير المدخول بها - قلت الصغيرة
 والأيسة والحامل كلهن عند ابي حنيفة وابي يوسف يفرق عليهن الثلث في الاشهر وخالفهما محمد
 و زفر في الحامل فقال لا تطلق للسنة الا واحدة واما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعي
 الوقت - فان قلت هل يكره ان تطلق المدخول بها واحدة بائنة - قلت اختلفت الرواية فيه عن اصحابنا
 والظاهر الكراهة - فان قلت قوله اذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من
 ذوات الاقراء والأيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن - قلت
 لا عموم ثمة ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنوية قائم في كلهن
 وفي بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذلك فلما قيل فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ علم انه اطلاق على بعضهن وهن
 المدخول بهن من المعتدات بالحيض [وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ] واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلثة اقراء مستقبلا

سورة الطلاق ٤٥	فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ ط وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥
الجزء ٢٨	إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ط وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ٥ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٥ ع
ع ١٦	سورة الطلاق مدنية وهي اثنا عشر آية وفيها ركوعان •
حروفها ١٢٣٧	كلماتها ٢٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ج وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ج لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ

و الصلوة - وقيل كان عوف بن مالك الأشجعي ذا اهل و ولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه و رفقوه فكانه هم باذاهم فنزلت [فِتْنَةً] بلاء و محنة لانهم يُوقعون في الائم و العقوبة و لا بلاء اعظم منهما الا ترى الى قوله [وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ] وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيمة يقال اكل عياله حسنة - وعن بعض السلف العيال سُوس الطاعات - وعن النبي صلى الله عليه و آله وسلم انه كان يخطب فجاء الحسن و الحسين و عليهما قميصيان احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فاخذهما و وضعهما في حجرة على المنبر فقال صدق الله انما اموالكُم و اولادكم فِتْنَةٌ رَأَيْتُ هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ فلم اصبر عنهما ثم اخذ في خطبته - و قيل اذا امكنكم الجهاد و الهجرة فلا يفتنكن الميول الى الاموال و الاولاد عنهما [مَا اسْتَطَعْتُمْ] جهدكم و وسعكم اي ابدلوا فيها استطاعتكم [وَأَسْمِعُوا] ما توعظون به [وَأَطِيعُوا] فيما تؤمرون به و تنهون عنه و أَنْفِقُوا] في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها [خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ] نصب بمحذوف تقديره ايتوا خيرا لانفسكم و افعلوا ما هو خير لها و انفع و هذا تأكيد المحث على امتثال هذه الاوامر و بيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال و الاولاد و ما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات و زخارف الدنيا و ذكر القرض تَلَطَّفَ في الاستدعاء [يُّضَعِفُهُ أَكْمٌ] يكتب لكم بالواحدة عشرا و سبع مائة الى ما شاء من الزيادة - و قرئ يُّضَعِفُهُ - [شُكُورٌ] مجاز اي يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب و كذلك [حَلِيمٌ] يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم - عن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة •

سورة الطلاق

خُصَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ بِالنِّسَاءِ لَأَنَّ النَّبِيَّ إِمَامَ أُمَّتِهِ وَ قُدُوتَهُمْ كَمَا يُقَالُ لِرُؤُوسِ الْقَوْمِ وَ كَبِيرِهِمْ يَا فُلَانُ افْعَلُوا كَيْتَ وَ كَيْتَ اظْهَارًا لَتَقْدَمَهُ وَ اعْتِبَارًا لَتَرُؤُسِهِ وَ أَنَّهُ مِدْرَةُ قَوْمِهِ وَ لِسَانُهُمْ وَ الَّذِي يَصْدُرُونَ عَنْ رَأْيِهِ وَ لَا يَسْتَبْدُونَ بِأَمْرٍ دُونَهُ فَكَانَ هُوَ وَاحِدَةً فِي حُكْمِ كُلِّهِمْ وَ سَادًّا مَسَدَ جَمِيعِهِمْ وَ مَعْنَى [إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ] إِذَا ارْتَضَيْتُمْ تَطْلِيقَهُنَّ وَ هَمَّيْتُمْ بِهِ عَلَى تَنْزِيلِ الْمُقْبِلِ عَلَى الْأَمْرِ الْمَشَارِفِ لَهُ مِنْزِلَةُ الشَّارِعِ فِيهِ كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ وَ مِنْهُ كَانَ الْمَاشِي إِلَى الصَّلَاةِ وَ الْمُنْتَظَرُ لَهَا فِي حُكْمِ

ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ط وَ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ط ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ط وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ٦ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ط وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ط وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٧ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ ٨ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَإْغُ الْمُبِينُ ٩ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ط وَ عَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ١١ وَ إِنْ تَعَفَّوْا وَ تَصَفَّحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٢ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ط وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٣

بالاشقياء لان نزلهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة - ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان جلت وعظمت [صالحا] صفة للمصدر اي عملا صالحا * [الا باذن الله] لا بتقديره ومشيتته كانه اذن للمصيبة ان تصيبه [يهدي قلبه] يلطف به ويشرحه للازداد من الطاعة والخير - وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة - وعن الضحاك يهدي قلبه حتى يعلم ان ما اصابه ام يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه - وعن مجاهد ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر - و قرئ يهدي قلبه على البناء للمفعول - والقلب مرفوع - او منصوب ووجه النصب ان يكون مثل سفة نفسه اي يهدي في قلبه - ويجوز ان يكون المعنى ان الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتدي اليه نقوله لمن كان له قلب - و قرئ يهدي قلبه بالنون - ويهدي قلبه بمعنى يهدي - ويهدا قلبه يطمئن - ويهد - ويهدا على التخفيف [والله بكل شيء عليم] يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه [فان توليتم] فلا عليه اذا توليتم لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب عليه ان يبلغ ويبين فحسب [والله فليتكفل المؤمنون] بعث لرسول الله على التوكل عليه والتقوي به في امرة حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه * ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الاولاد اولادا يعادون اباؤهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى [فاحذروهم] الضمير للعدو - او للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشركهم [وان تعفوا] عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها [فان الله] يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم سيئاتكم - وقيل ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم وقفوا فلما هاجروا بعد ذلك وراوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزبن لهم العفو - وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصيبكم بخير فلما هاجروا مذعوهم الخير فحسبوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر

سورة التغابن ١٤

الجزء ٢٨

ع ١٤

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَمَا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ذَلِكَ بَيِّنَةٌ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رَسُولُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ ۝ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ۝ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۝ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ فَاذْكُرُوا لِلَّهِ وِرْثَكُمْ وَرَسُولِهِ وَالتُّورَ الَّتِي أَنْزَلْنَا ۝ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ يَوْمَ يُجْمَعُ لَكُمْ يَوْمُ الْجَمْعِ

فَإِنْ قُلْتَ فَمَنْ مِنْ دَمِيمٍ مَشْوَى الصُّورَةِ سَمِجِ الْخَلْقَةِ تَقْتَحِمُهُ الْعَيْنُونَ - قُلْتَ لَا مِمَّا جَاءَتْهُ وَلَكِنْ الْحَسَنُ كَغَيْرِهِ مِنَ الْمَعَانِي عَلَى طَبَقَاتٍ وَمَرَاتِبٍ فَلَا نَحْطَاظُ بِغَضِّ الصُّورِ عَنْ مَرَاتِبٍ مَا فَوْقَهَا انْحِطَاظًا بَيْنًا وَاضْفَانًا إِلَى الْمَوْفَى عَلَيْهَا لَا تُسْتَمْلَحُ وَلَا فَهِي دَاخِلَةٌ فِي حَيْزِ الْحَسَنِ غَيْرِ خَارِجَةٍ مِنْ حَدِّهِ إِلَّا تَرَى أَنَّكَ قَدْ تَعْجَبُ بِصُورَةٍ وَتُسْتَمْلِكُهَا وَلَا تَرَى الدُّنْيَا بِهَا ثُمَّ تَرَى أَمْلَحَ وَأَعْلَى فِي مَرَاتِبِ الْحَسَنِ فَيَنْبَغِي عَنْ الْأَوَّلَى طَرَفًا وَتُسْتَنْقِلُ النَّظَرَ إِلَيْهَا بَعْدَ انْتِزَاعِكَ بِهَا وَتَهَالِكُ عَلَيْهَا - وَقَالَتْ الْحَكَمَاءُ شَيْئَانِ لَا غَايَةَ لَهُمَا الْجَمَالَ وَالْبَيَانَ - نَبَّهَ بِعِلْمِهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ بِعِلْمِهِ مَا يُسِرُّ الْعِبَادَ وَيُعْلِنُونَهُ ثُمَّ بِعِلْمِهِ ذَوَاتِ الصُّدُورِ أَنَّ شَيْئًا مِنَ الْكَلِمَاتِ وَالْجَزْئِيَّاتِ غَيْرِ خَافٍ عَلَيْهِ وَلَا عَازِبٌ عَنْهُ فَحَقُّهُ أَنْ يَتَّقَى وَيَحْذَرُ وَلَا يَجْتَرَأُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا يَخَالِفُ رِضَا وَتَكْرِيرَ الْعِلْمِ فِي مَعْنَى تَكْرِيرِ الْوَعِيدِ وَكَلِمَا ذِكْرِهِ بَعْدَ قَوْلِهِ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ كَمَا تَرَى فِي مَعْنَى الْوَعِيدِ عَلَى الْكُفْرِ وَانْكَارِ أَنْ يَعْصِيَ الْخَالِقُ وَلَا تَشْكُرُ نِعْمَتَهُ فَمَا أَجْهَلُ مِنْ يَمْزِجُ الْكُفْرَ بِالْخَلْقِ وَيَجْعَلُهُ مِنْ جَمَلَتِهِ وَالْخَلْقَ أَعْظَمَ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَالْكُفْرَ أَعْظَمَ كُفْرَانٍ مِنَ الْعِبَادِ لِرَبِّهِمْ [أَلَمْ يَأْتِكُمْ] الْخُطَابُ لِكُفَارِ مَكَّةَ - وَ[ذَلِكَ] إِشَارَةٌ إِلَى مَا ذَكَرَ مِنَ الْوَبَالِ الَّذِي ذَاقُوهُ فِي الدُّنْيَا وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ [بَيِّنَةٌ] بَيِّنَةٌ الشَّانِ وَالْحَدِيثُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رَسُولُهُمْ - [أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا] أَذْكُرُوا أَنْ يَكُونَ الرِّسَالُ بِشْرًا وَلَمْ يَنْكُرُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ حَجْرًا [وَاسْتَغْنَى اللَّهُ] أَطْلُقُ لِيَتَذَكَّرَ كُلُّ شَيْءٍ وَمِنْ جَمَلَتِهِ أَيْمَانُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ - فَإِنْ قُلْتَ قَوْلُهُ وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ يُوْهُمُ وَجُودَ التَّوَلَّى وَالِاسْتِغْنَاءُ مَعًا وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ غَنِيًّا - قُلْتَ مَعْنَاهُ وَظَهَرَ اسْتِغْنَاءُ اللَّهِ حَيْثُ لَمْ يُلْجِئْهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَلَمْ يَضْطَرَّهُمْ إِلَيْهِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى ذَلِكَ - الزُّعْمُ ادِّعَاءُ الْعِلْمِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ زَعَمُوا مَطْيَةَ الْكَذِبِ - وَعَنْ شَرِيحٍ لِكُلِّ شَيْءٍ كَذِبٌ وَكَذِبٌ الْكَذِبُ زَعَمُوا وَتَعَدَّى إِلَى الْمَفْعُولِينَ تَعَدَّى الْعِلْمُ قَالَ * ع * وَلَمْ أَزْعَمْكَ عَنْ ذَلِكَ مَعْزَا * وَأَنْ مَعَ مَا فِي حَيْزِهِ قَائِمٌ مَقَامَهُمَا - وَ[الَّذِينَ كَفَرُوا] أَهْلُ مَكَّةَ - وَ[بَلَى] اثْبَاتٌ لِمَا بَعْدَ لَنْ وَهُوَ الْبَعْثُ [وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ] أَيْ لَا يَصْرِفُهُ عَنْهُ صَارْفٌ وَعَنْ بَرَسُولِهِ وَالتُّورَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَامَ وَالْقُرْآنَ - وَقُرْئِي يُجْمَعُكُمْ وَيُكْفَرُ وَيُدْخِلُهُ بِالْيَدِ - وَالذُّنُوبُ - فَإِنْ قُلْتَ بِهِمُ انْتِصَابُ الظُّرْفِ - قُلْتَ بِقَوْلِهِ لَتُنَبَّيُنَّ أَوْ بِخَبِيرٍ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْوَعِيدِ كَأَنَّهُ قِيدَلٌ وَاللَّهُ مَعَاذَكُمْ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ أَوْ بِأَضْمَارِ أَنْ كُرَ [لِيَوْمِ الْجَمْعِ] لِيَوْمِ يَجْمَعُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ [التَّغَابُنُ] مُسْتَعَارٌ مِنْ تَغَابُنِ الْقَوْمِ فِي التَّجَارَةِ وَهُوَ أَنْ يَغْبِنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِنُزُولِ السُّعْدَاءِ مِنْ مَنَازِلِ الْأَشْقِيَاءِ اللَّتِي كَانُوا يَنْزِلُونَهَا لَوْ كَانُوا سَعْدَاءَ وَنُزُولِ الْأَشْقِيَاءِ مِنْ مَنَازِلِ السُّعْدَاءِ اللَّتِي كَانُوا يَنْزِلُونَهَا لَوْ كَانُوا أَشْقِيَاءَ وَفِيهِ تَهْكُمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥

يَسْبِغُ لَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَكَ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٥ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنًا ٥ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٥ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ
فَاحْسَنَ صُورَكُمْ ٥ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٥ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ٥ وَاللَّهُ

سورة التغابن

قدم الظرفان ليدل بتقدمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لان الملك
على الحقيقة له لانه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لان اصول النعم
وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بان نعمة الله جرت على يده [هو الذي
خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنًا] يعني فمنكم ات بالكفر وفاعل له ومنكم ات بالايمن و فاعل له كقوله
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ والدليل عليه قوله وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
اي عالم بكفركم و ايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو
الخلق والايجاد عن العدم فكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح و تكونوا باجمعكم عبادا شاكرين فما
فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا و تفرقتم امما فَمِنْكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنًا وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم
والاكثر فيهم - وقيل هو الذي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرًا بِالْخَلْقِ وهم الدهرية وَمِنْكُمْ مُؤْمِنًا به - فان قلت نعم ان
العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الله الحكيم انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره
فمادعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح الا واحد وهل مثله
الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شمر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا اما يطبق
العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل انحاءهم باللوائم على الواهب
اشد - قلت قد علمنا ان الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا ان افعاله كلها حسنة
وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون حسنا وان يكون له وجه حسن و خفاء وجه الحسن علينا
لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها * [بِالْحَقِّ] بالغرض
الصحيح والحكمة البالغة وهو ان جعلها مقام المتكفين ليعملوا فيجازيهم [وَصَوَّرَكُمْ فَاَحْسَنَ صُورَكُمْ] - وقرئ
صَوَّرَكُمْ بالكسر لتشكروا و اليه مصيركم فجزاؤكم على الشكر والتفريط فيه - فان قلت كيف احسن صورهم -
قلت جعلهم احسن الحيوان كله و ابهاء بدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون صورته على خلاف ما يرى
من سائر الصور ومن حسن صورته انه خالق منتصبا غير منكبت كما قال عز وجل فِيْ اَحْسَنِ تَقْوِيمٍ -

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ۝ وَانْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنٰكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ۖ وَأَكُنْ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ۝ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۖ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝

التناج و التلذذ بها و الاستمتاع بمنافعها [وَلَا أَوْلَادُكُمْ] و سروركم بهم و شفقتكم عليهم و القيام بموئنتهم و تسوية ما يصلحهم من معاشهم في حيوتكم و بعد مماتكم و قد عرفتم قدر منفعة الاموال و الاولاد و انه اهون شيء و ادونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله و ايثاره عليها [وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ] يريد الشغل بالدنيا عن الدين [فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ] في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني - و قيل ذكر الله الصلوات الخمس - و عن الحسن جميع الفرائض كانه قال عن طاعة الله - و قيل القرآن - و عن الكاظمي الجهاد مع رسول الله - من في [مِنْ مَّا رَزَقْنٰكُمْ] للتبعيض و المراد الانفاق الواجب [مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ] من قبل ان يرى دلائل الموت و يعاين ما يأس معه من الامهال و يضيق به الخذاق و يتعذر عليه الانفاق و يقوت وقت القبول فيتحسر على المنع و يعرض انامله على فقد ما كان متمكنا منه - و عن ابن عباس تصدقوا قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا يقبل توبة و لا يذفع عمل - و عنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال ان يزكيه و اذا اطاق الحج ان يحج من قبل ان ياتي الموت فيسأل ربه الكربة فلا يعطاها - و عنه انها نزلت في مانعي الزكوة و والله لو رأى خيرا لما سأل الرجعة فليل له اما تنقي الله يسأل المؤمنون الكربة قال نعم انا اقرأ عليكم به قرانا يعني انها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها - و كذا عن الحسن ما من احد لم يزل ولم يصم ولم يحج الا سأل الرجعة - و عن عكرمة انها نزلت في اهل القبلة [لَوْلَا أَخَّرْتَنِي] و قرئ آخرتني يريد هلا آخرت موتني [إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ] الى زمان قليل [فَأَصَّدَّقَ] و قرأ أبي فأتصدق على الاصل - و قرئ [وَأَكُنْ] عطفا على محل فأتصدق كانه قيل ان آخرتني أتصدق وأكن - و من قرأ وأكون على النصب فعلى اللفظ - و قرأ عبید بن عمير وأكون على وانا اكون عدة منه بالصلاح [وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ]

نفى للتأخير على وجه التاكيد الذي معناه مفااة المنفي الحكمة و المعنى انكم اذا علمتم

ان تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه و انه هاجم لا محالة و ان الله عليم

بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب و غيره لم تدق الا المسارعة

الى الخروج عن عهدة الواجبات و الاستعداد للقاء الله -

و قرئ [يَعْمَلُونَ] بالتاء - و الياء - عن

رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم

من قرأ سورة المنافقين

برئ من النفاق •

لَهُمْ أَمْ لَمْ تُسْتَغْفِرْ لَهُمْ ۖ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا
عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ۖ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝
يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۖ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ

اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ لَعَلَّكَ غَضِبْتَ عَلَيْهِ قَالَ لَا قَالَ فَلَعَلَّهُ أَخْطَا سَمِعَكَ قَالَ لَا قَالَ فَلَعَلَّهُ شَبَّهَ عَلَيْكَ
قَالَ لَا فَمَا نَزَلَتْ لِحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا مِنْ خَلْفِهِ فَعَرَفَ أَذَنَهُ وَقَالَ وَفَتْ
أَذَنُكَ يَا غُلَامُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ وَكَذَبَ الْمُنَافِقِينَ وَلَمَّا أَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ اعْتَرَضَهُ ابْنُهُ
حُبَابٌ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ اسْمُهُ وَقَالَ إِنَّ حُبَابًا اسْمُ شَيْطَانٍ وَكَانَ مُخْلِصًا وَقَالَ
وَرَاءَكَ وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُهَا حَتَّىٰ تَقُولَ رَسُولُ اللَّهِ الْأَعَزُّ وَإِنَّا الْأَذَلُّ فَلَمْ يَزَلْ حَبِيسًا فِي يَدِهِ حَتَّىٰ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ
بِتَخْلِيَّتِهِ - وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ لَهُ لَنْ لَمْ تُقَرِّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ بِالْعِزِّ لِأَضْرَبَنَّ عُنُقَكَ فَقَالَ وَيْحَكَ أُنَاعِلُ أَنْتَ قَالَ نَعَمْ
فَلَمَّا رَأَى مِنْهُ الْحِجَّةَ قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
لِابْنِهِ جَزَاكَ اللَّهُ عَنْ رَسُولِهِ وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا فَلَمَّا بَانَ كَذِبَ عَبْدِ اللَّهِ قِيلَ لَهُ قَدْ نَزَلَتْ فِيكَ أَيْ
شِدَادٌ فَازْهَبْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يَسْتَغْفِرْ لَكَ فَلَوَّى رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ امْرُتَمُونِي أَنْ أَوْمِنَ فَأُصَلِّتَ وَامْرُتَمُونِي أَنْ
أُزَكِّيَ مَالِي فَزَكَّيْتِ فَمَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ أَسْجُدَ لِمُحَمَّدٍ فَذَلَّتْ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَلَمْ
يَلْبِثْ إِلَّا أَيَّامًا قَلِيلًا حَتَّىٰ اشْتَكَى وَمَاتَ [سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ] [الاستغفار و عدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدّون
به لكفرهم او لان الله لا يغفر لهم - و قرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان أم المعادلة تدل عليه -
وقرأ ابو جعفر استغفرت اشباعاً لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلباً لهمزة الوصل الفا كما في السحر والله
[يَنْفَضُوا] يتفرقوا - و قرئ يَنْفَضُوا مِنْ انْفَضَ الْقَوْمُ إِذَا فَنِيَتْ أَزْوَاجُهُمْ وَحَقِيقَتُهُ حَانَ لَهُمْ أَنْ يَنْفَضُوا
مِزَاجَهُمْ [وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ] و بيده الارزاق و الْقِسْمُ فهو رزقهم منها و ان ابنى اهل المدينة
ان يُنْفِقُوا عَلَيْهِمْ [وَلَكِنْ] عبد الله واضرابه جاهلون [لَا يَعْقِلُونَ] ذاك فيبهذون بما يزين لهم الشيطان - و قرئ
يُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ بفتح الياء - و يُخْرِجَنَّ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُول - و قرأ الحسن و ابن ابي عجلة
لَيُخْرِجَنَّ بِالنُّونِ وَنَصَبَ الْأَعَزُّ وَالْأَذَلُّ وَمَعْنَاهُ خُرُوجُ الْأَذَلِّ أَوْ اخْرَاجِ الْأَذَلَّ أَوْ مِثْلَ الْأَذَلِّ [وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ]
الغلبة والقوة ولَمِنْ أَعَزَّهُ اللَّهُ وَآيِدُهُ مِنْ رَسُولِهِ وَمِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَهُمْ الْأَخْصَاءُ بِذَلِكَ كَمَا أَنَّ الْمَذَلَّةَ وَالْهَوَانَ
لِلشَّيْطَانِ وَذَوِيهِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ - وَعَنْ بَعْضِ الصَّالِحَاتِ وَكَانَتْ فِي هَيْئَةٍ رَثَّةٍ أَلَسْتُ عَلَى الْإِسْلَامِ
وَهُوَ الْعِزُّ الَّذِي لَا ذَلَّ مَعَهُ وَالْغِنَى الَّذِي لَا فَقْرَ مَعَهُ - وَعَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ إِنَّ
النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّ فِيكَ تَيْهًا قَالَ لَيْسَ بَتَيْهِ وَلَكِنَّهُ عِزَّةٌ وَتِلَا هَذِهِ الْآيَةُ - [لَا تُلْهِكُمْ] [لَا تُشْغَلُكُمْ] [أَمْوَالُكُمْ]
والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاعتلال وابتغاء

خُشْبٌ مُسَدَّدَةٌ ط يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ط هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ ط قَاتِلْهُمْ اللَّهُ ز أَنْتَ يَوْمَئِذٍ بِؤُفْكُونَ © وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ © سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ

سورة المنافقون ٢٣

الجزء ٢٨

ع ١٢

وَمَدْرُوهُي فِي قِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ الْيَزِيدِيِّ أَنَّهُ قَالَ فِي خُشْبٍ جَمَعَ خُشْبَاءَ وَالْخُشْبَاءُ الْخَشْبَةُ الَّتِي دُعِرْجُوهَا شُبَّهَتْ بِهَا فِي نِفَاقِهِمْ وَفَسَادِ بَوَاطِنِهِمْ - [عَلَيْهِمْ] ثَانِي مَفْعُولِي يَحْسَبُونَ أَيِ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ وَاقِعَةٍ عَلَيْهِمْ وَضَارَّةٍ لَهُمْ لِحَبْنِهِمْ وَهَلْعِهِمْ وَمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الرُّعْبِ إِذَا نَادَى مَذَابٍ فِي الْعَسْكَرِ أَوْ انْفَلَتَتْ دَابَّةٌ أَوْ أُنْشِدَتْ ضَالَّةٌ ظَنُّوهُ أَيْقَاعًا بِهِمْ - وَقِيلَ كَانُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ مَا يَهْتَكُ اسْتَارَهُمْ وَيُبَيِّحُ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَمِنْهُ اخْذُ الْإِخْطَلِ * شَعْرٌ * مَا زِلْتَ تَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ * خِيَلًا تَكْتَرُّ عَلَيْهِمْ وَرَجَالًا * يَوْقِفُ عَلَى عَلَيْهِمْ وَيَبْتَدِئُ هُمُ الْعَدُوُّ أَيِ هُمُ الْكَامِلُونَ فِي الْعِدَاوَةِ لِأَنَّ أَعْدَى الْأَعْدَاءِ الْعَدُوَّ الْمُدَاجِي الَّذِي يَكْشُرُكَ وَتَحْتَ ضُلُوعِهِ الدَّاءُ الدَّوِي [فَاحْذَرَهُمْ] وَلَا تَغْتَرَّرْ بِظَاهِرِهِمْ - وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ هُمُ الْعَدُوُّ الْمَفْعُولُ الثَّانِي كَمَا لَوْ طَرَحْتَ الضَّمِيرَ - فَإِنْ قُلْتَ فَحَقُّهُ أَنْ يُقَالَ هِيَ الْعَدُوُّ - قُلْتَ مَنْظُورٌ فِيهِ إِلَى الْخَبَرِ كَمَا ذَكَرَ فِي هَذَا رَبِّي - وَأَنْ يَقْدَرُ مَضَافٌ مَحْذُوفٌ عَلَى يَحْسَبُونَ كُلُّ أَهْلِ صَيْحَةٍ [قَاتِلْهُمْ اللَّهُ] دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ وَطَلَبٌ مِنْ ذَاتِهِ أَنْ يُلْعَنَهُمْ وَيُخْزِيَهُمْ أَوْ تَعْلِيمٌ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوا عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ [أَنْتَ يَوْمَئِذٍ بِؤُفْكُونَ] كَيْفَ يُعَدِّلُونَ عَنِ الْحَقِّ تَعْجِبًا مِنْ جَهْلِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ [لَوَّاْ رُؤُسَهُمْ] عَطَفُوهَا وَأَمْوَالُهَا أَعْرَاضًا عَنْ ذَلِكَ وَاسْتِكْبَارًا - قَرِئَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ لِلتَّكْثِيرِ - رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ لَقِيَ بَنِي الْمَصْطَلِقِ عَلَى الْمُرَيْسِيعِ وَهُوَ مَاءٌ لَهُمْ وَهَزَمَهُمْ وَقَتْلَ مِنْهُمْ أَزْدَحَمَ عَلَى الْمَاءِ جَهْجَاهُ بْنُ سَعِيدٍ أَجِيرٌ لِعَمْرِيقُوهُ فَرَسُهُ وَسَنَانُ الْجَهْنِيِّ حَلِيفُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَاقْتَدَلَا فَصَرَخَ جَهْجَاهُ يَا لِمُهَاجِرِينَ وَسَنَانُ يَا لَأَنْصَارِ فَاعَانَ جَهْجَاهُ جِعَالَ مِنْ فَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَلَطَمَ سَنَانًا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لَجِعَالَ وَأَنْتَ هَذَا وَقَالَ مَا صَحْبُنَا مُحَمَّدًا إِلَّا لَلْطَمِ وَاللَّهِ مَا مِثْلُنَا وَمِثْلُهُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبَكَ إِمَّا وَاللَّهِ لَأَنَّ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْزُ مِنْهَا الْأَذْلَ عَنِّي بِالْأَعْزِ نَفْسِهِ وَبِالْأَذْلِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ مَاذَا فَعَلْتُمْ بَأَنْفُسِكُمْ أَحَلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ وَقَامْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ إِمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْ جِعَالَ وَذَوِيهِ فَضَلَ الطَّعَامُ لَمْ يَرْكَبُوا رِقَابَكُمْ وَلَوْ شَكُوا أَنْ يَتَحَوَّلُوا عَنْكُمْ فَلَا تُنْفِقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِ مُحَمَّدٍ فَسَمِعَ بِذَلِكَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَهُوَ حَدَّثَ فَقَالَ أَنْتَ وَاللَّهِ الذَّلِيلُ الْقَلِيلُ الْمُبْغَضُ فِي قَوْمِكَ وَمُحَمَّدٌ فِي عِزِّهِ مِنَ الرَّحْمَنِ وَقُوَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ اسْكُتْ فَإِنَّمَا كَذَبْتَ الْعَبَّ فَأَخْبَرَ زَيْدُ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ عَمْرُو عَنِّي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَذِنَ تَرَعْدُ أَنْفُ كَثِيرَةٌ يَذْرُبُ قَالَ فَإِنْ كَرِهْتَ أَنْ يَقْتُلَهُ مُهَاجِرِي فَأَمْرُ بِهِ أَنْصَارِي فَقَالَ فَكَيْفَ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ اللَّهِ أَنْتَ صَاحِبُ الْكَلَامِ الَّذِي بَلَّغَنِي قَالَ وَاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مَا قُلْتَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَأَنْ زَيْدًا لَكَاذِبٌ فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَقَالَ الْحَاضِرُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَيْخُنَا وَكَبِيرُنَا لَا تَصَدِّقْ عَلَيْهِ كَلَامَ غُلَامٍ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ وَهَمَ - وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

لَكَذِبُونَ ۖ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَانَهُمْ

يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل اشهد و اشهد بالله واعزم واعزم بالله في موضع أقسم وأولي وبه استشهد ابو حنيفة على ان اشهد يمين - ويجوز ان يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم بالايمن - وقرأ الحسن ايمانهم اي ما اظهروه من الايمان بالسنتهم ويعضده قوله ذاك بانهم آمنوا ثم كفروا [ساء ما كانوا يعملون] من نفاقهم وصددهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم امرهم عند السامعين - [ذاك] اشارة - الى قوله ساء ما كانوا يعملون اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوء الناس اعمالا بسبب انهم آمنوا ثم كفروا - او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمن اي ذلك كله بسبب انهم آمنوا ثم كفروا [فطبع على قلوبهم] فحسروا على كل عظمية - فان قلت المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا - قلت فيه ثلاثة اوجه - احدها آمنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فحسن حمير وقولهم في غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل ان يفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اي وظهر كفرهم بعد ان اسلموا ونحوه قوله لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم - والثاني آمنوا اي نطقوا بالايمن عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين آمنوا الى قوله انما نحن مستهزؤن - والثالث ان يراد اهل الردة منهم - وقرئ فطبع على قلوبهم - وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه فطبع الله * كان عبد الله بن ابي رجلا جسيما صبيحا فصيحيا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة اللسان فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن حضر يعجبون بهيكلهم ويسمعون الى كلامهم - فان قلت ما معنى قوله [كانهم خشب مسندة] - قلت شبهوا في استنادهم وما هم الا احرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرها من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع - ويجوز ان يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم - والخطاب في [رايتهم تعجبك] لرسول الله او لكل من يخاطب - وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كانهم خشب رفيع على هم كانهم خشب او هو كلام مستأنف لا محل له - وقرئ خشب جمع خشبة كبذنة وبدن - وخشب كثرة وتثمر - وخشب كمذرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ©

إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ۗ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ

تجارة ولا غيرها عنه وان تكون همهم في جميع احوالهم وارقاتهم موكله به لا ينفقون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به - وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى و حضور الجنائز وزيارة اخ في الله - وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم - وقيل صلوة التطوع - وعن بعض السلف انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من امور الدنيا نظرا في هذه الآية - وروي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير قيل ثمانية - واحد عشر - واثنا عشر - واربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرهم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو - وعن قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم غير - فان قلت فان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلوة الجمعة كيف يصنع - قلت ان بقي وحده او مع اقل من ثلاثة فعند ابي حنيفة يستأنف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع - وعند صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى فيها - وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت - فان قلت كيف قال اليها وقد ذكر شيئين - قلت تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرأ انفضوا اليه - وقراءة من قرأ لهوا او تجارة انفضوا اليها - وقرئ اليهما - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في امصار المسلمين *

سورة المنفقون

ارادوا بقولهم [نشهد انك لرسول الله] شهادة واطأت فيها قلوبهم السننهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك [والله يعلم] ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله [والله يشهد] انهم [لكذبون] في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطاة - او انهم لكذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطاة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة - او اراد والله يشهد انهم لكذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه - فان قلت ابي فائدة في قوله والله يعلم انك لرسوله - قلت لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الابهام - [اتخذوا ايمانهم جنة] - يجوز ان يراد ان قولهم نشهد انك لرسول الله

سورة الجمعة ٢٢ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ٥ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ط قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ
الجزء ٢٨ وَمِنَ التِّجَارَةِ ط وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ع

ع ١٢

المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على العمى عند أبي حنيفة ولا على الشيخ الذي لا يمشي إلا بقائد - وقرأ عمرو ابن عباس وابن مسعود وغيرهم فامضوا - وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرأ فاسعوا فقال من اقراك هذا قال أبي بن كعب فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي - وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - وعن الحسن ليس السعي على الأقدام ولكنه على الذنات والقلوب - وذكر محمد بن الحسن في موطأه ان ابن عمر سمع الإقامة وهو بالبقيع فاسرع المشي قال محمد وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه [إلى ذكر الله] إلى الخطبة والصلوة وتسمية الله الخطبة ذكر له قال ابو حنيفة رحمه الله ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكرا لله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز - وعن عثمان رضي الله عنه انه صعد المنبر فقال الحمد لله وأرتج عليه فقال ان ابابكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وسيتيكم الخطيب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة ولم يذكر عليه احد - وعند صاحبني والشافعي لابد من كلام يسمى خطبة - فان قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله - قلت ما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة اصاحبه منه فقد لغا فلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام - اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى مصر من كل اوب وقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الأسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء انفع منه واربح [وذروا البيع] الذي نفعه يسير وربحه مقارب - فان قلت فاذا كان البيع في هذا الوقت مأمورا بتركه محترما فهل هو فاسد - قلت عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب - وعن بعض الناس انه فاسد - ثم اطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلوة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكتار الذكر وان لا يلهمهم شيء من

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا

سورة الجمعة ٤٢

الجزء ٢٨

ع ١١

على دارة اللتي تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن الذاتي فاذا نزل اقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه - وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي - وكان يقال لها العروبة - وقيل ان الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه في كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلّموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زوراء فصلّى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله آية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة - وعن بعضهم قد ابطال الله قول اليهود في ثلث - افتخروا بانهم اولياء الله واحبّاءه فكذبهم في قولهم فتممّوا الموت ان كنتم صدّقين - وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمير يحمل اسفارا - وبالسبت وانه ليس للمسلمين مثله فشرح الله لهم الجمعة - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه و سلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيّد - وعنه عليه السلام اتاني جبرئيل وفي كفه امرأة بيضاء وقال هذه يوم الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولا تمك من بعدك وهو سيّد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الآخرة يوم المزيّد - وعنه ان الله في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار - وعن كعب ان الله فضل من البلدان مكة - ومن الشهور رمضان - ومن الايام الجمعة - وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر - وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمكبرين يمشون بالسرج - وقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة - وعن ابن مسعود انه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم واخذ يعاتب نفسه يقول اراك رابع اربعة وما رابع اربعة بسعيد - ولا تقام الجمعة عند ابي حنيفة رحمه الله الا في مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا في مصر جامع والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام او من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن تركها وله امام عادل او جائر الحديث وقوله اربع الى الولاية الفية والصدقات والحدود والجمعات فان ام رجل بغير اذن الامام او من ولاه من قاض او صاحب شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستيذان فاجتمعوا على واحد فصلّى بهم جاز - وهي تنعقد بثلاثة سوى الامام - وعند الشافعي رحمه الله باربعين - ولا جمعة على

الْعَظِيمِ ۝ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۖ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ قُلْ إِن الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ

وبئس المثل - [بئس] مثلا [مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ] وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم - ومعنى حُمِّلُوا التَّوْرَةَ كُلُّوْا علمها والعمل بها - ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَحْمِلُوهَا - و قرئ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ أي حملوها ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا فِي الْحَقِيقَةِ لَفَقْدَ الْعَمَلِ - و قرئ يَحْمِلُ الْأَسْفَارَ - فَانْقَلَبَ يَحْمِلُ مَا حَمَلَهُ - قَلَّتِ النَّصَبُ عَلَى الْحَالِ أَوْ الْجَرَ عَلَى الْوَصْفِ لِأَنَّ الْحِمَارَ كَاللَّيْمِ فِي قَوْلِهِ * ع * وَلَقَدْ امْرَأَتِي اللَّيْمُ يَسْتَبْذِي * هَادٍ يَهُودٍ إِذَا تَهَوَّدَ [أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ] كَانُوا يَقُولُونَ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَاحِبَاؤُهُ أَيِ إِنْ كَانَ قَوْلُكُمْ حَقًّا وَكُنْتُمْ عَلَى ثِقَةٍ فَتَمَنَّوْا عَلَى اللَّهِ إِنْ يُمِيتُكُمْ وَيَنْقُلَكُمْ سَرِيعًا إِلَى دَارِ كِرَامَتِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ ثُمَّ قَالَ [وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا] بِسَبَبِ مَا قَدَّمُوهُ مِنَ الْكُفْرِ وَقَدْ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقُولُهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا غَضَّ بَرِيْقَهُ فَلَوْلَا أَنَّهُمْ كَانُوا مُوقِنِينَ بِصَدَقِ رَسُولِ اللَّهِ لَتَمَنَّوْا وَلَكِنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ لَوْ تَمَنَّوْا لَمَاتُوا مِنْ سَاعَتِهِمْ وَلِحَقِّهِمُ الْوَعْدُ فَمَا تَمَالَكَ أَحَدٌ أَنْ يَتَمَنَّيَ وَهِيَ أَحَدَى الْمَعْجَزَاتِ - و قرئ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ بِكُسْرِ الْوَاوِ تَشْبِيْهًا بِأَوِّ اسْتِطْعَا وَلَا فَرْقَ بَيْنَ لَا وَ لَنْ فِي إِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا نَفْسِي لِلْمُسْتَقْبَلِ إِلَّا إِنْ فِي لَنْ تَاكِيدًا وَتَشْدِيدًا لَيْسَ فِي لَا فَاتِي مَرَّةً بِلَفْظِ التَّأْكِيدِ وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ مَرَّةً بِغَيْرِ لَفْظِهِ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ - ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ [إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ] وَلَا تَجْسُرُونَ أَنْ تَتَمَنَّوْهُ خَيْفَةً أَنْ تُؤْخَذُوا بِوَبَالِ كُفْرِكُمْ لَا تَفُوتُونَهُ وَهُوَ مُلَاقِيكُمْ لَا مُحَالَةٌ [ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى] اللَّهُ فَيَجَازِيكُمْ بِمَا أَنْتُمْ أَهْلُهُ مِنَ الْعِقَابِ - وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ تَفِرُّونَ مِنْهُ مُلَاقِيكُمْ وَهِيَ ظَاهِرَةٌ وَأَمَّا اللَّتِي بِالْفَاءِ فَلْتَضْمِنِ الَّذِي مَعْنَى الشَّرْطِ - وَقَدْ جَعَلَ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ كَلَامًا بِرَأْسِهِ فِي قِرَاءَةِ زَيْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيِ إِنْ الْمَوْتَ هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ ثُمَّ اسْتَوْفَ إِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ - يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمَ الْفُوجِ الْمَجْمُوعِ كَقَوْلِهِمْ صُحَّةٌ لِلْمُضْحُوكِ مِنْهُ وَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِقَتْلِ الْمَيِّمِ يَوْمَ الْوَقْتِ الْجَامِعِ كَقَوْلِهِمْ صُحَّةٌ وَ لُعْنَةٌ وَ لُعْبَةٌ - وَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَثْقِيلٌ لِلْجُمُعَةِ كَمَا قِيلَ عُسْرَةٌ فِي عُسْرَةٍ - وَ قرئ بِهِنَّ جَمِيعًا - فَانْقَلَبَتْ مِنْ فِي قَوْلِهِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مَا هِيَ - قَامَتْ هِيَ بَيَانًا لِأَنَّهُ تَفْسِيرُهَا - وَ الذِّدَاءُ الْإِذَاانُ وَقَالُوا الْمُرَادُ بِهِ الْإِذَاانُ عِنْدَ قَعْدِ الْإِمَامِ عَلَى الْمَنْبَرِ وَقَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَوْذَنٌ وَاحِدٌ إِذَا جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ أَذِنَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَإِذَا نَزَلَ أَقَامَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ عَثْمُنُ وَكَثُرَ النَّاسُ وَتَبَاعَدَتْ أَمْوَازِلُ زَادَ مَوْذَنًا أُخْرَ فَأَمَرَ بِالتَّأْذِينِ الْأَوَّلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ق ۝ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۝ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۝ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

سورة الجمعة

قرئت صفات الله عز و علا بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملِك القدُّوس و لو قرئت منصوبة لكان وجهها كقول العرب الحمد لله اهل الحمد - الامي منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون و لا يقرؤن من بين الامم - و قيل بدأت الكتابة بالطائفة اخذوها من اهل الحيرة و اهل الحيرة من اهل الانبار ومعنى [بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ] بعث رجلا اميا في قوم اميين كما جاء في حديث شعيب اتي ابعث اعمى في عميان و اميا في اميين - و قيل منهم كقوله تعالى مِنْ أَنْفُسِكُمْ يعلمون نسبه واحواله - و قرئ في الاميين بحذف ياي النسب [يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ] يقرؤها عليهم مع كونه اميا مثلهم لم تُعهد منه قراءة و لم يعرف بتعلم و قراءة امي بغير تعلم آية بيّنة [و يُزَكِّيهِمْ] و يطهرهم من الشرك و خبائث الجاهلية [و يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ] القرآن و السنة - وإن في [و إِنْ كَانُوا] هي المخففة من الثقيلة و اللام دليل عليها اي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا اعظم منه [و آخَرِينَ] مجرور عطف على الاميين يعني انه بعثه في الاميين الذين على عهد و في آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد و سيلحقون بهم و هم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم - و قيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء - و قيل هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم القيامة - و يجوز ان يختصب عطفًا على المنصوب في و يُعَلِّمُهُمُ اي يعلمهم و يعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى اخر الزمان كان كله مستندًا الى اوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه [وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] في تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم و تأييده عليه و اختياره آياه من بين كافة البشر - [ذَلِكَ] الفضل الذي اعطاه محمدًا و هو ان يكون نبي ابناء عصره و نبي ابناء العصور الغواير هو [فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ] اعطاه و يقتضيه حكمته • شبه اليهود في انهم حاملة التوراة و قرأوها و حفظوا ما فيها ثم انهم غير عاملين بها و لا مقتنعين بآياتها و ذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و البشارة به و لم يؤمنوا به بالحمارة حمل أسفار اي كتب العلم فهو يمشي بها و لا يدري منها الا ما يمر بجنيته و ظهرة من الكد و التعب و كل من علم و لم يعمل بعلمه فهذا مثله

تَعْلَمُونَ ۖ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ۚ
 ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ وَ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا ۚ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۚ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لَلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ۚ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
 أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ۚ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ
 فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ۖ

خير لكم كان خيراً لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون
 انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون [وَ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا] ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة
 والثواب في الاجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرهابقوله [نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ] اي
 عاجل وهو فتح مكة - وقال الحسن فتح فارس والروم - وفي تحبونها شيء من التوديق على محبة العاجل -
 فان قلت علام عطف قوله [وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ] - قلت على توهمون لانه في معنى الامر كانه قيل امينوا
 وجاهدوا يثبكم الله وينصركم و بشريا رسول الله المؤممين بذاك - فان قلت لم نصب من قرأ نصراً من
 الله وفتحاً قريباً - قلت يجوز ان ينصب على الاختصاص - او على تنصرون نصراً ويفتح لكم فتحاً - او على
 يغفر لكم ويدخلكم جنت و يؤتكم اخرى نصراً وفتحاً - قرئ [كُونُوا] اَنْصَاراً لِلَّهِ و [اَنْصَارُ اللَّهِ] - وقرأ ابن مسعود
 كُونُوا اَنْتُمْ اَنْصَارُ اللَّهِ وفيه زيادة حتم للنصرة عليهم - فان قلت ما وجه صحة التشبيه و ظاهرة تشبيه كونهم انصاراً
 بقول عيسى من انصاري الى الله - قلت التشبيه محمول على المعنى و عليه يصح والمراد كونوا
 انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله - فان قلت ما معنى
 قوله من انصاري الى الله - قلت يجب ان يكون معناه مطابقاً لجواب الحواريين نحن انصار الله والذي
 يطابقه ان يكون المعنى من جندي متوجهاً الى نصره الله و اضافة انصاري خلاف اضافة اَنْصَارُ اللَّهِ
 فان معنى نحن اَنْصَارُ اللَّهِ نحن الذين ينصرون الله ومعنى من انصاري من الانصار الذين يختصون بي
 ويكونون معي في نصره الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصروني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل
 عليه قراءة من قرأ من اَنْصَارُ اللَّهِ - والحواريون اصفياه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً وحواري
 الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحواري الدرملك ومنه قوله صلى الله عليه
 وآله وسلم الزبير ابن عمتي و حواري من امتي - وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير
 الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل [فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ] منهم بعيسى [وَكَفَرَتْ] به [طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا] مؤمئذهم
 على كفارهم فظهروا عليهم - وعن زيد بن علي رضي الله عنه كان ظهورهم بالحجة - عن رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصلياً عليه مستغفراً له ما دام في الدنيا و هو يوم
 القيمة رفيقه *

بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنَ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ط فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
 مُبِينٌ ٥ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُوَ يَدْعُنَا إِلَى الْإِسْلَامِ ط وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥
 يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ط وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٥ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ
 الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ
 عَذَابِ أَلِيمٍ ٥ تَوْمَنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ط ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

سورة الصف ٤١

الجزء ٢٨

ع ٩

ابن تعمل - و قرئ هذا سِحْرٌ مُبِينٌ و ابي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام
 الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء
 عباده الى الحق [هذا سِحْرٌ] لان السحر كذب و تمويه - و قرأ طلحة بن مصرف و هو يدعى بمعنى يدعى
 دعاء و ادعاه نحو لمسه و التمسه - و عنه يدعى بمعنى يدعو وهو الله جل و عز - اصله يُرِيدُونَ ان
 يُطْفِئُوا كما جاء في سورة براءة و كان هذه اللام زبدت مع فعل الارادة تاكيذا له لما فيها من معنى الارادة
 في قولك جئتكم لاكمكم كما زبدت اللام في لا اباك تاكيذا لمعنى الاضافة في لا اباك و اطفاء نور الله
 بافواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر متلث حالهم بحال من ينفخ في نور
 الشمس بفيه ليطفئه - وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ابي متم الحق و مبلغه غايته - و قرئ بالاضافة * [وَ دِينِ الْحَقِّ] الملة
 الحنيفية [لِيُظْهِرَهُ] ليعليه [عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ] على جميع الديان المخالفة له و لعمرى لقد فعل فما بقي دين
 من الديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام - و عن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام -
 و قرئ أَرْسَلَ نَبِيَّهُ * [تُنْجِيكُمْ] - قرئ مثقلا و مخففا * [وَ تَوْمَنُونَ] استيذاف كانهم قالوا كيف نعمل فقال
 تَوْمَنُونَ وهو خبر في معنى الامر ولهذا اجيب بقوله يَغْفِرْ لَكُمْ و يدل عليه قراءة ابن مسعود اٰمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ
 وَ جَاهِدُوا - فَاِنْ قُلْتَ لِمَ جِيءَ بِهِ عَلَى لَفْظِ الْخَبَرِ - قُلْتَ لا ايدان بوجوب الامتثال و كانه امتثل فهو يخبر
 عن ايمان و جهاد موجودين و نظيرة قول الداعي غفر الله لك و يغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كانهما
 كانت و وجدت - فَاِنْ قُلْتَ هَلْ لِقَوْلِ الْفَرَاءِ انه جواب هَلْ اَدُلُّكُمْ وجهه - قُلْتَ وجهه ان متعلق الدلالة هو
 التجارة و التجارة مفسرة بالايمان و الجهاد فكأنه قيل هل تتجرون بالايمان و الجهاد يغفر لكم - فَاِنْ قُلْتَ فما وجه
 قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما تَوْمَنُوا وَ تُجَاهِدُوا - قُلْتَ وجهها ان تكون على اضمار لام الامر كقوله * شعر * مُحَمَّدٌ
 تَفَدَّ نَفْسَكَ كُلَّ نَفْسٍ * اذا ما خِفْتَ من امر تَبَدَّلَا * و عن ابن عباس انهم قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله
 لعملاها فَنَزَلَتْ هذه الآية فَمَكَّنُوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلتهم الله عليها بقوله تَوْمَنُونَ و
 وهذا دليل على ان تَوْمَنُونَ كلام مستأنف و على ان الامر الوارد على النفوس بعد تشوف و تطاع منها
 اليه اوقع فيها و اقرب من قبولها له مما فوجئت به [ذَلِكُمْ] يعني ما ذكر من الايمان و الجهاد [خَيْرٌ
 لَكُمْ] من اموالكم و انفسكم - فَاِنْ قُلْتَ ما معنى قوله [اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] - قُلْتَ معناه اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ انه

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِيَّانَ مَرْصُوصَ ۝
وَإِنْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ لِمَ تَوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ط فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ط
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ وَإِنْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا

للعقد على الرأية ولم يقتصر على ان جعل البغض كبيرا حتى جعل اشدته وافحشه و [عند الله] ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقتده عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك - وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال اتأمرونني ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله - في قوله [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ] عقيب ذكر مقت المخلف دليل على ان المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا - وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه يَقَاتِلُونَ بفتح التاء - وقرئ يَقْتُلُونَ - [صَفًا] صافين انفسهم - او مصفوفين [كَانَهُمْ] في تواضعهم من غير فرجة ولا خلل [بَنِيَّانَ] رص بعضهم الى بعض و رصف - وقيل يجوز ان يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص - وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله صَفًا كَانَهُمْ بَنِيَّانَ حالان متداخلتان * [إِنْ] منصوب باضمار اذكر او حين قال لهم ما قال كان كذا وكذا [تَوَدُّونَنِي] كانوا يؤذونه بانواع الاذى من انتقاصه و عيبه في نفسه و جحد آياته و عصيانه فيما يعود اليهم منافعه و عبادتهم البقر و طلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضديع حق الله و حقه [وَقَدْ تَعْلَمُونَ] في موضع الحال اي تؤذونني عالمين علما يقينا [أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ] وقضية علمكم بذلك و موجه تعظيمي و توقيري لا ان تؤذونني و تستهينوا بي لان من عرف الله و عظّمته عظم رسوله علما بان تعظيمه في تعظيم رسوله و لان من اذاه كان وعيد الله لاحقا به [فَلَمَّا زَاغُوا] عن الحق [أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ] بان منع الطافه عنهم [وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] لا يلفظ بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف - فان قلت ما معنى قد في قوله وَقَدْ تَعْلَمُونَ - قلت معناه التوكيد كانه قال و تعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه * قيل انما قال [يَبْنِي إِسْرَءِيلَ] ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه و المعنى ارسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة و في حال تبشيري برسول يأتي من بعدي اسمه احمد يعني ان ديني التصديق بكتب الله و انبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر - وقرئ من بعدي بسكون الياء وفتحها - و الخليل و هيبويه يختاران الفتح - وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانوا من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل - فان قلت بم انتصب مُصَدِّقًا وَمُبَشِّرًا بما في الرسول من معنى الارسال ام باليكم - قلت بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز ان يعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئُتْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّبِعُ الْكَافِرُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ۝ ع
 كلماتها ٢٢٣ سورة الصف مدنية وهي اربع عشر آية وفيها ركوعان *
 حروفها ٩٩١ الجزء ٢٨ سورة الصف ٩١
 ع ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝

من ماء فغمس فيه يده ثم غمس يديهن - وقيل صافجهن وعلى يده ثوب قطري - وقيل كان عمر يصافجهن عنه * روي ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيذبوا من ثمارهم فقيل [لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا] مغضوبا [عَلَيْهِمْ قَدْ يَئُتْسُوا مِنْ] ان يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله وهم يعلمون انه الرسول المذعوت في التوراة [كَمَا يَتَّبِعُ الْكَافِرُ مِنْ] موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احياء - وقيل مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ بيان للكفار اي كما يتبع الكفار الذين قُبِرُوا من خير الآخرة لانهم تبيتوا قبح حالهم وسوء منقلبهم - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعا يوم القيمة *

سورة الصف

[لِمَ] هي لام الاضافة داخلية على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بَمَ وَفِيمَ وَمِمَّ وَعَمَّ وَالْأَمَّ وَهَلَّ وَأَمَّا حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد وقع استعمالها كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلثة اربعة بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد - وروي ان المؤمنين قالوا قبل ان يؤمروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناه ولبدلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله على الجهاد في سبيله فولوا يوم اُحُد فغيرهم - وقيل لما اخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم اُحُد ولم يفوا - وقيل كان الرجل يقول قَتَلْتُ ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر - وقيل قد اذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله اخر فقال عمر لصهيب اخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم انك قتلت فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل - وعن الحسن نزلت في المنافقين وندأوهم بالايمن تهكم بهم وبايمانهم * هذا من افصح الكلام وابلغه في معناه قصد في [كَبُرَ] التعجب من غير لفظه كقوله * ع * غلت نائب كليب بواؤها * ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله واسند الى ان تَقُولُوا - ونصب [مَقْتًا] على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وابلغه ومنه قيل نكاح المقت

ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ط وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ
يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ
بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ مُبَايَعَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ ط إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا

وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الاسلام سميت نسوة - أم الحكم
بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري - وفاطمة بنت ابي امية كانت تحت عمر بن
الخطاب وهي اخت أم سلمة - وبرزخ بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان - وعبددة بنت عبد العزى
بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود - وهند بنت ابي جهل كانت تحت هشام بن العاص - وكلثوم بنت
جرول كانت تحت عمرو اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهور نسائهم من الغنيمة [وَلَا يَقْتُلْنَ
أَوْلَادَهُنَّ] - وقرى يقتلن بالتشديد يريد وأد البنات [وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ]
كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كذى بالبهتان المفتري بين يديها ورجليها عن
الولد الذي تلصقه بزوجها كذباً لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين
[وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ] فيما تأمرهن به من المحسذات وتنهان عنه من المقبتحات - وقيل كل
ما وافق طاعة الله فهو معروف - فان قلت لو اقتصر على قوله وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فقد علم ان رسول الله لا يأمر
ألا بمعروف - قلت نبة بذلك على ان طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب -
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء
وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسفل منه يبایعهن بامرة و يبتعن عنده وهند بنت
عتبة امرأة ابي سفيان متقنة متذكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يعرفها فقال عليه
السلام أبایعنك على أن لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا فرفعت هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام واذك
لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال تبایع الرجال على الاسلام والجهاد - فقال عليه السلام وَلَا
يَسْرِقْنَ فقالت ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصببت من ماله هذات فما ادري ايحل لي ام لا فقال
ابو سفيان ما اصببت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك
فقال وَلَا يَزْنِينَ فقالت او تزني الحرة وفي رواية ما زنت منهن امرأة قط - فقال وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ
فقالت ربيناهن صغاراً وقتلتهن كباراً فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر
فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ فقالت
والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق - فقال وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فقالت
والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء - وقيل في كيفية المبايعة دعا بقدهج

أَإِذَا ابْتِغَاهُنَّ أَجُورَهُنَّ ط وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ سَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقُوا ط ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ ط يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ط وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقَبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ

من العلم كافٍ في ذلك و ان تكليفكم لا يعدوه ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا اتوهن اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع - ولا يخلو - اما ان يراى بها ما كان يدفع اليهن ليدفعه الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم ادائه - و اما ان يراى ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم يزوجن على ذلك لم يكن به بأس - و اما ان يتبين لهم ان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر و انه لا بد من اصدق - و به احتج ابو حنيفة على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة و بقي الاخر حربيا وقعت الفرقة و لا يرى العدة على المهاجرة و يبيح نكاحها الا ان تكون حاملا [وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ] و العصمة ما يعتصم به من عقد و سبب يعنى اياكم و اياهن و لا تكن بينكم و بينهما عصمة و لا علقه زوجية - قال ابن عباس من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها - وعن النخعي هي المسلمة تاحق بدار الحرب فتكفر - وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار و مفارقتهم [وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ] من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار [وَلَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقُوا] من مهور نسائهم المهاجرات - و قرئ [وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ] و لا تُمْسِكُوا بِالْتَخْفِيفِ - و لا تُمْسِكُوا بِالْثَقِيلِ - و لا تُمْسِكُوا اِي وَلَا تُمْسِكُوا [ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ] يعنى جميع ما ذكر في هذه الآية [يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ] كلام مستأنف - او حال من حكم الله على حذف الضمير اى يحكمه الله - او جعل الحكم حاكما على المبالغة * روي انه لما نزلت الآية اتى المؤمنون ما امروا به من اداء المهور للمهاجرات الى ازواجهن المشركين و ابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله [وَإِنْ فَاتَكُمْ] و ان سبقكم و انفلت منكم [شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ] احد منهن [إِلَى الْكُفَّارِ] و هو في قراءة ابن مسعود أحد - فان قلت هل لايقاع شيء في هذا الموضع فائدة - قلت نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا الجنس و ان قل و حقر غير معوض عنه تغليظا في هذا الحكم و تشديدا فيه [فَعَقَبْتُمْ] من العقبة و هي الذوبة شبه ما حكم به على المسلمين و الكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة و اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب و غيره و معناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر [فَاتُوا] من فاتته امرأته الى الكفار [مِثْلَ] مهرها من مهر المهاجرة و لا تؤتوه زوجها الكافر و هكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم - و قرئ فَعَقَبْتُمْ - فَعَقَبْتُمْ بالتشديد - فَعَقَبْتُمْ بالتخفيف بفتح القاف و كسرهما - فمعنى اعقبتم دخلتم في العقبة - و عَقَبْتُمْ من عقبه اذا فقه لان كل واحد من المتعاقبين يقف صاحب - و كذلك عَقَبْتُمْ بالتخفيف يقال عَقَبَهُ يَعْقِبُهُ - و عَقَبْتُمْ نحو تبعتم - و قال الزجاج فَعَقَبْتُمْ فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم و الذي ذهب زوجه كان يعطى من الغنيمة المهر - و فسر غيره ها من القرأت فكانت العقبة لكم اي كانت الغلبة لكم حتى غنمتم -

سورة الممتحنة ٧٠
الجزء ٢٨
ع ٧

وَ أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَ ظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَ مَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۚ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۚ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۚ وَ أَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنْكِحُوهُنَّ

ان تدخلها و تقبل منها و تكرمها و تحسن اليها - و عن قتادة نسختها أبة القتال [وَ تَقْسُطُوا إِلَيْهِمْ]
و تفضوا اليهم بالقسط و لا تظلموهم و ناهيك بتوصية الله المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين به
و يتحاصوا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم [إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ] سمأهن
مؤمنات لتصديقهن بالسنتهن و نطقهن بكلمة الشهادة و لم يظهر مذهب ما ينافي ذلك - اولاهن مشارفات
لثبات ايمانهن بالامتحان [فَاْمْتَحِنُوهُنَّ] فابتلوهن بالحلف و النظر في الامارات ليغلب على ظنونكم
صدق ايمانهن بالامتحان و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو
ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا
بالله ما خرجت الاحبا لله و لرسوله [اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ] منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه
نفوسكم و ان استخلفتموهن و رزتم احوالهن و عند الله حقيقة العلم به [فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ] العلم الذي
تبلغه طاقتكم و هو الظن الغالب بالحلف و ظهور الامارات [فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ] فلا تردوهن الى
ازواجهن المشركين لانه لا حل بين المؤمنة و المشرك [وَ أَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا] و أعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا
اليهن من المهور و ذلك ان صلح الحديدية كان على ان من اتاكم من اهل مكة رد اليهم و من اتى مكة
منكم لم يرد اليكم و كتبوا بذلك كتابا و ختموه فجاءت سبعة بنت الحارث الاسلمية مسامة و النبي صلى
الله عليه و آله و سلم بالحديدية فاقبل زوجها مسافر المخزومي و قيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد
اردد علي امرأتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا و هذه طينة الكتاب لم تجف
فنزلت بيانا لان الشرط انما كان في الرجال دون النساء - و عن الضحاك كان بين رسول الله صلى الله
عليه و آله و سلم و بين المشركين عهد ان لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك الا رددتها اليها فان
دخلت في دينك و لها زوج ان ترد على زوجها الذي انفق عليها و للنبي صلى الله عليه و آله و سلم
من الشرط مثل ذلك - و عن قتادة ثم نسخ هذا الحكم و هذا العهد براءة فاستخلفها رسول الله صلى الله
عليه و آله و سلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق و تزوجها عمر - فان قلت كيف سمى الظن علما في
قوله فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ - قلت ايذانا بان الظن الغالب و ما يفضي اليه الاجتهاد و القياس جار مجرى
العلم و ان صاحبه غير داخل في قوله وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ - فان قلت فما فائدة قوله اللَّهُ أَعْلَمُ
بِإِيمَانِهِنَّ و ذلك معلوم لا شبهة فيه - قلت فائدته بيان ان لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس و يثلج
الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استأثر به علام الغيوب و ان ما يودعي اليه الامتحان

سورة الممتحنة ٩٠
الجزء ٢٨
ع ٧

مِنْ شَيْءٍ ۖ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَافْرِلْنَا
رَبَّنَا ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۖ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۖ
وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لَا يَنْهَيْكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ
أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِذَا مَا يَغْهَبُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ

بابرهم وقومه في البراءة منهم وتبنيها على الانابة الى الله تعالى والاستعاذة به من فتنة اهل الكفر
والاستغفار مما فرط منهم - و قرى براء كشركا - و براء كظراف - و براء على ابدال الضم من الكسر كرخال
و رباب - و براء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة كالظماء والظمادة ثم كرر الحث على الايتساء
بابرهم وقومه تقريرا وتاكيدا عليهم و لذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التاكيد و ابدل عن قوله
لكن قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر عقبه بقوله ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا
من التوكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الايات تشدد المؤمنون في عداوة اباؤهم و ابنائهم و جميع اقربائهم
من المشركين ومقاطعتهم فلما رأى الله منهم الجذ والصبر على الوجد الشديد وطول التمتي للسبب
الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتج مكة اظفرهم الله بأصنيئتهم
فاسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم - وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ام
حبيبة فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان واسترخت شكيمة في العداوة وكانت ام حبيبة قد اسلمت
وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر و ارادها على النصرانية فابت وصبرت على
دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه
اليها اربع مائة دينار وبلغ ذلك اباها فقال ذلك الفحل لا يقدر انفه - و [عسى] وعد من الله على
عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى او لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك
او قصد به اطماع المؤمنين [والله قدير] على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة
[والله غفور رحيم] لمن اسلم من المشركين * [ان تبرؤهم] بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم
من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء وهذا ايضا رحمة لهم
لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم
يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم - وقيل اراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه - وعن مجاهد هم الذين امنوا بمكة ولم يهاجروا -
وقيل هم النساء والصبيان - وقيل قدمت على اسماء بنت ابي بكر امها قتيلة بنت عبد العزى
وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وَلَا أَوْلَادُكُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَمَةِ شَيْءٌ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ
وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ

بِالسُّوءِ [بالسُّوءِ] بالقتال و الشتم و تمنوا لو تتردون عن دينكم فاذن موادة امثالهم و مناصحتهم خطاء عظيم منكم
و مغالطة لانفسكم و نحوه قوله تعالى لَا يَأْلُوْنَكُمْ خَبَالًا - فَاَنْ قُلْتَ كَيْفَ اُورِدُ جَوَابَ الشَّرْطِ مُضَارِعًا مِثْلَهُ ثُمَّ
قَالَ وَوَدُّوا بِلَفْظِ الْمَاضِي - قُلْتَ الْمَاضِي و ان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب
فَاَنْ فِيهِ نَكْتَةٌ كَأَنَّهُ قِيلَ وَوَدُّوا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ كَفَرَكُمْ و ارتدادكم يعني انهم يريدون ان يُلْحِقُوا بِكُمْ مُضَارَ
الدُّنْيَا و الدِّينِ جَمِيعًا مِنْ قَتْلِ الْانْفُسِ وَ تَمْزِيقِ الْأَعْرَاضِ وَ رَدِّكُمْ كَفَارًا وَ رَدُّكُمْ كَفَارًا أَسْبَقُ الْمُضَارَ عِنْدَهُمْ
وَ أَوَّلَهَا لَعَلَّهُمْ اِنْ الدِّينِ اعَزَّ عَلَيْكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ لِأَنَّكُمْ بَدَّالُونَ لَهَا دُونَهُ و العذر اهم شيء عنده ان يقصد اعز
شيء عند صاحبه [لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ] اَي قُرَابَاتِكُمْ [وَلَا أَوْلَادُكُمْ] الَّذِينَ تَوَالُونَ الْكُفَّارَ مِنْ أَجْلِهِمْ
وَتَقْرَبُونَ إِلَيْهِمْ مَحَامَاةً عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ [يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ] وَ بَيْنَ أَقَارِبِكُمْ وَ أَوْلَادِكُمْ يَوْمَ يَفْرُقُ اللَّهُ بَيْنَ
أَخِيهِ الْآيَةُ فَمَا لَكُمْ تَرْفُضُونَ حَقَّ اللَّهِ مِرَاعَاةً لِحَقِّ مَنْ يَفْرُقُ مِنْكُمْ غَدًا خَطَأً رَأَيْتُمْ فِي مَوَالَاةِ الْكُفَّارِ بِمَا يَرْجِعُ
إِلَى حَالِ مَنْ وَالُوهُ أَوَّلًا ثُمَّ بِمَا يَرْجِعُ إِلَى حَالِ مَنْ اقْتَضَى تِلْكَ الْمَوَالَاةُ ثَانِيًا لِيُرِيَهُمْ اِنْ مَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ مِنْ
أَيِّ جِهَةٍ نَظَرْتَ فِيهِ وَجَدْتَهُ بَاطِلًا - قَرِئَ يَفْصَلُ - وَ يَفْصَلُ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ - وَ يَفْصَلُ - وَ يَفْصَلُ عَلَى الْبِنَاءِ
لِلْفَاعِلِ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - وَ نَفْصَلُ - وَ نَفْصَلُ بِالْفَتْحِ قَرِئَ اسْوَةٌ - وَ اسْوَةٌ وَهُوَ اسْمُ الْمُؤْتَسَى بِهِ أَيْ كَانَ فِيهِمْ
مَذْهَبٌ حَسَنٌ مُرَضِيٌّ بَانَ يُؤْتَسَى بِهِ وَ يُتَّبَعُ أَثَرُهُ وَهُوَ قَوْلُهُمْ لِكُفَّارِ قَوْمِهِمْ مَا قَالُوا حَيْثُ كَاشَفُوهُمْ بِالْعَدَاوَةِ
وَ قَشَرُوا لَهُمُ الْعَصَا وَ أَظْهَرُوا الْبَغْضَاءَ وَ الْمَقْتَّ وَ صَرَّحُوا بِأَن سَبَبَ عِدَائِهِمْ وَ بَغْضَائِهِمْ لَيْسَ إِلَّا كُفْرُهُمْ بِاللَّهِ وَ مَا دَامَ
هَذَا السَّبَبُ قَائِمًا كَانَتْ الْعَدَاوَةُ قَائِمَةً حَتَّى اِنْ أَزَالُوهُ وَ أَمْنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ انْقَلَبَتِ الْعَدَاوَةُ مَوَالَاةً وَ الْبَغْضَاءُ
مَحَبَّةً وَ الْمَقْتُّ مَقَّةً فَافْصَحُوا عَنْ مَحْضِ الْإِخْلَاصِ وَ مَعْنَى كَفَرْنَا بِكُمْ وَ بِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَا لَا نَعْتَدُ
بِشَانِكُمْ وَ لَا بِشَانَ إِلَهَتِكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ عِنْدَنَا عَلَى شَيْءٍ - فَاَنْ قُلْتَ مِمَّا اسْتَنْثِي قَوْلُهُ [إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ] - قَامَتْ مِنْ
قَوْلِهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِأَنَّهُ ارَادَ بِالْأُسْوَةِ الْحَسَنَةِ قَوْلَهُمُ الَّذِي حَقَّ عَلَيْهِمْ اِنْ يَأْتِسُوا بِهِ وَ يَتَّخِذُوهُ سُنَّةً يَسْتَنْوْنَ بِهَا -
فَاَنْ قُلْتَ فَاِنْ كَانَ قَوْلُهُ [لَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ] مُسْتَنْثِي مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي هُوَ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فَمَا بَالُ قَوْلِهِ [وَمَا أَمْلِكُ
لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ] وَهُوَ غَيْرُ حَقِيقٍ بِالْإِسْتِثْنَاءِ إِلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا -
قُلْتَ ارَادَ اسْتِثْنَاءَ جُمْلَةِ قَوْلِهِ لِأَبِيهِ وَ الْقَصْدُ إِلَى مَوْعِدِ الاسْتِغْفَارِ لَهُ وَ مَا بَعْدَهُ مَبْنِيٌّ عَلَيْهِ وَ تَابِعٌ لَهُ كَأَنَّهُ
قَالَ أَنَا اسْتَغْفِرُ لَكَ وَ مَا فِي طَائِفَتِي إِلَّا الاسْتِغْفَارُ - فَاَنْ قُلْتَ بِمِ اتَّصَلَ قَوْلُهُ [رَبَّنَا عَلَيْنَا نَوَكَلْنَا] - قُلْتَ بِمَا
قَبِلَ الاسْتِثْنَاءَ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأُسْوَةِ الْحَسَنَةِ - وَ يُجْزِزُ اِنْ يَكُونُ الْمَعْنَى قُولُوا رَبَّنَا أَمْرًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
لِلْمُؤْمِنِينَ بَانَ يَقُولُوهُ وَ تَعْلِيمًا مِنْهُمْ لِمَا تَتَمِيمًا لِمَا وَصَّاهُمْ بِهِ مِنْ قَطْعِ الْعَلَاقِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْكُفَّارِ وَ الْإِيتِسَاءِ

يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَ إِيَّاكُمْ أَنْ تُوْمِدُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ط إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي
تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ ق وَ إَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَ مَا أَعْلَنْتُمْ ط وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ©
إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُم بِالْإِسَاءِ وَ دُونُوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ
ع ٢٨ ٤

أحداهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ مخلصا في قريش وروي عريزا فيهم أي غريبا ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيري فخشيت على أهلي فاردت أن اتخذ عندهم يدا وقد علمت أن الله ينزل عليهم بأسه وإن كذابي لا يغني عنهم شيئا فصدمته وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عيناهم وقال الله ورسوله أعلم فنزلت - عدي اتخذ إلي مفعوليه وهما عديري أولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد - فأن قلت [تُلْقُونَ] بم يتعلق - قلت يجوز أن يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وبأولياء صفة له - ويجوز أن يكون استينافا - فأن قلت إذا جعلته صفة لأولياء وقد جرى على غير من هو له فإين الضمير البارز وهو قولك تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ أنتم بِالْمُودَةِ - قلت ذلك إنما اشترطوه في الأسماء دون الأفعال ولو قيل أولياء ملقين إليهم بِالْمُودَةِ على الوصف لما كان بد من الضمير البارز - واللقاء عبارة عن إيصال المودة والافضاء بها إليهم يقال القى إليه خراشي صدره وافضى إليه بشقوره - والباء في [بِالْمُودَةِ] إما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وإما ثابتة على أن مفعول تُلْقُونَ محذوف معناه تُلْقُونَ إليهم أخبار رسول الله بسبب المودة اللتي بينكم وبينهم - وكذلك قوله تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ أي تفضون إليهم بمودتهم سرا - أو تُسْرُونَ إليهم اسرار رسول الله بسبب المودة - فأن قلت [وَقَدْ كَفَرُوا] حال مماذا - قلت أما من لَا تَتَّخِذُوا وأما من تُلْقُونَ أي لا تتولواهم أو تولواهم وهذه حالهم - [يُخْرِجُونَ] استيناف كالتفسير لكفرهم وعقوبهم - أو حال من كَفَرُوا [أَنْ تُوْمِدُوا] تعليل ليُخْرِجُونَ أي يخرجونكم لإيمانكم - [إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ] متعلق بلا تَتَّخِذُوا يعني لا تتولوا أعدائي أن كنتم أوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه - [تُسْرُونَ] استيناف ومعناه أي طائل لكم في أسراركم وقد علمتم أن الاخفاء والاعلان شيان في علمي لا تفارت بينهما وأنا مطلع رسولي على ما تسرون [وَمَنْ يَفْعَلْ] ومن يفعل هذا الأمر فقد اخطأ طريق الحق والصواب - وقرأ الجحدري إِمَّا جَاءَكُمْ أي كفروا لأجل ما جاءكم بمعنى أن ما كان يجب أن يكون سبب إيمانهم جعلوه سببا لكفرهم * [إِنْ يَتَّقَوْكُمْ] أن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم [يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً] خالصي العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أفتم [وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ]

سورة الممتحنة ٧٠	السلام المؤمن المهيم العزيم الجبار المتكبر ط سبحن الله عما يشركون © هو الله الخالق البارئ المصور له
الجزء ٢٨	الاسماء الحسنى ط يستبح له ما في السموات والارض ج وهو العزيز الحكيم ع
ع ٦	كلماتها ٣٧٠
	سورة الممتحنة مكية و هي ثلث عشر آية وفيها ركوعان *
	حروفها ١٥٩٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ©

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ع

حذف الجار كما تقول في قوم موسى من قوله وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ المختارون بلفظ صفة السبعين - و [المهيم] الرقيب على كل شيء الحافظ له مفعيل من الامن الآن همزته قلبت هاء - و [الجبار] القاهر الذي جبر خلقه على ما اراد اي اجبره - و [المتكبر] البليغ الكبرياء والعظمة - وقيل المتكبر عن ظلم عباده - و [الخالق] المقدر لما يوجد - و [البارئ] المميز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة - و [المصور] الممثل - و عن حاطب بن ابي بلتعة انه قرأ الباري المصور بفتح الواو ونصب الراء اي الذي يبرأ المصور اي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات - و قرأ ابن مسعود وما في الارض - عن ابي هريرة سألت حبيبي صلى الله عليه وآله وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر الحشر فأكثرت قراءته فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت عليه فاعاد علي - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر *

سورة الممتحنة

روي ان مولا ابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بنو عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريدكم فخذوا حذرکم فخرجت سارة ونزل جبرئيل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد و ابا مرثد و كانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوها منها و خلوها فان ابنت فاضربوا عنقها فادركوها فمجدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي رأسك فاخرجته من عقاص شعرها - و روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي

اَكْفُرْ ٥ فَاَمَّا كَفَرَ قَالَ اِنِّي بِرَبِّي مَذْكٌ اِنِّي اَخَافُ اللّٰهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ٦ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا اَنْهُمَا فِي النَّارِ
خَالِدَيْنِ فِيْهَا ٧ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ٩
وَاتَّقُوا اللّٰهَ ١٠ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١١ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللّٰهَ فَنَسِيَهُمْ اَنْفُسُهُمْ ١٢ اُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ١٣
لَا يَسْتَوِي اَصْحَابُ النَّارِ وَاَصْحَابُ الْجَنَّةِ ١٤ اَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ١٥ كُوْنُ اَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ
لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ ١٦ وَتِلْكَ اَلْاَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ١٧ هُوَ اللّٰهُ الَّذِي
لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ١٨ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ١٩ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ٢٠ هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ٢١ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ

بالرفع * كثر الامر بالتقوى تأكيداً - او اتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل و اتقوا الله في ترك
المعاصي لانه قرن بما يجزي مجرى الوعيد - و الغد يوم القيمة سماه باليوم الذي يلي يومك تقرباً له -
و عن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد و نحوه قوله كَانَ لَمْ تَغْنِ بِالْآمَسِ يريد تقريب الزمان
الماضي - و قيل عبر عن الآخرة بالغد كَانَ الدنيا والآخرة نهاران يوم و غد - فان قلت ما معنى تنكير
النفس و الغد - قلت اما تنكير النفس فاستقلال للنفس النواظر فيما قدم من الآخرة كأنه قال فلتنظر
نفس واحدة في ذلك - و اما تنكير الغد فامتعظيمه و ابهام امره كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه - و عن
مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرونا ما خلفنا [نسوا الله]
نسوا حقه فجعلهم ناسين حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم غده - او فأراهم يوم القيمة
من الأحوال ما نسوا فيه انفسهم كقوله لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ * هذا تنبيه للناس و ايدان لهم بانهم لغرط
غفلتهم و قلة فكرهم في العاقبة و تهالكهم على ايثار العاجلة و اتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين
الجنة و النار و البون العظيم بين اصحابها و ان الفوز مع اصحاب الجنة فمن حققهم ان يعلموا ذلك و ينبغي
عليه كما تقول لمن يعق اباة هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبه به بذلك على حق الابوة الذي
يقتضي البر و التعطف - و قد استدلل اصحاب الشافعي بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر و ان
الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر * هذا تمثيل و تخييل كما مر في قوله اِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ وَ قد دل
عليه قوله وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ و الغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه و قلة تخشعه عند تلاوة
القرآن و تدبر قوارعه و زاجره - و قرئ مُصَدِّعًا عَلَى الْأَدْغَامِ [وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ] اشارة الى هذا المثل و الى امثاله
في مواضع من التنزيل - [الْغَيْبِ] المعدوم [وَالشَّهَادَةِ] الموجود المدرك كأنه يشاهده - و قيل ما غاب
عن العباد و ما شاهدوه - و قيل السر و العلانية - و قيل الدنيا و الآخرة - [الْقُدُّوسُ] بالضم و الفتح و قد
قرئ بهما البليغ في الزهادة عما يستقبح و نظيره السُّبُّوح و في تسبيح الملكة سُبُّوح قُدُّوس رَبُّ الْمَلَائِكَةِ
وَالرُّوحِ - و [السَّلَامُ] بمعنى السلامة و منه دار السلام و سلام عليكم و صف به مبالغة في وصف كونه سليماً من
اللقائص او في اعطائه السلامة - و [الْمُؤْمِنُ] واهب الامن - و قرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على

لَنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ۚ وَلَنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ ۚ وَلَنْ نَصُرُوهُمْ لِيُدْأَنَّ الْأَدْبَارَ ۚ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ۖ
 لَا أَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۖ لَا يِقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ
 أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۚ
 كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ

لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ و كما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون و المعنى و لن نصر المنافقون و لن نصر المنافقون
 اليهود لينهزم من المنافقون [ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ] بعد ذلك اي يهلكهم الله و لا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم - او لينهزم من
 اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين * [رَهْبَةً] مصدر رُهِبَ المبني للمفعول كأنه قيل اشد مرهوبة -
 وقوله [فِي صُدُورِهِمْ] دلالة على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله و انتم اهيب في
 صدورهم من الله - فان قلت كأنهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم اشد - قلت معناه ان رهبتهم
 في السر منكم اشد من رهبتهم من الله اللتي يظهرونها لكم و كانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله -
 ويجوز ان يريد ان اليهود يخافونكم في صدورهم اشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما اولي بأس
 و نجدة فكانوا يتشجعون لهم مع اضرار الخيفة في صدورهم [لَا يَفْقَهُونَ] لا يعلمون الله و عظمتته حتى
 يخشوه حق خشيته - [لَا يِقَاتِلُونَكُمْ] لا يقدر على مقاتلتكم [جَمِيعًا] مجتمعين متساندين يعني اليهود
 و المنافقين [إِلَّا] كائنين [فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ] بالخذاق والدروب [أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ] دون ان يُصَحِّروا لكم
 و يبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم و ان تائيد الله و نصرته معكم - و قرى جُدُرٍ بالتخفيف - و جِدَارٍ -
 و جُدْرٍ - و جَدْرُوهما الجدار [بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ] يعني ان البأس الشديد الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا
 اقتتلوا و لو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس و الشدة لان الشجاع يجبن و العزيز يذل عند محاربة الله
 و رسوله [تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا] مجتمعين ذوي الفة و اتحاد [وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى] متفرقة لا الفة بينها يعني ان
 بينهم احذا و عداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد و لا يرمون عن قوس واحدة و هذا تجسير للمؤمنين
 و تشجيع لقلوبهم على قتالهم [قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ] ان تشئت القلوب مما يوهن قواهم و يعين على ارواحهم
 [كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] اي مثلهم كمثل اهل بدر في زمان قريب - فان قلت بم انتصب [قَرِيبًا] -
 قلت بمثل على كوجود مثل اهل بدر قريبا [وَبَالَ أَمْرِهُمْ] سوء عاقبة كفرهم و عداوتهم لرسول الله من
 قولهم كلاً و بيل و خيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا و لهم في الآخرة عذاب النار - مثل
 المنافقين في اغوائهم اليهود على القتال و وعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم و اخلائهم [كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ]
 اذا استغوى الانسان بكيدة ثم تبرأ منه في العاقبة و المراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب
 لكم اليوم من الناس و آتي جارككم الى قوله آتيني بريء منكم - و قرأ ابن مسعود خالداً فيها على انه خبر
 ان و في النار لغو - و على القراءة المشهورة الظرف مستقر و خالدين فيها حال - و قرى انا بريء - و عاقبتهم

مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۖ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٩﴾
 وَ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا
 لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
 لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٦١﴾

سورة الحشر ٥٩

الجزء ٢٨

ع ٤

الربيع

وهم الأنصار - فإن قلت ما معنى عطف الايمان على الدار ولا يقال تبوء الايمان - قلت معناه تبوءوا
 الدار و اخلصوا الايمان كقوله * ع * علفتها تبئنا وماء باردا * او جعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه
 واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك - او اراد دار الهجرة و دار الايمان فاقام لام التعريف في الدار
 مقام المضاف اليه و حذف المضاف من دار الايمان و وضع المضاف اليه مقامه - او سمي المدينة لانها
 دار الهجرة و مكان ظهور الايمان بالايمان [مِنْ قَبْلِهِمْ] من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة
 والايمان - وقيل من قبل هجرتهم [وَلَا يَجِدُونَ] ولا يعلمون [فِي] انفسهم [حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا] اي طلب محتاج
 اليه مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه
 من ماله حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شيء منه يحتاج اليه [وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
 خَصَاصَةٌ] اي حلة واصلها خصاص البيت وهي فروجه و الجملة في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم
 و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا
 ثلثة نفر محتاجين ابا دجاجة سمالك بن خرشة وسهل بن حذيف والحرث بن الصمة و قال لهم ان
 شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم و دياركم و شاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم
 و اموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا و ديارنا ونؤثرهم بالقسمة
 ولا نشاركهم فيها فنزلت - الشُّحُّ بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللوم وان تكون نفس الرجل كزة حريصة على
 المنع كما قال * شعر * يمارس نفسا بين جنبيه كزة * اذا هم بالمعروف قالت له مهلا * وقد اضيف الى النفس
 لانه عزيزة فيها و اما البخل فهو المنع نفسه و مذه قوله تعالى و اخضرت الانفس الشُّحَّ [وَمَنْ يُوقِ شُحَّ
 نَفْسِهِ] و مَنْ غلب ما امرته به نفسه و خالف هواها بمعونة الله وتوفيقه [فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] الظافرون
 بما ارادوا - و قرئ [وَمَنْ يُوقِ] و الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ [عطف ايضا على الْمُهِجِرِينَ] وهم الذين
 هاجروا من بعد - وقيل التابعون باحسان [غَلَا] - و قرئ غمرا وهما الحقد * [لِإِخْوَانِهِمْ] للذين بينهم
 وبينهم اخوة الكفر ولانهم كانوا يوالونهم ويؤاخونهم وكانوا معهم على المؤمنين في السر [وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ] في قتالكم
 [أَحَدًا] من رسول الله والمسلمين ان حملنا عليه - او في خذلانكم و اخلاف ما وعدناكم من النصرة [لَكَاذِبُونَ]
 اي في مواعيدهم لليهود - وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب - فإن قلت كيف قيل [وَلَكِنْ
 نَصَرُوهُمْ] بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم - قلت معناه ولكن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لَنْ أَشْرَكَتَ

مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ط وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ج وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ح وَاتَّقُوا اللَّهَ ط إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٥ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَآمَوَاهُمْ بِبَتْنٍ فَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَنَصْرًا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ط أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ ٦ وَالَّذِينَ ذَبَوْا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً

الضمير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في ايديهم كما كان يسلط رسوله على اعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعني انه لا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها واخذت غنوة وقهرا وذلك انهم طلبوا القسمة فنزلت - لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة - والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول للانسان اي يدور من اجدد يقال دالت له الدولة واديل لفلان ومعنى قوله [كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ] كيلا يكون الفبيء الذي حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية ان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عزبزو المعنى كيلا يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية - ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستأثروا به - وقيل الدولة ما يتداول كالعرفة اسم ما يغترف يعني كيلا يكون الفبيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء - والدولة بالفتح بمعنى التداول اي كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداول بينهم لا يخرجونه الى الفقراء - وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة يعني كيلا تقع دولة جاهلية ولينقطع اثرها - او كيلا يكون تداول له بينهم - او كيلا يكون شيء متعاور بينهم غير مخرج الى الفقراء [وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ] من قسمة غنيمة اوفي فخذوه [وَمَا نَهَاكُمْ] عن اخذه منها [فَاَنْتَهُوا] عنه ولا تتبعه انفسكم [وَاتَّقُوا اللَّهَ] ان تخالفوه وتهاونوا باوامره ونواهيه [إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] لمن خالف رسوله والاجود ان يكون عامتا في كل ما اتى رسول الله ونهى عنه وامر الفبيء داخل في عمومه - وعن ابن مسعود انه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ علي في هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه * [لِلْفُقَرَاءِ] بدل من قوله لذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من الله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقراء في قوله وَنَصْرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وانه يترفع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله [أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ] في ايمانهم وجهادهم - [وَالَّذِينَ ذَبَوْا] معطوف على الْمُهَاجِرِينَ

الْأَبْصَارِ ⑤ وَ لَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ط وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ ⑥
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ⑦ وَ مَنْ يَشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ⑧ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْدَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا
 قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ⑨ وَ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ
 خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ط وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⑩ مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ

بغير قتال فكان كما قال يعنني ان الله قد عزم على تطهير ارض المدينة منهم و اراحة المسلمين من جوارهم و توريتهم
 اموالهم - فلو لا انه كتب [عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ] واقتضته حكمته و دعاه الى اختياره انه اشق عليهم من الموت [لَعَذَّبَهُمْ
 فِي الدُّنْيَا] بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظة [وَلَهُمْ] سواء اُجِلوا او قُتِلوا [عَذَابُ النَّارِ] يعنني ان نجوا من
 عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة * [مِنْ لَيْدَةٍ] بجان لما قَطَعْتُمْ و محل ما نصب بِقَطَعْتُمْ كانه قال اي
 شيء قطعتم - واث الضمير الراجع الى ما في قوله [أَوْ تَرَكْتُمُوهَا] لانه في معنى اللينة - و اللينة النخلة من
 الألوان وهي ضرب النخل ما خلا العجوة و البرنية وهما اجود النخيل و يابؤها عن و ا و قلبت لكسرة ما قبلها
 كالديمة - و قيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين - قال ذو الرمة * شعر * كأن قنودي فوقها
 عُش طائر * على لينة سوقاء تهفو جنوبها * و جمعها لِين - و قرئ قَوْمًا - و على أُصُولِهَا وفيه وجهان - انه جمع
 اصل كَرِهْنِ وَرُهْنِ - او اكتفي فيه بالضمة عن الواو - و قرئ قَائِمًا عَلَى أُصُولِهَا ذهابا الى لفظة مَا [فَبِإِذْنِ اللَّهِ]
 فقطعها باذن الله و امره [وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ] و ليذلل اليهود و يغيبهم ان في قطعها و ذلك ان رسول
 الله صلى الله عليه و آله و سلم حين امر ان تقطع نخلهم و تحرق قالوا يا محمد قد كذبت تنهى عن الفساد
 في الارض فما بال قطع النخل و تحريقها فكان في انفس المؤمنين من ذلك شيء فَنَزَلَتْ يعنني ان الله
 اذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا و يضاعف لكم حسرة اذا رأيتموهم يتحكمون في اموالكم كيف احبوا
 و يتصرفون فيها ما شاؤوا - و اتفق العلماء على ان حصون الكفرة و ديارهم لا بأس بان تهدم و تحرق و تغرق و ترعى
 بالمجانيق و كذلك اشجارهم لا بأس بقلعها مثمرة كانت او غير مثمرة - و عن ابن مسعود قطعوا منها
 ما كان موضعاً للقتال - فان قلت لم خُصَّت اللينة بالقطع - قلت ان كانت من الألوان فليست بقوا
 لانفسهم العجوة و البرنية و ان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشد و اشق - و روي ان رجلا من
 كانا يقطعان احدهما العجوة و الآخر اللون فسألهما رسول الله فقال هذا تركتها لرسول الله و قال هذا
 قطعتها غيظا للكفار - و قد استدلل به على جواز الاجتهاد و على جواز بحضرة الرسول لانهما بالاجتهاد فعلا
 ذلك - و احتج به من يقول كل مجتهد مصيب [آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ] جعله فيئالة خاصة - و الايجاف من
 الوجيف و هو السير السريع و منه قوله عليه السلام في الافاضة من عرفات ليدس البر باليجاف الخيل
 و لا ايضاع الابل على هينتكم و معنى [فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ] فما اوجفتكم على تحصيله و تغنمه خيلا و لا ركابا
 و لا تعبتم في القتال عليه و انما مشيتم اليه على ارجلكم - و المعنى ان ما حول الله رسوله من اموال بني

الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۖ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرِجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي

لِحَقُوا بخيبر ولحققت طائفة بالحيرة - اللام في [لأول الحشر] متعلق بأخرج و هي اللام في قوله يَلِيْتَنِي قَدْ مَتَّ إِحْيَايَ وَقَوْلِكَ جَنَّتْ لَوْ قَتَلَ كَذَا والمعنى اخرج الذين كفروا عند أول الحشر - ومعنى أول الحشران هذا أول حشورهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصيبهم جلاء قط وهم أول من اخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام - وهذا أول حشورهم وأخر حشورهم أجلاء عمرائهم من خيبر إلى الشام - وقيل أخر حشورهم حشور يوم القيمة لأن المحشر يكون بالشام - وعن عكرمة من شك أن المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية - وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرِجُوا] لشدة بأسهم ومنعتهم وثبات حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله [فَأَتَاهُمْ] أمر [اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا] من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غرة على يد أخيه وذلك مما اضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمانينة بما قذف فيها من الرعب وألهمهم أن يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على انفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن في حسبانهم ومنه اتاهم الهلاك - فإن قلت أي فرق بين قولك وَظَنُّوا أَنْ حُصُونَهُمْ تَمْنَعُهُمْ وَبَيْنَ النِّظْمِ الَّذِي جَاءَ عَلَيْهِ - قلت في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم وفي تصيير ضميرهم اسماً لأن اسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في انفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وَظَنُّوا أَنْ حُصُونَهُمْ تَمْنَعُهُمْ - وقرئ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ أَي فَاتَاهُمُ الْهَلَاكُ - و[الرُّعْبُ] الخوف الذي يربع الصدر أي يملأه - وقذفه اثباته وركزة ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كأنما قذف بالمحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه - وقرئ يُخْرِبُونَ - و[يُخْرِبُونَ] مثقلاً ومخففاً والتخريب والافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله من استيصال شائفتهم وان لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم إلى التخريب حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليستوا بها افواه الازقة وان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائهم مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في ابنتهم من جيد الخشب والساج المليح واما المؤمنون فداعيتهم ازالة متحصنهم وتمنعهم وان يتسع لهم مجال الحرب - فإن قلت ما معنى تخريبهم لها بأيدي المؤمنين - قلت لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوه إياهم [فَاعْتَبِرُوا] بما دبر الله ويسر من امر اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال - وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين ان يؤرثهم الله ارضهم واموالهم

سورة الحشر ٥٩

الجزء ٢٨

ع ٣

حروفها
٢٠١٩

فِيهَا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ع

سورة الحشر مدنية وهي اربع وعشرون آية وثلاثة ركوعاً •

كلماتها
٤٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

سَمِجَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

بِرُوحٍ مِنْهُ [بلطف من عنده حَيَّت به قلوبهم - ويجوز ان يكون الضمير للإيمان اي بِرُوحٍ من الإيمان على انه في نفسه روح لحيوة القلوب به - وعن الثوري انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان - وعن عبد العزيز بن ابي رواد انه لقى المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاقد عندي نعمة فأنني وجدت فيما احدث لا تجد قوماً - وروي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وذلك ان ابا قحافة سب رسول الله فضكه مكة سقط منها فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو فعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته - وقيل في ابي عبيدة بن الجراح قتل اياه عبد الله بن الجراح يوم أحد - وفي ابي بكر رضي الله عنه دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول الله دعني اكن في الرعدة الاولى قال متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري - وفي مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم أحد - وفي عمر رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر - وفي علي وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة *

سورة الحشر

صالح بنوا النضير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعت في التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكباً الى مكة فحالفوا عليه قريشاً عند الكعبة فاصر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعباً غيلةً وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكنايب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب اليك من ذلك فتنادوا بالحرب - وقيل استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن أبي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فخن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الاقة وحصنوها فحاصروهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ايدياً على بعير ماشاءوا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعاء الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حبي بن اخطب فانهم

يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخَلِّفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَذِبُونَ ۖ ﴿٥٨﴾
 عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۖ ﴿٥٩﴾
 يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ۖ ﴿٦٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۖ ﴿٦١﴾ لَا تَجِدُ
 قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ
 أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۚ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

[شَيْئًا] قليلا من الغذاء - روي ان رجلا منهم قال لَنُخْصِرَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ بَانْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَوْلَادَنَا [فَيُخَلِّفُونَ]
 لله تعالى على انهم مسلمون في الآخرة [كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ] في الدنيا على ذلك [وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ]
 من النفع يعني ليس العجب من حلفهم لكم فانكم بشر نخفى عليكم السرائر و ان لهم نفعاً في ذلك دفعا
 عن ارواحهم و استجزار فوائد دنيوية و انهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوعدون و لكن العجب
 من حلفهم لله عالم الغيب و الشهادة مع عدم النفع و الاضطرار الى علم ما انذرتهم الرسل و المراد وصفهم
 بالتوغل في نفاقهم و مروءتهم عليه و ان ذلك بعد موتهم و بعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا
 لِمَا نُهُوا عَنْهُ - و قد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة و القرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفاً كما ترى في
 هذه الآية و في قوله وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُفَّا مُشْرِكِينَ - انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ
 و نحو حسبانهم انهم على شيء من النفع اذا حلفوا استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسابانهم
 ان الايمان الظاهر مما ينفعهم - و قيل عند ذلك يختم على افواههم [أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَذِبُونَ] يعني انهم
 الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم فيه في الدنيا و الآخرة - [سَتَجِدُنَا عَلَيْهِمْ]
 استولى عليهم من حاد الحمار العانة اذا جمعها و ساقها غالبا لها و منه * كان احوزياً نسيج وحده * و هو
 احد ما جاء على الاصل نحو استصوب و استنوق اي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريده
 منهم حتى جعلهم رعيتته و حزبه [فَأَنسَهُمْ] ان يذكروا الله اصلا لا بقلوبهم و لا بالسنتهم - قال ابو
 عبيدة حزب الشيطان جفده * [فِي الْأَذَلِّينَ] في جملة من هو اذل خلق الله و لا ترى احدا اذل منهم *
 [كَتَبَ اللَّهُ] في اللوح [لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِي] بالحجة و السيف او باحدهما [لَا تَجِدُ قَوْمًا]
 من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين و الغرض به
 انه لا ينبغي ان يكون ذلك و حقه ان يمتنع و لا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه و الزجر عن ملاسته
 و التوصية بالتصلب في مجانبة اعداء الله و مباعدتهم و الاحتراس من مخالطتهم و معاشرتهم و زاد ذلك
 تأكيداً و تشديداً بقوله وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ و بقوله أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ و بمقابلة قوله أُولَٰئِكَ حِزْبُ
 الشَّيْطَانِ بقوله أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ فلا تجد شيئاً ادخل في الاخلاص من موالاته اولياء الله و معاداة
 اعدائه بل هو الاخلاص بعينه [كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ] اثبتة فيها بما وفقهم فيه و شرح له صدورهم [وَ أَيَّدَهُم]

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٨ أَشَفَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ ط فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ
 اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ط وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ع ٢٨
 تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ط مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ع ٢ اَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا
 شَدِيدًا ط إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٥٩ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ٦٠ لَنْ
 تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ط أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ط هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٦١ يَوْمَ

بعدي كان لي دينار فصرفته فكذبت اذا ناجيتها تصدقت بدرهم - قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات
 سأله رسول الله - وعن ابن عمر كان لعلي ثلث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من
 حمر النعم - تزويجه فاطمة - واعطاه الراية يوم خيبر - الآية المنجوى - قال ابن عباس هي منسوخة بالآية اللتي
 بعدها - وقيل هي منسوخة بالزكوة - [أَشَفَقْتُمْ] أخفقتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي
 تكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء [فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا] ما أمرتم به وشق عليكم [وَتَابَ اللَّهُ
 عَلَيْكُمْ] وعذرکم و رخص لكم في ان لا تفعلوه فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات - [بِمَا تَعْمَلُونَ] -
 قري بالقاء - والياء * كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ
 عَلَيْهِ وَيَصْحَبُوهُمْ وَيَنْقُلُونَ إِلَيْهِمْ أَسْرَارَ الْمُؤْمِنِينَ [مَا هُمْ مِنْكُمْ] يا مسلمون [وَلَا مِنْهُمْ] ولا من اليهود كقوله
 تعالى مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ [وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ] اي يقولون والله انا لمسلمون
 فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام [وَهُمْ يَعْلَمُونَ] ان المحلف عليه كذب بحت - فان قلت فما
 فائدة قوله وَهُمْ يَعْلَمُونَ - قلت الكذب ان يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر او لم يعلم
 فالمعنى انهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف
 بالغموس - وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يرفع
 حديثه الى اليهود فبيدنا رسول الله في حجرة من حجرة ان قال لاصحابه يدخل عليكم الان رجل قلبه
 قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 على ما تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه
 فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت [عَذَابًا شَدِيدًا] نوعا من العذاب متفاقما [إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] يعني
 انهم كانوا في الزمان الماضي المتطاوّل على سوء العمل مصرين عليه - او هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة -
 وقري اِيْمَانَهُمْ بالكسر اي [اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ] اللتي حلفوا بها او اِيْمَانَهُمْ الذي اظهروه [جُنَّةً] اي سترة يتستر
 بها من المؤمنين ومن قتلهم [فَصَدُّوا] الناس في خلال امنهم وسلامتهم [عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] وكانوا يتبطون من
 لقوا عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم - وانما وعدهم الله العذاب المهين المخزي لكفرهم
 وصددهم كقوله تعالى الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَنْهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ [مِنَ اللَّهِ] من عذاب الله

لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ۖ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَظْهَرُ ۖ

عني اي تنجح ولا تتضاموا - و قرئ تفسحوا والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كانوا يتضامون فيه تذاقسا على القرب منه و حرصا على استماع كلامه - و قيل هو المجلس من مجالس القتال و هي مراكز الغزاة كقوله مَقَاعِدُ لِلْقِتَالِ - و قرئ في المَجْلِسِ - قيل كان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة - و قرئ في المَجْلِسِ بفتح اللام و هو المجلس اي توسعوا في جلوسكم و لا تتضايقوا فيه [يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ] مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان و الرزق و الصدر و القبر و غير ذلك - [انشُرُوا] انهضوا للتوسعة على المقبلين - او انهضوا عن مجلس رسول الله اذا أمرتم بالانهوض عنه و لا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه - او انهضوا الى الصلوة و الجهاد و اعمال الخير اذا استنهضتم و لا تثبطوا و لا تفرطوا [يَرْفَعِ اللَّهُ] المؤمنين بامتثال اوامره و اوامر رسوله و العالمين منهم خاصة دَرَجَاتٍ - [بِمَا تَعْمَلُونَ] قرئ بالتاء - و الياء - و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه كان اذا قرأها قال يا ايها الناس انهموا هذه الآية و لترغبكم في العلم - و عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين العالم و العابد مائة درجة بين كل درجتين حُضْرُ الجواد المضمر سبعين سدة - و عنه عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب - و عنه عليه السلام يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي و امطة بين النبوة و الشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و عنه و سلم - و عن ابن عباس خیر سليمین بین العلم و المال و الملك فاختر العلم فاعطي المال و الملك معه - و قال عليه السلام اوحى الله الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم أحب كل عليم - و عن بعض الحكماء لیس شعري ای شيء ادرك من فاته العلم و اي شيء فات من ادرك العلم - و عن الاحنف كاد العلماء يكونون اربابا و كل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير - و عن الزبير بن العوام ذكر فلا تحبته الا ذكورة الرجال * [بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ] استعارة ممن له يدان و المعنى قبل نجواكم كقول عمر بن ابي سلمة ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم و يستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته - ذاكم التقديم [خَيْرٌ لَّكُمْ] في دينكم [و اظهر] لان الصدقة طهرة - روي ان الناس اكثر ما ناجاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و سلم و سلم بما يريدون حتى املوه و ابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك فاصروا بان من اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة - قال علي رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما راوا ذاك اشتد عليهم فارتدعوا و كفوا اما الفقير فلعسرتة و اما الغني فلهشحه - و قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ - و قيل ما كان الا ساعة من نهار - و عن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي و لا يعمل بها احد

ثُمَّ يُذِيبُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ
 لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْأَيْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ۖ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْثُوكَ بِمَا لَمْ يَحْكِكْ بِهِ
 اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ ۖ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْأَيْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبَيِّنَاتِ وَالتَّقْوَى ۚ وَاتَّقُوا
 اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ
 وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ

وقرئ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر بالنصب على أن لا لنفي الجندس - ويجوز أن يكون ولا أكثر بالرفع
 معطوفا على محل لا مع أدنى كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله بفتح الحول ورفع القوة - ويجوز أن يكونا
 مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله - وإن يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى
 كأنه قيل ما يكون أدنى ولا أكثر إلا هو معهم - ويجوز أن يكونا مجرورين عطفا على نجوى كأنه قيل ما
 يكون من أدنى ولا أكثر إلا هو معهم - وقرئ ولا أكبر بالباء ومعنى كونه معهم أنه يعلم ما يتناجون به
 ولا يخفى عليه ما هم فيه فكانه مشاهدهم ومُحَاضِرُهُمْ وقد تعالى عن المكان والمشاهدة - وقرئ ثم يذِيبُهُمْ
 على التخفيف • كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم إذا رأوا المؤمنين
 يريدون أن يُغَيِّظُوهُمْ فنهاهم رسول الله فعادوا لمثل فعلهم و كان تناجيهم بما هو أئثم وعدوان للمؤمنين
 وتواص بمعصية الرسول ومخالفته - وقرئ يَتَنَجَّوْنَ بِالْأَيْمِ وَالْعُدْوَانِ بكسر العين وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ [حَيْثُوكَ]
 بِمَا لَمْ يَحْكِكْ بِهِ اللَّهُ [يعني أنهم يقولون في حديثك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى
 يقول وسلم على عباده الذين اصطفى ويا أيها الرسول ويا أيها النبي] [لَوْ لَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ] كانوا
 يقولون ماله أن كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى [حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ] عذابا - [يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا] خطاب للمنافقين الذين آمنوا بالسنتهم - ويجوز أن يكون للمؤمنين - أي [إِذَا تَنَاجَيْتُمْ] فلا
 تشبهوا بأولئك في تناجيهم بالشر [وَتَنَاجَوْا بِالْبَيِّنَاتِ وَالتَّقْوَى] - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا
 كنتم ثلاثة فلا يتناجأ اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه وروي دون الثالث - وقرئ فلا تَنَاجَوْا -
 وعن ابن مسعود وإذا أنتجيتكم فلا تَتَنَجَّوْا - [إِنَّمَا النَّجْوَى] اللام إشارة إلى النجوى بالائتم والعدوان بدليل
 قوله [لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا] والمعنى أن الشيطان يزينها لهم فكانها منه ليغيط الذين آمنوا ويحزنهم [وَلَيْسَ]
 الشيطان أو الحزن [بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ] - فإن قلت كيف لا يضرهم الشيطان أو الحزن إلا بإذن الله -
 قلت كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قُتِلُوا فقال لا يضرهم الشيطان
 أو الحزن بذلك الموهم إلا بإذن الله أي بمشيئته وهو أن يقضي الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة -
 وقرئ لِيَحْزَنَ - [تَفَسَّحُوا فِي] [الْمَجَالِسِ] توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح

أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ط وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ٥ يَوْمَ يُدْعَتُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ط أَحْصَاهُ اللَّهُ
وَنُفْسُهُ ط وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ط مَا يَكُونُ مِنْ
نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ آيِنَ مَا كَانُوا ٧

و يشاقون [كُيِّنُوا] أخزوا و اهلكوا [كَمَا كُيِّنَ] مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ - قِيلَ أَرِيدَ كَيْتَهُمْ يَوْمَ الْخُنْدِ
[وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ] تَدَلُّ عَلَى صِدْقِ الرُّسُولِ وَصَحَّةِ مَا جَاءَ بِهِ [وَلِلْكَافِرِينَ] بِهَذِهِ الْآيَاتِ [عَذَابٌ مُهِينٌ]
يُذْهِبُ بَعْزَهُمْ وَكِبَرَهُمْ - [يَوْمَ يُدْعَتُهُمْ] مَنْصُوبٌ بِهِمْ أَوْ بِمُهَيِّنٍ أَوْ بِأَضْمَارٍ أَذْكَرُ تَعْظِيمًا لِلْيَوْمِ [جَمِيعًا] كُلُّهُمْ
لَا يَتْرُكُ مِنْهُمْ أَحَدًا غَيْرَ مَبْعُوثٍ - أَوْ مُجْتَمِعِينَ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ كَمَا تَقُولُ حَتَّى جَمِيعٍ [فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا]
تُخَيِّلُ لَهُمْ وَتُوبِيخًا وَتَشْهِيرًا بِحَالِهِمْ يَتِمُّونَ عَذَابَهُ الْمَسَارَعَةَ بِهِمْ إِلَى الْغَارِ لَمَّا يُلْحَقُهُمْ مِنَ الْخِزْيِ عَلَى
رُؤُسِ الْأَشْهَادِ [أَحْصَاهُ اللَّهُ] أَحَاطَ بِهِ عَدَدًا لَمْ يَقْتَضِ مِنْهُ شَيْءٌ [وَنُفْسُهُ] لَأَنَّهُمْ تَهَانُوا بِهِ حِينَ ارْتَكَبُوهُ لَمْ يَبَالُوا بِهِ
لِضُرَّائِهِمْ بِالْمَعَاصِي وَ إِنَّمَا تَحْفَظُ مَعْظَمَاتِ الْأُمُورِ [مَا يَكُونُ] مِنْ كَانَ الْقَامَةِ - وَ قَرِئَ بِالْيَاءِ - وَالتَّاءِ وَالْيَاءُ عَلَى
أَنَّ الْمَجْزُومَ تَأْنِيثُهَا غَيْرَ حَقِيقِيٍّ وَمِنْ فَاصِلَةٍ - أَوْ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى مَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنَ النَّجْوَى وَالنَّجْوَى
الْمُتَنَاجِي فَلَا تَخْلُو - إِمَّا أَنْ تَكُونَ مَضَافَةً إِلَى ثَلَاثَةٍ أَيْ مِنَ النَّجْوَى ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ - أَوْ مَوْصُوفَةٌ بِهَا أَيْ مِنَ أَهْلِ النَّجْوَى
ثَلَاثَةٌ فَحُذِفَ الْأَهْلُ - أَوْ جَعِلُوا نَجْوَى فِي أَنْفُسِهِمْ مِبَالِغَةً كَقَوْلِهِ خَلَصُوا نَجِيًّا - وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عُبَيْلَةَ ثَلَاثَةً وَخَمْسَةً
بِالنَّصَبِ عَلَى الْحَالِ بِأَضْمَارٍ يَتَنَاجُونَ لِأَنَّ نَجْوَى يَدُلُّ عَلَيْهِ - أَوْ عَلَى تَأْوِيلِ نَجْوَى بِمُتَنَاجِينَ وَنَصْبِهَا مِنَ
الْمُسْتَكْنَ فِيهِ - فَإِنْ قُلْتَ مَا الدَّاعِي إِلَى تَخْصِيصِ الثَّلَاثَةِ وَالْخَمْسَةِ - قُلْتَ فِيهِ وَجْهَانِ - أَحَدُهُمَا أَنَّ قَوْمًا مِنَ
الْمُتَنَاقِينَ تَحَلَّقُوا لِلْمُتَنَاجِي مَغَايِظَةً لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَذَيْنِ الْعَدَدَيْنِ ثَلَاثَةً وَخَمْسَةً فَقِيلَ مَا يَتَنَاجِي مِنْهُمْ
ثَلَاثَةٌ وَلَا خَمْسَةٌ كَمَا تَرَوْنَهُمْ يَتَنَاجُونَ كَذَلِكَ وَلَا أَدْنَى مِنْ عَدَدِهِمْ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا وَاللَّهُ مَعَهُمْ يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ -
فَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي رُبِيعَةٍ وَحَبِيبِ ابْنِ عَمْرِو وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ كَانُوا
يَوْمًا يَتَحَدَّثُونَ فَقَالَ أَحَدُهُمْ أَتَرَى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا نَقُولُ فَقَالَ الْآخَرُ يَعْلَمُ بَعْضًا وَلَا يَعْلَمُ بَعْضًا - وَقَالَ الثَّالثُ
أَنْ كَانَ يَعْلَمُ بَعْضًا فَهُوَ يَعْلَمُ كُلَّهُ وَصَدَقَ لَنْ مِنْ عِلْمِ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ بِغَيْرِ سَبَبٍ فَقَدْ عِلْمُهَا كُلُّهَا لِأَنَّ كَوْنَهُ عَالِمًا
بِغَيْرِ سَبَبٍ ثَابِتٌ لَهُ مَعَ كُلِّ مَعْلُومٍ - وَ الثَّانِي أَنَّهُ قَصْدُ أَنْ يَذْكَرَ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ الْعَادَةُ مِنْ أَعْدَادِ أَهْلِ
النَّجْوَى وَ الْمُتَنَاجِينَ لِلشُّورَى وَ الْمَذْذَبُونَ لِذَلِكَ لَيْسُوا بِكُلِّ أَحَدٍ وَ إِنَّمَا هُمْ طَائِفَةٌ مُحْتَبَاةٌ مِنَ أَوْلَى الذُّهَى
وَ الْأَحْلَامِ وَ رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَ التَّجَارِبِ وَ أَوَّلَ عَدَدِهِمُ الْإِثْنَانِ فَصَاعِدًا إِلَى خَمْسَةٍ إِلَى سِتَّةٍ إِلَى مَا
اِقْتَضَتْهُ الْحَالُ وَ حَكَمَ بِهِ الْأَسْتِصَابُ إِلَّا تَرَى إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَيْفَ تَرَكَ الْأَمْرَ شُورَى
بَيْنَ سِتَّةٍ وَلَمْ يَتَجَاوَزْ بِهَا إِلَى سَابِعٍ فَذَكَرَ عَزَّوَعَلَا الثَّلَاثَةَ وَالْخَمْسَةَ - وَقَالَ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ فَدَلَّ عَلَى
الْإِثْنَيْنِ وَالْأَرْبَعَةِ - وَقَالَ وَلَا أَكْثَرَ فَدَلَّ عَلَى مَا يَلِي هَذَا الْعَدَدَ وَ يُقَارِبُهُ - وَفِي مَصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ رَابِعُهُمْ
وَلَا أَرْبَعَةٌ إِلَّا اللَّهُ خَامِسُهُمْ وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا اللَّهُ سَادِسُهُمْ وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا اللَّهُ مَعَهُمْ إِذَا انْتَجَوْا -

قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ٥ فَمَنْ أَمْ يَسْتَطِيعُ فَاطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا ٦ ذَلِكَ لِقَوْمٍ مُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٧ وَتِلْكَ حُدُودُ
اللَّهِ ٨ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٩ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَبِتُوا كَمَا كَبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ

سورة المجادلة ٥٨

الجزء ٢٨

ع ٢٠

او مكان الام ذات رحم محرّم منه من نسب او رضاع او صهر او جماع نحو ان يقول انت علي كظهر اختي
من الرضاع او عمتي من النسب او امرأة ابني او ابي او ام امرأتي او بنتها فهو مظاهر وهو مذهب ابي حنيفة
و اصحابه رحمهم الله - و عن الحسن والنخعي والزهري والاذاعي والثوري وغيرهم رحمهم الله نحوه - وقال
الشافعي رحمه الله لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي - وعن الشعبي لم ينس
الله ان يذكر البنات و الاخوات و العمات و الخالات ان اخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون
المرضعات - و عن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهرا - فان قلت فاذا امتنع المظاهر من الكفارة
هل للمرأة ان ترفعها - قلت لها ذلك و على القاضي ان يجبره على ان يكفر و ان يحبس و لا شيء من
الكفارات يجبر عليه و يحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضربها في ترك التكفير و الامتناع من الاستمتاع
فيلزم ابقاء حقها - فان قلت فان مس قبل ان يكفر - قلت عليه ان يستغفرو لا يعود حتى يكفر لما روي
ان سلمة بن صخر البياضي قال لرحول الله صلى الله عليه و آله و سلم ظاهرت من امرأتي ثم ابصرت
خلخالها في ليلة قمراء فواقعته فقال عليه السلام استغفري ربك و لا تعد حتى تكفر - فان قلت اي رقبة
تجزى في كفارة الظهار - قلت المسلمة و الكافرة جميعا لانها في الآية مطلقة - و عند الشافعي رحمه الله
لا تجزى الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة و لا تجزى ام الولد و المدبر و المكاتب
الذي أدى شيئا فان لم يؤد شيئا جاز - و عند الشافعي لا يجوز - فان قلت فان اعتق بعض الرقبة او صام
بعض الصيام ثم مس - قلت عليه ان يستأنف نهرا مس او ليلا ناسيا او عامدا عند ابي حنيفة -
و عند ابي يوسف و محمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزئه و ان كان المس يفسد الصوم استقبل
و الابنى - فان قلت كم يعطى المسكين في الاطعام - قلت نصف صاع من براء صاعا من غيره عند
ابي حنيفة و عند الشافعي مدا من طعام بلدة الذي يقتات فيه - فان قلت ما بال التماس لم يذكر
عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين - قلت اختلف في ذلك - فعند ابي حنيفة انه لا فرق
بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على المساس و انما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على انه اذا وجد
في خلال الاطعام لم يستأنف كما يستأنف الصوم اذا وقع في خلاله - و عند غيره لم يذكر للدلالة على ان
التكفير قبله و بعده سواء - فان قلت الضمير في [اَنْ يَتَمَاسَا] ام يرجع - قلت الى ما دل عليه الكلام من
المظاهر و المظاهر منها [ذَلِكَ] البين و التعليم للاحكام و التنبيه عليها لتصدقوا [بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ] في العمل
بشرائعه التي شرعها من الظهار و غيره و رفض ما كنتم عليه في جاهليتكم [وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ] التي
لا يجوز تعديها [وَلِلْكَافِرِينَ] الذين لا يتبعونها و لا يعملون عليها عَذَابٌ أَلِيمٌ * [يُحَادِّثُونَ] يعادون

بَصِيرٌ ۝ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ ۖ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۖ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا
مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۖ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ۖ ذَلِكُمْ تَوْعَظُونَ بِهِ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ۖ مِنْ

ولدي واحب الناس اليّ فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتني وجددي كما قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الي الله فنزلت [فِي زَوْجِهَا] في شأنه ومعناه - [إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ] يصح ان يسمع كل مسموع و يبصر كل مبصر - فان قلت ما معنى قد في قوله قد سمع - قلت
معناه التوقع لان رسول الله والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله سبحانه وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج
عنها [الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ] في منكم توبيخ للعرب و تهجين لعاداتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل
جاهليتهم خاصة دون سائر الامم [مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ] و قرئ بالرفع على اللغتين الحجازية و التميمية - و في
قراءة ابن مسعود بأمهاتهم و زيادة الباء في لغة من ينصب و المعنى ان من يقول لامرأته انت علي كظهر
أبي ملحق في كلامه هذا للزوج بالأم و جاعلها مثلها و هذا تشبيهه باطل لتباين الحالين [إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ
إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ] يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات و غيرهن ملحقات بهن لدخولهن في
حكمهن فالمرضعات امهات لانهن لما ارضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات و كذلك ازواج رسول الله
امهات المؤمنين لان الله تعالى حرم نكاحهن على الأمة فدخلن بذلك في حكم الامهات و اما الزوجات
فابعد شيء من الامومة لانهن لسن بامهات على الحقيقة و لا بدخلات في حكم الامهات فكان قول المظاهر
[مُنْكَرًا مِنْ الْقَوْلِ] تذكره الحقيقة و تذكره الاحكام الشرعية [وَ زُورًا] و كذا باطلا منحرفا عن الحق [وَإِنَّ اللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ] لما سلف منه اذا تيب عنه و لم يعد اليه - ثم قال [وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا] يعني و الذين كانت عاداتهم ان يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من
عاد ان يحترق رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة - و وجه آخر ثم يعودون
لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك الامر عائد اليه و منه المثل عاد غيث على ما افسد اي
تداركه بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول و تلافيه بان يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار -
و وجه ثالث وهو ان يراك بما قالوا ما حرّموا على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو
ما ذكرنا في قوله تعالى وَ نَرِيهِ مَا يَقُولُ و يكون المعنى ثم يريدون العود للتماس - و المماس الاستمتاع بها
من جماع او لمس بشهوة او نظر الى فرجها لشهوة [ذَلِكُمْ] الحكم [تَوْعَظُونَ بِهِ] لان الحكم بالكفارة دليل
على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار و تخافوا عقاب الله عليه -
فان قلت هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ - قلت نعم اذا وضع مكان انت عضوا منها يعبر به عن الجملة
كالرأس و الوجه و الرقبة و الفرج او مكان الظهر عضواً آخر يحرم النظر اليه من الأم كالبطن و الفخذ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ قُلِ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ط إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث جعفرًا رضي الله عنه في سبعين راكباً الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من اهل مملكته وهم اربعون رجلاً ائذن لنا في الوفادة على رسول الله فانهم قد قدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة أحد فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله فرجعوا وقدموا باموال لهم فأسوا بها المسلمين فانزل الله الَّذِينَ اتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ الى قوله وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فلما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ فخرّوا على المسلمين وقالوا أما من آمن بكتابكم وكتابنا فله اجرة مرتين وأما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجرهم فما فضلكم علينا فنزلت - وروى ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ وادعوا الفضل عليهم فنزلت - وقرئ لَكَيَّ يَعْلَمَ - وَلَكَيْلَا يَعْلَمَ - وَلِيَعْلَمَ - وَلِأَن يَعْلَمَ بادغام النون في الياء - وَلِيُنْذِرَ لَعَلَّ يَأْ وادغام النون في الياء - وعن الحسن لَيْلَا يَعْلَمَ بفتح اللام وهكوى الياء ورواه قطرب بكسر اللام - وقيل في وجهها حذف هـ هـ أَن وادغمت نونها في لام لا فصار لَلَا ثم ابدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى ان اصل لام الجحر الفتح كما انشد * اريد لَأَنْتَسَى ذكرها * وقرئ أَلَا يَقْدِرُوا - [يَدِّ اللَّهِ] في ملكه وتصرفه و اليدُ مثلاً [يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ] ولا يشاء الا ايتاء من يستحقه - من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحديد كُتِبَ من الذين آمنوا بالله ورحمه *

سورة المجادلة

[قَدْ سَمِعَ اللَّهُ] قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع لها - وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها - وقرئ تَحَاوُرَكَ اي تراجعك الكلام - وتَحَاوُرَكَ اي تسايملك وهي خولة بذت ثعلبة امرأة اوس بن الصامت اخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابتن فغضب وكان به خفة ولم يظاها منها فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت ان اوساً تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا مني ونثرت بطني اي كثروا ولدي جعلني عليه كأمه - وروى انها قالت له ان لي صبيّة صغاراً ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم اليّ جاعوا فقال ما عندي في امرك شيء وروى انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقاً وانما هو ابو

الْأَنْجِيلَ ه وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ط وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ع فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ © يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ط وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ

العرب - وقرى رافة على فعالة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة اصحاب رسول الله رحماء بينهم - والرهبانية ترهبهم في الجبال فأتين من الفتنة في الدين مختاصين انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاخترنا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلم من رهب كخشيان من خشي - وقرى رهبانية بالضم كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان - وانتصابها بفعل مضمير يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني واحدثوها من عند انفسهم ونذررها [مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ] لم نفرضها نحن عليهم [إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ] استثناء منقطع اي واكذبهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله [فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا] كما يجب على الغادر رعاية نذرة لانه عهد مع الله لا يحل نكثه [فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا] يريد اهل الرحمة والرفقة الذين اتبعوا عيسى [وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ] الذين لم يحافظوا على نذرهم - ويجوز ان يكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في محل النصب اي جعلنا في قلوبهم رافة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم وابتدع الرهبانية واستحدثها مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على انه كتبها عليهم والزماها ايها ليتخلصوا من الفتن وابتغوا بذلك رضى الله وثوابه فَمَا رَعَوْهَا جميعا حَقَّ رِعَايَتِهَا ولكن بعضهم فاتيننا المؤمنين المراعيين منهم للرهبانية اجرهم وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ وهم الذين لم يرعوها * [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] - يجوز ان يكون خطابا للذين آمنوا من اهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان كان خطابا لمؤمني اهل الكتاب فالمعنى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِمُوسَى وَعِيسَى آمِنُوا بِمُحَمَّدٍ [يُؤْتِكُمْ] الله [كِفْلَيْنِ] اي نصيبتين [مِنْ رَحْمَتِهِ] لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله [وَيجعل لكم] يوم القيمة [نُورًا تَمْشُونَ بِهِ] وهو النور المذكور في قوله يَسْعَى نُورُهُمْ [وَيَغْفِرْ لَكُمْ] ما اسلفتم من الكفر والمعاصي [لَيْلًا يَعْلَمُ] ليعلم [أَهْلُ الْكِتَابِ] الذين لم يسلموا ولا مزبدة - [أَلَّا يَقْدِرُونَ] ان مخففة من الثقيلة اصله انه لا يقدرُونَ يعني ان الشأن لا يقدرُونَ [عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ] اي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفاليين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط - وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يُؤْتِكُمْ ما وعد من امن من اهل الكتاب من الكفاليين في قوله أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رساله -

سورة الحديد ٥٧

الجزء ٢٧

ع ١٩

النَّاسَ بِالْبَخْلِ ط وَ مَنْ يَقُولُ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ٥ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ٦ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ط إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا الذُّبُورَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ ٨ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ٩ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ

الانبياء والايقان - و في قراءة ابن مسعود بِمَا أُوتَيْتُمْ - فإن قلت فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح - قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله و رجاء ثواب الصابرين و الفرح المظفي المهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام و السرور بذمة الله و الاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما [الَّذِينَ يَبْخُلُونَ] بدل من قول كُلُّ مُحْتَالٍ فَخَوَّرَ كَأَنَّهُ قَالَ لَا يُحِبُّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ يريد الذين يفرحون الفرح المظفي اذا رزقوا مالا و حظا من الدنيا فليحبهم له و عزته عندهم و عظمه في عيونهم يزورونه عن حقوق الله و يبخلون به و لا يفقههم انهم يخلوا حتى يحملوا الناس على البخل و يرغبوهم في الامساك و يزودوهم لهم و ذلك كله نتيجة فرحهم به و بطرهم عند اصابته - [وَ مَنْ يَقُولُ] عن امر الله و نواهيته و لم ينته عما نهى عنه من الاسى على الفئات و الفرح بالاتي فإن الله غني عنه - و قرئ بالبخل - و قرأ نافع فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ وهو في مصاحف اهل المدينة و الشام كذلك * [لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا] يعزي الملكة الى الانبياء [بِالْبَيِّنَاتِ] بالحجج و المعجزات [وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ] ابي الوحي - [وَالْمِيزَانَ] - روي ان جبرئيل نزل بالميزان فدفعه الى نوح و قال مَرُوقُومُك يزنوا به [وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ] قيل نزل آدم من الجنة و معه خمسة اشياء من الحديد السندان - و الكليتان - و الميعة - و المطرقة - و الابرة - و روي و معه المرو و المسحاة - و عن النبي صلى الله عليه و اله و سلم ان الله تعالى انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد - و النار - و الماء - و الملح - و عن الحسن و انزلنا الحديد خلقناه كقوله و نَزَّلَ لَكُمْ مِنَ الْإِنْعَامِ وَ ذَلِكَ ان اوامره تنزل من السماء و قضاياه و احكامه [فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ] و هو القتال به [وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ] في مصالحهم و معاشهم و صنائعهم فما من صناعة الا و الحديد آلة له فيها او ما يعمل بالحديد [وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ] باستعمال السيوف و الرماح و سائر السلاح في مجاهدة اعداء الدين [بِالْغَيْبِ] غايبا عنهم - قال ابن عباس ينصرونه و لا يبصرونه [إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ] غني بقدرته و عزته في اهلاك من يريد هلاكه عنهم و انما كلّفهم الجهاد لينتفعوا به و يصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب * [وَ الْكِتَابَ] و الوحي - و عن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتبت كتابا و كتابة - [فَمِنْهُمْ] فمن الذرية او من المرسل اليهم و قد دل عليهم ذكر الارسال و المرسلين و هذا تفصيل لحالهم ابي فمنهم مهتد و منهم فاسق و الغلبة للفاسق - قرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة و امرة اهون من امر البرطيل و السديزة فيمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية

وَالشَّهَدَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۖ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۖ اَعْلَمُوا
 أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ
 الْكَفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَدْرِيهَ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۖ
 وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۖ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ
 لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۖ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۖ مَا أَصَابَ مَن
 مِّصْيَبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۖ لَّكَيْلًا تَأْسُوا
 عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۖ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ

والشهداء و مثل نورهم - فإن قلت كيف يسوى بينهم في الاجر و لابد من التفات - قلت ان المعنى ان الله يعطي المؤمنين اجرهم و يضاعفه لهم بفضلهم حتى يساوي اجرهم مع اضاعفه اجر اولئك - و يجوز ان يكون
 و الشهداء مبتدأ و لهم اجرهم خبره * اراد ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور و هي اللعاب و اللهو
 و الزينة و التفاخر و التكاثر و اما الآخرة فما هي الا امور عظام و هي العذاب الشديد و المغفرة و رضوان الله
 و شبه حال الدنيا و سرعة تقضيها مع قلة جذواها بنبات انبتة الغيث فاستوى و اكتمل و اعجب به الكفار
 الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث و النبات فبعث الله عليه العاهة فهاج و اصفر و صار حطاما
 عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة و صاحب الجنتين - و قيل الكفار الزراع - و قرئ
 مصفرا * [سابقوا] سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى [جنة عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
 وَ الْأَرْضِ] - قال السدي كعرض سبع السموات و سبع الارضين - و ذكر العرض دون الطول لان كل ماله عرض
 و طول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابط و امد - و يجوز ان يراد
 بالعرض البسطة كقوله فذو دعاء عريض - لما حقر الدنيا و صغرامرها و عظم امر الآخرة بعث عباده على
 المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك و هي المغفرة المنجية من العذاب الشديد و الفوز بدخول الجنة [ذَلِكَ]
 الموعود من المغفرة و الجنة [فَضْلُ اللَّهِ] عطارة [يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ] و هم المؤمنون - المصيبة في الارض نحو
 الجذب و افات الزرع و الثمار - و في الانفس نحو الادواء و الموت [فِي كِتَابٍ] في اللوح [مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا]
 يعني الانفس او المصائب [إِنَّ ذَٰلِكَ] ان تقدير ذلك و اثباته في كتاب [عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ] و ان كان
 عسيرا على العباد - ثم علل ذلك و بين وجه الحكمة فيه فقال [لَّكَيْلًا تَأْسُوا] و لا تفرحوا يعني انكم اذا علمتم
 ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل آسأكم على الفائت و فرحكم على الآتي لان من علم ان ما عنده
 مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه و طن نفسه على ذلك و كذلك من علم ان بعض الخير
 واصل اليه و ان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله [وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ] لان من
 فرح بحظ من الدنيا و عظم في نفسه اختال و افتخر به و تكبر على الناس - قرئ [بِمَا آتَاكُمْ] - و آتاكم من

مَا وَكَّمُ النَّارُ ط هِيَ مَوْلَكُمْ ط وَبُدْسُ الْمَصِيرِ ٥ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ
مِنْ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ط وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ٥
اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُخَيِّبُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ط قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٥ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ
وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعُفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ٥ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ق

سورة الحديد ٥٧

الجزء ٢٧

ع ١٧

لا ناصر لكم غيرها و المراد نفي الناصر على البتات و نحوه قولهم أُصِيبَ فلان بكذا فاستنصر الجزع و منه
قوله تعالى يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ - و قيل يتولاكم كما توليتكم في الدنيا اعمال اهل النار * [أَلَمْ يَأْنِ] من
أنى الامر يأنى اذا جاء اناه اي وقته - و قرئ أَلَمْ يَكُنْ من أن يئس بمعنى انى يأنى - و أَلَمْ يَأْنِ - قيل كانوا
مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق و النعمة ففتروا عما كانوا عليه فذلّت - و عن ابن مسعود ما كان
بين اسلامنا و بين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين - و عن ابن عباس ان الله استبطأ قلوب المؤمنين
فعاتبهم على رأس ثلث عشرة من نزول القرآن - و عن الحسن اما والله لقد استبطأهم و هم يقرؤون من
القرآن اقل مما تقرؤون فانظروا في طول ما قرأتم منه و ما ظهر فيكم من الفسق - و عن ابي بكر رضي
الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه و عنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال
هكذا كنّا حتى قسّت القلوب - و قرئ نَزَلَ - و نَزَلَ - و أَنْزَلَ - و لَا يَكُونُوا عطف على تَخْشَعَ - و قرئ بالتاء
على الالتفات - و يجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وُتِّخُوا و ذلك
ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم و بين شهواتهم و اذا سمعوا التوراة و الانجيل خشعوا لله
و رقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء و القسوة و اختلفوا و احدثوا ما احدثوا من التحريف و
غيره - فان قلت ما معنى [لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ] - قلت يجوز - ان يراد بالذکر و بما نزل من الحق
القرآن لانه جامع للامرين للذكر و الموعظة و انه حق نازل من السماء - و ان يراد خشوعها اذا ذكر الله و اذا
تلى القرآن كقوله اذا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ - و اذا تَلَيْتْ عَلَيْهِمْ آيَةُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا - اراد بالامد الاجل
كقوله اذا انتهت امده - و قرئ الْأَمَدُ اي الوقت الطول [وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ] خارجون عن دينهم رافضون
لما في الكتابين * [اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُخَيِّبُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا] قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب و انه
يحييها كما يحيى الغيث الارض * [الْمُصَّدِّقِينَ] المتصدقين - و قرئ على الاصل - و الْمُصَّدِّقِينَ من صدق و هم
الذين صدقوا الله و رسوله يعنى المؤمنين - فان قلت علام عطف قوله [وَأَقْرَضُوا اللَّهَ] - قلت على معنى الفعل في
الْمُصَّدِّقِينَ لان اللام بمعنى الذين و اسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا و اقترضوا - و القرض
الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس و صحة الذية على المستحق للصدقة - و قرئ يُضَعَّفُ - و
يُضَعَّفُ بكسر العين اي يضاعف الله - يريد ان المؤمنين بالله و رسوله هم عند الله بمنزلة الصديقين و الشهداء
و هم الذين سبقوا الى التصديق و استشهدوا في سبيل الله [لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ] اي مثل اجر الصديقين

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ۚ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ۚ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ۚ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۝ يُذَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۝ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ

[وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ] يعنني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريمة في نفسه - وقرئ فيضعفه - وقرئ منصوبين على جواب الاستفهام - و الرفع عطف على يقرض او على فهو يضعفه * [يَوْمَ تَرَى] ظرف لقوله وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ - او منصوب باضمار ان ذكر تعظيما لذلك اليوم و انما قال [بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ] لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم و وراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم و آية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا و بصحائفهم البديص افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة و مروا على الصراط يسعون يسعى بسعيهم ذلك النور جنبا لهم و متقدما و يقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة [بُشْرُكُمُ الْيَوْمَ] - قرئ ذاك الفوز - [يَوْمَ يَقُولُ] بدل من يَوْمَ تَرَى [انظُرُونَا] انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تدف بهم و هؤلاء مشاة - او انظروا اليها لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم و النور بين ايديهم فيستضيئون به - وقرئ انظُرُونَا من النظرة وهي الامهال جعل اتياهم في الماضي الى ان يلحقوا بهم انظروا لهم [نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ] نُصِبَ منه و ذلك ان يلحقوا بهم فيستضيئوا به [قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا] طرد لهم و تهكم بهم اي ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثمة يقتبس - او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان - او ارجعوا خائبين و تنكبوا عنا فالتمسوا نورا اخر فلا سبيل لكم الى هذا النور و قد علموا ان لا نور وراءهم و انما هو تخييب و اقناظ لهم [فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ] بين المؤمنين و المنافقين بحائط حائل بين شق الجنة و شق النار - قيل هو الاعراف لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون منه [بَاطِنُهُ] باطن السور او الباب و هو الشق الذي يلي الجنة [وَظَاهِرُهُ] ما ظهر لاهل النار [مِنْ قِبَلِهِ] من عنده و من جهته [الْعَذَابُ] و هو الظلمة و النار - وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ [أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ] يريدون موافقتهم في الظاهر [فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ] - مَحَنَّتُمْوَهَا بالنفاق و اهلكتموها [وَتَرَبَّصْتُمْ] بالمؤمنين الدوائر [وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ] طول الامال و الطمع في امتداد الاعمار [حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ] و هو الموت [وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ] و غرکم الشيطان بان الله عفو غفور كريم لا يعذبكم - وقرئ الْغُرُورُ بِالضَّمِّ - [فِدْيَةٌ] ما يفقدى به [هِيَ مَوْلَاكُمْ] قيل هي اولى بكم - و انشد قول لبيد * شعر * فعدت كلا الفرجين تحسب انه * مولى المخافة خلفها و امامها * و حقيقة مَوَالِكُمْ مَحْرَاكُم و مَقْمَكُمْ اي مكلنكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم اي مكان لقول القائل انه لكرم - و يجوز ان يراد هي فاصرکم اي

سورة الحديد ٥٧

الجزء ٢٧

ع ١٧

أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَ مَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَارُؤْفٌ رَحِيمٌ ۝ وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ ۖ أُولَٰئِكَ أَعْطَىٰ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتِلُوا ۖ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝

فيها الا بمزولة الوكلاء و النواب فانفقوا منها في حقوق الله و ليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل الذفقة من مال غيره اذا اذن له فيه - او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتدروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم و سينتقل منكم الى من بعدكم فلا تدخلوا به و انفقوا بالانفاق منها انفسكم * [لَا تُؤْمِنُونَ] حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اي و ما لكم كافرين بالله - و الواو في [وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ] و او الحال فهما حالان متداخلتان - و قرئ و ما لكم لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ - و المعنى و اي عذر لكم في ترك الايمان و الرسول يدعوكم اليه و يذبحكم عليه و يتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين و الحجج [وَ] قبل ذلك [قَدْ أَخَذَ] الله [مِيثَاقَكُمْ] بالايمان حيث ركب فيكم العقول و نصب لكم الاداة و مكّنكم من الغطر و ازاح علكم فاذا لم تبق لكم علة بعد ادلة العقول و تذييه الرسول فما لكم لَا تُؤْمِنُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه - و قرئ اخذ ميثاقكم على البناء للفاعل و هو الله عز و جل [لِيُخْرِجَكُمْ] الله باياته من ظلمات الكفر الى نور الايمان - او لِيُخْرِجَكُمْ الرسول بدعوته - [لَرُؤْفٌ] - و قرئ لرؤف * [أَلَّا تُنْفِقُوا] في ان لا تنفقوا [وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] يرث كل شيء و فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال و غيره يعني و اي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله و الاجتهاد مع رسوله و الله مهلككم فوارث اموالكم و هو من اباح البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاروت بين المُنْفِقِينَ منهم فقال [لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ] فتج مكة قبل عز الاسلام و قوة اهله و دخول الناس في دين الله افواجا و قلة الحاجة الى القتال و الذفقة فيه و من انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة [أُولَٰئِكَ] الذين انفقوا قبل الفتح و هم السابقون الاولون من المهاجرين و الانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه و اله و سلم لو انفق احدكم مثل احد ذهباً ما بلغ مدّ احدهم ولا نصيفه [أَعْظَمُ دَرَجَةً] - و قرئ قبل الفتح - [وَكُلٌّ] واحد من الفريقين [وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى] اي المثوبة الحسنی و هي الجنة مع تفاروت الدرجات - و قرئ بالرفع على و كل وعدة الله - و قيل نزلت في ابي بكر لانه اول من اسلم و اول من انفق في سبيل الله * القرض احسن الانفاق في سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجهه فكأنه اقترضه اياه [فَيُضَاعِفُهُ لَهُ] اي يعطيه اجرة على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله

سورة الحديد ٥٧ كلماتها ٥٨٦

الجزء ٢٧

ع ١٦

حروفها ٢٥٩٩

سورة الحديد مدنية وهي تسع وعشرون آية وأربعة ركوعا *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُخَيِّطُ وَيُمِيتُ ۚ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ يُرْسِلُ الْيَلَّ فِي النَّهَارِ وَيُورِثُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَاَنْفِقُوْا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلِفِيْنَ فِيْهِ ۚ فَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْكُمْ وَاَنْفَقُوْا لَهُمْ

سورة الحديد

جاء في بعض الفواتح سَبِّحْ على لفظ الماضي و بعضها على لفظ المضارع و كل واحد منهما معناه ان من شان من اُئند اليه التسبيح ان يستحبه و ذلك هجيرا و ديدنه و قد عدني هذا الفعل باللام تارة و بنفسه اخرى في قوله تعالى وَتُسَبِّحُوهُ واصله التعدي بنفسه لان معنى سُبِّحْتُهُ بَعْدَتْهُ عَنْ السُّوءِ مَنْقُولٌ مِنْ سَبَّحَ اِذَا ذَهَبَ وَبَعْدَ - فاللام لا تخلو اما ان تكون مثل اللام في نَصَحْتُهُ وَنَصَحْتُ لَهُ - و اما ان يراد بِسَبِّحَ لِلَّهِ اَحْدَثَ التَّسْبِيحِ لِاجْلِ اللَّهِ وَ لَوَجْهِهِ خَالِصًا [مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] مَا يَتَأْتِي مِنْهُ التَّسْبِيحُ وَيَصَحُّ - فَانْ قُلْتَ مَا مَحَلَّ [يُخَيِّطُ] - قُلْتَ يَجُوزُ انْ لَا يَكُونُ لَهُ مَحَلٌّ - وَيَكُونُ جُمْلَةً بِرَأْسِهَا كَقَوْلِهِ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ - و ان يكون مرفوعا على هُوَ يُخَيِّطُ وَيُمِيتُ - و منصوبا حالا من المجرور في لَهُ و اُجَارَ عَامِلًا فِيهَا و معناه يُخَيِّطُ النُّطْفَ و البَيْضَ و الموتى يوم الْقِيَمَةِ وَيُمِيتُ الْاَحْيَاءَ * [هُوَ الْأَوَّلُ] هُوَ الْقَدِيمُ الَّذِي كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ [وَالْآخِرُ] الَّذِي يَبْقَى بَعْدَ هَلَاكِ كُلِّ شَيْءٍ [وَالظَّاهِرُ] بِالْأَدَلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ [وَالْبَاطِنُ] لِكُونِهِ غَيْرَ مَدْرُكٍ بِالْحَوَاسِّ - فَانْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى الْوَاوِ - قُلْتَ الْوَاوُ الْأَوَّلَى مَعْنَاهَا الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُ الْجَمَاعُ بَيْنَ الصِّفَتَيْنِ الْأَوَّلِيَّةِ وَالْآخِرِيَّةِ وَالثَّلَاثَةُ عَلَى أَنَّهُ الْجَمَاعُ بَيْنَ الظُّهُورِ وَالْخَفَاءِ وَامَّا الْوَسْطَى فَعَلَى أَنَّهُ الْجَمَاعُ بَيْنَ مَجْمُوعِ الصِّفَتَيْنِ الْأَوَّلِيَّيْنَ وَ مَجْمُوعِ الصِّفَتَيْنِ الْآخِرِيَّيْنَ فَهُوَ الْمُسْتَمَرُّ الْوَجُودِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ الْمَاضِيَةِ وَالْآتِيَةِ وَهُوَ فِي جَمِيعِهَا ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ جَامِعٌ لِلظُّهُورِ بِالْأَدَلَّةِ وَالْخَفَاءِ فَلَا يَدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ وَ فِي هَذَا حُجَّةٌ عَلَى مَنْ جَوَزَ ادْرَاكَهُ فِي الْآخِرَةِ بِالْحَاسَّةِ - وَقِيلَ الظَّاهِرُ الْعَالِيُّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الْغَالِبُ لَهُ مِنَ ظَهْرِ عَلَيْهِ إِذَا عُلَا وَغَلِبَهُ وَ الْبَاطِنُ الَّذِي بَطَنَ كُلَّ شَيْءٍ أَيْ عَامٌ بِاطْنِهِ وَ لَيْسَ بِذَلِكَ مَعَ الْعَدُولِ عَنِ الظَّاهِرِ الْمَفْهُومِ [مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ] يَعْنِي اِنْ الْأَمْوَالَ الَّتِي فِي أَيْدِيكُمْ اِنْمَا هِيَ أَمْوَالُ اللَّهِ بِخَلْقِهِ وَ انْشَائِهِ لَهَا وَ اِنْمَا مَوْلَاكُمْ آيَاهَا وَ خَوْلَاكُمْ لِلْاِسْتِمْتَاعِ بِهَا وَ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي التَّصَرُّفِ فِيهَا فَلَيْسَتْ هِيَ بِأَمْوَالِكُمْ فِي الْحَقِيقَةِ وَمَا اَنْتُمْ

أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ۖ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ ۝ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ۖ وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ تَنْظُرُونَ ۖ وَنَحْنُ
 أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ۖ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۖ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ فَأَمَّا إِنْ
 كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۖ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ ۖ وَجَذَّتْ نَعِيمٌ ۖ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ فَسَلْمٌ لَكَ
 مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۖ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ۖ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٌ ۖ إِنْ
 هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۖ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۖ

سورة الواقعة ٥٦
 الجزء ٢٧
 ع ١٦
 الثلث

[أَفِيدَ هَذَا الْحَدِيثُ] يعنِي القرآن [أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ] أي متهاونون به كمن يَدْهِنُ فِي الْأَمْرِ أَي يُلِينُ جَانِبَهُ
 وَلَا يَتَصَلَّبُ فِيهِ تَهَاوُنًا بِهِ [وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ] عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ يَعْنِي وَتَجْعَلُونَ شُكْرَ
 رِزْقِكُمُ التَّكْذِيبَ أَي وَضَعْتُمُ التَّكْذِيبَ مَوْضِعَ الشُّكْرِ - وَقَرَأَ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ -
 وَقِيلَ هِيَ قِرَاءَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْمَعْنَى وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ لِنِعْمَةِ الْقُرْآنِ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ
 بِهِ - وَقِيلَ نَزَلَتْ فِي الْأَنْوَاءِ وَنَسَبَتْهُمْ السَّقِيذَ إِلَيْهَا وَالرِّزْقُ الْمَطَرُ يَعْنِي وَتَجْعَلُونَ شُكْرًا مَا يَرْزُقُكُمْ اللَّهُ مِنْ
 الْغَيْثِ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ بِكُونِهِ مِنَ اللَّهِ حَيْثُ تَنْسُبُونَهُ إِلَى النُّجُومِ - وَقَرِئَ تَكْذِبُونَ وَهُوَ قَوْلُهُمْ فِي الْقُرْآنِ
 سِحْرٌ وَشَعْرٌ وَافْتِرَاءٌ وَفِي الْمَطَرِ هُوَ مِنَ الْأَنْوَاءِ وَلَنْ كُلَّ مَكْذَبٍ بِالْحَقِّ كَاذِبٌ * تَرْتِيبُ الْآيَةِ فَلَوْلَا تَرْجِعُونَهَا
 إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ وَفَلَوْلَا الثَّانِيَةُ مَكْرَرَةً لِلتَّوَكُّيدِ - وَالضَّمِيرُ فِي تَرْجِعُونَهَا لِلنَّفْسِ
 وَهِيَ الرُّوحُ وَفِي أَقْرَبُ إِلَيْهِ لِلْمُخْتَصِرِ غَيْرَ مَدِينِينَ غَيْرَ مَرْبُوبِينَ مِنْ دَانَ السُّلْطَانِ الرَّعِيَّةِ إِذَا سَأَسَهُمْ [وَنَحْنُ
 أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ] يَا أَهْلَ الْمَيِّتِ بِقُدْرَتِنَا وَعِلْمِنَا أَوْ بِمَلَكَةِ الْمَوْتِ وَالْمَعْنَى أَنْكُمْ فِي جُحُودِكُمْ أَفْعَالُ اللَّهِ وَآيَاتُهُ
 فِي كُلِّ شَيْءٍ إِنْ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ كِتَابًا مَعْجَزًا قَلْتُمْ سِحْرٌ وَافْتِرَاءٌ وَإِنْ أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ رَسُولًا صَادَقًا قَلْتُمْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ
 وَإِنْ رَزَقَكُمْ مَطَرًا يَحْيِيكُمْ بِهِ قَلْتُمْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا عَلَى مَذْهَبِ يُونُسَ إِلَى الْإِهْمَالِ وَالتَّعْطِيلِ فَمَا لَكُمْ لَا تَرْجِعُونَ
 الرُّوحَ إِلَى الْبَدَنِ بَعْدَ بُلُوغِهِ الْحُلُقُومَ إِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ قَابِضٍ وَكُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي تَعْطِيلِكُمْ وَكُفْرِكُمْ بِالْمَحْيَى
 الْمُمَيَّتِ الْمُبْدِيِّ الْمُعِيدِ [فَأَمَّا إِنْ كَانَ] الْمَتَوَفَّى [مِنَ الْمُقَرَّبِينَ] مِنَ السَّابِقِينَ مِنَ الْأَزْوَاجِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ
 فِي أَوَّلِ السُّورَةِ [فَرُوحٌ] فَلَهُ اسْتِرَاحَةٌ - وَرَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 وَسَلَّمَ فَرُوحٌ بِالضَّمِّ - وَقَرَأَ بِهِ الْحَسَنُ وَقَالَ الرُّوحُ الرَّحْمَةُ لِأَنَّهَا كَالْحَيَاةِ لِلْمَرْحُومِ - وَقِيلَ الْبَقَاءُ أَي فَهَذَا لَهُ
 مَعًا وَهُوَ الْخُلُودُ مَعَ الرِّزْقِ وَالنَّعِيمِ - وَالرِّيحَانُ الرِّزْقُ [فَسَلْمٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ] أَي فَسَلَّمَ لَكَ
 يَا صَاحِبَ الْيَمِينِ مِنْ إِخْوَانِكَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ أَي يَسَلِّمُونَ عَلَيْكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا
 [فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ] كَقَوْلِهِ تَعَالَى هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ - وَقَرِئَ بِالتَّخْفِيفِ [وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٌ] قُرِئَتْ
 بِالرَّفْعِ وَالْجَمْعِ عَطْفًا عَلَى نُزُلٍ وَحَمِيمٍ * [إِنَّ هَذَا] الَّذِي أَنْزَلَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ [لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ] أَي الْحَقُّ
 الثَّابِتُ مِنَ الْيَقِينِ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لَمْ
 تُصَبِّهِ فَاةٌ أَبَدًا *

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٢﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٣﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ

يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم [وَمَتَاعًا] ومنفعة [تَلْمُذُونَ] للذين ينزلون القواء وهي القفر - او للذين خلت بطونهم او مزادهم من الطعام يقال اقويت من ايام اي لم اكل شيئا - [فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ] فاحدث التسبيح بذكر اسم ربك - او اراد بالاسم الذكر اي بذكر ربك و [الْعَظِيمُ] صفة للمضاف او للمضاف اليه و المعنى انه لما ذكر ما دل على قدرته و انعامه على عباده قال فاحدث التسبيح وهو ان يقول سبحان الله - اما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين يسجدون وحدانيته ويكفرون نعمته - واما تعجبا من امرهم في غمط الاله و اياديه الظاهرة - واما شكرا لله على النعم التي عدها و نبه عليها [فَلَا أُقْسِمُ] معناه فاقسم و لا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله لَنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ - وقرأ الحسن فَلَا أُقْسِمُ و معناه فَلَا نَا أُقْسِمُ اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ و خبر وهي انا أقسم كقواك ازيد منطلق ثم حذف المبتدأ - و لا يصح ان تكون اللام لام القسم لا مريد - احدهما ان حققا ان تقرن بها النون المؤكدة و الاخلال بها ضعيف قبيح - والثاني ان لا نعلن في جواب القسم للاستقبال و فعل القسم يجب ان يكون للحال [بِمَوْجِعِ النُّجُومِ] بمساقطها و مغاربها - ولعل لله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة - او للملائكة عبادات موصوفة - اولانه وقت قيام المتبحرين والمبتدئين اليه من عبادة الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها و استعظم ذلك بقوله وَاِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ - او اراد بمواقعها منازلها ومسائرهما و له في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف - وقوله وَاِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ اعتراض في ذلك لانه اعتراض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ و اعتراض بَلَوْ تَعْلَمُونَ بين الموصوف و صفته - وقيل مَوَاقِعِ النُّجُومِ اوقات وقوع نجوم القرآن اي اوقات نزولها [كَرِيمٌ] حسن مرضي في جنسه من الكتب - او نقاع جم المنافع - او كريم على الله [فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ] مصون من غير المقرئين من الملائكة لا يطالع عليه من مواهبهم وهم المطهرون من جميع الاناس ادناس الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح - وان جعلته صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي ان يمسسه الا من هو على الطهارة من الناس يعزي مس المكتوب منه - ومن الناس من حملة على القراءة ايضا - و عن ابن عمر رضي الله عنه احب الي ان لا يقرأ الا وهو طاهر - و عن ابن عباس في رواية انه كان يبيح القراءة للجذب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه - و قرئ الْمُطَهَّرُونَ - و الْمُطَهَّرُونَ بالادغام - و الْمُطَهَّرُونَ من اظهرة بمعنى طهرة - و الْمُطَهَّرُونَ بمعنى يطهرون انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم و الوحي الذي ينزلونه - [تَنْزِيلٌ] صفة رابعة للقرآن اي منزل [مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ] او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيل و لذلك جرى مجرى بعض اسمائه ف قيل جاء في التنازيل كذا و نطق به التنازيل او هو تنزيل على حذف المبتدأ - و قرئ تَنْزِيلًا على نزل تنزيل

مَحْرُومُونَ ۝ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝ ؕ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ
أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۝ ؕ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ۝ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا
تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْعِدِ النُّجُومِ ۝ ؕ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝

سورة الواقعة ٥٤

الجزء ٢٧

ع ١٥

الحسن تذهبون على تعبكم فيه و انفاقكم عليه او على ما اقترفتكم من المعاصي التي اصبتم بذلك من اجلها -
و قرئ تفككون و منه الحديث مثل العالم كمثل الحمة ياتيها البعداء و يتركها القرباء فبيدناهم ان غار ماؤها فانقطع
بها قوم و بقي قوم يتفككون اي يتنضمون [انا لمغرمون] لملزوم غرامة ما انفقنا - او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام
و هو الهلاك [بل نحن] قوم [محرومون] محارفون محذرون لا حظ لنا و لا بخت و لو كنا مجذوبين
لما جرى علينا هذا - و قرئ انا - [الماء الذي تشربون] يريد الماء العذب الصالح للشرب - و المزن السحاب
الواحدة مزنة - و قيل هو السحاب الابيض خاصة و هو عذب ماء - [اجاجا] ملحا زعاقا لا يقدر على
شربه - فان قلت لم ادخلت اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما و نزعنا منه ههنا - قلت ان لو لما
كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط و لم تكن مخصصة للشرط كان و لا
عاملة مثلها و انما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضموني جملتيها ان الثاني امتنع
لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت فيه هذه اللام لتكون علما على
ذلك فاذا حذفنا بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشيء اذا علم و شهر موقعة و صار مألوا و مأنوسا
به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع - الا ترى الى ما يحكى عن روبة انه كان يقول خير
لمن قال له كيف امبحت فحذف الجار لعلم كل احد بمكانه و تساوي حالتي حذفه و اثباته لشهرة امره
و ناهيك بقول اوس * شعر * حتى اذا الكلاب قال لها * كالليوم مطلوبوا و لا طلبا * و حذفه لم ار فاذن حذفها اختصار
لفظي و هي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما على ان تقدم ذكرها و المسافة قصيرة معنى
عن ذكرها ثانية و نائب عنه - و يجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت في اية
المطعم دون اية المشروب للدلالة على ان امر المطعم مقدم على امر المشروب و ان الوعيد بفقده اشد و اصعب
من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعم الا ترى انك انما تسقي ضيفك بعد ان تطعمه و لو عكست تعدت
تحت قول ابي العلاء * شعر * اذا سقيت ضيوف الناس محضا * سقوا اضيافهم شيما زالا * و سقي بعض العرب
فقال انا لا اشرب الا على تميلة و لهذا قدمت اية المعطوم على اية المشروب [تورون] تقدحونها وتستخرجونها
من الزناد و العرب تقدح بعودين تحل احدهما على الآخر و يسمون الاعلى الزند و الاسفل الزندة شبهوهما
بالفحل و الطروقة [شجرتها] التي منها الزناد [تذكرة] تذكيرا لغار جهنم حيث علقنا بها اسباب
المعاش كلها و عمما بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس فيظفرون اليها و يذكرون ما اوعدهوا به - او
جعلناها تذكرة و انه و ذجا من جهنم - لما روي عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم ناركم هذه التي

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿١﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٥﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٧﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٨﴾ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ﴿٩﴾ بَلْ نَحْنُ

وقيل الهيم الرمال ووجهه ان يكون جمع الهيم بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب و سحب ثم خفف و فعل به ما فعل بجمع ابيض و المعنى انه يسقط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملأوا منه البطون يسقط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم - فان قامت كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفًا للشيء على نفسه - قلت ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تنال الحرارة و قطع الأمعاء امر عجيب و شربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء امر عجيب ايضًا فكأننا صفتين مختلفتين - النزل الرزق الذي يعد للنازل تكملة له وفيه تهكم كما في قوله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ و كقول ابي الشعر الضبي * شعر * وكذا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا و المرفقات له نزل * و قرئ نَزَلَهُمْ بالتخفيف [فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ] تحضيض على التصديق - اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به - و اما بالبعث لان من خلق اولًا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيًا [مَا تُمْنُونَ] ما تمونونه اي تقذفونه في الأرحام من النطف - و قرأ ابو السمال بفتح التاء يقال امنى النطفة و منها قال الله تعالى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى - [تَخْلُقُونَهُ] تقدرونه و تصورونه - [قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ] تقديرنا و قسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف و تفاوت كما يقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير و طويل و متوسط - و قرئ قَدَرْنَا بالتخفيف - سبقته على الشيء اذا اعجزته عنه و غلبته عليه و لم تمكنه منه فمعنى قوله [وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ] انا قادرون على ذلك لا تغالبونني عليه - وَ أَمْثَالَكُمْ جمع مثل اي على ان نبدل منكم و مكانكم أشباهكم من الخلق [وَ] على ان [نُنشِئَكُمْ فِي] خَلْقٍ لا تعلمونها و ما عهدتم بمثلها يعني انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم و ما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادةكم - و يجوز ان يكون أَمْثَالَكُمْ جمع مثل اي على ان يبدل و يغير صفاتكم اللتي انتم عليها في خلقكم و اخلاقكم و نُشِئَكُمْ في صفات لا تعلمونها * قرئ النَّشْأَةَ و النَّشْأَةَ - وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى [أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ] - من الطعام اي تَبْذُرُونَ حَبَّهُ و تعملون في ارضه [أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ] تَبْذُرُونَهُ و تَرَوْنَهُ نباتًا يرف و يذمي الى ان يبلغ الغاية - و عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا يقولن احدكم زرعًا وليقل حرثت قال ابو هريرة ارأيتم الى قوله أَفَرَأَيْتُمْ الآية - وَ الْحُطَامُ من حَطَم كَالْفُتَاتِ وَ الْجَذُذُ من فت و جذ و هو ما صار هشيمًا و تحطام - [فَظَلْتُمْ] و قرئ بالكسر - وَ ظَلَمْتُمْ على الاصل [تَفَكَّهُونَ] تعجبون - و عن

سورة الواقعة ٥٧

الجزء ٢٧

ع ١٤

مِنَ الْآخِرِينَ ۖ وَاصْحَابُ الشِّمَالِ ۖ مَا اصْحَابُ الشِّمَالِ ۖ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۖ وَظِلٍّ مِّنْ يُّحُمُومٍ ۖ لَا بَارِدٌ
وَلَا كَرِيمٌ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ۖ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِدِّثِ الْعَظِيمِ ۖ وَكَانُوا يَقُولُونَ ۖ أَإِذَا
مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ۖ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۖ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۖ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۖ لَمَجْمُوعُونَ ۖ إِلَى
مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ ۖ ثُمَّ إِنَّكُمْ إِلَيْهَا الصَّالُونَ الْمُكَذَّبُونَ ۖ لَا كَلِمَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ۖ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۖ
فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۖ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ۖ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ۖ نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ۖ

و الله و سلم اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز و قرأ الآية - [عربيا] - و قرى عربيا بالتخفيف جمع عرب
و هي المتحبة الى زوجها الحسنة التبعل [أترابا] مستويات في السن بنات ثلث و ثلثين و ازواجهن
ايضا كذلك - عن رسول الله صلى الله عليه و سلم يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا
مكتلين اباء ثلث و ثلثين - و اللام في لاصحاب اليمين من صلة انشأنا و جعلنا - [في سَمُومٍ] في حر نار ينفذ
في المسام [و حَمِيمٍ] و ماء حار متناه في الحرارة [و ظِلٍّ مِّنْ يُّحُمُومٍ] من دخان اسود بهيم [لا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ] نفى لصفتي الظل عنه يريد انه ظل و لكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برود الظل
و روحه و نفعه لمن يأوي اليه من اذى الحر و ذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه
و المعنى انه ظل حار صار الا ان للنفي في نحو هذا شانا ليس للثبات و فيه تهكم باصحاب المشامة و انهم
لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لاضدادهم في الجنة - و قرى لا بَارِدٌ و لَا كَرِيمٌ بالرفع اي لا هو
كذلك - و الحِثُّ الذنب العظيم و منه قولهم بلغ الغلام الحِثَّ اي الحلم و رقت المواقضة بالمائم
و منه حث في يمينه خلاف بر فيها و يقال تحثت اذا تأتم و تخرج [أَوْ أَبَاؤُنَا] دخلت همزة الاستفهام
على حرف العطف - فان قلت كيف حسن العطف على المضمرة في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن -
قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَبَاؤُنَا لفصل لا المؤكدة للنفي -
و قرى أَوْ أَبَاؤُنَا - و قرى لَمَجْمُوعُونَ [إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ] الى ما وقعت به الدنيا من يوم معلوم و الاضافة
بمعنى من كخاتم فضة - و الميقات ما وقت به الشيء اي حد و منه مواقيت الاحرام و هي الحدود التي
لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما [إِلَيْهَا الصَّالُونَ] عن الهدى [الْمُكَذَّبُونَ] بالبعث و هم اهل
مكة و من في مثل حالهم [مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ] من الاولى لابتداء الغاية و الثانية لبيان الشجر و تفسيره
و أدت ضمير الشجر على المعنى و ذكره على اللفظ في قوله مِنْهَا و عَلَيْهِ - و من قرأ مِنْ شَجَرَةٍ مِّنْ زُقُومٍ
فقد جعل الضميرين للشجرة و انما ذكر الثاني على تأويل الزقوم لانه تفسيرها و هي في معناه [شُرْبَ
الْهَيْمِ] قرى بالحركات الثلاث فالفتح و الضم مصدران - و عن جعفر الصادق ايام اكل و شرب بفتح الشين -
و اما المكسور فبمعنى المشروب اي ما يشربه الهيم و هي الابل التي بها الهيم و هو داء تشرب منه ولا
ترعى جمع آهيم و هي ماء - قال ذو الرمة * شعرة * فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد * صداها و لا يقضي عليها هيامها *

لَغَوًّا وَلَا تَأْتِيَنَا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝ وَاصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۖ
وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ۖ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ۖ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ۖ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۖ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۖ وَفُرْشٍ
مَّرْفُوعَةٍ ۖ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ۖ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۖ عُرْبًا أَتْرَابًا ۖ لِاصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَثَلَاثَةٌ

النَّعِيمِ كَأَنَّهُ قَالَ هُمْ فِي جَنَّتٍ وَفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ وَحُورٍ - او على أَكْوَابٍ لان معنَى يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ يَنْعَمُونَ بِأَكْوَابٍ - وبالذنب على ويؤتون حُورًا [جَزَاءً] مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جَزَاءً بأعمالهم [سَلَامًا سَلَامًا] إما بدل من قِيلًا بدليل قوله لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغَوًّا إِلَّا سَلَامًا - وإما مفعول به لِقِيلًا بمعنَى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سَلَامًا سَلَامًا والمعنَى انهم يَقْشُونَ السلام بينهم فيستلمون سلامًا بعد سلام - وقرئ سَلَامٌ سَلَامٌ على الحكاية - السِدْرُ شجر الذبق - والمَخْضُودُ الذي لا شوك له كأنما خُضد شوكه - وعن مجاهد الموقر الذي تَنْثِي أغصانه كثرة حمله من خُضد الغصن اذا نذاه وهو رطب - والَطْلَحُ شجر الموز - وقيل هو شجر أرم غيلان وله نور كثير طيب الرائحة - وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل - وعن علي رضي الله عنه انه قرأ وَطَلْحٍ وما شان الطلح وقرأ قوله لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ فقيل أو نحوها فقال أي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول - وعن ابن عباس نحوه - والمَنْضُودُ الذي نُضد بالحمل من أسفله الى أعلاه فليست له ساق بارزة [وَظِلٍّ مَمْدُودٍ] ممتد منبسط لا يتقاص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس [مَسْكُوبٍ] يسكب لهم اين شاورًا وكيف شاورًا لا يتعذون فيه - وقيل دائم الجرية لا ينقطع - وقيل مصبوب يجري على الأرض في غير أخدود [لَا مَقْطُوعَةٍ] هي دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا [وَلَا مَمْنُوعَةٍ] لا تمنع من متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساطين الدنيا - وقرئ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ بالرفع على وهناك فَاكِهَةٌ كقوله وَحُورٌ عِينٌ - [وَفُرْشٍ] جمع فراش - وقرئ وَفُرْشٍ بالتخفيف [مَرْفُوعَةٍ] نُضدت حتى ارتفعت - او مَرْفُوعَةٍ على الاسرة - وقيل هي النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الراك قال الله تعالى هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِلُونَ ويدل عليه قوله إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً وعلى التفسير الاول اضمرن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن [أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً] ابتدأنا خلقهن ابتداءً جديداً من غير ولادة فاما ان يراه اللاتي ابتدعن انشاءهن او اللاتي أعيد انشاءهن - وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان أم سلمة سألته عن قول الله إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ فقال يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شُمَّطاً رَمَصاً جعلهن الله تعالى بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء كلما أذهن أزواجهن وجدنهن أبكاراً فلما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عائشة ذاك قالت وا وجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس هناك وجع - وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والله وسلم الله عليه وآله وسلم ادع الله ان يَدْخِلَنِي الْجَنَّةَ فقال ان الجنة لا تدخلها العجائز فوتت وهي تبكي فقال صلى الله عليه وآله وسلم

وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٥٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿٥٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ ﴿٥٦﴾ يُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿٥٧﴾
بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ ﴿٥٨﴾ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٥٩﴾ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿٦٠﴾ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٦١﴾ وَلَحْمٍ
طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٦٢﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٦٣﴾ كَأَمْثَالِ النُّجُومِ الْمَكْنُونِ ﴿٦٤﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٥﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا

سورة الواقعة ٥٤

الجزء ٢٧

ع ١٣

تمام الجملة وهو في مقابلة مَا أَصْحَابُ الْيَمِينَةِ وَمَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ [الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ] الذين
قَرَّبَتْ درجاتهم في الجنة من العرش وأُعليت مراتبهم - و قرئ في جَنَّةِ النَّعِيمِ - الثَّلَاثَةُ الْأُمَّةُ مِنَ النَّاسِ
الكثيرة - قال * شعر * وجاءت اليهم ثَلَاثُ خِزْدَانِيَّةٍ * بجيش كثير من السيل مُزِيدٌ * وقوله وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ
كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما ان الأمة من الأم وهو الشج كأنها جماعة كسرت
من الناس وقطعت منهم والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى مُحَمَّدٍ صَلَّى
الله عليه وآله وسلم وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ وهم امة مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وآله وسلم - وقيل مِنَ الْأَوَّلِينَ من متقدمي
هذه الأمة وَمِنَ الْآخِرِينَ من متأخريها - وعن الغبيري صلى الله عليه وآله وسلم الثَّلَاثَانِ جَمِيعًا مِنْ أُمَّتِي -
فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ قَالَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ثُمَّ قَالَ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ - قُلْتَ هَذَا فِي السَّابِقِينَ وَذَلِكَ فِي
أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَانَّهُمْ يَتَكَاثَرُونَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ جَمِيعًا - فَإِنْ قُلْتَ فَقَدْ رَوَى أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَرَاجِعُ رَبَّهُ حَتَّى نَزَلَتْ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ -
قُلْتَ هَذَا لَا يَصِحُّ لِأَمْرَيْنِ - أَحَدُهُمَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَارِدَةٌ فِي السَّابِقِينَ وَرَوَّادُ ظَاهِرًا وَكَذَلِكَ الثَّانِيَّةُ فِي أَصْحَابِ
الْيَمِينِ إِلَّا تَرَى كَيْفَ عَطَفَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ وَعَدُّهُمْ عَلَى السَّابِقِينَ وَعَدُّهُمْ - وَالثَّانِي أَنَّ النُّسْخَ فِي الْإِخْبَارِ
غَيْرُ جَائِزٍ - وَعَنِ الْحَسَنِ سَابِقُوا الْأَمَمَ أَكْثَرُ مِنْ سَابِقِي أُمَّتِنَا وَتَابَعُوا الْأَمَمَ مِثْلَ تَابِعِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَثَلَاثَةٌ خَبَرٌ
مَبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَيْ هُمْ ثَلَاثَةٌ - [مَوْضُونَةٍ] مَرْصُومَةٌ بِالذَّهَبِ مَشْبُكَةٌ بِالذَّهَبِ وَالْيَاقُوتُ قَدْ دَخَلَ بَعْضُهَا فِي
بَعْضٍ كَمَا يُوضَّن حُلُقُ الدَّرْعِ - قَالَ الْأَعَشَى * ع * وَمَنْ نَسَجَ دَاوُدَ مَوْضُونَةً * وَقِيلَ مَتَوَاصِلَةٌ أَدْنَى بَعْضُهَا مِنْ
بَعْضٍ - [مُتَّكِئِينَ] حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي عَلَى وَهُوَ الْعَامِلُ فِيهَا أَيْ اسْتَقَرَّ عَلَيْهَا مُتَّكِئِينَ [مُتَقَبِّلِينَ] لَا يَنْظُرُ
بَعْضُهُمْ فِي أَقْفَاءِ بَعْضٍ وَصَفُوا بِحَسَنِ الْعَشْرَةِ وَتَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَدَابِ [مُخَلَّدُونَ] مُبَدَّقُونَ أَبَدًا عَلَى شَكْلِ
الْوِلْدَانِ وَحَدِّ الْوَصَافَةِ لَا يَتَحَوَّلُونَ عَنْهُ - وَقِيلَ مُقَرَّبُونَ وَالْخُلْدَةُ الْقُرْطُ - وَقِيلَ هُمْ أَوْلَادُ أَهْلِ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ
لَهُمْ حَسَنَاتٌ فَيَتَابَعُوا عَلَيْهَا وَلَا سَيِّئَاتٌ فَيَعَاقِبُوا عَلَيْهَا رَوَى عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنِ الْحَسَنِ - وَفِي
الْحَدِيثِ أَوْلَادُ الْكُفَّارِ خُدَامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ - الْأَكْوَابُ أَرَانٌ بَلَا عُرَى وَخُرَاطِيمٌ - وَالْأَبَارِيقُ ذَوَاتُ الْخُرَاطِيمِ
[لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا] أَيْ بِسَبَبِهَا وَحَقِيقَتُهُ لَا يَصْدُرُ صَدَاعُهُمْ عَنْهَا - أَوْ لَا يَفْرَقُونَ عَنْهَا - وَقُرْأَ مُجَاهِدًا لَا يَصَدَّعُونَ بِمَعْنَى
لَا يَتَصَدَّعُونَ لَا يَتَفَرَّقُونَ كَقَوْلِهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ - وَيَصَّدَّعُونَ أَيْ لَا يَصْدَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَا يَفْرَقُونَهُمْ [يَتَخَيَّرُونَ]
يَأْخُذُونَ خَيْرَهُ وَافْضَلَهُ [يَشْتَهُونَ] يَتَمَذَّنُونَ - وَقرئ وَلَحْمٍ طَيْرٍ - وَقرئ وَحُورٌ عِينٌ بِالرَّفْعِ عَلَى وَفِيهَا حُورٌ
عَيْنٌ كَبِيرَتِ الْكِتَابِ * ع * الْأَرْوَاحُ جَمْرُهُنَّ هَبَاءٌ وَمَشْجَعٌ * أَوْ الْمَعْطَفُ عَلَى وَلدانٍ - وَبِالْجَرِّ عَطْفًا عَلَى جَنَّتِ

فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۖ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۚ نَاصِبٌ الِّمَيْمَنَةِ ۚ وَمَا أَصْحَابُ الِّمَيْمَنَةِ ۚ وَاصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۚ
مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۚ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۚ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ فِي جَنَّاتٍ الدَّعِيمِ ۖ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۚ

تكن لها رجعة ولا ارتداد - [خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ] على هي خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ترفع اقواما و تضع آخرين - إما وصفا لها بالشدة لأن الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب و يتضع ناس - وإما لان الاشقياء يحطون الى الدرجات والسعداء يرفعون الى الدرجات - و اما انها تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضها وترفع بعضها حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتكدر و تسير الجبال فتعمر في الجوامر السحاب - و قرى خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ بالنصب على الحال - [رَجَّت] حركت تحريكا شديدا حتى يتهدم كل شيء فوقها من جبل و بناء [وَبَسَّتِ الْجِبَالُ] وَفُتَّتِ حتى تعود كالسويق - او سقيت من بَسَّ الغنم اذا ساقها كقوله وَسَيَّرَتِ الْجِبَالُ [مُنْبَثًا] متفرقا - و قرى بالتاء اي متقطعا - و قرى رَجَّتْ وَبَسَّتْ اي ارتجت و ذهبت و في كلام بنت الخُس عيذها هاج و صلاها راج و هي تمشي و تفاج - فان قلت بم انتصب اذا رَجَّتْ - قلت هو بدل من اذا رَقَعَتْ - و يجوز ان ينتصب بخَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ اي تخفض وترفع وقت رج الارض و بس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع و يرتفع ما هو منخفض [أَزْوَاجًا] اصنافا يقال للاصناف التي بعضها مع بعض او يذكر بعضها مع بعض ازواج * [فَاصْحَابُ الِّمَيْمَنَةِ] الذين يؤتون صحائفهم بيمينهم - [وَاصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ] الذين يؤتونها بشمالهم - و اصحاب المنزلة السنية و اصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين و فلان مني بالشمال اذا وصفتها بالرفعة عندك و الضعة و ذلك لتيمنهم باليمين و تشؤمهم بالشمال و لتفأولهم بالسانح و تطيرهم من البارج و لذلك اشتقوا اليمين الاسم من اليمن و سمو الشمال الشومى - و قيل اصْحَابُ الِّمَيْمَنَةِ وَاصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ اصحاب اليمن و الشوم لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم و الاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم - و قيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين و باهل النار ذات الشمال - [وَالسَّابِقُونَ] المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه و شقوا الغبار في طلب مرضاة الله - و قيل الناس ثلثة - فرجل ابتكر الخير في حياته سنة ثم دام عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب - و رجل ابتكر عمرة بالذنب و طول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين - و رجل ابتكر الشرف في حياته سنة ثم لم ينزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال [مَا أَصْحَابُ الِّمَيْمَنَةِ - وَمَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ] تعجيب من حال الفريقين في السعادة و الشقاوة و المعنى اي شيء هم [وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ] يريد و السابقون من عرفت حالهم و بلغت وصفهم كقوله و عبد الله عبد الله و قول ابى التجم و شعري شعري كأنه قال و شعري ما انتهى اليك و سمعت بفصاحته و براعته - و قد جعل السَّابِقُونَ تأكيداً و أولئك الْمُقَرَّبُونَ خبرا و ليس بذلك - و وقف بعضهم على و السَّابِقُونَ و ابتدأ السَّابِقُونَ أولئك الْمُقَرَّبُونَ و الصواب ان يوقف على الثاني لانه

سورة الواقعة ٥٦

الجزء ٢٧

ع ١٣

حروفها
١٧٩٨

سورة الواقعة مكية وهي ست وتسعون آية وثلاثة ركوعا •

كلماتها
٣٨٤

الْأَلِفِ رَبِّكُمْ تَكْذِبِينَ ۝ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

إِذَا رَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۝

كل ثوب عريض رفرف و يقال لاطراف البسط و فضول القسطاط رفارف و رفرف السحاب هيدبه -
و العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب - و قرى
رفارف خضوبضمتين - و عباقري كمدايقي نسبة الى عبقر في اسم البلد - و روى ابو حاتم عباقري بفتح
القاف و منع انصرف و هذا لا وجه لصحته - فان قلت كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين
حتى قيل و من دونهما - قلت مدهامتين دون ذواتا افنان و نضاختن دون تجرين و فاكهة دون
كل فاكهة و كذلك صفة الحور و المتكأ - و قرى ذو الجلال صفة للاسم - عن رسول الله صلى الله عليه و اله
و سلم من قرأ سورة الرحمن ادنى شكر ما انعم الله عليه •

سورة الواقعة

[رَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ] كقولك كانت الكائنة و حدثت الحادثة و المراد القيمة و صفت بالوقوع لانها تقع
لا محالة فكانه قيل اذا وقعت اللتي لا بد من وقوعها و وقوع الامر نزوله يقال وقع ما كذبت اتوقعه اي نزل
ما كذبت اترقب نزوله - فان قلت بم انتصب اذا - قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل - او
بمحذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت - او باضمار انكر - [كَاذِبَةٌ] نفس كاذبة اي لا تكون حين تقع نفس تكذب
على الله و تكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة و اكثر النفوس اليوم
كواذب مكذبات كقوله تعالى فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَهَدَىٰ - لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ - وَلَا
يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ في قوله تعالى يَلِيَّتَنِي قَدَمْتُ
لِحَيَاتِي - او ليس لها نفس تكذبها و تقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكوني -
او هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعت على مباشرته و قالت له انك تطيقه
و ما فوقه فتعرض له و لا تبدل به على معنى انها واقعة لا تطاق شدة و فظاعة و ان لا نفس حينئذ تحدث
صاحبها بما تحدثه به عند عظام الامور و تزين له احتمالها و اطاعتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك و اذل
الا ترى الى قوله كالفرأش المبتوث و الفراش مثل في الضعف - و قيل كاذبة مصدر كالعافية بمعنى
التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب اي فما جبن و ما تثبط و حقيقته فما كذب نفسه فيما حدثه
به من اطاعته له و اقدامه عليه - قال زهير * ع * اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا * اي اذا رقت لم

سورة الرحمن ٥٥ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَانُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ ۝ وَ جَدَا الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ فِيهِنَّ قِصْرٌ الطَّرِيفُ لَمْ يَطْمِئْنَنْ أَنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَيْنِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ مُدْهَمَّتَيْنِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ نَضَاجَتَيْنِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ فِيهِنَّ خَيْرٌ حَسَنٌ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ لَمْ يَطْمِئْنَنْ أَنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خَضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝ فَبِأَيِّ

نصب على المدح للخاصين - او حال منهم لان مَنْ خَافَ في معنى الجمع - [بَطَانُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ] من ديباج نخين و اذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك بالظواهر - وقيل ظواهرها من سُندس - وقيل من نور - [دَانٍ] قريب يناله القائم والقاعد والذائم - و قرئ وَجَدَا بِكسر الجيم - [فِيهِنَّ] في هذه الآلاء المعدودة من الجننتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى - او في الجننتين لاشتغالهما على اماكن وقصور ومجالس [قِصْرٌ الطَّرِيفُ] ذساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم [لَمْ يَطْمِئْنَنْ] الانسيات منهن احد من الانس ولا الجننيات احد من الجن وهذا دليل على ان الجن يطمئنون كما يطمئ الانس - و قرئ لَمْ يَطْمِئْنَنْ بضم الميم - قيل هن في صفاء الياقوت و بيض المرجان و صغار الدار انصع بيضا - قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى من ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء [هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ] في العمل [إِلَّا الْإِحْسَانُ] في الثواب - وعن محمد بن الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة يعني ان كل من أحسن أحسن اليه وكل من اساء أسى اليه [وَمِنْ دُونِهِمَا] و من دون تينك الجننتين الموعودتين بالمقربين [جَنَّتَيْنِ] لمن دونهم من اصحاب اليمين [مُدْهَمَّتَيْنِ] قد ادهمتا من شدة الخضرة [نَضَاجَتَيْنِ] فوارتان بالماء والنضج اكثر من النضج لان النضج غير معجمة مثل الرش - فان قلت لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها - قلت اختصاصا لهما و بيدنا لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان اُخران كقوله جَبْرِيلٌ وَمِيكَائِيلُ - او لان النخل ثمرة فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه - ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله اذا حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمانا او رطباً لم يحذف وخالفه صاحبه * [خَيْرَاتٌ] خيرات فحققت كقوله عليه السلام هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ و اما خير الذي هو بمعنى اخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات - و قرئ خَيْرَاتٌ على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق - [مَقْصُورَاتٌ] قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة ومقصورة وقصورة مخدرة - وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مخوفة [قَبْلَهُمْ] قبل اصحاب الجننتين دل عليهم ذكر الجننتين [مُتَكَبِّرِينَ] نصب على الاختصاص [وَالرَّفْرَفُ] ضرب من البسط - وقيل البسط - وقيل الوسائد - وقيل

رَبِّكُمْ تَكْذِبِينَ ۝ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ۝ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ ذَوَاتَا أَفْئَانٍ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝

سورة الرحمن ٥٥
الجزء ٢٧
ع ١٢

الانسان في قوله [عَنْ ذَنْبِهِ] لكونه في معنى البعض - والمعنى لا يسألون لانهم يعرفون بسيماء المجرمين وهي سواد الوجوه و زرقه العيون - فان قلت هذا خلاف قوله فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ وقوله وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ - قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر - قال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون - وقيل لا يسأل عَنْ ذَنْبِهِ ليعلم عن جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ - وقرأ الحسن وعمر بن عبد و لا جَانَّ فَرَارًا عَنِ الْقَتْلِ السَّاكِنِينَ وان كان على حدة [فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ] عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره - وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالأقدام [حَمِيمٍ أَنْ] ماء حار قد انتهى حره ونضجه اي يعاقب عليهم بين التصلية بالغاز وبين شرب الحميم - وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم - وقيل ان واديا من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تذبل اوصالهم ثم يُخْرِجُونَ منها وقد احدث الله لهم خلقا جديدا - قرى يَطُوفُونَ من التطويف - ويطوفون اي يتطوفون - ويطافون - وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ تَصْلِينَ لا تَمُوتُنَّ فِيهَا وَلا تُكَيِّينَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا - ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الانذار به من اللطف * [مَقَامَ رَبِّهِ] موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة يوم يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ونحوه لِمَنْ خَافَ مَقَامِي - ويجوز ان يراد بمَقَامَ رَبِّهِ ان الله قائم عليه اي حافظ مهيمن من قوله آمَنَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصية - وقيل هو مقحم كما تقول اخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك - وانشد * ع * ونفدت عنه مقام الذنب كالرجل اللعين * يريد ونفدت عنه الذنب - فان قلت لم قال [جَنَّتَانِ] - قلت الخطاب للثقلين فكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي و جنة للخائف الجنّي - ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لتترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما - وان يقال جنة يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله وَزِيَادَةٌ - خص الافئان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تُجْتَنَى الثمار - وقيل الافئان أنوان النعم ما تشتهى النفس وتلد الاعين - قال * شعر * ومن كل افئان اللذذة والصبي * لهوت به والعيش اخضر ناضر * [عَيْنَانِ تَجْرِيانِ] حيث شاورا في الاعالي والاسافل - وقيل تَجْرِيانِ من جبل من مسك - وعن الحسن تَجْرِيانِ بالماء الزلال احداهما للتسليم والاخرى السلسبيل [زَوْجَانِ] صنفان - قيل صنف معروف وصنف غريب [مُتَكَبِّرِينَ]

يَوْمَ هُوَ فِي شَأْنٍ ۖ فَبَيِّنَا إِلَهُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۖ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَيْنِ ۖ فَبَيِّنَا إِلَهُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۖ يَمْعَشَرِ
 الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطْعَمْتُمْ أَنْ تَقْدُودُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْقُدُوا ۖ لَا تَقْدُودُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ۖ
 فَبَيِّنَا إِلَهُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۖ يُرْسِلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظَ مِّنْ نَّارٍ ۖ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرُونَ ۖ فَبَيِّنَا إِلَهُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۖ
 فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً ۖ كَالِدِهَانِ ۖ فَبَيِّنَا إِلَهُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۖ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ
 وَلَا جَانٌ ۖ فَبَيِّنَا إِلَهُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۖ يَعْرِفُ الْمَجْرِمُونَ بِسِيمِهِمْ فَيَوْخَذُ بِالْأَوَاصِي ۖ وَالْأَقْدَامِ ۖ فَبَيِّنَا إِلَهُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۖ

حملة - و اما قوله و ان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلاً و لي ان اجزيه بواحدة
 الفا فضلاً - و اما قوله كل يوم هو في شأن فانها شؤن يبدئها لا شؤن يبتدئها فقام عبد الله و قبل رأسه
 و سوغ خراجة - [سنفرغ لكم] مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك يريد ساتجرد لا يقاع بك
 من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه و المراد التوكل على النكاية فيه و الانتقام منه -
 و يجوز ان يراد ستنتهي الدنيا و تباع اخرها و تنتهي عند ذلك شؤن الخلق اللتي ارادها بقوله كل يوم
 هو في شأن فلا يبقى الا شان واحد و هو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل - و قرئ سيفرغ
 لكم اي الله تعالى - و سافرغ لكم - و سنفرغ بالذنون مفتوحا و مكسورا و بفتح الراء - و سيفرغ بالياء
 مفتوحا و مضموما مع فتح الراء - و في قراءة ابي سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم - و [الثقلان] الانس و الجن
 سميا بذلك لانهما ثقلا الارض * [يمعشر الجن و الانس] كالترجمة لقوله اي الثقلان [ان استطعتم]
 ان تهربوا من قضائي و تخرجوا من ملكوتي و من سمائي و ارضي فافعلوا ثم قال لا تقدرُونَ على النفوذ
 [الا بسلطان] يعنني بقوة و قهر و غلبة و انى لكم ذلك و نحوه و ما انتم بمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ -
 و روي ان الملكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن و الانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملكة
 احاطت به * شواظ - و نحاس كلاهما بالضم و الكسر - و الشواظ اللهب الخالص - و النحاس الدخان - و انشد * شعر *
 تضيء كضوء سراج السليط * لم يجعل الله فيه نحاسا * و قيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم - و عن ابن
 عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر - و قرئ و نحاس مرفوعا عطفا على شواظ - و مجرورا
 عطفا على نار - و قرئ و نحاس جمع نحاس و هو الدخان نحو الحاف و الحف - و قرئ و نحاس اي و نقتل
 بالعداب - و قرئ نرسل عليكم شواظا من نار و نحاسا - [فلا تنتصرون] فلا تمتنعان * [وردة] حمراء [كالدھان]
 كدهن الزيت كما قال كالمهل و هو دردي الزيت و هو جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام و الادام - قال
 الشاعر * شعر * كأنهما ميزان متعجل * فريان لما تدهنا بدهان * و قيل الدهان الاديم الاحمر - و قرأ عمرو بن
 عبيد وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة و هو من الكلام الذي يستعمل التجريد كقوله * شعر * فلئن بقيت
 لارحلن بغزوة * نحو الغنائم او يموت كريم * [انس] بعض من الانس [و لا جان] اريد به و لا جن اي و لا
 بعض من الجن فوضع الجان الذي هو ابو الجن موضع الجن كما يقال هاشم و يران ولده - و انما و حد ضمير

رَبِّكُمْ تَكْذِبِينَ ۝ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝
وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ

سورة الرحمن ٥٥

الجزء ٢٧

ع ١١

النصف

لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب • الجوّاري السفن - وقرى الجوّار بحذف الياء ورفع الراء - ونحوه *
شعر لها ثنيا اربع حسان * و اربع فكلها ثمان * [والمُنشَآتُ] المرفوعات الشُّرع - وقرى بكسر الشين وهي
الرافعات الشُّرع - او اللاتي يُنشِين الامواج بجريهن - و الأعلام جمع علم وهو الجبل الطويل * [عَلَيْهَا] على
الارض [وَجْهَ رَبِّكَ] ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات - ومساكين مئة يقولون اين وجه عربي
كريم يُنقذني من الهوان - و [ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ] صفة الوجه - وقرأ عبد الله ذي على صفة رَبِّكَ ومعناه
الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه و عن انعالهم - او الذي يقال له ما اجلك و اكرمك - او
من عنده الجلال والاكرام المخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله - ولقد قال رسول الله
صلّى الله عليه وآله وسلم اطّوبوا بيذا الجلال والاكرام - وعنه عليه السلام انه مرّ برجل وهو يصلي ويقول
يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك - فان قلت ما الذمة في ذلك - قلت اعظم النعمة وهو
مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك * كل من اهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله اهل السموات ما
يتعلق بدينهم و اهل الارض ما يتعلق بدينهم و دنياهم - [كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ] اي كل وقت و حين يحدث
امورا ويجدد احوالا - كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه تلاها ف قيل له و ما ذلك الشأن
فقال من شأنه ان يغفر ذنبا و يفرج كربا و يرفع قوما و يضع آخرين - و عن ابن عيّنة الدهر عند الله
يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشانه فيه الامر و النهي و الامانة و الاحياء و الاعطاء و المنع
و الاخر يوم القيمة فشانه فيه الجزاء و الحساب - و قيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم
السبت شيئا - و سأل بعض الملوك وزيرا عنها فاستمهل الى الغد و ذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له اسود
يا مولاي اخبرني ما اصابك لعن الله يستهل لك على يدتي فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال
ايها الملك شان الله انه يُولج الليل في النهار و يُولج النهار في الليل و يُخرج الحي من الميت و يُخرج
الميت من الحي و يشفي سقيما و يسقم سليما و يبتلي مُعافي و يعافي مبتلى و يُعزّذ ليلا و يُذلّ عزيزا
و يُفقر غنيا و يُغذي فقيرا فقال الامير احسنت و امر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا
من شان الله - و عن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل و قال له اُشكلت علي ثلث ايات
دعوتك لتكشفها لي - قوله تعالى فَاصْبِرْ مِنَ الدِّمِيقِ و قد صح ان الندم توبة - وقوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ
و صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة - وقوله وَ أَنْ لَيْدَسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى فما بال الاضعاف -
فقال الحسين و يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة و يكون توبة في هذه الامة لان الله تعالى خص
هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم - و قيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على

الْمِيزَانَ ۝ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝ وَالْحَبُّ ذُرُّ الْعَصْفِ ۝ وَالرَّيْحَانُ ۝
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ۝ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ ۝ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝
بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ ۝ يُخْرِجُ مِنْهُمَا الْمَوْءُوءَ وَالْمَرْجَانَ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ

على الماء [لِلْأَنَامِ] للخلق وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة - وعن الحسن الأنس والجبن فهي كالمهاد
لهم يتصرفون فوقها [فَاكِهَةٌ] ضروب مما يتفكه به - و الْأَكْمَامُ كل ما يكتم أي يغطي من ليفه وسعفه وكفراه وكله
منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمرة وجواره وجذوعه - وقيل الْأَكْمَامُ أوعية الثمر الواحد كتم بكسر الكاف -
و الْعَصْف ورق الزرع - وقيل التبن - [وَالرَّيْحَانُ] الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه
والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب - قريى وَالرَّيْحَانُ بالكسر
ومعناه وَالْحَبُّ ذُرُّ الْعَصْفِ الذي هو علف الأنعام وَالرَّيْحَانُ الذي هو مطعم الناس - وبالضم على وذو الريحان
فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه - وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشتم - وفي مصاحف
اهل الشام وَالْحَبُّ ذَا الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ أي وخلق الحب والريحان أو اخص الحب والريحان -
و يجوز ان يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه - والخطاب في [رَبِّكُمَا تُكَذِّبِينَ]
للتقايين بدلالة الآفام عليهما وقوله سَفَّعَ لَكُمْ آيَةَ الثَّقَانِ - الصَّلْصَالُ الطين اليابس له صلصلة - و الْفَخَّارُ
الطين المطبوخ بالنار وهو الخنزف - فَاَن قُلْتَ قد اختلف التنزيل في هذا وذلك قوله عز وجل مِنْ
حَمَإٍ مَّسْنُونٍ - مِنْ طِينٍ لَّزِبٍ - مِنْ تَرَابٍ - قُلْتَ هو متفق في المعنى ومفيد انه خلقه من تراب جعله طينا
ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا - والجآن ابو الجن - وقيل هو ابليس - و المَارِجُ اللهب الصافي الذي لا دخان
فيه - وقيل المختلط بسواد النار من مَرَجَ الشيء اذا اضطرب واختلف - فَاَن قُلْتَ فما معنى قوله [مِنْ نَارٍ] -
قُلْتَ هو بيان لِمَارِجٍ كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة كقوله فَاَنذَرْتُكُمْ نَارًا
تَلَظَّى * قريى رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ بالتجريد لا من رَبِّكُمَا و اراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما *
[مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ] ارسل البحر الملح والبحر العذب متجاوزين متلاقيين لا فصل بين المائين في مرأى
العين [بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ] حاجز من قدرة الله [لَا يَبْغِيَانِ] لا يتجاوزان حدييهما ولا يبغى احدهما على
الاخر بالممازجة - قريى يُخْرِجُ - و يُخْرِجُ من اخرج وخرج - و يُخْرِجُ أي الله عز وجل الْمَوْءُوءَ الْمَرْجَانَ
بالنصب - و نُخْرِجُ بالذنون - وَالْمَوْءُوءُ الدر - والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البُسد - وقيل الْمَوْءُوءُ كبد الدر و
المرجان صغارة - فَاَن قُلْتَ لم قال مِنْهُمَا وانما يخرجان من الملح - قُلْتَ لما التقيا وصارا كالشيء الواحد
جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه
و تقول خرجت من البلدة وانما خرجت من محلة من محلة بل من دار واحدة من دوة - وقيل

يَسْجُدْنَ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا

سورة الرحمن ٥٥

الجزء ٢٧

ع ١٠

مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرهما أخبار مترادفة - وإخلاؤها من العاطف لمجديها على نمط التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقرا عزك بعد ذل كذرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل احد باحد فما تذكر من احسانه - [بحسبان] بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما - وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب [والنجم] الذبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالقول [والشجر] الذي له ساق وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقاه وانهما لا يمتنعان تشبيها بالساجدين من المكلفين في انقياده - فان قلت كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن - قلت استغني فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبان السجود له لا لغيره كانه قيل والشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان له - فان قلت كيف اخل بالعاطف في الجمل الاول ثم جيء به بعد - قلت بكت بتلك الجمل الاول وارادة على سذن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريب الذين انكروا الرحمن ولاءه كما يهتكت معكر ايادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف - فان قلت اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف - قلت ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيطين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر - وقيل علم القرآن جعله علامة و آية - وعن ابن عباس الانسان آدم - وعنه ايضا محمد صلى الله عليه وآله وسلم - وعن مجاهد النجم نجوم السماء • [والسما رفعها] خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملكوته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه - ونبة بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه - [ووضع الميزان] - وفي قراءة عبد الله وخفف الميزان و اراد به كل ما يوزن به الاشياء وتعرف بمقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدونهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم [ألا تطغوا] لأن لا تطغوا - او هي ان المفسرة - وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير أن على ارادة القول - [وأقيموا الوزن بالقسط] وقوموا وزنكم بالعدل [ولا تخسروا الميزان] ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان - وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه - وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح الداء وضم السين - وكسرها - وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واصل الفعل [وضعها] خفضها مدحوة

سورة الرحمن ٥٥
الجزء ٢٧
ع ١٠
ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا شَعَاعَكُمْ
فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ۝ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ۝

كلماتها ٣٥١
سورة الرحمن مكية وهي ثمان وسبعون آية وثلاثة ركوعاً *
حروفها ١٩٨٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝
الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ

النار اذا اصابتهم بحرها و لحقتهم بايلامها فكانها تمسهم مساً بذاك كما يمس الحيوان و يباشر بما يؤذي
و يؤلم [ذُوقُوا] على ارادة القول - و سَقَرَ علم لجهنم من سقرته النار و سقرته اذا لوحته - قال ذو الرمة * شعر * اذا
ذابت الشمس اتقى صقراتها * بافنانٍ مربع الصريمة مغبل * وعدم صرفها للتعريف والتأنيث * [كُلُّ شَيْءٍ] *
منصوب بفعل مضمير يفسره الظاهر - و قرئ كُلُّ شَيْءٍ بالرفع - والقَدَر والقَدْر التقدير - و قرئ بهما - اي خلقنا
كل شيء مقدراً محكماً مرتباً على حسب ما اقتضته الحكمة - او مقدراً مكتوباً في اللوح معلوماً قبل كونه قد
علمنا حاله وزمانه * [وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ] الا كلمة واحدة سريعة التكوين [كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ] اراد قوله كُنْ يعني
انه اذا اراد تكوين شيء لم يلبث كونه - [أَشْيَاعَكُمْ] اشباهكم في الكفر من الامم - [فِي الزُّبُرِ] في دواوين الحفظه -
[وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ] من الاعمال ومن كل ما هو كائن [مُسْتَطَرٌّ] مسطور في اللوح [وَنَهَرٍ] وانهار اكتفي
باسم الجنس - وقيل هو السعة والضياء من النهار - و قرئ بسكون الهاء - وَنَهَرٍ جمع نَهَرٍ كَأَسَدٍ وَأُسْدٍ [فِي
مَقْعَدٍ صَدَقٍ] في مكان مرضي - و قرئ فِي مَقْعَدٍ صَدَقٍ [عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ] مقربين عند ملك مبهم
امره في الملك و الاقتدار فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاني منزلة اكرم من تلك المنزلة و اجمع
للغبطة كلها و السعادة باسرها - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة القدر في كل غيب
بعثه الله يوم القيمة ووجهه مثل انقمر ليلة البدر *

سورة الرحمن

عَدَدُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَلَا فَاَرَادَ أَنْ يَقْدَمَ أَوَّلُ شَيْءٍ مَا هُوَ أَمَقُّ قَدَمًا مِنْ ضَرْبِ الْأَنَّةِ وَأَصْدَفُ نِعْمَاتِهِ وَهِيَ
نِعْمَةُ الدِّينِ - فَقَدَّمَ مِنْ نِعْمَةِ الدِّينِ مَا هُوَ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِهَا وَأَقْصَى مَرَاتِبِهَا وَهُوَ أَنْعَامُهُ بِالْقُرْآنِ وَتَفْزِيلُهُ وَ
تَعْلِيمُهُ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ وَحْيِ اللَّهِ رَتَبَةً وَأَعْلَاهُ مَنْزِلَةً وَأَحْسَنُهُ فِي أَبْوَابِ الدِّينِ اثْرًا وَهُوَ سَنَامُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَ
مِصْدَاقِهَا وَالْعِيَارِ عَلَيْهَا - وَآخِرُ ذِكْرِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ عَنْ ذِكْرِهِ ثُمَّ أَتْبَعَهُ آيَاتِهِ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ أَمَّا خَلْقُهُ لِلدِّينِ وَلِيَحْصِلَ
عِلْمًا بِوَحْيِهِ وَكُتُبِهِ وَمَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ أَجَلِهِ وَكَانَ الْغَرَضُ فِي أَنْشَأَتِهِ كَانَ مُقَدِّمًا عَلَيْهِ وَسَابِقًا لَهُ -
ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَتَمَيَّزُ بِهِ مِنَ سَائِرِ الْحَيَوَانِ مِنَ الْبَيَانِ وَهُوَ الْمَنْطِقُ الْفَصِيحُ الْمُعْرَبُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ - وَالرَّحْمَنُ

فَذَرُّوْا عَذَابِي وَنَذِرْ ۝ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ۝ فَذَرُّوْا عَذَابِي وَنَذِرْ ۝ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ۝ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِرُ ۝ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ ۝ أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ
مِنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۝ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ۝ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝ بَلِ السَّاعَةُ
مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ ۝ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ط

سورة القمر ٥٤

الجزء ٢٧

ع ٩

وجعلناها كسائر الوجوه لا يرى لها شق - روي انهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت
الملئكة خلهم يدخلوا اذا رسل ربك لن يصلوا اليك نصفهم جبرئيل بجناحه صفقة فتركهم يترددون
لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط [فَذَرُّوْا] فقلت لهم ذرّوا على السنة الملئكة - [بُكْرَةً] اول
النهار وباكراً كقوله مُشْرِقِينَ وَمُصْبِحِينَ - وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه بكرة غير منصرفة تقول اتيتك بكرة
وغدوة بالتدوين اذا اردت التنكير وبكرة وغدوة اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته [عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ]
ثابت قد استقر عليهم الى ان يقضي بهم الى عذاب الآخرة - فان قلت ما فائدة تكرير قوله فَذَرُّوْا عَذَابِي
وَنَذِرْ - وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ - قلت فائدته ان يجددوا عند استماع كل نداء من انبياء
الاولين اذكارا وَاَعَاظًا وَاَنْ يَسْتَأْنِفُوا تَنْجِيَهُمْ وَاسْتِيقَظَا اِذَا سَمِعُوا الْحَثَّ عَلَى ذَاكَ وَالْبُعْثَ عَلَيْهِ وَاَنْ
يَقْرَعَ لَهُمُ الْعَصَا مَرَاتٍ وَيَقْعَقَ لَهُمُ الشَّنُّ تَارَاتٍ لئلا يغلبهم السهو ولا يستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم الكتير
لقوله فَبِآيِ الْآءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبِينَ عند كل نعمة عدّها في سورة الرحمن وقوله وَيَلُ لَّيَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ عند كل آية اوردّها
في سورة والمرسلات وكذلك تكرير الانبياء والقصاص في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة
لانها مذكورة غير منسية في كل اوان * [النَّذِرُ] موسى وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما عرّضا عليهم
ما أنذر به المرسلون - او جمع نذير وهو الانذار [بِآيَاتِنَا كُلِّهَا] بالآيات التسع [أَخَذَ عَزِيزٌ] لا يغالب [مُقْتَدِرٌ]
لا يعجزه شيء * [أَكْفَارَكُمْ] يا اهل مكة [خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ] الكفار المعصودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وال
فرعون اي اهل خير قوة و آلة ومكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعذبني ان كفاركم مثل اولئك بل شر
منهم [أَمْ] أنزلت عليكم يا اهل مكة [بَرَاءَةٌ] في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان أمدا من
عذاب الله تعالى فأمّنتم بذلك البراءة [نَحْنُ جَمِيعٌ] جماعة أمرنا مجتمع [مُنْتَصِرُونَ] ممتنع لا يرام ولا
يضام - وعن ابي جهل انه ضرب فرسه يوم بدر فتقدّم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد
واسحابه فنزلت سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ - عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر اي جمع يهزم فلما رأى رسول الله
صلّى الله عليه وآله وسلم يثب في الدرع ويقول سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ عرف تأويلها [وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ] اي الأدبار كما
قال (كلوا في بعض بطنكم) وقرئ الأدبار ان هي اشد وانقطع - والداهية الامر المذكر الذي لا يهتدى ادوائه
وامر من الهزيمة والقتل والاسر - وقرئ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ [فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ] في هلاك ونييران - او في ضلال
عن الحق في الدنيا ونييران في الآخرة [مَسَّ سَعَرَ] كقولك وجدّ مس الحمى وذاق طعم الضرب لن

بَيْنَنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌ ۖ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَابِ الْآشَرِ ۖ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ۖ وَبَيْنَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ۚ كُلُّ شَرِبٍ مُحْتَضَرٌ ۖ فَذَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ۖ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ۖ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ۖ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۖ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ ۖ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ۖ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا ۖ كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۖ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتْنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۖ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ

السُّعْرُ الْجَنُونُ يُقَالُ نَاقَةٌ مَسْعُورَةٌ - قَالَ * شعراً * كَانَ بِهَا سُعْرٌ إِذَا الْعَيْسُ هَرَّهَا * ذَمِيلٌ وَإِرْخَاءٌ مِنَ السَّيْرِ مُتَعَبٌ *
فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ انْكَرُوا أَنْ يَتَّبِعُوا بَشَرًا مِنْهُمْ وَاحِدًا - قُلْتَ قَالُوا أَبَشَرًا انْكَارًا لَّانِ يَتَّبِعُوا مِثْلَهُمْ فِي
الْجَنَسِيَّةِ فَطَلَبُوا أَنْ يَكُونَ مِنْ جَنَسِ أَعْلَى مِنْ جَنَسِ الْبَشَرِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ - وَقَالُوا مِمَّا لَأنَّهُ إِذَا كَانَ مِنْهُمْ
كَانَتْ الْمِثَالَةُ أَقْوَى - وَقَالُوا وَاحِدًا انْكَارًا لَّانِ تَتَّبِعُ الْأُمَّةَ رَجُلًا وَاحِدًا - أَوْ ارَادُوا وَاحِدًا مِنْ أَفْنَانِهِمْ لَيْسَ
بِأَفْضَلِهِمْ وَأَشْرَفِهِمْ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُمْ [ءَ الْقِيَّ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا] أَيْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ مِنْ بَيْنِنَا وَفِينَا
مَنْ هُوَ أَحَقُّ مِنْهُ بِالْإِخْتِيَارِ لِلذَّبْوَةِ - [أَشَرٌ] بِطَرٍّ مُتَكَبِّرٍ حَمَلَهُ بِطَرٍّ وَشَطَارَتِهِ وَطَلَبَهُ التَّعَظُّمَ عَلَيْنَا عَلَى ادِّعَاءِ
ذَلِكَ - [سَيَعْلَمُونَ غَدًا] عِنْدَ نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ أَوْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ [مِّنَ الْكَذَابِ الْآشَرِ] أَصَالِحٌ أَمْ مِنْ كَذِبِهِ - وَقُرْئِي
سَتَعْلَمُونَ بِالنَّاءِ عَلَى حِكَايَةِ مَا قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ مُّجِيبًا لَهُمْ - أَوْ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِتِّفَاقِ - وَقُرْئِي الْآشَرُ
بِضَمِّ الشَّيْنِ كَقَوْلِهِمْ حَدِثْ وَحَدَّثْ وَحَذِرْ وَحَذَّرْ وَإِخْوَاتُهَا - وَقُرْئِي الْآشَرُ وَهُوَ الْإِبْلَغُ فِي الشَّرَارَةِ
وَالْأَخِيرُ وَالْآشَرُ أَصْلُ قَوْلِهِمْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَشَرٌّ مِنْهُ وَهُوَ أَصْلُ مَرْفُوضٍ وَقَدْ حَكَى ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ قَوْلَ الْعَرَبِ
هُوَ أَخِيرٌ وَآشَرٌ وَمَا أَخِيرَةٌ وَمَا آشَرَةٌ * [مُرْسِلُوا النَّاقَةَ] بِاعْتِثُوهَا وَمَخْرَجُوهَا مِنَ الْهَضْبَةِ كَمَا سَأَلُوا [فِتْنَةً لَهُمْ]
امْتِحَانًا لَهُمْ وَابْتِلَاءً [فَارْتَقِبْهُمْ] فَانْتَظِرْهُمْ وَتَبَصَّرْ مَا هُمْ صَانِعُونَ [وَاصْطَبِرْ] عَلَى إِذَاهُمْ وَلَا تَعْجَلْ
حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي [قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ] مَقْسُومٌ بَيْنَهُمْ لَهَا شَرْبُ يَوْمٍ وَلَهُمْ شَرْبُ يَوْمٍ - وَإِنَّمَا قَالَ بَيْنَهُمْ تَغْلِيْبًا
لِّلْعُقْلَاءِ [مُحْتَضَرٌ] مُحْضُورٌ لَهُمْ أَوْ لِلنَّاقَةِ - وَقِيلَ يُحْضِرُونَ الْمَاءَ فِي نَوْبَتِهِمْ وَالدُّنَى فِي نَوْبَتِهَا - [صَاحِبَهُمْ]
قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ أَحْيَمَرُ ثُمُودَ [فَتَعَاطَى] فَاجْتَرَأَ عَلَى تَعَاطَى الْأَمْرِ الْعَظِيمِ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ لَهُ فَاحْدَثَ انْعَقَرَ
بِالنَّاقَةِ - وَقِيلَ فَتَعَاطَى النَّاقَةُ فَعَقَرَهَا أَوْ فَتَعَاطَى السَّيْفُ [صَيْحَةً وَاحِدَةً] صَيْحَةُ جَبْرِئِيلَ - وَالْهَشِيمُ الشَّجَرُ
الْيَابِسُ الْمَتَكْسِرُ الْمُتَهَشَّمُ - وَالْمُحْتَظِرُ الَّذِي يَعْمَلُ الْحَظِيرَةَ وَمَا يُحْتَظَرُ بِهِ يَبْدُسُ بِطُولِ الزَّمَانِ وَتَبَوَّطَاهُ الْبَهَائِمُ
فَيَتَحَطَّمُ وَيَتَهَشَّمُ - وَقُرْأَ الْحَسَنُ بِفَتْحِ الظَّاءِ وَهُوَ مَوْضِعُ الْإِحْتِظَارِ أَيْ الْحَظِيرَةُ [حَاصِبًا] رِيحَاتُ كَصَبَبِهِم بِالْحِجَارَةِ
أَيْ تَرْمِيهِمْ [بِسَحَرٍ] بِقَطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ السُّدُسُ الْآخِرُ مِنْهُ - وَقِيلَ هُمَا سَحَرَانِ فَالسَّحَرُ الْأَعْلَى قَبْلَ
انْصِدَاعِ الْفَجْرِ وَالْآخِرُ عِنْدَ انْصِدَاعِهِ - وَانْشُدْ * ع * مَرَّتْ بِأَعْلَى السَّحَرَيْنِ تَدَاُلٌ * وَصَرَفَ لِأَنَّهُ نَكْرَةٌ وَيُقَالُ لِقَيْتُهُ
سَحَرٌ إِذَا لَقِيْتَهُ فِي سَحَرٍ يَوْمِهِ [نِعْمَةٌ] أَنْعَامٌ مَا مَفْعُولٌ لَهُ [مَنْ شَكَرَ] نِعْمَةُ اللَّهِ بِإِيْمَانِهِ وَطَاعَتِهِ * [وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ]
لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ [بَطْشَتْنَا] أَخَذْنَا بِالْعَذَابِ [فَتَمَارَوْا] فَكَذَّبُوا [بِالنُّذُرِ] مُتَشَاكِلِينَ [فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ] فَمَسَحْنَاهَا

تَرْكُنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ۝ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝
 كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ۝ تَنْزِعُ
 النَّاسَ كَانْتَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ۝ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝
 كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۝ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ۝ إِنَّا إِذَا لَفِئَتِ ضَلَالٍ وَ سَعِيرٍ ۝ أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ

سورة القمر ٥٤

الجزء ٢٧

ع ٨

كَانَ كُفْرًا ۝ وَهُوَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَعَلَهُ مَكْفُورًا لِأَنَّهُ الذَّبِّي نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا
 أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ فَكَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ نِعْمَةً مَكْفُورَةً - وَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى مَا يَحْكِي أَنَّ رَجُلًا قَالَ
 لِلرَّشِيدِ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَيْكَ فَقَالَ مَا مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ قَالَ أَنْتَ نِعْمَةٌ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهَا - وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
 عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْجَارِ وَ إِيصَالِ الْفِعْلِ - وَقَرَأَ قَتَادَةُ كَفَّرَ أَي جَزَاءَ الْكَافِرِينَ - وَقَرَأَ الْحَسَنُ جِزَاءً بِالْكَسْرِ أَي
 مِجَازَةً - الضَّمِيرُ فِي [تَرْكُنَهَا] لِلسَّفِينَةِ أَوْ لِلْفَعْلَةِ أَي جَعَلْنَاهَا آيَةً يَعْتَبَرُ بِهَا - وَعَنْ قَتَادَةَ إِبْقَاهَا اللَّهُ بَارِضَ
 الْحَزِيرَةِ وَ قِيلَ عَلَى الْجُودِيِّ دَهْرًا طَوِيلًا حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهَا أَوَائِلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ - وَ الْمُدَكِّرُ الْمَعْتَبَرُ - وَ قُرِئَ
 مُدَكِّرٍ عَلَى الْأَصْلِ وَ مُدَكِّرٍ بِقَلْبِ التَّاءِ ذَالًا وَ ادْغَامَ الذَّالِ فِيهَا وَ هَذَا نَحْوُ مُزَجَّرٍ - وَ النُّذُرُ جَمْعُ نَذِيرٍ
 وَهُوَ الْإِنذَارُ * [وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ] سَهَّلْنَاهُ لِلذِّكْرِ وَ الْإِتْعَازُ بَأَن شَكَاةً بِالْمَوَاعِظِ الشَّافِيَةِ وَ صَرَفْنَا فِيهِ مِنَ
 الْوَعْدِ وَ الْوَعِيدِ فَهَلْ مِنْ مُتَعَطٍّ - وَ قِيلَ وَ لَقَدْ سَهَّلْنَاهُ لِلْحِفْظِ وَ اعْتَدَا عَلَيْهِ مَنْ أَرَادَ حِفْظَهُ فَهَلْ مِنْ طَالِبٍ
 لِحِفْظِهِ لِيَعَانِ عَلَيْهِ - وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى وَ لَقَدْ هَيَّأْنَاهُ لِلذِّكْرِ مِنْ يَسَّرَ نَاقَتَهُ لِلسَّفَرِ إِذَا رَحَلَهَا وَ يَسَّرَ فَرَسَهُ لِلْغَزْوِ
 إِذَا اسْرَجَهُ وَ الْجَمَّةُ - قَالَ * شَعَرٌ * وَ قُمْتُ إِلَيْهِ بِاللِّجَامِ مَيْسَرًا * هَذَا كَيْفَ يَجْزِيَنِي الَّذِي كَذَّبْتَ أَصْنَعُ * وَ يَرْدَى
 أَنَّ كَتَبَ أَهْلَ الْأَدْيَانِ نَحْوَ التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ لَا يَتْلُوها أَهْلُهَا إِلَّا نَظْرًا وَ لَا يَحْفَظُونَهَا ظَاهِرًا كَمَا الْقُرْآنُ - [وَ نُذُرٍ]
 وَ إِنْذَارَاتِي لَهُمْ بِالْعَذَابِ قَبْلَ نَزْوِهِ - أَوْ إِنْذَارَاتِي فِي تَعَذِيبِهِمْ لِمَنْ بَعْدَهُمْ [فِي يَوْمٍ نَحْسٍ] فِي يَوْمِ شَوْمٍ -
 وَ قُرِئَ فِي يَوْمٍ نَحْسٍ كَقَوْلِهِ فِي أَيَّامٍ نَحْسٍ [مُسْتَمِرٍّ] قَدْ اسْتَمَرَّ عَلَيْهِمْ وَ دَامَ حَتَّى أَهْلَكَهُمْ - أَوْ اسْتَمَرَّ
 عَلَيْهِمْ جَمِيعًا عَلَى كِبِيرِهِمْ وَ صَغِيرِهِمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ نَسَمَةٌ وَ كَانَ فِي أَرْبَعَاءٍ فِي آخِرِ الشَّهْرِ لَا تَدْرُ - وَ يَجُوزُ
 أَنْ يَرِيدَ بِالْمُسْتَمِرِّ الشَّدِيدَ الْمَرَارَةَ وَ الْبِشَاعَةَ [تَنْزِعُ النَّاسَ] تَقْلَعُهُمْ عَنْ أَمَاكِنِهِمْ وَ كَانُوا يَصْطَفُونَ أَخَذِينَ
 بَعْضَهُمْ بِأَيْدِي بَعْضٍ وَ يَتَدَاخِلُونَ فِي الشَّعَابِ وَ يَحْفَرُونَ الْحَفَرَ فَيُذْذَمُونَ فِيهَا فَتَنْزِعُهُمْ وَ تُكَبِّبُهُمْ وَ تُدَقُّ رِقَابَهُمْ
 [كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ] يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَسَاقَطُونَ عَلَى الْأَرْضِ أَمْوَاتًا وَ هُمْ جُدَّتْ طَوَالِ عِظَامِ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ
 نَخْلٍ وَ هِيَ أَصُولُهَا بِلَا فُرُوعٍ مُنْقَعِرٍ مُنْقَلَعٍ عَنْ مَغَارِسِهِ - وَ قِيلَ شَبَّهُوا بِأَعْجَازِ النَّخْلِ لِأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ تَقْطَعُ
 رُؤُسَهُمْ فَتَبْقَى أَجْسَادُهَا بِلَا رُؤُسٍ وَ ذَكَرَ صِفَةَ نَخْلٍ عَلَى الْفِظِ وَ لَوْ حَمَلَهَا عَلَى الْمَعْنَى لَأَنْثَ كَمَا قَالَ أَعْجَازُ
 نَخْلٍ خَاوِبَةٌ [أَبَشَرًا مِثَّا وَاحِدًا] نَصَبَ بِفِعْلِ يَفْسَرُهُ نَتَّبِعُهُ - وَ قُرِئَ أَبَشَرُ مِثَّا وَاحِدًا عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَ نَتَّبِعُهُ
 خَبْرُهُ وَ الْأَوَّلُ أَوْجَهُ لِّلِاسْتِفْهَامِ كَأَن يَقُولَ أَنْ لَمْ تَتَّبِعُونِي كُنْتُمْ فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ [وَ سَعِيرٍ] وَ يَذَرَانِ جَمْعُ سَعِيرٍ
 فَعَكَّسُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا إِنْ أَتْبَعْنَاكَ كُنَّا أَذْنًا كَمَا تَقُولُ - وَ قِيلَ الضَّلَالُ الْخَطَاءُ وَ الْبُعْدُ عَنِ الصَّوَابِ وَ

سورة القمر ٥٤
الجزء ٢٧
ع ٧

إِلَى الدَّاعِ ط يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۖ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۖ
فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ۖ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۖ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ
عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۖ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاجِ وَدُسِرَ ۖ فَتَجَرَّى بِاعَيْنِنَا ۖ جَزَاءَ لِمَنِ كَانَ كُفْرَ ۖ وَلَقَدْ

بعضه في بعض جارا كالجراد و كالدبا - مُنْتَشِرٌ في كل مكان لكثرة [مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي] مسرعين
مِدِّي اعناقهم اليه - وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم - قال * شعر * تعبدني نمر بن سعد وقد أرى * ونمر
بن سعد لي مطيع و مهطع * [قَبْلَهُمْ] قبل اهل مكة [فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا] يعني نوحا - فان قلت ما معنى
قوله فَكَذَّبُوا بعد قوله كَذَّبَتْ - قلت معناه كذبوا فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا اي كذبوه تكديبا على عقب تكذيب كلما
مضى منهم قرن مكذب تبعة قرن مكذب - او كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الرسل فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا اي لما كانوا مكذبين
بالرسل جاحدين للنبوذة رأسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل [مَجْنُونٌ] هو مجنون [وَازْدُجِرَ] و انتهره
بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ - وقيل هو من جملة قيلهم اي قالوا
هو مجنون وقد ازدجرته الجن و تحبطته و ذهبت بلبه و طارت بقلبه - و قرئ أَنِّي بِمَعْنَى فدعا بانني -
و أَنِّي على ارادة القول [فدعا] فقال [أَنِّي مَغْلُوبٌ] غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من
اجابتهم لي [فَاَنْتَصِرَ] فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم و انما دعا بذلك بعد ما طم عليه الامر
و بلغ السيل الزبى - فقد روي ان الواحد من امته كان يلقيه فيخنقه حتى يختر مغشيا عليه فيفقد و هو
يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون * و قرئ [فَفَتَحْنَا] مخففا - ومشددا وكذلك وَفَجَّرْنَا [مُنْهَمِرٍ]
منصب في كثرة و تتابع لم ينقطع اربعين يوما [وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا] و جعلنا الارض كلها كأنها عيون
تنفجر و هو ابلغ من قولك وَفَجَّرْنَا عيون الارض و نظيره في النظم وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا [فَالْتَقَى الْمَاءُ]
يعني مياه السماء و الارض - و قرئ أَمَاءَانِ اي الذوعان من الماء السماوي و الارضي و نحوه قولك عندي
تمران تريد ضربان من التمر برني و معقلي - قال * ع * لذا ابلان فيهما ما علمتم * و قرأ الحسن المأوان بقلب
الهمزة وارا كقولهم علباوان [عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ] على حال قدرها الله كيف شاء - وقيل على حال جاءت مقدرة
مستوية و هي ان قدر ما انزل من السماء كقدر ما اخرج من الارض سواء بسواء - وقيل عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ في
اللوح انه يكون و هو هلاك قوم نوح بالطوفان [عَلَى ذَاتِ الْأَوَاجِ وَدُسِرَ] اراد السفينة و هي من الصفات اللتي
تقوم مقام الموصوفات فتذوب مذابها وتؤدي مؤداهما بحيث لا يفصل بينها وبينها و نحوه * ع * ولكن قميصي
مسرودة من حديد * اراد ولكن قميصي درع و كذلك * ع * ولو في عيون النازيات باكرع * اراد و لو في عيون
الجراد الا ترى انك لو جمعت بين السفينة و بين هذه الصفة او بين الدرع و الجراد و هاتين الصفتين
لم يصح و هذا من فصيح الكلام و بديعه - والدُّسْر جمع دسار و هو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه
يدسره منفذه [جَزَاءَ] مفعول له لما قدم من فتح ابواب السماء و ما بعده اي فعلنا ذاك جَزَاءَ [لِمَنِ]

وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ۖ وَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۖ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۖ فَتَقُولَ عَنْهُمْ ۖ
يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكِيرٍ ۖ خُشَعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُتَتَشِّرٌ ۖ مَهْطِعِينَ

سورة القمر ٥٤

الجزء ٢٧

ع ٧

بقدره - وعن حذيفة انه خطب بالمدائن ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت و ان القمر قد انشق على عهد نبيكم [مُسْتَقَرٌّ] دائم مطرد و كل شيء قد انقادت طريقته و دامت حاله قيل فيه قد استمر - لما رأوا تدافع المعجزات و ترادف الآيات قالوا هذا سحر مُسْتَقَرٌّ - و قيل مُسْتَقَرٌّ قوي محكم من قولهم استمر مريرة - و قيل هو من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته اي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه كما لا يساغ المر الممر - و قيل مُسْتَقَرٌّ ما زاهب يزول و لا يبقى تمضية لانفسهم و تعليلا - و قرئ و ان يروا - [وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ] و ما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره [وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ] اي كل امر لا بد ان يصير الى غاية يستقر عليها و ان امر محمد سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل و سيظهر لهم عاقبته - او كل امر من امرهم و امره مُسْتَقَرٌّ اي سينتبت و يستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا و شقاوة او سعادة في الاخرى - و قرئ بفتح القاف يعني كل امر ذو مُسْتَقَرٍّ اي ذو استقرار او ذو موضع استقرار او زمان استقرار - و عن ابي جعفر مُسْتَقَرٌّ بكسر القاف و الجرع عطا على الساعة اي اقتربت الساعة و اقترب كل امر مستقر يستقر و يتبين حاله [مِنَ الْأَنْبَاءِ] من القرآن المودع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة و ما وصف من عذاب الكفار [مُزْدَجَرٌ] ازدجار او موضع ازدجار و المعنى هو في نفسه موضع الازدجار و مظنة له كقوله لكم في رسول الله اسوة حسنة اي هو اسوة - و قرئ مُزْجَرٌ بقلب تاء الافتعال زايا و ادغام الزاي فيها - [حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ] بدل من ما - او على هو حكمة - و قرئ بالنصب حالا من ما - فان قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك ان تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة و هو الظاهر - قلت تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها [فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ] نفي او انكار و ما منصوبة اي فاي غناء تغني النذر [فَتَقُولَ عَنْهُمْ] لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم - نصب [يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ] بِيَخْرُجُونَ او باضمار اذكر - و قرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها - و الداعي اسرافيل او جبرئيل كقوله يَوْمَ يَنَادِي الْمُنَادِي [إِلَى شَيْءٍ نَكِيرٍ] منكر فظيح تذكرة النفوس لانها لم تعهد بمثله و هو هول يوم القيامة - و قرئ نُكِرَ بالتخفيف و نُكِرَ بمعنى اُنْكَرَ - خُشَعَا أَبْصَارُهُمْ حال من الخارجين فعل للابصار و ذكر كما تقول يخشع ابصارهم - و قرئ خاشعة على تخشع ابصارهم - و [خُشَعَا] على يخشعون ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث وهم طي - و يجوز ان يكون في خُشَعَا ضميرهم و تقع أَبْصَارُهُمْ بدلا عنه - و قرئ خُشَعَا أَبْصَارُهُمْ على الابتداء و الخبر و محلل الجملة النصب على الحال كقوله * ع * وجدته حاضرة الجود والكرم * و خشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل و عزة العزيز تظهران في عيونهما - و قرئ يُخْرَجُونَ [مِنَ الْأَجْدَاثِ] من القبور [كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُتَتَشِّرٌ] الجراد مثل في الكثرة و التموج يقال في الجيش الكثير المائج

سورة القمر ٥٤
الجزء ٢٧
ع ٧
السجدة

كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى ۖ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ۖ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ۖ فَبَيَّنَّا لِلرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۖ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ
النَّذِيرِ الْأُولَى ۖ أَزِفَتِ الْأَافِقَةُ ۖ فَيَكُنْ لَهُا مِنَ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۖ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۖ وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ ۖ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ۖ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۖ ع

حروفها
١٤٨٢

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية وثلاثة ركوعاً

كلماتها
٣٤٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۖ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ۖ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ

لوط يقال افكه فايثفلت - و قرى والموتفكت [أهوى] رفعها الى السماء على جناح جبرئيل ثم اهواها الى
الارض اي اسقطها [ما غشى] تهويل وتعظيم لما صاب عليها من العذاب و امطر عليها من الصخر
المنصود [فَبَيَّنَّا لِلرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ] تشكيك و الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و السلام او للانسان على
الاطلاق وقد عدد نعماً و نقماً و سماها كلها آلاء من قبل ما في نعمة من المزاجر و المواعظ للمعتبرين [هَذَا] القرآن
[نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى] اي انذار من جنس الانذارات الاولى التي انذرت بها من قبلكم - او هذا الرسول مَنذر
من المُنذرين الاولين - و قال الاولى على تأويل الجماعة - [أَزِفَتِ الْأَافِقُ] قربت الموصوفة بالقرب في قوله
اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ [لَيْسَ لَهَا] نفس [كَاشِفَةٌ] اي مبيدة متى تقوم كقوله لَا يَجْلِيهَا لَوْحَتُهَا إِلَّا هُوَ - او لَيْسَ لَهَا
نفس كَاشِفَةٌ اي قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها - او لَيْسَ لَهَا الآن نفس كَاشِفَةٌ بالتأخير -
و قيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية - و قرأ طلحة لَيْسَ لَهَا مِمَّا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ وَهِيَ
عَلَى الظُّلُمِينَ سَاءَتِ الْغَاشِيَةُ - [أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ] وهو القرآن [تَعْجَبُونَ] انكاراً [وَتَضْحَكُونَ] استهزاء
[وَلَا تَبْكُونَ] والبكاء والخشوع حق عليكم - وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه لم يرض احكاماً بعد نزولها -
و قرى تَعْجَبُونَ تَضْحَكُونَ بغير واو [وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ] شامخون مبرطمون - و قيل لاهون لاعبون - و قال بعضهم
لجاريته اسمدي لذا اي غني لما [فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا] لا تعبدوا الالهة - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
و آله و سلم من قرأ سورة و النجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد و جحد به بمكة *

سورة القمر

انشقاق القمر من آيات رسول الله و معجزاته الذيرة - عن انس بن مالك ان الكفار سألوا رسول الله آية
فانشق القمر مرتين و كذا عن ابن عباس و ابن مسعود - قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت و فلقة
بقيت - و قال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر - و عن بعض الناس ان معناه ينشق يوم القيمة
و قوله وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ يردّه و كفى به راداً - و في قراءة حذيفة و قد انشق القمر اي
اقتربت الساعة و قد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير و قد جاء المبعشر

سورة النجم ٥٣
الجزء ٢٧
ع ٦
الجزء ٢٧
ع ٦
الجزء ٢٧
ع ٦

الْأَنْزِلُ وَالْأَرْزُ وَزُرْ أُخْرَى ۖ وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۖ وَ أَنْ سَعِيَهُ هَوْفٌ يَرَى ۖ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ
الْأَوَّلَى ۖ وَ أَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ۖ وَ أَنَّ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكَى ۖ وَ أَنَّ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَى ۖ وَ أَنَّ هُوَ خَلَقَ
الزُّجْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى ۖ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ۖ وَ أَنْ عَلَيْهِ الذُّشَاءُ الْآخِرَى ۖ وَ أَنَّ هُوَ أَغْنَى وَ أَقْنَى ۖ وَ أَنَّ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ۖ وَ أَنَّ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ۖ وَ تَمُودًا فَمَا أَبْقَى ۖ وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ

يقول اذا اصبح و امسى فسبحن الله حين تمسون الى حين تظهرون - و قيل رضى سهام الاسلام و هي
ثلثون - عشرة في التوبة الثابتون - و عشرة في الاحزاب ان المسلمين - و عشرة في المؤمنين قد افلح المؤمنون -
و قرى في صحف بالتخفيف - [الْأَنْزِلُ] ان مخففة من الثقيلة و المعنى انه لا تنزل و الضمير ضمير الشأن
و محل ان و ما بعدها الجربد لا من ما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تنزل كان قائلا قال و ما في
صحف موسى و ابراهيم فقول الْأَنْزِلُ [إِلَّا مَا سَعَى] الاسعيه - فان قلت أما صح في الاخبار الصدقة
عن الميت و الحج عنه و له الاضعاف - قلت فيه جوابان - احدهما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على
سعي نفسه و هو ان يكون مؤمنا صالحا و كذلك الاضعاف كان سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابع له و قائما
بقيامه - و الثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه و لكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه و
الوكيل القائم مقامه [ثُمَّ يُجْزَاهُ] ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله و جزاه على عمله بحذف الجار و
ايصال الفعل - و يجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسر بقوله [الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى] او ابدله عنه كقوله و أَسْرُوا الْفُجْوَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا - [وَ أَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى] قرى بالفتح على معنى ان هذا كله في الصحف - و بالكسر
على الابتداء و كذلك ما بعده - و المنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اي ينتهي اليه الخلق و يرجعون اليه كقوله
وَالَى اللَّهُ الْمَصِيرَ [أَضْحَكَ وَ أَبْكَى] خلق قوتي الضحك و البكاء [إِذَا تُمْنَى] اذا تدفق في الرحم يقال
منى و امنى - و عن الاخفش تخلق من منى الماني اي قدر المقدر - قرى الذشاء - و الذشاء بالمد - و قال عليه
لأنها واجبة عليه في الحكمة ليجازى على الاحسان و الاساءة [وَ أَقْنَى] و اعطى القنية و هي المال الذي
تأثله و عزمت ان لا تخرجه من يدك [الشِّعْرَى] مرزم الجوزاء و هي التي تطلع و راعها و تسمى كلب
الجبارة و هما شعريان الغميصاء و العبور و اراد العبور و كانت خزاعة تعبد هاسن لهم ذلك ابو كبشة رجل من
اشرافهم و كانت قرى تقول لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ابو كبشة تشبهها له به لمخالفته اياهم في دينهم
يريد انه رب معبودهم هذا - عاد الأولى قوم هود و عاد الأخرى ارم - و قيل الأولى القدماء لانهم أولى الاسم
هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون في الدنيا الاشراف - و قرى عاد الأولى - و عاد الأولى بادغام التنوين في اللام
و طرح همزة أولى و نقل ضميتها الى لام التعريف - و تَمُودًا - و قرى و تَمُودًا - [أَظْلَمَ وَ أَطْعَى] لانهم كانوا
يؤذونه و يضربونه حتى لا يكون به حراك و يفترون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه و ما
اشرفهم دعاؤه قريبا من الف سنة [وَ الْمُؤْتَفَكَةُ] و القرى التي ايتفكت باهلها اي انقلبت و هم قوم

يَجْتَذِبُونَ كَبِيرَ الْأَثَمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ
إِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ فِي بُطُونِ أُمّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تَزَكُوا أَنْفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ۖ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۖ وَءُتِيَ
قَلِيلًا وَآكَدَى ۖ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ۖ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۖ

اخلاء الصفاء لمام * والمراد الصغائر من الذنوب - ولا يخلو قوله إِلَّا اللَّمَمَ من ان يكون استثناء منقطعا او
صفة كقوله لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ كَأَنَّهُ قِيلَ كَبِيرُ الْأَثَمِ غير اللَّمَمَ وَالْهَمُّ غير الله - وعن ابي سعيد الخدري
اللَّمَمُ هي النظرة واللمزة والقُبلة - وعن السدي الخطرة من الذنب - وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله
عليه حدا ولا عذابا - وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين - [إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ] حيث يكفر
الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالقوبة [فَلَا تَزَكُوا أَنْفُسَكُمْ] فلا تنسبوها الى زكاه العمل وزيادة الخير
والطاعات او الى الزكاه والطهارة من المعاصي ولا تُذنبوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم
والتقي اولا واخرا قبل ان يُخرجكم من صلب آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم - وقيل كان
ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلواتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب
او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوقيفه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم
يكن من المزكين انفسهم لان المسترة بالطاعة طاعة وذكرها شكر [آكَدَى] قطع عطيته وامسك واصله
اكداء الحانر وهو ان تلقاه كُدِيَّة وهي صلابة كالصخر فيمسك عن الحفر ونحوه اجبل الحانر ثم استعير
ف قيل اجبل الشاعر اذا اُنْجَم - روي ان عثمان رضي الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن
سعد بن ابي سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا
وخطايا وانني اطلب بما اصنع رضى الله وارجو عفو فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلتها وانا اتحمل
عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء فنزلت - ومعنى تَوَلَّى ترك المركز يوم احد
فعاد عثمان الى احسن من ذلك واجمل - [فَهُوَ يَرَى] فهو يعلم ان ما قال له اخوه من احتمال اوزاره
حق - [وَفَى] قرى مخففا - ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء - او بمعنى وقرروا اتم كقوله فَاتَمَّهْنَّ واطلاقه
ليتناول كل وفاء وتوفية - من ذلك تبليغه الرسالة - واستقلاله بأعباء الذبوة - والصبر على ذبح ولده - وعلى
نار نمرود - وقيامه باضيائه - وخدمته آياهم بنفسه - وانه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان
وافقه اكرمه وَاَلَا نَرَى الصُّومَ - وعن الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به - وعن الهذيل بن شرحبيل كان
بين نوح وابراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره و يقتل بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد
بسيده فاول من خالفهم ابراهيم - وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسأل مخلوقا فلما قُذِف في النار
قال له جبرئيل و ميكائيل ألك حاجة فقال اما اليكم فلا - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفى
عمله كل يوم بربع ركعات في صدر النهار وهي صلوة الضحى - وروي ألا أخبركم لم سمي الله خليفه الذي وفى كان

سورة النجم ٥٣
 الجزء ٢٧
 ع ٥
 الربع

الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ۖ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَيُرْضَى ۚ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُومُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْاُنْثَى ۚ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنَّ يَتَّبِعُونَ
 إِلَّا الظَّنَّ ۚ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى ۚ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا ۚ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ۖ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ۚ وَلِلَّهِ
 مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَارُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ۚ الَّذِينَ

في شفاعته الالهة وهو تمنى على الله في غاية البعد - وقيل هو قولهم وَلَنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ
 لَلْحُسْنَى - وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا - وقيل هو تمنى بعضهم ان يكون هو النبي
 [فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى] اي هو مالهما فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد ان
 يتحكم عليه في شيء منهما يعزى ان امر الشفاعه ضيق وذلك ان الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص
 السموات بجموعهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تُغْنِ شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد
 ان يأذن الله لهم في الشفاعه لمن يشاء الشفاعه له ويرضاه ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه
 لعبادتهم - [لَيَسْمُومُونَ الْمَلَائِكَةَ] اي كل واحد منهم [تَسْمِيَةً الْاُنْثَى] لانهم اذا قالوا الملائكة بذات الله فقد سموا
 كل واحد منهم بذنا وهي تسمية الانثى - [بِهِ مِنْ عِلْمٍ] اي بذلك وبما يقولون - وفي قراءة أُبَيَّ بِهَا اي
 بالملائكة او التسمية [لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا] يعني انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو
 عليه بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم - [فَأَعْرِضْ] عن دعوة مَنْ رأيتهم معرضا عن ذكر الله وعن
 الآخرة ولم يُرِدْ إِلَّا الدُّنْيَا ولا تنهالك على اسلامه - ثم قال إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ اي انما يعلم الله من يُجِيب
 ممن لا يُجِيب وانت لا تعلم فخرق على نفسك ولا تتبعها فانك لا تهدي من احببت وما عليك
 الا البلاغ - وقوله ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ احتراض - او فَأَعْرِضْ عنه ولا تقابل - [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ] بالضال و
 المهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء - قرئ لِيَجْزِيَ - ويجزي بالياء والنون فيهما ومعناه ان
 الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت لهذا الغرض وهو ان يجازي المحسن من المكلفين
 والمسيء منهم - ويجوز ان يتعلق بقوله هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى لان نتيجة
 العلم بالضال والمهتدي جزاءهما * [بِمَا عَمِلُوا] بعقاب ما عملوا من سوء - و [بِالْحُسْنَى] بالمتوبة الحسنَى
 وهي الجنة - او بسبب ما عملوا من سوء وبسبب الاعمال الحسنَى - [كَبِيرَ الْأَثَمِ] اي الكبائر من الاثم لان
 الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب اللتي لا يسقط عقابها الا بالتوبة - وقيل اللتي
 يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها - والفواحش ما فحش من الكبائر كأنه قال والفواحش منها
 خاصة - وقرئ كَبِيرَ الْأَثَمِ اي الذنوع الكبير منه - وقيل هو الشرك بالله - و اللَّمَمَ ما قل وصغر ومنه اللمم
 المس من الجذون واللوة منه والم بالمكان اذا قل فيه لبثه والم بالطعام قل منه اكله - ومنه ع • لقاء

طَغَى ۝ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ۝ اَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ۝ وَمَذُوَّةَ الثَّالِثَةِ الْاُخْرَى ۝ اَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ
الْاُنْثَى ۝ تِلْكَ اِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ۝ اِنْ هِيَ اِلَّا اَسْمَاءُ سَمِيَّتُمُوهَا اَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ مَّا اَنْزَلَ اِلَهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ ط
اِنْ يَتَّبِعُونَ اِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوٰى اَلْاَنفُسُ ۚ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدٰى ط اَمْ لِلْاِنْسَانِ مَا تَمْنٰى ۝ فَلِلّٰهِ

رَبِّهِ [الآيات التي هي كبرائها وعظماها يعني حين رقي به الى السماء فأرى عجائب الملكوت] اللات
والعزى ومذوة [اصنام كانت لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لتقيف بالطائف - وقيل كانت بنخله
يعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلون عليها ويعكفون للعبادة او يلتون عليها اي يطوفون -
وقرى اللات بالتشديد وزعموا انه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج - وعن
مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا - والعزى كانت لغطفان
وهي سمره اصلها تانيمث الاعز وبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد
فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف
حتى قتلها وهو يقول يا عذراؤك لا سبحانه اني رأيت الله قد اهانك ورجع فاخبر رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد ابدا - ومذاة صخرة كانت لهذيل
وخزاعة - وعن ابن عباس لتقيف - وقرى ومذاة و كأنها سميت مذاة لان دماء النساء كانت
تمنى عندها اي تراق - ومذاة مفعلة من الذو كأنهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها و [الآخرى] ذم
وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخرينهم لاولئهم اي وضعاءهم لرؤسائهم واشرافهم - ويجوز ان
تكون الاولى والتقدم عندهم للآت والعزى كانوا يقولون ان الملكة وهذه الاصنام بذات الله وكانوا يعبدونهم
ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات ف قيل لهم [الكم الذكر وله الأنثى] - ويجوز ان يراد ان
اللات والعزى ومذاة اناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شانكم ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا من ان
يولدن لكم وينسبن اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث اندادا لله وتسمونهن الهة [قسمة ضيزى] جائرة
من ضازة يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء - وقرى ضيزى من ضازة
بالهمز - وضيزى بفتح الصاد - [هي] ضمير الاصنام اي ما هي [الاسماء] ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم
تدعون الالهة لما هو ابعد شيء منها واشده مذانة لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء
سميتموها - او ضمير الاسماء وهي قرلهم اللات والعزى ومذاة وهم يقصدون بهذه الاسماء الالهة يعني ما هذه
الاسماء الا اسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها
سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد - [ان يتبعون] - وقرى بالتاء - [الا الظن] الا توهم ان ما هم عليه حق
وان الهتهم شفعاؤهم وما تشبهه انفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على ان دينهم باطل -
[ام للانسان ما تمنى] هي ام المنقطة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان ما تمنى والمراد طمعهم

فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۖ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۖ أَفَتُمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۖ وَلَقَدْ رَأَىٰ نَزْلَةَ
 أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۖ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۖ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا

سورة النجم ٥٣
 الجزء ٢٧

ع ٤

المضافات كما قال ابو علي في قوله * ع * وقد جعلتني من حَزِيمَةِ اصبع * اي ذا مقدار مسافة اصبع [اَوَادُنِي] اي على تقديركم كقوله تعالى اَوْ يَزِيدُونَ - [اِلَى عَبْدِهِ] الى عبد الله و ان لم يجز لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله تعالى عَلَى ظَهْرِهَا [مَا أَوْحَى] تفخيم للوحي الذي اوحى اليه - قيل اوحى اليه ان الجنة محترمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الاسم حتى تدخلها امثلك [مَا كَذَبَ] فؤاد مُحَمَّد مَا رَأَى ببصره من صورة جبرئيل اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك و لو قال ذاك لكان كاذبا لانه عرفه يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه و لم يشك في ان ما رآه حق - و قرئ مَا كَذَبَ اي صدقه و لم يشك انه جبرئيل بصورته - [أَفَتُمَرُونَهُ] من المراء و هو الملاحاة و المجادلة و اشتقاقه من مري الذاقة كأن كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه - و قرئ أَفَتُمَرُونَهُ افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته و لما فيه من معنى الغلبة عدي بعلی كما تقول غلبته على كذا - و قيل أَفَتُمَرُونَهُ افتجحدونه - و انشدوا * شعر * لئن هجرت اخا صدق و مكومة * لقد مريت اخا ما كان يمرىكا * و قالوا يقال مريته حقه اذا جحدته و تعديته بعلی لا تصح الا على مذهب التضمين [نَزْلَةُ أُخْرَى] مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعل اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اي نزل عليه جبرئيل نزلة اخرى في صورة نفسه فرأه عليها و ذلك ليلة المعراج - قيل في سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى هي شجرة ندى في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هَجَر و ورقها كاذان الفيول تنبع من اصلها الانهار اللتي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها و المنتهى بمعنى موضع الانتهاء او الانتهاء كأنها في منتهى الجنة و آخرها - و قيل لم يجاوزها احد و اليها ينتهي علم الملكة و غيرهم و لا يعلم احد ما وراءها - و قيل ينتهي اليها ازواج الشهداء [جَنَّةُ الْمَأْوَى] الجنة اللتي يصير اليها المتقون عن الحسن - و قيل يأوي اليها ارواح الشهداء - و قرأ علي و ابن الزبير و جماعة جَنَّةُ الْمَأْوَى اي سَدْرَةُ بَظَالِهِ و دخل فيه - و عن عائشة رضي الله عنها انها انكرته و قالت من قرأ به فاجذه الله [مَا يَغْشَى] تعظيم و تكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله و جلاله اشياء لا يكتنفها الذعت و لا يحيط بها الوصف - و قد قيل يغشاها الجحيم الغفير من الملكة يعبدون الله عندها - و عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله - و عنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر - و عن ابن مسعود و غيره يغشاها فراش من ذهب [مَا رَأَى] بصور رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم [وَمَا طَغَى] اي اثبت ما رآه اثباتا مستيقظا صحيحا من غير ان يزيع بصره عنه او يتجاوزة - او ما عدل عن رؤية العجائب اللتي أمر برؤيتها و مكن منها و ما طغى و ما جاوز ما أمر برؤيته [لَقَدْ رَأَى] والله لَقَدْ رَأَى [مِنْ آيَاتِ]

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ ۝ فَاسْتَوَى ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝

ورَدَّ عليه ابنته و طلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك و كان ابو طالب حاضرا فوجم لها و قال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فغزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مَسْبُوعَةٌ فقال ابو لهب لاصحابه اَعَيْنُونَا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هذه اللية فأتني اخاف على ابني دعوة مُحَمَّدٍ فجمعوا جمالهم و اناخوها حولهم و احدثوا بعتبة فحاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله - و قال حسان * شعر * من يرجع العام الى اهله * فما اكيد السبع بالراجع * [مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ] يعني مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله و سلم و الخطاب لقريش و هو جواب القسم - و الضلال نقيض الهدى - و الغي نقيض الرشاد اي هو مهتد راشد و ليس كما تزعمون من نسبتكم آية الى الضلال و الغي و ما اتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه و رأيه و انما هو وحي من عند الله يوحى اليه - و يحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبيا و يُجاب بان الله تعالى اذا سَوَّغَ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد و ما يستند اليه كله وحيًا لا نطقًا عن الهوى [شَدِيدُ الْقُوَى] ملك شديد قوَاهُ و الاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها و هو جبرئيل عليه السلام - و من قوته انه اقتلع قُرَى قوم لوط من الماء الاسود و حملها على جناحه و رفعها الى السماء ثم قلبها - و صاح صيحةً بثمود فاصبحوا جائمين - و كان هبوطه على الانبياء و صعوده في اوحى من رجعة الطرف - و رأى ابايس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفخة فالقاه في اقصى جبل بالهند [ذُو مِرَّةٍ] ذو حصانة في عقله و رأيه و متانة في دينه [فَاسْتَوَى] فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة اللتي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي و كان ينزل في صورة وحيه - و ذلك ان رسول الله احب ان يراه في صورته اللتي جُبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى و هو افق الشمس فملاء الافق - و قيل ما راه احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله و سلم مرتين مرة في الارض و مرة في السماء [ثُمَّ دَنَا] من رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم [فَتَدَلَّى] فتعلق عليه في الهواء و منه تدلت الثمرة و دلى رجله من السور و الدوالي الثمر المعلق - قال * ع * تدلى عليها بين سب و خيطة * و يقال هو مثل القِرْلَى ان رأى خيرا تدلى و ان لم يره تولى - [قَابَ قَوْسَيْنِ] مقدار قوسين عربيتين و القاب و القيب و القاد و القيد و القيس المقدار - و قرأ زيد بن علي رضي الله عنه قَادَ - و قرئ قيد - و قدر - و قد جاء التقدير بالقوس و الرمح و السوط و الذراع و الباع و الخطوة و الشبر و الفتر و الاصبع - و منه لا صلوة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين - و في الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة و مرفع قدة خير من الدنيا و ما فيها و القَد السوط - و يقال بينهما خطوات يسيرة - و قال * ع * و قد جعلتني من حزيمة اصبعًا * فان قامت كيف تقدير قوله فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ - قلت تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه

وَأِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ۝ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝
يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ
النُّجُومِ ۝

سورة النجم ٥٣
الجزء ٢٧
ع ٤

كلماتها ٣٧٥
سورة النجم مكية وهي اثنان وستون آية وثلاثة ركوعاً
حروفها ١٤٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝

و هو جواب قولهم أَوْ تَسْقُطُ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كِسْفًا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو اسقطناه عليهم
لقالوا هذا [سحاب مَرْكُوم] بعضه فوق بعض يُمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب - وقرئ حَتَّى يُلَاقُوا -
وَيُلَاقُوا - يَصْعَقُونَ يموتون - وقرئ [يُصْعَقُونَ] يقل صَعَقَهُ فَصَبَقَ وذلك عند الفجعة الاولى نفخة الصعق -
[وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] و ان لهؤلاء الظلمة [عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ] دون يوم القيمة وهو القتل ببدر والقحط سبع
سنين و عذاب القبر - وفي مصحف عبد الله دُونَ ذَلِكَ قَرِيبًا * [لِحُكْمِ رَبِّكَ] بامهالهم وما يلحقك فيه
من المشقة والكلفة [فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا] مثل ابي بحيث نراك و نكلاك و جمع العين لان الضمير بلفظ
ضمير الجماعة الا ترى الى قوله وَلِتَصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي - وقرئ بِأَعْيُنًا بِالْإِدْغَامِ [حِينَ تَقُومُ] من ابي مكن
قمت - وقيل من منامك - [وَإِدْبَارَ النُّجُومِ] و اذا ادبرت النجوم من آخر الليل - وقرئ وَادْبَارَ الْفَتْحِ
يعني في أعقاب النجوم و اثارها اذا غربت - والمراد الامر بقول سبحان الله و بحمده في هذه الاوقات -
وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من نومه - وَمِنَ اللَّيْلِ صَلَاةُ الْعِشَاءِ - وَإِدْبَارَ النُّجُومِ صَلَاةُ الْفَجْرِ - عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الطور كان حقاً على الله ان يؤمنه من عذابه و ان ينفعه
في جنته •

سورة النجم

[النجم] الثريا وهو اسم غالب لها - قال * شعر * اذا طلع النجم عشاء * ابتغى الراعي كساء * او جذس النجوم -
قال * ع * فَبَاتَتْ تَعْدُ النُّجُومَ فِي مَسْحَدٍ * يريد النجوم إِذَا هَوَىٰ اذا غرب او انتثر يوم القيمة - او النجم الذي
يرجم به إِذَا هَوَىٰ اذا انقض - او النجم من نجوم القرآن و قد نزل متجماً في عشرين سنة إِذَا هَوَىٰ اذا نزل - او
النبات إِذَا هَوَىٰ اذا سقط على الارض - و عن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب و كانت تحته بنت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لاثنتين مَحْمَدَا فَلَاؤُنِيَّه فَاَتَاهُ فَقَالَ يَا
مُحَمَّدُ هُوَ كَأَنَّ النُّجُومَ إِذَا هَوَىٰ و بالذي دَنَا نَدَلْتِي ثم ثقل في وجهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الْمُتَرَبِّصِينَ ۖ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۖ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ فَلْيَاثُوا
بِحَدِيثِ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ۖ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۖ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ
بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ۖ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَتِ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَصْطَرُونَ ۖ أَمْ لَهُمْ سَلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۚ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ
بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۖ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ۖ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ۖ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ
فَهُمْ يَكْتُمُونَ ۖ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ۖ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۖ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝

شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والذابغة [من المتربصين]
اتربص هلاككم كما تترصدون هلاكى - [أحلامهم] عقولهم وآبائهم ومنه قولهم أحلام عاد والمعنى تأمرهم
أحلامهم بهذا التناقض فى القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل
الأحلام والنهى [أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ] مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق لهم - فان قامت ما معنى
كون الأحلام أمرة - قلت هو مجاز لادائها الى ذلك كقوله أصلوته تأمرتك ان تترك ما يعبد أبائنا -
وقرى بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ - [تَقَوَّلَهُ] اختلقه من تلقاء نفسه [بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ] فلكفرهم وعنادهم يرمون
بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب -
وقرى بِحَدِيثِ مِثْلِهِ عَلَى الإضافة والضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعناه ان مثل
محمد فى فصاحته ليس بمعوز فى العرب فان قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث
ذلك المثل [أَمْ خُلِقُوا] ام أحدثوا وقدروا التقدير الذى عليه فطرتهم [مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ] من غير مقدر
[أَمْ هُمْ] الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق [بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ] اى اذا سئلوا من خلقكم وخلق
السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يؤقنون - وقيل أخلقوا من اجل لا شيء من جزاء
ولا حساب - وقيل أخلقوا من غير اب وام [أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ] الرزق حتى يرزقوا الذبوة من شاؤا - او
أعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة - أَمْ هُمْ الْمَصْطَرُونَ الارباب الغالبون
حتى يدبروا امر الربوبية ويبذوا الامور على اراذلتهم ومشيتهم - وقرى [الْمَصْطَرُونَ] بالصاد [أَمْ لَهُمْ سَلْمٌ]
منصوب الى السماء يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى
يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون [بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ]
بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم - المغمم ان يلتزم الانسان ما ليس عليه اى لزمهم مغمم ثقيل
فدحهم فزهدهم ذلك فى اتباعك [أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ] اى اللوح المحفوظ [فَهُمْ يَكْتُمُونَ] ما فيه حتى
يقولوا لا نبعث و ان بعثنا لم نعذب [أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا] وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله وبالمؤمنين
[فَالَّذِينَ كَفَرُوا] اشارة اليهم - او اريد بهم كل من كفر بالله [هُمْ الْمَكِيدُونَ] هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم
ويحقيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر - او المغلوبون فى الكيد من كائده فكدته الكسف القطعة

وَاتَّبَعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝
وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِغَاكِهِ ۚ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ يَتَذَاكُرُونَ فِيهَا كَأَنَّمَا لَا لَغُوفٍ فِيهَا وَلَا تَأْنِيهِمْ ۝ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ
لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُا مَكْنُونٌ ۝ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝
فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْ نَا عَذَابَ السَّمُومِ ۝ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۝ فَذَكَرْنَا مَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَدُونِ ۝ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ
سُورَةِ الطُّورِ ٥٢
الجزء ٢٧
ع ٣

يُمِيتُ - وَاللَّذَّةُ مِنَ الْتِ يُؤْلِتُ كَأَنَّ يُؤْمِنُ - وَلِلَّذَّةِ مِنَ لَاتِ يَلِيتُ - وَلِلَّذَّةِ مِنَ وَلِتِ يَلِتُ وَمَعْنَاهَا
واحد [كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ] أي مرهون كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي
هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكفا وخلصها والا اوبقها - [وَأَمَدَدْنَاهُمْ]
وزدناهم في وقت بعد وقت * [يَتَذَاكُرُونَ] يتعاطون ويتعارفون هم وجلسائهم من اقربائهم و اخوانهم
[كَأَنَّمَا] خمر - لَا لَغُوفٍ فِيهَا فِي شَرْبِهَا - وَلَا تَأْنِيهِمْ أي لا يتكلمون في اثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل
تحته كفعل المتذادمين في الدنيا على الشراب في سفيهم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤتم به فاعله أي يذسب
الى الاثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن
متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء - وقرئ لَا لَغُوفٍ فِيهَا وَلَا تَأْنِيهِمْ * [غِلْمَانٌ لَهُمْ]
أي مملوكون لهم مخصوصون بهم [مَكْنُونٌ] في الصدف لانه رطبا احسن واصفى - او مخزون لانه لا يخزن
الا الثمين الغالي القيمة - وقيل لقادة هذا الخادم فكيف المخدم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب - وعنه
عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك -
[يَتَسَاءَلُونَ] يتحادثون ويسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما استوجب به نيل ما عند الله -
[مُشْفِقِينَ] ارقاء القلوب من خشية الله - وقرئ وَقَدْ نَا بِالْتَشْدِيدِ [عَذَابَ السَّمُومِ] عذاب النار وهجها
ولفحها - والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة - [مِنْ قَبْلُ]
من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون في الدنيا [نَدْعُوهُ] نعبده ونسأله الوقاية [إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ] المحسن
[الرَّحِيمُ] العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثناب و اذا سئل اجاب - وقرئ أَنَّهُ بِالْفَتْحِ بِمَعْنَى لَأنَّهُ * [فَذَكَرْنَا]
فأثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطك قولهم كَاهِنٌ أَوْ مَجْنُونٌ ولا تبدل به فانه قول باطل
متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله
وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل احد هذين - وقرئ يَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّ الْمَدُونِ على البذاء
للمفعول - وَرَبُّ الْمَدُونِ ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر - قال * ع * أَمِنْ الْمَدُونِ وَرَبِّهِ
تَتَوَجَّعُ * وقيل الْمَدُونِ الموت وهو في الاصل فَعُول من مَدَّه اذا قطعه لان الموت قَطُوعٌ ولذلك سميت

تَعْمَلُونَ ۝ اِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ ۝ فَاَكْهِنُ بِمَا اَتَتْهُمْ رَبُّهُمْ ۝ وَوَقَدْهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ كُلُوا
وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۝ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا

ايم علة استواء الصبر وعدمه بقوله [اِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] - قلت لان الصبر انما يكون له منزلة
على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازي عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو
الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا منزلة له على الجزع [فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ] في اية جذات و اي نعيم بمعنى
الكمال في الصفة - او في جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة - و قرئ فَاَكْهِنُ - وَفَاَكْهِنُ -
وَفَاَكْهِنُ مَنْ نَصَبَهُ حَالًا جَعَلَ الظرف مستقرًا وَمَنْ رَفَعَهُ خَبْرًا جَعَلَ الظرف لغوا اي متلذذين بِمَا
اَتَتْهُمْ رَبُّهُمْ - فَاَن قَلَّتْ عِلَامَ عَطْفِ قَوْلِهِ [وَوَقَدْهُمْ رَبُّهُمْ] - قلت على قوله فِي جَنَّتٍ او على اَتَتْهُمْ رَبُّهُمْ على
ان تجعل مَا مصدرية و المعنى فَاَكْهِنُ بايتائهم ووقايتهم عذاب الجحيم - و يجوز ان يكون الواو للحال و قد
بعدها مضمرة - يقال لهم [كُلُوا وَاشْرَبُوا] اكلًا و شربًا [هَنِيئًا] او طعامًا و شرابًا هَنِيئًا و هو الذي لا تنغيص فيه -
و يجوز ان يكون مثله في قوله * شعراً * هَنِيئًا مَرِيئًا غير داء مخامر * اعزّة من اعراضنا ما استحلت * اعني صفة
استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعاً به مَا استحلت كما يرتفع بالفعل كأنه قيل هذا عزة
المستحلت من اعراضنا وكذلك معنى هَنِيئًا ههنا هناكم الاكل و الشرب او هناكم مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لي جزاء
ما كنتم تعملون - و الباء مزيدة كما في كَفَىٰ بِاللّٰهِ - و الباء متعلقة بكُلُوا وَ اشْرَبُوا اذا جعلت الفاعل الاكل
و الشرب - و قرئ يَعْشِينَ عَيْنٍ * [وَالَّذِينَ اٰمَنُوا] معطوف على حُورٍ عِينٍ اي قرنائهم بالحور و بالذين
اٰمَنُوا اي بالرفقاء و الجلساء منهم كقوله اِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مَّتَقَابِلِينَ فيتمتعون تارة بملاعبة الحور و تارة
بموانسة الاخوان المؤمنين - وَ اتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ قال رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم ان الله يرفع ذرية
المؤمن في درجته و ان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في
انفسهم و بمزاوجة الحور العين و بموانسة الاخوان المؤمنين و باجتماع اولادهم و نسلهم بهم ثم قال بِيَاْمَانٍ
اَلْحَقَّقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل و هو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذُرِّيَّتَهُمْ و ان كانوا
لا يستأهلونها تفضلاً عليهم و على ابائهم لغتهم سرورهم و نكمل نعيمهم - فَاَن قَلَّتْ مَا معنى تذكير الايمان - قلت
معناه الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة - و يجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كأنه قال بشيء
من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم - و قرئ - [وَ اتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ] - وَ اتَّبَعْنَاهُمْ [ذُرِّيَّتَهُمْ] - وَ ذُرِّيَّتَهُمْ - و قرئ
ذُرِّيَّتَهُمْ بكسر الهمزة - و وجه آخر و هو ان يكون وَالَّذِينَ اٰمَنُوا مبتدأ خبره بِيَاْمَانٍ اَلْحَقَّقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ و ما بينهما
اعتراض [وَ مَا اَلَلَّاهُمْ] و ما نقصناهم يعزي وقرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب و التفضل و ما نقصناهم
[مِنْ] ثواب [عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] - و قيل معناه و ما نقصناهم من ثوابهم شيئاً بعطية الابداء حتى يلحقوا بهم انما
الحقناهم بهم على سبيل التفضل - قرئ اَلَلَّاهُمْ و هو من بابين من اَلَّتْ يَأَلَّتْ و من اَلَّتْ يَلِيَّتْ كأمات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الطُّورِ ۝ وَ كُتِبَ الْمَسْطُورُ ۝ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ۝ وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝ وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝ وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝
إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝ وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝ فَوَيْلٌ لِلْمُصْنِفِينَ ۝
الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝ يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ۝ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا
تَكْذِبُونَ ۝ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ۝ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۝ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ

و سلم من قرأ سورة الذرئيت اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ربح هبت و جرت في الدنيا *

سورة الطور

[الطُّور] الجبل الذي كلم الله عليه موسى و هو بمدين - و الكتاب المسطور في الرق المنشور و الرق الصحيفة - و قيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب - الذي يكتب فيه الاعمال قال الله تعالى وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا - و قيل هو ما كتبه الله لموسى و هو يسمع صرير القلم - و قيل اللوح المحفوظ - و قيل القرآن - و نكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله تعالى وَ نَفِيسٌ وَ مَا سُوِّبَهَا - [وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُور] الضراح في السماء الرابعة و عمرانها كثرة غاشيتها من الملائكة - و قيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج و العمار و المجاورين - [وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ] السماء - [وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ] المملو - و قيل الموقد من قوله وَ إِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ - و روي ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم - و عن علي رضي الله عنه انه سأل يهوديا اين موضع النار في كتابكم قال في البحر قال علي ما اراه الا صادقا لقوله وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ - [لَوَاقِعٌ] لنازل - قال جبير بن مطعم اتيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اكلمه في الاسارى فالفيتته في صلوة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب [تَمُورُ] تضطرب و تجيء و تذهب - و قيل المور تحرك في تموج و هو الشيء يتردد في عرض كالداغصة في الركبة - غلب الخوض في الاندفاع في الباطل و الكذب و منه قوله وَ كُنَّا نَخْوِضُ مَعَ الْخَائِضِينَ - وَ خَضْتُمْ كَالَّذِينَ خَاضُوا - الدع الدفع العنيف و ذلك ان خزنة النار يغلقون ايديهم الى اعناقهم و يجمعون نواصيهم الى اقدامهم و يدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم و زخا في افقيتهم - و قرأ زيد بن علي يدعون من الدعاء اي يقال لهم هلموا الى النار و ادخلوا النار [دَعَاً] مدعوعين يقال لهم هذه النار - [أَفَسِحْرٌ هَذَا] يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر ففسحروا هذا يريد اهدا المصداق ايضا سحر و دخلت الفاء لهذا المعنى [أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ] كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر و هذا تقرير و تهكم [سَوَاءٌ] خبر محذوف اي سواء عليكم الامر ان الصبر و عدمه - فان قلت

رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ۝ اتَّوَصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ ۝ وَذَكَرَ
فَإِنَّ الذِّكْرَ تَذَفُّعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا
أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا
يَسْتَعْجِلُونَ ۝ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝

اتَّوَصَى الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه [بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ] أي لم يتووصوا به
لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان و الطغيان هو الحاصل عليه -
[فَتَوَلَّ عَنْهُمْ] فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يُجيبوا وعرفت منهم العناد و اللجاج فلا لوم
عليك في اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ و الدعوة و لا تدع التذكير و الموعظة
بأيام الله [فَإِنَّ الذِّكْرَ تَذَفُّعُ الْمُؤْمِنِينَ] أي تؤثر في الذين عرف الله منهم أنهم يدخلون في الإيمان - أو تزيد
الداخلين فيه إيماناً - و روي أنه لما نزلت فتَوَلَّ عَنْهُمْ حزن رسول الله و اشتد ذلك على أصحابه و رأوا أن
الوحي قد انقطع و أن العذاب قد حضر فأنزل الله و ذَكَرَ * أي [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا] لأجل العبادة
و لم أُرِدْ من جميعهم إلا إياها - فإِنْ قَلَّتْ لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبدا - قَلَّتْ إنما أراد منهم
أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها لأنه خلقهم ممتكئين فاختر بعضهم ترك العبادة مع كونه
مريدا لها و لو أرادها على القسر و الإكراه لوجدت من جميعهم يريد أن شائي مع عبادي ليس كشأن
السادة مع عبيدهم فإِنَّ مَلَكَ الْعَبِيدَ إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معاشهم و ارزاقهم - فإما
مجهز في تجارة ليفي ربحاً - أو مرتب في فلاحه ليغتل أرضاً - أو مسلم في حرفة لينتفع باجرته - أو
محتطب - أو محتش - أو مستق - أو طابخ - أو خابز - و ما أشبه ذلك من الأعمال و المهن التي هي
تصرف في أسباب المعيشة و أبواب الرزق فإما مَلِكُ الْعَبِيدِ و قال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في أنفسكم
و لا أريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي و لا رزقكم و أنا غني عنكم و عن مرافقكم و متفضل عليكم برزقكم
و بما يصلحكم و يعيدشكم من عندي فما هو إلا أنا وحدي [الْمُتِينُ] الشديد القوة - قرئ بالرفع صفة لدو -
و بالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار و المعنى في وصفه بالقوة و المتانة أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء -
و قرئ الرَّاِزِقُ - و في قراءة النبي صلى الله عليه و آله و سلم أَنِّي أَنَا الرَّاِزِقُ - الذُّنُوبُ الدلو العظيمة و هذا تمثيل
أصله في السُّقَاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب و لهذا ذنوب - قال * شعر * لنا ذنوب و لكم ذنوب * فان أبيتم
فلنا القليب * و لما قال عمرو بن شأس * و في كل حي قد خبطت بنعمة * فحق لشأس من نذاك ذنوب *
قال الملك نَعَمْ و اذنبه و المعنى فإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا رسول الله بالكذب من أهل مكة لهم نصيب من
عذاب الله مثل نصيب أصحابهم و نظرائهم من القرون - و عن قتادة سَجَلًا من عذاب الله مثل
سجل أصحابهم [مِنْ يَوْمِهِم] من يوم القيامة - و قيل من يوم بدر - عن رسول الله صلى الله عليه و آله

لَرَبِّهِ الْعَقِيمِ ۝ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ۝ وَفِي نُوحٍ إِذْ قِيلَ لَهُم تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ۝ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ مِمَّنْ قَبْلَ ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ۝ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۝ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۝ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ

سورة الذریت ٥١

الجزء ٢٧

ع ١

مقتوف الصغيرة الا ترى الى قوله وَعَصَا اٰدَمَ رَبَّهُ لَانَّ الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة [الْعَقِيم] الذي لا خير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وهي ريح الهلاك - و اختلف فيها فعن علي رضي الله عنه الذكاء - وعن ابن عباس الدبور - وعن ابن المسيب الجنوب - والرميم كل ما رم اي بلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك [حَتَّى حِينٍ] تفسيره قوله تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ اَيَّامٍ - [فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ] فاستكبروا عن امتثاله - وقرئ الصَّعِقَةُ وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها [وَهُمْ يَنْظُرُونَ] كانت نهارا يعاينونها - وروي ان العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون اليهم وما ضربتهم [فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ] كقوله فَاصْبِرْ فِي دَارِهِمْ جُنُودًا - وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه [مُنْتَصِرِينَ] ممتنعين من العذاب - [وَقَوْمٍ] قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح ويقويه قراءة عبد الله وَفِي قَوْمِ نُوحٍ - وبالنصب على معنى واهلكننا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه اور اذكر قوم نوح - [بِأَيْدٍ] بقوة واليد والاذن القوة وقد اذ يئيد وهو ايد [وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ] لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الانفاق - وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر - وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة [فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ] فزعم الماهدون نحن - [وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ] اي من كل شيء من الحيوان [خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ] ذكرًا وانثى - وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له [لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] اي فعلنا ذلك كله من بقاء السماء وفرش الارض وخلق الزوجات ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه * [فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ] الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه وحذره ولا تشركوا به - وكرر قوله [إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ] عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا بالجمع بينهما الا ترى الى قوله لَا يَنْفَعُ نَفْسًا اِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ اٰمَنَتْ مِنْ قَبْلُ اَوْ كَسَبَتْ فِي اِيْمَانِهَا خَيْرًا والمعنى قل يا محمد ففِرُّوا إِلَى اللَّهِ [كَذَلِكَ] الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله مَا أَتَى ولا يصح ان يكون الكاف منصوبة باتى لان ما الفانية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الايمان لم يأت من قبلهم رسول الا قالوا * [اتَّوَصَّوْا بِهِ] الضمير للقول يعنني

وَجِبْهَا رَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ ط إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا
الْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ۝ فَآخَرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَتَرَكْنَا
فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ
وَقَالَ لِسِحْرٍ أَوْ مَجْنُونٍ ۝ فَآخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امرأة ابراهيم وهو بعلمها - وعن مجاهد هو اسمعيل - [فِي صَرَّةٍ] فِي صِيحَةٍ
مِّن صَرَّةٍ الْجَنْدَبُ وَ صَرَّةُ الْقَلَمُ وَ الْبَابُ وَ مَحَلُّهُ النِّصْبُ عَلَى الْحَالِ أَيِ فَجَاءَتْ صَارَةً - قَالَ الْحَسَنُ أَقْبَلْتُ
إِلَى بَيْتِهَا وَ كَانَتْ فِي زَاوِيَةٍ تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ لِأَنَّهَا وَجَدَتْ حَرَارَةَ الدَّمِ فَلَطَمَتْ وَجْهَهَا مِنَ الْحَيَاءِ - وَ قِيلَ فَآخَذَتْ
فِي صَرَّةٍ كَمَا تَقُولُ أَقْبَلَ يَشْتَمْنِي - وَ قِيلَ صَرَّتْهَا قَوْلُهَا آوَةٌ - وَ قِيلَ يَا وَيْلَتَى - وَ عَنْ عِكْرِمَةَ رَقَتْهَا [فَصَكَّتْ]
فَلَطَمَتْ بِدَسَطِ يَدَيْهَا - وَ قِيلَ فَضْرِبَتْ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهَا جَبْهَتَهَا فَعَلَّ الْمُتَعَجِّبُ [عَجُوزٌ] إِنَا عَجُوزُ
فَكَيْفَ الدُّ - [كَذَلِكَ] مِثْلُ ذَلِكَ الَّذِي قُلْنَا وَ أَخْبَرْنَا بِهِ [قَالَ رَبُّكَ] أَيِ إِنَّمَا نَخْبِرُكَ عَنِ اللَّهِ وَاللَّهُ
قَادِرٌ عَلَى مَا تَسْتَعِيدُونَ - وَ رَوَى أَن جِبْرِئِيلَ قَالَ لَهَا أَنْظِرِي إِلَى سَقْفِ بَيْتِكَ فَنَظَرَتْ فَإِذَا جَذُوعُهُ مُورِقَةٌ
مُثْمَرَةٌ * لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُمْ مَلَكَةٌ وَ أَنَّهُمْ لَا يَذْلُونَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ رُسُلًا فِي بَعْضِ الْأُمُورِ [قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ] أَيِ فَمَا
شَأْنُكُمْ وَ مَا طَلَبُكُمْ - [إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ] إِلَى قَوْمِ لُوطٍ [حِجَارَةً مِّن طِينٍ] يَرِيدُ السَّجِيلَ وَ هِيَ طِينٌ طَبَخَ
كَمَا يَطْبَخُ الْأَجْرُ حَتَّى صَارَ فِي صَلَابَةِ الْحِجَارَةِ [مُّسَوِّمَةً] مُعْلِمَةً مِّنَ السُّومَةِ وَ هِيَ الْعَلَامَةُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهَا اسْمٌ مِّن يَهْلِكُ بِهِ - وَ قِيلَ أُعْلِمَتْ بِأَنَّهَا مِّن حِجَارَةِ الْعَذَابِ - وَ قِيلَ بِعَلَامَةٍ تَدُلُّ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِّن
حِجَارَةِ الدُّنْيَا - سَمَاهُمْ مُّسْرِفِينَ كَمَا سَمَاهُمْ عَادِيْنَ لِأَسْرَانِهِمْ وَ عَدْوَانِهِمْ فِي عَمَلِهِمْ حَيْثُ لَمْ يَقْتَنِعُوا بِمَا أُبِيحَ لَهُمْ -
الضَّمِيرُ فِي [فِيهَا] لِلْقَرْيَةِ وَ أَمْ يَجْرِي لَهَا ذِكْرُ لُكُونِهَا مَعَاوِمَةً - وَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ وَ الْإِسْلَامَ وَاحِدٌ وَ أَنَّهَا
صَفَتَا مَدْحٍ - قِيلَ هُم لُوطٌ وَ ابْنَتَاهُ - وَ قِيلَ كَانَ لُوطٌ وَ أَهْلُ بَيْتِهِ الَّذِينَ نَجَّوْا ثَلَاثَةَ عَشَرَ - وَ عَنْ قَتَادَةَ لَوْ كَانَ
فِيهَا أَكْثَرُ مِّن ذَلِكَ لَانْجَاهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ الْإِيمَانَ مَحْفُوظٌ لَا ضَيْعَةٌ عَلَى أَهْلِهِ عِنْدَ اللَّهِ [آيَةً] عِلَامَةً يُعْتَبَرُ بِهَا
الْخَائِفُونَ دُونَ الْقَاسِمَةِ قُلُوبُهُمْ - قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ هِيَ صَخْرٌ مِّنْضُودٌ فِيهَا - وَ قِيلَ مَاءٌ أَسْوَدٌ مِّنْثَنٍ [وَ فِي
مُوسَى] مَعْطُوفٌ عَلَى وَ فِي الْأَرْضِ أَيْتٌ - أَوْ عَلَى قَوْلِهِ وَ تَرَكْنَا فِيهَا آيَةً عَلَى مَعْنَى وَ جَعَلْنَا فِي مُوسَى آيَةً
كَقَوْلِهِ * ع * عَلَقْنَاهَا تَبْنًا وَ مَاءً بَارِدًا * [فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ] فَازْوَرَّ وَ أَعْرَضَ كَقَوْلِهِ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ - وَ قِيلَ فَتَوَلَّى بِمَا كَانَ
يَتَقَوَّى بِهِ مِّن جُنُودِهِ وَ مَلِكِهِ - وَ قَرِئَ بِرُكْنِهِ بِضَمِّ الْكَافِ [وَقَالَ سِحْرٌ] أَيِ هُوَ سَاحِرٌ [مُلِيمٌ] أَيْ
بِمَا يَلَامُ عَلَيْهِ مِّنْ كُفْرَةٍ وَ عِنَادَةٍ وَ الْجُمْلَةُ مَعَ الْوَاوِ حَالٌ مِّن الضَّمِيرِ فِي فَآخَذْنَاهُ - فَانْ قَلْتَ كَيْفَ وَ صَفَ
نَبِيَّ اللَّهِ يُونُسَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِمَا وَصَفَ بِهِ فِرْعَوْنَ فِي قَوْلِهِ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ - قُلْتَ مُوجِبَاتُ
الْوَاوِ تَخْتَلِفُ وَ عَلَى حَسَبِ اخْتِلَافِهَا تَخْتَلِفُ مَقَادِيرُ الْوَاوِ فَرَكَبُ الْكَبِيرَةِ مَلُومٌ عَلَى مَقْدَارِهَا وَ كَذَلِكَ

الْمُكْرَمِينَ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۖ فَرَأَىٰ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۖ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ
قَالَ أَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۖ فَأَرْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشْرُوهُ بَغْلًا عَلِيمٌ ۖ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ

سورة الذريرت ٥١

الجزء ٢٤

ع ١٨

فطلع اعرابي على قعود فقال من الرجل قلت من بني اصبغ قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل علي فتلوت والذريرت فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فحصرها وزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرها وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلثا وخرجت معها نفسه * [هل آتدك] تفخيم للحديث وتذية على انه ليس من عام رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واما عرفه بالوحي والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لانه في الاصل مصدر ضافة وكانوا اثني عشر ملكا - وقيل تسعة عشرهم جبرئيل - وقيل ثلثة جبرئيل ومكائيل وملك معهما - وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك - واکرامهم ان ابراهيم خدمهم بنفسه وخدمهم امرأته وعجل لهم القرى - وارانهم في انفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون [ان دخلوا] نصب بالمكرمين اذا فسروا باكرام ابراهيم والا فبما في ضيف من معنى الفعل او باضمار اذكر [سلما] مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه واصله نسلم عليكم سلاما - واما [سلم] فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبرة محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كانه قصد ان يحييهم باحسن مما حيوة به اخذا بادب الله وهذا ايضا من اكرامه لهم - وقرئ سلفا قال سلما والسلام - وقرئ سلما قال سلما [قوم منكرون] انكرهم للسلام الذي هو علم الاسلام - او اراد انهم ليسوا من معارفه - او من جنس الناس الذين عهدهم كما لو ابصر العرب قوما من الخزر - او رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم - او كان هذا سؤالا لهم كانه قال انتم قوم منكرون فعرفوني من انتم * [فراغ الى اهله] فذهب اليهم في خفية من ضيوة ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يبادء بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه ويعذره - قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابراهيم البقر فجاء بعجل سمين - والهمزة في [الا تذكرون] لانكار انكر عليهم ترك الاكل او حثهم عليه [فارجس] فاضمر - واما خانهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن انهم يريدون به سوء - وعن ابن عباس وقع في نفسه انهم ملئكة ارسلوا للعذاب - وعن عون بن شداد مسح جبرئيل العجل بجذاعه فقام يدرج حتى لحق بامه [بغلم عليم] اي يبلغ ويعلم - وعن الحسن عليم نبي - والمبشر به اسحق وهو اكثر الاقارب واصلها لان

حَقِّ السَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَلَفَ إِبْرَاهِيمَ

قُلْتُ لَا لَأَنَّ مَا الْغَايَةِ لَا يَعْمَلُ مَا بَعْدَهَا فِيمَا قَبْلَهَا تَقُولُ زَيْدًا لَمْ أَضْرِبْ وَلَا تَقُولُ زَيْدًا مَاضِيَةً - السَّائِلِ
الَّذِي يَسْتَجِدِّي - وَالْمَحْرُومِ الَّذِي يُحْسِبُ غَنِيًّا فَيَحْرُمُ الصَّدَقَةَ لَتَعْقُفَهُ - وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ لَيْسَ الْمَسْكِينُ الَّذِي تَرَقَّه الْأَكْلَةُ وَالْأَكْلَتَانِ وَالثَّمَرَةُ وَالثَّمَرَتَانِ قَالُوا فَمَا هُوَ قَالَ الَّذِي لَا يَجِدُ وَلَا يُتَصَدَّقُ
عَلَيْهِ - وَقِيلَ الَّذِي لَا يَذْمِي لَهُ مَالٌ - وَقِيلَ الْمُحَارِفُ الَّذِي لَا يَكَادُ يَكْسِبُ * [وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ] تَدَلُّ عَلَى
الصَّانِعِ وَقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ حَيْثُ هِيَ مَدْحُورَةٌ كَالْبَسَاطِ لَمَّا فَوْقَهَا كَمَا قَالَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَفِيهَا الْمَسَالِكُ وَالْفَجَاجُ لِلْمَتَقَلِّبِينَ فِيهَا وَالْمَاشِينَ فِي مَنَاكِبِهَا وَهِيَ مَجْزَأَةٌ فَمِنْ مَهْلٍ وَجَبَلٍ وَبَرٍّ
بَحْرٍ وَقَطْعٍ مُتَجَاوِرَاتٍ مِنْ صُلْبَةٍ وَرِخْوَةٍ وَغَذَاةٍ وَسَبْخَةٍ وَهِيَ كَالطَّرِيقَةِ تَلْقَحُ بِالْوَانِ النَّبَاتَ وَأَنْوَاعَ الْأَشْجَارِ
بِالْثَّمَارِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ وَالطَّعُومِ وَالرَّوَائِحِ تَسْقِي بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ وَكُلُّهَا
مُوَافِقَةٌ لِحَوَائِجِ سَاكِنِيهَا وَمَنَافِعُهُمْ وَمَصَالِحُهُمْ فِي صِحَّتِهِمْ وَاعْتِلَالِهِمْ وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَيُونِ الْمُتَفَجِّرَةِ وَالْمَعَادِنِ
الْمُفْقَنَةِ وَالدُّوَابِّ الْمَذْبِذَةِ فِي بَرِّهَا وَبَحْرِهَا الْمُخْتَلِفَةِ الصُّوَرِ وَالْأَشْكَالِ وَالْأَفْعَالِ مِنَ الْوَحْشِيِّ وَالْإِنْسِيِّ وَالْهَوَامِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ [لِلْمُوقِنِينَ] لِلْمُوحِدِينَ الَّذِينَ سَلَكَوا الطَّرِيقَ السَّوِيَّ الْبِرْهَانِيَّ الْمَوْصِلَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ
فَهُمْ نَظَّارُونَ بَعِيدُونَ بِأَصْرَةٍ وَبِأَفْهَامٍ نَافِذَةٍ كُلَّمَا رَأَوْا آيَةً عَرَفُوا وَجْهَ تَأْمَلُهَا فَازْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَإِيقَانًا
إِلَى إِيْقَانِهِمْ [وَفِي أَنْفُسِكُمْ] فِي حَالِ ابْتِدَائِهَا وَتَنَقُّلِهَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَفِي بَوَاطِنِهَا وَظَوَاهِرِهَا مِنْ
عَجَائِبِ الْفِطْرِ وَبَدَائِعِ الْخَلْقِ مَا تَحْتَفِرُ فِيهِ الْأَذْهَانُ وَحَسْبُكَ بِالْقُلُوبِ وَمَا رُكِّزَ فِيهَا مِنَ الْعُقُولِ وَخَصَّتْ
بِهِ مِنْ أَصْنَافِ الْمَعَانِي وَبِاللِّسَنِ وَالنُّطْقِ وَمَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَمَا فِي تَرْكِيبِهَا وَتَرْتِيبِهَا وَلَطَائِفِهَا
مِنَ الْآيَاتِ السَّاطِعَةِ وَالْبَيِّنَاتِ الْقَاطِعَةِ عَلَى حِكْمَةِ الْمَدْبِرِ دَعِ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَطْرَافَ وَسَائِرَ
الْأَجْوَارِ وَتَأْتِيهَا لَمَّا خُلِقَتْ لَهُ وَمَا سَوَّى فِي الْأَعْضَاءِ مِنَ الْمَفَاصِلِ لِلْإِنْعَاطِافِ وَالتَّنَتُّيِ فَإِنَّهُ إِذَا جَسَا
شَيْءٌ مِنْهَا جَاءَ الْعَجْزُ إِذَا اسْتَرْخَى إِذَا خَ الذَّلْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [رِزْقُكُمْ] هُوَ الْمَطَرُ
لأنه سبب الأقوات - وعن سعيد بن جبير هو الثلج و كل عين دائمة منه - وعن الحسن انه كان اذا
رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكم تخرمونه لخطاياكم [وَمَا تُوعَدُونَ] الْجَنَّةُ هِيَ عَلَى
ظَهْرِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ تَحْتَ الْعَرْشِ - اِرَادَ اَنْ مَا تَرْزُقُونَهُ فِي الدُّنْيَا وَمَا تُوعَدُونَهُ فِي الْعَقْبَى كُلَّهُ مُقَدَّرٌ
مَكْتُوبٌ فِي السَّمَاءِ - قَرِئَ مِثْلُ مَا بِالرَّفْعِ صِفَةً لِلْحَقِّ اَيِ حَقٌّ مِثْلُ نَطْقِكُمْ - وَبِالنَّصْبِ عَلَى اَنَّهُ لِحَقِّ حَقًّا
مِثْلُ نَطْقِكُمْ - وَيجوز ان يكون فتحًا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس
ان هذا الحق كما انك ترى وتسمع ومثل ما انك ههنا - وهذا الضمير اشارة الى ما ذكر من امر الآيات
والرزق وامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم او الى ما تُوعَدُونَ - وعن الاصمعي اقبلت من جامع البصرة

الْخَرَّاصُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ۝ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝ ذُوقُوا
فِتْنَتَكُمْ ۝ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۝
إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَفِي أَمْوَالِهِمْ

سورة الذرّيات ٥١

الجزء ٢٤

ع ١٨

الرجل ذا العقل و الرأي ليسأل عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فيقولون له احذرْه فيرجع
فيخبرهم - و عن زيد بن علي يافك عنه من اوك اي يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه -
و عنه ايضا يافك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو افك كذاب - و قرئ يؤفن عنه من
أفن اي يحرمه من حرم من أفن الضرع اذا نهكه حلها [قتل الخراصون] دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما
أكفره و اصله الدعاء بالقتل و الهلاك ثم جرى مجرى لعن و قبح - و الخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح
و هم اصحاب القول المختلف - و اللام اشارة اليهم فانه قيل قتل هؤلاء الخراصون - و قرئ قتل الخراصين اي
قتل الله - [في غمرة] في جهل يغمرهم [ساهون] غافلون عما أمروا به [يسألون] فيقولون [أيان يوم الدين]
اي متى يوم الجزاء - و قرئ بكسر الهمزة و هي لغة - فان قلت كيف وقع أيان ظرفا لليوم و انما تقع الأحيان
ظرفا للحداث - قلت معناه أيان وقوع يوم الدين - فان قلت فبم انتصب اليوم الواقع في الجواب - قلت بفعل مضمر
دل عليه السؤال اي يقع يوم هـ على النار يفتنون - و يجوز ان يكون مفتوحا لضافته الى غير متمكن وهو الجملة -
فان قلت فما محله مفتوحا - قلت - يجوز ان يكون محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع - و رفعا على هو يوم هـ على
النار يفتنون - و قراءة ابن ابي عبلة بالرفع - [يفتنون] يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهو الحرة لان حجارته كانها
محرقة - [ذوقوا فتنكم] في محل الحال اي مقولا لهم هذا القول - [هذا] مبتدأ و [الذي] خبره اي هذا العذاب
هو الذي [كنتم به تستعجلون] - و يجوز ان يكون هذا بدلا من فتنكم اي ذوقوا هذا العذاب - [اخذين ما
آتاهم ربهم] قابلين لكل ما اعطاهم راضين به يعزي انه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي
غير مسخوط لان جميعه حسن طيب و منه قوله تعالى و ياخذ الصدقات اي يقبلها و يرضاها [محسنين]
قد احسنوا اعمالهم و تفسير احسانهم ما بعده [ما] مزيدة و المعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من
الليل ان جعلت قليلا ظرفا - و لك ان تجعله صفة للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا - و يجوز ان تكون
ما مصدرية او موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه - و ارتفاعه قليلا على الفاعلية - و فيه
مبالغات - لفظ الهجوع و هو الغرار من النوم - قال * شعر * قد حصت البيضة رأسي فما * اطعم فوما غير
تجماع * و قوله قليلا - و من اليل لان الليل وقت السبات و الراحة - و زيادة ما المؤكدة لذلك - و صفهم بانهم يحسون
الليل متعجدين فاذا اسبحروا اخذوا في الاستغفار كأنهم اسلفوا في ليلهم الجرائم - و قوله [هم يستغفرون] فيه انهم
هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين فكأنهم المختصون به لاستدامتهم له و اظناهم فيه - فان قلت
هل يجوز ان تكون ما نافية كما قال بعضهم و ان يكون المعنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا و يحيدونه كله -

سورة الذاريات ٥١ ⁷ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۖ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۖ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۖ يُؤْوَفُكُمُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ۖ قَدْ

الجزء ٢٦

ع ١٧

وعن علي رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر سلوني قبل ان لاتسألوني و لن تسألوا بعدي مثلي
فقام ابن الكواء - فقال ما الذاريات قال الرياح - قال فالحملت وقرا قال السحاب - قال فالجريت يسرا قال
الفلك - قال فالمقسمت امرا قال الملكة - وكذا عن ابن عباس - وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله
بها ازراق العباد - وقد حملت على الكواكب السبعة - ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشي السحاب
وتقله وتصرفه وتجري في الجوجريا سهلا و تقسم الامطار بتصريف السحاب - فان قلت ما معنى الفاء
على التفسيرين - قلت - اما على الاول فمعنى التعقيب فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه
فبالفلك اللتي تجريها بهبوبها فبالمملكة اللتي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار و تجارات البحرو منافعها -
واما على الثاني فلانها تبدد في الهبوب فتذر التراب و الحصباء فتقل السحاب فتجري في الجوجباسطة
له فتقسم المطر [انما توعدون] جواب القسم و ما موصولة او مصدرية و الموعود البعث - و وعد صادق كعيشة
راضية - و الدين الجزاء - والواقع الحاصل - [الحُبْك] الطرائق مثل حُبْك الرمل و الماء اذا ضربته الريح
وكذلك حُبْك الشعر اثار تثنيه وتكسرة - قال زهير * شعر * مكلل باصول النجم تنسجه * ريح خريق لصاحي
مائه حُبْك * والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق و يقال ان خلقة السماء كذلك - وعن الحسن حُبْكها
نجومها و المعنى انها تزينها كما يزين الموشى طرائق الوشي - وقيل حُبْكها صفاقتها و احكامها من قولهم
فرس محبوك المعاقم اي محكمها و اذا اجاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن حُبْكهُ و هو جمع حِبَاك
كمثال و مُثْل و حبيكة كطريقة و طرق - و قرئ الحُبْك بوزن القفل - و الحِبْك بوزن السلك - و الحَبْك بوزن
الجبل - و الحَبْك بوزن البرق - و الحَبْك بوزن النعم - و الحِبْك بوزن الابل [لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ] قواهم في
الرسول ساحر و شاعر و مجنون و في القران شعرو سحر و اساطير الاولين - و عن الضحاك قول الكفرة
لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف - و عن قتادة منكم مضدق و مكذب و مقر و منكر [يُؤْوَفُكُمُ عَنْهُ]
الضمير للقران او الرسول اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه و اعظم كقوله
لَا يَهْدِيكَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ - وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اي علم فيما لم يزل انه
مأفوك عن الحق لا يرعوي - ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين - اقسم بالذاريات على ان
وقوع امر القيمة حق - ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مُّخْتَلِفٍ في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد -
ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيمة من هو المأفوك - ووجه آخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مُّخْتَلِفٍ -
وعن مثله في قوله * ع * ينفون عن اكل و عن شرب * اي يتنزهون في السمن بسبب الاكل والشرب و حقيقته
يصدر تذاهيلهم في السمن عنهما و كذلك يصدر انكهم عن القول المختلف - و قرأ سعيد بن جبير يؤفك
عنه من أفك على البناء للفاعل اي من افك الناس عنه و هم قريش و ذلك ان الحبي كانوا يبعثون

وَنَمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ۝ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۝ ذَٰلِكَ حُشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ ۝ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ۝ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ ۝

سورة الذريرت ٥١
الجزء ٢٤
ع ١٧
حرونها ١٥٥٩

كلماتها ٣٩٠

سورة الذريرت مكية وهي ستون آية و ثلاثة ركوعا •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝
وَالذَّرِيرَتِ ذَرُّوَا ۝ فَالْحَمَلَتِ وَقْرَا ۝ فَالْجَرِيرَتِ يَسْرَا ۝ فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرَا ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝

ذلك - فان قلت بم انتصب اليوم - قلت بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم ينادى المنادي يخرجون من القبور - ويوم يسمعون بدل من يوم ينادي - والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور و ينادي آيتها العظام البالية و الاوصال المتقطعة و اللحوم المتمزقة و الشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء - وقيل اسرافيل ينفخ و جبرئيل ينادي بالحشر [من مكان قريب] من صخرة بيت المقدس وهي اقرب الارض من السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض - وقيل من تحت اقدامهم - وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة آيتها العظام البالية - و [الصيحة] المفخخة الثانية [بالحق] متعلق بالصيحة والمراد به البعث و الحشر للجزاء - قرى تشقق - و تشقق بادغام التاء في الشين - و تشقق على البناء للمفعول - و تشقق [سراعاً] حال من المجرور - [علينا يسير] تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم و لا بعثكم الا كنفس واحدة [نحن اعلم بما يقولون] تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم [بجبار] كقوله بمسيطر حتى تقسرهم على الايمان انما انت داع و باعث - وقيل اريد التحلّم عنهم وترك الغلظة عليهم - ويجوز ان يكون من جبرة على الامر بمعنى اجبره اي ما انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان - وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم اذا كان واليهم و مالك امرهم [من يخاف وعيد] كقوله انما انت مذر من يخشها لانه لا يدفع الا فيه دون المصر على الكفر - عن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه ثارات الموت و سكراته •

سورة الذريرت

[الذريرت] الرياح لانها تذررو التراب و غيرة قال الله تعالى تذررة الرياح - و قرى بادغام التاء في الذال - و [الحملت وقرا] السحاب لانها تحمل المطر - و قرى وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا - و [الجريرت يسرا] الفلك و معنى يسرا جريا ذا يسراي ذاهولة - و [المقسمت امرا] الملكة لانها تقسم الامور من الامطار و الارزاق و غيرها - او تفعل التقسيم مأمورة بذلك - و عن مجاهد تنولى تقسيم امر العباد جبرئيل للغلظة - و ميكائيل للرحمة - و ملك الموت لقبض الارواح - و اسرافيل للنفخ -

سورة ق ٥٠
الجزء ٢٦
ع ١٩

تَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ ۖ هَلْ مِنْ مَّخِصٍ ۝ اِنْ فِيْ ذٰلِكَ لَذِكْرٰى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ اَوْ اَلْقٰى السَّمْعَ رَهْوَ
شَهِيدٌ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِيْ سِتَّةِ اَيَّامٍ ۚ وَمَا مَسْنٰا مِنْ لَّغْوٍ ۝ فَاصْبِرْ عَلٰى مَا
يَقُوْلُوْنَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوْعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوْبِ ۝ وَمِنَ الْاَيْلِ فَسَبِّحْهُ وَاَدْبَارَ السُّجُوْدِ ۝ وَاسْتَمِعْ
يَوْمَ يُنَادِ الْمٰٓذٰدِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيْبٍ ۝ يَوْمَ يَسْمَعُوْنَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوْجِ ۝ اِنَّا نَحْنُ نُحْيِيْ

مكة في أسفارهم ومسائرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم مخيصة حتى يؤتملوا مثله لانفسهم و الدليل على
صحته قراءة من قرأ فَنَقَّبُوا على الامر كقوله فَنَقَّبُوا فِي الْأَرْضِ - و قرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو ان
يتنقب خف البعير - قال * ع * ما مسها من نقب ولا دبر * و المعنى فنقبت أخفاف ابلهم او حفيت
اقدامهم و نقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم في البلاد [هَلْ مِنْ مَّخِصٍ] من الله - او من الموت *
[لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ] اي قلب واع لان من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له - والقاء السمع الاصغاء - [وَهُوَ شَهِيدٌ] اي حاضر
بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب - وقد ملح الامام عبد القاهر في قوله لبعض من يأخذ عنده * شعر *
ما شئت من زهزة والفتى * بمصقلا باذ لسقي الزروع * او وهو مؤمن شاهد على صحته وانه وحي من الله - او
وهو بعض الشهداء في قوله لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ - وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من اهل الكتاب لوجود
نعمته عنده - وقرأ السدي وجماعة اَلْقِي السَّمْعُ على البناء للمفعول ومعناه لمن القى غيره السمع وفتح له اذنه
فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن - وقيل اَلْقِي سمعه او السمع منه - اللغوب الاعياء
و قرئ بالفتح بزنة القبول و الولوع - قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيباً لقولهم خلق الله السموات والارض
في ستة ايام اولها الاحد و آخرها الجمعة و احتراح يوم السبت واستلقى على العرش - وقالوا ان الذي وقع
من التشبيه في هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم اخذ [فَاصْبِرْ عَلَى مَا] يقول اليهود و يأتون به من الكفر
و التشبيه - وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم
قدر على بعثهم و الانتقام منهم - وقيل هي منسوخة بأية السيف - وقيل الصبر مأمور به في كل حال
[بِحَمْدِ رَبِّكَ] حامداً ربك - والتسبيح محمول على ظاهرة - او على الصلوة فالصلوة [قَبْلَ طُلُوْعِ الشَّمْسِ] الفجر
[وَقَبْلَ الْغُرُوْبِ] الظهر والعصر [وَمِنَ الْاَيْلِ] العشاء ان - وقيل التهجيد - [وَادْبَارَ السُّجُوْدِ] التسبيح في اواخر
الصلوات والسجود و الركوع يعبر بهما عن الصلوة - وقيل الفوائيل بعد المكتوبات - وعن علي رضي الله عنه
الركعتان بعد المغرب - و روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم
كُتِبَتْ صَلَاتُهُ فِي عِلِّيْنِ - وعن ابن عباس الوتر بعد العشاء - و الادبار جمع دبر - قرئ و ادبار من ادبرت
الصلوة اذا انقضت و تمت و معناه وقت انقضاء السجود كقولهم اتيك حقوق النجم * [وَاسْتَمِعْ] يعني
واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيمة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به والمحدث عنه - كما يروى
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال سبعة ايام امعان بن جبل يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم حدثه بعد

هَذَا مَا تَوَعَّدُونَ لِكُلِّ آوَابٍ حَفِيفٍ ۖ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ۖ ادْخُلُوهَا ۖ بِسَلَامٍ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۚ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قُرُونٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ

سورة ق ٥٠

الجزء ٢٤

ع ١٤

تصوير المعنى فى القلب و تبينه و فيه معنيان - احدهما انها تمتلئ مع اتساعها و تباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء و لا يزداد على امتلائها كقوله لَمْ تَكُنْ جَهَنَّمَ - و الثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها و فيها موضع للمزيد - ويجوز ان يكون [هَلْ مِنْ مَزِيدٍ] استكثارا للداخلين فيها و استبداءا للزيادة عليهم لغرض كثرتهم - او طلبا للزيادة غيظا على العصاة - و المزيد اما مصدر كالمحيد و المميد - و اما اسم مفعول كالمبيع - [غَيْرَ بَعِيدٍ] نصب على الظرف اى مكانا غير بعيد - او على الحال و تذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير و الصليل و المصادر يستوي فى الوصف بها المذكور و المؤنث - او على حذف الموصوف اى شيئا غير بعيد و معناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد و عزيز غير ذليل - قرئ [تَوَعَّدُونَ] بالتاء - و الياء و هي جملة اعتراضية - و [لِكُلِّ آوَابٍ] بدل من قوله لِمُتَّقِينَ بتكرير الجار كقوله تعالى لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ - وهذا إشارة الى الثواب - او الى مصدر اُزْلِفَتْ - و الآواب الرجاء الى ذكر الله - و الحفيظ الحافظ لحدوده - و [مَنْ خَشِيَ] بدل بعد بدل تابع لكل - ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف آوَابٍ و حفيظ ولا يجوز ان يكون فى حكم آوَابٍ و حفيظ لان مَنْ لا يوصف به و لا يوصف من بين الموصولات الا بالذاتى وحده - ويجوز ان يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ لان مَنْ فى معنى الجمع - ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي و حذف حرف النداء للتقريب [بِالْغَيْبِ] حال من المفعول اى خشيه و هو غائب لم يعرفه و كونه معاقبا لا بطريق الاستدلال - او صفة لمصدر خَشِيَ اى خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه و هو غائب - او خشيه بسبب الغيب الذي اوعده به من عذابه - و قيل فى الخلوة حيث لا يراه احد - فان قلت كيف قرن بالخشية اسم الدال على سعة الرحمة - قلت للثناء البليغ على الخاشي و هو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاشع مع ان المخشيت عنه غائب و نحوه و الذين يُوْتُونَ مَا اتَوَّاهُ قُلُوبُهُمْ رَجَلَةٌ فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات - وصف القلب بالانابة و هي الرجوع الى الله لان الاعتبار بما ثبت منها فى القلب يقال لهم [ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ] اى سالمين من العذاب و زوال النعم - او مسلما عليكم يسلم عليكم الله و ملكته [يَوْمُ الْخُلُودِ] اى يوم تقدير الخلود كقوله تعالى ادْخُلُوهَا خَالِدِينَ اى مقدرين الخلود [وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ] هو ما لم يخطر ببالهم و لم تبلغه امانيتهم حتى يشاؤا - و قيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتَمْطُرهم الحُور فنقول نحن المزيد الذي قال الله عز و جل وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ* [فَنَقَّبُوا] - و قرئ بالتخفيف فخرقوا فى البلاد و درخوا و التنقيب التفتير عن الامر و البحث و الطلب - قال الحرث بن حيلة * شعر* نقبوا فى البلاد من حذر الموت و جالوا فى الارض كل مجال* و دخلت الفاء للتسبيح عن قوله هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا اى شدة بطشهم ابطرتهم و اقدرتهم على التنقيب و قوتهم عليه - و يجوز ان يراد فنقب اهل

مَنَّاخٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۝ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ
وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ۝ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا
بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۝ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ۝ وَازْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝

مَنْ دَخَلَ مِنْكُمْ فِيهِ لَمْ أَنْفَعِهِ بِخَيْرٍ مَا عَشْتُ [مُعْتَدٍ] ظَالِمٌ مُتَخَطِّ لِلْحَقِّ [مُرِيبٍ] شَاكٌّ فِي اللَّهِ وَفِي دِينِهِ -
[الَّذِي جَعَلَ] مَبْتَدَأُ مَضْمُونٍ مَعْنَى الشَّرْطِ وَلِذَاكَ أَجِيبَ بِالْفَاءِ - وَيجوز أن يكون الِذِي جَعَلَ منصوباً
بِذَا مِنْ كُلِّ كَفَّارٍ وَيَكُونُ فَالْقِيَةُ تَكْرِيماً لِلتَّوَكُّيدِ - فَإِنْ قُلْتَ لِمَ أُخْلِيتَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنَ الْوَاوِ وَادْخَلْتَ
عَلَى الْوَاوِ - قُلْتَ لِأَنَّهَا اسْتَوْنَفَتْ كَمَا تَسْتَأْنِفُ الْجُمْلَةَ الْوَاقِعَةَ فِي حِكَايَةِ التَّقَارُلِ كَمَا رَأَيْتَ فِي حِكَايَةِ
الْمُقَارَلَةِ بَيْنَ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ - فَإِنْ قُلْتَ فَإِنَّ التَّقَارُلَ هُنَا - قُلْتَ لَمَّا قَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عِتْدٌ وَ
تَبِعَهُ قَوْلُهُ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَتَلَاهُ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ عُلْمٌ أَنْ ثَمَّه مُقَارَلَةٌ مِنَ الْكَامِرِ لَكُنْهَا طَرَحَتْ
لَمَّا يَدُلُّ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ قَالَ رَبِّ هُوَ أَطْغَانِي فَقَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَامَّا الْجُمْلَةُ الْوَاوِ فَوَاجِبٌ عَطْفُهَا
لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ مَعْنَاهَا وَمَعْنَى مَا قَبْلُهَا فِي الْحَصُولِ اعْنِي مَجِيءُ كُلِّ نَفْسٍ مَعَ الْمَلَائِكَةِ وَقَوْلُ
قَرِينُهُ مَا قَالَ لَهُ - [مَا أَطْغَيْتُهُ] مَا جَعَلْتَهُ طَافِئاً وَمَا أَوْقَعْتَهُ فِي الطُّغْيَانِ وَلَكِنَّهُ طَغَى وَاخْتَارَ الضَّلَالَةَ عَلَى الْهُدَى كَقَوْلِهِ
وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي - [قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا] اسْتِيفَافٌ مِثْلُ قَوْلِهِ قَالَ
قَرِينُهُ كَانَ قَائِلاً قَالِ فَمَاذَا قَالَ اللَّهُ فَقِيلَ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا وَالْمَعْنَى لَا تَخْتَصِمُوا فِي دَارِ الْجَزَاءِ وَمَوْقِفِ الْحِسَابِ
فَلَا فَائِدَةٌ فِي اخْتِصَامِكُمْ وَلَا طَائِلٌ تَحْتَهُ وَقَدْ أَوْعَدْتُمْ بِعَذَابِي عَلَى الطُّغْيَانِ فِي كُتُبِي وَعَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِي
فَمَا تَرَكْتُمْ لَكُمْ حِجَّةً عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ لَا تَطْمَعُوا أَنْ أَبَدِّلَ قَوْلِي وَوَعِيدِي فَأَعْفَيْكُمْ عَمَّا أَوْعَدْتُمْ بِهِ [وَمَا أَنَا
بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ] فَأَعَذَبَ مِنْ لَيْسَ بِمُسْتَوْجِبٍ لِلْعَذَابِ - وَالْبَاءُ فِي بِالْوَعِيدِ مَزِيدَةٌ مِثْلُهَا فِي وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ
إِلَى التَّهْلُكَةِ - أَوْ مَعْدِيَّةٌ عَلَى أَنْ قَدَّمَ مَطَاوِعَ بِمَعْنَى تَقَدَّمَ - وَيجوز أن يقع الفعل على جملة قَوْلِهِ مَا يُبَدِّلُ
الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ وَيَكُونُ بِالْوَعِيدِ حَالاً أَيْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ هَذَا مَلْتَبَساً بِالْوَعِيدِ مَقْتَرناً بِهِ
أَوْ قَدَّمْتُهُ إِلَيْكُمْ مَوْعِداً لَكُمْ بِهِ - فَإِنْ قُلْتَ أَنْ قَوْلَهُ وَقَدْ قَدَّمْتُ وَاقِعَ مَوْقِعِ الْحَالِ مِنْ لَا تَخْتَصِمُوا وَالتَّقْدِيمُ
بِالْوَعِيدِ فِي الدُّنْيَا وَالْخُصُومَةِ فِي الْآخِرَةِ وَاجْتِمَاعُهُمَا فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ وَاجِبٌ - قُلْتَ مَعْنَاهُ لَا تَخْتَصِمُوا
قَدْ صَحَّ عِنْدَكُمْ أَنِّي قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ وَصَحَّةُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ فِي الْآخِرَةِ - فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ قَالَ بِظَلَّامٍ عَلَى
لَفْظِ الْمُبَالَغَةِ - قُلْتَ فِيهِ وَجْهَانِ - أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِكَ هُوَ ظَالِمٌ لِعَبْدِهِ وَظَلَّامٌ لِعَبِيدِهِ - وَأَنْ يَرَادَ لَوْ
عَذَّبْتُ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ لَكُنْتُ ظَالِماً مَفْرُطَ الظُّلْمِ فَنفى ذلك * قَرِئَ [نَقُولُ] بِالزُّنُونِ - وَالْيَاءُ - وَعَنْ
سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ يَوْمَ يَقُولُ اللَّهُ لِجَهَنَّمَ - وَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَ الْحَسَنِ يُقَالُ - وَانْتِصَابُ الْيَوْمِ بِظَلَّامٍ أَوْ بِمَضْمُرِ
نَحْوِ اذْكُرُوا أَنْذَرُ - وَيجوز أن ينتصب بِنَفْخٍ كَأَنَّهُ قِيلَ وَ نَفَخَ فِي الصُّورِ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ وَ عَلَى هَذَا يَشَارُ
بِذَلِكَ إِلَى يَوْمٍ نَقُولُ وَلَا يَقْدَرُ حَذْفُ الْمُضَافِ - وَسَوَالُ جَهَنَّمَ وَجَوَابُهَا مِنْ بَابِ التَّخْيِيلِ الَّذِي يَقْصِدُ بِهِ

ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعْدِ ۝ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَذِيبٌ ۝

سورة ق ٥٠
الجزء ٢٦
ع ١٥

انها السكرة التي كتبت على الانسان وارجبت له وانها حكمة و الباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها ولان الموت يعقبها فكانها جاءت به - ويجوز ان يكون المعنى جاءت ومعها الموت - وقيل سكرة الحق سكرة الله اضيفت اليه تفضيلاً لشانها وتهويلاً - وقرئ سَكَرَتْ الْمَوْتِ [ذَلِكَ] اشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ عَلَى طَرِيقِ الْإِلْفَاتِ - او الى الحق والخطاب للفاجر [تَحِيدٌ] تنفرو وتهرب - وعن بعضهم انه سأل زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال أخالفهما جميعاً هو للبتر والفاجر [ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعْدِ] على تقدير حذف المضاف اي وقت ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعْدِ والاشارة الى مصدر نُفِخَ * [سَائِقٌ وَشَهِيدٌ] ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والاخر يشهد عليه بعمله - او ملك واحد جامع بين الامرين كأنه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل مَعَهَا سَائِقٌ النصب على الحال من كُلُّ ليعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة * وقرئ لَقَدْ كُنْتَ - عَلَيْكَ غِطَاءُكَ - فَبَصَرُكَ بالكسر على خطاب النفس اي يقال لها لقد كنت - جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله - او غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئاً فاذا كان يوم القيمة تيقظت وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديداً لتيقظه - [وَقَالَ قَرِينُهُ] هو الشيطان الذي قَيَّضَ له في قوله نَقِيطُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ قَرِينٌ يشهد له قوله قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ [هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ] هذا شيء لَدَيَّ وفي مَلَكْتِي عَتِيدٌ لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه واخر يشهد عليه و شيطاننا مقرراً به يقول قد أعدت له لجهنم وهيئاتها لها باغوائني واضلالي - فان قلت كيف اعراب هذا الكلام - قلت ان جعلت ما موصوفة فعَتِيدٌ صفة لها - وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف - [أَلْقِيَا] خطاب من الله للملكين السابقين السائق والشهيد - ويجوز ان يكون خطاباً للواحد على وجهين - احدهما قول المبرد ان تنذية الفاعل نزلت منزلة تنذية الفعل لاتحادهما كأنه قيل أَلْقِ الْقِيْلَ لِلتَّكْيِدِ - والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على ألسنتهم ان يقولوا خَلِيلِيَّ وَصَاحِبِيَّ وَقِفَا وَأَسْعِدَا حتّى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين - عن الحجاج انه كان يقول يا حَرَمِيَّ اضربا عنقه - وقرأ أَحْسَنُ لَقِينٍ بِالذُّنُونِ الخفيفة - ويجوز ان يكون الالف في أَلْقِيَا بدلا من الذنون اجراءً للوصول مجرى الوقف [عَتِيدٌ] معاند مجانب للحق معاد لاهله [مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ] كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبدل منه شيئاً قط - او مَنَاعٌ لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم - قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني اخيه من الاسلام وكان يقول

سورة ق ٥٠ قول لا تدنيه رقيب عتيد ٥ وجاءت سكرة الموت بالحق ٦ ذلك ما كنت منه تحيد ٥ ونفخ في الصور ٧

الجزء ٢٩

ع ١٥

سمي وريدا لان الروح تروى - فان قلت ما وجه اضافة الحبل الى الوريد و الشيء لا يضاف الى نفسه - قلت فيه وجهان - احدهما ان تكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية - والثاني ان يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلاء مثلا [ان] منصوب باقرب و ساغ ذلك لان المعاني تعمل في الظروف متقدمة و متأخرة و المعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس و ما لاشيء اخفى منه و هو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به اذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه و كيف لا يستغني عنه و هو مطلع على اخفى الخفيات و انما ذلك لحكمة اقتضت ذلك و هي ما في كتبة الملكين وحفظهما و عرض صحائف العمل يوم تقوم الأشهاد و علم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعلمه من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات و الرغبة في الحسنات - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم ان مقعد ملكك على ثنيتيك و لسانك قلمهما و ريقك مدادهما و انت تجري فيما لا يعذك لا تستحيي من الله و لا منهما - و يجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني و نحن قريبون منه مطلعون على احواله مهيمون عليه ان حفظتنا و كتبنا موكلون به - والتلقي التلقن بالحفظ و الكتبة - والقعيد المقاعد كالجلوس بمعنى المجالس و تقديره عن اليمين قعيد و عن الشمال قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه - كقوله * كنت منه والدي برياً * [رقيب] ملك يرقب عمله [عتيد] حاضر - و اختلف فيما يكتب الملكان ف قيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه - و قيل لا يكتبان الا ما يؤجر عليه او يوزر به و يدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل و كاتب السيئات على يسار الرجل و كاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا و اذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر - و قيل ان الملكة يجتنبون الانسان عند غائطه و عند جماعه - و قرئ ما يلفظ على البناء للمفعول - لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته و علمه اعلمهم ان ما انكروه و جحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم و عند قيام الساعة و نبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي و هو قوله و جاءت سكرة الموت و نفخ في الصور - و سكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل - و الباء في بالحق للتعدية يعني و احضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي انطق الله به كتبه و بعث به رسله - او حقيقة الامر و جليلة الحال من سعادة الميت و شقاوته - و قيل الحق الذي خلق له الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت - و يجوز ان تكون الباء مثلها في قوله تنبت بالدهن اي و جاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة و الغرض الصحيح كقوله خلق السموات و الارض بالحق - و قرأ ابوبكر و ابن مسعود سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق و الدلالة على

وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبْتًا وَحَبَّ النَّاصِعِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝
 رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدًا مَيِّتًا ۝ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ وَاصْطَبَّ الرَّسُّ وَذُمُّوا ۝
 وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطَ ۝ وَاصْطَبَّ الْأَيْكَةُ وَقَوْمُ تَبَعٍ ۝ كُلُّ كَذَّابٍ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ۝ أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ
 الْأَوَّلِ ۝ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ۝
 وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِنْ

وَالله و سَلَّمَ بِصِفَتٍ بِإِبْدَالِ السَّيْنِ صَادًا لِاجْلِ الْقَافِ [نَضِيدٌ] مَنْصُودٌ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ أَمَّا أَنْ يَرَاكَ كَثْرَةُ
 الطَّلْعِ وَتَرَاكُمُهُ أَوْ كَثْرَةُ مَا فِيهِ مِنَ الثَّمَرِ [رِزْقًا] عَلَى أَنْبَتْنَاهَا رِزْقًا لِأَنَّ الْأَنْبَاتِ فِي مَعْنَى الرِّزْقِ أَوْ عَلَى أَنَّهُ
 مَفْعُولٌ لَهُ أَيْ أَنْبَتْنَاهَا لِنَرْزُقَهُمْ [كَذَلِكَ الْخُرُوجُ] كَمَا حَدِيثُ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الْمَيِّتَةِ كَذَاكَ تَخْرُجُونَ أَحْيَاءَ
 بَعْدَ مَوْتِكُمْ - وَالْكَافُ فِي مَحَلِّ الِرْفَعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ * أَرَادَ بِفِرْعَوْنَ قَوْمَهُ كَقَوْلِهِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ لِأَنَّ الْمَعْطُوفَ
 عَلَيْهِ قَوْمُ نُوحٍ وَالْمَعْطُوفَاتُ جَمَاعَاتُ - [كُلُّ] يَجُوزُ - أَنْ يَرَادَ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ - وَأَنْ يَرَادَ جَمِيعُهُمْ لِأَنَّهُ وَحْدٌ
 الضَّمِيرُ الرَّاجِعُ إِلَيْهِ عَلَى الِلفْظِ دُونَ الْمَعْنَى [فَحَقَّ وَعِيدُ] فَوَجِبَ وَحَلَّ وَعِيدِي وَهُوَ كَلِمَةُ الْعَذَابِ وَفِيهِ
 تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَهْدِيدٌ لَهُمْ * عِيْدِي بِالْأَمْرِ إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لُوجُهُ عَمَلُهُ وَالْهَمْزَةُ لِلانْكَارِ
 وَالْمَعْنَى أَنَّا لَمْ نَعْجُزْ كَمَا عَلِمُوا عَنِ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ حَتَّى نَعْجُزَ عَنِ الثَّانِي ثُمَّ قَالَ هُمْ لَا يَفْكُرُونَ قَدَرْتَنَا عَلَى
 الْخَلْقِ الْأَوَّلِ وَاعْتَرَفَهُمْ بِذَلِكَ فِي طِيَةِ الْاعْتِرَافِ بِالْقُدْرَةِ عَلَى الْإِعَادَةِ [بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ] أَيْ فِي خِلَاطٍ
 وَشُبْهَةٍ قَدْ لَبَسَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ وَحَيَّرَهُمْ وَمِنْهُ قَوْلُ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا حَارِ إِنَّهُ لَمَلْبُوسٌ عَلَيْكَ اعْرِفِ
 الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ وَلَبَسُ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ تَسْوِيلُهُ إِلَيْهِمْ أَنْ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى أَمْرٌ خَارِجٌ عَنِ الْعَادَةِ فَتَرَكُوا
 لِذَلِكَ الْقِيَاسَ الصَّحِيحَ أَنْ مِنْ قَدَرٍ عَلَى الْإِنشَاءِ كَانَ عَلَى الْإِعَادَةِ أَقْدَرُ - فَإِنْ قُلْتَ لَمْ نَكْرِ الْخَلْقَ الْجَدِيدَ
 وَهَلَا عَرَفَ كَمَا عَرَفَ الْخَلْقَ الْأَوَّلَ - قُلْتَ قَصْدٌ فِي تَنْكِيرِهِ إِلَى خَلْقٍ جَدِيدٍ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ وَحَالٌ شَدِيدٌ
 حَقٌّ مِنْ سَمْعِ بِهِ أَنْ يَهْتَمَّ بِهِ وَيَخَافُ وَيَسْتَحْثُ عَنْهُ وَلَا يَقْعُدُ عَلَى لَبْسٍ فِي مِثْلِهِ * الْوَسْوَسةُ الصَّوْتُ
 الْخَفِيِّ وَمِنْهَا وَسْوَاسُ الْخَلْقِ وَوَسْوَسةُ النَّفْسِ مَا يَخْطُرُ بِبَالِ الْإِنْسَانِ وَيُجَسِّسُ فِي ضَمِيرِهِ مِنْ حَدِيثِ
 النَّفْسِ - وَالْبَاءُ مِثْلُهَا فِي قَوْلِكَ صَوْتٌ بَكْدًا وَهَمْسٌ بِهِ - وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلتَّعْدِيَةِ وَالضَّمِيرُ لِلْإِنْسَانِ أَيْ
 مَا تَجْعَلُهُ مَوْسُوسًا وَمَا مَصْدَرِيَّةٌ لَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِكَذَا كَمَا يَقُولُونَ حَدَّثْتَهُ بِهِ نَفْسَهُ - قَالَ * ع * وَكَذَّبَ
 النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا * [وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ] مُجَازٌ الْمُرَادُ قُرْبُ عِلْمِهِ مِنْهُ وَأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِمَعْلُومَةٍ مِنْهُ وَمِنْ
 أَحْوَالِهِ تَعَلُّقًا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ خَفِيَّاتِهِ فَكُنَّ ذَاتَهُ قَرِيبَةً مِنْهُ كَمَا يَقَالُ اللَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَقَدْ جَلَّ
 عَنِ الْإِمْكِنَةِ - وَحَبْلُ الْوَرِيدِ مِثْلُ فِي فَرْطِ الْقُرْبِ كَقَوْلِهِمْ هُوَ مِنِّي مَقْعَدُ الْقَابِلَةِ وَمَقْعَدُ الْإِزَارِ - قَالَ ذُو الرِّمَّةِ * ع *
 وَالْمَوْتُ أَدْنَى لِي مِنَ الْوَرِيدِ * وَالْحَبْلُ الْعِرْقُ شَبَّهَ بِوَاحِدِ الْحَبَالِ الَّتِي قَوْلُهُ * ع * كَأَنَّ وَرِيدِيهِ رِشَاءَ خُلْبٍ *
 وَالْوَرِيدَانِ عِرْقَانِ مَكْتَنَفَانِ لِصَفْحَتَيْ الْعُنُقِ فِي مَقْعَدِهَا مُتَصِلَانِ بِالْوَتَيْنِ يَرِدَانِ إِلَيْهِ مِنَ الرَّأْسِ - وَقِيلَ

سورة ق ٥٠
الجزء ٢٦
ع ١٤

ثَرَابًا ۚ ذَٰلِكَ رَجْعُ بَعِيدٌ ۖ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِآلِحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ ۝ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۚ
وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝

السموات و الارض و ما بينهما و على اختراع كل شيء و ابداعه و اقرارهم بالنشأة الاولى و مع شهادة العقل بانه لا بد من الجزاء ثم عول على احد الانكارين بقوله [فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ إِذَا مِتْنَا] دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد و احق بالانكار - و وضع الْكَافِرُونَ موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدّمون على الكفر العظيم - و هذا اشارة الى الرجوع - و اذا منصوب بمضمر معناه احيان نموت و نَبْلَى نَرْجِع [ذَٰلِكَ رَجْعُ بَعِيدٌ] مستبعد مستذكر كقولك هذا قول بعيد و قد ابعد فلان في قوله و معناه بعيد من الوهم و العادة - و يجوز ان يكون الرجوع بمعنى المرجوع و هو الجواب و يكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث و الوقف قبله على هذا التفسير حسن - و قرئ اذا مِتْنَا على لفظ الخبر و معناه اذا متنا بعد ان نرجع و الدال عليه ذَٰلِكَ رَجْعُ بَعِيدٌ - فان قلت فما ناسب الظرف اذا كان الرّجوع بمعنى المرجوع - قلت ما دل عليه المنذر من المنذر به و هو البعث - [قَدْ عَلِمْنَا] رد لاستبعادهم الرجوع لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الارض من اجساد الموتى و تأكله من لحومهم و عظامهم كان قادرا على رجوعهم احياء كما كانوا - عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب * و عن السدي [مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ] ما يموت فيدفن في الارض منهم [كِتَابٌ حَفِيظٌ] محفوظ من الشياطين و من التغيير و هو اللوح المحفوظ - او حافظ لما اودعه و كتب فيه - [بَلْ كَذَّبُوا] اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو انقطع من تعجبهم و هو التكذيب بالحق الذي هو الذبوة الثابتة بالمعجزات في اول وهلة من غير تفكر و لا تدبر [فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ] مضطرب يقال مرج الخاتم في اصبعه و جرج فيقولون تارة شاعرو تارة ساحرو تارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد - و قرئ لَمَّا جَاءَهُمْ بكسر اللام و ما المصدرية و اللام هي اللتي في قولهم لخمس خلون اي عند مجيئه اياهم - و قيل الحق القرآن - و قيل الاخبار بالبعث * [أَفَلَمْ يَنْظُرُوا] حين كفروا بالبعث الى اثار قدرة الله في خلق العالم - [بَنَيْنَاهَا] رفعناها بغير عمد [مِنْ فُرُوجٍ] من فتوق يعني انها ملبسة سليمة من العيوب لا فتق فيها و لا صدع و لا خلل كقوله تعالى هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ [مَدَدْنَاهَا] دحوناها [رَوَاسِيَ] جبلا ثوابت لولا هي لتكفأت [مِنْ كُلِّ زَوْجٍ] من كل صنف [بَهِيجٍ] يبتهج به لحسنه [تَبْصِرَةً] لتبصر به و تذكر كل [عَبْدٍ مُنِيبٍ] راجع الى ربه مفكر في بدائع خلقه - و قرئ تَبْصِرَةً وَ ذِكْرَىٰ بِالرَّفْعِ اي خلقها تبصرة - [مَاءً مُبْرَكًا] كثير المنافع [وَ حَبَّ الْحَصِيدِ] و حب الزرع الذي من شأنه ان يحصد و هو ما يقتات به من نحو الحنطة و الشعير و غيرهما [بِسِقَاتٍ] طوالا في السماء - و في قراءة رسول الله صلى الله عليه

أَسْلَمُوا ٥ قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ٦ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ ٧ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٨ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ٩ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٠

سورة ق ٥٠

الجزء ٢٤

ع ١٤

حروفها
١٥٢٥

سورة ق مكية وهي خمس و اربعون آية وثلاثة ركوعا •

كلماتها
٣٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١

ق قَفَّ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ٢ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٣ وَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا

سماء الله اسلاماً ونفى ان يكون كما زعموا ايماناً فلما منوا على رسول الله ما كان منهم قال الله تعالى لرسوله عليه السلام ان هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديراً بالاعتداد به من حديثهم الذي حق تسميته ان يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدوا علي اسلامكم اي حديثكم المسمى اسلاماً عندي لا ايماناً ثم قال [بَلِ اللَّهُ] يعتد [عَلَيْكُمْ أَنْ] امداكم بتوقيقه حيث [هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ] على ما زعمتم وادعيتهم انكم ارشدتم اليه ووفقتهم له ان صح زعمكم وصدقتم دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه - وفي اضافة الاسلام اليهم و ايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل و جواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان فلهذا المنة عليكم - و قرئ ان هَدَيْكُمْ بكسر الهمزة - وفي قراءة ابن مسعود ان هَدَيْكُمْ - و قرئ [تَعْمَلُونَ] بالتاء - والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعزوني انه عز وجل يعلم كل مستدر في العالم ويُبصر كل عمل تعملونه في سرهم وعلانياتهم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائرهم ولا يظهر على صدقهم وكذبهم وذلك ان حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله ومن عصاه •

سورة ق

الكلام في ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا نَحْوَهُ فِي ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ لالتقائهما في اسلوب واحد - وَالْمَجِيدِ ذُو الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ وَمَنْ احاط علماً بمعانيه و عمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته - قوله [بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ] انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان يُنذَرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا رسالته فيهم وعدالته وامانته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحاً لقومه مترفرفاً عليهم خائفاً ان ينالهم سوء ويحل بهم مكروه واذا علم ان مخوفاً اظلمهم لزمه ان يُنذَرهم ويحذَرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وانكار لتعجبهم مما انذَرهم به من البعث مع علمهم بقدرته الله على خلق

وَرَسُولُهُ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ط أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ © قُلْ أَتَعْلَمُونَ
اللَّهُ بِدِينِكُمْ ط وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ط وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ © يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ

الالت وهي لغة غطفان ولغة أسد واهل الحجاز لآته لينا - وحكى الاصمعي عن ام هشام السلوية انها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمة الاصوات - وقرئ بالمغتئين لا يلتكم ولا يالتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيئا - ومعنى طاعة الله ورسوله ان يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق و يعقدوا قلوبهم على الايمان و يعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم و وهب لهم مغفرته و انعم عليهم بجزيل ثوابه - وعن ابن عباس ان نفرا من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فظهروا الشهادة و افسدوا طرق المدينة بالعدوات و اغلوا اسعارها و هم يغدون و يروحون على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ويقولون اتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها و جئناك بالانقل و الذراري يريدون الصدقة و يمتنون عليه ففزئت - ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة و المعنى انهم امنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما امنوا به و لا اتهم لمن صدقوه و اعترفوا بان الحق معه - فان قلت ما معنى [ثم] ههنا وهي للتراخي و عدم الارتياب يجب ان يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما بينت من افادة الايمان معنى الثقة و الطمانينة اللتي حقيقتها التيقن و انتفاء الريب - قلت الجواب على طريقتين - احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان او بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه و قذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظره نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات و نظيرة قوله ثم استقاموا - و الثاني ان الايقان و زوال الريب لما كان ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيهها على مكانه و عطف على الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا [وجاهدوا] يجوز - ان يكون المجاهد منويا و هو العدو المحارب او الشيطان او الهوى - و ان يكون جاهدا مبالغة في جهد - و يجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو و ان تتناول العبادات باجمعها و بالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان في جيش العسرة و ان تتناول الزكوات و كل ما يتعلق بالمال من اعمال البر اللتي يتحاصل فيها الرجل على ماله لوجه الله [اُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ] الذين صدقوا في قولهم امنا و لم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد - و هم الذين ايمانهم صادق و ايمان حق و جد و ثبات يقال ما علمت بقدمك اي ما شعرت به و لا احطت به و منه قوله [أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ] و فيه تجهيل لهم يقال من عليه بيد اسداها اليه كقولك انعم عليه و افضل عليه - و المنة النعمة اللتي لا يستثيب مسديها من يزلها اليه و اشتقاقها من المن الذي هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير ان يعتمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه اذا اعتد عليه منة و انعاما و سياق هذه الآية فيه لطف و رشاقة و ذلك ان الكائن من الاعارب قد

خَبِيرٌ ۖ قَالَتْ الْاَعْرَابُ اٰمَنَّا ۚ قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوْا وَلٰكِنْ قَوْلُوْا اٰمَلْنَا ۚ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْاِيْمَانُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ ۚ وَ اِنْ تُطِيعُوْا اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ لَا يَلْتَمِسْ مِنْ اَعْمَالِكُمْ شَيْءًا ۚ اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝ اِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ

بالانساب فقل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم - وعن النبي صلى الله عليه و آله وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله و اثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية و تكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله و فاجر شقي هين على الله ثم قرأ الآية - و عنه عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله - و عن ابن عباس كرم الدنيا الغنى و كرم الآخرة التقوى - و عن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما اسود يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فاشتراه رجل فكان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يراه عند كل صلاة ففقدته يوما فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد ثلاثة ايام فقل هو لما به فجاءه و هو في ذمائه فتولى غسله و دفنه فدخل على المهاجرين و الانصار امر عظيم فنزلت الآية الايمان هو التصديق بالله مع الثقة و طمانينة النفس - و الاسلام الدخول في السلم و الخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله و لَمَّا يَدْخُلِ الْاِيْمَانُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ فاعلم ان كل ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطاة القلب فهو اسلام و ما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان - فان قلت ما وجه قوله [قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوْا وَلٰكِنْ قَوْلُوْا اٰمَلْنَا] والذي يقتضيه نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا اٰمنا و لكن قولوا اسلمنا او قل لَمْ تُؤْمِنُوْا وَلٰكِنْ اسلمتم - قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا و دفع ما انتحلوه فقل لَمْ تُؤْمِنُوْا و روعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم و وضع لَمْ تُؤْمِنُوْا الذي هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين اولئك هم الصادقون تعريضا بان هؤلاء هم الكاذبون و رب تعريض لا يقارنه التصريح و احتغني بالجملة التي هي لَمْ تُؤْمِنُوْا عن ان يقال لا تقولوا اٰمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداة النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى و لم يقل و لكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم و الدعوى كما كان قولهم اٰمنا كذلك و لو قيل و لكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم و الاعتداد بقولهم وهو غير معتد به - فان قلت قوله [وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْاِيْمَانُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ] بعد قوله قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوْا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة - قلت ليس كذلك فان فائدة قوله لَمْ تُؤْمِنُوْا هو تكذيب دعواهم و قوله وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْاِيْمَانُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ ثبوت لما امروا به ان يقولوه كأنه قيل لهم و لكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطاة قلوبكم لاسئلتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا - و ما في لَمَّا من معنى التوقع دال على ان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد [لَا يَلْتَمِسْ] لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال آله السلطان حقه اشد

خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

حتى جعل الانسان اخا - ومنها ان لم يقتصر على اكل لحم الاخ حتى جعل ميتا - وعن قذارة كما تكره
ان وجدت جيفة مذبذبة ان تأكل منها كذلك فاكراه لحم اخيك وهو حي - وانتصب [ميتا] على الحال
من اللحم - ويجوز ان ينتصب عن الاخ - وقرئ ميتا ولما قرره عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل
جيفة اخيه عقب ذلك بقوله [فَاكْرَهُتُمُوهُ] اي فتحققتم بوجوب الاقرار عليكم وبناتكم لا تقدرن على دفعه
وافكاره لالباء البشرية عليكم ان تجحدوه كراهتكم له وتقذرتم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره
من الغيبة والطعن في أعراض المسلمين - وقرئ فَاكْرَهُتُمُوهُ اي جابلتم على كراهته - فان قلت هلا عدي
بالى كما عدي في قوله وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَايَها القياس - قلت القياس تعدي به بنفسه لانه ذو مفعول واحد قبل
تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول واما تعدي بالى فتأول و اجراء لكراهة
مجري بغض لان بغض منقول من بغض اليه الشيء فهو بغيض اليه كقولك حب اليه الشيء فهو
حبيب اليه - والمبالغة في الثواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عبادة - اولانه ما من ذنب يقترنه
المقترف الا كان معفو عنه بالتوبة - اولانه بليغ في قبول التوبة مفضل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة
كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم فانكم ان اتقيتم تقبل الله
توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين الدائبين - وعن ابن عباس ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة
ويستوي لهما طعامهما فذام عن شانه يوما فبعثاه الى رسول الله يبغى لهما اداما و كان اسامة على طعام
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فعند ذلك قال لو بعثناه
الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهما مالي ارى
خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما ففرلتما [مَنْ ذَكَرَ وَأُنْثَى] من آدم وحواء -
وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب وام فما منكم احد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الاخر سواء بسواء فلا وجه
للتفاخر والتفاضل في النسب - والشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهي -
الشعب - والقبيلة - والعمارة - والبطن - والفخذ - والفصيلة - فالشعب تجمع القبائل - والقبيلة تجمع العمار -
والعمارة تجمع البطون - والبطن تجمع الافخاذ - والفخذ تجمع الفصائل - خزيمة شعب - وكنانة قبيلة - وقريش
عمارة - وقصي بطن - وهاشم فخذ - والعباس فصيلة - وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها - وقرئ لَتَعَارَفُوا
وَلَتَعَارَفُوا بِالْإِغْمَامِ - وَلَتَعْرِفُوا اي لتعلموا كيف تتناسبون - وَلَتَعْرِفُوا - والمعنى ان الحكمة اللتي من اجلها رتبكم
على شعوب وقبائل هي ان يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى الى غير ابيه لا ان تنفخروا بالآباء
والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل فى الانساب - ثم بين الخصلة اللتي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب
الشرف والكرم عند الله فقال [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَى] - وقرئ أَنَّ بالفتح كانه قيل لم لا يتفاخروا

سورة الحجرات ٤٩

الجزء ٢٤

ع ١٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ط
 ائْحِبُّ أَحَدَكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ط وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ٥ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

للتقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتنباب الظن منوطاً بما يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنباً وما اتصف منه بالقلّة مرخصاً في تظنيّه والذي يميز الظنون اللتي يجب اجتنابها عما سواها ان كل ما لم تعرف له اشارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصالح و اؤنس منه الامانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهر الناس بتعاطي الرّيب والمجاهرة بالخباياث - عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء - وعن الحسن كذا في زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ماشئت - وعنه لاحرمه لفاجر - وعنه ان الفاسق اذا اظهر فسقه وهتك سترة هتكه الله و اذا امتنر لم يظهر الله عليه لعله ان يتوب - وقد روي من القى جلاباب الحياء فلا غيبة له - والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب - ومنه قيل لعقوبته الاثم فعال منه كالتكال والعذاب والوبال - قال * شعر * لقد فعلت هذى النوى بي فعلة * اصاب النوى قبل الممات اثنائها * والهمزة فيه عن الوار كانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه - و قريء ولا تجسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله وَاِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ وَالتجسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان احواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعائبهم والاستكشاف عما ستروه - وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما سترة الله - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه خطب فرفع صوته حتى اسمع العواتق في خدرورهن قال يا معشر من امن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه و لو في جوف بيته - وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن ابي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء اخذنا به - غابه واغتابه كغاله واغتابه من الغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء في الغيبة - وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته - وعن ابن عباس الغيبة ادم كلاب الناس - [ائْحِبُّ أَحَدَكُمْ] تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افطع وجه و افحشه وفيه مبالغات شتى - منها الاستفهام الذي معناه التقرير - ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة - ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذاك - ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان

تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٩﴾

عنه بالعتيق والصديق و عمر بالفاروق و حمزة بأسد الله و خالد بسيف الله و قل من المشاهير في الجاهلية و الاسلام من ليس له لقب و لم تنزل هذه الالقاب الحسنة في الامم كلها من العرب و العجم تجري في مخاطباتهم و مكاتباتهم من غير نكير - روي عن الضحاك ان قوما من بني تميم استهزؤا ببدال و خباب و عمار و صهيب و ابي ذر و سالم مولى حذيفة فنزلت - و عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية و كانت قصيرة - و عن ابن عباس ان ام سلمة ربطت حقوبها بسبيبة و مدلت طرفها خلفها و كانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب - و عن انس عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ام سلمة بالقصر - و من عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حبيبي اتت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقالت ان النساء يعيرنني و يقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هلا قلت ان ابي هرون و ان عمي موسى و ان زوجي محمد - و روي انها فنزلت في ثابت بن قيس و كان به وقر و كانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ليدفع فاتي يوما و هو يقول تفسحوا لي حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا قال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد امّا كان يعيرها في الجاهلية فحجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد في الحسب بعدها ابدا [الاسم] ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم كما يقال طار ثناؤه و صيته و حقيقته ما سما من ذكره و ارتفع بين الناس الا ترى الى قولهم اشاد بذكره كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر ان يذكروا بالفسق - و في قوله [بَعْدَ الْإِيمَانِ] ثلثة اوجه - احدها استقباح الجمع بين الايمان و بين الفسق الذي ياباه الايمان و يحظره كما تقول بئس الشأن بعد الكبرية الصبوة - و الثاني انه كان في شنائهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فذهوا عنه - و قيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق و اليهودية بعد ايمانه و الجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنازع - و الثالث ان يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحوّل عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة * يقال جذب الشّر اذا ابعد عنه و حقيقته جعله منه في جانب فيعدّي الى مفعولين قال الله تعالى وَاجْذِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ثُمَّ يُقَالُ فِي مَطَاوِعِ اجْتِنَابِ الشَّرِّ فَتَقْصُ الْمَطَاوِعُ مَفْعُولًا و المأمور باجتنابه هو بعض الظن و ذلك البعض موصوف بالثبوت الا ترى الى قوله اِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ اِنَّهُ - فَاَنَّ قَلَّتْ بَيْنَ الْفَصْلِ بَيْنَ كَثِيرٍ حَيْثُ جَاءَ نَكْرَةُ وَبَيِّنَةٌ لَوْ جَاءَ مَعْرِفَةٌ - قَلَّتْ مَجِيئُهُ نَكْرَةُ يَفِيدُ مَعْنَى الْبَعْضِيَّةِ و ان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبدين لذلك ولا تعيين لئلا يجترى احد على ظن الا بعد نظر و تأمل و تمييز بين حقه و باطله بامارة بيّنة مع استشعار

أَمْذُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ۚ وَلَا

سورة الحجرات ٤٩

الجزء ٢٤

ع ١٣

على قوله ولا يأتي ما عليه من النهي و الانكار فيكون شريك الساخر و تلوه في تحمل الوزر و كذلك كل من يطرق سمعه فيستطيعه و يضحك به فيؤذي ذلك و ان اوجده واحد الى تكثر السخرة و انقلاب الواحد جماعة و قوما و قوله [عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ] كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المسخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه و الا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء و المعنى وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور منه ربما يكون عند الله خيرا من الساخر لان الناس لا يطاعون الا على ظواهر الاحوال و لا علم لهم بالخفيات و انما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر و تقوى القلوب و علمهم من ذلك بمعزل فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيدق في محادثته فلعله اخلص ضميرا و اتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقيق من وقرة الله و الاستهانة بمن عظمه الله و لقد بلغ بالسلف افراط توقيهم و تصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكتم منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنعه - و عن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا - و في قراءة عبد الله عَسَا أَنْ يَكُونُوا وَعَسَيْنَ أَنْ يَكُنَّ فَعَسَى عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ هِيَ ذَاتُ الْخَبَرِ كَاللَّتِي فِي قَوْلِهِ فَهَلْ عَسَيْتُمْ و عَلَى الْوَلِيِّ اللَّتِي لَا خَبَرَ لَهَا كَقَوْلِهِ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا - و اللمز الطعن و الضرب باللسان - و قرئ و لَا تَلْمُزُوا بالضم و المعنى و خُصُوا ايها المؤمنون انفسكم بالانتهاز عن عيبها و الطعن فيها و لا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم و لا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس - و عن الحسن في ذكر الحجاج اخرج اليّ بذنا قصيرة قلتما عرقت فيها الاعنة في سبيل الله ثم جعل يطبّطب شعيرات له ويقول يا ابا سعيد يا ابا سعيد و قال لما مات اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيّمش يخطر في مشيته و يصعد المنبر حتى يفوته الصلوة لا من الله يتقي و لا من الناس يستحيي فوجه الله و تحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلوة ايها الرجل الصلوة ايها الرجل هيهات دون ذلك السيف و السوط - و قيل معناه لا يعيب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه - و قيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لزم نفسه حقيقة - و التذابر باللقاب التداعي بها تفاعل من نبزة و بذوا فلان يتنازبون و يتنازبون و يقال الذب و الذب لقب السوء و التلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به و ذمّ له و شيئا فاما ما يحبه مما يزيّنه ويفوّه به فلا بأس به - و روي عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم من حق المؤمن على اخيه ان يسميه باحب اسمائه اليه و لهذا كانت التكنية من السنة و الادب الحسن - قال عمر رضي الله عنه اشيعوا الكنى فانها منبهة و لقد لقب ابو بكر رضي الله

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

القسط على طريق العموم بعد ما أمر به في اصلاح ذات البين والقول فيه مثله في الامر باتقاء الله على عقب النهي عن التقديم بين يديه - والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعون قاسط يابس واقسطه الرياح واما القسط بمعنى العدل فالفعل منه اقسط و همزته للمسلم اي ازال القسط وهو الجور هذا تقرير لما الزمه من تولي اصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها و لم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ويركبوا الصعب والذلول مشياً بالصلح وبتأ للسفراء بينهما الى ان يصادف ما دهي من الوفاق من يرقعه و ما استشن من الوصال من يبله فالاخوة في الدين احق بذلك و باشد منه - وعن النبي صلى الله عليه و آله وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه و لا يخذله و لا يعيبه و لا يتطارل عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه و لا يؤذيه بقنار قدرة ثم قال احفظوا و لا يحفظ منكم الا قاييل - فان قلت فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع - قلت لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمتم المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد في شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين - وقيل المراد بالآخوين الاوس و الخزرج - و قرئ يَبْنِ أَخَوَيْكُمْ و اخَوَانَكُمْ و المعنى ليس المؤمنون الا اخوة و انهم خاص لذلك متمحصون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية و ابى لطف حالهم في التمازج و الاتحاد ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع و احسموه [وَ اتَّقُوا اللَّهَ] فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل و الائتلاف و المسارعة الى اماطة ما يفرط منه و كان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم و اشتغال رافته عليكم حقيقة بأن تعقدوا به رجاءكم * القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ و قال عليه السلام النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه و الذابون هم الرجال وهو في الاصل جمع قائم كصوم و زور في جمع صائم و زائر او تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما احببت نوما و ابغضت قوما اي قياما و اختصاص القوم بالرجال صريح في الآية وفي قول زهير * ع * اقوم آل حصن ام نساء * و اما قواهم في قوم فرعون و قوم عاد هم الذكور و الاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفرقيين و لكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن تواقع لرجالهن - و تفكير القوم و النساء يحتمل معنيين - ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين و المؤمنات من بعض - و ان يقصد افادة الشيعاء و ان يصير كل جماعة منهم مذهبية عن السخرية و انما لم يقل رجل من رجل و لا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم و غير واحدة من نسائهم على السخرية و استفظاعا للشان الذي كانوا عليه و لان مشهد الساخر لا يمكن يخلو ممن يتلقى و يستضحك

وَنِعْمَةً ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِنْ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ۚ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ

سورة الحجرات ٤٩

الجزء ٢٤

ع ١٢

الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها - فان قلت ما وجه قوله اقْتَتَلُوا والقياس اقْتَتَلَا كما قرأ ابن ابي عبدة او اقْتَتَلَا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطيين او النفرين - قلت هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس - وفي قراءة عبد الله حَتَّى يَفِيءُوا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءُوا فَخَدُّوا بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ - وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت - وعن ابن عمر ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدته من امر هذه الآية ان لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرني الله تعالى قاله بعد ان اعتزل فاذا كاتت وقُبضت عن الحرب ايديها تُركت واذا تولت عمل بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يا ابن ام عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها - ولا تخلو الفيئتان من المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب في ذلك ان يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكاتة والموادعة فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا واقامتا على البغي صير الى مقاتلتها واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مرشد الحق فان ركبنا متن اللجاج ولم تعملنا على شاكلة ما هُديتا اليه ونصحتنا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقنا بالفئتين الباغيتين واما ان يكون احدهما الباغية على الاخرى فالواجب ان يقاتل فئة البغي الى ان تكف وتقوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رحمة الله عليه فانه كان يفتي بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين يتفرق عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل في قوله فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي ذكرنا ان الغرض اماتة الضغائن وسمل الاحقاد دون ضمان الجذائيات ليس بحسن التطبيق للمأمور به من اعمال العدل ومراعاة القسط - فان قلت فلم قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول - قلت لان المراد بالاقتيال في اول الآية ان تقتتلا باغيتين معا او راكبتين شبهة وايتهما كانت فالذي يجب على المسلمين ان يأخذوا به في شأنهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء براءة الحق والمواظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصررتا فحينئذ تجب المقاتلة واما الضمان فلا يتجه وليس كذا اذا بغت احدهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين [وَأَقْسِطُوا] امر باستعمال

الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۖ فَضَّلْنَا مِنَ اللَّهِ

فَإِنْ قُلْتَ فَإِنَّ الْعَرَبَ تَمْدَحُ بِالْجَمَالِ وَحَسَنَ الْوَجْوهَ وَذَلِكَ فَعَلَ اللَّهُ وَهُوَ مَدَحٌ مَقْبُولٌ عِنْدَ النَّاسِ
غَيْرُ مُرْدُودٍ - قُلْتَ الَّذِي سَمِعْتَ ذَلِكَ لَهُمْ أَنَّهُمْ رَأَوْا حَسَنَ الرُّوَاءِ وَرِسَامَةَ الْمَنْظَرِ فِي الْغَالِبِ يُسْفِرُ
عَنْ مَخْبَرٍ مُرْصِيٍّ وَاخْلَاقٍ مَحْمُودَةٍ وَمِنْ ثَمَّةٍ قَالُوا أَحْسَنَ مَا فِي الدِّمِيمِ وَجْهَهُ فَلَمْ يَجْعَلُوهُ مِنْ صِفَاتِ
الْمَدْحِ لِدَاثَةِ وَلَكِنْ لِدَلَالَتِهِ عَلَى غَيْرِهِ عَلَى أَنْ مِنْ مُحَقِّقَةِ النُّقَادِ وَعِلْمَاءِ الْمَعَانِي مَنْ دَفَعَ صِحَّةَ ذَلِكَ
وَخَطَأَ الْمَادِحِ بِهِ وَقَصَرَ الْمَدْحَ عَلَى النِّعَتِ بِأَمْثَلِ الْخَيْرِ وَهِيَ الْفَصَاحَةُ وَالشَّجَاعَةُ وَالْعَدْلُ
وَالْعِفَّةُ وَمَا يَتَشَعَّبُ مِنْهَا وَيَرْجِعُ إِلَيْهَا وَجَعَلَ الْوَصْفَ بِالْجَمَالِ وَالثَّرْوَةَ وَكَثْرَةَ الْحَفَدَةِ وَالْأَعْضَادِ وَغَيْرَ
ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ لِلنَّاسِ فِيهِ عَمَلٌ غَلَطًا وَمُخَالَفَةٌ عَنِ الْمَعْقُولِ - وَالْكُفْرُ تَغْطِيَةٌ نَعَمَ اللَّهُ وَغَمْطُهَا
بِالْجَمُودِ - وَالْفُسُوقُ الْخُرُوجُ عَنْ قِصْدِ الْإِيمَانِ وَمَحْجَتُهُ بِرُكُوبِ الْكِبَائِرِ - وَالْعِصْيَانُ تَرْكُ الْإِتْقَانِ
وَالْمُضْيِ لِمَا أَمَرَ بِهِ الشَّارِعُ وَالْعِرْقُ الْعَامِي الْعَانِدُ وَاعْتَصَمَتِ النُّوَاةُ اشْتَدَّتْ - وَالرُّشْدُ الْإِسْتِقَامَةُ عَلَى طَرِيقِ
الْحَقِّ مَعَ تَصَلُّبٍ فِيهِ مِنَ الرُّشَادَةِ وَهِيَ الصَّخْرَةُ قَالَ أَبُو الْوَاظِعِ كُلُّ صَخْرَةٍ رَشَادَةٌ وَانْشُدْ * شَعْرٌ * وَغَيْرُ مَقْلَدٍ
وَمَوْشِمَاتٌ * صَالِحِينَ الضُّوءُ مِنْ صَمِّ الرُّشَادِ * وَ[فَضْلًا] مَفْعُولٌ لَهُ - أَوْ مَصْدَرٌ مِنْ غَيْرِ فَعْلِهِ - فَإِنْ قُلْتَ مِنْ إِبْنِ
جَازٍ وَقَوْعُهُ مَفْعُولًا لَهُ وَالرُّشْدُ فَعْلُ الْقَوْمِ وَالْفَضْلُ فَعْلُ اللَّهِ وَالشَّرْطُ أَنْ يَتَّحِدَ الْفَاعِلُ - قُلْتَ لَمَّا وَقَعَ الرُّشْدُ
عِبَارَةً عَنِ التَّحْيِيْبِ وَالتَّزْيِينِ وَالتَّكْرِيمِ مَسْنُودَةً إِلَى اسْمِهِ تَقَدَّمَتِ اسْمَاؤُهُ صَارَ الرُّشْدُ كَأَنَّهُ فَعْلُهُ فَجَازَ أَنْ
يَنْتَصِبَ عَنْهُ أَوْ لَا يَنْتَصِبَ عَنِ الرَّاشِدُونَ وَلَكِنْ عَنِ الْفِعْلِ الْمَسْنُودِ إِلَى اسْمِ اللَّهِ وَالْجُمْلَةِ الَّتِي هِيَ أُولَٰئِكَ هُمُ
الرَّاشِدُونَ اعْتَرَاضٌ أَوْ عَنْ فَعْلٍ مَقْدَرُكَ أَنَّهُ قِيلَ جَرَى ذَلِكَ أَوْ كَانَ ذَلِكَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ - وَأَمَّا كَوْنُهُ مَصْدَرًا مِنْ غَيْرِ
فَعْلِهِ فَإِنَّ يَوْضَعَ مَوْضِعَ رُشْدًا لَأَنَّ رُشْدَهُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَكُونُهُمْ مُوَفَّقِينَ فِيهِ وَالْفَضْلُ وَالنِّعْمَةُ بِمَعْنَى الْإِفْضَالِ
وَالْإِنْعَامِ [وَاللَّهُ عَلِيمٌ] بِأَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا بَيْنَهُمْ مِنَ التَّمَايِزِ وَالتَّفَاضُلِ [حَكِيمٌ] حَيْثُ يَفْضُلُ وَيَنْعَمُ
بِالتَّوْفِيقِ عَلَى إِفْضَالِهِمْ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
عَلَى مَجْلِسٍ بَعْضُ الْأَنْصَارِ وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ فَبَالَ الْحِمَارُ فَاْمَسَكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَانَفَةَ وَقَالَ خَلِّ سَبِيلَ
حِمَارِكَ فَقَدْ أَذَانَا نَتْنَهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَاللَّهِ إِنْ بُولَ حِمَارُهُ لِأَطْيَبَ مِنْ مَسْكِكَ وَرَوَى
حِمَارُهُ أَفْضَلَ مِنْكَ وَبُولَ حِمَارِهِ أَطْيَبُ مِنْ مَسْكِكَ وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَطَالَ
الْخَوْضُ بَيْنَهُمَا حَتَّى اسْتَبَا وَتَجَالَدَا وَجَاءَ قَوْمَاهُمَا وَهُمَا الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ فَتَجَالَدَا بِالْعَصِيِّ وَقِيلَ
بِالْأَيْدِي وَالنِّعَالِ وَالسَّعْفِ فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ وَنَزَلَتْ - وَعَنْ
مِقَاتٍ قَرَأَهَا عَلَيْهِمْ فَاَصْطَلَحُوا - وَابْتَغَى الْأَسْطِطَالَةَ وَالظُّلْمَ وَأَبَاءَ الصَّلَاحِ - وَالْفَيْءُ الرُّجُوعُ وَقَدْ سَمِيَ بِهِ الظِّلُّ
وَالْغَنِيمَةُ لِأَنَّ الظِّلَّ يَرْجِعُ بَعْدَ نَسْخِ الشَّمْسِ وَالْغَنِيمَةُ مَا يَرْجِعُ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ - وَعَنْ
أَبِي عَمْرٍو حَتَّى تَفِيَّ بِغَيْرِ هَمْزٍ وَوَجْهَهُ أَنْ أَبَا عَمْرٍو خَفَّفَ الْأَوَّلَى مِنَ الْهَمْزَيْنِ الْمُلْتَقِيَتَيْنِ فَلَطَفَتْ عَلَى

فَعَلَّمْتُمْ نَادِمِينَ ۝ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۖ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ يَعْنِي جَاهِلِينَ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَكَذَلِكَ الْقِصَّةُ - وَالْإِصْبَاحُ بِمَعْنَى الصَّيْرُورَةِ - وَالْفُذْمُ ضَرْبٌ مِنَ الْغَمِّ وَهُوَ أَنْ تَغْتَمَّ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْكَ تَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ وَهُوَ غَمٌّ يَصْحَبُ الْإِنْسَانَ صَحْبَةً لَهَا دَوَامٌ وَلِزَامٌ لِأَنَّهُ كُلَّمَا تَذَكَّرَ الْمَتَذَمُّ عَلَيْهِ رَاجِعُهُ مِنَ الذَّمِّ وَهُوَ لِزَامُ الشَّرِيبِ وَدَوَامُ صَحْبَتِهِ وَفِي مَقْلُوبَاتِهِ أَدَمْنُ الْأَمْرِ أَدَامَهُ وَمَدَنَ بِالْمَكْنِ أَقَامَ بِهِ وَفِيهِ الْمَدِينَةُ وَقَدْ تَرَاهُمْ يُجْعَلُونَ الْهَمَّ صَاحِبًا وَنَجِيًّا وَسَمِيرًا وَضَجِيعًا وَمَوْصُوفًا بِأَنَّهُ لَا يَفَارِقُ صَاحِبَهُ - الْجُمْلَةُ الْمَصْدَرَةُ بَلَوٌ لَا تَكُونُ كَلَامًا مُسْتَأْنَفًا لِأَنَّهُ إِلَى تَذَاوُرِ النِّظَمِ وَلَكِنْ مُتَصِلًا بِمَا قَبْلَهُ حَالًا مِنْ أَحَدِ الضَّمِيرَيْنِ فِي فِيكُمْ الْمُسْتَنْتَرِ الْمَرْفُوعِ أَوْ الْبَارِزِ الْمَجْرُورِ وَكِلَاهُمَا مَذْهَبٌ سَدِيدٌ وَالْمَعْنَى إِنْ فِيكُمْ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى حَالَةٍ يَجِبُ عَلَيْكُمْ تَغْيِيرُهَا أَوْ أَنْتُمْ عَلَى حَالَةٍ يَجِبُ عَلَيْكُمْ تَغْيِيرُهَا وَهُوَ أَنْتُمْ تَحَاوِلُونَ مِنْهُ أَنْ يَعْمَلَ فِي الْحَوَادِثِ عَلَى مَقْتَضَى مَا يَعْنِي لَكُمْ مِنْ رَأْيِي وَاسْتِصْوَابِ فَعَلِ الْمَطْوَاعِ لَغِيْرَةِ التَّابِعِ لَهُ فِيمَا يَرْتَكِبُهُ الْمُحْتَذَى عَلَى امْتِلَاقِهِ وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ [لَعَنِتُمْ] أَيْ لَوَقَعْتُمْ فِي الْجَهْدِ وَالْهَلَاكِ يُقَالُ فُلَانٌ يَتَعَنَّتْ فُلَانًا أَيْ يَطْلُبُ مَا يُؤَدِّيهِ إِلَى الْهَلَاكِ وَقَدْ أَعْنَتِ الْعِظَمُ إِذَا هَيْضَ بَعْدَ الْجَبْرِ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ زَيَّنُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْإِقْبَاعَ بِبَنِي الْمَصْطَلِقِ وَتَصْدِيقَ قَوْلِ الْوَلِيدِ وَإِنْ نَظَرْنَا ذَلِكَ مِنَ الْهَذَاتِ كَانَتْ تَفَرُّطٌ مِنْهُمْ وَإِنْ بَعْضُهُمْ كَانُوا يَتَصَوَّنُونَ وَيَزْعَمُ جَدَّهُمْ فِي التَّقْوَى عَنِ الْجَسَارَةِ عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ الَّذِينَ اسْتَنْذَاهُمْ بِقَوْلِهِ [وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ] أَيْ إِلَى بَعْضِكُمْ وَلَكِنَّهُ أَغْنَتْ عَنْ ذِكْرِ الْبَعْضِ صِفَتُهُمُ الْمَفَارِقَةُ لَصِفَةِ غَيْرِهِمْ وَهَذَا مِنْ إِيْجَازَاتِ الْقُرْآنِ وَلَمْخَاةُ اللَّطِيفَةِ الَّتِي لَا يَفْطِنُ لَهَا إِلَّا الْخَوَاصُّ - وَعَنِ بَعْضِ الْمَفْسُرِينَ هُمُ الَّذِينَ امْتَنَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى وَقَوْلُهُ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ وَالْأَخْطَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَيْ أُولَئِكَ الْمُسْتَنْتَنُونَ هُمُ الرَّاشِدُونَ يَصْدُقُ مَا قُلْتُهُ - فَإِنْ قَالَتْ مَا فَائِدَةُ تَقْدِيمِ خَبَرِ أَنَّ عَلَى اسْمِهَا - قُلْتُ الْقَصْدُ إِلَى تَوْبِيخِ بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا اسْتَهْجَنَ مِنْهُمْ مِنْ اسْتِتْبَاعِ رَأْيِ رَسُولِ اللَّهِ لِأَرَائِهِمْ فَوْجِبَ تَقْدِيمُهُ لِانْصِبَابِ الْغُرُوضِ إِلَيْهِ - فَإِنْ قُلْتُ فَلِمَ قِيلَ يُطِيعُكُمْ دُونَ اطَاعِكُمْ - قُلْتُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي إِرَادَتِهِمْ اسْتِمْرَارُ عَمَلِهِ عَلَى مَا يَسْتَصَوِبُونَهُ وَإِنَّهُ كَلَّمَا عَنْ رَأْيِي فِي أَمْرٍ كَانَ مَعْمُولًا عَلَيْهِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ كَقَوْلِكَ فُلَانٌ يَقْرَأُ الضَّيْفَ وَيَحْمِي الْحَرِيمَ تَرِيدُ أَنَّهُ مِمَّا اعْتَادَهُ وَوَجَدَ مِنْهُ مُسْتَمَرًّا - فَإِنْ قُلْتُ كَيْفَ مَوْجِعُ لَكِنَّ وَشَرِيطَتَهَا مَفْقُودَةٌ مِنْ مَخَالَفَةِ مَا بَعْدَهَا لَمَّا قَبْلَهَا نَفِيًا وَاثْبَاتًا - قُلْتُ هِيَ مَفْقُودَةٌ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ حَاصِلَةٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى لِأَنَّ الَّذِينَ حَبَّبَ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ قَدْ غَايَرَتْ صِفَتُهُمْ صِفَةُ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُمْ فَوَقَعَتْ لَكِنَّ فِي حَاقِ مَوْجِعِهَا مِنَ الْاسْتِدْرَاكِ وَمَعْنَى تَحْبِيبِ اللَّهِ وَتَكْرِيمِهِ اللَّطْفَ وَالْإِمْدَادَ بِالتَّوْفِيقِ وَسَبِيلُهُ الْكُنَايَةُ كَمَا سَبَقَ وَكُلُّ ذِي لَبٍّ وَرَاجِعٍ إِلَى بَصِيرَةٍ وَفَهْنٍ لَا يَغْبِي عَلَيْهِ أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَمْدَحُ بِغَيْرِ فَعْلِهِ وَحَمَلُ الْآيَةِ عَلَى ظَاهِرِهَا يُؤَدِّي إِلَى أَنْ يَنْتَهَى عَلَيْهِمْ بِفَعْلِ اللَّهِ وَقَدْ نَعَى اللَّهُ هَذَا عَلَى الَّذِينَ أَنْزَلَ فِيهِمْ وَيَحْبَتُونَ إِنْ يَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا -

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا

الرفع على الفاعلية لأن المعنى ولو ثبت صبرهم - والصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها قال الله تعالى وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ وَقُولِهِمْ صَبْرٌ عَنْ كَذَا مَحذُوفٌ مِنْهُ المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على الحبس فلهذا قيل للحبس على اليمين أو القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مراً لا يتجرعه إلا حر - فَإِنْ قُلْتَ هَلْ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ [حَتَّى تَخْرُجَ] وَإِلَى أَنْ تَخْرُجَ - قُلْتَ أَنْ حَتَّى مَخْتَصَةٌ بِالْغَايَةِ الْمَضْرُوبَةِ تَقُولُ أَكَلْتُ السَّمَكَةَ حَتَّى رَأْسَهَا وَلَوْ قُلْتَ حَتَّى نَصْفِهَا أَوْ صَدْرَهَا لَمْ يَجْزُ وَإِلَى عَامَّةٍ فِي كُلِّ غَايَةٍ فَقَدْ أَفَادَتْ حَتَّى بَوَاضَعَهَا أَنْ خَرُجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غَايَةً قَدْ ضُرِبَتْ لَصَبْرِهِمْ فَمَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَقْطَعُوا أَمْرًا دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَيْهَا - فَإِنْ قُلْتَ فَإِنِّي فَائِدَةٌ فِي قَوْلِهِ [إِلَيْهِمْ] - قُلْتَ فِيهِ أَنَّهُ لَوْ خَرَجَ وَلَمْ يَكُنْ خُرُوجُهُ إِلَيْهِمْ وَاجْلِهِمْ لِلزَّمَمِ أَنْ يُصْبِرُوا إِلَى أَنْ يَعْلَمُوا أَنْ خُرُوجَهُ إِلَيْهِمْ - [لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ] فِي كَانَ أَمَّا ضَمِيرُ فَاعِلِ الْفِعْلِ الْمَضْمَرِ بَعْدَ نَوْنٍ أَمَّا ضَمِيرُ مَصْدَرِ صَبْرًا كَقَوْلِهِمْ مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ [وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] بَلِيغُ الْغَفْرَانِ وَالرَّحْمَةِ وَاسْعَمَاهَا فَلَنْ يَضِيقَ غَفْرَانَهُ وَرَحْمَتَهُ عَنْ هَؤُلَاءِ أَنْ تَابُوا وَأَنَابُوا • بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْوَلِيدَ بْنَ عَقْبَةَ أَخَا عَثْمَانَ لَامَةً وَهُوَ الَّذِي وَلَّاهُ عَثْمَانُ الْكُوفَةَ بَعْدَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فَصَلَّى بِالنَّاسِ وَهُوَ سَكْرَانٌ صَلَاةَ الْهَجَرِ أَرْبَعًا ثُمَّ قَالَ هَلْ أَزِيدُكُمْ فَعَزَلَهُ عَثْمَانُ عَنْهُمْ مَصَدَّقًا إِلَى بَنِي الْمِصْلَقِ وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ إِحْنَةٌ فَلَمَّا شَارَفَ دِيَارَهُمْ رَكِبُوا مُسْتَقْبِلِينَ لَهُ فَحَسِبَهُمْ مُقَاتِلِيهِ فَرَجَعَ وَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ ارْتَدُّوا وَمَنَعُوا الزَّكَاةَ فَوَرَدُوا وَقَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ فَاتَّهَمَهُمْ فَقَالَ لَتَنْتَهَنَ أَوْ لَابْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا هُوَ عِنْدِي كَنَفْسِي يُقَاتِلُ مُقَاتِلَتَكُمْ وَيَسْبِي ذُرَارِيَكُمْ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى كَتِفِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَقِيلَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَوَجَدَهُمْ مَذَابِينَ بِالصَّلَاةِ مُتَهَيِّجِينَ فَسَلَّمُوا إِلَيْهِ الصَّدَقَاتِ فَرَجَعَ - وَفِي تَذْكِيرِ الْفَاسِقِ وَالزَّيَّاعِ فِي الْفُسَاقِ وَالْأَنْبَاءِ كَأَنَّهُ قَالَ أَيُّ فَاسِقٍ جَاءَكُمْ بَأْسٌ نَبَأٌ فَتَوَقَّفُوا فِيهِ وَتَطْلُبُوا بَيَانَ الْأَمْرِ وَانْكَشَافَ الْحَقِيقَةِ وَلَا تَعْتَمِدُوا قَوْلَ الْفَاسِقِ لِأَنَّهُ مَنْ لَا يَتَحَامَى جَنْسَ الْفُسُوقِ لَا يَتَحَامَى الْكَذِبِ الَّذِي هُوَ نَوْعٌ مِنْهُ وَالْفُسُوقُ الْخُرُوجُ مِنَ الشَّيْءِ وَالْإِنْسِلَاخُ مِنْهُ يُقَالُ فَسَقْتُ الرُّطْبَةَ عَنْ قَشَرِهَا وَمِنْ مَقْلُوبِهِ فَفَسَتْ الْبَيْضَةُ إِذَا كَسَرْتَهَا وَأَخْرَجْتَ مَا فِيهَا وَمِنْ مَقْلُوبِهِ أَيْضًا قَفَسَتْ الشَّيْءُ إِذَا أَخْرَجْتَهُ مِنْ يَدِ مَالِكِهِ مَغْتَضِبًا لَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي الْخُرُوجِ عَنِ الْقَصْدِ وَالْإِنْسِلَاخِ مِنَ الْحَقِّ قَالَ رُبِيَّةٌ * ع * فَوَاسِقًا عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِرًا * وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَتَبَيَّنُوا وَالتَّبَيَّنْتُ وَالتَّبَيَّنْتُ مُتَقَارِبَانِ وَهُمَا طَلَبُ الثَّبَاتِ وَالْبَيَانِ وَالتَّعَرُّفُ وَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِالْمَنْزِلَةِ اللَّتِي لَا يُجْسِرُ أَحَدٌ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِكَذِبٍ وَمَا كَانَ يَقَعُ مِثْلُ مَا فَرَطَ مِنَ الْوَلِيدِ إِلَّا فِي الذِّدْرَةِ قِيلَ إِنَّ جَاءَكُمْ بِحَرْفِ الشَّكِّ - وَفِيهِ أَنْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ لئَلَّا يَطْمَعَ فَاسِقٌ فِي مَخَاطِبَتِهِمْ بِكَلِمَةٍ زُورٍ [أَنْ تُصِيبُوا] مَفْعُولٌ لَهُ أَيُّ كَرَاهَةٍ أَصَابَتْكُمْ [قَوْمًا بِجَهَالَةٍ] حَالٌ كَقَوْلِهِ وَرَدَّ اللَّهُ

الَّذِينَ يَذَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ أَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ط

سورة الحجرات ٤٩

الجزء ٢٦

ع ١٢

وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله و كانت لكل منهن حجرة - ومناداتهم من ورائها تحتل - انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك - وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها - وانهم نادوه من وراء الحجرة اللتي كان فيها ولكنها جمعت اجالا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و لمكان حرمة والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم و كان الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاسم ان الذي ناداه عبيدة بن حصن و الاقرع بن حابس - والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون - يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة - و يحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفى ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم - و روي ان وفد بني تميم اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقت الظهيرة و هو راقع فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج اليهم ونزلت و سئل رسول الله عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للامور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم - وورد الآية على النظم الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله و اجلاله - منها مجيئها على النظم المسجل على الصالحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه - و منها لفظ الحجرات و ايقاعها كناية عن موضع خلوته و مقيله مع بعض نسائه - و منها المرور على لفظها بالاقصص على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم - و منها التعريف باللام دون الاضافة - و منها ان شفع ذمهم باستجفائهم و استركاك عقولهم و قلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهويها للخطب على رسول الله و تسليته له و اماطة لما بداخله من ابحاش تعجزهم و سوء ادبهم و هلم جرا من اول السورة الى آخر هذه الآية فتأمل كيف ابتدئ بايجاب ان تكون الامور اللتي تنتمي الى الله و رسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر و لا تقييد ثم اردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت و الجهر كأن الاول بساط اللثاني و طاء لذكره ثم ذكر ما هو نداء على الذين تحاموا ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو اطم و هجنته اتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و سلم في حال خلوته ببعض حرمانه من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبته على فطاعة ما اوجروا اليه و جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه جملة المهاجرين و الانصار باخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا و من هذا و امثاله تقتطف ثمر الابواب و تقتبس محاسن الاداب - كما يحكى عن ابي عبيد و مكانه من العلم و الزهد و ثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دقت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه - [انهم صبروا] في موضع

سورة الحجرات ٤٩ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ إِنَّ

الجزء ٢٩

ع ١٢

في اضرامه بالعمل الصالح كالداء والحرص لمن يصاب به أعاننا الله من حبط الاعمال و خيبة الامال - وقد دأبت الآية على امرين هائلين - احدهما ان فيما يرتكب من يؤمن من الاثام ما يحبط عمله - والثاني ان في اثم ما لا يدري انه محبط و لعله عند الله كذاك فعلى المؤمن ان يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز و يتوقى و يتحفظ [اَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى] من قولك امتحن فلان لامر كذا و جرب له و درب للنفوس فهو مضطرب به غير وان عنه و المعنى انهم صبر على التقوى اقرباء على احتمال مشاقها - او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكأنه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى و تكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك انت لهذا الامر اي كائن له ومختص به قال ع * انت لها احمد من بين البشر * وقال ع * اعداء من الميعملات على الوجي * وهي مع معمولها منصوبة على الحال - او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى لتثبت فيظهر تقواها ويعلم انهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها - وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخاص ابريزه من خبثه ونقاها - وعن عمر رضي الله عنه اذهب الشهوات عنها - والامتحان انتعال من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد قال ابو عمرو كل شيء جهده فقد محنته وانشد شعرة * انت رذايا باديا كلالها * قد محنت واضطربت اطالها * قيل انزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار وهذه الآية بنظمها الذي رتبته عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستيناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم و ايراد الجزاء فكرة صبيها امره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقرروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خفض اصواتهم و في الاعلام بمبلغ عزة رسول الله وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما امتوجب هؤلاء - والوراء الجهة التي يواربها عذك الشخص بظله من خلف او قدام ومن لا يتدأ الغاية - وان المناداة نشأت من ذلك المكان - فان قلت افترق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه - قلت الفرق بينهما ان المفادي والمنادي في احدهما يجوز ان يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء يصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة ان يكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن ابي قطر من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان الذاء وقع منهم في ادبار الحجرات او في وجوها وانما انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة - والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها

عن الرفع الشديد تخيلا ان يكون ما دون الشديد مستوعبا لهم ولكن المعنى نهيمهم عما كانوا عليه من الجلبة
 واستجفائهم فيما كانوا يفعلون - وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه
 وقر وكان جهوري الصوت فكان اذا تكلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 فيتأذى بصوته - وعن اذس رضي الله عنه ان هذه الآية لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم فآخبر بشانه فدعاه فساله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهيز
 الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لست هناك انك
 تعيش بخير وتموت بخير و انك من اهل الجنة - واما ما يروى عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع
 صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمحله والخطاب للمؤمنين على ان
 ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق - وقيل كان المنافقون يرفعون
 اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم به فيقتدي بهم ضعفة المسلمين - وكاف التشبيه في محل النصب اي
 لا تجهرؤا له جهرأ مثل جهر بعضكم لبعض - وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان
 يكلموه بالهمس والمخافتة واذما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد
 اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة آبهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان
 جأت عن رتبها - ان تحبط أعمالكم منصوب الموضع على انه مفعول له وفي متعلقه وجهان - احدهما ان
 يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتهم عنه لحبوط أعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير
 حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم ان تصلوا - والثاني ان يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى
 انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كانه قصد لاجله
 و كانه العلة والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا - فان قلت لخص الفرق بين
 الوجهين - قلت تلخيصه ان يقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كأنهما شيء واحد ثم
 يصب النهي عليهما جميعا صبا وفي الاول يقدر النهي موجهها على الفعل على حياله ثم يعقل له منهيا
 عنه - فان قلت باي النهيين تعلق المفعول له - قلت بالثاني عند البصريين مقدرا اضمارا عند الاول
 كقوله اتوني افرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين و ايها كان فمرجع المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما
 منصوب ادوة الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط أعمالكم اظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء
 لا يكون الا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله فيحل عليكم
 غضبي - والحبوط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفع بطونها وربما هلكت و منه قوله عليه
 السلام وان مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا او يلم ومن اخواته حبطت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها
 ذلك واحبط عمله مثل احبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفروا ونكسه وتراميه الى الفساد جعل العمل السيء

فَرَّقَ صَوْتَ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ

بسببها [إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ] لما تقولون [عَلِيمٌ] بما تعملون وحق مثله ان يتقى ويراقب • اعادة النداء عليهم امتدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد و تطرية الانصات لكل حكم نازل و تحريك منهم لئلا يغفلوا عن تأملهم و ما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم و ذلك لان في اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به و مستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان يألوا عملا بما يحذره عليه و ارتداعا عما يصده عنه و انتهاء الى كل خير - والمراد بقوله [لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ] انه اذا نطق و نطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته و ان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم و جهرة باهرا لجهركم حتى تكون مزيتة عليكم لاثقة و سابقته واضحة و امتيازة عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته باغظكم و تبهروا منطقته بصخبكم - و بقوله [وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ] انكم اذا كلمتموه و هو صامت فايحكم و العدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم و ان تعتمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما يكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز اسمه و تَعَزُّزَةٌ و تَوْقِيرَةٌ - و قيل معنى و لَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ لا تقولوا له يا مُحَمَّد يا أَحْمَد و مخاطبوه بالذبوة - قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله و الله لا اذكر الا السرار او اخا السرار حتى القى الله - و عن عمر رضي الله عنه انه كان يكلم النبي صلى الله عليه و آله و سلم كاخى السرار لا يسمعه حتى يستفهمه - و كان ابو بكر اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قد ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون و يأمرهم بالسكينة و الوقار عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ليس الغرض برفع الصوت و لا الجهر ما يقصد به الاستخفاف و الاستهانة لان ذلك كفر و المخاطبون مؤمنون و انما الغرض صوت هو في نفسه و المسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء و يوقر الكبراء فيتكلف الغض منه و ردة الى حد يميل به الى ما يستبدن فيه المأمور به من التعزير و التوقير و لم يتناول الذهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارباب عدو و ما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس و كان العباس اجهر الناس صوتا - يروى ان غارة اتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته - و فيه يقول ذابغة بنى جعدة • شعر • زجر ابي عمرو السباع اذا • اشفق ان يختلط بالغنم • زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه - و في قراءة ابن مسعود لَا تَرْفَعُوا بِأَصْوَاتِكُمْ و الباء مزيدة محذو بها حذو التشديد في قول الاعلم الهذلي • شعر • رفعت عيني بالحجاء زالى اناس بالمناقب • و ليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا

العبارة ههنا على سَنَن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه اهل البيان تمثيلا واجريها هكذا فائدة جليمة
ليجست في الكلام العريان وهي تصوير المهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور
دون الاحتذاء على امثلة الكذاب والسنة والمعنى أن لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكم ان به وياذن ان فيه
فتكونوا اما عاملين بالوحي المنزل واما مقتدين برسول الله و عليه يدور تفسير ابن عباس - وعن مجاهد
لا تفتتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله - ويجوز ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن
حاله و اعجبت بعمره و كرمه وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله
عليه و آله و سلم من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك المسلك - وفي هذا تهديد وتوطية لما نقم
منهم فيما يتلوه من رفع اصواتهم فوق صوته لان من احطاه الله بهذه الاثمة واختصه هذا الاختصاص القوي
كان ادنى ما يجب له من التهيب والجلال ان يخفص بين يديه الصوت ويخامت لديه بالكلام - و
وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المذنب بن
عمرو الساعدي فقتلتهم بنوا عامر و عليهم عامر بن الطفيل الا ثلثة نفر نجوا فلقوا رجلا من بني سليم
قرب المدينة فاغتربا لهم الى بني عامر لانهم اعز من بني سليم فقتلوهما و سلبوهما ثم اتوا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال بثس ما صنعتما كنا من سليم و السلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم و نزلت ابي لا تعملوا شيئا من ذات انفسكم حتى تستأمروا رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم - وعن مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها في اليوم الذي يشك فيه فقالت
للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت - وعن الحسن
ان اناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلوة فنزلت و امرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يعيدوا
ذبحا آخر وهذا مذهب ابي حنيفة رحمه الله الا ان نزول الشمس - وعند الشافعي رحمه الله يجوز الذبح اذا
مضى من الوقت مقدار الصلوة - وعن الحسن ايضا لما استقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة
اتته الوفود من الافاق فاكثروا عليه بالمسائل فنهوا ان يبتدئوا بالمسئلة حتى يكون هو المبتدئ - وعن
قتادة ذكر لنا ان ناسا كانوا يقولون لو انزل في كذا لكان كذا فكرة الله ذلك منهم وانزلها - وقيل هي عامة في
كل قول وفعل - و يدخل فيه انه اذا جرت مسئلة في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم
يسبقوه بالجواب و أن لا يمشي بين يديه الا للحاجة و أن يستأني في الافتتاح بالطعام [و اتقوا الله]
فانكم ان اتقيموه عاقتكم التقوى عن التقدم المني عنها و عن جميع ما يقتضي مراقبة الله تجنبه فان
التقي حذر لا يشافه امرا الا عن ارتفاع الريب و انجلاء الشك في ان لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول
لمن يقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلحق بك العار فتذهاه اذ عن عين ما قارنه ثم نعم
وتشيع و تأمره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك الفعلة و كل ما يضرب في طريقها ويتعلق

سورة الحجرات ٤٩ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٥

الجزء ٢٦ كلماتها ٣٥٠ سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشر آية وفيها ركوعان •

حروفها ١٥٧٣

ع ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَانَكُمْ

وقرى فآزره بالتخفيف - والتشديد اي فشد آزره - وقواه ومن جعل أزر أفعل فهو في معنى القراءتين [فَاسْتَعْلَظَ] فصار من الدقة الى الغلظ [فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ] فاستقام على قصبه جمع ساق - وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم يذبتون نبات الزرع يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر - وعن عكرمة أخرج شطاة بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمن فاستوى على سوقه بعلي وهذا مثل ضربه الله لبدء امر الاسلام وترقيده في الزيادة الى ان قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزرع - فان قلت قوله لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ تعليل لما اذا - قلت لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة - ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين آمنوا لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك - ومعنى [مِنْهُمْ] البيان كقوله تعالى فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتح مكة •

سورة الحجرات

قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يَقْدُمُ قَوْمَهُ ونظيرهما معنى ونقلا سلفه وأسلفه - وفي قوله [لَا تَقْدِمُوا] من غير ذكر مفعول وجهان - احدهما ان يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم - والثاني ان لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي الى نفس التقدمه كأنه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ - ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجهه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساكنه وهي الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرأ لَا تَقْدِمُوا بحذف احدى تائي تَقْدِمُوا الا ان الاول املاً بالحسن ووجه واشد ملائمة لبلاغة القرآن والعلماء له اقبل - وقرى لَا تَقْدِمُوا من القدوم اي لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهم ولا تعجلوا عليهما وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان ان يجلس بين الجهتين المسميتين ليمينه وشماله قريباً منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليمين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت هذه

وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۖ قَطَرٌ مِّثْلُ مَثَلِهِمْ فِي الْإِنْجِيلِ ۖ وَكَزَّرَجِ ۚ
 أَخْرَجَ شَطَاةً فَازَرَتْ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۚ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

سورة الفتح ٤٨

الجزء ٢٤

ع ١١

ابدانهم ان تمس ابدانهم - و بلغ من ترجمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه - والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء - واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة وكذلك التقبيل قال لا أحب ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئاً من جسده - وقد رخص ابو يوسف في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على مثلهم ودينهم ويتحاشوا ويعاشروا اخوتهم في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والخلق السجيحة - ووجه من قرأ أشدَّاء ورحماء بالنصب ان ينصبهما على المدح او على الحال بالمقدر في معه ويجعل ترثهم الخبر [سيماهم] علامتهم - وقرئ بيميناً وهم - وفيها ثلاث لغات هاتان - والسيميا - والمراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجدة من كثرة السجود وقوله [من أثر السجود] يفسرها اي من التأثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس ابي الاملاك يقال له ذو الثغفات لان كثرة سجودهما احدثت في مواقعه منهما اشباه ثغفات البعير - وقرئ من أثر السجود - ومن أثر السجود وكذا عن سعيد بن جبير هي السمة في الوجه - فان قلت فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تغلبوا صوركم - وعن ابن عمر رضي الله عنه انه رأى رجلاً قد أثر في وجهه السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا تغلب وجهك ولا تشن صورتك - قلت ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعان بالله منه ونحن فيما حدث في جبهة السجدة الذي لا يسجد الا خالصاً لوجه الله - وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى بين اعيننا شيء وترى احداً الآن يصلي فيرى بين عينيه ركة البعير فما ندري أنقلت الارؤس ام خشنت الارض وانما اراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق - وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله - وعن الضحاك ليس بالذهب في الوجوه ولكنه صفرة - وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الارض - وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار [ذلك] الوصف [مثلهم] اي وصفهم العجيب الشأن في الكتابين جميعاً ثم ابتداء فقال [كزرع] يريد هم كزرع - وقيل ثم الكلام عند قوله ذلك مثلهم في التوراة ثم ابتداء ومثلهم في الانجيل كزرع - ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمه اوضحت بقوله كزرع اخرج شطاة كقوله وقصينا اية ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين - وقرئ الانجيل بفتح الهمزة - شطاة فراخه يقال اشطا الزرع اذا فرخ - وقرئ شطاة بفتح الطاء - وشطاة بتخفيف الهمزة وشطاة بالمد - وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها - وشطوة بقلبها واوا - [فازرة] من الموازنة وهي المعارضة - وعن الاخفش انه افعل -

إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ط فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ط وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ط وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَاجِدًا ۝ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

رؤيا رسول الله حتى فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي و عبد الله بن نفيل و رفاعه بن الحرث والله ما خلقنا و لا قصرنا و لا رأينا المسجد الحرام فزلت - و معنى [صدق الله رسوله الرؤيا] صدقه في رؤياه و لم يكذبته تعالى الله عن الكذب و عن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار و اوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه - فان قلت بم تعلق [بالحق] - قلت اما بصدق ابي صدقه فيما رأى و في كونه و حصوله صدقا ملتبسا بالحق ابي بالغرض الصحيح و الحكمة البالغة و ذلك ما فيه من الابتلاء و التمييز بين المؤمن المخلص و بين من في قلبه مرض - و يجوز ان يتعلق بالرؤيا حالا منها ابي صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام - و يجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه و لتدخل جوابه - و على الاول هو جواب قسم محذوف - فان قلت ما وجه دخول [ان شاء الله] في اخبار الله عز و جل - قلت فيه وجوه - ان يعلق عدته بالمشية تعليما لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأديين بادب الله و مقتدين بسنته - و ان يريد لتدخل جميعا ان شاء الله و لم يمّت منكم احدا - او كان ذلك على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله - او هي حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم لاصحابه و قص عليهم - و قيل هو متعلق بأمينين [فعلم ما لم تعلموا] من الحكمة و الصواب في تأخير فتح مكة الى العام القابل [فجعل من دون ذلك] ابي من دون فتح مكة [فتحا قريبا] و هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود [بالهدى و دين الحق] بدين الاسلام [ليظهره] ليغلبه [على الدين كله] على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين و الجاحدين و اهل الكتاب و لقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى ديننا قط الا و للاسلام دونه العز و الغلبة - و قيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر - و قيل هو اظهارة بالحجج و الايات - و في هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح و توطيئ لنفوس المؤمنين على ان الله سيفتح لهم من البلاد و يقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة [و كفى بالله شهيدا] على ان ما وعدة كائن - من الحسن شهد على نفسه انه سيظهر دينك * [محمد] اما خبر مبتدأ ابي هو محمد لتقدم قوله هو الذي ارسل رسوله - و اما مبتدأ و رسول الله عطف بيان - و عن ابن عامر انه قرأ رسول الله بالنصب على المدح [و الذين معه] اصحابه [اشداء على الكفار رحماء بينهم] جمع شديد و رحيم و نحوه اذاعة على المؤمنين اعزة على الكافرين - و اغلظ عليهم - بالمؤمنين رؤف رحيم - و عن الحسن - بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلتق بثيابهم و من

سورة الفتح ٤٨

الجزء ٢٦

ع ١١

فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ اِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ
الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ
بِهَا وَأَهْلَهَا ۖ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۚ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وحذف جواب لو لا لدلالة الكلام عليه - ويجوز ان يكون لو تزيَّلوا كالتركيب للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد و يكون لعذبنا هو الجواب - فان قلت اي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون - قلت يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم اذا جرى منهم بعض التقصير - فان قلت قوله [لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ] تعليل لماذا - قلت لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف ايدي عن اهل مكة والمنع من قتلهم صوتا لمن بين اظهرهم من المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ اي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنينهم - او لِيَدْخُلَ فِي الاسلام من رغب فيه عن مشركيهم - [لَوْ تَزَيَّلُوا] لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله - وقرئ لَوْ تَزَيَّلُوا - [اِذْ] يجوز ان يعمل فيه ما قبله اي لعذبناهم او صدرهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت - وان ينتصب باضمار اذكر - والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الانفة والسكينة الوقار ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكر بن حفص بن الاخيف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان يخلي له قريش مكة من العام القابل ثلثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اهل مكة فقالوا لو كذا نعلم انك رسول الله ما صدناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا - وكلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه اهل الخير ومستحقه ومن هو اولى بالهداية من غيرهم - وقيل هي كلمة الشهادة - وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد - ومعنى اضافتها الى التقوى انها سبب التقوى واساسها - وقيل كلمة اهل التقوى - وفي مصنف الحرث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا اهلها واحق بها وهو الذي دفن مصحفه ايام الحجاج - رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة امنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان

كَلِمَاتٍ لَا يَجِدُونَ لَهَا لَافِيَةً وَلَا نَصِيرًا ۝ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ۚ وَكَانَ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ لِيَدْخُلَ اللَّهُ

لَاخِرَى - والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بأن تقدر أن وقد أحاط الله بها خبر المبتدأ - والجرب باضمار رُبَ -
فَإِنْ قُلْتَ قَوْلَهُ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ مَوْقِعُهُ - قُلْتُ هُوَ كَلَامٌ مَعْتَرِضٌ وَمَعْنَاهُ وَلِتَكُونَ الْكَلِمَةُ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ
فَعَلَّ ذَلِكَ - ويجوز أن يكون المعنى وعدكم المغنم فعجل هذه الغنيمة وكف الأعداء لينفخكم بها وَلِتَكُونَ آيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ إِذَا وَجِدُوا وَعْدَ اللَّهِ بِهَا صَادِقًا لِأَنَّ صَدَقَ الْإِخْبَارُ عَنِ الْغُيُوبِ مَعْجَزَةٌ وَآيَةٌ وَبِزَيْدِكُمْ بِذَلِكَ هِدَايَةٌ
وَإِقْنَانًا * [وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا] مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَلَمْ يَصَالِحُوا - وَقِيلَ مِنْ حُلَفَاءِ أَهْلِ خَيْبَرَ لُغْلِبُوا وَانْهَزَمُوا *
[سُنَّةَ اللَّهِ] فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ الْمَوْكَّدِ أَيِ سُنَّةِ اللَّهِ غَلَبَةُ أَنْبِيَائِهِ سُنَّةٌ وَهُوَ قَوْلُهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي * [أَيْدِيَهُمْ]
أَيْدِي أَهْلِ مَكَّةَ أَيِ قَضَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَكُمْ الْمَكَافَةَ وَالْمَحَاجِزَةَ بَعْدَ مَا خَوَّلَكُمْ الظَّفَرَ عَلَيْهِمْ وَالْغَلْبَةَ وَذَلِكَ يَوْمَ
الْفَتْحِ - وَبِهِ اسْتَشْهَدَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَنَّ مَكَّةَ فَتَحَتْ غَزْوَةً لَا صَلَاحَ - وَقِيلَ كَانَ ذَلِكَ فِي
غَزْوَةِ الْحَدِيدِيَّةِ لَمَّا رَوَى أَنَّ عِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ خَرَجَ فِي خَمْسِمِائَةِ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ مَنْ هَزَمَهُ وَادْخَلَهُ
حَيْطَانَ مَكَّةَ - وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَظْهَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى ادْخَلُوهُمْ الْبَيْتَ - وَقَرَى
[يَعْمَلُونَ] بِالْقَاءِ وَالْيَاءِ * قَرَى [وَالْهَدْيِ] - وَالْهَدْيُ بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ وَتَشْدِيدِهَا وَهُوَ مَا يَهْدَى إِلَى الْكَعْبَةِ - بِالْزَيْدِ
عَطْفًا عَلَى الضَّمِيرِ الْمَنْصُوبِ فِي صَدُّوكُمْ أَيِ صَدُّوا الْهَدْيَ - وَبِالْجَرِّ عَطْفًا عَلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمَعْنَى
وَصَدُّوكُمْ عَنْ نَحْرِ الْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ مَحْبُوسًا عَنْ أَنْ يَبْلُغَ - وَبِالْزَيْدِ عَطْفًا عَلَى وَصَدُّ الْهَدْيِ - وَمَحِلُّهُ مَكَانُهُ
الَّذِي يُحِلُّ فِيهِ نَحْرُهُ أَيِ يَجِبُ وَهَذَا دَلِيلٌ لِأَنَّ حَنِيفَةَ عَلَى أَنَّ الْمُحْضَرَّ مُحَلٌّ هَدْيِهِ الْحَرَمِ - فَإِنْ قُلْتَ
فَكَيْفَ حَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ مَعَهُ وَأَمَّا نُحْرُ هَدْيِهِمْ بِالْحَدِيدِيَّةِ - قُلْتُ بَعْضُ
الْحَدِيدِيَّةِ مِنَ الْحَرَمِ - وَرَوَى أَنَّ مُضَارِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ فِي الْحَلِّ وَصَلَاةٍ
فِي الْحَرَمِ - فَإِنْ قُلْتَ فَاذَنْ قَدْ نَحَرَ فِي الْحَرَمِ فَلَمْ يَقِلْ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ - قُلْتُ الْمَرَادُ الْمَحَلُّ الْمَعْهُودُ
وَهُوَ مَنْى [لَمْ تَعْلَمُوهُمْ] صِفَةُ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ جَمِيعًا [أَنْ تَطَّوَّهُمْ] بِدَلِّ اشْتِمَالٍ مِنْهُمْ أَوْ مِنَ الضَّمِيرِ
الْمَنْصُوبِ فِي تَعْلَمُوهُمْ - وَالْمَعَرَّةُ مَفْعَلَةٌ مِنْ عَرَّ بِمَعْنَى عَرَاهُ إِذَا دَاهَا مَا يَكْرَهُهُ وَيَشْقَى عَلَيْهِ - وَ[بِغَيْرِ عِلْمٍ]
مَتَعَلِّقٌ بِأَنْ تَطَّوَّهُمْ يَعْنِي أَنْ تَطَّوَّهُمْ غَيْرَ عَالِمِينَ بِهِمْ - وَالْوَطْأُ وَالدُّوسُ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِيقَاعِ وَالْإِبَادَةِ قَالَ * شَعْرُ *
وَوَطِئْنَا وَطْأً عَلَى حَنْقٍ * وَطْأُ الْمَقِيدِ نَابِتُ الْهَرَمِ * وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ
أَخْرَجَ وَطْأُهَا اللَّهُ بَوَّحَ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَخْتَلِطُونَ بِالْمَشْرِكِينَ غَيْرَ مُتَمَيِّزِينَ
مِنْهُمْ وَلَا مَعْرُوفِي الْأَمَاكِنِ فَقِيلَ وَلَوْلَا كَرَاهَةُ أَنْ تَهْلِكُوا نَاسًا مُؤْمِنِينَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَشْرِكِينَ وَانْتَمَ غَيْرُ عَارِفِينَ

يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا ٥ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ
عَلَيْهِمْ وَأَتَاهُمُ فَتْحًا قَرِيبًا ٦ وَ مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ٧ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٨ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً
تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ ٩ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ١٠
وَ أُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ١١ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ١٢ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا

سورة الفتح ٤٨

الجزء ٢٩

ع ١٠

عدوي يمنعني ولكني ادلك على رجل هو اعز بها مني واحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخببرهم
انه لم يأت لحرب و انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمة فوقرة و قالوا ان شئت ان تطوف
بالبيت فافعل فقال ما كذبت لا طوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و احتبس
عندهم فأرجف بانهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا نبرح حتى نناجز القوم و دعا
الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة و كانت سمرة - قال جابر بن عبد الله لو كذبت أبصر لاريتم مكانها -
وقيل كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جالسا في اصل الشجرة و على ظهره غصن من اغصانها قال
عبد الله بن المغفل و كذت قائما على رأسه و بيدي غصن من الشجرة اذ ب عنه فرفعت الغصن عن
ظهره فبايعوه على الموت دونه و على ان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انتم اليوم خير
اهل الارض و كان عدد المبايعين الفا و خمسمائة و خمسة و عشرين - و قيل الفا و اربع مائة - و قيل الفا
و ثلثمائة [فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ] من الاخلاص و صدق الضمائر فيما بايعوا عليه [فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ] اي
الطمأنينة و الامن بسبب الصلح على قلوبهم [وَأَتَاهُمُ فَتْحًا قَرِيبًا] - و قرئ و اتاهم و هو فتح خيبر
غبت انصرفهم من مكة - و عن الحسن فتح هجر و هو اجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا [وَ مَغَانِمَ كَثِيرَةً
يَأْخُذُونَهَا] هي مغنم خيبر و كانت ارضا ذات عقار و اموال فقسما عليها ثم اتاه عثمان بالصلح فصالحهم
و انصرف بعد ان نكح بالحديبية و حاق * [وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً] و هي ما يفيء على المؤمنين الى
يوم القيمة [فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ] المغنم يعني مغنم خيبر [وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ] يعني ايدي اهل
خيبر و حلفائهم من اعد و غطفان حين جازوا لنصرتهم فغذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا - و قيل ايدي
اهل مكة بالصلح [وَلِتَكُونَ] هذه الكفة [آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ] و عبرة يعرفون بها انهم من الله بمكان و انه ضامن نصرهم
و الفتح عليهم - و قيل رأى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فتح مكة في منامه و رؤيا الانبياء وحي
فتأخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة و عنوانا لفتح مكة [وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا]
و يهديكم بصيرة و يقينا و ثقة بفضل الله [وَأُخْرَى] معطوفة على هذه اي فاعجل لكم هذه المغنم و مغنم
اخرى [لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا] و هي مغنم هوازن في غزوة حنين - و قال لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا لما كان فيها من الجولة
[قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا] اي قدر عليها و استولى و اظهركم عليها و غنمكموها - و يجوز في اخرى النصب
بفعل مضارع يفسره قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا تقديره و قضى الله اخرى قد احاط بها و اما لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا نصفه

أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ ط قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ع فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يُفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ٥ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَذْعُونٌ إِلَى قَوْمِ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ ع فَإِنْ تَطِيعُوا يَوْمَ تَكْمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ٦ وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٧ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ط وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ٨ وَمَنْ يَتَوَلَّ

الْمُخَلَّفُونَ [الذين تخلفوا عن الحديدية] إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ [إلى غنائم خيبر] أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ - وقرئ كَلِمَ اللَّهِ أَنْ يَغَيِّرُوا مَوْعِدَ اللَّهِ لِأَهْلِ الْحَدِيدَةِ وَ ذَلِكَ أَنَّهُ وَعَدَهُمْ أَنْ يَعْوِضَهُمْ مِنْ مَغَانِمَ مَكَّةَ مَغَانِمَ خَيْبَرَ إِذَا قَفَلُوا مَوَادَّ عَيْنٍ لَا يَصِيدُونَ مِنْهُمْ شَيْئًا - وَقِيلَ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا [تَحْسُدُونَنَا] أَنْ نُصِيبَ مَعَكُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ - قَرِئَ بِضَمِّ السَّيْنِ وَكُسْرُهَا - [لَا يُفْقَهُونَ] لَا يَفْهَمُونَ [إِلَّا] فَهْمًا [قَلِيلًا] وَهُوَ فَطْنَتُهُمْ لِأُمُورِ الدُّنْيَا دُونَ أُمُورِ الدِّينِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - فَإِنْ قَلَّتْ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ حَرْفِي الْأَضْرَابِ - قَلَّتْ - الْأَوَّلُ أَضْرَابٌ مَعْنَاهُ رَدٌّ أَنْ يَكُونَ حَكَمُ اللَّهِ أَنْ لَا يَتَّبِعُوهُمْ وَاثْبَاتُ الْحَسَدِ - وَالثَّانِي أَضْرَابٌ عَنْ وَصْفِهِمْ بِإِضَافَةِ الْحَسَدِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَى وَصْفِهِمْ بِمَا هُوَ أَطْمَ مِنْهُ وَهُوَ الْجَهْلُ وَقَلَّةُ الْفَقْهِ * [قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ] هُمُ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْحَدِيدَةِ [إِلَى قَوْمِ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ] يَعْنِي بَنِي حَنْظَلَةَ قَوْمَ مَسِيلَمَةَ وَاهْلَ الرَّدَةِ الَّذِينَ حَارَبَهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّهُمْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَالْمُرْتَدِّينَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوِ السَّيْفَ عِنْدَ أَبِي حَنْظَلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمَنْ عَدَاهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَجَمِ وَاهْلَ الْكِتَابِ وَالْمَجُوسِ تُقْبَلُ مِنْهُمْ الْجَزِيَّةُ - وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا تُقْبَلُ الْجَزِيَّةُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمَجُوسِ دُونَ مُشْرِكِي الْعَجَمِ وَالْعَرَبِ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَاتَّهَمُوا لَمْ يَدْعُوا إِلَى حَرْبٍ فِي أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَكِنْ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَكَيْفَ يَدْعُوهُمْ رَسُولُ اللَّهِ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا - وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا - وَقِيلَ هُمْ فَارِسُ وَالرُّومِ - وَمَعْنَى [يُسَلِّمُونَ] يَنْقَادُونَ لِأَنَّ الرُّومَ فَصَارِي وَفَارِسَ مَجُوسَ يَقْبَلُ مِنْهُمْ اعْطَاءَ الْجَزِيَّةِ - فَإِنْ قَلَّتْ عَنْ قِتَادَةِ أَنَّهُمْ ثَقِيفٌ وَهَوَازَنٌ وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - قَلَّتْ أَنْ صَحَّ ذَلِكَ فَالْمَعْنَى لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا مَا دُمْتُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَرَضِ الْقُلُوبِ وَالْاضْطِرَابِ فِي الدِّينِ - أَوْ عَلَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ كَانَ الْمَوْعِدُ أَنَّهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَتَطَوِّعِينَ لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِي الْمَغْنَمِ [كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ] يُرِيدُ فِي غَزْوَةِ الْحَدِيدَةِ - أَوْ يُسَلِّمُونَ مَعْطُوفٌ عَلَى تَقَاتِلُونَهُمْ أَيْ يَكُونُ أَحَدُ الْأُمُورِ إِمَّا الْمَقَاتِلَةَ أَوِ الْإِسْلَامَ لَا ثَالِثَ لَهَا - وَفِي قِرَاءَةِ أَبِي أَوْ يُسَلِّمُوا بِمَعْنَى إِلَى أَنْ يُسَلِّمُوا * نَفَى الْحَرَجَ عَنْ هَؤُلَاءِ مِنْ ذَوِي الْعَاهَاتِ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْغَزْوِ - وَقَرِئَ نُدْخِلْهُ وَنَعَذِّبُهُ بِالنُّونِ * هِيَ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ سَمِيَّتْ بِهَذِهِ الْآيَةِ - وَقَصَّتْهَا أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَزَلَ بِالْحَدِيدَةِ بِعَثَ جَوَاسَ بْنِ أُمَيَّةَ الْخَزَاعِيِّ رَسُولًا إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَهَمُّوا بِهِ فَمَنْعَهُ الْإِحَابِيشَ فَلَمَّا رَجَعَ دَعَا بِعَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيُذِيعَهُ فَقَالَ أَنِّي أَخَافُهُمْ عَلَى نَفْسِي لِمَا عُرِفَ مِنْ عِدَاوَتِي إِيَّاهُمْ وَ مَا بِمَكَّةَ

عَلَى نَفْسِهِ ٣ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ٤ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ٥ يَقُولُونَ بِالسَّيِّئَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ٦ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ٧ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ٨ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَ زَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنُّ السَّوءِ ٩ وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ١٠ وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ١١ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ ١٢ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ١٣ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ١٤ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِنَاخِذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ١٥ يُرِيدُونَ

يسر مع القوم - و قرى أنما يبدأون لله أي لاجل الله و لوجهه - و قرى يَنْفِكُ بضم الكاف - و كسرهما - و بما عَاهَدَ وَ عَاهَدَ [فَسَيُؤْتِيهِ] بالنون - و الياء يقال وَفَيْتَ بالعهد وَ أَوْفَيْتَ به و هي لغة تهامة و منها قوله أَوْفُوا بِالْعُقُودِ - وَ الْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ * هم الذين خَلَفُوا عن الحديدية و هم اعراب غفار و مَزِينَةُ وَ جُهَيْنَةُ وَ اشْجَعُ وَ اسلم و الديل و ذلك انه صلى الله عليه و آله و سلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديدية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب و اهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قریش ان يعرضوا له بحرب او يصدره عن البيت و احرم هو صلى الله عليه و آله و سلم و ساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد حربا فتناقل كثير من الاعراب و قالوا يذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة و قتلوا اصحابه فيقاتلهم و ظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة و اعتلوا بالشغل باهاليهم و اموالهم و انه ليس لهم من يقوم باشغالهم - و قرى شَغَلَتْنَا بالتشديد - [يَقُولُونَ بِالسَّيِّئَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ] تكذيب لهم في اعتذارهم و ان الذي خلفهم ليس بما يقولون و انما هو الشك في الله و النفاق و طلبهم الاستغفار ايضا ليس بصادق عن حقيقة [فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ] فمن يمنعكم من مشيئة الله و قضائه - [إِنْ أَرَادَ بِكُمْ] ما يضركم من قتل او هزيمة [أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا] من ظفر و غزيرة - و قرى ضَرًّا بالفتح - و الضم - الْأَهْلُونَ جمع اهل و يقال اهلات على تقدير تاء التانيث كارض و ارضات و قد جاء أهلة و اما أهال فاسم جمع كليال - و قرى الى أهليهم * وَ زَيْنَ على البناء للفاعل و هو الشيطان - او الله عز و جل و كلاهما جاء في القرآن وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ - وَ زَيْنَا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ - و البور من بار كالهلك من هلك بناء و معنى و لذلك وصف به الواحد و الجمع و المذكر و المؤنث - و يجوز ان يكون جمع باثر كعائذ و عوذ و المعنى و كنتم قوما فاسدين في انفسكم و قلوبكم و نياتكم لا خير فيكم - او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه و عقابه * [لِلْكَافِرِينَ] مقام مقام لهم للايدان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله و برسوله فهو كافر - و نكر [سَعِيرًا] لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تُلْطَى * [وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ] يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر و يعذب بمشيئته و مشيئته تابعة لحكمته و حكمته المغفرة للتائب و تعذيب المصر [وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا] رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتذاب الكبائر و يغفر الكبائر بالتوبة * [سَيَقُولُ

سورة الفتح ٤٨

الجزء ٢٦

ع ٨

النصف

١٥

جَنَّبَتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خُلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ * وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا *
وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنُّ السُّوءِ * عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ *
وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ * وَسَاءَتْ مَصِيرًا * وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لَتَقُولُمُنَّو بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ * وَتُسَبِّحُوهُ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا * إِنَّ الَّذِينَ يُدَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُدَايِعُونَ اللَّهَ * يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ * فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ

المؤمنون نعمة الله فيه و يشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم و يعذب الكافرين و المنافقين لما غاظمهم من
ذلك و كرهوه - وقع السوء عبارة عن رداة الشيء و فسادة - و الصدق عن جودته و صلاحه فقيل في المرعي
الصالح من الافعال فعل صدق و في المسخوط الفاسد منها فعل سوء و معنى [ظن السوء] ظنهم ان الله تعالى
لا ينصر الرسول و المؤمنين و لا يرجعهم الى مكة ظانين فاتحيا عنوة و قهرا - [عليهم] دائر السوء - اي
ما يظنونه و يتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم و دائر عليهم - و السوء الهلاك و الدمار - و قرى [دائرة
السوء] بالفتح اي الدائرة التي يذمونها و يسخطونها فهي عندهم دائرة سوء و عند المؤمنين دائرة صدق -
فان قلت هل من فرق بين السوء و السوء - قلت هما كالكره و الكره و الضعف و انضعف من ساء الا ان
المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء و اما السوء فجار مجرى الشر الذي
هو فقيض الخير يقال اراد به السوء و اراد به الخير و لذلك اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما
و كانت الدائرة محمودة فكان حقا ان لا تضاف اليه الا على التأويل الذي ذكرنا و اما دائرة السوء بالضم
فلان الذي اصابهم مكروه و شدة فصيح ان يقع عليه اسم السوء كقوله عز و علا ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة
[شاهدا] تشهد على امتك كقوله و يكون الرسول عليكم شهيدا - ليدومنوا الضمير للناس - و يعزروه
و يقووه بالنصرة - و يوقروه و يعظموه - و يسبحوه من التسبيح او من السبحه و الضمائر لله عز و جل
و المراد بتعزيز الله تعزير دينه و رسوله و من فرق الضمائر فقد ابعد - و قرى ليقومنوا - و تعزروه - و توقروه بالتاء
و الخطاب لرسول الله و لآلته - و قرى رتعزروه بضم الزاي و كسرهما - و تعزروه بضم التاء و التخفيف - و تعزروه
بالزايين - و توقروه من اوقره بمعنى وقره - [و تسبحوا] الله [بكرة و اصيلا] عن ابن عباس صلوة الفجر و صلوة الظهر
و العصر * اما قال [انما يدايعون الله] اكدت تأكيد على طريقة التخييل فقال [يد الله فوق ايديهم] يريد ان يد
رسول الله اللتي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله و الله تعالى منزلة عن الجوارح و عن صفات الاجسام
و انما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقدة مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع
الرسول فقد اطاع الله و المراد ببيعة الرضوان [فانما ينكث على نفسه] فلا يعود ضرر نكثه الا عليه - قال
جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تحت الشجرة على الموت
و على ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جدت بن قيس و كان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره و لم

صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيُضْرِكُ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا
مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۝ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ۝ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

ع ٨

قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام و حجارة - و عن ابن عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم -
وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح - فان قلت كيف يكون فتحا وقد احصروا فنجروا وخلقوا
بالحديدية - قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا - وعن موسى بن عقبة اقبل
رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من الحديدية راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا بفتح لقد
صدونا عن البيت و صد هدينا فبلغ النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال بأس الكلام هذا بل هو
اعظم الفتوح و قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح و يسألوكم القضية و يرغبوا اليكم في
الامان و قد رأوا منكم ما كرهوا - و عن الشعبي نزلت بالحديدية و اصاب رسول الله صلى الله عليه و آله
وسلم في تلك الغزوة ما لم يُصب في غزوة اصاب - ان بوبع بيعة الرضوان - و غفرله ما تقدم من ذنبه و ما
تأخر - و ظهرت الروم على فارس - و بلغ الهدي محله - و اطعموا نخل خيبر - و كان في فتح الحديدية اية عظيمة
و ذلك انه نزع ماؤها حتى لم تبق فيها قطرة فدمض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ثم مَجَّه فيها
فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه - و قيل فجاش الماء حتى امتلأت و لم ينفد ماؤها بعد -
و قيل هو فتح خيبر - و قيل فتح الروم - و قيل فتح الله له بالاسلام و الذبوة و الدعوة بالحجة و السيف
و لا فتح ابدن منه و اعظم و هو رأس الفتوح كلها ان لا فتح من فتوح الاسلام الا و هو تحته و منشعب
منه - و قيل معناه قضينا لك قضاء بيننا على اهل مكة ان تدخلها انت و اصحابك من قابل لتطوفوا
بالبيت من الفتاحة و هي الحكومة و كذا عن قتادة - [مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ] يريد جميع ما فرط
منك - و عن مقاتل ما تقدم في الجاهلية و ما بعدها - و قيل ما تقدم من حديث مارية و ما تأخر
من امرأة زيد [نَصْرًا عَزِيزًا] فيه عز و منعة - او وصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا - ار عزيزا صاحبه
[السَّكِينَةَ] للسكون كالبيتة المبهتان اي انزل الله في قلوبهم السكون و الطمانينة بسبب الصلح و الامن
ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف و الهدنة غلب القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم - او انزل
فيها السكون الى ما جاء به محمد صلى الله عليه و آله و سلم من الشرائع ليزدادوا ايمانا بالشرائع مقرونا الى
ايمانهم و هو التوحيد - عن ابن عباس رضي الله عنه ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه و آله و سلم
التوحيد فلما امنوا بالله وحده انزل الصلوة و الزكاة ثم الحج ثم الجهاد فزدادوا ايمانا الى ايمانهم - او انزل
فيها الوفاق و العظمة لله و لرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم - و قيل انزل فيها الرحمة
ليترحموا فيزداد ايمانهم [وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ] يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه و حكمته
و من قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديدية و عدهم ان يفتح لهم و انما قضى ذلك ليعرف

سورة الفتح ٢٨
الجزء ٢٩
ع ٨
كلماتها ٥٩٨
سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية واربعة ركوعاً •
حروفها ٢٥٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ

الذين صلته تدعون أي انتم الذين تدعون - او انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا فقل تدعون [لِتَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ] قيل هي النفقة في الغزو - وقيل الزكاة كأنه قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر [فَمِنْكُمْ] ناس يبخلون به ثم قال [وَمَنْ يَبْخُلْ] بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وانما يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضمنت عليه وعنه ثم اخبر انه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه لحاجته اليه فهو [الْغَنِيُّ] الذي تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب [وَإِنْ تَقُولُوا] معطوف على وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَقُولُوا [يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ] يخاف قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقولهم تعالى وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ - وقيل هم الملكة - وقيل الانصار - وعن ابن عباس كذبة والنخع - وعن الحسن العجم - وعن عكرمة فارس والروم - وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتنازله رجال من فارس - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان حقاً على الله ان يسقيه من انهار الجنة •

سورة الفتح

هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في اخباره لانها في تحققها وتيقنهما بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى - فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة - قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي - المغفرة - واتمام النعمة - وهداية الصراط المستقيم - والنصر العزيز - كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوتك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والاجل - ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سبباً للغفران والثواب - والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحاً بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح - وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه

سورة محمد ٤٧

الجزء ٢٩

ع ٧

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ۖ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۖ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ ق ۚ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ق ۚ وَاللَّهُ مَعَكُمْ
وَلَنْ يَذَرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ۖ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ۚ وَهُوَ ط ۚ وَإِنْ تَوَيْمَنُوا وَتَقْوُوا يَوْمَكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ
أَمْوَالَكُمْ ۖ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخَفِّكُمْ تَبَخَّلُوا وَ يُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ۖ هَٰئِنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِتُبْطِلُوا فِي سَبِيلِ

قريش والمطعمون يوم بدر [وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ] اي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الى ان قال ان تحبط أعمالك - وعن ابي العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا يرفع مع الشرك عمل حتى نزلت وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ فكانوا يخافون الكبائر على اعمالهم - وعن حذيفة فحافوا ان تحبط الكبائر اعمالهم - وعن ابن عمر رضي الله عنهما كذا نرى انه ليس شيء من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من اصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصيبها - وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ - وقيل لَا تُبْطِلُوهَا بمعصيتهما - وعن ابن عباس لَا تُبْطِلُوهَا بالرياء والسمعة - وعنه بالشك والذفق - وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنة كما تأكل النار الحطب - وقيل وَلَا تُبْطِلُوا صدقاتكم بالمن والاذى - [ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ] قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم [فَلَا تَهِنُوا] فلا تضعفوا ولا تدعوا للمعدن [وَ] لا [تَدْعُوا إِلَى] السِّلْم - وقرئ [السِّلْم] وهما المسالمة [وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ] اي الاغلبون الاقربون [وَاللَّهُ مَعَكُمْ] اي ناصركم - وعن قتادة لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتيها بالموادعة - وقرئ وَلَا تَدْعُوا مِنْ ادعى القوم وتَدَاعَوْا اذا دعوا نحو قواك ارتموا الصيد وتراصوه - وَتَدْعُوا مجزوم لدخوله في حكم النهي - او منصوب لاضمار ان - ونحو قوله وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ قوله اِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى [وَلَنْ يَذَرَكُمْ] من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم او حربته وحقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاءة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الوتر وهو من فصيح الكلام - ومذه قوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله اي افرد عنهما قتلا ونهيا • [يَوْمَكُمْ أَجُورَكُمْ] ثواب ايمانكم وتقونكم [وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ] اي ولا يسألكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال [إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخَفِّكُمْ] اي يجهدكم ويطلبه كله - والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاء في المسئلة اذا لم يترك شيئا من الاححاح واحفى شاربها اذا استأصله [تَبَخَّلُوا] وَ يُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ] اي تضطغنون على رسول الله وتضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموالكم - والضمير في يُخْرِجْ لله عز وجل اي يُضْغِنُكم بطلب اموالكم او للبخل لانه سبب الاضطغان - وقرئ نُخْرِجْ بالذون - وَ يُخْرِجْ بالياء - والتاء مع فتحهما ورفع أَضْغَانَكُمْ * [هَٰؤُلَاءِ] موصول بمعنى

سورة محمد ١٤٧
 الجزء ٢٩
 ع ٧

اللَّهُ سَخَطَ بِكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۝ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۝
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا سَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
 أَن لَّنْ نُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَارْتَيْنَاهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ۖ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۖ وَاللَّهُ
 يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۝ وَلَذَلَّلْنَاهُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبِّأُوا أَخْبَارَكُمْ ۝ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرْنَا وَصَدُّوا
 عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۖ وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ ۝

معناه ومعنى [فِي بَعْضِ الْأَمْرِ] في بعض ما تأمرون به - أو في بعض الأمر الذي يهتمكم [وَاللَّهُ يَعْلَمُ] أسرارهم -
 وقرئ [إِسْرَارَهُمْ] على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فأنشاه الله عليهم - [فَكَيْفَ] يعملون وما حيلتهم حينئذ -
 وقرئ توفئهم - ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا قد حذفتم احدى تذييه كقوله تعالى إِنَّا الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ
 الْمَلَائِكَةَ - وعن ابن عباس لا يتوفئ احد على معصية الله الا بضرب من الملائكة في وجهه ودبره - [ذَلِكَ]
 اشارة الى التوقي الموصوف [مَا سَخَطَ اللَّهُ] من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و [رِضْوَانَهُ]
 الايمان برسول الله • [أَضْغَانَهُمْ] أحقادهم - وإخراجها ابرازها لرسول الله و للمؤمنين و اظهارهم على نفاقهم
 وعداوتهم لهم و كانت صدورهم تغلي حنقا عليهم - [لَارْتَيْنَاهُمْ] لعرفناكم و دللناكم عليهم حتى تعرفهم
 بأعيانهم لا يخفون عليك [بِسِيمَاهُمْ] بعلامتهم و هو ان يسلمهم الله بعلامة يعلمون بها - وعن انس رضي
 الله عنه ما خفي على رسول الله بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم - ولقد كذا في بعض
 الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فذاصوا ذات ليلة و أصبحوا و على جبهة كل واحد منهم
 مكتوب هذا منافق - فان قلت اي فرق بين اللامين في قوله فاعرفتمهم ولتعرفتمهم - قلت الاولى هي الداخلة
 في جواب لو كاللتي في لاربتكم كررت في المعطوف و اما اللام في ولتعرفتمهم فواقعة مع الذون في جواب
 قسم محذوف [فِي لَحْنِ الْقَوْلِ] في نحوه واسلوبه - وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب
 و لا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب - وقيل النحن ان تلحن بكلامك اي تهيله الى نحو من الانحاء
 ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال • شعر • ولقد لحظت لكم الكيما تفقهوا • والنحن يعرفه ذوا الابداب •
 وقيل للمخطي لحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب • [أَخْبَارَكُمْ] ما يحكى عنكم و ما يخبر به عن
 اعمالكم ليعلم حسننها من قبيحها لان الخبر على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح -
 وقرأ يعقوب و نبتوا بسكون الواو على معنى ونحن نبتوا اخباركم - وقرئ - وليبدونكم - ويعلم - ويبدوا بالياء -
 وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى و قال اللهم لا تبلىنا فانك ان بليتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا
 [وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ] اللتي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله باطلة وهم قريظة
 والفضير - اذ سيحبط اعمالهم اللتي عملوها و المكائد اللتي نصبوها في مشاققة الرسول اي سيبطلها فلا
 يصلون منها الى اغراضهم بل يستصرون بها و لا تتأمر لهم الا القتل والجلد عن اوطانهم - وقيل هم رؤساء

سورة محمد ٤٧

الجزء ٢٦

ع ٦

لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۖ فَبَلَّ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ۖ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۖ أَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَقْفَالًا ۖ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ۖ وَآمَلَىٰ لَهُمْ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ

في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتهم عليهم لما تبين منكم من الشواهد والاح من المخائل [اَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ] تناحرا على الملك ونهالكا على الدنيا - وقيل ان اعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا واد البغيات - وقرئ وتليتكم - وفي قراءة علي ابن ابي طالب رضي الله عنه توليتكم اي ان تولاكم ولالة غشمة خرجتم معهم ومشيتكم تحمت لوائهم وافسدتم بافسادهم - وقرئ وتقطعوا - وتقطعوا من التقطيع والتقطع * [اُولَٰئِكَ] اشارة الى المذكورين [لَعَنَهُمُ اللَّهُ] لافسادهم وقطعهم الارحام فمذنبهم الطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعدة وعموا عن ابصار طريق الهدى - ويجوز ان يريد بالذين امنوا المؤمنين اخلص الثابتين وانهم يتشوفون الى الوحي اذا ابطأ عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها - [أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ] ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر وعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال [اَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالًا] و ام بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر - وعن قتادة اذن والله يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم اخذوا بالمتشابه فهلكوا - فان قلت لم تكرت القلوب واضيفت الاقفال اليها - قلت - اما التذكير ففيه وجهان - ان يراد على قلوب قاسية مبهم امرها في ذلك - او يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين - و اما اضافة الاقفال فلانه يريد الاقفال المختصة بها وهي اقفال الكفر اللتي استغلقت فلا تنفتح - و قرئ اقفالها على المصدر [الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ] جملة من مبدأ وخبر وقعت خبرا لان كقولك ان زيدا عمرو مرتبه - سَوَّلَ لَهُمْ سَهَّلَ لَهُمْ رَكِبَ الْعِظَائِمَ مِنَ السُّوْلِ وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السُّوْلِ من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا [وَآمَلَىٰ لَهُمْ] ومداهم في الامال والاماني - و قرئ وَآمَلَىٰ لَهُمْ يعنني ان الشيطان يغويهم و انا اُنظرهم كقوله تعالى اِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ - و قرئ وَآمَلَىٰ لَهُمْ على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم - و قرئ سَوَّلَ لَهُمْ ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف - فان قلت من هؤلاء - قلت اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعت في التوراة - وقيل هم المنافقون - الذين قالوا القائلون اليهود - والذين كرهوا ما انزل الله المنافقون - وقيل عكسه وانه قول المنافقين لقريظة والذئير لئن اخرجتم لنخرجن معكم - وقيل بعض الامر - التكذيب برسول الله - او بلا اله الا الله - او ترك القتال معه - وقيل هو قول احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في النصارى على عداوة رسول الله والقعود عن الجهاد

لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ ٢٧ فَإِذَا نَزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ
نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ٢٨ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ٢٩ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ٣٠ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ٣١ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ

على ذلك [وَاللَّهُ يَعْلَمُ] أحوالكم ومتصرفاتكم و [مُتَقَلِّبُكُمْ] في معاشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون
من منازلكم - او مُتَقَلِّبُكُمْ في حياتكم ومَثُوبُكُمْ في القبور - او مُتَقَلِّبُكُمْ في أعمالكم ومَثُوبُكُمْ من الجنة والنار
ومثله حقيق بان يُنْقَى ويُخْشَى وان يستغفر ويسترحم - وعن سفين بن عيينة انه سُئل عن فضل
العلم قال الم تسمع قوله حين بدأ به فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعْفَرَ لَذَنْبِكَ وامر بالعمل بعد العلم وقال
اعلموا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ إِلَى قَوْلِهِ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ - وقال واعلموا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ
وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ ثُمَّ قَالَ بَعْدَ فَاحْذَرُوهُمْ وَقَالَ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ثُمَّ امر بالعمل
بعد - كانوا يدعون الحرس على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فِي مَعْنَى الْجِهَادِ
[فَإِذَا نَزَلَتْ] وَاُصْرُوا فِيهَا بِمَا تَمَنَّوْا وَحَرَصُوا عَلَيْهِ كَاعُوا وَشَقَّ عَلَيْهِمْ وَسَقَطُوا فِي أَيْدِيهِمْ كَقَوْلِهِ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ
الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ [مُحْكَمَةٌ] مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجهها الا رجوب القتال - وعن
قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين - وقيل لها مُحْكَمَةٌ لَان
النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال قد نسخ ما كان من الصلح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيمة -
وقيل هي المُحَدَّثَةُ لانه حيث يحدث نزولها لا يتفارها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك او تبقى غير منسوخة -
وفي قراءة عبد الله سُورَةٌ مُّحَدَّثَةٌ - و قرئ فَإِذَا نَزَلَتْ سُورَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ على البناء للمفاعل ونصب
الْقِتَالِ [الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الاقدام [نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ]
اي تشخص ابصارهم جبنا و هلعاً كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت [فَأُولَئِكَ لَهُمْ] وعيد بمعنى فويل
لهم وهو افعل من الوالي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه [طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ] كلام مستأنف
اي طاعة وقول معروف خير لهم - وقيل هي حكاية قولهم اي قَالُوا طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ بمعنى امرنا
طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة ابي يعقوب طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ [فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ] اي جد والعزم
والجد لاصحاب الامر واما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا - ومنه قوله تعالى إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ [فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ] فيما زعموا من الحرس على الجهاد - او فلو صدقوا في ايمانهم و اطاعت قلوبهم فيه
السنتهم - عَسَيْتُمْ لُغَةَ أَهْلِ الْحِجَازِ - واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا
ولا يُلْحَقُونَ الضمائر - وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب - وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على
طريقة الالتفات ليكون ابلغ في التوبيخ - فَاِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى [فَهَلْ عَسَيْتُمْ اَنْ تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ] - قلت
معناه هل يتوقع منكم الانساد - فَاِنْ قُلْتَ كَيْفَ يَصِحُّ هَذَا فِي كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ عَالِمٌ بِمَا كَانَ وَمَا
يَكُونُ - قلت معناه انكم لما عهد منكم احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم

وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاهُمْ ۖ
 وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۚ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ فِيْكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنفَا ۚ
 أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۖ فَهَلْ
 يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ
 إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرِ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۖ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا

سورة محمد ٤٧

الجزء ٢٦

ع ٦

على العلة اي لاجل لذة الشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار
 ولا صداع ولا افة من افات الخمر [مصفى] لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره [ماء حميما]
 قيل اذا دنى منهم شوى وجوههم وانمازت فورة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاهم * هم المنافقون كانوا
 يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم
 فاذا خرجوا قالوا لاولى العلم من الصحابة ما ذا قال الساعة على جهة الاستهزاء - وقيل كان يخطب فاذا
 عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء - وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود - وعن ابن عباس انا منهم
 وقد سميت فيمن سئل - انفا - وقرئ انفا على فعل نصب على الظرف - قال الزجاج هو من استأنفت
 الشيء اذا ابتدأته والمعنى ما ذا قال في اول وقت يقرب منا * [زادهم] الله [هدى] بالتوفيق
 [واتهم تقوهم] اعانهم عليها - واتهم جزاء تقوهم - وعن السدي بين لهم ما يتقون - وقرئ واعطاهم -
 وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول او لاستهزاء المنافقين [ان تأتيم] بدل اشدمال من الساعة نحو ان
 تطشوه من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات - وقرئ ان تأتيم بالوقف على الساعة واستيفاف الشرط
 وهي في مصاحف اهل مكة كذلك - فان قلت فما جزاء الشرط - قلت قوله [فأنى لهم] ومعناه ان تأتهم
 الساعة فكيف لهم [فيذكرهم] اي تذكرهم واتعظهم اذا جاءتهم الساعة يعذبى لا تدفعهم الذكرى حينئذ كقوله
 يوم يذكركم الانسان وانى له الذكرى - فان قلت بم يتصل قوله فقد جاء اشراطها على انقراءتين - قلت
 باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقوله ان اكرماني زيد فاننا حقيق بالاكرام اكرمه - والاشراط العلامات
 قال ابوالاسود شعر * فان كذبت قد ازمعت بالصرم بيذنا * فقد جعلت اشراط اوله تبدوا * وقيل مبعث محمد
 خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم منها - واشقاق القمر - والدخان - وعن الكلبي كثرة المال -
 والتجارة - وشهادة الزور - وقطع الارحام - وقلة الكرام - وكثرة اللئام - وقرئ بغنة بوزن جرية وهي غريبة لم
 ترد في المصادر اختها وهي مروية عن ابي عمرو و ما اخروني ان يكون غلطة من الرازي على
 ابي عمرو وان يكون الصواب بغنة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم - لما ذكر حال
 المؤمنين وحال الكافرين قال اذا علمت ان الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقارة هؤلاء فائتبت
 على ما انت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من

وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ ۖ أَهْلُكُنْهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۖ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ
مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ
أَسِنٍ ۖ وَأَنْهَارٌ مِنْ أَسِنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ۖ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ۖ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ۖ

و معالفا غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح [مَثْوًى لَهُمْ] منزل ومقام - و قرى و كائن بوزن
كائن - و اراد بالقريه اهلها و لذلك قال [أَهْلُكُنْهُمْ] كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين
أخرجوك أَهْلُكُنْهُمْ ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك - فان قلت كيف قال [فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ] و انما هو
امر قد مضى - قلت مجراه مجرى الحال المحكية كقولك اهلكناهم فهم لا ينصرون - مَنْ زَيْنَ لَهُ هم اهل
مكة الذين زين لهم الشيطان شرهم وعداوتهم لله ورسوله - و [مَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ] اي على حجة من
عنده و برهان و هو القرآن المعجز و سائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم - و قرى آمن
كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ - وقال [سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا] للحمل على لفظ مَنْ و معناه - فان قلت ما معنى قوله [مَثَلُ الْجَنَّةِ
الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ] كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ - قلت هو كلام في صورة الانبات و معنى النفي و الانكار
لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار و دخوله في حيزه و انخراطه في سلكه و هو قوله آمَنَ كَانَ
عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فكأنه قيل أمثل الجنة كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ اي كمثال جزاء
من هو خالد في النار - فان قلت فلم عربي من حرف الانكار و ما فائدة التعرية - قلت تعريته من حرف
الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة و التابع لهواه و انه بمنزلة من يثبت
التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار و بين النار التي يسقى اهلها الحميم و نظيره قول
القائل * شعر * افرح أن أرزأ الكرام و أن * أورث ذوداً شصائصاً نبلاً * هو كلام منكر للفرح برزية الكرام و وراثة
الذود مع تعرية من حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال له افرح بموت اخيك و بوراثته ابله والذي
طرح لاجله حرف الانكار ارادة ان يصور قبح ما أُرِزَ به فكأنه قال نعم مثلي يفرح بممزرعة الكرام و بان يستبدل
منهم ذودا يقل طائله و هو من التسليم الذي تحته كل انكار - و مَثَلُ الْجَنَّةِ صفة الجنة العجيبة الشأن و هو
مبتدأ و خبره كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ وقوله فِيهَا أَنْهَارٌ داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك
الَّتِي فِيهَا أَنْهَارٌ - ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف هي فِيهَا أَنْهَارٌ و كأن قائله قال و ما مثلها فقليل
فِيهَا أَنْهَارٌ - و ان تكون في موضع الحال اي مستقرة فِيهَا أَنْهَارٌ - و في قراءة علي رضي الله عنه أمثال الجنة
اي ما صفاتها كصفات النار - و قرى أسن يقال أسن الماء و اجن اذا تغير طعمه و ريحه و أنشد ليزيد
بن معاوية * شعر * لقد سقذني رُضاباً غير ذي آمِنٍ * كالمسك فُت على ماء العنقايد * [مِنْ أَسِنٍ لَمْ
يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ] كما يتغير البان الدنيا فلا يعود قارصاً و لا حازراً و لا ما يكره من الطعوم [لَذَّةٍ] تأنيث لذكر و هو
اللذيق اروضت بمصدر - و قرى بالحركات الثلاث - فالجر على صفة الخمر - والرفع على صفة الأنهر - والنصب

أَقْدَامَكُمْ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ۝ وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ ۖ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَطْوًى لَهُمْ

سورة محمد ٤٧

الجزء ٢٩

ع ٥

وقرى [فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ] - وَتُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ - رِيَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ مِنْ ضَلَّ - وَعَنْ قَدَادَةَ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي يَوْمٍ أُحَدِّثُ [عَرَفَهَا لَهُمْ] أَعْلَمَهَا لَهُمْ وَبَيَّنَّهَا بِمَا يَعْلَمُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ مَنْزِلَهُ وَدَرَجَتَهُ مِنَ الْجَنَّةِ - قَالَ مُجَاهِدٌ يَهْتَدِي أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى مَسَاكِنِهِمْ مِنْهَا لَا يُخْطِئُونَ كَأَنَّهُمْ كَانُوا سَكَاتَهَا مِنْذُ خَلَقُوا لَا يَسْتَدَلُّونَ عَلَيْهَا - وَعَنْ مِقَاتِلٍ أَنَّ الْمَلِكَ الَّذِي وَكَّلَ بِحِفْظِ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَعْرِفُهُ كُلُّ شَيْءٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ - أَوْ طَيَّبَهَا لَهُمْ مِنَ الْعَرْفِ وَهُوَ طَيْبُ الرَّائِحَةِ - وَفِي كَلَامٍ بَعْضُهُمْ عَرَفَ كُنُوحَ الْقَمَارِيِّ وَعَرَفَ كَفُوحَ الْقَمَارِيِّ - أَوْ حَدَّدَهَا لَهُمْ فَجَنَّةٌ كُلُّ أَحَدٍ مُحَدَّدَةٌ مَفْرُوزَةٌ عَنْ غَيْرِهَا مِنْ عَرَفِ الدَّارِ وَآرِفِهَا وَالْعُرْفِ وَالْأَرْفِ الْحُدُودِ [إِنْ تَنْصُرُوا] دِينَ [اللَّهُ] وَرَسُولَهُ [يَنْصُرْكُمْ] عَلَى عَدُوِّكُمْ وَيَفْتَحْ لَكُمْ [وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ] فِي مَوَاطِنِ الْحَرْبِ - أَوْ عَلَى مُحِجَّةِ الْإِسْلَامِ - [وَالَّذِينَ كَفَرُوا] يَحْتَمِلُ - الرِّفْعَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ - وَالنَّصْبَ بِمَا يَفْسُرُهُ [فَتَعَسَا لَهُمْ] كَأَنَّهُ قِيلَ اتَّعَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا - فَإِنْ قُلْتَ عَلَامَ عَطْفِ قَوْلِهِ [وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ] - قُلْتَ عَلَى الْفِعْلِ الَّذِي نَصَبَ تَعَسَا لَأَنَّ الْمَعْنَى نَقَالَ تَعَسَا لَهُمْ أَوْ فَقَضَى تَعَسَا لَهُمْ وَتَعَسَا لَهُ نَقِيضُ لَعَا لَهُ - قَالَ الْأَعَشَى • ع • فَالتَّعَسَ أَوْلَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا • يَرِيدُ فَالْعَثُورَ وَالْإِنْخِطَاطَ أَقْرَبَ لَهَا مِنَ الْإِنْتِعَاشِ وَالثَّبُوتِ - وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ يَرِيدُ فِي الدُّنْيَا الْقَتْلَ وَفِي الْآخِرَةِ التَّرْدِيَّ فِي النَّارِ [كَرِهُوا] الْقُرْآنَ وَ[مَا أُنْزِلَ اللَّهُ] فِيهِ مِنَ التَّكْلِيفِ وَالْأَحْكَامِ لِأَنَّهُمْ قَدْ أَلْفُوا الْإِهْمَالَ وَاطْلَاقَ الْعِزِّ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَانِ فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَتَعَاطَمَهُمْ • دَمَّرَهُ أَهْلَكَهُ وَدَمَّرَ عَلَيْهِ أَهْلَكَ عَلَيْهِ مَا يَخْتَصُّ بِهِ وَالْمَعْنَى [دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ] مَا اخْتَصَّ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَكُلِّ مَا كَانَ لَهُمْ [وَاللَّكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا] الضَّمِيرُ لِلْعَاقِبَةِ الْمَذْكُورَةِ - وَلِلْهَلَكَةِ لِأَنَّ التَّدْمِيرَ يَدُلُّ عَلَيْهَا - أَوْ لِلسَّيِّئَةِ لِقَوْلِهِ عَزَّ وَعَلَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا [مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا] وَلِيَّهُمْ وَنَاصِرُهُمْ - وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَلِيَّ الَّذِينَ آمَنُوا - وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي الشَّعْبِ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَدْ فَشَتْ فِيهِمُ الْجِرَاحَاتُ وَفِيهِ نَزَلَتْ فَنَادَى الْمُشْرِكُونَ أَعْلُ هُبْلُ فَنَادَى الْمُسْلِمُونَ اللَّهُ أَعْلَى وَاجِلُ فَنَادَى الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ يَوْمٍ وَالْحَرْبُ سَبَّحَالُ أَنْ لَنَا عَزَى وَلَا عَزَى لَكُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قُولُوا اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ إِلَّا الْقَتْلَى مُخْتَلِفَةٌ أَمَا قَتَلْنَا فَأَحْيَاءُ يُرْزَقُونَ أَمَا قَتَلْنَاكُمْ فَفِي النَّارِ يَعَذَّبُونَ - فَإِنْ قُلْتَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ مَذَاقُ هَذِهِ الْآيَةِ - قُلْتَ لَا تَنَاقُضُ بَيْنَهُمَا لِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى عِبَادِهِ جَمِيعًا عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ رَبُّهُمْ وَمَالِكُ أَمْرِهِمْ وَأَمَّا عَلَى مَعْنَى النَّاصِرِ فَهُوَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً • [يَتَمَتَّعُونَ] يَنْتَفِعُونَ بِمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَيْ مَا قَلَّ لِلْغَاثِلِينَ غَاثِلِينَ غَيْرِ مُفَكِّرِينَ فِي الْعَاقِبَةِ [كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ] فِي مَسَارِحِهَا

الرِّقَابُ ٥ حَتَّىٰ إِذَا أَثْبَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مَدَّ بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۚ
وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ۝
سَيَهْدِيهِمْ وَيُضِلِّجُ بِاللَّهُمَّ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُخْرِجْ

الغليظ - ار ائقلموهم بالقتل و الجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض [فشدوا الوتاق] فأمرهم - و الوتاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به - منار فداء منصوبان بفعليهما مضميرين اي فاما تمتون منا و اما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الامر بين ان يمتدوا عليهم فيطلقوهم و بين ان يفادوهم - فان قلت كيف حكم اسارى المشركين - قلت اما عند ابي حنيفة و اصحابه فاحد امرين اما قتلهم و اما استرقاقهم ايها رأى الامام و يقولون فى المن و الفداء المذكورين فى الآية نزل ذلك فى يوم بدر ثم نسخ - و عن مجاهد ليس اليوم من و لا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق - ويجوز ان يراد - بالمن ان يمن عليهم بترك القتل و يسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية و كونهم من اهل الذمة - و بالفداء ان يفادى بأسارهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهباً عن ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال و لا بغيره خيفة ان لا يعودوا حرباً للمسلمين - و اما الشافعي فيقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهي - القتل - والاسترقاق - و الفداء باسارى المسلمين - والمن - و يحتج بان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من على ابي عروة الحنفي و على أنال الحنفي و نادى رجلاً برجلين من المشركين و هذا كله منسوخ عند اصحاب الرأي - و قرئ فدى بالقصر مع فتح الفاء - اوزار الحرب ألتها و ائقالتها التي لا تقوم ألا بها كالسلاح و الكراع - قال الاعشى شعر • واعدت للحرب اوزارها • رماحاً طوالاً و خيلاً ذكورا • و سميت اوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرّها فكأنها تحملها و تستقل بها فاذا انقضت فكأنها وضعتها - و قيل اوزارها ائامها يعني حتى يترك اهل الحرب و هم المشركون شركهم و معاصيهم بان يسلّموا - فان قلت حتى بم تعلقت - قلت لا تخلو من ان تتعلق بالضرب و الشد او بالمن و الفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رحمة الله عليه انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا تكون حرب مع المشركين و ذلك اذا لم تبقى لهم شوكة - و قيل اذا نزل عيسى عليه السلام - و عند ابي حنيفة رحمة الله عليه اذا علق بالضرب و الشد فالمعنى انهم يقتلون و يؤسرون حتى يضع جنس الحرب الازار و ذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين - و اذا علق بالمن و الفداء فالمعنى انه يمن عليهم و يفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتأول المن و الفداء بما ذكرنا من التأويل [ذاك] اي الامر ذاك - او افعلوا ذاك [لانتصر منهم] لانتقم منهم ببعض اسباب الهلك من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت جارف [و لكن] امركم بالقتال [ليبلو] المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوا و يصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم و الكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب - و قرئ قتلوا بالتخفيف - و التشديد - و قتلوا - و قتلوا -

مُحَمَّدٌ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَاصْلَحَ بِأَلْهِمْ ⑤ ذَلِكَ بَيِّنَاتٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبِعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ⑥ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ⑦ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ

ع ٤

الربع

ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقري الاضياف وحفظ
الجوار - وقيل ابطال ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصدقة عن سبيل الله بأن
نصرة عليهم و اظهار دينه على الدين كله - [وَالَّذِينَ آمَنُوا] - قال مقاتل هم ناس من قريش - وقيل من
الانصار - وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب - وقيل هو عام - وقوله [وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ] اختصاص للايمان
بالمنزّل على رسول الله من بين ما يجب الايمان به تعظيما لشانه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به
وأكد ذلك بأجملة الاعترافية التي هي قوله [وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ] - وقيل معناها ان دين محمد هو الحق
اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره - وقري نزل - وأنزل على البذاء للمفعول - ونزل على البذاء للفاعل - ونزل
بالتخفيف - [كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ] ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها
وتوبتهم [وَاصْلَحَ بِأَلْهِمْ] اي حالهم وشانهم بالتوفيق في امور الدين وبالتسليط على الدنيا بما اعطاهم من النصرة
والناييد * [ذَلِكَ] مبتدأ وما بعده خبره اي ذلك الامر وهو اضرار اعمال احد الفريقين وتكفير
سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق - ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف
اي الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا و مرفوعا على الاول - والباطل
ما لا ينتفع به - وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير - [كَذَلِكَ] مثل
ذلك الضرب [يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ] والضمير راجع الى الناس - او الى المذكورين من الفريقين
على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم - فان قلت اين ضرب الامثال - قلت - في ان
جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار و اتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين - او في ان جعل الاضرار مثلا
لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين - [لَقِيتُمْ] من اللقاء وهو الحرب [فَضَرْبُ الرِّقَابِ]
اصله فاضربوا الرقاب ضربا يحذف الفعل وقدم المصدر فانيب مضافا الى المفعول - وفيه اختصار مع اعطاء
معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنسبة التي فيه - وضرب الرقاب عبارة عن القتل
لان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك انهم كانوا يقولون - ضرب الامير رقبة فلان -
و ضرب عنقه - و علاوته - و ضرب ما فيه عيناه - اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته
فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله بِمَا كَسَبَتْ اَيْدِيكُمْ على ان في
هذه العبارة من الغلظة والشدّة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حُرّ
العنق و اطارة العضو الذي هو رأس البدن و علاوة و اوجه اعضائه و لقد زاد في هذه الغلظة في قوله فاضربوا
فَوْقَ الْأَعْدَاقِ - وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ - [أَتَخَنَتُمُوهُمْ] اكثرتم قتلهم و اغلظتموه من الشيء الثخين وهو

سورة محمد ١٥٧
الجزء ٢٩
ع ٤
كلماتها ٥٥٨
سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم مدنية وهي ثمان وثلاثون آية واربعة ركوعاً
حروفها ٢٤٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى

وهذا المضمهر هو ناصب الظرف و هذا اشارة الى العذاب بدليل قوله تعالى [فَذُوقُوا الْعَذَابَ] والمعنى
التيهم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ * [اُولُوا الْعِزْمِ] اولوا الجدة
والثبات والصبر - ومن يجوز ان يكون للتبعيض ويراد بأولى العزم بعض الانبياء - قيل هم - نوح صبر على
اذى قومه كانوا يضربونه حتى يَغْشَى عليه - وابراهيم على النار وذيبح ولده - واسحق على الذبح - ويعقوب
على فقد ولده وذهاب بصره - ويوسف على الحب والسجن - وايتوب على الضر - وموسى قال له قومه اَنَا
لَمُدْرِكُونَ قَالَ كَلَّا اِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِي - وداود بكى على خطيئته اربعين سنة - وعيسى لم يضع لبنة على
لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمرونها وقال الله تعالى في ادم وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً وَفِي يُونُسَ وَلَمْ تَكُنْ
كَصَاحِبِ الْحُوتِ - ويجوز ان تكون للبيان فيكون اولوا العزم صفة الرسل كلهم [وَلَا تَسْتَعْجِلْ] لكفار قريش
بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخروا انهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في
الدنيا حتى يحسبوها ساعةً مِنْ نَهَارٍ [بَاغ] هذا بلاغ اي هذا الذي وعظمت به كفاية في الموعظة - او هذا
تبليغ من الرسول [فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا] الخارجون عن الاعتاظ به والعمل بمواجبه ويدل على معنى التبليغ
قراءة من قرأ بَاغ فَهَلْ يَهْلِكُ - وقرئ بَلَاغَا اي بلغوا بلاغا - وقرئ يَهْلِكُ بفتح الياء وكسر اللام - وفتحها
من هَلِكَ وَهَلِكَ - وَنَهْلِكُ بالذوق إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَنْ قرأ
سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا •

سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

[وَصَدُّوا] وارضوا و امتنعوا عن الدخول في الاسلام - او صدوا غيرهم عنه - قال ابن عباس رضي الله
عنه هم المطعمون يوم بدر - وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلاً من اهل الشرك يصدون الناس عن
الاسلام و يأمرونهم بالكفر - وقيل هم اهل الكتاب الذين كفروا و صدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل
في الاسلام - وقيل هو عام في كل من كفر و صد [أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ] ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها
طالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها
و يعتني بامرها - او جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن - و أعمالهم

سورة الاحقاف ٤٦

الجزء ٢٦

ع ٣

وَلَوْ اِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ۝ قَالُوا يٰقَوْمَنَا اِنَّا سَمِعْنَا كُتُبًا اُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسٰى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي
 اِلَى الْحَقِّ وَ اِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ يٰقَوْمَنَا اٰجِبُوْا دَاْعِيَ اللّٰهِ وَ اٰمِنُوْا بِهٖ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوْبِكُمْ وَ يُجْزِئَكُمْ مِنْ
 عَذَابِ اَلِيْمٍ ۝ وَ مَنْ لَا يُجِِبْ دَاْعِيَ اللّٰهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْاَرْضِ وَ الْاٰسَ لَهٗ مِنْ دُوْنِهٖ اَوْلِيَاءُ ۝ اُولٰٓئِكَ فِي
 ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ۝ اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّ اللّٰهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَ الْاَرْضَ وَلَمْ يَعْصِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدْرِ عَلٰى اَنْ يُخْشِيَ
 الْمَوْتٰى ۝ بَلٰى اِنَّهٗ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝ وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا عَلٰى النَّارِ ۝ اَلَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ ۝

فصربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلوة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه الى طلبته واغروا به سفهاء ثقيف - وعن معبد بن جبير رحمه الله ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلوته فمروا به فوقوا مستمعين وهو لا يشعر فانباة الله باستماعهم - وقيل بل امر الله رسوله ان يذير الجن و يقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطأ وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجلا سودا مستنقري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين و كانوا اثني عشر الفا و السورة التي قرأ عليهم اقرأ باسم ربك - فان قلت كيف قالوا [من بعد موسى] - قلت عن عطاء انهم كانوا على اليهودية - و عن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى - فان قلت لم بعض في قوله [من ذنوبكم] - قلت لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله عز و علا ان اعبدوا الله و اتقوه و اطيعوا يعقروكم من ذنوبكم - فان قلت هل للجن ثواب كما للانس - قلت اختلف فيه - فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله و يجزئكم من عذاب اليم و اليه كان يذهب ابوحنيفة رحمه الله - و الصحيح انهم في حكم بني آدم لانهم مكلفون مثلهم * [فليس بمعجز في الارض] اي لا ينجي منه مهرب و لا يسبق قضاة سابق و نحوه قوله و انا ظننا ان لن نعجز الله في الارض و لن نعجزه هربا * [بقدر] محله الرفع لانه خبر ان يدل عليه قراءة عبد الله قدر و انما دخلت الباء لاشتمال النفي في اول الآية على ان و ما في حيزها - و قال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر الا ترى الى وقوع بلى مقورة للقدرة على كل شيء من البعث و غيره لا لرويتهم - و قرئ بقدر - و يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه ومنه افعيينا بالخلق الاول [أليس هذا بالحق] محكي بعد قول مضمور

وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَابْصَارًا وَآفَئِدَةً ۖ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا
يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۚ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حولَكُم مِّنَ الْقَرْيِ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۚ قُلُوا لَا نَصْرَ لَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۖ وَذَلِكَ أَفْكَهُمْ وَمَا
كَانُوا يَفْقَهُونَ ۚ وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ۖ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ

التكرير قلبوا الالف هاء ولقد اغتت ابو الطيب في قوله * ع * لعمرك مامابان منك لضارب * و ما ضرة
لواقتدى بعدوبة لفظ التذليل فقال لعمرك ما ان بان منك لضارب و قد جعلت ان صلة مثلها فيما انشده
الاخفش * شعر * يرجي المرء ما ان لا يراه * ويعرض دون ادناه الخطوب * وتؤول بانا مكلمهم في مثل ما مكلمهم
فيه و الوجه هو الاول و لقد جاء عليه غير آية في القرآن هم احسن اثنا و رثيا - كانوا اكثر منهم و اشد قوة و اثارا
وهو ابلغ في التوبيخ و ادخل في الحث على الاعتبار [من شيء] اي من شيء من الغذاء وهو
القليل منه - فان قلت بم انتصب [ان كانوا يجحدون] - قلت بقوله فما اغنى - فان قلت لم جرى مجرى
التعليل - قلت لاستواء مودى التعليل و الظرف في قولك ضربته لاساءته و ضربته ان اساء لانك اذا ضربته
في وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ و حيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك *
[ما حولكم] يا اهل مكة [من القرى] من نحو حجر ثمود و قرية سدوم و غيرها و المراد اهل القرى و لذلك
قال [لعلهم يرجعون] - القربان ما تقرب به الى الله اي اتخذوهم شفعا متقربا بهم الى الله حيث قالوا
هولاء شفعاؤنا عند الله و احد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين المحذوف و الثاني الالهة و قربانا حال ولا يصح
ان يكون قربانا مفعولا ثانيا و الالهة بدلا منه لفساد المعنى - و قرى قربانا بضم الراء و المعنى فهلا منعهم من
الهلاك الهتهم [بل ضلوا عنهم] اي غابوا عن نصرتهم [و ذلك] اشارة الى امتناع نصره الهتهم لهم و ضلالهم
عنهم اي و ذلك اثر افكهم الذي هو اتخاذهم آيها الالهة و ثمرة شركهم و افتراءهم على الله الكذب من كونه
ذا شركاء - و قرى افكهم و الافك كالحذر و الحذر - و قرى و ذلك افكهم اي و ذلك الاتخاذ الذي
هذا اثره و ثمرة صرفهم عن الحق - و قرى افكهم على التشديد للمبالغة - و افكهم جعلهم افكين - و افكهم اي
قولهم الافك ذو الافك كما تقول قول كاذب - و ذلك افك مما كانوا يفتررون اي بعض ما كانوا يفتررون من
الافك [صرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا] املأهم اليك و اقبلنا بهم نحولك - و قرى صرَفْنَا بالتشديد لانهم جماعة - و انفر
دون العشرة و يجمع انفارا و في حديث ابي ذر رضي الله عنه لو كان ههنا احد من انفارنا [فلما حضرته]
الضمير للقرآن اي فلما كان بمسمع منهم - او لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و يعضده قراءة من قرأ
فلما قضى اي اتم قراءته و فرغ منها [قالوا] قال بعضهم لبعض [انصتوا] استنصتوا مستمعين يقال
انصت لكذا و استنصت له - روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حُرست السماء و رجموا بالشهب
قالوا ما هذا الا لذباء حدث فنهض سبعة نفر او تسعة من اشراف جن نصيبين او فينوى منهم زبعة

قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ ۖ وَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ۖ وَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ۖ وَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ۖ وَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ۖ
 أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۖ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ
 رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ ۖ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۖ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّكُمْ فِيهِ

هورة الاحقاف ٢٦

الخز ٢٦

ع ٢

الله بجهدى ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما اذن
 لهم فيه • [فلما رآه] في الضمير وجهان - ان يرجع الى ما تعدوا - و ان يكون مبهما قد وضع امره بقوله عارضا
 اما تمديزا و اما حالا وهذا الوجه اعرب و اوضح - و العارض السحاب الذي يعرض في افق من السماء و مثله
 الحبي و العنان من حبا و عن اذا عرض و اضافة مستقبل و ممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما
 مضافان الى معرفتين وصفا للذكرة [بل هو] القول قبله مضمرة و القائل هود عليه السلام و الدليل عليه قراءة
 من قرأ قل هود بل هو - و قرئ قل بل هو ما استعجلتم به هي ريح اي قال الله قل [تدمر كل شيء] [تدمر كل شيء] [تدمر كل شيء]
 تهللك من نفوس عاد و اموالهم الجتم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية - و قرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا
 اذا هلك - لا ترى الخطاب للرأي من كان - و قرئ [لا يرى] على البناء للمفعول بالياء و التاء و تاويل
 القراءة بالتاء وهي عن الحسن لا ترى بقايا و لا اشياء الا مسكنهم و منه بيت ذي الرمة • ع • و ما بقيت الا
 الضاوع الجراشع • و ليست بالقرية - و قرئ لا ترى الا مسكنهم - و لا يرى الا مسكنهم - و روي ان الريح
 كانت تحمل الفسطاط و الطعينة فتدفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة - و قيل اول من ابصر العذاب
 امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كسهب النار - و روي انه اول ما عرفوا به انه عذاب انهم رأوا ما كان في
 الصحراء من رجالهم و مواشيهم تطير بهم الريح بين السماء و الارض فدخلوا بيوتهم و غلقوا ابوابهم فقلعت
 الريح الابواب و صرعتهم و امال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال و ثمانية ايام لهم انين ثم كشفت
 الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر - و روي ان هودا لما احس بالريح خط على نفسه و على
 المؤمنين خطا الى جذب عين تذبغ - و عن ابن عباس اعتزل هود و من معه في حظيرة ما يصيبهم
 من الريح الا ما يلين على الجلود و تلذذ الانفس و انها لتمر من عاد بالظعن بين السماء و الارض و تدمغهم
 بالحجارة - و عن النبي صلى الله عليه و اله و سلم انه كان اذا رأى الريح فزع و قال اللهم اني اسألك
 خيرها و خير ما ارسلت به و اعوذ بك من شرها و شر ما ارسلت به و اذا رأى مخيلة قام و قعد و جاء
 و ذهب و تغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول اني اخاف ان يكون مثل قوم عاد حيث
 قالوا هذا عارض ممطرنا - فان قلت ما فائدة اضافة الرب الى الريح - قلت الدلالة على ان الريح
 و تصرف اعتنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها من اعاجيب خلقه و اكبر جنوده و ذكر الامر و كونها مأمورة
 من جهته عز و علا يعضد ذلك و يقويه - [ان] نافية اي فيما ما [ممكنكم فيه] الا ان احسن في اللفظ لما في
 مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع و مثله متجذب الا ترى ان الاصل في مهما ماما فلبشاعة

فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ۝ اذْكُرْ أَخَا عَادَ ۖ
 إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْوُدُّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ
 عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَاْفِكُنَا عَنْ آلِهَتِنَا ۚ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝

الحوض عليها فقلبوا و يدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها [اذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ] اي
 ما كُتِبَ لكم حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه في دنياكم و قد ذهبتكم به و اخذتموه فلم يبق لكم بعد
 استشفاء حظكم شيء منها - و عن عمر رضي الله عنه لو شئت لدعوت بصلائق و مذاب و كراكر و اسنمة
 و لكني رأيت الله نعى على قوم طيباتهم فقال اذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا - و عنه لو شئت لكنت
 اطيبتكم طعاما و احسنكم لباسا و لكني استبقي طيباتي - و عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انه
 دخل على اهل الصفة و هم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال انتم اليوم خيرام يوم يغدو احدكم
 في حلة و يروح في اخرى و يغدو عليه بجفنة و يراح عليه باخرى و يستر بيته كما يستر الكعبة قالوا نحن
 يومئذ خير قال بل انتم اليوم خير - و قرئ اذْهَبْتُمْ بهمزة الاستفهام - و اذْهَبْتُمْ بالفتح بين همزتين [الهون]
 الهوان - و قرئ عَذَابَ الْهُونِ - و قرئ تَفْسُقُونَ بضم السين - و كسرهما * الاحقاف جمع حقف و هو رمل
 مستطيل مرتفع فيه انحاء من احقو قف الشيء اذا اوج و كانت عاد اصحاب عمدة يسكنون بين رمال
 مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن - و قيل بين عمان و مهرة و [الذر] جمع ذير
 بمعنى المنذر او الانذار [مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ] من قبله [وَمِنْ خَلْفِهِ] و من بعده - و قرئ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ
 بَعْدِهِ و المعنى ان هودا عليه السلام قد انذرهم فقال لهم لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ الْعَذَابَ و اعلمهم
 ان الرسل الذين بعثوا قبله و الذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره - و عن ابن عباس رضي الله
 عنه يعني الرسل الذين بعثوا قبله و الذين بعثوا في زمانه و معنى وَمِنْ خَلْفِهِ عَلَى هَذَا التفسير و من
 بعد انذاره هذا اذا علقته و قد خَلَّتِ الذر بقوله اذْهَبْتُمْ قَوْمَهُ - و لك ان تجعل قوله و قد خَلَّتِ الذر من
 بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ اعتراضا بين اذْهَبْتُمْ قَوْمَهُ و بَيْنِ لَا تَعْبُدُوا و يكون المعنى و اذكر انذار هود قومه
 عاقبة الشرك و العذاب العظيم و قد انذر من تقدمه من الرسل و من تأخر عنه مثل ذلك فانذرهم -
 الافك الصرف يقال افكه عن رأيه - [عَنْ آلِهَتِنَا] عن عبادتها [مَا تَعِدُنَا] من معاجلة العذاب على
 الشرك [إِنْ كُنْتُمْ] صادقا في وعدك - فان قلت من اين طابق قوله [إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ] جوابا لقولهم فاتنا
 بِمَا تَعِدُنَا - قلت من حيث ان قواهم هذا استعجال منهم بالعذاب الا ترى الى قوله بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ
 بِهِ فَقَالَ لَهُمْ لَا عَمَّ عِنْدِي بِالْوَقْتِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ تَعْذِيبُكُمْ حِكْمَةً و صوابا إِنَّمَا عِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فكيف
 ادعوه بان يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تفقر حروفه انتم - و معنى [وَأَبْلَغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ] - و قرئ بالتخفيف
 ان الذي هو شائي و شرطي ان ابلغكم ما ارسلت به من الانذار و التخويف و الصرف عما يعرضكم لسخط

لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ أَتَعْدِنِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي ۖ وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلْتَكِ أَمِنْ ق
 أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ۚ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا سَاطِرُ الْأَوَّلِينَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ
 مِنْ قَبْلِهِمُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ۝ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا ۚ وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ
 لَا يَظْلَمُونَ ۝ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ۖ أَذْهَبْتُمْ طِبَاقَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ۚ

وعن قتادة هو نعمت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه - وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل
 اسلامه وقد دعاه ابوه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام فاقف بهما وقال ابعثوا لي جدعان بن عمرو وعثمان
 بن عمرو وهما من اجداده حقي اسمهما عما يقول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويشهد لبطائه ان
 المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وان قوله الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ هم اصحاب النار وعبد الرحمن
 كان من افاضل المسلمين وسرقاتهم - وعن عائشة رضي الله عنها انكار نزولها فيه - وحين كتب معاوية
 الى مروان بان يباحث الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لابنائكم فقال مروان
 يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ فَسَمِعَتْ عَائِشَةُ فغضبت وقالت والله
 ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله لعن اباك واذت في صلبه فاذت فضض من لعنة
 الله - وقرئ اَفْ بالكسر - والفتح بغير تنوين - وبأحركات التثنية مع التنوين وهو صوت اذا صوّت به
 الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حَسَّ علم انه متوجع - واللام للبيان معناه هذا التأنيف لكما خاصة
 ولاجلكما دون غيركما - وقرئ [اَتَعْدِنِي] بنونين - وَاَتَعْدِنِي باحدهما - وَاَتَعْدِنِي بالادغام - وقد قرأ بعضهم
 اَتَعْدِنِي بفتح الذوقين كانه امتثقل اجتماع النون والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريبا للتخفيف كما تحراه
 من ادغم ومن اطرح احدهما [اَنْ اُخْرِجَ] ان اُبْعَثَ واُخْرِجَ مِنَ الْأَرْضِ - وقرئ اُخْرِجَ [وَقَدْ خَلَّتِ
 الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي] يعزى ولم يبعث منهم احد [يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ] يقولان الغياث بالله مذكور ومن
 قواك وهو استعظام لقوله وَيَلْتَكِ دعاء عليه بالثبور والمراك به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة
 الهلاك - [فِي أَمْرٍ] نحو قوله فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ - وقرئ اَنْ بالفتح على معنى اَمِنْ بَأْنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا •
 [وَلِكُلِّ] من الجنسين المذكورين [دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا] اي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من
 الخير والشر - او من اجل ما عملوا منهما - فان قلت كيف قيل دَرَجَاتٍ وقد جاء الجنة درجات والنار
 دركات - قلت يجوز ان يقال ذلك على وجه التغليب لاشتغال كل على الفريقين [وَلِيُؤْفِقَهُمْ] - وقرئ
 بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كانه قيل وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالُهُمْ ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم
 على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات • ناصب الظرف هو القول المضمرة قبل
 أَذْهَبْتُمْ - وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قواهم عرض بذوا فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله تعالى
 النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا - ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الذاقة على الخوفا يريدون عرض

بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ط حَمَلَتْهُ أُمُّ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ط وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ط حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَاصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ط إِنِّي نَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ @ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ
مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ط وَعَدَ الصِّدِّيقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ @ وَالَّذِي قَالَ

معطوف على محل لِيُنْذِرَ لانه مفعول له - قرئ حُسْنًا بضم الحاء وسكون السين - وبضمهما - وبفتحهما -
وَإِحْسَانًا - [وَكُرْهًا] بالفتح - والضم وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والغفقر وانتصابه على الحال أي ذات
كره - أو على انه صفة للمصدر أي حملا ذا كره [وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ] ومدّة حملة و فصاله [ثَلَاثُونَ شَهْرًا]
وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله عز وجل حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ
لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِثَ الرِّضَاعَ بقيت للحمل ستة اشهر - و قرئ وَفِصْلُهُ وَالفصل والفصال كالفطم والفطام بذاء
ومعنى - فان قلت المراد ببيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال - قلت لما كان الرضاع يليه
الفصال ويلبسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصلا كما سمي المدة بالامد من قال * شعر * كل حي مستكمل مدة
العمر ومود اذا انتهى امده * وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته - و قرئ
حَتَّى إِذَا اسْتَوَى وَبَلَغَ أَشُدَّهُ وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي يستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه
وذلك اذا اناف على الثلثين وناطح الاربعين - وعن قتادة ثلث وثلثون سنة وجهه ان يكون ذلك
اول الاشد و غايته الاربعين - وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة - والمراد بالنعمة التي
استوزع الشكر عليها نعمّة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة
عائده - وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس - فان قلت ما معنى في في قوله [وَاصْلِحْ لِي فِي
ذُرِّيَّتِي] - قلت معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي
و اوقعه فيهم ونحوه * ع * يخرج في عراقيدها نصلي * [مِنَ الْمُسْلِمِينَ] من المخلصين * و قرئ يَنْقَبَلُ وَتَجَاوَزُ
بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل - و قرأ بالنون - فان قلت ما معنى قوله [فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ] -
قلت هو نحو قولك اكرمني الامير في ناس من اصحابه تريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني
في عدادهم ومحلّه الذصب على الحال على معنى كائنين في أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ومعدودين فيهم - [وَعَدَ
الصِّدِّيقُ] مصدر موكّد لان قوله يَنْقَبَلُ وَتَجَاوَزُ وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز - وقيل نزلت في
ابي بكر رضي الله عنه وفي ابيه ابي قحافة و أمه أم الخير وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم - وقيل
لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار اسلم هو والداه وبذوه وبذاته غير ابي بكر *
[وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ] مبتدأ خبره أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ والمراد بالذبي قال الجنس القائل
ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا - وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث -

٤٦ سورة الاحقاف ٢٩ الجزء ١ ع
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۖ وَإِذْ لَمْ
 يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ ۝ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۖ وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ
 لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَصَيَّرْنَا الْإِنْسَانَ

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَ نَظِيرُهُ قَوْلُكَ أَنْ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ وَأَسَأْتُ وَأَقْبَلْتُ عَلَيْكَ وَأَعْرَضْتُ لَمْ نَتَّفَقْ
 فِي إِنْكَ أَخَذْتَ ضَمِيمِينَ فَعَطَفْتَهُمَا عَلَى مَثَلَيْهِمَا وَالْمَعْنَى قُلْ أَخْبَرُونِي إِنْ اجْتَمَعَ كَوْنُ الْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ
 اللَّهِ مَعَ كُفْرِكُمْ بِهِ وَاجْتَمَعَ شَهَادَةُ أَعْلَمَ بِذِي إِسْرَائِيلَ عَلَى نَزُولِ مَثَلِهِ فَايْمَانُهُ بِهِ مَعَ اسْتِكْبَارِكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْإِيمَانِ
 بِهِ أَلَسْتُمْ أَضَلَّ النَّاسِ وَأَظْلَمَهُمْ وَقَدْ جَعَلَ الْإِيمَانُ فِي قَوْلِهِ فَأَمَنْ مَسْبَبًا عَنِ الشَّهَادَةِ عَلَى مَثَلِهِ لِأَنَّهُ لَمَّا عَلِمَ
 أَنَّ مَثَلَهُ أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ مِنْ جَنْسِ الْوَحْيِ وَلَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ وَأَنْصَفَ مِنْ
 نَفْسِهِ فَشَهِدَ عَلَيْهِ وَاعْتَرَفَ كَانَ الْإِيمَانُ نَتِيجَةُ ذَلِكَ • [لِلَّذِينَ آمَنُوا] لِأَجْلِهِمْ وَهُوَ كَلَامُ كَفَّارٍ مَتَى قَالُوا عَامَّةً
 مَنْ يَتَّبِعْ مُحَمَّدًا السُّقَاطُ يَعْدُونَ الْفُقَرَاءَ مِثْلَ عَمَّارٍ وَصَهْبٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ فَلَوْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ خَيْرًا مَّا سَبَقْنَا
 إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ - وَقِيلَ لَمَّا اسَلَمْتَ جَيْتَنَةً وَمُزِينَةً وَاسْلَمْ وَغَفَارُ قَالَتْ بَنُوا عَامِرَ وَغُطْفَانَ وَاسْدُ وَاشْجَعُ
 لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقْنَا إِلَيْهِ رِعَاءُ الْبَهْمِ - وَقِيلَ أَنَّ أَمَةً لِعَمْرٍ اسَلَمْتَ فَكَانَ عَمْرٌ يَضْرِبُهَا حَتَّى يَقْتُلَهَا يَقُولُ
 لَوْ لَا أَنِي فَدَرْتُ لَزِدْتُكَ ضَرْبًا فَكَانَ كَفَّارٌ قَوْدَشٌ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ حَقًّا مَّا سَبَقْنَا إِلَيْهِ فَلَانَّةُ -
 وَقِيلَ كَانَ الْيَهُودُ يَقُولُونَهُ عِنْدَ إِسْلَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَاصْحَابِهِ - فَإِنْ قُلْتَ لَا يَدُ مِنْ عَامِلٍ فِي الظَّرْفِ فِي قَوْلِهِ
 إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ وَمِنْ مَتَعَلِّقٍ لِقَوْلِهِ فَسَيَقُولُونَ وَغَيْرُ مُسْتَقِيمٍ أَنْ يَكُونَ فَسَيَقُولُونَ هُوَ الْعَامِلُ فِي الظَّرْفِ لَتَدَافِعَ
 دَلَالَتِي الْمَضِيِّ وَالِاسْتِقْبَالَ فَمَا وَجَّهَ هَذَا الْكَلَامُ - قُلْتَ الْعَامِلُ فِي إِذْ مَحْذُوفٌ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ كَمَا
 حَذَفَ مِنْ قَوْلِهِ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَقَوْلُهُمْ حِينَئِذٍ الْآنَ وَتَقْدِيرُهُ [وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ] ظَهَرَ عَنَادُهُمْ [فَسَيَقُولُونَ هَذَا
 إِنْكَ قَدِيمٌ] فَبِهَذَا الْمَضْمَرِ صَحَّ بِهِ الْكَلَامُ حَيْثُ انْتَصَبَ بِهِ الظَّرْفُ وَكَانَ قَوْلُهُ فَسَيَقُولُونَ مَسْبَبًا عَنْهُ كَمَا صَحَّ
 بِأَعْمَارِ أَنَّ قَوْلَهُ حَتَّى يَقُولَ الرِّسُولُ لِمَصَادِفَةٍ حَتَّى مَجْرُورُهَا وَالْمُضَارِعُ نَاصِبُهُ وَقَوْلُهُمْ إِنْكَ قَدِيمٌ كَقَوْلِهِمْ
 أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ • [كُتِبَ مُوسَى] مَبْتَدَأٌ وَمِنْ قَبْلِهِ ظَرْفٌ وَقَعَ خَبَرًا مَقْدَمًا عَلَيْهِ وَهُوَ نَاصِبٌ إِمَامًا
 عَلَى الْحَالِ كَقَوْلِكَ فِي الدَّارِ زَيْدٌ قَائِمًا - وَقَرِئَ وَمَنْ قَبْلَهُ كُتِبَ مُوسَى عَلَى وَاتَيْنَا الَّذِي قَبْلَهُ التَّوْرَةَ -
 وَمَعْنَى [إِمَامًا] قُدْرَةُ يُؤْتَمُّ بِهِ فِي دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ كَمَا يُؤْتَمُّ بِالْإِمَامِ - [وَرَحْمَةً] لِمَنْ أَمِنَ بِهِ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ
 [وَهَذَا] الْقُرْآنُ [كُتِبَ مُصَدِّقٌ] لِكِتَابِ مُوسَى أَوْ لِمَا بَدَنَ يَدِيهِ وَتَقْدِيمُهُ مِنْ جَمِيعِ الْكُتُبِ - وَقَرِئَ مُصَدِّقٌ لِمَا
 بَيْنَ يَدَيْهِ وَ[لِسَانًا عَرَبِيًّا] حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْكُتُبِ فِي مُصَدِّقٍ وَالْعَامِلُ فِيهِ مُصَدِّقٌ - وَيجوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ
 عَنْ كُتُبِ التَّخْصُّصِ بِالصِّفَةِ وَيَعْمَلُ فِيهِ مَعْنَى الْإِشَارَةِ - وَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لِمُصَدِّقٍ أَيْ يَصَدِّقُ ذَا لِسَانٍ
 عَرَبِيٍّ وَهُوَ الرِّسُولُ - وَقَرِئَ [لِيُنذِرَ] بِالْإِنْدَاءِ - وَالْيَاءُ - وَلِيُنذِرَ مِنْ نَذِيرٍ يُنذِرُ إِذَا حَذَرَ - وَ[بَشِّرِ] فِي مَحَلِّ النِّصَبِ

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۝

منسوخة بقوله لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ - ويجوز ان يكون نفيا للدراية المفصلة - وقري
مَا يَفْعَلُ بِفَتْحِ الْيَاءِ اِي يَفْعَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - فَاِنْ قُلْتَ اَنْ يَفْعَلَ مِنْهُ غَيْرَ مَنْفِيٍّ فَكَانَ وَجْهُ الْكَلَامِ مَا
يَفْعَلُ بِي وَبِكُمْ - قُلْتَ اَجَلٌ وَلَكِنْ النِّفْيُ فِي مَا اَدْرِي لَمَّا كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَيْهِ لَتَنَازُلِهِ مَا وَمَا فِي حَيْزِهِ مَحْذُوكِ ذَلِكَ
وَحَسَنَ الْاِتْرَافِ اِلَى قَوْلِهِ اَوْ لَمْ يَرَوْا اَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْصِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدْرِ كَيْفٍ
دَخَلَتْ الْبَاءُ فِي خَبَرِ اَنْ وَذَلِكَ لَتَنَازُلِ النِّفْيِ اِيَّاهَا مَعَ مَا فِي حَيْزِهَا - وَمَا فِي مَا يَفْعَلُ - يجوز ان تكون
موصولة منصوبة - وان تكون استفهامية مرفوعة - وقري يُوْحِي اِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - جواب الشرط محذوف
تقديره [اِنْ كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ] اَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَحْذُوفِ قَوْلُهُ اِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ - وَالشَّاهِدُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ لَمَّا قَدَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهَلَّمَ
الْمَدِينَةَ نَظَرَ اِلَى وَجْهِهِ فَعَلِمَ اَنَّهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَتَأَمَّلَهُ فَتَحَقَّقَ اَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ الْمُنْتَظَرُ وَقَالَ لَهُ اِنِّي
سَأُثَلِّثُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُنَّ اِلَّا نَبِيٌّ - مَا اَوَّلُ اَشْرَاطِ السَّاعَةِ - وَمَا اَوَّلُ طَعَامِ اَهْلِ الْجَنَّةِ - وَمَا بِالْاَوْلَادِ
يَنْزَعُ اِلَى اَبِيهِ اَوْ اِلَى اُمِّهِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - اِمَّا اَوَّلُ اَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارُ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ اِلَى الْمَغْرِبِ -
وَاِمَّا اَوَّلُ طَعَامِ اَهْلِ الْجَنَّةِ فِزْيَادَةُ كَبِدِ حَوْتٍ - وَاِمَّا الْاَوْلَادُ فَاِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ نَزْعُهُ وَاِنْ سَبَقَ
مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزْعَتُهُ فَقَالَ اَشْهَدُ اَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اِنْ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهَتُوا وَاِنْ عَلِمُوا
بِاسْلَامِي قَبْلَ اَنْ تَسْأَلَهُمْ عَنِّي يَبْهَتُونِي عِنْدَكَ فَجَاءَتِ الْيَهُودُ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهَلَّمَ
اَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ فِيكُمْ قَالُوا خَيْرُنَا وَاِبْنُ خَيْرِنَا وَسَيِّدُنَا وَاِبْنُ سَيِّدِنَا وَاَعْلَمُنَا وَاِبْنُ اَعْلَمِنَا قَالَ اَرَأَيْتُمْ اِنْ
اسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ قَالُوا اِعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَخَرَجَ اِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ اَشْهَدُ اَنْ لَا اِلَهَ اِلَّا اللَّهُ وَاَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللَّهِ فَقَالُوا شَرْنَا وَاِبْنُ شَرِّنَا وَاَنْتَقَصُوهُ قَالَ هَذَا مَا كُنْتُ اَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاَحْذَرُ - قَالَ سَعْدُ بْنُ
اَبِي وَقَاصٍ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهَلَّمَ يَقُولُ لِاحِدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْاَرْضِ اَنَّهُ مِنْ
اَهْلِ الْجَنَّةِ اِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَفِيهِ نَزَلُ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ [عَلَى مِثْلِهِ] الضَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ اِي
عَلَى مِثْلِهِ فِي الْمَعْنَى وَهُوَ مَا فِي التَّوْرَةِ مِنَ الْمَعَانِي الْمَطَابِقَةِ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْوَعْدِ
وَالْوَعْدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَاِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْاَوَّلِينَ - اِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْاَوَّلَى - كَذَلِكَ
يُوْحِي اِلَيْكَ وَاِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ - وَيجوز ان يكون المعنى اِنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ
شَاهِدٌ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ يَعْنِي كَوْنَهُ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ - فَاِنْ قُلْتَ اَخْبَرْنِي عَنْ نَظْمِ هَذَا الْكَلَامِ لَاقِفَ عَلَى مَعْنَاهُ
مِنْ جِهَةِ النِّظْمِ - قُلْتَ الْوَاوُ الْاَوَّلَى عَاطِفَةٌ لَكَفَرْتُمْ عَلَى فَعَلِ الشَّرْطِ كَمَا عَطَفْتَهُ ثُمَّ فِي قَوْلِهِ قُلْ اَرَأَيْتُمْ اِنْ كَانَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ وَكَذَلِكَ الْوَاوُ الْاُخْرَى عَاطِفَةٌ لِمُتَكَبَّرْتُمْ عَلَى شَهِدَ شَاهِدٌ وَاِمَّا الْوَاوُ فِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ
فَقَدْ عَطَفَتْ جُمْلَةً قَوْلَهُ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ عَلَى جُمْلَةٍ قَوْلِهِ كَانَ

هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْعِلُونَ فِيهِ ط كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ط وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا
مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ط إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ٥

البطلان لا شبهة فيه [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ] اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرًا الى ذكر قولهم ان مُحَمَّدًا
افتراه ومعنى الهمزة في أَمْ الانكار والتعجب كأنه قيل دَعُ هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب
وذلك ان مُحَمَّدًا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويقتره على الله ولو قدر عليه دون أمة العرب لكانت
قدرته عليه معجزة لخرقتها العادة و اذا كانت معجزة كانت تصديقًا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب
فلا يكون مقترًا والضمير للحق والمراد به الآيات [قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ] على سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة
بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدر على كفه عن معاجلتني ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف
افتريه واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عذابه اذا صمم ومثله فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ - وَمَنْ يُرِيدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ومنه قوله عليه
السلام لا املك لكم من الله شيئًا ثم قال [هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْعِلُونَ فِيهِ] اي تزدفعون فيه من القدر في
وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرًا تارة وفرية اخرى [كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ] يشهد لي
بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم [وَهُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وامنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم
ما ارتكبوا - فَاِنْ قُلْتَ فما معنى اسناد الفعل اليهم في قوله فَلَا تَمْلِكُونَ لِي - قُلْتَ كان فيما اتاهم به
النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة و ارادة اخيرهم فكانه قال لهم ان افتريناه وانا اريد بذلك
التنصيح لكم و صدكم عن عبادة الالهة الى عبادة الله فما تغذون عني ايها المنصوحون ان اخذني الله بعقوبة
الافتراء عليه * البدع بمعنى البديع كالخفت بمعنى الخفيف - و قرئ بدعًا بفتح الدال اي ذا بدع -
و يجوز ان يكون صفة على فعل كفواهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به
اليه من الغيوب ف قيل له [قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ] فانيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون
عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا يأتون الا بما اتاهم الله من آياته ولا يخبرون الا بما أوحى اليهم ولقد
اجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى بقوله عَلَيْهَا عَذَابٌ رِيبِي [وَمَا أَدْرِي]
لانه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من افعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه -
[إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ] - و عن الحسن و ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا ومن
الغالب منا والمغلوب - و عن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى يكون
على هذا فقال مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ أَتُرْكُ بِمَنَّةٍ ام اؤمر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورأيته
يعني في مدامه ذات نخيل وشجر - و عن ابن عباس مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ في الآخرة وقال هي

مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْمُبِينُ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا قَدْ أَفْلَحَ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ
إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ ۖ إِنَّ نَظْرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ ۝
وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا ۖ وَمَارِكُمُ النَّارَ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ ۝ ذَٰلِكُمْ بِأَنكُم اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ
فَالْيَوْمَ لَا تَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَهُ
الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

حروفها
٢٧٠٩

سورة الاحقاف مكية وهي خمس و ثلثون آية و اربعة ركوعا •

كلماتها
٧٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

حَسْم ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ

[فِي رَحْمَتِهِ] فِي جَنَّتِهِ - وَجَوَابُ أَمَّا مَحذُوفُ تَقْدِيرُهُ [وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا] فَيُقَالُ لَهُمْ [أَفْلَحَ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ]
وَالْمَعْنَى أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولِي فَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَحَذَفَ الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ - وَقَرِئَ [وَالسَّاعَةُ] بِالنَّصْبِ
عَطْفًا عَلَى الْوَعْدِ - وَبِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ أَنْ وَاسْمِهَا [مَا السَّاعَةُ] أَيْ شَيْءُ السَّاعَةِ - فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى
[إِنَّ نَظْرًا إِلَّا ظَنًّا] - قُلْتَ أَوَّلُهُ نَظْرٌ ظَنًّا وَمَعْنَاهُ اثْبَاتُ الظَّنِّ فَحَسَبَ فَادْخَلَ حُرُوفَ النِّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ
لِيُفَادَ اثْبَاتُ الظَّنِّ مَعَ نَفْيِ مَا سِوَاهُ وَزَيْدُ نَفْيِ مَا سِوَى الظَّنِّ تَوْكِيدًا بِقَوْلِهِ وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ •
[سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا] أَيْ قَبَائِحُ أَعْمَالِهِمْ - أَوْ عَقُوبَاتُ أَعْمَالِهِمْ السَّيِّئَاتِ كَقَوْلِهِ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا [نَنسِفُكُمْ]
فَنَرَكُمْ فِي الْعَذَابِ [كَمَا] تَرَكْتُمْ عِدَّةَ [لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَٰذَا] وَهِيَ الطَّاعَةُ - أَوْ نَجْعَلُكُمْ بِمَنْزِلَةِ الشَّيْءِ الْمَنْسِيِّ غَيْرِ
الْمُبَالَى بِهِ كَمَا لَمْ تُبَالُوا أَنْتُمْ بِلِقَاءِ يَوْمِكُمْ وَلَمْ تُخْطَرُوا بِدَالِ كَالشَّيْءِ الَّذِي يَطْرَحُ نَسِيًا مَنْسِيًا - فَإِنْ قُلْتَ
مَا مَعْنَى إِضَافَةُ اللَّقَاءِ إِلَى الْيَوْمِ - قُلْتَ كَمَعْنَى إِضَافَةِ الْمَكْرِ فِي قَوْلِهِ بَلْ مَكْرُ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ أَيْ نَسِيتُمْ لِقَاءَ
اللَّهِ فِي يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَلِقَاءَ جَزَائِهِ - وَقَرِئَ لَا تَخْرُجُونَ بِفَتْحِ الْيَاءِ [وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ] وَلَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ أَنْ
يُعْتَبُوا رَبُّهُمْ أَيْ أَنْ يُرْضَوْهُ [فَلِلَّهِ الْحَمْدُ] فَاحْمَدُوا اللَّهَ الَّذِي هُوَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْعَالَمِينَ فَإِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الرُّبُوبِيَّةِ الْعَامَّةِ يُوجِبُ الْحَمْدَ وَالثَّنَاءَ عَلَى كُلِّ مَرْبُوبٍ وَكِبَرُهُ فَقَدْ ظَهَرَتْ أَنْوارُ
كِبَرِيَّاتِهِ وَعَظَمَتِهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَحَقُّ مِثْلِهِ أَنْ يُكَبَّرَ وَيُعْظَمَ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ مَنْ قَرَأَ حُمَ الْجَائِيَةِ سَمِعَ اللَّهَ عَوْرَتَهُ وَسَكَنَ رَوْعَتَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ •

سورة الاحقاف

[إِلَّا بِالْحَقِّ] إِلَّا خَلَقًا مُّلتَبَسًا بِالْحِكْمَةِ وَ الْغُرُصِ الصَّحِيحِ [وَأَجَلٍ مُّسَمًّى] بِتَنْهِي إِلَيْهِ

تَذَكَّرُونَ ۝ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ وَإِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ آيَتُنَا بِئِشْرَتٍ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوا بِآيَتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِثُ الْمُبْطِلُونَ ۝ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً قَدْ كُلَّ أُمَّةٍ تَدْعَىٰ إِلَىٰ كُتُبِهَا ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ۖ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ

او يموت بعض ويحيى بعض - او نكون موتا نطفًا في الاصلا ب ونحيى بعد ذلك - او يصيدنا الامر ان الموت والحيوة يريدون الحيوة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حيوة - وقرئ نحيى بضم النون - وقرئ الا الدهر يمرو ما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك النفس ويذكرون ملك الموت وقبضه الارواح بامر الله فكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وقرئ اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الاتي بالحوادث لا الدهر - قرئ [حُجَّتُهُمْ] بالنصب - والرفع على تقديم خبر كان وتأخيره - فان قلت لم سمي قولهم حجة وليس بحجة - قلت لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم - اولانه في حسبانهم وتقديرهم حجة - اولانه في اسلوب قولهم * ع * تحية يدينهم ضرب وجيع * كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان يكون لهم حجة البتة - فان قلت كيف وقع قوله قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ جوابا لقولهم اقْتُلُوا بِآيَتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - قلت لما انكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا ان ما قالوه قول مبكث الزموا ما هم مقررون به من ان الله عز وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق ووجمعهم الى يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآياتهم وكان اهون شيء عليه - عامل النصب في يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ وَيَوْمَئِذٍ بَدَلُ مِنْ يَوْمَ تَقُومُ [جَائِيَةً] بركة مستوفزة على الركب - وقرئ جَائِيَةً والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذبي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه - وعن ابن عباس جَائِيَةً مجتمعة - وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم * وقرئ كُلُّ أُمَّةٍ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ - وَكُلُّ أُمَّةٍ عَلَى الْإِبْدَالِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ [إِلَى كُتُبِهَا] الى صحائف اعمالها فاكثفي باسم الجنس كقوله وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَدَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ [الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ] محمول على القول - فان قلت كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل - قلت الاضافة تكون للملابسة وقد لبسهم ولابسهم اما ملابسة ايأهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته ايأه فلانه ماله والامر ملكته ان يكتبوا فيه اعمال عبادته [يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ] يشهد عليكم بما عملتم [بِالْحَقِّ] من غير زيادة ولا نقصان [إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ] الملكة [مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] اي نستكتبهم اعمالكم

نَجْعَلُهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ط سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ع وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ه اَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ
اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاةً ط فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ه أَفَلَا

مودة الجاثية ٤٥

الجزء ٢٥

ع ١٨

[بَصَائِرُ لِلنَّاسِ] جعل ما فيه من معالم الدين و الشرائع بمذلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحيوة
[و] هو [هَدَى] من الضلالة [وَرَحْمَةً] من العذاب لمن آمن و ايقن - و قرئ هذه بَصَائِرُ اي هذه الايات • [أَمْ]
منقطعة و معنى الهمزة فيها انكار المحسبان - و الاجترار الاكتساب و منه الجوارح و فلان جارحة اهله اي
كاسبهم [أَنْ نَجْعَلَهُمْ] ان نصيرهم و هو من جَعَلَ المتعدي الى مفعولين فارتهما الضمير و الثاني الكاف
و الجملة التي هي سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم
المفرد الا تراك لو قلت أَنْ نَجْعَلَهُمْ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق -
و من قرأ سَوَاءٌ بالنصب اجري سَوَاءٌ مجرى مستويا و ارتفع مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ على الفاعلية و كان مفردا
غير جملة - و من قرأ وَمَمَاتُهُمْ بالنصب جعل مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ظرفين كمقدم الحاج و خفوق النجم
اي سواء في محياهم و في مماتهم و المعنى انكار ان يستوي المسيئون و المحسنون محيا و ان
يستوي مماتا لا فتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات و اولئك على
ركوب المعاصي و مماتا حيث مات هؤلاء على البشري بالرحمة و الوصول الى ثواب الله و رضوانه
و اولئك على اليأس من رحمة الله و الوصول الى هول ما أعد لهم - و قيل معذرة انكار ان يستويوا
في الممات كما استويوا في الحياة لان المسيئين و المحسنين مستوي محياهم في الرزق و الصحة و انما
يفتقرون في الممات - و قيل سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ كلام مستأنف على معنى ان محيا المسيئين و مماتهم
سواء وكذلك محيا المحسنين و مماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه - و عن تميم الداري رضي الله
عنه انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فباغ هذه الآية فجعل يبكي و يردد الى الصباح سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ -
و عن الفضيل انه بلغها فجعل يردد ها و يبكي و يقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت
[وَلِتُجْزَى] معطوف على بِالْحَقِّ لان فيه معنى التعليل - او على معال محذوف تقديره خلق
السماوات و الارض ليدل بها على قدرته وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ • اي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعو
اليه فكانه يعبد كما يعبد الرجل الهة - و قرئ إِلَهَهُ هَوَاهُ لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا رأى ما هو
احسن رفضه اليه فكانه اتخذ هواه الهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها [وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ] و تركه
عن الهداية و اللطف و خذله - عَلَى عِلْمٍ عالما بان ذلك لا يجدي عليه و انه ممن لا لطف له - او مع عامه
بوجوه الهداية و احاطته بانواع اللطاف المحصلة و المقربة [فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ] اضلال [اللَّهُ] - و قرئ غِشَاةً
بالحرركات الثلاث - و غِشَاةً بالفتح و الكسر - و قرئ تَذَكُّرُونَ [نَمُوتُ وَ نَحْيَا] نموت نحن و يحيى اولادنا -

فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
 أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَ مَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم
 تُرْجَعُونَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ الذُّبُونَةَ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ۝ وَ آتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِّن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ إِنَّ رَبَّكَ
 يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَ لَا تَتَّبِعْ
 أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ لَن يَغْنَوْا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَ اللَّهُ وَلِيُّ
 الْمُتَّقِينَ ۝ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن

سلمة بن محارب مئة على ان يكون مئة فاعل سخر على الاسناد المجازي او على انه خبر مبتدأ محذوف
 اي ذلك او هو مئة * حذف المقول لان الجواب دال عليه و المعنى قل لهم اغفروا يغفروا - [لَا يَرْجُونَ
 أَيَّامَ اللَّهِ] لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب ايام العرب - و قيل لا يأملون الاوقات اللتي وقتها
 الله لثواب المؤمنين و وعدهم الفوز فيها - قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها - و قيل نزلها في عمر رضي
 الله عنه و قد شتمه رجل من غفار فهم ان يبطش به - و عن سعيد بن المسيب كتابين يدني عمر بن
 الخطاب فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزي عمر بما صنع - ليجزي تعليلا للامر بالمغفرة اي انما امروا
 بان يغفروا لما ارادة الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة - فان قلت قوله [قَوْمًا] ما وجه تذكيره و انما
 اراد الذين آمنوا و هم معارف - قلت هو ممدح لهم و ثناء عليهم كانه قيل ليجزي اياما قوم و قوما
 مخصوصين بصبرهم و اغضائهم على اذى اعدائهم من الكفار و على ما كانوا يجرعونهم من الغصص
 [بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] من الثواب العظيم بكظم الغيظ و احتمال المكره و معنى قول عمر ليجزي عمر بما صنع
 ليجزي بصبره و احتماله و قوله لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عند نزول الآية و الذي بعثك بالحق
 لا ترى الغضب في وجهي - و قرئ ليجزي قوما اي الله عز و جل - و ليجزي قوم - و ليجزي قوما على
 معنى و ليجزي الجزاء قوما * [الْكِتَابَ] التوراة [وَ الْحُكْمَ] الحكمة و الفقه - او فصل الخصومات بين الناس
 لان الملك كان فيهم و الذبوة [مِّنَ الطَّيِّبَاتِ] مما احل الله لهم و اطاب من الارزاق [وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
 الْعَالَمِينَ] حيث لم نوت غيرهم مثل ما آتيناهم [بَيِّنَاتٍ] آيات و معجزات [مِّنَ الْأَمْرِ] من امر
 الدين - فما وقع بينهم الخلاف في الدين [إِلَّا مِّن بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ] ما هو موجب لنزول الخلاف و هو العلم و
 انما اختلفوا لبغى حدث بينهم اي لعداوة و حسد [عَلَىٰ شَرِيعَةٍ] على طريقة و منهاج [مِّنَ الْأَمْرِ] من امر
 الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل و الحجج [وَ لَا تَتَّبِعْ] ما لا حجة عليه من اهواء الجهال و دينهم المبني
 على هوى و بدعة و هم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين اباؤك و لا تؤايم انما يؤايمي الظالمين
 من هو ظالم مثلهم و اما المتقون فوليهم الله و هم موالوه و ما ابدى الفضل بين الولايتين * [هَٰذَا] القرآن

مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ ۞ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزِ أَلِيمٍ ۝ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْزِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِ رَبِّهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا

سورة الجاثية ٤٥

الجزء ٢٥

ع ١٧

١٢

الموت ثم يزورها * وذلك ان غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رأيها بنفسه و يطلب الفرار عنها و اما زيارتها و الاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايدان بأن فعل المقدم عليها بعد ما راها و عاينها شيء يستبعد في العادات و الطبائع و كذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه و سمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها و استكباره عن الايمان بها [كَأَن] مخففة و الاصل كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهَا و الضمير ضمير الشأن كما في قوله * ع * كَأَن ظبيدة تعطو الى ناضر السلم * و محل الجملة النصب على الحال اي يصير مثل غير السامع * [وَإِذَا] بلغه شيء [مِنْ آيَاتِنَا] و علم انه منها [اتَّخَذَهَا] اي اتخذ الآيات [هُزُوًا] و لم يقل اتخذها للاشعار بأنه اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة الآيات اللتي انزلها الله على مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهَلَمْ خَاضَ فِي الاسْتِهْزَاءِ بِجَمِيعِ الْآيَاتِ وَ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى الاسْتِهْزَاءِ بِمَا بُلِغَ - وَ يُحْتَمَلُ وَ إِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا يُمْكِنُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِهِ الْمُعَانِدُ وَ يُجَدُّ لَهُ مَحْمَلٌ يَتَسَلَّقُ بِهِ عَلَى الطَّعْنِ وَ الْغَمِيزَةِ افترسه وَ اتَّخَذَ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَ ذَلِكَ نَحْوُ افْتِرَاصِ ابْنِ الزُّبَيْرِ قَوْلَهُ عَزَّ وَ عَلَا اَنْكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ وَ مَغَالِطَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَ قَوْلُهُ خَصْمَتُكَ - وَ يَجُوزُ أَنْ يَرْجَعَ الضَّمِيرُ إِلَى شَيْءٍ لَّذَلِكَ فِي مَعْنَى الْآيَةِ كَقَوْلِ ابْنِ الْعَدَاهِيَةِ * شَعَرَ * نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا مَعْلُوقَةٌ * اللَّهُ وَ الْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ يَكْفِيهَا * حَيْثُ ارَادَ عَتَبَةَ - وَ قَرِيءٌ عَلِيمٌ - [أُولَٰئِكَ] اشارة الى كُلِّ أَفَّاكٍ اِثْمٍ لَشُمُولِهِ الْاَفَاكِيْنَ - وَ الْوَرَاءُ اسْمٌ لِلْجَهَةِ الَّتِي يُوَارِيهَا الشَّخْصُ مِنْ خَلْفٍ اَوْ قَدَامٍ قَالَ * ع * اَلَيْسَ وَرَائِي اِنْ تَرَاخَيْتَ مَنِيَّتِي * اَدَّبَ مَعَ الْوِلْدَانِ اَرْجُفُ كَالنَّسْرِ * وَ مِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ [مِنْ وَرَائِهِمْ] اي من قدامهم [مَا كَسَبُوا] مِنَ الْاَمْوَالِ فِي رَحَاهُمْ وَ مَتَاجِرِهِمْ [وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ] مِنَ الْاَوْتَانِ * [هَٰذَا] اشارة الى الْقُرْآنِ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ وَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَنَّ آيَاتِ رَبِّهِمْ هِيَ الْقُرْآنُ اَي هَٰذَا الْقُرْآنُ كَامِلٌ فِي الْهُدَايَةِ كَمَا تَقُولُ زَيْدٌ رَجُلٌ تَرِيدُ كَامِلًا فِي الرَّجُولِيَّةِ وَ اَيُّمَا رَجُلٍ - وَ الرَّجَزُ اَشَدُّ الْعَذَابِ - وَ قَرِيءٌ بِجَرِّ اَلِيمٍ وَ رَفَعَهُ [وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ] بِالتَّجَارَةِ اَوْ بِالْغَوْصِ عَلَى الْوُلُوءِ وَ الْمَرْجَانِ وَ اسْتَخْرَاجِ اللَّحْمِ الطَّرِيِّ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنَافِعِ الْبَحْرِ - فَانْ قُلْتَ مَا مَعْنَى مِنْهُ فِي قَوْلِهِ [جَمِيعًا مِنْهُ] وَ مَا مَوْقِعُهَا مِنَ الْاَعْرَابِ - قُلْتَ هِيَ وَاقِعَةٌ مَوْقِعَ الْحَالِ وَ الْمَعْنَى اِنَّهُ سَخَّرَ هَذِهِ الْاَشْيَاءَ كَأَنَّهُ مِنْهُ وَ حَاصِلُهُ مِنْ عِندِهِ يَعْنِي اِنَّهُ مَكُونُهَا وَ مَوْجِدُهَا بِقُدْرَتِهِ وَ حِكْمَتِهِ ثُمَّ مَسَخَّرَهَا لِخَلْقِهِ - وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ هِيَ جَمِيعًا مِنْهُ - وَ أَنْ يَكُونَ وَ سَخَّرَ لَكُمْ تَاكِيدًا لِقَوْلِهِ سَخَّرَ لَكُمْ ثُمَّ اِبْتَدَى قَوْلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ - وَ أَنْ يَكُونَ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مُبْتَدَأٌ وَ مِنْهُ خَبَرٌ - وَ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْهُ - وَ قَرَأَ

وَمَا يَدَّبُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۝ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَتُهُ يُؤْمِنُونَ ۝ وَيُلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْذِرُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ

استقبحوا ان يقال مررت بك وزيد وهذا ابوك وعمرو وكذلك ان اكدوه كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد - قرئ [آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق او وعمرو في السوق واما قوله آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فمن العطف على عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان - اذا نصبت هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجري في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيت - واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيت والجري في واختلاف - وقرأ ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار - فان قلت العطف على عاملين على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد اباه سيدييه فما وجه تخريج الآية عنده - قلت فيه وجهان - احدهما ان يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الايتين قبلها وتعضده قراءة ابن مسعود - والثاني ان ينتصب آيت على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله او على التكرير - ورفعها باضمار هي - وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع - وقرئ آية وكذلك وما يدب من دابة آية - وقرئ وتصريف الرياح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض انظروا الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فامنوا بالله واقروا فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيمة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم عامهم وخاص يقينهم - وسمي المطر رزقا لانه سبب الرزق - [تلك] اشارة الى الايات المتقدمة اي تلك الايات [آيت الله] و[تتلوها] في محل الحال اي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى اشارة ونحوه هذا بعلي شيخنا - وقرئ بتلوها بالياء [بعد الله وآيته] اي بعد آيات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد - ويجوز ان يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرانه كقوله الله نزل احسن الحديث - وقرئ [يؤمنون] بالياء - والتاء - الافاك الكذاب - والاثيم المتبالغ في اقتراف الانام [يصر] يقبل على كفره ويقم عليه واصله من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينكح عليها صارا اذنيه [مستكبرا] عن الايمان بالايات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده - قيل نزلت في النضر بن الحرث وما كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله - فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا - قلت كمعناه في قول القائل * ع * يري غمرات

بِكُلِّ فَكْهَةٍ أُمْنَيْنٍ ۝ لَا يَذُرُّونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ۚ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ فَضَلَّ مِنْ رَبِّكَ ط
 ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ۝ ع

سورة الجاثية ٤٥

الجزء ٢٥

ع ١٩

حروفها
٢١٣١

سورة الجاثية مكية وهي سبع و ثلثون آية و اربعة ركوعاً *

كلماتها
٤٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

حـ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ

ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الأعراب [كَذَلِكَ] الكاف مرفوعة على الامر كَذَلِكَ - او منصوب على مثل ذلك أُنَبِّئُهُمْ و زَجْنَاهُمْ - و قرأ عكومة بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين لان العين اما ان تكون حورا او غير حور فهو لاء من الحور العين لا من شهلهن مثلا - و في قراءة عبد الله بعييس عين و العيساء البيضاء تعلوها حمزة - و قرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت - و قرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت - فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذكورة قبل دخول الجنة من الموت المذفي ذوقه فيها - قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها - و قرئ و وقَّعَهُم بالتشديد [فَضَلَّ مِنْ رَبِّكَ] عطاء من ربك و ثوابا يعني كل ما اعطي المتقين من نعم الجنة و النجاة من النار - و قرئ فَضَّلَ اي ذلك فضل - فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ فَذَلِكَ للسورة ومعناها ذكروهم بالكتاب المبين [فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ] اي سهّلناه حيث انزلناه عربيا [بِلِسَانِكَ] بلغتك ارادة ان يفهمه قومك فيتذكروا [فَأَرْتَقِبْ] فانتظر ما يحل بهم [أَنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ] ما يحل بك متربصون بك الدوائر - عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك - و عنه عليه السلام من قرأ حم الذي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورا له *

سورة الجاثية

حـ - ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب و من الله صلة للتزويل - و ان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ و الظرف خبرا - [إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] يجوز ان يكون على ظاهرة - و ان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله و في خلقكم - فان قلت علام عطف و ما يثبت ا على الخلق المضاف ام على الضمير المضاف اليه - قلت بل على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه

كَغَلِي الْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۝ ذُقْ ۝
 إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۝ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِي جَنَّاتٍ
 وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ۝ كَذَلِكَ قَدْ رَزَقْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا

طَعَامُ الْأَتِيمِ وهو الفاجر الكثير الأثام - وعن أبي الدرداء أنه كان يُقرئ رجلاً فكان يقول طعام اليتيم فقال
 قل طعام الفاجر يا هذا - وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها - ومنه
 أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن
 يخرم منها شيئاً قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلاً إجازة لأن في كلام العرب خصوصاً في القرآن الذي
 هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وإساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بادائه لسان من
 فارسية وغيرها وما كان أبو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر -
 وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبه في إنكار القراءة بالفارسية
 [كَالْمُهْلِ] قرئ بضم الميم - وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ مع قوله
 فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ - وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك تغلي -
 و قرئ بالتاء للشجرة - وبالياء للطعام - والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه - يقال للزبانية [خُذُوهُ
 فَاعْتَلُوهُ] فَعُودُهُ بعنف وغلظة وهو أن يؤخذ بتلابيب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل ومنه العُدْل وهو
 الغليظ الجافي - قرئ بكسر التاء - وضمها [إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ] إلى وسطها ومعظمها - فَنَ قُلْتُ هَلَا قِيلَ صُبُّوا
 فَوْقَ رَأْسِهِ مِنَ الْحَمِيمِ كَقَوْلِهِ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ لأن الحميم هو المصبوب لا عذابه - قُلْتُ إِذَا
 صُبَّ عَلَيْهِ الْحَمِيمُ فَقَدْ صُبَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ وَشِدَّتُهُ أَلَا أَنْ صَبَّ الْعَذَابُ طَرِيقَةَ الاستعارة كَقَوْلِهِ * ع * صُبَّتْ عَلَيْهِ
 صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبٍ * وكقوله تعالى أَوْفِرْ عَلَيْنَا صُبْرًا فذكر العذاب معلقاً به الصب مستعاراً له ليكون أهول
 وأهيب - يقال [ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ] على سبيل الهزء والتعظيم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه - و
 روي أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين جبلتيها أعز ولا أكرم مني فوالله ما تستطيع
 أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً - و قرئ أُنْكَ بِمَعْنَى لَاتُكَ - وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه
 قرأ به على المنبر * [إِنَّ هَذَا] العذاب - أو إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ هُوَ [مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ] أي تشكون - أو تمارون وتتلجون -
 و قرئ [فِي مَقَامٍ] بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملاً في
 معنى العموم - وبالضم وهو موضع الإقامة - وَالْأَمِينُ من قواك أَمِنْ الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد
 الخائن فوصف به المكان استعارة لأن المكان المخيف كأنما يخزن صاحبه بما يلقي فيه من المكارة - قيل
 السُّنْدُسُ ما رق من الديباج - والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبر - فَنَ قُلْتُ كَيْفَ سَاغَ أَنْ يَقَعَ
 فِي الْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ الْمَبِينِ لَفْظُ أَعْجَمِي - قُلْتُ إِذَا عَرَبٌ خَرَجَ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَجَمِيًّا لَأَنَّ مَعْنَى التَّعْرِيبِ

بِمَنْشَرِينَ ۝ فَاتُوا بِأَبْنَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ أَهْمَ خَيْرًا أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ أَهْلَكْتُمْ فِي أَنْهَمُ كَانُوا
 مُجْرِمِينَ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ۝ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝
 إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ إِنْ شَجَرَتِ الزُّقُومِ ۝ طَعَامُ الْآثِمِ ۝ كَالْمُهْلِ ۖ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝

سورة الدخان ٤٤

الجزء ٢٥

ع ١٥

فقالوا إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ يريدون ما الموتة التي من شأنها ان يتعقبها حيوة الا الموتة الاولى دون
 الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحيوة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذا
 بين هذا وبين قوله إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا فِي الْمَعْنَى - يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم - [فَاتُوا
 بِأَبْنَاءِ] خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين اي ان
 صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من ابائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما
 تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق - وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي بن
 كلاب ليداروه فانه كان كبيرهم ومشاردهم في النوازل ومعظم الشئون * هو تبع الحميري كان مؤمنا
 وقومه كافرين والذالك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند -
 وقيل هدمها - وكان اذا كتب قال بسم الله الذي ملك بوا وبحرا - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم - وعنه عليه السلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي - وعن ابن
 عباس كان نبيا - وقيل نظر الى قبرين بذاحية حمير قال هذا قبر رضوى وقبر حبي بنتي تبع لا تشركان
 بالله شيئا - وقيل هو الذي كسا البيت - وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقبال لانهم
 يتقبلون وسمي الظل تبعا لانه يتبع الشمس - فان قلت ما معنى قوله [أَهْمَ خَيْرًا] ولا خير في الفريقين -
 قلت معناه اهم خير في القوة والمدة كقوله تعالى أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيكُمْ بعد ذكر آل فرعون - وفي تفسير
 ابن عباس رضي الله عنه اهم اشد ام قوم تبع [وَمَا بَيْنَهُمَا] وما بين الجنسين - وقرأ عبيد بن عمير وَمَا
 بَيْنَهُنَّ - وقرأ مِيقَاتُهُمْ بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في
 يوم الفصل [لَا يُغْنِي مَوْلَى] اي مولى كان من قرابة او غيرها [عَنْ مَوْلَى] عن اي مولى كان [شَيْئًا]
 من اغناء اي قليلا منه [وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ] الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام
 والشياع كل مولى [مَنْ رَحِمَ اللَّهُ] في محتل الرفع على البدل من الواد في ينصرون اي لا يمنع من العذاب
 الا من رحمه الله - ويجوز ان ينتصب على الاستثناء - [إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ] لا ينصر منه من عصاه [الرَّحِيمُ]
 لمن اطاعه - قرئ إِنْ شَجَرَتِ الزُّقُومِ بكسر الشين وفيها ثلث لغات شجرت بفتح الشين - وكسرها - وشيرة
 بالياء - وروي انه لما نزل اذلك خيبر نزل ام شجرة الزقوم قال ابن الزبير ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد
 والتمر التزقم فدعا بوجهل بتمر وزبد وقال تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل [إِنْ شَجَرَتِ الزُّقُومِ]

مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝ مِنْ فِرْعَوْنَ ۖ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ۝ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَيَّ الْعَالَمِينَ ۝
وَاتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ۝ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ۝ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ

الرياح واطلمت له الشمس - وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بوائبه الا بكى عليه السماء والارض - وقال جرير * ع * تبكي عليك نجوم الليل والقمر * وقالت الخارجية * شعر * ايا شجر الخابور ما لك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف * وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغه في وجوب الجزع والبكاء عليه - وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنه من بكاء مصلى المؤمن واثاره في الارض و مصاعد عمله و مهبط رزقه في السماء له تمثيل ونفي ذلك عنهم في قوله تعالى فما بكى عليهم السماء والارض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافيه لحال من يعظم فقدته فيقال فيه بكى عليه السماء والارض - وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل السماء و اهل الارض [وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ] لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت اخر او لم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا [مِنْ فِرْعَوْنَ] بدل مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ كأنه في نفسه كان عذابا مهينا لا فراطه في تعذيبهم واهانتهم - ويجوز ان يكون المعنى مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ واقعا من جهة فرعون - و قرئ مِنَ عَذَابِ الْمُهِينِ ووجهه ان يكون تقدير قوله مِنْ فِرْعَوْنَ من عذاب فرعون حتى يكون المهيمن هو فرعون - وفي قراءة ابن عباس مِنْ فِرْعَوْنَ لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال مَنْ فِرْعَوْنَ على هل تعرفونه من هو في عتوة وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ اي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه - او عاليا متكبرا كقوله ان فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ - [مِنَ الْمُسْرِفِينَ] خبر ثان كأنه قيل انه كان متكبرا مسرفا - الضمير في [اخترناهم] لبني اسرائيل و [على عالم] في موضع الحال اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بأن يختاروا - ويجوز ان يكون المعنى مع عالم متا بانهم يزغون و تفرط منهم الفراطات في بعض الاحوال [على العالمين] على عالمي زمانهم - وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم [مِنَ الْآيَاتِ] من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الايات العظام اللتي لم يظهر الله في غيرهم مثلها [بَلَاءٌ مُّبِينٌ] نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة - او اختبار ظاهر لينظر كيف تعملون كقوله وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ [هَؤُلَاءِ] اشارة الى كفار قريش - فان قلت كان الكلام واقعا في الحيوة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ كما قيل ان هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وما معنى قوله [ان هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ] وما معنى ذكر الاولى كأنهم وعدوا موته اخرى حتى نفوها و جحدوها و اثبتوا الاولى - قلت معناه والله الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موته تتبعها حياة كما تقدمتم موته قد تعقبها حياة و ذلك قوله عز وجل وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَحْيَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ

سورة الدخان ١٤

الجزء ٢٥

ع ١٤

الثلث

عَلَى اللَّهِ ط إِنِّي أُنَبِّئُكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝ وَ إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ أَنَّ تَرْجُمُونَ ۝ وَ إِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتَرِزُوا ۝ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝ فَاسْرِبْ بَعْدَ بَدْيٍ لَّيْلًا إِنكُمْ مُّتَّبِعُونَ ۝ وَ أَتْرَكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ط إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ۝ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جُنُودٍ وَ عِيُونٍ ۝ وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَ نِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْفَ ۝ كَذَلِكَ ط وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۝ وَ لَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ

لي عليكم من الايمان لي و قبول دعوتي و اتباع سبيلي و علل ذلك بانه [رَسُولٌ اَمِينٌ] غير ضنين قد ائتمنه الله على وحيه و رسالته - [وَ اَنْ لَا تَعْلُوا] ان هذه مثل الاولى في وجهيها - اي لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله و وحيه - اولا تستكبروا على نبي الله [بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ] بحجة واضحة [اَنْ تَرْجُمُونَ] ان تقتلون - و قرى عت بالدغام و معناه انه عائد بوجهه متكل على انه يعصمه منهم و من كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم و القتل [فَاَعْتَرِزُوا] يريد ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني و بين من لا يؤمن فتتحوا عني و اقطعوا اسباب الوعلة عني - او فخلوني كفافا لاي و لا علي و لا تتعرضوا لي بشركم و اذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك [اَنْ هَؤُلَاءِ] بان هؤلاء اي دعا ربه بذلك - قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم - و قيل هو قوله رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ و انما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك و هو كونهم مجرمين - و قرى ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اي فدعا ربه فقال ان هؤلاء [فَاسْرِبْ] قرى بقطع الهمزة من اسرى - و وصلها من سرى - وفيه وجهان - اضمار القول بعد الغاء فقال اسر بعبادي - و ان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي يعني فاسر ببني اسرائيل فقد دبر الله ان تتقدموا و يتبعكم فرعون و جنوده فينتجي المتقدمين و يغرق التابعين - الرهو فيه وجهان - احدهما انه الساكن - قال الاعشى * شعر * يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذلة * و لا الصدور على الأعجاز تتكل * اي مشيا ساكنا على هيئة اراد موسى لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قاراً على حاله من انتصاب الماء و كون الطريق يابساً لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئاً ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم - و الثاني ان الرهو الفجوة الواسعة - و عن بعض العرب انه رأى جملاً فالجاً فقال سبحان الله رهو بين سنامين اي اتركه مفتوحاً على حاله منفرجاً [اِنَّهُمْ جُنْدٌ] - و قرى بالفتح بمعنى لانهم - و المقام الكريم ما كان لهم من المجالس و المنازل الحسنة - و قيل المنابر - و النعمة بالفتح من التمتع - و بالكسر من الانعام - و قرى [فُكَيْهَيْنِ] - و فُكَيْهَيْنِ [كَذَلِكَ] الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وَ أَوْرَثْنَاهَا - او في موضع الرفع على الامر كذلك [قَوْمًا آخَرِينَ] ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء و هم بذوا اسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين في ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم و اورثهم ملكهم و ديارهم * اذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء و الارض و بكته

عَذَابُ الْعَذَابِ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى ۝ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝ أَنْ أَدْرَأَ إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ وَ أَنْ لَا تَعْلَمُوا

فمضى اليه ابوسفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعاهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم [بِدُخَانٍ مُبِينٍ] ظاهر حاله لا يشك احد في انه دخان [يَغْشَى النَّاسَ] يشملهم ويلبسهم وهو في محال الجرم صفة لدخان - وهذا عذاب الى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اي قائلين ذلك [إِنَّا مُؤْمِنُونَ] موعدة بالايمن ان كشف عنهم العذاب - [أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى] كيف يذكرون ويتعظون ويفنون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب [وَقَدْ جَاءَهُمْ] ما هو اعظم وادخل في وجوب الذاكر من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الايات والبيّنات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا و[تَوَلَّوْا عَنْهُ] وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال [إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ] اي ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غيب الكشف على ما انتم عليه من التضرع والابتهاال - فان قلت كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيمة قوله إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا - قلت اذا اتت السماء بالدخان تضرع المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إِنَّا مُؤْمِنُونَ مزييون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون - ثم قال [يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى] يريد يوم القيمة كقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى [إِنَّا مُنْتَقِمُونَ] اي نفتقم منهم في ذلك اليوم - فان قلت بم انتصب يوم نبطش - قلت بما دل عليه إِنَّا مُنْتَقِمُونَ وهو نفتقم ولا يصح ان ينتصب بمُنْتَقِمُونَ لان ان تحجب عن ذلك - وقرئ نبطش بضم الطاء - وقرأ الحسن نبطش بضم النون كانه يحمل الملكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم - وقيل البطشة الكبرى يوم بدر - وقرئ ولقد فتنا بالتشديد للتاكيد او لوقوعه على القوم - ومعنى الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الأثام - او ابتلاهم بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاخذوا الكفر على الايمان - او سلبهم ملكهم واغرقهم - [كَرِيمٌ] على الله وعلى عباده المؤمنين - او كريم في نفسه لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم [أَنْ أَدْرَأَ إِلَيَّ] هي ان المفسرة لان مجيء الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله - او المخففة من الثقلية ومعناه وجاءهم بان الشأن والحديث ادرا الي - و[عِبَادَ اللَّهِ] مفعول به وهم بنوا اسرائيل يقول ادوهم الي وارساؤهم معي كقوله ارسل معنا بندي اسرائيل ولا تعذبهم - ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب

سورة الدخان ٤٤

الجزء ٢٥

ع ۱۴

بَيْنَهُمَا ۖ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشى النَّاسَ ۖ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكشِفْ

وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ اِيْ يَفْصَلُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ كُلُّ امْرَاٍ تَصْدُرُ الْاوامِرَ مِنْ عِنْدِنَا لَنْ مِنْ عَادَتِنَا اِنْ نُرْسِلْ رَحْمَتَنَا وَفَصْلُ كُلِّ امْرٍ مِنْ قِسْمَةِ الرِّزْقِ وَغَيْرِهَا مِنْ بَابِ الرَّحْمَةِ وَكَذَلِكَ الْاوامِرُ الصَّادِرَةُ مِنْ جِهَتِهِ عَزَّ وَعَلَّ لَنْ الْغَرَضُ فِي تَكْلِيفِ الْعِبَادِ تَعْرِيفُهُمُ لِلْمَنَافِعِ وَالْاَصْلِ اِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنَّا فَوْضِعَ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ اِيْذَانًا بِاَنَّ الرُّبُوبِيَّةَ تَقْتَضِي الرَّحْمَةَ عَلَى الْمُرُوبِيِّينَ - وَفِي قِرَاءَةِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ اَمْرٍ مِنْ عِنْدِنَا عَلَى هُوَ اَمْرٌ وَهِيَ تَنْصُرُ اَنْتِصَابَهُ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ - وَقُرْأَ الْحَسَنُ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ عَلَى تِلْكَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَهِيَ تَنْصُرُ اَنْتِصَابَهَا بِاَنَّهَا مَفْعُولٌ لَهُ [اِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] وَ مَا بَعْدَهُ تَحْقِيقُ لِرُبُوبِيَّتِهِ وَ اِنَّهَا لَا تَحَقُّ اِلَّا لِمَنْ هَذِهِ اَوْصَافُهُ - وَ قُرِئَ رَبِّ السَّمَوَاتِ - رَبِّكُمْ وَ رَبِّ اَبَائِكُمْ بِالْجَرِّ بَدَلًا مِنْ رَبِّكَ - فَانْ قُلْتَ مَا مَعْنَى الشَّرْطِ الَّذِي هُوَ قَوْلُهُ [اِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ] - قُلْتَ كَانُوا يَقْرُونَ بِاَنَّ لِلْسَّمَوَاتِ وَ الْاَرْضِ رَبًّا وَ خَالِقًا فَقِيلَ لَهُمْ اِنْ اُرْسَالَ الرُّسُلِ وَ اَنْزَالَ الْكُتُبِ رَحْمَةً مِنَ الرَّبِّ ثُمَّ قِيلَ اِنْ هَذَا الرَّبُّ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ الَّذِي اَنْتُمْ مُقْرُونَ بِهِ وَ مُعْتَرِفُونَ بِاَنَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَ الْاَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا اِنْ كَانَ اِقْرَارُكُمْ عَنْ عِلْمٍ وَ اِيْقَانٍ كَمَا تَقُولُ هَذَا اِنْعَامَ زَيْدٍ الَّذِي تَسَامَعُ النَّاسَ بِكَرَمِهِ وَ اَشْتَهَرُوا سَخَاءَهُ اِنْ بَلَغَكَ حَدِيثُهُ وَ حَدَّثْتَ بِقِصَّتِهِ ثُمَّ رَدَّ اِنْ يَكُونُوا مُوقِنِينَ بِقَوْلِهِ [بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ] وَ اِنْ اِقْرَارُهُمْ غَيْرُ صَادِرٍ عَنْ عِلْمٍ وَ تَيَقُّنٍ وَ لَا عَنْ جَدِّ وَ حَقِيقَةٍ بَلْ قَوْلٌ مَخْلُوطٌ بِهَزْءٍ وَ لَعِبٍ - [يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ] مَفْعُولٌ بِهِ مُرْتَقَبٌ يَقَالُ رَقَبَتُهُ وَ ارْتَقَبْتَهُ نَحْوُ نَظَرْتَهُ وَ اَنْتَظَرْتَهُ - وَ اِخْتَلَفَ فِي الدِّخَانِ - فَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ اَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَبِهِ اخَذَ الْحَسَنُ اَنَّهُ دِخَانٌ يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ يَدْخُلُ فِي اَسْمَاعِ الْكَفَرَةِ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الْوَاحِدِ كَالرَّأْسِ الْحَنِيذِ وَ يَعْتَرِي الْمُؤْمِنَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزَّكَامِ وَ تَكُونُ الْاَرْضُ كُلُّهَا كَبَيْتٍ اُرْقَدَ فِيهِ لَيْسَ فِيهِ خَصَاصٌ - وَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ اٰلِهِ وَ سَلَّمَ اَوَّلُ الْاَيَاتِ - الدِّخَانُ - وَ نَزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ - وَ نَارُ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنِ ابْنِ تَسْوِيقِ النَّاسِ اِلَى الْمَحْشَرِ قَالِ حَدِيْفَةُ يَا رَسُولَ اللهِ وَ مَا الدِّخَانُ فَتَلَا رَسُولُ اللهِ الْاَيَةَ وَ قَالَ يَمْلَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ يَمَكُثُ اَرْبَعِينَ يَوْمًا وَ لَيْلَةً اَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَصِيْبُهُ كَهَيْئَةُ الزَّكْمَةِ وَ اَمَّا الْكَافِرُ فَهُوَ كَالسَّكْرَانِ يُخْرَجُ مِنْ مَخْرَجِهِ وَ اِذْنِيَّةٍ وَ دُبْرَةٍ - وَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَمْسٌ قَدْ مَضَتْ - الرُّومُ - وَ الدِّخَانُ - وَ الْقَمَرُ - وَ الْبَطْشَةُ - وَ الزَّلْزَامُ - وَ يَرَى اَنَّهُ قِيلَ لِابْنِ مَسْعُودٍ اِنْ قَاصًّا عِنْدَ ابْوَابِ كِنْدَةَ يَقُولُ اِنَّهُ دِخَانٌ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَيَأْخُذُ بَانْفَاسِ الْخَلْقِ فَقَالَ مَنْ عِلْمٌ عَلِمَا فَلْيَقِلْ بِهِ وَ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقِلْ اللهُ اَعْلَمَ فَاَنْ عِلْمَ الرَّجُلِ اِنْ يَقُولُ لَشَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ اللهُ اَعْلَمُ ثُمَّ قَالَ اَلَّا وَاَسَاحَدُكُمْ اِنْ قَرِيشًا لَمَّا اسْتَعْصَمَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ دَعَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضْرِبِ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سَنِينَ كِسْفِي يَوْسُفَ فَاصْلِبْهُمْ الْجَهْدَ حَتَّى اَكْلُوا الْجَيْفَ وَ الْعِلْهَزَ وَ كَانَ الرَّجُلُ يَرَى بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْاَرْضِ الدِّخَانَ وَ كَانَ يُحَدِّثُ الرَّجُلَ فَيَسْمَعُ كَلَامَهُ وَ لَا يَرَاهُ مِنَ الدِّخَانِ

سورة الدخان ١٤ مَن عِندَنَا ۖ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

الجزء ٢٥

ع ١٣

المُبَرَّكة ليلة القدر لقوله تعالى إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ولمطابقة قوله فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ لقوله تَنْزِيلُ أَلَمْ لَيْكَةً وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّن كُلِّ أَمْرٍ وقوله شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ - وليلة القدر في أكثر الاقوابل في شهر رمضان - فإِن قُلْتِ مَا مَعْنَى أَنْزَالَ الْقُرْآنَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ - قُلْتِ قَالُوا أَنْزَلَ جَمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَأَمْرَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ بَانْتِسَاخِهِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَكَانَ جِبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنْزِلُهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَجْوَاهُ نَجْوَاهُ - فإِن قُلْتِ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ - فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ مَا مَوْقِعَ هَاتَيْنِ الْجَمْلَتَيْنِ - قُلْتِ هُمَا جَمَلَتَانِ مُسْتَأْنَفَتَانِ مَلْفُوفَتَانِ فَتَسْرِبُهُمَا جَوَابُ الْقِسْمِ الَّذِي هُوَ قَوْلُهُ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ كَأَنَّهُ قِيلَ أَنْزَلْنَاهُ لَآنَ مِنْ شَانِنَا الْإِنْدَارِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْعِقَابِ وَكَانَ أَنْزَالُ آيَاتِهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ خُصُوصًا لَّأَنَ أَنْزَالَ الْقُرْآنَ مِنَ الْأُمُورِ الْحَكِيمَةِ وَهَذِهِ اللَّيْلَةُ مَفْرُوقُ كُلِّ أَمْرٍ حَكِيمٍ - وَالْمُبَرَّكةُ الْكَثِيرَةُ الْخَيْرُ لَمَّا يُتَّبَعُ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْأُمُورِ اللَّتِي تَتَعَاقَى بِهَا مَنَافِعُ الْعِبَادِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَلَوْلَمْ يَوْجَدَ فِيهَا إِلَّا أَنْزَالَ الْقُرْآنَ وَحْدَهُ لَكُنْ فِي بَرَكَةٍ - وَمَعْنَى [يُفْرَقُ] يَفْصَلُ وَيَكْتَبُ [كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ] مِنْ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ وَأَجَالِهِمْ وَجَمِيعِ أُمُورِهِمْ مِنْهَا إِلَى الْآخِرَى الْقَابِلَةِ - وَقِيلَ يَبْدَأُ فِي اسْتِنْسَاخِ ذَلِكَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فِي لَيْلَةِ الْبَرَاءَةِ وَيَقَعُ الْفَرَاغُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ - فَتَدْفَعُ نَسْخَةُ الْأَرْزَاقِ إِلَى مِيكَائِيلَ - وَنَسْخَةُ الْحُرُوبِ إِلَى جِبْرِئِيلَ وَكَذَلِكَ الزَّلَازِلُ وَالصَّوَاعِقُ وَالْخُسُوفُ - وَنَسْخَةُ الْأَعْمَالِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ صَاحِبِ سَمَاءِ الدُّنْيَا وَهُوَ مَلِكُ عَظِيمٍ - وَنَسْخَةُ الْمَصَائِبِ إِلَى مَلِكِ الْمَوْتِ - وَعَنْ بَعْضِهِمْ يُعْطَى كُلُّ عَامِلٍ بَرَكَاتِ أَعْمَالِهِ فَيُلْقَى عَلَى أَلْسِنَةِ الْخَلْقِ مَدْحُهُ وَعَلَى قُلُوبِهِمْ هَيْبَتُهُ - وَقَرِئَ يُفْرَقُ بِالتَّشْدِيدِ - وَيُفْرَقُ كُلُّ عَلَى بَنَائِهِ لِلْفَاعِلِ وَنَصَبِ كُلِّ وَالْفَارِقِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَفَرَقَ بِالذُّنُونِ - كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ كُلُّ شَأْنٍ ذِي حِكْمَةٍ أَيْ مَفْعُولٌ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ وَهُوَ مِنَ الْأَسْنَادِ الْمَجَازِيِّ لِأَنَّ الْحَكِيمَ صِفَةُ صَاحِبِ الْأَمْرِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَرُصِفَ الْأَمْرُ بِهِ مَجَازًا [أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا] نَصَبَ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ جَعَلَ كُلُّ أَمْرٍ جَزَلًا فَخْمًا بِأَنَّهُ وَرُصِفَ بِالْحَكِيمِ ثُمَّ زَادَهُ جَزَالَةً وَكُسِبَهُ فَخَامَةً بِأَنَّهُ قَالَ أَعْنِي بِهَذَا الْأَمْرَ أَمْرًا حَاصِلًا [مِّنْ عِندِنَا] كَأَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا وَكَمَا اقْتَضَاهُ عِلْمُنَا وَتَدْبِيرُنَا - وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ ضِدُّ النَّهْيِ ثُمَّ أَمَّا أَنْ يَوْضَعَ مَوْضِعَ فِرْقَانَا الَّذِي هُوَ مَصْدَرُ يُفْرَقُ لَآنَ مَعْنَى الْأَمْرِ وَالْفِرْقَانِ وَاحِدٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ إِذَا حُكِمَ بِالشَّيْءِ وَكُتِبَ فَقَدْ أَمْرٌ بِهِ وَارْجَبُهُ - أَوْ يَكُونُ حَالًا مِنْ أَحَدِ الضَّمِيرَيْنِ فِي أَنْزَلْنَاهُ أَمَّا مِنْ ضَمِيرِ الْفَاعِلِ أَيْ أَنْزَلْنَاهُ أَمْرَيْنِ أَمْرًا أَوْ مِنْ ضَمِيرِ الْمَفْعُولِ أَيْ أَنْزَلْنَاهُ فِي حَالِ كَوْنِهِ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا بِمَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَ - فإِن قُلْتِ [إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ] بِمَ يَتَعَلَّقُ - قُلْتِ يَجُوزُ - أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ وَرَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ مَفْعُولًا لَهُ عَلَى مَعْنَى أَنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ لَآنَ مِنْ شَانِنَا أَرْسَالَ الرُّسُلِ بِالْكِتَابِ إِلَى عِبَادِنَا لِأَجْلِ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِمْ - وَأَنْ يَكُونَ تَعْلِيلًا لِيُفْرَقَ أَوْ لِقَوْلِهِ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا وَرَحْمَةً مَّفْعُولًا بِهِ وَقَدْ وَصَفَ الرَّحْمَةَ بِالْأَرْسَالِ كَمَا وَصَفَهَا بِهِ فِي قَوْلِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥

حَسْمٌ ٥ وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٥ اِنَّا اَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ اِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ٥ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ اَمْرٍ حَكِيمٍ ٥ اَمْراً

الله و لعمرك و يكون قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كأنه قيل و أقسم بقليله يا رب او وقيله يا رب قسمي ان هؤلاء قوم لا يؤمنون [فاصفح عنهم] فأعرض عن دعوتهم يائساً عن ايمانهم و ودعهم و تاركهم [و قل] لهم [سلم] اي تسلم منكم و متاركة [فسوف يعلمون] و عید من الله لهم و تسلية لرسوله و الضمير في وقيله لرسول الله - و أقسام الله بقليله رفع مذه و تعظيم لدعائه و اللجائه اليه - عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبدي لا خوف عليكم اليوم و لا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب •

سورة الدخان

الواو في وَ الْكِتَابِ واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف - و واو العطف ان كانت حم مقسما بها و قوله اِنَّا اَنْزَلْنَاهُ جواب القسم - و الْكِتَابِ الْمُبِينِ القرآن - و الليلة المباركة ليلة القدر - و قيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء - الليلة المباركة - و ليلة البراءة - و ليلة الصلح - و ليلة الرحمة - و قيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة - و قيل في تسميتها ليلة البراءة و الصلح ان البدار اذا امتلأ الخراج من اهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز و جل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة - و قيل هي مختصة بخمس خصال - تفريق كل امرحكيم - و فضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة ملك يبدشرونه بالجنة و ثلثون يؤمنونه من عذاب النار و ثلثون يدفعون عنه افات الدنيا و عشرة يدفعون عنه مكائد الشيطان - و نزول الرحمة قال عليه السلام ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب - و حصول المغفرة قال عايه السلام ان الله تعالى يغفر لجميع المساميين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للموالدين او مصر على الزنا - و ما اعطي فيها رسول الله من تمام الشفاعة و ذلك انه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فأعطي الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطي الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطي الجميع الا من شرد على الله شرار البعير و من عادة الله في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة - و القول الاكثر ان المراد بالليلة

رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ فَذَرَهُمْ يَخْضَوْنَ وَيَلْعَبُونَ حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝ وَتَبَرَّكَ الَّذِي لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ۚ وَالَّذِينَ تَرْجِعُونَ ۝ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَوْمِنُونَ ۝

مدتك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة أن لا ولد له - و قرى ولد بضم الواو - ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السموات و الارض و العرش عن اتحان الولد ليدل على انه من صفة الاجسام و لو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم و تدبير امره - [فَذَرَهُمْ يَخْضَوْنَ] في باطلهم [وَيَلْعَبُونَ] في دنياهم [حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ] و هذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل و الخوض و اللعب و اعلام لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة و ان ركب في دعوتهم كل صعب و ذل و خذلان لهم و تخلية كقوله اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ و ايعاد بالشقاء في العاقبة - ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله فِي السَّمَاءِ وَفِي الْأَرْضِ كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كذا قلت هو جواد في طي جواد في تغلب - و قرى وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ و مثله قوله تعالى وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ كَأَنَّهُ ضَمَّنَ معنى المعبود او المالك او نحو ذلك - و الراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما انا بالذي قاتل لك شيئا و زاده طولا ان المعطوف داخل في حيز الصلة - و يحتمل ان يكون فِي السَّمَاءِ صِلَةُ الَّذِي و إِلَهٌ خبر مبتدأ محذوف على ان الجملة بيان للصلة و ان كونه في السماء على مبدل الالهية و الربوبية لا على معنى الاستقرار و فيه نفى الالهة المتني كانت تعبد في الارض [تَرْجِعُونَ] قرى بضم التاء - و فلتها - و يَرْجِعُونَ بياء مضمومة - و قرى تَحْشَرُونَ بالتاء * [وَلَا يَمْلِكُ] الهتهم [الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ] الله [الشَّفَاعَةَ] كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله و لكن [مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ] وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة و ايقان و اخلاص هو الذي يملك الشفاعة و هو استثناء منقطع - و يجوز ان يكون متصلا لان في جملة الذين يدعون من دون الله الملكة - و قرى تَدْعُونَ بالتاء - و تَدْعُونَ بتشديد الدال * [وَقِيلَ] قرى بالحركات الثلاث - و ذكر في النصب عن الاخفش انه حملة على ام يحشرون انا لا نسمع سرهم و نجوهم و قيله - و عنه و قال قيله - و عطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجيبت من ضرب زيد و عمرا - و حمل الجبر على لفظ الساعة - و الرفع على الابتداء و الخبر ما بعده - و جوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه و عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ و علم قيله و الذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف و المعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا و مع تذاخر النظم و اقوى من ذلك و اوجه ان يكون الجبر والنصب على اضمار حرف القسم و حذفه و الرفع على قولهم ايمان الله و ايمان الله و يمين

بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كُرْهُونَ ۖ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۖ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۖ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتَئِبُونَ ۖ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبْدِينَ ۖ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

عَلَيْنَا رَبُّكَ [لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ] كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لَقَدْ جِئْتُكُمْ ويجب ان يكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا ان يسأل الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك - [كُرْهُونَ] لا تقبلونه وتنفرون منه وتشمئزون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب - [أَمْ] [أَمْ] [أَمْ] مشركوا مكة [أَمْ] من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [فَإِنَّا مُبْرِمُونَ] كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله تعالى أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ وكانوا يتنادون فيتناجون في امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - فان قلت ما المراد بالسِر والنجوى - قلت - السر ما حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خالي - والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم - [بَلَى] نسمعهما ونطلع عليهما [وَرُسُلْنَا] يريد الحفظة عندهم [يَكْتَئِبُونَ] ذلك - وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وابداهها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق - [إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ] وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح تورثه وحجة واضحة تدلون بها [فَإِنَّا أَوَّلُ] من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الغرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفى الولد والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكيونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكيونة والعبادة وفي معنى نفية علي اباع الوجوه واقواها ونظيره ان يقول العدلي للمجبر ان كان الله خالقاً للكفر في القلوب ومعذباً عليه عذاباً سرمداً فانا اول من يقول هو شيطان وليس بالله فمعنى هذا الكلام وما وضع له اسلوبه ونظمه نفى ان يكون الله خالقاً للكفر وتغزيه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الداهب اليه والشهادة القاطعة باحاطته والانصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفاق والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له أَمْ وَاللَّهِ لأُبدلك بالدينار نارا تاطى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدتُ لها غيرك - وقد تمحل الناس بما اخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف المليء بالذمات والفوائد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقل ان كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ في زعمكم فانا اول العبدين الموحدين لله المكدبين قولكم باضافة الولد اليه - وقيل ان كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ في زعمكم فانا اول الأنفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد - وقرأ بعضهم العبدين - وقيل هي ان النافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووحده - وروي ان النضر بن عبد الدار بن قصي قال ان الملكة بذات الله ففزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما

بِأَيْدِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۝
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۝ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝
لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۝ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ ۝ لَقَدْ جِئْتُكُمْ

فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فينبأ الناس منها غير المسلمين - وقرئ يعبد - [تُحْبَرُونَ] تُسَرُّون سرورا يظهر حواره اي اثره على وجوهكم كقوله تعالى تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ -
و قال الزجاج تُكْرَمُونَ اكراما يبالغ فيه و الحبرة المبالغة فيما وصف بجميل - و الكؤب الكوز
لاعمرة له [و فيها] الضمير للجنة - و قرئ تَشْتَهِي - و [تَشْتَهِيهِ] و هذا حصر لانواع النعم لانها اما
مشتهاة في القلوب و اما مستلذة في العيون - [و تِلْكَ] اشارة الى الجنة المذكورة و هي مبتدأ
و [الجنة] خبر و [الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا] صفة الجنة - او الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اهم الاشارة و التي
أُورِثْتُمُوهَا خبر المبتدأ - او التي أُورِثْتُمُوهَا صفة و بما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ الخبر و الباء تتعلق بمحذوف كما
في الظرف اللتي تقع اخبارا و في الوجه الاول تتعلق بأورثتموها و شبعت في بقائها على اهلها
بالميراث الباقي على الورثة - و قرئ وَرِثْتُمُوهَا [مِنْهَا تَأْكُلُونَ] من التبويض اي لا تأكلون الا بعضها
و اعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في
الدنيا - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثله -
[لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ] لا يخفف و لا ينقص من قولهم فُتِرَتْ عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا و نقص حرها -
و المبلس اليأس السات سكوت يأس من فرج - و عن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار
ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى و لا يرى - [هُمْ] فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين - و قرئ
وَهُمْ فِيهَا اي في النار * و قرأ علي رضي الله عنه و ابن مسعود رضي الله عنه يَمَالٍ بحذف الكاف
للترخيم كقول القائل * ع * و الحق بما مال غير ما تصف * و قيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ و نادوا يَمَالٍ
فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم - و عن بعضهم حسن الترخيم انهم يقطعون بعض الاسم لضعفهم و عظم
ما هم فيه - و قرأ ابو السرار الغنوي يَمَالٍ بالرفع كما يقال يا حار [ايَقْضِ عَلَيْنَا] من قضى عليه اذا اماته
فوكزة موسى فَقَضَى عَلَيْهِ و المعنى سَلْ رَبَّكَ ان يقضي علينا - فان قلت كيف قال و نادوا يَمْلِكُ
بعد ما وصفهم بالابلاس - قلت تلك ازمة متطاولة و احقاب ممتدة فيختلف بهم الاحوال فيسكتون
اوقاتا لغلبة اليأس عليهم و علمهم انه لا فرج و يغوثون اوقاتا لشدة ما بهم [مَا كُنْتُمْ] لا بثون و فيه استهزاء
و المراد خالدون - عن ابن عباس انما يُجيبهم بعد الف سنة - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم
يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا ما كنا فیدعون يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ

سورة الزخرف ٤٣

الجزء ٢٥

ع ١٢

أَنَّهُ لَكُمْ عَذْرٌ مُّبِينٌ ۖ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا ۚ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۖ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۚ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَمِّ ۖ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ الْإِخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۚ يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۖ الَّذِينَ آمَنُوا

عبداس تعلم وهو العلامة - وقرئ للعلم - وقرأ أبي لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها امدق وعليه مصرتان وشعر رأسه ذهبي وبده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح والامام يوم بهم فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من امن به - وعن الحسن ان الضمير للقرآن وان القرآن به تعلم الساعة لان فيه الاعلام بها [فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا] من المربة وهي الشك [وَاتَّبِعُونِي] واتبعوا هداي وشرعي او رسولي - وقيل هذا امر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقوله - [هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ] اي هذا الذي ادعوك اليه او هذا القرآن ان جعل الضمير في وانه للقرآن [عَذْرٌ مُّبِينٌ] قد ابانت عداوته لكم ان اخرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور • [بِالْبَيِّنَاتِ] بالمعجزات - او بايات الانجيل والشرائع البينات الواضحات [بِالْحِكْمَةِ] يعني الانجيل والشرائع - فان قلت هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه - قلت كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق بالكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال بهذه وانما بعث لبيّن لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيه من امريتهم - [الْأَحْزَابُ] الفرق المتحربة بعد عيسى - وقيل اليهود والنصارى [فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] وعيد للاحزاب - فان قلت [مِنْ بَيْنِهِمْ] الى من يرجع الضمير فيه - قلت الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وهم قومه المبعوث اليهم [أَنْ تَأْتِيَهُمْ] بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة - فان قلت اما ادعى قوله بغتة مؤدى قوله وهم لا يشعرون فيستغنى عنه - قلت لا لان معنى قوله وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تعالى تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ - ويجوز ان تأتيم بغتة وهم فطنون [يَوْمَئِذٍ] منصوب بعد اي ينقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالفين في غير ذات الله وتقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية المزدانة قوة اذا رآوا ثواب التحاب في الله والتباغض في الله - وقيل [إِلَّا الْمُتَّقِينَ] الا المجتنبين اخلاء السوء - وقيل نزلت في ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط • يعبادني حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ - و [الَّذِينَ آمَنُوا] منصوب المحل صفة لعبادي لانه منادى مضان اي الذين صدقوا [بِأَيِّتِنَا] كانوا مسلمين [مخلصين وجوههم لنا] جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا - وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يعبادني

سورة الزخرف ٤٣ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۖ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي
الجزء ٢٥ الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ۖ وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُون ۚ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۖ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ۚ

ع ١١

عيسى من حصب النار كان امرأتهنا هيئنا [مَا ضَرَبُوهُ] أي ما ضربوا هذا المثل [لَكَ إِلَّا جَدَلًا] الالجل
الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل [بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ] كدشداك الخصومة دأبهم
اللبجاج كقوله تعالى قَوْمًا ثَدًا وَذَلِكَ أَنْ قَوْلَهُ تَعَالَى إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَرِيدُ بِهِ إِلَّا الْأَصْنَامَ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ
عَلَيْهِ السَّلَام هُوَ لَكُمْ وَلِلْأَهْتِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ إِنَّمَا قَصِدُ بِهِ الْأَصْنَامَ وَمَحَالٌ أَنْ يَقْصِدَ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمَلَائِكَةَ إِلَّا أَنْ
ابن الزبيرى بخبته وخداعه وخبيث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع عامه
بأن المراد به أصنامهم لا غير وجد لليلة مساعا فصرف معناه إلى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله
على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقع في ذاك فتوقر رسول الله صلى الله عليه
عليه وآله وسلم حتى أجاب عنه ربه إِنَّ الدِّينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى فدل به على أن الآية خاصة في
الأصنام على أن ظاهر قوله وَمَا تَعْبُدُونَ لغير العقلاء - وقيل لما سمعوا قوله إِنَّ مَثَلَ عِيسَى مِثْلُ اللَّهِ كَمَثَلِ
أَدَمَ قَالُوا نحن اهدي من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ
هُوَ عَلَى هَذَا القول تفضيل لأهتهم على عيسى لأن المراد بهم الملائكة وَمَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا معناه
ما قالوا هذا القول يعنى ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ إِلَّا للجدل - وقبرى ءَالِهَتُنَا خيرٌ باثبات همزة الاستفهام وباسقاطها
لدلالة ام التعديلة عليها - وفي حرف ابن مسعود خيرٌ أَمْ هَذَا - ويجوز أن يكون جدلاً حالاً أي جدلين -
وقيل لما نزلت إِنَّ مَثَلَ عِيسَى مِثْلُ اللَّهِ قَالُوا ما يريد محمداً بهذا ألا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد
وإن كان بشراً كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر - ومعنى يَصِدُّونَ يضجون ويضجرون - والضمير في
أَمْ هُوَ لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وسم غرضهم بالموازنة بيده وبين ألهتهم السخرية والاستهزاء - ويجوز
أن يقولوا لما أنكر عليهم قواهم الملائكة بذات الله وعبدوهم ما قلنا بدعاً من القول ولا فعلنا نكراً من الفعل
فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشق منهم قولاً وفعلًا فأننا نسبنا إليه الملائكة وهم
نسبوا إليه الاناسي فقليل أهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تفصلكم مما أنتم عليه
بما أردتموه الا قياس باطل بباطل وما عيسى الا عبد كسائر العبيد [أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ] حيث جعلناه آية
بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبدة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل
[وَلَوْ نَشَاءُ] لقدرتنا على عجائب الأمور وبدايع الفطر [لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ] لولدتنا منكم يا رجال مَلَائِكَةً
يَخْلُقُونَكُمْ فِي الْأَرْضِ كما يخلقكم أولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة
ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذاك - [وَإِنَّهُ] وإن عيسى
عليه السلام [لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ] أي شرط من أشراتها تعلم به فسمي الشرط عاماً لحصول العلم به - وقرأ ابن

سورة الزخرف ٣٣
الجزء ٢٥
ع ١١
أَلْقَى عَلَيْهِ أَمْرًا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۖ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ ۖ فَلَمَّا اسْفَرْنَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ۖ وَلَمَّا ضُرِبَ
ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۖ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۖ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۖ بَلْ هُمْ

من اللسن والفصاحة وكانت الانبياء كلهم أبناء بلغاء - و اراد بالقاء الأسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه
لأنهم كانوا اذا ارادوا تسويد الرجل سؤره بسوار وطوقه بطوق من ذهب [مقترنين] اما مقترنين به
من قولك قرنته به فاقترن به - و اما من اقترنوا بمعنى تقارنوا - لما وصف نفسه بالملك والعزة وازن بينه
و بين موسى صلوات الله عليه و وصفه بالضعف و قلة الأعضاء اعترض فقال هلا ان كان صادقا ملكه
ربه وسؤره وسؤره وجعل الملكة اعضاده وانصاره - و قرى أساور جمع أسوار وهو السوار -
و أساوره على تعريض التاء من ياء اساور - و قرى ألقى عليه أسورة - و أساور على البناء للفاعل وهو الله عز
وجل [فاستخف قومه] فاستفهم وحقيقته حملهم على ان يخفوا له ولما اراد منهم وكذلك استفهم من قولهم
للخفيف فر - [اسفونا] منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجأة رحمة
للمؤمن واخذة اسف للكافر ومعناه انهم افراطوا في المعاصي و عدوا طهورهم فاستوجبوا ان نُعجل لهم عذابنا
و انتقامنا و ان لا نحلم عنهم - و قرى [سلفا] جمع خالف كخادم و خدام - و سلفا بضمسين جمع سليف اي
فريق قد سلف - و سلفا جمع سلفة اي ثلثة قد سلفت و معناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون
بهم في استحقاق مثل عقابهم و نزولهم بهم لاتيائهم بمثل افعالهم و حديثا عجيب الشأن هائلا مسير المثل
يحدثون به و يقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون - لما قرأ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على قریش
إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَتَعْبُدُونَ من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبير
يا محمد أخاصة لنا ولأهتنا ام لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولأهتكم و لجميع الامم فقال خصمك
و رب الكعبة الست نزع ان عيسى بن مريم نبي و تنزي عليه خيرا و على امه و قد علمت ان النصراني
يعبدونها و عزيز يعبد و الملكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن و الهتنا معهم ففرحوا
و ضحكوا و سكبت النبي صلى الله عليه و آله و سلم فانزل الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى
و نزلت هذه الآية - و المعنى و لما ضرب عبد الله بن الزبير عيسى بن مريم مثلا و جادل رسول الله صلى
الله عليه و آله و سلم بعبادة النصراني آياه [إِذَا قَوْمُكَ] قریش [مِنْهُ] من هذا المثل [يَصِدُّونَ] يرتفع لهم
جلبة و ضجيج فرحا و جدلا و ضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بجذله
كما يرتفع لغط القوم و لجبهم اذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم - و اما من قرأ يَصِدُّونَ بالضم فمن الصدود اي من
اجل هذا المثل يَصِدُّونَ عن الحق و يعرضون عنه - و قيل من الصديد و هو الجلبة و انهما لغتان نحو يعكف
و يعكف و نظائرهما [وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ] يعنون ان الهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان

أَخْتَهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١٣ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ١٤ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ١٥ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ١٦ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ١٧ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ١٨ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ١٩ وَلَا يَكَادُ يَبْذُرُونَ ٢٠ فَلَوْلَا

فإن قلت كيف سموة بالساحر مع قولهم إِنَّا لَمُهْتَدُونَ - قلت قولهم إِنَّا لَمُهْتَدُونَ وعد مني أخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب إلا ترى إلى قوله فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فما كانت تسميتهم إياه بالساحر بمنافية لقولهم إِنَّا لَمُهْتَدُونَ - وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر إنما هو ساحر لاستعظامهم علم السحر [بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ] بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة - أو بعهده عندك وهو الذبوة - أو بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ فوفيت به وهو الإيمان والطاعة - أو بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ من كشف العذاب عمن اهتدى * [وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ] جعلهم محلاً لذنائه وموقعاً له والمعنى أنه امر بالنداء في مجامعهم وأماكنهم من نادى فيها بذلك فاسند النداء إليه كقولك قطع الأمير اللص إذا امر بقطعه - ويجوز أن يكون عذبه عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم يذشر عنه في جموع القبط فكانه يُودى به بينهم فقال [أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ] يعني أنهار النيل ومعظمها أربعة - نهر الملك - ونهر طولون - ونهر دمنياط - ونهر تينيس - قيل كانت تجري تحت قصره - وقيل تحت سريره لارتفاعه - وقيل بين يدي في جذاني وبساتيني - ويجوز أن تكون الواو عاطفة للأنهر على مُلْكُ مِصْرَ وتجري نصب على الحال منها - وإن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهر صفة لاسم الإشارة وتجري خبر للمبتدأ وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوى الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمتهم وأمر فنودي بها في أسواق مصر وأزقتها لئلا تخفى تلك الأبهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يترفع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته - وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لا وليها أخس عبدي فولأها الخصيب وكان على وضوء - وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فخرج إليها فلما شارقها وقع عليها بصره قال أهى القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ والله لهي أقل عذبي من أن أدخلها فنثنى عنانه [أَمْ أَنَا خَيْرٌ] أم هذه متصلة لأن المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع قوله أَنَا خَيْرٌ موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عذبه بصره وهذا من أنزال السبب منزلة المسبب - ويجوز أن تكون منقطعة على بل أَنَا خَيْرٌ والهمزة للتقرير وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجري الأنهار تحته ونادى بذلك وملاء به مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه يقول أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي [مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ] أي ضعيف حقير - وقرئ أَمْ أَنَا خَيْرٌ [وَلَا يَكَادُ يَبْذُرُونَ] الكلام لما به من الرثة يريد أنه ليس معه من العدد والآلات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخن بما يذعت به الرجال

مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ۖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ
إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ۖ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ

يديه و اخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا و هذه الآية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها و السؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسائلة الشعراء الديار و الرسوم و الاطلال و قول من قال سل الارض من شق انهارك و غرس اشجارك و جنى ثمارك فانها ان لم تجيبك حوارا اجابتك اعتبارا - و قيل ان النبي صلى الله عليه و اله و سلم جمع له الانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس فاتهم - و قيل له سلم فلم يشكك و لم يسأل - و قيل معناه سل امم من ارسلنا و هم اهل الكتابين التوراة و الانجيل - و عن الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء * ما اجابوه به عند قوله [إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ] محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم بايتنا و هو مطالبهم اياه باحضار البيضة على دعواه و ابراز الآية [إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ] اي يسخرون منها و يهزئون بها و يسمونها سخرا - و اذا للمفاجاة - فان قلت كيف جاز ان يجاب لما باذا المفاجاة - قلت لان فعل المفاجاة معها مقدر و هو عامل النصب في محلها كانه قيل فلما جاءهم بايتنا فاجأوا وقت ضحكهم - فان قلت اذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما اختها اللتي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات - قلت اختها اللتي هي آية مثلها و هذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على انها اكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل و الاستقرار واحدة بعد واحدة كما تقول هو افضل رجل رأيتك تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم اذا قرؤتهم رجلا رجلا - فان قلت هو كلام متناقض لان معناه ما من آية من التسع الا و هي اكبر من كل واحدة منها فيكون كل واحدة منها فاضلة و مفضولة في حالة واحدة - قلت الغرض بهذا الكلام انهم موصوفات بالكبر لا يكدرن يتفاوتن فيه و كذلك العادة في الاشياء اللتي تتلاقى في الفضل و تتفاوت منازلهم فيه التفاوت اليسير ان تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا و بعضهم ذلك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجلا بعضهم افضل من بعض و ربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا و تارة يفضل ذاك و منه بيت الحماسة * شعر * من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم اللتي يسري بها الساري * و قد فاضلت الانمائية بين الكلمة من بينها ثم قالت لما ابصرت مراقبهم متدانية قليلة التفاوت فكأنهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] ارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان - فان قلت لو اراد رجوعهم لكان - قلت ارادته فعل غيره ليس الا ان يأمره به و يطلب منه ابتجاده و ان كان ذلك على سبيل القسر وجد و الا دار بين ان يوجد و بين ان لا يوجد على حسب اختيار المكلف و انما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا و لم يختاروه و المراد بالعذاب السنون و الطوفان و الجراد و غير ذلك * قرئ يائية السحجر بضم الهاء و قد سبق وجهه -

الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ فَاِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ
فَاِنَّا مِنْهُمْ مُمْتَقِمُونَ ۝ اَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَاِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ۝ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي اُوْحِيَ اِلَيْكَ ۚ
اِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَاِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۚ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ۝ وَسْأَلُ مَنْ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ

و ذلك ان كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته - و لك ان تجعل الفعل للتمني في قوله يُلَيِّتُ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ على معنى وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ ما انتم فيه من تمني مبعادة القرين وقوله [اَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ
مُشْتَرِكُونَ] تعليل اي لَنْ يَنْفَعَكُمْ تَمَيُّكُم لَانْ حَقَّقَم ان تشركوا انتم وقرنائكم في العذاب كما كنتم مشتركين
في سببه وهو الكفر و تقوية قراءة من قرأ اَنْكُمْ بالكسر - وقيل اذا رأى الممنون بشدة من مُني بمثلها
روحها ذلك و نفوس بعض كربه و هو التآسي اللتي ذكرته الخنساء * ع * اعزني النفس عنه بالتآسي *
فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يزيروهم لعظم ما هم فيه - فان قلت ما معنى قوله اِنْ ظَلَمْتُمْ - قلت معناه ان صح
ظلمكم و تبين و لم يبق لكم و لا ل احد شبهة في انكم كنتم ظالمين و ذلك يوم القيمة - و ان بدل من اليوم ونظيره
* ع * اذا ما انتسبنا لم تلدني الائمة * اي تبين اني ولد كريمة * كان رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم
يجتد و يجتهد و يكذب روحه في دعاء قومه و هم لا يزيدون على دعائه الا تصميماً على الكفر و تمادياً في الغي
فانكر عليه بقوله [أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ] انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم و اراد انه لا يقدر
على ذلك منهم الا هو وحده على سبيل الاجاء و القسر كقوله تعالى اِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ و مَا اَنْتَ
بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ - مَا فِي قَوْلِهِ [فَاِمَّا نَذْهَبَنَّ] بمنزلة لام القسم في انها اذا دخلت دخلت معها النون
الموكدة والمعنى فَاِنْ قَبَضْنَاكَ قَبْلَ اَنْ نَصْرِكَ عَلَيْهِمْ وَ نَشْفِي صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ [فَاِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ]
اشد الانتقام في الآخرة كقوله تعالى اَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَاِلَيْنَا يُرْجَعُونَ و ان ردنا ان نُنْجِزَ فِي حَيَاتِكَ مَا وَعَدْنَاهُمْ
مِنَ الْعَذَابِ النازل بهم و هو يوم بدر فهم تحت ملكتنا و قدرتنا لا يفوتوننا و صفهم بشدة الشكيمة في
الكفر و الضلال ثم اتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا و الآخرة - و قرى نُرِيَنَّكَ بالنون الخفيفة - و قرى بِالَّذِي
اُوْحِيَ اِلَيْكَ على البقاء للفاعل و هو الله عز و جل و المعنى و سواء عجلنا لك الظفر و الغلبة او آخراها
الى اليوم الآخر فكن متمسكاً بما اوحينا اليك و بالعمل به فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه الا ضال
شقي و زد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله و لا يخرجك الضجر بامرهم الى شيء من اللين و
و الرخاوة في امرك و لكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخير - [وَاِنَّهُ]
و ان الذي اُوْحِيَ اِلَيْكَ [لَذِكْرٌ] لشرف [لَكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ] - [سَوْفَ تُسْأَلُونَ] عنه يوم القيمة و عن
قيامكم بحقه و عن تعظيمكم له و شكركم على ان رزقتموه و خصصتم به من بين العالمين * ليس المراد
بسؤال الرسل حقيقة السؤال لاحتاله و لكنه مجاز عن النظر في آديانهم و الفحص عن ملهم هل جاءت
عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء و كفاه نظراً و فحصاً نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين

الرَّحْمَنِ نَقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ الْقَرِينُ ٥ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ٥ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا
قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ٥ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي

سورة الزخرف ٤٣

الجزء ٢٥

ع ٩

قَلَّةِ الدُّنْيَا عِنْدَهُ مِنْ قَوْلِهِ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً أَلَى الْكُفْرِ وَيُطَبِّقُوا
عَلَيْهِ لَجَعَلْنَا لِحِقَارَةِ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عِنْدَنَا لِلْكَفَّارِ سُقُوفًا وَمِصَاعِدَ وَأَبْوَابًا وَسُرُرًا كُلَّهَا مِنْ فَضَّةٍ وَجَعَلْنَا
لَهُمْ زُخْرَفًا أَيْ زِينَةً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ - وَالزُّخْرُفُ الذَّهَبُ وَالزَّيْنَةُ - وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ سَقْفًا مِنْ فَضَّةٍ
وَزُخْرَفٍ يَعْنِي بَعْضُهَا مِنْ فَضَّةٍ وَبَعْضُهَا مِنْ ذَهَبٍ فَذُصِّبَ عَطْفًا عَلَى مَحَلٍّ مِنْ فَضَّةٍ وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَوْ وَزَنْتُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى الْكَافِرَ مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ -
فَإِنْ قُلْتَ فَحِينَ لَمْ يَوْسَعْ عَلَى الْكَافِرِينَ لِلْفِتْنَةِ الَّتِي كَانَ يُؤَدِّي إِلَيْهَا التَّوَسُّعُ عَلَيْهِمْ مِنْ إِطْبَاقِ النَّاسِ
عَلَى الْكُفْرِ لِحُبِّهِمُ الدُّنْيَا وَتَهَالِكِهِمْ عَلَيْهَا فَهَلَّا وَسَّعَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِيُطَبِّقَ النَّاسُ عَلَى الْإِسْلَامِ - قُلْتَ التَّوَسُّعُ
عَلَيْهِمْ مَفْسُدَةٌ أَيْضًا لِمَا تَوَدَّى إِلَيْهِ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ لِأَجْلِ الدُّنْيَا وَالدُّخُولِ فِي الدِّينِ لِأَجْلِ الدُّنْيَا
مِنْ دِينِ الْمُنَافِقِينَ فَكَانَتْ الْحِكْمَةُ فِيمَا دَبَّرَ حَيْثُ جَعَلَ فِي الْفَرِيقَيْنِ أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ وَغَلَبَ الْفَقْرَ عَلَى
الْغِنَى - قَرِئَ [وَ مَنْ يَعْشُ] بِضَمِّ الشَّيْنِ - وَفَتْحُهَا - وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّهُ إِذَا حَصَلَتْ الْأَفَةُ فِي بَصَرِهِ قِيلَ عَشِيَ
وَإِذَا نَظَرَ نَظَرَ الْعُشِيِّ وَلَا أَفَةً بِهِ قِيلَ عَشَا وَنَظِيرُهُ عَرَجَ لِمَنْ بِهِ الْأَفَةُ وَعَرَجَ لِمَنْ مَشَى مَشْيَ الْعُرْجَانِ
مِنْ غَيْرِ عَرَجٍ - قَالَ الْخَطِيبَةُ * ع * مَتَى تَأْتِي تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ * أَيْ تَنْظُرُ إِلَيْهَا نَظَرَ الْعُشِيِّ لِمَا يَضَعُفُ بَصَرُكَ
مِنْ عَظَمِ الْوَقُودِ وَاتِّسَاعِ الضَّوْءِ وَهُوَ بَيِّنٌ فِي قَوْلِ حَاتِمٍ * شَعَرَ * أَعْشَوْ إِذَا مَا جَارَتِي بَرَزَتْ * حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي
الْخَدْرُ * وَقَرِئَ يَعْشَوْنَ عَلَى أَنْ مَنْ مَوْصُولَةٌ غَيْرُ مَضْمُونَةٍ مَعْنَى الشَّرْطِ وَحَقٌّ هَذَا الْقَارِي أَنْ يَرْفَعَ نَقِيضُ -
وَمَعْنَى الْقِرَاءَةِ بِالْفَتْحِ وَمَنْ يَعْمَ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ وَهُوَ الْقُرْآنُ كَقَوْلِهِ صَمُّكُمْ عَمِّي - وَامَّا الْقِرَاءَةُ بِالضَّمِّ فَمَعْنَاهَا
وَمَنْ يَتَعَامَ عَنْ ذِكْرِهِ أَيْ يَعْرِفُ أَنَّهُ الْحَقُّ وَهُوَ يَتَجَاهَلُ وَيَتَغَابَى كَقَوْلِهِ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا
أَنْفُسُهُمْ [نَقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا] نَحْذُلُهُ وَنُحْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ كَقَوْلِهِ وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا - أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا
الشَّيْطَانِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ - وَقَرِئَ يُقَيِّضُ أَيْ يَقِيضُ لَهُ الرَّحْمَنُ - وَيُقَيِّضُ لَهُ شَيْطَانٌ - فَإِنْ قُلْتَ لِمَ جُمِعَ
ضَمِيرُ مَنْ وَضَمِيرُ الشَّيْطَانِ فِي قَوْلِهِ [وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ] - قُلْتَ لِأَنَّ مَنْ مَبْهَمٌ فِي جَنْسِ الْعَاشِي وَقَدْ قِيَضَ
لَهُ شَيْطَانٌ مَبْهَمٌ فِي جَنْسِهِ فَلَمَّا جَازَ أَنْ يَتَنَادَرَا لَابَهُمَا مَبْهَمًا غَيْرَ وَاحِدِينَ جَازَ أَنْ يَرْجَعَ الضَّمِيرُ إِلَيْهِمَا مَجْمُوعًا
[حَتَّى إِذَا جَاءَنَا] الْعَاشِي - وَقَرِئَ جَاءَ أَنَا عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ لَهُ وَلِشَيْطَانِهِ [قَالَ] لِشَيْطَانِهِ [يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ] يُرِيدُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ فَغَلَبَ كَمَا قِيلَ الْعُمَرَانِ وَالْقَمَرَانِ - فَإِنْ قُلْتَ فَمَا بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ -
قُلْتَ تَبَاعُدُهُمَا وَالْأَصْلُ بَعْدَ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَالْمَغْرِبُ مِنَ الْمَشْرِقِ فَلَمَّا غَلَبَ وَجُمِعَ الْمُتَقَرِّقَانِ
بِالتَّنْذِيَةِ أَضَافَ الْبَعْدَ إِلَيْهِمَا * [أَنَّكُمْ] فِي مَحَلِّ الِرْفَعِ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ يَعْنِي وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ كَوْنُكُمْ مُشْتَرِكِينَ فِي
الْعَذَابِ كَمَا يَذْفَعُ الْوَاقِعِينَ فِي الْأَمْرِ الصَّعْبِ اشْتِرَاكُهُمْ فِيهِ لِتَعَاوُنِهِمْ فِي تَحْمِيلِ أَعْبَائِهِ وَتَغْسِمُهُمْ لَشِدَّتِهِ وَعِزَّائِهِ

رَحِمْتَ رَبِّكَ ط نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخِيًّا ط وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرَ مِمَّا يَجْمَعُونَ ٥ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا
لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ٦ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكئونَ ٧
وَزُخْرُفًا ط وَإِنْ كُلُّ ذَاكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ط وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ٨ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ

بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها
ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها الا هو بظاهر قدرته وبالحكمة ثم ضرب لهم مثلا
فأعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز و علا هو الذي قسم بينهم
معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها فلم يستو بينهم ولكن فاءت بينهم في اسباب العيش و
غايير بين منازلهم فجعل منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج وموالي وخداما ليصرف بعضهم بعضا في
حوالهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعاشوا ويتراعدوا ويصلوا الى منازلهم
ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم ولأهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير
امر المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امور الدين الذي هو رحمة
الله الكبرى وأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام ثم قال
[وَرَحِمْتَ رَبِّكَ] يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب [خَيْرٌ مِمَّا] يجمع هؤلاء
من حطام الدنيا - فان قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من
يعيش بالحرام فإن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال - قلت الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي
مطامع ومشاربه وما يصلحهم من المنافع واذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك في
تناولها الطرق التي شرعها فاذا سلكها فقد تنازل قسمته من المعيشة حلالا وسمها رزق الله واذا لم يسلكها
تناولها حراما وليس له ان يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعاش والمنافع ولكن العباد هم الذين
يكسبون صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدو لهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه * [لِبُيُوتِهِمْ] بدل اشتمال
من قوله لِمَنْ يَكْفُرُ - ويجوز ان تكونا بمنزلة اللامين في قوله وهبت له ثوبا القميصه - وقرئ سَقْفًا بفتح السين
وسكون القاف - وبضمها وسكون القاف - وبضمها جمع سَقَف كَرَهْن ورُهْن ورُهْن - وعن الفراء جمع سقيفة - وسَقْفًا
بفتح السين كأنه لغة في سَقَف - وسَقُوفًا - [وَمَعَارِجَ] - والمعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي
المصاعد الى العلالي [عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ] اي على المعارج يظهرون السطوح يعلنونها فما اسطاعوا ان يظهروا - وسُرَرًا
بفتح السين الراء لاستئصال الضميتين مع حرفي التضعيف - [أَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ] اللام هي الفارقة بين ان المخففة
والنافية - وقرئ بكسر اللام اي للذي هو متاع الحياة كقوله مَتَلًا مَا بَعُوضَةٌ - ولَمَّا بالتشديد بمعنى الاوان
نافية - وقرئ الا - وقرئ و مأكُلٌ ذَاكَ الا - اما قال خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ فقلل امر الدنيا وصغرها ارفعه ما يقرر

عَقِبَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٥ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ٦ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ
قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ٧ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ٨ أَهَمْ يَقْسِمُونَ

سورة الزخرف ٤٣

الجزء ٢٥

ع ٨

كَلِمَةً عَلَى التَّخْفِيفِ وَفِي عَقِبِهِ كَذَلِكَ - وَفِي عَقِبِهِ أَي فِيمَنْ عَقِبَهُ أَي خَلْفَهُ [بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ] يَعْنِي
أَهْلَ مَكَّةَ وَهُمْ مِنْ عَقِبِ إِبْرَاهِيمَ بِأَلَمِهِ فِي الْعُمُرِ وَالنِّعْمَةِ فَانْتَرَوْا بِالْمَهْلَةِ وَشَغَلُوا بِالتَّنْعَمِ وَاتَّبَاعِ الشَّهَوَاتِ
وَطَاعَةِ الشَّيْطَانِ عَنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ [حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ] وَهُوَ الْقُرْآنُ [وَرَسُولٌ مُّبِينٌ] الرِّسَالَةُ وَاضْهِمَهَا
بِمَا مَعَهُ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَةِ فَكَذَّبُوا بِهِ وَسَمَوْهُ سَاحِرًا وَمَا جَاءَهُ سِحْرًا وَلَمْ يَجِدْ مِنْهُمْ مَّا رَجَاهُ إِبْرَاهِيمُ - وَقَرِئَ
بَلْ مَتَّعْنَا - فَإِنْ قُلْتَ فَمَا وَجْهٌ مِنْ قَرَأَ مَتَّعْتُ بِفَتْحِ التَّاءِ - قُلْتَ كَانَ اللَّهُ تَعَالَىٰ اعْتَرَضَ عَلَىٰ ذَاتِهِ فِي
قَوْلِهِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فَقَالَ بَلْ مَتَّعْتُهُمْ بِمَا مَتَّعْتُهُمْ بِهِ مِنْ طَوْلِ الْعُمُرِ وَالسَّعَةِ
فِي الرِّزْقِ حَتَّىٰ شَغَلَهُمْ ذَلِكَ عَنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَارَادَ بِذَلِكَ الْإِطْذَابَ فِي تَعْيِيدِهِمْ لِأَنَّهُ إِذَا مَتَّعَهُمْ بِزِيَادَةِ النِّعَمِ
وَجَبَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَجْعَلُوا ذَلِكَ سَبَبًا فِي زِيَادَةِ الشُّكْرِ وَالثَّنَاتِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ لَا أَنْ يُشْرِكُوا بِهِ وَيَجْعَلُوا
لَهُ أَتْدَادًا فَمِثَالُهُ أَنْ يَشْكُو الرَّجُلُ إِسَاءَةً مِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ثُمَّ يَقْبَلُ عَلَى نَفْسِهِ فَيَقُولُ أَنْتَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ
بِمَعْرُوفِكَ وَاحْسَانِكَ وَغَرَضُهُ بِهَذَا الْكَلَامِ تَوْبِيخُ الْمَسِيءِ لَا تَقْبِيحُ فَعَلِهِ - فَإِنْ قُلْتَ قَدْ جَعَلَ مَجِيءُ الْحَقِّ
وَالرَّسُولِ غَايَةَ التَّمَتُّعِ ثُمَّ أَرَدَفَهُ قَوْلُهُ [وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ] فَمَا طَرِيقَةُ هَذَا النِّظْمِ وَمَوْدَاهُ - قُلْتَ
الْمُرَادُ بِالتَّمَتُّعِ مَا هُوَ سَبَبٌ لَهُ وَهُوَ اشْتِغَالُهُمْ بِالِاسْتِمْتَاعِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَمَقْتَضِيَاتِهِ فَقَالَ عَزَّ وَعَلَا بَلْ اشْتَغَلُوا
عَنِ التَّوْحِيدِ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ فَخَيَّلَ بِهِذِهِ الْغَايَةَ أَنَّهُمْ تَنَبَّهُوا عِنْدَهَا عَنْ غَفْلَتِهِمْ لِاقْتِضَائِهَا
النَّذْبَةَ ثُمَّ ابْتَدَأَ قِصَّتَهُمْ عِنْدَ مَجِيءِ الْحَقِّ فَقَالَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ جَاءُوا بِمَا هُوَ شَرٌّ مِنْ غَفْلَتِهِمُ اللَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا
وَهُوَ أَنْ ضَمُّوا إِلَى شُرَكَائِهِمْ مَعَانِدَةَ الْحَقِّ وَمُكَابَرَةَ الرُّسُولِ وَمَعَادَاتُهُ وَالِاسْتِخْفَافَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَشُرَائِعِهِ وَالِاصْرَارَ
عَلَى أَعْمَالِ الْكُفْرِ وَالِاحْتِكَامَ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ فِي تَخْيِيرِ مُحَمَّدٍ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ بِقَوْلِهِمْ [لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ
عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ] وَهِيَ الْغَايَةُ فِي تَشْوِيهِ صُورَةِ أَمْرِهِمْ - قَرِئَ عَلَى رَجُلٍ بِسُكُونِ الْحَيِّمِ - مِّنَ
الْقَرْيَتَيْنِ مِنْ أَحَدَى الْقَرْيَتَيْنِ كَقَوْلِهِ يُخْرِجُ مِنْهُمَا الْمُلُوكَ وَالْمَرْجَانُ أَي مِنْ أَحَدِهِمَا - وَالْقَرْيَتَانِ مَكَّةَ وَالطَّائِفَ -
وَقِيلَ مِنْ رَجُلَيْ الْقَرْيَتَيْنِ وَهُمَا الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ الْمُخْزُومِيُّ وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُعْمِرِ الثَّقَفِيِّ عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مُجَاهِدٍ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَكَذَانَةُ بْنُ عَبْدِ يَالِيلٍ - وَعَنْ قَتَادَةَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ وَعُرْوَةُ بْنُ
مُسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ وَكَانَ الْوَلِيدُ يَقُولُ لَوْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ لَنَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَيَّ أَوْ عَلَى أَبِي مُسْعُودٍ
الثَّقَفِيِّ وَأَبُو مُسْعُودٍ كَنِيَّةُ عُرْوَةَ بْنِ مُسْعُودٍ مَا زَالُوا يُذَكِّرُونَ أَنْ يَدْعِيَ اللَّهُ بِشَرِّ رُسُلِهِمَا فَلَمَّا عَلِمُوا بِتَكْرِيرِ
اللَّهِ الْحُجَّجِ أَنَّ الرُّسُلَ لَمْ يَكُونُوا إِلَّا رَجَالًا مِنْ أَهْلِ الْقُرَى جَاءُوا بِالْإِنْكَارِ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ وَهُوَ تَحْكُمُهُمْ أَنْ يَكُونَ
أَحَدُ هَذَيْنِ - وَقَوْلُهُمْ هَذَا الْقُرْآنُ ذَكَرَ لَهُ عَلَى وَجْهِ الْاسْتِهَانَةِ - وَارَادُوا بِعَظَمِ الرَّجُلِ رِيَاسَتَهُ وَتَقَدُّمَهُ فِي الدُّنْيَا وَ
عَزَبًا عَنْ عَقْلِهِمْ أَنَّ الْعَظِيمَ مَنْ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا [أَهَمْ يَقْسِمُونَ رَحِمَتَ رَبِّكَ] هَذِهِ الْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ الْمُسْتَقْتَلِ

سورة الزخرف ٤٣
الجزء ٢٥
ع ٧

مَثَلًا ظَلَّ رُجُوهَ مَسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ أَوْ مَنْ يَدْعُوا فِي الْحَنَاءِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ
الَّذِينَ هُمْ عِبُدُ الرَّحْمَنِ أَنْثَىٰ ۝ أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ ۝ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا
عَبَدْنَاهُمْ ۝ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ أَمْ أَتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ۝ بَلْ قَالُوا إِنَّا

عليها وفيه انه جعل النشء في الزينة والذعومة من المعاييب والمذام وانه من صفة ربات الحجال فعلى
الرجل ان يجتذب ذلك ويأنف مذه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعدوا
وان اراد ان يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى - وقرئ يَدْعُوا - وَيَدْعُوا - وَيَدْعُوا ونظير المناشاة
بمعنى الانشاء المغالة بمعنى الغلاء - قد جمعوا في كفره ثلث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد
ونسبوا اليه اخس الذوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم اكرم عباد الله على الله فاستحقوا بهم واحتقرهم -
و قرئ [عِبُدُ الرَّحْمَنِ] - وَعَبِيدُ الرَّحْمَنِ - وَعِندَ الرَّحْمَنِ - وهو مثل لزلقاتهم واختصاصهم - و [إِنَّا] - وَأَنَّا جَمَعَ
الجمع - ومعنى جَعَلُوا سَمَوْا وقالوا انهم اناث - و قرئ [أَشْهَدُوا] - وَأَشْهَدُوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة - وَأَشْهَدُوا
بالف بينهما وهذا تهكم بهم يعزي انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم
الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق الا ان يشاهدوا
خلقهم فاخبروا عن المشاهدة [سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ] اللتي شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم [وَيَسْأَلُونَ]
وهذا وعيد - و قرئ سَيُكْتَبُ - وَسَتُكْتَبُ بالياء والنون - وَشَهَادَتُهُمْ - وَشَهَادَتُهُمْ - وَيَسْأَلُونَ عَلَى يَفْعَلُونَ -
[وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ] هما كفرتان ايضا مضمومتان الى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة
من دون الله وزعمهم ان عبادتهم بمشيئة الله كما يقول اخوانهم المجبرة - فَاَنْ قُلْتَ مَا أَنْكَرْتَ عَلَى مَنْ
يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين - قُلْتَ لا دليل على انهم قالوه
مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل - على ان الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل الذم والشهادة بالكفر انهم
جَعَلُوا له من عبادة جزأ - وانه اتَّخَذَ بذات واصفاهم بالبدين - وانهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثا - وانهم عبدوهم
وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا
المحكي الذي هو ايمان عنده لوجدوا في النطق به مدحا لهم من قبل انها كلمات كفر نطقوا بها على
طريق الهزء فبقي ان يكونوا جادين ويشترك كلها في انها كلمات كفر - فَاِنْ قَالُوا نجعل هذا الاخير وحده
مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا تعويج كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزأ ام يكن لقوله تعالى مَا لَهُمْ بِذَلِكَ
مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب ان يذكر عليه
استهزاء ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الحق جاداً كان او هازئاً - فَاِنْ قُلْتَ ما قولك فيمن
يفسر ما لهم بقولهم ان الملائكة بذات الله مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم

الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿٢﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادَةٍ جُزْأً ط إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿٣﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَحَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿٤﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ

بهم لا يذكرون الا الشيطان و لا يتمثلون الا اوامره - وقد باغضني ان بعض السلاطين ركب و هو يشرب من
بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيرة و لا احس به فكم
بين فعل اولئك الراكبين و بين ما امر الله به في هذه الآية - و قيل يذكرون عند الركوب ركوب الجذابة
[وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادَةٍ جُزْأً] متصل بقوله وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ اَيُّ وَلَدٍ سَأَلْتَهُمْ عَنْ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَعْتَرِفُنَّ بِهِ وَقَدْ
جَعَلُوا لَهُ مَعَ ذَلِكَ الاعتراف من عبادة جزأ فوصفوه بصفات المخلوقين - و معنى مِنْ عِبَادَةٍ جُزْأً أَنْ قَالُوا
لَلْمَلَكَةِ بَنَاتٍ اللَّهُ فَجَعَلُوهُم جُزْأً لَهُ وَبَعْضًا مِنْهُ كَمَا يَكُونُ الْوَلَدُ بَضْعَةً مِنَ وَالِدَةٍ وَجُزْأً لَهُ - وَ مِنْ بَدَعِ التَّفَاسِيرِ
تفسير الجزء بالاناث و ادعاء ان الجزء في لغة العرب اسم للاناث و ماهو الا كذب على العرب و وضع مستحدث
منحول و لم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا و بيتا * ع * ان اجزأت حرة يوما فلا
عجب * ع * زوجتها من بنات الؤس مجزئة * و قرئ جُزْأً بضمين [كَفُورٌ مُّبِينٌ] ليجود للنعمة ظاهر جوده
لأن نسبة الولد اليه كفرو الكفر اصل الكفران كله [أَمْ اتَّخَذَ] بل اتخذ و الهمزة للانكار تجهيلا لهم و تعجيلا
من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا لله من عبادة جزأ حتى جعلوا ذاك الجزء شر الجزئين و هو الاناث
دون الذكور على انهم انفر خلق الله عن الاناث و امقتهم لهم و لقد بلغ بهم المقت الى ان رأدوهن كأنه
قيل هبوا ان اضافة اتخان الولد اليه جائزة فرضا و تمثيلا اما تستحيون من الشطط في القسمة و من ادعائكم
انه اترككم على نفسه بخير الجزئين و اعلاهما و ترك له شرهما و ادناهما - و تنكير بذت و تعريف البنين
و تقديمهم في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ [بِمَا ضَرَبَ
لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا] بالجنس الذي جعله له مثلا اي شبيها لانه اذا جعل الملكة جزأ لله و بعضا منه فقد
جعله من جنسه و مماثلا له لأن الولد لا يكون الا من جنس الوالد يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس و من
حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم و اربد وجهه غيظا و تأسفا و هو مملو من الكرب -
و عن بعض العرب ان امرأته وضعت انثى فهجرو البيت الذي فيه المرأة فقالت * شعر * ما لابي حمزة لا يأتينا *
يظل في البيت الذي يلينا * غضبان ان لا نلد البنينا * ليس لنا من امرنا ما شئنا * و انما نأخذ ما أعطينا * و الظل
بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر الافعال المانصة بمعناها - و قرئ مَسُودٌ - و مَسُودٌ عَلَى ان في ظل ضمير
المبشر و وجهه مَسُودٌ جملة واقعة موقع الخبر - ثم قال او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة
صفته و هو انه يذشأ في الحلية اي يتربى في الزينة و النعمة و هو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم و مجارة
الرجال كان غير مبين ليس عذبة بيان و لا يأتي ببرهان يحجج به من يخاصمه و ذلك لضعف عقول
النساء و نقصانهن عن فطرة الرجال - يقال قل ما تكلمت امرأة فارادت ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة

وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۖ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۖ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ۖ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا ۚ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ۖ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۖ لَتَسْتَبْشِرُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُونَ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ

فما تصنع بقوله فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ - و ان كان من قول الله فما وجهه - قلت هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله لِيَقُولَنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ الَّذِي من صعد، كَيْت و كَيْتَ لِيَنْسَبَنَّ خلقها الى الذي هذه اوصافه و لِيَسْتَبْشِرُوا اليه - [بِقَدَرٍ] بمقدار يسلم معه الجبال و العباد و لم يكن طوفانا - و [الْأَزْوَاجَ] الاصناف [مَا تَرْكَبُونَ] ابي ما تركبونه - فان قلت يقال ركبوا الانعام و ركبوا في الفلك و قد ذكر الجنسين فيكشف قال تركبونه - قلت غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقل تركبونه [عَلَى ظُهُورِهِ] على ظهور ما تركبون و هو الفلك و الانعام - و معنى ذكر نعمة الله عليهم ان يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بالاسنتيم و هو ما يروى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا اِلَى قَوْلِهِ لَمَنْقَلِبُونَ و كبر ثلثا و هل ثلثا - و قالوا اذا ركب في السفينة قال بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَ مَرْسِيهَا اِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ - و عن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه رأى رجلا ركب دابة فقال سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا فقال ابهذا امرتم فقال و به امرنا قال ان تذكروا نعمة ربكم كان قد اغفل التحميد فذنبه عليه و هذا من حسن مراعاتهم لآداب الله و محافظتهم على دقيقها و جليلها جعلنا الله من المقتدين بهم و السائرين بسيرتهم فما احسن بالعاقل النظر في لطائف الصداقات فكيف بالنظر في لطائف الديانات [مُقَرَّنِينَ] مطيقين يقال اقرن الشيء اذا اطاقه قال ابن هرمة * ع * و اقرنت ما حملتني و لقل ما * يطاق احتمال الصدا يدعد و البحر * و حقيقة اقترنه و جده قرينته و ما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف الا ترى الى قولهم في الضعيف لا تقرون به الصعبة - و قرى مُقَرَّنِينَ و المعنى واحد - فان قلت كيف اتصل بذلك قوله و انا اِلَى رَبِّنَا لَمَنْقَلِبُونَ - قلت كم من راكب دابة عثر به او شمس او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك و كم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة امر مخطر و اتصالا بسبب من اسباب التلف كان من حق الراكب و قد اتصل بسبب من اسباب التلف ان لا ينسى عند اتصاله به يومه و انه هالك لا محالة فمقلب الى الله غير منفلت من قضائه و لا يدع ذكر ذلك بقلبه و لسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه و الحذر من ان يكون ركوبه ذلك من اسباب موته في علم الله و هو غافل عنه و يستعين بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا فننزهة على الخيل اذ في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اواني الخمر و المعارف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم و هم على ظهور الدواب او في بطون السفن و هي تجوي

حَكِيمٌ ۖ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ۝ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ۖ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ فَاهْلِكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۖ وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

الْمُبِينِ الْبَيِّنِ لِلَّذِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ لَأَنَّهُ بُلَغَتْهُمْ وَأَسَالِيْبُهُمْ - وَقِيلَ الْوَاضِحُ لِلْمُتَدَبِّرِينَ - وَقِيلَ الْمُبِينِ الَّذِي أَبَانَ طَرِيقَ الْهُدَى مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالَةِ وَأَبَانَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ فِي أَبْوَابِ الدِّيَانَةِ - جَعَلْنَاهُ بِمَعْنَى صَيَّرْنَاهُ مَعْدَى إِلَى مَفْعُولِينَ - أَوْ بِمَعْنَى خَلَقْنَاهُ مَعْدَى إِلَى وَاحِدٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ - وَ قُرُونًا عَرَبِيًّا حَالٌ - وَلَعَلَّ مُسْتَعَارًا لِمَعْنَى الْإِرَادَةِ لِتَلَاخُظِ مَعْنَاهَا وَمَعْنَى التَّرْجِيهِ أَيْ خَلَقْنَاهُ عَرَبِيًّا غَيْرَ عَجْمِيٍّ إِرَادَةً أَنْ تَعْقِلَهُ الْعَرَبُ وَلَوْلَا يَقُولُوا لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَتُهُ - وَقُرِئَ أَيْ الْكِتَابِ بِالْكَسْرِ وَهِيَ اللَّوْحُ كَقَوْلِهِ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي أَوْجٍ مَحْفُوظٍ سُمِّيَ بِأَمِ الْكِتَابِ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ الَّذِي أُتْبِتَتْ فِيهِ الْكِتَابُ مِنْهُ تُنْقَلُ وَتُسْتَنْسَخُ [عَلَيْ] رَفِيعُ الشَّيْءِ فِي الْكِتَابِ لِكُونِهِ مُعْجَزًا مِنْ بَيْنِهَا [حَكِيمٌ] ذُو حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ أَيْ مَنَزَلَتُهُ عِنْدَنَا مَنَزَلَةُ كِتَابٍ هُمَا صِفَتَاهُ وَهُوَ مُتْبِتٌ فِي أَمِ الْكِتَابِ هَكَذَا [أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا] بِمَعْنَى أَفَنَنْخِصِي عَنْكُمْ الذِّكْرَ وَنَذِرُهُ عَنْكُمْ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ عَنْ قَوْلِهِمْ ضَرْبَ الْغَرَائِبِ عَنِ الْخَوْضِ وَمِنْهُ قَوْلُ الْحَجَّاجِ * ع * وَالضَّرْبُ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْأَبْلِ * وَقَالَ طَرَفَةُ * شَعْرٌ * أَضْرَبَ عَنْكَ الْهَمُومَ طَارِقَهَا * ضَرْبَكَ بِالسَّيْفِ قَوْنَسَ الْفَرْسِ * وَالْفَاءُ لِلْعُطْفِ عَلَى مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أَهْمَلَكُمْ فَضَرْبَ عَنْكُمْ الذِّكْرَ انْكَارًا لَأَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ مَا قَدَّمَ مِنْ أَنْزَالِهِ الْكِتَابَ وَخَلَقَهُ قَرَأْنَا عَرَبِيًّا لِيَعْقِلُوهُ وَيَعْمَلُوا بِمَوَاجِبِهِ - وَ صَفْحًا عَلَى وَجْهَيْنِ - إِمَّا مَصْدَرٌ مِنْ صَفَحَ عَنْهُ إِذَا أَعْرَضَ مُنْتَصِبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ عَلَى مَعْنَى أَفْنَعِزْ عَنْكُمْ أَنْزَالَ الْقُرْآنِ وَالْزَّمَ الْحُجَّةَ بِهِ إِعْرَاضًا عَنْكُمْ - وَإِمَّا بِمَعْنَى الْجَانِبِ مِنْ قَوْلِهِمْ نَظَرَ إِلَيْهِ بِصَفْحٍ وَجْهَهُ وَصَفْحَ وَجْهَهُ عَلَى مَعْنَى إِنْخَصِيهِ عَنْكُمْ جَانِبًا فَيَنْتَصِبُ عَلَى الظَّرْفِ كَمَا تَقُولُ ضَعْنَاهُ جَانِبًا وَامْشِ جَانِبًا وَيَعْضُدُهُ قِرَاءَةً مِنْ قَرَأَ صَفْحًا بِالضَّمِّ وَفِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ وَجْهٌ آخَرٌ هُوَ أَنْ يَكُونَ تَخْفِيفُ صَفْحٍ جَمْعُ صَفُوحٍ وَيَنْتَصِبُ عَلَى الْحَالِ أَيْ صَافِحِينَ مُعْرِضِينَ [أَنْ كُنْتُمْ] أَيْ لَأَنْ كُنْتُمْ - وَقُرِئَ إِنْ كُنْتُمْ - وَإِنْ كُنْتُمْ - فَانْ قُلْتَ كَيْفَ اسْتِقَامَ مَعْنَى إِنْ الشَّرْطِيَّةُ وَقَدْ كَانُوا مُسْرِفِينَ عَلَى الْبَيِّنَاتِ - قُلْتَ هُوَ مِنَ الشَّرْطِ الَّذِي ذَكَرْتَ أَنَّهُ يَصْدُرُ عَنِ الْمَدَلِّ بِصَحَّةِ الْأَمْرِ الْمَتَحَقِّقِ لِثَبُوتِهِ كَمَا يَقُولُ الْأَجِيرُ إِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ لَكَ فَوْقَ ذِي حَقِّي وَهُوَ عَالَمٌ بِذَلِكَ وَلَكِنَّهُ يَخِيلُ فِي كَلَامِهِ أَنَّ تَفْرِيطَكَ فِي الْخُرُوجِ عَنِ الْحَقِّ فَعَلٌ مِنْ لَهْ شَكٍّ فِي الْأَسْتَحْقَاقِ مَعَ وَضُوحِهِ (سَتَجِبُهَا لَهُ [وَمَا يَأْتِيهِمْ] حِكَايَةِ حَالٍ مَاغِيَةٍ مُسْتَمَرَّةٍ أَيْ كَانُوا عَلَى ذَلِكَ وَهَذِهِ تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ اسْتِهْزَاءِ قَوْمِهِ - الضَّمِيرُ فِي [أَشَدَّ مِنْهُمْ] لِلْقَوْمِ الْمُسْرِفِينَ لِأَنَّهُ صَرَفَ الْخُطَابَ عَنْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُخَبِّرُهُ عَنْهُمْ [وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ] أَيْ سَلَفَ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْهُ ذَكَرَ قِصَّتَهُمْ وَحَالَهُمُ الْعَجِيبَةَ الَّتِي حَقَّقَهَا أَنْ تَسِيرَ مَسِيرَ الْمَثَلِ وَهَذَا وَعْدُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعِيدٌ لَهُمْ - فَانْ قُلْتَ قَوْلُهُ [لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ] وَمَا سُرَّ مِنْ الْأَوْصَافِ عَقِيدَةٍ - إِنْ كَانَ مِنْ قَوْلِهِمْ

حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ ط إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا مِنْ
أَمْرِنَا ط مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ط
وَأَنْتَ لَنَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٦ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ط لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
تَصِيرُ الْأُمُورُ ٧

سورة الزخرف ٤٣

الجزء ٢٥

ع ٦

حروفها
٣٩٥٦

سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون آية وسبعة ركوعا *

كلماتها
٨٤٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥

حَسْمٌ ٥ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٦ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٧ وَإِنَّهُ فِي آَمِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِي

ان يقدر قواه أو من وراء حجاب تقديراً يطابقهما عليه نحو أو ان يُسمع من وراء حجاب - و قرى أو يرسل رسولاً
فيُوحى بالرفع على أو هو يرسل - أو بمعنى مرسل عطف على وحياً في معنى موحياً - و روي ان اليهود قالت للنبي
صلى الله عليه وآله وسلم ألا تكلم الله و تنظر اليه ان كنت نبياً كما كلمه موسى و نظر اليه فأننا لن نؤمن
لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت - و عن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمداً
رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت أو لم تسمعوا ربكم يقول فقلت هذه الآية - [إِنَّهُ عَلِيمٌ] عن
صفات المخلوقين [حَكِيمٌ] يُجْرِي أَعْمَالَهُ عَلَى مَرْجَبِ الْحِكْمَةِ فَيَكَلِّمُ تَارَةً بِوَاسِطَةٍ وَ أُخْرَى بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ إِمَّا
الِهَاماً وَ إِمَّا خَطَاباً * [رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا] يريد ما أوحى اليه لان الخلق يحبون به في دينهم كما يحبى
الجسد بالروح - فان قلت قد علم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يدري ما القرآن قبل
نزوله عليه فما معنى قواه [وَلَا الْإِيمَانُ] و الانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا و تمكنوا من النظر و الاستدلال ان
يُخْطِئُوا الايمان بالله و توحيدة و يجب ان يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر و من الصغائر اللتي
فيها تذكير قبل المبعث و بعده فكيف لا يعصمون من الكفر - قلت الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق
اليه العقل و بعضها الطريق اليه السمع فعني به ما الطريق اليه السمع دون العقل و ذاك ما كان له فيه
علم حتى كسبه بالوحي الا ترى انه قد فسر الايمان في قوله تعالى وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ بِالصَّلَاةِ
لأنها بعض ما يتناولها الايمان [مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا] مَنْ لَهُ لَطْفٌ وَ مَنْ لَا لَطْفَ لَهُ فَلَا هِدَايَةَ تُجْدِي عَلَيْهِ
[صِرَاطِ اللَّهِ] بدل - و قرى لتهدي اي يهديك الله - و قرى لندعوا - عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وآله وسلم مَنْ قَرَأَ حُمُوعًا كَانَ مِمَّنْ يَصَلِّي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَ يَسْتَرْحِمُونَ لَهُ *

سورة الزخرف

اقسم بالكتاب المبين و هو القرآن و جعل قواه [إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا] جواباً للقسم و هو من الايمان الحسنة
البدیعة لتناسب القسم و المقسم عليه و كونهما من واحد و نظيرة قول ابي تمام * ع * و نذایك انھا اغریض *

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ط يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ط يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ٥ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا
وَأُنثَى ٦ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ط إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ٧ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ

على الذكور مع تقدمهم عليهم ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما ذكر الاناث - قامت لانه ذكر البلاء
في آخر الآية الاولى و كفران الانسان بنسيان الرحمة السابقة غداة ثم عقبه بذكر ملكه ومشيتته وذكر قسمة
الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاء لا ما يشاءه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة
ما لا يشاءه الانسان اهم و الاهم واجب التقديم و ليلي الجنس الذي كانت العرب تعدّه بلاء ذكر البلاء و
آخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم احقّاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تفويهُ و تشهير
كأنه قال و يهب لمن يشاء الفُرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين
حقّه من التقديم و التأخير و عرف ان تقدمهم لم يكن لتقدمهم ولكن لمقتضى اخر فقال ذُكْرَانًا وَأُنثَى
كما قال إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى - فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى - و قيل فزلّت في الانبياء صلوات
الله عليهم و سلامه حيث وهب لشعيب و لوط اناثا و لابراهيم ذكورا و لمحمد ذكورا و اناثا و جعل يحيى
و عيسى عقيمين [إِنَّهُ عَلِيمٌ] بمصالح العباد [قَدِيرٌ] على تكوين ما يصلحهم • [وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ]
و ما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا على ثلاثة اوجه - إما على طريق الوحي و هو الالهام و القذف
في القلب او المنام كما اوحى الى أم موسى و الى ابراهيم عليه السلام في ذبح ولده - و عن مجاهد اوحى
الله الزبور الى داود عليه السلام في صدرة - قال عبيد بن ابرص • شعر • و اوحى اليّ الله ان قد تأمروا •
بإبل ابي اوفى فقامت على رجلي • اي الهمني و قذف في قلبي - و إما على ان يُسمعه كلامه الذي
يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يُبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي - و قوله [مِنْ وَرَاءِ
حِجَابٍ] مثل اي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه و هو من وراء حجاب فيسمع صوته و لا يرى
شخصه و ذلك كما كلم موسى و يكلم الملكة - و إما على ان يرسل اليه رسولا من الملكة فيدعي الملك
اليه كما كلم انبياء غير موسى - و قيل وحيًا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملكة [أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا] اي نبيًا
كما كلم اسم الانبياء على ألسنتهم - و وحيًا - و أن يُرْسِلَ مصدران واقعان موقع الحال لان أن يُرْسِلَ في معنى
ارسلًا و من وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضًا كقوله تعالى و على جدوهم و التقديم و ما صح ان
يكلم احدا الا موحيا او مُسمعا من وراء حجاب او مُرسلا - و يجوز ان يكون وحيًا موضوعا موضع كلاما
لان الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا اكلمه الا جهرا و الاخفاتا لان الجهر و الاخفات ضربان من الكلام
و كذلك ارسلًا جعل الكلام على لسان الرسول بمغزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا و انما قاله و كيدك
او رمالك - و قوله أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ معناه او اسماعًا من وراء حجاب و من جعل وحيًا في معنى ان
يوحي و عطف يُرْسِلَ عليه على معنى و ما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحى او بان يرسل فعليه

سورة الشورى ١٤٢
الجزء ٢٥
ع ٥

الصَّلَاةَ ۖ وَآمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۖ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ۖ وَجُزْأًا
مِّنْهُ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۚ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۖ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ
فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ ۗ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ
أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۖ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ دَلِيلٍ مِّنْ

أي هم الخصماء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب أخلاصهم كما يغول حلوم الناس والمجني بهم
واقعا مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون [والذين استجابوا لربهم] نزلت
في الانتصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به واطاعوه [وأقاموا الصلوة]
واتموا الصلوات الخمس - وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة اذا
كان بينهم امر اجتمعوا وتشاوروا فائتوا الله عليهم أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه - وعن الحسن
ما تشاور قوم ألا هودا لا رشد امرهم - والشورى مصدر كالتقيا بمعنى التشاور ومعنى قوله [وأمرهم
شورى بينهم] أي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمر بن الخطاب
رضي الله عنه الخلافة شورى - هو ان يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا - وعن النخعي
انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان يذلتوا انفسهم فيجترى عليهم الفساق - فان قامت أهم محمودون على
الانتصار - قلت نعم لان من اخذ حقه غير معتد حد الله وما امر به فلم يسرف في القتل ان كان ولي
دم اورد على سفيه محاماة على عرضه ار دعاه فهو مطيع وكل مطيع محمود - كلنا القلتين الاولى
وجزأها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عذرك يريد ما
يسوءهم من المصائب والبلايا والمعنى انه يجب اذا قوبلت الامساء ان تقابل بمثلها من غير زيادة فاذا
قال اخذاك الله قال اخذاك الله [فمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ] بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال فاذا
الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم [فأجره على الله] عدة مبهمه لا يقاس امرها في العظم -
وقوله [إنه لا يحب الظالمين] دلالة على ان الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السوية والاعتداء خصوصا في
حال الحر والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر - وعن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم
ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله [بعد
ظلمه] من اضافة المصدر الى المفعول ويفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم [فأولئك] اشارة الى معنى
من دون لفظه [ما عليهم من سبيل] للمعاقب ولا للعائب والعائب [إنما السبيل على الذين
يظلمون الناس] يبتدؤنهم بالظلم [ويبغون في الأرض] يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون [ولمن صبر]
على الظلم والاذى [وغفر] ولم ينتصر وفوض امره الى الله [ان ذلك] منه [لمن عزم الأمور] وحذف

فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۖ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَمَنَّ رَوَادِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ط إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝
 أَوْ يُوقِنَ ۖ بِمَا كَسَبُوا ۚ وَ يَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ۝ وَ يَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آلِهَتِنَا ط مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ ۝ فَمَا
 أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝
 وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَ الْقَوَاحِشَ ۚ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۝ وَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَ أَقَامُوا

سورة الشورى ٤٢

الجزء ٢٥

ع ٤

الربع

[رَوَادِدَ] ثوابت لا تجري [عَلَى ظَهْرِهِ] عَلَى ظَهْرِ الْبَحْرِ [لِكُلِّ صَبَّارٍ] عَلَى بَلَاءِ اللَّهِ [شَكُورٍ] لَذَمَائِهِ
 وَ هُمَا صَفَتَا الْمُؤْمِنِ الْمَخْلَصِ فَجَعَلَهُمَا كَنَايَةً عَنْهُ وَ هُوَ الَّذِي وَكَّلَ هَمَّتَهُ بِالنَّظَرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ فَهُوَ يَسْتَمْلِي مِنْهَا
 الْعِبَرَ [يُوقِنَ] يَهْلِكُهُنَّ وَ الْمَعْنَى أَنَّهُ إِنْ يَشَأْ يَبْدِلُ الْمَسَافِرِينَ فِي الْبَحْرِ بِأَحَدِي بَلِيَّتَيْنِ - إِمَّا أَنْ يُسْكِنَ
 الرِّيحَ فَيَرْكُدَ الْجَوَارِي عَلَى مَتْنِ الْبَحْرِ وَ يَمْنَعُهُنَّ مِنَ الْجَرِيِّ - وَ إِمَّا أَنْ يَرْسِلَ الرِّيحَ عَاصِفَةً فَيَهْلِكُهُنَّ اغْرَاقًا
 بِسَبَبِ [مَا كَسَبُوا] مِنَ الذُّنُوبِ وَ يَعْفُو [عَنْ كَثِيرٍ] مِنْهَا - فَانْ قَلْتَ عَاطِفٌ يُوقِنُ - قَلْتَ عَلَى
 يُسْكِنُ لَأَنَّ الْمَعْنَى إِنْ يَشَأْ يُسْكِنُ الرِّيحَ فَيَرْكُدْنَ أَوْ يَعْصِفُهَا فَيَغْرِقْنَ بَعْضُهَا - فَانْ قَلْتَ فَمَا مَعْنَى ادْخَالِ الْعَفْوِ
 فِي حُكْمِ الْإِبْدَاقِ حَيْثُ جُزِمَ جُزْمُهُ - قَلْتَ مَعْنَاهُ أَوْ إِنْ يَشَأْ يَهْلِكُ نَاسًا وَ يُنْجِي نَاسًا عَلَى طَرِيقِ الْعَفْوِ عَنْهُمْ -
 فَانْ قَلْتَ فَمَنْ قَرَأَ وَ يَعْفُو - قَلْتَ قَدْ اسْتَأْنَفَ الْكَلَامَ - فَانْ قَلْتَ فَمَا وَجْهَ الْقِرَاطَاتِ الثَّلَاثِ فِي [وَ يَعْلَمُ] - قَلْتَ - إِمَّا
 الْجُزْمَ فَعَلَى ظَاهِرِ الْعَطْفِ - وَ إِمَّا الرِّفْعَ فَعَلَى اسْتِثْنَاءِ - وَ إِمَّا النِّصْبَ فَلِلْعَطْفِ عَلَى تَعْلِيلِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ
 لِيَنْتَقِمَ مِنْهُمْ وَ يَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ وَ نَحْوَهُ فِي الْعَطْفِ عَلَى التَّعْلِيلِ الْمَحْذُوفِ غَيْرِ عَزِيزٍ فِي الْقُرْآنِ مِنْهُ
 قَوْلُهُ تَعَالَى وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَ قَوْلُهُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ لَنُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ -
 وَ إِمَّا قَوْلَ الزَّجَاجِ الذَّصْبُ عَلَى اضْمَارِ أَنْ لَأَنَّ قَبْلَهَا جُزَاءَ تَقُولُ مَا تَصْنَعُ أَصْنَعُ مِثْلَهُ وَ أَكْرَمْتُكَ وَ إِنْ شِئْتَ
 وَ أَكْرَمْتُكَ عَلَى وَ إِنْ شِئْتَ وَ أَكْرَمْتُكَ جُزْمًا فَفِيهِ نَظَرٌ لِمَا أوردَهُ سَيِّدِي فِي كِتَابِهِ قَالَ وَ اعْلَمُ أَنَّ الذَّصْبَ
 بِالْفَاءِ وَ الْوَافِي قَوْلُهُ إِنْ تَأْتِي أَتَيْكَ وَ أُعْطِيكَ ضَعِيفٌ وَ هُوَ نَحْوُ مَنْ قَوْلُهُ * ع * وَ الْحَقُّ بِالْحَجَّازِ فَاسْتَرْيَحَا *
 فَهَذَا يُجُوزُ لَيْسَ بِحَدِّ الْكَلَامِ وَ لَا وَجْهٌ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْجُزْمِ صَارَ أَقْوَى قَلِيلًا لِأَنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ أَنَّهُ يَفْعَلُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
 مِنَ الْأَوَّلِ فَعَلْ فَلَمَّا ضَارَعَ الَّذِي لَا يُوْجِبُهُ كَالِاسْتِفْهَامِ وَ نَحْوِهِ أَجَازُوا فِيهِ هَذَا عَلَى ضَعْفِهِ وَ لَا يُجُوزُ أَنْ تَحْمِلَ
 الْقِرَاطَةُ الْمُسْتَفِيزَةَ عَلَى وَجْهِ ضَعِيفٍ لَيْسَ بِحَدِّ الْكَلَامِ وَ لَا وَجْهٌ وَ لَوْ كَانَتْ مِنْ هَذَا الْبَابِ لَمَّا أَخْلَى
 سَيِّدِي مِنْهَا كِتَابَهُ وَ قَدْ ذَكَرَ نَظَائِرَهَا مِنَ الْآيَاتِ الْمَشْكُوكَةِ - فَانْ قَلْتَ فَكَيْفَ يَصِحُّ الْمَعْنَى عَلَى جُزْمِ وَ يَعْلَمُ -
 قَلْتَ كَأَنَّهُ قَالَ أَوْ إِنْ يَشَأْ يَجْمَعُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ هَلَاكِ قَوْمٍ وَ نَجَاةِ قَوْمٍ وَ تَحْذِيرِ أُخْرَيْنَ [مِنْ مَّخِصٍ]
 مِنْ مَحِيدٍ عَنْ عِقَابِهِ [مَا] الْأُولَى ضَمِنَتْ مَعْنَى الشَّرْطِ فَجَاءَتْ الْفَاءُ فِي جَوَابِهَا بِخِلَافِ الثَّانِيَةِ - عَنْ عَلِيٍّ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجْتَمَعَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَالٌ فَتَصَدَّقَ بِهِ كُلَّهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْخَيْرُ فَلَامَهُ الْمُسْلِمُونَ
 وَ خَطَّاهُ الْكَافِرُونَ فَذُكِرَتْ - [وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ] عَطْفٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَذَلِكَ مَا بَعْدَهُ وَ مَعْنَى [كَبِيرُ
 الْإِثْمِ] الْكِبَارُ مِنْ هَذَا الْجَنْسِ - وَ قَرِئَ كَبِيرُ الْإِثْمِ - وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَبِيرُ الْإِثْمِ هُوَ الشَّرْكُ [هُمْ يَغْفِرُونَ]

بَسَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ط وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۝ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ۝ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۝ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ

[وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ] أي بركات الغيث و منافع و ما يحصل به من الخصب - و عن عمر رضي الله عنه انه قيل له اشتد القحط و قنط الناس فقال مطروا اذن اراد هذه الآية - و يجوز ان يريد رَحْمَتَهُ في كل شيء كأنه قال ينزل الرحمة التي هي الغيث و ينشر غيرها من رحمته الواسعة [الْوَلِيِّ] الذي يتولى عبادة باحسانه [الْحَمِيدُ] المحمود على ذلك بحمده اهل طاعته * [وَمَا بَسَّ] يجوز ان يكون مجرورا و مرفوعا يحمل على المضاف اليه او المضاف - فان قلت لم جاز فيهما [مِنْ دَابَّةٍ] و الدواب في الارض وحدها - قلت يجوز ان ينسب الشيء الى جميع المذكور و ان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل و انما هو في فخذ من اخاذهم او فصيلة من فصائلهم و بنو فلان فعلوا كذا و انما فعله نُوَيْسٌ منهم و منه قوله تعالى يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ و انما يخرج من الملح - و يجوز ان يكون للملئكة عليهم السلام مشي مع الطير ان فيوصفوا بالديب كما يوصف به الاناسي و لا يبعد ان يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض سبحانه الذي خلق ما نعلم و ما لا نعلم من اصناف الخلق [اِذَا] تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى وَ الْيَلْدُ اِذَا يَغْشَى و منه اِذَا يَشَاءُ و قال * شعر * و اذا ما اشاء ابعت منها * اخر الليل ناشطا مدعورا * في مصاحف اهل العراق [فَبِمَا كَسَبَتْ] باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط - و في مصاحف اهل المدينة بما كَسَبَتْ بغير فاء على ان ما مبتدأة و بما كَسَبَتْ خبرها من غير تضمين معنى الشرط - و الآية مخصوصة بالمجرمين و لا يمتنع ان يستوفي الله بعض عقاب المجرم و يعفو عن بعض فاما من لاجرم له كالانبياء و الاطفال و المجاندين فهؤلاء اذا اصابهم شيء من الم او غيره فللعوض الموفى و المصلحة - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب و كما يعفو الله عنه اكثر - و عن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن و المصائب باكتسابه و ان ما عفا عنه مولا اكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه - و عن اخر العبد ملازم للجذائيات في كل اوان و جذائياته في طاعته اكثر من جذائياته في معاصيه لان جذاية المعصية من وجه و جذاية الطاعة من وجوه و الله يطهر عبده من جذائياته بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله في القيمة و لولا عفوه و رحمته لهلك في اول خطوة - و عن علي رضي الله عنه و قد رفعه من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في الآخرة و من عوقب في الدنيا لم يثن عليه العقوبة في الآخرة - و عنه رضي الله عنه هذه ارجى آية للمؤمنين في القرآن [بِمُعْجِزِينَ] بفائتين ما قضى عليكم من المصائب [مِنْ وَلِيٍّ] من متول بالرحمة - الْجَوَارِي السُّفُن - و قرئ الْجَوَارِ [كَالْأَعْلَامِ] كالجبال قالت الخنساء * ع * كأنه علم في رأسه نار * و قرئ التريح - [فَيُظْلَلْنَ] بفتح اللام و كسرهما من ظَلَّ يَظِلُّ و يَظِلُّ نَحْوُ ضَلَّ يَضِلُّ و يَضِلُّ

سورة الشورى ٤٢

الجزء ٢٥

ع ٣

يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَكَوَّ بَسْطَ
 اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغْوًا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ ۖ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۖ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ
 الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۖ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۖ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

جابران اعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال اللهم اني استغفرک واتوب
 اليک وکبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الکذابين
 وتوبتک تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان - على الماضي
 من الذنوب الذميمة - ولتضييع الفرائض الاعادة - ورد المظالم - واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية -
 واذقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلالة المعصية - والبكاء بدل كل ضحک ضحکته - [وَيَعْفُوا عَنْ
 السَّيِّئَاتِ] عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر [وَيَعْلَمُ مَا يَقْعُلُونَ] قرى بالثناء
 والياء اي يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته [وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا] ويستجيب
 لهم فحذف اللام كما حذف في قوله وَإِذَا كَالُوهُمْ اي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلا -
 او اذا دعوه استجاب دعائهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم - وقيل الاستجابة فعلهم اي يستجيبون
 له بالطاعة اذا دعاهم اليها [وَيَزِيدُهُمْ] هو [مِنْ فَضْلِهِ] على ثوابهم - وعن سعيد بن جبیر هذا من فعلهم
 يجيدونه اذا دعاهم - وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاءكم فلم تجيدوه
 ثم قرأ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ - وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا * [لَبَغْوًا] من البغي وهو الظلم اي لبغى هذا
 على ذاك وذلك على هذا لان الغنى مبطرة مآثرة وكفى بحال قارون عبدة ومنه قوله صلى الله
 عليه وآله وسلم اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب شعر * وقد جعل الوسمي
 يثبت بيننا * وبين بني رومان نبعا وشوحطا * يعني انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي والتفاتن -
 او من البغي وهو البذخ والكبراي لتكبروا في الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد - وقيل
 نزلت في قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى - قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا
 الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيذها [بِقَدَرٍ] بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا [خَبِيرٌ
 بَصِيرٌ] يعرف ما يؤل اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح لهم واقرب الى جمع شملهم فيفقر ويغني ويمنع
 ويعطي ويقبض ويبسط وكما توجبه الحكمة الربانية واول اغذاهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا - فان قلت
 قد نرى الناس يبغى بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم
 يبغون فلم يبسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه - قلت لا شبهة
 في ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغي والاحجام
 عنه فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن [قَنَطُوا] بفتح النون وكسرهما

أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ۖ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقِّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝

ينوبك فنزلت وردة - وقيل القُرْبَى التقرب الى الله ابي إلا ان تحبوا الله ورسوله في تقريبكم اليه بالطاعة والعمل الصالح - وقرئ الأَمَوْدَةُ فِي الْقُرْبَى [وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً] عن السدي أنها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وودته فيهم والظاهر العموم في أبي حسنة كانت إلا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل ذلك على أنها تناولت المودة تناولاً أولياً كأن سائر الحسنات لها توابع - وقرئ يَزِدْ أَيْ يَزِدُ اللَّهُ وَزِيَادَةُ حَسَنَاتِهَا مِنْ جِهَةِ اللَّهِ مَضَاعِفَتِهَا كَقَوْلِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً - وقرئ حُسْنَى وَهُوَ مَصْدَرُ كَالْبُشْرَى * الشُّكُورُ فِي صِفَةِ اللَّهِ مَجَازٌ لِلْإِعْتِدَادِ بِالطَّاعَةِ وَتَوْفِيَةِ ثَوَابِهَا وَالتَّفَضُّلِ عَلَى الْمَثَابِ - [أَمْ] مِنْقُطَةٌ وَمَعْنَى الْهَمْزَةِ فِيهِ التَّوْبِيخُ كَأَنَّهُ قِيلَ أَيْتِمَا الْكُونَ أَنْ يَنْسَبُوا مِثْلَهُ إِلَى الْإِفْتِرَاءِ ثُمَّ إِلَى الْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ الْفِرَى وَافْحَشُهَا [فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ] فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُجْعَلُكَ مِنَ الْمُخْتَوَمِ عَلَى قُلُوبِهِمْ حَتَّى تَفْتَرِيَ عَلَيْهِ الْكَذِبَ فَإِنَّهُ لَا يُجْتَرَى عَلَى افْتِرَاءِ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِهِمْ وَهَذَا الْإِسْلُوبُ مَوْدَاهُ اسْتِبْعَادُ الْإِفْتِرَاءِ مِنْ مِثْلِهِ وَإِنَّهُ فِي الْبَعْدِ مِثْلُ الشَّرْكِ بِاللَّهِ وَالدَّخُولُ فِي جُمْلَةِ الْمُخْتَوَمِ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَمِثَالُ هَذَا أَنْ يُخَوَّنَ بَعْضُ الْأَمْنَاءِ فَيَقُولُ لَعَلَّ اللَّهَ خَذَلَنِي لَعَلَّ اللَّهَ أَعْمَى قَلْبِي وَهُوَ لَا يَرِيدُ اثْبَاتَ الْخِذْلَانِ وَاعْمَى الْقَلْبَ وَأَمَّا يَرِيدُ اسْتِبْعَادَ أَنْ يُخَوَّنَ مِثْلَهُ وَالتَّذْيِيقُ عَلَى أَنَّهُ رُكِبَ مِنْ تَخْوِينِهِ أَمْرٌ عَظِيمٌ - ثُمَّ قَالَ وَمَنْ عَادَةَ اللَّهِ أَنْ يَمْحُو الْبَاطِلَ وَيُثَبِّتَ الْحَقَّ [بِكَلِمَاتِهِ] بِوَحْيِهِ أَوْ بِقَضَائِهِ كَقَوْلِهِ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ يَعْنِي لَوْ كَانَ مَفْتَرِيًا كَمَا تَزْعُمُونَ لَكَشَفَ اللَّهُ افْتِرَاءَهُ وَمَحَقَّهُ وَقَذَفَ بِالْحَقِّ عَلَى بَاطِلِهِ فَدَمَغَهُ - وَيجوز أن يكون عدَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَإَنَّهُ يَمْحُو الْبَاطِلَ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَهْتِ وَالتَّكْذِيبِ وَيُثَبِّتُ الْحَقَّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ وَبِقَضَائِهِ الَّذِي لَا مَوْدَ لَهُ مِنْ نَصْرَتِكَ عَلَيْهِمْ [أَنْ] اللَّهُ [عَلِيمٌ] بِمَا فِي صَدْرِكَ وَصُدُورِهِمْ فَيُجْرِي الْأَمْرَ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ - وَعن قتادة يُخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ يُنْسِكُ الْقُرْآنَ وَ يَقْطَعُ عَنْكَ الْوَحْيَ يَعْنِي لَوْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ - وَقِيلَ يُخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ يَرْبُطُ عَلَيْهِ بِالصَّبْرِ حَتَّى لَا يَشُقَّ عَلَيْكَ أَذَاهُمْ - فَإِنْ قُلْتَ إِنَّ كَانَ قَوْلُهُ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ كَلَامًا مَبْتَدَأً غَيْرَ مَعْطُوفٍ عَلَى يُخْتِمُ فَمَا بَالُ الْوَاوِ سَاقِطَةٍ فِي الْخَطِّ - قُلْتَ كَمَا سَقَطَتْ فِي قَوْلِهِ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ وَقَوْلُهُ سَدَّعُ الزَّبَانِيَّةَ عَلَى أَنَّهَا مُثَبَّتَةٌ فِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ * يُقَالُ قَبِلْتُ مِنْهُ الشَّيْءَ وَقَبِلْتَهُ عَنْهُ فَمَعْنَى قَبْلَتِهِ مِنْهُ اخْذَتْهُ مِنْهُ وَجَعَلْتَهُ مَبْدَأً قَبُولِي وَمَنْشَأً وَمَعْنَى قَبْلَتَهُ عَنْهُ عَزَلْتَهُ عَنْهُ وَابْنَتْهُ عَنْهُ - وَالتَّوْبَةُ أَنْ يَرْجِعَ عَنِ الْقَبِيحِ وَالْإِخْلَالُ بِالْوَاجِبِ بِالْزَدْمِ عَلَيْهِمَا وَالْعِزْمُ عَلَى أَنْ لَا يَعَاوَدَ لَآنَ الْمَرْجُوعِ عَنْهُ قَبِيحٌ وَإِخْلَالٌ بِالْوَاجِبِ وَأَنْ كَانَ فِيهِ لَعِبْدٌ حَقٌّ لَمْ يَكُنْ بِدُونِ التَّفَضُّلِ عَلَى طَرِيقِهِ - وَرَوَى

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ط وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا ط إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ © أَمْ يَقُولُونَ

مودة الشورى ٤٢

الجزء ٢٥

ع ٣

تعلق الطرف به في قولك المال في الكيس و تقديره إِلَّا الْمَوَدَّةَ ثابته في الْقُرْبَى و متمكنة فيها و الْقُرْبَى مصدر كالزلفى و الْبُشْرَى بمعنى القرابة و المراد في اهل القربى - و روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله مَنْ قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي و فاطمة و ابناهما و يدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حسد الناس لي فقال أما ترضى ان تكون رابع اربعة اول مَنْ يدخل الجنة انا و انت و الحسن و الحسين و ازواجنا عن ايماننا و شمائلنا و ذريتنا خلف ازواجنا - وعن النبي صلى الله عليه و آله و سلم حرمت الجنة على مَنْ ظلم اهل بيتي و اذاني في عترتي و مَنْ اصطنع صنيعا الى احد من ولد عبد المطلب و لم يجازة عليها فانا اُجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة - و روي ان الانصار قالوا فعلنا و فعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس او ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فاتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار أَلَمْ تَكُونُوا أَتْلَةَ فاعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال أَلَمْ تَكُونُوا ضَلَالًا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله قال أَلَا تَقُولُونَ أَلَمْ يُخْرِجْكُمْ قَوْمَكُمُ الْفَارِيزَ أَوْ لَمْ يَكْذِبُوكُمْ فَصَدَقْنَا أَوْ لَمْ يَخْذُلُوكُمْ فَنَصَرْنَا قَالَ فَمَا زَالَ يَقُولُ حَتَّى جَثُوا عَلَى الرُّكَبِ وَقَالُوا اَمْوَالُنَا وَ مَا فِي اَيْدِينَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فَذَلَّتْ الْاَيَةُ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ مَاتَ عَلَى حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ شَهِيدًا إِلَّا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ تَائِبًا إِلَّا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ مُؤْمِنًا مُسْتَكْمِلًا الْإِيمَانَ إِلَّا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ بَشَرَةً مَلَكَ الْمَوْتَ بِالْجَنَّةِ ثُمَّ مِنْكَ وَ نَكِيرٌ إِلَّا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ يُزَفُّ إِلَى الْجَنَّةِ كَمَا تُزَفُّ الْعُرُوسُ إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا إِلَّا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ فَتُحْمَلُ فِي قَبْرِهٖ بَابَانِ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ جَعَلَ اللَّهُ قَبْرَهُ مَزَارَ مَلَكَةِ الرَّحْمَةِ إِلَّا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ عَلَى حَبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ عَلَى السَّيِّئَةِ وَ الْجَمَاعَةِ إِلَّا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بَغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَتُسُّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بَغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ كَافِرًا إِلَّا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بَغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَشْمَ رَائِحَةُ الْجَنَّةِ - وَقِيلَ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ بَطْنِ قُرَيْشٍ إِلَّا وَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَ بَيْنَهُمْ قُرْبَى فَلَمَّا كَذَّبُوهُ وَ أَبَوْا أَنْ يُبَايَعُوهُ نَزَلَتْ - وَ الْمَعْنَى إِلَّا أَنْ تُؤْذَنِي فِي الْقُرْبَى أَيِ فِي حَقِّ الْقُرْبَى وَ مِنْ أَجْلِهَا كَمَا تَقُولُ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَ الْبَغْضُ فِي اللَّهِ بِمَعْنَى فِي حَقِّهِ وَ مِنْ أَجْلِهِ يَعْنِي أَنْكُمْ قَوْمِي وَ أَحَقُّ مِنْ أَجَابَتِي وَ اطَاعَتِي فَانْ قَدْ ابْتَدَأْتُمْ ذَلِكَ فَاحْفَظُوا حَقَّ الْقُرْبَى وَ لَا تُؤْذَنِي وَ لَا تَهَيِّجُوا عَلَيَّ - وَقِيلَ اتَّيْتُ الْإِنصَارَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَالٍ جَمْعُوهُ وَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ هَدَانَا اللَّهُ بِكَ وَ أَنْتَ ابْنُ أَخْتِنَا وَ تَعْرُوكَ نَوَائِبُ وَ حَقُوقُ وَ مَا لَكَ سَعَةً فَاسْتَعِنْ بِهَذَا عَلَى مَا

نُوتَ مِنْهَا ۖ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ۚ
وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا
وَهُوَ وَقَعَ بِهِمْ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رِزْقِ الْجَنَّةِ ۚ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ
ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝ ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ

وَفَقَّ فِي عَمَلِهِ وَضَوْعَتْ حَسَنَاتُهُ وَمَنْ كَانَ عَمَلُهُ لِلدُّنْيَا أُعْطِيَ شَيْئًا مِنْهَا لَا مَا يَرِيدُهُ وَيَتَغَيَّهُ وَهُوَ رِزْقُهُ
الَّذِي قَسَمَ لَهُ وَفَرَّغَ مِنْهُ وَ [مَا لَهُ] نَصِيبٌ قَطَّ [فِي الْآخِرَةِ] وَلَمْ يَذْكُرْ فِي مَعْنَى عَمَلِ الْآخِرَةِ وَلَهُ فِي الدُّنْيَا
نَصِيبٌ عَلَى أَنْ رِزْقُهُ الْمَقْسُومُ لَهُ وَاصِلٌ إِلَيْهِ لَا مُحَالَةٌ لِلِاسْتِهَانَةِ بِذَلِكَ إِلَى جَنْبِ مَا هُوَ بِصَدَدِهِ مِنْ زَكَاءِ
عَمَلِهِ وَفَوْزَةٍ فِي الْمَأْبُوتِ • مَعْنَى الْهَمْزَةِ فِي [أَمْ] التَّقْرِيرُ وَالتَّقْرِيعُ - وَشُرَكَائِهِمْ شَيَاطِينُهُمُ الَّذِينَ زَيَّنُوا لَهُمُ الشَّرْكَ
وَانْكَارَ الْبَعْثِ وَالْعَمَلِ لِلدُّنْيَا لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ غَيْرَهَا وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي شَرَعَتْ لَهُمُ الشَّيَاطِينُ وَتَعَالَى اللَّهُ
عَنِ الْإِذْنِ فِيهِ وَالْأَمْرُ بِهِ - وَقِيلَ شُرَكَائِهِمْ أَوْلِيَائِهِمْ وَأَمَّا أُضِيفَتْ إِلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ مَتَّخَذُوهَا شُرَكَاءَ لِلَّهِ فَتَارَةً تَضَافُ
إِلَيْهِمْ لِهَذِهِ الْمَلَابَسَةِ وَتَارَةً إِلَى اللَّهِ وَلَمَّا كَانَتْ سَبَبًا لِضَلَالَتِهِمْ وَافْتِنَانِهِمْ جَعَلَتْ شَارِعَةً لِدِينِ الْكُفْرِ كَمَا قَالَ
أَبْرَهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ [وَ لَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ] أَيِ الْقَضَاءِ السَّابِقِ بِتَأْجِيلِ
الْجُزْأِ - أَوْ لَوْلَا الْعِدَّةُ بَانَ الْفَصْلُ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ [لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ] أَيِ بَيْنَ الْكَافِرِينَ وَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ بَيْنَ
الْمُشْرِكِينَ وَ شُرَكَائِهِمْ - وَقُرَأَ مُسْلِمٌ بِنَ جَنْدَبٍ وَأَنَّ الظَّالِمِينَ بِالْفَتْحِ عَطْفًا لَهُ عَلَى كَلِمَةِ الْفَصْلِ يَعْنِي وَ لَوْلَا
كَلِمَةُ الْفَصْلِ وَ تَقْدِيرُ تَعْذِيبِ الظَّالِمِينَ فِي الْآخِرَةِ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا • [تَرَى الظَّالِمِينَ] فِي الْآخِرَةِ
[مُشْفِقِينَ] خَائِفِينَ خَوْفًا شَدِيدًا أَرَقَّ قُلُوبَهُمْ مِمَّا كَسَبُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ [وَ هُوَ وَقَعَ بِهِمْ] يَرِيدُوا وَبَالَهُ وَقَعَ بِهِمْ
وَ وَاصِلٌ إِلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ مِنْهُ أَشْفَقُوا أَوْ لَمْ يُشْفَقُوا - كَأَنَّ رِذْوَةَ جَنَّةِ الْمُؤْمِنِ أَطْيَبَ بَقْعَةً فِيهَا وَانْزَهَاهَا -
[عِندَ رَبِّهِمْ] مَنْصُوبٌ بِالظَّرْفِ لَا يَبْشَرُونَ • قَرِئَ يَبْشُرُ مِنْ بَشَرَةٍ - وَيُبْشِرُ مِنْ ابْشَرَةٍ - وَيَبْشُرُ مِنْ بَشَرَةٍ
وَ الْأَصْلُ [ذَٰلِكَ] الذُّوَابُ [الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ] بِهِ [عِبَادَةً] فَحُذِفَ الْجَارُ كَقَوْلِهِ وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ثُمَّ حُذِفَ
الرَّاجِعُ إِلَى الْمَوْصُولِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا - أَوْ ذَٰلِكَ التَّبَشِيرُ الَّذِي يَبْشُرُهُ اللَّهُ عِبَادَهُ -
وَ رَوَى أَنَّهُ اجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ فِي مَجْمَعٍ لَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَتُرُونَ مُحَمَّدًا يُسْأَلُ عَلَى مَا يَتَعَاطَاهُ
أَجْرًا فَنَزَلَتْ آيَةُ [إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى] يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءٌ مُتَصِلًا أَيِ لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا إِلَّا هَذَا وَهُوَ
أَنْ تَوَدَّ أَهْلَ قُرَابَتِي وَلَمْ يَكُنْ هَذَا أَجْرًا فِي الْحَقِيقَةِ لِأَنَّ قُرَابَتَهُ قُرَابَتُهُمْ فَكَانَتْ صَلَتُهُمْ لَزِمَةً لَهُمْ فِي الْمَوَدَّةِ -
وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْقُطًا أَيِ لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا قَطَّ وَلَكِنِّي أَسْأَلُكُمْ أَنْ تَوَدَّوا قُرَابَتِي الَّذِينَ هُمْ قُرَابَتُكُمْ وَ لَا تُؤْذَوْهُمْ -
فَإِنْ قُلْتَ هَلَّا قِيلَ إِلَّا مَوَدَّةُ الْقُرْبَى أَوْ إِلَّا الْمَوَدَّةُ لِلْقُرْبَى وَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى - قُلْتَ
جَعَلُوا مَكَانًا لِلْمَوَدَّةِ وَ مَقَرًّا لَهَا كَقَوْلِكَ لِي فِي آلِ فُلَانٍ مَوَدَّةٌ وَلِي فِيهِمْ هَوًى وَحُبٌّ شَدِيدٌ تَرِيدُ أَحَبَّهُمْ وَ هُمْ
مَكَانُ حُبِّي وَ مَحَلَّةٌ وَ لَيْسَتْ فِي بَصَلَةِ الْمَوَدَّةِ كَاللَّامِ إِذَا قُلْتَ إِلَّا الْمَوَدَّةُ لِلْقُرْبَى إِنَّمَا هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمُحْذَرَفٍ

سورة الشورى ٤٢

الجزء ٢٥

ع ٣

لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ اَللّٰهُ الَّذِىۤ اَنْزَلَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ط
وَمَا يَدْرِيْكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيْبٌ ۝ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِهَا ۚ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مُشْفِقُوْنَ مِنْهَا
وَيَعْلَمُوْنَ اَنَّهَا الْحَقُّ ط اَلَا اِنَّ الَّذِيْنَ يَمَارُوْنَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلٰلٍ بَعِيْدٍ ۝ اَللّٰهُ لَطِيْفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ
يَّشَآءُ ۚ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيْزُ ع مَنْ كَانَ يَرْيَدُ حَرْثَ الْاٰخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۚ وَمَنْ كَانَ يَرْيَدُ حَرْثَ الدُّنْيَا

[اَللّٰهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا] يوم القيمة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة و متاركة بعد ظهور الحق
و قيام الحجة و الالزام - فَاَنْ قُلْتَ كَيْفَ حُوجِرُوا وَ قَدْ فَعَلَ بِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَا فَعَلَ مِنَ الْقَتْلِ وَ تَخْرِيبِ
الْبُيُوتِ وَ قَطْعِ الْفَخِيْلِ وَ الْاِجْلَاءِ - قُلْتَ الْمُرَادُ مُحَاجَزَتُهُمْ فِي مَوَاقِفِ الْمَقَاوِلَةِ لَا الْمَقَاتِلَةِ [يُحَاجُّوْنَ فِي اللّٰهِ]
يُخَاصِمُوْنَ فِي دِيْنِهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجَابَ لَهُ النَّاسُ وَ دَخَلُوا فِي الْاِسْلَامِ لِيُرَدُّوْهُمْ اِلَى دِيْنِ الْجَاهِلِيَّةِ كَقَوْلِهِ
وَدَّ كَثِيْرٌ مِّنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ لَوْ يَرُدُّوْنَكُمْ مِّنْ بَعْدِ اِيْمَانِكُمْ كُفَّارًا كَانَ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى يَقُوْلُوْنَ لِلْمُؤْمِنِيْنَ كُتٰبُنَا
قَبْلَ كُتٰبِكُمْ وَ نَبِيْنَا قَبْلَ نَبِيِّكُمْ وَ نَحْنُ خَيْرٌ مِّنْكُمْ وَ اَوَّلَىٰ بِالْحَقِّ - وَ قِيلَ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجَابَ اللّٰهُ لِرَسُوْلِهِ
وَ نَصْرَهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَ اَظْهَرَ دِيْنَ الْاِسْلَامِ [دَاحِضَةٌ] بَاطِلَةٌ زَالَةٌ * [اَنْزَلَ الْكِتٰبَ] اَي جَنَسَ الْكِتٰبِ [وَالْمِيزَانَ]
وَالْعَدْلَ وَ السُّوْبَةَ وَ مَعْنَى اَنْزَالَ الْعَدْلَ اَنَّهُ اَنْزَلَهُ فِي كُتُبِهِ الْمُنْزَلَةِ - وَ قِيلَ الَّذِي يُوْزَنُ بِهِ - بِالْحَقِّ مُلْتَبَسًا
بِالْحَقِّ مُقْتَرِنًا بِهِ بَعِيْدًا مِنَ الْبَاطِلِ اَوْ بِالْغُرُضِ الصَّحِيْحِ كَمَا اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ اَوْ بِالْوَاجِبِ مِنَ التَّحْلِيْلِ
وَ التَّحْرِيْمِ وَ غَيْرَ ذَلِكَ [السَّاعَةُ] فِي تَاْوِيْلِ الْبَعْثِ فَلِذَلِكَ قِيلَ [قَرِيْبٌ] اَوْ لَعَلَّ مَجِيْءَ السَّاعَةِ قَرِيْبٌ -
فَاَنْ قُلْتَ كَيْفَ يُوَفَّقُ ذِكْرَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ مَعَ اَنْزَالِ الْكِتٰبِ وَ الْمِيزَانِ - قُلْتَ لَآنَ السَّاعَةِ يَوْمَ الْحِسَابِ
وَوَضْعِ الْمَوَازِيْنِ لِلْقِسْطِ فَكَأَنَّهُ قِيلَ اَمْرُكُمْ بِاللّٰهِ بِالْعَدْلِ وَ السُّوْبَةِ وَ الْعَمَلِ بِالشَّرَائِعِ قَبْلَ اَنْ يَفَاجِئَكُمْ الْيَوْمَ الَّذِي
يُحَاسِبُكُمْ فِيْهِ وَ يَزِنُ اَعْمَالَكُمْ وَ يُوَفِّيْ لِمَنْ اَوْفَىٰ وَ يَطْفِفُ لِمَنْ طَفَفَ - الْمَارَاةُ الْمَلَاجَةُ لَآنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
يَمْرِيْ مَا عِنْدَ صَاحِبِهِ [لَفِي ضَلٰلٍ بَعِيْدٍ] مِنَ الْحَقِّ لَآنَ قِيَامَ السَّاعَةِ غَيْرُ مُسْتَبْعَدٍ مِنْ قُدْرَةِ اللّٰهِ وَ لِدَلَالَةِ
الْكِتٰبِ الْمَعْجَزِ عَلَى اَنَّهَا اٰتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيْهَا وَ لَشَهَادَةِ الْعُقُوْلِ عَلَى اَنَّهُ لَا يَدَّ مِنْ دَارِجِزَاءٍ - [لَطِيْفٌ بِعِبَادِهِ]
بَرٌّ بِلَايِغِ الْبِرِّ بِهِمْ قَدْ تَوَصَّلَ بِرَّهُ اِلَى جَمِيْعِهِمْ وَ تَوَصَّلَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ اِلَى حَيْثُ لَا يَبْلُغُهُ وَ هُمْ اَحَدٌ مِنْ
كَلِمَاتِهِ وَ جَزْئِيَّاتِهِ - فَاَنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ [يَرْزُقُ مَنْ يَّشَآءُ] بَعْدَ تَوَصُّلِ بَرِّهِ اِلَى جَمِيْعِهِمْ - قُلْتَ كُلُّهُمْ
مَبْرُوْرُونَ لَا يَخْلُوْا اَحَدٌ مِنْ بَرٍّ اِلَّا اَنَّ الْبِرَّ اَصْنَافٌ وَ لَهُ اَوْصَافٌ وَ الْقِسْمَةُ بَيْنَ الْعِبَادِ تَتَفَاوَتْ عَلَى حَسَبِ
تَفَاوَتِ قَضَايَا الْحِكْمَةِ وَ التَّدْبِيْرِ فَيُطَيَّرُ لِبَعْضِ الْعِبَادِ صَنْفٌ مِنَ الْبِرِّ لَمْ يَطَّرْ مِثْلُهُ لِاٰخَرٍ وَ يُصَيِّبُ هَذَا حَقًّا لَهُ
وَ صَفٌ لَيْسَ ذَاكَ الْوَصْفُ لِحَقِّ صَاحِبِهِ فَمَنْ قَسَمَ لَهُ مِنْهُمْ مَا لَمْ يَقْسَمْ لِاٰخَرٍ فَقَدْ رَزَقَهُ وَ هُوَ الَّذِي اَرَادَ بِقَوْلِهِ
يَرْزُقُ مَنْ يَّشَآءُ كَمَا يَرْزُقُ اَحَدَ الْاَخْوِيْنَ وَ لَدَا دُوْنَ الْاٰخَرِ عَلَى اَنَّهُ اَصَابَهُ بِنِعْمَةٍ اٰخَرَى لَمْ يَرْزُقْهَا صَاحِبُ الْوَادِ
[وَهُوَ الْقَوِيُّ] الْبَاطِلُ الْقُدْرَةُ الْغَالِبُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ [الْعَزِيْزُ] الْمُنِيعُ الَّذِي لَا يَغْلِبُ * سَمَّى مَا يَعْمَلُهُ
الْعَامِلُ مِمَّا يَنْبَغِيْ بِهِ الْفَائِدَةُ وَ الزَّكَاءُ حَرْثًا عَلَى الْمَجَازِ وَ فَرَّقَ بَيْنَ عَمَلِي الْعَامِلِيْنَ بَانَ مِنْ عَمَلٍ لِاٰخَرَةِ

إِلَيْهِ ۖ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُغِيبُ ۖ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوذُوا الْكِتَابَ
مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مُؤَيَّنٍ ۖ فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۚ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَقُلْ
أَمَرْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ۚ وَأَمَرْتُ لِعَدْلِ بَيْنِكُمْ ۚ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۚ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۚ
لَا حُجَّةَ بَيْنُنَا وَبَيْنَكُمْ ۚ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۚ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ ۖ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ

رسوله فيه بقوله [أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ] والمراد إقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله و طاعته
والايمان برسوله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما و لم يرد الشرائع اللتي هي
مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
و محذ أن أَقِيمُوا - اما نصب بدل من مفعول شرع و المعطوفين عليه - واما رفع على الاستيناف كانه قيل
وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً [كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ]
عظم عليهم وشق عليهم [مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ] من اقامة دين الله و التوحيد [يَجْتَبِي إِلَيْهِ] يجتلب ويجمع
و الضمير للدين بالتوفيق و التسديد [مَنْ يَشَاءُ] من يدفع فيهم توفيقه و يجدي عليهم لطفه - [وَمَا تَفَرَّقُوا]
يعني اهل الكتاب بعد انبيائهم [إِلَّا مِنْ بَعْدِ] أَنْ عَلِمُوا ان الفرقة ضلال و فساد و امر متوعد عليه على السنة
الانبياء [وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ] وهي عدة التأخير اى يوم القيمة [لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ] حين افترقوا
لعظم ما افترقوا [وَإِنَّ الَّذِينَ أُوذُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ] و هم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله
صلى الله عليه و آله و سلم [لَفِي شَكٍّ مِنْ] كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان - و قيل كان الناس امة واحدة
مؤمنين بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الابهاء اختلف الابداء فيما بينهم
و ذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين و منذرين و جاءهم العلم و انما اختلفوا للبغى بينهم -
و قيل ما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله كقوله و مَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ - وَإِنَّ الَّذِينَ أُوذُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ هم المشركون اوزثوا القرآن من بعد ما
أورث اهل الكتاب التوراة و الانجيل - و قرئ و رثوا - و رثوا [فَلِذَلِكَ] فلاجل ذلك التفرق و لما حدث بسببه
من تشعب الكفر شعبا [فَادْعُ] الى الاتفاق و الائتلاف على الملة الحنيفية القديمة [وَاسْتَقِمْ] عليها
و على الدعوة اليها كما امرك الله [وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ] المختلفة الباطلة [بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ] باي
كتاب صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض و كفروا ببعض
كقوله وَ يَقُولُونَ نُوْمنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ الى قوله أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا [لِعَدْلِ بَيْنَكُمْ] فى الحكم
اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي - [لَا حُجَّةَ بَيْنُنَا وَ بَيْنَكُمْ] اى لا خصومة لان الحق قد ظهر و صرتم محجوجين
به فلا حاجة الى المحاكمة و معذاه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته و هذا حجته

تَوَكَّلْتُ وَاللَّهِ إِنِّي بُدِّئْتُ بِهَا ۖ فَأَظْهَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ جَعَلْتُ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ۚ مِنَ الْإِنْعَامِ أَزْوَاجًا ۚ
يَذَرُوكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۚ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۚ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ

سورة الشورى ١٤٢

الجزء ٢٥

ع ٢

و ما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم اللتي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم
كمعرفة الروح قال الله تعالى وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي - فان قلت هل يجوز حمله
على اختلاف المجتهدين في احكام الشريعة - قلت لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول - [فَأَظْهَرُ السَّمَوَاتِ]
قريب بالرفع والجر - فالرفع على انه احد اخبار ذللكم او خبر مبتدأ محذوف - والجر على فحكمه الى الله
فَأَظْهَرُ السَّمَوَاتِ - و ذللكم الى انيب اعتراض بين الصفة والموصوف - [جَعَلْتُ لَكُمْ] خلق لكم [مِنْ أَنْفُسِكُمْ]
من جنسكم من الناس أزواجاً [وَمِنْ الْإِنْعَامِ أَزْوَاجًا] اي وخلق من الانعام ازواجاً ومعناه وخلق
للانعام ايضاً من انفسها ازواجاً [يَذَرُوكُمْ] يترككم يقال ذرأ الله الخلق بئهم وكثرهم والذر والذرو والذراء اخوات
[فِيهِ] في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجاً حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل
والضمير في يَذَرُوكُمْ يرجع الى المخاطبين والانعام مغلباً فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل
وهي من الاحكام ذات العلتين - فان قلت ما معنى يَذَرُوكُمْ في هذا التدبير وهلا قيل يَذَرُوكُمْ به -
قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير الاتراك تقول للحيون في خلق الازواج تكثير
كما قال تعالى وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ قالوا مثلك لا يبخل فنفقوا بالبخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن
ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عن يسد مسددة وعن هو على اخص
اوصافه فقد نفوه عنه ونظيرة قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ومنه قولهم
قد ايفعت لدائته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد
المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لدائته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع
فرق بين قوله ليس كالمثل شيء وبين قوله ليس كمثل شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها و كأنهما
عبارتان معتقتان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه قوله تعالى بَلْ يَدَّ مَبْسُوطَتْنِي
فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئاً آخر
حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له - ولك ان تزعم ان
كلمة التشبيه كررت للتاكيد كما كررها من قال ع * وصاليات ككما يؤثفين * ومن قال ع * فاصبحت مثل
كعصف مأكول * وقري ويقدّر - [أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناء والآفقر * [شَرَعَ لَكُمْ
مِنَ الدِّينِ] دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء - ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من

فِيهِ ٥ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ٥ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ٥ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٥ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِيَاءَ ٥ قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٥ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ٥ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ

و قرى لينذر بالياء و الفعل للقرآن [يوم الجمع] يوم القيمة لان الخلاق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع - و قيل يجمع بين الارواح والاجساد - و قيل يجمع بين كل عامل وعمله - [لا ريب فيه] اعترض لا محل له - قرى فريق - وفريق بالرفع والنصب - فالرفع على منهم فريق و منهم فريق و الضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلاق - و النصب على الحال منهم اي متفرقين كقوله تعالى و يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون - فان قلت كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة - قلت هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس و النعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين - و ان اريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق - [لجعلهم امة واحدة] اي مؤمنين كلهم على القسر و الاكراه كقوله و لو شئنا لايتذنا كل نفس هديها و قوله و لو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا و الدليل على ان المعنى هو الاجاء الى الايمان قوله افانت تكفر الناس حتى يكونوا مؤمنين و قوله افانت تكفر بادخال همزة الانكار على المكرة دون فعله دليل على ان الله وحده هو القادر على هذا الاكراه دون غيره و المعنى و لو شاء ربك مشية قدرة تقسرهم جميعا على الايمان ولكنه شاء مشية حكمة فنلقهم و بنى امرهم على ما يقدرون ليدخل المؤمنين في رحمته و هم المرادون بمن يشاء الا ترى الى وضعهم في مقابلة الظالمين و يدرك الظالمين بغير ولي و لا نصير في عذابه - معنى الهمزة في ام الانكار - [فالله هو الولي] هو الذي يجب ان يتولى وحده و يعتقد انه المولى و السيد و الفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه [و هو يحيي] اي و من شان هذا الولي انه يحيي الموتى [و هو على كل شيء قدير] فهو احقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء [و ما اختلفتم فيه من شيء] حكاية قول رسول الله للمؤمنين اي ما خالفكم فيه النصار من اهل الكتاب و المشركين فاختلفتم انتم و هم فيه من امر من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله و هو ائابة المحققين فيه من المؤمنين و معاقبة المبطلين [ذلکم] الحاكم بينكم هو [الله ربّي عليه توكلت] في رد كيد اعداء الدين [و اليه] ارجع في كفاية شرهم - و قيل و ما اختلفتم فيه و تنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله و الرسول - و قيل و ما اختلفتم فيه من تاريل اية و اشتبه عليكم فارجموا في بيانه الى المحكم من كتاب الله و الظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم - و قيل

لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۖ إِلَّا أَنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الَّذِينَ جُمِعُوا لَهَا ۖ وَكَذَلِكَ نُنْذِرُ الْأُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ وَالْحُكْمِ وَالَّذِينَ يَحُمِلُونَ إِصْرَ الْكَافِرِينَ ۖ فَيُصْرَبُونَ ۚ وَلِلَّهِ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ ۖ فَتَرَىٰ الْهَامَاتِ ۚ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۚ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ وَالْحُكْمِ وَالَّذِينَ يَحُمِلُونَ إِصْرَ الْكَافِرِينَ ۖ فَيُصْرَبُونَ ۚ وَلِلَّهِ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ ۖ فَتَرَىٰ الْهَامَاتِ ۚ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۚ

فِي الْأَرْضِ يَدُلُّ عَلَى جَدْسِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَهَذِهِ الْجَنَسِيَّةُ قَائِمَةٌ فِي كُلِّهِمْ وَفِي بَعْضِهِمْ فَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ هَذَا وَهَذَا وَقَدْ دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَسْتَغْفِرُ إِلَّا لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ فَمَا أَرَادَ اللَّهُ إِلَّا أَنَّهُمْ لَا تَقْرُبُ إِلَى قَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَحِكَايَتِهِمْ عَنْهُمْ فَأَغْفِرَ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ كَيْفَ وَصَفُوا الْمُسْتَغْفَرِينَ بِمَا يَسْتَوْجِبُ بِهِ الْاسْتِغْفَارَ فَمَا تَرَكُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا يَتُوبُوا مِنَ الْمَصْدَقِينَ طَمَعًا فِي اسْتِغْفَارِهِمْ فَكَيْفَ لِلْمَغْفِرَةِ - وَبِحَتْمَلِ أَنْ يَقْصِدُوا بِالْاسْتِغْفَارِ طَلِبَ الْحِلِّ وَالْغُفْرَانِ فِي قَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا إِلَى أَنْ قَالَ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا وَقَوْلِهِ وَإِنْ رَبُّكَ لَذَرَّ مَغْفِرَةً لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَالْمَرَادُ الْحِلُّ عَنْهُمْ وَأَنْ لَا يُعَاجِلَهُمْ بِالْإِنْتِقَامِ فَيَكُونُ عَامًّا - فَإِنْ قُلْتَ قَدْ فَسَّرْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى نَكَدَ السَّمَوَاتِ يَنْفَطِرْنَ بِتَفْسِيرَيْنِ فَمَا وَجْهَ طَبَاقٍ مَا بَعْدَهُ لِهَاجِئِهِمَا - قُلْتَ - أَمَا عَلَى أَحَدِهِمَا فَكُنْهُ قِيلَ تَكَادَ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ هَيْبَةً مِنْ جَلَالِهِ وَاحْتِشَاصًا مِنْ كِبَرِيَّاتِهِ وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ مِلءُ السَّبْعِ الطَّبَقِ وَحَاقُونَ حَوْلَ الْعَرْشِ صُفُوفًا بَعْدَ صُفُوفٍ يُدَاوِمُونَ خُضُوعًا لِعَظَمَتِهِ عَلَى عِبَادَتِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ خَوْفًا عَلَيْهِمْ مِنْ سَطَوَاتِهِ - وَأَمَا عَلَى الثَّانِي فَكُنْهُ قِيلَ يَكُونُ يَنْفَطِرْنَ مِنْ أَقْدَامِ أَهْلِ الشِّرْكِ عَلَى تِلْكَ الْكَلِمَةِ الشَّنْعَاءِ وَالْمَلَائِكَةُ يُؤَحِّدُونَ اللَّهَ وَيَنْزِعُونَ عَنْهُ مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي يُصَيِّفُهَا إِلَيْهِ الْجَاهِلُونَ بِهِ حَامِدِينَ لَهُ عَلَى مَا أَرَادَهُمْ مِنَ الطَّافَةِ الَّتِي عَلِمَ أَنَّهُمْ عَزَّوَجَلَّ يَسْتَعَصِمُونَ مَخْتَارِينَ غَيْرَ مُلْجَأِينَ وَتَسْتَغْفِرُونَ لِمُؤْمِنِي أَهْلِ الْأَرْضِ الَّذِينَ تَبَرَّأُوا مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ وَمَنْ أَهْلُهَا أَوْ يَطْلُبُونَ إِلَى رَبِّهِمْ أَنْ يَحْكُمَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا يُعَاجِلَهُمْ بِالْعِقَابِ مَعَ وَجُودِ ذَلِكَ فِيهِمْ لَمَّا عَزَّوَجَلَّ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ وَحِرْصًا عَلَى نَجَاتِ الْخَلْقِ وَطَمَعًا فِي تَوْبَةِ الْكَافِرِ وَالْفَسَاقِ مِنْهُمْ [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ] جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ وَانْدَادًا [اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ] رَقِيبٌ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ لَا يَفُوتُهُ مِنْهَا شَيْءٌ وَهُوَ مُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهَا وَمُعَاقِبُهُمْ لَا رَقِيبَ عَلَيْهِمْ إِلَّا هُوَ وَاحِدٌ [وَمَا أَنْتَ] يَا مُحَمَّدٌ بِمُوكِلٍ بِهِمْ وَلَا مَفْوضٍ إِلَيْكَ أَمْرَهُمْ وَلَا قَسْرَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ إِذَا أَنْتَ مُنْذِرٌ فَحَسْبُكَ وَمِثْلُ ذَلِكَ [أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ] وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى مَعْنَى الْآيَةِ قَبْلُهَا مِنْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ بِرَقِيبٍ عَلَيْهِمْ وَأَمِنْ نَذِيرٍ لَهُمْ لِأَنَّ هَذَا الْمَعْنَى كَرَّرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فِي مَوَاضِعَ جَمَّةٍ وَالْكَافُ مَفْعُولٌ بِهِ لَوْحَيْنَا وَ[قُرْآنًا عَرَبِيًّا] حَالٌ مِنَ الْمَفْعُولِ بِهِ أَيِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُوَ قُرْآنٌ عَرَبِيٌّ يَتَنَبَّهُ لَابَسْ فِيهِ عَلَيْكَ لِتَفْهَمَ مَا يَقَالُ لَكَ وَلَا تَتَجَاوَزَ حَدَّ الْإِنْدَارِ - وَبِحَتْمَلِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِشَارَةً إِلَى مَصْدَرِ أَوْحَيْنَا أَيِ وَمِثْلُ ذَلِكَ الْإِيحَاءُ الْبَيِّنُ الْمَفْهُومُ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا بِلِسَانِكَ [لِنُنْذِرَ] يَقَالُ أَنْذَرْتَهُ كَذَا وَأَنْذَرْتَهُ بِكَذَا - وَقَدْ عَدَّتِي الْأَوَّلَ اعْزَيْ لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى إِلَى الْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَهُوَ قَوْلُهُ وَنُنْذِرُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الَّذِينَ جُمِعُوا لَهَا إِلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي [أُمَّ الْقُرَى] أَهْلُ أُمَّ الْقُرَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَسُئِلَ الْقُرَيْشُ [وَمَنْ حَوْلَهَا] مِنَ الْعَرَبِ -

سورة الشورى مكية وهي ثلث وخمسون آية وخمسة ركوعاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ عَسَىٰ ۚ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ نَكَدَ السَّمٰوٰتِ يَنْفَطِرُنَ مِنْ فَوْقَيْنَ وَالْمَلٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ

سورة الشورى

قرأ ابن عباس و ابن مسعود رضي الله عنهما حم سق [كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ] اي مثل ذلك الوحي او مثل ذلك الكتاب يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الرسل مِنْ قَبْلِكَ [اللَّهُ] يعني ان ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله اليك مثله في غيرها من السور و اوحاه من قبلك الى رسله على معنى ان الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن و في جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البايغ و اللطف العظيم لعباده من الاولين و الآخرين و لم يقل اوحى إِلَيْكَ و لكن على لفظ المضارع ليدل على ان انحاء مثله عادته - و قرئ يُوحِي إِلَيْكَ على البناء للمفعول - فان قلت فما رافع اسم الله على هذه القراءة - قلت ما دل عليه يُوحِي كَان قائلًا قال من الموحى فقيل الله كقراءة السلمي و كَذَٰلِكَ زَيْنَ لِكَيْ يُوْحَى الْمَشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ على البناء للمفعول و رفع شُرَكَائِهِمْ على معنى زينة لهم شركائهم - فان قلت فما رافعه فيمن قرأ نُوحِي بالذون - قلت يرتفع بالابتداء - و العزیز وما بعده اخبار - او العزیز الحَكِيم صفتان و الظرف خبر - قرئ [تَكَدَ] بالتاء والياء - وَيَنْفَطِرُنَ - و [يَنْفَطِرُنَ] - و روى يونس عن ابي عمرو قراءة غريبة تَنْفَطِرُنَ بتاءين مع الذون و نظيرها حرف نادر روى في نوادر ابن الاعرابي الابل تَشْمَنُ و معناه يكدن يَنْفَطِرُنَ من علو شان الله و عظمته يدل عليه مجيئه بعد الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ - و قيل من دعائهم له ولدا كقوله تَكَدَ السَّمٰوٰتِ يَنْفَطِرُنَ مِنْهُ - فان قلت لم قال [مِنْ فَوْقَيْنَ] - قلت لان اعظم الايات و ادلها على الجلال و العظمة فوق السموات وهي العرش و الكرسي و صفوف الملكة المرتجة بالتسبيح و التقديس حول العرش و ما لا يعلم كنهه الا الله من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال يَنْفَطِرُنَ مِنْ فَوْقَيْنَ اي يبتدئ الانفطار من جهتين فوقانية - اولان كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس ان يقال ينفطرن من تحتين من الجهة التي منها جاءت الكلمة ولكنه بواغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كانه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوق فوجه التي تحتين و نظيره في المبالغة قوله عز و علا يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ فجعل الحميم مؤثرا في اجزائهم الباطنة - و قيل مِنْ فَوْقَيْنَ من فوق الارضين - فان قلت كيف صح ان يستغفروا لمن في الارض و فيهم الكفار اعداء الله و قد قال الله تعالى اُولٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم - قلت قوله لمن

سورة حم السجدة ٤١

الجزء ٢٥

ع ١

إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ
 حَتَّىٰ يَتَّبِعُونَ لَهُمْ إِنَّهُ الْحَقُّ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ
 رَبِّهِمْ ۝ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝

و كتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال و نأى بنفسه كقولهم فى المتكبر ذهب
 بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء - و ان يراد بجانبه عطفه و يكون عبارة عن الانحراف
 و الزورار كما قالوا نذى عطفه و تولى بركته [أَرَأَيْتُمْ] أَخْبِرُونِي [إِنْ كَانَ] القرآن [مِنْ عِنْدِ اللَّهِ] يعزى ان ما
 انتم عليه من انكار القرآن و تكذيبه ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصلت منها على اليقين و تلج الصدور
 و انما هو قبل النظر و اتباع الدليل امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله و ان لا يكون من عنده و انتم
 لم تظنوا و لم تفحصوا فما انكرتم ان يكون حقا و قد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم و انتم ابعثتم
 الشوط فى مشاقته و مناصبته و لعله حق فاهلكتم انفسكم و قوله [مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ] موضوع موضع
 منكم بيانا لحالهم و صفتهم - [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ] يعزى ما يسر الله عز و جل لرسول
 الله صلى الله عليه و آله و سلم و للخلفاء من بعده و نصار دينه فى افاق الدنيا و بلاد المشرق و المغرب عموما
 و فى ناحية العرب خصوصا من الفتوح اللتى لم تفسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم و من الاظهار
 على الجبابة و الاكسرة و تغليب قليلهم على كثيرهم و تسليط ضعافهم على اقويائهم و اجرائهم على ايديهم
 امورا خارجة من المعهود خارقة للعادات و نشر دعوة الاسلام فى اقطار المعمورة و بسط دولته فى اقاليمها
 و الاستقرار يطلعك فى التواريخ و الكتب المدونة فى مشاهد اهل و ايامهم على عجائب لا ترى وقوة
 من وقائعهم الا علما من اعلام الله و آية من آياته يقوى معها اليقين و يزداد بها الايمان و يتبين ان دين
 الاسلام هو دين الحق الذى لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه و ما الثبات و الاستقامة الا صفة الحق
 و الصدق كما ان الاضطراب و الدنزل صفة الغربة و الزور و ان للباطل ريحا تخفق ثم تسكن و دولة تظهر ثم
 تضمحل [بِرَبِّكَ] فى موضع الرفع على انه فاعل كفى و [أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] بدل منه تقديره او لم
 يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد و معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الافاق و فى انفسهم
 سيرونها و يشاهدونها فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شيء شهيد اى
 مطلع مهيمن يستوى عنده غيبه و شهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق و انه من عنده و لو لم يكن كذلك
 لما قوى هذه القوة و لما نصر حاملوه هذه النصرة - و قرئ فى مِرْيَةٍ بالصم و هي الشك [مُّحِيطٌ] عالم
 بجمال الاشياء و تفاصيلها و ظواهرها و بواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم و هو مجازيهم على كفرهم و مريتهم
 فى لقاء ربهم - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف

عشر حسنات •

سورة حم السجدة ١٤١

الجزء ٢٥

ع ٢٠

عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ۖ لَا يَسْتَعِزُّ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاِ الْخَيْرِ ۚ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَوَسُّ قُنُوطًا ۖ وَلَئِنْ آذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ۚ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَانِي ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا ۚ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۖ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأٰ بِجَانِبِهِ ۚ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ۖ قُلْ أَرَأَيْتُمْ

دليل على اعادة المحكي - ويجوز ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا و عقائدنا ان لا نشهد
تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم اعلموه - ويجوز ان يكون انشاء للايذان ولا يكون اخبارا
بايذان قد كان كما تقول اُعام الملك انه كان من الامر كيت وكيت [مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ] من طاب السعة
في المال والنعمة - وقرأ ابن مسعود مِنْ دُعَاءِ بِالْخَيْرِ [وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ] اي الضيقة والفقر [فَيَوَسُّ
قُنُوطًا] بولغ فيه من طريقين من طريق بذاء فعول ومن طريق التكرير - والقنوط ان يظهر عليه اثر اليأس
فيتضاءل ويذكر اي يقطع الرجاء من فضل الله و رزقه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى إِنَّهُ لَا يَيْتَاسُّ
مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ - وإذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال [هَذَا لِي] اي هذا
حقني وصل الي لاني استوجبته بما عندي من خير و فضل واعمال بر - او هَذَا لِي لا ينزل عني ونحوه
قوله تعالى فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَئِنَّا هِذِهِ وَنَحْوُ قَوْلِهِ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً - إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ
بِمُتَيَقِّنِينَ يريد وما أظنها تكون فان كانت على طريق القوم ان لي عند الله الحالة الحسنى من
الكرامة والنعمة قائسا امر الآخرة على امر الدنيا - وعن بعضهم للكافر اُصْنِيتَانِ يقول في الدنيا وَلَئِنْ رُجِعْتُ
إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَانِي ويقول في الآخرة يَلِيَّتْنِي كُنْتُ تَرَابًا - وقيل نزلت في الوليد بن
المغيرة - فلنُخْبِرَنَّهُمْ بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب و لنُبَصِّرَنَّهُمْ عكس ما اعتقدوا فيها
انهم يستوجبون عليها كرامة و قربة عند الله و قَدَمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا و ذلك
انهم كانوا يُنْفِقُونَ اموالهم رياء الناس و طلبا للافتخار و الاستكبار لا غير و كانوا يحسدون ان ما هم عليه سبب
الغنى و الصحة و انهم محقوقون بذلك * هذا ايضا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطوته
النعمة فكأنه لم يلق بوسا قط فنسي المنعم و اعرض عن شكره [وَنَأٰ بِجَانِبِهِ] اي ذهب بنفسه و تكبر و تعظم -
وَإِنْ مَسَّهُ الضَّرُّ و الفقر اقبل على دوام الدعاء و اخذ في الابتغال و التضرع و قد استعير العرض لكثرة
الدعاء و دوامه و هو من صفة الاجرام و يستعار له الطول ايضا كما استعير الغاظ لشدة العذاب - و قرئ
و نَأِي بِجَانِبِهِ بامالة الالف و كسر الذون للاتباع - وَفَاءً عَلَى الْقَلْبِ كما قالوا رَأَىٰ فِي رَأْيٍ - فَاَنْ قُلْتَ حَقَّقَ
لي معنى قوله وَنَأٰ بِجَانِبِهِ - قُلْتَ فِيهِ وَجْهَان - ان يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى
عَلَىٰ مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ان مكان الشيء و وجهته يفرز منزلة الشيء نفسه و منه قوله و نفيت عنه
مقام الذئب يريد و نفيت عنه الذئب و منه وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ مِنْهُ قَوْلُ الْكِتَابِ حُضِرَ فُلَانٌ وَ مَجْلَسُهُ

سورة حم السجدة ١٤١

الجزء ٢٥

ع ١٩ - ٢٠

لَقَالُوا لَوْلَا نُفِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ فَاعْجَمِي وَعَرَبِي ۚ قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ۚ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادِرُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ ۚ وَآوَلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۖ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ تَلْعِيدٍ ۖ آيَهُ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آيَنَ شُرَكَائِي قَالُوا أُوْلَٰئِكَ مَا مِمَّا مِنْ شَيْئٍ ۖ وَضَلَّ

طويلا على امرأة قصيدة اللباس طويل و اللباس قصير و لو قلت و اللابسة قصيدة جدت بما هو لكثرة و فضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللباس و انوثته و انما وقع في غرض و راء همار هو [اي القرآن] هدى و شفاء [ارشاد الى الحق و شفاء لما في الصدر من الظن و الشك - فان قلت] و الذين لا يؤمنون في آذانهم و قر [منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به - قات لا يخلو - اما ان يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجهر معطوفا على قوله للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى و شفاء و هو للذين لا يؤمنون في آذانهم و قر الا ان فيه عطفًا على عاملين و ان كان الاخفش يجيزه - و اما ان يكون مرفوعا على تقدير و الذين لا يؤمنون هو في آذانهم و قر على حذف المبتدأ او في آذانهم منه و قر - و قرى و هو عليهم عم و عمي كقوله تعالى فعميت عليكم [ينادون من مكان بعيد] يعني انهم لا يقبلونه و لا يعرفونه اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاططة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء [فاختلف فيه] فقال بعضهم هو حق و قال بعضهم هو باطل - و الكلمة السابقة هي العدة بانقيصة و ان الخصومات تفصل في ذلك اليوم [و آوَلَا] ذلك [لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ] في الدنيا قال الله تعالى بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ - وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى * [فَاِنْفِسِهِ] فَنَفْسُهُ نَفَعَ [وَعَلَيْهَا] فَنَفْسُهُ ضَرَّ [وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ] فيمذهب غير المسي * [آيَهُ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ] اي اذا سئل عنها قيل الله يعلم او لا يعلمها الا الله - و قرى من ثمرت من اكمامهم - و الكم بكسر الكاف و عاء الثمرة كجفت الطلعة اي و ما يحدث شيء من خروج ثمرة و لا حمل حامل و لا وضع واضع الا و هو عالم به يعلم عدد ايام الحمل و ساعاته و احواله من الخداج و التمام و الذكورة و الانوثة و الحسن و القبح و غير ذلك [آيَنَ شُرَكَائِي] اضافهم اليه على زعمهم و بيانه في قوله آيَنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ و فيه تهكم و تقريع [اُوْلَٰئِكَ] اعلمناك [مَا مِمَّا مِنْ شَيْءٍ] اي ما مما احد اليوم و قد ابصرنا و سمعنا يشهد بانهم شركائك اي ما مما الا من هو موحد لك او ما مما من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم و ضلت عنهم الهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبين - و قيل هو كلام الشركاء اي ما مما من شهيد يشهد بما اضافوا اليها من الشراكة و معنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم [وَظَنُّوا] و آيقنوا - و المَحِيص المهرب - فان قلت اُوْلَٰئِكَ اخبار بايدان كان منهم فاذا قد انزوا فلم سئلوا - قلت يجوز ان يعاد عليهم آيَنَ شُرَكَائِي اعادة للتوبيخ و اعادته في القرآن على سبيل الحكاية

إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا ۝ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا مِّنْ يَّاتِيهِ أَمْدًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۝ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُولِ مِن قَبْلِكَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَمِيًّا

يقال ألحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعيرت للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة - وقرئ يُلْحِدُونَ و يُلْحِدُونَ على اللغتين و قوله [لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا] وعيد لهم على التحريف - فإن قلت بم اتصل قوله [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ] - قلت هو بدل من قوله إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا - والذكر القرآن لأنهم لكفروهم به طعنوا فيه و حرفوا تأويله [وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ] أي مذبذب محمي بحماية الله تعالى [لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ] مثل كأن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به - فإن قلت أما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون - قلت بلى ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بأن قيص قوما عارضوهم بابطال تأويلهم و افساد اقاربهم فلم يُخَلُّوا طعن طاعن الا محموقا و لا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ • [مَا يُقَالُ لَكَ] أي ما يقول لك كفار قومك [إِلَّا] مثل ما قال [لِلرَّسُولِ] كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة [إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ] ورحمة لانبيائه [وَذُو عِقَابٍ] لا عدائهم - ويجوز ان يكون ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته و يخافه اهل معصيته والغرض تخويف العصاة • كانوا لدمعتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فليل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا [لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَتُهُ] أي بيّنت ولخصت بلسان نفقهه [عَجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ] الهمزة همزة انكار يعنني لانكروا وقالوا أقرآن اعجمي و رسول عربي او ومرسل اليه عربي - و قرئ اعجمي والعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من ابي جنس كان والعجمي منسوب الى امة العجم - وفي قراءة الحسن اعجمي بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القرآن اعجمي والمرسل او المرسل اليه عربي والمعنى ان آيات الله على ابي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبيين للحق وانما يتبعون اهواءهم - ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت آيته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب - فإن قلت كيف يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب - قلت هو على ما يجب ان يقع في انكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقال أكتاب اعجمي و مكتوب اليه عربي وذلك لان مبدئي الانكار على تذاخر حائتي الكتاب و المكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة فوجب ان يجرد لما سبق له من الغرض و لا يعمل به ما يخيل غرضا آخر ألا تراك تقول و قد رأيت لباسا

هورة حم السجدة ٤١

الجزء ٢٤

ع ١٨

السجدة

ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ٥ و ما يلقيها الا الذين صبروا ٥
 و ما يلقيها الا ذو حظ عظيم ٥ و اما ينزعك من الشيطان نزع فاستعد بالله ٥ انه هو السميع العليم ٥
 و من اياته اليل و النهار و الشمس و القمر ٥ لا تسجدوا للشمس و لا للقمر و اسجدوا لله الذي خلقهن
 ان كنتم اياه تعبدون ٥ فان استكبروا فالذين عند ربك يستبحون له باليل و النهار و هم لا يستؤمنون ٥ و من
 اياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت و ربث ٥ ان الذي احياها لمحي الموتى ٥

احسن - قلت هو على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقل ادفع بالتي هي احسن - و قيل لا مزيدة
 و المعنى و لا تستوى الحسنة و السيئة - فان قلت فكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتي
 هي حسنة - قلت اجل ولكن وضع التي هي احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان
 من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها - و عن ابن عباس بالتي هي احسن الصبر عند الغضب
 و الحلم عند الجهل و العفو عند الاساءة - و فسر الحظ بالثواب - و عن الحسن و الله ما عظم حظ دون الجنة -
 و قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب و كان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فصار
 وليا مصافيا • النزغ و النسخ بمعنى و هو شبه النخس و الشيطان ينزع الانسان كأنه ينخسه ببعثه
 على ما لا ينبغي و جعل النزغ نازعا كما قيل جد جده - او اريد و اما ينزعك نازع وصفا للشيطان بالمصدر
 او لتسويله و المعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن [فاستعد بالله] من
 شره و امض على شانك و لا تطعه • الضمير في [خلقهن] لليل و النهار و الشمس و القمر لان حكم جماعة ما
 لا يعقل حكم الانثى او الاناث يقال الاقلام برقتها و بريتها او لما قال و من اياته كن في معنى الايات فقل
 خلقهن - فان قلت اين موضع السجدة - قلت عند الشافعي رحمة الله عليه تعبدون و هي رواية مسروقة
 عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها - و عند ابي حنيفة رحمة الله عليه يستؤمنون لانها تمام المعنى و هي
 عن ابن عباس و ابن عمر و سعيد بن المسيب - لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس و القمر كالصابئين
 في عبادتهم الكواكب و يزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الوسطة و أمروا ان
 يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون و كانوا مؤحدين غير مشركين • [فان استكبروا] ولم
 يمتثلوا ما أمروا به و أبوا الا الوسطة فدعهم و شأنهم فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا و ساجدا بالاخلاص و له
 العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل و النهار عن الانداد و قوله [عند ربك] عبارة عن الزلفى و المكانة
 و الكرامة - و قرئ لا يستؤمنون بكسر الياء - الخشوع التذلل و التقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت
 قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله و ترى الارض هامدة و هو خلاف وصفها بالاهتزاز و الربو
 وهو الانتفاخ اذا اخصبت و تزخرت بالنبات كأنها بمنزلة المحتال في زيه و هي قبل ذلك كالذليل
 الكاسف البال في الاطمار الرثة - و قرئ و ربث اي ارتفعت لان الغيث اذا هم ان يظهر ارتفعت له الارض •

تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيُّكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ۞ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ۝ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۞

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَالْمَعْنَى ثُمَّ ثَبَتُوا عَلَى الْإِقْرَارِ وَمَقْتَضِيَاتِهِ - وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا - وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشدّه قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان - وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالبي - وعن عثمان رضي الله عنه اخلصوا العمل - وعن علي رضي الله عنه ادوا الفرائض - وقال صفين بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال فقلت ما أخوف ما تخاف علي فاخذ رسول الله بلسان نفسه فقال هذا [تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ] عند الموت بالبشرى - وقيل البشرى في ثلثة مواطن - عند الموت - وفي القبر - واذا قاموا من قبورهم - [أَلَّا تَخَافُوا] ان بمعنى أي او مخففة من الثقيلة واصله بانّه لا تخافوا و الهاء ضمير الشأن - وفي قراءة ابن مسعود لا تخافوا - اي يقولون لا تخافوا - والخوف غم يلحق لتوقع المكروه - والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا - وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا خَلَقْتُمْ - كما ان الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة اولياء المتقين واحبائهم في الدارين [تَدْعُونَ] تدمنون - والفزل رزق النزول وهو الضيف وافتصابه على الحال [مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ] - عن ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا الى الاسلام [وَعَمِلَ صَالِحًا] فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له - وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وعن عائشة رضي الله عنها ما كنا نشك ان هذه الآية نزلت في المؤمنين وهي عامّة في كل من جمع بين هذه الثلث ان يكون مؤحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من اهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله - وقوله [وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ] ليس الغرض انه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبهم ومعتقدهم كما تقول هذا قول أبي حنيفة تريد مذهبهم يعزي ان الحسنه والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها اذا عترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك - ومثال ذلك رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تغف عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه و يقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصاناة لك - ثم قال وَمَا يُلْقَىٰ هَذِهِ الْخَلِيقَةُ او السجدة التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا اهل الصبر والا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير - فان قلت فهلا قيل فادفع بالتي هي

مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ۝ فَلَنُذِيقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ذَلِكَ جَزَاءُ
أَعْدَاءِ اللَّهِ الذَّارِ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْآخِلَةِ ۖ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ
أَضَلَّنَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْاسْفَلِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْضَلُوا

ما تَقَدَّمَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَمَا هُمْ عَازِمُونَ عَلَيْهَا - أَوْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَاتِّبَاحِ الشَّهَوَاتِ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ أَمْرِ الْعَاقِبَةِ وَأَنْ لَا يُبْعَثَ وَلَا حِسَابَ [وَحَقٌّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ] يَعْنِي كَلِمَةُ الْعَذَابِ [فِي أُمَمٍ] فِي جُمْلَةٍ أَمِّ وَمِثْلُ فِي هَذِهِ مَا فِي قَوْلِهِ * ع * إِنْ تَكُنْ عَنْ أَحْسَنِ الصَّدِيقَةِ مَأْمُوكًا نَفْسِي أَخْرِيكَ قَدْ أَفْكُوا * يَرِيدُ فَانْتِ فِي جُمْلَةٍ أُخْرَى وَأَنْتِ فِي عِدَادِ أُخْرَى لَسْتَ فِي ذَلِكَ بِأَرْحَدَ - فَإِنْ قُلْتَ فِي أُمَمٍ مَا مَحَلُّهُ - قُلْتَ مَحَلُّهُ الذَّنْبُ عَلَى الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي عَلَيْهِمْ أَيِ حَقٍّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ كَاثِلِينَ فِي جُمْلَةٍ أَمِّ [إِنَّهُمْ كَانُوا خُسِيرِينَ] تَعْلِيلٌ لِاسْتِحْقَاقِهِمُ الْعَذَابَ وَالضَّمِيرُ لَهُمْ وَاللَّامُ * قَرِئَ [وَالْغَوَافِلُ] بِفَتْحِ الْغَيْنِ - وَضَمِّهَا يُقَالُ لَغِيٌّ يَلْغِي وَلَغَا يَلْغُو وَاللُّغْوُ السَّاقُطُ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي لَا طَدْلَ تَحْتَهُ قَالَ * ع * مِنَ اللَّغْوِ وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ * وَالْمَعْنَى لَا تَسْمَعُوا لَهُ إِذَا قَرِئَ وَتَشَاغَلُوا عِنْدَ قِرَائَتِهِ بِرَفْعِ الْأَصْوَاتِ بِأَخْرَافَاتِ وَالْهَذْيَانِ وَالزَّمَلِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ حَتَّى تَخْطُوا عَلَى الْقَارِئِ وَتَشْوِشُوا عَلَيْهِ وَتَغْلِبُوهُ عَلَى قِرَائَتِهِ كَانَتْ قَرِيشُ يَوْصِي بِذَلِكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا - [فَلَاذِيقُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا] يَجُوزُ - أَنْ يَرِيدَ بِالَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ اللَّاعِبِينَ وَالْأَمْرِينَ لَهُمُ بِاللُّغْوِ خَاصَّةً - وَأَنْ يَذْكُرَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَامَّةً لِيَنْطَوُوا تَحْتَ ذِكْرِهِمْ - وَقَدْ ذَكَرْنَا إِضَافَةَ أَسْوَأَ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ - وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ [عَذَابًا شَدِيدًا] يَوْمَ بَدْرٍ [أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ] فِي الْآخِرَةِ * [ذَلِكَ] إِشَارَةٌ إِلَى الْأَسْوَأِ وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ حَتَّى يَسْتَقِيمَ هَذِهِ الْإِشَارَةُ وَ[الذَّارُ] عَطْفٌ بَيْنَ الْجُزْأَيْنِ - أَوْ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ - فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ [لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ] - قُلْتَ مَعْنَاهُ أَنَّ الذَّارَ فِي نَفْسِهَا دَارُ الْخُلْدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ وَالْمَعْنَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ وَتَقُولُ لَكَ فِي هَذِهِ الدَّارِ دَارُ السُّرُورِ وَأَنْتِ تَعْنِي الدَّارَ بَعِيدَهَا [جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا بِأَيْدِيهِمْ يَجْحَدُونَ] أَيِ جَزَاءٍ بِمَا كَانُوا يَلْعَنُونَ فِيهَا فَذَكَرَ الْجَحْدَ الَّذِي هُوَ سَبَبُ اللَّغْوِ * [الَّذِينَ أَضَلْنَا] أَيِ الشَّيْطَانِينَ الَّذِينَ أَضَلَّانَا [مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ] لِأَنَّ الشَّيْطَانَ عَلَى ضَرْبَيْنِ جِنِّيٍّ وَإِنْسِيٍّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَقَالَ الَّذِي يُوسُوفُ فِي صُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ - وَقِيلَ هُمَا ابْنُ بَلَدِسَ وَقَابِيلَ لِأَنَّهُمَا سَتَا الْكُفْرِ وَالْقَتْلِ بِغَيْرِ حَقٍّ - وَقَرِئَ أَرْنَا بِسُكُونِ الرَّاءِ لثَقُلَ الْكُسْرَى كَمَا قَالُوا فِي فِخْذٍ فِخْذٌ - وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَعْطَيْنَا الْمَذِينِ أَضْلَانًا - وَحُكُوا عَنْ الْخَلِيلِ أَنْكَ إِذَا قُلْتَ إِرْنِي ثَوْبَكَ بِالْكَسْرِ فَالْمَعْنَى بِصَرْنِيهِ وَإِذَا قُلْتَ بِالسُّكُونِ فَهُوَ اسْتَعْطَاءُ مَعْنَاهُ أَعْطِنِي ثَوْبَكَ وَنَظِيرُهُ اسْتَهَارُ الْإِيْتَاءِ فِي مَعْنَى الْإِعْطَاءِ وَأَمْلُهُ الْإِحْضَارُ * [ثُمَّ] لِقَرَاخِي السُّتَقَامَةِ عَنْ الْإِقْرَارِ فِي الْمَرْتَبَةِ وَفَضْلِهَا عَلَيْهِ لِأَنَّ السُّتَقَامَةَ لَهَا الشَّانُ كُلُّهُ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّمَا

إِذَا مَا جَاءَ وَهَذَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ۚ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ۝ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَنْتُمْ بِخَسِرِينَ ۝ فَإِنْ يَصْصِرُوا فَالْغَارُ مَثْوًى لَهُمْ ۚ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَذِرِينَ ۝ وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ

ولا وجه لأن يخلو منها ومثله قوله تعالى أنتم إذا ما وقع أمتكم به أي لابد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به - شهادة الجلود بالملامسة الحرام وما أشبه ذلك مما يفضي إليها من المحرمات - فإن قلت كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق - قلت الله عز وجل ينطقها كما انطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما - وقيل المراد بالجلود الجوارح - وقيل هي كناية عن الفروج - أراد [بكل شيء] كل شيء من الحيوان كما أراد به في قوله والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدرات والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على أنطق كل حيوان وعلى خلقكم وانشاءكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه - وإنما قالوا لهم [لم شهدتم علينا] لما تعاضهم من شهادتها وكبر عاينهم من الافتضاح على أسنة جوارحهم * المعنى أنكم [كنتم تستكبرون] بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استنكاركم ذلك خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم إنما استنكرتم لظنكم [أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون] وهو الخفيات من أعمالكم وذلك الظن هو الذي أهلككم وفي هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله عينا كالنقطة وقيما مهيمنا حتى يكون في أوقات خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا يتبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظالمين - وقرئ ولكن زعمتم - [وذلكم] رفع بالابتداء وظنكم وأردكم خبران - ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأردكم الخبر - [فإن يصبروا] لم ينفهم الصبر ولم ينفقوا به من الثواء في النار [وإن يستغيثوا] وإن يسألوا العذبي وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعثبوا لم يعطوا العتبي ولم يجابوا إليها ونحوه قوله عز وجل أجزعنا أم صبرنا ما لذا من محيص - وقرئ وإن يستغيثوا فما هم من المعتدين أي أن سئلوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون أي لا سبيل لهم إلى ذلك * [وقيضنا لهم] وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيطان إذا كانا متكافئين والمقائضة المعاوضة [قرناء] اخدان من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين - فإن قلت كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينههم عن اتباع خطواتهم - قلت معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش - نقيض - [ما بين أيديهم وما خلفهم]

سورة حم السجدة ٣١

الجزء ٢٣

ع ١٦

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لَنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا * وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ٥ وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٦ وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَنْقُوتُونَ ٧ وَ يَوْمَ نَحْشُرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ٨ حَتَّى

الفاعل من تميز بذات او بصحة بنية وهي نقيضة العجز و الله سبحانه لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم قوة و انما يصح اذا اريد بالقوة في الوضعين شيء واحد - قلت القدرة في الانسان هي صحة البدنية و الاعتدال و القوة هي الشدة و الصلابة في البدنية و حقيقتها زيادة القدرة فكما صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم [يَجْعَدُونَ] كانوا يعرفون انها حق و لكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعه و هو معطوف على فاستكبروا اي كانوا كفرا فسقة - الصرصر العاصفة التي تصرصر اي تصوت في هبوبها - و قيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبذاء الصر و هو البرد الذي يصر اي يجمع و يقبض [نَحْسَاتٍ] قرى بكسر الحاء و سكونها و نحس نحسا نقيض سعد سعدا و هو نحس و اما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر - و قرى لَذِيقَهُمْ على ان الاذقة للريح او لاياام النحسات و اضاف العذاب الى الخزي و هو الذل و الاستكانة على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء و الدليل عليه قوله و لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى و هو من الاسناد المجازي و وصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به الا ترى الى البتون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر - و قرى [ثَمُودُ] بالرفع و النصب منونا و غير منون و الرفع انصح لوقوعه بعد حرف الابتداء - و قرى بضم الناء - [فَهَدَيْنَاهُمْ] فدللناهم على طريقتي الضلالة و الرشد كقوله تعالى وَ هَدَيْنَاهُ النُّجْدَيْنِ [فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى] فاخترارا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد - فان قلت أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى و الدليل عليه قولك هَدَيْتَهُ فاهتدى بمعنى تحصيل البغية و حصولها كما تقول رَدَعْتَهُ فارتدع فكيف سأل استعمله في الدلالة المجردة - قلت للدلالة على انه مكنهم و ازاح عنهم و لم يبق لهم عذرا و لا علة فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها و يقتضيها [صَاعِقَةُ الْعَذَابِ] داهية العذاب و قارعة العذاب و [الْهُونِ] الهوان و وصف به العذاب مبالغة - او ابدله منه و لو لم تكن في القرآن حجة على القدرة الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها صلى الله عليه و آله و سلم و كفى به شاهدا الا هذه لكفى بها حجة * قرى [يُحْشَرُ] على البذاء للمفعول - و نحش بالذنون و ضم الشين - و كسرهما - و يحش على البذاء للفاعل اي يحشر الله عز و جل [أَعْدَاءُ اللَّهِ] الكفار من الاولين و الآخرين [يُوزَعُونَ] يحبس اولهم على اخرهم اي تستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليتهم و هي عبارة عن كثرة اهل النار نسأل الله ان يجيرنا منها بمعة رحمته - فان قلت ما في قوله [حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا] ما هي - قلت مزيدة للتاكيد و معنى التاكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم

تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ط قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ © فَمَا عَادَ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّْا قُوَّةً ط أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ط وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ ©

كل حيلة و تقول استدرت بفلان من كل جانب فلم تكن لي فيه حيلة - وعن الحسن أنذرهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد جأؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم - وقيل معناه ان جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم - فان قلت الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جأؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ - قلت قد جاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم اي من قبلهم ومن يجي من خلفهم اي من بعدهم فكان الرسل جميعا قد جأؤهم وقولهم إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم - أن في [لَا تَعْبُدُوا] بمعنى أي - او مصحفة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا و مفعول شاء محذوف اي [لَوْ شَاءَ رَبُّنَا] ارسال الرسل [لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ] معناه فان انتم بشر و لستم بملائكة فاننا لا نؤمن بكم و بما جئتم به و قولهم أُرْسِلْتُمْ بِهِ ليس باقرار بالارسال و انما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ - روي ان اباجهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر و الكهانة و السحر فكلمه ثم اتانا ببيدان عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر و الكهانة و السحر و علمت من ذلك علما و ما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطاب انت خير ام عبد الله فبم تشتم الهتنا وتضلنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا و ان تلك بك الباعة زوجناك عشر نسوة تختارهن اي بذات قريش شئت و ان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ساكت فلما فرغ قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم الى قوله مِثْلَ صِغَةِ عَادَ وَ تَمُودَ فامسك عتبة على فيه و ناشده بالرحم ورجع الى اهله و لم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه و قالوا يا عتبة ما حبسك عدا الا انك قد صبات فغضب و اقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر و لا كهانة و لا سحر ولما بلغ صِغَةَ عَادَ وَ تَمُودَ امسكت بفيه و ناشدته بالرحم ان يكف و قد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب - [فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ] اي تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظم و هو القوة و عظم الاجرام - او استعلوا في الارض و استولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية [مَنْ أَشَدُّ مِنَّْا قُوَّةً] كانوا ذوي اجسام طوال و خلق عظيم و بلغ من قوتهم ان الرجل كان يزرع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده - فان قلت القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقیضة الضعف و اما القدرة فما لاجله يصح الفعل من

سورة حم السجدة ١٤

الجزء ٢٤

ع ١٥

إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ۖ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعَتَيْنِ ۖ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ۖ وَآخَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۖ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ۖ وَحِفْظًا ۖ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۖ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا

الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك و ائتي يا سماء مقبدة سقفا لهم - ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا و جاء مقبولا - و يجوز ان يكون المعنى لئلا كل واحدة منكما صاحبتهما الاتيان الذي اريده و تقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسماء و كون السماء سقفا للارض و تنصرة قراءة من قرأ اتيًا و اتيًا من المواتاة وهي الموافقة اي لقوات كل واحدة اختها و لتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا - و يحتمل واقفا امرى و مشيتي و لا تمقنا - فان قلت ما معنى [طَوْعًا أَوْ كَرْهًا] - قلت هو مثل اللزوم تأثير قدرته فيهما و ان امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابديت و لتفعلن طوعا او كرها و انتصباهما على الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين - فان قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ او طائعات على المعنى لانها سموات و ارضون - قلت لما جعلن مخاطبات و مجيديات و وصفن بالطوع والكراهة قيل طائعتين في موضع طائعات نحو قوله سجدتين [فقضاهن] - يجوز ان يرجع الضمير فيه الى السماء على المعنى كما قال طائعتين و نحوه اعجاز نخل خاوية - و يجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبتين ان احدهما على الحال و الثاني على التمييز - قيل خلق السموات و ما فيها في يومين في يوم الخميس و الجمعة و فرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها ادم و هي الساعة التي تقوم فيها القيمة و في هذا دليل على ما ذكرت من انه لو قيل في يومين في موضع في اربعة ايام سواء لم يعلم انهما يومان كاملان ام ناقصان - فان قلت فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين و قدر فيها اقواتها في يومين كاملين - او قيل بعد ذكر اليومين تلك اربعة سواء - قلت الذي اورده سبحانه اخصر و افصح و احسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح و مصالك الركب ليتميز الفاضل من الناقص و المتقدم من الناقص و ترتفع الدرجات و يتضاعف الثواب [امرها] ما امر به فيها و دبره من خلق الملكة و التيرات و غير ذلك او شأنها و ما يصلحها [و حفظا] و حفظناها حفظا يعنى من المسترقة بالثواب - و يجوز ان يكون مفعولا له على المعنى كانه قال و خلقنا المصابيح زينة و حفظا * [فان اعرضوا] بعد ما تملوا عليهم من هذه الحجج على وحدانيته و قدرته فحذرهم ان تصيبهم صاعقة اي عذاب شديد الوقع كانه صاعقة - و قرئ صَعَقَةٌ مِثْلَ صَعَقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ و هي المرة من الصَعَقِ او الصَعَقِ يقال صَعَقَهُ الصاعقة صَعَقًا فصعق صَعَقًا و هو من باب فعلته ففعل [مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ] اي اتوهم من كل جانب و اجتهدوا بهم و اعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو و الاعراض كما حكى الله عن الشيطان لَا تَدْرِي مَنْ يَدِينُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ يَعْنِي لَا تَدْرِي مَنْ يَدِينُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ و لاعلمن فيهم

سورة حم السجدة ٢١ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمَاقَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ۖ سَوَاءً لِّلْمُسَائِلِينَ ۖ ۝ ثُمَّ اسْتَوَىٰ

الجزء ٢٤

ع ١٥

اختار ارساءها فوق الارض لتكون المنافع في الجبال معروضة لاطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصران الارض والجبال
انقال على انقال كلها مفتقرة الى ممسك لابتدائها منه وهو ممسكها عز و علا بقدرته [وَبَارَكَ فِيهَا] و اكثر
خيرها و انماها [وَقَدَّرَ فِيهَا أَمَاقَاتَهَا] ازراق اهلها و معاشهم و ما يصلحهم - و في قراءة ابن مسعود وَقَسَمَ فِيهَا أَمَاقَاتَهَا
[فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً] فذلك امددة خلق الله الارض و ما فيها كأنه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية
بلا زيادة و لا نقصان - قيل خالق الارض في يوم الاحد و يوم الاثنين و ما فيها يوم الثلاثاء و يوم الاربعاء و قال
الزجاج في اربعة ايام في تنمة اربعة يريد بالتنمة اليومين - و قرئ سَوَاءً بالحركات الثلاث - الجرع على الوصف -
و النصب على استوت سَوَاءً اي استواء - و الرفع على هي سَوَاءً - فان قلت بم تعلق قوله [لِّلْمُسَائِلِينَ] - قلت
بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لاجل من سأل في كم خلقت الارض و ما فيها - او بقدر اي قدر فيها الاوقات
لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين و هذا الوجه الاخير لا يستقيم الاعلى تفسير الزجاج -
فان قلت هلا قيل في يومين و اي فائدة في هذه الفذلة - قلت اذا قال في اربعة ايام و قد ذكر ان الارض
خلقت في يومين علم ان ما فيها خلق في يومين فبقية المخايرة بين ان يقول في يومين و ان يقول في
اربعة ايام سواء فكانت في اربعة ايام سَوَاءً فائدة ليست في يومين و هي الدلالة على انها كانت اياما كاملة
بغير زيادة و لا نقصان و لو قال في يومين و قد يطلق اليومان على اكثرهما لكن يجوز ان يريد باليومين
الاولين و الآخرين اكثرهما * [ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ] من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجهها
لا يلوي على شيء و هو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج و نحوه قولهم استقام اليه و امتد اليه و منه قوله
تعالى فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ و المعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض و ما فيها من غير
صارف بصرفه عن ذلك - قيل كان عرشه قبل خلق السموات و الارض على الماء - فاخرج من الماء دخانا فارتفع
فوق الماء و علا عليه - فَأَبْدَسَ الْمَاءُ فجعله ارضا واحدة - ثم فتقها فجعلها ارضين - ثم خلق السماء من الدخان
المرتفع - و معنى اَصَوَّ السماء و الارض بالاتيان و امتثالهما انه اراد تكوينهما فلم تمتنعا عليه و وجدت كما
ارادهما و كانتا في ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الامر المطاع و هو من المجاز الذي يسمى التمثيل -
و يجوز ان يكون تخييلا و يبني الامر فيه على ان الله تعالى كلم السماء و الارض و قال لهما ائْتِيَا شَتْمَا ذَلِكَ
ار ايتماه فَقَالَتَا ائْتَيْنَا عَلَى الطوع لا على الكره و الغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان
يحقق شيء من الخطاب و الجواب و نحوه قول القائل قال الجدار للوثة لم تشقني قال الوثة اسأل من
يدقني فام يتركني و رائني الحجر الذي ورائي - فان قلت لم ذكر الارض مع السماء و انتظمهما
في الامر بالاتيان و الارض مخلوقة قبل السماء بيومين - قلت قد خلق جرم الارض اولاً غير مدحوة ثم
وحاها بعد خلق السماء كما قال وَ الْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا فالمعنى ائْتِيَا على ما ينبغي ان تأتيا عليه من

حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّمَا عَمَلُونَ ⑥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ⑦
وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ⑧ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ⑨ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ ⑩ قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ⑪ ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ⑫

سورة حم السجدة ١٤١

الجزء ٢٤

ع ١٥

بَيِّنًا وَبَيِّنًا [حِجَابٌ] فائدة - قلت نعم لانه لو قيل وبيِّنًا وبيِّنًا حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل
وسط الجهتين و اما بزيادة من فالمعنى ان الحجاب ابتداء منّا و ابتداء منكم فالمسافة المتوسطة لجهتنا
و جهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها - فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي اذاننا وقرليكون
الكلام على نمط واحد - قلت هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة و على قلوبنا
اكنة والدليل عليه قوله تعالى اِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ اَكِنَّةً و لو قيل انا جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى
وترى المطابع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعاني - فان قلت من اين كان قوله اِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ
يُوحَى إِلَيَّ [جوابا لقولهم قلوبنا في اكنة] - قلت من حديث انه قال لهم اني لست بملك و اِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ و قد
أوحى اليّ درنكم فصحت بالوحي اليّ و انا بشر نبوتي و اذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفي ما يوحى اليّ
ان الهكم اله واحد [فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ] فاستقروا اليه بالتوحيد و اخلاص العبادة غير ذاهبين يميننا و لا شمالا و لا ملتفتين
الى ما يستولئكم الشيطان من اتخاذ الاولياء و الشفعاء و توبوا اليه مما سبق لكم من الشرك و استغفروا - و قرى
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ - فان قلت لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة - قلت
لان احب شيء الى الانسان ماله و هو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته
و استقامته و صدق نيته و نصوح طوبته الا ترى الى قوله عز و علا مَثَلُ الَّذِينَ يَبْذُلُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ
اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ اِي يَثْبِتُونَ انفسهم و يدلون على ثباتها بانفاق الاموال و ما خُذِعَ المؤلفة قلوبهم الا
بلمظة من الدنيا فقررت عصبيتهم و لانت شكيمتهم و اهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم
ما تظاهروا الا بمنع الزكاة فنصببت لهم الحرب و جاهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكاة و تخويف
شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين و قرن بالكفر بالآخرة - و قيل كانت قریش
يُطعمون الحاج و يحرمون من امن منهم برسول الله صلى الله عليه و اله و سلم - و قيل لا يفعلون ما يكونون
به اذكياء و هو الايمان - الممنون المقطوع - و قيل لا يؤمن عليهم لانه انما يؤمن التفضل فاما الاجر فحق اداؤه -
و قيل نزلت في المرضى و الزمنى و الهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كُتِبَ لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون
[اِنَّكُمْ] بهمزتين الذائبة بين بين و اِنَّكُمْ بالف بين همزتين ذاك الذي قدر على خلق الارض [في] مدة
[يَوْمَيْنِ] هو رَبُّ الْعَالَمِينَ * [رَوَّاسِي] جبلا ثوابت - فان قلت ما معنى قوله [مِنْ قَوْهَا] و هلا اقتصر على
قوله وَجَعَلَ فِيهَا رَوَّاسِي كقوله وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَّاسِي شِمَخِي - وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَّاسِي - وَجَعَلَ لَهَا رَوَّاسِي -
قلت لو كانت تحتها كالاساطين لها تستقر عليها او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان و انما

حروفها
٣٤٠٤

سورة حم السجدة مكية وهي اربع وخمسون آية و ستة ركوعا •

كلماتها
٨٠٩

سورة حم السجدة ١٤١

الجزء ٢٤

ع ١٤

الثلث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كُتِبَ فَصَّلَتْ أَيْدِي قُرَآنَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۝ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنْهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ

اي و خسروا وقت رؤية البأس و كذلك قوله و خسر هذالك المبطلون بعد قوله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق اي و خسروا وقت مجيء امر الله او وقت القضاء بالحق - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي و لا صديق و لا شهيد و لا مؤمن الا صلى عليه و استغفر له •

سورة حم السجدة

ان جعلت حم اسماً للسورة كانت في موضع المبتدأ و تنزيل خبره - و ان جعلتها تعديداً للحروف كان تنزيل خبراً لمبتدأ محذوف - و كتب بدل من تنزيل - او خبر بعد خبر - او خبر مبتدأ محذوف - و جوز الزجاج ان يكون تنزيل مبتدأ و كتب خبره و وجهه ان تنزيلاً تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ [فصلت أيتة] ميّزت و جعلت تفاصيل في معانٍ مختلفة من احكام و امثال و مواعظ و وعد و وعيد و غير ذلك - و قرئ فصلت اي فرقت بين الحق و الباطل - او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد [قرأنا عربياً] نصب على الاختصاص و المدح اي أريد بهذا الكتاب المفصل قرأنا من صفته كيت و كيت - و قيل هو نصب على الحال اي فصلت أيتة في حال كونه قرأنا عربياً [لقوم يعلمون] اي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبيّنة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه - فان قلت بم يتعلق قوله [لقوم يعلمون] - قلت يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفصلت اي تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم و الاجود ان يكون صفة مثل ما قبله و ما بعده اي قرأنا عربياً كائناً لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات و الصفات - و قرئ بشيراً و نذيراً صفة للكتاب او خبر مبتدأ محذوف [فهم لا يسمعون] لا يقبلون و لا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي و لقد سمعته ولكنه لما لم يقبله و لم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه - و الأكنة جمع كنان و هو الغطاء - و الوقر بالفتح الثقل - و قرئ بالكسر و هذه تمثيلات لنحو قلوبهم عن تقبل الحق و اعتقاده كأنها في غلف و اغطية تمنع من نفوذ فيها كقوله و قالوا قلوبنا غلف و مرج اسماعهم له كأن بها صمماً عنه و لتباعد المذهبيين و الدينين كأن بيدهم و ما هم عليه و بين رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ما هو عليه حجاباً ساتراً و حاجزاً منيعاً من جبل او نحوه فلا تلاقي و لا تراعي [فاعمل] على ذلك [انذا عملون] على ديننا - او فاعمل في ابطال امرنا انذا عملون في ابطال امرك - و قرئ انّا عملون - فان قلت هل لزيادة من في قوله [و من]

يَكْسِبُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْا
بَاسًا قَالُوا ائْتِنَا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكُفِّرْنَا بِمَا كُذِّبَ بِهِ مَشْرِكِينَ ۝ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا ۖ سُدَّتْ
اللَّهُ إِلَيْهِ قَدْحَاتُ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هَٰذَاكَ الْكَافِرُونَ ۝ ع

سورة المؤمن

الجزء ٢٤

ع ١٤

او كسبهم [فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ] فيه وجوه - منها انه اراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله
بَلْ اَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ و علمهم في الآخرة انهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة
قَائِمَةٌ وَلَكِنْ رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي اِنْ لِي عِنْدَهُ لَلْخُسْنَىٰ - وَمَا اُظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَكِنْ رُدُّتُ إِلَىٰ رَبِّي
لَا جِدْنَ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا و كانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البديئات و علم الانبياء كما قال عز وجل كُلُّ
حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ - و منها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان و كانوا اذا سمعوا بوحي
الله دفعوه و صغروا علم الانبياء الى علمهم - و عن سقراط انه سمع بموسى صلوات الله عليه و قيل له
لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا - و منها ان يوضع قوله فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ
من العلم و لا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفى فرحهم بالوحي
الموجب لاقصى الفرح و المسترة مع تهكم بفرط جهلهم و خلوهم من العلم - و منها ان يراى فَرِحُوا بِمَا عِنْدَ
الرَّسْلِ من العلم فرح ضحك منه و استهزاء به كأنه قال استهزأوا بالبديئات و بما جازأ به من علم الوحي
فرحين مرحين و يدل عليه قوله تعالى وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ - و منها ان يجعل الفرح للرسل
و معناه ان الرسل لما رأوا جهلهم المتماذي و استهزأهم بالحق و علموا سوء عاقبتهم و ما يلحقهم من العقوبة
على جهلهم و استهزائهم فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا من العلم و شكروا الله عليه [وَحَاقَ] بالكافرين جزاء جهلهم
و استهزائهم - و يجوز ان يريد بما فَرِحُوا به من العلم علمهم بامور الدنيا و معرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى
يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰفِلُونَ ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل
بعلوم الديانات و هي ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا و اظلف عن الملاذ و الشهوات
لم يلتفتوا اليها و صغروها و استهزأوا بها و اعتقدوا انه لا علم انفع و اجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به •
البأس شدة العذاب و منه قوله تعالى بِعَذَابٍ بَئِيسٍ - فَاَنْ قُلْتُ اَي فرق بين قوله فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ
اِيْمَانُهُمْ و بينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم - قلت هو من كان في نحو قوله مَا كَانَ لِلَّهِ اَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ و المعنى
فلم يصح و لم يستقم ان ينفعهم ايمانهم - فَاَنْ قُلْتُ كيف ترادفت هذه اللفاظ - قلت اما قرأه فَمَا اَغْنَىٰ
عَنْهُمْ فهو نتيجة قوله كَانُوا اَكْثَرُ مِنْهُمْ و اما قوله فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فجار مجرى البديان و التفسير لقوله
فَمَا اَغْنَىٰ عَنْهُمْ كقولك رُزْقٌ زَيْدٌ المال فَمَنْعَ المعروف فلم يحسن الى الفقراء و قوله فَلَمَّا رَأَوْا بَاسًا تَابِعُ
لقوله فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ كانه قال فكفروا فَلَمَّا رَأَوْا بَاسًا اَمْذُوا و كذلك فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ اِيْمَانُهُمْ تَابِعُ لايمانهم لما
رَأَوْا بَاسًا الله [سُدَّتْ إِلَيْهِ] بمنزلة وَعَدَ اللَّهُ و ما اشبهه من المصادر المؤكدة و [هَٰذَاكَ] مكان مستعار للزمان

يُرْجَعُونَ ① وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ ② وَ مِنْهُمْ مَنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ③ وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ④ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُقِصِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ⑤ عَالِي اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْإِنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ⑥ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ⑦ وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ⑧ وَ لِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ⑨ وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى الْفُلْكِ تَحْمَلُونَ ⑩ وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ⑪ فَآيَ آيَةِ اللَّهِ تَذَكَّرُونَ ⑫ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ⑬ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ أَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا

جزاء واحد و هو قوله فَإِنَّا يُرْجَعُونَ فقولك فإمّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ فَإِنَّا يُرْجَعُونَ غير صحيح -
وان جعلت فَإِنَّا يُرْجَعُونَ مختصا بالمعطوف الذي هو تَتَوَفَّيَنَّكَ بقي المعطوف عليه بغير جزاء -
قلت فَإِنَّا يُرْجَعُونَ متعلق بتتوَفَّيَنَّكَ وجزاء نُرِيَنَّكَ محذوف تقديره فإمّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ من العذاب و هو القتل و الأسر يوم بدر فذاك أو إن تَتَوَفَّيَنَّكَ قبل يوم بدر فَإِنَّا يُرْجَعُونَ يوم القيمة فننتقم منهم أشد الانتقام و نحوه قوله تعالى فإمّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ أو نُرِيَنَّكَ الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون •
[وَ مِنْهُمْ مَنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ] قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل و أربعة آلاف من سائر الناس - و عن علي رضي الله عنه أن الله بعث نبيا أسود فهو ممن لم يقصص عليه و هذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله عنادا يعنني أنا قد أرسلنا كثيرا من الرسل [وَ مَا كَانَ] لواحد منهم [أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ] فمن لي بأن آتي بآية مما تقتضونه إلا أن يشاء الله و يأذن في الآتيان بها [فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ] و عید و رد عقيب اقتراح الآيات و [أَمْرُ اللَّهِ] القيمة [الْمُبْطِلُونَ] المعاندون الذين اقترحوا الآيات و قد اتهم الآيات فانكروها و سموها سحرا • [الْإِنْعَام] الأبل خاصة - فان قلت لم قال [لِتَرْكَبُوا - مِنْهَا] و لِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا] و لم يقل و لتأكلوا منها لتصلوا إلى منافع أو هلا قال منها تركبون و منها تأكلون و تبلغون عليها حاجة في صدوركم - قلت في الركوب الركوب في الحج و الغزو و في بلوغ الحاجة الهجرة من بلد إلى بلد لأقامة دين أو طلب علم و هذه أغراض دينية أما واجبة أو مندوب إليها مما يتعلق به إرادة الحكيم و أما الأكل و إصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به إرادته و معنى قوله تعالى [وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى الْفُلْكِ تَحْمَلُونَ] و على الأنعام و حدها لا تحملون و لكن عليها و على الفلك في البر و البحر - فان قلت هلا قيل و في الفلك كما قال قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين - قلت معنى الإيعاء و معنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لأن الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان و أيضا فليطابق قوله و عَلَيْهَا و يزوجه -
[فَآيَ آيَةِ اللَّهِ] جاءت على اللغة المستفيدة و قولك فآية آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر و المؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار و حمارة غريب و هي في أي غريب لابهامه • [وَ أَثَارًا] قصورهم و مصانعهم - و قيل مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم [فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ] ما نافية أو مضمنة معنى الاستفهام و محلها النصب و الثانية موصولة أو مصدرية و محلها الرفع يعنني أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم

يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ۖ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا قَدْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
 أَنْ الْأَغْلَى فِي أَعْذَابِهِمْ وَالسَّلْسِلُ ۖ يُسْحَبُونَ ﴿١٢﴾ فِي الْحَمِيمِ ۖ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ آيِنَ مَا
 كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿١٤﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَذَابًا لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْعًا ۖ كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾
 ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۖ وَمَا كُنْتُمْ تُمْرِحُونَ ﴿١٦﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا ۖ
 فَبُدِّسَ صُدُورُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٧﴾ فَأَمَّا نَرِيكَ بِعَظْمِ الدِّينِ نَعُدُّهُمْ أَوْ تَدَّوْقِيكَ فَالْيَدِ

فِي أَعْنَاقِهِمْ] الامثال قولك سوف اصوم امس - قلت المعنى على اذا الا ان الامور المستقبلية لما كانت في اخبار الله متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان و وجد و المعنى على الاستقبال - و عن ابن عباس و السلسل يسحبون بالذصب و فتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية - و عنه و السلسل يسحبون بجر السلسل و وجهه انه لو قيل اذا اعناقهم في الاغلال مكان قوله اذ الاغلال في اعناقهم لكان محكما مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقتين حمل قوله و السلسل على العبارة الاخرى ونظيره * ع * مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * و لا ناعب * كانه قيل بمصلحين - و قرئ و بالسلسل يسحبون في النار [يسجرون] من سجر التنوير اذا ملاه بالوقود و منه السجير كانه سجر بالحبت اي مائي و معناه انهم في النار فهي محيطة بهم و هم مسجرون بالنار مملوءة بها اجوافهم و منه قوله تعالى فار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من نارك فاننا عائدون بجوارك [ضلوا عنا] غابوا عن عيوننا فلا نراهم و لانفتح بهم - فان قلت اما ذكرت في تفسير قوله تعالى انكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم انهم مقرنون بالهتف فكيف يكونون معهم و قد ضلوا عنهم - قلت يجوز - ان يضلوا عنهم اذا وتخوا و قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم و يشفعوا لكم - و ان يكونوا معهم في سائر الاوقات - و ان يكونوا معهم في جميع اوقاتهم الا انهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم [بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا] اي تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا و ما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا [كذلك يضل الله الكافرين] مثل ضلال الهتهم عنهم يضلهم عن الهتهم حتى لو طلبوا الالهة او طلبتهم الالهة لم يتصادفوا [ذاكم] الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح و المرح [بغير الحق] و هو الشرك و عبادة الوثان [ادخلوا ابواب جهنم] السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم [خلدن] مقدرين الخلود [فبئس مثوى المتكبرين] عن الحق المستخفين به مثواكم او جهنم - فان قلت اليس قياس النظم ان يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى - قلت الدخول الموقت بالخلود في معنى الذواء [فاما نريدك] اصله فان نرك و ما مزيدة لتأكيد معنى الشرط و لذلك اُلحقت الفون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك و لكن اما تكرمني اكرمك - فان قلت لا يخلو - اما ان تعطف [او نتوفيتك] على نريدك و تشركها في

الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً ۝ وَ صَوَّرَكُم فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ۝ وَ رَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۝ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۝ فَتَبَرَّكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي ۝ وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ۝ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا ۝ وَ مِنْكُمْ مَّنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ وَ لَتَبْلُغُوا أَجَلَ مُّسَمًّى ۝ وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ هُوَ الَّذِي يُخَيِّبُ وَ يُمِيتُ ۝ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

أي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية و الربوبية و خلق كل شيء و انشائه لا يمتنع عليه شيء و الوحدانية لا ثاني له [فإني تؤمّنون] فكيف و من أي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان ثم ذكر ان كل من جحد بآيات الله و لم يتأملها و لم تكن فيه همة طلب الحق و خشية العقاب أفك كما أفكوا - و قرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص - و يؤفكون بالياء و الناء - هذه ايضا دلالة اخرى على تميزه بانفعال خاصة وهي انه [جعل] الارض مستقرا [و السماء بناء] أي قبة و منه ابذية العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض [فأحسن صوركم] - و قرئ بكسر الصاد و المعنى واحد - قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان - و قيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله تعالى في احسن تقويم [فادعوه] فاعبدوه [مخلصين له الدين] أي الطاعة من الشرك و الرياء قائلين [الحمد لله رب العالمين] و عن ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين - فان قلت أما نهى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن عبادة الاوثان بادلة العقل حتى جاءته البيّنات من ربه - قلت بلى و لكن البيّنات لما كانت مقوية لادلة العقل و مؤكدة لها و مضمّنة ذكرها نحو قوله تعالى اتعبدون ما تنحوتون و الله خلقكم و ما تعملون و اشباه ذلك من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البيّنات ذكرا لادلة العقل و السمع جميعا و انما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر تناصر الادلة ادلة العقل و ادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم و ان كانت ادلة العقل وحدها كافية [لتبلغوا أشدكم] متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبعثكم لتبلغوا وكذلك [لتكُونوا] و اما و لتبلغوا أجلا مسمى فمعناه و نفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى و هو وقت الموت - و قيل يوم القيمة - و قرئ شيوخا بكسر الشين - و شيخا على التوحيد كقوله طغلا و المعنى كل واحد منكم او اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس [من قبل] من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا [و لعلكم تعقلون] ما في ذلك من العبر و الحجج [فاذا قضى امرا] فانما يكونه من غير كلفة و لا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء و الاماتة و سائر ما ذكر من افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شيء و اسرعه [بالكتب] بالقرآن - [و بما أرسلنا به رسلا] من الكتب - فان قلت و هل قوله [فسوف يعلمون] ان الأغفل

وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝ وَالَّذِينَ
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ ۝ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ۝ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
 لَا يَوْمِنُونَ ۝ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
 دَاخِرِينَ ۝ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْيَدَّ لِتَسْكُبُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۝ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۝ فَانْتَبِهْ ۝ فَانْتَبِهْ ۝ كَذَلِكَ يُؤْتِكُ

سورة المؤمن ٤٠

الجزء ٢٤

ع ١١

[لَا يَعْمَلُونَ] لانهم لا ينظرون و لا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم و اتباعهم اهواءهم * ضرب الاعمى و البصير مثلا
 للمحسن و المسيء - و قرئ [يَتَذَكَّرُونَ] بالياء و التاء و التاء اعم * [لَا رَيْبَ فِيهَا] لا بد من مجيئها و لا محالة و ليس
 بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء [لَا يَوْمِنُونَ] لا يصدقون بها - [ادْعُونِي] اعبُدُونِي و الدعاء بمعنى العبادة كثير
 فى القرآن و يدل عليه قوله إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي - و الاستجابة الاثابة و فى تفسير مجاهد اعبُدُونِي
 اتَّبِعْكُمْ - و عن الحسن و قد سئل عنها اعملوا و آبشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين آمنوا و عملوا
 الصالحات و يزيدهم من فضله - و عن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء و فى
 الحديث اذا شغل عبي طاعتي عن الدعاء اعطيتك افضل ما اعطى السائلين - و روى النعمان بن بشير
 رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الدعاء هو العبادة و قرأ هذه الآية - و يجوز ان يريد
 الدعاء و الاستجابة على ظاهرهما و يريد بعبادتي دعائى لان الدعاء باب من العبادة و من افضل ابوابها يصدق
 قول ابن عباس افضل العبادة الدعاء - و عن كعب اعطى الله هذه الامة ثلث خلال لم يعطهن الا نبيا مرسل
 كان يقول لكل نبي انت شاهدي على خلقي و قال لهذه الامة اتمكونوا شهداء على الناس و كان يقول ما عليك
 من حرج و قال لذا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج و كان يقول ادعني استجب لك و قال لذا ادعوني
 استجب لكم - و عن ابن عباس و جدوني اغفر لكم و هذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد [دَاخِرِينَ]
 صاغرين * [مُبْصِرًا] من الاسناد المجازي لان ابصار فى الحقيقة لاهل النهار - فان قلت لم قرن الليل بالمفعول
 له و النهار بالحال و هلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة - قلت هما متقابلان من حيث
 المعنى لان كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر و لانه لو قال لتبصروا فيه فانت الفصاحة الملتى فى
 الاسناد المجازي و لو قيل ساكننا و الليل يجوز ان يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساكن
 و ساكن لا ربح فيه لم يتميز الحقيقة من المجاز - فان قلت قيل كمفضل او لمفضل - قلت لان الغرض
 تذكير الفضل و ان يجعل فضلا لا يوازيه فضل و ذلك انما يستوي بالاضافة - فان قلت فلو قيل و لكن اكثر
 هم فلا يتكرر ذكر الناس - قلت فى هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم و انهم هم الذين يكفرون فضل
 الله و لا يشكرونه كقوله إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ - إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ - إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ * [ذَلِكُمُ] المعام
 المتميز بالافعال الخاتمة التي لا يشاركه فيها احد هو [اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ] اخبار مترادفة

موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب ٥ هدى وذكرى لأولي الألباب ٥ فاصبر إن وعد الله حق
 واستغفر لذنبك وسبج بحمد ربك بالعشي والإبكار ٥ إن الذين يجادلون في آيت الله بغير سلطان
 اتهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه ٥ فاستعذ بالله ٥ إنه هو السميع البصير ٥ لخلق السموات

مودة المؤمن ٤٠

الجزء ٢٤

ع ١٠

جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة من الملائكة والأنبياء والمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتكونوا شهداء على الناس - واليوم الثاني بدل من الأول يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة
 ولكنها لا تدفع لأنها باطلة وأنهم لو جازوا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون [ولهم
 اللعنة] البعد من رحمة الله [ولهم سوء الدار] أي سوء دار الآخرة وهو عذابها - وقرى يقوم ولا ينفع
 بالتاء والياء يريد بالهدى جميع ما أتاه في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع [وأورثنا] وتركنا
 على [بني إسرائيل] من بعده [الكتاب] أي التوراة [هدى وذكرى] إرشاداً وتذكيراً وانتصابهما على المفعول
 له أو على الحال - وأولوا الألباب المؤمنون به العاملون بما فيه [فاصبر إن وعد الله حق] يعني إن
 نصرة الرسل في ضمان الله وضمن الله لا يخلف واستشهد بموسى وما أتاه من أسباب الهدى والنصرة
 على فرعون وجذوده وإبقاء آثار هداية في بني إسرائيل والله ناصر كما نصرهم ومظهر على الدين كله
 ومبلغ ملك امتك مشارق الأرض ومغاربها فاصبر على ما يجرك قومك من الغصص فإن العاقبة
 لك وما سبق به وعدي من نصرتك و إعلاء كلمتك حق وأقبل على التقوى واستدراك الفطرات
 بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه [بالعشي والإبكار] - وقيل هما صلوات العصر والفجر [إن في
 صدورهم إلا كبر] التكبر وتعظم وهو إرادة التقدم والرياسة وإن لا يكون أحد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا
 آياتك خيفة إن تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لأن الذبوة تحتها كل ملك ورياسة - أو
 إرادة أن تكون لهم الذبوة دونك جسداً وبغياً ويدل عليه قوله لو كان خيراً ما سبقونا إليه - وإرادة دفع الآيات
 بالجدال [ما هم ببالغيه] أي ببالي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق إرادتهم من الرياسة أو الذبوة
 أو دفع الآيات - وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال
 ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله فيرجع الدنيا الملك فسمى الله تمتيهم
 ذلك كبراً ونفى أن يبلغوا متمناهم [فاستعذ بالله] فالتجئ إليه من كيد من يحسدك ويدغي عليك
 [إنه هو السميع] لما تقول ويقولون [البصير] بما تعمل ويعملون فهو ناصر عليهم وعاصمك
 من شرهم - فإن قلت كيف اتصل قوله [لخلق السموات والأرض] بما قبله - قلت إن مجادلتهم في آيات
 الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فحججوا بخلق السموات والأرض لأنهم
 كانوا مقرين بأن الله خالقها بأنها خلق عظيم لا يقدر قدرة وخلق الناس بالقياس إليه شيء قليل مهين
 فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته اقدر وهو ابغ من الاستشهاد بخلق مثله

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۖ وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ۖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ۖ ط إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ وَكَانَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لَخَزَنَةً لِّجَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَذَابَ يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ۖ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ ط قَالُوا بَلَىٰ ۖ قَالُوا فَادْعُوا ۚ وَ مَا دَعُوا إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۚ ع إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۖ ۝ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۖ وَ لَقَدْ آتَيْنَا

سورة المؤمن ٤٠

الجزء ١٤

ع ١٠

أَدْخَلُوهُمْ - فَإِنْ قُلْتَ قَوْلُهُ وَحَاقَ بِإِلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ معناه أنه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لخيئه جُبًا وقع فيه مذنبًا فإذا فسرسوء العذاب بذار جهنم لم يكن مكرهم راجعاً عليهم لأنهم لا يعذبون بجهنم - قُلْتَ يجوز أن يهَمَّ الإنسان بأن يغرق قوماً فيحرق بالنار و يسمى ذلك حقيقاً لأنه هم بسوء فاصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحقيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه - و يجوز أن يهَمَّ فرعون لما سمع انذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وإن المسرفين هم أصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمرود و يعذبهم بالنار فحاق به مثل ما اضمرة وهم بفعله - ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر • و اذكر وقت يَتَحَاوُونَ - [تَبَعًا] تبعاً كخدم في جمع خادم أو ذري تبع أي اتباع - أو وصفا بالمصدر - و قرئ كلاً على التأكيد لاسم أن وهو معرفة و التذوين عوض من المضاف اليه يريد إنا كُنَّا أو كُنَّا فِيهَا - فَإِنْ قُلْتَ هل يجوز أن يكون كلاً حالاً قد عمل فيها فيدياً قُلْتَ لَا لِأَنَّ الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدمة تقول كل يوم لك ثوب و لا تقول قائماً في الدار زيد [قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ] قضى بينهم و فصل بأن ادخل أهل الجنة الجنة و أهل النار النار [لَخَزَنَةً جَهَنَّمَ] للقوام بتعذيب أهلها - فَإِنْ قُلْتَ هَلْ قِيلَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لَخَزَنَتُهَا - قُلْتَ لَا فِي ذِكْرِ جَهَنَّمَ تهويلاً و تفضيلاً - و يحتمل أن جهنم هي ابعث النار قعراً من قواهم بئر جهنم بعيدة القعر و قواهم في التابعة جهنم تسميه بها لزعمهم أنه يلقي الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابونواس في خلف الأحمر • ع • قَلِيدٌ من العياليم الخُسْف • وفيها اعتنى الكفار و اطغاهم فلعن الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم [أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ] الزام للحجة و توبيخ و أنهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء و التضرع و عطلوا الاسباب التي يستجيب الله لها الدعوات [قَالُوا فَادْعُوا] انتم فاننا لانجترى على ذلك و لا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم و الاذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها و ذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين و ليس قواهم فدعوا لرجاء المنفعة و لكن للدلالة على الخيبة فإن الملك المقرب اذا لم يسمع دعوته فكيف يسمع دعاء الكافر [فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ] أي في الدنيا و الآخرة يعني أنه يغلبهم في الدارين جميعاً بالحجة و الظفر على مخالفتهم و ان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحاناً من الله فالعاقبة لهم و يتيح الله من يقتص من اعدائهم و لو بعد حين - و الأشهاد

إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدُّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ
فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ ۖ وَأَفِئُصُّ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۖ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا ۚ
وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۖ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ۖ أَدْخِلُوا آلَ

بطلان دعوته او بمعنى كسب من قوله تعالى وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدَرَكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا اى كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته - ويجوز ان يقال ان لَا جَرَمَ نظير لَابَدَ فَعَلٌ مِنَ الْجَرَمِ وَهُوَ الْقَطْعُ كَمَا أَنَّ بَدَا فَعَلٌ مِنَ التَّبْدِيدِ وَهُوَ التَّفْرِيقُ فَمَا ان معنى لَابَدَ انك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لَا جَرَمَ ان لهم النار اى لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اى لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا - وروى عن العرب لَا جَرَمَ أَنَّهُ يَفْعَلُ بِضَمِّ الْجِيمِ وَسُكُونِ الرَّاءِ بَزْنَةً بَدَّ وَفَعْلٌ وَفَعْلٌ اخوان كَرُشْدٍ وَرَشْدٍ وَعَدَمٌ وَعَدَمٌ [لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ] معناه ان ما تدعونني اَيْلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ اى نفسه قط اى من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك و لا يدعى الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضمج من دعائكم وقوله [فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ] يعنى انه فى الدنيا جمان لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفى الآخرة اذا انشأه الله حيوانا تبرا من الدُّعَاةِ اِلَيْهِ وَمِنْ عِبَادَتِهِ - وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تدفع فى الدنيا وفى الآخرة - او دعوة مستجابة جعلت الدعوة اللتي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة - او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء فى قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ [الْمُسْرِفِينَ] عن قتادة المشركين - وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها - وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون - وقرئ فَسَتَذْكُرُونَ اى فسيذكركم بعضهم بعضا [وَأَفِئُصُّ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ] لانهم توعدوه [فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا] شذائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم - وقيل نجا مع موسى - [وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ] ما هموا به من تعذيب المسلمين و رجع عليهم كيدهم - [النَّارُ] بدل من سُوءِ الْعَذَابِ - او خبر مبتدأ محذوف كأن قائلنا قال ما سوء العذاب فقل هو النار - او مبتدأ خبره يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا وَفِي هَذَا الْوَجْهِ تَعْظِيمٌ لِلنَّارِ وَتَهْوِيلٌ مِنْ عَذَابِهَا - وَعَرَضَهُمْ عَلَيْهَا احراقهم بها يقال عرض الامام الأسارى على السيف اذا قتلهم به - وقرئ النَّارُ بالنصب وهي تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها - ويجوز ان ينتصب على الاختصاص [غُدُوًّا وَعَشِيًّا] فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس اخر من العذاب او ينفس عنهم - ويجوز ان يكون غُدُوًّا وَعَشِيًّا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا يا آل فِرْعَوْنَ اشد عذاب جهنم - و قرئ [ادخلوا آل فِرْعَوْنَ] اى يقال لخزنة جهنم

الَّذِي أَمَرَ يَقُومَ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝ يَقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
 دَارُ الْقَرَارِ ۝ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ۝ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَكْفُ
 يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَيَقُومُ مَا لِي أَدْعُوَكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۝
 تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَاشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُم إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ۝ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي

سورة المؤمن ٤٠

الجزء ٢٤

ع ٩

النصف

تعالى على وجه التسيب لانه مكن الشيطان وامهله ومثله زيناهم اعمالهم فهم يعمهون - وقرى وزين
 له سوء عمله على البداء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله الى اله موسى - وصد بفتح الصاد
 وضمها وكسرهما على نقل حركة العين الى الفاء كما قيل قيل - والتباب الخسران والهلاك - وصد مصدر
 معطوف على سوء عمله - وصدوا هو وقومه قال [اهدكم سبيل الرشاد] فاجمل لهم ثم فسرفافتح بضم الدنيا وتصغير
 شأنها لان الاخلاق اليها هو اصل الشر كله ومذه يتشعب جميع ما يؤتى الى سخط الله ويجلب الشقاوة
 في العاقبة وتذى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وانها هي الوطن والمستقر وذكر الاعمال سيئها
 وحسنها وعاقبة كل منهما ليتبظ عما يئلف ويذشط لما يئلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي
 ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار وحذر وانذر واجتهد في ذلك واحتشد لاجرم
 ان الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله فوقه الله سيئات ما مكروا
 وحق بال فرعون سوء العذاب وفي هذا ايضا دليل بين على ان الرجل كان من آل فرعون - والرشاد نقيض
 الغي وفيه تعريض شبيهه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي [فلا يجزى الا مثله] لان
 الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم واما الزيادة على مقدار جزاء الحسنه فحسنة لانها فضل - قرى
 [يدخلون] - ويدخلون [بغير حساب] واقع في مقابلة الا مثله يعنى ان جزاء السيئة له حساب وتقدير
 لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على
 الحق والكثرة والسعة - فان قلت لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني -
 قلت اما تكرير النداء ففيه زيادة تذكير لهم وايضا عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وعشيرته وهم فيما يؤنبهم
 وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يهتموه
 فان سرورهم سرورة وغمهم غمة وينزلوا على تنصحه لهم كما كرر ابراهيم عليه السلام في نصيحة ابيه يابى -
 واما المعجىء بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطي الداخل عليه
 حكمه في امتناع دخول الواو اما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة - يقال دعاه الى
 كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له [به علم] اي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفى المعلوم كانه
 قال واشرك به ما ليس بالله وما ليس بالله كيف يصح ان يعلم الها * [لا جرم] سياقه على مذهب البصريين
 ان يجعل لا رد اما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق ورجب

سُلْطٰنٍ اَتٰهُمْ ۖ كَبَّرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّٰهِ وَعِنْدَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا ۖ كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۝
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يٰهٰمٰنُ ابْنِ لِيْ صَرْحًا لَّعَلِّيْ اَبْلُغُ اَسْبَابَ السَّمٰوٰتِ فَاطَّلِعَ اِلٰى اِلٰهِ مُوْسٰى وَ اِنِّيْ
لَآظُنُّهُ كَاذِبًا ۖ وَ كَذٰلِكَ زَيْنٌ لِّفِرْعَوْنَ سُوْءَ عَمَلِهٖ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيْلِ ۖ وَ مَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ اِلَّا فِيْ تَبٰبٍ ۝ ع وَقَالَ

من غير برهان و تقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم و كذبتم بذا على حكمكم الباطل الذي استتموه و ليس قولهم لَنْ يَّبْعَثَ اللّٰهُ مِنْ بَعْدِي رَسُوْلًا بقصديق لرسالة يوسف و كيف و قد شكوا فيها و كفروا بها و انما هو تكذيب لرسالة مَنْ بعده مضموم الى تكذيب رسالته - و قرئ اَلَنْ يَّبْعَثَ اللّٰهُ عَلَى ادخال همزة الاستفهام على حرف النفي كَأَنْ بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال [كَذٰلِكَ يُّضِلُّ اللّٰهُ] اي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مُسْرِفٍ في عصيانه مُرْتَابٍ في دينه [الَّذِيْنَ يُجَادِلُوْنَ] بدل من مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ - فان قلت كيف جاز ابداله منه و هو جمع و ذلك مؤنث - قلت لانه لا يريد مسرفا واحدا فكأنه قال كل مسرف - فان قلت فما فاعل [كَبَّرَ] - قلت ضمير مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ - فان قلت اَمَّا قلت هو جمع و لهذا ابدلت منه الَّذِيْنَ يُجَادِلُوْنَ - قلت بلى هو جمع في المعنى و اما اللفظ فهو مؤنث فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه و ليس ببدع ان يحمل على اللفظ تارة و على المعنى اخرى و له نظائر - و يجوز ان يرفع الَّذِيْنَ يُجَادِلُوْنَ على الابتداء و لا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كَبَّرَ تقديره جدال الذين يجادلون كَبَّرَ مَقْتًا - و يحتمل ان يكون الَّذِيْنَ يُجَادِلُوْنَ مبتدأ و يَغْيِرُ سُلْطٰنٍ اَتٰهُمْ خبرا و فاعل كَبَّرَ قوله كَذٰلِكَ اي كبر مقتا مثل ذلك الجدل - و [يَطْبَعُ اللّٰهُ] كلام مستأنف و من قال كَبَّرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّٰهِ جدالهم فقد حذف الفاعل و الفاعل لا يصح حذفه و في كَبَّرَ مَقْتًا ضرب من التعجب و الاستعظام لجِدَالِهِمْ و الشهادة على خروجه من حدِّ اَشْكَلِهِ مِنَ الْكِبَائِرِ - و قرئ سُلْطٰنٍ بضم اللام - و قرئ قَلْبٍ بالتثنية - و وصف القلب بالتكبر و التجبر لانه مركزهما و مذبحهما كما تقول رَأَيْتَ الْعَيْنَ وَ سَمِعْتَ الْاِذْنَ وَ نَحْوَهُ قوله عَزَّ وَ جَلَّ فَإِنَّهُ اَتَمَّ قَلْبُهُ و ان كان الاثم هو الجملة - و يجوز ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب - قيل الصَّرْحُ البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر و ان بعد اشتقاقه من صَرَحَ الشَّيْءُ اِذَا ظَهَرَ [اَسْبَابَ السَّمٰوٰتِ] طرقها و ابوابها و ما يؤدّي اليها و كل ما ادّلك الى شَيْءٍ فهو سبب اليه كالرِّشَاءِ وَ نَحْوِهِ - فان قلت ما فائدة هذا التكرير و لو قيل لَعَلِّيْ اَبْلُغُ اَسْبَابَ السَّمٰوٰتِ لا جزى - قلت اذا ابهم الشَّيْءُ ثم اوضح كان تفخيما لشانه فلما اراد تفخيما ما امل بلوغه من اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها و لانه لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فابهمه ليشوف اليه نفس هامة ثم اوضحه - و قرئ [فَاطَّلِعَ] بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني - و مثل ذلك التزيين و ذلك الصد [زَيْنٌ لِّفِرْعَوْنَ سُوْءَ عَمَلِهٖ] وَ صَدَّ عَنِ السَّبِيْلِ و المزيّن اما الشيطان بومومته كقوله وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ اَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيْلِ او الله

دَابَّ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ط وَمَا اللَّهُ بِرَبِّدٍ ظُلُمًا لِّلْعِبَادِ ٥ وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
يَوْمَ التَّنَادِ ٦ يَوْمَ تَوَلَّوْا مَدْبِرِينَ ٧ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ٨ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٩ وَلَقَدْ
جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ط حَتَّى إِذَا هَلَكَ قَلْتُمْ لَنْ يُبْعَثَ
اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ ١٠ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ

سورة المؤمن

الجزء ٢٤

ع ٨

كان مستشعراً للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجبد و لولا استشارة لم يستشر احدا ولم
يقف الامر على الاشارة - و قرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام او من رشد بالفتح كعباد - و قيل
هو من ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك لان فعلا من افعل لم يجي الا في عدة احرف نحو دراك
وسنار و قصار و جبار و لا يصح القياس على القليل - و يجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعواج و بدات
غير منظور فيه الى فعل [مثل يوم الاحزاب] مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب و فسرههم بقوم
نوح و عاد و ثمود و لم يلبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف
اليه اغنى عن ذلك كقوله * ع * كلوا في بعض بطنكم تعقوا * و قال الزجاج مثل يوم حزب حزب و دأب
هؤلاء ذنبهم في عملهم من الكفر و التكذيب و سائر المعاصي و كون ذلك دأبا دائما منهم لا يفكرون عنه
و لابد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم - فان قلت بم انتصب مثل الثاني - قلت بانه
عطف بيان المثل الاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح و لو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح و عاد
و ثمود لم يكن الاعطف بيان لاضافة قوم الى اعلام فسرى ذلك الحكم الى اول ما تناولته الاضافة [و ما
اللَّهُ بِرَبِّدٍ ظُلُمًا لِّلْعِبَادِ] يعني ان تدبيرهم كان عدلا و قسطا لانهم استوجبوا بآءههم و هو ابلغ من قوله
وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ حيث جعل المنفي ارادة انظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم
ابعد و حيث نكر الظلم كانه نفى ان يريد ظلما ما لعبادة - و يجوز ان يكون معناه كمعنى قوله و لَا يَرْضَى
لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ اي لا يريد لهم ان يظلموا يعني انه دمرهم لانهم كانوا ظالمين - التناهي ما حكى الله في
سورة الاعراف من قوله وَنَادَىٰ اصْحَابُ النَّارِ - وَنَادَىٰ اصْحَابُ النَّارِ اصْحَابُ الْجَنَّةِ - و يجوز
ان يكون تصائحهم بالويل والثبور - و قرئ بالتشديد و هو ان يند بعضهم من بعض كقوله يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِّنْ أَخِيهِ -
و عن الضحاک اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملكة صفوفا فديناهم يموج
بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب * [تَوَلَّوْا مَدْبِرِينَ] عن قتادة منصرفين عن موقف
الحساب الى النار - و عن مجاهد فارين عن النار غير معجزين * هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام -
و قيل هو يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة - و قيل ان فرعون موسى
هو فرعون يوسف عمرا الى زمنه - و قيل هو فرعون آخر و يخبر بان يوسف اتاكم بالمعجزات فشككتكم فيها
و لم تزالوا شاكين كافرين [حَتَّى إِذَا] قبض [قُلْتُمْ لَنْ يُبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا] حكما من عند انفسكم

كَذِبُهُ ٤ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ٥ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ٦ يَقُولُ
لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ٧ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ٨ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا
أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ٩ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ١٠ مِثْلَ

من ان يكون كاذبا او صادقا فد [ان يك كاذبا فعليه كذبه] اي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره [وان يك
صادقا يصيبكم بعض ما يعدكم] ان تعرضتم له - فان قلت لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لابد لما
يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه - قلت لانه احتاج في مقابلة خصوم موسى و مذكريه الى ان يلازمهم
ويداربهم و يسلك معهم طريق الانصاف في القول و ياتيمهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى
تسليمهم لقوله و ادخل في تصديقهم له و قبولهم منه فقال وان يك صادقا يصيبكم بعض الذي يعدكم وهو
كلام المذصف في صفاته غير المشتط فيه لسمعوا منه ولا يردوا عليه و ذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت
انه صادق في جميع ما يعد و لكنه ارفه يصيبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام
فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه و انما فضلا ان يتعصب له او يرمي باخصى من ورائه و تقديم الكذب
على الصادق ايضا من هذا القبيل و كذلك قوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب - فان قلت فعن
ابي عبيدة انه فسر البعض بالكل و انشد بيت ابيد شعرة ثراك امكدة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس
حامها • قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسئلة العلقى كان اجفى من ان
يفقه ما اقول له [ان الله لا يهدي من هو مسرف] يحتمل - انه ان كان مسرفا كذبا خذله الله و اهلكه
ولم يستقم له امر فيتخلصون منه - و انه لو كان مسرفا كذبا لما هداه الله للهدى و لما عضده بالبيئات - و قيل
ما قولى ابوبكر من رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم كان اشد من ذلك طاف بالبيت فلقوه
حين فرغ فاخذوا بمجامع رداؤه فقالوا له انت الذي تنهانا عما كان يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فقام
ابوبكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه و قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله و قد جاءكم بالبينات من
ربكم رافع صوته بذلك و عيناه تسفحان حتى ارسلوه - و عن جعفر الصادق رضي الله عنه ان مؤمن ال
فرعون قال ذلك سرا و ابوبكر قاله ظاهرا [ظاهرين في الارض] في ارض مصر عالين فيها على بني
اسرائيل يعني ان لكم ملك مصر و قد علوتم الناس و قهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا
لبأس الله و عذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد و قال ينصروننا و جاءنا لانه منهم
في القرابة و ليعلمهم بان الذي ينصهم به هو مساهم لهم فيه [ما اريكم الا ما ارى] اي ما اشير عليكم
برأيي الا بما ارى من قتله يعني لا استصوب الا قتله و هذا الذي تقولونه غير صواب [و ما اهديكم] بهذا
الرأي [الا سبيل الرشاد] يريد سبيل الصواب و الصلاح - او ما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب و لا ادخر
منه شيئا و لا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعني ان لسانه و قلبه متواطيان على ما يقول و قد كذب فقد

مُوسَى إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ

مودة المؤمن ٤٠

الجزء ٢٤

ع ٨

ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم يقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله وَلَيَدْعُ رَبَّهُ شاهد صدق على فرط
خوفه منه ومن دعوته ربه و كان قوله ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى تمويها على قومه و ايها ما انهم هم الذين يكفونه
وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع [اَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ] ان يغير ما انتم عليه و كانوا يعبدونه
و يعبدون الاصنام بدليل قوله وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ - والفساد في الارض التفاتن و التهارج الذي يذهب معه
الامن و تتعطل المزارع و المكاسب و المعاش و يهلك الناس قتلا و ضياعا كانه قال اني اخاف ان
يُفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه - و في مصاحف اهل
الحجاز وَاَنْ يُظْهَرَ بِالْوَادِ وَمَعْنَاهُ اِنِّي اخاف فساد دينكم و دنياكم معا - و قرئ يَظْهَرُ من اظهر و الْفَسَادُ
منصوب اي يَظْهَرُ موسى الفساد - و قرئ يَظْهَرُ بتشديد الظاء و الهاء من تَظْهَرُ بمعنى تظاهر اي تنابح
و تعاون * لما سمع موسى عليه السلام بما اجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه [اِنِّي عَدْتُ بِاللّٰهِ الَّذِي هُوَ
رَبِّي وَرَبُّكُمْ] وقوله وَرَبُّكُمْ فِيهِ بَعْثٌ لَهُمْ عَلَى اَنْ يَقْتُلُوْا بِهِ فَيَعُوْذُوْا بِاللّٰهِ عِيَاذَهُ و يعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه
وقال [مَنْ كَلِمٌ مُّتَكَبِّرٌ] لتشمل استعاذته فرعون و غيره من الجبابرة و ليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ -
و اراد بالتكبر الاستكبار عن الانعاز للحق و هو اقبح استكبار و ادله على ذنابه صاحبه و مهانة نفسه و على
فرط ظلمه و عسفه و قال [لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ] لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر و التكذيب بالجزاء و قلة
المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة و الجراة على الله و عباده و لم يترك عظمة الا ارتكبتها و عُدْتُ
و لَدْتُ اخوان - و قرئ عُدْتُ بالادغام * [رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ] و قرئ رَجُلٌ بسكون الجيم كما يقال عَصِدٌ فِي عَصْدٍ
و كان قبطيا ابن عم لفرعون امن بموسى سرا - و قيل كان اسرائيليا - و [مَنْ آلِ فِرْعَوْنَ] صفة لرجل او صلة
لِيَكْتُمُ اي [يَكْتُمُ اِيْمَانَهُ] من آل فرعون و اسمه شمعان او حبيب - و قيل خربيل او حزبييل و الظاهر انه كان من
آل فرعون فان المؤمنين من بني اسراييل لم يقتلوا و لم يعزوا و الدليل عليه قول فرعون اَبْنَاءَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا
مَعَهُ و قول المؤمن فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَنِي اِلٰهِ اِنْ جَاءَنَا دَلِيْلٌ ظَاهِرٌ عَلٰى اَنْهُ يَنْتَضِعُ لِقَوْمِهِ [اَنْ يَقُوْلَ] لَان
يقول وهذا انكار منه عظيم و تبكيت شديد كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء اللتي هي قتل نفس محترمة
و ما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق اللتي نطق بها و هي قوله رَبِّيَ اللّٰهُ مع انه لم يُحْضَر لتصحيح
قوله بَيِّنَةٌ واحدة و لكن بَيِّنَاتٌ عدة من عند مَنْ نسب اليه الربوبية و هو ربكم لا ربه وحده و هو استدراج
لهم الى الاعتراف به و ليُليِّنَ بذلك جماهم و يكسر من سورتهم - و لك ان تقدر مضافا محذوفا اي
وقت ان يقول و المعنى اتقتلون ساعَةً سمعتم منه هذا القول من غير روية و لا فكر في امرة و قوله [بِالْبَيِّنَاتِ]
يريد بالبيّنات العظيمة اللتي عهدتموها و شهدتموها ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو

إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۖ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۖ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ رَاقٍ ۖ ذَلِكِ بَانَ لَهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاخَذَهُمُ اللَّهُ ۖ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۖ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۖ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۖ وَقَالَ

يَلْقَى الرُّوحُ قَدْ عَلِلَ بِقَوْلِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ثُمَّ اسْتَطَرَدَ ذَكَرَ أَحْوَالَ يَوْمِ التَّلَاقِ إِلَى قَوْلِهِ وَلَا شَفِيعٌ يَطَاعُ فَبُعِدَ لَذَلِكَ عَنْ أَخَوَاتِهِ [وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ] يَعْنِي وَالَّذِي هَذِهِ صِفَاتُهُ وَأَحْوَالُهُ لَا يَقْضِي إِلَّا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلَ لَا سَتَغْنَاهُ عَنْ الظُّلْمِ وَالْهَيْكَمِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ وَهَذَا تَهَكُّمٌ بِهِمْ لِأَنَّهُ مَا لَا يوصفُ بِالْقُدْرَةِ لَا يَقَالُ فِيهِ يَقْضِي أَوْ لَا يَقْضِي [إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] تَقْرِيرُ لِقَوْلِهِ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَوَعِيدٌ لَهُمْ بِأَنَّهُ يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ وَيُبْصِرُ مَا يَعْمَلُونَ وَأَنَّهُ يَعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ وَتَعْرِيفٌ بِمَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَنَّهُ لَا تَسْمَعُ وَلَا تَبْصُرُ - وَقَرِئَ تَدْعُونَ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ * هُمْ فِي [كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ] فَصْلٌ - فَإِنْ قُلْتَ مِنْ حَقِّ الْفَصْلِ أَنْ لَا يَقَعُ إِلَّا بَيْنَ مَعْرِفَتَيْنِ فَمَا بِالْهَاءِ وَأَقْعًا بَيْنَ مَعْرِفَةٍ وَغَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَهُوَ أَشَدَّ مِنْهُمْ - قُلْتَ قَدْ ضَارَعَ الْمَعْرِفَةُ فِي أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهُ الْإِلْفُ وَالْأَمُّ فَاجْرِي مَجْرَاهُ - وَقَرِئَ مِنْكُمْ وَهِيَ فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الشَّامِ - [وَأَثَارًا] يُرِيدُ حَصُونَهُمْ وَقُصُورَهُمْ وَعُدَدَهُمْ وَمَا يوصفُ بِالشَّدَةِ مِنْ أَثَارِهِمْ - أَوْ أَرَادَ وَكَثُرَ أَثَارُهُمْ كَقَوْلِهِ * ع * مُتَقَلِّدًا سِيفًا وَرَمَحًا * [وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ] وَحُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ وَهِيَ الْمَعْجَزَاتُ فَقَالُوا هُوَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَسَمَّوْا السُّلْطَانَ الْمُبِينِ سَحَرًا وَكَذْبًا * [فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ] بِالذَّبْوَةِ - فَإِنْ قُلْتَ أَمَا كَانَ قَتْلُ الْأَبْنَاءِ وَاسْتَحْيَاءُ النِّسَاءِ مِنْ قَبْلِ خَيْفَةٍ أَنْ يُولَدَ الْمَوْلُودُ الَّذِي أَنْذَرْتَهُ الْكَهَنَةُ بِظَهْوَةِ وَزَالِ مَلِكِهِ عَلَى يَدِهِ - قُلْتَ قَدْ كَانَ ذَلِكَ الْقَتْلُ حِينَئِذٍ وَهَذَا قَتْلُ آخَرٍ - وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ قَالُوا اقْتُلُوا أَعْيَدُوا عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ كَالَّذِي كَانَ أَوَّلًا يُرِيدُ أَنْ هَذَا قَتْلٌ غَيْرُ الْقَتْلِ الْأَوَّلِ [فِي ضَلَالٍ] فِي ضِيَاعٍ وَذَهَابٍ بِاطْلَالٍ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمْ يَعْنِي أَنَّهُمْ بَاشَرُوا قَتْلَهُمْ أَوَّلًا فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ وَنَفَدَ قَضَاءُ اللَّهِ بِإِظْهَارِهِ مِنْ خَافُوهُ فَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ هَذَا الْقَتْلُ الثَّانِي وَكَانَ فِرْعَوْنُ قَدْ كَفَّ عَنْ قَتْلِ الْوِلْدَانِ فَلَمَّا بَعَثَ مُوسَىٰ وَاحْسَ بَانَهُ قَدْ وَقَعَ إِعَادَةُ عَلَيْهِمْ غِيظًا وَحَنَقًا وَظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ يَصْدَهُمْ بِذَلِكَ عَنْ مَظَاهِرَةِ مُوسَىٰ وَمَا عَلِمَ أَنْ كَيْدَهُ ضَائِعٌ فِي الْكَرْتَيْنِ جَمِيعًا [ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ] كَانُوا إِذَا هُمْ يَقْتُلُهُ كَفَوْهُ بِقَوْلِهِمْ لَيْسَ بِالَّذِي تَخَافُهُ وَهُوَ أَقْلٌ مِنْ ذَلِكَ وَاضْعَفُ وَمَا هُوَ إِلَّا بَعْضُ السَّحَرَةِ وَمِثْلُهُ لَا يَقَاوِمُ إِلَّا سَاحِرًا مِثْلَهُ وَيَقُولُونَ إِذَا قَتَلْتَهُ ادْخَلْتَ الشُّبُهَةَ عَلَى النَّاسِ وَاعْتَقَدُوا أَنَّكَ عَجَزْتَ عَنْ مَعَارَضَتِهِ بِالْحُجَّةِ وَالظَّاهِرِ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَعَنَهُ اللَّهُ كَانَ قَدْ اسْتَيْقَنَ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَإِنْ مَا جَاءَ بِهِ آيَاتٌ وَمَا هُوَ بِسَحَرٍ وَلَكِنْ الرَّجُلُ كَانَ فِيهِ خُبٌّ وَجَرَبُزَةٌ وَكَانَ قَتْلًا سَفَاكًَا لِلدِّمَاءِ فِي أَهْوَنِ شَيْءٍ فَكَيْفَ لَا يَقْتُلُ مَنْ أَحْسَنَ مِنْهُ بَانَهُ هُوَ الَّذِي يَذُلُّ عَمْرَشَهُ

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ ۖ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ ۖ يَعْلَمُ
خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۖ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ۚ

مودة المؤمنين ٤٠

الجزء ٢٥

ع ٦

ولكنها معترضة كالشجى كما قال فلما رآه زلعة سيئت وجوه الذين كفروا - فان قلت [كظمين] بم انتصب - قلت هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى ان قلوبهم لدى حناجرهم كظمين عليها - ويجوز ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كظمة عن غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال رايتهم لي سجدتين وقال نظمت اعتاقهم لها خاضعين ويعضده قراءة من قرأ كظمون - ويجوز ان يكون حالا عن قوله وانذرهم اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خلدن - الحميم المحب المشفق - والمطاع مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك - فان قلت ما معنى قوله او لا شفيع يطاع - قلت محتمل - ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا - وان يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كذاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ع * ولا ترى الضب بها ينحجر * يريد نفي الضب والنحارة - فان قلت فعلى اي الاحتمالين يجب حمله - قلت على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله واولياء الله لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذالم يحبوهم ام ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة الفضل واهل الفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم من فضله - وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة - فان قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها - قلت في ذكرها فائدة جلية وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف في مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان صفة لا تتأني بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لدوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت مالي فرس اركبه ولا معي سلاح اُحارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كاذك تقول كيف يتأني مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأني التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأنيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلالة - الخائنة صفة للنظرة - او مصدر بمعنى اخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الریب - ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه - فان قلت بم اتصل قوله [يعلم خائنة الاعين] - قلت هو خبر من اخباره في قوله هو الذي يربكم مثل يلقي الروح ولكن

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يُنذِرُ يَوْمَ التَّلَاقِ ۖ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ۚ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۖ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ

رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ بالنصب على المدح - وَرَفِيعَ الدَّرَجَاتِ كقوله ذِي الْمَعَارِجِ وَ هِيَ مَصَاعِدُ الْمَلَائِكَةِ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الْعَرْشَ وَ هِيَ دَلِيلٌ عَلَى عِزَّتِهِ وَ مَلَكُوتِهِ - وَ عَنْ ابْنِ جَبْرِ سَمَاءٌ فَوْقَ سَمَاءٍ وَ الْعَرْشُ فَوْقَهُنَّ - وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عِبَارَةً عَنْ رَفْعَةِ شَانِهِ وَ عُلُوِّ سُلْطَانِهِ كَمَا أَنَّ ذَا الْعَرْشِ عِبَارَةٌ عَنْ مَلِكِهِ - وَ قِيلَ هِيَ دَرَجَاتُ ثَوَابِهِ الَّتِي يَنْزِلُهَا أَوْلِيَائِهِ فِي الْجَنَّةِ - الرُّوحَ [مِنْ أَمْرِهِ] الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْحَيَاةِ مِنْ أَمْرِهِ يُرِيدُ الْوَحْيَ الَّذِي هُوَ أَمْرٌ بِالْخَيْرِ وَ بَعْثٌ عَلَيْهِ فَاسْتِعَارَ لَهُ الرُّوحَ كَمَا قَالَ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ [يُنذِرُ] اللَّهُ - أَوِ الْمَلَقَى عَلَيْهِ وَهُوَ الرُّسُولُ - أَوِ الرُّوحَ - وَ قَرَأَ لِنُذْرٍ أَيْ لِنُذْرٍ الرُّوحَ لِأَنَّهُ تَوَنَّنَتْ أَوْ عَلَى خُطَابِ الرُّسُولِ - وَ قَرَأَ لِنُذْرٍ يَوْمَ التَّلَاقِ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ - وَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ لِأَنَّ الْخَلَائِقَ تَلْتَقِي فِيهِ - وَ قِيلَ يَلْتَقِي فِيهِ أَهْلُ السَّمَاءِ وَ أَهْلُ الْأَرْضِ - وَ قِيلَ الْمَعْبُودُ وَ الْعَابِدُ - [يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ] ظَاهِرُونَ لَا يَسْتُرُهُمْ شَيْءٌ مِنْ جَبَلٍ أَوْ أَكْمَةٍ أَوْ بِنَاءٍ لِأَنَّ الْأَرْضَ بَارِزَةٌ قَاعٌ مَغْصَفٌ وَ لَا عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ إِذَا هُمْ عُرَاةٌ مَكْشُوفُونَ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ يَحْشَرُونَ عُرَاةً حُفَاةً عُرْلَ [لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ] أَيْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَ أَحْوَالِهِمْ - وَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ - فَإِنَّ قَلْبَ قَوْلِهِ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ بَيَانٌ وَ تَقْرِيرٌ لِبُرُوزِهِمْ وَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ بَرَزُوا أَوْ لَمْ يَبْرَزُوا فَمَا مَعْنَاهُ - قَلْبَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَهَّمُونَ فِي الدُّنْيَا إِذَا اسْتَقَرُّوا بِالْحَيَاطَانِ وَ الْحُجُبِ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرَاهُمْ وَ تَخْفَى عَلَيْهِ أَعْمَالُهُمْ فَهَمُ الْيَوْمَ صَائِرُونَ مِنَ الْبُرُوزِ وَ الْإِنْكَشَافِ إِلَى حَالٍ لَا يَتَوَهَّمُونَ فِيهَا مِثْلَ مَا كَانُوا يَتَوَهَّمُونَهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَ قَالَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَ لَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَ ذَلِكَ لَعَلَّهُمْ أَنَّ النَّاسَ يُبْصِرُونَهُمْ وَ ظَنَّهُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يُبْصِرُهُمْ وَ هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ وَ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ [لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ] حِكَايَةٌ لِمَا يَسْأَلُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَ لِمَا يُجَابُ بِهِ وَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَنَادِي مَنَادٍ فَيَقُولُ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ فَيُجِيبُهُ أَهْلُ الْمَكْشَرِ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ - وَ قِيلَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ بَارِضٍ بِيَضَاءٍ كَأَنَّهُا سَبِيكَةٌ فَضَةٌ لَمْ يُعْصَ اللَّهُ فِيهَا قَطٌّ فَارَلٌ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَنْ يَنَادِي مَنَادٍ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ [الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ] الْآيَةُ فَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْمَنَادِي هُوَ الْمُجِيبُ - لِمَا قَرَّرَ أَنَّ الْمَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَدَنَ نَتَائِجَ ذَلِكَ وَ هِيَ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ تُجْزَى بِمَا كَسَبَتْ وَ أَنَّ الظَّالِمَ مُأْمَرٌ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ وَ أَنَّ الْحِسَابَ لَا يُبْطِئُ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَشْغَلُهُ حِسَابُ عَنِ حِسَابِ فَيَحْسَابُ الْخَلْقَ كُلَّهُ فِي رَقَّتٍ وَاحِدَةٍ وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحَامِبِينَ - وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ إِذَا اخْتُدِيَ فِي حِسَابِهِمْ لَمْ يَقُلْ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا فِيهَا وَ لَا أَهْلُ النَّارِ إِلَّا فِيهَا [الْأُزْفَةُ] الْقِيَمَةُ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَزْوْفِهَا أَيْ لِقُرْبِهَا - وَ يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِدَوْمِ الْأُزْفَةِ وَقْتُ الْخُطَّةِ الْأُزْفَةِ وَ هِيَ مُشَارَفَتُهُمْ دُخُولَ النَّارِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَرْتَفِعُ قُلُوبُهُمْ عَنْ مَقَارِئِهَا فَتَلْصِقُ بِحُزْنِ أَجْرِهِمْ فَلَا هِيَ تَخْرُجُ فِيهِمْ وَ تَوَلَّوْا وَ لَا تَرْجِعُ إِلَى مَوَاضِعِهَا فَيَتَنَقَّسُ سَوَارُ يَتَرَوَّحُوا

سورة المؤمن ٤٠

الجزء ٢١٤

ع ٦

فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ۖ ذَلِكُمْ بَأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۚ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا ۖ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ۚ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ۖ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ۖ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۖ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ۚ يَلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ عَلَى مَنْ

بالاماتين خلقهم امواتا اولاً واماتتهم عند انقضاء اجالهم - وبالاحياءتين الاحياء الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيراً لذلك قوله تعالى وَكُفْتُمْ امواتاً فاحيكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس - فان قلت كيف صح ان يسمى خلقهم امواتاً اماتة - قلت كما صح ان تقول سبحانه من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحقار ضيق فم الركبة وسع اسفلها وليس ثمة نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجيح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الاخر فجعل صرفة عنه كذقله منه ومن جعل الاماتتين اللتي بعد حيوة الدنيا واللتي بعد حيوة القبر لزمه اثبات ثلث احياءات وهو خلاف ما في القرآن الا ان يتمحل فيجعل احدها غير معتد بها او يزعم ان الله يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك الحيواة فلا يموتون بعدها وبعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله تعالى الا من شاء الله - فان قلت كيف تسبب هذا قوله [فَاَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا] - قلت قد انكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما رآوا الاماتة والاحياء قد تكرروا عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم اللتي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم [فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ] اي الى نوع من الخروج سريع او بطيء [مِنْ سَبِيلٍ] قطام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللاً وتحيراً ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله [ذَلِكُمْ] اي ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به [فَالْحُكْمُ لِلَّهِ] حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد - وقوله [الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ] دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى ان عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته - وقيل كأن الضرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا • [يُرِيكُمُ آيَاتِهِ] من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها - والرزق المطر لانه سببه - [وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ] وما يتعظ ويعتبر بايات الله الا من يتوب من الشرك و يرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه - ثم قال للمزيدين [فَادْعُوا اللَّهَ] اي اعبدوه [مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] من الشرك وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم [رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يَلْقَى الرُّوحَ] ثلثة اخبار لقوله هو مترتبة على قوله الَّذِي يُرِيكُم - او اخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفاً وتذكيراً - وقرئ

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۖ رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ
عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّهِمْ ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۖ
وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۖ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقَّتْ اللَّهُ أَبْكَرَ
مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذِ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ۖ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا إِثْنَيْنِ وَأَعْيَيْنَا إِثْنَيْنِ فَاعْدَرْنَا بِذُنُوبِنَا

التناسب في قوله وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا كأنه قيل و يؤمنون و يستغفرون لمن في مثل حالهم
وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة و ابعثه على
اصحاص الشفقة و ان تفاوتت الاجناس و تباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك و انسان و لا بين
مماري و ارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس المكي و التناسب الحقيقي حتى استغفر
من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ * اي يقولون ربنا و هذا المضمرة
يحتمل - ان يكون بيدنا لِيَسْتَغْفِرُونَ مرفوع المحل مثله - و ان يكون حالا - فان قلت تعالى الله عن الممكن فكيف
صح ان يقال وسع كل شيء - قلت الرحمة و العلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى و الاصل وسع كل
شيء رحمتك و علمك و لكن ازيل الكلام عن اصله بأن اسند الفعل الى صاحب الرحمة و العلم و اخرجنا
منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة و العلم كأن ذاته رحمة و علم واسعا كل شيء - فان قلت
قد ذكر الرحمة و العلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا و ما ذكر الا الغفران وحده -
قلت معناه فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ علمت منهم التوبة و اتباع سبيلك - و سبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده
و دعا اليها * [اِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] اي الملك الذي لا يغلب و انت مع ملكك و عزتك لا تفعل شيئا
الا بداعي الحكمة و موجب حكمته ان تفني بوعدك [وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ] اي العقوبات او جزاء السيئات
فحذف المضاف على ان السيئات هي الصغائر او الكبائر المتوبة عنها و الوقاية منها التكفير او قبول التوبة -
فان قلت ما الفائدة في استغفارهم لهم و هم تائبون صالحون موعودون المغفرة و الله لا يخاف الميعاد - قلت
هذا بمنزلة الشفاعة و فائدته زيادة الكرامة و الثواب - و قرئ جَدَّةً عَدْنٍ - و صَاحٍ بضم اللام و الفتحة افسح يقال
صَاحٍ فهو صالح و صَاحٍ فهو صالح - و ذُرِّيَّتَهُمْ * اي [يُنَادُونَ] يوم القيمة فيقال لهم [لَمَقَّتْ اللَّهُ أَبْكَرَ] و التقدير
لَمَقَّتْ اللَّهُ أَنْفُسَكُمْ أَكْبَرُ [مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ] فاستغني بذكرها مرة و [إِذِ تُدْعَوْنَ] منصوب بالمقت الاول و المعنى
انه يقال لهم يوم القيمة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء و الكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان
فتأبون قبوله و تختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم و انتم في النار ان اوقعنكم فيها باتباعكم هواهن -
و عن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فَنُودُوا لَمَقَّتْ اللَّهُ - و قيل معناه لَمَقَّتْ اللَّهُ اِيَّاكُمْ الآن أَكْبَرُ
من مقت بعضكم لبعض كقوله يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ و يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا - و إِذِ تُدْعَوْنَ تعليل - و المقت اشد
البغض فوضع في موضع ابلغ الانكار و اشدّه * [اِثْنَيْنِ] اِمَاتَيْنِ و احياءتين او موتيتين و حياتين - و اراد

قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالبَّاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ
 الْحَقَّ فَآخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۖ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
 النَّارِ ۖ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا

سورة المؤمن ٣٠

الجزء ٢٤

ع ٥

[الْأَحْزَابُ] الذين تحزبوا على الرسل و ناصبواهم وهم عاد و ثمود و فرعون و غيرهم [وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ] من هذه الامم اللتي هي قوم نوح و الاحزاب [بِرَسُولِهِمْ] - و قرى برسولها [لِيَأْخُذُوهُ] ليتمكنوا منه و من الايقاع به و اثابته بما ارادوا من تعذيب او قتل و يقال للسير اخيذ [فَآخَذْتُهُمْ] يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان اخذتهم [فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ] فانكم تميزون على بلادهم و مساكنهم فتعاينون اثر ذلك و هذا تقرير فيه معنى التعجب * [أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ] في محل الرفع بدل من كَلِمَتُ رَبِّكَ اي مثل ذلك الوجوب و جب على الكفرة كونهم من اصحاب النار و معناه كما و جب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك و جب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة - او في محل النصب بحذف لام التعليل و اتصال الفعل - وَالَّذِينَ كَفَرُوا قَرِيش و معناه كما و جب اهلاك اولئك الامم كذلك و جب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار - و قرى كَلِمَتُ * روي ان حَمَلَةَ الْعَرْشِ اَرْجَلُهُمْ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى و رؤسهم قد خرقت العرش و هم خشوع لا يرفعون طرفهم - وعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا تَتَفَكَّرُوا فِي عَظَمِ رَبِّكُمْ وَلَكِنْ تَفَكَّرُوا فِيمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْمَلَكُوتِ فَإِنَّ خَلْقًا مِنَ الْمَلَكُوتِ يَقَالُ لَهُ اسْرَافِيلُ زَاوِيَةٌ مِنْ زَوَايَا الْعَرْشِ عَلَى كَاهِلِهِ وَقَدَمَاهُ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى وَ قَدْ مَرَّقَ رَأْسُهُ مِنْ سَبْعِ سَمَوَاتٍ وَ أَنَّهُ لِيَتَضَاعَلَ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ حَتَّى يُصِيرَ كَأَنَّهُ الرَّصْعُ وَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ جَمِيعَ الْمَلَكُوتِ أَنْ يَغْدُوا وَيَرْحُوا بِالسَّلَامِ عَلَى حَمَلَةِ الْعَرْشِ تَفْضِيلًا لَهُمْ عَلَى سَائِرِ الْمَلَكُوتِ - وَقِيلَ خَلَقَ اللَّهُ الْعَرْشَ مِنْ جَوْهَرَةِ خَضِرَاءَ وَ بَيْنَ الْقَائِمَتَيْنِ مِنْ قَوَائِمِهِ خَفَقَانِ الطَّيْرِ الْمُسْرِعِ ثَمَانِينَ أَلْفَ عَامٍ - وَقِيلَ حَوْلَ الْعَرْشِ سَبْعُونَ أَلْفَ صَفٍّ مِنَ الْمَلَكُوتِ يَطُوفُونَ بِهِ مَهْلِكِينَ مَكْبَرِينَ وَ مِنْ وَرَائِهِمْ سَبْعُونَ أَلْفَ صَفٍّ قِيَامٍ قَدْ وَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ رَافِعِينَ أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّهْلِيلِ وَ التَّكْبِيرِ وَ مِنْ وَرَائِهِمْ مِائَةٌ أَلْفَ صَفٍّ قَدْ وَضَعُوا الْإِيمَانَ عَلَى الشِّمَائِلِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَبِجُ بِمَا لَا يَسْتَبِجُ بِهِ الْآخَرُ - وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْعَرْشَ بِضَمِّ الْعَيْنِ - فَإِنَّ قَلَّتْ مَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ [وَيُؤْمِنُونَ بِهِ] وَ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنَّ حَمَلَةَ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمَلَكُوتِ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِهِ مُؤْمِنُونَ - قَلَّتْ فَائِدَتُهُ أَظْهَارُ شَرَفِ الْإِيمَانِ وَ فَضْلِهِ وَ التَّرغِيبِ فِيهِ كَمَا وَصَفَ الْأَنْبِيَاءُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ بِالصَّلَاحِ لِذَلِكَ وَ كَمَا عَقَّبَ أَعْمَالُ الْخَيْرِ بِقَوْلِهِ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا فَبَانَ بِذَلِكَ فَضْلُ الْإِيمَانِ - وَ فَائِدَةُ أُخْرَى وَ هِيَ التَّذْيِيقُ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ كَمَا تَقُولُ الْمَجَسِّمَةُ لَكَانَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ مُشَاهِدِينَ مُعَايِنِينَ وَ لَمَّا وَصَفُوا بِالْإِيمَانِ لِأَنَّهُ أَمَّا يُوصَفُ بِالْإِيمَانِ الْغَائِبُ فَلَمَّا وَصَفُوا بِهِ عَلَى سَبِيلِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ عَلِمَ أَنَّ إِيْمَانَهُمْ وَ إِيْمَانِ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ كُلِّ مَنْ غَابَ عَنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ سِوَاهُ فِي أَنَّ إِيْمَانِ الْجَمِيعِ بِطَرِيقِ الذُّظُرِ وَ الِاسْتِدْلَالِ لَا غَيْرَ وَ أَنَّهُ لَا طَرِيقَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا هَذَا وَ أَنَّهُ مُتَزَعٌ عَنْ صِفَاتِ الْأَجْرَامِ - وَ قَدْ رُوِيَ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ط إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٥ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ٥ كَذَبْتَ

تفاعيلها كلها على مستفعلن وهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل - و لقائل ان يقول هي صفات و انما حذف الالف و اللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله و ما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سُكَادِيَّة من عُذَادِيَّة فتَنَوَّا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذلك و ما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل انه على نية الالف و اللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف و اللام و مما سهل ذلك الامن من اللبس و جهالة الموصوف - و يجوز ان يقال قد تُعمد تنكيره و ايهامه للدلالة على فرط الشدة و على ما لاشيء ادهى منه و امر لزيادة الانذار - و يجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البديل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال - فان قلت ما بال الواو في قوله وَ قَابِلِ التَّوْبِ - قلت فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات و ان يجعلها متحاة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول - و روي ان عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكتابه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله إِلَيْهِ الْمَصِيرُ و ختم الكتاب و قال لرسوله لاتدفعه اليه حتى تجده صاحبا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرأها و يقول قد وعدني الله ان يغفر لي و حذرني عقابه فلم يبرح يرددّها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع و حسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم احاكم قد زل زلة فسددوه و رفقوه و ادعوا له الله ان يتوب عليه و لا تكونوا اعوانا للشياطين عليه - سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر و المراد الجدل بالباطل من الطعن فيها و القصد الى ادحاض الحق و اطفاء نور الله فقد دل على ذلك في قوله وَ جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فاما الجدل فيها لا يوضح ملتبسها و حل مشكلها و مقادحة اهل العلم في استنباط معانيها و رد اهل الزيغ بها و عنها فاعظم جهاد في سبيل الله و قوله صلى الله عليه و اله و سلم ان جدالا في القرآن كفر و ايراده منكروا و ان لم يقل ان الجدل تمييز منه بين جدال وجدال - فان قلت من اين تسبب لقوله [فَلَا يَغْرُرُكَ] ما قبله - قلت من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر و الكافر لا احد اشقى منه عند الله و جب على من تحقق ذلك ان لا ترجح احوالهم في عينه و لا يغتره اقبالهم في دنياهم و تقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة و المكاسب المربحة و كانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام و اليمن و لهم الاموال يتجرون فيها و يترجون فان مصير ذلك و عاقبته الى الزوال و وراءه شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم و عداوتهم للوسل و جدالهم بالباطل و ما ادخلهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك في الامم و ما اخذهم به من عقابه و احله بساحتهم من انتقامه - و قرئ لَا يَغْرُرُكَ

نَشَاءُ ٥ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ٥ وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ٥ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٥

سورة المؤمن ٤٠

الجزء ٢٤

ع ٥

الربع

حروفها
٥٢١٣

سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية و تسعة ركوعاً

كلماتها
١٢٤٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥

حَمْ ٥ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٥ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ٥

لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبدوا من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره - [حَافِينَ] مُخَدِّقِينَ مِنْ حَوْلِهِ [يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ] يقولون سبحان الله و الحمد لله متلذذين لا متعبدين - فَاَنْ قُلْتَ اَلَمْ يَرْجِعِ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ [بَيْنَهُمْ] - قُلْتَ يجوز ان يرجع الى العباد كلهم و ان ادخل بعضهم النار و بعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل - و ان يرجع الى الْمَلَائِكَةِ على ان ثوابهم و ان كانوا معصومين جميعا لا يكون على سدن واحد و لكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق - فَاَنْ قُلْتَ قَوْلُهُ [وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ] مِنَ الْقَائِلِ ذَلِكَ - قُلْتَ المقضي بينهم اما جميع العباد و اما الْمَلَائِكَةُ كانه قيل و قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ و قالوا اَلْحَمْدُ لِلَّهِ على قضائه بيننا بالحق و انزال كل منا منزلته اللتي هي حقّه - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة و اعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا - و عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يقرأ كل ليلة بنبي اسرائيل و الزمر *

سورة المؤمن

مكية - قال الحسن الا قوله وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل في حواميم كلها انها مكيات عن ابن عباس و ابن الكنفية * قريء بامانة الف حا - و تفخيمها - و بتسكين الميم - و فتحها - و وجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين و ايثار اخف الحركات نحو اين و كيف - او الذصت باضمار اقراً و منع الصرف للتأنيث و التعريف او للتعريف و انها على زنة اعجمي نحو قابيل و هابيل [التَّوْبِ] و التَّوْبِ و الأرب اخوات في معنى الرجوع - و الطول الفضل و الزيادة يقال لفلان على فلان طول و الافضال يقال طال عليه و تطوّل اذا تفضّل - فَاَنْ قُلْتَ كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً و تكديراً و الموصوف معرفة تقتضي ان تكون مثله معارف - قُلْتَ اما غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ فمعرفتان لانه لم يردّ بهما حدوث الفعلين و انه يغفر الذنب و يقبل التوب الا ان اوغدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فيكون اضافتهما غير حقيقية و انما اريد ثبوت ذلك و دوامه فكان حكمهما حكم آله الخلق و رب العرش - و اما شَدِيدِ الْعِقَابِ فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير - و قد جعله الزجاج بدلاً و في كونه بدلاً وحده بين الصفات نبوّ ظاهر و الوجه ان يقال لما صوّف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد اذنت بان كلها ابدال غير اوصاف و مثال ذلك قصيدة جاءت

سورة الزمر ٣٩ وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا اَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُولُونَ عَلَيْكُمْ اٰيٰتُ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُوْنَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا ط قَالُوا بَلٰى وَلٰكِنْ
الجزء ٢٤ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِيْنَ ٥ قِيْلَ ادْخُلُواْ اَبْوَابَ جَهَنَّمَ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ٦ فَيُبْئِسْ مَثْوٰى الْمُتَكَبِّرِيْنَ ٥
ع ٤ وَ مَيِّقَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ اِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ط حَتّٰى اِذَا جَاؤَهَا وَفُتِحَتْ اَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلٰمٌ عَلَيْكُمْ
طَبِئْتُمْ فَاَدْخُلُوهَا خٰلِدِيْنَ ٥ وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَ اَوْرَثَنَا الْاَرْضَ نَتَّبِعُوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ

الافواج المتفرقة بعضها في اثر بعض و قد تزمروا قال * ع * حتى احزألت زمربعد زمر * و قيل في زمر الذين
اتَّقَوْا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم - و قرئ نذر منكم - فان قلت لم
اضيف اليهم اليوم - قلت ارادوا لقاء وقتكم هذا و هو وقت دخولهم النار لا يوم القيمة و قد جاء استعمال اليوم
والايام مستفيضاً في اوقات الشدة - [قَالُوا بَلٰى] اتونا وتلوا علينا [وَلٰكِنْ] وجبت علينا [كَلِمَةً] الله لَامَلَانَ
لسوء اعمالنا كما قالوا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَ كَذًا قَوْمًا ضَالِّيْنَ فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب و هو الكفر
و الضلال - اللام في [الْمُتَكَبِّرِيْنَ] للجنس لان مَثْوٰى الْمُتَكَبِّرِيْنَ فاعل بئس و بئس فاعلها اسم معرف بلام
الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فَيُبْئِسْ مَثْوٰى الْمُتَكَبِّرِيْنَ جَهَنَّمَ * [حَتّٰى]
هي اللتي يحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف
لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذوفه على انه شيء لا يحيط به الوصف و حق موقعه ما بعد خالدين -
و قيل حَتّٰى اِذَا جَاؤَهَا جَاؤَهَا وَ فُتِحَتْ اَبْوَابُهَا اي مع فتح ابوابها - و قيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند
دخول اهلها فيها و اما ابواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله جَذَّتْ عَدْنٌ مُّفْتَحَةً لَهُمُ الْاَبْوَابُ فلذلك جيء
بالواو كانه قيل حتى اذا جاؤها و قد فتحت ابوابها - فان قلت كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا
بلفظ السَّوْق - قلت المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين
عن السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل - والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا
راكبين وحثها اسراعاً بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض
الملوك فشتان ما بين السوقين [طَبِئْتُمْ] من دنس المعاصي و طهرتم من خبث الخطايا [فَاَدْخُلُوهَا]
جعل دخول الجنة مسبباً عن الطيب والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها
الله من كل دنس و طيبها من كل قدر فلا يدخلها الا مناسبت لها موصوف بصفتها فما ابعد احوالنا
من تلك المناسبة و ما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب الكريم توبة
نصوحاً تُنْقِيْ اَنْفُسَنَا مِنْ دَرَنِ الذُّنُوبِ وَ تُمِيطُ وَضْرَ هَذِهِ الْقُلُوبِ - [خٰلِدِيْنَ] مقدرين الخلود * [الْاَرْضَ]
عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه و اتخذوه مقراً ومتبواً و قد اُورثوها اي مُلْكُوهَا و جعلوا ملوكها و اطلق
تصرفهم فيها كما يشارون تشبيهاً بحال الوارث و تصرفه فيما يرثه و اتساعه فيه و ذهابه في انفاقه طولاً و عرضاً -
فان قلت ما معنى قوله [حَيْثُ نَشَأُ] و هل يتبوا احداهم مكان غيره - قلت يكون لكل واحد منهم جنة

بِنُورِ رَبِّهَا وَ رُضِعَ الْكِتَابُ وَ جَاءِيَهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ وَ الشَّهَادَةِ وَ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يَظْلَمُونَ ٥ وَ وَفَّيْتُ كُلَّ
نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ٦ وَ سَيُقْضَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ٧ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتِ أَبْوَابُهَا

و ذات جرعة يريد انهما لا تغنيان الا باكلة فذة من اكلاته و جرعة فردة من جرعاته و اذا اريد معنى القبضة
فظاهر ان المعنى ان الارضين بجملتهما مقدار ما يقبضه بكف واحدة - فان قلت ما وجه قراءة من قرأ قبضته
بالنصب - قلت جعلها ظرفا مشبها للموقت بالمبهم - مطويبت من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى
يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ و عادة طوي السجل ان يطويه يمينه - وقيل قبضته ملكه بلا مدافع
ولا منازع - و يمينه بقدرته - وقيل مطويبت يمينه مقيديات بقسمه لانه اقسام ان يفيها و من اشته راحة من
علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلهم بالتعجب منه و من قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز
بفصاحته و ما منع به من امثاله و اثقل منه على الروح و اصدع للكبد تدوين العلماء قوله و استحسانهم له
و حكايته على فروع المنابر و استجلاب الاهتزاز به من السامعين - و قرئ مطويبت على نظم السموات في
حكم الارض و دخولها تحت القبضة و نصب مطويبت على الحال - [سُبْحَنَهُ وَ تَعَالَى] ما ابعد من هذه قدرته
وعظمته و ما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء - فان قلت [اخرى] ما محلها من الاعراب - قلت يحتمل
الرفع و النصب - اما الرفع فعلى قوله فَاِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ - و اما النصب فعلى قراءة من قرأ نَفْخَةٌ
وَاحِدَةٌ و المعنى وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ نفخة واحدة ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ اُخْرَى و انما حذف لدلالة اُخْرَى عليها و لكونها
معلومة بذكرها في غير مكان - و قرئ قِيَامًا يَنْظُرُونَ يلقبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه
خطب - و قيل يَنْظُرُونَ ما ذا يَفْعَلُ بهم - و يجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف و الجمود في مكان التحير بهم -
قد استعار الله عز وجل النور للحق و القرآن و البرهان في مواضع من التنزيل و هذا من ذاك و المعنى و اشرقت
الارض بما يقيمه فيها من الحق و العدل و يبسطه من القسط في الحساب و وزن الحسنات و السيئات و ينادي
عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل و اضافة اسمه الى الارض لانه يزيئها حيث ينشر فيها
عدله و ينصب فيها موازين قسطه و يحكم بالحق بين اهلها و لا ترى ازين للبقاء من العدل و لا اعملها منه
وفي هذه الاضافة ان ربها و خالقها هو الذي يعدل فيها و انما يجوز فيها غير ربها ثم ما عطف على اشرق
الارض من وضع الكتاب و المجيء بالبينات و الشهادة و القضاء بالحق و هو النور المذكور و ترى الناس يقولون
للملك العادل اشرقت الافاق بعدلك و اضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت البلاد بجور فلان و قال
رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الظلم ظلمات يوم القيمة و كما فتح الآية باثبات العدل ختمها بنفي
الظلم - و قرئ و اُشْرِقَتْ على البداء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به و اغتصت و اشرقها الله كما
تقول ملاء الارض عدلا و طبقها عدلا - و [الكتاب] صحائف الاعمال ولكنه اكتفي باسم الجنس - و قيل اللوح المحفوظ
[و الشهاد] الذين يشهدون للامم و عليهم من الحفظة و الاخبار - و قيل المستشهدون في سبيل الله - الزمر

قَبَضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ط سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ٥ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ط ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ٦ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ

عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل [وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ] وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التبجيل فقال [وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ] والغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملة ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلالة لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى ان جبرئيل عليه السلام جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا ابا القسم ان الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على اصبع و الارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ الْآيَةُ واما ضحك افسح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء واخره على الزبدة والخلاصة اللتي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام اللتي تتخير فيها الافهام والاذهان ولا تكتنفها الالهام هيمنة عليه هو ان لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا ارق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع واعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء فان اكثره وعائته تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما وما اتى الزالون الا من قلة عذائتهم بالبحث والتنقيب حتى يعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدره حق قدره لما خفي عليهم ان العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه ان لا يحل عقدها الموربة ولا يفك قيودها المكرية الا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من احاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تأول ليس من هذا العلم في عيرو لا نفير ولا يعرف قبلا من دبير - والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسّموت ولان الموضع موضع تعظيم وتغخيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتاكيد بالجميع اتبع الجمع مؤكدة قبل مجيء الخبر ليعلم اول الامران الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الاراضي كلها - والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من اثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال ايضا اعطني قبضة من كذا يريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي انه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته اي ذرات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن وبسطهن لا يباغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور آكلة لقمان والقلة جرعة اي ذات اكلته

تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ
وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ق ۚ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا

سورة الزمر ٣٩

الجزء ٢٤

ع ٣

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تفسير قوله تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ
عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله - والله اكبر - وسبحن الله وبحمده - واستغفر الله - والاحول ولا قوة
الا بالله - هو الاول والاخر والظاهر والباطن - بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأليه
على هذا ان الله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين
اصابه و الذين كفروا بايت الله و كلمات توحيدة و تمجيدة اوليك هم الخسرون * [افغير الله] منصوب
باعد و [تأمروني] اعتراض و معناه افغير الله اعبد بامرکم و ذلك حيث قال له المشركون استلام بعض
التهنأ ونؤمن باللهك - او ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني اعبد لانه في معنى تعبدونني و تقولون
لي اعبد و الاصل تأمروني ان اعبد فحذف أن و رفع الفعل كما في قوله ع * الا ايها الزاجري احضر الوغي *
الا ترالك تقول افغير الله تقولون لي اعبده و افغير الله تقولون لي اعبد فكذلك افغير الله تأمروني ان
اعبده و افغير الله تأمروني ان اعبد و الدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ اعبد بالنصب - و قرئ
تأمروني على الاصل و تأمروني على ادغام الذون او حذفها - قرئ [ليحبطن عملك] و ليحبطن على
البناء للمفعول - و ليحبطن بالذون و الياء اي ليحبطن الله او الشرك - فان قلت الموحى اليهم جماعة فكيف
قال لئن اشركت على التوحيد - قلت معناه اوحى اليك لئن اشركت ليحبطن عملك و الى الذين
من قبلك مثله او اوحى اليك و الى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد
منا - فان قلت ما الفرق بين اللامين - قلت الاولى موطئة للقسم المحذوف و الثانية لام الجواب و هذا
الجواب سادس مستد الجوابين اعني جوابي القسم و الشرط - فان قلت كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى
ان رسله لا يشركون و لا تحبط اعمالهم - قلت هو على سبيل الفرض و المحالات يصح فرضها لاغراض فكيف
بما ليس بمحال الا ترى الى قوله و لو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا يعني على سبيل الاجاء
و لن يكون ذلك لامتناع الداعي اليه و وجود الصارف عنه - فان قلت ما معنى قوله [و لتكونن من
الخسرين] - قلت يحتمل و لتكونن من الخسرين بسبب حبوط العمل - ويحتمل و لتكونن في الآخرة من جملة
الخسرين الذين خسروا انفسهم ان مت على الردة - و يجوز ان يكون غضب الله على الرسول اشد فلا يمهل
بعد الردة الا ترى الى قوله اذا لان ذلك ضعف الحيوة و ضعف الممات [بل الله فاعبد] رد لما امر به
من استلام بعض الهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط و
جعل تقديم المفعول عوضا منه [وكن من الشكرين] على ما انعم به عليك من ان جعلك سيد ولد آدم -
و جوز الفراء نصبه بفعل مضمرة هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد - لما كان العظيم من الاشياء اذا

سورة الزمر ٣٩ من الكافرين ٥ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۖ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝
 الجزء ٢٤ وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 ع ٣ وَكِيلٌ ۝ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ قُلْ أَغْيَرُ اللَّهُ

الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمنى الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب - فان قلت كيف صح ان يقع بكلى جوابا لغير منفي - قلت لو ان الله هذبني فيه معنى ما هديت * [كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ] وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعائنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسقونها بفعل القبائح وتجوز ان يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويحسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدماء وجنبا متسترين بالبللغة ويجعلون له اندادا بائياتهم معه قدماء [وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ] جملة في موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب - قرئ ينجي - وينجي - [بِمَفَازَتِهِمْ] بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراة منه وتفسير المفازة قوله [لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم من قوله تعالى فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ اي بمنجاة منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه المفازة بالاعمال الحسنة - ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة - ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها - وقرئ بمفازاتهم على ان لكل متق مفازة - فان قلت لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ ما محله من الاعراب على التفسيرين - قلت اما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستأنف - واما على الثاني فمحله النصب على الحال * [لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] اي هو مالك امرها وحافظها وهي من باب الكناية لان حافظ الخزان ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان اقيمت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها - وقيل مقليد - ويقال اقليد و اقليد والكلمة اصلها فارسية - فان قلت ما للكتاب العربي المبين والفارسية - قلت التعريب احوالها عربية كما اخرج الاستعمال المهمل من كونه مهمل - فان قلت بم اتصل قوله وَالَّذِينَ كَفَرُوا - قلت بقوله وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا اي ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هُمُ الْخَاسِرُونَ واعترض بينهما بانه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه [وَالَّذِينَ كَفَرُوا] وجحدوا ان يكون الامر كذلك [أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] - وقيل سأل عثمان رضي الله عنه

فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ﴿١٠﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١١﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ

التكثير كما قال الاعشى * شعر * وربّ بقيع لو هتفت بجوه * اتاني كريم ينفض الرأس مغضبا * وهو يريد افواجا من الكرام يذصرونه لا كريما واحدا ونظيره ربّ بلد قطعت وربّ بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير - وقرئ يحسرتي على الاصل ويحسرتاي على الجمع بين العوض والمعوّض منه - والجذب الجانب يقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان ليقب الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري * شعر * اما تتقين الله في جنب وامقي * له كبد حرقى عليك تقطع * وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبتته فيه الا ترى الى قوله * شعر * ان السماحة والمروة والذدى * في قبة ضربت على ابن الحشرج * ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل امكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر المكان وتركه - قيل [فرطت في جنب الله] على معنى فرطت في ذات الله - فان قلت فمرجع كلامك الى ان ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطى من حسن الكناية و بلاغتها فكأنه قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله - قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما اشبه ذلك - وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت [وان كنت لمن السخريين] - قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها - ومحل وان كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت و انا ساخر اي فرطت في حال سخريتي - وروي انه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق اتاه ابليس فقال له تمتع في الدنيا ثم تب فاطعه و كان له مال فانفقته في الفجور فاتاه ملك الموت في الذما كان فقال يحسرتي على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره في القرآن [لو ان الله هدىني] لا يخلو - اما ان يريد به الهداية بالالقاء او بالالطاف - او بالوحي - فالالقاء خارج - عن الحكمة و ام يكن من اهل اللطاف فيلطف به - و اما الوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وانما يقول هذا تحيرا في امرة وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدىنا الله لهديتكم - وقوله [بلى قد جاءتك آياتي] رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي [فكذبت] به [واستكبرت] عن قبوله واثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى - و قرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس - فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هدىني ولم يفصل بينهما بآية - قلت لانه لا يخلو - اما ان يقدم على اخرى القرائن الثلاث فيفترق بينهما - واما ان تؤخر القرينة الوسطى - فام يحسن الاول لما فيه من تمييز النظم بالجمع بين القرائن - واما

يَكْسِبُونَ ۝ فَأَعَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ تُحْسِرْتُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ

راجع الى قوله إِنَّمَا أَوْفَّقْتُهُ عَلَى عِلْمٍ لَأنها كلمة او جملة من القول - و قرئى قَدْ قَالَهُ عَلَى معنى القول و الكلام و ذلك و [الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] هم قارون و قومه حيث قال إِنَّمَا أَوْفَّقْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي و قومه راضون بها فكأنهم قالوها - و يجوز ان يكون فى الامم الخالية آخرون قائلون مثلها [فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] من متاع الدنيا و يجمعون منه * [مِنْ هَؤُلَاءِ] من مُشْرِكِي قَوْمِكَ [سَيُصِيبُهُمْ] مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر و حبس عنهم الرزق ففكحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقتل لهم او لم يعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل * [اسْرِفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ] جنوا عليها بالاسراف في المعاصي و الغلو فيها [لَا تَقْنَطُوا] قرئى بفتح الفون - وكسرهما - وضمها - [إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا] يعنى بشرط التوبة و قد تكرر ذكر هذا الشرط فى القرآن فكل ذكر فيه ذكر له فيما لم يذكر فيه لأن القرآن فى حكم كلام واحد و لا يجوز فيه التناقض - و فى قراءة ابن عباس وابن مسعود يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَنْ يَشَاءُ و المراد بمن يَشَاءُ من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لالملكه وجبروته - و قيل فى قراءة النبي صلى الله عليه و آله و سلم و فاطمة رضي الله عنها يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا و لا يَبَالِي و نظير نفي المبالاة نفي الخوف فى قوله و لَا يَخَافُ عُقْبَاهَا - و قيل قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد الاوثان و قتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف و لم نهاجر و قد عبدنا الاوثان و قتلنا النفس التي حرم الله فنزلت - و روى انه اسلم عيش بن ابي ريبعة و الوليد بن الوليد و نفر معهما ثم قتلوا و عذبوا فافتتنوا فكذبوا فنزل لا يقبل الله لهم صرفا و لا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه اليهم فاسلموا و هاجروا - و قيل نزلت فى وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه - وعن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ما أحب ان لي الدنيا و ما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله و من اشرك فسكت ساعة ثم قال ألا و من اشرك ثلث مرات [وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ] و توبوا اليه [وَأَسْلَمُوا لَهُ] و اخلصوا له العمل و انما ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع فى حصولها بغير توبة و للدلالة على انها شرط فيها لزم لا تحصل بدونه * [وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ] مثل قوله الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ [وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ] اي يفجأكم و انتم غافلون كأنكم لا تحسسون شيئا لفرط غفلتكم و سهوكم [أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ] كراهة ان تقول - فان قلت لم نكرت - قلت لأن المراد بها بعض الانفس و هي نفس الكافر - و يجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس إما بالجاج فى الكفر شديد او بعذاب عظيم - و يجوز ان يراد

حَقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرُّدَعَاذًا ۖ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِمَّا قَالِ إِنَّمَا أُوتِيْنُهُ
عَلَىٰ عِلْمٍ ۖ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

سورة الزمر ٣٩

الجزء ٢٤

ع ١٥

سيدات كما قال وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا [وَحَقَّ بِهِمْ] ونزل بهم واحاط جزاء هزئهم • التحويل مختص بالتفضل
يقال خولني اذا اعطاك على غير جزاء [على علم] اي على علم مني اني سأعطاه لما في من فضل
و استحقاق - او على علم من الله بي و باستحقاقي - او على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على
علم عندي - فان قلت لم ذكر الضمير في أُوتِيْنُهُ وهو للنعمة - قلت ذهبنا به الى المعنى لان قوله نِعْمَةً مِمَّا شَيْئًا
من النعمة و قسمًا منها - و يحتمل ان يكون ما في إِنَّمَا موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان
الذي أُوتِيْنُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ - [بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ] انكار لقوله كانه قال ما خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول
بل هي فتنة اي ابتلاء و امتحان لك اتشكر ام تكفر - فان قلت كيف ذكر الضمير ثم انتهى - قلت حملاً على
المعنى اولاً وعلى اللفظ اخراً و لان الخبر لما كان موندًا اعني فِتْنَةٌ سَاغَ تانيث المبتدأ لاجله لانه في معناه كقواهم
مَا جَاءَتْ حَاجَتُكَ - و قرئ بَلْ هُوَ فِتْنَةٌ عَلَىٰ وَفَق إِنَّمَا أُوتِيْنُهُ - فان قلت ما السبب في عطف هذه الآية
بالفاء و عطف مثلها في اول السورة بالواو - قلت السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن قوله
وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ عَلَىٰ مَعْنَى انهم يشمأزون من ذكر الله و يستبشرون بذكر الالهة فَإِذَا مَسَّ
احدهم ضُرُّدَعَا مِنْ اِشْمَازٍ مِنْ ذكره دون من استبشروا بذكره و ما بينهما من الای اعتراض - فان قلت
حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه و بينه - قلت ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله
عليه و آله و سلم ربه بامر منه و قوله أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ مَا عَقَبَهُ مِنَ الوعيد العظيم تأكيد لانكار
اشمئزازهم و استبشارهم و رجوعهم الى الله في الشدائد دون ألتهم كانه قيل قل يا رب لا يحكم بيني و بين
هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجرأة و يرتكبون مثل هذا المفكر الا انت و قوله وَ لَوْ أَنَّ
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَتَدَاوُلُ لَهُمْ اَو لِكُلِّ ظَالِمٍ اِنْ جَعَلَ مُطْلَقًا اَوْ اِيَّاهُمْ خَاصَّةً اِنْ عَذِيبَتُهُمْ بِهِ كَانَهُ قِيلَ وَ لَوْ أَنَّ
الظالمين مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ حِينَ احْكُمَ عَلَيْهِمْ بِسُوءِ الْعَذَابِ وَ هَذِهِ الْأَسْرَارُ
وَالنُّكْتُ لَا يُبْرِزُهَا إِلَّا عَامُ النُّظْمِ وَالْأَبْقِيَتِ مُحْتَجِبَةٌ فِي أَكْثَامِهَا وَ اِمَّا الْآيَةُ الْاُولَى فَلَمْ تَقْعِ مُسَبِّبَةٌ وَمَا
هِيَ إِلَّا جُمْلَةٌ نَاسَبَتْ جُمْلَةَ قَبْلُهَا فَعُطِفَتْ عَلَيْهَا بِالْوَاوِ كَقَوْلِكَ قَامَ زَيْدٌ وَ قَعْدَ عَمْرُو - فان قلت من اي وجه
وقعت مسببة و اشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتضى الاتجائهم اليه بل هو مقتضى لصدور فهم عنه - قلت
في هذا التسبب لطف و بيانه انك تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبب ظاهر
لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجنيء بالفاء مجيئك به ثمه كان الكافر حين
التجأ الى الله التجأ المؤمن اليه مُقِيمٌ كَفَرًا مَقَامَ الْإِيمَانِ وَ مُجْرِبُهُ مَجْرَاهُ فِي جَعْلِهِ سَبَبًا فِي الْاِتِّجَاءِ
فَأَنْتَ تَحْكُمُ مَا عَكَسَ فِيهِ الْكَافِرُ إِلَّا تَرَىٰ أَنَّكَ تَقْصِدُ بِهَذَا الْكَلَامِ الْاِنْكَارَ وَ التَّعَجُّبَ مِنْ فِعْلِهِ • الضمير في [قَالَهَا]

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ
وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ
لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ۝ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَ

[أَوْ لَوْ كَانُوا] معناه أ يشفعون ولو كانوا [لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ] أي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئاً
قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم [لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] تقرير لقوله لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لانه
إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها - فإني قلت به يتصل قوله [ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] -
قلت بما يليه معناه لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ اليوم ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك
اليوم إلا له فله ملك الدنيا والآخرة * مدار المعنى على قوله [وَحْدَهُ] أي إذا افرد الله بالذكر ولم يذكر
معه إلهتهم اشْمَأَزَّا أي نفروا وانقبضوا * [وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ] وهم إلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر
استبدشروا لافتدوا بها ونسبناهم حق الله إلى هواهم فيها - وقيل إذا قيل لا إله إلا الله وحده لا شريك له
نفروا لأن فيه نفياً لإلهتهم - وقيل أراد استبشارهم بما سبق إليه لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من ذكر إلهتهم حين قرأوا والتَّجَمَّ عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ
كل واحد منهما غاية في بابه لأن الاستبشار أن يمتلي قلبه سرورا حتى يذسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز
أن يمتلي غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه - فإني قلت ما العامل في إذا ذكر - قلت العامل في إذا
المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأ رقت الاستبشار * بعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهم
وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد فقليل له ادع الله بأسمائه العظمى وقل أنت وحدك تقدر على الحكم بيني
وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم واعداد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتسليته له
ووعيد لهم - وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله
وقالوا الآن يتكلم فما زاد على أن قال أنه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية - وروى أنه قال على أثره قتل من كان
صلى الله عليه وآله وسلم يجلسه في حجرة ويضع فاه على فيه [وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ] وعيد لا كنه لفظاعته
وشدته وهو نظير قوله في الوعد فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمُ والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه
ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم - وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هي سيئات -
وعن سفين الثوري أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء - وجرع محمد بن المنكدر عند موته
فقليل له فقال أخشى أية من كتاب الله وتلاها فانا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم احتسبهم - [وَبَدَأَ لَهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا] أي سيئات أعمالهم التي كسبوها أو سيئات كسبهم حين تعرض صحتهم و كانت خافية
عليهم كقوله تعالى أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ - أو أراد بالسيئات أنواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسموها

مُقِيمٌ ۝ اِنَّا اَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۚ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ ضَلَّ فَاِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۚ
وَمَا اَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝ اَللّٰهُ يَتَوَفَّى الْاَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۚ فَيُمْسِكُ الَّتِي
قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْاُخْرَىٰ اِلَىٰ اَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُوْنَ ۝ اَمْ اتَّخَذُوْا
مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ اَوْ لَوْ كَانُوْا لَا يَمْلِكُوْنَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُوْنَ ۝ قُلْ لِلّٰهِ الشُّفَاعَةُ جَمِيعًا ۚ لَهُ مُلْكُ

سورة الزمر ٣٩

الجزء ٢٤

ع ١

و مُعِينُهُ وَمُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ اِلَّا تَرَى اِلَى قَوْلِهِ فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ كَيْفَ تَوَعَّدُهُمْ بِكُونِهِ مُنْصُورًا عَلَيْهِمْ غَالِبًا
عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْاٰخِرَةِ لَانَّهُمْ اِذَا اَنَافَهُمُ الْخُزْيِ وَ الْعَذَابُ فَذَلِكَ عَزَّةً وَ غَلْبَتُهُ مِنْ حَيْثُ اِنْ الْغَلْبَةُ تَقَمُّ لَهُ
بَعْدَ عَزِيْزٍ مِنْ اَوْلِيَائِهِ وَ بِذَلِكَ ذَلِيْلٌ مِنْ اَعْدَائِهِ [يُخْزِيْهِ] مِثْلُ مُقِيمٍ فِي وَقْعِهِ صِفَةُ لِلْعَذَابِ اَيِ عَذَابٍ مُّخْزٍ لَهُ
وَهُوَ يَوْمٌ بِدْرٍ وَ عَذَابٍ دَائِمٍ وَ هُوَ عَذَابُ النَّارِ - وَ قَرِئَ مَكَانَتِكُمْ • [لِلنَّاسِ] لِاجْلِهِمْ وَ لِاجْلِ حَاجَتِهِمْ اِلَيْهِ لِيُبَشِّرُوْا
وَيَنْذَرُوْا فَتَقْوَى دَوَاعِيَهُمْ اِلَى اخْتِيَارِ الطَّاعَةِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَ لَا حَاجَةَ لِي اِلَى ذٰلِكَ فَاِنَّا الْغَنِيُّ فَمَنْ اخْتَارَ
الْهُدَى فَقَدْ نَفَعَ نَفْسَهُ وَ مَنْ اخْتَارَ الضَّلَالَةَ فَقَدْ ضَرَّهَا وَ مَا وَكَلْتُ عَلَيْهِمْ لِتَجْبِرَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَاِنَّ التَّكْلِيفَ
مَبْنِيٌّ عَلَى الْاِخْتِيَارِ دُونَ الْاِجْبَارِ [الْاَنفُسُ] الْجُمْلُ كَمَا هِيَ - وَ تَوَفِّيْهَا اِمَاتَتُهَا وَ هِيَ اِنْ يَسْلُبُ مَا هِيَ
بِهِ حَيَّةٌ حَسَّاسَةٌ دَرَاكَةٌ مِنْ صِحَّةِ اجْزَائِهَا وَ سَلَامَتِهَا لَانَّهَا عِنْدَ سَلْبِ الصِّحَّةِ كَانَتْ ذَاتُهَا قَدْ سَلِبَتْ [وَ الَّتِي
لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا] يَرِيدُ وَ يَتَوَفَّى الْاَنفُسَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا اَيِ يَتَوَفَّاها حِينَ تَنَامُ تَشْبِيْهًا لِلْمُتَمِيمِ
بِالْمَوْتِ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ حَيْثُ لَا يُمَيِّزُوْنَ وَ لَا يَتَصَرَّفُوْنَ كَمَا اِنْ الْمَوْتِ
كَذَلِكَ [فَيُمْسِكُ] الْاَنفُسَ [الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ] الْحَقِيقِي اَيِ لَا يَرُدُّهَا فِي وَقْتِهَا حَيَّةً [وَيُرْسِلُ الْاُخْرَى]
الذَّائِمَةَ [اِلَى اَجَلٍ مُّسَمًّى] اِلَى وَقْتِ ضَرْبِ لَمَوْتِهَا - وَ قِيلَ يَتَوَفَّى الْاَنفُسَ يَسْتَوْفِيْهَا وَ يَقْبِضُهَا وَ هِيَ الْاَنفُسُ الَّتِي
تَكُوْنُ مَعَهَا الْحَيَوَةُ وَ الْحَرَكَةُ وَ يَتَوَفَّى الْاَنفُسَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا وَ هِيَ اَنفُسُ التَّمْيِيزِ - قَالُوا فَالَّتِي
تُتَوَفَّى فِي النَّوْمِ هِيَ نَفْسُ التَّمْيِيزِ لَانَّ نَفْسَ الْحَيَوَةِ اِذَا زَالَتْ زَالَ مَعَهَا النِّفْسُ وَ الذَّائِمُ
يَتَنَفَّسُ - وَ رَوَاهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فِي ابْنِ اٰدَمَ نَفْسٌ وَ رُوْحٌ بَيْنَهُمَا مِثْلُ شُعَاعِ الشَّمْسِ فَالْاَنفُسُ
الَّتِي بِهَا الْعَقْلُ وَ التَّمْيِيزُ وَ الرُّوْحُ الَّتِي بِهَا النِّفْسُ وَ التَّحَرُّكُ فَازَا نَامَ الْعَبْدُ قَبِضَ اللّٰهُ نَفْسَهُ وَ لَمْ يَقْبِضْ
رُوْحَهُ وَ الصَّحِيْحُ مَا ذَكَرْتُ اَوَّلًا لَّانَّ اللّٰهَ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَّقَ التَّوْفِيَّ وَ الْمَوْتَ وَ الْمَنَامَ جَمِيعًا بِالْاَنفُسِ وَ مَا عَنُوْا
بِنَفْسِ الْحَيَوَةِ وَ الْحَرَكَةِ وَ نَفْسِ الْعَقْلِ وَ التَّمْيِيزِ غَيْرَ مُتَصِفٍ بِالْمَوْتِ وَ النَّوْمِ وَ اِنَّمَا الْجُمْلَةُ هِيَ الَّتِي تَمُوتُ
وَ هِيَ الَّتِي تَنَامُ [اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ] اِنْ فِي تَوَفِّي الْاَنفُسِ مَائِنَةً وَ نَائِمَةً وَ اِمْسَاكِهَا وَ اِرْسَالِهَا اِلَى اَجَلٍ [لَاٰيَتٍ]
عَلَى قُدْرَةِ اللّٰهِ وَ عِلْمِهِ [لِقَوْمٍ] يُجَيِّلُوْنَ فِيهِ افْكَارَهُمْ وَ يَعْتَبِرُوْنَ - وَ قَرِئَ قُضِيَ عَلَيْهَا الْمَوْتُ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ •
[اَمْ اتَّخَذُوْا] بَلْ اتَّخَذَ قَرِيْشٌ وَ الْهَمَزَةُ لِلْاِنْكَارِ [مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ] مِنْ دُوْنِ اِذْنِهِ [شُفَعَاءَ] حَيْثُ قَالُوْا هُوَ لَا شُفَعَاءَ وَاِنَّا
عِنْدَ اللّٰهِ - وَ لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ اَحَدٌ اِلَّا بِاِذْنِهِ اِلَّا تَرَى اِلَى قَوْلِهِ قُلْ لِلّٰهِ الشُّفَاعَةُ جَمِيعًا اَيِ هُوَ مَا لَهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ اَحَدٌ
شُفَاعَةً اِلَّا بِشَرْطَيْنِ اَنْ يَكُوْنَ الْمَشْفُوعُ لَهُ مُرْتَضًى وَ اَنْ يَكُوْنَ الشَّافِعُ مَاذُوْنَا لَهُ وَ هٰذَا الشَّرْطَانِ مُفْقُوْدَانِ جَمِيعًا

يُضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ۖ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ
هُنَّ كُشُفَاتٌ ۖ ضَرَّةٌ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتٌ رَحْمَتُهُ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۚ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝
قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۚ فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ۝ مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ

العزى ليكسرهما فقال له سادنها أحتدركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد اليها فهشم انفها
فقال الله عز وجل أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ان يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف
وفي هذا تهكم بهم لانهم خوفوه ما لا يقدر على دفعه ولا ضرر - او أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ و لقد قالت امهم
نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود ان نقول إلا اعتدلتك بعض الهتة يسوء - ويجوز ان يريد العبد و
العبدان على الإطلاق لانه كافيهما في الشدائد و كافل مصالحهم - و قرى بكافي عبده على الاضافة - و بكافي
عبده - و بكافي يحتمل ان يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي و هو ابلغ من كفى
لبذائه على لفظ المغالبة والمباراة - و ان يكون مهموزا من المكافاة وهي المجازاة لما تقدم من قوله و
يَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ [بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ] اراد الاوثان اللتي اتخذوها الهة من دونه - [بِعَزِيزٍ] بغالب منيع
[ذِي انْتِقَامٍ] يذتقم من اعدائه وفيه وعيد لقريش و وعد للمؤمنين بأنه يذتقم لهم منهم وينصرهم عليهم *
قرى كُشِفَتْ ضَرَّةٌ و مُمْسِكَاتٌ رَحْمَتُهُ بالتذوين على الاصل و بالاضافة للتخفيف - فان قلت لم فرض
المسئلة في نفسه دونه - قلت لانهم خوفوه معرفة الاوثان وتخيلها فامر بان يقررهم اولاً بان خالق العالم هو الله
وحده ثم يقول لهم بعد التقرير ف- [إِنْ أَرَادَنِيَ] خالق العالم الذي اقررتم به [بِضُرٍّ] من مرض او فقر او غير ذلك
من النوازل او [بِرَحْمَةٍ] من صحة او غنى او نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني اياهن كاشفات عذبي ضرة
او مُمْسِكَات رَحْمَتِهِ حتى اذا القهم الحجر وقطعهم حتى لا يجيروا ببنت شفة قال [حَسْبِيَ اللَّهُ] كافيا لمعرفة
اوثانكم [عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ] وفيه تهكم - ويرى ان النبي صلى الله عليه و اله وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل
حَسْبِيَ اللَّهُ - فان قلت لم قيل كُشِفَتْ و مُمْسِكَاتٌ على التانيث بعد قوله وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ -
قلت انهم وكن انا و هن اللات و العزى و مناة قال الله تعالى أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنْوَةَ الْغَالِثَةَ
الْأُخْرَىٰ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف و تعجيز عما طالبهم به من كشف الضر و
امساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كاذه قال الاناث اللاتي
هن اللات و العزى و مناة اضعف مما تدعون لهن و اعجز وفيه تهكم ايضاً [عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ] على حالكم اللتي
اقيم عليها و جهتكم من العداوة اللتي تمكنتم منها - و المكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما
يستعار هذا و حيث للزمان و هما للمكان - فان قلت حق الكلام فلاني عامل على مكانتي فلم حذف - قلت
للاختصار و لما فيه من زيادة الوعيد و الايدان بان حاله لا تقف و تزداد كل يوم قوة و شدة لان الله ناصره

سورة الزمر ٣٩

الجزء ٢٤

ع ١٧

اللَّهُ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۖ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۝ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۖ وَمَنْ

بالسيف فعرفت انها نزلت فينا - وقال ابو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد ونبيتنا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيف قلنا نعم هو هذا - وعن ابراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا - وعن ابي العالية نزلت في اهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت أولا الا ترى الى قوله فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وقوله وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ وما هو الا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة [كَذَبَ عَلَى اللَّهِ] افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه [وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ] بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ [إِذْ جَاءَهُ] فاجأه بالكذب كما سمع به من غير وقفة لاعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون [مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ] اي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق والام في الكافرين اشارة اليهم [وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ] هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء بالحق وامن به واراد به آياه ومن تبعه كما اراد بموسى آياه وقومه في قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ فلذلك قال [أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ] الا ان هذا في الصفة وذاك في الاسم - ويجوز ان يريد والفوج او الفريق الذي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به - وفي قراءة ابن مسعود وَالَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّدْقِ وَصَدَّقُوا بِهِ - وقرئ وَصَدَّقَ بِهِ بالتخفيف اي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني آياه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف - وقيل صار صادقا به اي بسببه لان القرآن معجزة و المعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجربها على يده - ولا يجوز ان يصدق الا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة - وقرئ وَصَدَّقَ بِهِ - فَنَ قَلَّتْ ما معنى اضافة الاسماء والاحسن الى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما - قلت اما الاضافة فما هي من اضافة الفعل الى الجملة اللتي يفضل عليها ولكن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل بنى مروان و اما التفضيل فايدان بان السيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الاسوء لاستعظامهم المعصية والاحسن الذي يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئتهم بالاسوء وحسنهم بالاحسن - وقرئ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا جمع سوء * [أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ] ادخلت همزة الانكار على كلمة النفي فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها - قرئ بِكَافٍ عَبْدَهُ وهو رسول الله - وَبِكَافٍ عَبْدَهُ وهم الانبياء وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله و آله وسلم انا نخاف ان تحبلك الهتنا و انا نحشى عليك معرفتها لعيبك آياها - و يروى انه بعث خالدا الى

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ۖ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا ۖ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ اِنَّكَ صَدِيقٌ ۚ وَاِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ اِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝ فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى

من يُثَبِّتُ إِلَهَةً شَتَّىٰ وَ مَا يُلْزِمُهُ عَلَىٰ قَضِيَّةٍ مَذْهَبُهُ مِنْ اَنْ يَدْعِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عِبُودِيَّتَهُ وَيَتَشَاكِسُوا فِي ذَلِكَ وَ يَتَغَالَبُوا كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ وَ لَعَلَّ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَ يَبْقَىٰ هُوَ مُتَحَيِّرًا ضَائِعًا لَا يَدْرِي اَيُّهُمْ يَعْبُدُ وَ عَلَىٰ رُبُوبِيَّةِ اَيُّهُمْ يَعْتَمِدُ وَ مِمَّنْ يَطْلُبُ رِزْقَهُ وَ مِمَّنْ يَلْتَمِسُ رِفْقَهُ فَهَمَّةٌ شِعَاعٌ وَ قَلْبُهُ اَوْزَاعٌ وَ حَالُهُ مِنْ لَمْ يُثَبِّتْ اِلَٰهًا وَاحِدًا فَهُوَ قَائِمٌ بِمَا كَلَّفَهُ عَارِفٌ بِمَا اَرْضَاهُ وَ مَا اسْتَخْطَهُ مُتَفَضِّلٌ عَلَيْهِ فِي عَاجِلِهِ مُؤَمِّلٌ لِلثَّوَابِ فِي آجِلِهِ - وَ فِيهِ صَلَٰةٌ شُرَكَاءُ كَمَا تَقُولُ اشْتَرَكُوا فِيهِ - وَ التَّشَاكُسُ وَ التَّشَاخُسُ الْاِخْتِلَافُ تَقُولُ تَشَاكُسَتْ اَحْوَالُهُ وَ تَشَاخُسَتْ اَسْذَانُهُ سَلَمًا لِرَجُلٍ خَالِصًا لَهُ - وَ قَرِئَ [سَلَمًا] بِفَتْحِ الْفَاءِ وَ الْعَيْنِ - وَ فَتَحِ الْفَاءِ وَ كَسَرِهَا مَعَ سَكُونِ الْعَيْنِ وَ هِيَ مَصَادِرُ سَلَامٍ وَ الْمَعْنَىٰ ذَا سَلَامَةٍ [لِرَجُلٍ] اَيِ ذَا خُلُوصٍ لَهُ مِنَ الشَّرِكَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ سَلِمْتَ لَهُ الضَّيْعَةُ - وَ قَرِئَ بِالرَّفْعِ عَلَى الْاِبْتِدَاءِ اَيِ وَ هَذَا رَجُلٌ سَلِمَ لِرَجُلٍ وَ اِنَّمَا جَعَلَهُ رَجُلًا لِيَكُونَ اَفْطَنُ لِمَا شَقِيَ بِهِ اَوْ سَعِدَ فَانَ الْمَرْأَةَ وَ الصَّبِيَّ قَدْ يَغْفُلَانِ عَنْ ذَلِكَ [هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا] هَلْ يَسْتَوِيَانِ صِفَةً عَلَى التَّمْيِيزِ وَ الْمَعْنَىٰ هَلْ يَسْتَوِيَانِ صِفَتَاهُمَا وَ حَالَهُمَا وَ اِنَّمَا اِقْتَصَرَ فِي التَّمْيِيزِ عَلَى الْوَاحِدِ لِبَيَانِ الْجِنْسِ - وَ قَرِئَ مَثَلَيْنِ كَقَوْلِهِ وَ اَكْثَرَ اَمْوَالًا وَ اَوْلَادًا مَعَ قَوْلِهِ اَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً - وَ يَجُوزُ فَيَمُنُ قَرَأَ مَثَلَيْنِ اِنْ يَكُونُ الضَّمِيرُ فِي يَسْتَوِيَانِ لِلْمَثَلَيْنِ لَانَّ التَّقْدِيرَ مَثَلُ رَجُلٍ وَ مَثَلُ رَجُلٍ وَ الْمَعْنَىٰ هَلْ يَسْتَوِيَانِ فَيَمُنُ يَرْجِعُ اِلَى الْوَصْفِيَّةِ كَمَا تَقُولُ كَفَىٰ بِهِمَا رَجُلَيْنِ - [اَلْحَمْدُ لِلَّهِ] الْوَاحِدُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ دُونَ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ اَيِ يَجِبُ اِنْ يَكُونُ الْحَمْدُ مُتَوَجِّهًا اِلَيْهِ وَحْدَةً وَ الْعِبَادَةُ فَقَدْ ثَبَتَ اَنَّهُ لَا اِلَهَ اِلَّا هُوَ [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] فَيُشْرِكُونَ بِهِ غَيْرُهُ * كَانُوا يَتَرَبَّصُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مَوْتَهُ فَأَخْبَرَ اَنْ الْمَوْتَ يَعْمَهُمْ فَلَا مَعْنَىٰ لِلتَّرَبُّصِ وَ شِمَاتَةِ الْبَاقِي بِالْفَانِي - وَ عَنْ قِتَادَةَ نَعَىٰ اِلَى نَبِيَّةٍ نَفْسُهُ وَ نَعَىٰ اِلَيْكُمْ اَنْفُسَكُمْ - وَ قَرِئَ مَائِتٌ وَ مَا تُتَوَّنُ وَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَيِّتِ وَ الْمَائِتِ اَنْ الْمَيِّتَ صِفَةٌ لَازِمَةٌ كَالسَّيِّدِ وَ اَمَّا الْمَائِتُ فَصِفَةٌ حَادِثَةٌ تَقُولُ زَيْدٌ مَائِتٌ غَدًا كَمَا تَقُولُ سَائِدٌ غَدًا اَيِ سَيَمُوتُ وَ سَيَسُودُ وَ اِذَا قُلْتَ زَيْدٌ مَيِّتٌ فَكَمَا تَقُولُ حَيٌّ فِي نَقِيضِهِ فَيَمُنُ يَرْجِعُ اِلَى الْاَلْزَمِ وَ الثَّبُوتِ وَ الْمَعْنَىٰ فِي قَوْلِهِ [اِنَّكَ مَيِّتٌ وَ اِنَّهُمْ مَيِّتُونَ] اِنَّكَ وَ اَيَّاهُمْ وَ اِنْ كُنْتُمْ اَحْيَاءُ فَانْتُمْ فِي عِدَادِ الْمَوْتَىٰ لَٰنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ فَكَانَ قَدْ كَانَ [ثُمَّ اِنَّكُمْ] ثُمَّ اِنَّكَ وَ اَيَّاهُمْ فَغَلَبَ ضَمِيرُ الْمُخَاطَبِ عَلَىٰ ضَمِيرِ الْغَيْبِ [تَخْتَصِمُونَ] فَتَحْتَجُّ اَنْتَ عَلَيْهِمْ بِاَنَّكَ بَلَغْتَ فَكَذَّبُوا فَاجْتَهَدْتَ فِي الدَّعْوَةِ فَلَجَّوْا فِي الْعِنَادِ وَ يَعْتَذِرُونَ بِمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ يَقُولُ الْاِتِّبَاعُ اطْعَمْنَا سَادَتَنَا وَ كُبَرَاءَنَا وَ يَقُولُ السَّادَاتُ اغْوَيْنَا الشَّيَاطِينَ وَ اَبَارَيْنَا الْاَقْدَمُونَ وَ قَدْ حَمَلَ عَلَى اخْتِصَامِ الْجَمِيعِ وَ اِنْ الْكُفَّارُ يَخَاصِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّىٰ يُقَالَ لَهُمْ لَا تَخْتَصِمُوا لَدُنِّي وَ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ يَبْتَغُونَهُم بِالْحَجَجِ وَ اَهْلُ الْقِبْلَةِ يَكُونُ بَيْنَهُمُ الْاِخْتِصَامُ - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَقَدْ عَشْنَا بَرَهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَ نَحْنُ نَرَىٰ اَنْ هَذِهِ الْاَيَةُ اَنْزَلَتْ فِيْنَا وَ فِي اَهْلِ الْكِتَابِ قُلْنَا كَيْفَ نَخْتَصِمُ وَ نَبَيِّنَا وَاحِدٌ وَ دِيْنُنَا وَاحِدٌ وَ كِتَابُنَا وَاحِدٌ حَتَّىٰ رَأَيْتُ بَعْضُنَا يُضْرَبُ وَجْهَهُ بَعْضُ

اللَّهُ ۖ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۖ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَ مَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ
سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُرُّوهُمَا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۖ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَتْهُمْ الْعَذَابُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۖ فَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۖ
وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۖ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۖ

سورة الزمر ٣٩

الجزء ٢٣

ع ١٩

استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم و بالقشعريرة ليدنا في جلودهم [ذَٰلِكَ] إشارة الى الكتاب و هو
[هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ] يوفق به [مَنْ يَشَاءُ] يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء
كما قال هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ [وَ مَنْ يَضِلِّ اللَّهُ] و من يخذله من الفساق و الفجرة [فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ] - او ذَٰلِكَ
الكائن من الخشية و الرجاء هُدَى اللَّهِ اي اثر هداة و هو لطفه فسماه هُدَى لانه حاصل بالهدى يَهْدِي بِهِ
بهذا الاثر مَنْ يَشَاءُ مَنْ عباده يعني مَنْ صَحَبَ اُولَٰئِكَ و رَأَاهُمْ خَاشِينَ رَاجِينَ فكان ذلك مرغبا لهم
في الاقتداء بسيرتهم و سلوك طريقهم وَ مَنْ يَضِلِّ اللَّهُ و من لم يؤثر فيه الطافه لقسوة قلبه و اصراره على
فجوره فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ مَنْ مؤثر فيه بشيء قط * يقال اتقاه بدركته استقبله بها فوقى بها نفسه آياه و اتقاه
بيده و تقديره [أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ] كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره - و سُوءَ الْعَذَابِ
شدته و معناه ان الانسان اذا لقي مَخُوفًا من المخاوف استقبله بيده و طلب ان يقي بها وجهه لانه اعز
اعضائه عليه و الذي يُلْقَى فِي النَّارِ يُلْقَى مَغْلُولَةً يَدَاہُ اِلَىٰ عُنُقِهِ فَلَا يَمْتَصِحُ لَهُ ان يتقي النار الا بوجهه الذي
كان يتقي المخاوف بغيره و قايمة له و محاماة عليه - و قيل المراد بالوجه الجملة - و قيل نزلت في ابي جهل -
و قال لهم خزنة النار [ذُرُّوهُمَا] و بال [مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ] * [مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ] من الجهة اللتي لا يحتسبون
و لا يخطر ببالهم ان الشراياتيهم منها بيدناهم امنون رافهون اذ فوجئوا من مأمئهم - و الخزي الذل و الصغار
كالمنسوخ و الخسف و القتل و الجلاء و ما اشبه ذلك من نكال الله * [قُرْآنًا عَرَبِيًّا] حال مؤكدة كقولك جاءني
زيد رجلا صالحا و انسانا عاقلا - و يجوز ان يفتصب على المدح [غَيْرَ ذِي عِوَجٍ] مستقيما بريئا من التناقض
و الاختلاف - فَاَنْ قُلْتَ فَمَا قِيلَ مستقيما او غير معوج - قُلْتَ فِيهِ فَاُنْذَرْتَانِ - احدهما نفى ان يكون فيه
عوج قط كما قال وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا - و الثانية ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان - و قيل المراد
بالعوج الشك و اللبس و انشد * شعر * و قد اتاك يقين غير ذي عوج * من الاله و قول غير مكذوب * و اضرب
لقومك مثلا و قل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف و تذازع كل
واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجادلون و يتعارفون في مهن شتى و مشادة و اذا عذمت له حاجة تدافعوه
فهو متحير في امره سادر قد تشعبت الهموم قلبه و توزعت افكاره لا يدري ايهم يرضي بخدمته و على
ايهم يعتمد في حاجاته و في اخر قد سلم لمالك واحد و خلص له فهو معتقد لما لزمه من خدمته معتمد عليه
فيما يصلحه فهمه واحد و قلبه مجتمع اي هذين العبدین احسن حالا و احمد شانا و المراد تمثيل حال

سورة الزمر ٣٩ الْحَدِيثُ كُتِبَ مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ۖ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ

الجزء ٢٣

ع ١٩

و[كُتِبَ] بدل من أَحْسَنَ الْحَدِيثِ - ويحتمل ان يكون حالاً منه - [مُتَشَابِهًا] مطلق في مشابهة بعضه بعضاً فكان متداولاً لتشابه معانيه في الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب الفاظه وتوافقها في التخيير والاصابة وتجارب نظمه وتأليفه في الاعجاز والتبكييت - ويجوز ان يكون مَثَانِي بدياناً لكونه مُتَشَابِهًا لان القصص المكررة لا تكون الا متشابهة - والمَثَانِي جمع مُثْنِي بمعنى مرّود ومكرّر لما نثني من قصصه وأنبأته واحكامه واورامه ونواهييه وعدده وعيده ومواعظه - وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يَتَفَهَّ ولا يَتَشَانُ ولا يَخْلُقُ على كثرة الرد - ويجوز ان يكون جمع مُثْنِي مَفْعَل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان قوله تعالى ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ بمعنى كرة بعد كرة و كذلك لبيك وسعديك وحذائك - فان قلت كيف وصف الواحد بالجمع - قلت انما صح ذلك لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير الا تراك تقول القرآن اسباع وخماس وسور وآيات وكذلك تقول اقاميص واحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق واعصاب الا انك تركت الموصوف الى الصفة واصله كُتِبَ مُتَشَابِهًا فصولاً مَثَانِي - ويجوز ان يكون كقولك برمة أعشار وثوب اخلاق - ويجوز ان لا يكون مَثَانِي صفة ويكون منتصباً على التمييز من مُتَشَابِهًا كما تقول رأيت رجلاً حسناً شاملاً والمعنى متشابهة مَثَانِيه - فان قلت ما فائدة التثنية والتكرير - قلت الذفوس انفر شيء عن حديث الوعظ والاصححة فما لم يكرر عليها عوداً عن بدأ لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثمة كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلث مرات وسبعاً ليركز في قلوبهم ويغرسه في صدورهم - اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضاً شديداً وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعياً ودالاً على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعرة وهو مثل في شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويراً لا فراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبايات وعيده اصابهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة - فان قلت ما وجه تعدية لان بالي - قلت ضمن معنى فعل متعدي بالي كأنه قيل سكنت او اطمأنت الى ذكر الله ليئة غير متقبضة راجئة غير خاشية - فان قلت لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة - قلت لان اصل امره الرحمة والرفقة ورحمته هي سابقة غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته الا كونه رؤفاً رحيماً - فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولاً ثم قرنت بها القلوب ثانياً - قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة فاذا ذكروا الله ومبني امره على الرفقة والرحمة

لِكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقَ غُرَفٍ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعَدَ اللَّهُ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ
الْمِيعَادَ ۖ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبَاعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ
يَهَيِّجُ فَتَرَاهُ مَصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ۖ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۖ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ اللَّهُ نُزِّلَ أَحْسَنَ

سورة الزمر ٣٩

الجزء ٢٣

ع ١٩

تُنْقِذُ يَفِيدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى الْإِنْقَازِ مِنَ النَّارِ وَحْدَهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرُهُ فَكَمَا لَا تَقْدِرُ
أَنْتَ أَنْ تَنْقِذَ الدَّخَلَ فِي النَّارِ مِنَ النَّارِ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَخْلُصَهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنْ اسْتِحْقَاقِ الْعَذَابِ بِتَحْصِيلِ
الْإِيمَانِ فِيهِ [غُرَفٌ مِنْ فَوْقَ غُرَفٍ] عَلَائِي بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ - فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ [مَبْنِيَّةٌ] - قُلْتَ
مَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهَا بُنِيَتْ بِبُذَاءِ الْمَنَازِلِ الَّتِي عَلَى الْأَرْضِ وَسُوِّبَتْ تَسْوِيَّتُهَا [تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ]
كَمَا تَجْرِي مِنَ تَحْتِ الْمَنَازِلِ مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ بَيْنِ الْعُلُوِّ وَالسُّفُلِ [وَعَدَ اللَّهُ] مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ لِأَنَّ قَوْلَهُ لَهُمْ
غُرَفٌ فِي مَعْنَى وَعَدَهُمُ اللَّهُ ۖ [أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً] هُوَ الْمَطَرُ - وَقِيلَ كُلُّ مَاءٍ فِي الْأَرْضِ فَهُوَ مِنَ السَّمَاءِ
يُنْزَلُ مِنْهَا إِلَى الصَّخْرَةِ ثُمَّ يَقْسِمُهُ اللَّهُ [فَسَلَكَهُ] فَادْخَلَهُ وَنَظَّمَهُ [يَنْبَاعٌ فِي الْأَرْضِ] عِيُونٌ وَمَسَالِكٌ وَمَجَارِي
كَالْعُرُوقِ فِي الْأَجْسَادِ [مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ] هَيْئَاتُهُ مِنْ خَضَرَةٍ وَحُمْرَةٍ وَصَفْرَةٍ وَبَيَاضٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ - أَوْ أَصْنَافُهُ مِنْ بَرِّ
وَشَعِيرٍ وَسِمْسِمٍ وَغَيْرِهَا [يَهَيِّجُ] يَتَمَّ جَفَافُهُ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ لِأَنَّهُ إِذَا تَمَّ جَفَافُهُ حَانَ لَهُ أَنْ يَثُورَ عَنْ مَنَابِتِهِ وَ
يَذْهَبَ حُطَامًا فُتَاتًا وَدَرِيذًا [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا] لِتَذَكُّرِهَا وَتَنْبِيْهِهَا عَلَى أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ صَانِعِ حَكِيمٍ وَأَنَّ
ذَلِكَ كَائِنْ عَنْ تَقْدِيرٍ وَتَدْبِيرٍ لَا عَنْ تَعْطِيلٍ وَاهْمَالٍ - وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا كَقَوْلِهِ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا - وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - وَقَرَأَ مُصَفَّرًا ۖ [أَفَمَنْ] عَرَفَ اللَّهَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ اللَّطْفِ فَلَطَفَ بِهِ حَتَّى
أَنْشَرَهُ [صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ] وَرَغِبَ فِيهِ وَقَبِلَهُ كَمَنْ لَا لُطْفَ لَهُ فَهُوَ خَرَجَ الصَّدْرُ قَاسِيَ الْقَلْبِ وَنُورُ اللَّهِ هُوَ لُطْفُهُ -
وَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَنْشَرَهُ الصَّدْرُ قَالَ إِذَا دَخَلَ النُّورُ
الْقَلْبَ أَنْشَرَهُ وَانْفَسَحَ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ قَالَ الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ
وَالْتَأَهُبُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزُولِ الْمَوْتِ وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ آمَنَ هُوَ قَائِمٌ فِي حَذْفِ الْخَبَرِ - [مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ] مِنْ أَجْلِ ذِكْرِهِ
أَيُّ إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَهُمْ أَوْ آيَاتِهِ إِشْمَازًا وَازْدَادَتْ قُلُوبُهُمْ قَسَاوَةً كَقَوْلِهِ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ - وَقَرَأَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ -
فَإِنْ قُلْتَ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ مَنْ وَعَنْ فِي هَذَا - قُلْتَ إِذَا قُلْتَ قَسَا قَلْبُهُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَالْمَعْنَى مَا ذَكَرْتُ مَنْ أَيْ
الْقَسَاةُ مِنْ أَجْلِ الذِّكْرِ وَبَسْبَبِهِ وَإِذَا قُلْتَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَالْمَعْنَى غُلْظٌ عَنْ قَبُولِ الذِّكْرِ وَجَفَا عَنْهُ وَنَظِيرُهُ
سَقَاةُ مِنَ الْعَيْمَةِ أَيْ مِنْ أَجْلِ عَطَشِهِ وَسَقَاةُ مِنَ الْعَيْمَةِ إِذَا ارْوَاهُ حَتَّى أَبْعَدَهُ عَنِ الْعَطَشِ - عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ
أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَاتُوا مَلَّةً فَقَالُوا لَهُ حَدِّثْنَا فَنُزِلَتْ - وَاقْعَاسُ اسْمِ [اللَّهُ] مَبْتَدَأُ بُذَاءِ
[نُزِّلَ] عَلَيْهِ فِيهِ تَفْخِيمٌ لِأَحْسَنَ الْحَدِيثِ وَرَفَعَ مِنْهُ وَاسْتَشْهَدَ عَلَى حَسَنِهِ وَتَأَكِيدُ اسْتِنَادَهُ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ وَأَنَّ مِثْلَهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَصْدُرَ إِلَّا عَنْهُ وَتَنْبِيْهُ عَلَى أَنَّهُ وَحْيٌ مُعْجَزٌ مُبَاطِنٌ لِسَائِرِ الْإِحَادِيثِ

الطَّاعُونَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ۖ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ وَآلَٰئِكَ هُمُ أُولَٰئِكَ ۖ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ۚ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ۚ

النار هي [ظُلُل] الآخرين [ذَلِكَ] العذاب هو الذي يتوعد [اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ] ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه [يُعْبَادِ
فَاتَّقُونَ] ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة . و قرئ يعْبَادِي * [الطَّاعُونَ]
فعلمت من الطغيان كالملكوت والرحموت إلا أن فيها قلباً بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو
الشياطين لكونها مصدراً وفيها مبالغات - وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان - وإن البذاء بذاء
مبالغة فإن الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط - والقلب وهو للاختصاص إذ لا تطلق على غير
الشيطان والمراد بها ههنا الجمع - و قرئ الطَّوَاعِيَّت [أَنْ يَعْبُدُوهَا] بدل من الطَّاعُونَ بدل الاشتمال [لَهُمُ
الْبُشْرَى] هي البشارة بالثواب كقوله تعالى لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يبشرهم
بذلك في وحيه على السنة رُسُلُه وتلقاهم الملكة عند حضور الموت مبشرين و حين يحشرون قال الله
تعالى يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ - وأراد بعباده
[الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ] الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب
والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير و أراد أن يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن
والاحسن والغاغل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب
حراما على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها على السبيل واقواها
عند السبر وأبينها دليلا او اشارة وان لا تكون في مذهبك كما قال القائل * ع * ولا تكن مثل عير قيد فانقادا * يريد
المقلد - وقيل يَسْتَمِعُونَ القرآن وغيره فَيَتَّبِعُونَ القرآن - وقيل يَسْتَمِعُونَ اوامر الله فَيَتَّبِعُونَ احسنها نحو
القصاص والعفو والانتصار والاغضاء والابداء والاختفاء لقوله تعالى وَأَنْ تَعْقُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى - وَأَنْ تُخْفُوا وَتُوتُواهَا
الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ - وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو
فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه - ومن الوقفة من يقف على فَبَشِّرْ عِبَادِي ويتدعى الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ
يرفعه على الابتداء وخبره اُولَٰئِكَ * اصل الكلام آمَنَ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ فَأَنْتَ تُنْقِذُ جملة شرطية
دخل عليها همزة الانكار والغاء فاء الجزاء ثم دخلت الغاء اللتي في اولها للعطف على محذوف يدل عليه
الخطاب تقديره ا انت مالك امرهم فمن حَقَّ عليه كلمة العذاب فان انت تُنْقِذُ والهمزة الثانية هي الاولى
كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد - ووضع [مَنْ فِي النَّارِ] موضع الضمير فالاية على هذا جملة واحدة - ووجه
اخر وهو ان تكون الاية جملتين آمَنَ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابِ فَأَنْتَ تَخْلُصُهُ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ واما جاز
حذف فَأَنْتَ تَخْلُصُهُ لَانْ فَأَنْتَ تُنْقِذُ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة في خواهم
النار حتى نزل اجتهاد رسول الله وكده نفسه في دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله فَأَنْتَ

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۝ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ
 دُونِهِ ۝ قُلْ إِنْ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَاهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝ لَهُمْ مِنْ
 قَوِّهِمْ ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۝ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۝ يَعْبَادُونَ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۝ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا

سورة الزمر ٣٩

الجزء ٢٣

ع ١٥

[وَأَمَرْتُ] بذلك لاجل [أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ] أي مقدمهم وسابقتهم في الدنيا والآخرة والمعنى ان الخلاص
 له السبقة في الدين فمن اخلص كان سابقا - فإن قلت كيف عطف أَمَرْتُ على أَمَرْتُ وهما واحد - قلت
 ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شيء و الامر به ليحترز القائم به قصب
 السبق في الدين شيء و اذا اختلف وجهها الشيء وصفناه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين - ولك ان
 تجعل اللام مزيدة مثلها في اردت لأن افعل ولا تزد الامع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضا
 من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السمين في اطاع عوضا من ترك الاصل الذي هو اطوع و
 الدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ -
 وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَامَ و في معناه اوجه - أن اكون اول من اسلم في زمانى و من قومي لانه اول
 من خالف دين آبائه وخلع الاصنام وحطمها وأن اكون اول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما - وأن اكون اول
 من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره لكون مقتدى بي في قواي وفعلي جميعا و لا تكون صفتي صفة الملوك
 الذين يأمرهم بما لا يفعلون - وأن افعل ما استحقق به الاولية من اعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب -
 يعني ان الله امرني ان اخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدلي الى العقل والوحي فد [إِنْ عَصَيْتُ
 رَبِّي] بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا اعصيه ولا أتابع امرهم و ذلك حين دعوة الى دين آبائه -
 فإن قلت ما معنى التكرير في قوله قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وقوله [قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ
 مُخْلِصًا لَهُ دِينِي] - قلت ليس بتكرير لأن الاول للاخبار بانه مأمور من جهة الله باحداث العباداة والاخلاص
 والثاني اخبار بانه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود
 على فعل العباداة و آخره في الاول فالكلام أولا واقع في الفعل نفسه و العبادة و ثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله و
 لذلك رتب عليه قوله [فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ] والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغ في الخذلان
 والتخليه على ما حققت فيه القول مرتين - [قُلْ إِنْ] الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه و اسبابه
 هم [الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ] لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها [و] خسروا [أَهْلِيَهُمْ] لانهم ان كانوا من اهل النار فقد
 خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده اليهم - و قيل وخسروهم
 لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم اهل في الجنة يعني وخسروا اهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا
 ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله [أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ] حيث - استأنف الجملة - وصدرها
 بحرف التنبيه - ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر - وعرف الخسران - وفعله بالمبين [وَمِنْ تَحْتِهِمْ] اطباق من

سورة الزمر ٣٩ رَحْمَةً رَبِّهِ ط قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ط إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ع قُلْ يُعْبَادُ
الجزء ٢٣ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ط لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ط وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ط إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ
ع ١٥ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ع قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ع وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ع

بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه السلام افضل الصلوة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لانه دعاء المصلي قائما [ساجدا] حال - وقرئ ساجد وقائم على انه خبر بعد خبر والوار للجمع بين الصفتين - وقرئ ويحذر عذاب الآخرة - و اراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كانه جعل من لا يعمل غير عالم - وفيه ازراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويقتنون فيها ثم يقتنون بالدينا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء - ويجوز ان يرد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون - وقيل نزلت في عمار بن ياسر و ابي حذيفة بن المغيرة المخزومي - وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادي في المعاصي ويرجو فقال هذا تمن و انما الرجاء قوله فتلا هذه الآية - و قرئ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ بِالْإِدْغَامِ * [فِي هَذِهِ الدُّنْيَا] متعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة اي حسنة غير مكتسبة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية - فان قلت اذا علق الظرف بأحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح ان تقع صفة لها لتقدمه - قلت هو صفة لها اذا تأخر فاذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفا - ومعنى [وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ] ان لا عذر للمفرتين في الاحسان البتة حتى ان اعتلوا باوطانهم و بلادهم واتهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان و صرف الهمم اليه قيل لهم فان ارض الله واسعة و بلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى بلاد آخر و اقتدوا بالانبياء و الصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم و طاعة الى طاعتهم - وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فأصروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا - وقيل هي ارض الجنة - و [الصَّابِرُونَ] الذين صبروا على مفارقة اوطانهم و عشائهم و على غيرها من تجرع الغصص و احتمال البلاء في طاعة الله و ازدياد الخير [بِغَيْرِ حِسَابٍ] لا يحاسبون عليه - وقيل بغير مكيال و غير ميزان يغرف لهم غرنا وهو تمثيل للتكثير - و عن ابن عباس لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى باهل الصلوة فيؤفون اجورهم بالموازين و يؤتى باهل الصدقة فيؤفون اجورهم بالموازين و يؤتى باهل الحج فيؤفون اجورهم بالموازين و يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان و لا يفسر لهم ديوان و يصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقارضة مما يذهب به اهل البلاء من الفضل [قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ] باخلاص الدين -

خَلَقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقِي فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ط ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ط لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ط فَاَنَّى تُصْرَفُونَ © ان سورة الزمر ٣٩
 تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ط وَ لَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ط وَ إِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ط وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ط الجزء ٢٣
 ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ط إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ © وَ إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرْدَا ع ١٤
 رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ط
 قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ق إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ © آمَنَ هُوَ قَانَتْ أَنَاءُ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَ يَرْجُو

بعد نُطْف - و الظُّلُمَاتِ الثَّلَاثِ البطن و الرحم و المشيمة - و قيل الصلب و الرحم و البطن - [ذَلِكُمُ] الذي
 هذه أفعاله هو [اللَّهُ رَبُّكُمْ] - [فَاَنَّى تُصْرَفُونَ] فكيف يُعَدَّلُ بكم عن عبادته إلى عبادة غيره - [فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ]
 أي عن إيمانكم و انكم المحتاجون إليه لاستضراركم بالكفر و استغفاركم بالإيمان [وَ لَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ] رحمة
 لهم لأنه يوقعهم في الهلكة [وَ إِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ] أي يرضى الشكر لكم لأنه سبب فوزكم و فلاحكم فاذن
 ما كره كفركم و لارضى شكركم الا لكم و لصلاحكم لا لأن منفعة ترجع إليه لأنه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة -
 و لقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضاء لعبادة الكفر فقال هذا من العام الذي
 أريد به الخاص و ما اراد الا عبادة الذين عذاهم في قوله ان عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ يريد المعصومين
 كقوله عَيْدًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عما يقول الظالمون علواً كبيراً - و قرى يَرْضَهُ بضم الهاء بوصل و بغير
 وصل و بسكونها * [خَوَّلَهُ] اعطاه - قال ابو النجم * شعر * اعطى فلم يَدْخُلْ ولم يَدْخُلْ * كَوْمَ الذُّرَى من خَوْلِ المَخُولِ *
 وفي حقيقته وجهان - احدهما جعله خَائِلَ مال من قولهم هو خَائِلُ مال و خال مال اذا كان متعهدا له حسن
 القيام به - ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انه كان يتخول اصحابه احيانا بالموعظة - و
 الثاني جعله يُخَوِّلُ من خال يخول اذا اختال و افتخرو في معناه قول العرب * ع * ان الغني طويل الذيل
 مَيَّاسُ * [مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ] أي نَسِيَ الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه - و قيل نَسِيَ رَبَّهُ الذي كان
 يتضرع إليه و يبتهل إليه و ما بمعنى مَنْ كقوله تعالى وَ مَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى - و قرى [لِيُضِلَّ] يفتح الياء
 و ضمها يعني ان نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل الله او اضلاله و النتيجة قد تكون غرضاً في الفعل
 و قد تكون غير غرض - وقوله [تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ] من باب الخِذْلَان و التخليّة كأنه قيل له ان قد ابديت قبول ما
 أمرت به من الايمان و الطاعة فمن حَقَّك ان لا تؤمر به بعد ذلك و تؤمر بتركه مبالغة في خِذْلَانِهِ و تخليته
 و شأنه لأنه لا مبالغة في الخِذْلَانِ اشد من ان يبعث على عكس ما أمر به و نظيره في المعنى قوله تَمَتَّعْ
 قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ * قرى آمَنَ هُوَ قَانَتْ بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على مَنْ - و بالتشديد
 على ادخال آم عليه و مَنْ مبتدأ خبره محذوف تقديره [آمَنَ هُوَ قَانَتْ] كغيره و إنما حذف لدلالة الكلام
 عليه و هو جري ذكر الكافر قبله و قوله بعده قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ - و قيل معناه
 آمَنَ هُوَ قَانَتْ افضل آمَنَ هو كافر - او أهذا افضل ام من هُوَ قَانَتْ على الاستفهام المتصل - و القَانَتْ القائم

الذَّهَارِ وَيَكْوَرُ الزَّهَارُ عَلَى الْبَيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ط كُلُّ نَجْمٍ لَاجِلٌ مَّسْمًى ط أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ٥
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ ط يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

كذابين كفارين متباعدين في الافتراء على الله وملكته غاليين في الكفر ثم قال [سُبْحَنَهُ] فَنَزَعَهُ ذَاتَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَحَدٌ مَا نَسَبُوا إِلَيْهِ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالْأَوْلِيَاءِ - ودل على ذلك بما ينافيه وهو أنه واحد فلا يجوز أن يكون له صاحبة لأنه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له وإذا لم يثبات أن يكون له صاحبة لم يثبات أن يكون له ولد وهو معنى قوله أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً - وقهار غلاب لكل شيء ومن الأشياء التي هم فيها يغلبون فكيف يكونون له أولياء وشركاء - ثم دل بخلق السموات والأرض - وتكوين كل واحد من الملوك على الآخر - وتسخير النيران - وجريهما لاجل مسمى - وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة - وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب - والتكوين اللف واللي يقال كآر العمامة على رأسه وكورها وفيه وجه - منها أن الليل والنهار خلفه يذهب هذا ويغشى مكانه هذا وإذا غشى مكانه فكأنما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب * شعوب تلوي الثنايا بأحققها حواشيه * لي الملاء بابواب التفاريج * ومنها أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبته في تغييبه آية بشيء ظاهر لفت عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار - ومنها أن هذا يكر على هذا كردرا متتابعاً فشبته ذلك بتتابع أحوار العمامة بعضها على أثر بعض [أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ] الغالب القادر على عقاب المصيرين الغفار لذنوب التائبين - أو الغالب الذي يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى فسمي الحلم عنهم مغفرة - فإن قلت فما وجه قوله [ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا] وما يعطيه من معنى التراخي - قلت هما آيتان من جملة الآيات اللتي عددها دالاً على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائق للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيره إلا أن أحدهما جعلها الله عادة مستمرة والآخر لم يجربها العادة ولم يخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل في كونها آية واجلب لعجب السامع فعطفها بتم على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود - وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس واحدة ثم شفعها الله بزوجه - وقيل أخرج ذرية آدم من ظهرة كالدثر ثم خلق بعد ذلك حواء [وَأَنْزَلَ لَكُمْ] وقضى لكم وقسم لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون - وقيل لا تعيدش الأنعام إلا بالنبات والذبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكانها أنزلها - وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها ثمانية أزواج ذكراً وأنثى من الأبل والبقر والضأن والمعز - والزواج اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد وتر قال الله تعالى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى [خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ] حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة لحماً من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من

لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ط وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ه مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ط إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ط إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ © لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى
مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ ط هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ © خَاقِ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِالْحَقِّ ع يَكُونُ الْيَلَّ عَلَى

سورة الزمر ٣٩

الجزء ٢٣

ع ١٤

مبتدأ و خبرا فقد جاء بأعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين الا لله الدين الخالص اي هو
الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطاعته على الغيوب و الاسرار و انه الحقيقي
بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها - وعن فتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله - وعن الحسن
الاسلام - [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا] يحتمل - المتخذين وهم الكفرة - والمتخذين وهم الملائكة وعيسى و الآت و العزى عن ابن
عباس فالضمير في اتخذوا على الاول راجع الى الذين و على الثاني الى المشركين و لم يجز ذكرهم لكونه
مفهوما و الراجع الى الذين محذوف و المعنى و الذين اتخذهم المشركون اولياء و الذين اتخذوا في موضع الرفع
على الابتداء - فان قامت فالخبر ما هو - قامت هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم او ما اضمروا من القول قبل
قوله ما نعبدهم و على الثاني ان الله يحكم بينهم - فان قلت فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول
المضمر - قلت يجوز ان يكون في موضع الحال اي قائلين ذلك - ويجوز ان يكون بدلا من الصلة فلا يكون له
محتمل كما ان المبدل منه كذلك - وقرأ ابن مسعود باظهار القول قالوا ما نعبدهم - وفي قراءة ابي ما نعبدكم
إِلَّا لِنُقَرِّبُونَ عَلَى الْخُطَابِ حكاية لما خاطبوا به الهتهم - و قرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما يتبعها
الهمزة في الامور و التدوين في عذاب ارض - والضمير في بينهم لهم ولولياتهم و المعنى ان الله يحكم بينهم بأنه
يدخل الملائكة و عيسى الجنة و يدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها و عبودها من دون الله يعذبهم
بها حيث يجعلهم و آياها حسب جهنم - واختلافهم ان الذين يعبدون موحدون و هم مشركون و اولئك
يعادونهم و يلعنونهم و هم يرجون شفاعتهم و تقربهم الى الله زلفى - وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق
السموات و الارض اقروا و قالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الا انما قالوا ما نعبدهم إِلَّا لِنُقَرِّبُونَ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى
فالضمير في بينهم عائد اليهم و الى المسلمين و المعنى ان الله يحكم يوم القيمة بين المتنازعين من الفريقين *
المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم و انهم في علم الله من الهالكين - و قرئ
كَذَّابٌ - و كَذُوبٌ و كَذِبُهُمْ قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله اولياء بذات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله
[لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ] يعنى لو اراد اتخان الولد لامتنع و لم يصح لكونه محالا
و لم يأت الا ان يصطفى من خلقه بعضه و يختصهم و يقربهم كما يختص الرجل ولده و يقربه و قد فعل
ذلك بالملائكة فامتدنت به و غرتم اختصاصه آياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به و بحقيقته المخالفة لحقائق
الاجسام و الاعراض كأنه قال لو اراد اتخان الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما شاء من خلقه و هم الملائكة
الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخانهم اولادا ثم تماذيتهم في جهلكم و سفهكم فجعلتموهم بذات فكنتم

سورة الزمر ٣٩ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ٥ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ٦ إِنَّ هُوَ
الجزء ٢٣ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٧ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ٨ ع

ع ١٤ كلماتها سورة الزمر مكية و هي خمس و سبعون آية و ثمانية ركوعاً * حروفها ١١٨٤ ٤٩٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٥ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ٦ ٥

معناه التوكيد و التشديد و هذا الوجه جائز في المنصوب و المرفوع ايضاً و هو وجه دقيق حسن - و قرئ
برفع الاول وجرة مع نصب الثاني و تخريجه على ما ذكرنا [مِنْكَ] من جنسك و هم الشياطين [وَمِمَّنْ
تَبِعَكَ مِنْهُمْ] من ذرية آدم - فَنَقَلْتُ [أَجْمَعِينَ] تأكيد لما ذا - قُلْتُ لا يخلو - ان يؤكد به الضمير في مِنْهُمْ
او الكاف في مِنْكَ مع مَنْ تَبِعَكَ و معناه لاملأن جهنم من المتبوعين و التابعين اجمعين لا اترك منهم احدا -
او لاملأنها من الشياطين و ممن تبعهم من جميع الناس لا تفارقت في ذلك بين ناس و ناس بعد وجود
الاتباع منهم من اولاد الانبياء و غيرهم * [عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ] الضمير للقرآن او للوحي [وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ]
من الذين يتصنعون و يتكلمون بما ليسوا من اهله و ما عرفتموني قط متصنعاً و لا مدعياً ما ليس عندي
حتى اُنْتَحَلَ الذبوة و اتقول القرآن [إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ] من الله [لِلْعَالَمِينَ] للثقلين اوحى اليّ فاذا ابلاغه - وعن
رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم للمتكافئ ثلث علامات يذارع مَنْ فوقه و يتعاطى ما لا يئال و يقول مَا
لَا يَعْلَمُ - [وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ] اي ما يأتاكم عند الموت - او يوم القيمة - او عند ظهور الاسلام و فشوة من صحة خبره
وانه الحق و الصدق و فيه تهديد - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة صاد كان له بوزن
كل جبل سخرة الله لداود عليه السلام عشر حسذات و عصمه ان يُصْرَ على ذنب صغير او كبير *

سورة الزمر

[تَنْزِيلُ الْكِتَابِ] - قرئ بالرفع على انه مبتدأ أُخْبِرَ عنه بالظرف - او خبر مبتدأ محذوف
و الجار صلة التَنْزِيلِ كما تقول نُزِّلَ من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان و هو
على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تَنْزِيلُ الْكِتَابِ هذا من الله - او حال من
التنزيل عمل فيها معنى الاشارة - و بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ و انزم - فَنَقَلْتُ ما المراد بالكتاب -
قُلْتُ الظاهر على الوجه الاول انه القرآن و على الثاني انه السورة [مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ] مخلصاً له الدين من
الشرك و الرياء بالتوحيد و تصفية السر - و قرئ الدِّينَ بالرفع و حق من رفعه ان يقرأ مُخْلِصاً بفتح اللام
كقوله تعالى وَاخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ حتى يطابق قوله [إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ] و الخالص و المخلص واحد الا ان تصف
الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر - و اما من جعل مُخْلِصاً حالاً من العابد و له الدِّينَ

سورة ص ٣٨
الجزء ٢٣
ع ١٣

مَنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۝ قَالَ فَاخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۝ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝ قَالَ فَالْحَقُّ ۖ وَالْحَقُّ أَقْوَلُ ۝ لَأَمْلَأَنَّ

فيمنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك ان تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه يقول هلا اعتبرت امرى وخطابي و تركت اعتبار سقوطه - و فيه اني خلقتك بيدتي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملكة بان يسجدوا له لداعي حكمة دعائي اليه من انعام عليه بالكرمة السنية و ابتلاء للملكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له - وقيل معنى لما خلقت بيدتي لما خلقت بغير واسطة - و قرئ بيدتي كما قرئ بمصريحتي - و بيدتي على التوحيد [من العالين] ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه - وقيل استكبرت الان ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين و معنى الهمزة التقرير - و قرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل عليه او بمعنى الاخبار هذا على سبيل الاولى اي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من طين و النار تغلب الطين و تأكله و قد جرت الجملة الثانية من الاولى و هي خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان و الايضاح - [منها] من الجنة - و قيل من السموات - و قيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقه فغير الله خلقه فاسود بعد ما كان ابيض و قبح بعد ما كان حسنا و اظلم بعد ما كان نورانيا - و الرجيم المرجوم و معناه المطرود كما قيل له المدحور و الملعون لان من طرد رومي بالحجارة على اثره و الرجم الرمي بالحجارة او لان الشياطين يرمونه بالشهب - فان قلت قوله [لعنتي الى يوم الدين] كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع - قلت كيف تنقطع و قد قال الله فاذا مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين و لكن المعنى ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعة ما ينسى عنده اللعة فكأنها انقطعت - فان قلت ما الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم - قلت الوقت الذي تقع فيه النفخة الاولى و يومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اجزائه و معنى المعلوم انه معلوم عند الله معين لا يستقدم و لا يستأخر [فبعزتك] اقسام بعزة الله و هي سلطانه و قهره - قرئ فالحق و الحق - منصوبين على ان الاول مقسم به كالله في ع * ان عليك الله ان تبايعا * و جوابه لاملئن - و الحق اقول اعتراض بين المقسم به و المقسم عليه و معناه ولا اقول الا الحق - والمراد بالحق - اما اسمه عزو علا الذي في قوله ان الله هو الحق المبين - او الحق الذي هو نقيض الباطل اعظمه الله باقسامه به - او مرفوعين على ان الاول مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمرك فالحق قسمي لاملئن و الحق اقول اي اقوله كقوله * كله لم اصنع * - و مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضر حرف قسمه كقولك الله لانعلان و الحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به و

رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ ۖ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝
 قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ۖ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ۝ قَالَ أَنَا خَيْرٌ

خالق خلقا من صفته كَيْتَ وَكَيْتَ وَ لَكِنَّهُ حِينَ حَكَاهُ اقْتَصَرَ عَلَى الْأَمْرِ [فَإِذَا سَوَّيْتُهُ] فَإِذَا اْتَمَمْتَ خَلْقَهُ
 وَعَدْلَتَهُ [وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي] وَاحْيَيْتُهُ وَجَعَلْتُهُ حَسَّاسًا مَذْنُقًا [فَقَعُوا] فَيَخْرُوا - [كُلُّ] لِلْحَاطَةِ - [أَجْمَعُونَ]
 لِلْاجْتِمَاعِ فَإِذَا مَعًا أَنَّهُمْ سَجَدُوا عَنْ أُخْرِهِمْ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ مَالِكُ السَّجْدِ وَانْهَمَ سَجَدُوا جَمِيعًا فِي وَقْتٍ
 وَاحِدٍ غَيْرِ مُتَفَرِّقِينَ فِي أَوْقَاتٍ - فَإِنَّ قُلْتَ كَيْفَ سَاغَ السَّجْدُ لِغَيْرِ اللَّهِ - قُلْتَ الَّذِي لَا يَسُوغُ هُوَ السَّجْدُ
 لِغَيْرِ اللَّهِ عَلَى وَجْهِ الْعِبَادَةِ فَأَمَّا عَلَى وَجْهِ التَّكْرِمَةِ وَالتَّجْهِيلِ فَلَا يَأْبَاهُ الْعَقْلُ إِلَّا أَنْ يَعْرِفَ اللَّهُ فِيهِ مَفْسَدَةٌ
 فَيَنْهَى عَنْهُ - فَإِنَّ قُلْتَ كَيْفَ اسْتَنْذَى إِبْلِيسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ مِنَ الْجِنِّ - قُلْتَ قَدْ أَمَرَ بِالسَّجْدِ مَعَهُمْ
 فُغْلِبُوا عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ ثُمَّ اسْتَنْذَى كَمَا يَسْتَنْذِي الْوَاحِدُ مِنْهُمْ اسْتِثْنَاءً مُتَصِلًا [وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ]
 أُرِيدَ وَجُودَ كُفْرِهِ ذَلِكَ الْوَقْتُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ كَافِرًا لَأَنَّ كَانَ مُطْلَقًا فِي جَنْدِ الْأَوْقَاتِ الْمَاضِيَةِ فَهُوَ صَالِحٌ
 لَهَا شُئْتِ - وَ يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ فِي الْأَزْمَنَةِ الْمَاضِيَةِ فِي عِلْمِ اللَّهِ - فَإِنَّ قُلْتَ مَا وَجْهَ قَوْلِهِ
 [خَلَقْتُ بِإِيدِي] - قُلْتَ قَدْ سَبَقَ لَهَا أَنْ يَبْشُرَ أَكْثَرَ أَعْمَالِهِ بِإِيدِيهِ فُغْلِبَ الْعَمَلُ بِالْيَدَيْنِ عَلَى سَائِرِ
 الْأَعْمَالِ الَّتِي تُبَاشَرُ بِغَيْرِهَا حَتَّى قِيلَ فِي عَمَلِ الْقَابِ هُوَ مِمَّا عَمِلَتْ يَدَاكَ وَحَتَّى قِيلَ لِمَنْ لَا يَدَيْنِ لَهُ
 يَدَاكَ أَوْ كَذَا وَفُوكَ نَفَخَ وَحَتَّى لَمْ يَبْقَ فَرْقٌ بَيْنَ قَوْلِكَ هَذَا مِمَّا عَمِلْتُهُ وَهَذَا مِمَّا عَمِلْتُهُ يَدَاكَ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى
 مِمَّا عَمِلْتَ أَيْدِيًا - وَلِمَّا خَلَقْتُ بِإِيدِي - فَإِنَّ قُلْتَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ [مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي] -
 قُلْتَ الْوَجْهَ الَّذِي اسْتَنْكَرَ لَهُ إِبْلِيسُ السَّجْدَ لِأَدَمَ وَاسْتَنْكَفَ مِنْهُ أَنَّهُ سَجَدَ لِمَخْلُوقٍ فَذَهَبَ بِنَفْسِهِ وَتَكَبَّرَ
 أَنْ تَكُونَ سَجْدَتُهُ لِغَيْرِ الْخَالِقِ وَانْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ أَدَمَ مَخْلُوقٌ مِنْ طِينٍ وَهُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ نَارٍ وَرَأَى لِلنَّارِ
 فَضْلًا عَلَى الطِّينِ فَاسْتَعْظَمَ أَنْ يَسْجُدَ لِمَخْلُوقٍ مَعَ فَضْلِهِ عَلَيْهِ فِي الْمَنْصَبِ وَزَلَّ عَنْهُ أَنْ اللَّهَ سَبْحَانَهُ
 حِينَ أَمَرَ بِهِ اعْزَّ عِبَادَةً عَلَيْهِ وَاقْرَبَهُمْ مِنْهُ زَلْفَى وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ أَحَقُّ بِأَنْ يَذْهَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنِ التَّوَاضُعِ
 لِلْبَشَرِ الضَّئِيلِ وَاسْتَنْكَفُوا مِنَ السَّجْدِ لَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ ثُمَّ لَمْ يَفْعَلُوا وَتَبِعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَجَعَلُوهُ قَدَامَ أَعْيُنِهِمْ
 وَ لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى التَّفَارُوتِ بَيْنَ السَّاجِدِ وَالمَسْجُودِ لَهُ تَعْظِيمًا لِأَمْرِ رَبِّهِمْ وَاجْتِلَاءً لِحُطَابِهِ كَانَ
 هُوَ مَعَ انْحِطَاطِهِ عَنْ مَرَاتِبِهِمْ حَرَى بِأَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ وَيَقْتَفِيَ أَثَرَهُمْ وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ فِي السَّجْدِ لِمَنْ هُوَ دُونُهُمْ
 بِأَمْرِ اللَّهِ أَوْغُلُ فِي عِبَادَتِهِ مِنْهُمْ فِي السَّجْدِ لَهُ لِمَا فِيهِ مِنْ طَرَحِ الْكِبَرِيَاءِ وَخَفَضِ الْجَذَاجِ فَقِيلَ لَهُ
 مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي أَيَّ مَا مَنَعَكَ مِنَ السَّجْدِ لَشَيْءٍ هُوَ كَمَا تَقُولُ مَخْلُوقٌ خَلَقْتَهُ
 بِإِيدِي لَا شَكَّ فِي كَوْنِهِ مَخْلُوقًا امْتِنَالًا لِأَمْرِي وَاعْظَامًا لِحُطَابِي كَمَا فَعَلْتَ الْمَلَائِكَةُ فَذَكَرَ لَهُ مَا تَرَكَهُ مِنَ السَّجْدِ
 مَعَ ذِكْرِ الْعِلَّةِ الَّتِي تَشَبَّهَتْ بِهَا فِي تَرْكِهِ وَقِيلَ لَهُ لِمَ تَرَكَتَهُ مَعَ وَجُودِ هَذِهِ الْعِلَّةِ وَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ يَعْنِي
 كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَعْتَبِرَ أَمْرَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَبِرَ هَذِهِ الْعِلَّةَ وَمِثَالُهُ أَنْ يَأْمُرَ الْمَلِكُ وَزِيرُهُ أَنْ يَزُورَ بَعْضَ سُقَّاطِ الْحَشَمِ

أَنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۖ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝ قُلْ هُوَ
نَبِيُّ عَظِيمٍ ۝ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝ مَا كَانَ لِي مِنِّ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝ إِنِّي يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا
أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن

مورة ص ٣٨

الجزء ٢٣

ع ١٣

شبهه تقارلهم و ما يجري بينهم من السؤال و الجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك و لان قول
الرؤساء لا مرحباً بهم و قول اتباعهم بل انتم لا مرحباً بكم من باب الخصومة فسمي التقارل كله تخصماً
لاجل اشتماله على ذلك - [قُلْ] يا محمد لمشركي مكة ما [انا] الرسول [مُنْذِرٌ] اُنذركم عذاب الله للمشركين
و اقول لكم ان دين الحق توحيد الله و ان يعتقد ان لا [اِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ] بلا ند و لا شريك [الْقَهَّارُ]
لكل شيء و ان الملك و الربوبية له في العالم كله و هو [الْعَزِيزُ] الذي لا يُغْلَب اذا عاقب العصاة و هو مع
ذلك [الْغَفَّارُ] لذنوب من اتجا اليه - او قُلْ لهم ما انا الا مُنْذِرٌ لكم ما اعلم و انا اُنذركم عقوبة من هذه
صفته فان مثله حقيق بان يخاف عقابه كما هو حقيق بان يرجي ثوابه - [قُلْ هُوَ نَبِيُّ عَظِيمٍ] اي هذا
الذي انبأتم به من كوني رسولا مُنْذِراً و ان الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يُعْرِض عن مثله الا
غافل شديد الغفلة - ثم احتج لصحة نبوته بان ما ينبي به عن الملائكة الاعلى و اختصاصهم امر ما كان له به
من علم قط ثم علمه و لم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا و هو الاخذ من اهل
العلم و قراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله * [اِنِّي يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ
مُّبِينٌ] اي لآنا انا نذير و معناه ما يوحى اليّ الا للانذار فحذف اللام و انتصب بانفشاء الفعل اليه -
و يجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى اليّ الا هذا و هو ان اُنذروا و ابلغ و لا افرط في ذلك اي ما اوامر
الا بهذا الامر وحده و ليس اليّ غير ذلك - و قرئ انما بالكسر على الحكاية اي الا هذا القول و هو ان
اقول لكم انما انا نذير مُّبِينٌ و لا ادعي شيئاً آخر - وقيل النبأ العظيم قصص آدم و الانباء به من غير سماع
من احد - و عن ابن عباس القرآن - و عن الحسن يوم القيمة - فان قلت بهم يتعلق اذ يَخْتَصِمُونَ - قلت
بمحوذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملائكة الاعلى وقت اختصاصهم - و [اِذْ قَالَ] بدل من اِذْ
يَخْتَصِمُونَ - فان قلت ما المراد بالملائكة الاعلى - قلت اصحاب القصة الملكة و آدم و ابليس لانهم كانوا في
السماء و كان التقارل بينهم - فان قلت ما كان التقارل بينهم انما كان بين الله و بينهم لان الله سبحانه
هو الذي قال لهم و قالوا له فانت بين امرين - اما ان تقول الملائكة الاعلى هؤلاء و كان التقارل بينهم و لم
يكن التقارل بينهم - و اما ان تقول التقارل كان بين الله و بينهم فقد جعلته من الملائكة الاعلى - قلت كانت
مقابلة الله سبحانه بواسطة ملك و كان المقارل في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان التقارل كان بين الملكة
و آدم و ابليس و هم الملائكة الاعلى و المراد بالاختصاص التقارل على ما سبق - فان قلت كيف صح ان
يقول لهم [اِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا] و ما عرفوا ما البشرو لا عهدوا به قبل - قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني

لَنَا ۖ فَبُئْسَ الْفِرَارُ ۝ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۝ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رَجُلًا
كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۝ اتَّخَذْنَاهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْبَصَارُ ۝ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ۝ قُلْ

تعالى وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَكُمْ وَلَكِنَّ الرُّسَاءَ لَمَّا كَانُوا السَّبَبَ فِيهِ بَاغَوَانِهِمْ وَكَانَ
العذاب جزاءهم عليه قيل أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَجَعَلَ الرُّسَاءَ هُمُ الْمُقَدِّمِينَ وَجَعَلَ الْجَزَاءَ هُوَ الْمُقَدَّمُ فَجَمَعَ بَيْنَ
مِجَازَيْنِ لِأَنَّ الْعَامِلِينَ هُمُ الْمُقَدِّمُونَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا رُسَاءَهُمْ وَالْعَمَلُ هُوَ الْمُقَدَّمُ لَا جَزَاءَهُ - فَإِنْ قُلْتَ
فَالَّذِي جَعَلَ قَوْلَهُ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ مِنْ كَلَامِ الْخَزَنَةِ مَا يَصْنَعُ بِقَوْلِهِ بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ وَالْمُخَاطَبُونَ اعْنِي رُسَاءَهُمْ
لَمْ يَتَكَلَّمُوا بِمَا يَكُونُ هَذَا جَوَابًا لَهُ - قُلْتَ كَأَنَّهُ قِيلَ هَذَا الَّذِي دَعَا بِهِ عَلَيْنَا الْخَزَنَةُ أَنْتُمْ يَا رُسَاءَ احْقَ بِهِ
مَتَى لَاغْوَانُكُمْ إِنَّا نَا وَتَسْبِيبُكُمْ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَهَذَا صَحِيحٌ كَمَا لَوْ زَيْنَ قَوْمٌ لِقَوْمٍ بَعْضُ الْمَسَاوِي
فَارْتَكَبُوهُ فَقِيلَ لِلْمُزَيِّنِينَ اخْزَى اللَّهُ هَؤُلَاءَ مَا اسْوَأَ فَعَلَهُمْ فَقَالَ الْمُزَيِّنُ لَهُمْ لِلْمُزَيِّنِينَ بَلْ أَنْتُمْ أَوْلَىٰ بِالْخِزْيِ
مَتَى فَلَوْ لَا أَنْتُمْ لَمْ نَرْتَكِبْ ذَلِكَ [قَالُوا] هُمُ الْآتِبَاعُ أَيْضًا [فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا] أَيْ مُضَاعَفًا وَمَعْنَاهُ ذَا ضِعْفٍ
وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا وَهُوَ أَنْ يَزِيدَ عَلَىٰ عَذَابِهِ مِثْلَهُ فَيَصِيرُ ضِعْفَيْنِ كَقَوْلِهِ
عَزَّ وَجَلَّ رَبَّنَا إِنِّي أَتَتْهُمْ أَعْدَابٌ مِنْ أَلْفِ عَذَابٍ وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ عَذَابًا ضِعْفًا حَيَاتٍ وَافَاعِي • [وَقَالُوا] الضَّمِيرُ
لِلطَّاغِيَةِ [رَجَالًا] يَعْنُونَ فَقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ [مِنَ الْأَشْرَارِ] مِنَ الْأَرَاذِلِ الَّذِينَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ
وَلَا جَدْوَىٰ وَلَئِنْ كَانُوا عَلَىٰ خِلَافٍ دِينِهِمْ فَكَانُوا عَنْدهُمْ أَشْرَارًا - [اتَّخَذْنَاهُمْ سَخِرِيًّا] قَرِئَ - بِلَفْظِ الْإِخْبَارِ
عَلَىٰ أَنَّهُ صِفَةٌ لِرَجَالٍ مِثْلُ قَوْلِهِ كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ - وَبِهِمْزَةُ الْاسْتِفْهَامِ عَلَىٰ أَنَّهُ انْكَارٌ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ
وَتَأْنِيْبٌ لَهَا فِي الْاسْتِسْخَارِ مِنْهُمْ وَقَوْلُهُ [أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْبَصَارُ] لَهُ وَجْهَانِ مِنَ الْإِتِّصَالِ - أَحَدُهُمَا أَنْ
يَتَّصِلَ بِقَوْلِهِ مَا لَنَا أَيْ مَا لَنَا لَأَنَّهُمْ فِي النَّارِ كَأَنَّهُمْ لَيْسُوا فِيهَا بَلْ أَزَاغَتْ عَنْهُمْ أَبْصَارُنَا فَلَأَنَّهُمْ وَهُمْ فِيهَا
قَسَمُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَلَا أَنَّهُ خَفِيَ عَلَيْهِمْ مَكَتُهُمْ - وَالْوَجْهُ
الذَّانِي أَنْ يَتَّصِلَ بِاتَّخَذْنَاهُمْ سَخِرِيًّا - أَمَا أَنْ يَكُونَ أَمْ مُتَّصِلَةٌ عَلَىٰ مَعْنَىٰ أَيْ الْفَعْلَيْنِ فَعَلْنَا بِهِمْ الْاسْتِسْخَارَ
مِنْهُمْ أَمْ أَزْدَرَأَهُمْ وَتَحْقِيقَهُمْ وَانْ أَبْصَارُنَا كَانَتْ تَعْلُو عَنْهُمْ وَتَقْتَحِمُهُمْ عَلَىٰ مَعْنَىٰ انْكَارِ الْأُمُورِ جَمِيعًا عَلَىٰ
أَنْفُسِهِمْ - وَعَنِ الْحَسَنِ كُلُّ ذَلِكَ قَدْ فَعَلُوا اتَّخَذُوهُمْ سَخِرِيًّا وَزَاغَتْ عَنْهُمْ أَبْصَارُهُمْ مُحَقَّرَةٌ لَهُمْ - وَأَمَا أَنْ تَكُونَ
مِنْقَطَعَةٌ بَعْدَ مَضِيِّ اتَّخَذْنَاهُمْ سَخِرِيًّا عَلَىٰ الْخَبَرِ أَوْ الْاسْتِفْهَامِ كَقَوْلِكَ إِنَّهَا لَا بَلَّ أَمْ شَاءَ وَأَزِيدُ عِنْدَكَ أَمْ
عِنْدَكَ عَمْرُو - وَلَكِنْ أَنْ تَقْدَرُ هَمْزَةُ الْاسْتِفْهَامِ مُحَذَوْفَةٌ فَيَمْنُ قَرَأَ بِغَيْرِ هَمْزَةٍ لِأَنَّ أَمْ تَدُلُّ عَلَيْهَا
فَلَا تَفْتَرِقُ الْقَرَاءَتَانِ اثْبَاتُ هَمْزَةِ الْاسْتِفْهَامِ وَحَذْفُهَا - وَقِيلَ الضَّمِيرُ فِي وَقَالُوا لَصَدَادِيدِ قَرِيْشٍ كَابِي
جَهْلٍ وَالْوَلِيدُ وَاضْرَابُهُمَا وَالرِّجَالُ عَمَّارٌ وَصَهِيْبٌ وَبَلَالٌ وَاشْبَاهُهُمْ - وَقَرِئَ سَخِرِيًّا بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ - [إِنَّ ذَلِكَ]
الَّذِي حَكَيْنَا عَنْهُمْ [لَحَقٌّ] لِأَنَّ يَتَكَلَّمُوا بِهِ ثُمَّ بَيَّنَّ مَا هُوَ فَقَالَ هُوَ [تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ] - وَقَرِئَ بِالْإِصْبَاحِ عَلَىٰ
أَنَّهُ صِفَةٌ لِذَلِكَ لِأَنَّ أَسْمَاءَ الْإِشَارَةِ تَوْصِفُ بِأَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ - فَإِنْ قُلْتَ لِمَ سَمِيَ ذَلِكَ تَخَاصُمًا - قُلْتَ

جَذَّتْ عَذْرَىٰ مُفْتَحَةً لَّهُمُ الْبَابُ ۖ مَنَّكَيْنِ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۖ وَعِنْدَهُمْ قَصِرَتُ
الْطَّرْفِ انْتَرَابٌ ۖ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ يَوْمَ الْحِسَابِ ۖ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ۖ هَذَا ۖ وَإِنَّ لِلطُّغَيْنِ
لَشَرَّ مَا بٍ ۖ جَهَنَّمَ ۖ يَصْلُونَهَا ۖ فَيَنْسَسُ الْمُهَاذُ ۖ هَذَا ۖ فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۖ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۖ
هَذَا فَوْجٌ مُفْتَحٌ مَعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۖ إِنَّهُمْ صَالُوا الذَّارِ ۖ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ قُلُوبٌ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنْتُمْ قَدْ مَنَّوْهُ

عَذَابٌ مُّفْتَكَةٌ بِالرَّفْعِ عَلَى أَنْ جَذَّتْ عَذْبٌ مَبْتَدَأٌ وَ مُفْتَكَةٌ خَبْرَةٌ - أَوْ كِلَاهُمَا خَبْرٌ مَبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ أَيْ هُوَ
جَذَّتْ عَذْبٌ هِيَ مُفْتَكَةٌ لَهُمْ - كَأَنَّ اللَّذَاتِ مُمَيَّنَاتٌ اقْتَرَابًا لِأَنَّ التَّرَابَ مَسْتَهَنٌ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ وَأَمَّا جَعْلُهُ عَلَى
مَنْ وَاحِدَةً لِأَنَّ التَّحَابَ بَيْنَ الْإِقْرَانِ اثْبُتَ - وَقِيلَ هُنَّ اقْتَرَابٌ لِأَزْوَاجِهِنَّ اسْتِنَاهُنَّ كَاسْنَانِهِمْ - قَرِئَ [تَوَعَّدُونَ]
بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ [لِيَوْمِ الْحِسَابِ] لِأَجْلِ يَوْمِ الْحِسَابِ كَمَا تَقُولُ هَذَا مَا تَدْخِرُونَهُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَيْ لِيَوْمِ تَجْزِي
كُلِّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ • [هَذَا] أَيْ الْأَمْرُ هَذَا - أَوْ هَذَا كَمَا ذَكَرَ - [فَيُدْخِلُ السَّائِرَ] كَقَوْلِهِ لَهُمْ مَنْ جَهَنَّمَ مَهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ
غَوَاشٍ شَبَّهَ مَا تَحْتَهُمْ مِنَ النَّارِ بِالمَهَادِ الَّذِي يَفْتَرِشُهُ النَّائِمُ - أَيْ [هَذَا] حَمِيمٌ [فَالْيَذُوقُونَ] أَوْ الْعَذَابَ هَذَا فَلْيَذُوقُوا
ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ هُوَ [حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ] أَوْ هَذَا فَلْيَذُوقُوا بِمَنْزِلَةِ فَيَأْتِي فَاذْهَبُونَ أَيْ لِيَذُوقُوا هَذَا فَلْيَذُوقُوا
وَالْغَسَّاقُ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ مَا يَغْسَقُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ يُقَالُ غَسَقَتِ الْعَيْنُ إِذَا سَالَتْ دُمُعُهَا -
وَقِيلَ الْحَمِيمُ يَحْرَقُ بِحَرِّهِ وَالْغَسَّاقُ يَحْرَقُ بِدَرْدِهِ - وَقِيلَ لَوْ قَطَرَتْ مِنْهُ قَطْرَةٌ فِي الْمَشْرِقِ لَنُتِنَتْ أَهْلُ الْمَغْرِبِ
وَلَوْ قَطَرَتْ مِنْهُ قَطْرَةٌ فِي الْمَغْرِبِ لَنُتِنَتْ أَهْلُ الْمَشْرِقِ - وَفِي الْحَسَنِ الْغَسَّاقُ عَذَابٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ
إِنَّ النَّاسَ أَخْفَوْا لِلَّهِ طَاعَةً فَأَخْفَى لَهُمْ ثَوَابًا فِي قَوْلِهِ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ وَخَفَا مَعْصِيَةً
فَأَخْفَى لَهُمْ عَقُوبَةً - وَأَخْرَجَ مَذُوقَاتٍ أُخْرَى مِنْ شَكْلِ هَذَا الْمَذُوقِ مِنْ مِثْلِهِ فِي الشَّدَةِ وَالْفُظَاءَةِ أَزْوَاجُ أَجْنَاسٍ -
وَقَرِئَ [وَأُخْرَى] أَيْ وَعَذَابٌ أُخْرَى - أَوْ مَذُوقٌ أُخْرَى [أَزْوَاجٌ] صِفَةٌ لِأُخْرَى لِأَنَّهُ يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَرْبًا أَوْ صِفَةً لِلْمِثْلَةِ
وَهِيَ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وَأُخْرَى مِنْ شَكْلِهِ - وَقَرِئَ مِنْ شَكْلِهِ بِالْكَسْرِ وَهِيَ لُغَةٌ وَأَمَّا الْغُثْجُ فَبِالْكَسْرِ لِأَنَّهُ غَيْرُ
[هَذَا فَوْجٌ مُفْتَكِحٌ مَعَكُمْ] هَذَا جَمْعٌ كَثِيفٌ قَدْ اقْتَحَمَ مَعَكُمْ النَّارَ أَيْ دَخَلَ النَّارَ فِي صَحْبَتِكُمْ وَقِرَائِكُمْ وَالْإِقْتِحَامُ
رُكُوبُ الشَّدَةِ وَالْدُخُولُ فِيهَا وَالْقَحْمَةُ الشَّدَةُ وَهَذِهِ حِكَايَةُ كَلَامِ الطَّاغِينَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ أَيْ يَقُولُونَ هَذَا -
وَالْمُرَادُ بِالْفَوْجِ أَتْبَاعُهُمُ الَّذِينَ اقْتَحَمُوا مَعَهُمُ الضَّلَالَةَ فَيَقْتَحِمُونَ مَعَهُمُ الْعَذَابَ [لَا مَرْحَبًا بِهِمْ] دَعَاءُ مِنْهُمْ
عَلَى أَتْبَاعِهِمْ تَقُولُ لِمَنْ تَدْعُو لَهُ مَرْحَبًا أَيْ أَتَيْتَ رَحْبًا مِنَ الْبِلَادِ لِأَضْيَاقِ أَوْ رَحِبْتَ بِلَادَكَ رَحْبًا ثُمَّ تَدْخُلُ
عَلَيْهِ لَافِي دَعَاءِ السُّوءِ - وَبِهِمْ بَيَانُ الْمَدْعُو عَلَيْهِمْ - [إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ] تَعْلِيلٌ لِاسْتِجَابَتِهِمُ الدَّعَاءَ عَلَيْهِمْ وَنَحْوَهُ
قَوْلُهُ تَعَالَى كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ آخَتَهَا - وَقِيلَ هَذَا فَوْجٌ مُفْتَكِحٌ مَعَكُمْ كَلَامُ الْخَزَنَةِ لِرُؤَسَاءِ الْكُفْرَةِ فِي أَتْبَاعِهِمْ
وَلَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ كَلَامُ الرُّؤَسَاءِ - وَقِيلَ هَذَا كُلُّهُ كَلَامُ الْخَزَنَةِ - [قَالُوا] أَيْ الْآتِبَاعُ [بَلْ أَنْتُمْ
لَا مَرْحَبًا بِكُمْ] يَرِيدُونَ الدَّعَاءَ الَّذِي دَعَوْتُمْ بِهِ عَلَيْنَا أَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ وَعَلَّلُوا ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ أَنْتُمْ قَدْ صَدَّقْتُمُوهُ لَنَا وَ
الضَّمِيرُ لِلْعَذَابِ أَوْ لِصُلَيْبِهِمْ - فَإِنَّ قَلَّتْ مَا مَعْنَى تَقْدِيمِهِمُ الْعَذَابَ لَهُمْ - قَمَتِ الْمَقْدَمُ هُوَ عَمَلُ الْهَوَى قَالِ اللَّهُ

أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۖ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَى الدَّارِ ۚ وَآنَهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ۖ
وَأَذْكُرْ اسْمَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ۖ وَكُلِّ مِنَ الْأَخْيَارِ ۖ هَذَا ذِكْرٌ ۖ وَ إِنَّا لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنُ مَابٍ ۖ

فَقِيلَ فِي كُلِّ عَمَلٍ هَذَا مِمَّا عَمِلْتَ أَيَدِيَهُمْ وَ إِنْ كَانَ عَمَلًا لَا يَتَأَتَّى فِيهِ الْمُبَاشَرَةُ بِالْأَيْدِي أَوْ كَانَ الْعَمَلُ
جُذْمًا لَا أَيَدِي لَهُمْ وَ عَلَى ذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ عَلَا [أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ] يُرِيدُ أُولَى الْأَعْمَالِ وَ الْفِكْرِ
كَأَنَّ الَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ أَعْمَالَ الْآخِرَةِ وَ لَا يُجَاهِدُونَ فِي اللَّهِ وَ لَا يَفْكُرُونَ أَفْكَارَ ذَوِي الدِّيَانَاتِ وَ لَا يَسْتَبْصِرُونَ
فِي حُكْمِ الزَّمَنِ الَّذِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَعْمَالِ جَوَارِحِهِمْ وَ الْمَسْلُوبِ الْعُقُولِ الَّذِينَ لَا اسْتَبْصَارَ بِهِمْ وَ فِيهِ تَعْرِيفُ
بِكُلِّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَمَلِ اللَّهِ وَ لَا مِنْ الْمُسْتَبْصِرِينَ فِي دِينِ اللَّهِ وَ تَوْبِيخٌ عَلَى تَرْكِهِمُ الْمَجَاهِدَةَ وَ النَّاسِلَ مَعَ
كُونِهِمْ مُتَمَكِّذِينَ مِنْهُمَا - وَ قُرِئَ أُولَى الْأَيْدِي عَلَى جَمْعِ الْجَمْعِ - وَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ أُولَى الْأَيْدِ عَلَى طَرَحِ
الْيَاءِ وَ الْكَتْفَاءِ بِالْكَسْرِ وَ تَقْسِيرُهُ بِالْأَيْدِ مِنَ التَّائِيْدِ قَلْقُ غَيْرِ مُتَمَكِّنٍ - [أَخْلَصْنَاهُمْ] جَعَلْنَاهُمْ لَنَا خَالِصِينَ
[بِخَالِصَةٍ] بِخَصْلَةٍ خَالِصَةٍ لَا شُوبَ فِيهَا ثُمَّ فَسَّرَهَا بِذِكْرِ الدَّارِ شَهَادَةً لَذِكْرِ الدَّارِ بِالْخُلُوصِ وَ الصَّفَاءِ وَ انْتِفَاءِ
الدَّوْرَةِ عَنْهَا - وَ قُرِئَ عَلَى الْإِضَافَةِ وَ الْمَعْنَى بِمَا خَلَصَ مِنْ ذِكْرِ الدَّارِ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَشُوبُونَ ذِكْرَ
الدَّارِ بِهِمْ آخِرَ إِنَّمَا هُمُ الذِّكْرُ الدَّارِ لَا غَيْرَ - وَ مَعْنَى [ذِكْرِ الدَّارِ] ذِكْرُهُمُ الْآخِرَةُ دَائِبًا وَ نَسِيَانُهُمُ الْيَوْمَ ذِكْرُ
الدُّنْيَا - أَوْ تَذْكِيرُهُمُ الْآخِرَةَ وَ تَرْغِيبُهُمْ فِيهَا وَ تَرْهِيْبُهُمْ فِي الدُّنْيَا كَمَا هُوَ شَأْنُ الْأَنْبِيَاءِ وَ دِينِهِمْ - وَقِيلَ
ذِكْرُ الدَّارِ الثَّنَاءُ الْجَمِيلُ فِي الدُّنْيَا وَ لِسَانُ الصِّدْقِ الَّذِي لَيْسَ لغيرِهِمْ - فَانْ قَلَّتْ مَا مَعْنَى أَخْلَصْنَاهُمْ
بِخَالِصَةٍ - قَلَّتْ مَعْنَاهُ أَخْلَصْنَاهُمْ بِسَبَبِ هَذِهِ الْخَصْلَةِ وَ بَانَهُمْ مِنْ أَهْلِهَا - أَوْ أَخْلَصْنَاهُمْ بِتَوْفِيقِهِمْ لَهَا وَ اللَّطْفُ
بِهِمْ فِي اخْتِيَارِهَا وَ يَعْضُدُ الْأَوَّلَ قِرَاءَةً مِنْ قَرَأَ بِخَالِصَتِهِمْ [الْمُصْطَفَيْنَ] الْمُخْتَارِينَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ جَنَّتِهِمْ - وَ
[الْأَخْيَارَ] جَمْعُ خَيْرٍ أَوْ خَيْرٍ عَلَى التَّخْفِيفِ كَمَا وَاتٍ فِي جَمْعِ مَيْتٍ أَوْ مَيْتٍ - [وَالْيَسَعَ] كَانَ حَرْفُ التَّعْرِيفِ
وَدَخَلَ عَلَى يَسَعَ - وَ قُرِئَ وَ الْيَسَعَ كَانَ حَرْفُ التَّعْرِيفِ دَخَلَ عَلَى لِيَسَعَ فَيَعْلَمُ مِنَ اللَّحْمِ - وَ التَّنْوِينُ فِي
[وَكُلِّ] عَمُوضٍ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَعْنَاهُ وَ كُلُّهُمْ [مِنَ الْأَخْيَارِ] - [هَذَا ذِكْرٌ] أَيِ هَذَا نَوْعٍ مِنَ الذِّكْرِ وَ هُوَ الْقُرْآنُ لَمَّا
أَجْرَى ذِكْرَ الْأَنْبِيَاءِ وَ أَتَمَّهُ وَ هُوَ بَابٌ مِنَ أَبْوَابِ التَّنْزِيلِ وَ نَوْعٍ مِنَ أَنْوَاعِهِ وَ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ عَلَى عَقْبِهِ بَابًا
آخَرَ وَ هُوَ ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَ أَهْلِهَا قَالَ هَذَا ذِكْرُهُمْ قَالَ [وَأَنَّ لِلْمُتَّقِينَ] كَمَا يَقُولُ الْجَاهِلُ فِي كِتَابِهِ هَذَا بَابٌ ثُمَّ
يُشْرَعُ فِي بَابٍ آخَرَ وَ يَقُولُ الْكَاتِبُ إِذَا فَرَّغَ مِنْ فِصْلٍ مِنْ كِتَابِهِ وَ أَرَادَ الشُّرُوعَ فِي آخِرِ هَذَا وَ قَدْ كَانَ كَيْتَ
وَ كَيْتَ وَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمَّا أَتَمَّ ذِكْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ أَرَادَ أَنْ يَعْقِبَهُ بِذِكْرِ أَهْلِ الدَّارِ قَالَ هَذَا وَ أَنَّ لِلطُّغْيَانِ - وَقِيلَ
مَعْنَاهُ هَذَا شَرَفٌ وَ ذِكْرٌ جَمِيلٌ يَذْكُرُونَ بِهِ أَبَدًا - وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَضِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ [جَنَّتِ
عَدْنُ] مَعْرِفَةُ لِقَوْلِهِ جَنَّتِ عَدْنُ النَّبِيِّ رَعْدَ الرَّحْمَنِ وَ انْتِصَابُهَا عَلَى أَنَّهَا عَاطَفٌ بَيْنَ الْحُسْنِ مَابٍ - وَ [مُفْتَحَةٌ]
حَالٌ وَ الْعَامِلُ فِيهَا مَا فِي لِلْمُتَّقِينَ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ وَ فِي مُفْتَحَةِ ضَمِيرِ الْجَنَّتِ - وَ [الْأَبْوَابُ] بَدَلٌ مِنَ الضَّمِيرِ
تَقْدِيرُهُ مُفْتَحَةٌ هِيَ الْأَبْوَابُ كَقَوْلِهِمْ ضَرْبُ زَيْدٍ الْيَدُ وَ الرَّجُلُ وَ هُوَ مِنْ بَدَلِ الْاِشْتِمَالِ - وَ قُرِئَ جَنَّتُ

وَشَرَابٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لَأُولَى الْأَلْبَابِ ۝ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْنًا فَاضْرِبْ
بِهِ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۖ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقْ وَيَعْقُوبَ
ع ١٢

فضربها فذبحت عين فقيلا [هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ] اي هذا ماء تغتسل به و تشرب منه فيدبر باطنك
و ظاهره و تغلب ما بك قلبية - وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احدهما وشرب من الاخرى فذهب
الداء من ظاهره و باطنه باذن الله تعالى - و قيل ضرب برجله اليمنى فذبحت عين حارة فاغتسل منها
ثم باليسرى فذبحت باردة فشرب منها [رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى] مفعول لهما و المعنى ان الهبة كانت للرحمة
له و لتذكير اولى الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء و عاقبة
الصابرين و ما يفعل الله بهم * [وَخُذْ] معطوف على اَرْكُضْ - و الضغْنُ الحزْمَةُ الصغيرة من حشيش
او ريحان او غير ذلك - و عن ابن عباس قبضة من الشجر - كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة اذا
برأ فحلف الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها آياه و رضاه عنها و هذه الرخصة باقية - و عن
الذبي صلي الله عليه وآله وسلم انه أتى بمُخْذَجٍ قد خبث بامه فقال خذوا عثكلا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها
ضربة و يجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة و اما اعراضها مبدسوفة مع وجود
صورة الضرب - و كان السبب في يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة في حاجة فخرج صدره - و قيل باعت ذوابتيها
برغيفين و كانتا متعلقا ايوب اذا قام - و قيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فارق عليك مالكم
و اولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف - و قيل اوهمها الشيطان ان ايوب اذا
شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك - و قيل سألته ان يقرب للشيطان بعناق [وَجَدْنَاهُ صَابِرًا] علمناه صابرا -
فان قلت كيف وجده صابرا و قد شكى اليه ما به و استرحمه - قلت الشكوى الى الله عز و جل لا تسمى
جزعا و لقد قال يعقوب عليه السلام اِنَّمَا اشْكُوا بَنِيَّ وَ حَزَنِي اِلَى اللَّهِ و كذلك شكوى العليل الى الطبيب
و ذلك ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمنّي العافية و طلبها و اذا صح ان يسمى صابرا مع تمنّي
العافية و طلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجوء الى الله و الدعاء بكشف ما به و مع التعاليم و مشاوراة
الاطباء على ان ايوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان
يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به و ارادة القوة على الطاعة
فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب و اللسان - و يروى انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم
يخالف لساني قلبي و لم يتبع قلبي بصري و لم يهتني ما ملكت يميني و لم اكل الا و معي يتيم و لم
ايت شعبان و لا كاسيا و معي جائع او عريان فكشف الله عنه * [اِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ] عطف بيان
لعبدنا - و من قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا و هي اسحق و يعقوب
كقراءة ابن عباس و آله ابيك ابراهيم واسماعيل و اسحق - لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت

الْأَصْفَادِ ۖ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ۖ وَاذْكُرْ
عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذِ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِذُنُوبٍ ۖ وَعَذَابٌ ۖ أُرْكضُ بِرَجُلِكَ ۖ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ

خيرا [وَالشَّيْطَانِ] عطف على التَّوْبِ و [كُلُّ بَدَأٍ] بدل من الشَّيْطَانِ [وَأَخْرَجَ] عطف على كُلِّ داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبدون له ما شاء من الابنية و يغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول من استخرج الدر من البحر و كان يقرن مَرَدَّةَ الشَّيْطَانِ بعضهم مع بعض في القيود و السلاسل للتأديب و الكف عن الفساد - وعن السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع - والصغد القيد و سمي به العطاء لانه ارتباط للمنع عليه و منه قول علي رضي الله عنه من برك فقد أسرك و من جفاك فقد اطلقك و قول القائل غل يدا مطلقها و ارق رقبة معتقها و قال حبيب • ان العطاء اسار • و تبعه من قال • ع • و من وجد الاحسان قيذا تقيدا • و فرقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده و اصفده اعطاه كوعده و اوعده • اي [هَذَا] الذي اعطيتك من الملك و المال و البسطة [عَطَاؤُنَا] بِغَيْرِ حِسَابٍ يعني جمعا كثيرا لا يمكن يقدر على حسبه و حصرة [فَاْمْنُنْ] من المنة و هي العطاء اي فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليك التصرف فيه - وفي قراءة ابن مسعود هَذَا فَاْمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ عَطَاؤُنَا بِغَيْرِ حِسَابٍ - او هَذَا التسخير عَطَاؤُنَا فَاْمْنُنْ على مَنْ شئت من الشياطين بالاطلاق و اَمْسِكْ مَنْ شئت منهم في الوثاق بِغَيْرِ حِسَابٍ اي لا حساب عليك في ذلك • [أَيُّوبَ] عطف بيان واذ بدل اشتمال منه [أَنِّي مَسْنِي] بانني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه و لو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب - و قرئ [بِذُنُوبٍ] بضم الذون و فتحها مع سكون الصاد - و بفتحهما - و ضمهما فالنصب و النصب كالرشد و الرشد - و النصب على اصل المصدر - و النصب بتثقيل نصب و المعنى واحد و هو التعب و المشقة - و الْعَذَابُ الالم يريد مرضه و ما كان يقاسي فيه من انواع الوصب - و قيل الضر في البدن و الْعَذَابُ في ذهاب اهل و المال - فان قلت لم نسبه الى الشيطان و لا يجوز ان يسلمه الله على انبيائه ليقضي من اتعابهم و تعذيبهم وطرة و او قدر على ذلك لم يدع صالحا الا و قد نكبه و اهلكه و قد تكرر في القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب - قلت لما كانت رسومته اليه و طاعته له فيما وهوس سببا فيما مسه الله به من النصب و العذاب نسبه اليه و قد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع انه فاعله و لا يقدر عليه الا هو - و قيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء و يُغْرِيه على الكراهة و الجزع فالتجأ الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه و ردّه بالصبر الجميل - و روي انه كان يعود ثلثة من المؤمنين فارتد احدهم فسأل عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلى الانبياء و الصالحين - و ذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه - و قيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهته و لم يغزه - و قيل اعجب بكثرة ماله [أُرْكضُ بِرَجُلِكَ] حكاية ما أجيب به ايوب اي اضرب برجلك الارض - وعن قتادة هي ارض الجابية

لَهُ الرِّيحُ تَجْرِي بِأَمْرِ رُحَاهُ حَيْثُ أَصَابَ ۝ وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ ۝ وَغَوَاصٍ ۝ وَالْآخِرِينَ مَقَرِّينَ فِي سُرَّةِ ص ٣٨

الجزء ٢٣

ع ١١

و ابتلعه سكرة و وقعت السكرة في يد سليمان فبقربطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به و وقع ساجدا ورجع اليه ملكه و جاب صخرة لصخر فجعله فيها و سد عليه باخرى ثم اوثقهما بالحديد و الرصاص و قذفه في البحر - و قيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده و لا يماسك فيها فقال له اصف انك لمفتون بذنبك فالخاتم لا يقر في يدك فتب الى الله - و لقد ابى العلماء المتقنون قبوله و قالوا هذا من اباطيل اليهود و الشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل و تسليط الله آياتهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام و على نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح - و اما اتخان التماثيل فيجوز ان يختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله من مكاريب و تماثيل - و اما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله ان يأذن فيه و اذا كان بغير علمه فلا عليه و قوله و القينا على كرسيه جسدا ناب عن افادة معنى انابة الشيطان منابه نبوا ظاهرا - قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء و الصالحين في تقديمهم امر دينهم على امور دنياهم [لا يذبحني] لا يتسهل و لا يكون و معنى [من بعدي] من دوني - فان قلت اما يشبه الحسد و الحرص على الاستبداد بالذمة ان يستعطي الله ما لا يعطيه غيره - قلت كان سليمان عليه السلام فاشيا في بيت الملك و النبوة و وارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفة ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم و ان يكون معجزة حتى تحرق العادات فذلك معنى قوله لا يذبحني لاحد من بعدي - و قيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدوده الله فيه كما قالت الملكة اتجعل فيها من يفسد فيها و يفسد الدماء و نحن نسمي بحمدك - و قيل ملكا لا اسلبه و لا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة و اقيم فيه مقامي غيري - و يجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين و علم انه لا يضطلع باعبائه غيره و اوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه باصر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون سائر عباده - او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا يذبحني لاحد من بعدي و لم يقصد بذلك الاعظم الملك و سعته كما تقول افلان ما ليس لاحد من الفضل و المال و ربما كان للناس امثال ذلك و انك تريد تعظيم ما عنده - و عن الحجاج انه قيل له انك حشود فقال احسد مني من قال و هب لي ملكا لا يذبحني لاحد من بعدي و هذا من جرأته على الله و شيطنته كما حكي عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم و اطلق طاعتنا فقال و اولى الامر منكم قري [الریح] - و الریح - [رخاء] لينة طيبة لا تزعزع - و قيل طيعة له لا تمتنع عليه [حيث اصاب] حيث قصد و اراد - حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فخطا الجواب - و عن ربيعة ان رجلين من اهل اللغة قصدا ليسالا عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيدان فقالا هذه طليبتنا و رجعا - و يقال اصاب الله بك

سورة ص ٣٨ اَنَابَ ٥ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ٦ اِنَّكَ اَنْتَ الرَّحْمَنُ ٧ فَسَخَّرْنَا

الجزء ٢٣

ع ١١

قوله رُدُّهَا عَلَيَّ - قلت بمحذوف تقديره قال رُدُّهَا عَلَيَّ فاضمر و اضمر ما هو جواب له كأن قائلًا قال فما ذا قال سليمان لانه موضع مقتض لل سوال اقتضاء ظاهرًا و هو اشتغال نبي من انبياء الله تعالى بامر الدنيا حتى تفوته الصلوة عن وقتها - و قرئ بالسُّوق بهمز الواو لضممتها كما في أدزرو نظيرة الغور في مصدر غارت الشمس - و اما من قرأ بالسُّوق فقد جعل الضمة في السين نأنها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسسى و نظير ساق و سوق أسد و أسد - و قرئ بالسَّاق اكتفاءً بالواحد عن الجمع لأن الالباس - قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة و ملك بعد الفتن عشرين سنة - و كان من فتنه انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم تنفك من السخرة فسيبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحابة فما راعه الا ان ألقي على كرسية ميتة فتنبه على خطائه في ان لم يتوكل على ربه فاستغفر ربه و تاب اليه - و روي عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال سليمان لاطون الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله و لم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل و الذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله و لقد فتنا سليمان و هذا و نحوه مما لا بأس به - و اما ما يروى من حديث الخاتم و الشيطان و عبادة الوثن في بيت سليمان قاله اعلم بصحته - حكوا ان سليمان بلغه خبر صيدون و هي مدينة في بعض الجزائر و ان بها ملكا عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها بجذوة من الجن و الانس فقتل ملكها و اصاب بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجهها فاصطفاها لذفسه و اسلمت و احبها و كانت لا يرقا دمعا حزنا على ابيها فامر الشياطين فمذلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته و كانت تغدو اليها و تروح مع ولاتها يسجدن له كعادتهن في ملكه فاخبر اصف سليمان بذلك فكسر الصورة و عاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة و فرش له الرماد فجلس عليه تائباً الى الله متضرعاً - و كانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها و كان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما و اتاها الشيطان صاحب البحر و هو الذي دل سليمان على الاماس حين امر ببناء بيت المقدس و اسمه صخر على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمي فتختم به و جلس على كرسي سليمان و عكفت عليه الطير و الجن و الانس و غمير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته و طردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف و اذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب و سبوا ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر اصف و عظماء بني اسرائيل حكم الشيطان و سأل اصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة منا في دمها و لا يغتسل من جنابته و قيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان و قذف الخاتم في البحر

عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصُّفُوفُ الْجِيَادُ ⑥ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ⑦ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ⑧
رُدُّهَا عَلَيَّ ⑨ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ⑩ وَ لَقَدْ فَدْنَا سُلَيْمَنَ وَ الْقَيْنَا عَلَى كَرَمِيهِ جَسَدًا ثُمَّ

هورة ص ٣٨

الجزء ٢٣

ع ١١

والصافن الذي في قوله • شعر • ألف الصفون فما يزال كأنه • مما يقوم على الثلث كسييرا • وقيل الذي يقوم على طرف سنبلك يد أو رجل هو المتخيم واما الصافن فالذي يجمع بين يديه - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سره ان يقوم الناس له صفونا فليتبوء مقعده من النار اي واقفين كما خُدم الجبابرة - فان قلت ما معنى وصفها بالصفون - قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن واما هو في العراب الخالص - وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها و اذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها - وروي ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق و نصيبين فاصاب الف فرس - وقيل ورثها من ابيه و اصابها ابوه من العمالة - وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوماً بعد ما صلى الاولى على كرسيه و استعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس و غفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي و تهيؤوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردّها و عقرها مقرباً لله تعالى و بقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها - وقيل لما عقرها ابدله الله خيراً منها وهي الريح تجري بأمسه - فان قلت ما معنى [أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي] - قلت أَحْبَبْتُ مضمون معنى فعل يتعدى بعن كأنه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مجزياً او مغنياً عن ذكر ربي - وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ان أَحْبَبْتُ بمعنى لزممت من قوله • ع • مثل بغير السوء اذ احباً • وليس بذلك - والخير المال كقوله ان ترك خيراً وقوله وانه لحب الخير لشديد و المال الخيل اللتي شغلته - او سمي الخيل خيراً كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخيل معقود بذواصيها الخير الى يوم القيمة و قال في زيد الخيل حين وفد عليه و اسلم ما وصف لي رجل فرأيت له الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير - و سأل رجل بلال رضي الله عنه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له الرجل اردت الخيل فقال وانا اردت الخير و التواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك او المختبة بحجابها و الذي يدل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي و لابد للمضمر من جري ذكر او دليل ذكر - وقيل الضمير للصفون اي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام - و من بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه [فَطَفِقَ مَسْحًا] فجعل يمسح مسحاً اي يمسح السيف بسوقها و اعناقها يعني يقطعها تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه و مسح المسقر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه - و عن الحسن كسف عراقيدها و ضرب اعناقها اراد بالكسف القطع و منه الكسف في القباب الزخاف في العروض و من قاله بالشين المعجمة فمصحف - وقيل مسحاً بيده استحساناً لها و اعجاباً بها - فان قلت بم اتصل

سورة ص ٣٨
الجزء ٢٣
ع ١١

نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ع وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ط ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ط فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
مِنَ النَّارِ ؕ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ نَ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ؕ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ
إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ؕ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ط نَعَمْ الْعَبْدُ ط إِنَّهُ آوَابٌ ؕ إِذْ عُرِضَ

[الْحِسَابِ] متعلق بنسوا اي بنسيانهم يوم الحساب - او بقوله لهم اي لهم عذاب يوم القيمة بسبب نسيانهم و هو ضلالهم عن سبيل الله - و عن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز اول الزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم و لا تكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الآية * [بَاطِلًا] خلقا باطلا لا لغرض صحيح و حكمة بالغة - او مبطلين عابثين كقوله وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ تقديره ذري باطل - او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا ههنا موضع المصدر وهو صفة اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث و اللعب ولكن للحق المبين و هو أن خلقنا نفوسا اودعناها العقل و التمييز و منحناها التمكن و ازحنا عليها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف و اعدنا لها عاقبة و جزاء على حسب اعمالهم - و [ذَلِكَ] اشارة الى خلقها باطلا - و الظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا - فان قلت اذا كانوا مقرين بان الله خالق السموات و الارض و ما بينهما بدليل قوله وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَبِمَ جَعَلُوا ظَانِّينَ اِذْهُ خَلَقَهَا لِلْعَبَثِ لَا لِلْحِكْمَةِ - قلت لما كان انكارهم للعبث و الحساب و الثواب و العقاب مؤديا الى ان خلقها عبث و باطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقى اليه الحكمة في خلق العالم من رأسها فمن جملة فقد جحد الحكمة من اصلها و من جحد الحكمة في خلق العالم فقد سقى الخالق سبحانه و ظهر بذلك انه لا يعرفه و لا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار * [أَمْ] منقطعة و معنى الاستفهام فيها الانكار و المراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لامتوت عند الله احوال من اصلح و افسد و اتقى و فاجر و من سوى بينهم كان سفيها و لم يكن حكيما - و قرئ مَبْرُكًا وَلِيَتَذَكَّرُوا عَلَى الْاَصْلِ - و لِيَتَذَكَّرُوا عَلَى الْخُطَابِ وَ تَدَبَّرُ الْآيَاتِ التَّفَكُّرَ فِيهَا وَ التَّأَمُّلَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يَدَّبُرُ ظَاهِرَهَا مِنَ التَّوَاتُلَاتِ الصَّحِيحَةِ وَ الْمَعْنَى الْحَسَنَةِ لَانَّ مِنْ اقْتِنَاعِ بظاهر المتكلم يحل منه بكثير طائل و كان مثله كمثله من له لقحة درر لا يحتلها و مهرة نثور لا يستولدها - و عن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبدا و صبيانا لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه و ضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما اسقطت منه حرفا و قد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن عليه اثر في خلق و لا عمل والله ما هو بحفظ حروفه و اضاءة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء و لا الوزعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين و أعذنا من القراء المتكبرين * و قرئ نَعَمْ الْعَبْدُ عَلَى الْاَصْلِ وَ الْمُخْصُوصِ بِالْمَدْحِ مَحْذُوفِ وَ عِلُّ كونه ممدوحا بكونه آوَابا رجعا الىه بالتوبة او مستبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب آوَاب *

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ط وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝ فَغَفَرْنَا لَهُ
 ذَلِكَ ط وَإِنَّ لَهُ عِزْدًا لَّزُلْفَى وَحَسَنَ مَا بَ ۝ يُدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
 بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ط إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا
 السجدة ع ١٠ الجزء ٢٣ سورة ص ٣٨

لهم بالقلّة وإن يكره اليهم الظلم والاعتداء الذي عليه أكثرهم مع التأسف على حالهم وإن يستلّ المظلوم
 عما جرى عليه من خليطه وإن له في أكثر الخاطيء اسوة - وقرئ لَيَبْغِي بفتح الياء على تقدير الذون
 الخفيفة وحذفها كقوله ع * إضرب عذرك الهموم طارقتها * وهو جواب قسم محذوف - وليبغ يحذف الياء اكتفاء
 منها بالكسرة - وما في [وَقَلِيلٌ مَا هُمْ] للابهام وفيه تعجب من قلتهم وإن أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها
 فاطرحها من قول امرئ القيس ع * وحديث ما على قصرة * وانظر هل بقي له معنى قط * لما كان الظن
 الغالب يدانى العلم أستعير له ومعناه وعلم داود وإيقن [أَنَّمَا فَتَنَّاهُ] أنا ابتليناه لا محالة بامرأة أوربا هل ثبتت
 أم يزل - وقرئ فَتَنَّهُ بالتشديد للمبالغة - وَاَفْتَنَّهُ من قوله ع * لئن أفتنتني لهي بالامس افتنت * وفَتَنَّهُ -
 وفَتَنَّهُ على أن الالف ضمير الملكين - وعبر بالراكع عن الساجد لأنه ينحني ويخضع كالساجد - وبه استشهد
 ابو حذيفة و أصحابه في سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود - وعن الحسن لأنه لا يكون ساجدا
 حتى يركع - ويجوز أن يكون قد استغفر الله لذنبه وحرم بركعتي الاستغفار والانابة فيكون المعنى [رَخَرًا] للسجود
 [رَاكِعًا] أي مصليا لأن الركوع يجعل عبارة عن الصلوة [وَأَنَابَ] ورجع الى الله بالتوبة والتفضل - وروي أنه بقي
 ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلوة مكتوبة أو ما لا بد منه ولا يرفأ دمه حتى نبت العشب
 من دمه الى رأسه ولم يشرب ماء الا وثلاثه دمع و جهد نفسه راغبا الى الله في العفو عنه حتى كان
 يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له إيشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع
 اليه اهل الزيف من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه - وروي أنه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها -
 وقيل أن الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما إما كانا خليطين في الغنم و
 إما كان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري والثاني معسرا ما له الا امرأة واحدة
 فاستنزله عنها وانما نزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة ان يكونا مغتالين وما كان ذنب داود الا
 انه صدق احدهما على الآخر وظلمه قبل مسئلته [خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ] أي استخلفذاك على الملك في
 الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد و يملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه - او
 جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق - وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على
 ما كانت عليه لم تتغير [فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ] أي بحكم الله ان كذبت خليفته [وَلَا تَتَّبِعِ] هوى النفس
 في قضائك وغيره مما تتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا [فَيُضِلَّكَ] الهوى فيكون سببا لضلالك
 [عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] عن دلائله التي نصبها الله في العقول وعن شرائعه التي شرعها وارحى بها و [يَوْمَ

ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ ٥ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا

فتمرت الخطاب بالجدال فان فسرت بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم - قلت الوجه مع هذا التفسير ان اجعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله * شعر * يا شاة ما قنص لمن حلت له * فرميت غفلة عيذه عن شاته * وشبهها بالنعجة من قال * ع * كنعاج الملا تعسفن رملا * لولا ان الخلطاء ياباه الا ان يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم - فان قلت الملكة عليهم السلام كيف صح منهم ان يخبروا عن انفسهم بما لم يتلبسوا به منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم - قلت هو تصوير للمسئلة وفرض لها فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي كما تقول في تصوير المسائل زيد له اربعون شاة وعمره له اربعون وانت تشير اليهما فخلطاهما وحال عليهما الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمره سدد ولا لبدد وتقول ايضا في تصويرها لي اربعون شاة ولك اربعون فخلطناهما وما لكما من الاربعين اربعة ولا رُبْعها - فان قلت ما وجه قراءة ابن مسعود ولي نَعْجَةٌ اُنْثَى - قلت يقال امرأة انثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة وتورها وذلك املح لها وازيد في تكسرهما وتنديها الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله * ع * فتور القيام قطيع الكلام * وقوله * ع * تمشي رريدا تكاد تنغرف * [لَقَدْ ظَلَمَكَ] جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطعمه - والسؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها كأنه قيل باضافة نعتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب - فان قلت كيف سارع الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه - قلت ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه و لكنه لم يحك في القرآن لانه معلوم - ويروي انه قال انا اريد ان اخذها منه و اكمل نعاجي مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا و اشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه - والخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية - والشافعي يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على حدة الا ان مزاحهما ومسقامهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فان كانت لهما اربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا ثلثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد - وعند ابي حنيفة لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد - ففي اربعين بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلثة ثلث شياء - فان قلت فهذه الخلطة ما تقول فيها - قلت عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النعجة اداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي - وعند ابي حنيفة لا شيء عليه - فان قلت ما ذا اريد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام - قلت قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الصالحاء الذين حكم

أَخِي ۖ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ ۖ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۖ قَالَ لَقَدْ

سورة ص ٣٨

الجزء ٢٣

ع ١٠

اتيان النبأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبأ لان النبأ الواقع في عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان اردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصباً فبقي ان ينتصب بمحذوف وتقديره وهل أتاك نبؤ تحاكم الخصم - ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل - واما في الثانية فبدل من الاولى - تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ تصعدوا سورة ونزلوا اليه و السور الحائط المرتفع ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا منامه وتذراه اذا علا ذروته - روي ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته فمعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففرغ منهم - قال ابن عباس ان داود عليه السلام جزأ زمانه اربعة اجزاء - يوماً للعبادة - ويوما للقضاء - ويوما للاشتغال بخواص اموره - ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبيدكهم فجاءه في غير يوم القضاء ففرغ منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه - خَصْمٍ خبر مبتدأ محذوف اي نحن خصمين [وَلَا تُشِطُّ] وَلَا تَجْرُ - وقرى وَلَا تُشِطُّ اي وَلَا تَبْعُدُ عَنِ الْحَقِّ - وقرى وَلَا تُشِطُّ - وَلَا تُشِطُّ وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق و[سَوَاءَ الصِّرَاطِ] وسطه ومحجته ضربه مثلاً لعين الحق ومحضة - [أَخِي] بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ وَكُلِّ وَاحِدَةٍ مِّنْ هَذِهِ الْأَخْوَاتِ تُدْلِي بِحَقِّ مَنَعٍ مِّنَ الْأَعْتِدَاءِ وَالظُّلْمِ - وقرى تَسْعُ وَتَسْعُونَ بفتح التاء ونجدة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطح ولقوة [أَكْفَلْنِيهَا] ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي [وَعَزَّنِي] وغلبني يقال عزة يعزها قال شعرة قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح * يريد جاءني بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما ارد به - واران بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل - او اراد خطبت المرأة وخطبها هو فخطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني - وقرى وعزني من المعازة وهي المغالبة - وقرأ ابو حيدة وعزني بتخفيف الزاي طلباً للخفة وهو تخفيف غريب و كأنه قاسه على نحو ظلت وصمت - فان قلت ما معنى ذكر النعاج - قلت كان تحاكمهم في نفسه تمثيلاً وكلامهم تمثيلاً لان التمثيل ابلغ في التوبيخ لما ذكرنا والتنبيه على انه امر يستحيى من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسج الا فصاح به ولست على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته - ووجه التثني فيه ان مئلت قصة اوريا مع داود بقصة رجل له نعمة واحدة وخليطة تسع وتسعون فاراد صاحبه تئمة المائة فطمع في نعمة خليطة واراده على الخروج من ملكها اليه و حاجه في ذلك حاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ واما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة - فان قلت انما يستقيم طريقة التمثيل اذا

لَا تَخَفْ خَصْمِينَ بَغَى بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَهُمَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝ إِنَّ هَذَا

بعض المتسمين بالصالح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء - و عن سعيد بن المسيب و الحرث الاعور ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة و ستين و هو حد الفرية على الانبياء - و روي انه حدث بذلك عبيد بن عبد العزيز و عنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به و قال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتبس خلافتها و اعظم بان يقال غير ذلك و ان كانت على ما ذكرت و كف الله عنها سترا على نبيته فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة ان ينزل له عنها فحسب - فان قلت لم جاءت على طريقة التمثيل و التعريض دون التصريح - قلت لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التأمل اذا آذاه الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه و اشد تمكنا من قلبه و اعظم اثرا فيه و اجلب لاحشامه و حيائه و ادعى الى التنبه على الخطاء فيه من ان يبادر به مريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى الى الحكماء كيف اوصوا في سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له بانكارها عليه و لا يصرح و ان تحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا تأملها استسمح حال صاحب الحكاية فاستسمح حال نفسه و ذلك ازجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله و مقياسا لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد و الولد من حجاب الحشمة - فان قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم اليه - قلت ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه و معترفا على نفسه بظلمه [و هل اذكك نبؤا الخصم] ظاهرة الاستفهام و معناه الدلالة على انه من الانبياء العجيبة التي حقها ان تشيع و لا تخفى على احد و التشويق الى استماعه - و الخصم الخصماء و هو يقع على الواحد و الجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف ابراهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا - فان قلت هذا جمع و قوله [خصم] تثنية فكيف استقام ذلك - قلت معنى خصم فريقان خصم و الدليل عليه قراءة من قرأ خصم بغى بعضهم على بعض و نحوه قوله تعالى هذين خصم اختصموا - فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا اخي و هو دليل على اثنين - قلت هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض - فان قلت فقد جاء في الرواية انه بعث اليه ملكان - قلت معناه ان التحاكم كان بين ملكين و لا يمنع ذلك ان يصحبهما اخرون - فان قلت فاذا كان التحاكم بين اثنين فكيف ساهم جميعا خصما في قوله نبؤا الخصم و خصم - قلت لما كان صاحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به - فان قلت لم انتصِب [ان] - قلت لا يخلو - اما ان ينتصب بآئك - او بالنبأ - او بمحذوف فلا يسموغ انتصابه بآئك لان

وَفَصْلُ الْخِطَابِ ٥ وَهَلْ أَتَكَ نَبُوءُ الْخَصْمِ إِذْ تَمَوَّرُوا الْمَحْرَابَ ٦ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا

مودة ص ٣٨

الجزء ٢٣

ع ١٠

ابي مفصول بعضه من بعض فمعنى [فصل الخطاب] البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملتخصه ان لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المحتشني منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار والظهار والحذف والتكرار - وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور اردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفساد والحق والباطل والصواب والخطاء وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدبير الملك والمشورات - وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد - ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مختل ولا اشباع ممتل - ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصل لا نزل ولا هذر - كان اهل زمان داود يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد رويذا ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا فاحبها فسأله النزول له عنها فاستحيا ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شانك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هوائك وقهر نفسك والصبر على ما استحكمت به - وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فأنثرت اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه - واما ما يذكر ان داود تمتد منزلة أبائه ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يارب ان أبائي قد ذهبوا بالخير كله فأرحني اليه انهم ابتلوا ببلايا فصدروا عليها - قد ابتلي ابراهيم بزمرد وذيبح ولده - واسحق بذبيحة وذهب بصره - ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فأرحني اليه انك لمبتلى في يوم كذا فاحتس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقع في كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدننها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يده فتحا او يستشهد ففتح الله على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل وانه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن

سورة ص ٣٨ الْجِبَالِ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝ وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ ۖ كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ ۝ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ

الجزء ٢٣

ع ٦٠

وعن طاووس عن ابن عباس قال هل نجدون ذكر صلوة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأنا أنا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وقال كانت صلوة يصليها داود عليه السلام - وعنه ما عرفت صلوة الضحى إلا بهذه الآية - وعنه لم يزل في نفسي من صلوة الضحى شي حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وكان لا يصلي صلوة الضحى ثم صلاها بعد - وعن كعب انه قال لابن عباس اني لا اجد في كتاب الله صلوة بعد طلوع الشمس فقال انا اوجدك ذلك في كتاب الله يعني هذه الآية - ويحتمل ان يكون من اشرق القوم اذا دخلوا في الشرق ومنه قوله تعالى فَآخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ وقول اهل الجاهلية اشرق ثبير ويراد وقت صلوة الفجر لانتهائه بالشرق و [يُسَبِّحُنَ] في معنى مستبحات على الحال - فان قلت هل من فرق بين يُسَبِّحُنَ ومستبحات - قلت نعم وما اخذت يُسَبِّحُنَ على مستبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء و حالا بعد حال وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبيح ومثله قول الاعشى ع • الى ضوء نار في يفاع تحرق • ولو قال محرق لم تكن شيئا وقوله [مَحْشُورَةٌ] في مقابلة يُسَبِّحُنَ الا انه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل رَسَخْنَا الطَّيْرَ يحشرون على ان الحشر يوجد من حشرها شيئا بعد شيء والحشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة - وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا سبَّح جاريته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها - وقرئ وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ بالرفع [كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ] كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه مستبح لانها كانت تسبح بتسبيحه - ورضع الآواب موضع المستبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاء لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الآواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عاداته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه - وقيل الضمير لله اي كل من داود والجبال والطير لله آواب اي مستبح مرجع للتسبيح [وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ] قَوَيْنَاهُ قال تعالى سَنَشُدُّ عَضُدَكَ - وقرئ شَدَدْنَا على المبالغة قيل كان يبني حول محرابه اربعون الف مستلثم يحرسونه - وقيل الذي شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة ان رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البيعة فأوحى اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فأعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بانني قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه - الحكمة الزبور وعلم الشرائع - وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة - الفصل التمييز بين الشئيين - وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس - وقيل في كلامه لبس والملتبس المختلط فليل في نقيضه فصل

سورة ص ٣٨
الجزء ٢٣
ع ١٠

إِنْ كُلِّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ۖ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ۖ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۖ إصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۖ إِذَا سَخَرْنَا

بالجملة الخبرية أولاً وبالاستثنائية ثانياً وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة المستحقة عليهم باستحقاق اشد العقاب وابعاده ثم قال [فحق عقاب] اي فوجب لذلك ان أعاقبهم حق عقابهم - [هؤلاء] اهل مكة - و يجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر اولانهم كالحضور عند الله - والصيحة النفخة - [مآلها من فواق] - و قرئ بالضم مآلها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني اذا جاء وقتها لم يستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة - وعن ابن عباس مآلها من رجوع و ترداد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة - وفواق الذاقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثني ولا تتردد - القط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه و يقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس - وقد فسرهما قوله تعالى [عجل لنا قطناً] اي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ - وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزؤ عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها - فان قلت كيف تطابق قوله [اصبر على ما يقولون] وقوله [وادكر عبدنا داود] حتى عطف احدهما على صاحبه - قلت كانه قال لنبيه عليه السلام اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية الله في اعينهم بذكر قصة داود وهوانه نبي من انبياء الله قد اولاه ما اولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث اليه الملكة ورتخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر واناوب ووجد منه ما يحكى من بكاؤه الدائم وغمه الواصب ونقش جذائته في بطن كفه حتى لا يزال مجددا للندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم - او قال له صلى الله عليه وآله وسلم اصبر على ما يقولون ومن نفسك وحافظ عليها ان نزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم وادكر اخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي [ذا الاید] ذا القوة في الدين المضطاع بمشاقة وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة والملك يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان ايد و ذو ايد وذو ايد وايد كل شيء ما يتقوى به [آواب] رجاع الى مرضاة الله - فان قلت ما ذلك على ان الاید القوة في الدين - قلت قوله تعالى إِنَّهُ أَوَّابٌ لانه تعليل لدي الاید * والإشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس واما تشرق - وعن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الاشراق -

سورة ص ٣٨
الجزء ٢٣
ع ٩

فِي شَكِّ مَنْ ذِكْرِي ۚ بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۖ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۖ أَمْ لَهُمْ
مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ فَلْيَنْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۖ جُنْدُ مَا هَذَا لَكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ۖ
كَذَبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۖ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ۚ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ۖ

أوتيت من شرف النبوة من بينهم [بل هم في شك من] القرآن يقولون في انفسهم إما وإما وقولهم إن هذا إلا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني انهم لا يصدقون به إلا ان يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه [أم عندهم خزائن رحمة ربك] يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شأوا ويصرفوها عن شأوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترقعوا بها عن محمد عليه السلام وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها [العزيز] القاهر على خلقه [الوهاب] الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال أنهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال [أم لهم ملك السموات والأرض] حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا يحق له [فلينتقوا في الأسباب] فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى العرش حتى يستولوا عليه ويتدبروا امر العالم وملكوت الله ويُنزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون ثم خسأهم خسأة عن ذلك بقوله [جند ما هَذَا لَكَ مهزوم من الأحزاب] يريد ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكثر لما به يهزون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس ع * و حديث ما على قصرة * لأنه على سبيل الهز - وهذا لك إشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب الامر ليس من اهله لست هنالك [ذو الأوتاد] اصله من ثبات البيت المطتب باوتاده قال * شعر * والبيت لا يبتدى الا على عمد * ولا عماد اذا لم تُرس اوتاد * فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود ع * في ظل ملك ثابت الأوتاد * وقيل كان يشبه المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت - وقيل كان يمد بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات - وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه - [أولئك الأحزاب] قصد بهذه الإشارة الاعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم و انهم الذين وجد منهم التكذيب - ولقد ذكر تكذيبهم أولاً في الجملة الخبرية على وجه الاتهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فوضح فيها بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وايضا بعد اتهامه والتذويغ في تكريره

وَإِحْدَا ۚ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ۖ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى إِلِهَيْكُمْ ۚ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
يُرَادُ ۖ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ۚ إِنَّ هَذَا إِلَّا خِثْلَقٌ ۚ أَوْ نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ

سورة ص ٣٨

الجزء ٢٣

ع ٩

الذي لا وجه بصحته - روي ان اسلام عمر رضي الله عنه فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت شيخنا و كبيرنا و قد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام و جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابي طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما ذا يسألونني قالوا ارفضنا و ارفض ذكر الهتنا و ندعك و الهك فقال عليه السلام ارايتم ان اعطيتم ما سألتم أمعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب و تددين لكم بها العجم قالوا نعم و عسرا اي نعطيكمها و عشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا و قالوا [اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجب] اي بليغ في العجب - و قرئ عجبا بالتشديد كقوله مكرا كبرا و هو ابلغ من المخفف و نظيره كريم و كرام و كرام و قوله اجعل الالهة الها واحدا مثل قوله و جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انثا في ان معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى و الزعم كانه قال اجعل الجماعة واحدا في قوله لان ذلك في الفعل محال - [الملاء] اشراف قريش يريد و انطلقوا عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض [امشوا و اصبروا] فلا حيلة لكم في دفع امر محمد صلى الله عليه وآله وسلم [ان هذا] الامر لشيء يراد اي يريد الله تعالى و يحكم بامضائه و ما اراد الله كونه فلا مرد له و لا ينفع فيه الا الصبر - او ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفك لك لزامه - او ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم و تغلبوا عليه و ان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التناول لابد لهم من ان يتكلموا و يتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلقهم مضمنا معنى القول - و يجوز ان يراد بالانطلاق الاندفاع في القول و انهم قالوا امشوا اي اكدروا واجتمعوا من مشيت المرأة اذا كثرت ولايتها ومنه الماشية للتناول كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضموا فواشيكم - ومعنى و اصبروا على الهيتكم و اصبروا على عبادتها و التمسك بها حتى لاتزالوا عنها - و قرئ و انطلق الملاء منهم امشوا بغير ان على اضمار القول - وعن ابن مسعود و انطلق الملاء منهم يمشون ان اصبروا - [في الملة الاخرة] في ملة عيسى التي هي اخر الملل لان النصراني يدعونها و هم مثلثة غير موحدة - او في ملة قريش الملتى ادركنا عليها اباؤنا و ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الاخرة على ان تجعل في الملة الاخرة حالا من هذا و لا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى انا لم نسمع من اهل الكتاب ولا الكهان انه يحدث في الملة الاخرة توحيد الله ما [هذا الا خثلاق] اي انتعال و كذب - انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم و رؤسائهم و ينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم و هذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما

سورة ص ٣٨ حِينَ مَنَاصٍ ٥ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۖ أَجَعَلَ الْإِلَٰهَ الْهَى
الجزء ٢٣

ع ٩

مقسماً بها و عطفت عليها وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ جازلك ان تريد بالقرآن التذليل كله و ان تريد السورة بعينها
و معناه أَقْسَمَ بالسورة الشريفة و القرآن ذى الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم و بالذمة المباركة و لا تريد
بالذمة غير الرجل - و الذكر الشرف و الشهرة من قولك فلان مذکور و انه لذكر لك و لقومك - او الذكرى و
الموعظة - او ذكر ما يحتاج اليه فى الدين من الشرائع و غيرها كاقاصيص الانبياء و الوعد و الوعيد - و التذكير فى
عِزَّةٍ وَ شِقَاقٍ للدلالة على شدتهما و تفاقمهما - و قرئ فى غَرَّةٍ اى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر و اتباع الحق
[كَمْ أَهْلَكْنَا] و عید لذوي العزة و الشقاق [فَذَادُوا] فدعوا و استغاثوا - و عن الحسن فذادوا بالتوبة [وَلَاتَ] هي
لا المشبهة بليس زبدت عليها تاء التانيث كما زبدت على رَبِّ وَ تَمَّ للتوكيد و تغير بذلك حكمها حيث لم تدخل
الا على الاحيان و لم يبرز الا احد مقتضياتها اما الاسم و اما الخبر و امتنع برونهما جميعا و هذا مذهب الخليل
و سيبويه - و عند الاخفش انها لا الزاوية للجنس زبدت عليها التاء و خصت بنفي الاحيان و [حِينَ مَنَاصٍ]
منصوب بها كأنك قلت و لا حين مناص لهم - و عنه ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اى و لا ارى حين
مناص - و يرتفع بالابتداء اى و لا حين مَنَاصٍ كأنهم لهم - و عندهما ان الفصب على وَلَاتَ الحين حين مناص
اى و ليس الحين حين مناص - و الرفع على وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ حاصل لهم - و قرئ حِينَ مَنَاصٍ بالكسر
و مثله قول ابي زيد الطائي * شعر * طلبوا صلحنا و لات اوان * فاجبنا ان لات حين بقاء * فان قلت ما وجه
الكسر فى اوان - قلت شبه بان في قوله و انت اذ صحیح في انه زمان قطع منه المضاف اليه و عوض
التنوين لان الاصل و لات اوان صلح - فان قلت فما تقول في حِينَ مَنَاصٍ و المضاف اليه قائم - قلت
نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين الاتحاد المضاف و
المضاف اليه و جعل تنوينه عوضاً من الضمير المحذوف ثم بُني الحين لكونه مضافاً الى غير متمكن -
و قرئ وَلَاتَ بكسر التاء على البناء كجئير - فان قلت كيف يوقف على لَات - قلت يوقف عليها بالتاء كما
تقف على الفعل الذي يتصل به تاء التانيث - و اما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الاسماء
المؤنثة - و اما قول ابي عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له و اشتد شهادة بان التاء ملتزمة بحين فى الامام
لا متشبهت به فكم وقعت فى المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط - و المَنَاصُ المنجا و الفوت يقال فاصه
ينوصه اذا فاته و استنصا طلب المناص قال حارثة بن بدر يصف فرسا * شعر * غمر الجراء اذا قصرت عنانه *
بيدي استنصا و رام جري المسجل * [مُنْذِرٌ مِنْهُمْ] رسول من انفسهم [وَقَالَ الْكُفْرُونَ] و لم يقل و قالوا
اظهاراً للغضب عليهم و دلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى
الغى الذين قال فيهم اُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرُونَ حَقًّا و هل ترى كفرا اعظم و جهلا ابلغ من ان يسموا من صدقة الله
بوحية كاذبا و يتعجبوا من التوحيد و هو الحق الذي لا يصح غيره و لا يتعجبوا من الشرك و هو الباطل

فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝
 سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية وخمسة ركوعاً
 كلماتها ٧٣٨
 حروفها ٣١٠٧
 الجزء ٢٣
 سورة ص ٣٨
 ع ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا ت

كقوله تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ - اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو منزلة عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من الذصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين [وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] على ما اقتضى لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يُخَلَّوْا به ولا يغفلوا من مضمّنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد - وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سُبْحَنَ رَبِّكَ الى آخر السورة - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ والصفحة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنّي وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمناً بالمرسلين *

سورة ص

ص على الوقف وهي اكثر القراءة - وقرئ بالكسرو الفتح لالتقاء الساكنين - ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم و اتصال فعله كقولهم الله لا فعلن بالنصب - او باضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لا فعلن بالجر - وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها بمعنى السورة - وقد صرفها من قرأ صَادَ بالجر والتذوين على تاريل الكتاب والتزويل - وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره و انتهِ عن نواهيه - فان قلت قوله [ص وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ] بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَ شِقَاقٍ [كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه - قلت فيه وجهان - احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبية على الاعجاز كما مر في اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ انه لكلام مُعْجَز - والثاني ان يكون صَادَ خبر مبتدأ محذوف على انها اسم للسورة كأنه قال هذه صَادَ يعنني هذه السورة التي اعجزت العرب وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسحاء والله وكذلك اذا قسم بها كأنه قال اقسمت بصاد وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ انه لمعجز ثم قال بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَ شِقَاقٍ بالحق والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله - واذا جعلتها

إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۝ وَإِنْ جُذِّدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ وَابْصُرْهُمْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ۝
 أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ۝ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ وَابْصُرْ

اتَّقُوا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يَلْزَمُ انْهِزَامُهُمْ فِي بَعْضِ الْمَشَاهِدِ وَ مَا جَرَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَتْلِ فَإِنَّ الْغَلْبَةَ كَانَتْ لَهُمْ
 وَلَمَنْ بَعْدَهُمْ فِي الْعَاقِبَةِ وَ كَفَى بِمَشَاهِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَأَمِ وَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مَثَلًا
 يَحْتَذِرُونَ عَلَيْهَا وَ عِبَرًا يَعْتَبِرُ بِهَا - وَ عَنْ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا غَلِبَ نَبِيٌّ فِي حَرْبٍ وَ لَا قُتِلَ فِيهَا وَ لَاحَ
 قَاعِدَةُ أَمْرِهِمْ وَ أَسَاسُهُ وَ الْغَالِبُ مِنْهُ الظُّفَرُ وَ النُّصْرَةُ وَ إِنْ وَقَعَ فِي تَضَاعُيفِ ذَلِكَ شَوْبٌ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ
 وَ الْمَحْضَةِ وَ الْحُكْمِ لِلْغَالِبِ - وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ إِنْ لَمْ يَنْصُرُوا فِي الدُّنْيَا فُتُّوا فِي الْآخِرَةِ - وَ فِي قِرَاءَةِ
 ابْنِ مَسْعُودٍ عَلَى عِبَادِنَا عَلَى تَضْمِينِ سَبَقَتِ مَعْنَى حَقَّتْ [تَوَلَّ عَنْهُمْ] فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَ اغْضِ عَلَى أَذَاهُمْ
 [حَتَّى حِينٍ] إِلَى مَدَّةٍ يَسِيرَةٍ وَ هِيَ مَدَّةُ الْكَفِّ عَنِ الْقِتَالِ - وَ عَنْ السَّيِّدِيِّ إِلَى يَوْمٍ بَدْرٍ - وَ قِيلَ إِلَى
 الْمَوْتِ - وَ قِيلَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ - [وَ ابْصُرْهُمْ] وَ مَا يَقْضَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَسْرِ وَ الْقَتْلِ وَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ
 فَسَوْفَ يَبْصُرُونَكَ وَ مَا يَقْضَى لَكَ مِنَ النُّصْرَةِ وَ التَّيْدِيدِ وَ الثَّوَابِ فِي الْعَاقِبَةِ وَ الْمُرَادُ بِالْأَمْرِ بِابْصَارِهِمْ
 عَلَى الْحَالِ الْمُنْتَظَرَةِ الْمَوْعُودَةِ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهَا كَائِنَةٌ وَاقِعَةٌ لَا مُحَالَةٌ وَ إِنْ كَيَّنُونَهَا قَرِيبَةً كَأَنَّهَا قَدَامُ نَظَائِرِكَ
 وَ فِي ذَلِكَ تَسْلِيَةٌ لَهُ وَ تَنْفِيسٌ عَنْهُ وَ قَوْلُهُ [فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ] لِلْوَعْدِ كَمَا سَلَفَ لَا لِلتَّبَعِيدِ - مَثَلُ الْعَذَابِ
 النَّازِلِ بِهِمْ بَعْدَ مَا أَنْذَرُوا فَانْكُرُوا بِجَيْشٍ أَنْذَرَ بِهَجُومِهِ قَوْمَهُ بَعْضُ نَصَاحَتِهِمْ فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى أَنْذَارِهِ وَ لَا
 أَخَذُوا أَهْبَتَهُمْ وَ لَا دَبَّرُوا أَمْرَهُمْ تَدْبِيرًا يُنْجِيهِمْ حَتَّىٰ إِذَا نَاحَ بِفَضَائِلِهِمْ بِغَتَّةٍ فَشَرَّ عَلَيْهِمُ الْغَارَةُ وَ قَطَعَ دَابِرَهُمْ
 وَ كَانَتْ عَادَةُ مَغَارِيهِمْ أَنْ يَغِيرُوا صَبَاحًا فَسَمِيَتْ الْغَارَةُ صَبَاحًا وَ إِنْ وَقَعَتْ فِي وَقْتٍ آخَرَ وَ مَا فَصَحَتْ
 هَذِهِ الْآيَةُ وَ لَا كَانَتْ لَهَا الرُّوعَةُ اللَّتِي تُحَسُّ بِهَا وَ يَرْفُكُ مَوْرِدَهَا عَلَى نَفْسِكَ وَ طَبْعِكَ إِلَّا لِمَجِيئِهَا عَلَى
 طَرِيقَةِ التَّمْثِيلِ • وَ قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَبَدَّسَ صَبَاحٌ - وَ قَرَأَ نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ عَلَى اسْتِزَادَةِ إِلَى الْجَبَارِ وَ الْمَجْرُورِ
 كَقَوْلِكَ ذَهَبَ بَزِيدٌ - وَ نَزَلَ عَلَى وَ نَزَلَ الْعَذَابُ وَ الْمَعْنَى [فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ] صَبَاحُهُمْ - وَ اللَّامُ فِي الْمُنْذَرِينَ
 مُبْهَمٌ فِي جَنْسٍ مِنْ أَنْذَرُوا لِأَنَّ سَاءَ وَ بُئْسَ يَقْتَضِيَانِ ذَلِكَ - وَ قِيلَ هُوَ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَ الْفَتْحِ بِمَكَّةَ -
 وَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ خَيْبَرَ وَ كَانُوا خَارِجِينَ إِلَى مَزَارِعِهِمْ
 وَ مَعَهُمُ الْمَسَاحِيُّ قَالُوا مُحَمَّدٌ وَ الْخَمِيسُ وَ رَجَعُوا إِلَى حَصْنِهِمْ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرَ
 أَنَا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ - وَ إِنَّمَا ثَنَى وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ لِيَكُونَ تَسْلِيَةً عَلَى تَسْلِيَةٍ وَ تَاكِيدًا
 لَوُقُوعِ الْمِيعَادِ إِلَى تَاكِيدٍ وَ فِيهِ فَائِدَةٌ زَائِدَةٌ وَ هِيَ إِطْلَاقُ الْفَعْلَيْنِ مَعًا عَنِ التَّقْيِيدِ بِالْمَفْعُولِ وَ أَنَّهُ يُبْصَرُ وَ هُمْ
 يَبْصُرُونَ مَا لَا يَحِيطُ بِهِ الذِّكْرُ مِنْ صُنُوفِ الْمَسْرُوعَةِ وَ أَنْوَاعِ الْمَسَاءَةِ - وَ قِيلَ أَرِيدَ بِأَحَدِهِمَا عَذَابُ الدُّنْيَا
 وَ بِالْآخِرَةِ عَذَابُ الْآخِرَةِ - أَضِيفَ الرَّبُّ إِلَى الْعِزَّةِ لِاخْتِصَامِهِ بِهَا كَأَنَّهُ قِيلَ ذُرْ الْعِزَّةَ كَمَا تَقُولُ صَاحِبُ
 صَدَقَ لِاخْتِصَامِهِ بِالْصَدَقِ - وَ يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ أَنَّهُ مَا مِنْ عِزَّةٍ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ وَ غَيْرِهِمْ إِلَّا وَ هُوَ رَبُّهَا وَ مَالِكُهَا

لَنَحْنُ الصَّافُونَ ۝ وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ۝ وَ إِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ۝ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝
لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ ۝ فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝

سورة الصف ٣٧
الجزء ٢٣

ع ٨

قولهم ما باليت به بالة و اصلها بالية من بالى كعافية من عافى و نظيرة قراءة من قرأ و جنى الجنين دان -
وله الجوار المنشئت باجراء الاعراب على العين * [و ما منّا] احد [الاله مقام معلوم] فحذف الموصوف و اقيمت
الصفة مقامه كقوله * شعر * انا ابن جلا و طلاع الثنايا * بكفى كان من ارمى البشر * مقام معلوم مقام في العبادة
والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزة كما روي فمنهم راع لا يقيم صلبه و ساجد لا يرفع رأسه [لنحن الصافون]
نصف اقدامنا في الصلوة او اجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر - و قيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين
للمؤمنين - و قيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلوة منذ نزلت هذه الآية و ليس يصطف احد من اهل
الملل في صلواتهم غير المسلمين [المُسَبِّحُونَ] المنزهون او المصلون و الوجه ان يكون هذا و ما قبله من قوله
سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ من كلام الملكة حتى يتصل بذكرهم في قوله و لَقَدْ عَلِمْتَ الْجَنَّةُ اَنَّهُمْ لَمُحَضَّرُونَ كانه
قيل و لقد علم الملكة و شهدوا ان المشركين مفذرون عليهم في مناسبة رب العزة و قالوا سبحان الله فنزهوه
عن ذلك و استنذوا عباد الله المخلصين و برأهم منه و قالوا للكفرة فاذا صبح ذلك فانكم و الهنكم لا تقدرون
ان تفتنوا على الله احدا من خلقه و تصلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره و ارادته تعالى
الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار و كيف نكون مناسبين لرب العزة و يجمعنا و اياه جنسية
واحدة و ما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزّل عنه ظفرا خشوعا
لعظمته و تواضعا لجلاله و نحن الصافون اقدامنا لعبادته او اجنحتنا مدعنين خاضعين مستبحين ممجدين
و كما يجب على العباد لربهم - و قيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم يعنني و ما
من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عَسَى اَنْ يَّعْتَلَكَ رَبُّكَ
مَقَامًا مَّحْمُودًا ثم ذكر اعمالهم و انهم الذين يصطفون في الصلوة و يستبحون الله و ينزهونه مما يضيف اليه
من لا يعرفه مما لا يجوز عليه * هم مشركوا قريش كانوا يقولون [لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا] اي كتابا من كتب الاولين
الذين نزل عليهم التوراة و الانجيل لاخلصنا العبادة لله و لَمَا كَذَبْنَا كَمَا كَذَبُوا و لَمَا خَالَفْنَا كَمَا خَالَفُوا
فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار و الكتاب الذي هو معجز من بين الكتب [فَكَفَرُوا بِهِ] و نحوه فَلَمَّا جَاءَهُمْ
نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا [فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ] مغبة تكذيبهم و ما يحل بهم من الانتقام - و ان هي المخففة من
الثقيلة و اللام هي الفارقة و في ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكّم بين اول امرهم
و اخرة * الكلمة قوله [اَنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ] و اَن جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ] و انما سمّاها كلمة و هي كامات عدة
لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة - و قرى كَلِمَتُنَا و المراد الموعد بعلوهم
على عدوهم في مقام الحجاج و ملاحم القتال في الدنيا و علوهم عليهم في الآخرة كما قال الله تعالى وَ الَّذِينَ

وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ أَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٠﴾ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١١﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٣﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٤﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٥﴾ وَمَا مِنْهَا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦﴾ وَإِنَّا

وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم و انما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبالغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفته الاجتنان والامتنان وهو من صفات الاجرام لا يصلح ان يذامب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوي بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك اتسوي بيني وبين عبيدي اذا ذكره في غير هذا المقام وقرة وكناه والضمير في [اِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ] للكفرة والمعنى انهم يقولون ما يقولون في الملكة وقد علم الملكة انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة - وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملكة - وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان - وعن الحسن اشركوا الجن في طاعة الله - ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير في اِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ لهم والمعنى ان الشياطين عالمون بان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناصبين له او شركاء في وجوب الطاعة كما عذبهم [اِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ] استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون - وسبحن الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه - ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو في يَصِفُونَ اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين براء من ان يصفوه به - الضمير في [عَلَيْهِ] لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما اَنْتُمْ و هم جميعا [بِفَاتِنِينَ] على الله الا اصحاب النار الذين سبق في علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها - فان قلت كيف يفتنونهم على الله - قلت يفسدونهم عليه باغوائهم واستهزائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأة كما تقول انفسها عليه وخببها عليه - ويجوز ان يكون الواو في وَمَا تَعْبُدُونَ بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وصيغته فكما جاز السكوت على كل رجل وصيغته وان كل رجل وصيغته جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تَعْبُدُونَ لان قوله وَمَا تَعْبُدُونَ ساق مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع الهتكم اي فانكم قرنائهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال مَا اَنْتُمْ عَلَيْهِ اي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاصلين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو ضال مثلكم او يكون في اسلوب قوله * شعر * فانك والكتاب الى علي * كدابة وقد حلم الاديم * وقرأ الحسن صَالِ الْجَحِيمِ بضم اللام وفيه ثلثة اوجه - احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه الالتقاء الساكنين هي والتم التعريف - فان قلت كيف استقام الجمع مع قوله مَنْ هُوَ - قلت مَنْ موحّد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصّالون على معناه كما حمل في مواضع من التذليل على لفظ مَنْ ومعناه في آية واحدة - والثاني ان يكون اصله صَائِلٌ على القلب ثم يقال صال في مسائل كقولهم شاك في شاكك - والثالث ان يحذف لام صال تخفيفا ويجرى الاعراب على عينه كما حذف من

سورة الصافات ٣٧

الجزء ٢٣

ع ٨

النصف

إِنفِهِمْ لِيَقُولُونَ ۖ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۖ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۚ مَا لَكُمْ قَدْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۖ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۚ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ۖ فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا ۚ

الحلية وهو في الخصام غير مبين - والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه حيث اتهمهم ولو قيل لافلهم وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجبيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الانواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه - وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه - يدع السموات والارض انبي يكون له ولد - الا انهم من انفسهم ليقولون ولد الله - وجعلوا له من عباده جزاء - ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون - ام له البنات والكم البنون - ويجعلون لله ما يكرهون - اصطفى البنات على البنين - ام اتخذ مما يخلق بذات و اصفكم بالبنين - وجعلوا الملكة الذين هم عباد الرحمن انانا - ام خلقنا الملكة انانا وهم شاهدون - فان قلت لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة - قلت ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل و كذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر - ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن تلج صدر وطمانينة نفس لا فراط جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم - و قرئ ولد الله اي الملكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي - فان قلت [اصطفى البنات] بفتح الهمزة امتفهام على طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة على الاثبات - قلت جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والاعمش وهذه القراءة وان كان هذا محملا فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبها وذلك قوله و انهم لكاذبون - ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبتين - و قرئ تذكرون من ذكر [ام لكم سلطان] اي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملكة بنات الله [فاتوا بكتابكم] الذي انزل عليكم في ذلك كقوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الايات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لا قاييلهم شديد وما الاساليب اللتي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا ان يجعله معتقدا ويتظاهربه مذهبا [وجعلوا بين الله وبين الجنة] و اراد الملكة [نسبا] وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم و اثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملكة - فان قلت لم سمى الملكة جنة - قلت قالوا الجنس واحد ولكن من خبيث من الجن ومرد وكان شر كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك

الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيزِينَ ۝ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَتَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ
وَهُوَ سَقِيمٌ ۝ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ۝ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝ فَاْمَنُوا فَمَنْعَتْهُمْ
إِلَى حِينٍ ۝ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلَيْكَ الذِّكْرُ وَالْبَنُونَ ۝ آم خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ

والشدائد [لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ] الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم البعث - وعن قتادة كان بطن الحوت له قبرا
الى يوم القيامة - وروي انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله
لك طعاما - واختلاف في مقدار لبثه فعن الكلبي اربعون يوما - وعن الضحاك عشرون - وعن عطاء سبعة -
وعن بعضهم ثلثة - وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه - وروي ان
الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يغارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه
عالم لم يتغير منه شيء فاسلموا - وروي ان الحوت قدنه بساحل قرية من الموصل - والعراء المكان
الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه [وَهُوَ سَقِيمٌ] اعتل مما حل به - وروي انه عاد بدنه كبطن الصبي
حين يولد [يَقْطِينٌ] كل ما ينسحق على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل
وهو يفعيل من قطن المكان اذا اقام به - وقيل هو الدباء وفائدة الدباء ان الذبان لا تجتمع عنده - وقيل
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انك لتحب القرع فقال اجل هي شجرة اخي يونس - وقيل
هي التين - وقيل شجرة الموز تغطي بورقها واستظل باغصانها فطرد على ثمارها - وقيل كان يستظل
بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها - وروي انه مر زمان على الشجرة فبيست فبكى
جزعا فارحى اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة الف في يد الكافر - فان قلت ما معنى [أَنْبَتْنَا
عَلَيْهِ شَجَرَةً] - قلت انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان [وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ]
والمراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى - وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى
الاولين او الى غيرهم - وقيل اعلما فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع
اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا [أَوْ يَزِيدُونَ] في مرأى الناظر اى اذا رآها الرائي قال
هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة [إِلَى حِينٍ] الى اجل مسمى - وقرئ وَ يَزِيدُونَ
بِالْوَاوِ - وَحَتَّى حِينٍ ۝ [فَاسْتَفْتِهِمْ] معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله
باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضها ببعض ثم امره باستفادتهم عن وجه
القسمة الضيعة التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بذات الله مع
كراهتهم الشديدة لهن وأدهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلثة انواع من الكفر - احدها
التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام - والثاني تفضيل انفسهم على ربهم حين اختاروا اوضع الجنسين له
وارفعهما لهم كما قال وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ - او من ينشأ في

٣٧ سورة الصف
 الجوز ٢٣
 ع ٨
 لَا تَقُولُوا ۖ اَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ احْسَنَ الْخَالِقِينَ ۖ اَللّٰهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ اٰبَائِكُمُ الْاَوَّلِينَ ۖ فَكَذَّبُوهُ فَاِنَّهُمْ
 لَمَكْذُورُونَ ۖ اِلَّا عِبَادَ اللّٰهِ الْمُخْلِصِينَ ۖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْاٰخِرِينَ ۖ سَلَّمَ عَلٰى اِلَ يٰسِينَ ۖ اِنَّا كَذَلِكْ
 نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ اِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَ اِنْ لُّوْطًا لِّمَنِ الْمُرْسَلِينَ ۖ اِذْ نَجَّيْنَاهُ وَاهْلَهُ اَجْمَعِينَ ۖ
 اِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ۖ ثُمَّ دَمَرْنَا الْاٰخِرِينَ ۖ وَ اَنْتُمْ لَتَمُرُّوْنَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ۖ وَ بِالْاَيْلِ ۖ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ ۖ
 وَ اِنْ يُّوْنُسَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ ۖ اِذْ اَبْقٰ اِلٰى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۖ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۖ فَالْتَقَمَهُ

اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كناية وهبل - قيل كان من ذهب و كان طوله عشرين ذراعا وله
 اربعة اوجه فتدوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمئة سادن و جعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل
 في جوف بعل و يتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلك من بلاد
 الشام وبه سميت مدينتهم بعلك - وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها
 و المعنى اتعبدون بعض البعول و تتركون عبادة الله [الله ربكم و رب اباكم] قرى بالرفع على الابتداء - و
 بالنصب على البدل - و كان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع - و قرى على [اِلَ يٰسِينَ] - و اذريسين - و
 اذريسين - و اذريسين على انها لغات في الياس و اذريس و لعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى - و قرى
 على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الحببيون والمهلبون - فان قلت فهلا حملت
 على هذا اليامين على القطع و اخواته - قلت لو كان جمعا لعرف بالالف واللام - و اما من قرأ على اِلَ
 يٰسِينَ فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه ال [مُصْبِحِينَ] داخلين في الصباح يعني
 تمرّون على منازلهم في متاجرهم الى الشام ليلا و نهارا فما فيكم عقول تعذبون بها قرى [يونس] بضم النون
 وكسرهما - و سمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز - و المساهمة المقارعة و يقال
 استهم القوم اذا اقتروا - و المدحض المغلوب المقروع و حقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة - روي انه حين
 ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد ابق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها ابق
 لم تجر فاقتروا فخرجت القرعة على يونس فقال انا ابق وزخ بنفسه في الماء [فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ
 مُلِيمٌ] داخل في الملامة يقال رب لائم مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم - و قرى ملِيمٌ بفتح الميم
 من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبيئا على شيب و نحوه مدعي بذاء على دعي [مِنْ
 الْمُسْبِحِينَ] من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس - وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت
 سُبْحٰنَكَ اِنِّي كُنْتُ مِنَ الظّٰلِمِينَ - وقيل من المصلين - و عن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو
 ملوة - و عن قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء قال و كان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر اذا
 صرع وجد متكا وهذا ترغيب من الله عز وجل في انثار المؤمن من ذكره بما هو اهله واقباله على
 عبادته و جمع همة لتقيد نعمته بالشكر في وقت المهلة و الفسحة لينفعه ذلك عنده تعالى في المضائق

سورة الصافات ٣٧ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ اسْحَقَ ط وَ مِنْ ذُرِّيَّتَيْهِمَا مُّحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مَبِينٌ ع وَ لَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
الجزء ٢٣ وَ هَارُونَ ع وَ نَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ع وَ نَصَرْنَاهُمْ فَاكُنُوا لَهُمُ الْغَالِبِينَ ع وَ آتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ
ع وَ هَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ع وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ع سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ ع
ع ٧ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ع إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ع وَ إِنَّ الْيَأْسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ع إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ

حاله لا محالة لأن الحال حلية و الحلية لا تقوم الا بالمحاي و هذا المبشر به الذي هو اسحق حين رجد
لم توجد النبوة ايضاً بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبياً حالاً مقدرة و الحال صفة
الفاعل او المفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود و ان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها
صفتهم لأن المعنى مقدريين الخلود و ليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة
وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق - قلت هذا موال دقيق السلك ضيق المسلك و الذي يحل
الاشكال انه لابد من تقدير مضاف محذوف و ذلك قولك وَ بَشَّرْنَاهُ بِوَجُودِ اسْحَقَ نَبِيًّا ابي بان يوجد
مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة و بذلك يرجع نظير قوله تعالى فَادْخُلُوهَا خُلْدَيْنِ
[مِنَ الصَّالِحِينَ] حال ثانية و ورودها على سبيل التذام و التقريظ لأن كل نبي لابد ان يكون من
الصالحين - و عن قتادة بَشَّرَهُ اللهُ بِنَبُوَّةِ اسْحَقَ بعد ما امتحنه بذبحه و هذا جواب من يقول الذبيح
اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وَ بَشَّرْنَاهُ بِاسْحَقَ قالوا ولا يجوز ان يبشره الله بمواده و نبوته مع ان
الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه انه سيكون نبياً [وَ بَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى اسْحَقَ] - و قرئ وَ بَرَكْنَا
اي افضنا عليهما بركات الدين و الدنيا كقوله وَ آتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ -
وقيل وَ بَرَكْنَا على ابراهيم في اولاده وَعَلَى اسْحَقَ بآن اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه و قوله
[وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ] نظيره قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ وفيه تنبيه على ان الخبث والطيب
لا يجري امرهما على العرق و العنصر فقد يلد البئر الفاجر و الفاجر البئر و هذا مما يهدم امر الطبايع و
العناصر و على ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب و لا نقیصة فان المرء انما يعاب بسوء فعله و
يعاتب عليه على ما اجتاحت يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه [مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ]
من العرق - او من سلطان فرعون وقومه و غشهم - [وَ نَصَرْنَاهُمْ] الضمير لهما و لقومهما في قوله وَ نَجَّيْنَاهُمَا
وَ قَوْمَهُمَا [الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ] البليغ في بيانه و هو التوراة كما قال اِنَّا اَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ -
و قال من يجوز ان تكون التوراة عربية ان تشتق من روى الزند فوعلة منه على ان التاء مبدلة من واو
[الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] صراط اهل الاسلام و هي صراط الذين اَنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم وَ لَا الضَّالِّينَ *
قرئ الْيَأْسَ بكسر الهمزة - وَالْيَأْسَ على لفظ الوصل - وقيل هو ادريس الذبي - و قرأ ابن مسعود وَاِنَّ اِدْرِيْسَ
في موضع الْيَأْسَ - و قرئ اِدْرَاسَ - وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون اخي موسى * [اَتَدْعُونَ بَعْلًا]

ابن عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه
و المنكر بمكة ومما يدل عليه ان الله عز وجل وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل واليسع وذا
الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح وصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد
اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله بشره باسحق ولده يعقوب في قوله فبشرناه باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد في يعقوب - وعن علي بن ابي طالب
وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين انه اسحق والحجة فيه ان الله تعالى
اخبر عن خليله ابراهيم حين هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بسلام حليم ثم ذكر
رؤياه بذيبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف - من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق
ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله - فان قلت قد اوحى الى ابراهيم صلوات الله عليه في المنام بان يذبح
ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح - قلت قد
بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما
منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم الا ترى انه لا يسمي عاصيا ولا مفرطاً بل يسمي
مطيعاً ومجتهداً كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على
المأمور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الارهام حتى يشتغل بالكلام
فيه - فان قلت الله تعالى هو المقتدى منه لانه الامر بالذبح فكيف يكون قادراً حتى قال وفديته - قلت
القادي هو ابراهيم عليه السلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفتدي به وانما قال وفديته اسناداً للفداء
الى السبب الذي هو الممكن من الفداء لهبته - فان قلت فاذا كان ما اتى به ابراهيم من البطح وامرار
الشفرة في حكم الذبيح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبيح ببذل - قلت قد علم بمنع الله
ان حقيقة الذبيح لم تحصل من فري الوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك
الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلاً منه - فلما قلت
فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغني عنها بقيام ما وجد من ابراهيم مقام الذبيح من غير
نقصان - قلت الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمتذوق والنجاة
المأمور به من كل وجه - فان قلت لم قيل ههنا [كذا لك تجزي المحسنين] وفي غيرها من القصص انا
كذلك - قلت قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكانما استخف بطرحه اكتفاءً بذكره مرة عن ذكره ثانية
[نبياً] حال مقدرة كقوله تعالى ادخلوها خلدن - فان قلت فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها
خلدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقد رت مقدرين الخلود
فكان مستقيماً وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم

سورة الصف ٣٧ ابراهيم ٥ كذا ك تجزي المحسنين ٥ انه من عبادنا المؤمنين ٥ وبشرناه بالحق نبيا من الصالحين ٥

الجزء ٢٣

ع ٦

بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي - و روي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده - و روي انه لما ذبحه قال جبرئيل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر والله الحمد فبقي سنة - وحكي في قصة الذبيح انه حين اراد ان يذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدينة وانطلق بنا الى الشعب نختطب فلما توسطوا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشد رباطي لا اضرب و اكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص اجرني و تراه امي فتخزن و اشحذ شفرتك و اسرع امرارها على حلقي حتى تجيز علي ليكون اهون فان الموت شديد و اقرأ على امي السلام و ان رأيت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابراهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله و قد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم يعمل لان الله ضرب صحيفة نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني و ادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبرئيل معه كبش اقرون املح فكبر جبرئيل والكبش و ابراهيم وابنه و اتى المنكر من منى فذبحه - وقيل لما وصل موضع السجود منه الى الارض جاء الفرج - و قد استشهد ابو حنيفة رضي الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة - فان قلت من كان الذبيح من ولده - قلت قد اختلف فيه - فعن ابن عباس و ابن عمر و محمد بن كعب القرظي و جماعة من التابعين انه اسمعيل و الحجّة فيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم قال انا ابن الذبيحين - وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطالب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له امرها ليدبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمذبه احواله وقالوا له افد ابذك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل - و عن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بنو اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابراهيم و اسمعيل واسرائيل فقال موسى يا رب ما لمجتهد بنو اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابراهيم و اسمعيل واسرائيل و انا بين اظهرهم قد اسمعني كلامك و اصطفيتني برسالتك - قال يا موسى لم يُكَبَّنِي احد حب ابراهيم قط ولا خير بيني وبين شيء قط الا اختارني - و اما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه - و اما اسرائيل فانه لم يئأس من رُوحِي في شدة نزات به قط - ويدل عليه ان الله تعالى لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه بالحق - و عن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه و اني لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم يا معشر العرب ويدل عليه ان قورني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت - و عن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي

مِنَ الصَّابِرِينَ ۝ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّى لِلْجَبِينِ ۝ وَفَادَيْتَهُ أَنْ يَأْبُرَ هَيْمٌ ۝ قَدْ صَدَّقَتِ الرَّيَا ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْتَهُ بِذَبِجٍ عَظِيمٍ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَّمَ عَلَى

سورة الصافات ٣٧

الجزء ٢٣

ع ٦

هو حتم من الله - قلت لم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء
الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع و يأمن عليه الزل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها
ويهيون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المغافصة
بالذبح مما يستسمح وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملكة في اكله من الشجرة لما فرط
منه ذلك - فان قلت لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة - قلت كما ارى يوسف عليه السلام سجود
ابويه واخوته له في المنام من غير وحي الى ابويه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم
صادقين مصدوقين لان الحال اما حال يقظة او حال نوم فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك
اقوى للدلالة من انفراد احدهما * يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن
جميعا اذا انقاد له وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه و
قواهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه وحقيقة معناه اخاص نفسه الله وجعلها سالمة له خالصة و
كذلك معنى استسلم استخاص نفسه لله عز وجل - وعن قتادة في اسلم هذا ابنه وهذا نفسه [وتلَّى
لِلْجَبِينِ] صرعه على شقه فوق احد جبيني على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن
ويخزيا الشيطان - وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى - وعن الحسن في الموضع المشرف
على مسجد منى - وعن الضحاك في المنحر الذي ينحرفه اليوم - فان قلت اين جواب لما - قلت هو
محدوف تقديره فلما اسلما وتلَّى الجبين وفاديتهم قد صدقت الرأيا كان ما كان مما ينطق به
الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من
دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطيد النفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان
الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله [إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] تعليل لتحويل ما خولهما من الفرج
بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس [الْبَلَاءُ الْمُبِينُ] الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من
غيرهم - او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها - الذبح اسم ما يذبح - وعن ابن عباس
هو الكبش الذي قرب هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدى به اسمعيل - وعن الحسن
فدى بوعل اهبط عليه من ثبير - وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس
ابناءهم [عَظِيمٌ] ضخم الجنة سمين وهي السنة في الاضاحي وقوله عليه السلام استشرفوا ضحاياكم فانها
على الصراط مطاياكم - وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابراهيم - وروي انه هرب من ابراهيم عند الجمره فرماه

رَبِّي سَيِّدِينَ ۝ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي
إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ۝ قَالَ يَاقُوتَ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ فَسَجَدَنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ

السَّبِيلِ [هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ] هب لي بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الهبة غالب في الولد
وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا قَالَ عَزَّوَجَلَّ وَهَبْنَا لَهُ
إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ - وَهَبْنَا لَهُ يُحْيَى وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابن عباس حين هذاه بولده عليّ
أبي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب واذنك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب
وموهب وقد انطوت البشارة على ثلث علامات - على أن الولد غلام ذكر - وأنه يبلغ أوان الحلم - وأنه يكون
حليماً و أبي حاتم اعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ
ثم استسلم لذلك - وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزّة وجوده ولقد
نعت الله به ابراهيم في قوله إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ - إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ لأن الحادثة شهدت
بكلهما جميعاً [فَلَمَّا بَلَغَ] أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه - فان قلت [مَعَهُ] بم يتعلق - قلت
لا يخلو - إما أن يتعلق ببلاغ أو بالسعي أو بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلاغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي
ولا بالسعي لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي أن يكون بيانا كأنه لما قال فاما بلغ السعي أي الحد
الذي يقدر فيه على السعي قيل مع مَنْ فقال مع أبيه - والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس
به وأعطفهم عليه وغيره ربما عذف به في الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم يستحكم قوته ولم يصلب عوده
وكان أن ذلك ابن ثلث عشرة سنة والمراد أنه على غضاضة سنّه وتقلبه في حدّ الطفولة كان فيه من
رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسر على احتمال تلك البليّة العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم -
أتى في المنام فقيل له اذبح ابنك وروى الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال [إِنِّي أَرَى فِي
الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ] فذكر تاول الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب في سفينة رأيت في المنام
أنني ناج من هذه المحنة - وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا
فلما أصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم
التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمي يوم معرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة
فهم بنحرة فسمي اليوم يوم النحر - وقيل ان الملكة حين بشرته بغلام حلیم قال هو أذن ذبيح الله فاما ولد وبلغ
حد السعي معه قيل له اوف بذكرك [فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى] من الرأي على وجه المشاورة - وقرئ مَاذَا تَرَى
أي ما ذا تبصر من رأيك وتبديده - وما ذا ترى على البناء للمفعول أي ما ذا تُرىك نفسك من الرأي
[افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ] أي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله ع * امرتك الخير فافعل ما أمرت به * أو
امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية الأمور به امرا - وقرئ مَا تُؤْمَرُ بِهِ - فان قلت لم شاوره في امر

قَالُوا ابْدُوا لَهُ بُيُوتَنَا فَأَقْوَىٰ فِي الْحَجِيمِ ۖ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ۝ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ

سورة الصافات ٣٧

الجزء ٢٣

ع ٦

لبعض الصوارف - والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد و يكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم عن عيدهم وسوالهم عن الكسر وقولهم قَالُوا فَاَتَوْا بِهِ عَلَىٰ اَعْيُنِ النَّاسِ [وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ] يعزني خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ اَبِي فطَرَ الاصنام - فَاَنْ قُلْتَ كَيْفَ يَكُونُ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ مَخَافًا لِلَّهِ مَعْمُولًا لَهُمْ حَيْثُ اَوْقَعَ خَلْقَهُ وَعَمَلُهُمْ عَلَيْهَا جَمِيعًا - قُلْتَ هَذَا كَمَا يَقَالُ عَمَلُ النُّجَّارِ الْبَابِ وَالْكُرْسِيِّ وَعَمَلُ الصَّائِغِ السَّوَارِ وَالْخُلْخَالِ وَالْمَرَادُ عَمَلُ اشْكَالِ هَذِهِ الْاَشْيَاءِ وَصُورُهَا دُونَ جَوَاهِرِهَا وَالْاَصْنَامِ جَوَاهِرُهَا اشْكَالُ فَخَالِقُ جَوَاهِرِهَا اللَّهُ وَعَامِلُوا اشْكَالَهَا الَّذِينَ يَشْكُلُونَهَا بِنَحْتِهِمْ وَحَذْفِهِمْ بَعْضُ اجْزَائِهَا حَتَّىٰ يَسْتَوِيَ التَّشْكِيلُ الَّذِي يَرِيدُونَهُ - فَاَنْ قُلْتَ فَمَا اَنْكَرْتَ اَنْ تَكُونَ مَا مَصْدَرِيَّةٌ لَا مَوْصُولَةٌ وَ يَكُونُ الْمَعْنَى وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَعَمَلَكُمْ كَمَا تَقُولُ الْمَجْبُورَةُ - قُلْتَ اقْرَبْ مَا يَبْطُلُ بِهِ هَذَا السُّوَالُ بَعْدَ بَطْلَانِهِ بِحُجَّتِ الْعَقْلِ وَالْكِتَابِ اَنْ مَعْنَى الْآيَةِ يَا بَاهُ اَبَاءُ جَلِيًّا وَيَنْبُو عَنْهُ نَبَوًّا ظَاهِرًا وَذَلِكَ اَنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اَحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بَانَ الْعَابِدِ وَالْمَعْبُودِ جَمِيعًا خَلَقَ اللَّهُ فَكَيْفَ يَعْبُدُ الْمَخْلُوقُ الْمَخْلُوقَ عَلَىٰ اَنْ الْعَابِدِ مِنْهُمَا هُوَ الَّذِي عَمِلَ صُورَةَ الْمَعْبُودِ وَشَكَلَهُ وَلَوْلَا لِمَا قَدَّرَ اَنْ يَصُوِّرَ نَفْسَهُ وَيَشْكُلَهَا وَلَوْ قُلْتَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ عَمَلَكُمْ لَمْ تَكُنْ مُحْتَاجًا عَلَيْهِمْ وَلَا كَانَ لِكَلَامِكَ طَبَاقٌ - وَشَيْءٌ آخَرٌ وَهُوَ اَنْ قَوْلَهُ مَا تَعْمَلُونَ تَرْجُمَةٌ عَنْ قَوْلِهِ مَا تَنْجَحُونَ وَمَا فِي مَا تَنْجَحُونَ مَوْصُولَةٌ لَا مَقَالٌ فِيهَا فَلَا يَعْدِلُ بِهَا عَنْ اخْتِلَافِهَا اِلَّا مَتَعَسِفٌ مَتَعَصِبٌ لِمَذْهَبِهِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ وَلَا تَبْصُرَ لِنِظْمِ الْقُرْآنِ - فَاَنْ قُلْتَ اَجْعَلُهَا مَوْصُولَةً حَتَّىٰ لَا يُلْزِمَنِي مَا الزَمْتَ وَارِيدَ مَا تَعْمَلُونَهُ مِنْ اَعْمَالِكُمْ - قُلْتَ بَلِ الْاِثْمَانُ فِي عَنَقِكَ لَا يَفْهَمَانِ اِلَّا الْاِثْمَانُ لِلْحَقِّ وَذَلِكَ اِنْكَ اِنْ جَعَلْتَهَا مَوْصُولَةً فَانَكَ فِي ارَادَتِكَ بِهَا الْعَمَلُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ عَلَى الْمَشْرُوكِينَ كَحَالِكَ وَقَدْ جَعَلْتَهَا مَصْدَرِيَّةً وَايضًا فَانَكَ قَاطِعٌ بِذَلِكَ الْوَصْلَةَ بَيْنَ مَا تَعْمَلُونَ وَمَا تَنْجَحُونَ حَيْثُ تَخَالَفَ بَيْنَ الْمُرَادَيْنِ بِهِمَا فَتَرِيدُ بِمَا تَنْجَحُونَ الْاَعْيَانِ الَّتِي هِيَ الْاَصْنَامُ وَبِمَا تَعْمَلُونَ الْمَعَانِيَ الَّتِي هِيَ الْاَعْمَالُ وَفِي ذَلِكَ فَتُكْ النِّظْمُ وَتَبْتِيرُهُ كَمَا اِذَا جَعَلْتَهَا مَصْدَرِيَّةً [الْحَجِيمِ] النَّارُ الشَّدِيدَةُ الْوَقُودُ - وَقِيلَ كُلُّ نَارٍ عَلَى نَارٍ وَجَمْرٌ فَوْقَ جَمْرٍ فَهِيَ حَجِيمٌ وَالْمَعْنَى اَنْ اللَّهَ تَعَالَى غَلَبَهُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَقَامَيْنِ جَمِيعًا وَاذْهَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ اَرَادُوا اَنْ يَغْلِبُوهُ بِالْحُجَّةِ فَلَقْنَاهُ اللَّهَ وَالْهَمَّةُ مَا الْقَمِيمُ بِهِ الْحَجَرُ وَقَهَرَهُمْ فَمَالُوا اِلَى الْمَكْرِ فَاَبْطَلَ اللَّهُ مَكْرَهُمْ وَجَعَلَهُمُ الْاَذْلَيْنِ الْأَسْفَلَيْنِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ * اَرَادَ بِذَهَابِهِ اِلَى رَبِّهِ مَهَاجَرَتَهُ اِلَى حَيْثُ اَمْرَةٌ بِالمَهَاجَرَةِ اِلَيْهِ مِنْ اَرْضِ الشَّامِ كَمَا قَالَ اِنِّي مَهَاجِرٌ اِلَى رَبِّي [سَيِّدَيْنِ] سَيَّرَشْدَنِي اِلَى مَا فِيهِ صَلاَحِي فِي دِينِي وَبِعَصْمَتِي وَدِرْفَتِي كَمَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَّا اِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِيْنِي كَانَ اللَّهُ وَعْدُهُ وَقَالَ لَهُ سَاهِدِيكَ فَاَجْرِي كَلَامَهُ عَلَى سَنَنِ مَوْعِدِ رَبِّهِ - اَوْ بَذَاهُ عَلَى عَادَةِ اِلَهٍ مَعَهُ فِي هِدَايَتِهِ وَارْشَادِهِ - اَوْ اَظْهَرَ بِذَلِكَ تَوَكُّلَهُ وَتَفْوِيضَهُ اَمْرَهُ اِلَى اللَّهِ وَلَوْ قَصِدَ الرِّجَاءُ وَالطَّمَعُ لَقَالَ كَمَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَسَى رَبِّي اَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءٌ

النَّجْمِ ۖ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝ فَرَاغَ إِلَى إِلَهِهِمْ فَقَالَ لَا تَأْكُلُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ۝
فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۝ فَاقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ۝ قَالَ أَعْبُدُونِ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝

بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره [في النجوم] في علم النجوم - او في كتابها - او في احكامها - وعن بعض الملوك انه سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه و محتاج انظر له و كتاب انظر فيه كان القوم نجامين فاورهم انه استدال بامارة في علم النجوم على انه يسقم [فقال اني سقيم] اي مشارف للسقم وهو الطاعون و كان اغلب الاسقام عليهم و كانوا يخافون العدوى ليعتدوا عنه فهربوا منه الى عيدهم و تركوه في بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام ما فعل - فان قلت كيف جاز له ان يكذب - قلت قد جوزه بعض الناس - في المكيدة في الحرب - والتقية - و ارضاء الزوج - و الصلح بين المتخاصمين - و المتهاجرين - و الصحيح ان الكذب حرام الا اذا عترض و دعى و الذي قاله ابراهيم صلوات الله عليه معراض من الكلام و لقد نوى به ان من في عنقه الموت سقيم و منه المثل كفى بالسلامة داء و قول لبيد * ع * فدعوت ربي بالسلامة جاهدا * ليصحتني فاذا السلامة داء * و قد مات رجل فجاءة فالتفت عليه الناس و قالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي صحيح من الموت في عنقه - و قيل اراد اني سقيم النفس لكفرهم [فراغ الى الهتهم] فذهب اليها في خفية من روعة الثعلب - الى الهتهم الى اصنامهم اللتي هي في زعمهم الهة كفواه اين شركائي [الا تاكلون ما لكم لا تظفون] استهزاء بها و بانحطاطها عن حال عبديتها [فراغ عليهم] فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضرهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم - او فراغ عليهم ضربا - او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا - و قرى سقفا و معناهما الضرب و معنى [ضربا باليمين] ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين و اشدهما - و قيل بالقوة و المتانة - و قيل بسبب الحلف و هو قوله قال الله لا يكذبن اصنامكم [يزفون] يسرعون من زفيف النعام - و يزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حملة على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا - و يزفون على البقاء للمفعول اي يحملون على الزفيف - و يزفون من وزف يزف اذا اسرع - و يزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفون بعضها لتسارعهم اليه - فان قلت بين هذا و بين قوله قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه و يوقعوا به و ذكر ثمه انهم سألوا عن الكسر حتى قيل لهم سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله هو الكسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها و في الاخر انهم استدلوا بذمه على انه الكسر - قلت فيه وجهان - احدهما ان يكون الذين ابصروه و زفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم و كبرائهم فلما رجع الجمهور و العلية من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها لتبرك عليه و رآوها مكسورة اشمازوا من ذاك و سألوا من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه اولئك الغفر نائمة صريحة و لكن على سبيل التورية و التعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم

سورة الصف ٣٧

الجزء ٢٣

ع ٦

وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۖ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعِلْمَيْنِ ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ إِنَّهُ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۖ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ۖ وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِابْرَاهِيمَ ۖ إِذْ جَاءَهُ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۖ إِذْ قَالَ
لِإِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۖ أَفُفَّكَ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تَتَرَدَّدُونَ ۖ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ فَذَظَرَ نَظْرَةً فِي

وبغيته من نصرته على أعدائه و الانتقام منهم بابلغ ما يكون [هُمُ الْبَاقِينَ] هم الذين بقوا وخدمهم وقد
فني غيرهم - فقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير واده - او هم الذين بقوا متذاسلين الى
يوم القيمة - قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة اولاد - سام - و حام - و يافث -
فسام ابو العرب و فارس و الروم - و حام ابو السودان من المشرق الى المغرب - و يافث ابو الترك و
ياجوج و ماجوج [وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ] من الامم - هذه الكلمة وهي [سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ] يعني يسلمون
عليه تسليما و يدعون له و هو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة أنزلناها - فان قلت فما معنى قوله
[فِي الْعِلْمَيْنِ] - قلت معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا و ان لا يخلو احد منهم منها كانه قيل
ثبت الله التسليم على نوح و آدمه في الملكة و الثقلين يسلمون عليه عن اخرهم - علق مجازاة نوح عليه
السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره و تسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بانه كان محسنا - ثم علق
كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليذكر جلاله محل الايمان و انه القصارى من صفات المدح و التعظيم
و يرفعك في تحصيله و الازدياد منه [مِنْ شَيْعَتِهِ] ممن شايعة على اصول الدين و ان اختلفت شرائعها -
او شائعة على التصلب في دين الله و مصابرة المكذبين - و يجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر
الاشياء - و عن ابن عباس من اهل دينه و على سنته و ما كان بين نوح و ابراهيم الانبياء هود و صالح و
كان بين نوح و ابراهيم الفان و ستمائة و اربعون سنة - فان قلت بم تعلق الظرف - قلت بما في الشيعة
من معنى المشائعة يعني و ان ممن شايعة على دينه و تقواه حين جاءه ربه بقلب سليم لابراهيم - او
بمخدوف و هو اذكر [بِقَلْبٍ سَلِيمٍ] من جميع أفات القلوب - و قيل من الشرك و لا معنى للتخصيص
لانه مطلق فليس بعض الافات اولى من بعض فتناولها كلها - فان قلت ما معنى المجيء بقلبه ربه -
قلت معناه انه اخلص لله قلبه و عرف ذلك منه فضرَبَ المجيء مثلا لذلك - [أَفُفَّكَ] مفعول له تقديره
اتريدون الهة من دون الله افك و انما قدم المفعول على الفعل للعناية و قدم المفعول له على المفعول به
لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك و باطل في شركهم - و يجوز ان يكون افك مفعولا به يعني
اتريدون افك ثم فسر الافك بقوله الهة من دون الله على انها افك في انفسها - و يجوز ان يكون حالا بمعنى
اتريدون الهة من دون الله افكين [فَمَا ظَنُّكُمْ] بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان رباً للعالمين استحق
عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام و المعنى انه لا يقدر في وهم و لا ظن ما يصدق عن
عبادته - او فَمَا ظَنُّكُمْ به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا - او فَمَا ظَنُّكُمْ به ما ذا يفعل

فَانَّهُمْ لَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۖ ثُمَّ اِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۖ ثُمَّ اِن مَّرْجِعَهُمْ
لَآِلَى الْجَحِيمِ ۖ اِنَّهُمْ اَلْفَوْا اَبَاءَهُمْ مَّالِينَ ۖ فَهُمْ عَلَىٰ اَنْفُسِهِمْ يَهْرِعُونَ ۖ وَ لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ اَكْثَرُ
الْاُولَئِينَ ۖ وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ۖ اِلَّا عِبَادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِينَ ۖ
وَ لَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنَعْمَ الْمُجِيبُونَ ۖ وَ نَجِّنْهُ وَ اَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۖ وَ جَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۖ

يخلطه خير فيقولون في القديح الصورة كاذبه وجه شيطان كانه رأس شيطان واذا صورة المصورون جاؤا بصورته
على اقبح ما يقدر واهوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنه
قال الله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخيلي - وقيل الشيطان حية عرفاء لها صورة
قبيحة المنظر هائلة جدا - وقيل ان شجرة يقال له الاسن خشبا مفتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره
رؤس الشياطين وما سميت العرب هذا الثمر برؤس الشياطين الا قصدا الى احد التشبيهين ولكنه
بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثالثا يشبه به [منها] من شجرة اي من طلعا فمالئون بطونهم لما يغلبهم
من الجوع الشديد - او يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش
فيسقون شرابا من غساق او صديد - شوبه اي مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال
في صفة شراب اهل الجنة و مزاجه من تسنيم - وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به و الاول تسمية
بالمصدر - فان قلت ما معنى حرف التراخي في قوله [ثم ان لهم عليها لشوبا] وفي قوله [ثم ان مرجعهم] -
قلت في الاول وجهان - احدهما انهم يملأون البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا
يسقون الا بعد ملي تعديبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احتر وهو الشراب المشوب بالحميم - والثاني
انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكرة وابشع فجاء بتم للدلالة على تراخي حال
الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه - ومعنى الثاني انهم يذهب بهم عن مقامهم
ومنازلهم في الجحيم وهي الدرجات التي اُسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى ان يتملأوا ويسقون بعد
ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بيتن - و قرئ ثم ان منقلبهم - ثم ان مصيرهم - ثم
ان منقلبهم الى الجحيم - علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين واتباعهم
اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل - والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا - وقيل اسراع فيه شبه
بالرعدة * [ولقد ضل قبلهم] قبل قومك قريش [منذرين] انبياء حذروهم العواقب [المنذرين] الذين انذروا وحذروا
اي اهلكوا جميعا [الا عباد الله] الذين امنوا منهم و اخلصوا لله دينهم - او اخلصهم الله لدينه على القراءتين *
لما ذكر ارسال المنذرين في الاسم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذاك ذكر نوح ودعائه آية حين
ايس من قومه - واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره
قوالله لنعم المجيبون نحن والجمع داليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبذاه احسن الاجابة واصلها الى مراده

هورة الصفحت ٣٧

الجزء ٢٣

ع ٥

تَاللهِ اِنْ كِدْتَ تَدْرِيْنَ ۝ وَ لَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمَحْضَرِيْنَ ۝ اَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتَيْنِ ۝ اِلَّا مَوْتَنَا الْاَوَّلِ
وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِيْنَ ۝ اِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ۝ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُوْنَ ۝ اَذَلِكْ خَيْرٌ نُّزْلًا اَمْ شَجَرَةُ
الزَّقُوْمِ ۝ اِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِيْنَ ۝ اِنهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيْ اَصْلِ الْجَحِيْمِ ۝ طَلْعَهَا كَاَنَّهُ رُؤْسُ الشَّيْطَانِ ۝

سواء الجحيم [في وسطها يقال تعبدت حتى انقطع سوائي - وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كذبت
اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي [ان] مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل
على كان ونحوه ان كاد ليضلنا - واللام هي الفارقة بينها وبين الثانية - والارداء الاهلاك - وفي قراءة عبد
الله لتغوين - [نعمة ربّي] هي العصمة والتوفيق في الاستمسك بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء
وانعام الله بالثواب وكونه من اهل الجنة [من المحضرين] من الذين احضروا العذاب كما احضرته
انت وامثالك * الذي عطف عليه الغاء محذوف معناه نحن مخلدون منعمون [فما نحن بمبيتين]
ولا معذبين - وقرئ بمائتين والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم
باعمالهم ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة - وقيل لبعض
الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثنا بنعمة الله واعتباطا بحاله
وبمسمع من قريبه ليكون توبخا له يزيد به تعذبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفًا وراجيًا - ويجوز ان يكون
قولهم جميعا - وكذا قوله [ان هذا هو الفوز العظيم] اي ان هذا الامر الذي نحن فيه - وقيل هو من
قول الله عز وجل تقريرًا لقولهم وتصديقًا له - وقرئ هو الرزق العظيم وهو ما رزقه من السعادة * تمت
قصة المؤمن وقريبه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال [اذلك] الرزق [خير نزلًا] اي خير حاصلًا [ام شجرة
الزقوم] - واصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل
الرزق المعلوم اللذة والسودر وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم - وانتصاب نزلًا على التمييز - ولك ان تجعله
حالا كما تقول ائمر النخلة خير بلحًا ام رطبًا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم
شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلًا - والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم كما
يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الازل ان للرزق المعلوم نزلًا ولشجرة الزقوم نزلًا فايهما خير نزلًا
ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون
ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبخًا على سوء اختيارهم [فتنة للظالمين] محنة وعذابا لهم في
الآخرة - او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف تكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا - وقرئ
نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم و اغصانها ترتفع الى دركاتنا - والطاع للنخلة فاستعير
لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية و شبه برؤس الشيطان دلالة على
تفاهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ أَيْ قَرِينٌ * يَقُولُ إِنَّكَ بَرٍّ إِثْقَارٌ *
وَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلَعُونَ * فَأُطْلِعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ * قَالَ

دمه كله و نزحت الركبة حتى نزلتها اذا لم تترك فيها ماء و في امثالهم اجبن من المنزف ضرطا -
و قرى يَنْزِفُونَ من انزف الشارب اذا ذهب عقله او شرابه قال * شعر * لعمري لئن انزفتم او صحتم * لهدس
الغدامي كنتم آل ابجوا * و معناه صارذا نزف و نظيره اقشع السحاب و قشعته الريح و كتب الرجل و كببته
و حقيقتهما دخلا في القشع و الكتب - و في قراءة طلحة بن مصرف يَنْزِفُونَ بضم الزاي من نزف يَنْزِفُ
كَقَرَبٍ يَقْرُبُ اذا سكر و المعنى لا فيها فساد قط من انواع الفساد اللتي تكون في شرب الخمر من مغص او
صداع او خمار او عريضة او لغو او تأثيم او غير ذلك و لا هم يسكرون و هو اعظم مفسدها فافرزه و افردة بالذكر *
[قُصِرَتْ الطَّرْفُ] قصرون ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله تعالى عُرْبًا - و العَيْنُ
الْمُجَلَّ الْعُيُونُ شَبَّهْنَ بَدِيضِ النِّعَامِ المكنون في الاداجي و بها تشبه العرب النساء و تسميهم بديضات الخدور -
فان قلت علام عطف قوله [فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ] - قلت على يُطَافُ عَلَيْهِمْ و المعنى يشربون
فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال * شعر * و ما بقيت من اللذات الا * احاديث الكرام على المدام *
فيقبل بعضهم على بعض [يَتَسَاءَلُونَ] عما جرى لهم و علمهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة الله في
اخباره * قرى [مِّنَ الْمُصَدِّقِينَ] من التصديق - و مِّنَ الْمُصَدِّقِينَ مشدد الصاد من التصديق - و قيل نزلت
في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدي بعض اخوانه فقال و اين مالك قال تصدقت به
ليعوضني الله في الآخرة خيرا منه فقال انك لمن الْمُصَدِّقِينَ بيوم الدين او من الْمُصَدِّقِينَ لطلب الثواب
والله لا اعطيك شيئا * [اَمْدِيدُونَ] لمجزيون من الدين و هو الجزء - او لمُسُوْسُونَ مريدون يقال دانه ماسه
و منه الحديث العاقل من دان نفسه * [قَالَ] يعني ذلك القائل [هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلَعُونَ] الى النار لا ريكم
ذلك القرين - قيل ان في الجنة كُوفَى ينظر اهلها منها الى اهل النار - و قيل القائل هو الله عز وجل -
و قيل بعض الملئكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان نطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار -
و قرى مُّطْلَعُونَ فَاُطْلِعَ - و فَاُطْلِعَ بالتشديد على لفظ الماضي و المضارع المنصوب - و مُّطْلَعُونَ
فَاُطْلِعَ - و فَاُطْلِعَ بالتخفيف على لفظ الماضي و المضارع المنصوب يقال طالع علينا فلان و اطاع و اطلع
بمعنى واحد و المعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا - او عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه
فاطلع هو بعد ذلك - و ان جعلت الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعههم و هو من
اداب المجالسة ان لا يستبد بشيء دون جلسائه فكانهم مُّطْلَعُونَ - و قيل الخطاب على هذا للملئكة - و قرى
مُّطْلَعُونَ بكسر الذون اراد مُّطْلَعُونَ ايأتي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله * ع * هم الفاعلون الخيرو
الأمرونه * او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتأخر بينهما كانه قال تطلعون و هو ضعيف لا يقع الا في الشعر [في

فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١١﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٢﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّمَا نَتَارِكُوا الْهَيْدَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿١٣﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمَ ﴿١٥﴾ وَمَا تَجَزُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿١٨﴾ فَوَاكِهُ ؕ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿١٩﴾ فِي جَنَّاتِ الدَّعِيمِ ﴿٢٠﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٢١﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكُؤُسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٢٢﴾ بَيْضَاءَ لَّدُنْهُ لِلشُّرَبِيِّنَ ﴿٢٣﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٢٤﴾ وَعِنْدَهُمْ قُصِرَتِ الْأَرْفَافُ عِينٌ ﴿٢٥﴾ كَأَنَّهُمْ بِيضٌ مَّنُورُونَ ﴿٢٦﴾

سورة الصف ٣٧

الجزء ٢٣

ع ٥

غَوِيٍّ [فَارِدْنَا اغْوَاءَكُمْ لَتَكُونُوا امثالنا - [فَانْتَهُم] فان الاتباع والمتدوعين جميعا [يَوْمَئِذٍ] يوم القيمة [مُشْتَرِكُونَ] في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية * [إِنَّا] مثل ذلك الفعل [نَفْعَلُ] بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبها * [إِنَّهُمْ كَانُوا] اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها و ابوا الا الشرك [لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ] يعنون مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ [بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ] رد على المشركين [وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ] كقوله مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ * و قرئ لَذَائِقُوا الْعَذَابَ بالنصب على تقدير النون كقوله وَلَا ذَاكِرِ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا بتقدير التثنية - و قرئ على الاصل لَذَائِقُونَ الْعَذَابَ [إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ] الا مثل ما عملتم جزاء سيدنا بعمل سيء [إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ] ولكن عباد الله على الامتناء المنقطع - فسر الرزق المعلوم بالغواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ - و يجوز ان يراد رزق معلوم منعموت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة و لذة و حسن منظر - و قيل معلوم الوقت كقوله وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا - و عن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله فِي جَنَّاتٍ يَأْبَاهُ وقوله [وَهُمْ مُكْرَمُونَ] هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل المدح و التعظيم و هو من اعظم ما يجب ان تتوق اليه نفوس ذوي الهمم كما ان من اعظم ما يجب ان تغفر عنه نفوسهم هوان اهل النار و صغارهم - التقابل اتم للسود و اذس - و قيل لا ينظر بعضهم الى قفابعض * يقال للزجاجة فيها الخمر كأس و يسمى الخمر نفسها كأسا قال * ع * و كأس شربت على لذة * و عن الاخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس [مِنْ مَّعِينٍ] من شراب معين او من نهر معين و هو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون و وصف بما يوصف به الماء لانه يجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال الله تَعَالَى وَانْهَارٍ مِّنْ خَمِرٍ [بَيْضَاءَ] صفة للكأس [لَذَّةٌ] إما ان توصف باللذة كأنها نفس اللذة و عينها - او هي تانيدت اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ و اذيد و وزنه فَعَلَ كقولك رجل طَبَّ قال * واذ قطعتم الصرخدي تركته * بارض العدى من خشية الحداث * يريد الغوم - الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه و افسده و منه الغول اللتي في تكذيب - العرب وفي امثالهم الغضب غول الحام و [يُنْزَفُونَ] على البناء للمفعول من نُزِفَ الشارب اذا ذهب عقله و يقال المسكران نزيف و منزوف و يقال للمطعون نُزِفَ فمات اذا خرج

مُسْتَوُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالُوا
 إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۝ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ۝ بَلْ
 كُنْتُمْ قَوْمًا طَغَيْنَ ۝ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۝ إِنَّا لَذَائِقُونَ ۝ فَأَغْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ۝ فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ

الشياطين - وقيل فساؤهم اللاتي على دينهم [فاهدوهم] فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها * هذا تهكم
 بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين
 [بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ] قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر - وقرئ لا
 تَنَاصَرُونَ - وَلَا تَنَاصَرُونَ بالادغام - الْيَمِينِ لما كانت اشرف العصور وامتدتها و كانوا يتيمنون بها فيها
 يُصَافِحُونَ وَيُمَاسِحُونَ وَيُنَازِلُونَ وَيَنَازِلُونَ وَيُزَالُونَ اكثر الامور ويتشاءمون بالشمال و لذلك سموها
 الشومى كما سموا اخذها اليمنى و تيمنوا بالسنانح وتطيطروا بالبارح و كان الاعسر معيبا عندهم و عضدت
 الشريعة ذلك فاصرت بمباشرة افاضل الامور باليمين و ارادها بالشمال و كان رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم يُحِبُّ التِيَامَنَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَجُعِلَتِ الْيَمِينُ لِكَاتِبِ الْحَسَنَاتِ وَالشَّمَالُ لِكَاتِبِ السَّيِّئَاتِ
 وَوَعَدَ الْمُحْسَنُ أَنْ يُؤْتَى كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ وَالْمُسِيءُ أَنْ يُؤْتَاهُ بِشِمَالِهِ اسْتَعِيرَتِ لِهَيْئَةِ الْخَيْرِ وَجَانِبِهِ فَقِيلَ
 آتَاهُ عَنِ الْيَمِينِ أَيْ مِنْ قِبَلِ الْخَيْرِ وَنَاحِيَّتِهِ فَصَدَّ عَنْهُ وَاضْلَهُ - وَجَاءَ فِي بَعْضِ التَّفْسِيرِ مَنْ آتَاهُ الشَّيْطَانُ
 مِنْ جِهَةِ الْيَمِينِ آتَاهُ مِنْ قِبَلِ الدِّينِ فَلَبَسَ عَلَيْهِ الْحَقُّ وَمَنْ آتَاهُ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ آتَاهُ مِنْ قِبَلِ الشَّهَوَاتِ
 وَمَنْ آتَاهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ آتَاهُ مِنْ قِبَلِ التَّكْذِيبِ بِالْقِيَمَةِ وَبِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَمَنْ آتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ خَوْفُهُ
 الْفَقْرُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى مَنْ يَخْلَفُ بَعْدَهُ فَلَمْ يَصِلْ رَحْمًا وَلَمْ يُؤْتِ زَكَاةً - فَإِنْ قُلْتَ قَوْلُهُمْ آتَاهُ مِنْ جِهَةِ
 الْخَيْرِ وَنَاحِيَّتِهِ مَجَازِي فِي نَفْسِهِ فَكَيْفَ جُعِلَتِ الْيَمِينُ مَجَازًا عَنِ الْمَجَازِ - قُلْتَ مَنْ الْمَجَازُ مَا غَلَبَ فِي
 الِاسْتِعْمَالِ حَتَّى لَحِقَ بِالْحَقَائِقِ وَهَذَا مِنْ ذَلِكَ - وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَهَا مُسْتَعَارَةً لِلْقُوَّةِ وَالْقَهْرِ لِأَنَّ الْيَمِينَ
 موصوفة بالقوة و بها يقع البطش و المعنى انكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة
 حَتَّى تَحْمِلُونَا عَلَى الضَّلَالِ وَتَقْسِرُونَا عَلَيْهِ وَهَذَا مِنْ خُطَابِ الْإِتْبَاعِ لِرُؤُسَائِهِمْ وَ الْغَوَاةِ لِشَيَاطِينِهِمْ [بَلْ
 لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ] بَلْ إِبْيْتُمْ أَنْتُمْ الْإِيمَانَ وَاعْرَضْتُمْ عَنْهُ مَعَ تَمَكُّنِكُمْ مِنْهُ مَخْتَارِينَ لَهُ عَلَى الْكُفْرِ غَيْرَ مَالِحِينَ
 [وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ] تَسْلُطٍ فَسَلَبَكُمْ بِهِ تَمَكُّنَكُمْ وَاخْتِيَارَكُمْ [بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا] مَخْتَارِينَ الطَّغْيَانَ [فَحَقَّ عَلَيْنَا] فَلَزِمْنَا
 [قَوْلُ رَبِّنَا إِذَا لَذَائِقُونَ] يَعْنِي وَعِيدَ اللَّهِ بَأَنَّا ذَائِقُونَ لِعَذَابِهِ لَا مَحَالَةَ لَعَلَّمَهُ بِحَالِنَا وَاسْتَحْقَاقِنَا بِهَا الْعُقُوبَةَ وَ لَوْ
 حَكَى الْوَعِيدَ كَمَا هُوَ لَقَالَ إِنَّكُمْ لَذَائِقُونَ وَلَكِنَّهُ عَدَلَ بِهِ إِلَى لَفْظِ التَّمَكُّنِ لِأَنَّهُمْ مَتَكَلَّمُونَ بِذَلِكَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ
 وَنَحْوَهُ قَوْلُ الْقَائِلِ * ع * لَقَدْ زَعَمْتَ هُوَ أَرْنَ قُلَّ مَالِي * وَ لَوْ حَكَى قَوْلَهَا لَقَالَ قُلَّ مَالِكٍ وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُخَافِ
 لِلْمُخَالِفِ إِحْلَفْ لَخُرْجٍ وَ لَتَخُرْجَنَّ الهمزة لحكاية لفظ الخالف و الذاء لاقبال المخاف على المحلف *
 [فَأَغْوَيْنَكُمْ] فَدَعَوْنَاكُمْ إِلَى الْغِيِّ دَعْوَةً مُحْصَلَةً لِلْبَغْيَةِ لِقَبُولِكُمْ لَهَا وَ اسْتِحْبَابِكُمْ الْغِيَّ عَلَى الرُّشْدِ [إِنَّا كُنَّا

وَيَسْخَرُونَ ۖ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۖ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۖ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۖ وَإِذَا
 مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ؕ إِنَّا أَمَبْعُوثُونَ ۖ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۖ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۖ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ
 وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۖ وَقَالُوا يُؤَيَّلْنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ۖ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۖ أَحْشَرُوا
 الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۖ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۖ وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ

سورة الصفت ٣٧

الجزء ٢٣

ع ٥

الربع

الاضاءة [بَلْ عَجِبْتَ] من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة [وَ] هم [يَسْخَرُونَ] منك ومن تعجبك ومما
 تربهم من آثار قدرة الله - او من انكارهم البعث وهم يَسْخَرُونَ من امر البعث - وقرئ بضم التاء اي بلغ
 من عظم آياتي وكثرة خلائقي اني عجبته منها فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون
 من آياتي - او عجبته من ان يذكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله تعالى بالقدرة
 عليه - فان قلت كيف يجوز العجب على الله وانما هو روعة تعذري الانسان عند استعظامه الشيء والله
 عز وجل لا يجوز عليه الروعة - قلت فيه وجهان - احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام - والثاني ان
 يتخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من آلكم وقوطكم وسرعة اجابته اياكم - وكان
 شريح يقرأ بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعي
 ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم - وقيل معناه قل يا
 مُحَمَّد بَلْ عَجِبْتُ ۖ [وَإِذَا ذُكِّرُوا] ودأبهم انهم اذا وعظوا بشيء لا يتعظون به [وَإِذَا رَأَوْا آيَةً] من آيات
 الله البينة كانشقاق القمر ونحوه [يَسْتَسْخِرُونَ] يبالغون في السخرية - او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر
 منها - وَاَبَاؤُنَا معطوف على محل ان واسمها - او على الضمير في مَبْعُوثُونَ والذي جوز العطف عليه
 الفضل بهمزة الاستفهام والمعنى ابعدت ايضا اباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد
 وابطل - وقرئ اَوْ اَبَاؤُنَا [قُلْ نَعَمْ] - وقرئ نَعَمْ بكسر العين وهما لغتان - وقرئ قَالَ نَعَمْ اي الله او الرسول
 والمعنى نعم تبعثون [وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ] صاغرون [فَإِنَّمَا] جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما [هِيَ
 إِلَّا زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ] وهي لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة موضحها خبرها - ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة
 وهي النفخة الثانية - والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها فريعت لصوته ومنه
 قوله شعر زجر ابي عمرو السباع اذا * اشفق ان يختلطن بالغنم * يريد تصويرته بها [فَإِذَا هُمْ] احياء بصراء
 [يَنْظُرُونَ] * يحتمل ان يكون [هَذَا يَوْمَ الدِّينِ] الى قوله أَحْشَرُوا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض - وان يكون من
 كلام الملئكة لهم - وان يكون يؤيَّلْنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملئكة جوابا لهم - ويوم الدِّينِ
 اليوم الذي ندان فيه اي نجازي باعمالنا - ويوم الفصل يوم القضا والفرق بين فرق الهدى والضلالة [أَحْشَرُوا]
 خطاب الله للملائكة وخطاب بعضهم مع بعض [وَأَزَاجَهُمْ] وضرابهم - عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم
 نُظَرَاؤُهُمْ واشباههم من العصاة اهل الزنا مع اهل الزنا واهل السرقة مع اهل السقة - وقيل مُرَنَّاؤُهُمْ من

إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيَقْدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۖ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ۖ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ۖ بَلْ عَجِبْتَ

من هذين الحذفين غير مردود على انفرادهما فاما اجتماعهما فمفكر من المنكرات على ان صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب - فان قلت اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث - وسمعت اليه يتحدث - وسمعت حديثه - والى حديثه - قلت المعنى بنفسه يفيد الادراك - والمعنى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك و [الْمَلَأِ الْأَعْلَى] الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملاء الاسفل لانهم سكان الارض - وعن ابن عباس هم الكتبة من الملائكة - وعنه اشراف الملائكة [مِنْ كُلِّ جَانِبٍ] من جميع جوانب السماء من اي جهة صعودوا للاستراق [دُحُورًا] مفعول له اي وَيَقْدِفُونَ للدحور وهو الطرد - او مدحورين على الحال - او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون او قذفوا - وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفنا دُحُورًا طردنا او على انه قد جاء مجيء القبول والولوع - والواصب الدائم رصب الامر وصوبا يعني انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع [مَنْ] في محل الرفع بدل من الواد في لَا يَسْمَعُونَ اي لا يسمع الشياطين [إِلَّا] الشيطان الذي [خَطِفَ الْخَطْفَةَ] وقرئ خِطَفَ بكسر الخاء والطاء وتشديد هاء - وخِطَفَ بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديد هاء واصلهما اختطف - وقرئ [فَاتَّبَعَهُ] وفَاتَّبَعَهُ * الهمزة و ان خرجت الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل [فَاسْتَفْتِهِمْ] اي استخبرهم [أَهَمْ أَشَدُّ خَلْقًا] ولم يقل فقرهم والضمير لمشركي مكة - وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلداء وكثي بذلك لشدة بطشه وقوته [أَمْ مَنْ خَلَقْنَا] يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب الذواقب والشياطين المردة وغلب اولى العقل على غيرهم فقال مَنْ خَلَقْنَا والدليل عليه قوله بعد عَذَابُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا بالفاء المعقبة وقوله أَمْ مَنْ خَلَقْنَا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فَاسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ الَّذِي خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ ويقطع به قراءة مَنْ قَرَأَ أَمْ مَنْ عَدَدْنَا بالتخفيف والتشديد - وَأَشَدُّ خَلْقًا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشأة الاخرى وان مَنْ هَاً عَلَيْهِ خَلَقَ هَذِهِ الْخَلَائِقُ العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون - وخلقهم [مِنْ طِينٍ لَازِبٍ] اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة - او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا اِذَا كُنَّا تُرَابًا وَهَذَا الْمَعْنَى يعصده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث - وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول بملائم - وقرئ لَازِمٌ - وَلَازِبٌ والمعنى واحد - وَالثَّاقِبُ الشديد

وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝ لَا يَسْمَعُونَ سورة الصف ٣٧

الجزء ٢٣

٤ ٦

على العكس و كذلك اذا اردت بالصفات الطير و بالزاجرات كل ما يزجر عن معصية و بالتاليات كل نفس تذل الذكر فان الموصوفات مختلفة - و قرى بادغام الذاء في الصاد و الزاي و الذال [رَبُّ السَّمَوَاتِ] خبر بعد خبر - او خبر مبتدأ محذوف - و المشارق ثلثمائة وستون مشرقا و كذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها و تغرب في مغرب و لا تطلع و لا تغرب في واحد يومين - فان قلت فماذا اراد بقوله رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ - قلت اراد مشرقَي الصيف و الشتاء و مغربيهما - [الدُّنْيَا] القريبى منكم - و الزينة مصدر كالنسبة و اسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة و يحتملها قوله [بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ] فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اى بان زانتها الكواكب و اصله بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ - او على اضافته الى المفعول اى بان زان الله الكواكب و حسننها لانها انما زينت السماء لحسنها في انفسها و اصله بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ و هي قراءة ابي بكر و الاعمش و ابن وثاب - و ان اردت الاسم فللاضافة وجهان - ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمه في الكواكب و غيرها مما يزان به - و ان يراد ما زينت به الكواكب - و جاء عن ابن عباس بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ بضوء الكواكب - و يجوز ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا و بنات نعش و الجوزاء و غير ذلك و مطالعها و مسائرهما - و قرى على هذا المعنى بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ بتنوين زِينَةٍ و جر الْكَوَاكِبِ على الابدال - و يجوز في نصب الْكَوَاكِبِ ان يكون بدلا من محل بِزِينَةٍ - [وَحِفْظًا] مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء و حفظا من الشياطين كما قال وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ - و يجوز ان يقدر الفعل المعتل كانه قيل وَحِفْظًا من كل شيطان زيناها بالكواكب - و قيل و حفظناها حفظا - و امارد الخارج من الطاعة المتمسك منها - الضمير في [لَا يَسْمَعُونَ] لكل شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لانه في معنى الشياطين - و قرى بالتخفيف و التشديد و اصله يَتَسَمَعُونَ و التسمع تطأب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع - و عن ابن عباس هم يتسمعون و لا يسمعون و بهذا ينصر التخفيف على التشديد - فان قلت لَا يَسْمَعُونَ كيف اتصل بما قبله - قلت لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شَيْطَانٍ - او استينافا فلا تصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون و لا يتسمعون لا معنى له و كذلك الاستيناف لان سائلا لو سأل لم تحفظ من الشياطين فأجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المستترقة للسمع و انهم لا يقدر ان يسمعوا الى كلام الملكة او يتسمعوا و هم مقدرون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من أمهل حتى خطف خطفة و استترق استراقه فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الذاقب - فان قلت هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يَسْمَعُوا فمحذوف اللام كما حذفت في قولك جئتكم ان تكرموني فبقي ان لا يسمعوا فمحذوف ان و اهدر عملها كما في قول القائل * ع * الا اي هذا الزاجري احضر الوغى * قلت كل واحد

حروفها
٣٩٥١

سورة الصفات مكية وهي اثنان وثمانون آية و خمسة ركوعاً

كلماتها
٨٧٣

سورة الصفات ٣٧

الجزء ٢٣

ع ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَاتِ صَفًا ۝ فَالزُّجَرِ زَجْرًا ۝ فَالتَّلِيَّتِ ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يحياه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبرة وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان - وقال عليه السلام ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس *

سورة الصفات

اقسم سبحانه بطوائف الملائكة او بنفوسهم [الصفات] اقدامها في الصلوة من قوله عز وجل وانا لنحن الصائقون او اجلحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله [فالزجرت] السحاب سوقا [فالتليت] كلام الله من الكتب المنزلة وغيرها - وقيل الصفات الطير من قوله تعالى والطير صفت - والزجرت كل ما زجر عن معاصي الله - والتليت كل من تلا كتاب الله - ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصفات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزجرت بالمواعظ والنصائح فالتليت آيات الله والدارمات شرائعه - او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله اللتي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه - فان قلت ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات - قلت اما ان تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله * شعر * يا لهف زبابة للحارث * الصابح فالغائم فالأثيب * كانه قيل الذي صبح فغم فاب - واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الفضل فالكمل واعمل الاحسن فالاجمل - واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة يندساق امر الفاء العاطفة في الصفات - فان قلت فعلى اي هذه القوانين هي فيما انت بصدده - قلت ان وجدت الموصوف كانت المدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان تلتته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه - بيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جاسعين لها فعطفها فعطفها بالفاء يفيد ترتبها لها في الفضل اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس - وكذلك ان اردت العلماء وقواد الغزاة - وان اجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية والثالثة على آخر فقد افادت ترتب لموصوفات في الفضل اعني ان الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او

مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ۝ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ ۖ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝

سورة يس ٣٦
الجزء ٢٣
ع ٣

المرخ والعفار وفي امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما عصيتين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فتندح النار باذن الله تعالى - وعن ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها النار الا العذاب قالوا لذلك تتخذ منه كذبيقات القصارين - الاخضر على اللفظ - وقرئ اخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شانها فهو على خلق الاناسي اقدر وفي معناه قوله تعالى لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ - وقرئ يَقْدِرُ - وقوله [أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ] يحتمل معنيين - ان يخلق مثلهم في الصغر والقماء بالاضافة الى السموات والارض - او ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدأ وليس به [وَهُوَ الْخَلَّاقُ] الكثير المخلوقات [الْعَلِيمُ] الكثير المعلومات - وقرئ الْخَلِّاقُ * [إِنَّمَا أَمْرُهُ] انما شانه [إِذَا أَرَادَ شَيْئًا] اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف [أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ] ان يكونه من غير توقف [فَيَكُونُ] فيحدث اي فهو كائن موجود لا محالة - فان قلت ما حقيقة قوله أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ - قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وانه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه امر الامر المطاع - فان قلت فما وجه القراءتين في فَيَكُونُ - قلت اما الرفع فلانها جملة من مبتدأ وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي امرة ان يَقُولَ لَهُ كُنْ - واما النصب فللعطف على يَقُولَ والمعنى انه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امرة وهو القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة * [فَسُبْحَانَ] تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا - [بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ] هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته - وقرئ مَلَكَةُ كُلِّ شَيْءٍ - وَمَلَكَةُ كُلِّ شَيْءٍ - وَمَلِكُ كُلِّ شَيْءٍ والمعنى واحد [تُرْجَعُونَ] بضم التاء - وفتحها - وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايمنا مسلم قرئ عذبه اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفنا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته يصلون عليه ويشهدون دفنه وايمنا مسلم قرأ يس وهو

أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُم

كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا الا ترى الى قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين - ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر - قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه و ابلغ و ادل على تمادي كفر الانسان و انراطه في جمود النعم و عقوق الايادي وتوغل في الخمسة وتغلغل في القحة حيث قرره بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس شيء وامهنة وهو النطفة المدرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءة اوله لمخاصمة الجبار و يبرز صفحته لمجادلته و يركب متن الباطل و يلج و يحك و يقول من يقدر على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصقة به وهو كونه منشأ من موات وهو يذكر انشاءه من موات وهي المكابرة اللتي لا مطمح وراءها - وروي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجهمي و ابو جهل و العاص بن رائل و الوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه و لا خصمته و اخذ عظما باليا فجعل يقذه بيده وهو يقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وآله وسلم نعم و يبعثك و يدخلك جهنم - وقيل معنى قوله [فإذا هو خصيم مبين] فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال او من ينشؤني الحلية وهو في الخصام غير مبين - فان قلت لم سمي قوله [من يحيي العظام وهي رميم] مثلا - قلت لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله على احياء الموتى - او لما فيه من التشبيه لان ما انكره من قبيل ما يوصف الله تعالى بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله و تشبيها له بخلقه في انهم غير موصوفين بالقدرة عليه - والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة و الرفات فلا يقال لم لم يؤنت وقد وقع خبرا لمؤنت و لا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول - ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحيوة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحيوة تحلها - واما اصحاب ابي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون ان الحيوة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس [وهو بكل خلق عليم] يعلم كيف يخلق لا يتعاضمه شيء من خالق المنشآت و المعدادات و من اجناسها و انواعها و جلالها و دقائقها - ثم ذكر من بدائع خلقه انقذاح الذار من الشجر الاخضر مع مضادة الذار الماء و انطفائها به وهي الزناد التي توري بها الاعراب و اكثرها من

وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ۝
لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ ۝ فَلَا يُحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ ۖ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝

سورة يس ٣٦

الجزء ٢٣

ع ٣

يقدر على توليته غيرنا و انما قال ذلك لبدائع الفطرة و الحكمة فيها اللتي لا يصح ان يقدر عليها الا هو -
وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي [فهُمْ لَهَا مَالِكُونَ] اي خلقناها لاجلهم فملكناها
اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون - او فهم لها ضابطون قاهرون من
قوله • شعر • اصبحك لا احمل السلاح • ولا • املك رأس البعير ان نفراً • اي لا اضبطه وهو من جملة النعم
الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذييله و تسخيره لها كما قال القائل • شعر • يصرفه الصبي بكل وجه •
ويحبسه على الخسف الجري • و تضربه الوليدة بالهراوى • فلا غير لديه ولا نكير • ولهذا الزم الله سبحانه
الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْرِنِينَ - و قرئ [رَكُوبُهُمْ] -
و رَكُوبَتُهُمْ وهما ما يركب كالخلوب و الخلوقة - وقيل الركوبة جمع - و قرئ رَكُوبُهُمْ اي ذو ركوبهم - او فمن
منافعها ركوبهم - [مَنَافِعُ] من الجلود و الاوبار و الاصواف و غير ذلك [وَمَشَارِبُ] من اللبن ذكرها
مجملة وقد فصلها في قوله وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا الْآيَةَ - والمشارب جمع مشرب وهو موضع
الشرب او الشرب • اتَّخَذُوا الْإِلَهَةَ طمعاً في ان يتقوا بهم و يعتضدوا بمكانهم و الامر على عكس ما قدروا
حيث هم جند لآلهتهم معدون مُحَضَّرُونَ يحضرونهم و يذبتون عنهم و يغضبون لهم و الالهة لا استطاعة بهم
ولا قدرة على النصر - او اتَّخَذُوهُمْ لينصروهم عند الله و يشفعوا لهم و الامر على خلاف ما توهموا حيث
هم يوم القيمة جند معدون لهم مُحَضَّرُونَ لعذابهم لانهم يجعلون وقوداً للنار - و قرئ [فَلَا يُحْزَنُكَ] بفتح الياء
و ضمها من حزنه و احزنه والمعنى فلا يهتك تكذيبهم و اذاهم و جفاؤهم فاناً عالمون بما يسرون من عداوتهم و ما يعلنون
وانا مجازوهم عليه فحق ذلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله و حالهم في الآخرة حتى
ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن - فان قلت ما تقول فيمن يقول ان قرأ قارئ اَنَا نَعْلَمُ بالفتح انتقضت صلوته و
ان اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر - قلت فيها وجهان - احدهما ان يكون على حذف لام التعليل وهو
كثير في القرآن وفي الشعر وفي كل كلام و قياس مطرد وهذا معناه و معنى الكسر سواء و عليه تلبية رسول
الله صلى الله عليه و آله و سلم ان الحمد والنعمة لك كسر ابو حنيفة و فتح الشافعي و كلاهما تعليل - و
الثاني ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون و ما يعلنون وهذا المعنى قائم مع
المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله عالما و عدم تعلقه لا يدوران على
كسر ان و فتحها و انما يدوران على تقدير فتفصل ان فتحت بأن تقدر معنى التعليل و لا تقدر البديل
كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت و لا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحاً على
ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الانهي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن الحزن على

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ۖ لِيُذْهِبَ عَنْ كَأَن حَيًّا وَيُحِقِّ الْقَوْلَ عَلَيْهِ
الْكَافِرِينَ ۖ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۖ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ

حتى يرجع في حال شببيه بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال عز وجل وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا - ثُمَّ رَدَّاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ وهذه دلالة على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا الفقل وعكسه قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسحهم على مكاتهم ويفعل بهم ما شاء و اراد - وقرئ بكسر الكاف - [نُفِكَسَ] - و نُفِكَسَ مِنَ التَّنَكُّيسِ وَالْإِنْكَاسِ [أَفَلَا يَعْلَمُونَ] بالتاء والياء * كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاعر - وروي ان القائل عقبة بن ابي معيط ف قيل [وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ] اي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء و اين هو عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مفقئ يدل على معنى فاين الوزن و اين التقفية و اين المعاني اللتي ينتحيا الشعراء عن معانيه و اين نظم كلامهم عن نظمه و اساليبه فاذن لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حَقَّقْتَ اللَّهُمَّ الا ان هذا لفظه عربي كما ان ذلك كذلك [وَمَا يَنْبَغِي لَهُ] وما يصح له ولا ينطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه امياً لا يتهدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبتة والشبهة انحص - وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له - فان قلت فقله - انا النبي لا كذب - انا ابن عبد المطلب - و قوله - هل انت الا اصبع دميت - وفي سبيل الله ما لقيت - قلت ما هو الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزوناً كما يتفق في كثير من انشأت الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة ولا يسميها احد شعراً ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع انه شعروا اذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في اوزان البحور غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعراً ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال [إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ] يعني ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن كما قال إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ وما هو الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين [لِيُذْهِبَ] القرآن او الرسول - وقرئ لِيُذْهِبَ بالتاء - وَلِيُذْهِبَ مَنْ نَذِرَ بِهِ اِذَا عَلِمَهُ [مَنْ كَانَ حَيًّا] اي عاقلاً متآملاً لان الغافل كالميت - او معلوماً منه انه يؤمن فيحیی بالایمان [وَيُحِقِّ الْقَوْلَ] و تجب كلمة العذاب [عَلَى الْكَافِرِينَ] الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان [مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا] مما تولينا نحن احداثه ولم

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝ اِصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ افْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا اَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ اَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ اَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَانْطَلَقُوا ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ۝ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ۝ اَفَلَا يَعْقِلُونَ ۝

سورة يس ٣٦
الجزء ٢٣
ع ٣

الذي ليس بعده هذا فيما اظن قول نافع غير ضار توبخنا له على الاعراض عن نصائحه - قرى جبلا بضميتين - وضمة وسكون - وضميتين وتشديدة - وكسرتين - وكسرة وسكون - وكسرتين وتشديدة - وهذه لغات في معنى الخلق - وقرى جبلا جمع جبلة كفطر وخلق - وفي قراءة علي رضي الله عنه جبلا واحدا الاجبال * يروى انهم يجحدون و يخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم و اهاليهم و عشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم و ارجلهم - وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة اني لا اجيز علي شاهد الا من نفسي فيختم على فيه و يقال لاركانه انطقي فتدطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن و سحقا فعنكن كنت اناضل - و قرى يختم على افواههم و تكلم ايديهم - و قرى و لتكلمنا ايديهم و تشهد بلام كي و النصب على معنى و لذلك نختم على افواههم - و قرى و تكلمنا ايديهم و تشهد بلام الامر و الجزم على ان الله يأمر الاعضاء بالكلام و الشهادة - الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة [فاستبقوا الصراط] لا يخلو من ان يكون على حذف الجار و ايصال الفعل و الاصل فاستبقوا الى الصراط - او يضمن معنى ابتدروا - او يجعل الصراط مسبوqa لا مسبوqa اليه - او ينتصب على الظرف والمعنى على انه لو شاء لمسح اعينهم فلو راموا ان يستبقوا الى الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه الى مساكنهم و الى مقاصدهم المألوفة التي تردوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه ساعدين في متصرفاتهم موضعين في امور دنياهم لم يقدرزوا و تعابا عليهم ان يبصروا و يعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره - او لو شاء لاعماهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقيين في الطريق المألوف كما كان ذلك هجيرا لهم لم يستطيعوا - او لو شاء لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا و لم يعرفوا طريقا يعزي انهم لا يقدرزون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق و المسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا و ضروا به من المقاصد دون غيرها * [على مكانتهم] - و قرى على مكانتهم و المكانة و المكان واحد كالمقامة و المقام اي لمسخناهم مسخا يجدهم مكانهم لا يقدرزون ان يبرحوه باقبال و لا اذار و لا مضى و لا رجوع - و اختلف في المسخ - فعن ابن عباس لمسخهم قردة و خنازير - و قيل حجارة - و عن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم و ازمناهم - و قرى [مضيا] بالحركات الثلاث فالمضى و المضى كالعتي و العتي و المضى كالصبي * نكسه في الخلق نقله فيه فخلقه على عكس ما خلقناه من قبل و ذلك انا خلقناه على ضعف في جسد و خلو من عقل و علم ثم جعلناه يتزايد و ينتقل من حال الى حال و يرتقي من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشد و يستكمل قوته و يعقل و يعلم ماله و ما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص

هُمْ وَازْوَاجُهُمْ فِي ظُلُلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ ﴿١٠﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿١١﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿١٢﴾ وَامْتَّازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤﴾ وَإِنْ اعْبُدُونِي ۖ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾

فِي ظُلُلٍ - والاركة السرير في الحجرة - وقيل الفراش فيها - وقرأ ابن مسعود مُتَكِنِينَ [يَدْعُونَ] يفتعلون من الدعاء اي يَدْعُونَ بِهِ لَانْفُسِهِمْ كَقَوْلِكَ اشترى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد * ع * فاشتوى ليلة ربيع واجتمل • ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه و تراموه - وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى - قل الزجاج وهو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة يأتينهم - و [سَلَامٌ] بدل من مَا يَدْعُونَ كانه قال لهم سلام يقال لهم [قَوْلًا مِنْ] جهة [رَبِّ رَحِيمٍ] والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونهم - قال ابن عباس والملكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين - وقيل مَا يَدْعُونَ مبتدأ وخبره سَلَامٌ بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ سَلَامٌ اي عدة من رَبِّ رَحِيمٍ والوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو من محارة - و قرئ سَلَامٌ وهو بمعنى السلام في المعنيين - وعن ابن مسعود سَلَامًا نصب على الحال اي لهم مرادهم خالصا * [وَامْتَّازُوا] وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة - ونحوه قوله تعالى وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئذٍ يَنفَرُ قَوْمٌ ﴿١٧﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ أَمْذَوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٨﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا الْآيَةُ يُقَالُ مَازَهُ فَاُفْمَازَ وامتاز - وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير - وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز من بعض * العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل السمع - وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم - و قرئ اَعْهَدَ بكسر الهمزة وباب فَعَلَ كله يجوز في حروف مضارعة الكسر الا في الياء - و اَعْهَدَ بكسر الهاء - وقد جوز الزجاج ان يكون من باب نَعِمَ يَنْعِمُ وَضَرَبَ يَضْرِبُ وَ اَحْهَدَ بِالْحَاءِ وَ اَحَدٌ وَ هِيَ لُغَةٌ تَمِيمٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ دَحَاً مَحَاً - [هَذَا] اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه ونحو التذكير فيه ما في قول كَثِيرٌ * شعر * لئن كان يهدى برد انيابها العلى * لانقر مني انذي لفقير * اراد انني لفقير ببلغ الفقر حقيق بان اوصف به لكمال شرائطه في و الا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ يريد صراط بليغ في باب بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه - ويجوز ان يراد هذا بعض الصراط المستقيمة توبخا لهم على انعدول عنه و اتفادي عن سلوكه كما يتفادي الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي الى الضلالة والتهلكة كانه قيل اقل احوال الطريق الذي هو اقوم الطرق ان يعتمد فيه كما يستند في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصيح البليغ

هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٠﴾ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥١﴾
فَالْيَوْمَ لَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٣﴾

ع ٢٠

الخبر ابي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم - و عن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم
فاذا صبح باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملكة عن ابن عباس - و عن الحسن
كلام المتقين - و قيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا -
فان قلت اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود
والمصدق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة - قلت تقديره هذا
الذي وعده الرحمن و الذي صدقه المرسلون بمعنى و الذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوا الحديث
والقتال و منه صدقني سن بكرة - فان قلت من بعثنا من مرقدا سوال عن الباعث فكيف طابقة
ذلك جوابا - قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث و انبأكم به الرسل الا انه حي و به على
طريقة سيئت بها قلوبهم و تعيدت اليهم احوالهم و ذكروا كفرهم و تكذيبهم و اخبروا بوقوع ما انذروا به و كأنه
قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه و هو بعث الذائم من مرقدة حتى يهتمكم السؤال عن الباعث ان
هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال و الانفراع و هو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على السفة رسله الصادقين •
[إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً] قرئت منصوبة و مرفوعة [فَالْيَوْمَ لَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا - إِنْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ]
حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم و في مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود و تمكين له في النفوس
و ترغيب في الحرص عليه و على ما يثمره - فِي شُغُلٍ فِي أَيِّ شُغْلٍ و في شغل لا يوصف و ما ظنك بشغل
من سعد بدخول الجنة اللتي هي دار المتقين و وصل الى ذيل تلك الغبطة و ذلك الملك الكبير
و النعيم المقيم و وقع في تلك الملائة اللتي اعدّها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة
و تعظيم و ذلك بعد الواء و الصداقة و التفصي من مشاق التكليف و مضائق التقوى و الخشية و تخطي
الاهوال و تجاوز الاخطار و جواز الصراط و معاينة ما لقي العصابة من العذاب - و عن ابن عباس في اقتضااض
الابكار - و عذبه في ضرب الاوتار - و عن ابن كيسان في التزاور - و قيل في ضيافة الله - و عن الحسن شغلهم عما فيه
اهل النار التذم بما هم فيه - و عن الكلبي هم في شغل عن اهل اليهم من اهل النار لا يهتم امرهم ولا
يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم - قرئ في شُغْلٍ بضمين - و ضمة و سكون - و فتحين - و فتحة
و سكون - و الفاكهة و الفكة المتذم المتلذذ و منه الفاكهة لانه مما يتلذذ به و كذلك الفاكهة و هي المزاحة -
و قرئ [فَاكِهُونَ] و فَاكِهُونَ بكسر الكاف و ضمها كقولهم رجل حدث و حدث و نطس و نطس - و قرئ فَاكِهُونَ
و فَاكِهُونَ على انه حال و الظرف مستقر [هُمْ] يحتمل ان يكون مبتدأ - و ان يكون تاييدا للضمير في فِي شُغْلٍ
و في فَاكِهُونَ على ان اراجهم يشاركونهم في ذلك الشغل و التذم و الانتكاء على الاراتك تحت الظلال - و قرئ

سورة يس ٣٦

الجزء ٢٣

ع ٢

١٢

آيَةٌ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ
 آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ أَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ قُلْ إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ۝ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
 يَرْجِعُونَ ۝ وَنَفِخْ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ۝ قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ۝

بَيَّنَّ أَيْدِيَهُمْ وَمَا خَلَقَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ - وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم و ما تأخر - وعن قتادة مَا
 بَيَّنَّ أَيْدِيَكُمْ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي خَاتَمَ بِهَا مِنَ مِثْلِ الْوَقَائِعِ الَّتِي ابْتَدَأَتْ بِهَا الْأَمَمِ الْمَكْذُوبَةِ بِأَنْبِيَائِهَا
 وَمَا خَلَقَكُمْ مِنَ أَمْرِ السَّاعَةِ [لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ] لتكونوا على رجاء رحمة الله و جواب إذا محذوف مدلول
 عليه بقوله [إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ] كَأَنَّهُ قَالَ وَإِذَا قَالَ لَهُمْ اتَّقُوا أَعْرَضُوا ثُمَّ قَالَ وَ دَابَّاهُمْ الْأَعْرَاضُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ
 وَ مَوْعِظَةٍ * كَانَتْ الزَّنَادِقَةُ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ الْمُؤْمِنِينَ يَتَلَقُونَ أَعْمَالَ اللَّهِ بِمَشِيئَتِهِ فَيَقُولُونَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَىٰ
 فَلَانًا وَلَوْ شَاءَ لَاعَزَنَ وَلَوْ شَاءَ لَكُنْ كَذَا فَخَرَجُوا هَذَا الْجَوَابُ مَخْرُجَ الْاسْتِهْزَاءِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَ بِمَا كَانُوا يَقُولُونَهُ
 مِنْ تَعْلِيقِ الْأُمُورِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَ مَعْنَاهُ أَنْطَعِمُ الْمَقُولُ فِيهِ هَذَا الْقَوْلُ بَيْنَكُمْ وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا دَائِعِينَ أَنْ يَكُونَ
 الْغَنَىٰ وَالْفَقْرُ مِنَ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ مَعْظَلَةٌ لَا يُؤْمِنُونَ بِالصَّانِعِ - وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ بِمَكَّةَ زَنَادِقَةٌ فَإِذَا أُمِرُوا
 بِالصَّدَقَةِ عَلَى الْمَسَاكِينِ قَالُوا لَا وَاللَّهِ إِيْفَقَرَهُ اللَّهُ وَ نُطْعِمَهُ نَحْنُ - وَ قِيلَ كَانُوا يُؤْهِمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ لَمَّا كَانَ
 قَادِرًا عَلَىٰ إِطْعَامِهِمْ وَ لَا يَشَاءُ إِطْعَامَهُمْ فَكُنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ نَزَلَتْ فِي مُشْرِكِي قُرَيْشٍ حِينَ قَالَ فَقَرَاءُ أَصْحَابِ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ اعْطُونَا مِمَّا زَعَمْتُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ أَنَهَا لِلَّهِ يَعْنُونَ قَوْلَهُ وَ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ
 مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَحَرَمُوهُمْ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَطْعَمَكُمْ [إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] قَوْلُ اللَّهِ لَهُمْ أَوْ حِكَايَةُ
 قَوْلِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ أَوْ هُوَ مِنْ جُمْلَةِ جَوَابِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ - قُرَيْشٍ [وَهُمْ يَخِصِّمُونَ] بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الصَّادِ مَعَ
 فَتَحِ الْأَخَاءِ وَ كَسْرِهَا وَ اتِّبَاعِ الْيَاءِ الْأَخَاءَ فِي الْكُسْرِ - وَ يَخِصِّمُونَ عَلَى الْأَصْلِ - وَ يَخِصِّمُونَ مِنْ خَصَمِهِ وَ الْمَعْنَى
 أَنَهَا تَبَغَّتْهُمْ وَ هُمْ فِي أَمْنِهِمْ وَ غَفَلَتْهُمْ عَنْهَا لَا يُخْطَرُونَهَا بِبَالِهِمْ مُشْتَغِلِينَ بِخُصُومَاتِهِمْ فِي مُتَاجَرِهِمْ وَ مَعَامَلَاتِهِمْ
 وَ سَائِرُ مَا يَخِصِّمُونَ فِيهِ وَ يَتَشَاجَرُونَ وَ مَعْنَى يَخِصِّمُونَ يَخْصِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا - وَ قِيلَ تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ عِنْدَ
 أَنْفُسِهِمْ يَخِصِّمُونَ فِي الْحِجَّةِ فِي أَنَّهُمْ لَا يَبْعَثُونَ * [لَا يَسْتَطِيعُونَ] أَنْ يَوْصُوا فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِمْ [تَوْصِيَةً وَلَا]
 يَقْدِرُونَ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ وَ أَهْلِيهِمْ بَلْ يَمُوتُونَ بِحَيْثُ تَفْجَأَهُمُ الصَّيْحَةُ - قُرَيْشٍ [الصُّورُ] بِسُكُونِ الْوَاوِ
 وَ هُوَ الْقُرْنُ - أَوْ جَمْعُ صُورَةٍ وَ حَرَكُهَا بَعْضُهُمْ - [الْأَجْدَاثُ] الْقُبُورُ - وَ قُرَيْشٍ بِالْفَاءِ - [يَنْسِلُونَ] يَعْنُونَ بِكُسْرِ السَّيْنِ
 وَ ضَمِّهَا وَ هِيَ الْبُخَّةُ الثَّانِيَةُ * قُرَيْشٍ يُؤَيَّلَتْنَا - وَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَنْ أَهْبَنَا مِنْ هَبٍّ مِنْ نَوْمِهِ إِذَا انْقَبَهُ وَ أَهْبَنَهُ
 غَيْرُهُ - وَ قُرَيْشٍ مَنْ هَبَّنَا بِمَعْنَى أَهْبَنَا - وَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَرَادَ هَبٌّ بِنَاءً فَحُذِفَ الْجَارُ وَ أُرْصِلَ الْفِعْلُ - وَ قُرَيْشٍ
 مِنْ بَعَثَنَا - وَ مِنْ هَبَّنَا عَلَى مِنَ الْجَارَةِ وَ الْمَصْدَرِ - وَ [هَذَا] مُبْتَدَأٌ وَ [مَا وَعَدَ] خَبَرٌ وَ مَا مُصَدَّرَةٌ أَوْ مُوصُولَةٌ -
 وَ يُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا صِفَةً لِلْمَرْقَدِ وَ مَا وَعَدَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مُحْذُوفٌ أَيْ هَذَا وَعْدُ الرَّحْمَنِ - أَوْ مُبْتَدَأٌ مُحْذُوفٌ

تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا يُلْقِي سَابِقَ النَّهَارِ ط وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ٥ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ
الْمَشْحُونِ ٦ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ٧ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ٨ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا
وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٠ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ

سورة يس ٣٦

الجزء ٢٣

ع ١

الأكليل - القلب - الشؤنة - الذعائم - البلدة - سعد الذابح - سعد بلع - سعد السعد - سعد الاخبية - فرغ الدلو المقدم -
فرغ الدلو المؤخر - الرشاء - فاذا كان في آخر منازل دق واستقوس و [عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ] وهو عود العذق
ما بين شماريخه الى منبته من النخلة - وقال الزجاج هو فُعْلُونُ من الانعراج وهو الانعطاف - و قرى
الْعُرْجُونُ بوزن الْفَرْجُونِ وهما لغتان كَالْبَزْيُونِ وَالْبَزْيُونِ - والقديم المحول و اذا قدم دق و انحنى واصفر
فشبه به من ثلثة اوجه - وقيل اقل مدة الموصوف بالقدم المحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم
فهو حر او كتب ذلك في وصيته علق منهم من مضى له حول واكثر - و قرى سَابِقُ النَّهَارِ على الاصل
و المعنى ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار و ايتيها قسما من الزمان و ضرب له حدا معلوما
و دبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصحح ولا يستقيم لوقوع التدبير على
المعاقبة و ان جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله [أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ] فتجتمع معه في وقت
واحد و تدخله في سلطانه فتطمس نوره و لا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار و هما النيران
و لا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك و ينقض ما آلف فيجمع بين الشمس
و القمر و يُطلع الشمس من مغربها - فان قلت لم جعلت الشمس غير مدركة و القمر غير سابق - قلت
لان الشمس لا تقطع فلها الا في سنة و القمر يقطع فلها في شهر فكانت الشمس جديدة بان توصف
بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر و القمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره - [وَكُلٌّ] التدوين
فيه عوض من المضاف اليه و المعنى و كلهم و الضمير للشمس و القمر على ما سبق ذكره • [ذُرِّيَّتَهُمْ] ذرية
اولادهم و من يهتمهم حملة - وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها و في الحديث انه نهى
عن قتل الذراري يعني النساء [مِنْ مِثْلِهِ] من مثل الفلك [مَا يَرْكَبُونَ] من الابل وهي سفائن
البحر - وقيل الفلك المشحون سفينة نوح عليه السلام و معنى حمل الله ذريتهم فيها انه حمل فيها اباؤهم
الاقدمين و في اصلاهم هم و ذرياتهم و انما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم و ادخل في
المتعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمة في سفينة نوح و من مثله من مثل ذلك الفلك ما
يَرْكَبُونَ من السفن و الزوارق - [لَا صَرِيخَ] لا مغيث او لا اغاثة يقل اتاهم الصريخ [وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ] لا
لا ينجون من الموت بلغرق [الْأَرْحَمَ] الارحمة [مِنْهَا] و لتمع بالحيوة [إِلَى حِينٍ] الى اجل يموتون
فيه لانه بعد النجاة من موت الغرق و لقد احسن من قال • شعر • و ام اسلم لى ابقى ولكن • سلمت من
الحمام الى الحمام • وقرأ الحسن غرقهم [اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ] كفر له تعالى انكم يرا الى ما

سورة يس ٣٦

الجزء ٢٣

ع ١

وَمَا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ ۖ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ ۝ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۖ

الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه - و قرئ على الوجه الاول و مَا عَمَلَتْ من غير راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك - وفي مصاحف اهل الحرمين والبصرة و الشام مع الضمير * [الْأَزْوَاجَ] الاجناس والاصناف [وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ] ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد ان يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم و دنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما اعلمهم بوجود ما لا يعلمون - وعن ابن عباس لم يسمهم وفي الحديث ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلععتهم عليه فاعلمنا بوجوده و اعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفوس ما اخفي لهم من قرة أعين وفي الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه و مما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه • سلخ جلد الشاة اذا كسطه عنها و ازاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل و ملقى ظله [مُظْلَمُونَ] داخلون في الظلام يقال اظلمنا كما تقول اعتمنا و ادجينا [لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا] لحد لها موقت مقدر تنتهي اليه من فلكها في اخر السنة شبة بمستقر المسافرين اذا قطع مسيره - او لمنتهى لها من المشارق و المغرب لانها تنقصها مشرقا مشرقا و مغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك حدّها و مستقرّها لانها لا تعدو - او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا و هو المغرب - وقيل مستقرّها اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه و هو اخر السنة - وقيل الوقت الذي تستقر فيه و ينقطع جريها و هو يوم القيمة - و قرئ تجري الى مُسْتَقَرٍّ لَهَا - و قرأ ابن مسعود لا مُسْتَقَرٍّ لَهَا اي لا تزال تجري لا تستقر - و قرئ لا مُسْتَقَرٍّ لَهَا على ان لا بمعنى ليس [ذَلِكَ] الجري على ذلك التقدير و الحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراج و تحجير الافهام في استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم - قرئ [وَالْقَمَرُ] رفعا على الابتداء - او عطفًا على الليل يريد ومن آياته القمر - و نصبا بفعل يفسره قدرته و لابد في [قَدَرُهُ مَنَازِلَ] من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل و المعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية و عشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه و لا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة و العشرين ثم يستمر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم المتي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطين - البطين - النربا - الدبران - الهقمة - الهنعة - الذراع - الذرة - الطرف - الجبهة - الزبرة - الصرفة - العواء - السماك - الغر - الزباني -

لَا يَرْجِعُونَ ٥ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ٦ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ ٧ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ٨ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ٩ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ١٠

سورة يس ٣٦

الجزء ٢٣

ع ١

اليهم و يُحْضَرُونَ عَلَى الْعِبَادِ عَلَى اجراء الوصل مجرى الوقف * [اَلَمْ يَرَوْا] اَلَمْ يَعْلَمُوا وهو معاقب عن العمل
في كَمْ لَنْ كَمْ لَا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة
كما نفذ في قولك اَلَمْ يَرَوْا ان زيدا لمنطلق و ان لم يعمل في لفظه و [اِنَّهُمْ اَلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ] بدل من كَمْ
اَهْلَكْنَا على المعنى لا على اللفظ تقديره اَلَمْ يَرَوْا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم -
و عن الحسن كسر اِن على الاستيفاف - و في قراءة ابن مسعود اَلَمْ يَرَوْا مِنْ اَهْلَكْنَا و البديل على هذه القراءة
بدل اشتمال وهذا مما يرد قول اهل الرجعة - و يحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان
عليًا مبعوث قبل يوم القيمة فقال بضئ القوم نحن اذن نكفنا نساء و قسمنا ميراثه * و قرئ لَمَّا بالتخفيف
على ان مَا صلة للتأكيد و اِن مخففة من الثقيلة و هي متلقة باللام لا محالة - و لَمَّا بالتشديد بمعنى الا
كالتي في مسألة الكتاب نشدتك بالله لَمَّا فعات و اِن نافية - و التنوين في كُل هو الذي يقع عوضا من
المضاف اليه كقواك مررت بكل قائما و المعنى ان كلهم محضرون مجموعون مُحْضَرُونَ للحساب يوم القيمة -
و قيل مُحْضَرُونَ معذبون - فان قُلْتَ كيف اخبر عن كُل بجمع و معناه واحد - قُلْتَ ليس بواحد
لان كَلَّا يفيد معنى الاحاطة و اَن لا ينفلت منهم احد و اَلْجَمِيعُ معناه الاجتماع و ان المحشر يجمعهم - و
اَلْجَمِيعُ فعيل بمعنى مفعول يقال جِيَ جميع و جاؤا جميعا - القراءة بِالْمَيِّتَةِ على الخفة اشيع لسلسها
على اللسان و [أَحْيَيْنَاهَا] استيفاف بيان لكون الارض الميتة آيَةً و كذلك نَسْلَخُ - و يجوز ان يوصف الارض
و الليل بالفعل لانه اريد بهما الجنس مطلقين لا ارض و ليل بأعيانهما فعولاً معاملة الذكرات في وصفهما
بالافعال - و نحوه * ع * و لقد امر على اللئيم يسبني * وقوله [فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ] بتقديم الظرف للدلالة على ان الحب
هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش و يقوم بالارتزاق منه صلاح الانس و اذا قتل جاء القحط و وقع الضر و اذا
فقد حضر الهلاك و نزل البلاء * قرئ [وَفَجَّرْنَا] بالثقيل و التخفيف و الفجر و التفجير كالفتح و
التفتيح لفظا و معنى - و قرئ [ثَمَرِهِ] بفتحتين - و ضمتين - و ضمة و سكون - و الضمير لله تعالى و المعنى
لِيَأْكُلُوا مما خلقه الله من الثمر [وَا] مِنْ [مَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ] من الغرس و السقي و الابار و غير ذاك من الاعمال
الى ان بلغ الثمر منتهاه و اَبان اكله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله و خلقه و فيه اثار من كد بني
آدم و اصله من ثمرنا كما قال وَجَعَلْنَا - وَفَجَّرْنَا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات -
و يجوز ان يرجع الى النخيل و يُترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل فيما علق
به من اكل ثمرة - و يجوز ان يراد من ثمر المذكور و هو الجنات كما قال رُوْبَةُ * ع * فيها خطوط من بياض و
بَلَق * كانه في الجلد تلويع البهق * ف قيل له فقال اردت كَأَن ذَاكَ - ولك ان تجعل مَا نافية على ان الثمر خلق

أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُودٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ۝ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ۝
يُحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ ۝ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ

شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل إلا أن قولك بم غفر لي
بطرح الالف اجود و ان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا و بم صنعت *
المعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك و لم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل
يوم بدر و الخندق - فان قلت و ما معنى قوله [وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ] - قلت معناه و ما كان يصح في حكمتنا
ان نُنزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء و ذلك لان الله عز وجل اجرى هلاك كل قوم على
بعض الوجوه دون البعض و ما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة و اوجبه المصلحة الا ترى الى قوله
فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا - وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ - وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ - وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا -
فان قلت فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر و الخندق قال فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا أَلَم تَرَوْهَا - بِأَيْفٍ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ - بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ - بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ - قلت انما كان
يكفي ملك واحد فقد اهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبرئيل عليه السلام و بلاد ثمود و قوم
صالح بصيحة منه و لكن الله فضل محمدا صلى الله عليه و آله و سلم بكل شيء على كبار الانبياء
و أولى العزم من الرسل فضلا على حبيب النجار و اولاه من اسباب الكرامة و الاعزاز ما لم يؤله احدا
فمن ذلك انه انزل له جنودا من السماء و كأنه اشار بقوله وَمَا أَنْزَلْنَا - وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ الى ان انزال الجنود
من عظام الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك و ما كنا نفعله بغيرك * [إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً] ان كانت الاخذة
او العقوبة الا صيحة - و قرأ ابو جعفر المدني بالرفع على ان التامة اي ما وقعت الا صيحة و القياس
و الاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ و ان الصيحة
في حكم فاعل الفعل و مثلها قراءة الحسن فاصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسْكِنُهُمْ وَ بَيْتُ ذِي الرِّمَّةِ * ع * و ما بقيت
الا الضلوع الجراشع * و قرأ ابن مسعود اِلْزَقِيَّةً وَاحِدَةً من زقا الطائر يزقو و يزقي اذا صاح و منه المثل
انقل من الزواقي [خَامِدُونَ] خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد شعر * و ما المرء الا كالشهاب
وضوء * يحور رمادا بعد ان هو ساطع * [يُحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ] نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي يا
حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها و هي حال استهزائهم بالرسول و المعنى انهم
احقوا بأن يتحسر عليهم المتحسرون و يتلهف على حالهم المتلهفون - او هم متحسرون عليهم من جهة الملئكة
و المؤمنين من الثقليين - و يجوز ان يكون من الله عز و علا على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه
على انفسهم و محنوها به و فرط انكاره له و تعجيبه منه - و قراءة من قرأ يُحْسِرَتَا تعضد هذا الوجه لان
المعنى يا حسرتي - و قرئ يُحْسِرَةُ الْعِبَادِ على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة

لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 أَنْ يُرِدْنَ الرِّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تَغْنِي عَنْهُمْ شِفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُونَ ۝ إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ
 فَاسْمَعُونِ ۝ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۝ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۝ وَمَا

سورة يس ٣٦

الجزء ٢٣

ع ١٨

يدارثهم ولأنه ادخل في امحاء النصيح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه * ولقد وضع قوله [وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي] مكان قوله ما لكم لا تعبدون الذي فطركم الا ترى الى قوله [وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] و
 لولا انه قصد ذلك لقال الذي فطرنى واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال [إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ]
 يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد ثبتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه ان العبادة لا تصح الا لمن
 منه مبتدأكم واليه مرجعكم وما ادفع العقول وانكرها لان تستحبوا على عبادته عبادة اشياء ان ارادكم هو
 بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمتدوا من ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه
 بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز -
 وقيل لما نصيح قومه اخذوا يرحمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ
 ابي اسمعوا ايماني تشهدوا لي به - وقرئ ان يرذن الرخمن بضرب معنى ان يوردني ضرا ابي يجعلني
 موردا للضر * ابي لما قتل [قِيلَ] له [ادْخُلِ الْجَنَّةَ] - وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي برزق اراد
 به قوله تعالى بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ - وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها -
 فان قلت كيف مخرج هذا القول في علم البيان - قلت مخرجه مخرج الاستيناف لان هذا من مظان
 المسئلة عن حاله عند لقاء ربه كأن قائله قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه و
 التسخي لوجهه بروحه فقيل قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ولم يقل قيل له لانصبا الغرض الى المقول وعظمه لا
 الى المقول له مع كونه معلوماً وكذلك [قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ] مرتب على تقدير سوال سائل عما
 وجد من قوله عند ذلك القول العظيم وانما تمتنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها
 لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين باهلها الى الجنة وفي حديث
 مرفوع نصيح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل والتروك
 على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمري في تخليصه والتلطف في اقتدائه والاشتغال
 بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمتنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفره عبدة
 اصنام - ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطاء عظيم في امره وانه كان على صواب ونصيحة
 وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة و
 سرور والاول اوجه - وقرئ المكرميين - فان قلت ما في قوله تعالى [بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي] ابي المراءات هي -
 قلت المصدرة - او الموصولة ابي بالذي غفره لي من الذنوب - ويحتمل ان تكون استفهامية يعني باي

سورة يس ٣٤
الجزء ٢٢
ع ١٨

الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝
قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَكِنَّ لَمْ تَنْتَهُوا لِنَرْجِمَنَّكُمْ وَلِيَمَسَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ۖ إِنَّكُمْ ذُرِّيَةُ ط
بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ۖ قَالَ يَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَنْ

لَمُرْسَلُونَ أَخْرَأَ - قلت لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار وقوله [رَبُّنَا يَعْلَمُ] جابر مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله و انما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم [وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ] اى الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته و الا فلو قال المدعي والله اني لصادق فيما ادعي ولم يحضر البيعة كان قبيحا [تَطَيَّرْنَا بِكُمْ] تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمذوا بكل شيء مالوا اليه واشتهوه واثره وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ وَعَنْ مُّشْرِكِي مَكَّةَ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ - وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك - وعن قتادة ان اصابنا شيء كان من اجلكم [طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ] وقرئ طَائِرُكُمْ اى سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم واسباب شؤمكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم - وقرأ الحسن طَائِرُكُمْ اى تطيرونكم - وقرئ [اِنَّكُمْ ذُرِّيَةُ ط] بهمزة الاستفهام وحرف الشرط - وائرن بالف بينهما بمعنى اتطيطرون ان ذكروكم وقرئ اَنْ ذِكْرُكُمْ بهمزة الاستفهام وَاَنْ الذائبة بمعنى اتطيطرون لَانْ ذِكْرُكُمْ - وقرئ اَنْ وَإِنْ بغير استفهام بمعنى الاخبار اى تطيطرون لَانْ ذِكْرُكُمْ اَوْ اِنْ ذِكْرُكُمْ تطيطرون - وقرئ اَيْنَ ذِكْرُكُمْ على التخفيف اى شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئتم المكان بذكرهم كانوا يحملوهم فيه اشأم [بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ] فى العصيان فمن ثمة اتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله عليهم السلام و تذكيرهم او بل انتم قوم مسرفون فى ضلالكم متمادون فى غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التدبرك به من رسل الله [رَجُلٌ يَسْعَى] وهو حبيب بن اسراييل النجار و كان ينحس الاصنام وهو ممن امن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و بينهما ستمائة سنة كما امن به تبع الاكبر و ورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره - وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم و اظهر دينه وقول الكفرة فقالوا اَو انت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه - وقيل توطأوا بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره - وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية فلما قتل غضب الله عليهم فاهلكوا بصيحة جبرئيل - وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و سام سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين - علي بن ابي طالب رضي الله عنه - صاحب ياسين - ومؤمن آل فرعون [مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ] كلمة جامعة فى الترغيب فيهم اى لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم و توبحون صحة دينكم فينقظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة • ثم ابرز الكلام فى معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم و

وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ۖ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ۚ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۖ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۖ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ

سورة يس ٣٩

الجزء ٢٢

ع ١٨

الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه الأشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلاً مثل أصحاب القرية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للآول - وانتصاب [إذ] بانه بدل من أصحاب القرية والقرية انطاكية - والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى اهلها بعثهم دعاء الى الحق وكانوا عبدة اوثان ارسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب التجار صاحب ياسين فسألهما فاخبراه فقالا معكما آية فقالا نشفى المريض ونبرى الامكة والابرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام فأمن حبيب ونشى الخبر فشفي على ايديهما خلق كثير ورفي حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا الله سوى الهتنا قال نعم من اوجدك و الهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قال الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاة وأجزا قالوا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما أيتكما قال ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعهما في حذقيته فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصرون ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه مذهبهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت أمدا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار انا احذركم ما انتم فيه فامضوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فأمن وأمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرئيل فهلكوا [فعززنا] فقويانا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الذاقة - وقرى بالتخفيف من عزة يعزها اذا غلبه اي فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون - فان قلت لم ترك ذكر المفعول به - قلت لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل اذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل ميثاقه له وتوجهه اليه كأن ما سواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قواك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه - انما رفع [بشر] ونصب في قواه ما هذا بشرا لان الاتنقض الذاتي فلا يبقى اما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل - فان قلت لم قيل اننا اليكم مرسلون اولاً واننا اليكم

فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ۝ وَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ ۚ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَرَهُمْ ۝

ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضرار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الابليج الى الباطل اللجلج - فان قلت فقد قرأ ابن عباس في أيديهم وابن مسعود في إيمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين ان تجعل الضمير للأيدي او للإيمان - قالت يابى ذلك وان ذهب الاضرار المتعسف ظهور كون الضمير للأغلال و سداد المعنى عليه كما ذكرت - وقرئ [سُدًّا] بالفتح والضم - وقيل ما كان من ممل الناس فبالفتح و ما كان من خلق الله فبالضم [فَاغْشَيْنَهُمْ] فاعشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطلع الى مرئي - و عن مجاهد فَاغْشَيْنَهُمْ فالبسنا ابصارهم غشاوة - وقرئ بالعين من العشا - وقيل نزلت في بني مخزوم و ذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولحق الحجر بيده حتى فتوة عندها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقبله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره - فان قلت قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله إِنَّمَا تُنذِرُ و انما كانت تصح هذه التفتية لو كان الا نذار منفيًا - قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار و كان معناه ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان قفي بقوله إِنَّمَا تُنذِرُ على معنى انما يحصل البغية بالانذار من غير هؤلاء المندرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن او الوعظ الخاشون ربهم - [نُحْيِي الْمَوْتَى] نبعثهم بعد مماتهم - وعن الحسن احيائهم ان يخرجهم من الشرك الى الايمان [وَ نَكْتُبُ] ما اسافوا من الاعمال الصالحة وغيرها و ما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صفوة او حبس احبسوه - او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او شيء كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم و شيء احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاوة وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله عز وجل يُذَبِّرُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ اي قدم من اعماله واخر من اثاره - وقيل هي اثار المشائين الى المساجد - و عن جابر اردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علمنا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب اثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - و عن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لانغل هذه الآثار التي تعفيها الرياح - و الامام اللوح - و قرئ وَ يَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَرَهُمْ على البناء للمفعول و كُلُّ شَيْءٍ بِالرَّفْعِ [وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا] و مَثَلٌ لَهُمْ مَثَلًا من قولهم عندي من هذا

لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غٰفِلُونَ ﴿٥٠﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلٰى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ
أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٥٢﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ

سورة يس ٣٦

الجزء ٢٢

ع ١٧

قُلْتُ لَيْسَ الْغَرَضُ بِذِكْرِهِ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ مِنْ تَمْيِيزٍ مِنْ أَرْسَلٍ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ عَنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَيْسَ
عَلَى صِفَتِهِ وَإِنَّمَا الْغَرَضُ وَصْفُهُ وَوَصَفَ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ فَجَمَعَ بَيْنَ الْوَصْفَيْنِ فِي نِظَامٍ وَاحِدٍ كَأَنَّهُ
قَالَ إِنَّكَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ الثَّابِتِينَ عَلَى طَرِيقٍ ثَابِتٍ وَإِيضًا فَإِنَّ التَّنْذِيرَ فِيهِ دَالٌّ عَلَى أَنَّهُ أَرْسَلَ مِنْ بَيْنِ
الصُّرُطِ الْمُسْتَقِيمَةِ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لَا يَكْذِبُهُ وَصْفُهُ - وَقَرَأَ [تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ] بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ
مُحْذَوْفٌ - وَبِالنَّصْبِ عَلَى اعْنِي - وَبِالْجَرِّ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْقُرْآنِ [قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ] قَوْمًا غَيْرُ مَنْذَرٍ
أَبَاؤُهُمْ عَلَى الْوَصْفِ وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ - وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ
وَقَدْ فُسِّرَ مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ عَلَى اثْبَاتِ الْإِنذَارِ وَوَجْهٌ ذَلِكَ أَنْ تَجْعَلَ مَا مَصْدَرِيَّةٌ لَتُنذِرَ قَوْمًا إِنْذَارَ آبَائِهِمْ - أَوْ
مَوْصُولَةٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَهُ آبَاؤُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّا أَنْذَرْنَاهُمْ
عَذَابًا قَرِيبًا - فَإِنْ قُلْتُ إِنِّي فَرَقْتُ بَيْنَ تَعَلُّقِي قَوْلَهُ [فَهُمْ غٰفِلُونَ] عَلَى التَّفْسِيرَيْنِ - قُلْتُ هُوَ - عَلَى الْأَوَّلِ مُتَعَلِّقٌ
بِالنَّفْيِ إِنِّي لَمْ يُنْذِرُوا فَهُمْ غٰفِلُونَ عَلَى أَنَّ عَدَمَ إِنْذَارِهِمْ هُوَ سَبَبُ غَفْلَتِهِمْ - وَعَلَى الثَّانِي بِقَوْلِهِ إِنَّكَ لَمِنْ
الْمُرْسَلِينَ لَتُنذِرَ كَمَا تَقُولُ أَرْسَلْتُكَ إِلَى فُلَانٍ لَتُنْذِرَهُ فَإِنَّهُ غَافِلٌ أَوْ فَهَوَّ غَافِلٌ - فَإِنْ قُلْتُ كَيْفَ يَكُونُونَ مَنْذَرِينَ
غَيْرَ مَنْذَرِينَ لِمُنَاقَضَةِ هَذَا مَا فِي الْآيَةِ الْآخِرَةِ - قُلْتُ لَا مُنَاقَضَةَ لِأَنَّ الْآيَةَ فِي نَفْيِ إِنْذَارِهِمْ لَا فِي نَفْيِ إِنْذَارِ
أَبَائِهِمْ وَأَبَاؤُهُمْ الْقَدَمَاءُ مِنْ وَلَدِ اسْمُعِيلَ وَكَانَتْ الْإِنْذَارَةُ فِيهِمْ - فَإِنْ قُلْتُ فِي أَحَدِ التَّفْسِيرَيْنِ أَنَّ أَبَاءَهُمْ
لَمْ يُنْذِرُوا وَهُوَ الظَّاهِرُ فَمَا تَصْنَعُ بِهِ - قُلْتُ أَرِيدُ أَبَاؤَهُمُ الْإِنْدُونُ دُونَ [الْقَوْلِ] قَوْلِهِ لَا مَلَأْنِ جَهَنَّمَ
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ يَعْنِي تَعَلُّقَ بِهِمْ هَذَا الْقَوْلُ وَثُبَّتْ عَلَيْهِمْ وَوَجِبَ لَانَّهُمْ مِمَّنْ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ
عَلَى الْكُفْرِ ثُمَّ مَثَلُ تَصْمِيمِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَأَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى ارْعَاؤِهِمْ بِأَنَّهُ جَعَلَهُمْ كَالْمَغْلُولِينَ الْمُقْمَحِينَ فِي أَنَّهُمْ لَا
يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْحَقِّ وَلَا يُعْطِفُونَ أَعْنَاقَهُمْ نَحْوَهُ وَلَا يُطَاطُونَ رُؤُسَهُمْ لَهُ وَكَالْحَاصِلِينَ بَيْنَ سَدَّيْنِ لَا يُبْصِرُونَ
مَا قَدَامَهُمْ وَلَا مَا خَلْفَهُمْ فِي أَنَّ لَا تَأْمَلُ لَهُمْ وَلَا تَبْصُرُ أَنَّهُمْ مُتَعَامُونَ عَنِ الذُّخْرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ - فَإِنْ قُلْتُ
مَا مَعْنَى قَوْلِهِ [فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ] - قُلْتُ مَعْنَاهُ فَالْأَغْلَالُ وَاصِلَةٌ إِلَى الْأَذْقَانِ مَلَزُوزَةٌ إِلَيْهَا وَذَلِكَ أَنَّ طَوْقَ
الْغُلِّ الَّذِي فِي عُنُقِ الْمَغْلُولِ يَكُونُ فِي مِلْتَقَى طَرَفَيْهِ تَحْتَ الذَّقْنِ حَلْقَةً فِيهَا رَأْسُ الْعَمُودِ نَادِرًا مِنَ الْحَلْقَةِ
إِلَى الذَّقْنِ فَلَا يَخْلِيهِ يَطَاطَى رَأْسَهُ وَيُوطِئُ قَدَالَهُ فَلَا يَزَالُ مُقْمَحًا - وَالْمَقْمَحُ الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَغْضُ بِصُرَّةٍ
يُقَالُ قَمَحٌ الْبَعِيرُ فَهُوَ قَامِحٌ إِذَا رَوَى فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَمِنْهُ شَهْرٌ قَمَاحٌ لِأَنَّ الْإِبِلَ تَرْفَعُ رُؤُسَهَا عَنِ الْمَاءِ لِبُرْدَةِ فِيهِمَا
وَهُمَا الْكُنُونَانِ وَمِنْهُ اقْتَمَحْتُ السُّوَيْقَ - فَإِنْ قُلْتُ فَمَا قَوْلُكَ فَيَمْنُ جَعَلَ الضَّمِيرُ لِلْأَيْدِي وَزَعَمَ أَنَّ الْغُلَّ
لَمَّا كَانَ جَامِعًا لِلْيَدِ وَالْعُنُقِ وَبِذَلِكَ يُسَمَّى جَامِعَةً كَانَ ذِكْرُ الْأَعْنَاقِ دَالًّا عَلَى ذِكْرِ الْأَيْدِي - قُلْتُ الْوَجْهُ
مَا ذَكَرْتُ لَكَ وَالِدَلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ لَا تَرَى كَيْفَ جَعَلَ الْقَامِحَ نَتِيجَةً قَوْلِهِ فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ

سورة يس ٣٦

الجزء ٢٢

ع ١٧

فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّءِ ۖ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۚ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۚ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۚ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ۚ

كلماتها ٧٣٩ سورة يس مكية وهي ثلث وثمانون آية وخمسة ركوعاً حروفها ٣٠٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُس ۝ وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝

عباس قرأت في التوراة من حفر مغواة وقع فيها قال أنا وجدت ذلك في كتاب الله وقرأ الآية - وفي امثال العرب من حفر لآخيه جباً وقع فيه منكباً - وقرأ حمزة ومكر السبيء باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكوناً او وقف وقفة خفيفة ثم ابتداء ولا يحيق - وقرأ ابن مسعود ومكراً سينا [سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ] انزال العذاب على الذين كذبوا برسولهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظاراً له منهم وبين ان عادته اللتي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها اي لا يغيرها وان ذلك مفعول له لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسائرهم ومتاجرهم في رحلهم الى الشام والعراق واليمن من اثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم [لِيُعْجِزَهُ] ليسبقه ويفوته • [بِمَا كَسَبُوا] بما اقترفوا من معاصيهم [عَلَى ظَهْرِهَا] على ظهر الارض [مِنْ دَابَّةٍ] من نسمة تدب عليها يريد بني آدم - وقيل ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشوم ذنوبهم - وعن ابن مسعود كاد يجعل يعذب في جحرة بذنوب ابن آدم ثم تلا هذه الآية - وعن انس ان الضب ليموت هزلاً في جحرة بذنوب ابن آدم - وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء [إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى] الى يوم القيمة [كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا] وعيد بالجزاء - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ سورة الملئكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت •

سورة يس

قرئ يس بالفتح كايين وكيف - او بالنصب على اتل يس - وبالكسر على الاصل كجيز - وبالرفع على هذه يس - او بالضم كحيث وفخمت الالف وأميلت - وعن ابن عباس معناه يا انسان في لغة طي والله اعلم بصحته وان صح فوجهه ان يكون اصله يا أنيسين فكثير الذداء به على السننهم حتى اقتصر على شطرا كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله [الْحَكِيمِ] ذي الحكمة - او لانه دليل ناطق بالحكمة كالحَي او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به [عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ] خبر بعد خبر او صلة للمرسلين - فان قلت اي حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم -

شُرَكَاءُ كُمْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ^ط أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ^ج أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَمِنْ قَبْلِهِ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ ^ع بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ^{هـ} إِنْ اللَّهُ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ^و وَكَأَنَّ زَالَتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ^ط إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ^ز وَاقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنَ إِحْدَى الْأُمَمِ ^ح فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ^ط اسْتَكْبَارًا

سورة فاطر ٣٥
الجزء ٢٢
ع ١٩

كما ان ذلك حكم من قبلكم [أروني] بدل من أريتم لان معنى أريتم اخبروني كأنه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء و عما استحقوا به الألية و الشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله لم لهم مع الله شركة في خلق السموات ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاء فهم على حجة و برهان من ذلك الكتاب - او يكون الضمير في آتينهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام آتينهم كتابا من قبله [بل ان يعد بعضهم] وهم الرؤساء [بعضا] وهم الاتباع [الاغورا] و هو قولهم هؤلاء شفعائنا عند الله - و قرى ببيت * [ان تزلوا] كراهة ان تزلوا - او يمنعهما من ان تزلوا لان الامساك منع [انه كان حلينا غفورا] غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما و كانتا جديرتين بان تهدا هذا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه و تشق الارض - و قرى و لولا لانا - و [ان امسكهما] جواب القسم في ولئن زالتا مسد الجوابين - و من الاولى مزيدة لتأكيد النفي و الثانية للابتداء [من بعه] من بعد امساكه - و عن ابن عباس انه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية - بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ان اهل الكتاب كذبوا رسالهم فقالوا لعن الله اليهود و النصارى اتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لفيكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كذبوه - و في [احدى الامم] وجهان - احدهما من بعض الامم و من واحدة من الامم من اليهود و النصارى و غيرهم - و الثاني من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى و الاستقامة [ما زادهم] اسناد مجازي لانه هو السبب في ان زادوا انفسهم نفورا عن الحق و ابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم [استكبارا] بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا و علوا في الارض - او حال بمعنى مستكبرين و مأكرين برسول الله و المؤمنين - و يجوز ان يكون [و مكر السيء] معطوفا على نفورا - فان قلت فما وجه قوله و مكر السيء - قلت اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء ثم و مكر السيء و الدليل عليه قوله [ولا يحقيق المكر السيء الا باهله] و معنى يحقيق يحيط وينزل - و قرى و لا يحقيق المكر السيء اي لا يحقيق الله و لقد حاق بهم يوم بدر - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا تمكروا ولا تعينوا مأكرا فان الله تعالى يقول و لا يحقيق المكر السيء الا باهله و لا تبعوا و لا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيتكم على انفسكم - و عن كعب انه قال لابن

سورة فاطر ٣٥
الجزء ٢٢
ع ١٩

نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۖ أَوَلَمْ
نُعْمِرْكُمْ مَا يَنْذَكُرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ۖ فَذَرُّوا مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَبِيرٌ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۖ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ
كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ

[كَذَلِكَ] مثل ذلك الجزء - يجزى - وقرئ يجزى - [وَنَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ] بالذون * [يَصْطَرِخُونَ] يتصارخون
يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال * ع * كصرخة حبلى اسلمتها قبيلها * واستعمل في الاستغاثة
لجهد المستغيث صوته - فَنَ قُلْتُ هَلَا اِكْتَفَى بِصَالِحًا كَمَا اِكْتَفَى بِهِ فِي قَوْلِهِ فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا وَمَا
فَائِدَةُ زِيَادَةِ [غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ] عَلَى أَنَّهُ يُوْهَمُ أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ صَالِحًا آخَرَ غَيْرَ الصَّالِحِ الَّذِي عَمِلُوهُ - قُلْتُ
فَائِدَةُ زِيَادَتِهِ التَّحَسُّرُ عَلَى مَا عَمِلُوهُ مِنْ غَيْرِ الصَّالِحِ مَعَ الاعْتِرَافِ بِهِ وَأَمَّا الْوَهْمُ فَنَاضِلٌ بِظُهُورِ حَالِهِمْ فِي الْكُفْرِ
وَرُكُوبِ الْمَعَاصِي وَلأنَّهُمْ كَانُوا يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى سَبِيلِ صَالِحَةٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا
فَقَالُوا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَحْسِبُهُ صَالِحًا فَذَعَمَلَهُ [أَوَلَمْ نُعْمِرْكُمْ] تَوْبِيخٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِعُنْيِ
فَنَقُولُ لَهُمْ - وَقَرَأَ مَا يَذَكُرُ فِيهِ مَنْ اذْكُرْ عَلَى الْإِدْغَامِ وَهُوَ مُتَنَادِلٌ لِكُلِّ عَمَرٍ تَمَكَّنَ فِيهِ الْمَكَلَفُ مِنْ إِصْلَاحِ
شَأْنِهِ وَانْ قَصَرَ إِلَّا أَنْ التَّوْبِيخَ فِي الْمَتَطَاوُلِ ائْظَمَ - وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْعَمْرُ الَّذِي اِعْذَرَ
اللَّهُ فِيهِ إِلَى ابْنِ آدَمَ سِتُونَ سَنَةً - وَعَنْ مُجَاهِدٍ مَا بَيْنَ الْعَشْرِينَ إِلَى السِّتِينَ - وَقِيلَ ثَمَانِي عَشْرَةَ - وَسَبْعَ
عَشْرَةَ - وَالدَّيْرُ الرَّسُولِ - وَقِيلَ الشَّيْبُ - وَقَرَأَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ - فَنَ قُلْتُ تَلَامَ عَطْفَ [وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ] - قُلْتُ
عَلَى مَعْنَى أَوَلَمْ نُعْمِرْكُمْ لَأَنَّ لَفْظَهُ لَفْظُ اسْتِخْبَارٍ وَمَعْنَاهُ مَعْنَى اخْبَارَ كَأَنَّهُ قِيلَ قَدْ عَمَرْنَاكُمْ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ
[إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] كَالْتَعْلِيلِ لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ مَا فِي الصُّدُورِ وَهُوَ اخْفَى مَا يَكُونُ فَقَدْ عَلِمَ كُلَّ غَيْبٍ فِي
الْعَالَمِ - وَذَاتِ الصُّدُورِ مَضْمُرَاتُهَا وَهِيَ تَانِيثٌ ذُو فِي نَحْوِ قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ - ذُو بَطْنٍ خَارِجَةٌ جَارِيَةٌ - وَقَوْلُهُ
ع * لَتَغْنِي عَنِّي ذَا اِنَاثِكَ اِجْمَعًا * الْمَعْنَى مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْحَبْلِ وَمَا فِي اِنَاثِكَ مِنَ الشَّرَابِ لِأَنَّ
الْحَبْلَ وَالشَّرَابَ يَصْحَبَانِ الْبَطْنَ وَالْإِنَاءَ الْاِتْرَى إِلَى قَوْلِهِمْ مَعَهَا حَبْلٌ وَكَذَلِكَ الْمَضْمُرَاتُ تَصْحَبُ الصُّدُورَ
وَهِيَ مَعَهَا وَذُو مَوْضُوعٍ لِمَعْنَى الصَّحْبَةِ * يَقَالُ لِلْمُسْتَخْلَفِ خَلِيفَةٌ وَخَلِيفٌ فَالْخَلِيفَةُ يَجْمَعُ خَلَائِفَ
وَالْخَلِيفُ خُلَفَاءُ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ جَعَلَ خُلَفَاءَهُ فِي أَرْضِهِ قَدْ مَاتَ مَقَالِيدُ التَّصَرُّفِ فِيهَا وَسَلْطَتُهُمْ عَلَى مَا فِيهَا
وَإِبَاحُ بَعْضِ مَنَافِعِهَا لِتَشْكُرُوهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ فَمَنْ كَفَرَ مِنْكُمْ وَغَطَّ مِثْلَ هَذِهِ النِّعْمَةِ السَّيِّئَةِ فَوَبَالَ كُفْرِهِ
رَاجِعٌ عَلَيْهِ وَهُوَ مَقْتٌ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ وَرَاءَهُ خِزْيٌ وَصَغَارٌ وَخَسَارٌ الْآخِرَةُ الَّذِي مَا بَعْدَهُ خَسَارٌ وَالْمَقْتُ
أَشَدُّ الْبَغْضِ وَمِنْهُ قِيلَ لِمَنْ يَنْكُحُ امْرَأَةً أَبِيهَ مَقْتِي لِكُونِهِ مَمْقُوتًا فِي كُلِّ قَلْبٍ وَهُوَ خَطَابٌ لِلنَّاسِ - وَقِيلَ
هُوَ خَطَابٌ لِمَنْ يُعَمِّتُ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَيْ جَعَلَ أُمَّةً خَلَفَتْ مَنْ قَبْلُهَا وَرَأَتْ
وَشَاهَدَتْ فَيَمْنُ سَلَفٍ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَبِرَ بِهِ فَمَنْ كَفَرَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ جَزَاءُ كُفْرِهِ مِنْ مَقْتِ اللَّهِ وَخَسَارِ الْآخِرَةِ

وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِيهِ اللَّهُ ۖ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۖ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا
يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَكُلُوا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا
الْحُزْنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۖ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ ۖ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا
فِيهَا لُغُوبٌ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ۖ لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ ۖ كَذَلِكَ

سورة فاطر ٣٥

الجزء ٢٢

ع ١٥

و مقتصدنا ناج و ظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وقوله اما
يعذبهم و اما يتوب عليهم و لقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقرها اطلع على حقيقة الامر و لم
يعتل نفسه بالخدع - و قرئ سابق - و معنى [يا ذن الله] بتيسيره و توفيقه - فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد
ثم السابق - قلت لا ايدان بكثرة الفاسقين منهم و غلبتهم و ان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم و السابقون اقل
من القليل - و قرئ جنة عدن على الافراد كأنها جنة مختصة بالسابقين - و جنة عدن بالنصب على
اضمار فعل يفسره الظاهر اي يدخلون جنة عدن يدخلونها - و يدخلونها على البناء للمفعول - و يحلون من
حليت المرأة فهي حال [و لؤلؤا] معطوفا على محل من أساور - و من داخله للتبعيض اي يحلون
بعض اساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض كما سبق المسورون به غيرهم - و قيل ان ذلك
الذهب في صفاء اللؤلؤ - و لؤلؤا بتخفيف الهمزة الاولى * و قرئ الحزن و المراد حزن المتقين و هو ما
أهتهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا و قدنا عذاب
السموم - و عن ابن عباس حزن الاعراض و الأفات - و عنه حزن الموت - و عن الضحاك حزن ابليس و موسيته -
و قيل هم المعاش - و قيل حزن زوال النعم - و قد اكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار و معناه انه يعم كل
حزن من احزان الدين و الدنيا حتى هذا - و عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ليس على اهل لا اله
الا الله وحشة في قبورهم و لا في محشرهم و كاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم
و هم ينفضون التراب عن وجوههم و يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن و ذكر الشكور دليل على
ان القوم كثير الحسنات [المقامة] بمعنى الإقامة يقال اقامت اقامة و مقاما و مقامة [من فضله]
من عطائه و انضاله من قولهم لفلان فضول على قومه و فواضل و ليس من الفضل الذي هو التفضل لان
الثواب بمنزلة الاجر المستحق و التفضل كالتبرع - و قرئ لغوب بالغتج و هو اسم ما يلغب منه اي لا تتكلف
عملا يلغبنا - او مصدر كالقبول و الولوغ - او صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولك موت مائت - فان قلت
ما الفرق بين النصب و اللغوب - قلت النصب التعب و المشقة اللتي تصيب المفتصب الامر المزاول
له - و اما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة و الكلفة و اللغوب نتيجة
و ما يحدث منه من الكلال و الفترة * [فيموتوا] جواب النفي و نصبه باضمار ان - و قرئ فيموتون عطفا على
يقضى و ادخاله في حكم النفي اي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون لقوله و لا يؤذن لهم فيعتذرون

سورة فاطر ٣٥

الجزء ٢٢

ع ١٥

كُتِبَ اللَّهُ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۖ لِيُؤْتِيَهُمَ أَجُورَهُمْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ۝ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۚ

على تلاوته وهي شانهم ودينتهم - وعن مطرف رحمه الله هي آية القرآء - وعن الكلبي يأخذون بما فيه -
وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به - وعن السدي هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورضي
عنهم - وعن عطاء هم المؤمنون - [يَرْجُونَ] خبران - والتجارة طلب الثواب بالطاعة و [لِيُؤْتِيَهُمَ] متعلق بَلَن
تَبُورَ أي تجارة ينتفي عنها الكساد و تنفق عند الله لِيُؤْتِيَهُمَ بذاتها عذبة [أَجُورَهُمْ] وهي ما استحقوه من
الثواب [وَيَزِيدُهُمْ] من التفضل على المستحق - وان شئت جعلت يَرْجُونَ في موضع الحال على وَأَنفَقُوا
راجين لِيُؤْتِيَهُمْ أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلوة والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر
ان قوله إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ على معنى غُفُورٌ لَهُمْ شُكْرٌ لأعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة - الْكِتَابِ الْقُرْآنُ وَ
مِنَ اللَّتَائِينَ - او الجنس وَمِنَ اللَّتَائِينَ [مُصَدِّقًا] حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق
[لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ] لما تقدمه من الْكِتَابِ [لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ] يعني انه خبرك و ابصر احوالك فراك اهلا لان
يوحى اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الْكِتَابِ * فان قلت ما معنى قوله [ثُمَّ
أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ] - قلت فيه وجهان - احدهما انا اوحينا اليك القرآن ثم اورثناه من بعدك أي حكمنا
بتوريثه - او قال اورثناه وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله [الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا] وهم امته من الصحابة
والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أُمَّةً وَسَطًا لِيَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو افضل كتب
الله - ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لامر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر
سيئا وسابق من السابقين - والوجه الثاني انه قدم ارساله في كل امة رسولا وانهم كذبوا رسالهم وقد
جاءهم بالبينات والزبور والكتاب المنير ثم قال إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ عَلَى التَّالِينَ لِكُتُبِهِ الْعَامِلِينَ
بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ
ثم قال ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا أي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين من
عباده اهل الملة الحنيفية - فان قلت فكيف جعلت جُثَّتْ عَدْنٌ بدلا من الفضل الكبير الذي هو
السبق بالخيرات المشار اليه بذلك - قامت لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو
الثواب فابدلت عنه جُثَّتْ عَدْنٌ وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين
ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المختصة من
هذاب الله ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سابقنا سابق

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ۖ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ

سورة فاطر ٣٥

الجزء ٢٢

ع ١٥

يَقُوقُ وما اشبه ذلك - قلت وجهه ان يضم الموكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمرك قول الذابغة •
ع • و المؤمن العائدات الطير • وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي
الظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَعْضُهُمْ وَمِنَ الْجِبَالِ
ذُرُودٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ وَسَوْدٌ حَتَّى يُوَلَّيَ إِلَى قَوْلِكَ وَمِنَ الْجِبَالِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كما قال تَمَرْتُ مُخْتَلِفًا
أَلْوَانَهَا • [وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ] يعني و منهم بعض مختلف الوانه - و قرئ
أَلْوَانَهَا - و قرأ الزهري جُدَدٌ بالضم جمع جديدة وهي الجُدَّة يقال جديدة و جُدَدٌ و جدائد كسفينة و
مُقَنَّ و سفائن وقد فسرها قول ابي ذؤيب • ع • جون السراة له جدائد اربع • و روي عنه جُدَدٌ بفتحيتين و هو
الطريق الواضح المسفر وضعة موضع الطرائق و الخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض - و قرئ و الدواب
مخففا و نظير هذا التخفيف قراءة من قرأ لَا الضَّالِّينَ لَان كل واحدة منهما فرار من التقاء الساكنين فحرك
ذالك اولهما و حذف هذا اخرهما و قوله [كَذَلِكَ] اي باختلاف الثمرات و الجبال - المراد العلماء به الذين
علموه بصفاته و عدله و توحيدة و ما يجوز عليه و ما لا يجوز فعظومة و قدرة حق قدرة و خشوة حق خشية
و من ازداد به علما ازداد منه خوفا و من كان علمه به اقل كان أمن - و في الحديث اعلمكم بالله اشدكم له
خشية - و عن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى و كفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه - و قال رجل للمشعبي
أَفَنَذِي أَيُّهَا الْعَالَمُ فَقَالَ الْعَالَمُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ - و قيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه و قد
ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه - فان قلت هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا الكلام او
آخر - قلت لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله تعالى و اخبرت العلماء كان المعنى ان الذين
يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم و اذا عملت على العكس انقلب المعنى الى انهم لا
يخشون الا الله كقوله وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَهُمَا مَعْنِيَانِ مُخْتَلِفَانِ - فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام
بما قبله - قلت لما قال ألم تر بمعنى ألم تعلم ان الله أنزل من السماء ماء و عدد آيات الله و اعلام قدرته
و آثار صنعه و ما خلق من الفطر المختلفة الاجناس و ما يستدل به عليه و على صفاته أتبع ذلك [إِنَّمَا يَخْشَى
اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ] كانه قال انما يخشاه مثلك و من على صفتك ممن عرفه حق معرفته و علمه كنه علمه -
و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم انا ارجو ان اكون اتقاكم لله و اعلمكم به - فان قلت فما وجه قراءة
من قرأ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ وهو عمر بن عبد العزيز و يحكى عن ابي حنيفة - قلت
الخشية في هذه القراءة استعارة و المعنى انما يجلبهم و يعظمهم كما يجلب المهيب المخشي من الرجال بين
الناس من بين جميع عباده [إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ] تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة
وقهرهم و اثابة اهل الطاعة و العفو عنهم و المعاقبة المنيب حقه ان يخشى • [يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ] يداومون

سورة فاطر ٣٥
الجزء ٢٢
ع ١٥

الْقُبُورِ ۝ اِنْ اَنْتَ اِلَّا نَذِيرٌ ۝ اِنَّا ارْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۝ وَاِنْ مِنْ اُمَّةٍ اِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝ وَاِنْ
يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝ ثُمَّ اخَذَتْ
الَّذِينَ كَفَرُوا فِكْرًا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّهَ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ فَآخَرَجْنَا مِنْهُ ثَمَرًا مَخْتَلِفًا اَلْوَانُهَا ۖ
وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ اَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنْ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَاَلْاَنْعَامِ

الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما
انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص وتنهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل
من يريد ان يسمع المقبورين وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال [اِنْ اَنْتَ اِلَّا نَذِيرٌ] اي ما عليك الا ان تبليغ و
تُنذِر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع و ان كان من المصرين فلا عليك - ويحتمل ان الله يسمع من
يشاء انه قادر على ان يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والاجاء وغيرهم على وجه الهداية و
التوفيق واما انت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى - [بِالْحَقِّ] حال من
احد الضميرين يعني محققا او محققين - او صفة للمصدر اي ارسلنا مصحوبا بالحق - او صلة لبشير ونذير على
بشير بالوعد الحق ونذير بالوعيد الحق - و الامّة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وَجَدَ عَلَيْهِ لُؤْمَةً مِنَ
النَّاسِ - ويقال لاهل كل عصر امة - وفي حدود المتكلمين الامّة هم المصدقون بالرسول دون المبعوث اليهم وهم
الذين يعتبر اجماعهم و المواد ههنا اهل العصر - فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما
السلام ولم يخل فيها نذير - قلت اذا كانت اثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تدرس و حين
اندرست اثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم - فان قلت كيف اكتفى بذكر النذير
عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما - قلت لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على
ذكرها لا ميمّا وقد اشتملت الآية على ذكرهما [بِالْبَيِّنَاتِ] بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات
[وَبِالزُّبُرِ] وَبِالصُّحُفِ [وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ] نحو التوراة والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء في جنسهم
اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا و ان كان بعضها في جميعهم وهي البيّنات وبعضها في بعضهم وهي
الزبور والكتاب وفيه مسالة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم * [اَلْوَانُهَا] - اجناسها من الرمان والتفاح
والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر - او هيئاتها من الحمرّة والصفرة والخضرة ونحوها - والجُدَدُ الخُطَطُ
والطرائق قال لبيد * ع * او مذهب جدد على الواح * ويقال جدّة الحمار للخطّة السوداء على ظهره وقد يكون
للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لونَي ظهره وبطنه [وَغَرَابِيبُ] معطوف على بَيَضٌ او على
جُدَدٌ كانه قيل رَمِنْ الْجِبَالِ مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب - وعن عكرمة هي
الجبال الطوال السود - فان قلت الغريب تأكيد للاسود يقال اسود غريب و اسود حُلُوكٌ وهو الذي
ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكّد كقولك اصفر فاقع و ابيض

مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ۖ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۖ وََمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۖ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۖ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۖ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۖ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۖ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي

سورة فاطر ٣٥
الجزء ٢٢
ع ١٤

[وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ] ومعنى [وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ] - قلت الاول في الدلالة على عدل الله في حكمه وانه لا يؤخذ نفسا بغير ذنبها - والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الازرار وبهظتها لودعت الى ان يحفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ - فان قلت الام اسند كان في [وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ] - قلت الى المدعو المفهوم من قوله وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ - فان قلت فلم ترك ذكر المدعو - قلت ليعم ويشمل كل مدعو - فان قلت كيف استقام اضرار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة - قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل - فان قلت ما تقول فيمن قرأ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ على كان التامة كقوله وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ - قلت نظم الكلام احسن ملازمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شيء و ان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتامة على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اردته - [بِالْغَيْبِ] حال من الفاعل او المفعول اي يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم - وقيل بِالْغَيْبِ في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله من اصحابه فكانت عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعزي انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم [وَمَنْ تَزَكَّى] ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي - وقري وَمَنْ أَزَكَّى فَإِنَّمَا يَزَكَّى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي [وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ] وعد للمتزكين بالثواب - فان قلت كيف اتصل قوله إِنَّمَا تُنذِرُ بما قبله - قلت لما غضب عليهم في قوله إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ اتبعه الانذار بيوم القيمة وذكر احوالها ثم قال إِنَّمَا تُنذِرُ كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اسمعهم ذلك فلم ينفذ فتنزل إِنَّمَا تُنذِرُ - واخبره الله تعالى بعلمه فيهم * [الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ] مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرین مثلا لهما - او للصم والله عز و علا - وَالظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ - وَالظِّلِّ وَالْحَرُورِ مثلا للحق والباطل وما يؤدى الى اليه من الثواب والعقاب - وَالْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر - وَالْحَرُورِ السَّمُومِ الا ان السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار - وقيل بالليل - فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي - قلت اذا وقعت الواو في النفي قوتت بها التاكيد معنى النفي - فان قلت هل من فرق بين هذه الواوات - قلت بعضها قوتت شفعا الى شفع وبعضها وتوا الى وتر [إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ] يعني انه قد عام من يدخل في

سورة فاطر ٣٥
الجزء ٢٢
ع ١٤
الذات

لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ۖ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ ۖ وَلَا يَنْبُذُكَ مِثْلُ
خَبِيرٍ ۖ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۖ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ
جَدِيدٍ ۖ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۖ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۖ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلْ

مترادفة - أو الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله [وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ] - ويجوز في حكم الاعراب إيقاع اسم الله صفة لاسم الإشارة أو عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى ياباه - و القطمير لفافة الذواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها [إِنْ تَدْعُوا] الاثنان [لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ] لانهم جماد [وَلَوْ سَمِعُوا] على سبيل الغرض والتمثيل [لَمَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ] لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية و يتبرؤون منها - وقيل ما نفعوكم - [يَكْفُرُونَ بِشْرِكِكُمْ] بأشراككم لهم و عبادتكم اياهم يَقُولُونَ مَا كُنْتُمْ آيَاتًا تَعْبُدُونَ [وَلَا يَنْبُذُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ] و لا يُخْبِرُكَ بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي يُخْبِرُكَ بالحققة دون سائر المخبرين به و المعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاثنان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به - و قرى تَدْعُونَ بالتاء و الياء • فان قلت لم عرف الفقراء - قلت قصد بذلك ان يُرِيَهُمْ انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء و ان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس و غيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف و كلما كان الفقير اضعف كان افقر و قد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في قوله وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا وقال الله تعالى اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ و لو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء - فان قلت قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد - قلت لما اثبت فقرهم اليه و غناه عنهم و ليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعمًا فاذا جاد و انعم حمده المنعم عليهم و استحق عليهم الحمد - ذكر الحميد ليدل به على انه [الْغَنِيُّ] النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه [الْحَمِيدُ] على السنة مؤمنهم - [بِعَزِيزٍ] بممتنع و هذا غضب عليهم لاتخاذهم له اذدادا و كفرهم بآياته و معاصيهم كما قال و إِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ - و عن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبد لا يشرك به شيئا - الوزر و الوزر اخوان و وزر الشيء اذا حمله - و الوزرة صفة للنفس و المعنى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابة الدنيا الوالي بالولي و الجار بالجار - فان قلت هلا قيل و لا تَزِرُ نفس وزر اخرى و لم قيل وَازِرَةٌ - قلت لان المعنى ان النفوس الوزرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها - فان قلت كيف توفق بين هذا و بين قوله وَ لِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَ أَنْقَالَ مَعَ أَثْقَالِهِمْ - قلت تلك الآية في الضالين المضلين و انهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم و ذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا وَ لَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ بقوله وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ - فان قلت ما الفرق بين معنى قوله

١٦ سورة فاطر ٣٥
 الجزء ٢٢
 ع ١٣
 فِي كِتَابٍ ط إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ
 أُجَاجٌ ط وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۚ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَبَنٌغُوا مِنْ
 فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَتَسْخَرُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
 مُّسَمًّى ط ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ط وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۝ إِنْ تَدْعُوهُمْ

المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوابي -
 وفيه قاريل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كِتَابٍ وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان
 او غزا فعمرة اربعون سنة وان حج و غزا فعمرة ستون سنة فاذا جمع بينهما فبداغ الستين فقد عمرو اذا افرد
 احدهما فلم يتجاوز به الاربعون فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار - وعن كعب انه قال حين
 طعن عمر لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فليل لكعب اليس قد قال الله تعالى اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون
 ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله تعالى وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وقد استفاض على الالسنة اطل الله
 بقاءك و فسمح في مدتك وما اشبهه - وعن سعيد بن جبيل يكتب في الصحيفة عمرة كذا وكذا سنة ثم يكتب
 في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على اخره - وعن قتادة المَعْمَر من بلغ ستين سنة و
 المنقوص من عمرة من يموت قبل ستين سنة - والكِتَابِ اللوح عن ابن عباس - ويجوز ان يراد بكتاب الله
 علم الله او صحيفة الانسان - و قرئ ولا يَنْقُصُ على تسمية الفاعل من عُمْرَةٍ بالتخفيف * ضرب البحرين
 العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته
 وعطائه [وَمِنْ كُلِّ] اي ومن كل واحد منهما [تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا] وهو السمك [وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً] وهي
 اللؤلؤ والمرجان [وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ] في كل [مَوَاحِرَ] شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال
 للسحاب بذات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء
 كانها تقشره كما تمخره [مِنْ فَضْلِهِ] من فضل الله و لم يجز له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولولم يجز لم
 يشكل لدلالة المعنى عليه - وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك الم التعليل
 كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا - والفرات الذي يكسر العطش - والسائغ المربي السهل الانحدار لعذوبته - و قرئ
 سَائِغٌ بوزن سَيْد - وسَائِغٌ بالتخفيف - ومِلْحٌ على فَعِل - والأجاج الذي يحرق بملوحته - ويحتمل غير طريقة
 الاستطراد وهو ان يشبه الجنسيتين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في
 منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثُمَّ قَسَمْتَ
 قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ اَوْ اَشَدُّ قَسْوَةً ثُمَّ قَالَ وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا
 لَمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ - [ذَلِكَمُ] مبتدأ و [اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ] اخبار

كَذَلِكَ الذُّشُورُ ⑤ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ط إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ط
وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ط وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْوَ ⑥ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ
جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ط وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ط وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرٍ إِلَّا

الكلم لا تقبل ولا تصعد الى السماء فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتبت
الابرار لفي عليين الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها - وقيل الرفع
الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد - وقيل الرفع هو الله والمرفوع العمل - وقيل الكلم الطيب
كل ذكر من تكبير وتسميح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك - وعن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد
عرج بها الملك الى السماء فحيث بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه - وفي الحديث
لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعمل الا بنية ولا يقبل قولا وعمل ونية الا باصابة السنة - وعن
ابن المقفع قول بلا عمل كثير بلا دسم و سحاب بلا مطر وقوس بلا وتر - و قرئ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
على البناء للمفعول - وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ على تسمية الفاعل من اصعد والمصعد هو الرجل
اي يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب - وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ - و قرئ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ
يَرْفَعُهُ بنصب العمل والرفع الكلم او الله عز وجل - فَاَنْ قُلْتَ مَكْرُ فَعَلْ غَيْرَ مُتَعَدٍّ لَيَقَالَ مَكْرُ فُلَانٍ عَمَلُهُ
فَبِمَ نَصَبَ السَّيِّئَاتِ - قُلْتَ هَذِهِ صِفَةٌ لِلْمَصْدَرِ او لما في حكمه كقوله وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ
اصله والذين مكروا المكرات السيئات او اصناف المكر السيئات وعني بهن مكرات قريش حين اجتمعوا
في دار الذنوة وتداولوا الرأي في احدي ثلث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اما
اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم وَإِنْ يَمْكُرْ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ
يُخْرِجُوكَ [وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْوَ] يعني ومكر اولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يُبْوَ
اي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم
مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ وقوله وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ
إِلَّا بِأَهْلِهِ - [أَزْوَاجًا] اصنافا او ذكرا وانا كقوله أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَا - وعن قتادة زوج بعضهم بعضا
[يَعْلَمُهُ] في موضع الحال اي الا معلومة له - فَاَنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ [وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ] - قُلْتَ مَعْنَاهُ
وما يعمر من احد و انما سماه معمر بما هو صائر اليه - فَاَنْ قُلْتَ الانسان اما معمر اي طويل العمر او
منقوص العمر اي قصيرة فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وَمَا يَعْمَرُ مِنْ
مُعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرٍ - قُلْتَ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمَتَسَامِحِ فِيهِ ثَقَّةٌ فِي تَأْوِيلِهِ بِأَفْهَامِ السَّامِعِينَ وَاتِّكَلَا عَلَى
تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس

بِمَا يَصْنَعُونَ ٥ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَدَ إِلَى بَادٍ مَيِّتٍ فَاحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ط سورة فاطر ٣٥

الجزء ٢٢

ع ١٣

لدلالة فلا تذهب نفسك عليه - او افمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه - حسرت مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات - وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا - او هو بيان للمتحسر عليه - ولا يجوز ان يتعلق بحسرت لان المصدر لا يتقدم عليه صلتة - ويجوز ان يكون حالا كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير شعر مشق هواجر لحمن مع السرى • حتى ذهب كلاكلا وصدورا • يريد رجعا كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلا وصدورها ومنه قوله شعر • فعلى اترهم تساقط نفسي • حسرات وذكروهم لي مقام • وقرى فلا تذهب نفسك [ان الله عليهم بما يصنعون] وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم • وقرى ارسل الريح - فان قلت لم جاء [فتثير] على المضارعة دون ما قبله وما بعده - قات ليحكى الحال التي تقع فيها اثاره الرياح السحاب وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تميز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تأبط شرا شعر • بانني قد لقيت الغول تهوي • بسهب كالصيفة صحصحان • فاضربها بلا دهش فخرت • صريعا لليدين و للجران • لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة - وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت و احياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا و احيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص و ادل عليه - والكاف في [كذلك] في محل الرفع اي مثل احياء الموات نشور الاموات - وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كيف يحيى الله الموتى و ما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال فكذلك يحيى الله الموتى و تلك اية في خلقه - و قيل يحيى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تذبذبت منه اجساد الخلق - كان الكافرون يتعززون بالامنام كما قال عز وجل و اتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا و الذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايتبعون عذتهم العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله و لا وليائه و الله العزة و لرسوله و للمؤمنين و المعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشيء لا يطلب الا عند صاحبه و مالكه و نظيرة قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار تريد فليطلبها عندهم الا انك اقامت ما يدل عليه مقامه و معنى فله العزة جميعا ان العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا و عزة الآخرة ثم عرف ان ما تطلب به العزة هو الايمان و العمل الصالح بقوله [اليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه] و الكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس يعنى ان هذه

سورة فاطر ٣٥

الجزء ٢٢

ع ١٣

قَبْلِكَ ٥ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٥ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ٥ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ
 الْغُرُورُ ٥ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ٥ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ٥ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ
 عَذَابٌ شَدِيدٌ ٥ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ٥ أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ
 حَسَنًا ٥ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ٥ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ ٥ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

له - قُلْتُ معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ
 موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب عن التأسى - فان قُلْتُ ما معنى التذكير
 في رُسُلٍ - قُلْتُ معناه فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ اِي رُسُل ذررا عدد كثير وارلوا آيات ونذر و اهل اعمار طوال و
 اصحاب صبر و عزم و ما اشبه ذلك و هذا اسلمى له و احث على المصابرة * [وَعَدَ اللَّهُ] الجزء بالثواب
 و العقاب [فَلَا تُغُرَّنَّكُمْ] فلا تخدعنكم الدنيا و لا يذهبنكم التمتع بها و التلذذ بمنافعها عن العمل للأخرة و طلب ما
 عند الله [وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ] لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة و يعفو عن كل
 خطيئة - و الغرور الشيطان لان ذلك ديدنه - و قرى بالضم و هو مصدر غرة كاللزم و النهوك او جمع غار
 كقاع و قعود - اخبرنا الله عز و جل ان الشيطان لنا عدو مبين و اقتص علينا قصته و ما فعل بايينا آدم
 صلوات الله عليه و كيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده و بعده و نحن على ذلك نتولا و نطيعه
 فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز و جل بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو اعرق في العداوة منه و انتم
 تعاملونه معاملة مَنْ لا علم له بحاله [فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا] في عقائدكم و افعالكم و لا يوجدن منكم ما يدل الا على
 معاداته و مناصبته في سرهم و جهرهم ثم لخص سر امره و خطاه من اتبعه بان غرضه الذي يومه في دعوة
 شيعته و متبعي خطواته هو ان يوردهم مورد الشقوة و الهلاك و ان يكونوا من اصحاب السعير ثم كشف
 الغطاء و قشر اللحاء ليقطع الاطماع الفارغة و الاماني الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان و العمل و تركهما *
 لما ذكر الفريقين الذين كفروا و الذين آمنوا قال لنبيه [أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا] يعني افمن
 زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال لا
 فقال [فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ٥ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ] - و معنى تزوين العمل
 و الاضلال واحد و هو ان يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان
 الله تعالى اياه و تخليته و شانه فعند ذلك يهيم في الضلال و يطاق امر النهى و يعتقد طاعة الهوى حتى
 يرى القبيح حسنا و الحسن قبيحا كأنما غلب على عقله و سلب تمييزه و تقعدت تحت قول ابي نواس * شعر * اسقني
 حتى تراني * حسنا عندني القبيح * و اذا خذل الله المصممين على الكفر و خلاهم و شانهم فان على الرسول
 ان لا يهتم بامرهم و لا يلقي بالاً الى ذكرهم و لا يحزن و لا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم و
 تخليتهم - و ذكر الزجاج ان المعنى افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب

فَلَا مَرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ط وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٥ يَأْتِيهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ط هَلْ مِنْ خَالِقٍ
غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ط لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ط فَاذْهَبْ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ٦ وَإِنْ يَكْذِبْكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ

سورة فاطر ٣٥

الجزء ٢٢

ع ١٢

وقرىءَ فَلَا مَرْسِلَ لَهَا - فَاَنْ قَلَّتْ لِابْدَلِ الثَّانِي مِنْ تَفْسِيرِ مَا تَفْسِيرُهُ - قَلَّتْ يَحْتَمِلُ - اِنْ يَكُونُ تَفْسِيرُهُ مِثْلَ تَفْسِيرِ الْاَوَّلِ
وَلَكِنَّهُ تَرَكَ لِدَلَالَتِهِ عَلَيْهِ - وَاِنْ يَكُونُ مُطْلَقًا فِي كُلِّ مَا يُمْسِكُهُ مِنْ غَضَبِهِ وَرَحْمَتِهِ وَاِنَّمَا فَسَّرَ الْاَوَّلُ دُونَ الثَّانِي لِلدَّلَالَةِ
عَلَى اَنْ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ - فَاَنْ قَلَّتْ مَا تَقُولُ فَيَمْنُ فَسَّرَ الرَّحْمَةَ بِالتَّوْبَةِ وَعِزَّاهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ - قَلَّتْ اِنْ ارَادَ
بِالتَّوْبَةِ الْهَدَايَةَ لَهَا وَالتَّوْفِيقَ فِيهَا وَهُوَ الَّذِي ارَادَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ اَنْ قَالَهُ فَمَقْبُولٌ وَاِنْ ارَادَ اَنَّهُ اِنْ شَاءَ اَنْ يَتُوبَ الْعَاصِي
تَابَ وَاِنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَقْبَلْ فَمُرْدُودٌ لَئِنْ اَللَّهُ تَعَالَى يَشَاءُ التَّوْبَةَ اَبَدًا وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ اَنْ لَا يَشَاءَهَا [مِنْ بَعْدِهِ] مِنْ
بَعْدِ اِمْسَاكِهِ كَقَوْلِهِ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اَللَّهِ - فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اَللَّهِ اَيَّ مَنْ بَعْدَ هِدَايَتِهِ وَبَعْدَ اَيَاتِهِ [وَهُوَ
الْعَزِيزُ] الْغَالِبُ الْقَادِرُ عَلَى الْاَرْسَالِ وَالْاِمْسَاكِ [الْحَكِيمُ] الَّذِي يُرْسِلُ وَيُمْسِكُ مَا يَقْتَضِي الْحِكْمَةُ
اَرْسَالُهُ وَامْسَاكُهُ * لَيْسَ الْمُرَادُ بِذِكْرِ النِّعْمَةِ ذِكْرُهَا بِاللِّسَانِ فَقَطْ وَلَكِنْ بِهِ وَبِالْقَلْبِ وَحِفْظُهَا مِنَ الْكُفْرَانِ
وَالْغَمَطِ وَشُكْرُهَا بِمَعْرِفَةِ حَقِّهَا وَالْاعْتِرَافِ بِهَا وَطَاعَةِ مُوَلِّيَيْهَا وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّجُلِ اَمِنْ اَنْعَمَ عَلَيْهِ اذْكُرْ اَيَادِيَّ
عِنْدَكَ يَرِيدُ حِفْظُهَا وَشُكْرُهَا وَالْعَمَلُ عَلَى مُوجِبِهَا - وَالْخُطَابُ عَامٌ لِلْجَمِيعِ لَئِنْ جَمِيعُهُمْ مَغْمُورُونَ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ -
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ يَرِيدُ يَا اَهْلَ مَكَّةَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ حَيْثُ اسْكَنْتُمْ حَرَمَهُ وَمَنْعَكُمْ مِنْ جَمِيعِ الْعَالَمِ وَالنَّاسِ
يُتَخَفُّونَ مِنْ حَوْلِكُمْ - وَعَنْهُ نِعْمَةُ اللَّهِ الْعَافِيَةُ - وَقَرِئَ [غَيْرُ اللَّهِ] بِالْحُرُكَاتِ الثَّلَاثِ - فَالْجَمْعُ - وَالرَّفْعُ عَلَى
الْوَصْفِ لَفْظًا وَمَحَلًّا - وَالنَّصْبُ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ - فَاَنْ قَلَّتْ مَا مَحَلَّ [يَرْزُقُكُمْ] - قَلَّتْ يَحْتَمِلُ - اِنْ يَكُونُ لَهُ
مَحَلٌّ اِذَا ارْقَعَتْ صِفَةُ الْخَالِقِ - وَاِنْ لَا يَكُونُ لَهُ مَحَلٌّ اِذَا رَفَعَتْ مَحَلَّ مِنْ خَالِقٍ بِاَضْمَارِ يَرْزُقُكُمْ وَارْقَعَتْ
يَرْزُقُكُمْ تَفْسِيرًا لَهُ - اَوْ جَعَلْتَهُ كَلَامًا مُبْتَدَأً بَعْدَ قَوْلِهِ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ - فَاَنْ قَلَّتْ هَلْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى
اَنْ الْخَالِقَ لَا يَطْلُقُ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - قَلَّتْ نَعَمْ اِنْ جَعَلْتَ يَرْزُقُكُمْ كَلَامًا مُبْتَدَأً وَهُوَ الْوَجْهُ الثَّلَاثُ
مِنْ الْاَوَّجِ الثَّلَاثَةِ وَاَمَّا عَلَى الْوَجْهَيْنِ الْاُخْرَيْنِ وَهُمَا الْوَصْفُ وَالتَّفْسِيرُ فَقَدْ تَقَيَّدَ فِيهِمَا بِالرِّزْقِ
مِنْ السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ وَخَرَجَ مِنَ الْاِطْلَاقِ فَكَيْفَ يَسْتَشْهَدُ بِهِ عَلَى اخْتِصَاصِهِ بِالْاِطْلَاقِ - وَالرِّزْقُ مِنَ السَّمَاءِ
الْمَطْرُ وَمِنْ الْاَرْضِ الذُّبَابُ [لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ] جُمْلَةٌ مَفْصُولَةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا مِثْلَ يَرْزُقُكُمْ فِي الْوَجْهِ الثَّلَاثِ وَلَوْ
وَصَلَتْهَا كَمَا وَصَلْتَ يَرْزُقُكُمْ لَمْ يَسَاعِدْ عَلَيْهِ الْمَعْنَى لَئِنْ قَوْلُكَ هَلْ مِنْ خَالِقٍ اُخْرَ سِوَى اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا ذَلِكَ
الْخَالِقُ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ لَئِنْ قَوْلُكَ هَلْ مِنْ خَالِقٍ سِوَى اللَّهِ اِثْبَاتٌ لِلَّهِ فَلَوْ ذَهَبَتْ تَقُولُ ذَلِكَ كُنْتَ مُنَاقِضًا
بِالنَّفْيِ بَعْدَ الْاِثْبَاتِ [فَاتَى تَوَكَّلْ] فَمِنْ اَيِّ وَجْهِ تَصْرِفُونَ عَنِ التَّوْحِيدِ إِلَى الشِّرْكِ - نَعَى بِهِ عَلَى قَرِيشٍ
سُوءَ تَلْقِيهِمْ لآيَاتِ اللَّهِ وَتَكْذِيبَهُمْ بِهَا وَسَأَلَنِي رَسُولُهُ بَانَ لَهُ فِي الْاَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ اِسْوَةٌ حَسَنَةٌ ثُمَّ جَاءَ بِمَا يَشْتَمِلُ
عَلَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ مِنْ رَجُوعِ الْأُمُورِ إِلَى حِكْمِهِ وَمَجَازَاةِ الْمَكْذِبِ وَالْمَكْذِبِ بِمَا يَسْتَحَقُّهُ - وَقَرِئَ تُرْجِعُ
بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِهَا - فَاَنْ قَلَّتْ مَا وَجْهٌ صَحِيحٌ جَزَاءُ الشَّرْطِ وَمِنْ حَقِّ الْجُزْأِ اِنْ يَتَعَقَّبُ الشَّرْطُ وَهَذَا سَابِقٌ

سورة فاطر ٣٥ مَا يَشَاءُ ط إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٥ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ج وَ مَا يُمْسِكُ

الجزء ٢٢

ع ١٢

اربع ورجال ثلثة فلا يعرج عليها و المعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان ابي لكل واحد منهم جناحان و خلقا اجنحتهم ثلثة ثلثة و خلقا اجنحتهم اربعة اربعة [يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ] ابي يزيد في خالق الاجنحة و في غيره ما يقتضيه مشيئته و حكمته و الاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث و الرابع زيادة على الاصل و ذاك اقوى للطيران و اعون عليه - فان قلت قياس الشفع من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما صورة الثالثة - قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدّهما بقوة - او لعله لغير الطيران فقد مربى في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلقون بهما اجسادهم و جناحان يطيران بهما في الامر من امور الله و جناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله - وعن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انه رأى جبرئيل ليلة المعراج و له ستمائة جناح - و روي انه سأل جبرئيل عليه السلام ان يتراى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في ليلة مقمرة فاتاه جبرئيل عليه السلام في صورته فغشي على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ثم افاق و جبرئيل عليه السلام مسنده و احده يديه على صدره و الاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبرئيل عليه السلام فكيف لو رأت امرأته عليه السلام له اثنى عشر جناحا جناح منها بالمشرق و جناح بالمغرب و ان العرش على كاهله و انه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوضع وهو العصفور الصغير - و روي عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في قوله يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ هو الوجه الحسن و الصوت الحسن و الشعر الحسن - و قيل الخط الحسن - و عن قتادة الملاحظة في العينين و الآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامته و اعتدال صورته و تمام في الاعضاء و قوة في البطش و حصافة في العقل و جزالة في الرأي و جرأة في القلب و سماحة في النفس و ذلاقة في اللسان و لباقة في التكلم و حسن تأت في مزاوله الامور و ما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف * استعير الفتح للاطلاق و الارسال الاترى الى قوله فَلَا مَرْسَلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ مَكَانَ لَا فَاتَحَ لَهُ يَعْنِي اَيَّ شَيْءٍ يَطْلُقُ اللَّهُ [مِنْ رَحْمَةٍ] ابي من نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها و تنكير الرحمة للاشاعة و الابهام كانه قال من اية رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها و حبسها و ابي شيء يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه - فان قلت لم أنت الضمير أولا ثم ذكره و هو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط - قلت هما لغتان الحمل على المعنى و على اللفظ و المتكلم على الخيرة فيهما فأنث على معنى الرحمة و ذكر على ان لفظ المرجوع اليه لا تانيث فيه و لان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير و لم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير -

سورة فاطر ٣٥

الجزء ٢٢

ع ١٢

حروفها
٣٢٨٩

بَيِّنْهُمْ وَبَيِّنْ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِمَّنْ قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ۝ ع

سورة فاطر مكية وهي خمس و اربعون آية وخمسة ركوعا

كلماتها
٧٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكَةِ رُسُلًا أُولِي أَلْجَنَةِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ ۖ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ

من جهة بعيدة من حاله لأن أبعد شيء مما جاء به الشعرو السكرو أبعد شيء من عادته اللتي عرفت بينهم و جربت الكذب و الزور - و قرئ رِيْقْدُونَ بِالْغَيْبِ على البناء للمفعول اي يأتيهم به شياطينهم و يُلْقِنُونَهُمْ آيَا - و ان شئت فعلقه بقوله و قالوا آمَنَّا بِهِ على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم آمَنَّا في الآخرة و ذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا - و الغائب الشيء الغائب - ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله بَيِّنْ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ - و كانوا يقولون و مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة و العقاب و الثواب و نحن اكرم على الله من ان يعذبنا قائمين امر الآخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب و هو غيب و مقذوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف [مَا يَشْتَهُونَ] من نفع الايمان يومئذ و النجاة به من الذار و الفوز بالجنة - او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم اَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا [بِأَشْيَاعِهِمْ] باشباههم من كفر الامم و من كان مذهبه مذهبهم [مُرِيبٍ] اما من ارابه اذا اوقعه في الريبة و التهمة - او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة و دخل فيها و كلاهما مجاز الا ان بينهما فُرْقًا و هو ان المرِيب من الاول منقول ممن يصح ان يكون مرِيبا من الاعيان الى المعنى و المرِيب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة سبا لم يبق رسول و لا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا و مصافحا *

سورة فاطر

[فَاطِرِ السَّمَوَاتِ] مبتدئها و مبتدعها - و عن مجاهد عن ابن عباس ما كذت ادري ما فاطر السموات و الارض حتى اختصم الي اعرابيان في بكر فقال احدهما انا فطرتهما اي ابتدأتها - و قرئ الَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ جَعَلَ الْمَلَكَةَ - و قرئ جَاعِلُ الْمَلَكَةِ بالرفع على المدح [رُسُلًا] بضم السين و سكونه [أُولِي أَلْجَنَةِ] اصحاب اجنحة - و اولوا اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا و نظيرهما في المتمكنة المخاض و الخلفة [مَثْنَى وَ ثُلَاثَ وَ رُبْعَ] صفات لاجنحة و انما لم ينصرف لتكرر العدل فيها و ذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ آخر كما عدل عمر عن عامر و حذام عن حازمة و عن تكرير الى غير تكرير و اما الوصفية فلا تفترق الحال فيها بين المعدولة و المعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة

رَبِّي ٥ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ٥ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ٥ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ٥ وَآذَىٰ لَهُمُ التَّنَازُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ٥ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ٥ وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ٥ وَحِيلَ

ظَلَمْتُ - أَظَلُّ - وقرئ اضل بكسر الهمزة مع فتح العين - فأن قلت أين التقابل بين قوله [فَأَنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي] وقوله [فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي] وإنما كان يستقيم أن يقال فأنما اضل على نفسي و أن اهتديت فأنما اهتدي لها كقوله مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا - فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا أو يقال فأنما اضل بنفسي - قلت هما متقابلان من جهة المعنى لأن النفس كل ما عليها فهو بها اعني أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لأنها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما امر رسوله أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به [إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ] يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء * [وَلَوْ تَرَىٰ] جوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة - ولو وإن و الافعال التي هي فزعوا وأخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمواد بها الاستقبال لأن ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان وجُد لتحقيقه - وقت الفزع وقت البعث و قيام الساعة - وقيل وقت الموت - وقيل يوم بدر - وعن ابن عباس نزلت في خسف البيداء وذلك أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا البيداء خُسِفَ بهم [فَلَا فَوْتَ] فلا يفوتون الله ولا يسبقونه - وقرئ فَلَا فَوْتَ - والخذ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ من الموقف إلى النار إذا بُعِثُوا - أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا - أو من صحراء بدر إلى القليب - أو من تحت أقدامهم إذا خُسِفَ بهم - فأن قلت علام عطف قوله وَأُخِذُوا - قلت فيه وجهان - العطف على فزعوا أي فزعوا وأُخِذُوا فلا فوت لهم - أو على لَا فَوْتَ على معنى أن فزعوا فلم يفوتوا وأُخِذُوا - وقرئ وَأَخُذٌ وهو معطوف على محل لَا فَوْتَ ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ [أَمَّا بِهِ] بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لمرور ذكره في قوله مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ - والتنازل والتناوش اخوان إلا أن التناوش تنازل سهل شيء قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة كما يتناول الأخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه - وقرئ التَّنَازُشُ همزت الوار المضمومة كما همزت في أَجْوَةٌ وَأَذْرُورٌ - وعن أبي عمرو التناوش بالهمز التنازل من بُعد من قولهم ناشت إذا ابطأت وتأخرت ومنه البيت * ع * تمنى نئيشا أن يكون اطاعني * أي اخيرا [يَقْدِرُونَ] معطوف على قَدْ كَفَرُوا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون [بِالْغَيْبِ] ويأتون به [مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ] وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاعر - ساجر - كذاب وهذا تكلم بالغيب والأمر الخفي لأنهم لم يشاهدوا مذه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب

مَنْ جَنَّةٌ ط إِنَّهُ هُوَ الَّذِي نَذِيرُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ٥ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ط إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ع وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٥ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلامُ الْغُيُوبِ ٥ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ٥ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ع وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ

سورة السبا ٣٣

الجزء ٢٢

ع ١١

الكذب و اذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بان ياتيكم باية فاذا اتى بها تبين انه نذير مبين - فان قلت ما بصاحبكم بم يتعلق - قلت يجوز ان يكون كلاما مستانفا تنذيرها من الله عز وجل على طريقة النظر في امر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم - ويجوز ان يكون المعنى ثم تدفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة - وقد جوز بعضهم ان تكون ما استفهامية - [بين يدي عذاب شديد] كقوله عليه السلام بعثت في نسم الساعة * [فهو لكم] جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتم من اجر تقديره اي شيء سألتم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة - وفيه معنيان - احدهما نفى مسئلة الاجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذة وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن - والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما اهلكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتحان السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لان القرابة قد انتظمت واياهم [على كل شيء شهيد] حفيظ مهيم يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شيء * القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى اللقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب - ان اذنيه في الثابت ومعنى [يقذف بالحق] يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويذهقه [علام الغيوب] رفع محمول على محل ان واسمها - او على المستكن في يقذف - او هو خبر مبتدأ محذوف - وقرئ بالنصب صفة لربي - او على المدح - وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث - فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصوت وهو الامر الذي غاب وخفي جدا - والحي اما ان يبدى فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدى ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد * شعر * اقرر من اهله عبيد * فاليوم لا يبدى ولا يعيد * والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل - وعن ابن مسعود دخل النبي صلى الله عليه واله وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا - جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد - والحق القرآن - وقيل الاسلام - وقيل السيف - وقيل الباطل ابليس اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله - وعن الحسن لا يبدى لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والاخرة - وقال الزجاج اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام - وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل - ولانه هالك كما قيل له الشيطان من شأط اذا هلك * قرئ ضللت - اضل بفتح العين مع كسرها - وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ضللت اظل و

وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۖ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ مَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ۚ وَكَفَيْكَ كَانَ نَذِيرٍ ۚ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ۚ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ خِزْفٍ ۚ فَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُمْ

والقرون الخالية كما كذبوا - وما بلغ هؤلاء بعض [مَا آتَيْنَا] اولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستيصال ولم يغرن عنهم استظهارهم بما هم فيه مستظهرون فما بال هؤلاء - وقرئ يَدْرِسُونَهَا من التدريس وهو تكرير الدرس او من درس الكتاب ودرس الكتب - وَيَدْرِسُونَهَا بتشديد الدال يفتعلون من الدرس - والمِعْشَار كالمِربع وهما العشر والرابع - فان قلت ما معنى [فَكَذَّبُوا رُسُلِي] وهو مستغنى عنه بقوله وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ - قلت لما كان معنى قوله وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وفعل الذين من قبلهم التكذيب و اقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم - ويجوز ان ينعطف على قوله وَ مَا بَلَغُوا كقولك ما بلغ ريد معشار فضل عمرو فتفضل عليه [فَكَفَيْكَ كَانَ نَذِيرِي] للمكذبين الاولين * فليحذروا من مثله بِوَاحِدَةٍ بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله أَنْ تَقُومُوا على انه عطف ببيان لها - و اراد بقيامهم - اما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده - و اما القيام الذي لا يراد به المثل على القدمين ولكن الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى [إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ] ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي [أَنْ تَقُومُوا] لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين واحدا واحدا [ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا] في امر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران و يعرض كل واحد منهما محصل فكرة على صاحبه و ينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا يذبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض فكرة على عقلاه وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري احوالهم والذي اوجب تفرقهم مثنى وفردى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الانصرة المذهب - و اراهم بقوله [مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ] ان هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والاخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلا اما مجنون لا يدالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب واما عاقل راجع العقل مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحتة عنده بحجته وبرهانه واما فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بيضة له عليه وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا و ارزاهم حلما و انقبحهم ذهنا و اصلهم رأيا و اصدقهم قولا و انزههم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لأن تظنوا به الخيرو ترجحوا فيه جانب الصدق على

سورة السبا ٣٤

الجزء ٢٢

ع ١٠

قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَإِنَّا مِنْ دُونِهِمْ ۚ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۚ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ۖ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۖ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُرْقُوا عَذَابَ النَّارِ النَّارِ كُنتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ۖ وَإِذَا تُلِيَتْ
عَلَيْهِمْ الصَّاعِقَاتُ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ آبَاءَكُمْ ۖ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أِنْفُكَ
مُفْتَرًى ۖ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۖ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا

وعيسى منزّهين براء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض ان يقول ويقولوا و
يسأل ويجيبوا فيكون تقريرهم اشد وتعييدهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم الزم ويكون اقتصاص ذلك
لطفًا لمن سمعه و زاجراً لمن اقتض عليه - والمؤالة خلاف المعادة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من
عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعادة من العدو وهي البعد والولي يقع على
الموالي والموالي جميعا والمعنى أنت الذي نواليه من دونهم ان للمؤالة بيننا وبينهم فبينوا باثبات
مؤالة الله ومعادة الكفار ببراءتهم من الرضاء بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية
لذلك [بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ] يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله - وقيل صوّرت لهم
الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملكة فاعبدها - وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام
اذا عُدّت فيعبُدون بعبادتها - وقرئ يُحْشَرُهُمْ - وَيَقُولُ بِالذُّنُوبِ والياء * الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك
فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها
خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والذاس فيها مخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد انه
لاضار ولا نافع يومئذ الا هو - ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله [وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] معطوفاً على لَا يَمْلِكُ -
الاشارة الاولى الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - والثانية الى القرآن - والثالثة الى الحق - والحق
امر النبوة كله ودين الاسلام كما هو - وفي قوله وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا - وفي ان لم يقل وقالوا - وفي قوله لِلْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُمْ - وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه - وما في لَمَّا من المبادهة بالكفر دليل على
صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من امرهم بليغ كأنه قال وقال اولئك الكفرة المتمردون
بجراتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه [إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ] فبتوا القضاء
على انه سحر ثم بدّوه على انه بين ظاهر كل عاقل تأمله سمّاه سحراً * [وَمَا آتَيْنَهُمْ] كُتُباً [يَدْرُسُونَهَا] فيها
برهان على صحة الشرك ولا أرسلنا اليهم نديرا يذنبهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ - او وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا صلة لهم وليس لهم عهد
بانزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ فليس لتكذيبهم وجه
متشبه ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب و ان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرائع و
مستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله [وَكَذَّبَ الَّذِينَ] تقدّمواهم من الاصم

بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كُفِرُونَ ۝ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۝ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَاُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۝ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۝ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْوَأَ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝

حسبانهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العصي وضيّق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيّق عليهما فلا ينقاس عليه امر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق - و قدر الرزق تضيقه قال تعالى وَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ - و قرى يقدر بالتشديد و التخفيف * اراد [وَمَا] جماعة [أَمْوَالُكُمْ وَلَا] جماعة [أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ] و ذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه و غير عقلائه سواء في حكم التانيث - ويجوز ان يكون اللتي هي التقوى و هي المقربة عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم بتلك الموضوعه للتقريب - و قرأ الحسن باللاتي تقربكم لانها جماعات - و قرى بالذتي تقربكم اي بالشئ الذي يقربكم - و الزلفى و الزلفة كالتقوى و القربة و محلها النصب اي تقربكم قربة كقوله أَنبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا [إِلَّا مَنْ آمَنَ] استثناء من كم في تقربكم - و المعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي يُنفقها في سبيل الله و الاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم الخير و فقهم في الدين و رشحهم للمصالح و الطاعة [جَزَاءُ الضَّعْفِ] من اضافة المصدر الى المفعول اصله فَاُولَئِكَ لَهُمْ ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف و معنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عسرا - و قرى جزاء الضعف على فَاُولَئِكَ لَهُم الضعف جزاء - و جزاء الضعف على ان يجازوا الضعف - و جزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء - و قرى [فِي الْغُرُفَاتِ] بضم الراء وفتحها وكونها - و في الغرفة * [فَهُوَ يُخْلِفُهُ] فهو يعوضه لا معوض سواء إما عاجلا بالمال او بالقناعة اللتي هي كذا لا ينفد و إما أجلا بالثواب الذي كل خلف دونه - و عن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم و لعل ما قسم له قليل و هو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر و لا يتأخرن و مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ فان هذا في الآخرة و معنى الآية و ما كان من خلف فهو منه [خَيْرُ الرَّازِقِينَ] و اعلاهم رب العزة لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق عبده أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه على ايدي هؤلاء و هو خالق الرزق و خالق الاسباب اللتي بها يتنفع المرزوق بالرزق - و عن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني و جعلني ممن يشتهي فكمن من مشته لا يجد و واجد لا يشتهي - هذا الكلام خطاب للملكة و تقرير للكفار و ارد على المثل السائر * ع * اياك اعني و اسمعي يا جارة * و نحوه قوله عز و علا أَنْتَ قَاتِلِ النَّاسِ اتَّخِذْنِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ و قد علم سبحانه كون الملكة

بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ط وَأَسْرُوا الذِّمَامَةَ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ ط وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ
فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ط هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا

سورة السبا ٣٤

الجزء ٢٢

ع ٩

بَلْ أَنْتُمْ مَنَعْتُمْ أَنْفُسَكُمْ حَظَهَا وَأَثَرْتُمْ الضَّلَالَةَ عَلَى الْهَدْيِ وَأَطَعْتُمْ أَمْرَ الشَّهْوَةِ دُونَ أَمْرِ الذَّهْنِ فَكُنْتُمْ مُجْرِمِينَ
كَافِرِينَ لِاخْتِيَارِكُمْ لَا لِقَوْلِنَا وَتَسْوِيلِنَا - فَإِنْ قُلْتَ إِذْ وَإِذَا مِنْ الظُّرُوفِ الْإِزْمَةِ لِلظَّرْفِيَةِ فَلِمَ وَقَعْتَ إِذْ مُضَافًا
إِلَيْهَا - قُلْتَ قَدْ اتَّسَعَ فِي الزَّمَانِ مَا لَمْ يَتَّسِعْ فِي غَيْرِهِ فَأُضِيفَ إِلَيْهَا الزَّمَانُ كَمَا أُضِيفَ إِلَى الْجَمَلِ فِي
قَوْلِكَ جُنْتُكَ بَعْدَ إِذَا جَاءَ زَيْدٌ وَحِينَئِذٍ وَيَوْمَئِذٍ وَكَانَ ذَلِكَ أَوَانَ الْحُجَّاجِ أَمِيرٍ وَحِينَ خَرَجَ زَيْدٌ - لَمَّا أَنْكَرَ
الْمُسْتَكْبِرُونَ بِقَوْلِهِمْ أَنَحْنُ صَدَدُنْكُمْ أَنْ يَكُونُوا هُمْ السَّبَبُ فِي كُفْرِ الْمُسْتَضَعْفِينَ وَاثْبَتُوا بِقَوْلِهِمْ [بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ] -
أَنْ ذَلِكَ بِكُسْبِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ كَرَّ عَلَيْهِمُ الْمُسْتَضَعْفُونَ بِقَوْلِهِمْ [بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ] فَابْطَلُوا أَضْرَابَهُمْ بِأَضْرَابِهِمْ
كَأَنَّهُمْ قَالُوا مَا كَانَ الْجَرَامُ مِنْ جَهْتِنَا بَلْ مِنْ جِهَةِ مَكْرِكُمْ لَنَا دَائِبًا لَيْلًا وَنَهَارًا وَحَمَلَكُمْ آيَانَا عَلَى الشَّرْكِ
وَإِتِّخَاذِ الْإِنْدَادِ - وَمَعْنَى مَكْرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَكْرِكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَاتَّسَعَ فِي الظَّرْفِ بِأَجْرَائِهِ مَجْرَى
الْمَفْعُولِ بِهِ وَإِضَافَةُ الْمَكْرِ إِلَيْهِ - أَوْ جَعَلَ لَيْلَهُمْ وَنَهَارَهُمْ مَآكِرِينَ عَلَى الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ - وَقَرِئَ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ بِالتَّنْوِينِ وَنَصَبِ الظَّرْفَيْنِ - وَبَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ أَيْ تَكْرُرُ الْإِغْوَاءِ مَكْرًا دَائِبًا
لَا تَفْتَرُونَ عَنْهُ - فَإِنْ قُلْتَ مَا وَجَّهَ الرَّفْعَ وَالنَّصْبَ - قُلْتَ هُوَ مُبْتَدَأٌ - أَوْ خَبَرٌ عَلَى مَعْنَى بَلْ سَبَبُ ذَلِكَ
مَكْرِكُمْ أَوْ مَكْرِكُمْ - أَوْ مَكْرِكُمْ سَبَبُ ذَلِكَ - وَالنَّصْبُ عَلَى بَلْ تَكْرُرُ الْإِغْوَاءِ مَكْرًا لَّيْلًا وَالنَّهَارَ - فَإِنْ قُلْتَ
لِمَ قِيلَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بِغَيْرِ عَاطِفٍ - وَقِيلَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا - قُلْتَ لِأَنَّ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا مَرَّةً
أَوَّلًا كَلَامُهُمْ فَجِيءَ بِالْجَوَابِ مُحَذَّرِ الْعَاطِفِ عَلَى طَرِيقَةِ الْاسْتِيفَانِ ثُمَّ جِيءَ بِكَلَامٍ آخَرَ لِلْمُسْتَضَعْفِينَ فَعَاطَفَ
عَلَى كَلَامِهِمُ الْأَوَّلِ - فَإِنْ قُلْتَ مَنْ صَاحِبُ الضَّمِيرِ فِي [وَأَسْرُوا] - قُلْتَ الْجِنْسُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى الْفِعْلَيْنِ مِنَ
الْمُسْتَكْبِرِينَ وَالْمُسْتَضَعْفِينَ وَهُمُ الظُّلُمُونَ فِي قَوْلِهِ إِذِ الظُّلُمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَنْدِمُ الْمُسْتَكْبِرُونَ عَلَى
ضَلَالِهِمْ وَاضْلَالِهِمْ وَالْمُسْتَضَعْفُونَ عَلَى ضَلَالِهِمْ وَاتِّبَاعِهِمُ الْمَضِلِّينَ [فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا] أَيْ فِي آعْنَاقِهِمْ
فَجَاءَ بِالصَّرِيحِ لِلتَّنْوِينِ بِذَمِّهِمْ وَالدَّلَالَةِ عَلَى مَا اسْتَحَقُّوا بِهِ الْإِغْلَالَ - وَعَنْ قِتَادَةَ أَسْرُوا الْكَلَامَ بِذَلِكَ بَيْنَهُمْ -
وَقِيلَ أَسْرُوا الذِّمَامَةَ أَظْهَرُهَا وَهُوَ مِنَ الْإِضْدَادِ * هَذِهِ تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا مَنَى
بِهِ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْكَفْرِ بِمَا جَاءَ بِهِ وَالمُنَافَسَةِ بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْمَغَاخِرَةِ بِالدُّنْيَا وَزُخَارِفِهَا
وَالتَّكْبَرِ بِذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالاسْتِهَانَةِ بِهِمْ مِنْ أَجْلِهِ وَقَوْلُهُمْ أَيْ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا
وَإِنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ قَطَّ إِلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالُوا لَهُ مِثْلُ مَا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
أَهْلُ مَكَّةَ وَكَادُوا بِنَحْوِ مَا كَادُوا بِهِ وَقَاسُوا أَمْرَ الْآخِرَةِ الْمَوْهُومَةِ أَوْ الْمَفْرُوضَةِ عَنْدهُمْ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا وَاعْتَقَدُوا
أَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَكُفِّرُوا عَلَى اللَّهِ لَمَّا رَزَقَهُمْ وَلَوْ لَا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ هَانُوا عَلَيْهِ لَمَّا حَرَمَهُمْ فَعَلَى قِيَاسِهِمْ ذَلِكَ قَالُوا
[وَمَا أَنَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ] أَرَادُوا أَنَّهُمْ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ نَظَرًا إِلَى أَحْوَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا * وَقَدْ أَبْطَلَ اللَّهُ

سورة السبا ٣٥
الجزء ٢٢
ع ٩
النصف
ر

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْجَعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنْخَنُ صَدَنُكُمْ عَنِ الْهَدَىٰ بَعْدَ إِذٍ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا

الصفات وهو راجع الى الله وحده - او هو ضمير الشأن كما في قوله قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * [الْكَافَّةُ لِلنَّاسِ] [الارسالة عامة لهم محيطه بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم - وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعاً للناس في الانذار و الابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغة كقراءة الراوية والعلامة - ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطأ لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين * قرئ [مِيعَادٌ يَوْمَ] - وَمِيعَادٌ يَوْمًا - والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ مِيعَادٌ يَوْمًا فابدل منه اليوم - فان قلت فما تاريل من اضافه الى يَوْمَ - او نصب يومًا - قلت اما الاضافة فاضافة تبديين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية - واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديرة لكم ميعاد اعني يوما او اريد يوما من صفته كيت وكيت - ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم - فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سوالهم - قلت ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعذرا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجىء السؤال على سبيل الانكار والتعذرت و انهم مرصدون بيوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه * [الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ] ما نزل قبل القرآن من كتب الله - يروى ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا - وقيل الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ - والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله او ان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم اول للمخاطب - وَلَوْ تَرَىٰ فِي الْآخِرَةِ مَوْقِفَهُمْ وَهُمْ يَتَجَاذِبُونَ أَطْرَافَ الْمَجَارِدِ وَيَتَرَاوَعُونَهَا بَيْنَهُمْ لَرَأَيْتَ الْعَجَبَ فَحَذَفَ الْجَوَابَ - والمستضعفون هم الاتباع - والمستكبرون الرؤس والمقدمون - أولي الاسم اعني نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادقين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا نحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم مبدئين مختارين [بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ] بعد ان صمتم على الدخول في الايمان وصحت نياتكم في اختياره

لَعَلِّي هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ قُلْ لَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ أَجْرِي وَإِنْ سَأَلْتُمْ عَنْهُ تَعْمَلُونَ ۝ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ۝ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ۝ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَهْبَأْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا ۝ بَلْ هُوَ اللَّهُ

سورة السبا ٣٤

الجزء ٢٢

ع ٨

ارتضى * امرة بأن يقررهم بقوله [مَنْ يَرْزُقُكُمْ] - ثم امرة بان يتولى الاجابة و الاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد ألجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته و لانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فمالكم لا تعبدون من يرزقكم وتوئرون عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ حَتَّى قَالَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فكَأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْرَوْنَ بِالسَّنْتِمْ مَرَّةً وَ مَرَّةً كَانُوا يَتْلَعَثُونَ عِثَارًا وَ ضَرَارًا مِنْ الزَّامِ الْحُجَّةِ وَ نَحْوَهُ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا - وَ امرة ان يقول لهم بعد الالتزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه [وَ إِنَّا أَوْأَيَّاكُمْ لَعَلِّي هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] و معناه وان احد الفريقين من الذين يتوحدون الرازق من السموات والارض بالعبادة و من الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقُدرة لعللى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موالٍ او منافٍ قال لمن خُوطب به قد انصفك صاحبك و في درجه بعد تقدمة ما قدّم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى و من هو في الضلال المبين ولكن التعريض و التورية اوصل بالمجادل الى الغرض و اهجّم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم و قل شوكته بالهوبنا و نحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك و ان احدنا لكاذبٌ ومنه بيت حسان * شعرة اتبجوة و لست له يكفو * فشركما لخيركما الفداء * فان قلت كيف خولف بين حرفي البحر الداخلين على الحق والضلال - قلت لان صاحب الحق كانه مستعمل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه وفي قراءة ابي و إِنَّا أَوْأَيَّاكُمْ إِمَّا عَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ - هذا ادخل في الانصاف و ابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين و العمل الى المخاطبين و ان اراد بالاجرام للصغائر و الزلات اللتي لا يخلو منها مؤمن و بالعمل الكفر و المعاصي العظام - وفتح الله بينهم و هو حكمه و فصله انه يدخل هؤلاء الجنة و اولئك النار * فان قلت ما معنى قوله [أَرُونِي] و كان يراهم و يعرفهم - قلت اراد بذلك ان يريهم الخطاء العظيم في الحاق الشركاء بالله و ان يقايس على اعينهم بيده و بين اصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه و الاشراك به - و [كَلَّا] ردع لهم عن مذهبيهم بعد ما كسره بابطال المقايسة كما قال ابراهيم اَبْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ بَعْدَ مَا حُجِّجْتُمْ - و قد نبه على تفاحش غلطهم و ان لم يقدروا الله حق قدره بقوله [هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه

لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهَرَ ۖ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقُّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۖ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ

ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوا قاتوا ما هو حق وتوحيد فبقي ان يكون محذورا تقديره زعمتموههم الهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله اهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف الهة لانه موصوف صفة من دون الله و الموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوران جميعا بسببين مختلفين - تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله [وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ] ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة له - او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه - او هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمره اي لاجله و فكأنه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله - فان قلت بهم اتصل قوله [حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ] ولاي شيء وقعت حتى غاية - قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثمة انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعنا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم اولا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التدبص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز من قائل رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا - يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا كأنه قال يتدربون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا [مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا] قال [الْحَقُّ] اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى - وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة - وقرئ اذن له اي اذن له الله - واذن له على البناء للمفعول - وقرأ الحسن فزع مخففا بمعنى فزع - وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده - وقرئ اي نفى الوجع عنها وانفي من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجع واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد يخفف واصله فرغ الوجع عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور - وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها - وعن ابي علقمة انه هاج به المزار فالتفت عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكاثروا علي تكاثروكم على ذي جنة افرنقوا عني والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف اقمط مع زيادة الراء - وقرئ الحق بالرفع اي مقوله الحق [وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ] ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ
مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَن يَوْمَئِذٍ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۖ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ۝ قُلْ
أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا

سورة السبا ٣٤

الجزء ٢٢

ع ٨

بَعْدَ بَيْنٍ أَسْفَارًا - وَ بَيْنَ سَفَرَيْنَا - وَ بَعْدَ بَرْقَعٍ رَبَّنَا عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَ الْمَعْنَى خِلَافِ الْإِلَهِ وَ هُوَ اسْتِغْنَاءُ مَسَائِرِهِمْ
عَلَى قَصَرِهَا وَ دُنُوها لِفَرْطِ تَفَعُّلِهِمْ وَ تَرْفَعِهِمْ كَانُوا يَتَشَاخَعُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَ يَتَحَازَنُونَ عَلَيْهِ [أَحَادِيثَ]
يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهِمْ وَ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ أحوَالِهِمْ - وَ فَرَقْنَاهُمْ تَفْرِيقًا اتَّخَذَهُ النَّاسُ مِثْلًا مَضْرُوبًا يَقُولُونَ ذَهَبُوا أَيَدِي صَبَا -
وَ تَفَرَّقُوا أَيَدِي صَبَا قَالَ كَثِيرٌ * شعراً * أَيَدِي صَبَا يَا عَزَّ مَا كُنْتُ بَعْدَكُمْ * فلم يَحُلْ بِالْعَيْنَيْنِ بَعْدَكَ مَنظَرٌ * لِحَقِّ
غَسَّانٍ بِالشَّامِ - وَ أَمَارٌ يَدُورُ - وَ جَذَامٌ بِتِهَامَةَ - وَ الْإِزْدُ بَعْمَانَ [صَبَّارٍ] عَنْ الْمَعَاصِي [شَكُورٍ] لِلنَّعْمِ * قَرِئَ
[صَدَقَ] بِالتَّشْدِيدِ وَ التَّخْفِيفِ - وَ رَفَعَ [إِبْلِيسَ] وَ نَصَبَ الظَّنَّ - فَمِنْ شَدَدِ فَعْلَى حَقَّقَ عَلَيْهِمْ [ظَنَّهُ] - أَوْ وَجَدَهُ
صَادِقًا - وَ مِنْ خَفَفَ فَعْلَى صَدَقَ فِي ظَنِّهِ - أَوْ صَدَقَ يَظُنُّ ظَنًّا نَحْوَ فَعْلَتَهُ جَهْدَكَ - وَ بَنَصَبَ إِبْلِيسَ وَ رَفَعَ الظَّنَّ -
فَمِنْ شَدَدِ فَعْلَى وَجَدَهُ ظَنَّهُ صَادِقًا - وَ مِنْ خَفَفَ فَعْلَى قَالَ لَهُ ظَنَّهُ الصَّدَقَ حِينَ خِيلَهُ إغْوَاءَهُمْ يَقُولُونَ
صَدَقْتَ ظَنَّاكَ - وَ بِالتَّخْفِيفِ وَ رَفَعَهُمَا عَلَى صَدَقَ عَلَيْهِمْ ظَنُّ إِبْلِيسَ - وَ لَوْ قَرِئَ بِالتَّشْدِيدِ مَعَ رَفَعَهُمَا لَكَانَ
عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي صَدَقَ كَقَوْلِهِ * ع * صَدَقْتَ فِيهِمْ ظَنُونِي * وَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ حِينَ وَجَدَ أَدَمَ ضَعِيفَ الْعِزِّ قَدْ اصْغَى إِلَى
وَسْوَئِهِ قَالَ إِنَّ ذَرِيَّتَهُ أضعفُ عِزًّا مِنْهُ فَظَنَّ بِهِمْ اتِّبَاعَهُ وَقَالَ لِأَصْلَانِهِمْ - لَأَغْوِيَنَّهُمْ - وَ قِيلَ ظَنَّ ذَلِكَ عِنْدَ إِخْبَارِ
اللَّهِ الْمَلَكَةَ أَنَّهُ يَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا - وَ الضَّمِيرُ فِي عَلَيْهِمْ - وَ اتَّبَعُوهُ أَمَّا لِأَهْلِ صَبَا أَوْ لِبَنِي أَدَمَ وَ قُلَّ
الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ [الْإِفْرِيقَا] لِأَنَّهُمْ قَلِيلٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْكُفَّارِ كَمَا قَالَ لَأَحْتَنِكَنَّ ذَرِيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا - وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
شَكِرِينَ * [وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ] تَسْلُطٍ وَ اسْتِغْلَالٍ بِالْوَسْوَةِ وَ الْإِسْغْوَاءِ إِلَّا لَغَرَضٍ صَحِيحٍ وَ حِكْمَةٍ بَيِّنَةٍ
وَ ذَلِكَ أَنَّ يَتَمَيَّزُ الْمُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِنَ الشَّاكِّ فِيهَا وَ عِلَلُ التَّسْلِيطِ بِالْعِلْمِ وَ الْمُرَادُ مَا تَعَلَّقَ بِهِ الْعِلْمُ - وَ قَرِئَ
لِيَعْلَمَ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ [حَفِيفٌ] مَحَافِظٌ عَلَيْهِ وَ فَعِيلٌ وَ مَفَاعِلٌ مُتَأَخِّدِينَ * [قُلْ] لِمَشْرُكِي قَوْمِكَ
[أَدْعُوا الَّذِينَ] عِبَدْتُمُوهُمْ [مِّن دُونِ اللَّهِ] مِنَ الْأَصْنَامِ وَ الْمَلَكَةِ وَ سَمِيتُمُوهُمْ بِاسْمِهِ كَمَا تَدْعُونَ اللَّهَ وَ التَّجَنُّوا
إِلَيْهِمْ فِيمَا يَعْبُودُكُمْ كَمَا تَلْتَجِنُونَ إِلَيْهِ وَ انْتَظِرُوا اسْتِجَابَتَهُمْ لِدَعَائِكُمْ وَ رَحْمَتَهُمْ كَمَا تَنْتَظِرُونَ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ
وَ يَرْحَمَكُمْ ثُمَّ أَجَابَ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ [لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ] مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ أَوْ نَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ [فِي السَّمَوَاتِ - وَ الْأَرْضِ]
[وَمَا لَهُمْ فِي] هَذَيْنِ الْجَنَسَيْنِ مِنْ شَرِكَةٍ فِي الْخَلْقِ وَ لَا فِي الْمَلِكِ كَقَوْلِهِ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ
وَ الْأَرْضِ - [وَمَا لَهُ مِنْهُنَّ مِنْ] عَوَيْنٍ يَعِينُهُ عَلَى تَدْبِيرِ خَلْقِهِ يَرِيدُ أَنْهُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ مِنَ الْعَجْزِ وَ الْبَعْدِ عَنْ
أحوَالِ الرُّبُوبِيَّةِ فَكَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يَدْعُوا كَمَا يُدْعَى وَ يَرْجُوا كَمَا يُرْجَى - فَانْ قُلْتَ إِيْن مَفْعُولًا زَعَمَ - قُلْتَ -
أَحَدُهُمَا الضَّمِيرُ الْمَحْذُوفُ الرَّاجِعُ مِنْهُ إِلَى الْمَوْصُولِ - وَ أَمَّا الثَّانِي فَلَا يَخْلُو أَمَّا أَنْ يَكُونَ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْ لَا
يَمْلِكُونَ أَوْ مَحْذُوفًا فَلَا يَصِحُّ الْأَوَّلُ لِأَنَّ قَوْلَكَ هُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَلْتَمِزُ كَلَامًا وَ لَا الثَّانِي لِأَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَزْعُمُونَ

بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَ قَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ط سَيَّرُوا فِيهَا لَيْلِيَّ وَ أَيَّامًا أَمِينًا ©
فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَ مَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ط إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

مقامه - أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل ذواتي أكل بشع - و من اضاف و هو أبو عمرو وحده فلان أكل الخمط في معنى البدرير فكأنه قال ذواتي برير - والآثل واليسدر معطوفان على أكل لا على خمط لأن الآثل لا أكل له - و قرى و آثلا و شيعا بالنصب عطفا على جنتين و تسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة و فيه ضرب من التهم - و عن الحسن قتل اليسدر لانه اكرم ما بدلوا - و قرى و هل يجزى - [و هل يجزى] بالنون - و هل يجزى و الفاعل الله وحده - و هل يجزى - و المعنى ان مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر و هو العقاب العاجل - و قيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته و الكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله من سوء - و وجه آخر و هو ان الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل تارة في معنى المعاقبة و اخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيتهم بما كفروا بمعنى عاقبتهم بكفرهم - قيل و هل يجزى الا الكفور بمعنى و هل يعاقب و هو الوجه الصحيح - و ليس لقائل ان يقول لم قيل و هل يجزى الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء و الجزاء عام للكافر و المؤمن لانه لم يرد الجزاء العام و انما اراد الخاص و هو العقاب بل لا يجوز ان يرد العموم و ليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيتهم بما كفروا و هل يجازى الا الكافر و المؤمن لم يصح و لم يستد كلاما فتبين ان ما يتخيل من السؤال مضمحل و ان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه * [القرى التي بركنا فيها] هي قرى الشام [قرى ظاهرة] متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لآعين الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم [و قدرنا فيها السير] قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية و الرائج يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا و لا عطشا و لا عدوا و لا يحتاج الى حمل زاد و لا ماء - [سيروا فيها] قلنا لهم سيروا و لا قول ثمة و لكنهم لما متوا من السير و سويت لهم اسبابه فكأنهم امروا بذلك و اذن لهم فيه - فان قلت ما معنى قوله [ليلي و اياما] - قلت معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل و ان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات - او سيروا فيها امين لا تخافون و ان تطاولت مدة سفركم فيها و امتدت اياما و ليلي - او سيروا فيها ليليكم و ايامكم مدة اعماركم فانكم في كل حين و زمان لا تلقون فيها الا الامن - قرى [ربنا بعد بين اسفارنا] - و بعد - و يرربنا على الدعاء بطروا النعمة و بشموا من طيب العيش و ملوا العافية فطلبوا الكد و التعب كما طلب بنوا اسرائيل البصل و الثوم مكان المن و السلوى و قالوا لو كان جنى جناننا بعد كان اجدر ان نشتهي و تموا ان يجعل الله بينهم و بين الشام مغارز ليركبوا الرواحل فيها و يتزودوا الازاد فعجل الله لهم الاجابة - و قرى ربنا بعد بين اسفارنا - و بعد بين اسفارنا على النداء و اسناد الفعل الى بين و رفعه به كما تقول سير فرسخان و بوعد بين اسفارنا - و قرى ربنا

وَاشْكُرُوا لَهُ ٥ بَلَدَةً طَيِّبَةً ٥ وَرَبِّ غَفُورٍ ٥ فَاعْرَضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي
أَكْلِ خَمِطٍ ٥ وَآتَيْنَا مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ٥ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِمَا كَفَرُوا ٥ وَهَلْ نَجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ٥ وَجَعَلْنَا

وارضهم اللتي كانوا مقيمين فيها - او مسكن كل واحد منهم - وقرى مسكنهم - وجنتين بدل من اية - او خبر
مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح يدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على
المدح - فان قلت ما معنى كونهما اية - قلت لم يجعل الجنتين في انفسهما اية واما جعل قصتهما
وان اهلها اعرضوا عن شكر الله عليهما فخر بهما وابداهم عنهما الخمط والائل اية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا
فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم - ويجوز ان يجعلهما اية اي علامة دالة على الله وعلى
قدرته واحسانه وجوب شكره - فان قلت كيف عظم الله جنتي اهل سبا وجعلهما اية ورب قرية من
قرى العراق يحذف بها من الجنان ما شئت - قلت لم يرد بستانيين اثنين فحسب واما اراد
جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحد من الجماعتين في تقاربهما
وتضامهما كأنها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها - او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين
مسكنه وشماله كما قال جعلنا لآحدهما جنتين من اعناب [كلوا من رزق ربكم] اما حكاية لما قال لهم انبياء
الله المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان الحال - او هم احقاء بان يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق
ربكم واشكروا له اتبعه قوله [بلدة طيبة ورب غفور] يعني هذه البلدة اللتي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي
رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره - وعن ابن عباس كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج المرأة
وعلى رأسها المكل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكل مما يتساقط فيه من الثمر -
طيبة لم تكن بسبخة - وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية - وقرى بلدة
طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح - وعن ثعلب معناه اسكن واعبد [العرم] الجرد الذي نقب
عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة سيد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقت به ماء العيون والأمطار
وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم - فلما طغوا وقيل بعث الله اليهم ثلاثة
عشر نبيا يدعونهم الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلت الله على سدهم
الخلد فنقبه من اسفله ففرقهم - وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المروومة ويقال للكؤس من الطعام
عرمة والمراد المستاة اللتي عقدوها سكر - وقيل العرم اسم لواد - وقيل العرم المطر الشديد - وقرى
العرم بسكون الراء - وعن الضحاك كانوا في الفترة اللتي بين عيسى ومحمد عليهما السلام - وقرى اكل
بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة - والاكل الثمر والخمط شجر الاراك - وعن ابي عبيدة كل شجر ذي
شوك - وقال الزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله - والائل شجر يشبه الطرفاء اعظم
منه واجود عودا - ووجه من نون ان اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه

سورة الصافات ٣٤ في العذاب المبين ٥ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ٦ جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ٧ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ

الجزء ٢٢

ع ٧

الاشتمال كقولك تبين زيد جهله و الظهور له في المعنى اي ظهر ان الجن [لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب] - او علم الجن كلهم علما بيضا بعد التباس الامر على عاصتهم و ضعفهم و توهمهم ان كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب - او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم و انهم لا يعلمون الغيب و ان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم و انما اريد التهمك بهم كما تتهم بمذعي الباطل اذا دحضت حجته و ظهر ابطاله بقولك هل تبيننت انك مبطل و انت تعلم انه لم يزل كذاك متبيننا - و قرى تبيننت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في المعنى هو ان مع ما في صلتها لانه بدل - و في قراءة ابي تبيننت الانس - و عن الضحاك تبيننت الانس بمعنى تعارفت و تعالمت و الضمير في كانوا للجن في قوله و من الجن من يعمل بين يديه اي علمت الانس اي لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا - و في قراءة ابن مسعود تبيننت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب - روي انه كان من عادة سليمان ان يعتكف في مسجد بيت المقدس الممدد الطوال فلما دنا اجله لم يصب الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله فيسألها لاي شيء انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فرأى الخربة فسألها فقالت نبتت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه و اذا حيي انت اللتي على وجهك هلاكي و خراب بيت المقدس فنزعها و غرسها في حائط له و قال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع و يموتون على الناس انهم يعلمون الغيب - و قال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال امرت بك و قد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكيا على عصا فقبض روحه و هو متكى عليها و كانت الشياطين تجتمع حول محرابه ايذا صلى فام يكن شيطان ينظر اليه في صلوته الا احترق فمربه شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم و ليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحوف و وجدوه قد مات منذ سنة و كانوا يعملون بين يديه و يحسبون حيا فايقرن الناس انهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة - و روي ان داود اسس بناء بيت المقدس في موضع فسقط موسى عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمرة سنة سأل ان يعمر عليهم موته حتى يفرغوا منه و لتبطل دعواهم علم الغيب - و روي ان افريدون جاء ليصعد كرمية فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسرها فلم يجسره احد بعد ان يدنو منه - و كان عمر سليمان ثلثا و خمسين سنة ملك و هو ابن ثلث عشرة سنة فبقي في ملكه اربعين سنة و ابتداء بناء بيت المقدس لارب مضي من ملكه - قرى [لسبا] بالصرف - و منعه - و قلب الهمزة الفا و [مسكنهم] بفتح الكاف و كسرهما و هو موضع سكنهم و هو بلدهم

كَالْجَوَابِ وَ قُدِّرَ رُسَيْتٌ ⑥ اَعْمَلُوا اِلَ دَاوُدَ شُكْرًا ط وَ قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ⑦ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ
 مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ اِلَّا دَابَّةُ الْاَرْضِ تَاكُلُ مِنْسَاتِهِ ط فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ اَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا
 ع ٧
 الجزء ٢٢
 سورة الصبا ٣٤

هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم و الكذب - و عن ابي
 العالية لم يكن اتخاذا الصور ان ذلك محترما - و يجوز ان تكون غير صور الحيوان كصور الاشجار و غيرها لان
 التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان و غير حيوان - او تصور محذوفة الرؤس - و روي
 انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسية و نسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدين له ذراعيهما
 و اذا قعد اظله النسران باجنحتهما - و الجوابي الحياض الكبار - قال * شعر * تروح على
 ال المحلق جفنة * كجاية الشيخ العراقي تفهق * لان الماء يجدي فيها اي يجمع جعل الفعل لها
 مجازا و هي من الصفات الغالبة كالدابة - قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل - و قرئ بحذف
 الياء اكتفاء بالكسرة كقوله تعالى يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ [رُسَيْتٌ] ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها
 لعظمها [اَعْمَلُوا اِلَ دَاوُدَ] حكاية ما قيل لال داود و انتصب [شُكْرًا] على انه مفعول له اي اعملوا لله و اعبدوه
 على وجه الشكر لنعمائه - و فيه دليل على ان العبادة يجب ان تؤدى على طريق الشكر - او على الحال
 اي شاكرين - او على تقدير اشكروا شُكْرًا لان اَعْمَلُوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنع شكر له -
 و يجوز ان ينتصب بِاَعْمَلُوا مفعولا به و معناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا
 على طريق المشاكلة و [الشُّكُورُ] المتوفر على اداء الشكر الباذل و سعه فيه قد شغل به قلبه و لسانه
 و جوارحه اعتقادا و اعترافا و كدحا و اكثر اوقاته - و عن ابن عباس من يشكر على احواله كلها - و عن
 السدي من يشكر على الشكر - و قيل من يرى عجرة عن الشكر - و عن داود انه جزأ ساعات الليل و النهار
 على اهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا و انسان من ال داود قائم يصلي - و عن عمر رضي الله عنه
 انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله يقول
 وَ قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ فانا ادعوه ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر رضي الله عنه كل الناس
 اعلم من عمر - قرئ فَلَمَّا قَضَى عَلَيْهِ الْمَوْتَ - و [دَابَّةُ الْاَرْضِ] الارضة و هي الدويبة التي يقال لها السُرْفَة
 و الارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة - و قرئ بفتح الراء من ارضت
 الخشبة ارضا و هو من باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلت اكلت اكلت - و المنسأة العصا
 لانه ينسأ بها اي يطرد و يؤخر - و قرئ بفتح الميم و بتخفيف الهمزة قلبا و حذف و كلاهما ليس بقياس
 ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي - و منسأته على مفعالة كما يقال في الميضأة ميضاء -
 و من سآته اي من طرف عصاه سميت بساة القوس على الاستعارة و فيها لغتان كقولهم قحمة وقحة - قرئ
 اَكَلْتُ مِنْسَاتِهِ [تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ] من تبين الشيء اذا ظهر و تجلى - و ان مع صلتها بدل من الجن بدل

سورة الصبا ٣٤
الجزء ٢٤
ع ٧

الْحَدِيدَ ۝ اِنْ اَعْمَلَ شَيْعَةً ۖ وَ قَدَّرَ فِي السَّوْدِ وَاَعْمَلُوا صَاحِبًا ۖ اِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَسَلَيْمَنَ الرِّيحِ
عُدُوَهَا شَهْرًا وَ رَوَّاحَهَا شَهْرًا ۖ وَ اَسْلَفْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ ۖ وَ مِنَ الْحِجْرِ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِاِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَ مَنْ
يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ اَمْرِنَا نَذْرًا ۖ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَ تَمَاثِيلَ وَ جِفَانٍ

فضلاً تاريسب الجبال معه و الطير - قلت كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الغفامة اللتي لا تخفى و من
الدالة على عزة الربوبية و كبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العفلاء الذين اذا امرهم
اطاعوا و اذعنوا و اذا دعاهم سمعوا و اجابوا اشعاراً بانه ما من حيوان و جماد و ناطق و صامت الا و هو
منقاد لمشيئته غير متمنع على ارادته [وَاَلَا لَهُ الْحَدِيدَ] وجعلناه له ليتنا كالطين و العجين و الشمع يصرفه
بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة - و قيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة - و قرئ
صِيْعَتٍ و هي الدروع الواسعة الضافية - و هو اول من اتخذها و كانت قبل صفائح - و قيل كان يبيع الدرع
باربعة الاف فينفق منها على نفسه و عياله و يتصدق على الفقراء - و قيل كان يخرج حين ملك بني
اسرائيل متذكراً فيسأل الناس عن نفسه و يقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فيقيض الله له ملكا في
صورة ادمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فربح داود فسأله فقال لولا انه يطعم عياله
من بيت المال فسأل عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع
[وَ قَدَّرَ] لا تجعل المسامير دقا فتقلق و لا غلاظا فتفصم الحلق - و السرد نسج الدرع - [وَاَعْمَلُوا] الضمير
لداود و اهله * [وَ] سَخَّرْنَا [لِسَلِيمَنَ الرِّيحَ] فيمن نصب و لِسَلِيمَنَ الرِّيحَ مسخرة في من رفع - و كذلك فيمن
قرأ الرياح بالرفع [عُدُوَهَا شَهْرًا] جريها بالغداة مسيرة شهر و جريها بالعشي كذلك - و قرئ عُدُوَهَا وَ رَوَّاحَهَا -
و عن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواجه بكابل - و يحكى ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل
بفاحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان نحن فزناؤه و ما بنيناؤه و مبنياؤه وجدناؤه غَدَرْنَا من اصطخر فقلناؤه
و نحن راؤون منه فبائنون بالشام انشاء الله [الْقَطْرِ] الححاس المذاب من القطران - فان قلت ما ذا اراد
بَعَيْنِ الْقَطْرِ - قلت اراد بها معدن الححاس و لكنه أسأله كما الآن الحديد لداود فذبح كما ينبع الماء من العين
فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال اِنِّي اَرَانِي اَعَصِرُ خَمْرًا - و قيل كان يسيل في الشهر
ثلاثة ايام [بِاِذْنِ رَبِّهِ] بامره [وَ مَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ] و من يعدل عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان -
و قرئ يَزِغُ من ازاغه - و [عَذَابِ السَّعِيرِ] عذاب الآخرة عن ابن عباس - و عن السدي كان معه ملك بيده
سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني • المحاريب المساكن و المجالس
الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لانه يحامى عليها و يذب عنها - و قيل هي المساجد - و
التمائيل صور الملكة و النبيين و الصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس و صفر و زجاج و رخام
ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم - فان قلت كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير - قلت

وَمَا خَلَقَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ إِنْ نَشَاءُ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ ۖ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّذِيبٍ ۝ ٢٢ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يُجِبَالُ أَوَّيِّي مَعَهُ وَالطُّيْرُ ۚ وَالَّذِي

سورة السبا ٣٤

الجزء ٢٢

ع ٧

فَإِنْ قُلْتَ مَا الْعَامِلُ فِي إِذَا - قُلْتَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ أَنْكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ وَ قَدْ سَبَقَ نَظِيرُهُ - فَإِنْ قُلْتَ الْجَدِيدُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٌ أَمْ مَفْعُولٌ - قُلْتَ هُوَ عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ بِمَعْنَى فَاعِلٌ تَقُولُ جَدٌّ فَهُوَ جَدِيدٌ كَحَدِّ فَهُوَ حَدِيدٌ وَقُلَّ فَهُوَ قَائِلٌ - وَ عِنْدَ الْكُونِيَّيْنِ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ مِنْ جَدَّةٍ إِذَا قَطَعَهُ وَقَالُوا هُوَ الَّذِي جَدَّهُ النَّاسُ السَّاعَةَ فِي الثُّوبِ ثُمَّ شَاعَ وَيَقُولُونَ وَلِهَذَا قَالُوا مَلْحَفَةٌ جَدِيدٌ وَهِيَ عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ كَقَوْلِهِ إِنْ رَحِمَتِ اللَّهُ قَرِيبٌ وَ نَحْوُ ذَلِكَ - فَإِنْ قُلْتَ لِمَ اسْقَطْتَ الْهَمْزَةَ فِي قَوْلِهِ أَفْتَرَى دُونَ قَوْلِهِ السَّحَرُ وَ كِلَاهُمَا هَمْزَةٌ وَصَلٌ - قُلْتَ الْقِيَاسُ الطَّرْحُ وَلَكِنْ أَمَرُوا اضْطَرَّهُمْ إِلَى تَرْكِ اسْقَاطِهَا فِي نَحْوِ السَّحَرِ وَ هُوَ خَوْفُ التَّيَسُّاسِ الِاسْتِفْهَامِ بِالْخَبَرِ لَكُنْ هَمْزَةُ الْوَصْلِ مَقْتُوْحَةٌ كَهَمْزَةِ الِاسْتِفْهَامِ - فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى وَصْفِ الضَّلَالِ بِالْبُعْدِ - قُلْتَ هُوَ مِنَ الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ لِأَنَّ الْبَعِيدَ صِفَةُ الضَّالِّ إِذَا بَعُدَ عَنِ الْجَادَّةِ وَ كَمَا أَرَادَ عَنْهَا بَعْدًا كَانَ أَضَلَّ - فَإِنْ قُلْتَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ مَشْهُورًا عُلَمَاءَ فِي قَرِيْشٍ وَ كَانَ انْبِذًا بِالْبُعْثِ شَائِعًا عَنْهُمْ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ هَلْ نَدَّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يَنْبِذُكُمْ فَتَكْفُرُوهُمْ لَهُمْ وَ عَرَضُوا عَلَيْهِمُ الدَّلَالَةَ عَلَيْهِ كَمَا يَدُلُّ عَلَى مَجْهُولٍ فِي أَمْرٍ مَجْهُولٍ - قُلْتَ كَانُوا يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ الطَّنْزَ وَ السَّخْرِيَّةَ فَاخْرَجُوهُ مَخْرَجَ التَّحْكِي بَبَعْضِ الْإِحَاجِيِّ الَّتِي يَتَحَاجِي بِهَا لِلضَّحْكِ وَ التَّلَهِّيِّ مُتَجَاهِلِينَ بِهِ وَ بِأَمْرِهِ - أَعْمَوْا فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ إِنَّمَا حَيْثُ مَا كَانُوا وَ إِذَا سَارُوا أَمَامَهُمْ وَ خَلْفَهُمْ مُحِيطَتَانِ بِهِمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِهِمَا وَ أَنْ يُخْرِجُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ وَلَمْ يَخَافُوا أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمْ أَوْ يَسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا لَتَكْذِبِيهِمُ الْآيَاتُ وَ كَفَرَهُمُ بِالرَّسُولِ وَ بِمَا جَاءَ بِهِ كَمَا فَعَلَ بِقَارُونَ وَ أَصْحَابِ الْاِيْكَةِ [إِنْ فِي ذَلِكَ] الْنَظَرُ إِلَى السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ الْفَكْرُ فِيهِمَا وَ مَا تَدَلَّنَ عَلَيْهِ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ [لَآيَةٌ] وَ دَلَالَةٌ [لِكُلِّ عَبْدٍ مُّذِيبٍ] وَهُوَ الرَّاجِعُ إِلَى رَبِّهِ الْمَطِيعُ لَهُ لِأَنَّ الْمُنِيبَ لَا يَخْلُو مِنَ الْنَظَرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ عَلَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْبُعْثِ وَ مِنَ عِقَابِ مَنْ يَكْفُرُ بِهِ - قَرِئَ يَشَاءُ - وَ يَخْسِفُ - وَ يُسْقِطُ بِالْيَاءِ لِقَوْلِهِ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا - وَ بِالذَّوْنِ لِقَوْلِهِ وَلَقَدْ آتَيْنَا - وَ كِسْفًا بِفَتْحِ السَّيْنِ وَ سَكُونِهِ - وَ قَرَأَ الْكَسَائِيُّ نَخْسِفُ بِهِمُ بِالْإِدْغَامِ وَ لَيْسَتْ بِقُوَّةٍ - [يُجِبَالُ] إِمَّا أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ فَضْلًا وَ إِمَّا مِنْ آتَيْنَا بِتَقْدِيرِ قَوْلِنَا يَا جِبَالُ أَوْ قَوْلِنَا يَا جِبَالُ - وَ قَرِئَ [أَوَّيِّي] وَ أَوَّيِّي مِنَ التَّأْوِيْبِ وَ الْإِرْبِ أَيْ رَجَعِي مَعَهُ التَّسْبِيْحُ أَوْ أَرَجَعِي مَعَهُ فِي التَّسْبِيْحِ كُلَّمَا رَجَعَ فِيهِ لِأَنَّهُ إِذَا رَجَعَ فَقَدْ رَجَعَ فِيهِ وَ مَعْنَى تَسْبِيْحِ الْجِبَالِ أَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ فِيهَا تَسْبِيْحًا كَمَا خَلَقَ الْكَلَامَ فِي الشَّجَرَةِ فَيُسْمَعُ مِنْهَا مَا يَسْمَعُ مِنَ الْمُسَبِّحِ مُعْجَزَةً لِدَاوُدَ - وَ قِيلَ كَانَ يَذُوحُ عَلَى ذَنْبِهِ بِتَرْجِيْعٍ وَ تَحْزِينٍ وَ كَانَتِ الْجِبَالُ تُسْعِدُهُ عَلَى نَوْحِهِ بِأَصْدَائِهَا وَ الطُّيْرُ بِأَصْوَاتِهَا - وَ قَرِئَ [وَالطُّيْرُ] رَفَعًا وَ نَصْبًا عَطْفًا عَلَى لَفْظِ الْجِبَالِ وَ مَحَلِّهَا - وَ جَوَزُوا أَنْ يَنْتَصِبَ مَفْعُولًا مَعَهُ وَ أَنْ يَعْطَفَ عَلَى فَضْلًا بِمَعْنَى وَ سَخَّرْنَا لَهُ الطُّيْرَ - فَإِنْ قُلْتَ أَيْ فَرَقَ بَيْنَ هَذَا الْفِظْمِ وَ بَيْنَ أَنْ يَقَالَ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا

أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ الْيَوْمِ ۝
وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كَلًّا مُّزِقْتُمْ إِنَّكُمْ لَفِي خَاقٍ جَدِيدٍ ۝ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ۖ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّالِّينَ الْبَعِيدِ ۝ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله - فان قلت هل يصح عطف
المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة واصغر واكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف
المفتوح على ذرة بانه فتش في موضع الجرح لامتناع الصرف كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة
ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر - قلت يابى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير في عنه
للمغيب وجعلت الغيب اسماً للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز عن
الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزول عنه الا مسطوراً في اللوح * وقرئ **مُعْجِزِينَ** -
و [**الْيَوْمِ**] بالرفع والجرح - وعن قتادة الرجز سوء العذاب * [**وَيَرَى**] في موضع الرفع اي ويعلم اولوا العلم يعني
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن يطأ اعقابهم من امته - او علماء اهل الكتاب الذين
اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام [**الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ** - **الْحَقُّ**] وهما مفعولان ليُرى وهو فصل -
و من قرأ بالرفع جعله مبتدأ و **الْحَقُّ** خبراً والجملة في موضع المفعول الثاني - وقيل يرى في موضع
النصب معطوف على **لَيُنْبِئُكُمْ** اي و ليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق علماً لا يزداد عليه
في الايقان و يحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا - ويجوز ان يريد و ليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه
هو الحق فيزدادوا حسرة وغماً * [**الَّذِينَ كَفَرُوا**] قرئش قال بعضهم لبعض [**هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ**]
يعنون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يتحدثكم بأعجوبة من الاعاجيب انكم تبغثون وتُنشأون خلقاً
جديداً بعد ان تكونوا رفاتاً وتراباً ويمزق اجسادكم البلى [**كُلُّ مُزِقٍ**] اي يفرقكم ويبدد اجزاءكم كل
تبديد - اهو مقتر [**عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**] فيما ينسب اليه من ذلك [**أَمْ بِهِ**] جنون يوهمه ذلك ويلقيه على
لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما [**بَلْ**] هؤلاء القائلون
الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤذيه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك
وذلك اجن الجنون واشده اطلاقاً على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رميلاً لوقوعهم في الضلال كأنهما كائنان
في وقت واحد لان الضلال لما كان العقاب من لوازمه وموجداته جعلاً كأنهما في الحقيقة مقترضان - وقرأ
زيد بن علي رضي الله عنه **يُنْبِئُكُمْ** - فان قلت فقد جعلت الممزق مصدراً كببت الكتاب * شعر * الم تعلم مسرحي
القوافي * فلا عياً بهن ولا اجتلاباً * فهل يجوز ان يكون مكاناً - قلت نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون
الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرخته كل مطرح -

فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ط وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ٥ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِيَنَا السَّاعَةُ ط قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ ٦ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كَذِبٍ مُّبِينٍ ٧ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ط

سورة السبا ٣٤
الجزء ٢٢
ع ٦

والاموات وجميع ما هي له كفات [وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا] من الشجر والذبات وماء العيون والفلز والدواب وغير ذلك - [وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ] من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والملئكة وانواع البركات والمقادير كما قال تعالى وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ - [وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا] من الملئكة واعمال العباد [وَهُوَ] مع كثرة نعمته وسبوغ فضله [الرَّحِيمُ الْغَفُورُ] للمفترطين في اداء مواجب شكرها - وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه نَزَلَ بِالْزُّنُونِ والتشديد • قولهم [لَا تَأْتِيَنَا السَّاعَةُ] نفى للبعث وانكار لمجيء الساعة - او استبطاء لما وعدوه من قيامها على سبيل الهز والسخرية كقوله مَتَى هَذَا الْوَعْدُ - اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ان ليس الامر الا اتيانها - ثم اعيد ايجابها مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل - ثم امتد التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله لَيَجْزِيَ لَانَّ عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه و شدة ثباته و امتقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكما كان المستشهد به اعلى كعبا و ابيض فضلا و ارفع منزلة كانت الشهادة اقوى واكد والمستشهد عليه اثبت و ارسخ - فان قلت هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى - قلت نعم وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب و ادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب اذا قيل عِلْمُ الْغَيْبِ فحين اقسام باسمه على اثبات قيام الساعة وانه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا - فان قلت الناس قد انكروا اتيان الساعة وجمدوه فهب انه حلف لهم باغلاظ الايمان و اقسام عليه جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مقتدر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما انكروه - قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة و البينة الساطعة و هو قوله لَيَجْزِيَ فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء و ان المحسن لابد له من ثواب و المسيء لابد له من عقاب - وقوله لَيَجْزِيَ متصل بقوله لَتَأْتِيَنَّكُمْ تعليل له - قرئ [لَتَأْتِيَنَّكُمْ] بالتاء والياء - ووجه من قرأ بالياء ان يكون ضميرة للساعة بمعنى اليوم - او يسند الى عِلْمِ الْغَيْبِ اي لَيَأْتِيَنَّكُمْ امرة كما قال هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ وَقَالَ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ - و قرئ [عِلْمِ الْغَيْبِ] وعِلْمُ الْغَيْبِ بالجر صفة لربِّي - وعِلْمُ الْغَيْبِ بالرفع على المدح - [وَلَا يَعْزُبُ] بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيز بعيد من الناس - [مِثْقَالُ ذَرَّةٍ] مقدار اصغر نملة - وذلك اشارة الى مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - و قرئ [وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ] بالرفع على اصل الابتداء وبالفتح على نفى الجذس

سورة السبا ٣٤
الجزء ٢٢
ع ٦
كلماتها ٨٩٦
مورة السبا مكية وهي اربع وخمسون آية وستة ركوعا
حررها ٣٩٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ

وتؤخر أخرى لانه مثلت حالة في تمثله وترجمته بين الرأيين وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهة وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الآية فان عرض الامانة على الجهاد و اباة و اشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه شيئا والمشبه به غير معقول - قلت الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب و في نظائره مفروض و المفروضات تختل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته و ثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال فابدين ان يحملنها واشفقن منها - واللام في [لِيُعَذِّبَ] لام التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التاديب في ضربته للتاديب نتيجة الضرب - وقرأ الاعمش وَيَتَوَبُّ لِيَجْعَلَ الْعَلَّةَ قاصرة على فعل الحامل و يتبدى وَيَتَوَبُّ اللَّهُ - ومعنى قراءة العامة لِيُعَذِّبَ اللَّهُ حَامِلَ الْأَمَانَةِ وَيَتَوَبُّ عَلَى غَيْرِهِ ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله اعلم - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْأَحْزَابِ وَعَلَّمَهَا أَهْلَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ أُعْطِيَ الْأَمَانَ مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ ۖ

سورة السبا

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ الْحَقِيقُ بِأَنْ يُحْمَدَ وَيُثْنَى عَلَيْهِ مِنْ أَجَلِهِ وَلَمَّا قَالَ [الْحَمْدُ لِلَّهِ] ثُمَّ وَصَفَ ذَاتَهُ بِالْإِنْعَامِ بِجَمِيعِ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ كَانَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ الْمَحْمُودُ عَلَى نِعَمِ الدُّنْيَا كَمَا تَقُولُ أَحْمَدُ أَخَاكَ الَّذِي كَسَاكَ وَحَمَلَكَ تَرِيدُ أَحْمَدُهُ عَلَى كَسَوْتِهِ وَحُمْلَانِهِ وَلَمَّا قَالَ [وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ] عَلَّمَ أَنَّهُ الْمَحْمُودُ عَلَى نِعَمِ الْآخِرَةِ وَهِيَ الثَّوَابُ - فَإِنَّ قَلْتُ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَمْدَيْنِ - قَلْتُ أَمَّا الْحَمْدُ فِي الدُّنْيَا فَوَاجِبٌ لَأنَّهُ عَلَى نِعْمَةٍ مُتَفَضِّلٌ بِهَا وَهُوَ الطَّرِيقُ إِلَى تَحْصِيلِ نِعْمَةِ الْآخِرَةِ وَهِيَ الثَّوَابُ - وَأَمَّا الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ فَلَيْسَ بِوَاجِبٍ لَأنَّهُ عَلَى نِعْمَةٍ وَاجِبَةٍ الْإِصَالِ إِلَى مُسْتَحَقِّهَا إِنَّمَا هُوَ تَمَّةٌ سُرُورِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَكْمَلَةُ اغْتِبَاطِهِمْ يَلْتَذُّونَ بِهِ كَمَا يَلْتَذُّ مَنْ بِهِ الْعَطَاشُ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ [وَهُوَ الْحَكِيمُ] الَّذِي أَحْكَمَ أُمُورَ الدَّارَيْنِ وَدَبَّرَهَا بِحِكْمَتِهِ [الْخَبِيرُ] بِكُلِّ كَائِنٍ يَكُونُ - ثُمَّ ذَكَرَ مِمَّا يَحِيطُ بِهِ عِلْمًا [مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ] مِنَ الْغَيْثِ كَقَوْنِهِ فَسَلَكُهُ يَنَابِيعُ فِي الْأَرْضِ وَمِنَ الْكُنُوزِ وَالْدَفَائِنِ

سورة الاحزاب ٣٣

الجزء ٢٢

ع ٥

أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝ لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ

عن الاذى والداعي الى تركه • لما قال وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وعلق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله
[إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ] وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شأنها - وفيه وجهان - احدهما ان هذه الاجرام
العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله تعالى انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات
وطاعت له الطاعة اللتي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينها
وتسوية على هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما قال قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ واما الانسان فلم تكن حاله فيما
يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل
حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة
لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء - وعرضها على الجمادات وابائها واشفاقها مجاز - واما حمل
الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة ومحمّل لها تريد انه لا يؤدّيها الى صاحبها حتى تنزل عن ذمته
ويخرج عن عهدها لان الامانة كأنها راكبة للموتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي
عليه حق فاذا آداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملها لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون انه
يبدل له الضرر ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل • شعر • اخوك الذي لا تملك
الحسن نفسه • وترفض عند المحفظات الكتائف • اى لا تمسك الرقة والعطف امسك المالك الضنين
ما في يده بل يبدل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجك الى اخيه
ولم يؤدّه واذا ابغضه اخرجك وآداه - ومعنى [فَابَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا - وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ] فابين ان لا يؤدّيها و ابي
الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يؤدّيها - ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة - وبالجمل لخطائه ما يسعده
مع تمكنه منه وهو آداؤها - والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم
ما خلقه الله من الاجرام واقواه واشده ان يتحمّله ويستقل به فابى حمله والاستقلال به و اشفق منه
وحمله الانسان على ضعفه و رخاوة قوته - [إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا] حيث حمل الامانة ثم لم يف بها
و ضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الا على طرقهم
واساليبهم - من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج و كم و كم لهم من امثال
على السنة البهائم والجمادات وتصور مقارلة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما
يخسن قبيلته كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع
وهي به انس وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها
والوفاء بها - فان قلت قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد اراك تقدم رجلا

سورة الاحزاب ٣٣ وجوههم في النار يقولون يَلَيْقُنَا اَطْعَمَنَا اللهُ وَاطْعَمَنَا الرَّسُولَ ۝ وَقَالُوا رَبَّنَا اِنَّا اطْعَمْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَفْطَنَا السَّبِيلَ ۝ رَبَّنَا اَتَيْهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنَا كَبِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۖ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ

الجزء ٢٢٠ ع ٥

على الانسان من جسده - و يجوز ان يكون الوجه عبارة عن الجملة - و ناصب الظرف يقولون او محذوف
وهو اذكروا اذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا - و قرئ سَادَتَنَا - و سَادَتَنَا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم
الكفر و زينوه لهم - يقال ضل السبيل و اضله اياه و زيادة - الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الالف كقوافي
الشعر و فائدتها الوقف و الدلالة على ان الكلام قد انقطع و ان ما بعده مستأنف - و قرئ كَثِيرًا تكثيرا
لاعداد اللعائن - و كَبِيرًا ليدل على اشد المعن و اعظمه [ضِعْفَيْنِ] ضعفا لاضلاله و ضعفا لاضلاله يعترفون
و يستغيثون و يتمنون و لا ينفعهم شيء من ذلك * [لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى] قيل نزلت في شان
زيد و زينب و ما سمع فيه من قالة بعض الناس - و قيل في اذى موسى عليه السلام و هو حديث المومسة
التي ارادها قارون على قذفه بنفسها - و قيل اتهمهم اياه بقتل هرون و كان قد خرج معه الى الجبل
فمات هناك فحملته الملائكة و مروا به عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول - و قيل احياه الله
فاخبرهم ببراءة موسى - و قيل قرئوه بعيب في جسده من برص او اذرة فاطلعهم الله على انه بريء منه
[وَجِيهًا] اذا جاءه و منزلة عنده فلذلك كان يُمِيط عنهم التهم و يدفع الاذى و يحافظ عليه لئلا يلحقه رصم
و لا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قرينة و وجاهة - و قرأ ابن مسعود و الاعمش و ابو حيوة
وَكَانَ عَبْدًا لِلَّهِ وَجِيهًا - قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعتة يقرأها - و قراءة
العامة ارجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ و هذه ليست كذلك -
فان قلت قوله مِمَّا قَالُوا معناه من قولهم او من مقولهم لان ما اما مصدرية او موصولة و ايها كان فكيف
تصح البراءة منه - قلت المراد بالقول او المقول مؤداة و مضمونة و هو الامر المعيب الا ترى انهم سموا
السببة بالقالة و القالة بمعنى القول - [قَوْلًا سَدِيدًا] قاصدا الى الحق و السداد القصد الى الحق و القول
بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد و المراد نهيم عما خاضوا
فيه من حديث زينب من غير قصد و عدل في القول و البعث على ان يسد قولهم في كل باب لان حفظ
اللسان و سداد القول رأس الخير كله و المعنى راقبوا الله في حفظ آلسنتكم و تسديد قولكم فانكم ان فعلتم
ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم و الاثابة عليها و من مغفرة سيئاتكم و تكفيرها -
و قيل اصلاح الاعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية - و هذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك
على النهي عما يؤذي رسول الله و هذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليتراشف عاينهم النهي
و الامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى و اتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف

الْأَقْلِيَّةُ ۖ مَلْعُونِينَ ۖ أَيَنَّمَا تُقْفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ
اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۖ
إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۖ خُلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ يَوْمَ تَقَلَّبُ

سورة الاحزاب ٣٣

الجزء ٢٢

ع ٤

و قلة ثبات عليه - وقيل هم الزناة و اهل الفجور من قوله تعالى فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ [وَالْمُرْجِفُونَ] فاس كانوا يُرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم فيقولون هُزموا و قتلوا و جرى عليهم كيدٌ و كيدٌ فيكسررون بذلك قلوب المؤمنين - يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبراً منزلاً غير ثابت من الرجفة و هي الزلزلة - و المعنى لئن لم يَنْتَهِ الْمُنْفِقُونَ عن عداوتهم و كيدهم و الفسقة عن فجورهم و المرجفون عما يؤلفون من اخبار السوء لأمرنك بان تفعل بهم الافاعيل اللتي تسوهم و تذوهم ثم بان تضطروهم الى طلب الجلاء عن المدينة و الى ان لا يساكنوك فيها [الآ] [زمنًا] [قَلِيلًا] ريثما يرتحلون و يتلقطون انفسهم و عيالهم فسمي ذاك اغراء و هو التحريش على سبيل المجاز [مَلْعُونِينَ] نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف و الحال معا كما مر في قوله إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ غَيْرَ نَظَرٍ و لا يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها - و قيل في قَلِيلًا هو منصوب على الحال ايضاً و معناه لَا يُجَارُونَكَ إِلَّا اقلاء انلاء ملعونين - فان قلت ما موقع لَا يُجَارُونَكَ - قلت لَا يُجَارُونَكَ عطف على لَنْغَرِيكَ لانه يجوز ان يجاب بها القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك - فان قلت اما كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالغاء و ان يقال لَنْغَرِيكَ بهم فلا يجاورونك - قلت لو جعل الثاني مسبباً عن الاول لكان الامر كما قلت و لكنه جعل جواباً اخر للقسم معطوفاً على الاول و انما عطف بتم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم و اعظم من جميع ما اصابوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه * [سُنَّةَ اللَّهِ] في موضع مصدر مؤكّد اي سنّ الله في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا حيثما تُقْفُوا - و عن مقاتل يعني كما قتل اهل بدر و أسروا * كان المشركون يسألون رسول الله عن وقت قيام الساعة استعجالاً على سبيل الهز و اليهود يسألونه امتحاناً لان الله تعالى عمى وقتها في التوراة و في كل كتاب فأمر رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم بان يجيبهم بانه عام قد استأثر الله به لم يُطلع عليه ملكاً ولا نبياً ثم بين لرسوله انها قريبة الوقوع تهديداً للمستعجلين واسكاتاً للممتحنين [قَرِيبًا] شيئاً قريباً - او لان الساعة في معنى اليوم - او في زمان قريب * السَّعِيرُ النار المسعورة الشديدة الايقاد - و قرئ [تَقَلَّبُ] على البناء للمفعول - و تَقَلَّبُ بمعنى تتقلب - و نَقَلَبُ اي نقَلَبُ نحن - و تَقَلَّبُ على ان الفعل للسعي - و معنى تقلبها تصرّفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلّت فتدور بها الغليان من جهة الى جهة - او تغديرها عن احوالها و تحويلها عن هياتها او طرحها في النار مقلوبين منكوسين - و خصت الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع

وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهَتَانَا وَ اِنَّمَا مَبِينَا ٥ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ
الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ٦ ذَلِكَ اَدْنَى اَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ٧ وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٨
لِّئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَارِرُونَكَ فِيهَا

ان الله لا يعيدني بعد ان بداني - وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين مثل خلق الله -
وقيل في اذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولهم ساحر - شاعر - كاهن - مجنون - وقيل كسر رباعينه وشج
وجهه يوم احد - وقيل طعنهم عليه في نكاح صفيّة بنت حبي - وأطاق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين
والمؤمنات لان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق ابدًا و اما اذى المؤمنين و المؤمنات فمئة و مئة -
و معنى [بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا] بغير جزاية واستحقاق للادنى - وقيل نزلت في فاس من المنافقين يؤذون
عليًا رضي الله عنه ويسمعونه - وقيل في الذين افكوا على عائشة - وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن
كارهات - وعن الفضيل لا يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف - وكان ابن عون لا يكرى
الحواريات الا من اهل الذمة لما فيه من الروعة عند كثر الحول * الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار
ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها - وعن ابن عباس الرداء الذي
يستر من فوق الى اسفل - وقيل الملحفة وكل ما يتستر به من كساء او غيره - قال ابو زيد * ع * مجلبب من
سواد الليل جلبابا * و معنى [يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ] يرخيها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن
يقال اذا زل الثوب عن وجه المرأة ادني ثوبك على وجهك وذلك ان النساء كن في اول الاسلام على
هجيراهن في الجاهلية متبدلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان
واهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهم في النخيل والغيطان الاماء وربما
تعرضوا للحرة بعلقة الامة يقولون حسبتها امة فأمرن ان يخالفن بزهن عن زي الاماء بلبس الاردية
والملاحف وستر الرأس والوجه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله [ذَلِكَ اَدْنَى اَنْ
يُعْرَفْنَ] اي اولى واجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن - فان قلت ما معنى من في
مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ - قلت هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل وجهين - احدهما ان يتجلببن ببعض
مالهن من الجلباب والمراد ان لا تكون الحرة متبدلة في درع وخمار كالامة والمهنة ولها جلبابان
فصاعدا في بيتها - والثاني ان تُرخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تدفع حتى تتميز من الامة -
وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب ثم تدبيرة حتى
تضعه على انفها - وعن السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الاخر العين - وعن الكسائي
يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء [وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا] لما سلف منهن من
التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل * [الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ] قوم كان فيهم ضعف ايمان

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ۖ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ

سورة الاحزاب ٣٣

الجزء ٢٢

ع ٣

عند البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يَصَلُّونَ عليه [صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا] اي قولوا الصلوة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بأن يتوخم عليه الله ويسلم - فان قلت الصلوة على رسول الله واجبة ام مندوب اليها - قلت بل واجبة - وقد اختلفوا في حال وجوبها - فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث مَنْ ذُكِرَتْ عنده فلم يصل عليّ فدخل النار فابعده الله - ويروي انه قيل يا رسول الله ارأيت قول الله إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ فقال صلى الله عليه وآله وسلم هذا من العلم المكنون ولا انكم سألتموني عنه ما اخبركم به ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي الا قال ذاك الملك غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذيئك الملكين امين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي عليّ الا قال ذاك الملك لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذيئك الملكين امين - ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله واخره - ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلوة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار - فان قلت فالصلوة عليه في الصلوة أهى شرط في جوازها ام لا - قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرونها شرطاً - وعن ابراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك ايها النبي - واما الشافعي فقد جعلها شرطاً - فان قلت فما تقول في الصلوة على غيره - قلت القيد جواز الصلوة على كل مؤمن لقوله هو الذي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وقوله وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي اَوْفَى - ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك وهوانها - ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها - واما اذا أقررت غيره من اهل البيت بالصلوة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وسلم ولافه يؤتني الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم * [يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ] فيه وجهان - احدهما ان يعتبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازاً فيهما جميعاً وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله لئلا يجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة - والثاني ان يراد يُؤْذُونَ رسول الله - وقيل في اذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يَدُّ اللَّهُ مَغْلُولَةً - وثالث ثلثة - والمسيح ابن الله - والملائكة بنات الله - والاصنام شركاؤه - وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه وصفاته - وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وسلم فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له ان يشتمني واذا نبي ولم ينبغ له ان يؤذي - فاما شتمه ايائي فقله اني اتخذت ولداً - واما اذاه فقله

أَنْ تَوَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ط إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ۝ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا
أَوْ تَخَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ
إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ۝ وَاتَّقُوا اللَّهَ ط إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدًا ۝ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ط يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝

الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا و الوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى
نزلت - و قيل ان رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم كان يطعم معه بعض اصحابه فاصابت يد رجل
منهم يد عائشة فكرة النبي صلى الله عليه و اله و سلم ذلك فنزلت آية الحجاب - و ذكر ان بعضهم قال
أنتهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لكن مات محمد لا تزوجن عائشة فاعلم الله ان ذلك محرم -
[وَمَا كَانَ لَكُمْ] وما صح لكم ابذاء رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم ولا نكاح ازواجه من بعده و سمي نكاحهن
بعده عظيمًا عنده و هو من اعلام تعظيم الله لرسوله و ايجاب حرمة حيًا و ميتًا و اعلامه بذلك مما طيب
به نفسه و سر قلبه و استغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث الرجل به نفسه و لا يخلي منه فكرة و من الناس
من تفرط غيرته على حرمة حتى يتمنى لها الموت لئلا تفكح من بعده - و عن بعض الفتيان انه كانت له
جارية لا يرى الدنيا بها شغفًا و استهتارًا فنظر اليها ذات يوم فتنفق الصعداء و انتحب فعلا نحيبه مما
ذهب به فكرة هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده و حصولها
تحت يد غيره - و عن بعض الفقهاء ان الزوج الثاني في هدم الثلث مما يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله
صلى الله عليه و اله و سلم عما يلاحظ ذلك * [إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا] من نكاحهن على أنفسكم [أَوْ تَخَفَوْهُ]
في صدوركم [فَإِنَّ اللَّهَ] يعلم ذلك فيعاقبكم به و انما جاء به على اثر ذلك عامًا لكل باد و خاف ليدخل
تحت نكاحهن و غيره و لانه على هذه الطريقة اهل و اجزل - روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الابداء و الابناء
و الاقارب يا رسول الله او نحن ايضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت [لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ] اي لا اثم عليهم
في ان لا يحتجبن من هؤلاء و لم يذكر العم و الخال لانهما يجريان مجرى الوالدين و قد جاءت تسمية العم
ابًا قال الله تعالى وَآلَهُ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَاسْمُعِيلَ وَاسْحَاقَ واسمعييل عم يعقوب - و قيل كره ترك الاحتجاب
عنهما لانهما يصفانها لابنائهما و ابنائهما غير محارم ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب و في هذا
النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل [وَاتَّقُوا اللَّهَ] فيما أمرتن به من الاحتجاب و انزل فيه الوحي
من الاستتار و احتطن فيه و فيما استثنى منه ما قدرتن و احفظن حدودهما و اسكنن طريق التقوى
في حفظهما و ليكن عملكن في الحجب احسن مما كان و انتن غير محجبات ليعضل سركن علكن
[إِنْ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ] من السر و العلن و ظاهر الحجاب و باطنه [شَهِيدًا] لا يتفاوت في علمه
الاحوال * قرئ و مَلَائِكَتُهُ بالرفع عطفًا على محل ان و اسمها و هو ظاهر على مذهب الكوفيين و وجهه

فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ط إِنْ ذَاكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ فِ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ
الْحَقِّ ط وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ط ذَاكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ط وَمَا كَانَ لَكُمْ

سورة الاحزاب ٣٣

الجزء ٢٢

ع ٣

نَظَرَيْنِ [حال من لَا تَدْخُلُوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً كأنه قيل لَا تَدْخُلُوا بيوت النبي إلا وقت الاذن
وَلَا تَدْخُلُوهَا إلا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحيتون طعام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيدخلون ويقعدون
منتظرين لإدراكه ومعناه لَا تَدْخُلُوا يا هؤلاء المتحيتون للطعام إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظَرَيْنِ إِنَّهُ وَالْآ
فلو لم يكن لهؤلاء خصوصاً لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبي إلا أن يؤذن له إذنا خاصاً وهو الاذن إلى الطعام
فحسب - وعن ابن أبي عملة أنه قرأ غير ناظرين مجروراً صفة لطعام وليس بالوجه لأنه جرم على غير ما هو له
فمن حق ضمير ما هو له أن يبرز إلى اللفظ فيقال غَيْرِ نَظَرَيْنِ إِنَّهُ أَنْتُمْ كَقَوْلِكَ هَذَا زَيْدٌ ضَارِبَةٌ هِيَ - وَإِنِّي الطَّعَامُ
إِدْرَاكُهُ يَقَالُ إِنِّي الطَّعَامُ إِنِّي كَقَوْلِكَ قَلْبِي وَمِنْهُ قَوْلُهُ بَيْنَ حَيْثُ أَنْ بَالِغٌ إِيَّاهُ - وَقِيلَ إِنَّهُ وَقْتُهُ أَيْ غَيْرِ نَظَرَيْنِ وَقْتُ
الطَّعَامِ وَسَاعَةُ الْكُلِّ - وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلَهُ وَسَلَّمَ أَرَامَ عَلَى زَيْنَبَ بَتْمَرٍ وَسَوِيقٍ وَشَاةٍ وَأَمْرَأَتِهَا
أَنْ يَدْعُو بِالْفَنَاسِ فَنَادَوْا أَنْوَاجًا يَأْكُلُ فَوْجٌ فَيُخْرِجُ ثُمَّ يَدْخُلُ فَوْجٌ إِلَى أَنْ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعَوْتُ حَتَّى
مَا أَجِدُ أَحَدًا ادْعُوهُ فَقَالَ ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ وَتَفَرَّقِ النَّاسُ وَبَقِيَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ يَتَحَدَّثُونَ فَاطْلُوا فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلَهُ وَسَلَّمَ لِيُخْرِجُوا فَاَنْطَلَقَ إِلَى حِجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ
فَقَالُوا وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ وَطَافَ بِالْحِجْرَاتِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِنَّ وَدَعَوْنَ لَهُ وَرَجَعَ
فَإِذَا الثَّلَاثَةُ جُلُوسٌ يَتَحَدَّثُونَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلَهُ وَسَلَّمَ شَدِيدَ الْحَيَاءِ فَتَوَلَّى فَلَمَّا رَأَاهُ مَتَوَلَّيَا
خَرَجُوا فَرَجَعَ وَنَزَلَتْ [وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ] نَهَوُ أَنْ يَطِيلُوا الْجُلُوسَ يَسْتَأْذِنُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لِأَجْلِ
حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ بِهِ - أَوْ عَنْ أَنَّ يَسْتَأْذِنُوا حَدِيثَ أَهْلِ الْبَيْتِ وَاسْتِيفَانَهُ تَسْمَعُهُ وَتَوَجُّسُهُ وَهُوَ مُجَرَّرٌ
مَعْطُوفٌ عَلَى نَظَرَيْنِ - وَقِيلَ هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى وَلَا تَدْخُلُوهَا مُسْتَأْنِسِينَ لِأَبْدٍ فِي قَوْلِهِ [فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ]
مَنْ تَقْدِيرُ الْمُضَافِ أَيْ مَنْ أَخْرَاجَكُمْ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ يَعْنِي أَنْ أَخْرَاجَكُمْ حَقٌّ
مَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَحْيَى مِنْهُ وَلَمَّا كَانَ أَحْيَاءُ مِمَّا يَمْنَعُ الْحَيِّ مِنْ بَعْضِ الْأَفْعَالِ قِيلَ [لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ]
بِمَعْنَى لَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ وَلَا يَتْرُكُهُ تَرْكُ الْحَيِّ مِنْكُمْ وَهَذَا آدَبُ آدَبِ اللَّهِ بِهِ الثَّقَلَاءُ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا حَسْبُكَ فِي الثَّقَلَاءِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَحْتَمِلْهُمْ وَقَالَ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَاَنْتَشِرُوا - وَقَرَأَ لَا يَسْتَحْيِي بَدَاءً
وَاحِدَةً - الضَّمِيرُ فِي [سَأَلْتُمُوهُنَّ] لِلنِّسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلَهُ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَذْكُرَنَّ لِأَنَّ الْحَالِ نَاطِقَةٌ
بِذِكْرِهِنَّ [مَتَاعًا] حَاجَةً [فَسْأَلُوهُنَّ] فَسْأَلُوهُنَّ الْمَتَاعَ - قِيلَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُحِبُّ ضَرْبَ الْحِجَابِ
عَلَيْهِنَّ مَحَبَّةً شَدِيدَةً وَكَانَ يَذْكُرُهُ كَثِيرًا وَيُودُّ أَنْ يَنْزِلَ فِيهِ وَكَانَ يَقُولُ لَوْ أَطَاعَ فَيَكُنْ مَا رَأَيْتُكَ عَيْنٌ وَقَالَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ فَلَوْ أَمَرْتَ امْتِهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ فَنَزَلَتْ - وَرَوَى أَنَّهُ مَرَّ عَلَيْهِنَ
وَهُنَّ مَعَ النِّسَاءِ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ لَنْ أَحْتَجِبْتَنَ فَإِنَّ لَكُنَّ عَلَى النِّسَاءِ فَضْلًا كَمَا أَنَّ لِنُزُوجِكُنَّ عَلَى الرِّجَالِ

أَزْوَاجٌ وَلَوْ عَجِبْتَكَ حُسْنَهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ

أَعْيَنَهُنَّ بِضَمِّ التَّاءِ وَنَصَبِ الْأَعْيَنِ - وَتَقَرَّ أَعْيَنُهُنَّ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ [وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا] بِذَاتِ الصَّدُورِ [حَلِيمًا] لَا يَعْجَلُ بِالْعِقَابِ فَهُوَ حَقِيقٌ بَانَ يَتَّقَى وَيَحْذَرُ - كُلُّهُنَّ تَأْكِيدٌ لِنَوْنِ يَرْضَيْنَ - وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَيَرْضَيْنَ كُلُّهُنَّ بِمَا آتَيْتَهُنَّ عَلَى التَّقْدِيمِ - وَقَرِئَ كُلُّهُنَّ تَأْكِيدًا لَهُنَّ فِي آتَيْتَهُنَّ * لَا تَحِلُّ - وَقَرِئَ بِالتَّنْكِيرِ لِأَنَّ قَائِمَاتِ الْجَمْعِ غَيْرُ حَقِيقَتِي وَإِذَا جَازَ بِغَيْرِ فَصْلٍ فِي قَوْلِهِ وَقَالَ نِسْوَةٌ كَانَ مَعَ الْفَصْلِ اجْزَوْزَ [مِنْ بَعْدُ] مِنْ بَعْدِ التَّسْعِ لِأَنَّ التَّسْعَ نَصَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَزْوَاجِ كَمَا أَنَّ الْأَرْبَعَ نَصَابُ أُمَّتِهِ مِنْهُنَّ فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَجَاوَزَ النَّصَابَ [وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ] وَلَا أَنْ تَسْتَبْدِلَ بِهِؤَلَاءِ التَّسْعِ أَزْوَاجًا أُخَرُ بِكُلِّهِنَّ أَوْ بَعْضُهُنَّ أَرَادَ اللَّهُ لَهُنَّ كِرَامَةً وَجَزَاءً عَلَى مَا اخْتَرْنَ وَرَضِينَ فَقَصَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِنَّ وَهِيَ التَّسْعُ اللَّاتِي مَاتَ عَنْهُنَّ - عَائِشَةُ بَذَتْ أَبِي بَكْرٍ - حَفْصَةُ بَذَتْ عُمَرَ - أُمُّ حُبَيْبَةَ بَذَتْ أَبِي سَفْيَانَ - سَوْدَةُ بَذَتْ زَمْعَةَ - أُمُّ سَلَمَةَ بَذَتْ أَبِي أُمَيَّةَ - صَفِيَّةُ بَذَتْ حُيَيَّ الْخُدَيْرِيَّةَ - مَيْمُونَةُ بَذَتْ الْحَارِثَ الْهَلَالِيَّةَ - زَيْنَبُ بَذَتْ جَعْفَرَ الْأَسَدِيَّةَ - جَوَيْرِيَّةُ بَذَتْ الْحَارِثَ الْمِصْلَقِيَّةَ - مِنْ فِي [مِنْ أَزْوَاجٍ] لِتَأْكِيدِ الْغَفْيِ وَفَائِدَتِهِ اسْتِغْرَاقُ جَنْسِ الْأَزْوَاجِ بِالتَّحْرِيمِ - وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ النِّسَاءِ اللَّاتِي نَصَّ أَحْلَاهُنَّ لَكَ مِنَ الْأَجْنَاسِ الْأَرْبَعَةِ - مِنَ الْأَعْرَابِيَّاتِ وَالْغُرَائِبِ - أَوْ مِنَ الْأَسْمَاءِ بِالنِّكَاحِ - وَقِيلَ فِي تَحْرِيمِ التَّبَدُّلِ هُوَ مَنْ الْبَدَلِ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ بَادِلُنِي بِامْرَأَتِكَ وَأَبَادُكَ بِامْرَأَتِي فَيَنْزِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنْ امْرَأَتِهِ لِصَاحِبِهِ - وَيَحْكِي أَنَّ عِيْنَةَ بِنَ حِصْنٍ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ وَغَدَاةَ عَائِشَةَ مِنْ غَيْرِ اسْتِيفَانٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَا عِيْنَةُ أَيْنَ الْاسْتِيفَانُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا اسْتَأْذَنْتَ عَلَى رَجُلٍ قَطُّ مِمَّنْ مَضَى مِنْكَ أَدْرَكَتُ ثُمَّ قَالَ مَنْ هَذِهِ الْجَمِيلَةُ إِلَى جَنْبِكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ عَائِشَةُ أَمَّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ عِيْنَةُ أَفَلَا أَفْزَلَ لَكَ عَنْ أَحْسَنِ الْخَلْقِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ مَنْ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَحْمَقُ مَطَاعٌ وَأَنَّهُ عَلَى مَا تَرَيْنَ لِسَيِّدٍ قَوْمِهِ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى أُحِلَّ لَهُ النِّسَاءُ تَعْنِي أَنَّ الْآيَةَ قَدْ نُسِخَتْ - وَلَا يَخْلُو نَسْخَهَا - إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالسَّنَةِ - وَإِمَّا بِقَوْلِهِ إِنَّمَا أَحْلَلْنَاكَ أَزْوَاجَكَ وَتَرْتِيبُ النِّزُولِ لَيْسَ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَصْحَفِ [وَلَوْ أَعْجَبَكَ] فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الْفَاعِلِ وَهُوَ الضَّمِيرُ فِي تَبَدُّلٍ لَا مِنَ الْمَفْعُولِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَزْوَاجٍ لِأَنَّهُ مُوَعَّلٌ فِي التَّنْكِيرِ وَتَقْدِيرُهُ مَفْرُوضًا أَعْجَبَكَ بِهِنَّ - وَقِيلَ هِيَ أَسْمَاءُ بَذَتْ عَمَيْسَ الْخَثْعَمِيَّةَ امْرَأَةً جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَالْمُرَادُ أَنَّهَا مِمَّنْ أَعْجَبَهُ حَسَنُهُنَّ وَاسْتَنْتَى مِمَّنْ حَرَّمَ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءَ [رَقِيبًا] حَافِظًا مَهَيْمًا وَهُوَ تَحْذِيرٌ عَنْ مَجَاوِزَةِ حُدُودِهِ وَتَخْطِي حِلَالَهُ إِلَى حَرَامِهِ * [أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ] فِي مَعْنَى الظَّرْفِ تَقْدِيرُهُ وَقَدْ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ - وَغَيْرُ

عَلَيْكَ حَرْجٌ ط وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ط وَمَنْ ابْتَغَيْتَ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ط ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ ط
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ط وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ٥ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ

سورة الاحزاب ٣٣

الجزء ٢٢

ع ٢

قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من
دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الزواج
والاماء وعلى ابي حد و صفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى [لكلا يكون عليك حرج] لئلا يكون عليك ضيق
في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو أولى و افضل وفي دنياك حيث احللنا لك
اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها - وقرئ خالصة بالرفع اي ذاك خلوص لك وخصوص من
دون المؤمنين - ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم [وكان الله
غفوراً] للواقع في الحرج اذا تاب [رحيماً] بالتوسعة على عبادة - روي ان امهات المؤمنين حين تغايرن
و ابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن
ان يطلقن فقلن يا رسول الله انرض لنا من نفسك و مالك ما شئت - وروي ان عائشة رضي الله عنها
قالت اني اري ربك يسارع في هواك * [ترجي] بهمز و غير همز توخر [وتؤي] تضم يعني تترك
مضاجعة من تشاء منهم وتضاجع من تشاء - او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء - اولا تقسم لائتھن شئت
وتقسم لمن شئت - او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتزوج من شئت - وعن الحسن كان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو
الغرض لانه إما ان يطلق واما ان يمسك - فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم - و اذا طلق وعزل فاما
ان يخلّي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها - وروي انه ارجى منهن سوداء وجويرة و صفيّة وميمونة وأم حبيبة فكان
يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن اوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب ارجى خمسا و اوى
اربعا - وروي انه كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سوداء فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني
حتى احشرفني زمرة نسائك - [ذلك] التفويض الى مشيتك [ادنى] الى قرّة عيونهن وقلة حزنهن و
رضاهن جميعا لانه اذا سوي بينهن في الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحد من
مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما لاخرى و علمن ان هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمانت نفوسهن
وذهب التنافس والتغاثر وحصل الرضاء وقرت العيون وسالت القلوب [والله يعلم ما في قلوبكم] فيه
وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله و بعث على تواطؤ قلوبهن والتصافي
بينهن والتوافق على طلب رضاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما فيه طيب نفسه - و قرئ تقر

سورة الاحزاب ٣٣
الجزء ٢٢
ع ٢

أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَذْتَ عَمَلُكَ وَبَذْتَ خَالِكَ وَبَذْتَ
خَلِيقَ النَّبِيِّ هَاجِرًا مَعَكَ ۚ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ق
خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ

فالمسبي منهم سبي خبيثة ويدل عليه قوله تعالى مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ لَنْ فِيءِ اللَّهِ لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى الطَّيِّبِ
دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك النَّبِيُّ هَاجِرًا مَعَهُ رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأه غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه - وعن أم هانئ بنت
أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية
فلم أحل له لاني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء - واحللنا لك مَنْ وقع لها ان تهب لك نفسها ولا
تطلب مهرًا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك و لذلك نكرها - واختلف في اتفاق ذلك - فعن ابن عباس
لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احد منهن بالهبة - وقيل الموهوبات اربع - ميمونة بنت
الحارث - وزينب بنت خزيمة أم المساكين الانصارية - وأم شريك بنت جابر الاسديّة - وخولة بنت حكيم -
قري [إِنْ وَهَبْتَ] على الشرط - وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام - ويجوز ان يكون
مصدرا محذوفا معه الزمان كقواك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوامه جالسا وقت هبتها
نفسها - وقرأ ابن مسعود بغير ان - فأن قلت ما معنى الشرط الثاني مع الاول - قلت هو تقييد له شرط
في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأنه قال احللنا لك
ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم - فان قلت
لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله [نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ] ثم رجع الى الخطاب - قلت لا يذنب
بانه مما خص به وأثره مجيئه على لفظ النَّبِيِّ للدلالة على ان الاختصاص تكملة له لاجل النبوة وتكريرة
تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته - واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه - وقد استشهد ابو حنيفة
على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أمته سواء في الاحكام الا فيما
خصه الدليل - وقال الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمعنى الهبة
ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل - وقال ابو الحسن
الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله النَّبِيِّ اتَيْتَ أُجُورَهُنَّ - وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان
الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان [خَالِصَةً] مصدر موكّد كَوَعَدَ اللَّهُ وَصَبَّغَهُ اللَّهُ اي
خلص لك احلال ما احللنا لك خَالِصَةً بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج
والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على انها وردت في اثر الاحالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم على سبيل التوكيد لها قوله قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ بعد

وَكَيْفَ ۚ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا ۚ فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۚ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ

الأبال في صحابه * سمي الماء بأسنمة الأبال لأنه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته - ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لأنه في معنى الوطى من باب التصريح به ومن أداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماصة والقربان والتغشي والأتیان - فإن قلت لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات - قلت في اختصاصهن تذبذب على ان اصل امر المؤمن والأولى به ان يتخير لنطقه وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة وبتنزه عن مزاجاة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليته فاللتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المخصصات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الأولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات - فإن قلت ما فائدة ثم في قوله [ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ] - قلت فائدته نفي التوهم عن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح ويتراخى بها المدة في حباله الزوج ثم يطلقها - فإن قلت اذا خلا بها خلوة يُمكِنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس - قلت نعم عند ابي حنيفة واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله [فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا] دليل على ان العدة حق واجب على النساء للرجال - تَعْتَدُونَهَا تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدتها كقولك كلفته فاكذاله وزنته فاتزنه - وقربى تَعْتَدُونَهَا مخففا اي تعتدون فيها كقوله وَيَوْمَ شَهِدْنَهُ والمراد بالاعتداء ما في قوله وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا - فإن قلت ما هذا التمتع ا واجب ام مندوب اليه - قلت ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة الا لها وحدها دون سائر المطلقات - وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الذنب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة وبعض على الوجوب [سَرَاحًا جَمِيلًا] من غير ضرار ولا منع واجب * [أُجُورُهُنَّ] مهرهن لأن المهر اجر على البضع - وابتاؤها إما اعطائها عاجلا - وإما فرضها وتسميتها في العقد - فإن قلت لم قال الَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ - وَمِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ - وَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وما فائدة هذه التخصيصات - قلت قد اختار الله لرسوله الافضل الأولى واستحبة بالاطيب الاكبر كما اختصه بغيرها من الخصائص واثرة بما سواها من الاثر وذلك ان تسمية المهر في العقد أولى و افضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله ان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف وفتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبيّة مالمها وخطبة جيفة ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل واطيب مما يشتري من شق الجلب - والسبي على ضربين - سبي طيبة وسبي خبيثة - فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب - واما من كان له عهد

سورة الاحزاب ٣٣ بَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْيَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ وَكَفَى بِاللَّهِ

الجزء ٢٢

ع ٢

العدل في الحكم - فان قلت و كيف كان شاهدا وقت ارسال و انما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادائها - قلت هي حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا به الصيد غدا - فان قلت قد فهم من قوله انا ارسلتك [داعيا] انه مأذون له في الدعاء فما فائدة قوله [بإذنه] - قلت لم يرد به حقيقة الاذن و انما جعل الاذن مستعاراً للتسهيل والتيسير لان الدخول في حق المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهلاً لما تعذر من ذلك وضع موضعه و ذلك ان دعاه اهل الشرك و الجاهلية الى التوحيد و الشرائع امر في غاية الصعوبة و التعذر - فقول بإذنه لا يذيان بان الامر صعب لا يتأتى و لا يستطيع الا اذا سهله الله و يسره - ومنه قولهم في الشحيح انه غير مأذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقاً عليه داخلاً في حكم التعذر - جآى به الله ظلمات الشرك و اهتدى به الضالون كما يجآى ظلام الليل بالسراج المنير و يهتدى به - او امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار و وصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سايطة ودقت فتيلته - وفي كلام بعضهم ثلثة تضيئي - رسول بطيء - وسراج لأبضيء - ومائدة ينتظر لها من يجيء - وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام سائر - وسراج فاتر - وقيل وذا سراج منير - او تالياً سراجاً منيراً - ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلتك - الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب و اذا ذكر المتفضل به و كبره فما ظنك بالثواب - ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول و فواضل - وان يريد ان لهم فضلاً كبيراً على سائر الامم و ذلك الفضل من جهة الله و انه اناهم ما فضلوههم به * [و لا تطيع الكافرين] معناه الدوام و الثبات على ما كان عليه - او التهذيب - [أذنبهم] يحتمل اضافته الى الفاعل و المفعول يعني ودع ان تؤذيه بضرر او قتل و خذ بظواهرهم و حسابهم على الله في باطنهم - او ودع ما يؤذرك به و لا تجازهم عليه حتى تؤمر - و عن ابن عباس هي منسوخة بآية السيف [و توكّل على الله] فانه يكفيهم و كفى به مفوضاً اليه - و لقائل ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف و قابل كلا منها بخطاب مذموب له - قابل الشاهد بقوله و بشّر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته و هم يكونون شهداء على سائر الامم و هو الفضل الكبير - و المبشّر بالاعراض عن الكافرين و المنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين و هو مناسب للبشارة - و النذير بدع اذنبهم لانه اذا ترك اذا هم في الحاضر و الاذن لانه من عقاب عاجل او أجل كانوا منذرين به في المستقبل - والداعي الى الله بتيسيره بقوله و توكّل على الله لان من توكّل على الله يسر عليه كل عسير - و السراج المنير بالاكثفاء به و كذا لان من انارة الله برهانا على جميع خلقه كان جديراً بان يكتفي به عن جميع خلقه * الذكاج الوطى و تسمية العقد نكاحاً لملاسته له من حيث انه طريق اليه و نظيرة تسميتهم الخمر ائماً لانه سبب في اقتراف الائم - و نحوه في علم البيان قول الراجز * ع * أسخمة

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ط وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَاعْدَ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب - والفعلان اعني اذكروا واسبحووا موجهان الى البكرة و الاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر انما اختصه من بين انواعه اختصاص جبرئيل وميكائيل من بين الملائكة ليبيدين فضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبرينه من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من ادناس المعاصي والطهر من ارجاس المائث على سائر اوصافه من كثرة الصلوة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتغال على العلوم والاشتهار بالفضائل - ويجوز ان يريد بالذكر اثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوة في جميع اوقاتها لفضل الصلوة على غيرها او صلوة الفجر والعشاين لان ادائها اشق ومراعاتها اشد - لما كان من شان المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حزوا عليه وتروفا كعائذ المريض في انعطافه عليه والمرأة في حزوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترواف ومنه قولهم صلى الله عليك اي ترخم عليك وتراف - فان قلت قوله [هُوَ الَّذِي يَصَلِّي عَلَيْكُمْ] ان فسرته بترخم عليكم وتراف فما تصنع بقوله [وَمَلَكُتَهُ] وما معني صلوتهم - قلت هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرافة - ونظيرة قولك حيّاك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوتك لك بأن يحييك الله لانك لا تكالك على اجابة دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة - وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ اي ادعوا الله بأن يصلي عليه - والمعنى هو الذي يترخم عليكم وتراف حيث يدعوكم الى الخير ويأمركم باكثر الذكر والتوفر على الصلوة والطاعة [لِيُخْرِجَكُم مِّنْ] ظلمات المعصية الى نور الطاعة [وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا] دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة - ويروي انه لما نزل قوله إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ قال ابو بكر رضي الله عنه ما خصلك الله يا رسول الله بشرف آلا وقد اشركنا فيه فانزلت - [تَحِيَّتُهُمْ] من اضافة المصدر الى المفعول اي يُحَيُّونَ يوم لقائه بسلام - فيجوز ان يعظمهم الله بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم - وان يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا - وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة - وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور - وقيل عند دخول الجنة كما قال وَ الْمَلَكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ - والاجر الكريم الجنة * [شاهدا] على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد

أَمَرَ اللَّهُ قَدَرًا مَقْدُورًا ۖ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ رِسَالَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۖ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝
مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ

النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهارر والسراري وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة سريه ولسليمن
ثلثمائة وسبعمائة [فِي الَّذِينَ خَلَوْا] فِي الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مَضَوْا - وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ يحتمل وجوه
الاعراب - الجر على الوصف للانبيا - والرفع - والنصب على المدح على هم الذين يَبْتَغُونَ - او على اعنى الذين
يَبْتَغُونَ - و قرى رسالة الله [قَدَرًا مَّقْدُورًا] قضاء مقضيا وحكما مبتوتا - و وصف الانبياء بانهم لَا يَخْشَوْنَ إِلَّا اللَّهَ
تعريض بعد التصريح في قوله وَ تَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ [حَسِيبًا] كافيا للمخاوف - او محاسبا
على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية من مثله * [مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ]
اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة
الصهر والنكاح [وَلَٰكِن] كان [رَسُولَ اللَّهِ] و كل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم
وجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة بين الأباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين
ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير [وَ] كان
[خَاتَمَ النَّبِيِّينَ] يعني انه لو كان له واد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه
قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا - فان قلت اما كان ابا للطاهر والطيب والقاسم و ابراهيم -
قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله مِّن رِّجَالِكُمْ من وجهين - احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال -
والثاني انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم - فان قلت اما كان ابا للحسن والحسين - قلت
بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما ايضا من رجاله لا من رجالهم وشيء آخر وهو انه انما قصد
ولده خاصة لا ولد ولده لقوله وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ الا ترى ان الحسن والحسين قد عاشا الى ان نيف احدهما
على الاربعين والآخر على الخمسين - قرى وَلَٰكِن رَسُولَ اللَّهِ بالنصب عطفا على ابا احد - و بالرفع على
وَلَٰكِن هُوَ رَسُولَ اللَّهِ - وَلَٰكِن بالتشديد على حذف الخبر تقديره و لكن رسول الله من عرفتموه اي لم يعش له
ولد ذكر - وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الختم - ويقويه قراءة ابن مسعود
وَلَٰكِن نَّبِيًّا خَتَمَ النَّبِيِّينَ - فان قلت كيف كان آخر الانبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان - قلت معنى
كونه آخر الانبياء انه لا ينبا احد بعده وعيسى ممن نبي قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد
مصليا الى قبلته كانه بعض امته [اذْكُرُوا اللَّهَ] اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل
والتكبير وما هو امله و اذكروا ذلك [بُكْرَةً وَأَصِيلًا] اي في كافة الاوقات - قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ذكر الله على فم كل مسلم - و روي في قلب كل مسلم - وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله

سورة الاحزاب ٣٣
الجزء ٢٢
ع ١

زَوَّجْنَاهَا لَكَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ط وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ٥ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ط سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ط وَكَانَ

العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفو عنها و نفس رسول الله متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم ان يغزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجننا اذا نزل عنها ان ينكحها الاخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احدهما و انكحها المهاجر و اذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمه رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم امنت الائمة و الضيعة و نالت الشرف و عادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله من المصلحة العامة في قوله [لَكَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا] فبالحرى ان يعاتب الله رسوله حين كتبه و بالغ في كتبه بقوله اَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ و ان لا يرضى له الا اتحاد الضمير و الظاهر و الثبات في موطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من الكفاحة بالحق و ان كان مرأ - فان قلت الواد في وَ تَخْفِي فِي نَفْسِكَ - وَ تَخْشَى النَّاسَ - وَاللَّهُ أَحَقُّ مَا هِيَ - قلت ووالحال اي تقول لزيد اَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وَ تَخْفِي خاشيا قالة الناس وَ تَخْشَى النَّاسَ حقيقا في ذلك بان تخشى الله - اردوا العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك اَمْسِكْ و اخفاء خلافه و خشية الناس و الله أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ حتى لا تفعل مثل ذلك - اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطرة و المعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة و تقاصرت عنها همته و طابت عنها نفسه و طلقها و انقضت عدتها زَوَّجْنَاهَا - و قراءة اهل البيت زَوَّجْنَاهَا - و قيل لجعفر بن محمد رضي الله عنهما أليس تقرأ على غير ذلك فقال لا و الذي لا اله الا هو ما قرأتها على ابي الا كذلك و لا قرأها الحسن بن علي بن ابي ابيداه كذلك و لا قرأها علي بن ابي طالب على النبي صلى الله عليه و آله وسلم الا كذلك [وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا] جملة اعتراضية يعنى و كان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكنونا لا محالة و هو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم زينب و من نفى الحرج عن المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم و بينهن - و يجوز ان يراد بامر الله المكنون لانه مفعول بكن و هو امر الله [فَرَضَ اللَّهُ لَهُ] قسم له و اوجب من قولهم فَرَضَ لفلان في الديوان كذا و منه فروض العسكر لوزقاتهم - [سُنَّةَ اللَّهِ] اسم موضوع موضع المصدر كقولهم توبا و جذلا مؤكدا لقوله مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ كانه قيل سن الله ذلك سُنَّةً في الانبياء الماضين و هو ان لا يحرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم و وسع عليهم في باب

سورة الاحزاب ٣٣ وَ تَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ ٣ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ٤ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا

الجزء ٢٢

ع ١

بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت الى مسجدتها ونزل القرآن زوجنكها فتزوجها رسول الله و دخل بها
و ما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة و اطعم الناس الخبز و اللحم حتى امتد النهار -
فان قلت ما اراد بقوله [وَ اتَّقِ اللَّهَ] - قلت اراد وَ اتَّقِ اللَّهَ فلا تطلقها و قصد نهى تفزيه لا تحريم لان الأولى
ان لا يطلق - و قيل اراد وَ اتَّقِ اللَّهَ فلا تدمها بالنسبة الى الكبر و اذى الزوج - فان قلت ما الذي اخفى
في نفسه - قلت تعلق قلبه بها - و قيل مودة مفارقة زيد ايها - و قيل علمه بان زيدا سيطلقها و سينكحها
لان الله قد علمه بذلك - وعن عائشة رضي الله عنها لو كنتم رسول الله شيئاً مما أوحى اليه لكنتم هذه الآية -
فان قلت فما ذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد أريد مفارقتها و كان من الهجنة ان يقول له افعل
فاني اريد نكاحها - قلت كان الذي اراد منه عز و جل ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشانك
حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر و الباطن و التصلب في
الامور و التجارب في الاحوال و الاستمرار على طريقة مستتبّة كما جاء في حديث ارادة رسول الله صلى
الله عليه و آله و سلم قتل عبد الله بن ابي سرح و اعتراض عثمان بشفاعته له ان عمر قال له لقد كان عيني
الى عينك هل تشير الي فاقبله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهريهم و باطنهم واحد - فان قلت كيف عاتبه
الله في ستر ما استهجن التصريح به و لا يستهجن النبي التصريح بشيء الا و الشيء في نفسه مستهجن
و قاله الناس لا تتعاقى الا بما يستقيم في العقول و العادات و ماله لم يعاتبه في نفس الامر و لم يأمره بقمع
الشهوة و كف النفس عن ان تذازع الى زنب و تتبعها و لم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة به و ما يعرضه
للقالة - قلت كم من شيء يتحفظ منه الانسان و يستحي من اطلاق الناس عليه و هو في نفسه مباح متسع
و حلال مطلق لا مقال فيه و لا عيب عند الله و ربما كان الدخول في ذلك المباح سُلماً الى حصول واجبات
يعظم اثرها في الدين و يجل ثوابها و لو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السننهم الا من اوتي فضلاً
و علماً و ديناً و نظراً في حقائق الامور و لبوبها دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله
صلى الله عليه و آله و سلم بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستأنسين بالحديث و كان رسول الله صلى
الله عليه و آله و سلم يؤذيه قعودهم و يضيق صدره حديثهم و الحياء يصدّه ان يأمرهم بالانتشار حتى نزلت
ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم و الله لا يستحيي من الحق و لو ابرز رسول الله صلى الله عليه
و آله و سلم مكنون ضميره و امرهم ان ينتشروا لشق عليهم و لكان بعض القالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح
قلب الانسان الى بعض مشتبهاته من امرأة او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل و لا في الشرع لانه ليس
بفعل الانسان و لا وجوده باختياره و تنازل المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضاً و هو خطبة زنب
و نكاحها من غير استئصال زيد عنها و لا طلب اليه و هو اقرب منه من زرع قميصه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة

لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا ۝ وَإِنْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ

كثيرا و الذاكرات والمعنى والحافظاتها و الذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه - فان قلت اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين - قلت العطف الاول نحو قوله تَبَيَّنَتْ وَابْكَرًا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما - و اما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ * خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنت جحش بنت عمته اُميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابنت و ابى اخوها عبد الله فذكرت فقالا رضيانا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة و درعا و ازارا وخمسين مِدا من طعام و ثيابين صاعا من تمر - وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط و هي اول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالوا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده - والمعنى و ما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين [اذا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ] اي رسول الله - او لان قضاء رسول الله هو قضاء الله [امرا] من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل من حقهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره - فان قلت كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امرأة الا كان من شأنه كذا - قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فوجع الضمير على المعنى لا على اللفظ - و قرئ [يَكُونُ] بالتاء والياء و [الْخِيَرَةُ] ما يتخير * [لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ] بالاسلام الذي هو اجل النعم و بتوفيقك لعقده ومحبة و اختصاصه [وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ] بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة [أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ] يعني زينب بنت جحش - وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقع في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريد لها و لو ارادتها لاختطبها و سمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن و القى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لرسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارا بك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له اَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اجد احدا ارتق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجيبتها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله ذكرها فوليتها ظهري و قلت يا زينب ابشري ان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما انا

الْأُولَىٰ وَاقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۖ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝
 إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَمَا كَانَ

الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام قال بل جاهلية كفر - امرهن امرا خاصا بالصلوة والزكاة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتناؤه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن وعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المائمه وليتصونوا عنها بالتقوى - واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات فالعرض معها نقى مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الامتعة ما ينفر اولى الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضىه لهم وامرهم به [وَاَهْلَ الْبَيْتِ] نصب على النداء - او على المدح - وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته - ثم ذكرهن ان بدوتهن مهبط الوحي وامرهن ان لا يفسدن ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو آيات بيئات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وروحكم وعلوم وشرائع [إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا] حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم - او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته - او حيث جعل الكلام الواحد جامعاً بين الغرضين - يروى ان ازواج النبي قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير أمّا فينا خير فذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة - وقيل السائلة ام سلمة - وروى انه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت - والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند - او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله - والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب ان يصدق به - والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها - والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله - والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي - والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه - وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله - والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالذوافل - وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين - ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين - والذاكر الله كثيراً من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او لسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر - وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصلتا جميعاً ركعتين كتبا من الذكركين الله

سورة الاحزاب ٣٣

الجزء ٢٢

ع ٢٠

لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۖ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ ع وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا
فَوْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۝ يٰ نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ
بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ وَقرنَ فِي بَيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ

[وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا] ايدان بان كونهن نساء النبي ليس بمعنى عنهن شيئاً وكيف يُغني عنهن
وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعياً الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه - قرى يأت بالتاء - والياء -
مَبْنِيَّةٌ بفتح الياء وكسرها من بَيْنَ بمعنى تَبَيْنَ - يَضَعُفُ وَيُضَعَّفُ عَلَى الْبَدَاءِ لِلْمَفْعُولِ - وَيُضَعَّفُ وَ
نَضَعُفُ بِالْيَاءِ وَالذَّوْنِ - وَقرى [يَقْنُتْ] - وَتَعْمَلُ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ [نُؤْتِيهَا] بِالْيَاءِ وَالذَّوْنِ - وَالْقَنُوتُ الطَّاعَةُ
رَأْنَمَا ضَوْعُفَ أَجْرَهُنَّ لَطَلِبَهُنَّ رِضَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بِحَسَنِ الْخُلُقِ وَطَيِّبِ الْمَعَاشِرَةِ
وَالْقَنَاعَةِ وَتَوْفَرَهُنَّ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَالتَّقْوَى * أَحَدٌ فِي الْأَصْلِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ ثُمَّ وَضَعَ فِي النَّفْيِ
الْعَامِّ مَسْتَوِيًّا فِيهِ الْمَذْكُورُ وَالْمَوْثُوتُ وَالْوَاحِدُ وَمَا وَرَاءَهُ وَمَعْنَى قَوْلِهِ [لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ] لَسْتُنَّ كَجَمَاعَةٍ
وَاحِدَةٍ مِنْ جَمَاعَاتِ النِّسَاءِ أَيْ إِذَا تَقَصَّيْتُ أُمَّةَ النِّسَاءِ جَمَاعَةً جَمَاعَةً لَمْ تَوْجَدْ مِنْهُنَّ جَمَاعَةً وَاحِدَةً تَسَاوِيكُنَّ
فِي الْفَضْلِ وَالسَّابِقَةِ - وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكَمْ يَقَرُّوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ يَرِيدُ
بَيْنَ جَمَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ تَسْوِيَةً بَيْنَ جَمِيعِهِمْ فِي أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ [إِنِ اتَّقَيْتُنَّ] إِنْ ارْتَدَّتِ التَّقْوَى - وَإِنْ
كَتَبْتَ مَتَقِيَّاتٍ [فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ] فَلَا تَجْبُنَ بِقَوْلِكُنَّ خَاضِعًا أَيْ لَيْدًا خَنْثًا مِثْلَ كَلَامِ الْمَرْبِاتِ وَالْمُؤَمَّسَاتِ
[فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ] أَيْ رِيبةً وَفَجُورَ - وَقرى بِالْجَزْمِ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ فَعْلِ الذَّمِّ عَلَى أَنَّهُنَّ
نُهِيْنَ عَنِ الْخُضُوعِ بِالْقَوْلِ وَنُهِيَ الْمَرِيضُ الْقَلْبَ عَنِ الطَّمَعِ كَأَنَّهُ قِيلَ لَا تَخْضَعْنَ فَلَا يَطْمَعُ - وَعَنْ ابْنِ مُحَيْصِنٍ
أَنَّهُ قَرَأَ بِكُسْرِ الْمِيمِ وَ سَبِيلُهُ ضَمُّ الْيَاءِ مَعَ كَسْرِهَا - وَاسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَى ضَمِيرِ الْقَوْلِ أَيْ فَيَطْمَعُ الْقَوْلُ الْمَرِيْبُ
[قَوْلًا مَعْرُوفًا] بَعِيدًا مِنْ طَمَعِ الْمَرِيْبِ بِجَدٍّ وَخَشَوْنَةٍ مِنْ غَيْرِ تَخْذِيثٍ - أَوْ قَوْلًا حَسَنًا مَعَ كَوْنِهِ خَشَنًا -
وَقرنَ بِكُسْرِ الْقَافِ مِنْ وَقرى يقرؤقارا - أَوْ مِنْ قَرِيْقَرٍ حَذَفَتْ الْأَوَّلَى مِنْ رَائِيٍّ اقْرُرْنَ وَنَقَلَتْ كَسْرَتَهَا إِلَى
الْقَافِ كَمَا تَقُولُ ظَلْنَ - [وَقرنَ] بَعَثَهَا وَاصْلَهُ اقْرُرْنَ فَحَذَفَتْ الرَّاءَ وَالْقَيْتَ فَتَحْتَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا كَقَوْلِكَ
ظَلْنَ - وَ ذَكَرَ أَبُو الْفَتْحِ الْهَمْدَانِيُّ فِي كِتَابِ التَّبْدِيْلِ وَجْهًا أُخْرَقَالُ قَارِيْقَارُ إِذَا اجْتَمَعَ وَمِنْهُ الْقَارَةُ لِاجْتِمَاعِهَا
الْأَثَرِ إِلَى قَوْلِ عَضَلٍ وَالدِّشِ * اجْتَمِعُوا فَكُونُوا قَارَةً * وَ [الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى] هِيَ الْقَدِيمَةُ الَّتِي
يُقَالُ لَهَا الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ وَهِيَ الزَّمَنُ الَّذِي وَلَدَ فِيهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَلْبَسُ الدَّرْعَ مِنَ اللَّوْلُو
فَتَمْشِي وَسَطَ الطَّرِيقِ تَعْرِضُ نَفْسَهَا عَلَى الرِّجَالِ - وَقِيلَ مَا بَيْنَ آدَمَ وَنُوحَ - وَقِيلَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحَ - وَ
قِيلَ زَمَنُ دَاوُدَ وَسَلِيمَ - وَ الْجَاهِلِيَّةُ الْآخَرَى مَا بَيْنَ عِيسَى وَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
لِلْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى جَاهِلِيَّةُ الْكُفْرِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ - وَ الْجَاهِلِيَّةُ الْآخَرَى جَاهِلِيَّةُ الْفُسُوقِ وَ الْفُجُورِ فِي الْإِسْلَامِ فَكَانَ
لِلْمَعْنَى وَلَا تُحْدِثَنَّ بِالتَّبَرُّجِ جَاهِلِيَّةً فِي الْإِسْلَامِ تَتَشَبَّهُنَّ بِهَا بِأَهْلِ جَاهِلِيَّةِ الْكُفْرِ وَ يَعْضُدُهُ مَا رَوَى أَنَّ رَسُولَ

الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا فَتَعَالَيْنِ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ يُنْسَاءُ الذَّيْبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفُ

من ذكر النفس في قول المخير أو المخيرة وقعت طليقة بائنة عند أبي حنيفة وأصحابه واعتبروا أن يكون ذلك في المجلس قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الاعراض - واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طليقة رجعية وهو مذهب عمرو وابن مسعود - وعن الحسن وقنادة والزهرى امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره وإذا اختارت زوجها لم يقع شيء - بإجماع فقهاء الأمصار - وعن عائشة خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعد طلاقا - وروي أفكان طلاقا - وعن علي رضي الله عنه إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة - وروي عنه أيضا أنها إن اختارت زوجها فليس بشيء - أصل تعال أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطى ثم كثر حتى استعمله الأمكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتنكم واختياركن لأحد امرين ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن كما تقول اقبلن بخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني [أُمَتِّعْكُنَّ] أعطكن متعة الطلاق - فإن قلت المتعة في الطلاق واجبة أم لا - قلت المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه وأما سائر المطلقات فمتعهن مستحبة - وعن الزهرى متعتان أحدهما يقضي بها السلطان من طلق قبل أن يفرض ويدخل بها - والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل - وخاصمت امرأة إلى شريح في المتعة فقال متعها إن كنت من المتقين ولم يجبره - وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض - وعن الحسن لكل مطلقة متعة إلا المختلعة والملاعنة - والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والافتار إلا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فيجب لها الأقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها - فإن قلت ما وجه قراءة من قرأ أُمَتِّعْكُنَّ وأسرحكن بالرفع - قلت وجه الاستيناف - [سَرَاحًا جَمِيلًا] من غير ضرار طلاقا بالسنة * [مِنْكُنَّ] للبيان لا للتبعيض - الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة * والمبيضة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر - وقيل هي عصيانهن رسول الله ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله - وقيل الزنا والله عاصم رموله من ذلك كما مر في حديث الأفك - وإنما ضوعف عذابهن لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن وأقبح لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم أشد منه للعاصي الجاهل لأن المعصية من العالم أقبح ولذلك فضل حد الأحرار على حد العبيد حتى أن أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرجم على الكافر

مَصَائِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۖ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
وَأَرْضًا لَمْ تَطُورُهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ ع يَا أَيُّهَا الذِّبْيُ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ

سورة الاحزاب ٣٣

الجزء ٢١

ع ١٩

من اهل الكتاب [مِنْ مَصَائِيهِمْ] من حصونهم - و الصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية و لشوكة الديك وهي مخلبه اللتي في ساقه لانه يتحصن بها - روي ان جبرئيل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صبيحة الليلة اللتي انهزم فيها الاحزاب و رجع المسلمون الى المدينة و وضعوا سلاحهم على فرسه الكيزوم والغبار على وجه الفرس و على السرج فقال ما هذا يا جبرئيل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس و عن سرجه فقال يا رسول الله ان الملكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة و انا عامد اليهم فان الله دافعهم دق البيض على الصفا و انهزم لكم طعمة فانذروا في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الاخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحاصروهم خمسا و عشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم و تسبي ذراريهم و نسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم و قال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة اربعة ثم استنزلهم و خندق في سوق المدينة خندقا و قدمهم ف ضرب اعناقهم و هم من ثمان مائة الى تسع مائة - و قيل كانوا ستمائة مقاتل و سبعمائة امير - و قرى [الرعب] بسكون العين و ضمها - و تأسرون بضم السين - و روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم - و قال عمر رضي الله عنه اما تخمس كما ختمت يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله و رسوله [وَأَرْضًا لَمْ تَطُورُهَا] عن الحسن فارس و الروم - و عن قتادة كنا نحدث انها مكة - و عن مقاتل هي خيبر - و عن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة - و من يدع التفاسير انه اراد نسائهم * اردن شيئا من الدنيا من ثياب و زيادة نفقة و تغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها و كانت احبهن اليه فخيرها و قرأ عليها القرآن فاختارت الله و رسوله و الدار الاخرة فرؤي الفرج في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد و لا ان تبدل بهن من أزواج - و روي انه قال لعائشة اني ذاكر لك امرا و لا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستأمرني ابويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت اني هذا استأمر ابوي فاني اريد الله و رسوله و الدار الاخرة - و روي انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا و لم يبعثني متعنتا - فان قلت ما حكم التخيير في الطلاق - قلت اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي - او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لابد

رَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۖ ﴿١٨﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۖ ﴿١٩﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ ﴿٢٠﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَدُلُّوا خَيْرًا ۚ وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۖ ﴿٢١﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ

كذلك - وعدهم الله ان ينزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ - فلما جاء الأحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا [هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ] وايقنوا بالجنة والنصر - وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا صحابه ان الأحزاب سائرون اليكم تسعاً او عشرة اى في آخر تسع ليل او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك - وهذا اشارة الى الخطب او البلاء [إِيمَانًا] بالله وبمواعيده [وَتَسْلِيمًا] القضايا وأقداره - نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حزبا مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يُستشهدوا وهم عثمان بن عفان - وطلحة بن عبيد الله - وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل - وحمزة - ومصعب بن عمير وغيرهم [فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ] يعني حمزة ومصعبا [وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ] يعني عثمان وطلحة - وفي الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فليتنظر الى طلحة - فان قلت ما قضاء النحب - قلت وقع عبارة عن الموت لان كل حي لابد له من ان يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اى نذره - وقوله فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ يحتمل موته شهيدا - ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - فان قلت فما حقيقة قوله [صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ] - قلت يقال صدقني اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكرة فمعناه صدقني في سن بكرة بطرح الجار و اىصال الفعل - فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه - اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار - واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سذفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه وكان مكذوبا [وَمَا بَدَّلُوا] العهد ولا غيره لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب - جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء و ارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي للحصولها - وَيُعَذِّبُهُمْ [إِنْ شَاءَ] اذا لم يتوبوا [أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ] اذا تابوا - [وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا] الأحزاب [بِغَيْظِهِمْ] مغيظين كقوله تُذَبِّتْ بِالذَّهْنِ [لَمْ يَدُلُّوا خَيْرًا] غير ظافرين و هما حالان بتداخل او تعاقب - ويجوز ان يكون الثانية بيانا للاولى او استينافا [وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ] بالريح والملئكة - [وَأَنْزَلَ] الذين ظاهروا الأحزاب

الْمَوْتِ ۚ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنِّسَةِ حَدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ ط أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ
أَعْمَالَهُمْ ط وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۖ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۚ وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ
فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ط وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قُتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ

سورة الاحزاب ٣٣

الجزء ٢١

ع ١٨

الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجترأوا عليكم وضربوك بالسنتهم وقالوا وفروا
قسمتنا فاتا قد شاهدناكم وقتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتهم عليه - ونصب [أشحة] على الحال -
او على الذم - و قرئ أشحة بالرفع - وصلوكم بالصاد - فان قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه
الاحباط - قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما
يعمل المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل وفيه
بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير
تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها مما يذهب عند الله هباء منثورا - فان قلت ما معنى قوله
[وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا] وكل شيء عليه يسير - قلت معناه ان اعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعي
ولا يصرف عنه صارف * ان الاحزاب لم يهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة
راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط [وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ] كرتة ثانية
تمنوا لخوفهم مما مضوا به هذه الكرتة انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب [يَسْأَلُونَ] كل قادم
منهم من جانب المدينة عن اخباركم و عما جرى عليكم [وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ] ولم يرجعوا الى المدينة وكان
قتال لم يقاتلوا الا تعلقة رياء وسمعة - و قرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى - وفي رواية صاحب
الاقليد بديا بوزن عدي - ويسألون اي يتساءلون و معناه يقول بعضهم لبعض ما ذا سمعت
ما ذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما تقول رأيت الهلال وترايناه * كان عليكم ان تؤاسوا رسول الله
بانفسكم فتوازروه و تثبتوا معه كما اساكم بنفسه في الصبر على الجهاد و الثبات في مرمى الحرب
حتى كسرت ربايته يوم احد و شج وجهه - فان قلت فما حقيقة قوله [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ] - و قرئ أسوة بالضم - قلت فيه وجهان - احدهما انه في نفسه أسوة حسنة اي قدوة وهو
الموتسى به اي المقددى به كما تقول في البيضة عشرون مئدا حديد اي هي في نفسها هذا المبلغ من
الحديد - والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يوتسى بها و تتبع وهي المواساة بنفسه [لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا
اللَّهَ] بدل من لكم كقوله لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ - يرجوا الله و اليوم الآخر من قولك رجوت زيدا
وفضله اي فضل زيد - او يرجو ايام الله و اليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل او الخوف [وَذَكَرَ اللَّهَ
كَثِيرًا] و قرن الرجاء بالطاعات الكثيرة و التوفر على الاعمال الصالحة و الموتسى برسول الله من كان

وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا ۖ وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَيْسِيرًا ۝ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدِّبَارَ ۖ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۝ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سَوْءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۖ وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۚ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۚ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ

[ثُمَّ سَأَلُوا] عند ذلك الغزى و تلك الرجفة [الْفِتْنَةُ] اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين - لَأْتَوْهَا لَجَارُهَا وَفَعَلُوهَا - وقرئ [لَأْتَوْهَا] لاعطوها [وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا] وما البثوا اعطاءها [إِلَّا بَيْسِيرًا] ريثما يكون السؤال و الجواب من غير توقف - او وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحطون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و المؤمنين و عن مصافة الاحزاب الذين ملاؤهم هولاً و رعباً و هؤلاء الاحزاب كما هم لو كذبوا عليهم ارضهم و ديارهم و عرض عليهم الكفر و قيل لهم كونوا على المسلمين لساوعوا اليه و ما تعللوا بشيء و ما ذاك الا لمقتهم الاسلام و شدة بغضهم لاهله وحبهم الكفروتهالكهم على حزبه - عن ابن عباس عاهدوا رسول الله ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم - و قيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن شهدنا الله قتالا لمقاتلن - و عن محمد بن اسحق عاهدوا يوم أحد ان لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل [مَسْئُولًا] مطلوباً مقتضى حتى يوفى به * [لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ] مما لا بد لكم من نزوله بكم من حثف انف او قتل و ان نفعكم الفرار مثلاً فمتعتهم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع إلا زماناً قليلاً - و عن بعض المروانية انه مرتب حائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب - فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء - قلت معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام و أجري مجرى قوله * ع * متقلداً مديفاً و رمحاً * او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع * [الْمُعَوِّقِينَ] المتبطين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم المنافقون كانوا يقولون [لِإِخْوَانِهِمْ] من ساكني المدينة من أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما محمد و اصحابه الا أكلة رأس و لو كانوا لهما لالتهمهم ابو سفيان و اصحابه فخلوهم و هلموا اليها اي قربوا انفسهم اليها و هي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد و الجماعة و اما تميم فيقولون هلم يارجل و هلموا يارجل و هو صوت سمي به فعل متعدي مثل احضر و قرب قل هلم شهداءكم [إِلَّا قَلِيلًا] الا اتياناً قليلاً يخرجون مع المؤمنين يؤهمونهم انهم معهم و لا تراهم يبارزون و يقاتلون الا شيئاً قليلاً اذا اضطروا اليه كقوله مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا [أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ] في وقت الحرب أضواء بكم يترفرون عليكم كما يفعل الرجل بالذات عنه المفاضل دونه عند الخوف [يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ] في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذراً و خوراً و لو اذ بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم و وقعت القسمة نقلوا ذلك الشئ و تلك الضمة و الرفرفة عليكم الى

هجرة الاحزاب ٣٣

الجزء ٢١

ع ١٧

الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا ۚ هَٰذَا لَكُمُ الْيَوْمَ الْيَوْمَ الْأَوَّلُ ۚ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدْنَاهُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِلَّا غُرُورًا ۚ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۚ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۚ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۚ

[مِنْ فَوْقِكُمْ] من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان [وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ] من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدًا [زَاغَتِ الْأَبْصَارُ] مالت عن سَنَنِهَا ومستوي نظرها حيرةً وشخصاً - وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا الى عدوها لشدة الرُّوع. الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم - والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الربة من شدة الفزع والغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة ومن ثمة قيل للجبان انتفخ سحره - ويجوز ان يكون ذلك مثلاً في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة [وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا] خطاب للذين آمنوا ومنهم اللُّبَّتِ القلوب و الاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويقنعهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم - وعن الحسن ظنوا ظُنُونَا مختلفة ظن المنافقين ان المسلمين يستأصلون و ظن المؤمنون انهم يبتلون - وقريظ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس - وبزيادة الف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية من قال * ع * أَقْلَى الْمَوْتِ عَاذِلٌ وَالْعَتَابَا * وكذلك الرُّسُولَا والسَّبِيلَا - وقريظ بزيادتها في الوصل ايضاً اجراء له مجرى الوقف - قال ابو عبيد وهن كلهن في الامام بالف - وعن ابي عمرو اشمام زاي زَلُّوا - وقريظ زَلُّوا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشدّ الازعاج * [إِلَّا غُرُورًا] قيل قائله معتب حين رأى الاحزاب قال يعدنا محمد فتج فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقاً ما هذا الا وعد غرور * [طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ] هم اوس بن قيس بن قيس وافقه على رأيه - وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه - ويثرب اسم المدينة - وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها [لَا مُقَامَ لَكُمْ] قريظ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقيمون فيه او تقومون [فَارْجِعُوا] الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وقيل قالوا لهم ارجعوا كفاراً واسلموا محمدًا ولا فليست يثرب لكم بمكان - قريظ [عَوْرَةٌ] بسكون الواو وكسرهما - فالعورة الخلل - والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق - ويجوز ان تكون عورة تخفيف عورة - اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسرقة لانها غير محرزة ولا مُحَصَّنَةٌ فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك و انما يريدون الفرار * [وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ] المدينة - وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان دارة [مِنْ أَقْطَارِهَا] من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة اللتي يفرّون خوفاً منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ط وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ

وَأَمِّيَ الْهَيْئِ مِنَ دُونِ اللَّهِ - فَنَ قَلَّتْ لِمَ قَدَّمَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَى نُوْحٍ فَمَنْ بَعْدَهُ - قَلَّتْ هَذَا الْعُطْفَ لِبَيَانِ فَضِيلَةِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ مُشَاهِيرُهُمْ وَدَرَارِيُّهُمْ فَلَمَّا كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَلَّمَ أَفْضَلَ هَؤُلَاءِ الْمَفْضَلِينَ قَدَّمَ عَلَيْهِمْ لِبَيَانِ أَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَدَّمَ مَنْ قَدَّمَهُ زَمَانُهُ - فَنَ قَلَّتْ فَقَدَّمَ عَلَيْهِ نُوْحٌ فِي الْآيَةِ الَّتِي هِيَ اخْتُ هَذِهِ الْآيَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ قَدَّمَ عَلَى غَيْرِهِ - قَلَّتْ مُورِدَ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى طَرِيقَةٍ خِلَافَ طَرِيقَةِ تِلْكَ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَوْرَدَهَا لَوْصِفِ دِينَ الْإِسْلَامِ بِالْإِصْلَاحِ وَالْإِسْتِقَامَةِ فَكَأَنَّهُ قَالَ شَرَعَ لَكُمْ الدِّينَ الْإِصْلَاحَ الَّذِي بُعِثَ عَلَيْهِ نُوْحٌ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَبُعِثَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْعَهْدِ الْحَدِيثِ وَبُعِثَ عَلَيْهِ مَنْ تَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمَشَاهِيرِ - فَنَ قَلَّتْ فَمَاذَا أَرَادَ بِالْمِيثَاقِ الْغَلِيظِ - قَلَّتْ أَرَادَ بِهِ ذَلِكَ الْمِيثَاقَ بَعِيْنَهُ مَعْنَاهُ وَآخِذْنَا مِنْهُمْ بِذَلِكَ الْمِيثَاقِ مِيثَاقًا غَلِيظًا وَالْغَلِيظُ اسْتِعَارَةٌ مِنْ وَصْفِ الْأَجْرَامِ وَالْمُرَادُ عَظَمُ الْمِيثَاقِ وَجَلَالَةُ شَأْنِهِ فِي بَابِهِ - وَقِيلَ الْمِيثَاقُ الْغَلِيظُ الْيَمِينُ بِاللَّهِ عَلَى الْوَفَاءِ بِمَا حُمِّلُوا - فَنَ قَلَّتْ عَلَامَ عُطْفٍ قَوْلُهُ [وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ] - قَلَّتْ عَلَى آخِذْنَا مِنْ النَّبِيِّينَ لَأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ أَكَّدَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الدَّعْوَةَ إِلَى دِينِهِ لِأَجْلِ اثَابَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا - أَوْ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ كَأَنَّهُ قَالَ فَاتَّابَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ * [اذْكُرُوا] مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ وَهُوَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ [إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ] وَهُمْ الْأَحْزَابُ فَارْسَلْنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا الصَّبَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَصْرْتُ بِالصَّبَا وَأَهْلَكْتُ عَادَ بِالْدَّبُورِ [وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا] وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَكَانُوا الْقَا بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَبَا بَارِدَةً فِي لَيْلَةٍ شَاتِيَةٍ فَاخْصَرْتَهُمْ وَسَقَتْ التُّرَابَ فِي وَجُوهِهِمْ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَغَلَعَتْ الْأَوْتَادَ وَقَطَعَتْ الْأَطْنَابَ وَأَطْفَأَتْ النَّيِّرَانَ وَكَفَأَتْ الْقُدُورَ وَمَاجَتِ الْخَيْلُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَكَثُرَتْ الْمَلَائِكَةُ فِي جَوَانِبِ عَسْكَرِهِمْ فَقَالَ طَلْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ الْأَسَدِيُّ أَمَّا مُحَمَّدٌ فَقَدْ بَدَأَكُمْ بِالسَّحْرِ فَالْنَّجَاءَ النَّجَاءَ فَانْهَزَمُوا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ وَحِينَ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِاقْبَالِهِمْ ضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ سَلْمَانُ الْفَارَسِيُّ ثُمَّ خَرَجَ فِي ثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَضَرَبَ مَعْسُكِرَهُ وَالْخَنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ وَأَمَرَ بِالذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ فَرَفَعُوا فِي الْأَطْطَامِ وَاشْتَدَّ الْخَوْفُ وَظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ظَنٍّ وَنَجَّمَ النِّفَاقَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ حَتَّى قَالَ مَعْتَبُ بْنُ قَشِيرٍ كَانَ مُحَمَّدٌ يَعْدُنَا كَنُوزِ كَسْرَى وَقِيَصْرَ لَا نَقْدِرُ أَنْ نَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ وَكَانَتْ قَرِيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ فِي عَشْرَةِ أَلْفٍ مِنَ الْأَحَابِيْشِ وَبَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلَ تَهَامَةَ وَقَائِدُهُمْ أَبُو سَفْيَانَ وَخَرَجَ غُطَفَانُ فِي أَلْفٍ وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَقَائِدُهُمْ عَيْيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ وَعَامِرُ بْنُ الظَّفِيلِ فِي هَوَازَنَ وَضَامَتُهُمُ الْيَهُودُ مِنْ قَرِيْظَةَ وَالنَّضِيرَ وَمَضَى عَلَى الْفَرِيقَيْنِ قَرِيبَ مِائَةِ شَهْرٍ لَا حَرْبَ بَيْنَهُمْ إِلَّا التَّرَاصِي بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ النَّصْرَ [تَعْمَلُونَ] قَرِيبَ بِالنَّاءِ - وَالْيَاءِ -

سورة الاحزاب ٣٣

الجزء ٢١

ع ١٧

أُولَىٰ بَعْضُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَٰكُمْ مَعْرُوفًا ط كَانَ ذَلِكَ فِي
الْكِتَابِ مَسْطُورًا ٥ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ
مَرْيَمَ ٥ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ٦ لَيَسْئَلَنَّ الْمُصْذِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ٧ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا عَلِيمًا ٨

ما من مؤمن الا انا اولى به في الدنيا والاخرة اقرأوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما
مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبة من كانوا وان ترك ديناً او ضياعاً فالي - وفي قراءة ابن مسعود النبي
أولى بالمؤمنين من انفسهم وهو أب لهم - وقال مجاهد كل نبي فهو ابوايته ولذلك صار المؤمنون اخوة
لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابوهم في الدين [وأزواجه أمهاتهم] تشبيهة لهم بالامهات في بعض
الاحكام وهو وجوب تعظيمهم واحترامهم وتحريم نكاحهم قال الله تعالى ولا ان تكفوا أزواجه من بعده
أبدأوهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنن امهات النساء تعني
ابنن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كنحرهم امهاتهم والدليل على ذلك ان هذا التحريم
لم يتعد الى بناتهم وكذلك لم يثبت لهم سائر احكام الامهات - كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون
بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقربة كما كانت تتألف قلوب قوم باسهم لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك
لما دجى الاسلام وعزاه له وجعل التوارث بحق القربة [في كتاب الله] في اللوح - او فيما اوحى
الله الى نبيه وهو هذه الآية - او في آية الموارث - او فيما فرض الله كقوله كتب الله عليكم [من المؤمنين و
المهجرين] يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من
الاجانب - ويجوز ان يكون لابتداء الغاية اي اولوا الارحام بحق القربة اولى بالميراث من المؤمنين بحق
الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة - فان قلت مم استثنى [ان تفعلوا] - قلت من اعم العام في
معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبي الا في الوصية تريد انه احق منه في كل نفع من
ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية - والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث -
وعدي تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا ونزلوا - والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين
[ذلك] اشارة الى ما ذكر في الايتين جميعا - وتفسير الكتاب ما مر انفا والجملة مستأنفة كالحاتمة لما ذكر
من الاحكام * واذكرحين [اخذنا من النبيين] جميعا [ميثاقهم] بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم
[ومنك] خصوصا [ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى] رانما فعلنا ذلك [ليسئل] الله يوم القيمة عند
توافق الشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ونوا به من جملة من اشهدهم على انفسهم التست بربكم قالوا
بلى [عن صديقهم] عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين -
اوليسئل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله - اوليسئل الانبياء ما
الذي اجابته به امهم وتاويل مسألة الرسول تبكي الكافرين بهم كقوله اذنت قلت للناس اتخذوني

قُولُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ط وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ @ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ع فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوَالِيكُمْ ط وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ط وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا @ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ط وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ

بِأَفْوَاهِكُمْ [هذا ابني لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقاً وَاللَّهُ تَعَالَى لا يقول الا ما هو حق ظاهره و باطنه و لا يهدي الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق و هدى الى ما هو سبيل الحق و هو قوله [ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ] و بين ان دعاءهم لأبائهم هو ادخل الامر في القسط والعدل - وفي فصل هذه الجملة و وصلها من الحسن و الفصاحة ما لا يغنى على عالم بطرق النظم - وقرأ قتادة وَهُوَ الَّذِي يَهْدِي السَّبِيلَ - و قيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل و ظرفه ضمه الى نفسه و جعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه و كان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان [فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا] لهم آباء تنسبونهم اليهم [ف] هم [اِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ] و اوليائكم في الدين فقولوا هذا اخي و هذا مولاي و يا اخي و يا مولاي يريد الاخوة في الدين و الولاية فيه [مَا تَعَمَّدَتْ] في محل الجر عطفاً على مَا أَخْطَأْتُمْ - و يجوز ان يكون مرتفعاً على الابتداء و الخبر محذوف تقديره و لكن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ فيه الجناح - و المعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مُحْطَيْنِ جاهلين قبل ورود النهي و لكن اثم فيما تعمدتموه بعد النهي - او لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بُنَيَّ على سبيل الخطاء و سبق اللسان و لكن اذا قلتموه متعمدين - و يجوز ان يراد العفو عن الخطاء دون العمد على طريق العموم كقوله ما اخشى عليكم الخطاء و لكن اخشى عليكم العمد و قوله عليه الصلوة و السلام وَضَعُ عَنْ أَمْتِي الْخَطَاءَ وَ النسيان و ما أكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطاء التبني و عمدة - فان قلت فاذا رُجِدَ التَّبْنِي فما حكمه - قلت اذا كان المتبني مجهول النسب و اصغر سناً من المتبني ثبت نسبة منه - و ان كان عبداً له عتق مع ثبوت النسب - و ان كان لا يولد مثله لم يثبت النسب و لكنه يعتق عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى و عند صاحبيه لا يعتق - و اما المعروف بالنسب فلا يثبت نسبه بالتبني - و ان كان عبداً عتق [وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا] لعفوه عن الخطاء و عن العمد اذا تاب العامد * [النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ] في كل شيء من امور الدين و الدنيا [مِنْ أَنْفُسِهِمْ] و لهذا اطلق و لم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم و حكمه انفذ عليهم من حكمها و حقه اتركهم من حقوقها و شفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها و ان يبذلوها دونها و يجعلوها فداءً اذا اضل خطب و رقاة اذا لَحِمَتْ حرب و ان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم و لا ما تصرفهم عنه و يتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و صرفهم عنه لأن كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة و الظفر بسعادة الدارين و ما صرفهم عنه فاخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة و عذاب النار - او هو أولى بهم على معنى انه أرف بهم و اعطف عليهم و انفع لهم كقوله تعالى بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَحِيمٌ - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم

قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ٢ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ٣ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ٤ ذَلِكُمْ

سورة الاحزاب ٣٣

الجزء ٢١

ع ١٦

وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب و ارواهم ف قيل له ذو القلبين - وقيل هو جميل بن اسد الفهري
و كان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فروي انه انهزم يوم بدر فمر بابي سفيان وهو
معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له
ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله
قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني - وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم
الله - وقيل سها في صلواته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم - وعن الحسن نزلت في
ان الواحد يقول نفس تأمرني ونفس تنهاني والتكبير في رجل و ادخال من الاستغراقية على قلبين تاكيدان
لما قصد من المعنى كانه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه - فان قلت اي
فائدة في ذكر الجوف - قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من
زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفاً يشتمل على قلبين فكان اسرع الى
الانكار - و قرئ الي بياء - وهمزة مكسورتين - و [الشيء] بياء ساكنة بعد الهمزة و [تظهرون] من ظاهر - و تظهرون
من اظهر بمعنى تظاهر - و تظهرون من اظهر بمعنى تظهر - وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد - و
تظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور - و معنى ظاهر من امراته قال لها انت علي كظهر امي ونحوه في العبارة
عن اللفظ بقي المحرم اذا قال لبيك وافق الرجل اذا قال اف و اخواتهن - فان قلت فما وجه تعديته
واخواته بمن - قلت كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون
المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار - وتظهر منها تحرز منها - و ظاهر منها حاذر منها - و ظهر
منها وحش منها - و ظهر منها خاص منها - ونظيرة الى من امراته لما ضمن معنى التباعد منها عدتي بمن
و الا فالى في اصله الذي هو بمعنى حلف واقسم ليدس هذا بحكمه - فان قلت ما معنى قولهم انت علي
كظهر امي - قلت ارادوا ان يقولوا انت علي حرام كبطن امي فكذبوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي
ذكره يقارب ذكر الفرج و انما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن - ومنه حديث ممر يجيء
به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره - و وجه آخر وهو ان اتيان المرأة وظهرها الى السماء كان محترماً
عندهم محظوراً و كان اهل المدينة يقولون اذا اُتيتم المرأة و وجهها الى الارض جاء الولد احول فلقصد
المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر امه فلم
يترك - فان قلت الدمي فاعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا فما له جمع على افعلاء وبابه ما كان
منه بمعنى فاعل كتقي و اتقياء وشقي و اشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي و ممي - قلت ان شذوذه
عن القياس كشذوذ قتلاء و اسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي [ذلكم] النسب هو [قولكم]

رَبِّكَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ

وَالْمُنَافِقِينَ [لَا تُسَاعِدُهُمْ عَلَى شَيْءٍ وَلَا تَقْبَلُ لَهُمْ رَأْيًا وَلَا مَشُورَةً وَجَانِبَهُمْ وَاحْتَرِسْ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَاعْدَاءُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَرِيدُونَ إِلَّا الْمُضَادَّةَ وَالْمُضَارَّةَ - وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَ يَحِبُّ إِسْلَامَ الْيَهُودِ قَرِيبَةَ وَالنَّضِيرِ وَبَنِي قَيْنُقَاعَ وَقَدْ بَايَعَهُ نَاسٌ مِنْهُمْ عَلَى النِّفَاقِ فَكَانَ يَلِينُ لَهُمْ جَانِبَهُ وَيُكْرِمُ صَغِيرَهُمْ وَكَبِيرَهُمْ وَإِذَا أَتَى مِنْهُمْ قَبِيحٌ تَجَارَزَ عَنْهُ وَكَانَ يَسْمَعُ مِنْهُمْ فَغَزَلَتْ - وَرَوَى أَنَّ إِبَاسَفِينَ بْنَ حَرْبٍ وَعُكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ وَابَا الْأَعْمُورَ السَّلْمِيَّ قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوَادِعَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَقَامَ مَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ وَمُعْتَبَرُ بْنُ قَشِيرٍ وَابُجْدُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَرُفُّ ذِكْرَ الْهَتْنَا وَقُلْ إِنَّهَا تَشْفَعُ وَتَنْفَعُ وَنَدْعُكَ وَرَبَّكَ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَهَمُّوا بِقَتْلِهِمْ فَغَزَلَتْ أَيْ أَتَى اللَّهَ فِي نَقْضِ الْعَهْدِ وَنَبَذِ الْمَوَادِعَةِ وَلَا تُطِيعُ الْكُفْرَيْنِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْمُنَافِقِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِيمَا طَلَبُوا إِلَيْكَ - وَرَوَى أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ دَعَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ وَيُعْطُوهُ شَطْرَ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْ يَزَوْجَهُ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ بِنْتَهُ وَخَوْفَهُ مِنْافَقُوا الْمَدِينَةَ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَهُ أَنْ لَمْ يَرْجِعْ فَغَزَلَتْ - [إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا] بِالصَّوَابِ مِنَ الْخَطَا وَالْمَصْلَحَةِ مِنَ الْمَفْسَدَةِ [حَكِيمًا] لَا يَفْعَلُ شَيْئًا وَلَا يَأْمُرُ بِهِ إِلَّا بِدَاعَى الْحِكْمَةِ [وَاتَّبَعَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ] فِي تَرْكِ طَاعَةِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ [إِنَّ اللَّهَ] الَّذِي يُوحِي إِلَيْكَ خَبِيرٌ [بِمَا تَعْمَلُونَ] فَمَوْجُ إِلَيْكَ بِمَا يُصْلِحُ بِهِ أَعْمَالَكُمْ فَلَا حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى الْاسْتِمَاعِ مِنَ الْكُفْرَةِ - وَقَرِيبَى يَعْمَلُونَ بِالْبَيِّاتِ أَيْ بِمَا يَعْمَلُ الْمُنَافِقُونَ مِنْ كَيْدِهِمْ لَكُمْ وَمَكْرِهِمْ بِكُمْ [وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ] وَأَمِذُ أَمْرُكَ إِلَيْهِ وَكُلُّهُ إِلَى تَدْبِيرِهِ [وَكِيلًا] حَافِظًا مَوْكُولًا إِلَيْهِ كُلُّ أَمْرٍ مَا جَمَعَ اللَّهُ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفٍ وَلَا زَوْجِيَّةٍ وَامُومَةِ فِي امْرَأَةٍ وَلَا بَنُوَّةٍ وَدِعْوَةٍ فِي رَجُلٍ وَالمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ كَمَا لَمْ يَرَفِ حِكْمَتَهُ أَنْ يَجْعَلَ لِلنَّاسِ قَلْبَيْنِ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَفْعَلَ بِأَحَدِهِمَا مِثْلَ مَا يَفْعَلُ بِالْآخَرِ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ فَأَحَدُهُمَا فَضْلَةٌ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهَا وَإِمَّا أَنْ يَفْعَلَ بِهَذَا غَيْرَ مَا يَفْعَلُ بِذَلِكَ فَذَلِكَ يُوقِي إِلَى اتِّصَافِ الْجَمْلَةِ بِكَوْنِهِ مَرِيدًا كَارَهَا عَالِمًا ظَانًّا مَوْقِنًا شَاكًّا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ - لَمْ يَرَأِ أَنَّ تَكُونَ الْمَرْأَةُ الْوَاحِدَةُ أُمَّ لِرَجُلٍ زَوْجًا لَهُ لِأَنَّ الْأُمَّ مَخْدُومَةٌ مَخْفُوضٌ لَهَا جَنَاحُ الذَّلِّ وَالزَّوْجَةُ مُسْتَحْدَمَةٌ مُتَصَرِّفٌ فِيهَا بِالِاسْتِفْرَاشِ وَغَيْرِهِ كَالْمَمْلُوكَةِ وَهِيَ حَالَتَانِ مُتَنَافِيَتَانِ - وَأَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ دَعِيًّا لِلرَّجُلِ وَابْنًا لَهُ لِأَنَّ الْبَنُوَّةَ أَصَالَةٌ فِي النِّسْبِ وَعِرَاقَةٌ فِيهِ وَالِدِعْوَةٌ الصَّاقُ عَارِضٌ بِالتَّسْمِيَةِ لَا غَيْرُ وَلَا يَجْتَمِعُ فِي الشَّيْءِ الْوَاحِدِ أَنْ يَكُونَ أَصِيلًا غَيْرَ أَصِيلٍ وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ فِي زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ سُبَيْي صَغِيرًا وَكَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا يَتَغَارَرُونَ وَيَتَسَابُونَ فَاشْتَرَاهُ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ لِعَمَّتِهِ خَدِيجَةَ فَلَمَّا تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهَبَتْهُ لَهُ وَطَلَبَهُ أَبُوهُ وَعَمُّهُ فَخَيَّرَ فَاخْتَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاعْتَقَهُ وَكَانُوا يَقُولُونَ زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ فَاَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ - وَقَوْلُهُ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ

سورة الاحزاب ٣٣

حروفها
٥٩٠٩

الجزء ٢١

ع ١٩

كَفَرُوا إِيمَانَهُمْ وَلَا هُمْ يَنْتَظِرُونَ ۝ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ۝ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ۝ ع

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث و سبعون آية وتسعة ركوعا

كلماتها
١٢١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ

فلم ينفعكم الايمان و استنظرتم في ادراك العذاب فلم تُنظروا - فان قلت فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة و ناسا يوم بدر - قلت المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق [و انتظر] النصرة عليهم و هلاكهم [انهم مُنْتَظِرُونَ] الغلبة عليكم و هلاككم كقوله تعالى فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ - و قرأ ابن السميع مُنْتَظِرُونَ بفتح الطاء و معناه و انتظر هلاكهم فانهم احقوا بان ينتظر هلاكهم يعذب انهم هالكون لا محالة - او و انتظر ذلك فان الملكة في السماء ينتظرونه - عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ السَّم تَنْزِيل و تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ أُعْطِيَ مِنَ الْجَزَاءِ كَأَنَّمَا أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدَرِ - و قال من قرأ السَّم تَنْزِيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام *

سورة الاحزاب

عن زر قال قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلثا و سبعين آية قال فو الذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول و لقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ و الشيخة اذا زيدا فارجموهما البتة نكالا من الله و الله عزيز حكيم اراد ابي رضي الله عنه ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن و اما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة و الرذائض - جعل نداءه بالذبي و الرسول في قوله يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ - يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ و ترك نداءه باسمه كما قال يادم - يموسى - يعيسى - يداؤد كرامة له و تشريفا و ربنا بمحله و تنويعا بفضله - فان قلت ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ - وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ - قلت ذلك لتعليم الناس بانه رسول الله و تلقين لهم ان يسموه بذلك و يدعوه به فلا تفاوت بين النداء و الاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم و التلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ - وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ - لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ - وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ - الذَّبِّيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ - إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ - وَ لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ [اتَّقِ اللَّهَ] وَ اطَّيَّبْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْوَىٰ وَ اثْبُتْ عَلَيْهِ وَ اَزِدْ مِنْهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ التَّقْوَىٰ بَابٌ لَا يَبْلُغُ آخِرَهُ [وَ لَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ

مِنْهُمْ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِنِهِمْ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ
وَأَنْفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ

لَقِيتَ مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ وَنَحْوُ قَوْلِهِ مِنْ لِقَائِهِ قَوْلُهُ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ وقوله وَنَخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا - [وَجَعَلْنَا] الكتاب المنزل على موسى [هُدًى] لقومه - [وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ] النَّاسَ ويدعونهم إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم وإيقانهم بالآيات وكذلك لنجعل الكتاب المنزل إليك هُدًى ونورا ولنجعل من امتك أُمَّة يَهْدُونَ مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين - وقيل من لقائك موسى ليلة الإسراء أو يوم القيمة - وقيل من لقاء موسى الكتاب أي من تلقاه له بالرضى والقبول - وقرئ [لَمَّا صَبَرُوا] - وَ لَمَّا صَبَرُوا أي لصبرهم - وعن الحسن صبروا عن الدنيا - وقيل إنما جعل الله التوراة هدى لبني إسرائيل خاصة ولم يتعبد بها فيها راد اسمعيل * [يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ] يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل * الواد في [أَوَلَمْ يَهْدِ] للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في [لَهُمْ] لاهل مكة - وقرئ بالذون والياء والفاعل ما دل عليه [كَمْ أَهْلَكْنَا] لأن كَمْ لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَثْرَةُ أَهْلَكْنَا الْقُرُونِ - أو هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لا إله إلا الله الدماء والأموال - ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالذون - و [الْقُرُونِ] عاد وثمود وقوم لوط [يَمْشُونَ فِي مَسْجِنِهِمْ] يعني اهل مكة يمشون في مناجرهم على ديارهم وبلادهم - و قرئ يَمْشُونَ بالتشديد [الْجُرُزِ] الأرض اللتي جُرَزَ نباتها أي قطع إقبال عدم الماء وإما لأنه رُعي وأزيل ولا يقال للذي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا - وعن ابن عباس أنها أرض اليمن - وعن مجاهد هي إيبين [بِهِ] بالماء [تَأْكُلُ] من الزرع [أَنْعَامُهُمْ] من عصفه [وَأَنْفُسُهُمْ] من حبه - و قرئ يَأْكُلُ بالياء * [الْفَتْحُ] الفصر أو الفصل بالحكومة من قوله رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يقولون أن الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون قالوا متى هذا الْفَتْحُ أي في أي وقت يكون [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] في أنه كائن - و [يَوْمَ الْفَتْحِ] يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم - وقيل هو يوم بدر - وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة - فَإِنْ قُلْتَ قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جواباً على سؤالهم - قلت كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالاً منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزئوا فكأنني بكم وقد حصلتكم في ذلك اليوم وأمنتكم

سورة السجدة ٣٢

الجزء ٢١

ع ١٥

الثالث

يُخْرِجُوا مِنْهَا أَعْيُنُهَا فِيهَا وَ قِيلَ لَهُمْ ذُقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَابِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۖ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا

فجّة ماؤاهم النار اي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * [الْعَذَابِ الْأَدْنَى] عذاب الدنيا من القتل والسر وما مَحْنُوا بِهِ مِنَ السَّنةِ مَبْعَ سَنِينَ - ومن مجاهد عذاب القبر - و [الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ] عذاب الآخرة اي نَذِيقُهُمْ عَذَابَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى الْآخِرَةِ [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] اي يتوبون عن الكفر - او لَعَلَّهُمْ يَرِيدُونَ الرُّجُوعَ وَيَطْلُبُونَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا وَنَسْمِيتِ ارَادَةُ الرُّجُوعِ رَجُوعًا كَمَا سَمِيتِ ارَادَةُ الْقِيَامِ قِيَامًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ وَيدل عليه قراءة من قرأ يَرْجِعُونَ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ - فَإِنْ قُلْتَ مَنْ أَيْنَ صَحَّ تَفْسِيرُ الرُّجُوعِ بِالتَّوْبَةِ وَلَعَلَّ مَنْ أَرَادَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ شَيْئًا كَانَ وَلَمْ يَمْتَنِعْ وَتَوْبَتُهُمْ مِمَّا لَا يَكُونُ إِلَّا تَرَى أَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مِمَّا يَكُونُ لَمْ يَكُونُوا ذَانِقِينَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ - قُلْتَ ارَادَةُ اللَّهِ تَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِهِ وَأَفْعَالُ عِبَادِهِ فَإِذَا أَرَادَ شَيْئًا مِنْ أَفْعَالِهِ كَانَ وَلَمْ يَمْتَنِعْ لِأَقْتِدَارِهِ وَخُلُوصِ الدَّاعِي وَأَمَّا أَفْعَالُ عِبَادِهِ فَمِمَّا أَنْ يَرِيدَهَا وَهُمْ مُخْتَارُونَ لَهَا أَوْ مُضْطَرُونَ إِلَيْهَا بِقُسْرَةٍ وَالْجَائِئِ فَإِذَا أَرَادَهَا وَقَدْ قَسَرَهُمْ فَحَكَمَهَا حَكَمَ أَفْعَالِهِ وَأَنْ أَرَادَهَا عَلَى أَنْ يَخْتَارُوهَا وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّهُمْ لَا يَخْتَارُونَهَا لَمْ يَقْدَحْ ذَلِكَ فِي أَقْتِدَارِهِ كَمَا لَا يَقْدَحُ فِي أَقْتِدَارِكَ إِرَادَتُكَ أَنْ يَخْتَارَ عَبْدُكَ طَاعَتَكَ وَهُوَ لَا يَخْتَارُهَا لِأَنَّ اخْتِيَارَهُ لَا يَتَعَلَّقُ بِقُدْرَتِكَ وَإِذَا لَمْ يَتَعَلَّقْ بِقُدْرَتِكَ لَمْ يَكُنْ فَقْدُهُ دَالًّا عَلَى عَجْزِكَ * وَرَوَى فِي نَزْلِهَا أَنَّهُ شَجَرَ بَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ يَوْمَ بَدْرٍ كَلَامُ فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ اسْكُتْ فَإِنَّكَ صَبِيٌّ إِنَّا أَشْبَهُ مِنْكَ شَبَابًا وَاجْلُدْ مِنْكَ جِلْدًا وَادْرُبْ مِنْكَ لِسَانًا وَاحِدَةً مِنْكَ سِنَانًا وَاشْجَعْ مِنْكَ جَنَانًا وَامْلَأْ مِنْكَ حَشَوًا فِي الْكُتَيْبَةِ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْكُتْ فَإِنَّكَ فَاسِقٌ فَزِلْتَ عَامَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْفَاسِقِينَ فَتَنَّاوَلْتَهُمَا وَكُلٌّ مِنْ كَانِ فِي مِثْلِ حَالِهِمَا - وَعَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ لِلْوَلِيدِ كَيْفَ تَشْتَمُ عَلِيًّا وَقَدْ سَمَاهُ اللَّهُ مُؤْمِنًا فِي عَشْرَ آيَاتٍ وَسَمَّاكَ فَاسِقًا - ثُمَّ فِي قَوْلِهِ [ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا] لِاسْتِبْعَادِ وَالْمَعْنَى أَنْ الْأَعْرَاضَ عَنْ مِثْلِ آيَاتِ اللَّهِ فِي وَضُوحِهَا وَإِنَارَتِهَا وَارْشَادِهَا إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ وَالْفُوزِ بِالسَّعَادَةِ الْعَظِيمِ بَعْدَ التَّذَكُّيرِ بِهَا مُسْتَبْعِدٌ فِي الْعَقْلِ وَالْعَدْلِ كَمَا تَقُولُ لِصَاحِبِكَ وَجَدْتَ مِثْلَ تِلْكَ الْفُرْصَةِ ثُمَّ لَمْ تَفْتَنْزَهَا اسْتِبْعَادًا لِتَرْكِهِ الْإِنْتِهَازَ - وَمِنْهُ ثُمَّ فِي بَيْتِ الْحِمَاسَةِ * شَعْرٌ * لَا يَكْشِفُ الْغَمَاءَ إِلَّا ابْنُ حَرَّةٍ * يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا * اسْتِبْعَادُ أَنْ يَزُورَ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ بَعْدَ أَنْ رَأَاهَا وَاسْتَيْقَنَهَا وَأَطْلَعَ عَلَى شِدَّتِهَا - فَإِنْ قُلْتَ هَلَا قِيلَ إِنَّا مِنْهُ مُنْتَقِمُونَ - قُلْتَ لِمَا جَعَلَهُ أَظْلَمَ كُلِّ ظَالِمٍ ثُمَّ تَوَعَّدَ الْمُجْرِمِينَ عَامَّةً بِالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ فَقَدْ دَلَّ عَلَى إِصَابَةِ الْأَظْلَمِ النَّصِيبَ الْآخِرَ مِنَ الْإِنْتِقَامِ وَلَوْ قَالَ بِالضَّمِيرِ لَمْ يُفِدْ هَذِهِ الْفَائِدَةُ * [الْكِتَابِ] لِلْجَنَسِ وَالضَّمِيرِ فِي [لِقَائِهِ] لَهُ وَمَعْنَاهُ إِنَّا آتَيْنَا مُوسَى مِثْلَ مَا آتَيْنَاكَ مِنَ الْكِتَابِ وَلَقِينَاهُ مِثْلَ مَا لَقِينَاكَ مِنَ الْوَحْيِ فَلَا تَلْكَ فِي شَكٍّ مِنْ أَنَّكَ

جُذِبُوا عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۚ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَا يَسْتَوُونَ ۝ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَآثِي نُزْلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن

تواضعوا لله وخشعوا وشكروا على ما رزقهم من الاسلام [وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ] ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه واثنوا عليه حامدين له [وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ] كما يفعل من يصتر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا ينزل عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحن ربنا [تَتَجَافَى] ترتفع و تتنحى [عَنِ الْمَضَاجِعِ] عن الفرش ومواقع النوم داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتعبدون - وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل - وعن الحسن انه التهجّد - وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم - ثم يرجع فينادي ليقيم الذين كانت تتجافى جذوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل - ثم يرجع فينادي ليقيم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس - وعن انس بن مالك كان انس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الاخرة فنزلت فيهم - وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها [مَّا أُخْفِيَ لَهُم] على البناء للمفعول - مَّا أُخْفِيَ لَهُم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه - مَّا أُخْفِيَ لَهُم - و مَّا نُخْفِي لَهُمْ - و مَّا أُخْفِيَتْ لَهُمُ الثَّلَاثَةُ للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي او بمعنى اي - و قرى [مِنْ قُرَّةٍ أَعْيُنٍ] وقرأت أعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الذواب ادخر الله للولئك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال [جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] فحسم اطماع المتمنين - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةٍ أَعْيُنٍ - وعن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت * [كَانَ مُؤْمِنًا] و كَانَ فَاسِقًا محمولان على لفظ من و [لَا يَسْتَوُونَ] محمول على المعنى بدليل قوله تعالى اَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا - وَاَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا ونحوه قوله تعالى و مِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ [وَجُنَّتِ الْمَآوَى] نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المآوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال تأوي اليها ارواح الشهداء - وقيل هي عن يمين العرش - و قرى جنة المآوى على التوحيد [نُزْلًا] عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عامّا * [فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ] اي ملجأهم ومنزلهم - ويجوز ان يراك

سورة السجدة ٣٢

الجزء ٢١

ع ١٤

السجدة

وَكُلُّكُمْ رُجُوعٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ۖ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝ وَلَوْ شَاءَ لَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ تَتَجَافَىٰ

الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب و الجزء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا - و التوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ وَقَالَ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ وَهُوَ أَنْ يُقْبِضَ كُلُّهَا لَا يَتْرَكُ مِنْهَا شَيْءٌ مِنْ قَوْلِكَ توفيت حقي من فلان واستوفيت إذا اخذته وأبى كلاً من غير نقصان و النفع الاستفعال يلتقيان في مواضع منه تقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته - وعن مجاهد حوت ملك الموت الأرض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء - وعن قتادة يتوفاهم ومعه أعوان من الملائكة - وقيل ملك الموت يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها [وَلَوْ تَرَى] يجوز أن يكون خطاباً لرسول الله - وفيه وجهان - أن يراد به التمني كأنه قال وليتك ترى كقوله صلى الله عليه وآله وسلم للمغيرة لو نظرت إليها والتمني لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان الترجي له في لعنهم يهتدون لأنه تجرّع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم - وأن تكون لولا الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت أمراً فظيعاً أو لرأيت أسوأ حال ترى - ويجوز أن يخاطب به كل أحد كما تقول فلان لئيم أن أكرمته إهناك و أن أحسنت إليه إساءة إليك فلا تريد به مخاطباً بعينه فكانك قلت إن أكرم وإن أحسن إليه ولو واذ كلاهما للمضي و إنما جاز ذلك لأن المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحقيقه ولا يقدر لثرى ما يتناولونه كأنه قيل ولو تكون منك الرؤية * وإذ ظرف له يستغيثون بقولهم [رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا] فلا يغاثون يعني أبصرنا صدق وعدك ووعيدك ومعنا منك تصديق رسلك - أو كنا عبيداً وصفاً فابصرنا وسمعنا [فَارْجِعْنَا] هي الرجعة إلى الدنيا * [لَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى] على طريق الإلجاء والقسر ولكننا بذينا الأمر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل العمى دون البصراء الا ترى إلى ما عقبه به من قوله [فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ] فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العقوبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني أن الانهماك في الشهوات أذهلكم وأهاكم عن تذكر العقوبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال [إِنَّا نَسِينَكُمْ] على المقابلة أي جازيكم جزاء نسيانكم - وقيل هو بمعنى الترتك أي تركتم الفكر في العقوبة فتركناكم من الرحمة وفي استيناف قوله إِنَّا نَسِينَكُمْ وبفاء الفعل على أن واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فَذُوقُوا هذا أي ما أنتم فيه من فكس الرؤس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة * [إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا] أي وعظوا سجدوا

إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۝ ذَٰلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ
الرَّحِيمِ ۝ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝
ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۝ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا
فِي الْأَرْضِ فَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ بَلْ هُمْ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ۝ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي

وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ] أي يصير إليه و يثبت عنده و يكتب في
صُحُفٍ مَلَكُوتِهِ كُل رَقْعٍ مِنْ أَوْقَاتِ هَذِهِ الْمُدَّةِ مَا يَرْتَفِعُ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ وَ يَدْخُلُ تَحْتَ الْوُجُودِ إِلَى أَنْ
تَبْلُغَ الْمُدَّةَ أُخْرَاهَا ثُمَّ يَدْبُرُ أَيْضًا لِيَوْمٍ أُخْرٍ وَ هَلُمَّ جُرًّا إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ - وَ قِيلَ يَنْزِلُ الْوَحْيُ مَعَ
جِبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ قَبُولِ الْوَحْيِ أَوْ رَدِّهِ مَعَ جِبْرِئِيلَ وَ ذَلِكَ
فِي وَقْتٍ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ أَلْفَ سَنَةٍ لِأَنَّ الْمَسَافَةَ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي الْهَبُوطِ وَالصُّعُودِ لِأَنَّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ
وَ الْأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَ هُوَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِكُمْ لِسُرْعَةِ جِبْرِئِيلَ لِأَنَّهُ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ -
وَ قِيلَ يُدَبِّرُ أَمْرَ الدُّنْيَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ كُلَّهُ أَيْ يَصِيرُ
إِلَيْهِ لِيَحْكُمَ فِيهِ - [فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ] وَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ - وَ قَرَأَ ابْنُ أَبِي عُبَيْلَةَ يُعْرِجُ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ -
وَ قَرِئَ [يَعُدُّونَ] بِالذَّاءِ وَالْيَاءِ - [أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ] حَسَنَهُ لِأَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ خَلَقَهُ إِلَّا وَهُوَ مُرَتَّبٌ عَلَى مَا
اِقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ وَ أَوْجَبَتْهُ الْمَصْلَحَةُ فَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ حَسَنَةٌ وَ أَنْ تَفَارَقَتْ إِلَى حَسَنِ وَ أَحْسَنِ كَمَا قَالَ لَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ - وَ قِيلَ عِلْمُ كَيْفٍ يَخْلُقُهُ مِنْ قَوْلِهِ قِيَمَةُ الْمَرْءِ مَا يُحْسِنُ وَ حَقِيقَتُهُ يُحْسِنُ مَعْرِفَتَهُ
أَيْ يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً حَسَنَةً بِتَحْقِيقٍ وَ اتِّقَانٍ - وَ قَرِئَ خَلَقَهُ عَلَى الْبَدَلِ أَيْ أَحْسَنَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ - وَ [خَلَقَهُ]
عَلَى الْوَصْفِ أَيْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ فَقَدْ أَحْسَنَهُ - سَمِيَتْ الذَّرِّيَّةُ نَسْلًا لِأَنَّهَُا تَنْسَلُ مِنْهُ أَيْ تَنْفَصِلُ مِنْهُ
وَ تَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ وَ نَحْوَهُ قَوْلُهُمْ لِلْوَلَدِ سَالِيلٌ وَ نَجَلٌ - وَ [سَوَّاهُ] قَوَّمَهُ كَقَوْلِهِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ - وَ دَلَّ بِإِضَافَةِ الرُّوحِ
إِلَى ذَاتِهِ عَلَى أَنَّهُ خَلَقَ عَجِيبٌ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إِلَّا هُوَ كَقَوْلِهِ وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ الْآيَةُ كَأَنَّهُ قَالَ وَ نَفَخَ فِيهِ
مِنْ الشَّيْءِ الَّذِي اخْتَصَّ هُوَ بِهِ وَ بِمَعْرِفَتِهِ * [وَقَالُوا] قِيلَ الْقَائِلُ أَبِي بَنٍ خَلْفَ وَ لِرِضَاهُمْ بِقَوْلِهِ اسْتَدَّ
إِلَيْهِمْ جَمِيعًا - وَ قَرِئَ - إِنَّا - وَإِنَّا عَلَى الْاسْتِفْهَامِ وَ تَرَكَهُ - وَ [ضَلَلْنَا] صَرْنَا تَرَابًا وَ ذَهَبًا مُخْتَلِطَيْنِ بِتَرَابِ الْأَرْضِ
لَا نُمَيِّزُ مِنْهُ كَمَا يَضِلُّ الْمَاءُ فِي اللَّبَنِ - أَوْ غِبْنَا فِي الْأَرْضِ بِالْدَفْنِ فِيهَا مِنْ قَوْلِهِ * شَعْرٌ * وَ أَبَ مَضَلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيلَةٍ *
وَ غَوَّدَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَ نَائِلٌ - وَ قَرَأَ عَلِيٌّ وَ ابْنُ عَبَّاسٍ ضَلَلْنَا بِكُسْرِ اللَّامِ يُقَالُ ضَلَّ يَضِلُّ وَ ضَلَّ يَضِلُّ - وَ قَرَأَ الْحَسَنُ
ضَلَلْنَا مِنْ ضَلَّ اللَّحْمُ وَ أَصْلٌ إِذَا انْتَنَ - وَ قِيلَ صَرْنَا مِنْ جَنْسِ الصَّلَةِ وَ هِيَ الْأَرْضُ - فَإِنْ قُلْتَ بِهِمُ انْتَصَبَ
الظَّرْفُ فِي إِذَا ضَلَلْنَا - قُلْتَ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ وَ هُوَ نَبْعَثُ أَوْ يَجِدُّ خَلْقَنَا - لِقَاءَ رَبِّهِمْ
هُوَ الْوَصُولُ إِلَى الْعَاقِبَةِ مِنْ تَلْقَائِي مَلَكِ الْمَوْتِ وَ مَا وَرَاءَهُ فَلَمَّا ذَكَرَ كُفْرَهُمْ بِالْإِنْشَاءِ أَضْرَبَ عَنْهُ إِلَى مَا هُوَ
إِبْلَغُ فِي الْكُفْرِ وَ هُوَ أَنَّهُمْ كَافِرُونَ بِجَمِيعِ مَا يَكُونُ فِي الْعَاقِبَةِ لَا بِالْإِنْشَاءِ وَحْدَهُ الْآتِي كَيْفَ خُوطِبُوا بِتَوَفِّي مَلَكِ

أَتَدْعُم مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ مَا لَكُم مِّنْ دُونِهِ مِّنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ - وَلَا رَيْبَ فِيهِ اعْتِرَاضٌ لَا مَحَالَ لَهُ - وَالضَّمِيرُ فِيهِ رَاجِعٌ إِلَى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلاً من رب العالمين ويشهد لوجهته قوله [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ] لأن قولهم هذا مقترى انكار لأن يكون من رب العالمين وكذلك قوله [بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ] وما فيه من تقرير انه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم - أثبت أولاً ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه - ثم أضرب عن ذلك الى قوله أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ لأن أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكاراً لقولهم وتعجباً منه لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلث آيات منه - ثم أضرب عن انكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم في المسئلة بعلة صحيحة جامعة قد احتترز فيها انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق اللتي لا يعرَى عن وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيمردّه بتلخيص انه احتترز من ذلك ثم يعود الى تقرير كلامه و تمشيته - فان قلت كيف نفى ان يرتاب في انه من الله وقد اثبت ما هو اطم من الريب وهو قولهم افتره - قلت معنى لا ريب فيه ان لا مدخل للريب في انه تنزيل الله لأن نافي الريب ومميظه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزاً للبشر ومثله ابعد شيء من الريب واما قولهم افتره فاما قول متعذب مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لانه سمع الناس يقولونه [مَا أَتَدْعُم مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ] كقوله مَا أُنذِرُ آبَاءَهُمْ وذلك ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم - فان قلت فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة - قلت - اما قيام الحجة بالشرائع اللتي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا - واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعلم لأن أدلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان [لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ] فيه وجهان - ان يكون على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون - وان يستعار لفظ الترجي للارادة - فان قلت ما معنى قوله [مَا لَكُم مِّنْ دُونِهِ مِّنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ] - قلت هو على معنيين - احدهما انكم اذا جازتم رضاه لم تجدوا لانفسكم ولياً اي ناصراً ينصركم ولا شفيعاً يشفع لكم - والثاني ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم و شفيعكم اي ناصركم على سبيل المجاز لأن الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِّنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير * [الْأَمْرُ] المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبراً [مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ] ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصاً كما يريد ويرضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخاص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخاص ودل عليه قوله على اثره قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ - او يدبر امر الدنيا كلها مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال

سورة السجدة ٣٢ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ط وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ط وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ط
الجزء ٢١ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ع

ع ١٣ كلماتها ٣٧٤ سورة السجدة مكية وهي ثلثون آية وثلثة ركوعا حروفها ١٥٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ع

الْأَمِّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارْتِبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ع أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ع بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا

وآله وسلم مفاتيح الغيب خمس وتلاهذه الآية - وعن ابن عباس من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب إتيكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك واهله في النار - وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا اخرج يده من البحر و اشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمس اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة تأويلها ان مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه - [عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ] أَيَّانَ مَرُسَدُهَا - [وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ] فِي إِبَانَةِ مَنْ غَيْرِ تَقْدِيمٍ وَلَا تَأْخِيرٍ فِي بَلَدٍ لَا يَتَجَاوَزُهُ - [وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ] أَذْكَرُ أَمْ أَنْثَى أَمَّا مَنْ نَاقَصَ وَكَذَلِكَ مَا سَوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ - [وَمَا تَدْرِي] نَفْسٌ بِرَّةٍ أَوْ فَاجِرَةٍ [مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا] مَنْ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ وَرَبِّمَا كَانَتْ عَازِمَةً عَلَى خَيْرٍ فَعَمِلَتْ شَرًّا وَعَازِمَةً عَلَى شَرٍّ فَعَمِلَتْ خَيْرًا - [وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ] إِيَّانَ [تَمُوتُ] وَرَبِّمَا أَقَامَتْ بَارِضٍ وَضَرَبَتْ أَوْتَادَهَا وَقَالَتْ لَا أِبْرَحَهَا وَأَقْبَرَ فِيهَا فَنَرَمِي بِهَا مَرَامِي الْقَدَرِ حَتَّى تَمُوتَ فِي مَكَانٍ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهَا وَلَا حَدَّثَتْهَا بِهِ ظَفُونُهَا - وَرَوَى أَنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ مَرَّ عَلَى سَلِيمٍ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ جُلَسَائِهِ يُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ الرَّجُلُ مَنْ هَذَا قَالَ مَلِكَ الْمَوْتِ فَقَالَ كَأَنَّهُ يَرِيدُنِي وَسَأَلَ سَلِيمٌ أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَى الرِّيحِ وَيُلْقِيَهُ بِبِلَادِ الْهِنْدِ فَفَعَلَ ثُمَّ قَالَ مَلِكَ الْمَوْتِ لِسَلِيمٍ كَانَ دَوَامُ نَظَرِي إِلَيْهِ تَعْجِبًا مِنْهُ لِأَنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْبِضَ رُوحَهُ بِالْهِنْدِ وَهُوَ عِنْدَكَ - وَجَعَلَ الْعِلْمُ لِلَّهِ وَالْدَرَايَةُ لِلْعَبْدِ لِمَا فِي الدَرَايَةِ مِنْ مَعْنَى الْخِثْلِ وَالْحَيْلَةِ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا تَعْرِفُ وَأَنْ أَعْمَلْتَ حَيْلَهَا مَا يَلْصِقُ بِهَا وَيَخْتَصُّ وَلَا يَخْطَأُهَا وَلَا شَيْءَ اخْصَبَ بِالْإِنْسَانِ مِنْ كَسْبِهِ وَعَاقِبَتُهُ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى مَعْرِفَتِهَا كَانَ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا عَدَاهُمَا أَبْعَدَ - وَقَرِئَ بِأَيِّ أَرْضٍ وَشَبَّهَ سَيْبُوهُ تَانِيثَ أَيْ بَتَانِيثَ كُلِّ فِي قَوْلِهِمْ كَلَّتْهُنَّ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْقَمَنِ كَانَ لَهُ لَقَمٌ رَفِيقًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاعْطِيَ مِنَ الْحَسَنَاتِ عَشْرًا عَشْرًا بَعْدَ مَنْ عَمِلَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ *

سورة السجدة

[الْأَمِّ] عَلَى أَنَّهَا اسْمُ السُّورَةِ مُبْتَدَأُ خَبْرَةٍ [تَنْزِيلُ الْكِتَابِ] - وَأَنْ جَعَلْتُهَا تَعْدِيدًا لِلْحُرُوفِ أَرْتَفَعَ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ بَأَنَّهُ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ - أَوْ هُوَ مُبْتَدَأُ خَبْرَةٍ [لَارْتِبَ فِيهِ] - وَالْوَجْهَ أَنْ يَرْتَفَعَ بِالْإِبْتِدَاءِ وَخَبْرَةٌ مِنْ

فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتِ اللَّهُ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ط إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ
 دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ط وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۝
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ۚ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازِعٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ط إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۝ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ۖ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ ۖ

سورة لقمن ٣١

الجزء ٢١

ع ١٢

العين وعينُ فَعَلَاتِ يجوز فيها الفتح والكسر والسكون [يَنْعَمَتِ اللَّهُ] باحسانه ورحمته [صَبَّارٍ] على بلائه
 [سَكُورٍ] لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قال إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ • يرتفع الموج ويتراكب
 فيعود مثل الظِّل والظِّلَّة كل ما اظلم من جبل أو سحاب أو غيرهما - وقرئ كالظَّلَالِ جمع ظَلَّة ثقلة
 وقلال [فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ] متوسط في الكفر والظلم خَفَضَ من غلوائه وانزجر بعض الانزجار - أو مُقْتَصِدٌ في
 الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد
 قليل نادر - وقيل مؤمن قد ثبتت على ما عاهد عليه الله في البحر - والختر اشتد الغدر ومنه قولهم * شعر * انك
 لا تمتد لنا شبرا من غدر * الا مددنا لك باعا من ختر * قال * شعر * وانك لو رأيت ابا عمير * ملأت يديك من
 غدر وختر * [لَا يَجْزِي] لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة بن نيار
 تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك - وقرئ لَا يَجْزِي لَا يُغْنِي يقال اجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى
 لَا يَجْزِي فِيهِ فَحذف [الْغُرُورُ] الشيطان - وقيل الدنيا - وقيل تميتكم في المعصية المغفرة - وعن سعيد
 بن جبيرة الغرة بالله ان يتمادي الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة - وقيل ذكرك لحسناتك
 ونسيانك لسيئاتك غرة - وقرئ بضم الغين وهو مصدر غرة غرورا جعل الغرور غاراً كما قيل جد جد -
 او اريد زينة الدنيا لانها غرور - فان قلت قوله [وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازِعٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا] وارد على طريق من التوكيد
 لم يرد عليه ما هو معطوف عليه - قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية أكد من الفعلية وقد انضم الى
 ذلك قوله هو وقوله مَوْلُودٌ والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض
 اباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا اباؤهم في
 الآخرة وان يشفعوا لهم وان يغفوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الأكيد ومعنى التوكيد
 في لفظ المَوْلُود ان الواحد منهم لو شفع للاب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن
 فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك - روي ان رجلا
 من محارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثة اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله -
 اخبرني عن الساعة متى قيامها - واذني قد البقيت حباتي في الارض وقد ابطأت عذا السماء فمتى
 تمطر - و اخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها اذكر ام انثى - واذني علمت ما
 عملت امس فما اعمل غدا - وهذا مولدي قد عرفته فابن اموت فذكرت - وعن النبي صلى الله عليه

سورة لقمن ٣١
الجزء ٢١
ع ١٢

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفُسًا وَاحِدَةً ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ فَمِنْ كُلِّ جَبَرٍ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ ذَٰلِكَ بَيِّنَاتٌ لِّلَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي

التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر - قلت أريد تفصيل الشجر وتقصيدها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد بُرئت اقلاما - فإن قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كَلِمُ الله - قلت معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه - وعن ابن عباس انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد أُوتينا التوراة وفيها كل الحكمة - وقيل ان المشركين قالوا ان هذا يعنون الوحي كلام سينفذ فأعلم الله ان كلامه لا ينفذ - وهذه الآية عند بعضهم مدنية وانها نزلت بعد الهجرة - وقيل هي مكية وانما أمر اليهود وقد قريش ان يقولوا لرسول الله أَلَسْتَ تَقُولُ فِيمَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ أَنَا قَدْ أُوتِينَا التَّوْرَةَ وفيها علم كل شيء [إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ] لا يعجزه شيء [حَكِيمٌ] لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفذ كلماته وحكمه * [إِلَّا كُنُفُسًا وَاحِدَةً] ألا كخلقها وبعثها أي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك انه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد أن لو شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك [إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ] يسمع كل صوت ويُبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فذلك الخلق والبعث * كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر - وعن الحسن الاجل المسمى يوم القيمة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ - دل ايضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيران في فلكيهما كل ذلك على تقدير حساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته - فان قلت يُجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى - وَيُجْرِي إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى أهو من تعاقب الحرفين - قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة الابليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قولك يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك يجري لاجل مسمى تريد يجري لادراك اجل مسمى تجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى ألا ترى ان جري الشمس مختص باخر السنة وجري القمر باخر الشهر فكلا المعنيين غير ناذب به موضعه * [ذَٰلِكَ] الذي وصف به من عجائب قدرته وحكمته اللتي يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله انما هو بسبب انه هو الحق الثابت الهية وان من دونه باطل الالهية [وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ] الشأن [الْكَبِيرُ] السلطان - او ذاك الذي اوحى اليك من هذه الايات بسبب بيان ان الله هو الحق وان الها غيره باطل وان الله هو العلي الكبير عن ان يشرك به - قري الفلك بضم اللام و كل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب التعويض - وينعمت الله بسكون

يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۝
وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزِنُكَ كُفْرُهُ ۝ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۝ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ۝ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَلِيظٍ ۝ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
اللَّهُ ۝ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۝ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝
وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۝ إِنَّ اللَّهَ

سورة لقمن ٣١
الجزء ٢١
ع ١١

و المراد التوكل عليه و التفويض اليه [فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى] من باب التمثيل مثلت
حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاطئ فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من
حبل متين مأمون انقطاعه [وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُور] اي هي صائرة اليه * قرئ [يَحْزِنُكَ] وَيَحْزِنُكَ
من حزن و آخزن والذي عليه الاستعمال المستفيض آخزنه و يحزنه والمعنى لا يهملك كفر من كفر
وكيده للامام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره و منتقم منه و معاقبه على عمله [إِنَّ اللَّهَ] يعلم ما
في صدر عباده فيفعل بهم على حسب * [نُمَتِّعُهُمْ] زمانا [قَلِيلًا] بدنيهم [ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَلِيظٍ]
شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه - والغلظ
مستعار من الاجرام الغليظة و المراد الشدة و الثقل على المعذب [قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ] الزام لهم على اقرارهم
بان الذي خلق السموات و الارض هو الله وحده و انه يجب ان يكون له الحمد و الشكر و ان لا يعبد معه
غيره ثم قال [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] ان ذلك يلزمهم و اذا نبهوا عليه لم ينتبهوا [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ] عن
حمد الحامدين المستحق للحمد و ان لم يحمده * قرئ [وَ الْبَحْرُ] بالنصب عطفا على اسم ان - و بالرفع
عطفا على محل ان و معمولها على و لو ثبت كون الاشجار اقلاما و ثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر - او على
الابتداء و الواء للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا - و في قراءة ابن
مسعود وَ بَحْرٌ يَمُدُّهُ على التفكير و يجب ان يحمل هذا على الوجه الاول - و قرئ يَمُدُّهُ - و يَمُدُّهُ - و بالياء -
فان قلت كان مقتضى الكلام ان يقال و لو ان الشجر اقلام و البحر مداد - قلت اغنى عن ذكر المداد
قوله يَمُدُّهُ لانه من قولك مدد الدواء و امدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواء و جعل الابحر السبعة مملوءة
مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع و المعنى و لو ان اشجار الارض اقلام و البحر ممدود
بسبعة ابحر و كتبت بتلك الاقلام و بذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته و نفدت الاقلام و المداد
كقوله تعالى قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي - فان قلت زعمت
ان قوله وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ حال في احد وجهي الرفع و ليس فيه ضمير راجع الى ذى الحال - قلت هو كقوله * ع
وقد اغتدي و الطير في وكناتها * و جذت و الجيش مصطفى و ما اشبه ذلك من الاحوال اللتي حكمها
حكم الظروف - و يجوز ان يكون المعنى و بحرها و الضمير للارض - فان قلت لم قيل مِنْ شَجَرَةٍ عَلَى

سورة لقمن ٣١ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ط وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
الجزء ٢١ وَلَا كِتَابٍ مُّذِيرٍ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ط أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ

ع ١١

وقد عدّ في مساوي الأدب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من ذري المروة - ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافاً وإن بلغت هذه الرجل فتشبيهه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالفهاق ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مُخْرَج الاستعارة وأن جعلوا حميراً وصوتهم نُهاقاً مبالغته شديدة في الذم والتهمين وإفراطاً في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبية على أنه من كراهة الله بمكان - فإن قلت لم وحد صوت الحمير ولم يجمع - قلت ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من أحاد هذا الجنس حتى يجمع وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيدها [مَا فِي السَّمَوَاتِ] الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك [وَمَا فِي الْأَرْضِ] البحار والأنهار والمعادن والدواب وما لا يحصى [وَاسْبَغَ] قري بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ سلخ وفي سقر سقر وفي صالح صالح - وقري [نِعْمَةٌ] - وَنِعْمَةٌ وَنِعْمَتُهُ - فَإِنْ قُلْتَ مَا النِّعْمَةُ - قلت كل نفع قصد به الاحسان والله تعالى خلق العالم كله نعمة لأنه إما حيوان وإما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث أن إيجاده حياً نعمة عليه لأنه لو لا إيجاده حياً لما صح منه الانتفاع وكل ما أدى إلى الانتفاع وصححه فهو نعمة - فَإِنْ قُلْتَ لِمَ كَانَ خَلَقَ الْعَالَمَ مَقْصُوداً بِهِ الْإِحْسَانُ - قلت لأنه لا يخلقه إلا لغرض والآ كان عبثاً والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون لغرض راجع إليه من نفع لأنه غني غير محتاج إلى المنافع فلم يبق إلا أن يكون لغرض يرجع إلى الحيوان وهو نفعه - فَإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ - قلت الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل أولاً يعلم أصلاً فكم في بدن الإنسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي إلى العلم بها وقد أكثرنا في ذلك - فعن مجاهد الظاهرة ظهور الإسلام والنصرة على الأعداء - والباطنة الامداد من الملكة - وعن الحسن الظاهرة الإسلام - والباطنة الستر - وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء - والباطنة المعرفة - وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة - والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك - ويروى في دعاء موسى عليه السلام الهي دُلْنِي عَلَى اخْفَى نِعْمَتِكَ عَلَى عِبَادِكَ فَقَالَ اخْفَى نِعْمَتِي عَلَيْهِمُ النَّفْسُ - ويروى أن أيسر ما يعذب به أهل النار الأخذ بالانفاس - مَعْنَاهُ أَيْتَبِعُونَهُمْ [لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ] أي في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب - قرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وَمَنْ يُسَلِّمْ بِالتَّشْدِيدِ يُقَالَ أَسْلَمَ أَمْرَكَ وَسَلَّمْ أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ - فَإِنْ قُلْتَ مَا لَهُ عَدِي بَالِي وَقَدْ عَدِّي بِاللَّامِ فِي قَوْلِهِ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ - قلت معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالماً لله أي خالصاً له - ومعناه مع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه

يُنْذِرُ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءًا مَعْرُوفًا وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ط إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ٥
 وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا ط إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ٦ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ ط إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ع ٧ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ

سورة لقمن ٣١

الجزء ٢١

ع ١١

في وكنته وهي مقرة ليدلا [وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ] يجوز ان يكون عامًا في كل ما يصيبه من المحن -
 و ان يكون خاصًا بما يصيبه فيما أمر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى من يبعثهم على
 الخير وينكر عليهم الشر [إِنَّ ذَلِكَ] مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام - ومنه الحديث
 لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله عليه السلام امن لم يبيت
 الصيام - ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزمه - وقولهم عزمة من عزمات ربنا -
 ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الافعلت كذا اذا قال
 ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر
 واصله من معزومات الامور اي مقطوعاتها ومفروضاتها - ويجوز ان يكون مصدرًا في معنى الفاعل امله من
 عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة
 بتقديم هذه الطاعات وانها كانت مأمورًا بها في سائر الامم وان الصلوة لم تنزل عظيمة الشأن سابقة القدم
 على ما سواها موصى بها في الاديان كلها * تصاعير - و [تُصَعِّرُ] بالتشديد والتخفيف يقال اصعرخده
 وصعرة وصاعرة كقولك اعلاه وعلاه بمعنى والصعرو الصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه
 والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعًا ولا تؤلمهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون - اراد
 [وَلَا تَمْشِ] تمرح [مَرَحًا] - او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مَرَحًا - ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح
 والاشراي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشرك كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني
 او دنيوي ونحوه قوله تعالى وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ - والمختال مقابل
 للماشي مَرَحًا - وكذلك الفخور للمصعرخه كبرًا - [وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ] واعدل فيه حتى يكون مشيًا
 بين مشيين لا تدب ديب المتماوتين ولا تثب وثيب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن - واما قول عائشة في عمر كان اذا مشى اسرع فانما ارادت
 السرعة المرتفعة عن ديب المتماوت - وقرئ اقسط بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد الرامي
 اذا سدد سهمه نحو الرمية [وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ] و انقص منه واقصر من قولك فلان يغض من
 فلان اذا قصره وضع منه [أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ] اوحشها من قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت
 منه ونفرت - والحمار مثل في الدم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استغفحاشهم لذكره مجردا وتغاديههم
 من اسمه انهم يكتنون عنه و يرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الذين كما يكتنى عن الاشياء المستقدرة -

سورة لقمن ٣١ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝

الجزء ٢١

ع ١٠

و ان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهم في الدنيا [ثُمَّ إِلَيَّ] مرجعك و مرجعها فأجازيك على إيمانك و أجازيها على كفرهما - علم بذلك حكم الدنيا و ما يجب على الإنسان في صحبتها و معاشرتهما من مراعاة حق الآبوة و تعظيمه و ما لهما من الواجب اللتي لا يسوغ الإخلال بها ثم بين حكمهما و حالهما في الآخرة - و روي انها نزلت في سعد بن أبي وقاص و أمه و في القصة انها مكثت ثلثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاهأ بعود - و روي انه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت كما ارتددت الى الكفر - فان قلت هذا الكلام كيف وقع في انشاء وصية لقمن - قلت هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيد لما في وصية لقمن من النهي عن الشرك - فان قامت بقوله حملته أمه و هذا على و هن و فصله في عامين كيف اعترض به بين المفسر و المفسر - قلت لما وصى بالوالدين ذكر ما تكبده الأم و تعانيه من المشاق و المتاعب في حمله و فصالة هذه المدة المتطاوله ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا و تذكيرا بحقها العظيم مفردا - و من ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم اباك - و عن بعض العرب انه حمل أمه الى الحج على ظهرة و هو يقول في حدائه بنفسه * شعر * احمل أمي و هي الحماله * ترضعني الدرة و العلالة * و لا يجازي والد فعالة * فان قلت ما معنى توقيت الفصال بالعامين - قلت المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية اللتي لا تتجاوز و الامر في ما دون العامين موكول الى اجتهد الأم ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تغطمه و يدل عليه قوله تعالى و الْوَالِدَاتُ يَرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ * و به استشهد الشافعي على ان مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما و هو مذهب ابي يوسف و محمد - و اما عند ابي حنيفة فمدة الرضاع ثلثون شهرا - و عن ابي حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعا و ان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع محرم - قرئ [مِثْقَالَ حَبَّةٍ] بالنصب و الرفع - فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة او الاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر و القماءة كحبة الخردل و كانت مع صغرها في اخفى موضع و احرزة كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي [يَأْتِ بِهَا اللَّهُ] يوم القيمة فيحاسب بها عاملها [إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ] يتوصل علمه الى كل خفي [خَبِيرٌ] عالم بكنهه - و عن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها - و من قرأ بالرفع كان ضمير القصة و انما انت المثلث لضافته الى الحبة كما قال * ع * كما شرقت صدر القنطرة من الدم * و روي ان ابن لقمن قال له رأيت الحبة تكون في مقل البحر اي في مغاصه يعامها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء - و قيل الصخرة هي اللتي تحت الارض و هي السجين يكتب فيها اعمال الكفار - و قرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر

كَفَرْنَا بِاللَّهِ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ وَإِذْ قَالَ لَقْمَنُ لِبْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَىٰ وَهْنٍ ۖ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ ۖ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ۖ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۝ وَإِنْ جَاهَدَكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَبْنِي إِنَّهَا أَنْ تَكُ

سورة لقمن ٣١
الجزء ٢١
ع ١٠

و الشعبي كان نبياً - وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة - وعن ابن المسيب كان اسود من
سودان مصر خطاطا - وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين متشقق القدمين - وقيل كان نجارا - وقيل
راعيًا - وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة - وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ
الشفطين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض - وروي ان رجلا وقف عليه
في مجلسه فقال ألسنت الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال ما بلغ بك ما ارى قال
صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني - وروي انه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد كبر الله
له الحديد كالطين فاراد ان يسأله فادرسته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال
الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيمًا - وروي ان مولاه امره بذبح شاة وبأن
يُخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يُخرج اخبث
مضغتين فاخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا و اخبث ما فيها
اذا خبثا - وعن سعيد بن المسيب انه قال لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلثة من السودان
بلال ومهجع مولى عمر ولقمن - ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه
على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة
بالبعث على الشكر [غَنِيٌّ] غير محتاج الى الشكر [حَمِيدٌ] حقيق بأن يحمد وان لم يحمد احد -
قيل كان اسم ابنه أنعم - وقال الكلبي أشكم - وقيل كان ابنه وامراته كافرين فما زال بهما حتى اسلما
[لَظْلُمٌ عَظِيمٌ] لان التسوية بين من لا نعمة الا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور ان تكون منه
ظلم لا يكذبه عظمه * اي [حَمَلَتْهُ] تهن [وَهَذَا عَلَىٰ وَهْنٍ] كقولك رجع عودا على بدأ بمعنى يعود عودا
على بدأ وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اي يتزايد ضعفها ويتضاعف
لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا - وقرئ وَهَذَا عَلَىٰ وَهْنٍ بالتحريك عن ابي عمرو يقال
وَهْنٌ يَوْهَنُ وَهْنٌ يَهْنُ - وقرئ وَفَصَّلَهُ - [اِنْ اشْكُرْ] تفسير لوصيفا * [مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ] اراد بنفي
العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام كقوله تعالى مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ *
[مَعْرُوفًا] صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم
والمروءة - [وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ] يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه

سورة لقمن ٣١
الجزء ٢١
ع ١٠
النصف

وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ أَتَيْنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ وَالْأَرْضِ رَأْسًا ۚ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ۚ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ۖ وَانزَلْنَا مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۖ بَلِ
الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ۖ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ
كَفَرَ ۖ إِنَّ شَرَّ الدَّانِثِينَ لَلْكَافِرُ ۚ

ضالاً لا محالة فدل بالزديف على المردوف - فان قلت ما معنى قوله [بغير علم] - قلت لما جعله مشترياً لهو
الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة و بغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل
بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراف
بها - وقرئ [ويأخذها] بالنصب والرفع عطفاً على يشتري أو ليضل والضمير للسبيل لانها مونة كقوله تعالى
ويصدرون من سبيل الله من امن به ويؤمنونها عوجاً [ولم يستكبراً] زاماً لا يعبا بها ولا يرفع بها رأساً
تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع [كان في اذنيه وقراً] اي ثقلاً ولا وقر فيهما وقرئ بسكون
الذال - فان قلت ما محل الجملتين المصدرتين بكأن - قلت الاولى حال من مستكبراً والثانية من لم
يسمعها - ويجوز ان تكونا استينافين و الاصل في كان المخففة كانه والضمير ضمير الشأن [وعد الله حقاً]
مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله لهم جنت النعيم في معنى وعدهم الله
جنت النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقاً فدل على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما
جميعاً قوله لهم جنت النعيم [وهو العزيز] الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي
النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو [الحكيم] لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل * [ترونها] الضمير فيه
للسموات وهو استشهاد برويتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا
رمح تراني - فان قلت ما محلها من الاعراب - قلت لا محل لها لانها مستأنفة - او هي في محل الجر صفة للعمد
اي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته * [هذا] اشارة الى ما ذكر من
مخلوقاته - والخلق بمعنى المخلوق و [الذين من دونه] الهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله
وانشاء فارونني ما ذا خلقته الهتهم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب عن تبييتهم الى التسجيل
عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال * هو لقمن بن باعور ابن اخوت ايوب او ابن خالته - وقيل كان
من اولاد ازر وعاش الف سنة و ادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم و كان يفتي قبل مبعث
داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيلاً له فقال الا اكتفي اذا كفي - وقيل كان قاضياً في بني
اسرائيل - واكثر الاقارب انه كان حكيماً ولم يكن نبياً - وعن ابن عباس لقمن لم يكن نبياً ولا ملكاً ولكن
كان راعياً اسود فرزقه الله العتق ورضي قوله وصيته فقص امره في القرآن ليتمسكوا بوصيته - وقال عكرمة

وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿١٠١﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا يَقْضِيهَا هُزْوَاً ۖ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٠٣﴾

سورة لقمن ٣١

الجزء ٢١

ع ٩

انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف [لِلْمُحْسِنِينَ] للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها
من اقامة الصلوة وابتداء الزكوة والايقان بالآخرة ونظيره قول أرس * شعر * اللمعي الذي يظن بك الظن
كأن قد رأى وقد سمع * حكى عن الاصمعي انه سئل عن اللمعي فانشده ولم يزد - او للذين يعملون جميع
ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائميين بهذه الثلاث لفضل اعتدائ بها * اللهو كل باطل ألهى عن
الخير وعما يعنى و [لَهُوَ الْحَدِيثُ] نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات
والمصاحيك و فضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغذاء وتعلم الموسيقى وما اشبه ذلك -
وقيل نزلت في النضر بن الحارث و كان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا
ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد و ثمود فانا احديثكم باحاديث رستم وبهرام والاكسرة وملوك الحيرة
فيستمعون حديثه ويتركون اجتماع القرآن - وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق
به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلوة والصيام و
ان تقاتل بين يديه - وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا
التجارة فيهن ولا ائمانهن - وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه
شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو
الذي يسكت - وقيل الغذاء منقذة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب - فان قلت ما معنى اضافة اللهو
الى الحديث - قلت معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء الى ما هو منه
كقولك صفة خز وباب ساج - والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن
غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المفكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل
الحسنات كما تأكل البهيمة الكشيش - ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعية كانه قيل ومن الناس
من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه - وقوله يشتري اما من الشرى على ما روي عن النضر
من شرى كذب الاعاجم او من شرى القيان - واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه
عليه - وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق - وقوى [لِيُضِلَّ] بضم الياء
وفتحها [سَبِيلِ اللَّهِ] دين الاسلام او القرآن - فان قلت القراءة بالضم بيضة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو
ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضتهم عنه فما معنى القراءة بالفتح - قات فيه
معنيان - احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخدول كان شديد
الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه - والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان

سورة لقمن ٣١
الجزء ٢١
ع ٩
كلماتها ٥٥٤
سورة لقمن مكية و هي اربع و ثلثون آية و اربعة ركوعاً
حروفها ٢٢١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَىٰ رَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

أَرْضُوا رَبَّكُمْ بَتُوبَةٍ وَ طَاعَةٍ وَ مِثْلَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى لَا تُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يَسْتَعْتَبُونَ - فَاِنْ قُلْتَ كَيْفَ جَعَلُوا غَيْرَ مُسْتَعْتَبِينَ فِي بَعْضِ الْآيَاتِ وَ غَيْرَ مُعْتَبِينَ فِي بَعْضِهَا وَ هُوَ قَوْلُهُ وَ أَنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ - قُلْتَ أَمَّا كُونُهُمْ غَيْرَ مُسْتَعْتَبِينَ فَهَذَا مَعْنَاهُ - وَ أَمَّا كُونُهُمْ غَيْرَ مُعْتَبِينَ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُمْ غَيْرُ رَاضِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ فَشَبَّهَتْ حَالَهُمْ بِحَالِ قَوْمٍ جُنِّيَ عَلَيْهِمْ فَهُمْ عَاتِبُونَ عَلَى الْجَنَانِيِّ غَيْرَ رَاضِينَ مِنْهُ فَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا اللَّهَ أَيْ يَسْأَلُوهُ إِزَالَةَ مَا هُمْ فِيهِ فَمَا هُمْ مِنَ الْمَجَابِينَ إِلَى إِزَالَتِهِ * [وَ لَقَدْ] وَصَفْنَا لَهُمْ كُلَّ صِفَةٍ كَانَتْ فِي غَرَابَتِهَا وَ قَصَصْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ قِصَّةٍ عَجِيبَةٍ الشَّانِ كَصِفَةِ الْمَبْعُوثِينَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَ قِصَّتِهِمْ وَ مَا يَقُولُونَ وَ مَا يَقَالُ لَهُمْ وَ مَا لَا يَنْفَعُ مِنْ اعْتِزَارِهِمْ وَ لَا يَسْمَعُ مِنْ اسْتِعْتَابِهِمْ وَ لَكُنْهُمْ لِقَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ وَ مِجَاسْمَاعِهِمْ حَدِيثَ الْآخِرَةِ إِذَا جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ مِنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ قَالُوا أَجِئْتُنَا بِزُورٍ وَ بَاطِلٍ * ثُمَّ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ الطَّبَعُ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْجَهْلَةِ وَ مَعْنَى طَبَعَ اللَّهُ مَنَعَ الْإِطَافَ اللَّتِي يَنْشُرُ لَهَا الصَّدُورَ حَتَّى تَقْبَلَ الْحَقَّ وَ إِنَّمَا يَمْذَعُهَا مَنْ عِلْمُ أَنَّهَا لَا تُجْدِي عَلَيْهِ وَ لَا تُغْنِي عَنْهُ كَمَا يَمْنَعُ الْوَاعِظُ الْمَوْعِظَةَ مَنْ يَتَبَيَّنُ لَهُ أَنَّ الْمَوْعِظَةَ تَلْغُو وَ لَا تَنْجِعُ فِيهِ فَوْقَ ذَلِكَ كَنَازِيَةً عَنْ قَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ وَ رُكُوبِ الصَّدَاءِ وَ الرِّينِ آيَاهَا وَ كَأَنَّهُ قَالَ كَذَلِكَ تَقْصُورُ وَ تَصْدَأُ قُلُوبُ الْجَهْلَةِ حَتَّى يَسْمُوا الْمُخْطِئِينَ مُبْطِلِينَ وَ هُمْ أَعْرَقَ خَلْقَ اللَّهِ فِي تِلْكَ الصِّفَةِ * [فَاصْبِرْ] عَلَى عِدَارَتِهِمْ [إِنْ وَعَدَ اللَّهُ] بِنَصْرَتِكَ وَ أَظْهَرَ دِينَكَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ [حَقٌّ] لِأَبَدٍ مِنَ الْإِنْجَازَةِ وَ الْوَفَاءِ بِهِ - وَ لَا يَحْمِلُنَّكَ عَلَى الْخَفَةِ وَ الْقَلْقِ جَزْعًا مِمَّا يَقُولُونَ وَ يَفْعَلُونَ فَاتَّهَمَ قَوْمٌ شَاكُونَ ضَالُونَ لَا يُسْتَبَدَّعُ مِنْهُمْ ذَلِكَ - وَ قَرِئَ بِتَخْفِيفِ النُّونِ - وَ قَرَأَ ابْنُ أَبِي اسْحَقَ وَ يَعْقُوبُ وَ لَا يَسْتَحِقُّكَ أَيْ لَا يَقْتَضِيكَ فَيَمْلُوكُ وَ يَكُونُوا أَحَقُّ بِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الرُّومِ كَانَ لَهُ مِنَ الْإِجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بَعْدَ كُلِّ مَلِكٍ سَبَّحَ اللَّهَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ ادْرَكَ مَا ضَيَّعَ فِي يَوْمِهِ وَ لَيْلَتِهِ *

سورة لقمن

[الْكِتَابُ الْحَكِيمُ] ذِي الْحِكْمَةِ - أَوْ مَصِفٌ بِصِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْأَسْذَانِ الْمَجَازِيِّ - وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ الْحَكِيمُ قَائِلُهُ فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَ أُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ فَبِإِنْقِلَابِهِ مَرْفُوعًا بَعْدَ الْجَرِّ اسْتَكْنَى فِي الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ [هُدًى وَ رَحْمَةً] بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ عَنِ الْآيَةِ وَ الْعَامِلِ فِيهَا مَا فِي تِلْكَ مِنْ مَعْنَى الْإِشَارَةِ - وَ بِالرَّفْعِ عَلَى

سورة الروم ٣٠

الجزء ٢١

ع ٨

ضَلَلْتَهُمْ ٥ اِنْ تَسْمِعِ الْاَمَنُ يَوْمَ مِنْ بَايْتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ٥ اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ٥ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ٥ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ٥ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ٥ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ٥ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ٥ وَقَالَ الَّذِينَ ارْتَدُوا عَنِ الْاِيْمَانِ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللّٰهِ اِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ٥ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٥ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ٥ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ٥ وَلَئِنْ

ابن عمر قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ضَعْفٍ فافتراني من ضَعْفٍ - و قوله [خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ] كقوله خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ يَعْنِي اَنْ اَسَاسَ امْرُكُم وَمَا عَلَيْهِ جِبِلَّتْكُمْ وَبَنَيْتُمْ الضَّعْفَ وَ خَلَقَ الْاِنْسَانَ ضَعِيفًا اَيِ ابْتَدَأْنَاكُمْ فِي اَوَّلِ الْاَمْرِ ضَعْفًا وَذَلِكَ حَالُ الطُّفُولَةِ وَالذُّشَا حَتَّى بَلَغْتُمْ وَقْتَ الْاِحْتِلَامِ وَالشَّبِيْبَةِ وَتِلْكَ حَالُ الْقُوَّةِ اِلَى الْاِكْتِهَالِ وَبَلَوغِ الْاَشَدِّ ثُمَّ رُدَدْتُمْ اِلَى اَصْلِ حَالِكُمْ وَهُوَ الضَّعْفُ بِالشَّيْخُوخَةِ وَالْهَرَمِ - وَقِيلَ مِنْ ضَعْفٍ مِنَ النُّظْفِ لِقَوْلِهِ مِنْ مَاءٍ مَهِيْنٍ وَهَذَا التَّرْدِيْدُ فِي الْاَحْوَالِ الْمَخْتَلِفَةِ وَالتَّغْيِيْرِ مِنْ هَيْئَةٍ اِلَى هَيْئَةٍ وَصِفَةٍ اِلَى صِفَةٍ اِظْهَرَ دَلِيْلًا وَاَعْدَلَ شَاهِدًا عَلَى الصَّانِعِ الْعَلِيْمِ الْقَادِرِ * [السَّاعَةُ] الْقِيَمَةُ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ تَقُومُ فِي اُخْرَ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الدُّنْيَا - اَوْ لَأَنَّهُ تَقَعُ بَغْتَةً وَبُدْهَةً كَمَا تَقُوْلُ فِي سَاعَةٍ لَمَنْ تَسْتَعْجِلُهُ وَجَرَتْ عَلَمًا لَهَا كَالنَّجْمِ لِلثَّرِيَا وَالْكَوْكَبِ لِلزُّهْرَةِ - وَارَادُوا لَبِثْتُمْ فِي الدُّنْيَا - اَوْ فِي الْقُبُوْرِ - اَوْ فِي مَا بَيْنَ فَنَاءِ الدُّنْيَا اِلَى الْبَعْثِ - وَفِي الْحَدِيْثِ مَا بَيْنَ فَنَاءِ الدُّنْيَا اِلَى وَقْتِ الْبَعْثِ اَرْبَعُونَ قَالُوا لَا فَعَلِمَ اُھِي اَرْبَعُونَ سَنَةً اَمْ اَرْبَعُونَ اَلْفَ سَنَةٍ وَذَلِكَ وَقْتُ يَفْنَوْنَ فِيْهِ وَيَنْقَطِعُ عَذَابُهُمْ وَانَّمَا يَقْدَرُوْنَ وَقْتُ لَبِثْتُمْ بِذَلِكَ عَلَى وَجْهِ اسْتِقْصَارِهِمْ لَهُ اَوْ يَذْسُوْنَ اَوْ يَكْذِبُوْنَ اَوْ يَحْتَمِنُوْنَ [كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُوْنَ] اَيِ مِثْلَ ذَلِكَ الصَّرْفِ كَانُوا يُصَرَّفُوْنَ عَنِ الصَّدَقِ وَالتَّحْقِيْقِ فِي الدُّنْيَا وَهَكَذَا كَانُوا يَبْهِنُوْنَ اَمْرَهُمْ عَلَى خِلَافِ الْحَقِّ - اَوْ مِثْلَ ذَلِكَ الْاَفْكَ كَانُوا يُؤْفَكُوْنَ فِي الْاِغْتِرَارِ بِمَا تَبَيَّنَ لَهُمْ اَلْاَنَ اَنَّهُ مَا كَانَ اِلَّا سَاعَةً * الْقَائِلُوْنَ هُمُ الْمَلَكَةُ وَالْاَنْبِيَاءُ وَالْمُؤْمِنُوْنَ [فِى كِتَابِ اللّٰهِ] فِي اللُّوْحِ - اَوْ فِي عِلْمِ اللّٰهِ وَقَضَائِهِ - اَوْ فِيمَا كَتَبَهُ اَيِ اَوْجَبَهُ بِحُكْمَتِهِ رَدُّوا مَا قَالُوْهُ وَحَلَفُوا عَلَيْهِ وَاُطْلِعُوْهُمُ عَلَى الْحَقِيْقَةِ ثُمَّ وَصَلُوا ذَلِكَ بِتَقْرِيعِهِمْ عَلَى اِنْكَارِ الْبَعْثِ بِقَوْلِهِمْ [فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] اَنَّهُ حَقٌّ لَتَفْرِيطُكُمْ فِي طَلَبِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ - فَانْ قَالَتْ مَا هَذِهِ الْغَايَةُ وَمَا حَقِيْقَتُهَا - قَالَتْ هِيَ الَّتِي فِي قَوْلِهِ فَقَدْ جُنَّا خُرَاسَانًا وَحَقِيْقَتُهَا اَنَّهُ جَوَابُ شَرْطٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ كَأَنَّهُ قَالَ اِنْ صَحَّ مَا قُلْتُمْ مِنْ اَنْ خُرَاسَانَ اَقْصَى مَا يَرَانُ بَنَانًا فَقَدْ جُنَّا خُرَاسَانَ وَاَنْ لَنَا اَنْ نَخْلُصَ وَكَذَلِكَ اِنْ كُنْتُمْ مُذَكِّرِيْنَ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ اَيِ فَقَدْ تَبَيَّنَ بَطْلَانُ قَوْلِكُمْ - وَقَرَأَ الْحَسَنُ يَوْمَ الْبَعْثِ بِالتَّحْرِيكِ * [لَا يَنْفَعُ] قَرِئَ بِالْيَاءِ وَالدَّاءِ [يُسْتَعْتَبُونَ] مِنْ قَوْلِكَ اسْتَعْتَبْنِيْ فَلَا فَاَعْتَبْتُهُ اَيِ اسْتَرْضَانِيْ فَارْضِيْتُهُ وَذَلِكَ اِذَا كُنْتَ جَانِيْدًا عَلَيْهِ وَحَقِيْقَةُ اِعْتَبْتُهُ اَزَلْتُ عَتْبَهُ اَلَا تَرَى اِلَى قَوْلِهِ * شَعَرَ * غَضِبْتُ تَمِيْمًا اَنْ يَقْتُلَ عَامِرًا * يَوْمَ النَّسَارِ فَاَعْتَبُوا بِالصَّيْلِمْ * كَيْفَ جَعَلَهُمْ غَضَابًا ثُمَّ قَالَ فَاَعْتَبُوا اَيِ اُزِيلَ غَضَبُهُمْ وَالْغَضَبُ فِي مَعْنَى الْعَتْبِ وَالْمَعْنَى لَا يَقَالُ لَهُمْ

تَشْكُرُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۝ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ اللَّهُ الَّذِي يَرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنُفِثَ الْوَدْقُ مِنْ خِلَالِهِ ۚ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لُمُبْلِسِينَ ۝ فَانْظُرْ إِلَى آثِرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى ۚ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ۝ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْوَعْدَ ۚ وَلَا تَسْمَعُ الضَّمَّ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمْيَ عَنْ

حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ [تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم وتاهيل لكرامة سنية و اظهار لفضل سابقة و مزينة حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم مستوجبين عليه ان يظهرهم و يظفرهم - وقد يوقف على حقا و معناه و كان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا قوله وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ* [فَيَبْسُطُهُ] متصلا تارة [وَيجعله كسفا] اي قطعاً تارة [فَتُفِثَ الْوَدْقُ يُخْرَجُ مِنْ خِلَالِهِ] في التارتين جميعاً - والمراد بالسما سميت السماء و شققها كقوله تعالى وَفَرَعَهَا فِي السَّمَاءِ وَبِأَصَابَةِ الْعِبَادِ أَصَابَةَ بِلَادِهِمْ و اراضيهم* [مِنْ قَبْلِهِ] من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا - و معنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول و بعد فاستحكم بأسهم و تمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك * قرئ أثر - و اثر على الوحدة و الجمع - و قرأ ابو حيوة و غيره كَيْفَ تُحْيِي اي الرحمة [إِنَّ ذَلِكَ] يعني ان ذلك القادر الذي يحيى الارض بعد موتها هو الذي يحيى الناس بعد موتهم [وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ] من المقدورات قادر و هذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء* [فَرَأَوْهُ] فرأوا اثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث و اثرها الذبات - ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى اثار الرحمة الذبات و اسم الذبات يقع على القليل و الكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت* [وَلَقَدْ] هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط و [لَظَلُّوا] جواب القسم سد مسد الجوابين اعني جواب القسم و جواب الشرط و معناه لَيُظَلَّنَّ - ذمهم الله تعالى بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته و ضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته و رزقهم المطر استبشروا و ابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب زرعهم بالصفار ضجوا و كفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله و فضله فقنطوا و ان يشكروا نعمته و يحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح و الاستبشار و ان يصبروا على بلائه فكفروا - و الريح اللتي اصفرها الذبات يجوز ان تكون حرورا و حرجفا فكلتاها مما يصوح له الذبات و يصبح هشيما و قال مصفرا لان تلك صفة حادثة - و قيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر * قرئ بفتح الضاد و ضمها و هما لغتان و الضم اقوى في القراءة لما روى

فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ * كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ * فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ
مِن قَبْلُ أَن يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدٍّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدَّعُونَ * مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ * وَمَن عَمِلَ صَالِحًا
فَلِنَفْسِهِ يَمَّهْدُونَ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ * إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ * وَمِن
آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مَبْشُرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

سورة الروم ٣٠

الجزء ٢١

ع ٧

سوء العاقبة لمعاصيهم و دل بقوله [كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ] على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم
و ان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك * الْقَيِّمُ البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج [مِنَ اللَّهِ]
أما ان يتعلق بِيَأْتِيَ فيكون المعنى من قبل ان يأتي من الله يوم لا يردّه احد كقوله فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا -
او بمرّد على معنى لا يردّه هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته - والمرّد مصدر بمعنى الردّ [يُصَدَّعُونَ] يتصدعون
اي يتفرون كقوله تعالى وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ [فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ] كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من
المضار لأن من كان ضارّة كفره فقد احاطت به كل مضرة [فَلِنَفْسِهِمْ يَمَّهْدُونَ] اي يسوّون لانفسهم ما
يسوّيه لنفسه الذي يمهّد فراشه و يوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما يُنبّيه عليه و ينغص عليه مرقدّه من
نُدُو او قضض او بعض ما يؤذّي الرائد - و يجوز ان يريد فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أم
فرشت فانامت - و تقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه
و منفعة الايمان و العمل الصالح ترجع الى المؤمن لا يتجاوز [لِيَجْزِيَ] متعلق بِيَمَّهْدُونَ تعليل له [مِن
فَضْلِهِ] مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب و هذا يشبه الكفاية لأن الفضل تبع للثواب
فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطائه و هو ثوابه لأن الفضول و الفواضل هي الاعطية عند العرب
و تكرير [الَّذِينَ أَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح
و قوله [إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ] تقرير بعد تقرير على الطرد و العكس * [الرِّيح] هي الجذوب و الشمال و الصبا
و هي رياح الرحمة و اما الدبور فريح العذاب و منه قوله صَلى الله عليه و آله و سلم اللهم اجعلها رياحا
و لا تجعلها ريحا - و قد عدّ الغراض في ارسالها و انه ارسلها للبشارة بالغيث و لاذقة الرحمة و هي
نزل المطر و حصول الخصب الذي يتبعه و الروح الذي مع هبوب الريح و زكاء الارض قال رسول الله صلى الله
عليه و آله و سلم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض و ازالة العفونة من الهواء و تذرية الحبوب و غير ذلك
[وَ لِيَجْرِيَ الْفُلُكُ] في البحر عند هبوبها و انما زان بِأَمْرِهِ لأن الريح قد تهبّ و لا تكون مُواتية فلا بد من
ارساء السفن و الاحتياال لحبسها و ربما عصفت فاغرقتها [وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ] يريد تجارة البحر و لشكروا
نعمة الله فيها - فان قلت بهم يتعلق وَلِيَذِيقَكُم - قلت فيه وجهان - ان يكون معطوفا على مَبْشُرَاتٍ على المعنى كأنه
قيل ليُبَشِّرْكُمْ وليذيقكم - وان يتعلق بمحذوف تقديره وَلِيَذِيقَكُم وليكون كذا وكذا ارسلناها * اختصر الطريق
الى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتصار و النصر ذكر الفريقين و قد أخلى الكلام أولا عن ذكرهما - وقوله [وَكَانَ

يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ٥ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ ٥ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ٥
ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٥ قُلْ سِيرُوا

أكثر منه أو يجز منفعه - و الذي ليس بحرام ان يستدعي بهبته أو بهديته أكثر منها وفي الحديث المستغزر
يثاب من هبته - و قرئ و مَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ بِمَعْنَى و ما غشيتموه أو رهقتموه من إعطاء ربوا - و قرئ لتربوا
أي لتزيدوا في أموالهم كقوله و يَرْبِي الصَّدَقَاتِ أي يزيدها - وقوله فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ التفات حسن كأنه
قال لملئكتكم و خواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان
يقول فانتم المضعفون و المعنى المضعفون به لانه لابد من ضمير يرجع الى ما - و وجه آخر و هو ان يكون
تقديره فمؤتوه أولئك هُمُ الْمُضْعِفُونَ و الحذف لما في الكلام من الدليل عليه و هذا سهل مأخذا و الاول
أَمْلاً بالفائدة * [اللَّهُ] مبتدأ وخبره [الَّذِي خَلَقَكُمْ] أي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة اللتي لا يقدر
على شيء منها احد غيره ثم قال [هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ] الذين اتخذتموهم اندادا له من الاصنام وغيرها [مَنْ
يَفْعَلُ] شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم - و يجوز ان
يكون الَّذِي خَلَقَكُمْ صفة للمبتدأ و الخبر هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ وقوله [مَنْ ذَلِكَ] هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ لان
معناه من افعاله و من الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم و تجهيل
عبدتهم * [الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ] نحو الجذب و القحط و قلة الربيع في الزراعات و الريح في التجارات و
وقوع الموتان في الناس و الدواب و كثرة الحرق والغرق و اخفاق الصيادين و الغاصة و سحق البركات من
كل شيء و قلة المنافع في الجملة و كثرة المضار - و عن ابن عباس أجذبت الارض و انقطعت مادة البحر
و قالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر - و عن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر و قرأه اللتي
على شاطئه - و عن عكرمة العرب تسمى الامصار البحار - و قرئ في الْبَرِّ وَالْبَحْرِ [بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ]
بسبب معاصيهم و ذنوبهم كقوله تعالى وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ - و عن ابن عباس ظهر
الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ بقتل ابن آدم اخاه و في الْبَحْرِ بأن جلدنوى كان يأخذ كل سفينة غصبا - و عن قتادة كان
ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رجع راجعون عن الضلال و الظلم -
و يجوز ان يريد ظهور الشر و المعاصي بكسب الناس ذلك - فان قلت ما معنى قوله [لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي
عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] - قلت أما على التفسير الاول فظاهر و هو ان الله قد افسد اسباب دنياهم و محققها
ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الآخرة لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عما هم عليه - و أما
على الثاني فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم
ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا و تسببوا لفساد المعاصي في الارض لاجل ذاك - و قرئ لِيُذِيقَهُمْ بالنون - ثم أكد
تسبب المعاصي لغضب الله و نكاله حيث امرهم بأن يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم و اذاقهم

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ مَلَأْنَا بِهِمْ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْكُرُونَ ۝ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ط
وَأِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۝ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ط
إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ قَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ط ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ
يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۝ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ
اللَّهِ ۝ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۝ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ

والام في [ليكفروا] مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا [فتمتعوا] نظير اعملوا ما شئتم [فسوف تعلمون] وبال
تمتعكم - وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا * السلطان الحجة - وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا - وهذا مما
نطق به القرآن - ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته - وما في [بما كانوا] مصدرية اي
بكونهم بالله يشركون - ويجوز ان تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه
يشركون - ويحتمل ان يكون المعنى اَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ ذَا سُلْطَانٍ اَي مَلَكًا مَعَهُ بَرَهَانٌ فَذَلِكَ الْمَلِكُ يَتَكَلَّمُ
بِالْبَرَهَانِ الَّذِي بِسَبَبِهِ يُشْرِكُونَ * [وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً] اَي نِعْمَةً مِنْ مَطَرٍ أَوْ سَعَةٍ أَوْ صِحَّةٍ فَرِحُوا بِهَا -
[وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ] اَي بَلَاءٌ مِنْ جَدَبٍ أَوْ ضَيْقٍ أَوْ مَرَضٍ وَالسَّبَبُ فِيهَا شَوْمٌ مُعَاصِيهِمْ قَنَطُوا مِنَ الرَّحْمَةِ -
ثُمَّ انكر عليهم بانهم قد علموا انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين
من المعاصي اللتي عوقبوا بالشدة من اجها حتى يعيد اليهم رحمته * حَقَّ ذِي الْقُرْبَىٰ صَلَوةُ الرَّحِمِ -
وَحَقُّ الْمِسْكِينِ وَابْنُ السَّبِيلِ نَصِيْبُهُمَا مِنَ الصَّدَقَةِ الْمَسْمُومَةِ لَهَا - وَقَدْ احْتَجَّ أَبُو حَنِيفَةَ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي
وَجُوبِ النِّفَقَةِ لِلْمَحَارِمِ إِذَا كَانُوا مُحْتَاجِينَ عَاجِزِينَ عَنِ الْكَسْبِ - وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ لَا نِفَقَةٌ بِالْقَرَابَةِ
إِلَّا عَلَى الْوَلَدِ وَالْوَالِدِينَ قَاسَ سَائِرَ الْقَرَابَاتِ عَلَى ابْنِ الْعَمِّ لِأَنَّهُ لَا وَلَدَ بَيْنَهُمْ - فَإِنْ قَلَّتْ كَيْفَ تَعْلُقُ قَوْلَهُ
[قَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ] بِمَا قَبْلَهُ حَتَّى جِيءَ بِالْفَاءِ - قَلَّتْ لَمَّا ذُكِرَ أَنَّ السَّيِّئَةَ أَصَابَتْهُمْ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ أَتْبَعَهُ ذِكْرُ
مَا يَجِبُ أَنْ يُفْعَلَ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُتْرَكَ [يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ] يَحْتَمِلُ - أَنْ يَرَادَ بِوَجْهِهِ ذَاتُهُ أَوْ جِهَتُهُ وَجَانِبُهُ -
أَي يَقْصِدُونَ بِمَعْرُوفِهِمْ آيَاهُ خَالِصًا وَحَقَّهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّيَ الْأَعْلَى - أَوْ يَقْصِدُونَ جِهَةَ التَّقَرُّبِ
إِلَى اللَّهِ لِأَجْهَةٍ أُخْرَى وَالْمَعْنِيَانِ مُتَقَارِبَانِ وَلَكِنْ الطَّرِيقَةُ مُخْتَلِفَةٌ * هَذِهِ الْآيَةُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى
يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ يُرِيدُ وَمَا أُعْطِيْتُمْ أَكَلَةُ الرِّبَا [مِّن رَّبًّا لَّيْرَبُوا فِي] أَمْوَالِهِمْ
لِيُزِيدَ وَيُزَكُو فِي أَمْوَالِهِمْ فَلَا يُزَكُو عِنْدَ اللَّهِ وَلَا يُبَارَكُ فِيهِ [وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ] اَي صَدَقَةٍ تَبْتَغُونَ بِهِ
وَجْهَ خَالِصًا لَا تَطْلُبُونَ بِهِ مَكَافَاةً وَلَا رِبَاءً وَسَمْعَةً [فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ] ذَوَا الْأَضْعَافِ مِنَ الْحَسَنَاتِ
وَنَظِيرُ الْمُضْغَفِ الْمُقْوِي وَالْمُوسَّرُ لِذِي الْقُوَّةِ وَالْيَسَارِ - وَقُرِئَ بِفَتْحِ الْعَيْنِ - وَقِيلَ نَزَلَتْ فِي ثَقِيفٍ وَكَانُوا
يُرَبُّونَ - وَقِيلَ الْمُرَادُ أَنْ يَهْبِ الرِّجْلَ لِلرِّجْلِ أَوْ يَهْدِي لَهُ لِيَعْوِضَهُ أَكْثَرَ مِمَّا وَهَبَ أَوْ أَهْدَى فَلَيْسَتْ تِلْكَ
الزِّيَادَةُ بِحَرَامٍ وَلَكِنْ الْمَعْوِضُ لَا يَثَابُ عَلَى تِلْكَ الزِّيَادَةِ - وَقَالُوا الرِّبَا رِبَاؤَانِ - فَالْحَرَامُ كُلُّ قَرْضٍ يُؤْخَذُ فِيهِ

يَعْقِلُونَ ۝ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝
فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۖ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۖ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ
الْقَيِّمُ ۚ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝
مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ
مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آتَاهُم مِّنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۖ فَتَمَتَّعُوا

له شركاء - [كَذَلِكَ] اي مثل هذا التفصيل [نَفَصِلُ الْآيَاتِ] اي نُبَيِّنُهَا لَأَن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير و التشكيل لها الا ترى كيف صَوَّرَ الشرك بالصورة المشوهة * [الَّذِينَ ظَلَمُوا] اي اشركوا كقوله تعالى اِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [بِغَيْرِ عِلْمٍ] اي اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه و اما الجاهل فيهم على وجهه كالبهيمة لا يکفه شيء [مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ] مَنْ خَذَلَهُ و لم يلفظ به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله - وقوله [وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ] دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان [فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ] فَقَوِّمْ وَجْهَكَ لَهُ وَغَدِّلْهُ غَيْرَ مَلْتَفَتٍ عَنْهُ يَمْدُنَا و لا شمالاً و هو تمثيل لاقباله على الدين و استقامته عليه و ثباته و اهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه و سدد اليه نظره و قَوِّمَ لَهُ وَجْهَهُ مُقْبِلًا بِهِ عَلَيْهِ و [حَنِيفًا] حال من المأمور - او من الدِّين - [فِطْرَتَ اللَّهِ] اَلْزَمُوا فِطْرَةَ اللَّهِ - او عليكم فطرة الله وانما اضمرت على خطاب الجماعة لقوله مُنِيبِينَ إِلَيْهِ حال من الضمير في الزموا - وقوله وَاتَّقُوهُ - وَأَقِيمُوا - وَلَا تَكُونُوا مَعْطُوفٌ عَلَى هَذَا الْمَضْمَر - و الفِطْرَةُ الْخَلْقَةُ الا ترى الى قوله لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ و المعنى انه خلقهم قابليين للتوحيد ودين الاسلام غير نابيين عنه و لا منكرين له لكونه مُجَابِياً للعقل مساوفاً للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر و من غوى منهم فباغوا شياطين الانس و الجن - و منه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كل عبادي خَلَقْتُ حُنَفَاءَ فَاجْتَلْتَهُم الشياطين عن دينهم و امروهم ان يشركوا بي غيري وقوله كل مولود يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه و ينصرانه [لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ] اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تُغَيَّرَ - فَاِنْ قُلْتَ لِمَ وَحْدَ الْخُطَابِ اَوَّلًا ثُمَّ جُمِعَ - قُلْتَ خُوطِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اَوَّلًا و خطاب الرسول خطاب لأمته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جُمِعَ بعد ذلك للبيان و التلخيص [مِنَ الَّذِينَ] بدل من الْمُشْرِكِينَ - فَاَرَقُّوا دِينَهُمْ تَرَكَوا دِينَ الْإِسْلَام - و قرئ [فَرَقُّوا دِينَهُمْ] بالنشديد اي جعلوه ادياناً مختلفة لاختلاف اهوائهم [وَكَانُوا شِيعًا] فِرْقًا كُلِّ وَاحِدَةٍ تُشَايِعُ اِمَامَهَا الَّذِي اَضَاهَا [كُلُّ حِزْبٍ] منهم فرح بمذهبه مسرور بحسب باطله حقاً - و يجوز ان يكون مِنَ الَّذِينَ مَنْقُطَعًا مِمَّا قَبْلَهُ و معناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم و لكنه رفع فَرِحُونَ على الوصف لكل كقوله * ع * و كل خليل غير هاضم نفسه * الضَّرُّ الشَّدَّةُ من هزال او مرض او قحط او غير ذلك - و الرَّحْمَةُ الْخُلَاصُ مِنَ الشَّدَّةِ

الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتُمْ فَإِنَّكُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

سورة الروم ٣٠

الجزء ٢١

ع ٦

الربيع

عندكم ان يولد بين هم و عاقرو اما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف و الامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى - فان قلت ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والارض بامرة ثم هونت بعد ذلك - قلت الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء - وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء لان تكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعباً وكبدًا من ان يتنقل في احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد - وقيل الاهون بمعنى الهين - ووجه اخرو هو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي لابد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب - والافعال - اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور - واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة - واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل ان يفعله وان لا يفعله - واما واجب لابد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدا من الامتناع كانت ادخلها في التآتي والتسهل فكانت اهون منها واذا كانت اهون منها كانت اهون من الانشاء - [و له المثل الاعلى] اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلاق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله [وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] اي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه - وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه و له الوصف الاعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ - وقال الزجاج و له المثل الاعلى في السموات والارض اي قوله وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول * فان قلت اي فوق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله مِّنْ أَنفُسِكُمْ - مما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ - من شركاء - قلت الاولى للابتداء كأنه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي انفسكم ولم يبعد - والثانية للتبعيض - والثالثة مزيدة لتأكيد الامتفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم [فِي مَا رَزَقْتُمْ] من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده

سورة الزم ٣٠ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ط إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥
الجزء ٢١ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ط ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ٥ وَلَهُ مَن فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ ط كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ٥ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ط وَلَهُ الْمَثَلُ

فُسِّرَ المثل تَسْمَعُ بالمُعِيدِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ وَقَوْلُ الْقَائِلِ * شَعْرٌ * وَقَالُوا مَا تَشَاءُ فَقُلْتُ أَلَهُو * إِلَى الْإِصْبَاحِ
أَتَرَى ذِي الثُّبُرِ * [خَوْفًا] مِنَ الصَّاعِقَةِ أَوْ مِنَ الْإِخْلَافِ [وَطَمَعًا] فِي الْغَيْثِ - وَقِيلَ خَوْفًا لِلْمَسَافِرِ وَطَمَعًا
لِلْحَاضِرِ وَهُمَا مَنْصُوبَانِ عَلَى الْمَفْعُولِ لَهُ - فَإِنْ قُلْتَ مَنْ حَقَّ الْمَفْعُولُ لَهُ أَنْ يَكُونَ فَعَلًا لِفَاعِلِ الْفِعْلِ الْمَعْلُولِ
وَالْخَوْفُ وَالطَّمَعُ لَيْسَا كَذَلِكَ - قُلْتَ فِيهِ وَجْهَانِ - أَحَدُهُمَا أَنْ الْمَفْعُولَيْنِ فَاعِلُونَ فِي الْمَعْنَى لِأَنَّهُمْ رَأَوْا فِكَاثَهُ
قِيلَ يَجْعَلُكُمْ رَأْيَيْنِ الْبَرْقِ خَوْفًا وَطَمَعًا - وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ أَيْ ارَادَةَ خَوْفٍ وَارَادَةَ
طَمَعٍ فَحَذْفُ الْمُضَافِ وَاقِيمَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ - وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالِيْنِ أَيْ خَائِفَيْنِ وَطَامِعَيْنِ - وَقَرِئَ
يُنْزِلُ بِالتَّشْدِيدِ * [وَمِنْ آيَاتِهِ] قِيَامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاسْتِمْسَاكُهُمَا بِغَيْرِ عَمَدٍ [بِأَمْرِهِ] أَيْ بِقَوْلِهِ كُونَا
قَائِمَتَيْنِ وَالْمَرَامَ بِاقَامَتِهِ لِهَمَا وَارَادَتُهُ لَكُونَهُمَا عَلَى صِفَةِ الْقِيَامِ دُونَ الزَّوَالِ - وَقَوْلُهُ [إِذَا دَعَاكُمْ] بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ يُرِيكُمْ
فِي إِيقَاعِ الْجُمْلَةِ مَوْقِعَ الْمَفْرُودِ عَلَى الْمَعْنَى كَأَنَّهُ قَالَ وَمِنْ آيَاتِهِ قِيَامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ خَرُجَ الْمَوْتَى
مِنَ الْقُبُورِ إِذَا دَعَاهُمْ دَعْوَةً وَاحِدَةً يَا أَهْلَ الْقُبُورِ أَخْرُجُوا وَالْمَرَادُ سُرْعَةُ وَجُودِ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ وَلَا
تَلَبُّثٍ كَمَا يُجِيبُ الدَّاعِيَ الْمَطَاعَ مَدْعُوهُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ * شَعْرٌ * دَعْوَتٌ كَلِيبًا دَعْوَةً فَكَأَنَّمَا * دَعْوَتُ بِهِ ابْنُ الطُّوْدِ
أَوْ هُوَ اسْرِعْ * يُرِيدُ بِابْنِ الطُّوْدِ الصَّدِيقَ أَوْ الْحَجَرَ إِذَا تَدَهَّدَى - وَأَمَّا عَطْفُ هَذَا عَلَى قِيَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِثَمٍّ
بَيِّنًا لِعَظَمِ مَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ وَاقْتِدَارِهِ عَلَى مِثْلِهِ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ قُومُوا فَلَا تَبْقَى نَسَمَةٌ
مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ الْأَقَامَتِ تَنْظُرُ كَمَا قَالَ تَعَالَى ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ قَوْلُكَ دَعْوَتُهُ
مِنْ مَكَانٍ كَذَا كَمَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَكَانُكَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَكَانُ صَاحِبِكَ تَقُولُ دَعْوَتُ زَيْدًا مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ
فَنَزَلَ عَلَيَّ وَدَعْوَتُهُ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي فَطَاعَ إِلَيَّ - فَإِنْ قُلْتَ بِمِ تَعْلُقُ [مِّنَ الْأَرْضِ] أَيْ بِالْفِعْلِ أَمْ بِالمَصْدَرِ -
قُلْتَ هِيَ هَاتِ إِذَا جَاءَ نَهْرُ اللَّهِ بِطَلِّ نَهْرٍ مَعْقِلٍ - فَإِنْ قُلْتَ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ إِذَا وَإِذَا - قُلْتَ الْأَوَّلَى لِلشَّرْطِ
وَالثَّانِيَةِ لِلْمُفَاجَاةِ وَهِيَ تَنْوِبُ مَذَابَ الْفَاءِ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ - وَقَرِئَ تَخْرُجُونَ بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِهَا [قَانِتُونَ]
مَنْقَادُونَ لَوْجُودِ أَعْمَالِهِمْ فِيهِمْ لَا يَمْتَنِعُونَ عَلَيْهِ * [وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ] فَيَمَّا يَجِبُ عِنْدَكُمْ وَيَنْقَاسُ عَلَى أَصُولِكُمْ
وَيَقْتَضِيهِ مَعْقُولُكُمْ لِأَنَّ مَنْ أَعَادَ مِنْكُمْ صَنْعَةً شَيْءٌ كَانَتْ أَسْهَلُ عَلَيْهِ وَأَهْوَنُ مِنْ أَنْشَأَتِهَا وَتَعْتَذِرُونَ لِلصَّانِعِ إِذَا
خُطِئَ فِي بَعْضٍ مَا يُنْشِئُهُ بِقَوْلِكُمْ أَوَّلَ الْغَزْوِ أَخْرَقَ وَتُسَمُّونَ الْمَاهِرَ فِي صِنَاعَتِهِ مَعَارِدًا تَعْنُونَ أَنَّهُ عَارِدُهَا
كَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى مَرَّنَ عَلَيْهَا وَهَانَتْ عَلَيْهِ - فَإِنْ قُلْتَ لِمَ ذَكَرَ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ وَهُوَ أَهْوَنُ وَالْمَرَادُ بِهِ
الْإِعَادَةُ - قُلْتَ مَعْنَاهُ وَأَنْ يُعِيدَهُ أَهْوَنُ عَلَيْهِ - فَإِنْ قُلْتَ لِمَ أَخَّرْتَ الصَّلَاةَ فِي قَوْلِهِ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَقُدِّمَتْ
فِي قَوْلِهِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ - قُلْتَ هَذَاكَ قَصْدُ الْإِخْتِصَاصِ وَهُوَ مُحْزَنَةٌ نَقِيلُ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَأَنْ كَانَ مُسْتَصْعَبًا

وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ⑥ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ⑦ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ⑧ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ ⑨ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَاوِيكُم ⑩ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ⑪ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ⑫ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ⑬ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ

سورة الروم ٣٠

الجزء ٢١

ع ٥

من الطائر - و احياء الارض اخراج النبات منها [وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ] ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء و الاعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد و العكس من اخراج الميت من الحي و اخراج الحي من الميت و احياء الميت و اماتة الحي - و قرئ الميت بالتشديد و تُخْرَجُونَ بفتح الداء - [خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ] لانه خالق اصلهم منه و [إِذَا] للمفاجات و تقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين في الارض كقوله وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً * [مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا] لان حواء خلقت من ضلع آدم و النساء بعدها خلقتن من املاص الرجال - او من شكل انفسكم و جنسها لا من جنس آخر و ذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف و السكون و ما بين الجنسين المختلفين من التنافر [وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ] التواء و التواحم بعصمة الزواج بعد ان لم تكن بينكم سابقة معرفة و لا لقاء و لا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم - عن الحسن المودة كناية عن الجماع و الرحمة عن الولد كما قال وَرَحْمَةً مِّنَّا - وقال ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدًا - ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه و اطمأن اليه و منه السكن و هو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول - وقيل ان المودة و الرحمة من قبل الله و ان الفرك من قبل الشيطان * الالسنه اللغات - او اجناس النطق و اشكاله خالف عز و علا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقتين متفقيين في همس واحد و لا جهره و لا حدة و لا رخاوة و لا فصاحة و لا لكنة و لا نظم و لا اسلوب و لا غير ذلك من صفات النطق و احواله و كذلك الصور و تخطيطها و الالوان و تنويعها و لاختلاف ذلك وقع التعارف و آلفوا اتفقت و تشاكلت و كانت ضربا واحدا لوقع التجاهل و الالتباس و لتعطلت مصالح كثيرة و ربما رأيت توأمين يشتبهان بالحمية فيعبروك الخطاء في التمييز بينهما و تعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلي و في ذلك آية بيّنة حيث ولدوا من اب واحد و فرعوا من اصل فذوهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله مختلفون متفارتون - و قرئ للعلمين بفتح اللام و كسرهما ويشهد المكسر قوله تعالى وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ * هذا من باب اللف و ترتيبه و من آياته منامكم و ابتغاءكم من فضله بالليل و النهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين لانهما زمانان و الزمان و الواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد - و يجوز ان يراد منامكم في الزمانين و ابتغاءكم فيهما و الظاهر هو الاول لتكرره في القرآن و امد المعاني ما دل عليه القرآن يسمعه بالاذان الواعية * في [يُرِيكُم] وجهان - اضمار ان - و انزال الفعل منزلة المصدر وبهما

أَمَّنُوا وَاعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ فَمُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۝

وهؤلاء في اسفل السافلين - و عن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها [في روضة] في بستان وهي الجنة و التنكير لابهام امرها و تفخيمه و الروضة عند العرب كل ارض ذات نبات و ماء و في امثالهم احسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة [يُحْبَرُونَ] يسرون يقال حبرة اذا سره سرورا تهلل له وجهه و ظهر فيه اثره - ثم اختلفت فيه الاقوال لاحتماله وجوه جميع المسار - فعن مجاهد يكرمون - و عن قتادة يُنعمون - و عن ابن كيسان يحلون - و عن ابي بكر بن عديش التيجان على رؤسهم - و عن وكيع السماع في الجنة - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم انه ذكر الجنة و ما فيها من النعيم و في آخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لغيرا حافته الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغني بصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت ابا الدرداء به يتغني قال بالتسبيح - و روي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا [مُحْضَرُونَ] لا يغيبون عنه و لا يخفف عنهم كقوله و ما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم - لما ذكر الوعد و الوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد - والمراد بالتسبيح ظاهرة الذي هو تنزيه الله من سوء و الثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة - و قيل الصلوة - و قيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم و تلا هذه الآية [تُمْسُونَ] صلوات المغرب و العشاء [وَتُصْبِحُونَ] صلوة الفجر [وَعَشِيًّا] صلوة العصر [وَتُظْهِرُونَ] صلوة الظهر و قوله و عشيًا متصل بقوله حِينَ تُمْسُونَ - و قوله وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ اعتراض بينهما و معناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات و الارض ان يحمدوه - فان قلت لم ذهب الحسن الى ان هذه الآية مدنية - قلت لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة و كان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم - و القول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة - و عن عائشة رضي الله عنها فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله المدينة اقرت صلوة السفر و زيد في صلوة الحضر - و عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحن الله حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ الآية - و عنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحن الله حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ الى قوله وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ادرك ما فات في يومه و من قالها حين يمسي ادرك ما فات في ليلته - و في قراءة عكرمة حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ و المعنى تُمْسُونَ فيه و تُصْبِحُونَ فيه كقوله يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا بمعنى فيه [الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ] الطائر من البيضة [وَالْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ] البيضة

الدِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ط كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثَارُوا الْأَرْضَ وَ عَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ط
فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ط ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
وَ كَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ع اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ © وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ©
وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَ كَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كُفِرِينَ © وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ © فَاَمَّا الَّذِينَ

سورة الروم ٣٠

الجزء ٢١

ع ٤

الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك
امرها جار على الحكمة و التدبير و انه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت - و المراد ببلقاء ربهم
الاجل المسمى * [اَوَلَمْ يَسِيرُوا] تقرير لسيرهم في البلاد و نظرتهم الى اثار المدمرين من عاد و ثمود و غيرهم من
الأمم العاتية ثم اخذ يصف لهم احوالهم و انهم [كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثَارُوا الْأَرْضَ] و حرثوها قال الله تعالى
لَا ذُلُّ لِمُثِيرِ الْأَرْضِ - و قيل لبقر الحراث المثيره - و قالوا سمي ثورا لاثارته الارض و بقرة لانها تبقرها اي تشقها
[وَ عَمَرُوهَا] يعنى اولئك المدمرين [أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا] من عمارة اهل مكة و اهل مكة اهل واد غير
ذي زرع مالهم اثاره الارض اصلا و لا عمارة لها رأيا فما هو الاتهم بهم و بضعف حالهم في دنياهم لان معظم
ما يستظهر به اهل الدنيا و يتباهون به امر الدهقنة و هم ايضا ضعاف القوى فقله كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً اي
عاد و ثمود و اضراهم من هذا القبيل كقله اَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً و ان كان هذا
ابلع لانه خالق القوى و القدر فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم و لكنهم ظلموا انفسهم
حيث عملوا ما اوجب تدميرهم - قرى [عَاقِبَةُ] بالنصب و الرفع - و [السُّوْأَى] تانيث الاسوأ و هو الاقبح
كما ان الحسنى تانيث الحسن و المعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السُّوْأَى الا انه
وضع المظهر موضع المضمراي العقوبة اللتي هي اسوأ العقوبات في الآخرة و هي جهنم اللتي أعدت
للكافرين - و [أَنْ كَذَّبُوا] بمعنى لَانْ كَذَّبُوا - و يجوز ان يكون اَنْ بمعنى اَي لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب
و الاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى و كتب و ما اشبه ذلك - و وجه آخر و هو ان يكون اسأوا
السُّوْأَى بمعنى اترفوا الخطيئة اللتي هي اسوأ الخطايا و اَنْ كَذَّبُوا عطف ببيان لها و خبر كان محذوف
كما يحذف جواب لَمَّا و لو ارادة الابهام [ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] اي الى ثوابه و عقابه - و قرى بالتاء و الياء -
الابلاس ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم يندس و يئس من ان يحتج منه
الذاقة المبلاس اللتي لا ترغو - و قرى يُبْلِسُ بفتح الهمزة اذا اسكته [مِنْ شُرَكَائِهِمْ] من الذين
عبدوهم من دون الله [وَ كَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كُفِرِينَ] اي يكفرون بالهيتهم و يمجحدونها - او كانوا في الدنيا
كافرين بسببهم - و كتب شَفَعُوا في المصحف بواز قبل الالف كما كتب عِلْمُوا بِذِي إِسْرَائِيلَ و كذلك
كتبت السُّوْأَى بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها - الضمير في
[يَنْفِرُونَ] للمسلمين و الكافرين لدلالة ما بعده عليه - و عن الحسن هو تفرق المسلمين و الكافرين هؤلاء في عليين

وَعَدَ اللَّهُ ط لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ⑥ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ٣ وَهُمْ
عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ⑦ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ قَفَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ
مُّسَمًّى ط وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ يَلْقَآئِي رَبِّهِمْ لَكَفُورُونَ ⑧ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

قوة للإسلام - وعن أبي سعيد الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصبر المؤمنون [وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ]
ينصر عليكم تارة وينصركم أخرى [وَعَدَ اللَّهُ] مصدر مؤكد كقولك لك علي ألف درهم عرفنا لأن معناه
اعترف لك بها اعترافاً و وعد الله ذلك وعدا لأن ما سبقه في معنى وعد - ذمهم الله بأنهم غفلوا في أمور
الدنيا بله في أمور الدين وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب - وعن الحسن بلغ من حدق أحدهم أنه
يأخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم أروى هو أم جيد * وقوله [يَعْلَمُونَ] بدل من قوله لَا يَعْلَمُونَ - وفي هذا الإبدال
من النكتة أنه إبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويستد مسدداً ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم
الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا - وقوله [ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] يفيد أن للدنيا
ظاهراً وباطناً فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتعظيم بملاذها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز
إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة وفي تذكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً واحداً
من جملة الظواهر [وَهُمْ] الثانية يجوز أن يكون مبتدأ و [غَفْلُونَ] خبره والجملة خبرهم الأولى - وإن يكون
توكيداً للأولى و غَفْلُونَ خبر الأولى وإية كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها
ومعلمها و أنها منهم تدبّع و اليهم ترجع * [فِي أَنفُسِهِمْ] يحتمل - أن يكون ظناً كأنه قيل أو لم يحذثوا التفكير في
أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكير لا يكون إلا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك
اعتقده في قلبك وأضمرة في نفسك - وإن يكون صلة للتفكير كقولك تفكر في الأمر وأجال فيه فكرة [وَمَا خَلَقَ]
متعلق بالقول المحذوف معناه أو لم يتفكروا فيقولوا هذا القول - وقيل معناه فيعلموا لأن في الكلام دليلاً
عليه [إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى] أي ما خلقها باطلاً و عبثاً بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى
خالدة وإنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة و بتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه
وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب إلا ترى إلى قوله تعالى أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا
وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ كيف سمي تركهم غير راجعين إليه عبثاً - والباء في قوله تعالى [إِلَّا بِالْحَقِّ] مثلها في
قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو ملتبس بالسرج
واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها إلا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به - فإن قلت إذا
جعلت في أَنفُسِهِمْ صلة للتفكير فما معناه - قلت معناه أو لم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من
غيرها من المخلوقات وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهراً وباطناً
من فرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم

قَبْلَ وَمِنْ بَعْدُ ط وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِجُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ط يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ط وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥١﴾ سورة الروم ٣٠

الجزء ٢١

ع ٣

الثلاث الى العشر عن الاصمعي - وقيل احتربت الروم و فارس بين اذرعائ و بصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على النبي صلى الله عليه و آله و سلم و المسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم و الروم اهل الكتاب و فرج المشركون و شتموا و قالوا انتم و النصارى اهل الكتاب و نحن و فارس اميون و قد ظهر اخواننا على اخوانكم و لنظهرن نحن عليكم فنزات فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فضيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه و المناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما و جعل الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزائده في الخطر و مائة قلوص الى تسع سنين و مات ابي من جرح رسول الله و ظهرت الروم على فارس يوم الحديبية و ذلك عند رأس سبع سنين - و قيل كان الفصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي و جاء به الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال تصدق به - و هذه الآية من الايات البيضة الشاهدة على صحة النبوة و ان القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله - و قرئ غلبهم بسكون اللام و الغلب و الغلب مصدران كالجلب و الجلب و الحلب و الحلب - و قرئ غلبت الروم بالفتح - و سيغلبون بالضم و معناه ان الروم غلبوا على ريف الشام و ميغلبهم المسلمون في بضع سنين و عند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم - و اضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهي في احدهما اضافة المصدر الى المفعول و في الثانية اضافته الى الفاعل و مثالهما محرم عليكم اخراجهم - و لكن يخلف الله و عده - فان قلت كيف صحت المناحبة و انما هي قمار - قلت عن قتادة انه كان ذلك قبل تحريم القمار - و من مذهب ابي حنيفة و محمد ان العقود الفاسدة من عقود الربوا و غيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين و الكفار و قد احتجنا على صحة ذلك بما عده ابو بكر بينه و بين ابي بن خلف [من قبل و من بعد] اي في اول الوقتين و في اخرهما حين غلبوا و حين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين و هو وقت كونهم مغلوبين و من بعد كونهم مغلوبين و هو وقت كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولاً و غالبين آخراً ليس الا بامر الله و قضائه و تلك الايام نداولها بين الناس - و قرئ من قبل و من بعد على الجز من غير تقدير مضاف اليه و اقتطاعه كانه قيل قبل و بعدا بمعنى اولاً و آخر [و يومئذ] و يوم تغلب الروم على فارس و يحل ما وعد الله من غلبتهم [يفرح المؤمنون بنصر الله] و تغلبه من له كتاب على من لا كتاب له و غيظ من شمت بهم من كفار مكة - و قيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم - و قيل نصر الله انه ولي بعض الظالمين بعضاً و فرق بين كلمهم حتى تغاثوا و تناقصوا و فل هؤلاء شوكة هؤلاء و في ذلك

سورة العنكبوت ٢٩

الجزء ٢١

ع ٣

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ۝
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۝ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۝
وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۝ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝

حرونها
٣٥٤٧

سورة الروم مكية وهي ستون آية وستة ركوعا

كلماتها
٨٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

الْأَسْمَاءُ ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۝ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ

هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها إلا الله وحده مكفورة عندهم * افترواؤهم على الله كذبا زعمهم أن لله شريكا - وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب - وفي قوله [لَمَّا جَاءَهُ] تسفيه لهم يعني لم يتلعمثوا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتنبئون في الأمور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون إلى أن يضح لهم صدقه أو كذبه [أَلَيْسَ] تقرير لثوابهم في جهنم كقوله * ع * الستم خير من ركب المطايا * قال بعضهم ولو كان استفهاما ما أعطاه الخليفة مائة من الأبل - وحقيقته أن همزة همزة الإنكار دخلت على النفي فرجع إلى معنى التقرير فهما وجهان - أحدهما ألا يثوون في جهنم والآ يستوجبون الثواب فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب - والثاني الم يصح عندهم أن في جهنم مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ حتى اجتروا مثل هذه الجراءة * اطلق المجاهدة ولم يقيد بها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان واعداء الدين [فِينَا] في حقنا ومن أجلنا ووجهنا خالصا [لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا] لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا كقوله وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى - وعن أبي سليمان الداراني وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا عِلْمُوا لَنَهْدِيَنَّهُمْ إِلَى مَا لَمْ يَعْلَمُوا - وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم - وقيل أن الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم [لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ] لناصرهم ومعينهم - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين *

سورة الروم

القراءة المشهورة الكثيرة [غُلِبَتِ] بضم الغين - وَ سَيَغْلِبُونَ بفتح الياء - وَالْأَرْضُ أَرْضُ الْعَرَبِ لِأَنَّ الْأَرْضَ الْمَعْهُودَةَ عِنْدَ الْعَرَبِ أَرْضُهُمْ وَالْمَعْنَى غُلِبُوا فِي آدْنَى أَرْضِ الْعَرَبِ مِنْهُمْ وَهِيَ أَطْرَافُ الشَّامِ - أَوْ أَرَادَ أَرْضَهُمْ عَلَى أَنْبَاءِ الْإِلَامِ مَنَابِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ أَيْ فِي آدْنَى أَرْضِهِمْ إِلَى عَدُوِّهِمْ - قَالَ مُجَاهِدٌ هِيَ أَرْضُ الْجَزِيرَةِ وَهِيَ آدْنَى أَرْضِ الرُّومِ إِلَى فَارَسَ - وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ الْأُرْدُنُّ وَفِلَسْطِينَ - وَ قُرِئَ فِي آدْنَى الْأَرْضِ - وَ الْبَضْعُ مَا بَيْنَ

إِلَّا لَهُمْ وَلَعِبٌ ۖ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۖ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۖ وَلِيَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝

سورة العنكبوت ٢٩

الجزء ٢١

ع ٢

حمدت الله عند مقاتلتهم * [هذه] فيها ازدياد الدنيا وتصغير لامرهما وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون [وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ] اي ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حيوة - والحَيَوَان مصدر حَيِيَ وقياسه حَيَّان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حَيوة في اسم رجل وبه سمى ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشترى من الموتان ولا تشتري من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغضان والتهبان وما شبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجئته على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة [لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] فلم يؤثر في الحيوة الدنيا عليها - فان قلت بم اتصل قوله فَإِذَا رَكِبُوا - قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد [فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها اخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهمم [فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ] وامنوا عادوا الى حال الشرك - واللام في [لِيَكْفُرُوا] محتملة - ان تكون لام كي وكذلك في وَلِيَتَمَتَّعُوا فيمن قرأها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في انجائهم و يجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ - وان تكون لام الامر وقراءة من قرأ وَلِيَتَمَتَّعُوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ اِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ - فان قلت كيف جاز ان يأمر الله بالكفر وبأن يعمل العصاة ما شاؤوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه - قلت هو مجاز عن الخذلان والتخليه وان ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطأ وانه يؤدي الى ضرر عظيم فتدبأ في نصحه واستنزاله عن رأيه فاذا لم ترمذه الا الالباء والتصميم حردت عليه وقلت انت و شانك و افعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف و الامر بالشيء مراد له وانت شديد الكراهة متحسروا كذلك كاذك تقول له فاذا قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل لي قال لك افعل ما شئت وتبعث عليه لتتبين لك اذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك * كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون و اهل مكة قارون امنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فدكرهم الله هذه الذمة الخاصة عليهم و بنحهم بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل

لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ط نِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢١﴾ وَكَانَ مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ۚ وَاللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ط فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٢٣﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ط إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ط قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ط بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا

[لَنُبَوِّئَنَّهُمْ] لننزلنهم من الجنة علالى - وقرئى لَنُبَوِّئَنَّهُمْ من الثواء وهو النزول للاقامة يقال ثوى فى المنزل واثوى هو واثوى غيره و ثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبت و الوجه فى تعديته الى ضمير المؤمنين و الى العرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونُبَوِّئَنَّهُمْ او حذف الجار و اىصال الفعل او تشبيهه الظرف الموقت بالمبهم - وقرأ يحيى بن وثاب فَنَعَمْ بزيادة الفاء [الَّذِينَ صَبَرُوا] على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصايب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا فى جميع ذلك الا على الله * لما امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اسلم بمكة بالهجرة خانوا الفقرو الضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف اقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت - والدابة كل نفس دبّت على وجه الارض عقلت او لم تعقل [لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا] لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله [اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ] اى لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يُقدِّركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل - وعن الحسن لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا لاتدخره انما تصبح فيرزقها الله - وعن ابن عبيدة ليس شيء يخبأ الا الانسان والنملة والفأرة - وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر فى حضنة و يقال للعقّوق مخابى الا انه ينساها [وَهُوَ السَّمِيعُ] لقولكم نخشى الفقر والضيعة [الْعَلِيمُ] بما فى ضمائرهم * الضمير فى [سَأَلْتَهُمْ] لاهل مكة [فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ] فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض - قدّر الرزق وقدره بمعنى اذا ضيقة - فان قلت الذى رجع اليه الضمير فى قوله وَ يَقْدِرُ لَهُ هو مَنْ يَشَاءُ فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد - قلت يحتمل الوجهين جميعا - ان يريد و يقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع مَنْ يَشَاءُ لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله - وان يريد تعاقب الامر بين على واحد على حسب المصلحة [إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم - استحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على انه ممن اقرب بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك فى توحيد الله ونفى الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ] ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد - اولا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفتنون لم

وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ط وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۝ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ
 الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُرُّوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَعْبَادُونِي الَّذِينَ أَمَرُوا أَنْ أَرْضِيَ
 وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ قف ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

مودة العنكبوت ٢٩

الجزء ٢١

ع ١

قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فزلت * كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكديبا
 والنضربين الحارث هو الذي قال اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا
 كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ [وَلَوْ لَا أَجَلٌ] قد سماه الله وبيّنه في اللوح لعذابهم و اوجبت الحكمة تاخيرها الى ذلك
 الاجل المسمى [لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ] عاجلاً والمراد بالاجل الآخرة لما روي ان الله تعالى وعد رسول الله
 ان لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة - وقيل يوم بدر - وقيل وقت نفائهم
 بأجالتهم [لَمُحِيطَةٌ] اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب - او هي محيطية بهم في الدنيا لان المعاصي اللتي
 توجبها محيطية بهم - اولانها مألهم ومرجعهم لا محالة فكانها الساعة محيطية بهم و [يَوْمَ يَغْشَاهُمْ] على هذا منصوب
 بمضمرا اي يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ كان كَيْتَ وَكَيْتَ و [مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ] كقوله لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
 ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلُلٌ [وَيَقُولُ] قريحى بالفون والياء [مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] اي جزاءه * معننى الآية ان
 المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يحب فليهاجر عنه الى بلد
 يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح ديناً واكثر عبادة واحسن خشوعا و لعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك
 التفاوت الكثير ولقد جربنا و جرب اولونا فلم نجد فيما دُرنا و دارنا اعون على قهر النفس وعصيان
 الشهوة واجمع للقلب المتلفت واضم اللهم المنتشر و احث على القناعة و اطرده للشيطان و ابعد من كثير
 من الفتن و اضبط الامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله و جوار بيت الله فله الحمد على ما سهل
 من ذلك و قرب و رزق من الصبر و اوزع من الشكر - وعن النبي صلى الله عليه و آله و سلم من فر
 بدينه من ارض الى ارض و ان كان شبرا من الارض استوجب الجنة و كان رفيق ابراهيم و محمد - وقيل هي في
 المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها و انما كان ذلك لان امر دينهم
 ما كان يستتب لهم بين ظهرائي الكفرة [فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ] في المتكلم نحو اياه ضربته في الغائب واياك
 عصت في المخاطب و التقدير فايي فاعبدوا فاعبدون - فان قلت ما معننى الغاء في فاعبدون و تقديم المفعول -
 قلت الغاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض
 فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط و عوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معننى الاختصاص
 والاخلاص * لما امر عباده بالحرص على العبادة و صدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها ارفق البلاد و ان
 شغعت اتبعه قوله [كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ] اي واجدة مرارته و كربه كما يجد الذائق طعم المذوق و معذاه انكم
 ميتون فواصلون الى الجزاء و من كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها و الاستعداد بجهده

وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ۖ وَأِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۚ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ وَیَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۖ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ ۖ

لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى على ان المنزليين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذا هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أمي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمي - فان قلت ما فائدة قوله بيمينك - قلت ذكر اليمين وهي الجارحة اللتي يزول بها الخط زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتباً الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رأيت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد اثباتاً انه تولى كتبه فكذلك النفي [بل] [القران] [آيت بيمينت في صدور] العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القران كون آياته بيّنات الاعجاز و كونه محفوظاً في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهراً بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تُقرأ الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم [وَمَا يَجْحَدُ] بآيات الله الواضحة الا المتوغلون في الظلم المكابرون * قرئ آية وآيت ارادوا هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك [إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ] ينزل آيتها شاء ولو شاء ان ينزل ما تقتضونه لفعل [وَأِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ] كلفت الانذار وابانته بما أعطيت من الآيات وليس لي ان اتخير على الله آياته فاقول أنزل علي آية كذا دون آية كذا مع علمي ان الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك - ثم قال [أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ] آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبيين للحق غير متعنتين هذا القران الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لاتزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان - [إِنَّ فِي] مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان الى آخر الدهر [لَرَحْمَةٍ] لنعمة عظيمة لا تشكر وتذكر [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] - وقيل أولم يكفهم يعني اليهود اننا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك - وقيل ان ناساً من المسلمين اتوا رسول الله بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما ان نظر اليها القاها و قال كفى بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا * [كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا] اني قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم و اذرتكم وانكم قابلتموني بالجد والتكذيب [يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم [وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ] منكم وهو ما تعبدون من دون الله [وَكَفَرُوا بِاللَّهِ] وآياته [أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] المغبونون في صفتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وَاِنَّا اَوْ اِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هٰذَا اَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وكقول حسان * ع * فشركما لخيدركما الفداء * وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه

سورة العنكبوت ٢٩

الحزب ٢١

ع ١٦

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَيْنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۖ فَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ۝ وَمَا كُنْتُمْ تَقْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كُتُبٍ وَلَا تَخْطُهُ بِإِيمَانِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ۝ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۖ

من اللطف الذي في الصلوة - وعن ابن عباس وَاذْكُرِ اللَّهُ أَيَّامَ بَرَحْمَتِهِ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِكُمْ أَيَّامَ بَطَاعَتِهِ [وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ] من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب [بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] بالخصلة التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالانادة كما قال ادْنِعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا] فافترطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصيح ولم يذفع فيهم الرنق فاستعملوا معهم الغلظة - وقيل إِلَّا الَّذِينَ أَذْرَأَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وقيل إِلَّا الَّذِينَ اثْبَتُوا الْوَلَدَ وَالشَّرِيكَ وَقَالُوا يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ - وقيل معناه وَلَا تُجَادِلُوا الدَّخِيلِينَ فِي الذِّمَّةِ الْمُؤَدَّيْنَ لِلْحِزْبَةِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا فَنَبَذُوا الذِّمَّةَ وَمَنَعُوا الْحِزْبَ فَإِنَّ أُولَئِكَ مَجَادَلْتَهُمْ بِالسَّيْفِ - وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا مَجَادَلَةُ أَشَدَّ مِنَ السَّيْفِ وَقَوْلُهُ [قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا] من جنس المجادلة بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ - وعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا حَدَّثَكُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكُتِبَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ وَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُمْ * ومثل ذلك الانزال [أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ] أي انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ - وقيل وكما أنزلنا الكتاب إلى من كان قبلك أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ [فَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ] هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه [وَمِنْ هَؤُلَاءِ] من أهل مكة - وقيل أراد بالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ الذين تقدموا عهد رسول الله من أهل الكتاب ومن هَؤُلَاءِ ممن في عهده منهم [وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا] مع ظهورها وزوال الشبهة عنها إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه - وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه * وانت أمي ما عرفك احد قط بتلاوة كذاب ولا خط [إِذَا] لو كان شيء من ذلك أي من الذلّة والخط [لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ] من أهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به - أو لَارْتَابَ مشركوا مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده - فإن قلت لم سمّاهم مبطلين ولولم يكن أميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محققين ولكن أهل مكة أيضا على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فانه رجل قارئ كاتب - قلت سمّاهم مبطلين لانهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال هَؤُلَاءِ المبطلون في كفرهم به لولم يكن أميا لارتابوا أشدّ الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتبابهم - و شيء آخر وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا أميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فما

يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ط وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ © وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ع وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ © خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ط إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ © أُتِلَ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ط إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ط وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ط وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ©

القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة و تدبير • كان الجبهة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت و يضحكون من ذلك فلذلك قال [وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ] اي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستدراك حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها لفهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه [بِالْحَقِّ] اي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان تكونا مساكين عبادة و عبدة للمعتبرين منهم و دلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين ونحو قوله تعالى وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا * [الصَّلَاةَ] تكون لطفاً في ترك المعاصي فكأنها ناهية عنها - فان قلت كم من مصلٍ يرتكب ولا تنهاه صلواته - قلت الصلوة التي هي الصلوة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل فيها مقدماً للثوبة النصوح متقياً لقوله تعالى إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ و يصليها خاشعاً بالقلب والجوارح - فقد روي عن حاتم كان رجلي على الصراط والجنة من يميني والزارع عن يساري و ملك الموت من فوقي وأصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد ان يصليها فلا يحيطها فهي الصلوة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر - وعن ابن عباس من لم تأمره صلواته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزد به صلواته من الله الا بعداً - وعن الحسن من لم تنهه صلواته عن الفحشاء والمنكر فليست صلواته بصلوة وهي وبال عليه - وقيل من كان مراعياً للصلوة جرة ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوماً - فقد روي انه قيل لرسول الله ان فلاناً يصلي بالفهار ويسرق بالليل فقال ان صلواته لتردعه - و روي ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش الا ركبته فوصف له فقال ان صلواته ستنهاه فام يلبث ان تاب وعلى كل حال فان المراعي للصلوة لابد ان يكون ابعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها و ايضاً فكم من مصلين تنهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكير و انما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم [وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ] يريد و للصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وسماتها بذكر الله كما قال فامعوا الى ذكر الله و انما قال وَلَذِكْرُ اللَّهِ لِيَسْتَفْتَلِ بالتعليل كانه قال و للصلوة اكبر لانها ذكر الله - او وَلَذِكْرُ اللَّهِ عند الفحشاء والمنكر و ذكر نهيه عنهما و وعيده عليهما اكبر فكان الاولى بان ينهى

وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۖ فَكَذَّبُوا فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جُثَمِينَ ۝ وَعَادَا وَثَمُودَا وَقَدْ
تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ ۖ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝ وَقَارُونَ
وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ قَفَّ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ۝ فَكَلَّا أَخَذْنَا
بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ۖ وَمِنْهُمْ
مَنْ أَغْرَقْنَا ۖ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ
كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ ۖ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتُ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا

ترجون به العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب - أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما
يوهم الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط - وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف - والرجفة الزلزلة الشديدة -
وعن الضحاك صيحة جبرئيل لان القلوب رجفت لها [فِي دَارِهِمْ] في بلدهم وارضهم - او في ديارهم
فاكتفي بالواحد لانه لا يلبس [جُثَمِينَ] باركين على الركب ميتين [وَعَادَا] منصوب باضمار اهلكنا
لان قوله فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ يدل عليه لانه في معنى الاهلاك [وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ] ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم
[مِنْ] جهة [مَسْكِنِهِمْ] اذا نظرت اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في أسفارهم فيبصرونها
وكانوا مستبصرين فقلنا متمكنين من النظر والافتكار وكنهم لم يفعلوا - او كانوا متبينين ان العذاب نازل بهم
لان الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل وكنهم لجوا حتى هلكوا [سَابِقِينَ] فائتين أدرتهم امر الله فلم
يفوتوه - الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء - وقيل ملك كان يرميهم - والصيحة لمدين
و ثمود - والخسف لقارون - والغرق لقوم نوح وفرعون - الغرض تشبيهه ما اتخذوه مثكلا ومعتمدا في دينهم
وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى
مقطع التشبيه وهو قوله وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتُ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ - فان قلت ما معنى قوله لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
وكل احد يعلم وهن بيت العنكبوت - قلت معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية
من الوهن - ووجه آخر وهو انه اذا صح تشبيهه ما اعتمده في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهر
البيوت بيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهر الاديان لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ - او اخرج الكلام بعد تصحيح
التشبيه مخرج المجاز فكأنه قال وان اوهر ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاله لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ - ولقائل
ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقدياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا
بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهر البيوت اذا استقرتها بيتا
بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقرتها ديننا ديننا عبادة الاله لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ - قرئ
يَدْعُونَ بالتاء والياء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا [وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]
فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة

بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ اِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ۝ وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ اِلَّا اَنْ قَالُوا اِنَّنَا بِعَذَابِ اللَّهِ اِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَ لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا اِبْرٰهِيْمَ بِالْبَشْرٰى قَالُوا اِنَّا مُهْلِكُوْا اَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ۝ اِنْ اَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِيْنَ ۝ قَالَ اِنْ فِيْهَا لُوطٌ ۝ قَالُوا نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَنْ فِيْهَا ۝ لَنَنْجِيَنَّهٗ وَاَهْلَهُ اِلَّا امْرَاَتَهُ ۝ كَانَتْ مِنَ الْغٰثِرِيْنَ ۝ وَ لَمَّا اَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيِّئًا بِهِمْ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ۝ قَالُوا لَا تَخَفْ ۝ وَ لَا تَحْزَنْ ۝ اِنَّا مُنْجُوْكَ وَاَهْلَكَ اِلَّا امْرَاَتَكَ ۝ كَانَتْ مِنَ الْغٰثِرِيْنَ ۝ اِنَّا مُنْزِلُوْنَ عَلَى اَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُوْنَ ۝ وَ لَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا اٰيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُوْنَ ۝ وَ اِلٰى مَدِيْنٍ اَخَاهُمْ شَعِيْبًا فَقَالَ يَقُوْمُ اَعْبُدُوا اللَّهَ وَ اَرْجُوا الْيَوْمَ الْاٰخِرَ

مِنَ الصَّادِقِينَ [فيما تعدناه من نزل العذاب - كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي و الفواحش طوعاً و كرهاً و لانهم ابتدعوا الفاحشة و سنوها فيمن بعدهم و قال الله تعالى الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَيْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ] فاراد لوط عليه السلام ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه * [بِالْبَشْرٰى] هي البشارة بالولد و النافلة و هما اسحق و يعقوب و اضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف و المعنى الاستقبال - و القرية سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم [كَانُوا ظَالِمِيْنَ] معناه ان الظلم قد استمر منهم ايجاده في الايام السالفة و هم عليه مصرون و ظلمهم كفرهم و الوان معاصيهم [اِنْ فِيْهَا لُوطٌ] ليس اخبارا لهم بكونه فيها و انما هو جدال في شأنه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو بريء من الظلم و اراد بالجدال اظهار الشفقة عليه و ما يجب للمؤمن من التحزن لآخيه و التشمر في نصرته و حياطته و الخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر - قال قتادة لا يرى المؤمن ان لا يحوط المؤمن الا ترى الى جوابهم بانهم اعلم منه [بِمَنْ فِيْهَا] يعنون نحن اعلم منك و اخبر بحال لوط و حال قومه و امتيازهم منهم الامتياز البين و انه لا يستأهل ما يستأهلون فخفض على نفسك و هو عليك الخطب - و قرئ [لَنَنْجِيَنَّهٗ] بالتشديد و التخفيف و كذلك مُنْجُوْكَ - [اَنْ] صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما على الاخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما احس بمجيئهم فاجاءته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه [وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا] و ضاق بشانهم و بتدبير امرهم ذرعة اي طاقته و قد جعلت العرب ضيق الذراع و الذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له و الاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضررب ذلك مثلا في العجز و القدرة - الرجز و الرجزس العذاب من قولهم ارتجزوا ارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق و الاضطراب * و قرئ [مُنْزِلُوْنَ] مخففاً و مشدداً [مِنْهَا] من القرية [اٰيَةً بَيِّنَةً] هي اثار منازلهم الخربة - و قيل بقية الحجارة - و قيل الماء الاسود على وجه الارض - و قيل الخبر عما صنع بهم [لِقَوْمٍ] متعلق بتركنا او ببينة [وَ اَرْجُوا] و افعلوا ما

يَوْمَئِذٍ ۖ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ۚ فَمَن تَصِيرُونَ ۝ فَمَنْ لَهُ لُوطٌ ۖ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ

مودة العنكبوت ٢٩

الجزء ٢٠

ع ١

خبر مبتدأ محذوف والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اي مودودة او سبب مودة - وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ فَفَتَحَ وهو فاعل - وقرأ ابن مسعود اوثانا انما مودة بينكم في الحياة الدنيا اي انما تتوادون عليها او تودونها في الحياة الدنيا ثم [يَوْمَ الْقِيَمَةِ] يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدان ويتلاعن العبدان والاصنام كقوله تعالى وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا - كان لوط ابن اخى ابراهيم وهو اول من امن له حين رأى النار لم تحرقه - [وَقَالَ] يعنى ابراهيم [إِنِّي مُهَاجِرٌ] من كوثى وهي من سوان الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثمة قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامراته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة [إِلَىٰ رَبِّي] الى حيث امرني بالهجرة اليه [إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] الذي يمنعني من اعدائي [الْحَكِيمُ] الذي لا يأمرني الا بما هو مصلحتي * [أَجْرُهُ] الثناء الحسن والصلوة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه - فان قلت ما بال اسمعيل لم يذكر وذكر اسحق وعقبة - قلت قد دل عليه في قوله وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وكفى الدليل لشهرة امرة وعلو قدره - فان قلت ما المراد بالكتاب - قلت قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التوراة والزبور والانجيل والقران [وَلُوطًا] معطوف على ابراهيم او على ما عطف عليه - و[الْفَاحِشَةُ] الفعلة البالغة في القبح و[مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ] جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعل فأن قائلًا قال لم كانت فاحشة فقيل له لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزًا منها في طباعهم لانراط قبحها حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقدر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط - وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني - قال ابو عبيد وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون * وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل النفس واخذ الاموال - وقيل اعتراضهم السابطة بالفاحشة - وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث - والمنكر عن ابن عباس هو الخذف بالخصى والرمي بالبندق والفرقة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الأزرار والسباب والفحش في المزاح - وعن عائشة رضي الله عنها كانوا يتحابون - وقيل السخرية بمن مرتبهم - وقيل المجاهرة في ناديم بذلك العمل وكل معصية فاعلمها اقبل من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له - ولا يقال للمجاس ناد الا مادام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا [إِنْ كُنْتُمْ

قَدِيرٌ ۝ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۝ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۚ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَكُفِّرُ عَنْهُمْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

كانت تصطلت الركب فلما قرروهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة فكأنه قال ثم ذاك الذي انشا النشأة الاولى فهو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتبديع على هذا المعنى ابرز اسمه و اوقعه مبتدأ [يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ] تعذيبه [وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ] رحمته ومتعلق المشيئين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والنائب [تُقْلَبُونَ] تُرَدُّونَ وَتُرْجَعُونَ * [وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ] رَبِّكُمْ اِي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه [فِي الْأَرْضِ] الغسيخة [وَلَا فِي السَّمَاءِ] اللتي هي افسح منها و ايسر لو كنتم فيها كقوله تعالى اِنْ اَسْتَطَعْتُمْ اَنْ تَنْفُذُوا مِنْ اَقْطَارِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ فَانْفُذُوا - وقيل ولا من في السماء كما قال حسان * شعر * امن يهجر رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء * ويحتمل ان يراد - لا تعجزونه كيف ما هبطتم في مهاوى الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله رَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشٰدِدَةٍ - اولا تعجزون امره الجاري في السماء والارض ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء [بِآيَاتِ اللَّهِ] بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث [يَكُفِّرُ عَنْهُمْ رَحْمَتِي] وعيد ابي يئاسون يوم القيمة كقوله وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ - او هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خاشعا فاما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف - او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة - وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اُولَٰئِكَ يَكُفِّرُ عَنْهُمْ رَحْمَتِي وَقَالَ اِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّ مِنْ رُوحِ اللَّهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ فيذبغي للمؤمن ان لا يئاس من روح الله ولا من رحمته وان لا يئاس عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا * قرئ [جَوَابَ قَوْمِهِ] بالنصب والرفع [قَالُوا] قال بعضهم لبعض - او قاله واحد منهم وكان الباقيون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين - وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم القيامة ابراهيم في النار ذلك لذهاب حرها * قرئ على النصب بغير اضافة وبإضافة - وعلى الرفع كذلك - فالنصب على وجهين على التعليل ابي لتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها و ايتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم - وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اَتَّخِذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ابي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف - او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودونة بينكم كقوله تعالى وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ اَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ - و في الرفع وجهان - ان يكون خبرا لان على ان ما موصولة - وان يكون

كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

سورة العنكبوت ٢٩

الجزء ٢٠

ع ١٣

حيث كذبوا و على الرسول ان يبلغ و ما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة - ان تكون من جملة قول ابراهيم لقومه - وان تكون آيات وقعت معترضة في شان رسول الله و شان قريش بين اول قصة ابراهيم و آخرها - فان قلت اذا كانت من قول ابراهيم فما المراد بالامم قبله - قلت قوم شيث و ادريس و نوح و غيرهم و كفى بقوم نوح امة في معنى اسم جمعة مكذبة - ولقد عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع الى السماء وامن به الف انسان منهم على عدد سنيه و اعقابهم على التكذيب - فان قلت فما تصنع بقوله قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ - قلت هي حكاية كلام الله حكاية ابراهيم لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه و آله و سلم كلام الله على هذا المنهاج في اكثر القرآن - فان قلت فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابراهيم و الجملة او الجمل الاعتراضية لآيها من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول مكة و زيد ابوه قائم خير بلاد الله - قلت ايراد قصة ابراهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ان تكون مسلاة له و متفرجا بان اياه ابراهيم خليل الله كان مَمْنُوًّا بلحوما مَنِي به من شرك قومه و عبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وَاِنْ تُكَذِّبُوا عَلَىٰ مَعْنَىٰ انكم يا معشر قريش ان تكذبوا سحما فقد كذب ابراهيم قومه و كل امة نبيها لان قوله فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ لابد من تذاوله لامة ابراهيم و هو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواطية عقبها من اذياتها و توابعها لكونها ناطقة بالتوحيد و دلائله و هدم الشرك و توهين قواعده و صفة قدرة الله و سلطانه و وضوح حجته و برهانه - قري [يَرَوُا] بالياء - و التاء و [يُبْدِئُ] و يُبْدَأُ - و قوله [ثُمَّ يُعِيدُهُ] ليس بمعطوف على يُبْدِئُ و ليست الرؤية واقعة عليه و انما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ عَلَى الْبَدَأِ دُونَ الْإِنشَاءِ و نحوه قولك ما زلت أوتّر فلانا و استخلفه على من أخلفه - فان قلت هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو - قلت هو جملة قوله أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ و كذلك و استخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت أوتّر فلانا - [ذَلِكَ] يرجع الى ما يرجع اليه هو في قوله رَّهْوَ أَهْوَ عَلَيْهِ مِنْ مَعْنَى يُعِيد - دل بقوله النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ على انها نشأتان و ان كل واحدة منهما انشاء ابي ابتداء و اختراع و اخراج من العدم الى الوجود لا تفارقت بينهما الا ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله و الاولى ليست كذلك - و قري النَّشْأَةَ وَ النَّشْأَةَ كَالرَّافَةِ وَ الرَّافَةِ - فان قلت ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدأ في قوله ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ بعد اضمارة في قوله كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ و كان القياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة - قلت الكلام معهم كان واقعا في الاعادة و فيها

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ۝ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ أَفْكًَا ۖ إِنَّ الَّذِينَ يُعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ

العدد على اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك و كأنه قيل تسعمائة و خمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر و اعذب لفظا و املا بالفائدة وفيه نكتة اخرى و هي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من امته و ما كابده من طول المصابرة تسليّة لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و تثبيتها له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس اكبر منه وقع و الوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره - فان قلت فلم جاء المميز اولا بالسنة و ثانيا بالعام - قلت لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتجيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك و [الطوفان] ما اطاف و احاط بكثرة و غلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما قال العجاج * ع * و غم طوفان الظلام الانابا * [اصحاب السفينة] كانوا ثمانية و سبعين نفسا نصفهم ذكور و نصفهم اناث منهم اولاد نوح سام و حام و يافث و نساؤهم - و عن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال و خمس نسوة - و قد روي عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم كانوا ثمانية نوح و اهله و بنوه الثلاثة و الضمير في [وجعلناها] للسفينة او للحادثة و القصة * نصب [ابراهيم] باضمار اذكروا و بدل عنه [اذ] بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها - او هو معطوف على نوحا و اذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن و العلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه و ينصحهم و يعرض عليهم الحق و يأمرهم بالعبادة و التقوى - و قرأ ابراهيم النخعي و ابو حنيفة و ابراهيم بالرفع على معنى و من المرسلين ابراهيم [ان كنتم تعلمون] يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم - او ان نظرتهم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم انه خير لكم * و قرئ تخلقون من خلق بمعنى التكاثر في خلق - و تخلقون من تخلق بمعنى تكذب و تخرص - و قرئ افكا و فيه وجهان - ان يكون مصدرا نحو كذب و لعب و الافك مخفف منه كالكذب و اللعب من اصلهما - و ان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا اي ذا افك و باطل - و اختلاقم الافك تسميتهم الاوثان الهة و شركاء لله او شفعاء اليه - او سمي الاصنام افكا و عملهم لها و نحتهم خلقا للافك - فان قلت لم نكر الرزق ثم عرفه - قلت لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوك شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره اليه ترجعون - و قرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته و الشكر له على انعمه * [وان تكذبوا] نفي فلا تضرونني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم امهم و ما ضرهم و انما ضرروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل و اما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك و هو اقترانه بايات الله و معجزاته - او ان كنت مكذبا في ما بينكم قلبي في سائر الانبياء اموة و سلوة

النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنًا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسَ كَعَذَابِ اللَّهِ ط وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ط أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ @ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ @ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ ط وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ط إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ @ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ذ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ع وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ط فَآخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ @

سورة العنكبوت ٢٩

الجزء ٢٠

ع ١٣

و اذا نصر الله المؤمنين و غنمهم اعترضوهم و قالوا [انا كذا معكم] اي مشائعين لكم في دينكم ثابتين عليه ثباتكم ما قدر احد ان يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم - ثم اخبر سبحانه انه اعلم [بما في صدور العلمين] من العلمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق و هذا اطلاق منه للمؤمنين على ما ابطلوه ثم وعد المؤمنين و اوعد المنافقين - و قرئ لَيَقُولُنَّ بفتح اللام * امروهم باتباع سبيلهم و هي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم و امروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر و ارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا و ان نحمل خطاياكم و المعنى تعليق الحمل بالاتباع و هذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن و لا انتم فان عسى كان ذلك فاذنا فتحمل عنكم الائم و ترى في المتسمين بالاسلام من يستن بالذلك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا و ائمه في عنقي و كم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعف العامة و جهلهم - و منه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الكشو حوائج فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال و ما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد اياك و هؤلاء فانهم قطاع الطريق في المأمن - فان قلت كيف سماهم كاذبين و انما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به و ضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن و لا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب و هو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه - قلت شبه الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه - و يجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك و قلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء و في قلوبهم نية الخلف [و لَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ] اي اثقال انفسهم [وَاَثْقَالًا] يعني اثقالا اخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها و هي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم [وَ لَيَسْئَلَنَّ] سوال تقريع [عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ] اي يختلقون من الكاذب و الاباطيل - و قرئ من خطياتهم * كان عمر نوح عليه السلام الفا و خمسين سنة بعث على رأس اربعين و لبث في قومه تسعمائة و خمسين و عاش بعد الطوفان مئتين - و عن وهب انه عاش الفا و اربعمائة سنة - فان قلت هلا قيل تسعمائة و خمسين سنة - قلت ما اورد الله احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا

سورة العنكبوت ٢٩ اَلَيْ مَرْجِعُكُمْ فَاَنْبِتْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اَدْخَلْنَاهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝ وَمِنْ

الجزء ٢٠

ع ١٢

اضمار القول معناه وقلنا ان جاهدك ايها الانسان [مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ] اي لا علم لك بالهيتة والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا ارادة على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال اَلَيْ مَرْجِعُ مَنْ اٰمَنَ مِنْكُمْ وَمَنْ اَشْرَكَ فَاُجَازِيكُمْ حَقَّ جَزَائِكُمْ وفيه شيئان - احدهما ان الجزاء اَلَيْ فلا تحدث نفسك بجفوة والدريك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي - والثاني التحذير من متابعتهم على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد - روي ان سعد بن ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حممة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك قد صبات فوالله لا يظلني سقف بيت من الضحى والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الاحقاف فامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يداريها ويترضاها بالاحسان - وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر رضي الله عنه مترافقين حتى نزل المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحارث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخربة امرأة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقال له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وقلنا منه في الذرة والغارب فاستشار عمر فقال هما يخذعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فمازالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما ان عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطى لنفسه وله فاخذه وشده وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت [فِي الصَّالِحِينَ] في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وَاَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وقال في ابراهيم عليه السلام وَاِنَّهُ فِي الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ - او في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ اُنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اَلَا يَتَذَكَّرُونَ هم ناس كانوا يؤمنون بالاسنتهم فاذا مستهم اذنى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب الله صارفا

سورة العنكبوت ٢٩

الجزء ٢٠

ع ١٤

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ ط وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ © وَ مَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ط
 إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ © وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي
 كَانُوا يَعْمَلُونَ © وَصَيِّدًا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ط وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ط

او بدس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم [لِقَاءَ اللَّهِ] مثل للوصول الى العاقبة من
 تلقي ملك الموت و البعث والحساب و الجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل
 و قد اطلع مولاه على ما كان يأتي و يذر فاما ان يلقاه بعشر و ترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما
 سخطه منها فمعنى قوله مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ مَنْ كَانَ يَأْمَلُ تِلْكَ الْحَالِ وَ ان يلقى فيها الكرامة من الله
 و البشري [فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ] وَ هو الموت [لَاتِ] لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه و يحقق
 املة و يكتسب به القربة عند الله و الزلفى [وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله
 عباده و مما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى و الخشية - و قيل يَرْجُوا يَخَافُ مِنْ قَوْلِ الْهَذَا فِي صِفَةِ عَسَالٍ * ع *
 اِذَا لَسَعَتْهُ الدَّبَرُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا - فَإِنْ قُلْتَ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ كَيْفَ رَفَعَ جَوَابًا لِلشَّرْطِ - قُلْتَ اِذَا عَلِمَ اِنْ
 لِقَاءَ اللَّهِ عَزِيزٌ بِهِ تِلْكَ الْحَالِ الْمُمْتَلَةِ وَ الْوَقْتُ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ تِلْكَ الْحَالِ هُوَ الْاَجَلُ الْمَضْرُوبُ لِلْمَوْتِ فَكَانَ
 قَالَ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ لَقِيَ اللَّهَ لَاتِ اِنَّ الْاَجَلَ وَاقِعٌ فِيهِ الْاَلِقَاءُ كَمَا تَقُولُ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ الْمَلِكِ فَإِنْ
 يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَرِيبٌ اِذَا عَلِمَ اَنَّهُ يَقَعُ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ * [وَ مَنْ جَاهَدَ] نَفْسَهُ فِي مَنَعِهَا مَا تَأْمُرُ بِهِ وَحُمَلَهَا
 عَلَى مَا تَأْتِيهَا [فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ] لَهَا اِنَّ مَنَفْعَةَ ذَلِكَ رَاجِعَةٌ إِلَيْهَا وَ اِنَّمَا أَمْرُ اللَّهِ وَ نَهْيُ رَحْمَةِ لِعِبَادِهِ وَ هُوَ الْغَنِيُّ
 عَنْهُمْ وَ عَنْ طَاعَتِهِمْ * اِمَّا اِنْ يَرِيدُ قَوْمًا مُسْلِمِينَ صَالِحِينَ قَدْ اسَاءُوا فِي بَعْضِ أَعْمَالِهِمْ وَ سَيِّئَاتِهِمْ مَغْمُورَةٌ
 بِحَسَنَاتِهِمْ فَهُوَ يَكْفُرُهَا عَنْهُمْ اِي يَسْقُطُ عِقَابُهَا بِثَوَابِ الْحَسَنَاتِ وَ يَجْزِيَهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ اِي أَحْسَنَ
 جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ - وَ اِمَّا قَوْمًا مُشْرِكِينَ أَمَّنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَكْفُرُ سَيِّئَاتِهِمْ بَا نَ يَسْقُطُ عِقَابُ مَا تَقْدِمُ
 لَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَ يَجْزِيَهُمْ أَحْسَنَ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ * وَصَّى حَكْمُهُ حَكْمُ أَمْرِ فِي مَعْنَاهُ وَ تَصْرِفُهُ
 يَقَالُ وَصَّيْتُ زَيْدًا بَا نَ يَفْعَلُ خَيْرًا كَمَا تَقُولُ أَمَرْتُهُ بَا نَ يَفْعَلُ وَمِنْهُ بَيْتُ الْإِسْلَامِ * شَعْرٌ * وَذُبْيَانِيَّةٌ وَصَّتْ بَنِيهَا * بَا نَ
 كَذَبَ الْقِرَاطِفَ وَالْقُرُوفَ * كَمَا لَوْ قَالَ أَمَرْتُهُمْ بَا نَ يَنْتَهَبُوهَا وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيَهُ اِي وَصَّاهُمْ
 بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَ أَمَرَهُمْ بِهَا وَ قَوْلُكَ وَصَّيْتُ زَيْدًا بِعَمْرٍو مَعْنَاهُ وَصَّيْتُهُ بِتَعَهُدِ عَمْرٍو وَ مَرَاعَاتِهِ وَ نَحْوُ ذَلِكَ وَ كَذَلِكَ
 مَعْنَى قَوْلِهِ [وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا] وَصَّيْنَاهُ بِإِقْدَارِ وَالِدَيْهِ حُسْنًا أَوْ بِإِيْلَاءِ وَالِدَيْهِ حُسْنًا اِي فَعَلًا اِذَا حَسَنَ
 أَوْ مَا هُوَ فِي ذَاتِهِ حَسَنٌ لِفَرْطِ حَسَنِهِ كَقَوْلِهِ وَ قَوْلُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا - وَ قَرِئَ حَسَنًا - وَاحْسَانًا - وَ يَجُوزُ اَنْ تَجْعَلَ حُسْنًا
 مِنْ بَابِ قَوْلِكَ زَيْدًا بِأَضْمَارِ أَضْرَبَ اِذَا رَأَيْتَهُ مُتَهَيِّئًا لِلضَّرْبِ فَتَنْصِبُهُ بِأَضْمَارِ أُولَئِكَ أَوْ أَفْعَلُ بِهِمَا لَ اِنَّ التَّوْصِيَةَ
 بِهِمَا دَالَّةٌ عَلَيْهِ وَ مَا بَعْدَهُ مُطَابِقٌ لَهُ كَأَنَّهُ قَالَ قُلْنَا أُولَئِكَ مَعْرُوفًا وَ [لَا تُطِعْهُمَا] فِي الشَّرِّ اِذَا حَمَلَكَ عَلَيْهِ -
 وَ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ اِنْ وَقَفَ عَلَى بِوَالِدَيْهِ وَ ابْتَدَأَ حُسْنًا حَسَنَ الْوَقْفِ - وَ عَلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ لَا بَدَأَ مِنْ

اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ﴿٥﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦﴾

على آذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين اجروا كلمة الشهادة على أنفسهم و اظهروا القول بالايمن انهم يتركون بذلك غير متمكنين بل يمكنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم و ثبات اقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لَتَبْلُوُنَّ فِيْ اَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ اَشْرَكُوا اَذَى كَثِيْرًا وَاِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوا فَاِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ اُمُوْرٍ - و روي انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد جزعوا من اذى المشركين - وقيل في عمار بن ياسر و كان يعذب في الله - وقيل في ناس اسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فممنهم من قتل ومنهم من نجا - وقيل في مجمع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سيد الشهداء مجمع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامراته [وَلَقَدْ فَتَنَّا] موصول بأحسب او بلا يَفْتَنُوْنَ كقولك اَلَا يُمْتَحَنُ فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني ان اتباع الانبياء قبلهم قد اصابهم من الفتن والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما قال وَكَآيِنٌ مِّنْ نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّوْنَ كَثِيْرٌ فَمَا وَهَنُوا اِلَّا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّم قَدْ كَانَ مِّنْ قَبْلِكُمْ يُوْخَذُ فَيُوْضَعُ الْمِنْشَارُ عَلٰى رَاسِهٖ فَيُفَرَّقُ فَرَقَتَيْنِ مَا يَصْرَفُهٗ ذٰلِكَ عَنْ دِيْنِهٖ وَيَمْشِيْ بِاَمْشٰطِ الْحَدِيْدِ مَا دُونَ عَظْمِهٖ مِنْ لَّحْمٍ وَعَصَبٍ مَا يَصْرَفُهٗ ذٰلِكَ عَنْ دِيْنِهٖ [فَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ] بالامتحان [الَّذِينَ صَدَقُوا] في الايمان [وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِيْنَ] فيه - فان قلت كيف و هو عالم بذلك في ما لم يزل - قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليتميز الصادق منهم من الكاذب - ويجوز ان يكون وعدا وعيدا كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين - وقرأ علي رضي الله عنه و الزهري وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الله الناس من هم او ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها [اَنْ يَّسْبِقُوْنَا] ان يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطعموا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة و اصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وَمَا اَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ فِي الْاَرْضِ - وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا اَنْهُمْ لَا يُعْجِزُوْنَ - فان قلت اين مفعولا حسب - قلت اشتمل صلة اَنْ على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله اَمْ حَسِبْتُمْ اَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ - ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر و اَمْ منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطال من الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه لا يمكن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه [سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ] بنس الذي يحكمونه حكمهم هذا

سورة العنكبوت ٢٩

الجزء ٢٠

ع ١٢

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝

حروفها
٤٤١٠

سورة العنكبوت مكية و هي تسع وستون آية و سبعة ركوعاً

كلماتها
٩٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

الْأَسْمَاءُ ۖ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۖ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ

قلت هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل و ما أُلقي عليك الكتاب الا رحمة من ربك - ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك أُلقي اليك - و قرئ يُصِدُّكَ من اصدّة بمعنى صدّه و هي في لغة كلب و قال * شعر * أناس اصدوا الناس بالسيف عنهم * صدود السواقى عن انوف الحوائم * [بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ] بعد وقت انزاله و اذ تضاف اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ و ليلئذ و يومئذ و ما اشبه ذلك و النهي عن مظاهره الكافرين و نحو ذلك من باب التهديد الذي سبق ذكره [إِلَّا وَجْهَهُ] الا آياته و الوجه يعبر به عن الذات - قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعود من صدق موسى و كذب و لم يبق ملك في السموات و الارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقاً ان كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *

سورة العنكبوت

الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل الا ترى انك لو قلت حسبت زيدا و ظننت الفرس لم يكن شيئاً حتى تقول حسبت زيدا عالماً و ظننت الفرس جواداً لان قولك زيد عالم او الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتاً عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بداً في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلاً عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك - فان قلت فاین الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية - قلت هو في قوله [أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ] و ذلك ان تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمناً فالترك اول مفعولي حسب و لقولهم آمناً هو الخبر و اما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله * ع * فتركته جزر السباع يذشذه * الا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمناً على تقدير حاصل و مستقر قبل اللام - فان قلت أَنْ يَقُولُوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح ان يقع خبر مبتدأ - قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر و ضربه للتأديب و قد كان التأديب و المخافة في قولك خرجت مخافة الشر و ضربته تأديباً تعليليين و تقول ايضاً حسبت خروجه لمخافة الشر و ظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ و خبراً - و الفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان و مجاهدة الاعداء و سائر الطاعات الشاقة و هجر الشهوات و الملاذ و بالفقر و القحط و انواع المصائب في الانفس و الاموال و بمصابرة الكفار

وَيَقْدِرُ ۚ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيَكْذِبُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۝ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۖ قُلْ رَبِّي
أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ
رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ۝ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ

كَانَهُ - ومنهم من يقف على ريبك - وقرأ الاعمش لَوْلَا مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا - وقرئ [لَخَسَفَ بِنَا] وفيه ضمير الله
وَلَا لَخَسَفَ بِنَا كقواك انقطع به - وَلَخَسَفَ بِنَا * [تِلْكَ] تعظيم لها و تفخيم لسانها يعني تلك التي
سمعت بذكرها و بلغك وصفها و لم يعلق الموعد بترك العلو و الفساد و لكن بترك ارادتهما و ميل القلوب
اليهما كما قال وَلَا تَرْكُزُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَعَلَقَ الْوَعِيدَ بِالرُّكُونِ - وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليُعْجِبَهُ
ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها - و عن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت
الاماني ههنا - و عن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض - و من الطماع من يجعل العلو لفرعون
و الفساد لقارون متعلقا بقوله ان فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ - وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ و يقول من لم يكن مثل
فرعون و قارون فله تلك الدار الآخرة و لا يتدبر قوله [وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ] كما تدبره علي و الفضيل و عمر *
معناه فلا يُجْزَوْنَ فوضع الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين
لحالهم و زيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين [إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] الا مثل ما كانوا يعملون و هذا
من فضله العظيم و كرمه الواسع ان لا يجزى السيئة الا بمثلها و يجزى الحسنة بعشر امثالها و بسبعمائة و هو
معنى قوله فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا * [فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ] اوجب عليك تلاوته و تبليغه و العمل بما فيه يعني
ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف و [لَرَأْدُكَ] بعد الموت
[إِلَىٰ مَعَادٍ] ابي معاد و الى معاد ليس لغيرك من البشر - و تذكير المعاد لذلك - و قيل المراد به
مكة و وجهه ان يراى رده اليها يوم الفتح و وجه تذكيره انها كانت في ذلك اليوم معادا له شان و مرجعاه
اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عليها و قهره لاهلها و لظهور عز الاسلام و اهله و ذل
الشرك و حزيه و السورة مكية فكان الله وعده و هو بمكة في اذى و غلبة من اهلها انه يهاجر به منها و يعيده
اليها ظاهرا ظاهرا - و قيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجرة و قد اشتاق الى مولده و مولد آبائه
و حرم ابراهيم فنزل جبرئيل فقال له أَتَشْتَقُ إِلَىٰ مَكَّةَ قَالَ نَعَمْ فَأَوْدَحَاهَا إِلَيْهِ - فَانْ قَلْتُ كَيْفَ اتَّصَلَ
قَوْلُهُ تَعَالَى [قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ] بما قبله - قُلْتُ لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ رَبِّي أَعْلَمُ
مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ يَعْنِي نَفْسَهُ و ما يستحقه من الثواب في معاده [وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ] يعنيهم و ما
يستحقونه من العقاب في معادهم - فَانْ قُلْتُ قَوْلَهُ [إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ] ما وجه الاستثناء فيه -

مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ ۝ وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 سورة القصص ٢٨
 الجزء ٢٠

ع ١٥

او الجنة او للسيرة و الطريقة وهي الايمان والعمل الصالح - [الصَّابِرُونَ] على الطاعات عن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير - كان قارون يودي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت و هو يدارية للقرابة اللتي بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف دينار على دينار و عن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل و قال ان موسى ارادكم على كل شيء و هو يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا و سيدنا فمر بما شئت قال فَبَرَطُلُ فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنوا اسرائيل فجعل لها الف دينار - وقيل طستنا من ذهب مملوءة ذهباً - وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه و من زنى و هو غير محصن جلدناه و ان احصن رجمناه فقال قارون و ان كذت انت قال و ان كذت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر و انزل التوراة ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقدفك بنفسي فخر موسى ساجدا يدي و قال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فارحني اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلازم مكانه و من كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى المركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق و قارون و اصحابه يتضرعون الى موسى و يناشدونه بالله و الرحم و موسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم و ارحى الله الى موسى ما افظلك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما و عزتي لو ايتني دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنوا اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بدارة و كنوزة فدعا الله حتى خسف بدارة و امواله [مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ] من المنتقمين من موسى - ار من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه منه فامتنع - قد يذكر الامس و لا يرد به اليوم الذي قبل يومك و لكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة [مَكَانَهُ] منزلته من الدنيا - و هي مفصولة عن كَان و هي كلمة تنبيه على الخطاء و تقدم و معناه ان القوم قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم و قولهم يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ و تذموا ثم قالوا كَانَهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا يذالون الفلاح و هو مذهب الخليل و سيديويه قال * شعر * و يكن من يكن له نَشَبٌ يُحِبُّ * و من يفتقر يعيش عيش ضَرَّ * و حكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها اين ابذك فقال وي كانه وراء البيت - و عذب الكوفيين ان و يَكْ بمعنى ويلك و ان المعنى الم تعلم انه لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ - و يجوز ان تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى و ي كقوله ويلك عند اقدم - و انه بمعنى لانه و اللام لبيان المقول لاجله هذا القول - او لانه لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ كان ذلك و هو الخسف بقارون - و من الناس من يقف على و ي و يتقدم

عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ٥ أَوَّلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَكَثَرُ جَمْعًا ٦
وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ٧ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ٨ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا بَنِي آدَمَ
مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٩ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا ١٠ وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ١١ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ١٢ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ١٣ وَمَا كَانَ

وقيل هو بصره بأنواع التجارة والذهبنة وسائر المكاسب - وقيل [عِنْدِي] معناه في ظنّي كما تقول الامر
عندي كذا كأنه قال إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتُهُ نِعْمَةً مِمَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ ثُمَّ زَادَ عِنْدِي
أي هو في ظنّي ورأيي هكذا - يجوز أن يكون اثباتا لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو اقوى
منه واغنى عنه لأنه قد قرأه في التوراة واخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كأنه قيل [أَوَّلَمْ
يَعْلَمْ] في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته - ويجوز أن يكون نفيا لعلمه بذلك لأنه
لما قال أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي فتفخخ بالعلم وتعظم به - قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى
نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم الذائع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين [وَأَكْثَرُ جَمْعًا]
للمال - او أكثر جماعة وعددا - فَنَ قُلْتُ مَا وَجَّهَ اتِّصَالُ قَوْلِهِ [وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ] بما قبله -
قُلْتُ لما ذكر قَارُونَ مَنْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ الَّذِينَ كَانُوا اقْوَى مِنْهُ وَاغْنَى قَالَ عَلَى سَبِيلِ
التَّهْدِيدِ لَهُ وَاللَّهُ مَطْلَعٌ عَلَى ذُنُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى سَوَالِهِمْ عَنْهَا وَاسْتِعْلَامِهِمْ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ
يُعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ - وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ * [فِي زِينَتِهِ]
قال الحسن في الحمرة والصفرة - وقيل خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان وعليها سرج من ذهب
ومعه أربعة آلاف على زينة - وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن
يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج - وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم
روى فيه المعصفر - كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما
هو عادة البشر - وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله ويتفقوه في سبيل الخير - وقيل كانوا قوما كفارا -
الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه - والحاسد هو الذي يتمنى ان تكون نعمة
صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ وَمِنْ الْحَسَدِ قَوْلُهُ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا
فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ - وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل يضر الغبط فقال لا الا كما
يضر العضاة الخبط - والحظ الجَدُّ وهو البخت والدولة وصفوة بانه رجل مجدد مبخوت يقال فلان ذو
حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا احاط وجدود • ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر
والزدع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابالك واصله الدعاء على الرجل بالاقراف
في الحث على الفعل - والراجع في [وَلَا يُلْقَاهَا] للكلمة اللتي تكلم بها العلماء - او للثواب لأنه في معنى المثوبة

قَوْمَ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ۚ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ
لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۖ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا
وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ

سورة القصص ٢٨

الجزء ٢٠

ع ١٥

موسى البحر و صارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم و كان القربان الى موسى
فجعل موسى الى اخيه وجد قارون في نفسه و حسدهما فقال لموسى الامر لكما و لست على شيء الى
متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى تأتي بآية فامر رؤساء بني اسرائيل ان
يجيء كل واحد بعصاه فحزمتها والقاهها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون
عصيتهم بالليل فاصبحوا و اذا بعصاه هرون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو باعجب
مما تصنع من السحر - [فَبَغَى عَلَيْهِمْ] من البغي وهو الظلم - قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل
فظلمهم - وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله ولده - وقيل زاد عليهم في الثياب
شبرا - المفاتيح جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به - وقيل هي الخزائن وقياس واحدتها مفتاح بالفتح -
ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله - والعصبة الجماعة الكثيرة والعصاة مثلها واعصوا اجتمعوا -
وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من
جلود - قال ابو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتيح والذو والعصبة
و اولى القوة - وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتيح بالخزائن ويعطيها حكم ما اضيفت
اليه للملازمة والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة - و محل ان منصوب بتنوء [لَا تَفْرَحْ] كقوله وَلَا
تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَقَوْلِ الْقَائِلِ * ع * و لست بمفراح اذ الدهر سرتني * وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من
رضي بها واطمان واما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح
وما احسن ما قال القائل * شعر * اشد الغم عذبي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا * [وَابْتَغِ فِيمَا
آتَاكَ اللَّهُ] من الغنى والثروة [الدَّارَ الْآخِرَةَ] بأن تفعل فيه افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب
اليه وتجعله زادك الى الآخرة [وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ] وهو ان تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك [وَأَحْسِنْ]
الى عباد الله [كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ] او احسن بشكر وطاعتك لله كما احسن اليك - والفساد
في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي - وقيل ان القائل موسى عليه السلام - وقرئ وابتغ * [عَلَى عِلْمٍ]
اي على استحقاق واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل
بالقورة - وقيل هو علم الكيمياء - عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فاناد يوشع
بن نون ثلثه و كالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان يأخذ
الرماض والنحاس فيجعلهما ذهبا - وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى اخذه فعلمته اخذه قارون -

إِلَهُهُ إِلَّا هُوَ ۚ لَهُ الْحُكْمُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ۚ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَضِيَاءُ ۚ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ لَيْلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۚ أَفَلَا تَبْصِرُونَ ۝ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَيَوْمَ يَذَّاتِفُهُمْ فَيَقُولُ بَيْنَ شُرَكَائِهِ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ ع ۚ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ

من مطاعنهم فيه وقواهم هلا اختير عليه غيره في النبوة * [وَهُوَ اللَّهُ] وهو المستأثر بالالهية المختص بها و[لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ] تقرير لذلك كقوله الكعبة القبلة لا قبله آلهي - فان قلت الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة - قلت هو قولهم الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ - الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ - وقيل الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ والتمجيد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والتَّقْدِيسَ - [وَلَهُ الْحُكْمُ] القضاء بين عباده * [أَرَأَيْتُمْ] - وقرئ أَرَأَيْتُمْ بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه أخبروني من يقدر على هذا - و السرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد واحد فرد والميم مزيدة ووزنه فَعْمَلٌ ونظيره دَلَامَصٌ من الدالاص - فان قلت هلا قيل بنهار تصرفون فيه كما قيل بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ - قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع اللتي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنفعة ومن ثمة قرن بالضياء [أَوْ لَا تَسْمَعُونَ] لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منفعة ووصف فوائد وقرن بالليل [أَوْ لَا تَبْصِرُونَ] لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصرة انت من السكون ونحوه * [وَمِنْ رَحْمَتِهِ] زواج بين الليل والنهار لغرض ثلاثة لِتَسْكُنُوا فِي أَحَدِهِمَا وهو الليل وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ فِي الْآخَرِ وهو النهار والارادة شكركم وقد سلمت بهذه الآية طريقة اللف - في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ائذان بان لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيدته - اللهم فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك * [وَنَزَعْنَا] واخرجنا [مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا] وهو نبيهم لان انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه [فَقُلْنَا] لامة [هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ] فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول - [فَعَلِمُوا] حينئذ [أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ] ولرسله لا لهم ولشياطينهم [وَضَلَّ عَنْهُمْ] وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع [مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ] من الكذب والباطل - [قَارُونَ] اسم اعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف - وقيل معنى كونه [مِنْ قَوْمِهِ] انه آمن به - وقيل كان اسراييليا ابن عم لموسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لادى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث - وقيل كان موسى ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقربا بني اسراييل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان الى هرون فما لي - وروي انه لما جاز بهم

سورة القصص ٢٨

الجزء ٢٠

ع ٩

تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۝ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ۝ وَ يَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَعِمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ۝ فَمِمَّا مِنْ تَابٍ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ۝ وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ ۚ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مَا يُعْلِنُونَ ۝ وَ هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

لا بقوة مناعلى استكراههم ولا سلطان [مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ] انما كانوا يعبدون اهواءهم و يطيعون شهواتهم و إخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى [لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ] لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب - او لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه - او تمذوا لو كانوا مهتدين - او تحيروا عند رؤيته و سدروا فلا يهتدون طريقا - حكي اول ما يوتخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم عند توبيخهم لانهم اذا و تخوا بعبادة الالهة اعتدوا بان الشياطين هم الذين استغواهم و زينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغائتهم الهتهم و خذلانهم لهم و عجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكثون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل و ازاحة العلل [فَعِمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ] فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهدى اليهم [فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ] لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس فى المشكلات لانهم يتساوون جميعا فى عمى الانباء عليهم و العجز عن الجواب - و قرئ فَعِمِيَتْ و المراد بالانباء الخبر عما اجاب به المرسل اليه رمولة و اذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون فى الجواب عن مثل هذا السؤال و يفوضون الامر الى علم الله و ذلك قوله تعالى يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالَوْا لَا عِلْمَ لَنَا بِإِنكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ فما ظنك بالضلال من أممهم * [فَمِمَّا مِنْ تَابٍ] من المشركين من الشرك و جمع بين الايمان والعمل الصالح [فَعَسَىٰ أَن] يفلح عند الله و عسى من الكرام تحقيق - و يجوز ان يراى ترجى النائب و طمعه كانه قال فليطمع ان يفلح - الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر و هو التخير و بمعنى المتخير كقولهم مُحَمَّدٌ خَيْرٌ لِّلَّهِ مِنْ خَلْقِهِ [مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ] بيان لقوله وَ يَخْتَارُ لان معناه و يختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف و المعنى ان الخيرة لله فى افعاله و هو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه - قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ يَعْنِي لَا يَدْعُو اللَّهَ الرُّسُلَ بِاخْتِيَارِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ - و قيل معناه وَ يَخْتَارُ الَّذِي لَهُمْ فِيهِ الْخِيَرَةُ اى يختار للعباد ما هو خير لهم و اصلح و هو اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم فى الامرين ليس فيهما خيرة لمختار - فان قلت فابن الرافع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة - قلت اصل الكلام مَا كَانَ لَهُمْ فِيهِ الْخِيَرَةُ فحذف فيه كما حذف منه فى قوله اِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ و لانه مفهوم - [سُبْحَانَ اللَّهِ] اى الله بريء من اشراكهم و ما يحملهم عليه من الجراءة على الله و اختيارهم عليه ما لا يختار [مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ] من عداوة رسول الله و حسده [وَ مَا يُعْلِنُونَ]

أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ٥ وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ٦ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ٧ أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ٨

وعن ابن عباس ان الله خلق الدنيا و جعل اهلها ثلثة اصناف المؤمنين و المنافق و الكافر - فالمؤمن يتزود - و المنافق يتزير - و الكافر يتمتع - هذه الآية تقرير و ايضاح للتي قبلها - و الوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم و الاستحقاق و ابي شيء احسن منها و لذلك سمى الله الجنة بالحسنى - و [لاقية] كقوله و لغتهم نظرة و سورورا و عكسه فسوف يلقون غيا [من المحضرين] من الذين احضروا النار و نحوه لكنت من المحضرين - فكذبوه فانهم لمحضرون - قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم و ابي جهل - و قيل في علي و حمزة و ابي جهل - و قيل في عمار بن ياسر و الوليد بن المغيرة - فان قلت فسر لي الغادين و ثم و اخبرني عن مواقعها - قلت قد ذكر في الآية اللتي قبلها متاع الحياة الدنيا و ما عند الله و تفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعده على معنى أبعد هذا التفاوت الظاهر يستوي بين ابناء الآخرة و ابناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى و بيان موقعها و اما الثانية فللتسديد لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير و اما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتع لا لتراخي وقته عن وقته - و قرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل و سكون الهاء في فهو و هو لهو احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالم متصل [شركائي] مبني على زعمهم وفيه تهكم - فان قلت زعم يطلب مفعولين كقوله * ع * و لم ازعمك عن ذلك معزلا * فاین هما - قلت محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي - و يجوز حذف المفعولين في باب ظننت و لا يصح الاقتصار على احدهما * [الذين حَقَّ عليهم القول] الشياطين او ائمة الكفر و رؤسه و معنى حَقَّ عليهم القول و جب عليهم مقتضاه و ثبت وهو قوله لا ملأ جهم من الجنة و الناس اجمعين و [هؤلاء] مبتدأ و [الذين اغوينا] صقته و الراجع الى الموصول محذوف و [اغوينهم] الخبر و الكاف صفة مصدر محذوف تقديره اغوينا هم فغوا غيا مثل ما غوينا يعنون اننا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغوين اغوينا بقسر منهم و الجاء - او دعونا الى الغي و سؤلوه لنا فهو لاء كذلك غوا باختيارهم لان اغواينا لهم لم يكن الا وسوسة و تسويلا لا قسرا و الجاء فلا فرق اذا بين غينا و غيهم و ان كان تسويلا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل و ما بعث اليهم من الرسل و انزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد و الوعيد و المواعظ و الزواجر و ناهيك بذلك صارفا عن الكفر و داعيا الى الايمان و هذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق و وعدتكم فاخلقنكم و ما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني و لوموا انفسكم و الله تعالى قدم هذا المعنى اول شيء حيث قال لا بليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغوين - [تبرأنا اليك] منهم و مما اختاروه من الكفر بانفسهم هو مني منهم للباطل و مقتا للحق

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ۚ فَتِلْكَ مَسْكَنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۝
 وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا
 وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۝ وَمَا أَوْتَيْنَا مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝

سورة القصص ٢٨

الجزء ٢٠

ع ٨

ذلك رزق من عند الله و أكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك و لا يفظنون له و لو علموا انه من عند الله لعلموا ان
 الخوف و الامن من عنده و كما خافوا التخطف اذا امنوا به و خلعوا ائذاده - فان قلت بم انتصب
 رزقاً - قلت ان جعلته مصدراً جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى إليه ثمرت كل شيء
 و يرزق ثمرات كل شيء واحد - و ان يكون مفعولاً له - و ان جعلته بمعنى مرزوق كان حالاً من الثمرات لتخصيصها
 بالاضافة كما تنتصب عن الفكرة المتخصصة بالصفة * هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في
 مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الاسن و خفض العيش فعمطوا النعمة و قابلوها بالاشر
 و البطر فدمرهم الله و خرب ديارهم و انتصبت [معيشتها] اما بحذف الجار و افعال الفعل كقوله و اختار
 موسى قومه - و اما على الظرف بنفسها كقواك زيد ظني مقيم - او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله
 بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم و مقدم الحاج - و اما بتضمين بطرت معنى كفرت و غمطت - و قيل
 البطر سوء احتمال الغنى و هو ان لا يحفظ حق الله فيه [الا قليلاً] من السكنى - قال ابن عباس لم يسكنها
 الا المسافرين و ما الطريق يوماً او ساعة - و يحتمل ان شوم معاصى المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من
 سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلاً [و كذا نحن الوارثين] لتلك المساكن من ماكنها اي تركناها
 على حال لا يسكنها احد او خربناها و سويناها بالارض تتخلف الآثار عن اصحابها حيناً و يدركها الفناء فتتبع -
 و ما كانت عادة ربك ان يهلك القرى في كل وقت [حتى يبعث] في القرية التي هي امها اي اصلها
 و قصبتها التي هي اعمالها و توابعها [رسولاً] لالزام الحجّة و قطع المَعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون - او و ما
 كان في حكم الله و سابق قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى بعني مكة رسولاً
 و هو محمد صلى الله عليه و آله و سلم خاتم الانبياء - و قرى امها بضم الهمزة و كسرهما لاتباع الجرو هذا
 بيان لعدله و تقديسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاب بظلمهم و لا يهلكهم مع
 كونهم ظالمين الا بعد تأكيد الحجّة و الالزام ببعثة الرسل و لا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم و نزهة ذاته
 ان يهلكهم و هم غير ظالمين كما قال و ما كان ربك ليهلك القرى بظلم و اهله مصلحون فنص في قوله
 بظلم انه لو اهلكهم و هم مصلحون لكان ذلك ظلماً منه و ان حاله في غناه و حكمته منافية للظلم دل على ذلك
 بحرف النفي مع لامه كما قال الله تعالى و ما كان الله ليضيع ايمانكم * و اي شيء اصبتموه من اسباب
 الدنيا فما هو الا تمتع و زينة اياماً قلائل و هي مدة الحياة المتقضية [و ما عند الله] و هو ثوابه
 [خير] في نفسه من ذلك [و ابقي] لان بقاءه دائم سرمد - و قرى يعقلون بالياء و هو ابلغ في الموعظة -

سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ فَرَسَلْنَا إِلَيْكَ الْكَلْبَيْنِ ۖ إِنَّكَ لَا تَهْدِي
مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ وَقَالُوا إِنَّا نَتَّبِعُ الْهُدَى مَعَكَ نَتَخَطَّفُ
مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝

على الايمان بالتوراة والايمان بالقران - او بصبرهم على الايمان بالقران قبل نزوله وبعد نزوله - او بصبرهم على اذى
المشركين واهل الكتاب ونحوه يُوْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِي [بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ] بالطاعة المعصية المتقدمة -
او بالحلم الاذى [سَلَامٌ عَلَيْكُمْ] توديع و مشاركة - وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين [لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ]
لا نريد مخالطتهم وصحبتهم - فَاِنْ قُلْتَ مَنْ خَاطَبُوا بِقَوْلِهِمْ وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ - قُلْتَ اللّٰغِينَ الَّذِينَ دَلَّ عَلَيْهِمْ
قوله وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ * [لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ] لا تقدر ان تدخل في الاسلام كل من احببت ان يدخل
فيه من قومك وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره [وَلَكِنَّ اللَّهَ] يدخل في الاسلام [مَنْ
يَشَاءُ] وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان اللطاف تنفع فيه فيقرن به الطافه حتى تدعوه الى
القبول [وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] بالقابلين من الذين لا يقبلون - قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت
في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا مُحَمَّدًا و صَدِّقُوهُ تَقْلَحُوا
و تَرْتُدُّوا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما
تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله
أشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال خرج عند الموت ولولا
ان تكون عليك وعلى بني ابيك غضاة ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينيكم عند الفراق لما اري
من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب و هاشم وعبد مناف *
قالت قريش - وقيل ان القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق
ولكننا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس اي قليلون ان يتخطفونا من ارضنا
فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي امنه بحرمه البيت وامن قطانه بحرمته وكانت العرب
في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم امنون في حرمهم لا يخافون وبحرمه البيت هم قارون بواب
غير ذي زرع والثمار والارزاق تجبى اليهم من كل اوب فاذا حولهم الله ما حولهم من الامن والرزق
بحرمه البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم
الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز
[تُجْبَىٰ إِلَيْهِ] تجلب وتجمع قريى بالياء والتاء - وقريى تُجْنَى بالنون من الجني وتعديته بالى كقولك
يجني الى فيه ويجني الى الخافة - وَثُمَّ رُتْ بضمين وبضمة وسكون - ومعنى الكلية الكثرة كقوله
وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ [وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] متعلق بقوله مِنْ لَدُنَّا اي قليل منهم يقررون بان

مِنْهُمْ أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ لَا يُدْعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَ مَنْ أَضَلُّ مِنْ مَنِ اتَّبَعَ
 هَوَاهُ يَغْيِرْهُدَى مِنَ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝
 الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا بَدَّلْنَا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ
 قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَإِذَا

سورة القصص ٢٨

الجزء ٢٠

ع ٨

النصف

وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتوراة وقالوا في موسى ومحمد عليهما السلام سحرة تظاهرا - اوفى الكتابين
 سحر تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك سحر
 تظاهرا [هو اهدى منهما] مما انزل على موسى ومما انزل على هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر
 المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك -
 ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهم بهم - فان قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله
 * ع * فلم يستجبه عند ذلك مجيب * حيث عدى بغير اللام - قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعاء
 بنفسه و الى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدى الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه
 او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه و اما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف
 المضاف - فان قلت فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا - قلت قوله فاتوا بكتب امر بالاتيان والامر
 بعث على الفعل ودعاء اليه فكأنه قال فان لم يستجيبوا دعائك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد
 ألزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال [وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ] لا يتبع في دينه الا [هَوَاهُ يَغْيِرْهُدَى مِنَ اللَّهِ]
 مطبوعا على قلبه ممنوع الاطاف [إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي] اي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللطف
 بهم عابث وقوله يغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا مخليا بينه وبين هواه * قري [وَصَلْنَا] بالتشديد
 والتخفيف - والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا متواصلا وعدا وعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة ان
 يتذكروا فيفعلوا - او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اربعه كقوله وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ
 مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ - نزلت في مؤمني اهل الكتاب - وعن رفاعه بن قرظ نزلت في عشرة انا
 احدهم - و قيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من ارض الحبشة و
 ثمانية من الشام - والضمير في [مِنْ قَبْلِهِ] للقرآن - فان قلت اي فرق بين الاستينافين انه
 وانا - قلت الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به - و الثاني بيان
 لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريبا العهد وبعيدة فاخبروا ان ايمانهم به متقدم لان
 اباؤهم القدماء قرأوا في الكتب الاول ذكره و ابناءهم من بعدهم [مِنْ قَبْلِهِ] من قبل وجوده و نزوله
 [مُسْلِمِينَ] كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي * [بِمَا صَبَرُوا] بصبرهم

٢٨ سورة القصص
 الجزء ٢٠
 ع ٧
 أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٥ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ٦ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ٧ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ٨ وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كُفْرٍ ٩ قُلْ فَاتُوا بِي كُتُبٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى

مَا أُنذِرَ آبَاءَهُمْ - [لَوْلَا] الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفاعلين للعطف والاخرى
 جواب لَوْلَا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر بفاعث على الفعل و الباعث والمخَصَص من واحد واحد
 والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدّموا من الشرك والمعاصي هَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا مُحْتَجِّينَ
 عَلَيْنَا بِذَلِكَ لَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ يَعْنِي ان ارسال الرسول اليهم انما هو لِيُزَمُّوا الْحُجَّةَ وَلَا يُلْزَمُوها كَقَوْلِهِ لَوْلَا يَكُونُ
 لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ - أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ - لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ -
 فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ اسْتِقَامَ هَذَا الْمَعْنَى وَقَدْ جُعِلَتِ الْعُقُوبَةُ هِيَ السَّبَبُ فِي الْإِسْرَالِ لَا الْقَوْلُ لَدُخُولِ حَرْفِ
 الْإِمْتِنَاعِ عَلَيْهَا دُونَهُ - قُلْتَ الْقَوْلُ هُوَ الْمَقْصُودُ بَانَ يَكُونُ سَبَبًا لِإِسْرَالِ الرُّسُلِ وَلَكِنْ الْعُقُوبَةُ لَمَّا كَانَتْ هِيَ
 السَّبَبُ لِلْقَوْلِ وَكَانَ وَجُودُهُ بِوُجُودِهَا جُعِلَتِ الْعُقُوبَةُ كَأَنَّهَا سَبَبُ الْإِسْرَالِ بِوَاسِطَةِ الْقَوْلِ فَادْخَلْتَ عَلَيْهَا لَوْلَا
 وَجِيءَ بِالْقَوْلِ مَعْطُوفًا عَلَيْهَا بِالْفَاءِ الْمُعْطِيَةِ مَعْنَى السَّبَبِيَّةِ وَيُؤْوِلُ مَعْنَاهُ إِلَى قَوْلِكَ وَلَوْلَا قَوْلُهُمْ بِهَذَا إِذَا
 أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ لَمَّا أَرْسَلْنَا وَلَكِنْ اخْتِيرَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ لِنُكْتَةِ وَهِيَ أَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَعْقُبُوا مِثْلًا عَلَى كُفْرِهِمْ وَقَدْ
 عَايَنُوا مَا أُلْجِئُوا بِهِ إِلَى الْعِلْمِ الْيَقِينِ لَمْ يَقُولُوا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا وَأَمَّا السَّبَبُ فِي قَوْلِهِمْ هَذَا هُوَ
 الْعِقَابُ لَا غَيْرُ لَا التَّأْسُفَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِخَالِقِهِمْ - وَفِي هَذَا مِنَ الشَّهَادَةِ الْقَوِيَّةِ عَلَى اسْتِحْكَامِ
 كُفْرِهِمْ وَرُسُوخِهِ فِيهِمْ مَا لَا يُخْفَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَتَوَرَّدُوا لِعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَلَمَّا كَانَتْ أَكْثَرُ الْأَعْمَالِ تُزَادُ
 بِالْإِيْدِي جَعَلَ كُلَّ عَمَلٍ مَعْبُورًا عَنْهُ بِاجْتِرَاحِ الْإِيْدِي وَتَقْدِيمِ الْإِيْدِي وَإِنْ كَانَ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَهَذَا
 مِنَ الْإِتْسَاعِ فِي الْكَلَامِ وَتَصْيِيرِ الْأَقْلَ تَابِعًا لِلْأَكْثَرِ وَتَغْلِيْبِ الْأَكْثَرِ عَلَى الْأَقْلَ • [فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ] وَهُوَ
 الرُّسُولُ الْمَصْدَقُ بِالْكِتَابِ الْمَعْجَزِ مَعَ سَائِرِ الْمَعْجَزَاتِ وَقَطَعَتْ مَعَاذِيرَهُمْ وَسَدَّ طَرِيقَ احْتِجَاجِهِمْ [قَالُوا
 لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى] مِنَ الْكِتَابِ الْمَنْزِلِ جُمْلَةً وَاحِدَةً وَمِنْ قَلْبِ الْعَصَا حَيَّةٍ وَفَلَقِ الْبَحْرِ وَغَيْرِهِمَا
 مِنَ الْآيَاتِ فَجَاؤُوا بِالْاِقْتِرَاحَاتِ الْمُبْنِيَّةِ عَلَى التَّعَذُّبِ وَالْعَذَابِ كَمَا قَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُتُبًا أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ
 وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ - [أَوَلَمْ يَكْفُرُوا] يَعْنِي ابْنَاءَ جَنَسِهِمْ وَمِنْ مَذْهَبِهِمْ مَذْهَبِهِمْ وَعَذَابُهُمْ عَذَابُهُمْ وَهُمْ الْكُفْرَةُ فِي
 زَمَنِ مُوسَى [بِمَا أُوتِيَ مُوسَى] - وَعَنِ الْحَسَنِ قَدْ كَانَ لِلْعَرَبِ أَصْلٌ فِي أَيَّامِ مُوسَى فَمَعْنَاهُ عَلَى هَذَا أَوَلَمْ
 يَكْفُرْ آبَاؤُهُمْ - [قَالُوا] فِي مُوسَى وَهَارُونَ سِحْرَيْنِ [تَظَاهَرَا] أَيْ تَعَاوَنَا - وَقَرِئَ إِظَاهَرَا عَلَى الْإِدْغَامِ - وَسِحْرَيْنِ
 بِمَعْنَى ذَوَا سِحْرٍ أَوْ جَعَلُوهُمَا سِحْرَيْنِ مَبَالِغَةً فِي وَصْفِهِمَا بِالسِّحْرِ - أَوْ أَرَادُوا نَوْعَانِ مِنَ السِّحْرِ [بِكُلِّ] بِكُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمَا - فَإِنْ قُلْتَ بِمِ عُلِّقَتْ قَوْلُهُ مِنْ قَبْلُ فِي هَذَا التَّفْسِيرِ - قُلْتَ بِأَوَلَمْ يَكْفُرُوا وَلَيْ انْ أَعْلَقَهُ بِأَوْتِي
 فَيَنْقَلِبُ الْمَعْنَى إِلَى أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ الَّذِينَ قَالُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ كَمَا كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٨﴾
 وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا
 فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴿٣٠﴾ وَمَا كُنْتَ ثَارِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٣١﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ
 الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِمَّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْ لَا

بوجوده فيكون اقوى لاثباته من ذكره الا ترى انك تقول لولا انه مصمم على الكفر مقطوع امرة مبنية
 حكمه كما صنعت منه اللطاف فبذكر منع اللطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو
 قيام الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَنْصُرُونَ كَأَنَّهُ قِيلَ وَخَذْلَاهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَخْذُولُونَ كما قال و [اَنْبَعَثْهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعَنَةً] اي طردوا وابعادوا عن الرحمة [وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ
 مِنَ الْمَقْبُوحِينَ] اي المطرودين المبعدين * [بَصَائِرَ] نصب على الحال و البصيرة نور القلب الذي
 يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي تبصر به يريد اتيناه التوراة انوارا للقلوب لانها كانت عمياء لا
 تستبصروا تعرف حقا من باطل وارشاد لانهم كانوا يخبطون في ضلال [وَرَحْمَةً] لانهم لو عملوا بها وصلوا الى
 نيل الرحمة [لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] ارادة ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجي فاستعيرلها - ويجوز ان يراد به ترجي
 موسى لتذكركم كقوله لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ [الْغُرِيِّ] المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات
 موسى من الطور وكتب الله له في اللوح - والامر المقضي الى موسى الوحي الذي اوحى اليه - والخطاب
 لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول [وَمَا كُنْتَ] حاضرا لمكان الذي اوحينا فيه الى موسى ولا
 كُنْتَ [مِنْ] جملة [الشَّاهِدِينَ] للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباء الذين اختارهم للميقات حتى
 تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبته التوراة له في اللوح وغير
 ذلك - فان قلت كيف يتصل قوله [وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا] بهذا الكلام ومن اي وجه يكون استدراكا له - قلت
 اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا بعد عهد الوحي الى عهدك قُرُونًا كثيرة
 [فَتَطَاوَلَ] على اخرهم وهو القرن الذي انت فيهم [الْعُمُرُ] اي امد انقطاع الوحي واندست العلوم
 فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهدا
 لموسى وما جرى عليه ولكننا اوحينا اليك نذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على
 المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذا هذا الاستدراك شبه الاستدراكين بعده - [وَمَا كُنْتَ ثَارِيًا]
 اي مقيما [فِي أَهْلِ مَدْيَنَ] وهم شعيب والمؤمنون به [تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا] تقرؤها عليهم تعلمها منهم يريد
 الايات التي فيها قصة شعيب وقومه * ولكننا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها [اِنْ نَادَيْنَا] يريد مناداة
 موسى ليلة المناجاة وتكليمه و [لَكِنْ] علمناك [رَحْمَةً] و قرى رَحْمَةً بالرفع اي هي رحمة [مَا أَتَتْهُمْ]
 مِنْ نَذِيرٍ في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لِتُنْذِرَ قَوْمًا

يَرْجِعُونَ ۖ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۖ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ ۖ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ۖ ع

ملطوخة بالدم فتهمكم به بالفعل كما جاء التهم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة - ويجوز ان يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله * ع * فقلت لهم ظنوا بالفني مدحج * و يكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباتهم وبلههم اولم تخف عليهم ولكن كلاً كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال اوقد لي يها من على الطين ولم يقل اطيخ لي الاجر واتخذ لانه اول من عمل الاجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة احسن طباقاً لفصاحة القرآن وعلو طباقته واشبه بكلام الجبابة وامر هامان وهو وزيره وريفة بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر - وعن عمر رضي الله عنه انه حين سافر الى الشام و رأى القصور المشيدة بالاجر فقال ما علمت ان احدا بنى بالاجر غير فرعون - والطلع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى - الاستكبار بالحق انما هو لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة اي المتبالغ في كبرياء الشأن قال صلى الله عليه وآله وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء رداي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القينة في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق [يَرْجِعُونَ] بالضم والفتح * [فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ] من الكلام الغخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء ساطانه شبههم استحقاراً لهم واستقلالاً لعددهم وان كانوا الكثير الكثير والجَم الغفير بحصيات اخذهن اخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شِمْخَاتٍ - وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً - وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمُوتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ وَ ما هي الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته - فان قلت ما معنى قوله [وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ] - قلت معناه ودعونا هم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم ائمة دعاة الى النار كما يدعى خلفاء الحق ائمة دعاة الى الجنة وهو من قولك جعله بخيلاً وفاسقاً اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلاً وفاسقاً ومنه قوله تعالى وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصي [وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ] كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة - ويجوز خذلناهم حتى كانوا ائمة الكفر ومعنى الخذلان منع اللطاف وانما يمنعها من علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغنى عنه الايات والنذر ومجراه مجرى الكذابة لان منع الاطاف يردف التصميم والغرض بذكر التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا ائمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته - فان قلت واي فائدة في ترك المردوف الى الرادفة - قلت ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد

يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ۚ فَأَوْقَدْ لَبِيْ يَهُامُنْ عَلَى الْبَيْتِ فَأَجْعَلْ لِّيْ صَرْحًا لَّعَلِّيْ أَطْلُعَ
إِلَى إِلَهٍ مُّوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَاسْتَكَبَرَهُ وَوَجَدَهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمُ الْيَتِيمَ لَا

سورة القصص ٢٨

الجزء ٢٠

ع ٦

مجازا الى الآخرة و اراد بعباده ان لا يعملوا فيها الا الخير و ما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير و عاقبة
الصدق و من عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرق فان عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير و اما عاقبة
السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار - وقرأ ابن كثير قال موسى بغير و اوعلى ما في مصاحف
اهل مكة و هي قراءة حسنة لان الموضوع موضع سوال و بحث عما اجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك
الآيات الباهرة سحرا مفتريا - و وجه الاخرى انهم قالوا ذلك و قال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول
و القول و يتبصر فساد احدهما و صحة الآخر * ع * و بضدها تدين الاشياء * و قرئ [يَكُونُ] بالتاء و الياء - روي انه
لما امر ببناء الصرح جمع هامن العمال حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع و الاجراء و امر بطبخ
الاجر و الحب و نجر الخشب و ضرب المسامير فشدده حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان
الباني لا يقدر ان يقوم على رأسه يبني فبعث الله جبرئيل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجذاه
فقطعه ثلث قطع و وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل و وقعت قطعة في البحر و قطعة
في المغرب و لم يدق احد من عماله الا قد هلك - و يروى في هذه القصة ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة
نحو السماء فاراد الله ان يقتلهم فزدت اليه و هي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت الله موسى فعندها بعث
الله جبرئيل عليه السلام لهدمه و الله اعلم بصحته - قصد بنفي علمه بالله غيره نفي وجوده معناه ما لكم
مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي كما قال الله تعالى قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ معناه بما ليس
فيهن و ذلك لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به
موجودا فمن ثمة كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده و عبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده - و يجوز
ان يكون على ظاهرة و ان الها غيره غير معلوم عنده و لكنه مظنون بدليل قوله و إِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ
و اذا ظن موسى كاذبا في اثباته الها غيره و لم يعلمه كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره و لو لم يكن
المخدول ظاننا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى لقول موسى له لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَاحِرٍ لِّمَا تَكَلَّفَ ذَلِكَ الْبَنِيَانِ العظيم و لما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه
الى الله موسى و ان كان جاهلا مفراط الجهل به و بصفاته حيث حسب انه في مكان كما كان هو في مكان
و انه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد في عليته و انه ملك السماء كما انه ملك الارض و لا ترى بينة
اثبت شهادة على افراط جهله و غباوته و جهل ملأته و غباوتهم من انهم راموا نيل اسباب السموات بصرح يبنونه
وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده و يضحك من عقولهم حيث صادفهم اغبي الناس و اخلاهم من
الظن و اشبههم بالبهائم بذلك ام كان في نفسه بذلك الصفة و ان صح ما حكى من رجوع النشابة اليه

سورة القصص ٢٨
الجزء ٢٠
ع ٦

قَالَ سَتَشِدُّ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمَّ سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيْدِنَا ۖ أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ۝
فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيٰتِنَا بَيِّنٰتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبِّيٰ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدٰى مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ

فضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سبحانه وبقا يستويان فيه - او يصل جناح كلامه
بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فاسند التصديق الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا و
معنى الاسناد المجازي ان التصديق حقيقة في المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس في السبب تصديق
ولكن استعيراه الاسناد لانه لا بس التصديق بالتسبب كما لا بس الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه
قوله اني اخاف ان يكذبون - وقراءة من قرأ رَدًا يُصَدِّقُونِي وفيها تقوية للقراءة بجزم يُصَدِّقْنِي - العضد
قوام اليد وبشدتها تشدد قال طرفة * شعر * ابني لبينا لستم بيد * الا يدا ليست لها عضد * ويقال في
دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى [سَتَشِدُّ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ] سنقويك به
ونعينك فاما ان يكون ذلك لان اليد تشدد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزولة الامور -
واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كانه يد مشددة بعضد شديدة - [سُلْطٰنًا]
غلبة وتسلطا - او حجة واضحة - [بِأَيْدِنَا] متعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيت اي اذهبنا باياتنا او بنجعل
لكم سلطانا اي نسلطكم باياتنا - او بلا يصلون اي تمتنعون منهم باياتنا - او هو بيان للغالبون لاصلة لا تمتنع
تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن الا صلة له - ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه -
او من لغو القسم [سِحْرٌ مُّفْتَرًى] سحر عمله انت ثم تفتريه على الله - او سحر ظاهر افتراءه - او موصوف
بالافتراء كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله [فِي آبَائِنَا] حال منصوبة عن هذا اي كائنا في
زمانهم وايامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه -
او يريدوا انهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته - او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا
دليل على انهم حجبوا وبهتوا وما وجدوا ما يدعون به ما جاءهم من الآيات الا قولهم هذا سحر وبدعة
لم يسمعوا بمثله * يقول [رَبِّيٰ أَعْلَمُ] منكم بحال من أهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه
بالهدى ووعده حسن العقبي يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لانه غني
حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبيى الساحرين ولا يفليح عنده الظالمون - و[عَاقِبَةُ الدَّارِ] هي العاقبة المحمودة
والدليل عليه قوله تعالى أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَقَبٰى الدَّارِ جُذِبَتْ عَنْهُ وَقَوْلُهُ وَسَيَعْلَمُ الْكٰفِرُ لِمَنْ عَقَبٰى الدَّارِ
والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان تختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملكة بالبشرى عند الموت -
فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتا هما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها
بخير او بشر فلم تختص خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر - قلت قد وضع الله الدنيا

أَنْتَ مِنَ الْآمِنِينَ ۝ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ ۚ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ
 فَذَلِكَ بُرْهَانُكَ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
 فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۝ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۝

سورة القصص ٢٨

الجزء ٢٠

ع ٦

حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه و ارخاهما و الا فجذاه
 مضمومان اليه مشمران - و منه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز ان كاتبه له كان يكتب بين يديه فانفلتت
 منه فلتة ربح فخجل و انكسر فقام و ضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك و اضم اليك جناحك و
 ليُفرخ روعك فاذي ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من نفسي - و معنى قوله مِنَ الرَّهْبِ من اجل
 الرهب اي اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيده
 سببا و علة في ما امر به من ضم جذاه اليه - و معنى وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ و قوله أَسْلَكَ يَدَكَ فِي
 جَيْبِكَ على احد التفسيرين واحد و لكن خولف بين العبارتين و انما كرر المعنى الواحد لاختلاف
 الغرضين و ذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء و في الثاني اخفاء الرهب - فان قلت قد جعل
 الجناح و هو اليد في احد الموضعين مضموما و في الآخر مضموما اليه و ذلك قوله وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ
 و قوله وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ فما التوفيق بينهما - قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى و
 بالمضموم اليه اليد اليسرى و كل واحدة من يمنى اليدين ويسراها جناح - و من بدع التفسير ان
 الرهب الكم بلغة حمير و انهم يقولون اعطني مما في رهبك و ايت شعري كيف صحته في اللغة و هل
 جمع من الاثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعة في الآية و كيف تطبيقه
 المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة الا رزمانة من
 صوف لا كمى لها [فَذَلِكَ] قرئ مخففا و مشددا فالمخفف مثنى ذاك و المشدد مثنى ذلك
 [بُرْهَانُ] حجتان بينتان نيرتان - فان قلت لم سميت الحجة برهانا - قلت لبياضها و انارتها من قولهم
 للمرأة البيضاء برهرة بتكرير العين و اللام معا و الدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان
 و نظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط و هو الزيت لانارتها - يقال رداً اته اعدته و الرد اسم ما يعان به
 فعل بمعنى مفعول به كما ان الدف اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل * شعر * و ردئي كل ابيض
 مشرفي * شحيد الحد غضب ذي فلول * و قرئ رداً على التخفيف كما قرئ الخب [رِدْءًا يُصَدِّقُنِي]
 بالرفع و الجزم صفة و جواب نحو وليا يرثني سواء - فان قلت تصديق اخيه ما الفائدة فيه - قلت ليس
 الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت اذ يقول للناس صدق موسى و انما هو ان يلخص بلسانه الحق و
 يبسط القول فيه و يجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو المعارضة فذلك جار مجرى التصديق
 المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا قرئ الى قوله وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ و

الطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝
فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ۝ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّرُ كَانَهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۖ يَمْوَسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ ۖ

وقيل ادعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بقتله ان تأتيه بعضا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال اقيها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطبقها ورفعها موسى - وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعترضا - وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصا - ولما اصبحت قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يديك فان الكلاء وان كان بها اكثر الا ان فيها تذيلا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفيها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم يَرِ مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربتة العصا حتى قتلتها وعادت الى جنب موسى دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب من الغنم فوجدها ملاء البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فارحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطأت واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه - سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الاجلين قضى موسى فقال ابعدهما وابطأهما - وروي انه قال قضى ارفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت * الجذوة بالغات الثلاث وقرى بهن جميعا العود الغليظ كانت في رأسه نار او لم تكن قال كثير * شعر * باتت حواطب ليلا يلتمسن لها * جزل الجذوى غير خوار ولا دعر * وقال * شعر * والقي على قبس من النار جذوة * شديدا عليه حرها وتهيابها * من الاولى والثانية لابتداء الغاية اي اتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة و [من الشجرة] بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم - وقرى البقعة بالضم والفتح - والرهب بفتحين وضمين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف - فان قلت ما معنى قوله و اضمم اليك جناحك من الرهب - قلت فيه معنيان - احدهما ان موسى لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاظة عذو الاعداء فاذا القييتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقاءك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتذاب ما هو غضاظة عليك و اظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه اليه - والثاني ان يراى بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عذو انقلاب العصا حية

أَرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ط سَتَجِدُنِي أَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ٥ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ط أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ط وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ع فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ

هورة القصص ٢٨

الجزء ٢٠

ع ٦

تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه - أو وعدة المساهلة والمسامحة من نفسه وإنه لا يشق عليه في ما استأجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاشرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة أشغالا خارجة من حد الشرط وهكذا كان الانبياء أخذين بالاسمح في معاملات الناس - ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شريفي فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله سَتَجِدُنِي أَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ يدل على ذلك - يريد بالصلاح حسن المعاملة وطاعة الخلق ولين الجانب - ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله في ما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه * [ذَلِكَ] مبتدأ و [بَيْنِي وَبَيْنَكَ] خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا نخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال أي اجل من الاجلين قَضَيْتُ اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثمان [فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ] اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه - فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا - قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذا ان طولبت بالزيادة على الثمان اراد بذلك تقرير امر الخياري انه ثابت مستقروا ان الاجلين على السواء إما هذا وإما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء وإما التتمة فموكولة الى رأيي ان شئت اتيت بها والآ لم أجبر عليها - وقيل معناه فلا اكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي - وفي قراءة ابن مسعود أي الاجلين مَا قَضَيْتُ - وقرئ أيما يسكون الياء كقوله * شعر * تنظرت نصرا والسماكين أيهما * علي من الغيث استهتت مواطرة * وعن ابن قُطَيْبٍ عِدْوَانٌ بالكسر - فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدي في القراءتين - قلت وقعت في المستفيدة مؤكدة لابهام أي زائدة في شياعها وفي الشاذة تأكيد للقضاء كأنه قال أي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزمي له - الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيد عدي بعلي لذلك - روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمستها وكان مكفروا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا - وقيل اخذها جبرئيل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلة -

نَجَّوْتُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ ۖ قَالَتْ احْدُثْ مَا يَأْتِ اسْتَأْجِرْهُ اِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۖ قَالَ اِنِّي اُرِيدُ
اَنْ اُنْكِحَكَ اِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى اَنْ تَاْجُرَنِي ثَمْنِي حَبْجَ ۚ فَاِنْ اَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ۚ وَمَا

الغيرة فقال وما علمك بقوته و امانته فذكرت اقلال الحجر و نزع الدلو و انه صوب رأسه حتى باغته رسالته و امرها بالمشي خلفه و قولها [اِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ] كلام حكيم جامع لا يزداد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية و الامانة في القائم بامرک فقد فرغ بأك و تم مرادک و قد استغنيت بارسال هذا الكلام الذي سياق المثل و الحکمة ان تقول استأجره لقوته و امانته - فان قلت كيف جعل خیر من استأجرت اسما لان و الْقَوِيُّ الْأَمِينُ خبرا - قلت هو مثل قوله * شعر * الا ان خير الناس حيا و هالكا * اسير ثقيف عندهم في السلاسل * في ان العناية هي سبب التقديم و قد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما - و ورد الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب و عرف و منه قولهم اهون ما عملت لسان ممح - و عن ابن مسعود افرس الناس ثلثة بنت شعيب - و صاحب يوسف في قوله عَسَى اَنْ يَنْفَعَنَا - و ابوبكر في عمر - روي انه انكحها صفراء - و قوله [هَتَيْنِ] فيه دليل على انه كانت له غيرهما [تَاْجُرَنِي] من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولک ابوتّه اذا كنت له ابا و ثَمْنِي حَبْجَ ظرفه - او من اجرته كذا اذا اثبتته اياه و منه تعزية رسول الله صلی الله عليه و آله و سلم اَجْرُكُمْ الله و رحمکم و ثَمْنِي حَبْجَ مفعول به و معناه رعية ثمانی حجج - فان قلت كيف صح ان ينكح احدی ابنتيه من غير تمييز - قلت لم يكن ذلك عقدا للنكاح و لكن مواعدة و مواصفة امر قد عزم عليه و لو كان عقدا لقال قد انكحتک و لم يقل اِنِّي اُرِيدُ اَنْ اُنْكِحَكَ - فان قلت فكيف صح ان يُمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم و لا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة كيف منع ان يتزوج امرأة بان يخدمها سنة و يجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبدة سنة او يسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه و ليس بمال و في الثاني هو مسلم مالا و هو العبد او الدار - قلت الامر على مذهب ابي حنيفة على ما ذكرت - و اما الشافعي فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال و الخدمة اذا كان المستأجر له او المخدم فيه امرا معلوما - و لعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة - و يجوز ان يكون المهر شيئا آخر و انما اراد ان يكون راعي غنمه هذه المدة و اراد ان ينكح ابنته فذكر له المرادين و علق الانكاح بالرعية على معنى اني افعل هذا اذا فعلت ذاك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة - و يجوز ان يستأجره لرعية ثمانی سنين بمبلغ معلوم و يوفيه اياه ثم ينكح ابنته به و يجعل قوله على اَنْ تَاْجُرَنِي ثَمْنِي حَبْجَ عبارة عما جرى بينهما - [فَاِنْ اَتَمَمْتَ] عمل عشر حجج [فَمِنْ عِنْدِكَ] فاتمامه من عندک و معناه فهو من عندک لا من عندي يعني لا الزمک و لا احتمه عليك و انک ان فعلته فهو منك تفضل و تبرع و الا فلا عليك [وَمَا اُرِيدُ اَنْ اَشُقَّ عَلَيْكَ] بالزام اتم الاجالين و ايجابه - فان قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه و شق عليه الامر - قلت حقيقة ان الامر اذا

لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٨﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ وَهِيَ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ

يفرغوا و ما لنا رجل يقوم بذلك وَأَبُونَا شَيْخٌ قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به أبنا إليه عذرهما في توليها السقي بانفسهما - فإن قلت كيف ساغ لذيبي الله الذي هو شعيب ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية - قلت الامر في نفسه ليس بمحذور فالدين لا يباه و اما المروة فالناس مختلفون في ذلك و العادات متباينة فيه و احوال العرب فيه خلاف احوال العجم و مذهب اهل البدر فيه غير مذهب اهل الحضرة خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة - [إِنِّي] لاي شيء [أَنْزَلْتَ إِلَيَّ] قليل او كثير غبت او سميت لـ [فَقِيرٌ] و انما عدني فقير باللام لانه ضمن معنى سائل و طالب - قيل ذكر ذلك و ان خضرة البقل تتراعى في بطنه من الهزال ما سأل الله الا أكلة - و يحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك و ثروة قال ذلك رضى بالبذل السني و فرحا به و شكرا له و كان الظل ظل سمرة [عَلَى اسْتِحْيَاءٍ] في موضع الحال اي مستحيئة متخففة - و قيل قد استقرت بكم درعها - روي انها لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس و اغنامهما حقل بطن قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحدهما اذهبني فادعيه لي فتبعها موسى فالتفت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي و انعتي لي الطريق - فلما قص عليه قصته قال له لَا تَخَفْ فلا سلطان لفرعون بارضا - فإن قلت كيف ساغ لموسى ان يعمل بقول امرأة و ان يمشي معها و هي اجنبية - قلت اما العمل بقول امرأة فكذا نعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار و ما كانت الا مخبرة عن ابوها بانه يدعوه ليجزيه و اما مماشاته امرأة اجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط و التورع - فإن قلت كيف صح له اخذ الاجر على البر و المعروف - قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله و على سبيل البر و المعروف و قبل اطعام شعيب و احسانه لا على سبيل اخذ الاجر و لكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف و قد قص عليه قصصه و عرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب و مثله حقيق بان يضيف و يكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله - و ليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر و الفاقة طلبا للاجر - و قد روي ما يعضد كلا القولين روي انها لما قالت لِيَجْزِيَكَ كره ذلك و لما قدم اليه الطعام امتنع و قال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبنا و لا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من يذل بذه - و عن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه لِيُسْمِعَهُمَا فَلذلك قيل له لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ اي جزاء سقيك * و القصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص - كبراهما كانت تسمى صفراء و الصغرى صفراء و الصفراء هي التي ذهبت به و طلبت الى ابوها ان يستأجره و هي التي تزوجها - و عن ابن عباس ان شعيبا احفظته

قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۖ وَلَمَّا رَدَّ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ۖ وَوَجَدَ
مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۚ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ مِنكُمَا ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَىٰ

علم بالطريق الآحسن ظنه بربه - وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه - وقيل خرج حافياً لا يعيش الا بورك
الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه - وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين *
[مَاءَ مَدْيَنَ] مأوهم الذي يستقون منه و كان بئراً في ما روي ووروده مجيئه والوصول اليه [وَجَدَ عَلَيْهِ] وجد
فوق شغيرة ومستقاه [أُمَّةٌ] جماعة كثيفة العدد [مِنَ النَّاسِ] من اناس مختلفين [مِنْ دُونِهِمُ] في
مكان اسفل من مكانهم - والدود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء من هو اقربى منهما فلا
يتمكنان من السقي - وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء - وقيل لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم - وقيل
تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتستترهما [مَا خَطْبُكُمَا] ما شانكما و حقيقته ما مخطوبكما اي مطاوبكما من
الذباد فسمي المخطوب خطباً كما سمي المشئون شائناً في قولك ما شانك يقال شأنت شأنه اي قصدت
قصده - و قرئ لا نسقي - ويصدر - والرعاء بضم النون - والياء - والراء - والرعاء اسم جمع كالرخال والذذاء -
واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام - [كَبِيرٌ] كبير السن - [فَسَقَى لَهُمَا] فسقى غنمهما لاجلهم - وروي
ان الرعاء كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يُقله الا سبعة رجال - وقيل عشرة - وقيل اربعون - وقيل
مائة فاقله وحده - و روي انه سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استقي به و كانت لا ينزعها الا اربعون
فاستقي بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة و روي غنمهما واصدرهما - و روي انه دفعهم عن الماء حتى
سقى لهما - وقيل كانت بئراً اخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة في المعروف واغائنة للملحوف
و المعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه امة من اناس مختلفة متكاثفة العدد و رأى
الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما متقربتين لفراغهم فما اخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع
ا كان به من النصب و سقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغائهما وكفاهما امر السقي في مثل
تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما اتاه الله من الفضل في متانة الفطرة و رصانة الجبلة و فيه مع
ارادة اقتصاص امرة وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة
الاحتساب ترغيب في الخير و انتهاز فرصة و بعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم
ومذاهبهم - فان قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يَسْقُونَ - وَتَذُودَانِ - وَلَا نَسْقِي - قلت لان الغرض
هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذيادة وهم على السقي ولم يرحمهما لان
مذودهما غنم و مسقيهم ابل مثلاً و كذلك قولهما لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ المقصود فيه السقي
لا المسقي - فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله - قلت سألتهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك اننا
امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تاخير السقي الى ان

سورة القصص ٢٨

الجزء ٢٠

ع ٥

أَنعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ۝ فَاصْبِرْ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ
يَسْتَصْرِخُهُ ۖ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ۝ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمُوسَى
أَرِيدُ أَن تُقَدِّلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۚ قَالَ إِنْ تَرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ
الْمُصْلِحِينَ ۝ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى ۚ قَالَ يَمُوسَى إِنَّ الْأَمْلَاءَ يَأْتِمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ
إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۝ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۚ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ

وعن ابن جريج ليس لذي ان يقتل ما لم يؤمر [بِمَا أُنْعِمْتَ عَلَيَّ] يجوز - ان يكون قسما جوابه محذوف
تقديره أقسم بانعامك علي بالمغفرة لا توبين فلن أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ - و ان يكون استعطافا كانه قال
رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن أَكُونَ ان عصمتني ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ - و اراد بمظاهرة
المجرمين - إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيرة سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد
و كان يسمى ابن فرعون - وإما مظاهرة من أدت مظاهرتة الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية
الى القتل الذي لم يحل له - وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعزي لم يقل فلن اكون
ان شاء الله وهذا نحو قوله وَلَا تَرْكُزُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا - وعن عطاء ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه
ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعزي من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاین قول موسى وتلا
هذه الآية - وفي الحديث ينادي مناد يوم القيمة اين الظلّمة واشباه الظلّمة واعوان الظلّمة حتى من لاق لهم دواة
او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم - وقيل معناه بِمَا أُنْعِمْتَ عَلَيَّ من
القوة فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك و الايمان بك ولا ادع قبضيا يغلب احدا من
بني اسرائيل * [يَتَرَقَّبُ] المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه - ووصف الاسرائيلي بالغبي لانه
كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر * وقرئ يَبْطِشُ بالضم - [وَالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا] القبطي لانه ليس على
دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل - والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا
ينظر في العواقب ولا يدفع بالمتي هي احسن - وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله - ولما قال هذا
افشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة و رقي الى فرعون وهموا بقتله - قيل الرجل مؤمن ال
فرعون وكان ابن عم فرعون - و [يَسْعَى] يجوز - ارتفاعه وصفا لرجل - وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان
وصف بقوله مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ واذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف - واليتمار التشاور يقال
الرجلان يتأمران و يتأمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاررون
بسببك - لك بيان وليس بصلة الناصحين [يَتَرَقَّبُ] التعرض له في الطريق - او ان يلحق * [تِلْقَاءَ مَدْيَنَ]
قصدها ونحوها - ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون
وبينها وبين مصر مسيرة ثمان و كان موسى لا يعرف اليها الطريق - قال ابن عباس خرج و ليس له

اللَّهُ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝
وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ
فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ
إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ قَالَ رَبِّ بِمَا

الى امها بامرهم فجاءت بها و الصبي على يد فرعون يعلمه شفقة عليه و هو يبكي يطلب الرضاع فحين
وجد ربحها استأنس و التقم ثديها فقال لها فرعون و من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك قالت
اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها و اجرى عليها و ذهبت به الى بيتها
و انجز الله وعده في الرد فعندها ثبت و استقر في علمها ان سيكون نبيا و ذلك قوله و لتعلم ان وعد الله
حق يريد و لينتبت علمها و يتمكن - فان قلت كيف حل لها ان تأخذ الاجر على ارضاع ولدها - قلت ما
كانت تأخذ على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تأخذه على وجه الاستباحة و قولهم [ولكن
أكثرهم لا يعلمون] داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق و لكن أكثر الناس لا يعلمون انه
حق فيوتابون و يشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزع و اصبح فؤادها فارغا -
يروى انها حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا أم موسى كرهت ان يقتل فرعون
موسى فتوجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت
وعد الله - و يجوز ان يتعلق و لكن بقوله و لتعلم و معناه ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني و هو علمها
بصدق وعد الله و لكن الأكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين و
ذهاب الحزن - [و استوى] و اعتدل و تم استحكامه و بلغ المبلغ الذي لا يزداد عليه كما قال لقيط * شعر * و
استحملوا امرهم لله دركم * شزر المريزة لا قحما و لا ضرا * و ذلك اربعون سنة - و يروى انه لم يبعث نبي
الا على رأس اربعين سنة - العلم التوراة - و الحكم السنة و حكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى و اذكركم ما
يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ - و قيل معناه اتيناه سيرة الحكماء العلماء و سمتهم قبل البعث
فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه - المدينة مصر - و قيل مدينة منق من ارض مصر - و حين غفلتهم ما
بين العشائين - و قيل وقت القائلة - و قيل يوم عيد لهم هم مشغولون فيه بلهوهم - و قيل لما شب و عقل
اخذ يتكلم بالحق و ينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل - و قرأ سيديويه فاستعانه [من شيعته]
ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل - و قيل هو السامري [من عدوه] من مخالفه من القبط
و هو فاتون و كان يتسخر الاسرائيلي لحمل الخطب الى مطبخ فرعون - و الكوز الدفع باطراف الاصابع - و قيل
بجمع الكف - و قرأ ابن مسعود فلكره باللام [فقصى عليه] فقتله - فان قلت لم جعل قتل الكافر من عمل
الشيطان و سماته ظلما لنفسه و استغفر منه - قلت لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه -

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِحًا ۖ إِنَّ كَادَتْ لِتُبَدِّي بِهِ لَوْلَا أَنَّ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبَهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جَنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۝ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلَنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ

سورة القصص ٢٨

الجزء ٢٠

ع ٣

وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيمائه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا - او نتبذاه فانه اهل للتبني ولأن يكون ولدا لبعض الملوك - فان قلت [وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] حال فما ذو حالها - قلت ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيهم وقوله إِنَّ فِرْعَوْنَ الْآيَةُ جُمْلَةٌ اعْتَرَضَتْ وَاقِعَةً بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ مُؤَكَّدَةٌ لِمَعْنَى خَطَائِهِمْ وَمَا أَحْسَنَ نَظْمَ هَذَا الْكَلَامِ عِنْدَ الْمُرْتَضِ بِعِلْمِ مُحَاسِنِ النِّظْمِ [فَرِحًا] صَفَرًا مِنَ الْعَقْلِ وَالْمَعْنَى أَنَّهَا حِينَ سَمِعَتْ بِوَقْعَةِ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ طَارَ عَقْلُهَا لَمَّا دَهَمَهَا مِنْ فِرَاطِ الْجَزَعِ وَالدهش ونحوه قوله تعالى وَافْتَدَتْهُمْ هَوَاءُ أَي جُوفٌ لَا عَقُولَ فِيهَا وَمِنْهُ بَيْتٌ حَسَنٌ * شعري *
إِلَّا ابْلُغْ أَبَا سَفِيَّانَ عَنِّي * فَانْتَ مَجْرُوفٌ نَحْبُ هَوَاءُ * وَذَلِكَ أَنَّ الْقُلُوبَ مَرَكَزُ الْعُقُولِ إِلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ فَرِحًا - وَقَرَى قَرِئًا أَي خَالِيًا مِنْ قَوْلِهِمْ اْعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ صَفَرِ الْإِنَاءِ وَقَرَعَ الْفَنَاءُ - وَفَرِحًا مِنْ قَوْلِهِمْ دَمَائِهِمْ بَيْنَهُمْ فَرِحَ أَي هَدَرَ يَعْنِي بَطَلَ قَلْبُهَا وَذَهَبَ وَبَقِيَتْ لَا قَلْبَ لَهَا مِنْ شِدَّةِ مَا وَرَدَ عَلَيْهَا [لَتُبَدِّي بِهِ] لَتَصْحَرُ بِهِ وَالضَّمِيرُ لِمُوسَى وَالْمُرَادُ بِأُمِّهِ وَقَصَّتْهُ وَانْهَ وَلَدَهَا [لَوْلَا أَنَّ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبَهَا] بِالْهَامِ الصَّبْرُ كَمَا يَرْبِطُ عَلَى الشَّيْءِ الْمُنْفَلَتِ لِيَقَرَّ وَيَطْمَئِنَّ [لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] مِنَ الْمَصْدَقِينَ بِوَعْدِ اللَّهِ وَهُوَ قَوْلُهُ أَنَا رَادُّهُ إِلَيْكَ - وَيَجُوزُ وَأَصْبَحَ فُؤَادُهَا فَرِحًا مِنْ الْهَمِّ حِينَ سَمِعَتْ أَنَّ فِرْعَوْنَ عَطَفَ عَلَيْهِ وَتَبَذَّاهُ إِنَّ كَادَتْ لِتُبَدِّي بِهِ بَانَهُ وَلَدَهَا لِأَنَّهَا لَمْ تَمْلِكْ نَفْسَهَا فَرِحًا وَسُرُورًا بِمَا سَمِعَتْ لَوْلَا أَنَا طَأْمَنَّا قَلْبُهَا وَسَكَنَّا قَلْقَهُ الَّذِي حَدَثَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ وَالِابْتِهَاجِ لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْوَاقِقِينَ بِوَعْدِ اللَّهِ لَا تَبْتَدِي فِرْعَوْنَ وَتَعْطِفُهُ - وَقَرَى مُوسَى بِالْهَمْزِ جَعَلَتْ الضَّمَّةُ فِي جَارَةِ الْوَارِ وَهِيَ الْمِيمُ كَانَهَا فِيهَا فَهَمْزَتْ كَمَا تَهْمَزُ رَاوُجُوهَ - [قُصِّيهِ] اتَّبَعِي اثْرَهُ وَتَتَّبَعِي خُبْرَهُ - وَقَرَى فَبَصَّرَتْ بِالْكَسْرِ يُقَالُ بَصَّرْتُ بِهِ عَنْ جَنْبٍ وَعَنْ جَانِبٍ - وَقَرَى عَنْ جَانِبٍ - وَهُمْ لَا يَحْسُونَ بِأَنَّهَا أُخْتُهُ وَكَانَ اسْمُهَا مَرْيَمَ - التَّحْرِيمُ اسْتِعَارَةٌ لِلْمَنْعِ لَأَنَّ مِنْ حُرْمٍ عَلَيْهِ الشَّيْءُ فَقَدْ مُنَعَهُ إِلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ مُحْظُوزٌ وَحَجَرٌ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ مُنَعَهُ أَنْ يَرْضَعَ ثَدْيًا فَكَانَ لَا يَقْبَلُ ثَدْيِي مَرْضَعٍ قَطُّ حَتَّى أَهْمَهُمْ ذَلِكَ - وَالْمَرَاضِعُ جَمْعُ مَرْضِعٍ وَهِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَرْضَعُ - أَوْ جَمْعُ مَرْضِعٍ وَهُوَ مَوْضِعُ الرِّضَاعِ يَعْنِي الثَدْيِي أَوِ الرِّضَاعَ - [مِنْ قَبْلُ] مِنْ قَبْلِ قِصَصِهَا اثْرَهُ - رَوَى أَنَّهَا لَمَّا قَالَتْ [وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ] قَالَ هَامَانُ إِنَّهَا لَتَعْرِفُهُ وَتَعْرِفُ أَهْلَهُ فَقَالَتْ أَنَّمَا أَرَدْتُ وَهُمْ لِلْمَلِكِ نَاصِحُونَ وَالنَّصِيحُ اخْلَاصُ الْعَمَلِ مِنْ شَائِبِ الْفَسَادِ فَانْطَلَقَتْ

أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ۖ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي وَلِي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝

عنها و دخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لا قبل مولودك و أخبر فرعون و لكنني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلقيه في خرقه و وضعته في تدور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا و هي لا تدري مكانه فسمعت بكاء من التور فانطلقت اليه و قد جعل الله النار عليه بردا و سلاما فلما ألح فرعون في طلب الولدان اوحى الله اليها فالقته في اليم - و قد روي انها ارضعته ثلثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله - اللام في [ليكون] هي لام كي اللتي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا و حزنا و لكن المحبة و التبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له و ثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله و هو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء و التأدب الذي هو ثمره الضرب في قولك ضربته ليتأدب و تحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد - و قرئ و حزنا و هما لغتان كالعدم و العدم - [كانوا خاطئين] في كل شيء فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بان ربي عدوهم و من هو سبب هلاكهم على ايديهم - و قرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء - و روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنست اسيمة فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحتة فاذا بصبي نوره بين عينييه و هو يمد ابهامه لينا فاحبوه و كانت لفرعون بذت برصاء و قالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت - و قيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فاذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت اسيمة [قرت عين لي و لك] فقال فرعون لك لا لي - و روي في حديث لوقال هو قرّة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها و هذا على سبيل الفرض و التقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كاسية لقال مثل قولها و لاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تاويله و الله اعلم بصحته - و روي انها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل - قرّت عين خبر مبتدأ محذوف و لا يقوى ان تجعله مبتدأ و لا تقتلوه خبرا و لو نصب لكان اقوى - و قراءة ابن مسعود دليل على انه خبر قرأ لا تقتلوه قرّت عين لي و لك بتقديم لا تقتلوه - [عسى ان ينفعنا] فان فيه مخائل اليم و دلائل النفع لاهله و ذلك لما عاينت من النور و ارتضاع الابهام

سورة القصص ٢٨

الجزء ٢٠

ع ٣

إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝
وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِمَامٍ مُّوسَىٰ

حارث و صنفًا في حفر و من لم يستعمله ضرب عليه الجزية - او فرقًا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة و هم بنوا اسرائيل و القبط - و الطائفة المستضعفة بنوا اسرائيل - و سبب ذبح الابناء ان كاهنًا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن و ان كذب فما وجه القتل - و [يَسْتَضْعِفُ] حال من الضمير في و جعل - او صفة لشيعا - او كلام مستأنف - و [يُدَبِّحُ] بدل من يَسْتَضْعِفُ و قوله [إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ] بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن او كذب - فان قلت علام عطف قوله [وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ] و عطفه على نَدَلُوا وَ يَسْتَضْعِفُ غير سديد - قلت هي جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا في الأرض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرًا لذبا موسى و فرعون و اقتصاصًا له و نُريدُ حكاية حال ماضية - ويجوز ان يكون حالا من يَسْتَضْعِفُ اي يستضعفهم فرعون و نحن نريد ان نمُنَّ عليهم - فان قلت كيف يجتمع استضعافهم و ارادة الله المنة عليهم و اذا اراد الله شيئًا كان و لم يتوقف الى وقت آخر - قلت لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانهما مقارنة لاستضعافهم [أئمة] مقدّمين في الدين و الدنيا يطأ الناس اعقابهم - و عن ابن عباس قادة يقتدى بهم في الخير - و عن مجاهد دعاء الى الخير - و عن قتادة ولاة كقوله وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكًا [الوارثين] يرثون فرعون و قومه ملكهم و كل ما كان لهم - مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فوطاه و مهده و نظيرة أرض له و معنى التمكين لهم في الأرض و هي أرض مصر و الشام ان يجعلها بحيث لا تنبويهم و لا تغت عليهم كما كانت في ايام الجبابرة و ينفذ امرهم و يطلق ايديهم و يستطهم - و قرى و يرى فرعون و هامان و جنودهما اي يرون - [منهم ما] حذروه من ذهاب ملكهم و هلاكهم على يد مولود منهم * اليم البحر - قيل هي نيل مصر - فان قلت ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما و نهي عن الآخر - قلت اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خاف ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه - و اما الثاني فالخوف عليه من الغرق و من الضياع و من الوقوع في يد بعض العيون المبتوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان و غير ذلك من المخاوف - فان قلت ما الفرق بين الخوف و الحزن - قلت الخوف غم يلحق الانسان لموقع - و الحزن غم يلحقه لواقع و هو فراقه و الاخطار به فنهيت عنهما جميعا و اومنت بالوحي اليها و وعدت ما يسليها و يطأ من قلبها و يملؤها غبطة و سرورا و هوردة اليها و جعله من المرسلين - و روي انه ذبح في طلب موسى تسعون الف وليد - و روي انها حين اقربت و ضربها الطلق و كانت بعض القوابل الموكلات بحبال الى بني اسرائيل مصافية لها فقامت لها لينفغذي حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الأرض هالها نور بين عينيها و ارتعش كل مفصل

مَدِيرِكُمْ إِلَيْهِ فَتَعْرِفُونَهَا ط وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ع

كلماتها
١٤٥٤

سورة القصص مكية وهي ثمان و ثمانون آية و تسعة ركوعاً

حروفها
٩٠١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ۖ تِلْكَ آيَةُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ط

بِالْحَادِ بِظَلَمِ نُدْقَةٍ مِنْ عَذَابِ إِيْمٍ لَا يَخْتَلِي خَلَاءُهَا وَلَا يَعْصِدُ شَجَرُهَا وَلَا يَنْفِرُ صَيْدُهَا وَ اللَّاجِئُ إِلَيْهَا أَمِنْ وَ جَعَلَ دُخُولَ كُلِّ شَيْءٍ تَحْتَ رُبُوبِيَّتِهِ وَ مَلَكُوتِهِ كَالْتَابِعِ لِدُخُولِهَا تَحْتَهُمَا وَ فِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَلِكًا مِثْلَ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الْعَظِيمَةِ الشَّانِ قَدْ مَلَكَهَا وَ مَلَكَ إِلَيْهَا كُلُّ شَيْءٍ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي سَكْنَاهَا وَ أَمْنِهَا فِيهَا شَرُّ كُلِّ ذِي شَرٍّ لَا تَنْقُذْنَا مِنْ جَوَارِ بَيْتِكَ إِلَّا إِلَى دَارِ رَحْمَتِكَ - وَ قَرَأَ النَّبِيُّ حَرَمَهَا - وَ أَتَى عَلَيْهِمْ هَذَا الْقُرْآنَ عَنْ أَبِي - وَ أَنْ أَتَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - [قَمِنْ اهْتَدَى] بِاتِّبَاعِهِ إِيَّايَ فِيمَا أَنَا بِصَدَدِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَ نَفْيِ الْإِنْدَادِ عَنْهُ وَ الدُّخُولِ فِي الْمِلَّةِ الْخَنَفِيَّةِ وَ اتِّبَاعِ مَا أَنْزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْوَحْيِ فَمَنْفَعَةُ اهْتِدَائِهِ رَاجِعَةٌ إِلَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ [وَ مَنْ ضَلَّ] وَلَمْ يَتَّبِعْنِي فَلَا عَلَيَّ وَ مَا أَنَا إِلَّا رَسُولٌ مُنْذِرٌ وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ - ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُحْمَدَ اللَّهُ عَلَى مَا خَوَّلَهُ مِنْ نِعْمَةِ النُّبُوَّةِ الَّتِي لَا تُؤَاوِيهَا نِعْمَةٌ وَ أَنْ يَهْدَى أَعْدَاءُهُ بِمَا سَيَّرِيهِمُ اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ الَّتِي تُلْجِئُهُمْ إِلَى الْمَعْرِفَةِ وَ الْإِقْرَارِ بِأَنَّهَا آيَاتُ اللَّهِ وَ ذَلِكَ حِينَ لَا تَنْفَعُهُمُ الْمَعْرِفَةُ يَعْنِي فِي الْآخِرَةِ عَنِ الْحَسَنِ - وَ عَنْ الْكَلْبِيِّ الدُّخَانَ وَ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ وَ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ نَقَسَاتِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا - وَ قِيلَ هُوَ كَقَوْلِهِ سَيَّرِيهِمْ أَيْدِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ الْآيَةُ - وَ كُلُّ عَمَلٍ يَعْمَلُونَهُ فَاللَّهُ عَالِمٌ بِهِ غَيْرُ غَافِلٍ عَنْهُ لَأَنَّ الْغَفْلَةَ وَ السَّهْوَ لَا يَجُوزَانِ عَلَى عَالَمِ الذَّاتِ وَ هُوَ مِنْ وَرَاءِ جِزَاءِ الْعَامِلِينَ - وَ قَرَأَ [يَتَّبِعُونَ] بِالتَّاءِ وَ الْيَاءِ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مَنْ قَرَأَ طَسَمَ سَلِيمٌ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ صَدَّقَ سَلِيمٌ وَ كَذَبَ بِهِ وَ هُودٌ وَ شُعَيْبٌ وَ صَالِحٌ وَ إِبْرَاهِيمُ وَ يُخْرِجُ مِنْ قَبْرِهِ وَ هُوَ يَنْادِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ *

سورة القصص

[مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ] مَفْعُولٌ نَتْلُو أَيِ نَتْلُو عَلَيْكَ بَعْضُ خَبَرِهِمَا [بِالْحَقِّ] مُحَقِّقِينَ كَقَوْلِهِ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] لِمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِنَا أَنَّهُ يُؤْمِنُ لَأَنَّ التَّلَاوَةَ إِنَّمَا تَنْفَعُ هَؤُلَاءِ دُونَ غَيْرِهِمْ - [إِنَّ فِرْعَوْنَ] جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ كَالْتَفْسِيرِ لِلْمَجْمَلِ كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ وَ كَيْفَ كَانَ نَبَأُهُمَا فَقَالَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ يَعْنِي أَرْضَ مَمْلَكَتِهِ قَدْ طَغَى فِيهَا وَ جَارَزَ الْحَدَّ فِي الظُّلْمِ وَ الْعُسْفِ [شِيَعًا] فَرَقًا يَشِيْعُونَهُ عَلَى مَا يَرِيدُ وَ يَطِيعُونَهُ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُلَوِّيَ عُنْقَهُ قَالَ الْأَعَشَى * شَعْرٌ * وَ بَلَدَةٌ يَرْهَبُ الْجَوَابُ دَلَّجَتَهَا * حَتَّى تَرَاهُ عَلَيْهَا يَبْتَغِي الشَّيْعَا * أَوْ يَشِيْعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي طَاعَتِهِ أَوْ اصْنَانًا فِي اسْتِخْدَامِهِ يَتَسَخَّرُ صَنْفًا فِي بِنَاءٍ وَ صَنْفًا فِي

وَهُمْ مِنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ۝ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ۖ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝
 إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَأَنْ
 أَتْلُوا الْقُرْآنَ ۚ فَمِنْ أُمَّتِي فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

سورة الذمل ٢٧

الجزء ٢٠

ع ٢

رصانة تفسيرة و اخذ بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى و اخرس الشفاشق
 ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداة و انه ما كان يذبغي ان
 يكون الا كما قد كان الاترى الى قوله صَنَعَ اللَّهُ - وَصَبَّغَةَ اللَّهُ - وَوَعَدَ اللَّهُ - وَفِطْرَةَ اللَّهِ بعد ما وسمها باضافتها
 اليه بسمه التعظيم كيف تلاها بقوله الَّذِي اتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ - وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً - إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ
 الْوَعْدَ - لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ - وَ قُرِئَ تَفْعَلُونَ عَلَى الْخُطَابِ [فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا] يريد الاضعاف و ان العمل
 يتقضى و الثواب يدوم و شتان ما بين فعل العبد و فعل السيد - وَقِيلَ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا اي له خير حاصل
 من جهنم و هو الجنة - و عن ابن عباس الْحَسَنَةُ كلمة الشهادة - وَ قُرِئَ يَوْمَئِذٍ مَقْتُوحًا مع الاضافة لانه
 اضيف الى غير متمكن - و منصوبا مع تنوين فَرْعٍ - فَانْ قُلْتَ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرْعَيْنِ - قُلْتَ الْفَرْعُ الْاَوَّلُ
 هُوَ مَا لَا يَخْلُو مِنْهُ اَحَدٌ عِنْدَ الْحَمَاسِ بِشِدَّةِ تَقَعٍ وَ هَوْلٍ يَفْجَأُ مِنْ رَعْبٍ وَ هَيْبَةٍ و ان كان المحسن يأمن
 لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدور هيب و قلب وجاب و ان كانت ساعة اعزاز و تكرمه
 و احسان و تولية - و اما الثاني فالخوف من العذاب - فَانْ قُلْتَ فَمِنْ قَرَأَ مِنْ فَرْعٍ بِالتَّنْوِينِ مَا مَعْنَاهُ -
 قُلْتَ يَحْتَمِلُ مَعْنِيَيْنِ - مِنْ فَرْعٍ وَاحِدٍ وَ هُوَ خَوْفُ الْعِقَابِ و اما ما يلحق الانسان من التهيب و الرعب
 لما يرى من الاهوال و العظائم فلا يخلو من هذه لان البشرية تقتضي ذلك و في الاخبار و الآثار ما يدل عليه -
 وَ مِنْ فَرْعٍ شَدِيدٍ مَقْرُطٍ الشَّدَّةُ لَا يَكْتَنِهُ الْوَصْفُ وَ هُوَ خَوْفُ النَّارِ - آمِنٌ يَعْتَدِي بِالْجَارِ وَ بِنَفْسِهِ كَقَوْلِهِ
 تَعَالَى أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ - وَقِيلَ السَّيِّئَةُ الْاَشْرَاكُ - يَعْبُرُ عَنِ الْجُمْلَةِ بِالْوَجْهِ وَ الرَّأْسِ وَ الرِّقْبَةِ فَكَانَ قِيلَ
 فَكَبُّوا فِي النَّارِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فَكَبَّوْا فِيهَا - وَ يَجُوزُ اِنْ يَكُونُ ذِكْرُ الْوَجْهِ اِيذَانًا بَانْتِهَامِ يَكْبُونَ عَلَى وَجْهِهِمْ فِيهَا
 مِنْكَوسِينَ - [هَلْ تُجْزَوْنَ] يَجُوزُ فِيهِ الْاَلْتِفَاتُ وَ حِكَايَةُ مَا يَقَالُ لَهُمْ عِنْدَ الْكِبِّ بِاضْمَارِ الْقَوْلِ • امْرؤ رسوله بان
 يقول [اُمرت] ان اخص الله وحده بالعبادة و لا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش و ان اكون من الحنفاء الثابتين
 على ملة الاسلام [وَاَنْ اَتْلُوا الْقُرْآنَ] مِنَ التَّلَاوَةِ اَوْ التَّلَوِّ كَقَوْلِهِ وَ اتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ - وَ الْبَلَدَةُ مَكَّةُ حَرَسَهَا
 اللَّهُ تَعَالَى اخْتَصَمَهَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْبِلَادِ بِاضَافَةِ اسْمِهِ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا أَحَبُّ بِلَادَةٍ إِلَيْهِ وَ أَكْرَمُهَا عَلَيْهِ وَ اعْظَمُهَا عِنْدَهُ
 وَ هَكَذَا قَالَ الذَّبِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ حِينَ خَرَجَ فِي مُهَاجَرَةٍ فَلَمَّا بَلَغَ الْحَزْرَةَ اسْتَقْبَلَهَا بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ
 فَقَالَ إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ أَحَبُّ بِلَادٍ إِلَى اللَّهِ وَ لَوْلَا أَنَّ أَهْلَكَ أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ - وَ أَشَارَ إِلَيْهَا إِشَارَةً تَعْظِيمَ
 لَهَا وَ تَقَرِيبَ دَلَالَةٍ عَلَى أَنَّهَا مَوْطِنُ نَبِيِّهِ وَ مَهْبُطُ وَحْيِهِ وَ وَصَفَ ذَاتَهُ بِالتَّحْرِيمِ الَّذِي هُوَ خَاصٌّ وَصْفُهَا فَاجْزَلَ
 بِذَلِكَ قِسْمَهَا فِي الشَّرَفِ وَ الْعُلُوِّ وَصْفُهَا بِأَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ لَا يَنْتَهِكُ حَرَمُهَا إِلَّا ظَالِمٌ مُضَادٌّ لِرَبِّهِ وَ مَنْ يَرُدُّ فِيهِ

السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ط وَكُلُّ أَتَوْه دَاخِرِينَ © وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ
مَرًّا السَّحَابِ ط صُنَعَ اللَّهُ الَّذِي اتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ط إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ © مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ع

منه الا اكلها و انه لا يقدر ان يدعي الحفظ و الاصلاح لما شهر من خلاف ذلك - او اراد اما كان لكم عمل
في الدنيا الا الكفر و التكذيب بايات الله ام ما ذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني انه لم يكن لهم
عمل غيره كأنهم لم يخلقوا الا للكفر و المعصية و انما خلَقوا للايمان و الطاعة يُخَاطَبُونَ بهذا قبل كبهم
في النار ثم يكتبون فيها و ذلك قوله وَرَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم
و هو التكذيب بايات الله فيشغلهم عن النطق و الاعتذار كقوله هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ * جعل الابصار للنهار
و هو لاهله - فان قلت ما للتقابل لم يراع في قوله لَيْسَكُنَّوْا و مُبْصِرًا حيث كان احدهما علة و الآخر
حالا - قلت هو مراعى من حيث المعنى و هكذا انظم المتبوع غير المتكلف لان معنى مُبْصِرًا لِيُبْصِرُوا
فيه طرق القلب في المكاسب - فان قلت لم قيل [فَنَزَعَ] دون فيفزع - قلت لذكته و هي الاشعار بتحقيق
الفزع و ثبوته و انه كائن لا محالة واقع على اهل السموات و الارض لان الفعل الماضي يدل على وجود
الفعل و كونه مقطوعا به و المراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون [إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ] الا من ثبت الله
قلبه من الملائكة - قالوا هم جبرئيل و ميكائيل و اسرافيل و ملك الموت - وقيل الشهداء - وعن الضحاك
الحرور و خزنة النار و حملة العرش - و عن جابر منهم موسى لانه صعق مرة و مثله قوله وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ - وقرئ [أَتَوْه] و آتته - و دَخِرِينَ فالجمع على
المعنى و التوحيد على اللفظ و الداخرو الدخِر الصاغر - وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد
النفخة الثانية - ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره و انقيادهم له * [جَامِدَةً] من جماد في مكانه اذا لم يبرح
تجمع الجبال فيسير كما تسير الرياح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد
[وَهِيَ تَمُرُّ] مرًا حثيثا كما يمر السحاب و هكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا يكاد يتبين
حركتها كما قال النابغة في صفة جيش * شعر * بَارَعَنَ مِثْلَ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ * رَقُوفٌ لِحَاجِ
و الركاب تهملج * [صُنَعَ اللَّهُ] من المصادر المؤكدة كقوله وَعَدَ اللَّهُ و صَبَّغَ اللَّهُ الا ان مؤكدة
محذوف وهو الغاصب ليَوْمٍ يُنْفَخُ و المعنى و يوم ينفخ في الصور فكل كَيْتَ و كَيْتَ و اثناب الله
المحسنين و عاقب المجرمين ثم قال صُنَعَ اللَّهُ يريد به الاثابة و المعاقبة و جعل هذا الصنع من جملة
الاشياء اللتي اتقنها و اتى بها على الحكمة و الصواب حيث قال صُنَعَ اللَّهُ الَّذِي اتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ يعني
ان مقابلته بالحسنة بالثواب و السيئة بالعقاب من جملة احكامه الاشياء و اتقانه لها و اجرائه لها على قضايا
الحكمة انه عالم بما يفعل العباد و بما يستوجبون عليه فيكايهم على حسب ذلك - ثم لخص ذلك بقوله
[مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ] الى آخر الايتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام و حسن نظمه و ترتيبه و مكانة اضماده و

بِأَيْدِيهِمْ لَا يُؤْفِقُونَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي
وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آذًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْظِقُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا
آلَئِيلَ لِيُضِلَّوهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مُبْصِرًا ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي
سورة النمل ٢٧
الجزء ٢٠
ع ٢

المؤمن في مسجده او في ما بين عينيه بعضا موسى فتذكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه
حتى يضيء لها وجهه او فتترك وجهه كانه كوكب دري و تكتب بين عينيه مؤمن و تذكت الكافر بالخاتم
في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه و تكتب بين عينيه كافر - وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا
و تخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة و يا فلان انت من اهل النار - و قري
تكلّمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا و الخاتم - و يجوز ان يكون تكلّمهم من الكلم ايضا على
معنى التكثير يقال فلان مكلم اي مجرح - و يجوز ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح
كما فسر لنحرقة بقراءة علي رضي الله عنه لنحرقة - و ان يستدل بقراءة أبي تبتهم و بقراءة ابن مسعود
تكلّمهم بان الناس على انه من الكلام - و القراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول
و باضمار القول اي تقول الدابة ذلك او هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك - فان قلت اذا كانت حكاية
لقول الدابة فكيف تقول بآيتنا - قلت قولها حكاية لقول الله - او على معنى آيات ربنا - او لاختصاصها بالله
و اثرتها عنده و انها من خواص خلقه - اضافت آيات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا
و بلادنا و انما هي خيل مولاه و بلاده - و من قرأ بالفتح فعلى حذف الجار اي تكلّمهم بان - [فهم يوزعون]
يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار و هذه عبارة عن كثرة العدد و تباعد اطرافه كما
وصفت جنود سليمان بذلك و كذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة و منه قوله تعالى يدخلون
في دين الله أفواجا - و عن ابن عباس ابو جهل و الوليد بن المغيرة و شيبة بن ربيعة يساقون بين يدي
اهل مكة و كذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار - فان قلت اي فرق بين من الاولى و الثانية -
قلت الاولى للتبعيض و الثانية للتبدين كقوله من الأولان * الوار للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الرأي
من غير فكر و لا نظر يودي الى احاطة العلم بكنهها و انها حقيقة بالتصديق او بالكذب - او
للعطف اي اجمدتموها و مع جودكم لم تلقوا اذهانكم لتحقيقها و تبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد
ان يكون الكتاب من عند من كتبه و لا يدع مع ذلك ان يقرأه و يتفهم مضامينه و يحيط بمعانيه [اما اذا كنتم
تعملون] بها للتبكي لا غير و ذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدر ان يكذبوا و يقولوا قد صدقنا بها
وليس الا التصديق بها او التكذيب و مثاله ان تقول لراعيك و قد عرفته روعي سوء اأكل نعمي ام
ماذا تعمل بها فتجعل ما تبدي به و تجعله اصل كلامك و اساسه هو الذي صح عندك من اكله و فساده
و ترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا يعمل بها الا الاكل لتبتهه و تعلمه علمك بانه لا يجيء

مَنْ يُؤْمِنُ بِالْإِنشَاءِ فِيهِمْ مُسْلِمُونَ ٥ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا

وُشِّبُوا بِالْمَوْتِ وَ هُم أَحْيَاءُ صَحَّاحُ الْخَوَاسِ لَانَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا مَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَكَانُوا أَقْمَاعُ الْقَوْلِ لَا تَعِيهِ أَذَانُهُمْ وَ كَانَ سَمَاعُهُمْ كَلَّا سَمَاعٍ كَانَتْ حَالُهُمْ لِانْتِفَاءِ جَدْوَى السَّمَاعِ كَحَالِ الْمَوْتَى الَّذِينَ فَقَدُوا مَصْخَجَ السَّمَاعِ وَ كَذَلِكَ تَشْبِيهِهُمْ بِالصَّمِّ الَّذِينَ يُنْعَقُ بِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ وَ شُبِّهُوا بِالْعَمَى حَيْثُ يَضِلُّونَ الطَّرِيقَ وَ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَنْزِعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَ أَنْ يَجْعَلَهُمْ هِدَاةً بَصَرَاءَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ - فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ [إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ] - قُلْتَ هُوَ تَأْكِيدٌ لِحَالِ الصَّمِّ لِأَنَّهُ إِذَا تَبَاعَدَ عَنِ الدَّاعِي بَانَ يَوْتَاهُ عَنْهُ مُدْبِرًا كَانَ أَبْعَدَ عَنِ ادْرَاكِ صَوْتِهِ - وَ قَرِئَ [لَا يَسْمَعُ الصَّمُّ] - وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَلَى الْأَصْلِ - وَ تَهْدِي الْعُمَى - وَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَ مَا أَنَّ تَهْدِي الْعُمَى وَ هِدَاةً عَنِ الضَّلَالِ كَقَوْلِكَ سَقَاةً عَنِ الْعَيْمَةِ أَيْ أَبْعَدَهُ عَنْهَا بِالسَّقْيِ وَ أَبْعَدَهُ عَنِ الضَّلَالِ بِالْهَدْيِ - [إِنْ تَسْمِعْ] أَيْ مَا يَجْعَلِي أَسْمَاعَكَ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِهِ أَيْ يَصْدُقُونَ بِهَا [فَهُمْ مُسْلِمُونَ] أَيْ مُخْلِصُونَ مِنْ قَوْلِهِ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ يَعْزِزْهُ اللَّهُ خَالِصًا لَهُ - سَمِيَّ مَعْنَى الْقَوْلِ وَ مُؤَدَاةً بِالْقَوْلِ وَ هُوَ مَا وَعَدُوا مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ وَ الْعَذَابِ - وَ وَقَعَهُ حَصُولُهُ وَ الْمَرَادُ مُشَارَفَةُ السَّاعَةِ وَ ظُهُورُ أَشْرَاطِهَا وَ حِينَ لَا يَنْفَعُ التَّوْبَةُ - وَ دَابَّةُ الْأَرْضِ الْجَسَامَةُ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ طُولَهَا سِتُونَ ذِرَاعًا لَا يَدْرِكُهَا طَالِبٌ وَلَا يَفُوتُهَا هَارِبٌ - وَ رَوَى لَهَا أَرْبَعُ قَوَائِمٍ وَ زَغَبٌ وَ رِيْشٌ وَ جَنَاحَانِ - وَ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ فِي وَصْفِهَا رَأْسٌ ثَوْرٍ وَ عَيْنٌ خَنْزِيرٍ وَ أُذُنٌ فَيْلٍ وَ قَرْنٌ أَيْلٍ وَ عُنُقٌ نَعَامَةٍ وَ صَدْرٌ أَسَدٍ وَ لَوْنٌ نَمْرٍ وَ خَاصِرَةٌ هَرَّةٍ وَ ذَنْبٌ كَبْشٍ وَ خُفٌّ بَعِيرٍ وَ مَا بَيْنَ الْمَفْصَلَيْنِ اثْنَى عَشَرَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَ رَوَى لَا تُخْرِجُ الْأَرَأْسَهَا وَ رَأْسُهَا يَبْلُغُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ أَوْ يَبْلُغُ السَّحَابَ - وَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَ مَا بَيْنَ قَرْنَيْهَا فَرَسٌ لِلرَّاكِبِ - وَ عَنْ الْحَسَنِ لَا يَتِمُّ خُرُوجُهَا إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ - وَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهَا تَخْرُجُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ فَلَا يُخْرِجُ إِلَّا ثَلَاثَهَا - وَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أَنَّهُ مَثَلٌ مِنْ أَيْنَ تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَقَالَ مِنْ أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ حَرَمَةَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى يَعْنِي الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ - وَ رَوَى أَنَّهَا تَخْرُجُ ثَلَاثَ خُرُوجَاتٍ تَخْرُجُ بِأَقْصَى الْيَمَنِ ثُمَّ تَتَكَمَّنُ ثُمَّ تَخْرُجُ بِالْبَادِيَةِ ثُمَّ تَتَكَمَّنُ دَهْرًا طَوِيلًا فَبَيْنَا النَّاسُ فِي أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ حَرَمَةَ وَ أَكْرَمَهَا عَلَى اللَّهِ فَمَا يَهْوِلُهُمْ إِلَّا خُرُوجُهَا مِنْ بَيْنِ الرُّكْنِ حِذَاءَ دَارِ بَنِي مَخْزُومٍ عَنْ يَمِينِ الْخَارِجِ مِنَ الْمَسْجِدِ فَقَوْمٌ يَهْرَبُونَ وَ قَوْمٌ يَقِفُونَ نَظَارَةً - وَ قِيلَ تَخْرُجُ مِنَ الصِّفَا فَتُكَلِّمُهُمُ بِالْعَرَبِيَّةِ بِلِسَانٍ ذَلِيقٍ فَتَقُولُ [أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِإِيتِنَا لَا يُوْقَدُونَ] يَعْنِي أَنَّ النَّاسَ كَانُوا لَا يُوْقَدُونَ بِخُرُوجِي لِأَنَّ خُرُوجَهَا مِنَ الْآيَاتِ وَ تَقُولُ أَلَّا تَعْنُوَ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ - وَ عَنْ السَّدِيِّ تَكَلَّمَ بِبَطْلَانِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا سِوَى دِينِ الْإِسْلَامِ - وَ عَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَسْتَقْبِلُ الْمَغْرِبَ فَتَصْرُخُ صَرْخَةً تُنْفِذُهُ ثُمَّ تَسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقَ ثُمَّ الشَّامَ ثُمَّ الْيَمْنَ فَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ - وَ رَوَى تَخْرُجُ مِنْ أَجْيَادٍ - وَ رَوَى بَيْنَا عَيْسَى يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ إِذَا تَضَطَّرَبَتِ الْأَرْضُ تَحْتَهُمْ تَحْرُكُ الْقَنْذِيلَ وَ يَنْشَقُّ الصِّفَا مِمَّا يَلِي الْمَسْعَى فَتَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنَ الصِّفَا وَ مَعَهَا عَصَا مُوسَى وَ خَاتَمُ هَارُونَ فَتَضْرِبُ

رَبِّكَ لَيَعْلَمَ مَا تَكُنْ صُدُورُهُمْ وَمَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ۝ أَذْكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝ وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِنَّ تَسْمَعُ إِلَّا

هورة النمل ٢٧

الجزء ٢٠

ع ١

الاعرج رَدَفَ لَكُمْ بوزن ذهب وهما لغتان والكسر انصح - وعسى و لعل و سوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده و ما لا مجال للشك بعده وانما يعذون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلائهم بقهرهم و غلبتهم و وثوقهم ان عدوهم لا يفوتهم و ان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده * الفضل و الفاضلة الافضال و لفلان فواضل في قومه وفضول و معناه انه مفضل عليهم بتأخير العقوبة و انه لا يعاجلهم بها و اكثرهم لا يعرفون حق الذمعة فيه ولا يشكرونها ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب و هم قريش * قري تَكُنُّ يقال كذبت الشيء و اكذنته اذا سترته و اخفيته يعني انه يعلم ما يخفون و ما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم و مكائدهم و هو معاقبهم على ذاك بما يستوجبونه - سمي الشيء الذي يغيب و يخفى غَائِبَةً و خافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية و العاقبة و نظائرهما النطيحة و الرمية و الذبيحة في انها اسماء غير صفات - و يجوز ان يكونا صفتين و تاورهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال و ما من شيء شديد الغيبوبة و الخفاء الا و قد علمه الله و احاط به و اثبتته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملكة - قد اختلفوا في المسيح فتخزبوا فيه احزابا و وقع بينهم التذاكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا و قد نزل القرآن ببينان ما اختلفوا فيه لو انصفوا و اخذوا به و اسلموا يريد اليهود و النصارى - [لِلْمُؤْمِنِينَ] امن انصف منهم و امن اي من بني اسرائيل او منهم و من غيرهم [بَيْنَهُمْ] بين من امن بالقرآن و من كفر به - فان قلت ما معنى يَقْضِي بحكمه و لا يقال زيد يضرب بضربه و يمنع بمنعه - قلت معناه بما يحكم به و هو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما - او اراد بحكمته و تدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة [وَهُوَ الْعَزِيزُ] فلا يرد قضاؤه [الْعَلِيمُ] بمن يقضي له و بمن يقضي عليه - او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم و بين المحققين - امرة بالتوكل على الله و قلة المبالاة باعداء الدين و علل التوكل بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به الشك و الظن و فيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله و بنصرته و ان مثله لا يخذل - فان قلت [اذْكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى] يشبه ان يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك - قلت وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيب رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم من جهة المشركين و اهل الكتاب من ترك اتباعه و تشييع ذلك بالاذى و العداوة فلام ذلك ان يعقل توكل متوكل مثله بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم و استكفاء شرورهم و اذاهم

بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا إِتْنَا لَمُخْرَجُونَ ﴿٢٨﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاءُنَا مِن قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٣١﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ

ما معناها - قلت ما هي الا تنزيل لحوالهم وصفهم اولاً بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امراً اهون ممن سمع بها وهو جائئ لا يشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقاً ولا باطلاً ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدءاً عما هم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون - العامل في اذا ما دل عليه ائناً لمخرجون وهو نخرج لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقاباً وهي همزة الاستفهام وان لام الابتداء واحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض او من حال الغناء الى الحيوة - وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعاً انكار على انكار وجمود عقيب جمود ودليل على كفر موكد مبالغ فيه - والضمير في انالهم ولابائهم لان كونهم تراباً قد تناوواهم وابعاءهم - فان قلت قدّم في هذه الآية هذا على نحن وابائنا وفي آية اخرى قدّم نحن وابائنا على هذا - قلت التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الايتين دل على اتخاذ البعث هو الذي تُعمد بالكلام وفي الاخرى على اتخاذ المبعوث بذلك الصدر - ولم تلحق علامة التانيث بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان اخر امرهم - واران بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفاً للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها الا ترى الى قوله قدّم عليهم ربهم بذنبيهم وقوله مما خطيئتهم اغرقوا - ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك و لم يسلموا فیسلموا وهم قومه قريش كقوله لعلك باخع نفسك على ائارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً * [في ضيق] في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقاً وضيقاً بالفتح والكسر - وقد قرئ بهما - والضيق ايضاً تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقاً حرجاً قرئ مخففاً ومثقلاً - ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم * استعجلوا العذاب الموعود فقليل لهم [عسى ان يكون] ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزادت اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم - او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تدعكم ولحقكم وقد عدتي بمن قال * شعر * فلما ردفنا من عمير وصحبه * تولوا سراعاً والمنية تعنى * يعني دنونا من عمير - وقرأ

وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝ بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ قَفْ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا

سورة النمل ٢٧

الجزء ٢٠

ع ١٩

وقيل ذرأت في المشركين حين سألوا رسول الله عن وقت الساعة [أَيَّانَ] بمعنى متى ولو سمى به لكان فعلاً من أن يئس و لا نصرف - و قرئ إِيَّانَ بكسر الهمزة - و قرئ بَلْ أَدْرَكَ - بَلْ أَدْرَكَ - بَلْ أَدْرَكَ - بَلْ تَدَارَكَ - بَلْ أَدْرَكَ بهمزيين - بَلْ أَدْرَكَ بالف بينهما - بَلْ أَدْرَكَ بالتخفيف والنقل - بَلْ أَدْرَكَ بفتح اللام وتشديد الدال و اصله بَلْ أَدْرَكَ على الاستفهام - بَلَى أَدْرَكَ - بَلَى أَدْرَكَ - أَمْ تَدَارَكَ - أَمْ أَدْرَكَ - فهذه ثلثي عشرة قراءة - و أَدْرَكَ اصله تدارَكَ فادغمت التاء في الدال - و أَدْرَكَ افتعل - و معنى أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ انتهى و تكامل - و أَدْرَكَ تَبَاعٍ و استحکم و هو على وجهين - أحدهما ان اسباب استحکام العلم و تكامله بان القيمة كائفة لا ريب فيه قد حصلت لهم و مكثوا من معرفته و هم شاكون جاهلون و هو قوله بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ يريد المشركين ممن في السموات و الارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بئو فلان فعلوا كذا و انما فعله ناس منهم - فان قلت ان الآية سبقت لاختصاص الله بعلم الغيب و ان العباد لا علم لهم بشيء منه و ان وقت بعثهم و نشورهم من جملة الغيب و هم لا يشعرون به فكيف لأم هذا المعنى و صف المشركين بانكارهم البعث مع استحکام اسباب العلم و التمكن من المعرفة - قلت لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب و لا يشعرون البعث الكائن و وقته الذي يكون فيه و كان هذا بيانا لعجزهم و وصفا لقصور علمهم و صل به ان عندهم عجزا ابغ منه و هو انهم يقولون للكائن الذي لا بد ان يكون و هو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه و استحکام العلم به - و الوجه الثاني ان وصفهم باستحکام العلم و تكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهز و ذلك حيث شكوا و عموما عن اثباته الذي الطريق الى علمه مشكوك فضلا عن ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته - و في أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ و أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ وجه آخر و هو ان يكون أَدْرَكَ بمعنى انتهى و نفي من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تُعَدَم - و قد فسر الحسن باضمحل علمهم - و تَدَارَكَ من تدارك بخوفلان اذا تتابعوا في الهلاك - فان قلت فما وجه قراءة من قرأ بَلْ أَدْرَكَ على الاستفهام - قلت هو استفهام على وجه الانكار لا ادراك علمهم - وكذلك من قرأ أَمْ أَدْرَكَ و أَمْ تَدَارَكَ لانها أم اللتي بمعنى بل و الهمزة - فان قلت فمن قرأ بَلَى أَدْرَكَ - و بَلَى أَدْرَكَ - قلت لما جاء ببلى بعد قوله وَمَا يَشْعُرُونَ كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابغ ما يكون - و اما من قرأ بَلَى أَدْرَكَ على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها و اذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن [فِي الْآخِرَةِ] في شان الآخرة و معناها - فان قلت هذه الاضرابات الثلاث

وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ط وَاللَّهُ ط قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ط اَمِنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ط وَاللَّهُ ط تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ط اَمِنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ
وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ط وَاللَّهُ ط قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ط قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

الْمُضْطَرُّ إِذَا دَعَا وَكَمْ مِنْ مُضْطَرٍ يَدْعُوهُ فَلَا يَجَاب - قُلْتُ الْجَابَةُ موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطاً فيه المصلحة و اما المضطر فمتنازل للجنس مطلقاً يصلح لكلمه و لبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التنازل على العموم - [خُلَفَاءَ الْأَرْضِ] خلفاء فيها وذلك توارثهم سكتها و التصرف فيها قرناً بعد قرن - او اراد بالخلافة الملك والتسلط - و قرئ يَذْكُرُونَ بالياء مع الادغام و بالتاء مع الادغام و الحذف و ما مزيدة اي يذكرون تذكر قليلاً والمعنى نفى التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي - [يَهْدِيكُمْ] بالنجوم في السماء و العلامات في الارض اذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر - فان قلت كيف قيل لهم [اَمِنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ] وهم منكرون للاعادة - قلت قد اُزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة و الاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار من السماء الماء و من الارض النبات [اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] ان مع الله الها فابن دليلكم عليه - فان قلت لم رفع اسم الله و الله يتعالى ان يكون ممن في السموات والارض - قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كأن احدا لم يذكر و منه قوله * شعر * عشية ما تُغْنِي الرماح مكانها * ولا الذبل الا المشرقي المصمم * وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو و ما اعانه اخوانكم الا اخوانه - فان قلت ما الداعي الى اختيار المذهب التيمي على الحجازي - قلت دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالة كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بئاً للقول بخلوها عن الانيس - فان قلت هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم - قلت يابى ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز و كونهم فيهن حقيقة و ارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة و مجازاً غير صحيح على ان قولك من في السموات والارض و جمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايها التسوية و الايهامات منزلة عنه و عن صفاته الا ترى كيف قال صلى الله عليه وآله وسلم لمن قال و من يعصهما فقد غوي بئس خطيب القوم انت - و عن عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ - و عن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق و لم يُطالع عليه احداً لئلا يأمن احد من عبدة مكروه.

عَلَيْهِمْ مَطْرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٢٧﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۚ ؕ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٢٨﴾
 آمَنَ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ فَانْتَبَتْ بِهٖ حَدَائِقُ ذَاتِ بَهْجَةٍ ۚ مِمَّا كَانَ لَكُمْ اَنْ تُنْبِتُوْا
 شَجَرَهَا ۚ ؕ اِنَّ مَعَ اللّٰهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُوْنَ ﴿٢٩﴾ اَمَّنْ جَعَلَ الْاَرْضَ قَرَارًا ۖ وَجَعَلَ خِلَالَهَا اَنْهَارًا ۖ وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي
 وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۚ ؕ اِنَّ مَعَ اللّٰهِ ۚ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ ﴿٣٠﴾ اَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ اِذَا دَعَا

سورة الزمل ٢٧

الحجر ٢٠

ع ١٩

على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء الا لداع يدعو الى اثاره من زيادة خيره ومنفعة فليلهم
 مع العلم بانه لاخير فيما اثروه وانهم لم يؤثره لزيادة الخير ولكن هوى وعبثاً لينبتوا على الخطاء المفرط
 والجهل المورط واضلاهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الاثار يجب ان يكون للخير الزائد ونحوه
 ما حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه انه ليس لموسى مثل انهاره اللتي كانت
 تجري تحته - ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع اللتي هي اثار رحمته وفضله كما عددها في موضع اخر ثم قال
 هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ - وقرئ [تَشْرِكُونَ] بالياء والتاء - وعن النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم انه كان اذا قرأها يقول بل الله خير وابقى واجل واكرم - فان قلت ما الفرق بين ام وام في امّا
 تَشْرِكُونَ وَاَمَّنْ خَلَقَ - قلت تلك متصلة لان المعنى ايها خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهزة لما قال
 اللَّهُ خَيْرٌ اَمِ الْاِلٰهَةُ قَالَ بَلْ اَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ خَيْرٌ تَقْرِيراً لِّهٖمَّ بَانَ مِنْ قَدْرِ عَلَى خَلْقِ الْعَالَمِ خَيْرٍ مِنْ
 جماد لا يقدر على شيء - وقرأ الاعمش اَمَّنْ بالتخفيف ووجهه ان يجعل بدلا من الله كأنه قال اَمَّنْ
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضَ خَيْرًا مِمَّا تَشْرِكُونَ - فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن
 ذاته في قوله فَانْتَبَتْ بِهٖ حَدَائِقُ ذَاتِ بَهْجَةٍ - قلت تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدائق المختلفة
 الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع حسناتها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا
 ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله [مَا كَانَ لَكُمْ اَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا] ومعنى الكينونة الانبعاث اراد ان
 تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ في تخفية رأيهم - والحديقة البستان
 عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة - وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء
 ذهبت - و البهجة الحسن لان الناظر يبتهج به [اِنَّ مَعَ اللّٰهِ] اغيره يقرن به ويجعل شريكا له - وقرئ اِنَّ مَعَ
 اللّٰهِ بمعنى اَتَدْعُونَ او تَشْرِكُونَ ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدّة وتخرج الثانية بين بين
 [يَعْدِلُونَ] به غيره - او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد - [اَمَّنْ جَعَلَ] وما بعده بدل من اَمَّنْ خَلَقَ فكان
 حكمها حكمه [قَرَارًا] دحاهها وسواها للاستقرار عليها [حَاجِزًا] كقوله بَرَزَخًا * الضرورة الحالة المحوجة الى
 اللجوء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر - والمضطر الذي احوجه
 مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجوء والتضرع الى الله - وعن ابن عباس هو المجهود - و
 عن السدي الذي لا حول له ولا قوة - وقيل المذنب اذا استغفر - فان قلت قد عم المضطرين بقوله يُجِيبُ

سورة النمل ٢٧
الجزء ١٩
ع ١٨

ذَلِكَ لآيَةٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَنْقُوتُونَ ۝ وَ لَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّكُمْ لَأَتَاتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۝ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُ أَلْ لَّوْطُ مِّنْ قَرِينِكُمْ ۚ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ۝ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِمَّنِ الْغَابِرِينَ ۝ وَامْطَرْنَا

عليه - وَاِذْ بَدَلْ عَلَى الدُّوَلِ ظَرْفَ عَلَى الثَّانِي [وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ] مِنْ بَصَرِ الْقَلْبِ أَيْ تَعْلَمُونَ أَنَّهَا فَاحِشَةٌ لَمْ تُسَبِّقُوا إِلَيْهَا وَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا خَلَقَ الْإِنثَى لِلذَّكَرِ وَلَمْ يَخْلُقِ الذَّكَرَ لِلذَّكَرِ وَلَا الْإِنثَى لِلْإِنثَى فَهِيَ مُضَادَّةٌ لِلَّهِ فِي حِكْمَتِهِ وَحِكْمِهِ وَعِلْمِهِ بِذَلِكَ اعْظَمَ لَذُنُوبِكُمْ وَادْخَلَ فِي الْقُبْحِ وَالسَّامَةِ - وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُبْحَ مِنَ اللَّهِ أَقْبَحُ مِنْهُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ الْعَالَمِينَ وَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ - أَوْ تُبْصِرُونَهَا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ لَّأَنَّهُمْ كَانُوا فِي نَادِيهِمْ يَرْتَكِبُونَهَا مَعَ الْإِنثَى بِهَا لَا يَتَسَتَّرُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ خَلَاعَةً وَ مَجَانَّةً وَ انْهَمَاكَ فِي الْمَعْصِيَةِ وَ كَأَنَّ أَبَا نَوَاسٍ بَنَى عَلَى مَذْهَبِهِمْ قَوْلَهُ * شَعْرٌ * وَبَحٌّ بِاسْمِ مَا تَأْتِي وَ ذَرْئِي مِنَ الْكُنَى * فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سَتَرٌ * أَوْ تُبْصِرُونَ أَثَارَ الْعَصَاةِ قَبْلَكُمْ وَ مَا نَزَلَ بِهِمْ - فَانْ قُلْتَ فَسَرْتُ تُبْصِرُونَ بِالْعِلْمِ وَ بَعْدَهُ [بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ] فَكَيْفَ يَكُونُونَ عُلَمَاءَ جَهْلَاءَ - قُلْتَ ارَادَ تَفْعَلُونَ فَعَلَ الْجَاهِلِينَ بِأَنَّهَا فَاحِشَةٌ مَعَ عِلْمِكُمْ بِذَلِكَ - أَوْ تَجْهَلُونَ الْعَاقِبَةَ - أَوْ ارَادَ بِالْجَهْلِ السَّفَاهَةَ وَ الْمَجَانَّةَ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا - فَانْ قُلْتَ تَجْهَلُونَ صِفَةَ لِقَوْمٍ وَ الْمَوْصُوفُ لَفْظُهُ الْغَائِبُ فَهَلَا طَابَقَتْ الصِّفَةُ الْمَوْصُوفَ فَقَرِئَ بِالْيَاءِ دُونَ الدَّاءِ وَ كَذَلِكَ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَقْتَنُونَ - قُلْتَ اجْتَمَعَتِ الْغَيْبَةُ وَ الْمُخَاطَبَةُ فَغَلِبَتْ الْمُخَاطَبَةُ لِأَنَّهَا أَقْوَى وَ أَرْمَحُ أَصْلًا مِنَ الْغَيْبَةِ - وَ قَرَأَ الْأَعْمَشُ جَوَابَ قَوْمِهِ بِالرَّفْعِ وَ الْمَشْهُورَةُ أَحْسَنُ [يَتَطَهَّرُونَ] يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الْقَانِذِرَاتِ كُلِّهَا فَيُنْكِرُونَ هَذَا الْعَمَلَ الْقَذُورَ وَيُغَيِّظُنَا انْكَارَهُمْ - وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ هُوَ اسْتِهْزَاءٌ - [قَدَّرْنَاهَا] قَدَّرْنَا كَوْنَهَا [مِمَّنِ الْغَابِرِينَ] كَقَوْلِهِ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لِمَنْ الْغَابِرِينَ فَالتَّعْدِيرُ وَاقِعٌ عَلَى الْغَابِرِينَ فِي الْمَعْنَى - أَمْرٌ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْرَأَ هَذِهِ الْآيَاتِ الْوَاطِقَةَ بِالْبَرَاهِينِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَ قُدْرَتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَ حِكْمَتِهِ وَ أَنْ يَسْتَفْتَحَ بِتَحْمِيدِهِ وَ السَّلَامِ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَ الْمُصْطَفِيِّينَ مِنْ عِبَادِهِ وَ فِيهِ تَعْلِيمٌ حَسَنٌ وَ تَوْقِيفٌ عَلَى آدَبٍ جَمِيلٍ وَ بَعْثٌ عَلَى التَّيَمُّنِ بِالذِّكْرِ وَ التَّوَكُّلِ بِهِمَا وَ اسْتِظْهَارِ بِمَكَانِهِمَا عَلَى قَبُولِ مَا يُلْقَى إِلَى السَّامِعِينَ وَ اصْغَائِهِمْ إِلَيْهِ وَ انْزَالِهِ مِنْ قُلُوبِهِمُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي يَبْغِيهَا الْمُسْمَعُ - وَ لَقَدْ تَوَارَثَ الْعُلَمَاءُ وَ الْخُطَبَاءُ وَ الْوُعَاظُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ هَذَا الْآدَبُ فَحَمَدُوا اللَّهَ وَ صَلُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أَمَامَ كُلِّ عِلْمٍ مَقَادٍ وَ قَبْلَ كُلِّ عِظَةٍ وَ تَذَكُّرَةٍ وَ فِي مَقْتَنَجٍ كُلِّ خُطْبَةٍ وَ تَبَعِهِمُ الْمُتَرَسِّلُونَ فَاجْرُوا عَلَيْهِ أَوَائِلَ كُتُبِهِمْ فِي الْفَتْوحِ وَ التَّهْنِئَةِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَوَادِثِ الَّتِي لَهَا شَأْنٌ - وَ قِيلَ هُوَ مُتَّصِلٌ بِمَا قَبْلَهُ وَ أَمْرٌ بِالتَّحْمِيدِ عَلَى الْهَالِكِينَ مِنْ كَفَّارِ الْأُمَمِ وَ الصُّلُوةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَ أَشْيَاعِهِمُ النَّاجِينَ - وَ قِيلَ هُوَ خُطَابٌ لِلَّوْطِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ أَنَّ يُحْمَدُ اللَّهُ عَلَى هَلَاكِ كَفَّارِ قَوْمِهِ وَ يَسَلَّمَ عَلَى مَنْ اصْطَفَاهُ وَ نَجَّاهُ مِنْ هَلَاكِهِمْ وَ عَصَمَهُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ - مَعْلُومٌ أَنَّ لَا خَيْرَ فِيمَا اشْرَكُوا أَصْلًا حَتَّى يَوَازِنَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مَنْ هُوَ خَالِقُ كُلِّ خَيْرٍ وَ مَالِكُهُ وَ أَنَّ هُوَ الزَّامُ لَهُمْ وَ تَبْكِيَّتُكُمْ وَ تَهْتِكُمْ بِحَالِهِمْ وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَثَرُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ

وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِأُولَئِهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ⑤ وَكَرَرُوا مَكْرًا وَكَرَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ⑥
فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ⑦ فَتِلْكَ بَيِّنَاتُ خَارِجَةٍ بِمَا ظَلَمُوا ⑧ إِنِّي
ع ١٨ الجزء ١٩ سورة الزمل ٢٧

[الْمَدِينَةُ] الْحَجَر - واما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس - والفرق بين الرهط والنفران الرهط من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة - والنفر من الثلاثة الى التسعة - واسماؤهم عن وهب - الهذيل بن عبد رب - غنم بن غنم - رباب بن مہرج - مسطع بن مہرج - عمير بن كدبة - عاصم بن مخزومة - سبيط بن صدقة - سمعان بن صفى - قذار بن سالف و هم الذين سَعَوْا في عقر الذاقة و كانوا عُدَّة قوم صالح و كانوا من ابناء اشرافهم [وَ لَا يُصْلِحُونَ] يعنني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصالح [تَقَاسَمُوا] يحتمل ان يكون امرا و خبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين - و قرئ تَقَسَّمُوا - و قرئ لَتَبَيَّنَنَّ بالتاء و الياء و الذون - فَتَقَاسَمُوا مع الذون و التاء يصح فيه الوجهان - و مع الياء لا يصح الا ان يكون خبرا و التقاسم و التقسم كالتظاهر و التظاهر التحالف - و البيئات مباغته العدو ليلا - و عن الاسكندر انه اشير عليه بالبيئات فقال ليس من ائيين الملوك استراق الظفر - و قرئ [مَهْلِكَ] بفتح الميم و اللام و كسرهما من هلك - و مَهْلِكَ بضم الميم من اهلك - و يحتمل المصدر و الزمان و المكان - فان قلت كيف يكونون صادقين و قد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه - قلت كانتهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا و بيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما - و في هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع و نواهيده و لا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله و لم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى سَوَّوا للصدق في خبرهم حيلة يتفصسون بها عن الكذب * مكربهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح و اهله - و مكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شَبَّه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة - روي انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث فنحن نفرغ منه و من اهله قبل الثلث فخرجوا الى الشعب و قالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطَبَّقَت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدركوهم اين هم و لم يدروا ما فعل بقومهم و عَذَّب الله كلاً منهم في مكانه و نجى صالحا و من معه - و قيل جاءوا بالليل شاهري ميوفهم و قد ارسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغهم بالحجارة يرون الحجارة و لا يرون رامياً [إِنَّا دَمَرْنَاهُمْ] استيناف و من قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم - او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكربهم الدمار - [خَاوِيَةً] حال عمل فيها ما دل عليه تِلْكَ - و قرأ عيسى بن عمر خَاوِيَةً بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف - [وَ] اذْكَرَ [لُوطًا] او ارسلنا لوطا لدلالة وَ لَقَدْ ارسلنا

كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ۖ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصُّرْحَ ۚ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صُرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ انِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ع وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا اِلَى ثَمُودَ اَخَاهُمْ صَالِحًا اَنْ اَعْبُدُوا اللّٰهَ فَاِذَا هُمْ فَرِيقَيْنِ يَخْتَصِمُونَ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۚ لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ۝ وَ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْاَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللّٰهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ

فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هواشد وافطع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختر عقلها بتكدير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدماء الا انها شعراء ثم صرف بصره وناداهما [انه صرح ممر من قوارير] - وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان واحبها واقراها على ملكها وامر الجن فبنوا لها سبلحين وعمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلثة ايام وولدت له - وقيل بل زوجه اذ تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان * [ظلمت نفسي] تريد بكفرها فيما تقدم - وقيل حسبت ان سليمان يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني لسليمان * وقرئ ان اعدوا بالضم على اتباع النون الباء - [فريقين] فريق مؤمن وفريق كافر - وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان يؤمن منهم احد [يختصمون] يقول كل فريق الحق معي - السيئة العقوبة - والحسنة التوبة - فان قلت ما معنى استعجالهم بالسبيئة قبل الحسنة واما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احدهما قبل الاخرى - قلت كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخطابهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب [لعلكم ترحمون] تنبيههم لهم على الخطاء فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه * كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مرسانكا تيمن وان بارحا تشاءم فلما فسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائر لك اي قدر الله الغالب الذي ينسب اليه الخير والشر لا طائر لك الذي تشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا [قال طيركم عند الله] اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرّمكم - ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفنة ومنه قوله طيركم معكم - وكل انسان الزمته طيره في عنقه - وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه [تفتنون] تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة -

كَرِيمٌ ۝ قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرَ أَتَهْتَدِي ۚ أَمْ تَكُونُ مِنْ الدِّينِ لَا يَهْتَدُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ط
قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۝ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ط إِنَّهَا

ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم توج لله وقارا [غني] عن الشكر [كريم] بالانعام على من يكفر نعمته
والذي قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه جري على شاكلة ابذاء جنسه من انبياء الله
والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيرون النعمة المودعة بجميل الصبر *
[نكروا] اجعلوه متذكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتذكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه
مؤخرة واعلاه اسفله - وقرئ نَظُرَ بالجزم على الجواب - وبالرفع على الاستيناف [أَتَهْتَدِي] لمعرفته -
او للجواب الصواب اذا سُئِلَتْ عنه - او للدين والايمان بنبوته سليمان اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم
عرشها وقد خافته واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحُرَّاس * [هَكَذَا] ثلث كلمات حرف التنبيه و
كاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل هذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت [كَأَنَّهُ هُوَ]
ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من راحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل [وَأُوتِينَا الْعِلْمَ] من
كلام سليمان وملائته - فان قلت علام عطف هذا الكلام وبم اتصل - قلت لما كان المقام الذي سُئِلَتْ فيه
عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمان وملائته ما يناسب قولهم وَأُوتِينَا الْعِلْمَ نحو
ان يقولوا عند قولها كَأَنَّهُ هُوَ قد اصابنا في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبديهة وقد رزقت الاسلام
وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المندر وبهذه الآية العجيبة من امر
عرشها عطفوا على ذلك قولهم وَأُوتِينَا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم
نزل على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها * [وَصَدَّهَا] عن التقدم
الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهرائي الكفرة - ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها
كَأَنَّهُ هُوَ والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة او قبل هذه الحالة
تعني ما تبين من الآيات عند وفدة المندر ودخلنا في الاسلام ثم قال الله تعالى وَصَدَّهَا قبل ذلك عما
دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل - وقيل وَصَدَّهَا الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار
وايصال الفعل - وقرئ أَنَّهَا بالفتح على انه بدل من فاعل صد أو بمعنى لانها - الصرح القصر - وقيل صحن
الدار - وقرأ ابن كثير سَاقِيَهَا بالهمز وجهه انه سمع مؤوقا فاجرى عليه الواحد - والممرد المملس - و
روي ان سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجري من تحته الماء
وألقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريته في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن
والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين - وزعموا ان الجن كرهوا
ان يتزوجها فتغضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية - وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له

سورة الزمل ٢٧

الجزء ١٩

ع ١٧

لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا آذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ٥ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ٦
 قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ٧ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٍّ أَمِينٌ ٨ قَالَ
 الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ٩ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا
 مِنْ فَضْلِ رَبِّي ١٠ تَفَ لِيَبْدُلُونِي أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ ١١ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ١٢ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ

ملوكا - يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان فجعل عرشها في آخر سبعة إبيات بعضها في بعض في
 آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب وولت به حرسا يحفظونه ولعله أوحى إلى سليمان
 باستيثاقها من عرشها فاراد أن يغرب عليها ويربها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء العجائب على يده
 مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها - وعن قتادة اراد ان يأخذها قبل
 ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ مالها - وقيل اراد ان يوتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتنبته
 ام تذكره اختبارا لعقلها - وقرئ عِفْرِيتٌ والعِفْرِيت والعِفْرِيت والعِفْرِيت والعِفْرِيت من الرجال الخبيث
 المنكر الذي يعقر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان [لقوي] على حملة
 [أمين] أتى به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا أبدله - [الذي عنده] علم من الكتاب رجل كان عنده
 اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم - وقيل يا الهنا والله كل شيء الهأ واحدا لا اله الا انت - وقيل
 يا ذا الجلال والاكرام - وعن الحسن الله والرحمن - وقيل هو اصف بن برخيا كاتب سليمان وكان صديقا عالما -
 وقيل اسمه أسطوم - وقيل هو جبرئيل - وقيل ملك آيد الله به سليمان - وقيل هو سليمان نفسه كانه استبط العفريت
 فقال له انا اريك ما هو اسرع مما تقول - وعن ابن لهيعة بلغني انه اخضر عليه السلام - [علم من الكتاب]
 من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع - وقيل هو اللوح والذبي عنده علم منه جبرئيل عليه السلام -
 واتيك في الموضعين - يجوز ان يكون فعلا واسم فاعل - الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما
 كان الناظر موصوفاً بارسال الطرف في نحو قوله * شعر * وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا * لقلبك يوماً
 اتعبتك المناظر * وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد - ومعنى قوله [قبل ان يرتد إليك طرفك]
 انك ترسل طرفك إلى شيء فقبل ان تردة ابصرت العرش بين يديك - ويروى ان اصف قال لسليمان
 مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا اصف فغار العرش في مكانه بمأرب ثم
 نبغ عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل ان يرد طرفه - ويجوز ان يكون هذا مثلاً لاستقصار مدة المجيء
 به كما تقول لصاحبك افعل كذا في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة
 [يشكر لنفسه] لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط بها النعمة ويستمد المريد -
 وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة - وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار
 وقلما اتشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدع راهدتها بكرم الجوار واعلم ان مبعوغ

أَتَمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا آتَاكُمْ ۚ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ۝ إِرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ

عن اليمين و اليسار ثم قعد على سريره و الكراسي من جانبيه و اصطفت الشياطين صفونا فراسخ و الانس صفونا فراسخ و الوحش و السباع و الهوام و الطيور كذلك فلما دنا القوم و نظروا بهتوا و رأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم و رموا بما معهم و لما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق و قال ما وراءكم و قال اين الحق و اخبره جبرئيل عليه السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا و كذا ثم امر الارضة فاخذت شعرة و نقذت فيها فجعل رزقها في الشجرة و اخذت دودة بيضاء الخيط بفيها و نقذت فيها فجعل رزقها في الفواكه و دعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها و الغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية و قال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبني و ما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف - و في قراءة ابن مسعود فلما جاؤا - أَمِدُّنِي - و قرئ بحذف الياء و الاكتفاء بالكسرة و بالادغام كقوله أَتَحَاجُّونِي و بذون واحدة أَمِدُّنِي - الهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدى و المهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها او اهديت اليه و المضاف اليه ههنا هو المهدى اليه و المعنى ان ما عندي خير مما عندكم و ذاك ان الله اتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر و الغنى الاربع و اتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال و يصانع به [بَلْ أَنْتُمْ] قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فلذلك [تَفْرَحُونَ] بما تزدون و يهدى اليكم لان ذلك مبلغ هممكم و حالي خلاف حالكم و ما ارضى منكم بشيء و لا افرح به الا باليمان و ترك المجوسية - فان قلت ما الفرق بين قولك أَمِدُّنِي بمال و انا اغنى منك و بين ان تقوله بالغاء - قلت اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى و اليسار و هو مع ذلك يمدني بالمال و اذا قلته بالغاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه و عليه ورد قوله فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ - فان قلت وما وجه الاضراب - قلت لما انكر عليهم الامداد و علل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه و هو انهم لا يعرفون سبب رضى و لا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا اللتي لا يعلمون غيرها - و يجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدى و يكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه اللتي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على اهداء مثلها - و يحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تأخذوا هديتكم و تفرحوا بها * [إِرْجِعْ] خطاب للرسل - و قيل للمهدد محملا كتابا آخر [لَا قِبَلَ] لا طاقة و حقيقة القبل المقاومة و المقابلة اي لا تقدر ان تقابلوهم - و قرأ ابن مسعود لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِمْ - و الضمير في مِنْهَا لِسَبَبٍ - و الدل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز و الملك - و الصغار ان يقعوا في اسر و استعباد و لا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ۚ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُوْنَ ۖ قَالُوا نَحْنُ أَوَّلُوْا قُوَّةً وَأَوَّلُوْا بَأْسًا شَدِيْدًا ۚ وَ الْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِيْنَ ۖ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوْا قَرْيَةً أَفْسَدُوْهَا وَ جَعَلُوْا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۚ وَ كَذٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ ۖ وَ أَنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُوْنَ ۖ فَلَمَّا جَاءَ سَلِيْمُنَ قَالَ

الحادثة اشتغلت على طريق الاستعارة من الفتا في السن و المراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي و التدبير و قصدت بالانقطاع اليهم و الرجوع الى استشارتهم و استطلاع آرائهم استعطائهم و تطييب نفوسهم ليما لنهوا و يقوموا معها [قاطعة امرا] فاصلة - وفي قراءة ابن مسعود قاضية اي لا ابنت امرا الا بمحضركم - و قيل كان اهل مشورتها ثلث مائة و ثلثة عشر رجلا كل واحد على عشرة الاف - ارادوا بالقوة قوة الاجساد و قوة الآلات و العدد - و بالبأس النجدة و البلاء في الحرب [و الامر اليك] اي هو موكل اليك و نحن مطيعون لك فمرينا بامرِكَ نطعلك و لا نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال - او ارادوا نحن من ابتداء الحرب لا من ابتداء الرأي و المشورة و انت ذات الرأي و التدبير فانظري ما ذا ترى من نتيج رأيك - لما احسنت منهم الميل الى المحاربة رأت من الرأي الميل الى الصلح و الابتداء بما هو احسن و رتبته الجواب فزيت اول ما ذكره و ارتهم الخطاء فيه [ان الملوك اذا دخلوا قرية] عنوة و قهرا [افسدوها] اي خربوها و من ثمة قالوا للفساد الخربة و اذلوا اعزتها و اهانوا اشرافها و قتلوا و اسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب و سوء مغبتهما ثم قالت [و كذلك يفعلون] ارادت و هذه عادتهم المستمرة الثابتة اللتي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك و رأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية و ما رأت من الرأي الشديد - و قيل هو تصديق من الله لقولها - و قد يتعلق الساعون في الارض بالفساد بهذه الآية و يجعلونها حجة لانفسهم و من استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين [مرسلة اليهم بهدية] اي مرسلة رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي [فنظرة] ما يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك - فروي انها بعثت خمس مائة غلام عليهم ثياب الجواري و حلين الاساور و الاطواق و القرطه راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم و السروج بالذهب المرصع بالجواهر و خمس مائة جارية على رماك في زي الغلمان و القف لبنة من ذهب و فضة و تاجا مكللا بالدر و الياقوت المرتفع و المسك و العنبر و حقا فيه درة عذراء و جزعة معوجة الثقب و بعثت رجلين من اشراف قومها المندربين عمرو و آخر ذا رأي و عقل و قالت ان كان نبيا ميمز بين الغلمان و الجواري و ثقب الدرة ثقبا مستويا و سلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولتك و ان رأيت بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدد فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب و الفضة و فرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ و جعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب و الفضة و امر باحسن الدواب في البر و البحر فربطوها عن يمين الميدان و يساره على اللبن و امر باولاد الجن و هم خلق كثير فاقبوا

سورة النمل ٢٧

الجزء ١٩

ع ١٧

السجدة

وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ ۖ وَمَا تَعْلَنُونَ ۚ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ إِذْ هَبَّ بِكُنْبِي هَذَا فَالَقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتِي بِكِتَابٍ كَرِيمٍ ۝ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ لَا تَعْلَوْا عَلَيَّ وَآتُونِي مُسْلِمِينَ ۝

وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالإضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض - وقرئ العظیم بالرفع * [سَنَنْظُرُ] من النظر الذي هو التأمل والتصفح و اراد اصدققت أم كذبت إلا أن كذبت من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانحراف في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة و اذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به [تَوَلَّى عَنْهُمْ] تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك - و [يَرْجِعُونَ] من قوله تعالى يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ فَيَقَالُ دَخَلَ عَلَيْهَا مِنْ كُوَّةٍ فَالْقَى الْكِتَابَ إِلَيْهَا وَتَوَارَى فِي الْكُوَّةِ - فان قلت لم قال فَالْقَى إِلَيْهِمْ عَلَى لَفْظِ الْجَمْعِ - قلت لانه قال وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ فَقَالَ فَالِقَهُ إِلَى الَّذِينَ هَذَا دِينُهُمْ اهتاما منه بامر الدين و اشتغالا به عن غيره و بنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك [كَرِيمٌ] حسن مضمونه وما فيه - او وصفته بالكرم لانه من عند ملك كريم - او مختوم قال صلى الله عليه و آله وسلم كرم الكتاب ختمه - و كان صلى الله عليه و آله وسلم و سلم و يكتب الى العجم ف قيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما - و عن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا و لم يختمه فقد استخف به - و قيل مصدر بسم الله الرحمن الرحيم * هو استيناف وتبيين لما ألقى اليها كانها لما قالت اني ألقى الي كتاب كريم قيل لها ممن هو و ما هو فقالت انه من سليمان و انه كيت و كيت - و قرأ عبد الله و انه من سليمان - و انه عطا على اني - و قرئ انه من سليمان - و انه بالفتح على انه بدل من كتب كانه قيل القى الي انه من سليمان - و يجوز ان تريد لانه من سليمان و لانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمان و تصديره باسم الله - و قرأ أبي أن من سليمان و أن بسم الله على أن المفسرة - و أن في [لَا تَعْلَوْا] مفسرة ايضا - لَا تَعْلَوْا لَا تَكْبُرُوا كما يفعل الملوك - و قرأ ابن عباس بالغين معجمة من الغلو و هو مجاوزة الحد - يروى ان نسخة الكتاب - من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي و آتوني مسلمين - و كانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرن و طبع الكتاب بالمسك و ختمه بخاتمه فوجدها الهدد راقدة في قصرها بمأرب و كانت اذا رقدت غلقت الابواب و وضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة و طرح الكتاب على نحرها و هي مستلقية - و قيل نقرها فانتهت فزعزعة - و قيل اتاها و القادة و الجنود حوالتيها فزفر ساعة و الناس ينظرون حتى رفعت رأسها فالقى الكتاب في حجرها و كانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فاما رأت الخاتم ارتعدت و خضعت و قالت لقومها ما قالت - [مُسْلِمِينَ] منقادين او مؤمنين - الفتوى الجواب في

سورة النمل ٢٧ لَّهُمَّ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝ إِلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ

الجزء ١٩

ع ١٩

بَوْنٌ بَعِيدٌ - فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ خَفِيَ عَلَى سَلِيمُنْ مَكَانَهَا وَكَانَتْ الْمَسَافَةُ بَيْنَ مَحَطَّةٍ وَبَيْنَ بَلَدِهَا قَرِيبَةً وَهِيَ مَسِيرَةٌ ثَلَاثُ بَيْنَ صَنْعَاءَ وَمَأْرَبَ - قُلْتَ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْفَى عَنْهُ ذَلِكَ لِمَصْلَحَةٍ رَأَاهَا كَمَا اخْفَى مَكَانَ يَوْسُفَ عَلَى يَعْقُوبَ - فَإِنْ قُلْتَ مَنْ آوَى الْهَدَّادَ الْتَهْتَدِي إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَجُوبُ السَّجْدِ لَهُ وَانْكَارُ سَجْدِهِمْ لِلشَّمْسِ وَاضَافَتُهُ إِلَى الشَّيْطَانِ وَتَزْيِينُهُ - قُلْتَ لَا يَبْعَدُ أَنْ يُلْهِمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ كَمَا الْهِمَّهُ وَغَيْرُهُ مِنَ الطَّيُورِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانَ الْمَعَارِفِ اللَّطِيفَةِ الَّتِي لَا يَكُنَّ الْعُقْلَاءُ الرَّجَاحُ الْعُقُولُ يَهْتَدُونَ لَهَا وَمَنْ أَرَادَ اسْتِقْرَاءَ ذَلِكَ فَعَلِيهِ بَكْتَابُ الْحَيَوَانَ خُصُوصًا فِي زَمَنِ نَبِيِّ سَخَّرَتْ لَهُ الطَّيُورُ وَعُلْمَ مَنْطِقِهَا وَجَعَلَ ذَلِكَ مُعْجَزَةً لَهُ * مَنْ قَرَأَ بِالتَّشْدِيدِ أَرَادَ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ لِأَنَّهُ لَا يَسْجُدُوا فَحَذَفَ الْجَارَ مَعَ أَنْ - وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لَا مَزِيدَةَ وَيَكُونُ الْمَعْنَى فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى أَنْ يَسْجُدُوا - وَمَنْ قَرَأَ بِالتَّخْفِيفِ فَهُوَ أَلَّا يَأْسَجُدُوا أَلَّا لِلتَّذْيِيبِ وَبِأَحْرَفِ الذِّدَاءِ وَمَذَادَاهِ مَحْذُوفٌ كَمَا حَذَفَهُ مَنْ قَالَ * ع * أَلَا يَا أَسْلِمِي يَا دَارِمِي عَلَى الْبَلَى * وَفِي حَرْفِ عَبْدَ اللَّهِ وَهِيَ قِرَاءَةُ الْأَعْمَشِ هَلَّا وَهَلَّا بِقَلْبِ الْهَمْزَيْنِ هَاءَ - وَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ هَلَّا تَسْجُدُونَ بِمَعْنَى أَلَّا تَسْجُدُونَ عَلَى الْخُطَابِ - وَفِي قِرَاءَةِ أَبِي الْأَسْجُدُونَ لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاسْمِي الْمَخْبُوءُ بِالمصدر وهو الذُّبَابُ وَالمطر وغيرهما مما خُباها عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غِيُوبِهِ - وَقَرِئَ الْخَبْءُ عَلَى تَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ بِالْحَذْفِ - وَالْخَبْءُ عَلَى تَخْفِيفِهَا بِالقَلْبِ وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ وَمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ وَجُوهَا أَنْ تُخْرِجَ عَلَى لُغَةٍ مَنْ يَقُولُ فِي الْوَقْفِ هَذَا الْخَبْرُ وَرَأَيْتُ الْخَبْرَ وَرَأَيْتُ الْخَبْرَ ثُمَّ أَجْرِي الْوَصْلَ مَجْرَى الْوَقْفِ لَا عَلَى لُغَةٍ مَنْ يَقُولُ الْكَمَاةَ وَالْحَمَاةَ لِأَنَّهَا ضَعِيفَةٌ مُسْتَرْذَلَةٌ - وَقَرِئَ يُخْفُونَ وَيُعْلِنُونَ بِالدَّاءِ وَالتَّاءِ - وَقِيلَ مَنْ أَحْطَتْ إِلَى الْعَظِيمِ هُوَ كَلَامُ الْهَدَّادِ - وَقِيلَ كَلَامُ رَبِّ الْعِزَّةِ - وَفِي اخْرَاجِ الْخَبْءِ إِمَارَةٌ عَلَى أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ الْهَدَّادِ لِهَذَا سَمَّاهُ وَمَعْرِفَتُهُ الْمَاءُ تَحْتَ الْأَرْضِ وَذَلِكَ بِالْهَامِ مَنْ يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَلَطْفُ عِلْمِهِ وَلَا يَكُنَّ تَخْفَى عَلَى ذِي الْفِرَاسَةِ النَّظَارِ بِزُورِ اللَّهِ مَخَائِلُ كُلِّ مَخْتَصٍ بِصُنَاعَةٍ أَوْ فَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ فِي رُؤَايِهِ وَمَنْطِقِهِ وَشَمَائِلِهِ وَلِهَذَا وَرَدَ مَا عَمِلَ عَبْدُ عَمَلٍ إِلَّا الْقَى اللَّهُ عَلَيْهِ رَدَاءَ عَمَلِهِ - فَإِنْ قُلْتَ السَّجْدَةُ التَّلَاوَةُ وَاجِبَةٌ فِي الْقِرَاءَتَيْنِ جَمِيعًا أَمْ فِي أَحَدِهِمَا - قُلْتَ هِيَ وَاجِبَةٌ فِيهِمَا جَمِيعًا لِأَنَّ مَوَاضِعَ السَّجْدَةِ أَمَّا امْرُؤُهَا أَوْ مَدْحُ لِمَنْ أَتَى بِهَا أَوْ ذَمُّ لِمَنْ تَرَكَهَا وَاحِدَتِي الْقِرَاءَتَيْنِ أَمْرٌ بِالسَّجْدِ وَالأُخْرَى ذَمٌّ لِلتَّارِكِ - وَقَدْ اتَّفَقَ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ عَلَى أَنَّ سَجْدَاتِ الْقُرْآنِ أَرْبَعُ عَشْرَةٍ وَأَمَّا اخْتِلَافُ فِي سَجْدَةٍ صَ فَهِيَ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ سَجْدَةُ تِلَاوَةٍ وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ سَجْدَةُ شُكْرِ وَفِي سَجْدَتِي سُورَةِ الْحَجِّ - وَمَا ذِكْرُ الزَّجَاجِ مِنْ وَجُوبِ السَّجْدَةِ مَعَ التَّخْفِيفِ دُونَ التَّشْدِيدِ فَغَيْرُ مَرْجُوعٍ إِلَيْهِ - فَإِنْ قُلْتَ هَلْ يَفْرُقُ الْوَاقِفُ بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ - قُلْتَ نَعَمْ إِذَا خَفَّفَ وَقَفَ عَلَى فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ثُمَّ ابْتَدَأَ أَلَّا يَسْجُدُوا وَإِنْ شَاءَ وَقَفَ عَلَى أَلَّا يَأْتِيَ ثُمَّ ابْتَدَأَ اسْجُدُوا وَإِذَا شَدَّدَ لَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ - فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ سَوَّى الْهَدَّادُ بَيْنَ عَرْشِ بَلْقَيْسَ وَعَرْشِ اللَّهِ فِي الْوَصْفِ بِالْعَظَمِ - قُلْتَ بَيْنَ الْوَصْفَيْنِ بَوْنٌ عَظِيمٌ لِأَنَّ

تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝ وَجَدَّتْهَا رَقُومُهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ وَزَيْنُ

سورة الزمل ٢٧

الجزء ١٩

ع ١٩

واضعه من احاط علماً بما لم يحط به ليتحاذر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفاً له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة بالشيء علماً ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم - قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه - [سبأ] قرئ بالصرف ومنعه - وقد روي بسكون الباء - وعن ابن كثير في رواية ميم بالالف كقولهم ذهبوا ايدي سبا وهو ميم بن يشجب بن يعرب بن قحطان - فمن جعله اسماً للقبيلة لم يصرف - ومن جعله اسماً للحكي او الاب الكبير صرف قال * شعر * من سبأ الحاضرين مأرب اذ * يبنون من دون سبيله العرما * وقال * شعر * الواردون وتيم في ذرى سبأ * قد عَضَ اعناقهم جلد الجواميس * ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وينفها وبين صنعاء مسيرة ثلث كما سميت معافر بمعافر بن اذ - ويحتمل ان يراد المدينة والقوم - والنبأ الخبر الذي له شان - وقوله من سبأ نبياً من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط ان يجيء مطبوعاً او يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائداً على الصحة فحسن وبدع لفظاً ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان نبياً بخبر كان المعنى صحيحاً وهو كما جاء اصح لما في النبأ من الزيادة اللتي يطابقها وصف الحال - المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون ملكاً ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس - والضمير في [تَمْلِكُهُمْ] راجع الى سبأ - فان اريد به القوم فالامر ظاهر - وان اريدت المدينة فمعناه تملك اهليها - وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعاً في ثمانين وسمكه ثمانين - وقيل ثلثين مكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللاً بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر و زمرد وعليه سبعة ابدان على كل بيت باب مغلق - فان قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان - قلت يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش - ويجوز ان لا يكون سليمان مثله وان عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض امراء الاطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم امرهم ويستخدمهم - ومن نوكت القصص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من استعظم الهدد عرشها فوق في عظمة وهي مسخ كتاب الله - فان قلت كيف قال [وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ] مع قول سليمان وَاُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ كانه سوى بينهما - قلت بينهما فرق بين لان سليمان عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطلق الطير فرجع اولاً الى ما اوتي من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا - وعطفه الهدد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين

مُبِينٍ ۝ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ۝ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً

خضرتها فنزل ليتغذى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدد قنأقه وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاج فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسليخ الالهاب ويستخرجون الماء فتفقدده لذلك وحين نزل سليمان خلق الهدد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر - وذكر انه وقعت نفخة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدد خال فدعا عفريت الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قوالك واقدرك علي ارحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبك قال وما استثنى قالت بلى اوليائتي بعذر مبين فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحه يجرها على الأرض تواضعا له فلما دنى منه اخذ برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله - تعذيبه ان يؤتب بما يحتمله حاله ليعتبر به ابنا جنسه - وقيل كان عذاب سليمان للطيران ينتف ريشه ويشمسه - وقيل ان يطلي بالقطران ويشمس - وقيل ان يلقي للنمل تاكله - وقيل ايداعه القفص - وقيل التفريق بينه وبين الفه - وقيل لالزمته صحبة الاضداد - وعن بعضهم اضيق السجون معاشره الاضداد - وقيل لالزمته خدمة اقرانه - فان قلت من اين حل له تعذيب الهدد - قلت يجوز ان يبيح الله ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر له من اجله الا بالتأديب والسياسة جاز ان يباح له ما يستصلح به - وقرئ لَيَأْتِيَنِي - و لَيَأْتِيَنَّ - والسلطان الحجّة والعذر - فان قلت قد حلف على احد ثلثة اشياء فحلفه على فعله لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدد ومن اين درى انه يأتي بسطان حتى يقول والله لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ - قلت لما نظم الثلثة بأمر في الحكم الذي هو الحلف ال كلامه الى قولك ليكون احد الامور يعني ان كان الاتيان بالسultan لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه سيأتيه بسطان مبين فثلث بقوله اوليائتي بسطان مبين عن دراية وإيقان - [فَمَكَثَ] قرئ بفتح الكاف وضمها [غَيْرَ بَعِيدٍ] غير زمان بعيد كقوله عن قريب - ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسرعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخر له ولبيان ما اعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله تعالى [أَحَطْتُ] بادغام الطاء في التاء باطباق و بغير اطلاق ألهم الله الهدد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمّة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيهه على ان في ادنى خلقه

وَجَنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي إِن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَالِدَيَّ وَآلِيَّ وَآنِ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ۝ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ
فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّ هُدًى أَمْ كَانِ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝ لَا عَذَابَ لَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذُبْحَنَ أَوْ لِيَاثِينَ بِسُلْطَانٍ

سورة النمل ٢٧

الجزء ١٩

ع ١٦

مَسَكْنَكُمْ - وَلَا يَحْطِمَنَّكُمْ بِتَخْفِيفِ الذُّنُوبِ - وَ قَرِئَ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ بِفَتْحِ الْحَاءِ وَ كَسْرِهَا وَ اَصْلُهُ يَحْطِمُكُمْ وَ لَمَّا
جَعَلَهَا قَائِلَةً وَ الذَّمْلَ مَقُولًا لَهُمْ كَمَا يَكُونُ فِي أَوَّلَى الْعَقْلِ اجْرَى خُطَابُهُمْ مَجْرَى خُطَابِهِمْ - فَانْ قُلْتُ
لَا يَحْطِمَنَّكُمْ مَا هُوَ - قَامَتْ يَحْتَمِلُ - اِنْ يَكُونُ جَوَابًا لِلْأَمْرِ - وَ اِنْ يَكُونُ نَهْيًا بَدَلًا مِنَ الْأَمْرِ وَ الَّذِي جَوَزَ
اِنْ يَكُونُ بَدَلًا مِنْهُ اِنَّهُ فِي مَعْنَى لَا تَكُونُوا حَيْثُ أَنْتُمْ فَيَحْطِمَنَّكُمْ عَلَى طَرِيقَةِ لَارَيْتَكَ هَهُنَا اِرْأَى لَا يَحْطِمَنَّكُمْ
جَنُودُ سَلِيمُنَ فَجَاءَ بِمَا هُوَ ابْلَغُ وَ نَحْوُهُ عَجَبْتُ مِنْ نَفْسِي وَ مِنْ اِسْفَاقِهَا - وَ مَعْنَى [تَبَسَّمَ ضَاحِكًا] تَبَسَّمَ
شَارِعًا فِي الضَّحْكِ وَ اخَذًا فِيهِ يَعْنِي اِنَّهُ قَدْ تَجَاوَزَ حِدَّةَ التَّبَسُّمِ إِلَى الضَّحْكِ وَ كَذَلِكَ ضَحَكَ الْأَنْبِيَاءُ -
وَ اِمَّا مَا رَوَى اَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ ضَحَكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَالْغَرَضُ الْمُبَالِغَةُ فِي
وَصْفِ مَا رُجِدَ مِنْهُ مِنَ الضَّحْكِ الذَّبُوبِيِّ وَ لَا فَبَدَتْ النَوَاجِذُ عَلَى الْحَقِيقَةِ اِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ اِلِسْتِغْرَاقٍ - وَ قَرَأَ
ابْنُ السَّمِيعَةِ ضَحْكًا - فَانْ قُلْتُ مَا اِضْحَكَهُ مِنْ قَوْلِهَا - قُلْتُ شَيْئَانِ - اِعْجَابُهُ بِمَا دَلَّ مِنْ قَوْلِهَا عَلَى ظُهُورِ
رَحْمَتِهِ وَ رَحْمَةِ جَنُودِهِ وَ شَفَقَتِهِمْ وَ عَلَى شَهْرَةِ حَالِهِ وَ حَالِهِمْ فِي بَابِ التَّقْوَى وَ ذَلِكَ قَوْلُهَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
تَعْنِي اِنَّهُمْ لَوْ شَعَرُوا لَمْ يَفْعَلُوا - وَ سُرُورُهُ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِمَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنْ اِدْرَاكِهِ بِسَمْعِهِ مَا هَمَسَ بِهِ بَعْضُ
الْحُكْلِ الَّذِي هُوَ مِثْلُ فِي الصَّغْرِ وَ الْقَلَّةِ وَ مِنْ اِحَاطَتِهِ بِمَعْنَاهُ وَ لِذَلِكَ اِشْتَمَلَتْ دَعَاؤُهُ عَلَى اسْتِيزَاعِ اللَّهِ
شُكْرَ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَ عَلَى اسْتِيفَاكِهِ لَزِيَادَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَ التَّقْوَى وَ حَقِيقَةِ ارْزُقْنِي اَجْعَلْنِي
ارْزُقْ شُكْرَ نِعْمَتِكَ عِنْدِي وَ اَنْفَقْ لَا يَنْفَلِتْ عَنِّي حَتَّى لَا أَنْفَلَكَ شَاكِرًا لَكَ - وَ اِنَّمَا اُدْرَجَ ذِكْرُ
وَالِدَيْهِ لِأَنَّ النِّعْمَةَ عَلَى الْوَالِدِ نِعْمَةٌ عَلَى الْوَالِدَيْنِ خُصُوصًا النِّعْمَةُ الرَّاجِعَةُ إِلَى الدِّينِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ تَقِيًّا
نَفَعَهُمَا بِدَعَائِهِ وَ شَفَاعَتِهِ وَ بِدَعَاءِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمَا كَلِمَا دَعَا لَهُ وَ قَالُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَ عَنِ الْوَالِدَيْنِ - وَ رَوَى
اَنْ النَّمْلَةَ احْسَتْ بِصَوْتِ الْجَنُودِ وَ لَا تَعْلَمُ اَنْهُمْ فِي الْهَوَاءِ فَامْرُؤُا سَلِيمُنَ الرِّيحَ فَوَقَفَتْ لَهَا يُدْعَرْنَ حَتَّى
وَدَخَلَ مَسَاكِنَهُنَّ ثُمَّ دَعَا بِالدَّعْوَةِ وَ مَعْنَى [وَادْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ] وَ اَجْعَلْنِي
مِنْ اَهْلِ الْجَنَّةِ • أَمْ هِيَ الْمَنْقُطَةُ نَظَرًا إِلَى مَكَانِ الْهَدَّ هُدًى فَلَمْ يَبْصُرْهُ فَقَالَ [مَا لِيَ لَا أَرَاهُ] عَلَى
مَعْنَى اِنَّهُ لَا يَرَاهُ وَ هُوَ حَاضِرٌ لِسَائِرِ سَنَنِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ لَاحَ لَهُ اِنَّهُ غَائِبٌ فَاضْرَبَ عَنْ ذَلِكَ وَ اخَذَ
يَقُولُ أَهْوَ غَائِبٌ كَأَنَّهُ يَسْأَلُ عَنْ صِحَّةِ مَا لَاحَ لَهُ وَ نَحْوُهُ قَوْلُهُمْ اِنَّهَا لِابْلُ أَمْ شَاءَ - وَ ذَكَرَ مِنْ قِصَّةِ الْهَدَّ هُدًى
اَنْ سَلِيمُنَ حِينَ تَمَّ لَهُ بِنَاءُ بَيْتِ الْمَقْدَسِ تَجَهَّزَ لِلْحَجِّ بِحِشْرَةٍ فَوَافَى الْحَرَمَ وَ أَقَامَ بِهِ مَا شَاءَ وَ كَانَ يَقْرُبُ
كُلَّ يَوْمٍ طَوْلَ مَقَامِهِ بِخَمْسَةِ آلَافِ نَاقَةٍ وَ خَمْسَةِ آلَافِ بَقَرَةٍ وَ عِشْرِينَ آلَافَ شَاةٍ ثُمَّ عَزَمَ عَلَى السَّيْرِ إِلَى الْيَمَنِ
فَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ صَبَاحًا يَوْمَ سَهِيلًا فَوَافَى مَنَعَاءَ وَقْتُ الزَّوَالِ وَ ذَلِكَ مَسِيرَةُ شَهْرِ فَرَأَى اَرْضًا حَسَنًا اِعْجَبَتْهُ

فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا اتُّوْا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمٰنُ

احدهما ان يريد نفسه و اياه - والثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته و حاله اللتي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك و تفتحه و اظهار ائنيذته و سياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا - وقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يفعل نحواً من ذلك اذا وفد عليه وفد او احتاج ان يرجع في عين عذر الا ترى كيف امر العباس بأن يحبس ابا سفيان حتى تمر عليه الكتائب - روي ان معسكرة كان مائة فرسخ في مائة - خمسة و عشرون للجن - و خمسة و عشرون للاناس - و خمسة و عشرون للطير - و خمسة و عشرون للوحش - و كان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلث مائة منكوحة و سبعمائة سرية - وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب و ابريسم فرسحا في فرسخ و كان يوضع منبره في وسطه و هو من ذهب فيقع عليه و حوله ست مائة الف كرسي من ذهب و فضة فيقع الانبياء على كرسي الذهب و العلماء على كرسي الفضة و حولهم الناس - و حول الناس الجن و الشياطين و تظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس و ترفع ربح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر - و يروى انه كان يأمر الريح العاصف تحمله و يأمر الرخاء تسيره فاروحى الله اليه و هو يسير بين السماء و الارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا ألقته الريح في سمعك - فيحكى انه مر بحرات فقال لقد اوتي ال داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل و مشى الى الحرات و قال انما مشيت اليك لئلا تفتني ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتي ال داود [يُوزَعُونَ] يحبس اولهم على اخرهم اي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد و ذلك للكثرة العظيمة * قيل هو واد بالشام كثير النمل - فان قلت لم عدي اتوا بعلي - قلت يتوجه على معنيين - احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتي بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب * ع * و لشدة ما قربت عليك الانجم * لما كان قربا من فوق - و الثاني ان يراد قطع الوادي و بلوغ آخره من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه و بلغ آخره كانهم ارادوا ان يغزلوا عند مقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم - و قرى نملة - يأيها النمل بضم الميم - و بضم النون و الميم و كان الاصل النمل بوزن الرجل و النمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع في السبع - قيل كانت تمشي و هي عرجاء تتكاسر فنادت يأيها النمل الآية فسمع سليمان كلامها من ثلثة اميال - و قيل كان اسمها طاخية - و عن قتادة انه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوا عما شئتم و كان ابو حنيفة حاضرا و هو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسأله فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى ف قيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله و هو قوله قَالَتْ نَمْلَةٌ و لو كانت ذكرا لقال قال نملة و ذلك ان النملة مثل الحمامة و الشاة في وقوعها على الذكر و الانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر و حمامة انثى و هو و هي - و قرى

وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۗ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ۝ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ

سورة النمل ٢٧

الجزء ١٩

ع ١٦

فعلا به وعلماه و عرفا حق النعمة فيه والفضيلة [وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا] - والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير و فضل عليهما كثير - وفي الآية دليل على شرف العلم و اضافة محله و تقدم حملته و اهله و ان نعمة العلم من اجل النعم و اجزل القسم و ان من اوتيها فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَ مَا سَمَاهُمْ رَسُولَ اللَّهِ وَرِثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا لِمَدَانَاتِهِمْ لِمَ فِي الشَّرَفِ وَ الْمَنْزِلَةِ لَانَّهُم الْقَوَامُ بِمَا بَعَثُوا مِنْ أَجَلِهِ - وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الغاضلة لوازم منها ان يحمداوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم - وفيها التذكير بالتواضع و ان يعتقد العالم انه و ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم و ما احسن قول عمر كل الناس افقه من عمر - وَرِثَ مِنْهُ الذَّبُورَ وَ الْمَلِكُ دُونَ سَائِرِ بَنِيهِ وَ كَانُوا تِسْعَةَ عَشَرَ وَ كَانَ دَاوُدُ أَكْثَرَ تَعَبًا وَ سُلَيْمَانُ أَقْصَى وَ اشكر لنعمة الله [وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ] تشهيرا لنعمة الله و تنويها بها و اعترافا بمكانها و دعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة اللتي هي علم منطق الطير و غير ذلك مما اوتيها من عظام الامور - و المنطق كل ما يصوت به من المفرد و المؤلف المفيد و غير المفيد - و قد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق و ما اصلاح فيه الا مفردات الكلم - و قالت العرب نطقت الحمامة و كل صنف من الطير يتفاهم اصواته و الذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه و اغراضه - و يحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه و يميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله و نبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمره فعلى الدنيا العفاء - و صاحته فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا - و صاح طائوس فقال يقول كما تدين تدان - و صاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون - و صاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت و كل جديد بال - و صاح خطاف فقال يقول قد صموا خيرا تجدوه - و صاحته رخمة فقال تقول سبحان ربّي الاعلى ملائسمائه و ارضه - و صاح قمرى فاخبر انه يقول سبحان ربّي الاعلى - و قال الحداة يقول كل شيء هالك الا الله - و القطاة تقول من سكت سلم - و الببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه - و الديك يقول اذكروا الله يا غافلون - و النسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت اخرك الموت - و العقاب يقول فى البعد من الناس انس - و الضفدع يقول سبحان ربّي القدوس - و اراد بقوله [مِنْ كُلِّ شَيْءٍ] كثرة ما اوتي كما تقول فلان يقصده كل واحد و يعلم كل شيء تريد كثرة قصاده و رجوعه الى غزارة فى العلم و استكثار منه و مثله قوله وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ [إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ] قول و ارد على مبيد الشكر و المحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انا سيد ولد آدم و لا فخر ابي اقول هذا القل شكروا و لا اقلوه فخرا - فان قلت كيف قال علمنا و اوتينا و هو من كلام المتكبرين - قلت فيه وجهان -

ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ
 آيَاتِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۖ وَجَحَدُوا بِهَا
 وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ

بمعنى لكن لانه لما اطلق نفى الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطوره الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى
 ولكن من ظلم منهم اي فرطت منهم صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من ادم و يونس وداود
 وسليمان واخوة يوسف ومن موسى بوكزة القبطي - ويوشك ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من
 موسى وهو من التعريضات الذي يلطف مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي
 فَاغْفِرْ لِي - والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب - وقرئ الآ من ظلم بحرف التنبيه - وعن ابي
 عمرو في رواية عصمة حسنا * [فِي تِسْعِ آيَاتٍ] كلام مستأنف و حرف الجر فيه يتعلق بمحذوف
 والمعنى اذهب فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَنَحْوِهِ * شعر * فقلت الى الطعام فقال منهم * فريق يحسد
 النَّاسَ الطعاما * ويجوز ان يكون المعنى والى عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في جملة
 تسع آيات وعدادهن - ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد - والعصا - والتسعة -
 الفلق - والطوفان - والجراد - والقمل - والضفادع - والدم - والطمسة - والجذب في بواديهم - والنقصان
 في مزارعهم - المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأملها لانهم لابسوها وكانوا
 بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها - ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة اولى العقل
 وان يراد ابصار فرعون وملائته لقوله فَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ - او جعلت كأنها تبصر فتهدى لان العمي لا تقدر
 على الاهتداء فضلا ان تهدى غيرها ومنه قولهم كلمة عيذاء وكلمة عواء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة
 تغوي ونحوه قوله تعالى لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بِصَافِرٍ فَوَصَّاهَا بالبصارة كما
 وصفها بالابصار - وقرأ علي بن الحسين رضي الله عنهما وقنادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبجلة ومجفرة اي
 مكانا يكثر فيه التبصر - الواو في واستيقنتها وا الحال وقد بعدها مضمرة - والعلو الكبر والترفع عن الايمان
 بما جاء به موسى كقوله فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِبَدُونَ -
 و قرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا - وفائدة ذكر الانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها
 في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم افحش من
 ظلم من اعتقد واستيقن انها آيات بيينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بيتنا مكشونا
 لا شبهة فيه * [عِلْمًا] طائفة من العلم - او علما سنيا غزيرا - فان قلت اليس هذا موضع الغاء دون الواو
 كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر - قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قاله بعض ما احدث
 فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجهه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد آتيتهما علما

مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ط وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ٥ يَمُوسَىٰ أَنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٦ وَالْقِيَاسُ ط
فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ط يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ٧ إِلَّا مَنْ

جميعا وهما العزبان عز الدنيا وعز الآخرة - [أَنْ] هي المفسرة لان الذداء فيه معنى القول والمعنى قيل له
بُورِكَ - فَاَنْ قُلْتَ هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نُودِيَ بانه بُورِكَ والضمير ضمير الشأن -
قُلْتَ لانه لابد من قد - فَاَنْ قُلْتَ فعلى اضرارها - قُلْتَ لا يصح لانها علامة لا تحذف - ومعنى [بُورِكَ
مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا] بُورِكَ مَنْ فِي مَكَانِ النَّارِ وَمَنْ حَوْلَ مَكَانِهَا - ومكانها البقعة التي حصلت فيها
وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ وَتَدَلَّ
عليه قراءة أَبِي تَبْرَكَتِ الْأَرْضُ وَمَنْ حَوْلَهَا - وعنه بُورِكَ النَّارُ - والذي بُورِكَت له البقعة وبورك من
فيها وحواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه
وَرَبَّ خَيْرٍ يَنْجِدُ فِي بَعْضِ الْبَقَاعِ فَيَنْشُرُ اللَّهُ بَرَكَهَ ذَلِكَ الْخَيْرِ فِي أَقْصَاهَا وَيَبْثُ أَثَارَ بَمْنِهِ فِي أَبْعَادِهَا
فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة - وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى
والملئكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من
ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام بالبركات موسومة في قوله وَنَجَّيْنَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
لِلْعَالَمِينَ وَحَقَّتْ أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ فَهِيَ مَبْعَثُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ إِلَيْهِمْ وَكَفَاتِهِمْ أَحْيَاءُ وَأَمْوَاتًا - فَاَنْ قُلْتَ
فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه - قُلْتَ هي بشارة له بانه قد قُضِيَ امر عظيم تنتشر
منه في ارض الشام كلها البركة [وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ] تعجيب لموسى من ذلك وايدان بان ذلك الامر
مريده ومكونه رب العالمين تنبيهها على ان الكائن من جلائل الامور وعظام الشؤون * الهاء في [أَنَّهُ] يجوز -
ان يكون ضمير الشأن والشأن أَنَا اللَّهُ مبتدأ وخبر - و [الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] صفتان للخبر - وان يكون راجعا
الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك أَنَا وَاللَّهُ بَيَانُ لَنَا وَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ صفتان للمبين وهذا تمهيد
لما اراد ان يظهره على يده من المعجزة يريد ان القوي القادر على ما يبعد من الوهام كقلب العصا حية الفاعل
كل ما افعله بحكمة وتدبير - فَاَنْ قُلْتَ علام عطف قوله [وَالْقِيَاسُ] - قُلْتَ على بُورِكَ لان المعنى نُودِيَ ان
بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وان الْقِيَاسُ كلاهما تفسير لنُودِيَ والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الْقِيَاسُ
والدليل على ذلك قوله تعالى وَأَنْ الْقِيَاسُ بعد قوله أَنَّ يَمُوسَى أَنِّي أَنَا اللَّهُ على تكرير حرف التفسير كما
تقول كتبت اليك ان حُجَّ وان اعتمر وان شئت ان حُجَّ واعتمر - وقرأ الحسن جَانٌّ على لغة من يجتد
في الهرب من اللقاء الساكنين فيقول شَابَةٌ وَدَابَّةٌ ومنها قراءة عمرو بن عبيد وَلَا الضَّالِّينَ [لَمْ يُعَقِّبْ] لم
يرجع يقال عقب المقاتل اذا كثر بعد الفرار قال * شعر * فما عقبوا ان قيل هل من معقب * ولا نزلوا يوم
الكريهة منزلا * وانما رُعب لظنه ان ذلك الامر اراد به ويدل عليه إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ - [إِلَّا]

هـ سورة الزمل ٢٧ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ اَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝ اُولَٰئِكَ الَّذِيْنَ لَهُمْ سُوْءُ
الْجِزْءِ ١٩ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْاٰخَسَرُوْنَ ۝ وَاَنْتَ لَتَلَقَّيَ الْقُرْآنَ مِنْ اَدْنٰى حَكِيْمٍ عَلِيْمٍ ۝ اِذْ قَالَ مُوسٰى لاهله اِنِّيْ
ع ١٥ اَنْسَيْتُ نَارًا ۖ مَا تَبَيَّنَّ مِنْهَا بَخْبَرٌ اَوْ اَتَيْكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُوْنَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ اَنْ بُورِكَ
الثلث

العاقبة يحملهم على تحمّل المشاق - فان قلت كيف اسند تزوين اعمالهم الى ذاته و قد اسنده الى
الشيطان في قوله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ اَعْمَالَهُمْ - قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة
واسناده الى الله عز وجل مجاز - وله طريقان في علم البيان - احدهما ان يكون من المجاز الذي يُسمى الاستعارة -
والثاني ان يكون من المجاز الحكمي - فالطريق الاول انه لما تمتعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام
الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرحهم واثارهم الروح والترفه ونفارهم عما
يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارت الملكة في قولهم
وَلٰكِنْ مَّتَّعْتَهُمْ وَاَبَاءَهُمْ حَتّٰى نُسُوا الَّذِيْ كُفِّرْ - والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزبن
لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات - وقيل هي اعمال الخير
التي وجب عليهم ان يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن - والعمة التحير والتردد
كما يكون حال الضال عن الطريق - وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رأيت
الناس عمهين اراهم متوردين في اعمالهم واشغالهم - [سورة العذاب] القتل والسر يوم بدر - و [الآخسرون]
اشد الناس خسرا لانهم لو اامنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب
الله * [لَتَلَقَّيَ الْقُرْآنَ] لتواتره وتلقنه [مِنْ] عند ابي [حكيمة] و ابي [عليمة] وهذا معنى مجيئهما نكرتين و
هذه الآية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق
علمه * [اِنَّ] منصوب بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من اثار حكمته وعلمه قصة موسى -
ويجوز ان ينتصب بعليمة - وروي انه لم يكن مع موسى غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك
ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله اَمْكُثُوا - الشهاب الشعلة - والقبس النار المقبوسة - و اضاف الشهاب
الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس - ومن قرأ بالتفويض جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى
القبس - والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله - فان قلت [مَا تَبَيَّنَّ مِنْهَا بَخْبَرٌ] - وَلَعَلِّيْ
اَتَيْكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ كالمتمدافعين لان احدهما ترجح والاخر يتيقن - قلت قد يقول الراجي اذا قوي رجاءه سافعل
كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة - فان قلت كيف جاء بسين التسوييف - قلت عدة لاهله انه ياتيهم
به و ان ابطأ او كانت المسافة بعيدة - فان قلت فلم جاء بأودون الواو - قلت بنى الرجاء على انه ان لم
يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق و إما اقتباس النار ثقة بعادة الله انه
لا يكاد يجمع بين حرمتين على عبده و ما ادراه حين قال ذلك انه ظاهر على النار بحاجتيه الكليتين

سورة النمل ٢٧
حروفها ٤٨٧٩

الجزء ١٩

ع ١

سورة النمل مكية وهي ثلث وتسعون آية وسبع ركوعا

كلماتها
١١٩٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس قف تلك آيت القرآن وكتاب مبين ٥ هدى وبشرى للمؤمنين ٥ الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة

و بعدد من كذب بعيسى و صدق لمحمد *

سورة النمل

[طس] قرئ بالتفخيم والامالة و [تلك] اشارة الى آيات السورة - و الكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للمناظرين فيه ابانة - و اما السورة - و اما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع و ان اعجازهما ظاهر مكشوف - و اضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لهما والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه - فان قلت لم نكر الكتاب المبين - قلت لديهم بالتذكير فيكون افخم له كقوله تعالى في مَعْدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ - فان قلت ما وجه عطفه على القرآن اذا اريد به القرآن - قلت كما يعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا فعل السخي و الجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك واي كتاب مبين - و قرأ ابن ابي عبدة و كتاب مبين بالرفع على تقدير و آيات كتاب مبين فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه - فان قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله اَلرَّتِلْكَ اَيُّ الْكِتَابِ و قرآن مبين - قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر و ذلك على ضربين - ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب - و ضرب فيه ترجح فالاول نحو قولوا حطة - و ادخلوا الباب سجدا و منه ما نحن بصدده - و الثاني نحو قوله تعالى شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ - [هدى و بشرى] في محل النصب او الرفع - فالنصب على الحال اي هادية و مبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة - و الرفع على ثلاثة اوجه - على هي هدى و بشرى - و على البدل من الآية - و على ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت انها آيات و انها هدى و بشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين انها زائدة في هدايتهم قال الله تعالى فَاَمَّا الَّذِينَ اٰمَنُوا فَزَادَتْهُمْ اِيْمَانًا فَان قلت [وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ] كيف يتصل بما قبله - قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول - و يحتمل ان تتم الصلة عنده و يكون جملة اعتراضية كانه قيل و هؤلاء الذين يؤمنون و يعملون الصالحات من اقامة الصلوة و ايتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة و هو الوجه و يدل عليه انه عقد جملة ابتدائية و كرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معانها و ما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف

نسوة الشعراء ٢٩
الجزء ١٩
ع ١٥

فِي كُلِّ رَادٍّ يَهْمُونَ ۖ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۖ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۖ ع

الظاهر - قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب - قرأ حمالة الخطب - والسارق والسارقة - وسورة انزلها -
و قرى يتبعهم على التخفيف - ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد - ذكر الوادي والهيوم فيه ثمثيل
لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق و مجاوزة حد القصد فيه حتى
يفضلوا اجبن الناس على عنزة واشتهم على حاتم وان يبهتوا البري ويفسقوا التقى - وعن الفرزدق ان
سليمان بن عبد الملك سمع قوله * شعر * فبتن بجاني مصرعات * وبت افص اغلاق الختام * فقال قد وجب
عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون - استثنى
الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثر ذكر الله و تلاوة القرآن و كان ذلك اغلب عليهم من الشعر
و اذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله و الذناء عليه و الحكمة و الموعظة و الزهد و الاداب الحسنة و مدح
رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و الصحابة و صلحاء الامة و ما لا بأس به من المعاني اللتي
لا يتلطفون فيها بذنب و لا يتلبسون بشائفة و لا منقصة و كان هجاءهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم
قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم و ذلك من غير اعتداء و لا زيادة على ما هو
جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم - وعن عمرو بن عبيد ان رجلا من
العلوية قال له ان صدري ليحيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به و القول فيه ان الشعر باب
من الكلام فحسنه كحسن الكلام و قبيحه كقبح الكلام - وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة و حسان بن
ثابت و الكعبان كعب بن مالك و كعب بن زهير و الذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و
يكافحون هجاة قريش - و عن كعب بن مالك ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال له اهجههم فوالذي
نفسى بيده لهو اشد عليهم من الذبل - و كان يقول لحسان قل و روح القدس معك - ختم السورة بآية ناطقة
بما لا شيء اهيب منه و اهول و لا انكأ لقلوب المتأملين و لا اصدع لأكباد المتدبرين و ذلك قوله و سيعلم
و ما فيه من الوعيد البليغ و قوله الذين ظلموا و اطلاقه و قوله أي منقلب ينقلبون و ابهامه و قد تلاها
ابوبكر لعمر حين عهد اليه - و كان السلف الصالح يتواعظون بها و يتناذرون شدتها و تفسير الظلم بالكفر
تعليل و لأن تخاف فتبلغ الامن خير من ان تأمن فتبلغ الخوف - و قرأ ابن عباس أي منقلب
ينقلبون و معناها ان الذين ظلموا يطمعون ان ينقلبوا من عذاب الله و سيعلمون ان ليس لهم وجه من
وجوه الانفلات و هو النجاة - اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها و علم ان من عمل
سيئة فهو من الذين ظلموا و الله اعلم بالصواب - قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ سورة
الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح و كذب به و هو و شعيب و صالح و ابراهيم

الشَّيَاطِينُ ۖ تَنْزِيلٌ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ۖ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ۖ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۖ أَلَمْ تَرَأَهُمُ

ما يتكلمون به مما أُطْلِعُوا عليه من الغيوب ثم يُوْحُونَ به إلى أوليائهم من أولئك [وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ] في ما يُوْحُونَ به إليهم لأنهم يُسْمِعُونَهُمْ ما لم يَسْمَعُوا - وقيل يُلْقُونَ إلى أوليائهم السَّمْعَ أي المسموع من الملكة - وقيل الـافاكون يُلْقُونَ السمع إلى الشياطين فيتلقون وحيهم إليهم - أو يُلْقُونَ المسموع من الشياطين إلى الناس و أكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم وتري أكثر ما يحكمون به باطلا و زورا وفي الحديث الكلمة يحفظها الجنّي فيقرها في أذن وليّه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة و القر الصب - فان قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام الا ترى إلى قولك أعلی زيد مررت ولا تقول على زيد مررت - قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل آمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل و الاصل اهل قال * ع * اهل رأونا بسفح القاع ذي الـكم * فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول أعلی من تنزل الشياطين كقولك أعلی زيد مررت - فان قلت يُلْقُونَ ما محله - قلت يجوز - ان يكون في محل النصب على الحال أي تنزل ملقين السمع و في محل الجر صفة لكل آفَاكٍ لانه في معنى الجمع - وان لا يكون له محل بان يستأنف كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقل يفعلون كيت وكيت - فان قلت كيف قيل وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ بعد ما قضي عليهم ان كل واحد منهم آفَاكٍ - قلت الـافاكون هم الذين يكثرن الـافك و لا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم في ما يحكى عن الجنّي و اكثرهم منتبر عليه - فان قلت وانه لتنزيل ربّ العلمين - وما تنزلت به الشياطين - هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن و هن اخوات - قلت اريد التفريق بينهن بايات ليست في معنهن ليرجع الى المجيء بهن و تطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى الذي نزلن فيه من المعاني اللتي اشتدت كراهة الله بخلافها - ومثاله ان يحدث الرجل بحديث و في صدره اهتمام بشيء منه و فضل عناية فتراه يعيد ذكره و لا ينفك عن الرجوع اليه [وَالشُّعْرَاءُ] مبتدأ و [يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ] خبره و معناه انه لا يتبعهم على باطلهم و كذبهم و فضول قولهم و ما هم عليه من الهجاء و تمزيق الاعراض و القدح في الانساب و الذسب بالحرّم و الغزل و الابتهاج و مدح من لا يستحق المدح و لا يستحسن ذلك منهم و لا يطرب على قولهم الا الغاؤون و السفهاء و الشطار - وقيل الغاؤون الراؤون - وقيل الشياطين - وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبير و هبيرة بن ابي وهب المخزومي و مسافع بن عبد مناف و ابو عزة الجمحي و من ثقيف امية بن ابي الصامت قالوا نحن نقول مثل قول محمد و كانوا يهجونهم و يجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم و اهاجيهم - و قرأ عيسى بن عمر و الشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره

جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠١﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٠٣﴾
الَّذِي يَرْبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١٠٤﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السُّجُودِ ﴿١٠٥﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠٦﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا تُنْزَلُ

أراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفّض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع و لين الجانب
ومنه قول بعضهم * شعر * و اذنت الشهيد بخفض الجناح * فلا تلك في رفعه اجدلا * ينهيه عن التكبر بعد
التواضع - فان قلت المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما قوله [لِمَنِ اتَّبَعَكَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] - قلت فيه وجهان - ان يسميهم قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك - و ان
يريد بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم وهم صنفان صنف صدق و اتبع رسول الله فيما جاء به و صنف ما
وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح
و المعنى من المؤمنين من عشيرتك و غيرهم يعني انذر قومك فان اتبعوك و اطاعوك فاخفض لهم
جناحك و ان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم و من اعمالهم من الشرك بالله و غيره - [وَتَوَكَّلْ] عَلَى اللَّهِ
يَكْفِكَ شَرَّ مَنْ يَعَصِيكَ مِنْهُمْ و من غيرهم - و التوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره و يقدر
على نفعه و ضره - وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا اذا
وقع الانسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه
بمعصية الله - و في مصاحف اهل المدينة و الشام فتوكل و به قرأ نافع و ابن عامر و له محملان في العطف
ان يعطف على فقل او فلا تدع [عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ] على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته -
ثم اتبع كونه رحيمًا على رسوله ما هو من اسباب الرحمة و هو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه
للتسجد و تقلبه في تصفح احوال المتجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون و يستبطن
سر امرهم و كيف يعبدون الله و كيف يعملون لآخرتهم - كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف
تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم و على ما يوجد منهم من فعل الطاعات و تكثير
الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله و التلاوة - و المراد بالسجدين المصلون -
وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة و تقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه و
ركوعه و سجوده و قعوده اذا امهم - و عن مقاتل انه سأل ابا حنيفة هل تجد الصلوة في الجماعة في القرآن
فقال لا يحضرني فتلا له هذه الآية - و يحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت و تقلبت مع الساجدين
في كفاية امور الدين [إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ] لما تقوله [الْعَلِيمُ] بما تدويه و تعلمه - و قيل هو تقلب بصره في من
يصلّي خلفه من قوله صلى الله عليه و آله وسلم اتّمووا الركوع و السجود فوالله اني لاراكم من خلف ظهري
اذا ركعتم و سجدتم - و قرئ و يُقْلِبُكَ * [كُلِّ أَوَّلِكَ أَنْتُمْ] هم الكهنة و المتنبئة كشق و سطيج و مسيلم و طليحة
[يُلْقُونَ السَّمْعَ] هم الشياطين - كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يسمعون الى الملاء الاعلى فيختطفون بعض

مُنْذِرُونَ ﴿ ذِكْرٌ لَّكَ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ وَمَا نَنْزَلُكَ بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ إِنَّهُمْ مِنْ السَّمِيعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ وَانذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿ وَاخْفِضْ

سورة الشعراء ٢٦

الحجز ١٩

ع ١٤

والمعذبي و ما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعد ما الرماهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة و عبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم [وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ] فهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول - فان قلت كيف عزلت الوار عن الجملة بعد الا و لم تعزل عنها في قوله وَمَا اَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ - قلت الاصل عزل الوار لان الجملة صفة لقريّة و اذا زيدت فلناكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُتُبُهُمْ - كانوا يقولون ان محمدا كاهن و ما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين و لا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء - وقرأ الحسن الشيطون ووجهه انه رأى اخرة كاخري يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب على الذون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشيطون و الشيطون كما تخيرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه ان تشقه من الشيطونة وهي الهلاك كما قيل له الباطل - وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشيطون ظن انها الذون اللتي على هجاءين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج و ربة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن و صاحبه يريد محمد بن السمين مع انا نعلم انهما لم يقرأ به الا و قد سمعنا فيه قد علم ان ذلك لا يكون ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد الاخلاص و التقوى و فيه لطف لسائر المكلفين كما قال و لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ - فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ * فِيهِ وَجْهَان - احدهما ان يومر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه و يبدأ في ذلك بمن هو اولى بالبداة ثم بمن يليه و ان يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روي عنه عليه السلام انه لما دخل مكة قال كل ربوا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين و اول ما اضعه ربوا العباس - و الثاني ان يومر بان لا يأخذ ما يأخذ القريب للقريب من العطف و الرأفة و لا يحاسبهم في الانذار والتخويف - و روي انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذاً فخذاً و قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفيّة عمة رسول الله اني لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم - و روي انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة و يشرب العس على رجل شاة و قعيب من لبن فاكلوا و شربوا حتى صدموا ثم انذارهم فقال يا بني عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد - و روي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغذي عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر و يا حفصة بنت عمر و يا فاطمة بنت محمد و يا صفيّة عمة محمد اشتدوا انفسكم من النار فاني لا اغذي عنكم شيئا - الطائر اذا اراد ان ينحط للموقع كسر جناحه و خفضه و اذا

الْأَلِيمَ ۖ فَيَأْتِيهِمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ۖ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۖ أَفَرَأَيْتَ إِنْ
مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۖ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ۖ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ۖ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا

مكذبا في قلوبهم اشد التمكن و اثبتته فجعله بمنزلة امر قد جبالوا عليه و فطروا الا ترى الى قولهم هو مجبول
على الشئ يريدون تمكن الشئ فيه لان الامور الخلقية اثبتت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان
به اليهم على عقبه و هو قوله لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ - فان قلت ما موقع [لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ] من قوله هَلْ كُنْهُ فِي قُلُوبِ
الْمُجْرِمِينَ - قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما
يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على الكذب به و جحوده حتى يعاينوا الوعيد - و يجوز ان يكون
حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به - و قرأ الحسن فَيَأْتِيهِمْ بالتاء يعنى الساعة - و بَغْةٌ بالتحريك - وفي
حرف أُبَيٍّ و يَرُوءَ بَغْةٌ - فان قلت ما معنى التعقيب في قوله فَيَأْتِيهِمْ بَغْةٌ - فَيَقُولُوا - قلت ليس المعنى
ترادف رؤية العذاب ومفاجاته وسؤال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون
بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو اشد منها و هو لحوقه بهم مفاجاة فما هو اشد منه و هو سوالهم
النظرة و مثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسأت مَقَّتكَ الصالحون فَمَقَّتَكَ الله فانك لا تقصد بهذا
الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين و انما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء
وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم و هو مقت الله وترى ثم يقع
هذا الاسلوب فيجاء موقعه [أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ] تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب
من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة و الامهال طرفة عين فلا يجاب
اليها - و يحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوتخون به عند استنظارهم يومئذ و يَسْتَعْجِلُونَ على هذا الوجه
حكاية حال ماضية - و وجه آخر متصل بما بعده و ذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير
كائن و لا لاحق بهم و انهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة و امن فقال تعالى أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ اشرا
و بطرا و استهزاء و اتكالا على الامل الطويل - ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم و تعميرهم فاذا
لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم و طيب معاشهم - وعن ميمون
بن مهران انه لقي الحسن في الطواف و كان يتمنى لقاءه فقال له عظمي فلم يزد على تلاوة هذه الآية
فقال ميمون لقد وعظت فابلغت - و قرئ يَمْتَعُونَ بالتخفيف - [مُنْذِرُونَ] رسل يُنْذِرُونَهُمْ - [ذِكْرَى] منصوبة
بمعنى تذكرة اما لان اُنْذِر و ذكر متقاربان فكله قيل مذكرون تذكرة - و اما لانها حال من الضمير في
مُنْذِرُونَ اي يُنْذِرُونَهُمْ ذوي تذكرة - و اما لانها مفعول له على معنى انهم يُنْذِرُونَ لاجل الموعظة و التذكرة - او
مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى -
او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة و اظناهم فيها - و وجه آخر هو ان يكون ذِكْرَى متعلقة بأهْلَكْنَا مفعولا له

وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ۝ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۝ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۝
فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ۝ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ

الجزء ١٩

ع ١٤

القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية - وقيل ان معانيه فيها - و به يحتج لابي حنيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلوة على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وَاِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ لكون معانيه فيها - وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك في أَن يَعْلَمَهُ وليس بواضح - و قرئ يَكُنْ بالتذكير - و آيَةً بالنصب على انها خبره و أَن يَعْلَمَهُ هو الاسم - و قرئ تَكُنْ بالتانيث و جعلت آيَةً اسما و أَن يَعْلَمَهُ خبرا و ليست كالاولى لوقوع الفكرة اما و المعرفة خبرا - و قد خرج لها وجه اخر ليتخلص من ذلك ف قيل في تَكُنْ ضمير القصة و آيَةً أَن يَعْلَمَهُ جملة واقعة موقع الخبر - و يجوز على هذا ان يكون لَهُمْ آيَةٌ هي جملة الشأن و أَن يَعْلَمَهُ بدلا عن آيَةٍ - و يجوز مع نصب الآية تانيث تَكُنْ كقوله ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَنْتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَمِنْهُ بَيْتٌ لِّبَدٍ * شعر * فمضى وقدمها وكانت عادة * منه اذا هي عرّدت اقدمها * و قرئ تَعْلَمَهُ بالتاء - و [عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَءِيلَ] عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى وَاِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ - فان قلت كيف خط في المصحف عُلَمَوُا بواو قبل الالف - قلت خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا - الاعجم الذي لا يفصح و في لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد - و قرأ الحسن الأعجمي و لما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها اعجم قال حميد * ع * ولا عربيا شاقه صوت اعجما * سَلَكْنَاهُ ادخلناه و مكناه والمعنى انا انزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته و انه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله و تحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله و ليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به و جحدوه و سموه شعرا تارة و سحرا اخرى وقالوا هو من تليفق محمد و افترائه [وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِ الَّذِي لَا يَحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ فَضَلَا] ان يقدر على نظم مثله [فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ] هكذا فصيحاً معجزاً متحداً به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجهودهم عذرا و لسموه سحرا ثم قال [كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ] اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه و قررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى اتي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحدوه وانكاره كما قال وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ - فان قامت كيف اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته - قلت اراد به الدلالة على تمكنه

كُفِّ السَّمَاءِ أَنْ كُذِّتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۖ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَآخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ ۖ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۖ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۖ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۝

بأعمالكم و بما تستوجبون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل و ان اراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشية [فآخذهم] الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب و ان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم - يروى انه حبس عنهم الريح سبعا و سلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل و لا ماء و لا شرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلمتهم سحابة وجدوا لها بردا و نسيمًا فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا - و روي ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين و اصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبرئيل و اصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة - فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة و آخرها ما كرر - قلت كل قصة منها كتنزيل برأسه و فيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبها و ان تختتم بما اختتمت به و لان في التكرير تقريرًا للمعاني في الانفس و تثبيتًا لها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها و كلما زاد ترديده كان امكن له في القلب و ارسخ في الفهم و اثبت للذكر و ابعد من النسيان و لان هذه القصص طُرقت بها اذان و قر عن الانصات للحق و قلوب غُلف عن تدبره فكوثررت بالوعظ و التذكير و رُوِجت بالترديد و التكرير و لعل ذلك يفتح اذنا او يفتح ذهنا او يصقل عقلاً طال عهده بالصقل او يجلو فهمًا قد غطى عليه تراكم الصداء * [وانه] و ان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص و الايات و المراد بالتنزيل المنزل - و الباء في نزل به الروح و نزل به الروح على القراءتين للتعدية و معنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به [على قلبك] اي حفظه و فهمك اياه و اثبتته في قلبك اثبات ما لا يذسى كقوله تعالى سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنفُسِي [بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ] اما ان يتعلق بالْمُنذِرِينَ فيكون المعنى لتكون من الذين اُنذروا بهذا اللسان وهم خمسة - هود - و صالح - و شعيب - و اسمعيل - و محمد عليهم السلام - و اما ان يتعلق بفزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتذبره لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا و لقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به و في هذا الوجه ان تنزيله بالعربية اللتي هي لسانك و لسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه و تفهمه قومك و لو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها و لا تعيها و قد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كَلَّمَ بلغته اللتي لَقَّنَهَا اَوَّلًا و نشأ عليها و تطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه و لا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت و ان كَلَّمَ بغير تلك اللغة و ان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اَوَّلًا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين [وانه] و ان

سورة الشعراء ٢٦

الجزء ١٩

ع ١٣

أَصْحَابُ الْاَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ۖ اِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ اَلَا تَتَّقُونَ ۖ اِنِّى اَنْبِىُّ لَكُمْ رَسُوْلٌ اٰمِنُوْا ۖ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاطِيعُوْا ۖ وَمَا
 اَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ اَجْرٍ ۚ اِنْ اَجْرِىْ اِلَّا عَلَى رِبِّ الْعٰلَمِيْنَ ۖ اَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوْا مِنَ الْمَخْسِرِيْنَ ۖ وَزِنُوْا بِالْقِسْطَاسِ
 الْمُسْتَقِيْمِ ۖ وَلَا تَبْخُسُوْا النَّاسَ اَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَدُوْا فِى الْاَرْضِ مُمْسِدِيْنَ ۖ وَاتَّقُوا الَّذِىْ خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ
 الْاَوَّلِيْنَ ۖ قَالُوْا اِنَّمَا اَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِيْنَ ۖ وَمَا اَنْتَ اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَاِنْ نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكٰذِبِيْنَ ۖ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا

على خلاف قياس الخط المصطلح عليه و انما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ الالفاظ كما يكتب اصحاب النحولان و كولا على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف و قد كتبت في سائر القرآن على الاصل و القصة واحدة على ان لئكة اسم لا يعرف - و روي ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتقى و كان شجرهم الدوم - فان قلت هلا قيل اخوهم شعيب كما في سائر المواضع - قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة و في الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة * الكيل على ثلاثة اضرب واف و طفيف و زائد فامر بالواجب الذي هو الايفاء و نهي عن المحرم الذي هو التطفيف و لم يذكر الزائد و كان تركه عن الامر و النهي دليل على انه ان فعله فقد احسن و ان لم يفعله فلا عليه - قرئ [بِالْقِسْطَاسِ] مضموما و مكسورا و هو الميزان - و قيل الْقَرَسْطُون فان كان من القسط و هو العدل و جعلت العين مكررة فوزنه فعلاس و الا فهو رباعي - و قيل هو بالرومية العدل - يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه - و منه قيل للمكس البخس و هو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم و في كل ملك ان لا يغضب عليه ماله و لا يتحيف منه و لا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا - يقال عثا في الارض و عثي و عاث و ذلك نحو قطع الطريق و الغارة و اهلاك الزروع و كانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهبوا عن ذلك - و قرئ الْجِبِلَّةُ بوزن الْاَبْلَةِ - و الْجِبِلَّةُ بوزن الْخِلْقَةِ و معناها واحد اي ذوى الجبللة و هو كقولك و الْخَلْقُ الْاَوَّلِيْنَ - فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو ههنا و تركها في قصة ثمود - قلت اذا ادخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما منافي للرسالة عندهم التسخير و البشرية و ان الرسول لا يجوز ان يكون مستحرا و لا يجوز ان يكون بشرا و اذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد و هو كونه مستحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم - فان قلت ان المخففة من الثقيلة و لامها كيف تفرقتا على فعل اظن و ثاني مفعوليته - قلت اصلهما ان يتفرقا على المبتدأ و الخبر كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان البابان اعني باب كان و باب ظننت من جنس باب المبتدأ و الخبر فعل ذلك في البابين فقل ان كان زيد لمنطلقا و ان ظننته لمنطلقا - قرئ كِسْفًا بالسكون و الحركة و كلاهما جمع كِسْفَةٍ نحو قِطْعٍ و سِدْرٍ - قيل الْكِسْفُ و الْكِسْفَةُ كالربع و الربعة و هي القطعة و كِسْفُهُ قَطْعُهُ - و السماء السحاب او المظلة و ما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود و التكذيب و لو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروا ببالهم فضلا ان يطلبوه و المعنى ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء [رَبِّىْ اَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ] يريد ان الله اعلم

سورة الشعراء ٢٦

الجزء ١٩

ع ١٣

رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ۝
 قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يُلُوطَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ۝ قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْفَالِغِينَ ۝ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا
 يَعْمَلُونَ ۝ فَتَجَنَّبَهُ وَاهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ۝ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ۝ وَامْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا
 فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ كَذَّبَ

للتبعيض و يراد بما خلق العضو المباح منهم - و في قراءة ابن مسعود مَا أَصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَكَانَهُمْ
 كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم - العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اتركبون هذه
 المعصية على عظمها بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ في جميع المعاصي فهذا من جملة ذلك - او بل انتم قوم
 احقأ بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة * [لَنْ لَمْ تَنْتَه] عن نهينا و تقبيح
 امرنا [لَتَكُونَنَّ] من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا و طردناه من بلدنا و لعلمهم كانوا يُخْرِجُونَ مَنْ
 أَخْرَجُوهُ عَلَى اسْوَأَ حَالٍ مِنْ تَعْنِيفٍ بِهِ وَاحْتِبَاسٍ لَامْلَاكِهِ وَكَمَا يَكُونُ حَالُ الظُّلْمَةِ إِذَا اجْلَوْا بَعْضٌ مِنْ
 يَغْضَبُونَ عَلَيْهِ وَكَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَهْلُ مَكَّةَ بِمَنْ يَرِيدُ الْمَهَاجِرَةَ - و [مِنَ الْفَالِغِينَ] ابلغ من ان تقول بانني لعمركم
 قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زميرهم و
 معروفة مساهمته لهم في العلم - ويجوز ان يريد من الكاملين في قلائم و القلى البغض الشديد كانه بغض
 يقلى الفؤاد و الكبد و في هذا دليل على عظم المعصية و المراد القلى من حيث الدين و التقوى و قد
 تقوى همة الذين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبليّة [مِمَّا يَعْمَلُونَ] من عقوبة
 عملهم و هو الظاهر - و يحتمل ان يريد بالتنجية العصمة - فَاِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ [فَتَجَنَّبَهُ وَاهْلَهُ أَجْمَعِينَ
 إِلَّا عَجُوزًا] - قلت معناه انه عصمه و اهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به
 و معينة عليه و محرشة و الراضي بالمعصية في حكم العاصي - فَاِنْ قُلْتَ كَانَ أَهْلُهُ مُؤْمِنِينَ وَ لَوْلَا ذَلِكَ
 لَمَا طَلَبْتَ لَهُمُ النِّجَاةَ فَكَيْفَ اسْتَنْذَيْتَ الْكَافِرَةَ مِنْهُمْ - قُلْتَ الاستثناء انما وقع من الاهل و في هذا الاسم
 لها معهم شركة بحق الزواج و ان لم تشاركهم في الايمان - فَاِنْ قُلْتَ [فِي الْغَابِرِينَ] صفة لها كانه قيل الا عجوزا
 غابرة و لم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم - قلت معناه الا عجوزا مقدرا غبورها و معنى الغابرين في العذاب
 و الهلاك غير الناجين - قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة - و المراد بتدميرهم
 الايتفاك بهم - و اما الامطار - فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم - و عن ابن
 زيد لم يرض بالايثفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة - و فاعل [سَاءَ] مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ و لم يرد بالمنذرين قوما
 باعيانهم انما هو للجنس و المخصوص بالذم محذوف و هو مطرهم * قرئ [أَصْحَابُ لَيْكَةِ] بالهمزة و بتخفيفها -
 و بالجر على الاضافة و هو الوجه - و من قرأ بالنصب و زعم ان لَيْكَةَ بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط
 المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة و في سورة صاد بغير الف و في المصحف اشيء كتبت

أَمَرَ الْمُسْرِفِينَ ۖ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۖ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْكِرِينَ ۖ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ۖ فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۖ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۖ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدَمِينَ ۖ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عَمْرُو ۖ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى

سورة الشعراء ٢٤

الجزء ١٩

ع ١٢

وإذا كثر الحمل هضم وإذا قل جاء فاخرا - وقيل الهضم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره - وقرأ الحسن وتحتون بفتح الحاء - وقرئ فرهين - و [فرهين] والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامثال الامر وارتسامه طاعة الامر المطاع - او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الامر ومنه قولهم لك علي امره مطاعة - وقوله تعالى واطيعوا امري - فان قلت ما فائدة قوله [ولا يضلحون] - قلت فائدته ان فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح - المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله - وقيل هو من السحر الرثة وانه بشر* الشرب الذصيب من الماء نحو السقي والغيت للحظ من السقي والقوت - وقرئ بالضم - روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا نقعد صالح يتفكر فقال له جبرئيل عليه السلام صل ركعتين وسئل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونجت سقبا مثلها في العظم - وعن ابي موسى رأيت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا - وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء - [بسوء] بضرب او عقر او غير ذلك - عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد - وروي ان مسطعا الجأها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها فدار - وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم - فان قلت لم اخذهم العذاب وقد ندموا - قلت لم يكن ندمهم ذم تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقرب عاقبا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رايًا فاسدا ويبذني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي - او ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال الله تعالى وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ الْآيَةَ - وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد - واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم - اراد بالعلمين الناس - اي اتأتون من بين اولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كان الاناث قد اعوزتكم - او اتأتون انتم من بين من عداكم من العلمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينجح من الحيوان [من ازا جكم] يصلح ان يكون تبييذا لما خلق - وان يكون

وَاطِيعُونَ ﴿١٩﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ أَمَدَّكُمْ بِالنَّعَامِ وَبِذِينَ ﴿٢١﴾ وَجَنَّتْ وَعُيُونٌ ﴿٢٢﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٣﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَّعْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٢٦﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ﴿٢٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿٢٨﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣٠﴾ كَذَّبَتْ
ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿٣٢﴾ أَتَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٣٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴿٣٦﴾ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هُمْ بِإِْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٣٩﴾
وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَتَنَحُّتُونَ مِنَ الْأَجْدَالِ يَيْتُونَ فَرِهِينَ ﴿٤١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَا تُطِيعُوا

تعالى وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اللَّهُ رَوْفٌ بِالْعِبَادِ - فَإِنَّ قَاتَ كَيْفَ قَرَنَ الْبَذِينَ بِالْإِنْعَامِ - قَلَّتْ هُمُ الَّذِينَ
يُعِينُونَهُمْ عَلَى حِفْظِهَا وَ الْقِيَامِ عَلَيْهَا - فَإِنَّ قَلَّتْ لَوْ قِيلَ [أَوَّعْتَ] أَمْ لَمْ تَعْظُ كَانِ اخْصَرُ وَ الْمَعْنَى وَاحِدٌ - قَلَّتْ
لَيْسَ الْمَعْنَى بَوَاحِدٍ وَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ لَأَنَّ الْمُرَادَ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ عَلِمْتَ هَذَا الْفِعْلُ الَّذِي هُوَ الْوَعْظُ أَمْ لَمْ تَكُنْ أَصْلًا مِنْ أَهْلِهِ وَ
مُبَاشَرِيهِ فَهُوَ ابْلَاغٌ فِي قَلَّةِ اعْتِدَادِهِمْ بِوَعْظِهِ مِنْ قَوْلِكَ أَمْ لَمْ تَعْظُ * مِنْ قَرَأَ خُلُقَ الْأَوَّلِينَ بِالْقَتْحِ فَمَعْنَاهُ إِنْ مَا جُنَّتْ
بِهِ اخْتِلَاقُ الْأَوَّلِينَ وَ تَخَرُّصُهُمْ كَمَا قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - أَوْ مَا خَلَقْنَا هَذَا إِلَّا خُلُقَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ نَحْنُ كَمَا
حَيُّوا وَ نَمُوتُ كَمَا مَاتُوا وَ لَا بَعْثَ وَ لَا حِسَابَ - وَمَنْ قَرَأَ خُلُقَ بضم قَيْنِ وَ بواحدة فَمَعْنَاهُ مَا هَذَا الَّذِي نَحْنُ
عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وَ عَادَتُهُمْ كَانُوا يَدِينُونَهُ وَ يَعْتَقِدُونَهُ وَ نَحْنُ بِهِمْ مُقْتَدُونَ - أَوْ مَا هَذَا الَّذِي
نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَيَاةِ وَ الْمَوْتِ الْإِعَادَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا النَّاسُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ - أَوْ مَا هَذَا الَّذِي جُنَّتْ بِهِ مِنَ
الْكَذِبِ إِلَّا عَادَةُ الْأَوَّلِينَ كَانُوا يَلْفَقُونَ مِثْلَهُ وَ يَسْطَرُونَهُ * [أَتَذْكُرُونَ] يُجْوزُ - إِنْ يَكُونُ انْكَارًا لَأَنَّ يَتْرَكُوا مَخْلُودِينَ
فِي نَعِيمِهِمْ لَا يَزَالُونَ عَنْهُ - وَ إِنْ يَكُونُ تَذْكِيرًا بِالنِّعْمَةِ فِي تَخْلِيَةِ اللَّهِ أَيَّامَهُمْ وَ مَا يَتَنَعَّمُونَ فِيهِ مِنَ الْجَنَّتِ وَ غَيْرِ
ذَلِكَ مَعَ الْأَمْنِ وَ الدَّعَةِ [فِي مَا هُمْ بِإِْمِنِينَ] فِي الَّذِي اسْتَقَرَّ فِي هَذَا الْمَكَانِ مِنَ النِّعَمِ ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ [فِي
جَنَّتٍ وَعُيُونٍ] وَ هَذَا أَيْضًا أَجْمَالٌ ثُمَّ تَفْصِيلٌ - فَإِنَّ قَلَّتْ لَمْ قَالِ [وَ نَخْلٍ] بَعْدَ قَوْلِهِ فِي جَنَّتٍ وَ الْجَنَّةِ
تَقْنَالُ النَّخْلَ أَوَّلُ شَيْءٍ كَمَا يَقْتَضِي النَّعْمَ الْإِبْلَ كَذَلِكَ مِنْ بَيْنِ الْأَزْوَاجِ حَتَّى أَنَّهُمْ لَيَذْكُرُونَ الْجَنَّةَ
وَ لَا يَقْصِدُونَ إِلَّا النَّخْلَ كَمَا يَذْكُرُونَ النَّعْمَ وَ لَا يَرِيدُونَ إِلَّا الْإِبْلَ قَالَ زَهِيرٌ * تَسْقِي جَنَّةَ سُحْقًا *
قَلَّتْ فِيهِ وَجْهَانِ - إِنْ يَخْصُ النَّخْلَ بِأَفْرَادِهِ بَعْدَ دَخُولِهِ فِي جَمَلَةٍ سَائِرِ الشَّجَرِ تَنْبِيْهَا عَلَى
أَفْرَادِهِ عَنْهَا بِفَضْلِهِ عَلَيْهَا - وَ إِنْ يَرِيدُ بِالْجَنَّتِ غَيْرَهَا مِنَ الشَّجَرِ لَأَنَّ اللفظَ يَصْلَحُ لِذَلِكَ
ثُمَّ يَعْطَفُ عَلَيْهَا النَّخْلَ - الطَّلْعَةُ هِيَ الَّتِي تَطْلُعُ مِنَ النَّخْلَةِ كَنَصْلِ السِّيفِ فِي جَوْفِهِ شِمَارِيخُ
الْقَنُوقِ وَ الْقَنُوقُ اسْمٌ لِلْخَارِجِ مِنَ الْجَذْعِ كَمَا هُوَ بِعَرْجُونِهِ وَ شِمَارِيخُهُ - وَ الْهَضِيمُ اللَّطِيفُ الضَّامِرُ مِنْ قَوْلِهِمْ كَشَحْ
هَضِيمٍ وَ طَلْعُ إِنَاثِ النَّخْلِ فِيهِ لَطْفٌ وَ فِي طَلْعِ الْفَحَاحِيلِ جَفَاءٌ وَ كَذَلِكَ طَلْعُ الْبَرْزِيِّ الطَّفُّ مِنْ طَلْعِ اللَّوْنِ
فَذَكَرَهُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ فِي إِنْ وَهَبَ لَهُمْ أَجْرُودَ النَّخْلِ وَ أَنْفَعَهُ لَأَنَّ الْإِنَاثَ وَ لَادَةَ التَّمْرِ وَ الْبَرْزِيَّ أَجْرُودَ التَّمْرِ وَاطِيبَهُ -
وَ يُجْوزُ إِنْ يَرِيدُ إِنْ نَخِيلَهُمْ أَصَابَتْ جُودَةُ الْمَنَابِتِ وَ سَعَةُ الْمَاءِ وَ سَلَمَتِ مِنَ الْعَاهَاتِ فَحَمَلَتْ الْحَمْلَ الْكَثِيرَ

لَوْ تَشْعُرُونَ ۖ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۖ قَالُوا لَنْ لَنْ تَنْتَهِي يَنْوُحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ
الْمَرْجُومِينَ ۖ قَالَ رَبِّ انِّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۖ فَانْتَحِ يَنْبَنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ
فَانْجِيْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۖ ثُمَّ اغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ۖ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۖ
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ
أَتَذْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةٌ تَعْبَثُونَ ۖ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۖ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ

سورة الشعراء ٢٤

الجزء ١٩

ع ١٠

النصف

ولا مجاز [لَوْ تَشْعُرُونَ] ذلك ولكنكم تجهلون فتدساقون مع الجاهل حيث سيزكم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار
ان يسمى المؤمن رذلاً وإن كان أفقر الناس وأضعف نسبا فإن الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى -
[وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ] يريد ليس من شائي أن أتبع شهواتكم وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين
الذين صح إيمانهم طمعا في إيمانكم وما علي إلا أن أذكركم انذارا بيّنا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق
من الباطل ثم انتم اعلم بشانكم ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه
اراد اني لا ادعوك عليهم اما غاظوني واذنوني وانما ادعوك لاجلك و لاجل دينك ولانهم كذبوني في
وحيك و رسالتك • فاحكم [بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ] والفتاحة الحكومة و الفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما
سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات - الفلك السفينة و جمعه فلك قال الله تعالى وَ تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ
مَوَاحِرَ فَالواحد بوزن قُفْل و الجمع بوزن أُسْد كَسَرُوا فَعَلًا عَلَى فَعَلٍ لَانَهُمَا أَخَوَانِ
فِي قَوْلِكَ الْعَرَبُ وَالْعَرَبُ وَالرُّشْدَ وَالرُّشْدَ فَقَالُوا أُسْدٌ وَأُسْدٌ وَفُلْكَ وَفُلْكَ وَنَظِيرُهُ بَعِيرٌ هَجَانٌ وَابِلٌ
هَجَانٌ وَدَرَعٌ دِلَاصٌ وَدَرَعٌ دِلَاصٌ فَالواحد بوزن كِنَاز و الجمع بوزن كِرَام - وَالْمَشْحُونُ الْمَمْلُوءُ يُقَالُ شَحْنَاهَا
عَلَيْهِمْ خَيْلًا وَرَجَالًا - قَرِيءٌ [بِكُلِّ رِيحٍ] بالكسر و الفتح وهو المكان المرتفع - قَالَ الْمُسْتَيْبُ بْنُ عِلَسٍ * شَعْرٌ •
فِي الْأَلِ يَرْفَعُهَا وَيُخَفِّضُهَا • رِيحٌ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَحْلٌ • وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ كَمْ رِيحٍ أَرْضُكَ وَهُوَ ارْتِفَاعُهَا - وَالْآيَةُ الْعَلَمُ
وَكَانُوا مِمَّنْ يَهْتَدُونَ بِالنَّجْمِ فِي أَسْفَارِهِمْ فَاتَّخَذُوا فِي طَرَفِهِمْ أَعْلَامًا طَوَالًا فَعَبَثُوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَغْنِينَ
عَنْهَا بِالنَّجْمِ - وَعَنْ مُجَاهِدٍ بَنُوا بِكُلِّ رِيحٍ بَرُوجَ السَّمَامِ - وَالْمَصَانِعُ مَا خُذَ الْمَاءُ - وَقِيلَ الْقُصُورُ الْمَشِيدَةُ
وَالْحُصُونُ [لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ] ترجون الخلود في الدنيا - أَوْ تَشَبَّهُ حَالَكُمْ حَالِ مَنْ يَخْلُدُ - وَفِي حَرْفِ أَبِي
كَانَكُمْ - وَقَرِيءٌ تَخْلُدُونَ بِضَمِّ الدَّاءِ مُخَفَّفًا وَمَشْدَدًا - [وَإِذَا بَطَشْتُمْ] بسوط أو سيف كان ذلك ظلما و علوا -
وَقِيلَ الْجَبَّارُ الَّذِي يَقْتُلُ وَيَضْرِبُ عَلَى الْغَضَبِ - وَعَنْ الْحَسَنِ تَبَادُرُونَ تَعْجِيلُ الْعَذَابِ لَا تَتَنَبَّهُونَ مُتَفَكِّرِينَ
فِي الْعَوَاقِبِ - بَالِغٌ فِي تَنْبِيهِهِمْ عَلَى نِعَمِ اللَّهِ حَيْثُ أَجْمَلَهَا ثُمَّ فَصَّلَهَا مُسْتَشْهِدًا بِعِلْمِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّهُ يُقْظَمُ
عَنْ سَنَةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْهَا حَيْثُ قَالَ أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ثُمَّ عَدَّهَا عَلَيْهِمْ وَعَرَفَهُمُ الْمُنْعَمَ بِتَعْدِيدِ مَا يَعْلَمُونَ مِنْ
فِعْمَتِهِ وَأَنَّهُ كَمَا قَدَّرَ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فَاتَّقُوا وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ

رَبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ
أَطِيعُوا ۝ قَالُوا أَنْزِلْ لَنَا آيَةً ۖ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي

بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلدة لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له باكثرهم معرفة و اما الصديق وهو الصادق في وداك الذي يهمة ما اهتمك فاعز من بيض الانوق - وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له - ويجوز ان يريد بالصديق الجمع - الكرة الرجعة الى الدنيا - ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير - ويجوز ان تكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت - القوم مونة وتصغيرها قومة ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد - وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة شعر * لا يسألون اخاهم حين يذبحهم * في الغائبات على ما قال برهانا * كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه و آله وسلم في قريش [وَأَطِيعُوا] في نصحي لكم وفي ما ادعوكم اليه من الحق - [عَلَيْهِ] على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا فَاتَّقُوا اللَّهَ في طاعتي وكرره ليؤكد عليه ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحدة منهما بعلّة جعل اللة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم - وقريش واتباعك جمع تابع كشاهد و اشهاد او جمع تبع كبطل وابطال والوار للخال وحقها ان يضمرب بعدها قد في واتبعت - وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التفسير في قوله الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا الرذالة و الرذالة الخسة و الدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا - وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياسة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله و ما زالت اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من اماراتهم وسماتهم الا ترى الى هرقل حين سأل ابا سفيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما قال ضعفاء الناس و ارادهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك - وعن ابن عباس هم الغاغة - وعن عكرمة الحماكة والساكفة - وعن مقاتل السفلة [وَمَا عَلِمِي] واتي شيء علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله واطلاعه على سرائرهم وباطنه و انما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظرو بصيرة و انما آمنوا هوى و بدهة كما حكى الله عنهم في قوله الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْيِي الرَّأْي - ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا الرذالة عذبة من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب

لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۝ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ۝ فَكَبَّكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۝ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۝ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَمَا أَضَلُّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ۝ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۝ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ

سورة الشعراء ٢٦

الجزء ١٩

ع ٨

ان يكون شبهة فضلا ان يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه دونهم حتى تخاص منها الى ذكر الله عز وجل
 فعظم شأنه و عدد نعمته من لدن خلقه و انشائه الى حين وفاته مع ما يرجي في الآخرة من رحمته ثم اندبع
 ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين و ابتهل اليه ابتهاج الرايين ثم وعده بذكر يوم القيمة و ثواب الله
 و عقابه و ما يدفع اليه المشركون يومئذ من الذم و الحسرة على ما كانوا فيه من الضلال و تمنى الكفرة
 الى الدنيا ليؤمنوا و يطيعوا * الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها و يغتبطون بانهم
 المحشورون اليها - و النار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال
 الله تعالى و اُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ و قال فلما رآه زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا يجمع عليهم
 الغموم كلها و الحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غمًا في كل لحظة و يوتخون على اشراكهم فيقال
 لهم اين الهكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم و الهتهم و قود النار و هو قوله
 فَكَبَّكِبُوا فِيهَا [هُمْ] اي الالهة [و الْغَاوُونَ] و عبدتهم الذين برزت لهم الجحيم - و الككببة تكرير الكب جعل
 التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا أُلْقِيَ في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر
 في قعرها - اللهم اجرنا منها يا خير مستجار - [وَجُنُودُ إِبْلِيسَ] شياطينه او متبعوه من عصاة الجن و الانس -
 يجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاؤل و التخاصم - و يجوز ان يجري ذلك بين العصاة و الشياطين
 و المراد بالمجرمين الذين اضلّوهم رؤسائهم و كبارهم كقوله رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا -
 و عن السدي الاولون الذين اقتدينا بهم - و عن ابن جرير ابليس و ابن آدم القاتل لانه اول من سنّ القتل
 و انواع المعاصي [فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ] كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملكة و النبيين [وَلَا صَدِيقٍ]
 كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون و اما اهل النار فبيدتهم التعادي و التباغض قال
 الله تعالى الْآخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ - او فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ من الذين
 كنا نعتدّهم شفعاء و اصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله و كان لهم الاصدقاء من
 شياطين الانس - او ارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء و الاصدقاء لا ينفعونهم و لا يدعون عنهم فقصدوا
 بنفيهم نفى ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم - و الحميم من الاحتمام و هو الاهتمام
 و هو الذي يُهَمُّه ما يُهَمُّكَ - او من الحمامة بمعنى الخاصة و هو الصديق الخاص - فان قلت لم جمع
 الشافع و وحد الصديق - قلت لكثرة الشفعاء في العادة و قلة الصديق الا ترى ان الرجل اذا امتحن

يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِيَنِي ۖ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۖ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَارْحَمْنِي بِالصَّالِحِينَ ۖ
وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۖ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ الْجَنَّةِ النَّعِيمِ ۖ وَارْحَمْنِي يَا رَبِّ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ
وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۖ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۖ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۖ وَارْزُقْنِي الْجَنَّةَ

تغفر له - قلت الجواب ما سبق لي ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله
أَطْمَعُ ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لامهم وليكون لطفاً لهم في اجتذاب المعاصي والحذر منها
وطلب المغفرة مما يفرط منهم - فان قلت ام علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا - قلت
لان اثرها يتبدى يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم - الحكم الحكمة - او الحكم بين الناس بالحق - وقيل النبوة
لان النبي ذو حكمة و ذو حكم بين عباد الله - و الاحاق بالصلحين ان يوفقه لعمل ينتظم به
في جملتهم - او يجمع بينه وبينهم في الجنة و لقد اجابه حيث قال وَانَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ -
والاخزاء من الخزي وهو الهوان - ومن الخزية وهو الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم مما علموا
انه مغفور وفي [يُبْعَثُونَ] ضمير العباد لانه معلوم - او ضمير الصالحين و ان يجعل من جملة الاستغفار لآبيه
ويعني وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُ الصَّالِحُونَ وَايُّ فِيهِمْ [إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ] الا حال من اتى الله
[بِقَلْبٍ سَلِيمٍ] وهو من قولهم * ع * تحية بينهم ضرب وجيع * وما ثوابه الا السيف - وبيانه ان يقال لك
هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب
له بدلاً عن ذلك - وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه
قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه
في دنياه بماله وبنيه - ولك ان تجعل الاستثناء مذكوعاً والبد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال
والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال
والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى - وقد
جعل مَنْ مفعولاً لِيَنْفَعُ اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلاً سلم قلبه مع ماله حيث انفق في طاعة
الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلّمهم الشرائع - ويجوز على هذا إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ
من فتنة المال والبنين - ومعنى سلامة القلب سلامته من افات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله تعالى
به خليله وتبّه على جلالته محله في الاخلاص أن حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة
له في قوله وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِابْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ - ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم بالديغ
من خشية الله - وقول آخر هو الذي سلم وسلم وسلم وسلم وامتسلم و ما احسن ما رتب ابراهيم عليه
السلام كلامه مع المشركين حين سألهم اولاً عما يعبدون سواً مقرر لا مستفهم ثم انحى على الهتهم فابطل
امرّها بانها لا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم اباؤهم الاقدمين فكسره واخرجه من

قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۖ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۖ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا
 رَبَّ الْعَالَمِينَ ۖ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۖ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۖ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۖ وَالَّذِي
 هُوَ رَبُّ الشُّعْرَاءِ ۖ

ع ٨

الحَيِّ وَاِنَّمَا قَالُوا نَظَّلْ لَانْهَمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا بِالْزَهَارِ دُونَ اللَّيْلِ - لَابَدَ فِي [يَسْمَعُونَكُمْ] مِنْ تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ
 مَعْنَاهُ هَلْ يَسْمَعُونَ دَعَاءَكُمْ - وَ قَرَأَ قَتَادَةُ يَسْمَعُونَكُمْ أَيِ هَلْ يُسْمَعُونَكُمُ الْجَوَابَ عَنْ دَعَائِكُمْ وَ هَلْ يَقْدِرُونَ عَلَى
 ذَلِكَ وَ جَاءَ مُضَارَعًا مَعَ إِيقَاعِهِ فِي إِذْ عَلَى حِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ وَمَعْنَاهُ اسْتَحْضَرُوا الْأَحْوَالَ الْمَاضِيَةَ الَّتِي كُنْتُمْ
 تَدْعُونَهَا فِيهَا وَقُولُوا هَلْ سَمِعُوا أَوْ أَسْمَعُوا قَطْرَ هَذَا ابْلُغْ فِي التَّبَكُّيْتِ - لَمَّا أَجَابُوهُ بِجَوَابِ الْمُقْلِدِينَ لِأَبَائِهِمْ
 قَالَ لَهُمْ رَقُّوا أَمْرَ تَقْلِيدِكُمْ هَذَا إِلَى أَقْصَى غَايَاتِهِ وَ هِيَ عِبَادَةُ الْأَقْدَمِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّ التَّقْدِيمَ وَ
 الْأَوَّلِيَّةَ لَا يَكُونُ بَرَهَانًا عَلَى الصَّحَّةِ وَ الْبَاطِلُ لَا يَنْقَلِبُ حَقًّا بِالْقَدَمِ وَ مَا عِبَادَةُ مَنْ عِبَدَ هَذِهِ الْأَصْنَامَ إِلَّا عِبَادَةُ
 أَعْدَاءِ لَهُ وَ مَعْنَى الْعِدَاوَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا وَ لَنْ الْمُغْرِبِ عَلَى عِبَادَتِهَا
 أَعْدَى أَعْدَاءِ الْإِنْسَانِ وَ هُوَ الشَّيْطَانُ - وَ إِنَّمَا قَالَ [عَدُوٌّ لِي] تَصْوِيرًا لِلْمَسْئَلَةِ فِي نَفْسِهِ عَلَى مَعْنَى أَنِّي فَكَّرْتُ
 فِي أَمْرِي فَرَأَيْتُ عِبَادَتِي لَهَا عِبَادَةً لِلْعَدُوِّ فَاجْتَنَبْتُهَا وَ أَثَرَتْ عِبَادَةُ مَنْ الْخَيْرُ كُلُّهُ مِنْهُ وَ أَرَاهُمْ بِذَلِكَ أَنِهَا
 نَصِيحَةٌ فَصَحَّ بِهَا نَفْسُهُ أَوَّلًا وَ بَنَى عَلَيْهَا تَدْبِيرَ أَمْرِهِ لِيَنْظُرُوا فَيَقُولُوا مَا نَصَحْنَا إِبْرَاهِيمَ إِلَّا بِمَا نَصَحَ بِهِ نَفْسُهُ
 وَ مَا أَرَادَ لَنَا إِلَّا مَا أَرَادَ لِرُوحِهِ لِيَكُونَ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى الْقَبُولِ وَ إِبْعَثْ عَلَى الْاسْتِمَاعِ مِنْهُ وَلَوْ قَالَ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لَكُمْ
 لَمْ يَكُنْ بِتِلْكَ الْمَثَابَةِ وَلَئِنْ دَخَلَ فِي بَابِ مِنَ التَّعْرِيفِ وَ قَدْ يَبْلُغُ التَّعْرِيفُ لِلْمَنْصُوحِ مَا لَا يَبْلُغُهُ التَّصْرِيحُ
 لِأَنَّهُ يَتَأَمَّلُ فِيهِ فَرِيضًا قَادَةً التَّأَمُّلَ إِلَى التَّقْبُلِ - وَ مِنْهُ مَا يُحْكِي عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّ رَجُلًا وَاجَهَةً بِشَيْءٍ
 فَقَالَ لَوْ كُنْتُ بِحَيْثُ أَنْتَ لَأَحْتَجْتُ إِلَى أَدَبٍ - وَ سَمِعَ رَجُلٌ نَاسًا يَتَحَدَّثُونَ فِي الْحَجَرِ فَقَالَ مَا هُوَ بَيْتِي
 وَ لَا بَيْتُكُمْ - وَ الْعَدُوُّ وَ الصَّدِيقُ يَجِيئَانِ فِي مَعْنَى الْوَحْدَةِ وَ الْجَمَاعَةِ قَالَ * شَعْرٌ * وَ قَوْمٌ عَلَيَّ ذَوِي مِثْرَةٍ *
 أَرَاهُمْ عَدُوًّا وَ كَانُوا صَدِيقًا * وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ شَبَّهَا بِالمَصَادِرِ لِلْمَوَازِنَةِ كَالْقَبُولِ وَ الْوَلُوعِ وَ الْحَنِينِ
 وَ الصَّهِيلِ [أَلَا رَبُّ الْعَالَمِينَ] اسْتِثْنَاءٌ مَنْقُطَعٌ كَأَنَّهُ قَالَ وَ لَكِنْ رَبُّ الْعَالَمِينَ [فَهُوَ يَهْدِينِي] يَرِيدُ أَنَّهُ حِينَ أَتَمَّ
 خَلْقَهُ وَ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَقِبَ ذَلِكَ هَدَايَتَهُ الْمُتَّصِلَةَ الَّتِي لَا تَنْقُطُ إِلَى كُلِّ مَا يَصْلُحُهُ وَ يَعْنِيهِ وَ الْفَمَنْ
 هَدَاهُ إِلَى أَنْ يَغْتَذِيَ بِالدَّمِ فِي الْبَطْنِ امْتِصَاصًا وَ مَنْ هَدَاهُ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ عِنْدَ الْوِلَادَةِ وَ إِلَى مَعْرِفَةِ مَكَانِهِ
 وَ مَنْ هَدَاهُ لِكَيْفِيَّةِ الْارْتِضَاعِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَدَايَاتِ الْمَعَاشِ وَ الْمَعَادِ - وَ إِنَّمَا قَالَ [مَرِضْتُ] دُونَ أَمْرِي
 لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَسْبَابِ الْمَرَضِ يَحْدُثُ بِتَفْرِيطٍ مِنَ الْإِنْسَانِ فِي مَطَاعِمِهِ وَ مَشَارِبِهِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ - وَ مِنْ ثَمَّةَ قَالَتْ
 الْحَكَمَاءُ لَوْ قِيلَ لِأَكْثَرِ الْمَوْتَى مَا سَبَبَ أَجَالَكُمْ لَقَالُوا أَلْتَحَمَ - وَ قَرِئَ خَطِيئِي وَ الْمُرَادُ مَا يَنْدُرُ مِنْهُ مِنْ بَعْضِ
 الصَّغَائِرِ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ مَخْتَارُونَ عَلَى الْعَالَمِينَ - وَ قِيلَ هِيَ قَوْلُهُ أَنِّي سَقِيمٌ وَ قَوْلُهُ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
 وَ قَوْلُهُ لِسَارَةٍ هِيَ أُخْتِي وَ مَا هِيَ إِلَّا مَعَارِضُ كَلَامٍ وَ تَخْيِيلَاتٌ لِلْكَفَرَةِ وَ لَيْسَتْ بِخَطَايَا يُطْلَبُ لَهَا الْاسْتِغْفَارُ -
 فَإِنْ قُلْتَ إِذَا لَمْ يَنْدُرْ مِنْهُمْ إِلَّا الصَّغَائِرُ وَ هِيَ تَقَعُ مَكْفُورَةً فَمَا لَهُ إِثْبَتٌ لِنَفْسِهِ خَطِيئَةً أَوْ خَطَايَا وَ طَمَعُ أَنْ

إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۖ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۖ
وَأَرْزَقْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ۖ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ۖ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ۖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا
كَانَ أَكْثَرُهم مُّؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ وَآتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
مَا تَعْبُدُونَ ۖ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا كُفَّيْنِ ۖ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۖ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۖ

الموت اجزع * والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد * الفرق الجزء المتفرق
منه - وقرئ كل فلق والمعنى واحد - والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء [وَأَرْزَقْنَا ثَمَّ] حيث
انفلق البحر [الْآخِرِينَ] قوم فرعون اي قربانهم من بني اسرائيل او ادنيننا بعضهم من بعض وجمعناهم
حتى لا ينجو منهم احد - او قدمناهم الى البحر - وقرئ وَأَرْزَقْنَا بالقاف اي ازلنا اقدامهم والمعنى
أذهبنا عزهم كقوله * شعر * تداركتما عبسا وقد نل عرشها * وذبيان ان زلت باقدامها النعل * ويحتمل
ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبدوا فيزلقهم فيه - عن عطاء بن
السائب ان جبرئيل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلاحق آخركم
بأولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن ال فرعون
وكان بين يدي موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري
موسى ما يصنع فآوحى الله تعالى اليه أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فضربه فصار فيه اثني عشر طريقا لكل سبط
طريق - وروي ان يوشع قال يا كلیم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاص يوشع
الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا - وروي ان موسى قال عند ذلك يا مَنْ كان قبل كل شيء والمكون
لكل شيء والكائن بعد كل شيء - ويقال هذا البحر هو بحر القلزم - وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف
[إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً] آية آية و آية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبأ عليها اكثرهم ولا
أمن بالله - وبنوا اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سألوه بقرعة يعبدونها واتخذوا
العجل وطلبوا رؤية الله جهرة [وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ] المنتقم من اعدائه [الرَّحِيمُ] بالولائه * كان ابراهيم
عليه السلام يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سألهم ليريه ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول
للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال - فان قلت [مَا تَعْبُدُونَ]
سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله تعالى وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْو -
مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ - مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا - قلت هؤلاء قد جاءوا بقصة امرهم كاملة كالمبتدئين
بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم وعلى ما قصده من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج و
الافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قواهم نَعْبُدُ [فَنَظَّلُ لَهَا كُفَّيْنِ] ولم يقتصروا على زيادة نَعْبُدُ وحده
ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جوارى

وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَدِرُونَ ﴿١٩﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٠﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢١﴾ كَذَلِكَ ۖ وَآوَرْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعُ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ

مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم - وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه - وروي ان الله اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سامر الملكة ان لا يدخلوا بيتا على بابهم دم وسامرهم بقتل ابقار القبط واخبروا خبزنا فطيروا فانه اسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فياتيكم امري - فارسل فرعون في اثره الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة - وعن ابن عباس خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا سبعمائة الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين - [ان هؤلاء] محكي بعد قول مضمير - والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي يلي وتقطع قطعاً ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلّة وقد يجمع القليل على أقلّة وقُلل - ويجوز ان يريد بالقلّة الذلّة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لايبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيطنا وتضيّق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فسادة وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهرة وسلطانه - وقرئ خَدِرُونَ - و[خَدِرُونَ] - وخَدِرُونَ بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ - والحادر الذي يجتهد حذرة - وقيل المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه - والحادر السمين القوي قال * شعر * أحب الصبيّ السوء من اجل امه * وأبغضه من بغضها وهو حادر * اراد انهم اقوياء اشداء - وقيل مدحجون في السلاح قد كسبهم ذلك حذارة في اجسامهم * وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله - والمقام المكان يريد المنزل الحسنه والمجالس البهية - وعن الضحاك المنابر - وقيل السرور في الحجال - [كذلك] يحتمل ثلثة اوجه - النصب على اخراجهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه - والجتر على انه وصف لمقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم - والرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك [فاتبعوهم] فالحقوهم - وقرئ فاتبعوهم [مشرقين] داخلين في وقت الشروق من شرفت الشمس شروقا اذا طلعت [سبيديني] طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم - وقرئ فلما قرأت الغنثين - انا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشيء اذا تداعى ففني ومنه قوله تعالى بل ادرك علمهم في الآخرة - قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة * شعر * ابعث بني ام الذين تنابعوا * أرجى الحيوة ام من

فَالْقُوا حَبَالَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بَعِزَّةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ۝ فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝
فَالْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ۝ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ۝ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۚ إِنَّهُ
لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۚ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا وَصْلَ بَيْنِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝
قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۝ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَارْحَبْنَا إِلَى مُوسَى
أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي أَنْكُمْ مُتَّبِعُونَ ۝ فَارْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝ وَأَنْهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۝

منهم لو اقسام باسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فاذا اقسام
به فتدلب عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف [مَا يَأْفِكُونَ] ما يقلبونه عن وجهه
و حقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيتهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين -
او افكهم سمي تلك الاشياء افكا مبالغة - روي انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان كان
من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من الله فامنوا - وعن عكرمة
اصبحوا سحرة وامسوا شهداء - و انما عبر عن الخور باللقاء لانه ذكر مع الالتقاء فسلكت به طريق المشاكلة
وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين رآوا ما رأوا لم يتماكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين
كانهم اخذوا فطرحوا طرحا - فان قلت فاعل الالتقاء ما هو لو صرح به - قلت هو الله عز وجل بما خولهم
من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة - ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا
[رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ] عطف ببيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزله
ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعو اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما جرى [فَلَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ] اي وبال ما فعلتم - الضرر والضير والضرر واحد ارادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم
النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعراض الكثيرة - او
لا ضير علينا فيما تنوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل
اهون اسبابه واجاها - او لا ضير علينا في قتل انك ان قتلنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته
ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا -
[اَنْ كُنَّا] معناه لان كنا وكانوا اول جماعة مؤمنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل
المشهد - وقرئ ان كنا بالكسرو هو من الشرط الذي يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا
متحققين انهم اول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفيتي حقي
ومنه قوله تعالى اِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي مع علمه انهم لم يخرجوا الا
لذلك * قرئ اسر بقطع الهمزة وصلها - وسر - [اَنْكُمْ مُتَّبِعُونَ] علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده اثارهم
و المعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا

سورة الشعراء ٢٦

الجزء ١٩

ع ٦

قَالَ لِلْمَلَاحِقَةِ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ۖ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ق فَمَازَا تَأْمُرُونَ ۖ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ
وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۖ يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سِحَارٍ عَلِيمٍ ۖ فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۖ وَقِيلَ
لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ۖ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ۖ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا
لَنَآ لَآجِرُونَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۖ قَالَ فَعَمَّ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۖ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ۖ

و غلبته على ملكه و ارضه - و قوله [إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ] قول باهت اذا غاب و متمحل اذا ألزم
[تَأْمُرُونَ] من الموامرة و هي المشاورة - او من الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد أمرين و ربهم
مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهش و الحيرة - و مَا ذَا منصوب اما لكونه في معنى المصدر و اما
لانه مفعول به من قوله امرتك الخير - قرى أَرْجِئُهُ - و أَرْجِهْ بالهمز و التخفيف و هما لغتان يقال ارجأته
و ارجيته اذا اخرته و منه المرجئة و هم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق و يقولون هم مرجؤون لامر الله و
المعنى اخره و مناظرته لوقت اجتماع السحرة - و قيل احبسه - [حَاشِرِينَ] شُرطا يحشرون السحرة - و
عارضوا قوله إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ بقولهم بِكُلِّ سِحَارٍ فجاءوا بكلمة الاحاطة و صفة المبالغة ليُطَأْمِنُوا من نفسه و
يستكنوا بعض قلقه - و قرأ الاعمش بِكُلِّ سَاحِرٍ - اليوم المعلوم يوم الزينة و ميقاته وقت الضحى لانه
وقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة في قوله مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَاَنْ يُكْشَرَ النَّاسُ
ضَحًى - و الميقات ما وقت به اى حدد من زمان او مكان و منه مواقيت الاحرام - [هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ]
استبطاء لهم في الاجتماع و المراد منه استعجالهم و استحاثهم كما يقول الرجل لعلامه هل انت منطلق
اذا اراد ان يحرك منه و يحثه على الانطلاق كان ما يخيّل له ان الناس قد انطلقوا و هو واقف و منه
قول تأبط شراً * شعر * هل انت باعث دينار لحاجتنا * او عبد رب اخاعون بن مخراق * يريد ابعته ايذا
مريعا و لا تبطى به [لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ] اى في دينهم ان غلبوا موسى و لا نتبع موسى في دينه و ليس
غرضهم بالتباع السحرة و انما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساخوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم
لم يكونوا متبعين لموسى * و قرى نَعِمَ بالكسر و هما لغتان - و لما كان قوله [إِنْ لَآ لَآجِرُونَ] في معنى جزاء
الشرط لدالته عليه و كان قوله [وَاِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ] معطوفا عليه و مدخلا في حكمه دخلت اذا قارة
في مكانها الذي تقتضيه من الجواب و الجزاء - و عدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا
انهم يغلبون به موسى القربة عنده و الزلفى - اقساموا بعزة فرعون و هي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف
بغير الله و لا يصح في الاسلام الا الحلف بالله معتلّا ببعض اسمائه او صفاته كقولك - بالله - و الرحمن - و ربي -
و رب العرش - و عزّة الله - و قدرة الله - و جلال الله - و عظمة الله - قال رسول الله صلى الله عليه و آله
و سلم لا تحلفوا بأبائكم و لا بأمهاتكم و لا بالطواغيت و لا تحلفوا الا بالله و لا تحلفوا بالله الا و انتم صادقون -
و لقد استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نُسِيت لها الجاهلية الاولى و ذلك ان الواحد

قَالَ لَنْ اَتَّخِذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ۝ قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ فَأْتِ بِهِ
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ۝ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِينَ ۝

من الدلائل على الصانع و الناقل من هيئة الى هيئة و حال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته
ثم خصص المشرق و المغرب لان طلوع الشمس من احد الخانقين و غروبها في الآخر على تقدير مستقيم
في فصول السنة و حساب مستو من اظهر ما استدلل به و لظهوره انقل الى الاحتجاج به خليل الله عن
الاحتجاج بالاحياء و الامانة على نمروذ بن كنعان فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ - و قرئ رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ
الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة - فَاَنْ قُلْتُ كَيْفَ قَالَ اَوَّلًا اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَاخْرًا اِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ - قُلْتُ
لَايْنُ اَوَّلًا فَلَمَّا رَأَىٰ مِنْهُمْ شِدَّةَ الشَّكِيمَةِ فِي الْعِزَادِ وَ قِلَّةَ الْاَصْغَاءِ اِلَىٰ عَرْضِ الْحَجَجِ خَاشَىٰ وَ عَارِضَ اَنْ رَّسُولَكُمْ
لَمَجْنُونٌ بِقَوْلِهِ اِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ - فَاَنْ قُلْتُ اَلَمْ يَكُنْ لَّ سَجْنَدُكَ اِخْصَرُ مِنْ لَّأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ وَ مُؤَدِّا
مُؤَدَّاهُ - قُلْتُ اِمَّا اِخْصَرُ فَذَعَمَ وَ اِمَّا مُؤَدِّ مُؤَدَّاهُ فَلَا اَنَّ مَعْنَاهُ لِأَجْعَلَنَّكَ وَاحِدًا مِّمَّنْ عَرَفْتَ حَالَهُمْ فِي
سَجُونِي وَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِ اَنْ يَأْخُذَ مِنْ يُرِيدُ سَجْنَهُ فَيَطْرَحُهُ فِي هَوَاةٍ ذَاهِبَةٍ فِي الْاَرْضِ بَعِيدَةِ الْعَمَقِ فَرْدًا
لَّا يَبْصُرُ فِيهَا وَ لَا يَسْمَعُ فَكَانَ ذَلِكَ اَشَدَّ مِنْ الْقَتْلِ وَ اَشَدَّ - الْوَاقِفِ فِي قَوْلِهِ [وَ لَوْ جِئْتُكَ] وَ اَوَّ الْحَالِ دَخَلَتْ
عَلَيْهَا هَمْزَةُ الاسْتِفْهَامِ مَعْنَاهُ اَتَفْعَلُ بِبِي ذَلِكَ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ اَي جَائِدًا بِالْمَعْجَزَةِ وَ فِي قَوْلِهِ اِنْ
كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ اِنَّهُ لَا يَأْتِي بِالْمَعْجَزَةِ اِلَّا الصّٰدِقُ فِي دَعْوَاهُ لَ اَنَّ الْمَعْجَزَةَ تَصْدِيقُ مِنَ اللَّهِ لِمُدْعِي النُّبُوَّةِ
وَ الْحَكِيمِ لَا يَصْدَقُ الْكَاذِبُ وَ مِنَ الْعَجَبِ اَنْ مِثْلَ فِرْعَوْنَ لَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ هَذَا وَ خَفِيَ عَلَىٰ نَاسٍ مِنْ اَهْلِ
الْقِبْلَةِ حَيْثُ جَوَّزُوا الْقَبِيحَ عَلَى اللَّهِ حَتَّىٰ لَزِمَهُمْ تَصْدِيقُ الْكَاذِبِينَ بِالْمَعْجَزَاتِ وَ تَقْدِيرُهُ اِنْ كُنْتَ مِنَ
الصّٰدِقِينَ فِي دَعْوَاكَ اَتَيْتَ بِهِ فَحَذَفَ الْجُزْءَ لَ اَنَّ الْأَمْرَ بِالْإِثْبَانِ بِهِ يَدُلُّ عَلَيْهِ * [ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ] ظَاهِرُ
الثُّعْبَانِيَّةِ لِأَشْيَاءٍ يَشْبَهُ الثُّعْبَانَ كَمَا تَكُونُ الْأَشْيَاءُ الْمَزُورَةُ بِالشَّعْوَذَةِ وَ السَّحَرِ - وَ رَوَىٰ اَنَّهَا انْقَلَبَتْ حَيَّةً اَرْتَفَعَتْ
فِي السَّمَاءِ قَدْرَ مِيلٍ ثُمَّ انْحَطَّتْ مُقْبِلَةً اِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ جَعَلَتْ تَقُولُ يَا مُوسَىٰ مُّرْنِي بِمَا شِئْتُ وَ يَقُولُ فِرْعَوْنَ
اسْئَلْكَ بِالَّذِي ارْسَلْتُكَ اَلَّا اخَذْتُهَا فَاخَذَهَا فَعَادَتْ عَصَا [لِلنَّظَرِينَ] دَلِيلٌ عَلَىٰ اَنْ بَيَاضَهَا كَانَ شَيْئًا يَجْتَمِعُ
النَّظَرَةُ عَلَى النَّظَرِ اِلَيْهِ لِخُرُوجِهِ عَنِ الْعَادَةِ وَ كَانَ بَيَاضًا نَوْرِيًا - رَوَىٰ اَنْ فِرْعَوْنَ لَمَّا ابْصَرَ الْآيَةَ الْاُولَىٰ قَالَ فَهَلْ
غَيْرُهَا فَاَخْرَجَ يَدَهُ فَقَالَ لَهُ مَا هَذِهِ قَالَ يَدُكَ فَمَا فِيهَا فَاَدْخَلَهَا فِي اِبْطِهِ ثُمَّ نَزَعَهَا وَلَهَا شِعَاعٌ يَكَادُ يَغْشَى الْاَبْصَارَ وَيَسُدُّ
الْاَنْفَ - فَاَنْ قُلْتُ مَا الْعَامِلُ فِي حَوَلِهِ - قُلْتُ هُوَ مَنْصُوبٌ نَصْبَيْنِ نَصَبٍ فِي الْفِعْلِ وَ نَصَبٍ فِي الْمَحَلِّ فَالْعَامِلُ
فِي النِّصْبِ الْفِعْلِيُّ مَا يَقْدَرُ فِي الظَّرْفِ وَ الْعَامِلُ فِي النِّصْبِ الْمَحَلِّيُّ وَ هُوَ النِّصْبُ عَلَى الْحَالِ قَالَ * وَ لَقَدْ
تَحِيرَ فِرْعَوْنَ لَمَّا ابْصَرَ الْآيَتَيْنِ وَ بَقِيَ لَا يَدْرِي اَيَّ طَرَفِهِ اطُولُ حَتَّىٰ زَلَّ عَنْهُ ذِكْرُ دَعْوَى الْاِلَهِيةِ وَ حَطَّ عَنْ
مَذَكَّبِيَّةِ كِبَرِيَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ وَ ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ وَ انْتَفَخَتْ سَحَرَةُ خَوْفٍ وَ فَرَقَا وَ بَلَغَتْ بِهِ الْاِسْتِكَاةُ لِقَوْمِهِ الَّذِينَ هُمْ
بِزَعْمِهِ عَبِيدُهُ وَ هُوَ الْهَمُّ اَنْ طَفِقَ يَوْمُ امْرُؤِهِمْ وَيَعْتَرِفُ لَهُمْ بِمَا حَذَرَ مِنْهُ وَ تَوَقَّعَهُ وَ احْسَنَ بِهِ مِنْ جِهَةِ مُوسَىٰ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ط إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝
 قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ط إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۝

ع ٥

كانت عنده جديرة بان تجازي بنحو ذلك الجزء - فان قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتم مع افراده في تمنها وعبدت - قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه الموتيرين بقتله بدليل قوله إِنْ أَمَلَا يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ واما الامتنان فمعه وحده وكذلك التعبد - فان قلت تلك اشارة الى ما ذا وَاَنْ عِبَدْتَ مَا مَحَلُّهَا مِنَ الْأَعْرَابِ - قلت تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدري ما هي الا بتفسيرها ومحل أَنْ عِبَدْتَ الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءَ مَقْطُوعٌ وَالْمَعْنَى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي - وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لولم تفعل ذلك لكفني اهلي ولم يلقوني في اليوم - لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العلمين قال له عنده دخوله [وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ] يريد اي شيء رب العلمين وهذا السؤال لا يخلو - اما ان يريد به اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجسامها فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والأعراض وانه شيء مخالف لجميع الاشياء لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ - واما ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق فتفتيش عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة اللتي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعلمين رب سواه لادعائه الالهية - فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جئته الى قومه وطنزه حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير اخر احتد واحتدم وقال لَنْ اَتَّخِذَ إِلَهًا غَيْرِي وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير - فان قلت كيف قيل وَمَا بَيْنَهُمَا عَلَى التَّبْنِيَةِ والمرجوع اليه مجموع - قلت اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمرة ما فعل بالظاهر مَنْ قال في الهيجا جمالين - فان قلت ما معنى قوله [إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ] واين عن فرعون وملائه الايقان - قلت معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يودي اليه النظر الصحيح نفعمكم هذا الجواب والا لم ينفع - او ان كُنْتُمْ مُوقِنِينَ بشيء قط فهذا اول ما توقعون به لظهوره وازارة دليله - فان قلت ومن كان حوله - قلت اشراف قومه - قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الاموار وكانت للملوك خاصة - فان قلت ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك و ذكر المشرق والمغرب - قلت قد عمم اولا ثم خصص من العام للبيان انفسهم و آبائهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعابن

قَالَ فَعَلَّيْهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفَّكُمْ فَوْهَبُ لِي رَبِّي حَكَمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾
وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢١﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ

و الاطلاق كقولك ارسل البازي يريد خلتهم يذهبوا معذا الى فلسطين و كانت مسكنهما - و يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان هذا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ايذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له اَلَمْ تُرَبِّكْ حَذَفَ فَاَدِيَا فرعون فقال له ذلك لانه معلوم لا يشتبه و هذا النوع من الاختصار كثير في التفسير - الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة - وفي رواية عن ابي عمرو من عُمَرَكَ بسكون الميم [سِنِينَ] - قيل مكث عندهم ثلثين سنة - وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة و فرمنهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك - وعن الشعبي فَعَلَّكَ بالكسر وهي قِيلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة - عَدَدَ عليه نعمته من تربيته و تبليغه مبلغ الرجال و رَجَحَ بما جرى على يده من قتل خبازة و عَظَمَ ذلك و قطعه بقوله وَفَعَلْتَ فَعَلَّكَ الَّتِي فَعَلْتَ - [وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ] يجوز ان يكون حالا اي قتله وانت لذلِكَ من الكافرين بنعمتي او وانت ان ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افتري عاينه او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله تعالى عاصم من يريد ان يستنبه من كل كبيرة و من بعض الصغائر فما بال الكفر - ويجوز ان يكون قوله وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم و من كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه - او بانه من الكافرين بفرعون و الهية - او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم الهة يعبدونها يشهد لذلك قوله تعالى وَيَذَرُكَ الْهَيْكَلُ - وقرئ الهَيْكَلُ - فاجابه موسى بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو [مِنَ الضَّالِّينَ] اي الجاهلين - وقراءة ابن مسعود مِنَ الْجَاهِلِينَ مفسرة و المعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه كما قال يوسف لاختوته هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ - او المخطئين كمن يقتل خطاء من غير تعمد للقتل - او الذاهبين عن الصواب - او الناسين من قوله أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وكذب فرعون و دفع الوصف بالكفر عن نفسه و برأ ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين ربا بمحتمل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كثر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله و امتأصله من سنخه و ابى ان يسمي نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه بتعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده و تربيته فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حَقَّقْتَ - وتعبيدهم تذليلهم و اخذهم عبيدا يقال عَبَّدْتُ الرجل و اَعْبَدْتُهُ اذا اخذته عبدا قال * شعر * عَلَامَ يُعْبِدُنِي قَوْمِي وقد كثرت * فيهم اباعر ما شأوا و عبدان * فان قلت اذا جواب و جزاء معا و الكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء - قلت قول فرعون وَفَعَلْتَ فَعَلَّكَ فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته

سورة الشعراء ٢٦

الجزء ١٩

ع ٥

وَلَا يَذْكُرُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ۝ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۝ قَالَ كَلَّا ۚ فَاذْهَبَا بِإِيتَانَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ۝ فَاتَّبَعَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝

الغدر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه و كفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل - اراد بالذنب قتله القبطي - وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فاحاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمي تبعة الذنب ذنبا كما سمي جزاء السيئة سيئة - فان قلت قد ابديت ان تكون تلك الثلث عللا وجعلتها تمهيدا للغدر فيما التمس فما قولك في هذه الرابعة - قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة و فرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعالا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلافة والدفع - جمع الله له الاستجابتين معا في قوله كَلَّا فَاذْهَبَا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف و التمس منه الموازنة باخيه فاجابه بقوله اذْهَبَا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون - فان قلت علام عطف قوله فَاذْهَبَا - قلت على الفعل الذي يدل عليه كَلَّا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله [مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ] من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاطهر كما وغلبكما وكسر شوكتك عنكما ونكسه - ويجوز ان يكونا خبرين لان - او يكون مُسْتَمِعُونَ مستقرا ومَعَكُمْ لغوا - فان قلت لم جعلت مُسْتَمِعُونَ قرينة مَعَكُمْ في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سميع و سامع - قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اي اصغى اليه وادركه بحاسة السمع ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صُبت في اذنيه البرم - فان قلت هلا نثني الرسول كما نثني في قوله اِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ - قلت الرسول يكون بمعنى المرسل و بمعنى الرسالة فجعل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيتها وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال * شعر * الكني اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر * فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله * شعر * لقد كذب الواشون ما فهت عندهم * بسرولا ارسلتهم برسول * ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذاك ولاخوة كان حكما واحدا فكانهما رسول واحد - او اريد ان كل واحد منهما [اَنْ أَرْسِلَ] بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذاك ومعنى هذا الارسال التخليّة

أَنْ أَتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾ قَوْمٌ فَرَعُونَ ط أَلَا يَتَّقُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢٦﴾ وَ يَضِيقُ صَدْرِي

من قرأ أَلَا يَتَّقُونَ على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبهم و ضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جنابة الى بعض اخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية و حر مزاجه و حمي غضبه قطع مباتاة صاحبه و اقبل على الجاني يوبخه و يعنف به و يقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس - فان قلت فما فائدة هذا الالتفات و الخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة و الملتفت اليهم غيب لا يشعرون - قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم و القائه الى مسامعهم لانه مبلغه و مذهبه و ناشرة بين الناس وله فيه لطف و حث على زيادة التقوى و كم من آية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرها و اعتبارا بموردها - و في أَلَا يَتَّقُونَ بالياء و كسر الذون وجه آخر و هو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله أَلَا يَأْسُجُدُوا - وَيَضِيقُ وَيَنْطَلِقُ بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان و بالنصب لعطفهما على صلة ان و الفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان فيه ثلث علل خوف التكذيب و ضيق الصدر و امتناع انطلاق اللسان و النصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلاثة - فان قلت في النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة و في جملتها نفي انطلاق اللسان و حقيقة الخوف انما هي غم يلحق الانسان لامر سيقع و ذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به - قلت قد عاق الخوف بتكذيبهم و بما يحصل له بسببه من ضيق الصدر و الحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته و قيل بقيت منها بقية يسيرة - فان قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان - قلت يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة و استجابتها - و يجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي به - و يجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاعق الذين اوتوا سلطة اللسنة و بسطة المقال و هرون كان بذلك الصفة فاراد ان يقرن به و يدل عليه قوله تعالى وَ أَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا - و معنى [فَارْسَلْ إِلَى هَارُونَ] ارسل اليه جبرئيل واجعله نبيا و ازني به و اشد به عضدي و هذا كلام مختصر و قد بسطه في غير هذا الموضع و قد احسن في الاختصار حيث قال فَارْسَلْ إِلَى هَارُونَ فجاء بما يتضمن بمعنى الاستنباء و مثله في تقصير الطويلة و الحسن قوله تعالى فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْغْنَهُمْ تَدْمِغًا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها و آخرها و هما الانذار و التدمير و دل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها و هو انهم قوم كذبوا بايات الله فاراد الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوا هما فاهلكهم - فان قلت كيف ساغ لموسى ان يأمره الله بامر فلا يتقبله بسمع و طاعة من غير توقف و تشبث بعقل و قد علم ان الله من ورائه - قلت قد امتدل و تقبل و لكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونوا على تنفيذ امره و تبايغ رسالته فمهد قبل التماسه عذرة فيما التمس ثم التمس بعد ذلك و تمهيد

فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِيهِمْ أَنْبُؤًا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ

سورة الشعراء ٢٦

الجزء ١٩

ع ٥

عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له * [فَسَيَاتِيهِمْ] وعيد لهم
 و انذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة [مَا] الشيء الذي [كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ] به
 وهو القرآن وسياتيهم انباءه واحواله اللتي كانت خافية عليهم - وصف الزوج وهو الصنف من الذببات
 بالكرم و الكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابها يقال وجه كريم اذا رضى في حسنه وجماله وكتاب
 كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال * ع * حتى يشق الصفوف من كرمه * اي من كونه مرضيا
 في شجاعته وبأسه والذبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المذافع * [إِنَّ فِي] انبات تلك الاصناف [لآيَةً]
 على ان مُنبئها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجوا ايمانهم * [وَإِنَّ]
 رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ] في انتقامه من الكفرة [الرَّحِيمُ] لمن تاب وأمن وعمل صالحا - فان قلت ما معنى
 الجمع بين كرم وكُل و اوقيل كم انبتنا فيها من زوج كريم - قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج الذببات
 على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه
 على كمال قدرته - فان قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم - قلت يحتمل معنيين - احدهما
 ان الذببات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف الذببات النافع وخلق
 ذكر الضار - والثاني ان يعم جميع الذببات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا
 الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى
 معرفتها العاقلون - فان قلت فحين ذكر الازواج و دل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث
 لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا قال آيات - قلت فيه وجهان - ان يكون ذلك مشارا
 به الى مصدر انبتنا فانه قال ان في الانبات لآية اي آية - وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية وقد
 مبقت لهذا الوجه نظائر - سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البديان كان معنى
 القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون و كانهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذكراهم عبر عنهم بالقوم الظالمين
 و ان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين - من جهة ظلمهم انفسهم بالكفر و شرارتهم -
 ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم لهم - قرى الّا يَتَّقُونَ بكسر النون بمعنى الّا يَتَّقُونِي فحذفت
 النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة - فان قلت بم تعلق قوله الّا يَتَّقُونَ - قلت هو كلام مستأنف
 اتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى من حالهم اللتي شذعت في
 الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم و حذرهم من ايام الله - ويحتمل ان يكون لا يَتَّقُونَ
 حالا من الضمير في الظلمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال و اما

سورة الشعراء ٢٦
الجزء ١٩
ع ٤
الربع
كلماتها ١٣٤٧
سورة الشعراء مكية وهي مائتان وسبع وعشرون آية واحد عشر ركوعاً
حروفها ٥٧٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ۖ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝

به بعد ما علم انه مما توعد به لاجل الابهام و تناول ما لا يكتننه الوصف و الله اعلم بالصواب - عن رسول الله صلى الله عليه و اله وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيمة وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها و ادخل الجنة بغير نصب *

سورة الشعراء

[طَسَمَ] بتفخيم الالف و امالتها و اظهار النون و ادغامها [الْكِتَابِ الْمُبِينِ] الظاهر اعجازه و صحة انه من عند الله و المراد به السورة او القرآن و المعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين - البخع ان يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار و ذلك اقصى حد الذابح - و لعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك [أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ] لئلا يؤمنوا و لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا - و عن قتادة باخع نفسك على الاضافة اراد آية ملجئة الى الايمان قاسرة عليه [فَظَلَّتْ] معطوف على الجزاء الذي هو نُزِّلَ لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحاً و نظيره فاصدق و اكن كانه قيل اصدق - و قد قرئ كَوَشَّيْنَا لَنَزَّلْنَا - و قرئ فَتَظَلَّلْ أَعْنَاقُهُمْ - فان قلت كيف صح مجيء خاضعين خبراً عن الاعناق - قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع و ترك الكلام على اصله كقوله ذهببت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور او لما وصفت بالخضوع الذي هو للعلاء قيل خاضعين كقوله تعالى لِي سَاجِدِينَ - و قيل اعناق الناس رؤسائهم و مقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم هم الرؤس و النواصي و الصدر - قال ع * في محفل من نواصي الناس مشهود * و قيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم - و قرئ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعَةً - و عن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا و في بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة و يلحقهم هوان بعد عزة * اي و ما يجدد لهم الله بوحيه موعظة و تذكيراً الاجدوا اعراضاً عنه و كفراً به - فان قلت كيف خولف بين الالفاظ و الغرض واحد وهي الاعراض و التكذيب و الاستهزاء - قلت انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به و حين كذبوا به فقد خف عندهم قدرة و صار عرضة للاستهزاء و السخرية لان من كان قابلاً للحق مقبلاً

أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۝

سورة الفرقان ٢٥

الجزء ١٩

ع ٣

و ان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة و صلاح - فان قلت لم قال قُرَّةَ أَعْيُنٍ فنكر و قلل - قلت اما التذكير فلاجل تذكير القرّة لان المضاف لا سبيل الى تذكيره الا بتذكير المضاف اليه كانه قيل هب لنا منهم سرورا و فرحا و انما قيل اَعْيُنٍ دون عيون لانه اراد اعين المتقين و هي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وَ قَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ - و يجوز ان يقال في تذكير اَعْيُنٍ انها اعين خاصة و هي اعين المتقين * المراد يُجْزَوْنَ الغرفات و هي العالِي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس و الدليل على ذلك قوله وَ هُمْ فِي الْغُرْفِ اَمْنُونَ - و قراءة من قرأ في الْغُرْفَةِ - [بِمَا صَبَرُوا] بصبرهم على الطاعات و عن الشهوات و على اذى الكفار و مجاهدتهم و على الفقر و غير ذلك و اطلاقه لاجل الشيعاء في كل مصبور عليه - و قرئ [يُلَقَّوْنَ] كقوله تعالى وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ وَ سُرُورًا - وَيُلَقَّوْنَ كقوله تعالى يُلَقُّ اَنَامًا - و التحية دعاء بالتعمير - و السلام دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة يحثونهم و يستلمون عليهم - او يحثي بعضهم بعضا و يستلم عليه - او يعطون التبقيّة و التخليد مع السلامة عن كل افة - اللهم وفقنا لطاعتك و اجعلنا مع اهل رحمتك و ارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك - لما وصف عبادة العباد و عدد صالحاتهم و حسناتهم و اثنى عليهم من اجلها و وعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكثرث لاولئك و عبا بهم و اعلا ذكرهم و وعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله ان يصرح للناس و يجزم لهم القول بان الاكثرث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر و لولا عبادتهم لم يكثرث لهم البتة و لم يعتد بهم و لم يكونوا عنده شيئا يبالى به - و الدعاء العبادة و ما متضمنة لمعنى الاستفهام و هي في محل النصب و هي عبارة عن المصدر كانه قيل و اي عبء يعبؤ ابيكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستأهلون شيئا من العباد بكم لولا عبادتكم و حقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتدت به من فواح همومي و مما يكون عبأ علي كما تقول ما اكثرثت له اي ما اعتدت به من كوارثي و مما يهمني - و قال الزجاج في تاريل ما يعبؤ ابيكم ربي اي وزن يكون لكم عنده - و يجوز ان يكون ما نافية [فَقَدْ كَذَّبْتُمْ] يقول اذا علمتم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكذبكم في النار و نظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتني أن أحسن الى من يطيعني و يتبع امرى فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك - و قيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام - و قيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة - فان قلت الى من يتوجه هذا الخطاب - قلت الى الناس على الاطلاق و منهم مؤمنون عابدون و مكذبون عاصون فخطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة و التكذيب - و قرئ فَقَدْ كَذَّبَ الْكُفْرُونَ - و قيل يكون العذاب لزما - و عن مجاهد هو القتل يوم بدر و انه لو لم بين القتل لزما - و قرئ لزما بالفتح بمعنى اللزوم كالتبات و الثبوت و الوجه ان ترك اسم كان غير منطوق

غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا
بِاللُّغُومِ مَرُّوا كِرَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخْرِجُوا عَلَيْهَا صَمَا وَعَمِيَانًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ

و الذي يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ - وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل
الواجد والظمان الوارد والعقيم الوالد - او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واي مرجع - يحتمل انهم
يفغرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تفرها عن مخالطة الشر واهله
وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة
هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضى به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سَلَطَ
على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه - وفي مواعظ عيسى بن مريم عليه السلام اياكم ومجالسة
الخطائين - ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه - وعن
قناعة مجالس الباطل - وعن ابن الحنفية اللهو والغناء - وعن مجاهد اعياد المشركين • اللغو كل ما ينبغي
ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن
التوقف عليهم والخوض معهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلم عليكم
لا نبتغي الجاهلين - وعن الحسن لم تسفهم المعاصي - وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى
اعرضوا وصفحوا - وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه [لم يخرجوا عليها] ليس بنفي للحرور وانما هو اثبات له و
نفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للمسلم لا اللقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها
اكتبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون
بعيون راعية كالذين يذكرون بها فتراهم مكبتين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد
على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافيين واشباههم - قرئ ذرئتنا -
وذرئتنا - وقرّة أعين - وقرات أعين - سألوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقربهم
عيونهم - وعن محمد بن الكعب ليس شيء اقرب لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله - وعن
ابن عباس هو الولد اذا رآه يكتب الفقه - وقيل سألوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذريرتهم في الجنة
ليتم لهم سرورهم - اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم
طفلا - او اراد اجعل كل واحد منا اماما - او اراد جمع ام كصائم وصيام - او اراد اجعلنا اماما واحدا
لاتحادنا واتفاق كلمتنا - وعن بعضهم في الآية ما يدل على ان الرئاسة في الدين يجب ان تطلب و
يرغب فيها - وقيل نزلت هذه الايات في العشرة المبشرين بالجنة - فان قلت من في قوله من ازواجنا
ما هي - قلت يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرّة اعين ثم بيّنت القرّة وفسرت بقوله من
ازوجنا وذرئتنا معناه ان يجعلهم الله لهم قرّة اعين وهو من قولهم رأيت منك اسدا اي انت احد -

سورة الفرقان ٢٥

الجزء ١٩

ع ٣

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَيُخْلَدُ فِيهِ مِهَنًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ وَكَانَ اللَّهُ

وَالْقَوَامُ الْعَدْلُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ لِمُتَقَامَةِ الطَّرَفَيْنِ وَاعْتِدَالُهُمَا وَنَظِيرُ الْقَوَامِ مِنَ الِاسْتِقَامَةِ السَّوَاءُ مِنَ الِاسْتَوَاءِ -
وَقَرِئَ قَوَامًا بِالْكَسْرِ وَهُوَ مَا يَقَامُ بِهِ الشَّيْءُ يُقَالُ أَنْتَ قَوَامُنَا بِمَعْنَى مَا تَقَامُ بِهِ الْحَاجَةُ لَا يَفْضَلُ عَنْهَا
وَلَا يَنْقُصُ - وَالْمَنْصُوبَانِ اعْنِي بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا جَائِزَانِ يَكُونَا خَبِيرَيْنِ مَعًا - وَإِنْ يَجْعَلُ بَيْنَ ذَلِكَ لَغْوًا وَقَوَامًا
مُسْتَقَرًّا - وَإِنْ يَكُونُ الطَّرَفُ خَبْرًا وَقَوَامًا حَالًا مُوَكَّدَةً - وَاجْزَأَ الْفَرَاءُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ ذَلِكَ اسْمٌ كَانَ عَلَى أَنَّهُ
مَبْنِيٌّ لِإِضَافَتِهِ إِلَى غَيْرِ مُتِمِّكِنٍ كَقَوْلِهِ * ع * لَمْ يَمْنَعِ الشَّرْبُ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقْتُ * وَهُوَ مِنْ جِهَةِ الْأَعْرَابِ
لَا بِأَسْ بِهِ وَلَكِنْ الْمَعْنَى لَيْسَ بِقَوِيٍّ لِأَنَّ مَا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ وَالتَّقْدِيرُ قَوَامٌ لَا مُحَالَةَ فَلَيْسَ فِي الْخَبَرِ الَّذِي
هُوَ مُعْتَمَدُ الْفَائِدَةِ فَائِدَةً * [حَرَّمَ اللَّهُ] أَيْ حَرَمَهَا وَالْمَعْنَى حَرَّمَ قَتْلَهَا وَ[إِلَّا بِالْحَقِّ] مُتَعَلِّقٌ بِهَذَا الْقَتْلِ
الْمَحْذُوفِ أَوْ بَلَا يَقْتُلُونَ وَنَفْيُ هَذِهِ الْمُقْتَبَحَاتِ الْعِظَامِ عَنِ الْمَوْصُوفِينَ بِتِلْكَ الْخِلَالِ الْعَظِيمَةِ فِي الدِّينِ
لِلتَّعْرِيفِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَعْدَاءُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَرِيْشٍ وَغَيْرِهِمْ كَانَهُ قِيلَ وَالَّذِينَ بَرَّاهُمُ اللَّهُ وَطَهَّرَهُمْ مِمَّا أَنْتُمْ
عَلَيْهِ وَالْقَتْلُ بِغَيْرِ حَقٍّ يَدْخُلُ فِيهِ الْوَادُ وَغَيْرُهُ - وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْ الذَّنْبُ أَعْظَمُ
قَالَ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًّا وَهُوَ خَلْقُكَ - قُلْتُ ثُمَّ أَيْ قَالَ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشِيَةً أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ - قُلْتُ ثُمَّ
أَيْ قَالَ أَنْ تَزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ فَانْزِلَ اللَّهُ تَصَدِيقَهُ - وَقَرِئَ يُلْقَى فِيهِ أَثَامًا - وَقَرِئَ يُلْقَى بِأَثْبَاتِ الْإِلْفِ وَقَدْ
مَرَّ مِثْلُهُ - وَالْأَثَامُ جَزَاءُ الْإِثْمِ بوزن الوَبَالِ وَالذَّكَالِ وَمَعْنَاهُمَا قَالَ * شعر * جَزَى اللَّهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى *
عَقُوقًا وَالْعَقُوقُ لَهُ أَثَامٌ * وَقِيلَ هُوَ الْإِثْمُ وَمَعْنَاهُ يُلْقَى جَزَاءُ إِثْمٍ - وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَيَّامًا أَيْ شِدَائِدَ يُقَالُ
يَوْمٌ ذُو أَيَّامٍ لِلْيَوْمِ الْعَصِيبِ [يُضْعَفُ] بَدَلٌ مِنْ يُلْقَى لِأَنَّهُمَا فِي مَعْنَى وَاحِدٍ كَقَوْلِهِ * شعر * مَتَى تَأْتِنَا
تَلَمَّ بِذَانِي دِيَارِنَا * تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَفَارًا تَأْجِجًا * وَقَرِئَ يُضْعَفُ - وَنُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ بِالذُّنُوبِ وَنُصَبَ الْعَذَابُ -
وَقَرِئَ بِالرَّفْعِ عَلَى الِاسْتِيفَانِ أَوْ عَلَى الْحَالِ وَكَذَلِكَ يُخْلَدُ - وَقَرِئَ وَتُخْلَدُ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ مُخَفَّفًا
وَمُنْقَلًا مِنَ الْإِخْلَادِ وَالتَّخْلِيدِ - وَقَرِئَ وَتُخْلَدُ بِالتَّاءِ عَلَى الِاتِّفَاتِ [يُبَدَّلُ] مُخَفَّفٌ وَمُنْقَلٌ وَكَذَلِكَ سَيِّئَاتِهِمْ -
فَإِنْ قُلْتُ مَا مَعْنَى مُضَاعَفَةِ الْعَذَابِ وَابْدَالِ الْحَسَنَاتِ سَيِّئَاتٍ - قُلْتُ إِذَا ارْتَكَبَ الْمُشْرِكُ مَعَاصِيَ مَعَ
الشَّرْكِ عَذَّبَ عَلَى الشَّرْكِ وَعَلَى الْمَعَاصِي جَمِيعًا يَضَاعَفُ الْعُقُوبَةُ لِمُضَاعَفَةِ الْمَعَاصِي عَلَيْهِ وَابْدَالُ
السَّيِّئَاتِ حَسَنَاتٍ أَنَّهُ يَمْحُوهَا بِالتَّوْبَةِ وَيُنَبِّتُ مَكَانَهَا الْحَسَنَاتِ الْإِيمَانَ وَالطَّاعَةَ وَالتَّقْوَى - وَقِيلَ يُبَدِّلُهُمْ
بِالشَّرْكِ إِيْمَانًا وَبِقَتْلِ الْمُسْلِمِينَ قَتْلَ الْمُشْرِكِينَ وَبِالزَّنا عَقَّةً وَاحْصَانًا * يَرِيدُ وَمَنْ يَتْرَكَ الْمَعَاصِيَ
وَيَنْدِمُ عَلَيْهَا وَيَدْخُلُ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَانْهَ بِذَلِكَ تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ [مَتَابًا] مُرَضِيًّا عَنْهُ مَكْفَرًا لِلْخَطَايَا
مَحْصَلًا لِلذُّرَابِ - أَوْ فَانْه تَائِبٌ مَتَابًا إِلَى اللَّهِ الَّذِي يَعْرِفُ حَقَّ التَّائِبِينَ وَيَفْعَلُ بِهِمْ مَا يَسْتَوْجِبُونَ

الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝

العلماء الركوب في الاسواق ولقوله وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ [سَلَامًا] تسلماً منكم لا نجاهلكم و متاركة لا خير بيننا ولا شرابي نتسلم منكم تسلماً فاقيم السلام مقام التسلم - وقيل قالوا سداداً من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم - والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله * شعر * الا لا يجهلون احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهليتنا * وعن ابي العالية نسختها اية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروءة والشرعية واسلم للعرض والورع - البيتوتة خلاف الظلول وهو ان يدركك الليل نمت اولم تنم وقالوا من قرأ شيئاً من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجداً وقائماً - وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائماً ويبدي قائماً [غَرَامًا] هلاكاً وخسراناً ملحاً لازماً قال * شعر * يوم النصار ويوم الجفار * كانا عذاباً وكانا غراماً * وقال * شعر * ان يعاقب يكن غراماً وان يعط جزيلاً فانه لا يبالى * ومنه الغريم الاحباحه وازامه - وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذاناً بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ [سَاءَتْ] في حكم بدست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقراً والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقراً ومقاماً هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبراً لها - ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقراً حال او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم - قرئ يفتقروا بكسر التاء وضمها - وَيَقْتَرُونَ بلخفيف التاء وتشديدها والقتل والافتقار والتقدير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجازة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي هو بين العلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ - وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي فاما في القرب فلا اسراف - وسمع رجل رجلاً يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير - وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعدته لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بُنَيَّ اهذا ايضا مما اعدته - وقيل اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوباً للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستتر عوراتهم ويكتمهم من الحر والقر - وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفاً ان لا يشتهي رجل شيئاً الا اشتراه فأكله -

سورة الفرقان ٢٥

الجزء ١٩

ع ٣

السجدة

قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۖ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۖ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَنۢ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۚ وَعِبَادُ

لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم و السؤال عن المجهول بما - و يجوز ان يكون سوالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم و الرحوم و الراحم اولانهم انكروا اطلاقه على الله [لما تأمرنا] اي للذي تأمرنا بمعنى تأمرنا سجوده على قولك امرتك الخير - او لامرك لنا - و قرئ بالياء كان بعضهم قال لبعض أنسجد لِمَا يَأْمُرُنَا مُحَمَّد او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو - وفي [زادهم] ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول * البروج منازل الكواكب السبعة السيارة - الحمل - و الثور - و الجوزاء - و السرطان - و الاسد - و السنبلة - و الميزان - و العقرب - و القوس - و الجدي - و الدلو - و الحوت - سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها و اشتقاق البرج من التبرج لظهوره - و السراج الشمس كقرله و جعل الشمس سراجا - و قرئ سراجا و هي الشمس و الكواكب الكبار معها - و قرأ الحسن و الاعمش و قمر منيرا و هي جمع ليلة قمره كانه قال وذا قمر منيرا ان الليالي تكون قمره بالقمر فاضافه اليها و نظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه و قيام المضاف اليه مقامه قول حسان * ع * بردى يصفق بالرحيق السلسل * يريد ماء بردى - ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد و الرشد و العرب و العرب - الخلفة من خلف كالركبة من ركب و هي الحالة التي يخلف عليها الليل و النهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفه اي ذوي عقبه اي يعقب هذا ذاك و ذاك هذا و يقال الليل و النهار يختلفان كما يقال يعتقبان و منه قوله و اختلاف الليل و النهار و يقال بفلان خلفه و اختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزة - و قرئ يذكرو - و يذكرو - و عن ابي بن كعب يذكرو المعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان ليلتهما من حال الى حال و تغيرهما من ناقل و مغير و يستدل بذلك على عظم قدرته و يشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل و التصرف بالنهار كما قال عز و علا و من رحمته جعل لكم الليل و النهار لتسكنوا فيه و لتبتغوا من فضله - او ليكونا وقتين للمتذكرين و الشاكرين من فاته في احدهما و رده من العبادة قام به في الآخر - و عن الحسن من فات عمله من التذكر و الشكر بالنهار كان له في الليل مستعقب و من فات بالليل كان له في النهار مستعقب * [و عباد الرحمن] مبتدأ خبره في اخر السورة كانه قيل و عباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون العرفة - و يجوز ان يكون خبره الذين يمشون و اضافهم الى الرحمن تخصيصا و تفضيلا - و قرئ و عباد الرحمن - و قرئ يمشون [هونا] حال او صفة للمشى بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة و الهون الرفق و اللين و منه الحديث احب حبب حبيبك هونا ما و قوله المؤمنون هينون لئنون و المثل اذا عز اخوك فهن و معناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة و وقار و تواضع لا يضربون باقدامهم و لا يخفقون بذعالمهم اشرا و بطرا و لذلك كره بعض

الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ط وَكَفَى بِهِ بُدْنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ۝ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۝ الرَّحْمَنُ فَسْئَلُ بِهِ خَبِيرًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ

لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون - وعن بعض السلف انه قراها فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه ان ليس اليه من امر عبادة شيء امنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم [في ستة ايام] يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل - وقيل ستة ايام من ايام الآخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا - وعن مجاهد اولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة ووجهه ان يسمي الله لملائكته تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام - واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديره الا بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم اصحاب النار تسعة عشر - وحماة العرش ثمانية - والشهور اثني عشر - والسموات سبعة - والارض كذلك - والصلوات خمسا - واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بداعي الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ثُمَّ قَالَ وَمَا يَعْلَمُ جُذُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك - وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليمًا لخلق الرفق والتثبت - وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين [الَّذِي خَلَقَ] مبتدأ و [الرَّحْمَنُ] خبره - او هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف - او بدل عن المستتر في استوى - وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي - وقرئ فسأل والباء في به صلة سأل كقوله تعالى سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ كما يكون عن صلاته في نحو قوله ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمِ فَسَأَلَ بِهِ كقوله اهتَمَّ بِهِ واعتنى واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيراً وتجعل خبيراً مفعول سأل يريد فسأل عنه رجلا عارفا بخبرك برحمته - او فسأل رجلا خبيراً به وبرحمته - او فسأل بسؤاله خبيراً كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سأله وجدته خبيراً - او تجعله حالا عن الهاء تريد فسأل عنه عالما بكل شيء - وقيل الرحمن اسم من اسماء الله مذكور في الكتاب المتقدمه ولم يكونوا يعرفونه فقليل فسأل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثمة كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي بالامامة يعنون مسيئمة وكان يقال له رحمن اليمامة و [مَا الرَّحْمَنُ] - يجوز ان يكون سوالا عن المسمى به

وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۚ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۚ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ۝ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ

سورة الفرقان ٢٥

الجزء ١٩

ع ٢

متجاورين متلاصقين و هو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج و هذا من عظيم اقتداره و في كلام بعضهم * شعر * وبحران احدهما مع الآخر ممزوج * و ما العذب منهما بالأجاج ممزوج * [بَرْزَخًا] حائلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية و هو قدرته - و قرئ مَلِجٌ على فعل - و قيل كانه حذف من مالم تخفيها كما قال و صليانا بردا يريد باردا - فان قلت [وَحِجْرًا مَحْجُورًا] ما معناه - قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوز و قد فسرناها و هي ههنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البكرين يتعوز من صاحبه و يقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيين اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالتمازجة فانتفاء البغي ثمه كالتعوز ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوز منه و هي من احسن الاستعارات و اشهداها على البلاغة * اراد فقسم البشر قسمين - ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم و يقال فلان بن فلان و فلانة بنت فلان - و ذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن و نحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكرو الأنثى [وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا] حيث خلق من الغطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا و انثى * الظهير والمظاهر كالعوين و المعاون و فعيل بمعنى مفاعل غير عزيز و المعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة و الشرك - روي انها نزلت في ابي جهل - و يجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله و الملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق و الخليل و يريد بالكافر الجنس و ان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله - و قيل معناه و كان الذي يفعل هذا الفعل و هو عبادة ما لا ينفع و لا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلقته خلف ظهرك لا تلتفت اليه و هذا نحو قوله اركل لآخلاق لهم في الآخرة - و لا يكلمهم الله و لا ينظر اليهم * مثال الا من شاء و المراد الا فعل من شاء و استثنائه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعت الا ان تحفظ هذا المال و لا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب و لكن صورة هو بصورة الثواب و سماه باسمه فاناد فائدتين - احدهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب - و الثانية اظهار الشفقة البالغة و انك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا و رضي به كما يرضى المئاب بالثواب و لعمرى ان رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد و فوقه - و معنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه و طلبهم عذبه الزلفى بالايمان و الطاعة - و قيل المراد التقرب بالصدقة و النفقة في سبيل الله * امرة بان يثق به و يسند امرة اليه في استكفاء شؤره مع التمسك بقاعدة التوكل و اساس الالتجاء و هو طاعته و عبادته و تزيهه و تحميدة - و عرفه ان الحي الذي

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ۖ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۖ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ۖ فَلَا تُطِيعُ
الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ۖ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ

مذبحون بالقرب من الودية و الانهار و منابع الماء فبهم غنية عن سقي الماء و اعقابهم و هم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته و سقيا سمائه و كذلك قوله لَنُحْيِيَنَّ بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء - فان قلت لم قدم احياء الارض و سقي الانعام على سقي الاناسي - قلت لان حيوة الاناسي بحيوة ارضهم و حيوة انعامهم فقدم ما هو سبب حيوتهم و تعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم و مواشيهم لم يعدوا سقيهم - يريد [وَلَقَدْ صَرَّفْنَا] هذا القول بين الناس في القرآن و في سائر الكتب و الصحف اللتي انزلت على الرسل و هو ذكر انشاء السحاب و انزال القطر ليفكروا و يعتبروا و يعرفوا حق النعمة فيه و يشكروا [فَأَبَى أَكْثَرُهُمْ] الا كفران النعمة و جحودها و قلة الاكتراث لها - و قيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة و الاوقات المتغايرة و على الصفات المتفاوتة من ابل و طل و جود و رذاذ و ديمة و رهام فابوا الا الكفور و ان يقولوا مطرنا بنوء كذا و لا يذكروا صنع الله و رحمته - وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء و تلا هذه الآية - و روي ان الملكة يعرفون عدد المطر و مقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد - و ينتزع من ههنا جواب في تذكير البلدة و الانعام و الاناسي كانه قال لنُحْيِيَنَّ بِهِ بعض البلاد الميتة و نُسْقِيَهُ بعض الانعام و الاناسي و ذلك البعض كثير - فان قلت هل يكفر من ينسب الامطار الى الانواء - قلت ان كان لا يراها الا من الانواء و يحسد ان تكون هي و الانواء من خالق الله فهو كافر و ان كان يرى ان الله خالقها و قد نصب الانواء دلائل و امارات عاينها لم يكفر - يقول لرسوله صلى الله عليه و اله و سلم [وَلَوْ شِئْنَا] لَخَفَقْنَا عَنْكَ اعباء نذارة جميع القرى و [لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ] نبييا يندرها و انما قصرنا الامر عليك و عظمناك به و اجلناك و فضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد و التصبر [لَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ] فيما يريدونك عليه و انما اراد بهذا تهويله و تهويل المؤمنين و تحريكهم - و الضمير للقران او لتدرك الطاعة الذي يدل عليه و لا تطع - والمراد ان الكفار يجتدون و يجتهدون في توهين امرك فقابلهم من جدك و اجتهادك و عَصْلَك على نواجذك بما تغلبهم به و تعلوهم و جعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام - و يجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه و لَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجببت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك و عظم فقال له [وَجَاهِدْهُمْ] بسبب كونك نذير كافة القرى [جِهَادًا كَبِيرًا] جامع لكل مجاهدة * سمي الماءين الكثيرين الواسعين بحرين - و الفرات البليغ العذبة حتى يضرب الى الحلاوة - و الاجاج نقيضه - و مرجعها خلاهما

رَحْمَتِهِ ۖ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۝ لِنُخَبِّئَ بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا وَ نُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَ أَنْاسِيَّ كَثِيرًا ۝

مودة الفرقان ٢٥

الجزء ١٩

ع ٢

باليل - فان قلت هلا فسرت بالراحة - قلت النشور في مقابلته ياباه اباء العيوف الورد و هو مرتقى و هذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية و دنيوية و النوم و اليقظة و شبيهما بالموت و الحياة اي عبرة فيهما لمن اعتبر - وعن لقمان انه قال لابنه يا بني كما تذاق فتوقظ كذلك تموت فتدثر - قري الرنيح - والرياح - نشر احياء - و نشر جمع نشور وهي المحيية - ونشر تخفيف نشر - وبشر تخفيف بشر جمع بشور و بشرى - و [بين يدي رحمة] استعارة مليحة اي قدام المطر [طهورا] بليغا في طهارته - وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا و يعضده قوله تعالى و يُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ و الا فليس فعول من التفعيل في شيء - و الطهور على وجهين في العربية صفة و اسم غير صفة - فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر - و الاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء و الوقود لما يتوضأ به و توقد به النار و قولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيدييه و منه قوله صلى الله عليه و آله و سلم لا صلوة الا بطهور اي طهارة - فان قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور - قلت تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن تغير احد اوصانه الثلاثة او لم يتغير او استعماله في البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة - و عند مالك بن انس ما لم يتغير احد اوصانه فهو طهور - فان قلت فما تقول في قوله صلى الله عليه و آله و سلم حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه - قلت قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين - و انما قال [ميتا] لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقنه الى بلد ميت و انه غير جار على الفعل كفعول و مفعول و مفعيل - و قري نسقيه بالفتح و سقى و اسقى لغتان - و قيل اسقاه جعل له سقيا - الاناسي جمع انسي او انسان و نحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء و الاصل اناسين و ظرايين - و قري بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اذاع في اناعيم - فان قلت انزال الماء موصوفا بالطهارة و تعليله بالاحياء و السقي يؤذن بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش - قلت لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم و تكميما للمنة عليهم و بيانا ان من حقق حين اراد الله لهم الطهارة و ارادهم عليها ان يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم و ان يربأوا بانفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم - فان قلت لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب - قلت لان الطير و الوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام و لانها قنية الاناسي و عامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم - فان قلت فما معنى تذكير الانعام و الاناسي و وصفها بالكثرة - قلت معنى ذاك ان عليا الناس و جعلهم

وَكَيْلًا ۖ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۖ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ
كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ۚ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۖ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۖ وَهُوَ الَّذِي
جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ۖ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

تدبره عقلا و مشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة و الضلالة ثم ارجع ضلالة منها - فان قلت لم
آخر هواه و الاصل قولك اتخذ الهوى الها - قلت ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول
علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق - فان قلت ما معنى ذكر الاكثر - قلت كان فيهم من يصدّه
عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة و كفى به داء عضالا - فان قلت كيف جعلوا أضل من الانعام - قلت
لان الانعام تنقاد لاربابها اللتي تعلفها و تعتهدا و تعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها و تطلب ما
يففعها و تجتنب ما يضرها و تهتدي لمراعيها و مشاربها و هؤلاء لا ينقادون لربهم و لا يعرفون احسانه اليهم
من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم و لا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع و لا يتقون العقاب الذي
هو اشد المصاير و المهالك و لا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهديء و العذب الروي * [اَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ]
الم تنظر الى صنعة ربك و قدرته - و معنى مد الظل ان جعله يمتد و ينبسط فينتفع به الناس [وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ
سَاكِنًا] اي لامقا باصل كل مظّل من جبل و بناء و شجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد سمي انبساط
الظل و امتداده تحركا منه و عدم ذلك سكونا - و معنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس
و باحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان و زائلا و متنسعا و متقلصا فيبدون حاجتهم
الى الظل و استغناءهم عنه على حسب ذلك - و قبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس [يَسِيرًا] اي
على مهل و في هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد و لا يحصر و لو قبض دفعة
واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل و الشمس جميعا - فان قلت ثم في هذين الموضعين كيف
موقعها - قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثاني اعظم من الاول و الثالث اعظم منهما تشبيها
لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت - و وجه آخر وهو انه مد الظل حين
بنى السماء كالقبة المضروبة و دحى الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض فينانا ما في اديمه جوب
لعدم النير و لو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي
سلطها عليه و نصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها و ينقص و يمتد و يقلص ثم
نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير - و يحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه و
هي الاجرام اللتي تلقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه و قوله
قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ يَسِيرًا كَمَا قَالَ ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ - شبه ما يستمر من ظلام الليل
باللباس الساتر - و السبات الموت و المسبوت الميت لانه مقطوع الحيوة وهذا كقوله وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم

سورة الفرقان ٢٥

الجزء ١٩

ع ١٣

تَقْبِيرًا ۝ وَلَقَدْ آتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتِ مَطَرًا سَوِيًّا ۖ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا ۖ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ۝ وَإِذَا رَأَوْكَ أَنْ يَنْخِذُونَكَ إِلهَزُوا ۖ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۝ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۖ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ۝ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهِهُ هَوَاهُ ۖ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ

جرى عليهم من عذاب الله وتدميره - و التقبير التفتيت و التفسير و منه التبر و هو كسار الذهب و الفضة و الزجاج - و كلاً الاول منصوب بمادل عليه ضربنا له الامثال و هو انذرنا او حذرنا - والثاني بتبيرا لانه فارغ له * اراد بالقرية مدمر من قري قوم لوط و كانت خمسا اهلكها الله اربعا باهلها و بقيت واحدة - و مطر السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء [اَفَلَمْ يَكُونُوا] في مرار مرورهم ينظرون الى اثار عذاب الله و نكاله و يذكرون [بَلْ كَانُوا] قوما كفرة بالبعث [لا] يتوقعون [نُشُورًا] و عاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يوم من فممن ثم لم ينظروا و لم يذكروا و مروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية - ان الولي نافية و الثانية مخففة من الثقيلة و اللام هي الفارقة بينهما واتخذة هزوا في معنى استهزاء به و الاصل اتخذة موضع هزوا او مهزوا به [اَهْدَا] محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار و [بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا] و اخراجه في معرض التسليم و الاقرار و هم على غاية الجحود و الانكار سخوية و استهزاء و لو لم يستهزؤوا لقالوا اهذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا و قولهم [اِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا] دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في دعوتهم و بذله قصارى الوسع و الطاقة في استعطافهم مع عرض الايات و المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاحهم واستمسكهم بعبادة الهتهم و [لَوْلَا] في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق [وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ] وعيد و دلالة على انهم لا يفوتونه و ان طالمت مدة الامهال و لابد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرتهم التأخير و قوله [مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا] كالجواب عن قولهم اِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه - و يروى انه من قول ابي جهل لعنه الله * من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي و يذر لا يتبصر دليلا و لا يصغي الى برهان فهو عابد هواه و جاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه و تجبره على الاسلام و تقول لابد ان تسلم شئت او ابديت و لا اكراه في الدين وهذا كقوله و مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ - لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ - و يروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا رأى احسن منه رمى به و اخذ آخر و منهم الحرث بن قيس السهمي - أم هذه منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها و هي كونهم مسلوبى الاسماع و العقول لانهم لا يلْقون الى استماع الحق اذنا و لا الى

سَبِيلًا ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ۝ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا
بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَهُمْ تَدْمِيرًا ۝ وَقَوْمِ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۝ وَاعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ
عَذَابًا أَلِيمًا ۝ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۝ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا

انكم تُضَلُّون سبيله وتحققون مكانه ومنزلته ولو نظرتهم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم
الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته قوله قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ
ذَلِكَ مَثْوًى عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ الْآيَةُ - ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة - وان يراد
الدار والمسكن كقوله آيُ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَآخَسُنْ نَدِيًّا ووصف السبيل بالضلال من الامثال
المجازي - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اثلث ثلث على
الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينملون نسلاً * الوزارة لا تُدْفَى الذبوة فقد كان يبعث في
الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضاً والمعنى فذهب اليهم فكذبوهم فدمرناهم كقوله
إِضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ أَي فُضِرِبَ فَانْفَلَقَ اراد اختصار القصة فذكر حاشيتها اولها وآخرها لانها
المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم - وعن علي رضي
الله عنه فَدَمَرْنَهُمْ - وعنه فَدَمَرَاهُمْ - وقرئ فَدَمَرَانَهُمْ على التاكيد بالنون الثقيلة - كانوا كذبوا نوحاً ومن
قبله من الرسل صريحاً او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيباً للجميع اولم يروا بعثة الرسل اصلاً كالبراهمة [وَجَعَلْنَاهُمْ]
وجعلنا اغرقهم او قصتهم - [لِلظَّالِمِينَ] اما ان يعنى بهم قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليلهم
فاظهر - واما ان يتناولهم بعمومه - عطف عاداً على هُم في جَعَلْنَاهُمْ او على الظالمين لان المعنى وعدنا
الظالمين - وقرئ وَثَمُودَ على تأويل القبيلة واما المنصرف فعلى تأويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر -
قيل في اصحاب الرس كانوا قوماً من عبدة الاصنام اصحاب ابار ومواش فبعث الله اليهم شعيباً فدعاهم
الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ابدانهم فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن ابي عبدة
انهارت بهم فحسف بهم وبديارهم - وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح -
وقيل هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي اعظم ما يكون من الطير سميت
لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتج وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها
الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا - وقيل هم اصحاب الاخدود والرس
هو الاخدود - وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار - وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر ابي دسوة
فيها [بَيْنَ ذَلِكَ] اي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك وبحسب
الحاسب اعداداً متكررة ثم يقول فذلك كيدٌ وكيدٌ على معنى فذلك المحسوب او المعدود [ضَرَبْنَا لَهُ]
الامثال [بَيْنًا لَهُ] القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما أجروا اليه من تكذيب الانبياء و

سورة الفرقان ٢٥

الجزء ١٩

ع ١٧

الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۖ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۖ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۗ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ

قريش - وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومما رآه بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفردا وقوله [كَذَلِكَ] جواب لهم اي كذلك انزل مفردا والحكمة فيه ان فقوي بتفريقه فؤادك حتى تعينه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولوالقي عليه جملة واحدة لبعل به وتعينا بحفظه والرسول صلى الله عليه وآله وسلم فارقت حاله حال موسى و داود وعيسى حيث كان اميلا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة - وقيل في ثلث وعشرين - وايضا فكان ينزل على حسب الاحداث وجوابات السائلين - ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك الا فيما انزل مفردا - فان قلت ذلك في كذا يجب ان يكون اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاه جملة واحدة فكيف فسرت به كذا انزلته مفردا - قلت لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل مفردا - والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فبرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناسبة وفعروا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفريقه حتى يقدروا على جملة [وَرَتَّلْنَاهُ] معطوف على الفعل الذي تعلق به كذا كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه - ومعنى ترتيله ان قدره اية بعد اية وقفة عقيب وقفة - ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا اي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة رضي الله عنها في صفة قراءته لا كسر دكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدّها واصاله الترتيل في الامنان وهو تغليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بذور الاخوان في تغليجها - وقيل هو ان نزل مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة [وَلَا يَأْتُونَكَ] بسؤال عجيب من هو الاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا اتيذك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معني ومؤدى من سوالهم ولما كان التفسير هو الكشف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا - اولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك يندر معك او يلقي اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحقق لك في حكمتنا ومشيتنا ان تُعطاه وما هو احسن تفسيرا لما بُعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزله مفردا وتحديهم بان يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفية - كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السوال

الظالم على يديه يقول يُلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يُؤَيِّلَتْنِي لَيْتَنِي لَمْ اتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۝ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۝ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۝ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۝ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝ وَقَالَ

[الظالم] يجوز ان تكون للعهد يراد به عقبة خاصة - ويجوز ان تكون للجنس فيتناول عقبة و غيره - تمنى ان لو صحب الرسول و سلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة و الهوى او اراد اني كنت ضالا لم يكن اي سبيل قط فليتني حصلت لنفسى في صحبة الرسول سبيلا - و قرئ يؤيِّلَتْنِي بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي وَيَلْتَهُ وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا ارانك وانما قلبت الياء الفاء كما في صحارى و مدارى - فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابنا خليلا فكنى عن اسمه - و ان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخاييله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه [عَنِ الذِّكْرِ] عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول - ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام - والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة - او اراد ابليس و انه هو الذي حمله على مخالطة المضل و مخالفة الرسول ثم خذله - او اراد الجنس و كل من تشيطن من الجن و الانس - ويحتمل ان يكون وَكَانَ الشَّيْطَانُ حكاية كلام الظالم - و ان يكون كلام الله - اتَّخَذْتُ يقرأ على الادغام والظهار و الادغام اكثر * [الرَّسُولُ] محمد صلى الله عليه وآله و سلم - وقومه قريش - حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب و لم يَنْظُرُوا ثم اقبل عليه مستليا ومؤسئا واعدوا النصره عليهم فقال [كَذَلِكَ] كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم و ناصرا لك عليهم مهجورا تركوه و صدوا عنه و عن الايمان به - و عن النبي صلى الله عليه وآله و سلم من تعلم القرآن و علمه و علق مصحفا لم يتعاهده و لم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقص بيني و بينه - وقيل هو من هجر اذا هدى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار و هو على وجهين - احدهما زعمهم انه هذيان و باطل و اساطير الزلين - والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ - ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود و المعقول و المعنى اتخذوه هجرا - والعِدُو يجوز ان يكون واحدا و جمعا كقوله فَاِنَّهُمْ عَدُوِّيَّ - وقيل المعنى وَقَالَ الرَّسُولُ يوم القيمة * [نَزَلَ] ههنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر و الا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق و تجايفهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلاثة و ما له انزل على التفريق والقائلون

وَنَزَلَ الْمَلَكَةُ تَنْزِيلًا ۝ أَلَمْ لَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ط وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ۝ وَيَوْمَ يَعْصُ مَوْرَةُ الْفِرْقَانِ ٢٥

الجزء ١٩

ع ١٧

يتجالسون و يتحدثون - و المقييل المكان الذي يأرون اليه للاسترواح الى ازواجهم و التمتع بمغازلتهم و ملاصقتهم كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب - و روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة و اهل النار في النار و في معناه قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فكهون هم و ازواجهم في ظلل على الارائك منكئون - قيل في تفسير الشغل افتضااض الابكار و لا نوم في الجنة و انما سمي مكان دعوتهم و استرواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه - و في لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيليهم من حسن الوجوه و ملاحاة الصور الى غير ذلك من التحاسين و الزين - و قرئ [تشقق] و الاصل تشقق فحذف بعضهم التاء و غيره ادغمها و لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة و انشق بها و نظيره قوله تعالى السماء منقطره - فان قلت اي فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات و انشقت عن النبات - قلت معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به و معنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه و المعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها و في الغمام الملكة ينزلون و في ايديهم صحائف اعمال العباد - و روي تشقق سماء سماء و تنزل الملكة الى الارض - و قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابه و لم يكن الابني اسرائيل في تيههم و في معناه قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام و الملكة - و قرئ و نزل الملكة - و نزل - و نزلت الملكة - و انزل الملكة - و نزل الملكة - و نزل الملكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من نزل قراءة اهل مكة - الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ و يبطل و لا يبقى الا ملكه - عض اليديين و الانامل - و السقوط في اليد - و اكل البنان - و حرق الاسنان - و الارم - و قرعها - كذايات عن الغيظ و الحسرة لانها من روادنها فيذكر الرادفة و يدل بها على المودوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة و يجد السامع عنده في نفسه من الروعة و الاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكني عنه - و قيل نزلت في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس و كان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم - و قيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل و كان ابي بن خلف صديقه فعاتبه و قال صبات يا عقبة قال لا ولكن الى ان لا يأكل من طعام و هو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له و الشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه و تبرق في وجهه و تلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل يوم بدر امرا عليا بقتله - و قيل قتله عاصم بن ثابت بن اقلح الانصاري و قال يا محمد الى من الصبية قال الى النار و طعن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ابيتا بأحد فرجع الى مكة فمات - و اللام في

مَنْ عَمِلْ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ۝ اَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَاَحْسَنُ مَقِيلًا ۝ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ

الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو - واللام جواب قسم محذوف و هذه الجملة في حسن استئنافها غاية و في اسلوبها قول القائل * شعر * و جارة جساس ابنا بذابها * كليبنا غلبت ناب كليب بواؤها * و في فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم و ما اكبر عتوهم و ما اغلى نابا بواؤها كليب - [يَوْمَ يَرَوْنَ] منصوب باحد شيئين - اما بما دل عليه لَابْشُرَى اي يوم يرون الملكة يمنعون البشرى او يعدمونها و يَوْمَئِذٍ للتكرير - و اما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملكة ثم قال لَابْشُرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ - و قوله [لِلْمُجْرِمِينَ] اما ظاهر في موضع ضمير - و اما لانه عام فقد تناولهم بعمومه - [حَجْرًا مَّحْجُورًا] ذكره سيدي في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروكة اظهارها نحو معاذ الله و قعدك و عمرك و هذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة . قال سيدي و يقول الرجل للرجل اتفعل كذا و كذا فيقول حجرا و هي من حجرة اذا منعه لان المستعبد طالب من الله ان يمنع المكره فلا يلحقه فكان المعنى اسأل الله ان يمنع ذلك منعا و يحجره حجرا و مجيئه على فَعَلٍ او فَعَلٍ في قراءة الحسن تصرف فيه للاختصاص بموضع واحد كما كان قعدك و عمرك كذلك و انشدت لبعض الرجاز * شعر * قالت و فيها حيدة و دعر * عوذ برتي منكم و حجر * . فان قلت فاذ قد ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور - قلت جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل و الذيل الهوان و موت مائت و المعنى في الآية انهم يطلبون نزول الملكة و يقترحونه و هم اذا رأوهم عند الموت او يوم القيمة كرهوا لقاءهم و فرعوا منهم لانهم لا يلتقونهم الا بما يكرهون و قالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور و شدة النازلة - و قيل هو من قول الملكة و معناه حراما محرما عليكم الغفران و الجنة او البشرى اي جعل الله ذلك حراما عليكم * ليس ههنا قدوم و لا ما يشبه القدوم و لكن مثلت حال هؤلاء و اعمالهم اللتي عملوها في كفرهم من صلة رحم و اغانة ملهوف و قري ضيف و من على اسير و غير ذلك من مكارمهم و محاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم و استعصوا عليه فقدم الى اشيائهم و قصد الى ما تحت ايديهم فافسدها و مزقها كل ممزق و لم يترك لها اثرا و لا عذيرا - و الهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيهة بالغبار و في امثالهم اقل من الهباء - [مَنْثُورًا] صفة للهباء شبهة بالهباء في قلته و حقارته عذرة و انه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رأيت قد تناثر و ذهب كل مذهب و نحوه قوله كعصف مأكول لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله مؤثرا بالآكال و لا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا - او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء و التناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخر و الخس و لام الهباء و ارباديل الهبوة - المستقر المكان الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين

سورة الفرقان ٢٥

الجزء ١٩

ع ١٧

الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ط وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ؤ أَتَصْبِرُونَ ع وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ع وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ط لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ة يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ة وَقَدْ مَدْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا

إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ عَلَى مَعْنَى وَ مَا مَدْنَا أَحَدًا - وَقَرِئَ وَيَمْشُونَ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ أَيِ تَمْشِيهِمْ حَوَائِجَهُمْ
أَوِ النَّاسِ - وَلَوْ قَرِئَ يَمْشُونَ لَكَانَ أَوْجَهُ لَوْلَا الرِّوَايَةُ - وَقِيلَ هُوَ احْتِجَاجٌ عَلَى مَنْ قَالَ مَالِ هَذَا الرَّسُولِ
يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ - [فِتْنَةً] أَيِ مَحْنَةً وَابْتِلَاءً وَهَذَا تَصْدِيرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ عَلَى مَا قَالُوهُ
وَاسْتَبْدَعُوهُ مِنْ أَكْلِهِ الطَّعَامَ وَمَشْيِهِ فِي الْأَسْوَاقِ بَعْدَ مَا احْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِسَائِرِ الرُّسُلِ يَقُولُ وَجَرَتْ عَادَتِي وَ
مَوْجِبَ حُكْمَتِي عَلَى ابْتِلَاءِ بَعْضِكُمْ آيَا النَّاسِ بِبَعْضٍ وَالمَعْنَى أَنَّهُ ابْتَلَى الْمُرْسَلِينَ بِالْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ وَبِمَنَاصِبَتِهِمْ
لَهُمُ الْعِدَاوَةُ وَاقْرَابُهُمْ الْخَارِجَةُ عَنْ حَدِّ الْإِنصَافِ وَأَنْوَاعِ إِذَا هُمْ وَطَلَبَ مِنْهُمْ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ وَنَحْوَهُ وَلَتَسْمَعَنَّ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا - وَأَنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ
مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَمَوْجِعَ أَتَصْبِرُونَ بَعْدَ ذِكْرِ الْفِتْنَةِ مَوْجِعَ أَيُّكُمْ بَعْدَ الْإِبْتِلَاءِ فِي قَوْلِهِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا -
[بَصِيرًا] عَالِمًا بِالصَّوَابِ فِيمَا يَبْدُو لِي بِهِ وَغَيْرُهُ فَلَا يَضِيقُنَّ صَدْرَكَ وَلَا يَسْتَخْفِظُكَ اقْرَابُهُمْ فَإِنَّ فِي مَبْرَكِ عَلَيْهَا
مَعَادَتِكَ وَفَوْزِكَ فِي الدَّارَيْنِ - وَقِيلَ هُوَ تَسْلِيَةٌ لَهُ عَمَّا عَيَّرُوهُ بِهِ مِنَ الْفَقْرِ حِينَ قَالُوا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ
أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ وَأَنَّهُ جَعَلَ الْغَنِيَاءَ فِتْنَةً لِلْفُقَرَاءِ لِيَنْظُرَ هَلْ يَصْبِرُونَ وَأَنَّهُ حُكْمَتُهُ وَمَشِيَّتُهُ يُغْنِي مَنْ يَشَاءُ وَيُفْقِرُ
مَنْ يَشَاءُ - وَقِيلَ جَعَلْنَاكَ فِتْنَةً لَهُمْ لِأَنَّكَ لَوْ كُنْتَ غَنِيًّا صَاحِبَ كَنْزٍ وَجِنَانٍ لَكَانَ مِثْلَهُمْ إِلَيْكَ وَطَاعَتُهُمْ
لَكَ لِلدُّنْيَا أَوْ مَمْزُوجَةً بِالدُّنْيَا فَإِنَّمَا بَعْدُكَ فَقِيرًا لِيَكُونَ طَاعَةٌ مِنْ يَطِيعُكَ خَالِصَةً لَوَجْهِ اللَّهِ مِنْ
غَيْرِ طَمَعٍ دُنْيَوِيٍّ - وَقِيلَ كَانَ أَبُو جَهْلٍ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ وَمَنْ فِي طَبَقَتِهِمْ يَقُولُونَ
إِنْ اسْلَمْنَا وَقَدْ اسْلَمَ قَبْلُنَا عَمَارٌ وَصَهَّيْبٌ وَبِلَالٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ تَرْفَعُوا عَلَيْنَا إِدْلَالًا بِالسَّابِقَةِ فَهُوَ ائْتَدَانُ بَعْضُهُمْ
بِبَعْضٍ * أَيِ لَا يَأْمَلُونَ لِقَاءَنَا بِالْخَيْرِ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا أَوْ لَا يَخَافُونَ لِقَاءَنَا بِالْشَّرِّ - وَالرَّجَاءُ فِي لُغَةِ تَهَامَةِ الْخَوْفُ وَبِهِ
فَسَّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا جَعَلْتَ الصِّيرُورَةَ إِلَى دَارِ جَزَائِهِ بِمَنْزِلَةِ لِقَائِهِ لَوْ كَانَ مَلَقِيًّا - اقْتَرَحُوا مِنْ
الْآيَاتِ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَلَكَةُ فَتُخَبِّرَهُمْ بِأَنْ مُحَمَّدًا صَادِقٌ حَتَّى يَصْدَقُوهُ أَوْ يَرَوْا اللَّهَ جَهْرَةً فَيَأْمُرَهُمْ بِتَصْدِيقِهِ
وَاتِّبَاعِهِ وَلَا يَخْلُو - أَمَّا أَنْ يَكُونُوا عَالَمِينَ بِأَنْ اللَّهَ لَا يَرْسِلُ الْمَلَكَةَ إِلَى غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنْ اللَّهَ لَا يَصْخِرُ أَنْ يَرَى
أَمَّا عَلَّقُوا إِيْمَانَهُمْ بِمَا لَا يَكُونُ - وَأَمَّا أَنْ لَا يَكُونُوا عَالَمِينَ بِذَلِكَ وَأَمَّا إِذَا دَا التَّعَذُّبُ بِاقْتِرَاحِ آيَاتِ هَوَى
الْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ وَقَامَتْ بِهَا الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ كَمَا فَعَلَ قَوْمُ مُوسَى حِينَ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى
اللَّهَ جَهْرَةً - فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى [فِي أَنْفُسِهِمْ] - قُلْتَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ أَضْمَرُوا الِاسْتِكْبَارَ عَنِ الْحَقِّ وَهُوَ الْكُفْرُ
الْعِنَادُ فِي قُلُوبِهِمْ وَاعْتَقَدُوهُ كَمَا قَالَ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ - [وَعَتَوْا] وَتَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي الظُّلْمِ
يُقَالُ عَتَا عَلَيْنَا فُلَانٌ وَقَدْ وَصَفَ الْعَتُوَ بِالْكِبَرِ فَبَالِغٌ فِي إِفْرَاطِهِ يَعْنِي أَنَّهُمْ لَمْ يَحْجِسُوا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْعَظِيمِ

تَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَإِبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُو الذِّكْرَ ۖ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۝ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۖ وَمَنْ يَظْلِم مِثْلَ مِثْلِكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ

ملئكة و انبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس و حزبه - او نطقوا بسبْحَنَكَ ليدلوا على انهم المستبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عبادة او قصدوا به تزييه عن الانداد و ان يكون له نبي او ملك او غيرهما نذا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم و نحن معصومون ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك - او ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ يريد الكفرة و قال وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيُهُمُ الطَّاغُوتُ - و قرأ ابو جعفر المدني تَتَّخِذَ عَلَى الْبِنَاءِ للمفعول وهذا الفعل اعني اتَّخَذَ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتَّخَذَ وَلِيًّا - و الى مفعولين كقولك اتَّخَذَ فَلَانًا وَلِيًّا قال تعالى اِم اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ و قال وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا - فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو مِنْ أَوْلِيَاءَ و الاصل ان تَتَّخِذَ اولياء فزيدت مِنْ لتأكيد معنى النفي - والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول ما بُنِيَ له الفعل و الثاني مِنْ أَوْلِيَاءَ - ومن للتبويض اي لانتخذ بعض اولياء - و تذكير أَوْلِيَاءَ من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن و الاصنام - والذكر ذكر الله و الايمان به او القرآن و الشرائع - و البور الهلاك يوصف به الواحد و الجمع - ويجوز ان يكون جمع باثر كعائد وعود * هذه المفاجاة بالاحتجاج و الالتزام حسنة رائعة و خاصة اذا انضم اليها الالتفات و حذف القول و نحوها قوله تعالى يَا هَلْ أَكْتَبَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسْلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وقول القائل * شعر * قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا * ثم القول فقد جئنا خراسانا * و قرئ يَقُولُونَ بالتاء و الياء فمعنى من قرأ بالتاء فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بقولكم انهم آلهة - و معنى مَنْ قرأ بالياء فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بقولهم سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ - فان قلت هل يختلف حكم الباء مع التاء و الياء - قلت اي والله هي مع التاء كقوله بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ و الجار و المجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولاك كتبت بالقلم - و قرئ [يَسْتَطِيعُونَ] بالتاء و الياء ايضا يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم - و قيل الصرف التوبة - و قيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال - او فما يستطيع الهتك ان يصرفوا عنكم العذاب - او ان يحتالوا لكم - الخطاب على العموم للمكلفين - و العذاب الكبير لاحق بكل مَنْ ظلم و الكافر ظالم لقوله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ و الفاسق ظالم لقوله وَ مَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ - و قرئ يُذِقُّهُ بالياء - وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يَظْلِمُ * الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ احدا مِنَ الْمُرْسَلِينَ الا اكلين و ماشين وانما حذف اكتفاء بالجار و المجرور اعني مِنَ الْمُرْسَلِينَ و نحوه قوله عز من قائل وَمَا مِثْنَا

وَمَصِيرًا ۝ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۖ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ۝ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ۖ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۖ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ

اي كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لانه جزاء واجر مستحق - وقيل
قد سأل الناس والملئكة في دعواتهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك - ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة - ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم * [يُحْشَرُهُمْ - فَيَقُولُ] كلاهما بالذون والياء - وقرئ
يُحْشَرُهُمْ بكسر الشين [وَمَا يَعْبُدُونَ] يريد المعبودين من الملئكة والمسيح وعزير - وعن الكلبي الاصنام
ينطقها الله - ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا - فان قلت كيف صح استعمال ما في العقلاء - قلت هو
موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان
قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل - او اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم الاتراك تقول
اذا اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير افيقه ام طيب - فان قامت ما فائدة انتم
وهم وهلا قيل اضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل - قلت ليس السؤال عن الفعل وجوده لانه لولا
وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره و ايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه
المسئول عنه - فان قلت فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسئول عنه فما فائدة هذا السؤال - قلت فائدته
ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يثبت عبادتهم بتكذيبهم اياهم فيبتهتوا وينخزلوا ويزيد حسرتهم ويكون ذلك
نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه و يغتبط المؤمنون وفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك
وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفًا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده على
الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه ۖ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمُوهُمْ أَمْ هُمْ ضَلُّوا بانفسهم فيتبدرون من اضلالهم و
يستعيدون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء و اباؤهم تفضل جواد
كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم -
فاذا برأت الملئكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم
لربهم الغني العدل اشد تبرية وتزيبا منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتع بها و
اسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله الى ذاته
في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العديد ان يقولوا بل انت اضللتم
و المعنى انتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم - و ضل مطارع اضله و كان
القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق
و قولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضاعا - لما كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط
في حفظه قيل اضله سواء كان منه فعل او لم يكن - [سُبْحَانَكَ] تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم

الْأَنهَرُ ۖ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۖ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ
بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ۖ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرِنَيْنِ دَعَوْا هَٰذَا لَكَ تُوْبَرًا ۖ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ
تُوْبَرًا وَاحِدًا ۖ وَادْعُوا تُوْبَرًا كَثِيرًا ۖ قُلْ أَذٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءُ

من الجنات والقصور - وقرئ ويَجْعَلُ بالرفع عطفا على جَعَلَ لأن الشرط اذا وقع ماضيا جار في جزائه
الجزم والرفع كقوله * شعر * وان اناه خليل يوم مسألة * يقول لا غائب مالي ولا حرم * ويجوز في وَ يَجْعَلُ
لَكَ اذا ادغمت ان تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا - وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو -
[بَلْ كَذَّبُوا] عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة - ويجوز
ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل
مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة - السعير النار الشديدة الاستعار - وعن الحسن انه اسم من
اسماء جهنم - [رَأَتْهُمْ] من قولهم دُرهم تَرَأَى وتناظر ومن قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا رَأَى نارا هما
كان بعضهما يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمراى الناظر في البعد سمعوا صوت
غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر - ويجوز ان يراد اذا رأتهم زبانيته تغيطوا وزفروا غضبا على
الكفار وشهوة للانتقام منهم * الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ - وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا - ولقد جمع الله
على اهل النار انواع التضيق والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا - كما روي عن
ابن عباس في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون
مقرونون في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في الجوامع - وقيل يُقْرَن مع كل كافر شيطانه في سلسلة
وفي ارجلهم الاصفاذ - والثبور الهلاك - ودعارة ان يقال واثبورا اي تعال يا ثبور فهذا حينك و زمانك -
[لَا تَدْعُوا] اي يقال لهم ذلك او هم احقء بان يقال لهم و ان لم يكن ثمه قول - ومعنى [وَادْعُوا تُوْبَرًا كَثِيرًا]
انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور
اشدته وفظاعته - اولانهم كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلُوا غَيْرَهَا فلا غاية لهلاكهم * الراجع الى الموصولين محذوف
يعني وَعِدَهَا الْمُتَّقُونَ - وَمَا يَشَاؤُنَ - وانما قيل كَانَتْ لان ما وعدة الله وحده فهو في تحققه كانه قد كان -
او كان مكتوبا في اللوح قبل ان يَرَأَهُمْ بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم - فان قلت ما معنى
قوله كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا - قلت هو كقوله نَعَمْ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا فمدح الثواب ومكانه كما قال
يُنْسُ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعّم الا بطيب المكان وسعته
وموافقته للمراد والشهوة وان لا تنقص وكذلك العقاب يتضاعف بغثائة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه
لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء - والضمير في كَانَ لَمَّا يَشَاؤُنَ - والوعد الموعود

عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۚ نَوَلَّا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۝ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ۝ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

سورة الفرقان ٢٥
الجزء ١٨
ع ١٩

سرّ خفي في السموات والارض ومن جملته ما تُسرونه انتم من الكيد لرسوله مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وبراءته مما تبهتونه به وهو يُجازيكم ويُجازيه على ما علم منكم وعلم منه - فان قلت كيف طابق قوله [إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا] هذا المعنى - قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة - او هو تذبذب على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يُصَبَّ عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يُمهّل ولا يعاجل * وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن ارضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشانه - وتسميته بالرسول سخوية منهم وطمعهم انهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول ونحوه قول فرعون إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ابي ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا [يَأْكُلُ الطَّعَامَ] كما نأكل و يتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش - ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ماك حتى يتساندا في الانذار والتخويف - ثم نزلوا ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقي اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش - ثم نزلوا فافتنعوا بان يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير او يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم - واراد بالظلمين اياهم باعديانهم - وضع الظاهر موضع المضمّر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا - وقرئ فيكون بالرفع - أَوْ يَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ بِالْيَاءِ - وَنَأْكُلُ بِالنُّونِ - فان قلت ما وجه الرفع والنصب في فيكون - قلت النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على أنزل و محله الرفع الا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقي وتكون مرفوعين - ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا - والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث و عبد الله بن ابي امية و نوفل بن خويلد ومن ضامهم [مَسْحُورًا] سحر فغلب على عقله - اوذا سحر وهو الريئة عنوا انه بشر لا ملك * [ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ] ابي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الذائرة من نبوة مشتركة بين انسان و ملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبدقوا متحيرين ضلّالا لا يجدون قولا يستقرون عليه - او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه * تكاثر خير [الَّذِي إِنْ شَاءَ] وهب لك في الدنيا [خَيْرًا] مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة

وَلَدَا وَتَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكَ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ۝ وَأَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضُرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِلَهُكُمْ أَنتُمْ أَنْتُمْ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۚ فَقَدْ جَاءَ ظِلْمًا وَزُورًا ۖ وَقَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۚ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى

لامرماً و مصلحة مطابقاً لما قَدَّرَ له غير متجاف عنه - او سمي احداث الله خلقاً لانه لا يحدث شيئاً لحكمته
الا على وجه التقدير من غير تغاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث و اوجد من غير نظر
الى وجه الاشتقاق فكانه قيل و اوجد كل شيء فقدره في ايجاد له لم يوجد متفاوتاً - وقيل فجعل له غاية
و منتهى و معناه فقدره للبقاء الى امد معلوم - الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله تعالى إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَثَانًا وَ تَخْلُقُونَ إِفْكًا و المعنى انهم اثروا على عبادة الله سبحانه عبادة الالهة لاجزايين من عجزهم
لا يقدرون على شيء من افعال الله ولا من افعال العباد حيث لا يفعلون شيئاً و هم يفعلون لان عبدتهم يصنعونهم
بالنحت و التصوير - [وَلَا يَمْلِكُونَ] اي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها او جلب نفع اليها و هم يستطيعون
و اذا عجزوا عن الافتعال و دفع الضرر و جلب النفع اللتي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت و الحيوّة و
النشور اللتي لا يقدر عليها الا الله اعجز * [قَوْمٌ آخَرُونَ] هم اليهود - وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى
و يسار مولى العلاء بن الحضرمي و ابوفكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار - جاء و اتى
يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته و قد يكون على معنى وردوا ظلماً كما تقول جئت المكان -
و يجوز ان يحذف الجار و يوصل الفعل - و ظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاماً
عريباً اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب - و الزور ان بهتوه بنسبة ما هو بري منه اليه - [آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ]
ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم و اسفنديار جمع اسطار او اسطورة كأحدثة -
اكتتبها كتبها لنفسه و اخذها كما تقول استكتب الماء و اصطبه اذا سكه و صبه لنفسه و اخذه -
و قرئ اكتبها على البناء للمفعول و المعنى اكتبها كاتب له لانه كان امياً لا يكتب بيده و ذلك من تمام
اعجازه ثم حذفت اللام فانضي الفعل الى الضمير فصار اكتبها اياه كاتب كقوله و اخقار موسى قومه ثم
بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعاً مستترا بعد ان كان بارزاً منصوباً و بقي ضمير الاساطير
على حاله فصار اكتبها كما ترى - فان قلت كيف قيل [اكتبها فهي تملئ عليه] و انما يقال املئت عليه
فهو يكتتبها - قلت فيه وجهان - احدهما اراد اكتبها او طلبه فهي تملئ عليه - او كتبت له و هو امي فهي تملئ
عليه اي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالتقاء على الحافظ كصورة الالتقاء على الكاتب - و عن الحسن
انه قول الله سبحانه يكتتبهم و انما يستقيم ان لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى انكار وجهه ان يكون
نحو قوله * شعر * افرح ان ارزأ الكرام و ان * اوزت ذوداً شصائصاً نبلاً * و حق الحسن ان يقف على الاولين
[بكرة و اصيلة] اي دائماً او في الخفية قبل ان يفتش الناس و حين يارون الى مساكنهم * اي يعلم كل

سورة الفرقان ٢٥

الجزء ١٨

ع ١٥

حروفها
٣٩١٩

قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ * وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا * وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝

سورة الفرقان مكية وهي سبع و سبعون آية وست ركوعا

كلماتها
٩٠٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝ ١ ۝ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ

وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله • شعر • فان تمس معجور الفناء ربما • اقام به بعد الوفود وفود • ونحوه قول زهير • شعر • اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله • ولكنه قد يهلك المال نائله • والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها - وسينبئهم يوم القيمة بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم - والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله اعلم - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي •

سورة الفرقان

البركة كثرة الخير وزيادته ومنه [تبارك الله] وفيه معنيان - تزايد خيرة وتكاثر - او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وفعاله - والفرقان مصدر فرق بين الشينين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل - او لانه لم يفرزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعنى قال ع • ومشركي كافر بالفرق • وعن ابن الزبير على عبادة وهم رسول الله وامتة كما قال لقد انزلنا اليكم - قولوا امنا بالله وما انزل الينا - والضمير في [ليكون] لعبده او للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير - [للعالمين] للجن والانس [نذيرا] منذرا ابي مخوفا - او انذارا كالنكير بمعنى النكار ومنه قوله فكيف كان عذابي ونذر [الذي له] رفع على الابدال من الذي نزل - او رفع على المدح - او نصب عليه - فان قلت كيف جاز الفصل بين البذل والمبدل منه - قلت ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليلا له فكان المبدل منه لم يتم الا به - فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا كانه وقدر كل شيء فقدره - قلت المعنى انه احدث كل شيء احدثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وحياء لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقطرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۖ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ۖ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ آيَةٌ ۖ إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ

يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تمام في حلف وغير ذلك او الامر الذي يعم بضرره او بنفعه - وقرئ امر جميع - وفي قوله اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لابد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه عليه و يعارضونه ويستضيء بأرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثمة غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستئذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله [لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ] - وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه - وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يحدثونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رايه * اذا احتاج رسول الله الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي - او لا تجعلوا تسميته ودعاءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع - ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثلما يدعوا صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما اجابه وربما رده فان دعوات رسول الله مسموعة مستجابة [يتسألون] ينسألون قليلا قليلا ونظير تسأل تدرج وتدخل - واللوازم الملازمة وهوان يلون هذا بذاك وذاك بهذا يعني ينسألون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملازمة واستتار بعضهم ببعض و [لِوَاذًا] حال اي ملاذين - وقيل كان بعضهم يلون بالرجل اذا استأذن فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه - وقرئ لَوَاذًا بالفتح - يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمُوتَ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ وَخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ الَّذِينَ يصدرون عن امره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه - الضمير في امره لله سبحانه او للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى عن طاعته ودينه [فِتْنَةٌ] محنة في الدنيا [أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] في الآخرة - وعن ابن عباس فِتْنَةٌ قتل - وعن عطاء زلازل واهوال - وعن جعفر بن محمد يسلب عليهم سلطان جائر - ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد

سورة النور ٢٤

الجزء ١٨

ع ١٤

أَخْوَانَكُمْ أَوْ بَيْتٍ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بَيْتٍ عَمَّيْكُمْ أَوْ بَيْتٍ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بَيْتٍ خَلِيقِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ أَوْ مَدِينَتِكُمْ
لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْدَانًا ط فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبْرُكَةٌ طَيِّبَةٌ ط كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ع إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ط إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ

مِنْ شَافِعِينَ وَلَا مَدِينَةٍ حَمِيمٍ وَ قَالُوا إِذَا دَلَّ ظَاهِرُ الْحَالِ عَلَى رِضَى الْمَالِكِ قَامَ ذَلِكَ مَقَامَ الْإِذْنِ
الصَّرِيحِ وَرَبَّمَا سَمِعَ الْإِسْتِذَانَ وَثَقُلَ كَمَنْ قَدَّمَ إِلَيْهِ طَعَامًا فَاسْتَأْذَنَ صَاحِبَهُ فِي الْأَكْلِ مِنْهُ [جَمِيعًا أَوْ أَشْدَانًا]
أَيَّ مَجْتَمِعِينَ أَوْ مُتَفَرِّقِينَ نَزَلَتْ فِي بَنِي لَيْثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كِنَانَةَ كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَأْكُلَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ
فَرَبَّمَا قَعَدَ مُنْتَظِرًا نَهَارَهُ إِلَى اللَّيْلِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مِنْ يُوَاكِلُهُ أَكَلَ ضَرُورَةً - وَ قِيلَ فِي قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ إِذَا
نَزَلَ بِهِمْ ضَيْفٌ لَا يَأْكُلُونَ إِلَّا مَعَ ضَيْفِهِمْ - وَ قِيلَ تَحَرَّجُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ عَلَى الطَّعَامِ لِاخْتِلَافِ النَّاسِ فِي
الْأَكْلِ وَزِيَادَةِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ - [فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا] مِنْ هَذِهِ الْبُيُوتِ لِتَأْكُلُوا فَبَدَّئُوا بِالسَّلَامِ عَلَى أَهْلِهَا
الَّذِينَ هُمْ مِنْكُمْ دِينًا وَقَرَابَةً [تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ] أَيُّ ثَابِتَةٍ بِأَمْرٍ مَشْرُوعَةٍ مِنْ لَدُنْهِ - أَوَّلَانِ التَّسْلِيمِ وَ
التَّحِيَّةِ طَلَبُ سَلَامَةٍ وَحَيَوَةٍ لِلْمُسْلِمِ عَلَيْهِ وَالْمَحْيَى مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَوَصْفُهَا بِالْبَرَكَةِ وَ الطَّيِّبِ لِأَنَّهَا دَعْوَةُ مُؤْمِنٍ
لِمُؤْمِنٍ يُرْجَى بِهَا مِنَ اللَّهِ زِيَادَةُ الْخَيْرِ وَطَيِّبِ الرِّزْقِ - وَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَشْرَ مَنَازِلٍ
وَرَوَيْتُ تِسْعَ سَنِينَ فَمَا قَالَ لِي لَشَيْءٍ فَعَلْتُهُ لَمْ فَعَلْتُهُ وَلَا قَالَ لِي لَشَيْءٍ كَسَرْتُهُ لَمْ كَسَرْتُهُ وَكُنْتُ وَاقِفًا عَلَى رَأْسِهِ
أَصْبُ الْمَاءِ عَلَى يَدَيْهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ أَلَا أَعْلَمُكَ ثَلَاثَ خِصَالٍ تَنْتَفِعُ بِهَا قَلْتُ بَلَى بَابِي وَآمِي يَا رَسُولَ
اللَّهِ قَالَ - مَتَى لَقِيتَ مِنْ أَمَتِي أَحَدًا فَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَطْلُ عَمْرُكَ - وَ إِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ يَكْثُرُ خَيْرُ
بَيْتِكَ - وَ صَلِّ صَلَاةَ الضُّحَى فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْإِبْرَارِ الْأَرَابِيِّينَ - وَ قَالُوا إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ فَلْيَقُلْ السَّلَامُ
عَلَيْهَا مِنْ رَبَّنَا السَّلَامُ عَلَيْنَا وَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ - وَ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ فَقُلْ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - وَ انْتَصَبَ تَحِيَّةٌ
بَسَلِّمُوا لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى تَسْلِيمِ كَقَوْلِكَ قَعَدْتَ جُلُوسًا أَرَادَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُرَبِّهَ عَظَمَ الْجَنَابَةِ فِي ذَهَابِ الذَّاهِبِ
عَنْ مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ [إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ] فَجَعَلَ تَرْكَ ذَهَابِهِمْ
[حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ] ثَلَاثَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ الْإِيمَانِ بِرَسُولِهِ وَ جَعَلَهُمَا كَالْتَشْبِيهِ لَهُ وَ الْبَسَاطَةِ لَذِكْرِهِ وَ ذَلِكَ مَعَ
تَصْدِيرِ الْجُمْلَةِ بِأَنَّهَا وَ إِقْفَاعِ الْمُؤْمِنِينَ مُبْتَدَأُ مَخْبَرٍ عَنْهُ بِمَوْصُولِ احْتَاطَتْ صَلَاتُهُ بِذِكْرِ الْإِيمَانِ ثُمَّ عَقَبَهُ بِمَا
يَزِيدُهُ تَوْكِيدًا وَ تَشْدِيدًا حَيْثُ أَعَادَهُ عَلَى اسْلُوبٍ آخَرَ وَهُوَ قَوْلُهُ [إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ] وَ ضَمَّنَهُ شَيْئًا آخَرَ وَهُوَ أَنَّهُ جَعَلَ الْإِسْتِذَانَ كَالْمِصْدَاقِ لَصِحَّةِ الْإِيمَانِ وَ عَرَضَ بِحَالِ
الْمُتَفَرِّقِينَ وَ تَسْلِيمِهِمْ لَوَإِذَا - وَ مَعْنَى قَوْلِهِ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ وَ يَأْذِنَ لَهُمْ
الْإِتْرَاهُ كَيْفَ عَلَّقَى الْأَمْرَ بَعْدَ وَجُودِ امْتِذَانِهِمْ بِمَشِيَّتِهِ وَ إِذْنِهِ لَمَنْ اسْتَصَوَّبَ أَنْ يَأْذِنَ لَهُ - وَ الْأَمْرُ الْجَامِعُ الَّذِي

يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ۖ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

لا تأكل من هذه البيوت اذا استغنوا - وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومواكلتهم لما عسى يؤذي الى الكراهة من قبلهم - ولان العمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين اكله اليه وهو لا يشعر - والعرج يتفصح في مجلسه و يأخذ اكثر من موضعه فيضيّق على جلسه - و المريض لا يخلو من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن ونحو ذلك - وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويختلفون الضعفاء في بيوتهم و يدفعون اليهم المفاتيح و يأذنون لهم ان يأكلوا من بيوتهم فكانوا يخرجون - حكى عن الحرث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع راه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان اكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تخرجوا عنه ولا عليكم ان تأكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح - وكذلك اذا فسربان هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تأكلوا من البيوت المذكورة للقاء الطائفتين في ان كل واحدة منهما منفى عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الانطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يقطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر - فان قلت هلا ذكر الاولاد - قلت دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى - فان قلت ما معنى [او ما ملكتم مفاتيحه] - قلت اموال الرجل اذا كان له عليها قيم و وكيل يحفظها له ان يأكل من ثمر بستانه و يشرب من لبن ماشيته - و ملك المفاتيح كونها في يده و حفظه - وقيل بيوت المماليك لان مال العبد مولاه - و قرى مفتاحه - فان قلت فما معنى او صديقكم - قلت معناه اصدقاءكم و الصديق يكون واحدا و جمعا وكذلك الخايط والقطين والعدو - يحكى عن الحسن انه دخل دارة واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلا من تحت سريرة فيها الخبيص و اطائب الاطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدرين و كان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريقه كيسه فيأخذ منه ما شاء فاذا حضر مولاه فاخبرته اعتقها سرورا بذلك - و عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس و الاب و الاخ والابن - و عن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميي لما استغنوا لم يستغيثوا بالاباء و الامهات فقالوا فما لنا

عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ط كَذَلِكَ يبين الله لكم الآية ط وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ط كَذَلِكَ يبين الله لكم آيته ط وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ط وَأَنْ

سورة النور ٢٤

الجزء ١٨

ع ١٣

الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بان يحتملوا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يقطعوا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستأذنوا في جميع الاوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة - وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها اكثر الناس آية الاذن واني لامر جازي ان تستأذن علي وسأله عطاء ا استأذن علي اختي قال نعم وان كانت في حجركم تمونها وتلا هذه الآية - وعنه ثلث آيات جردهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة - وعن ابن مسعود عليكم ان تستأذنوا على ابائكم وامهاتكم واخواتكم - وعن الشعبي ليست منسوخة فليل ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان - وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها - فان قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ - قلت قال ابو حنيفة ثمانى عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية - وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما - وعن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله * شعر * ما زال مد عقدت يده ازاره * وسما فادر ك خمسة اشبار * واعتبر غيره الانبات - وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل عن غلام فقال هل اخضر ازاره * القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها [لا يرجون نكاحا] لا يطمعن فيه - والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالمحفة والجلباب الذي فوق الخمار [غير متبرجت بزينة] غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي ارادها في قوله ولا يبدین زينتهن الا ليعولتهن - او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتججن اليه - والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائر عقبه بالمستحب بعنا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى - وان تصدقوا خير لكم - فان قلت ما حقيقة التبرج - قلت تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه اختص بان تكشف المرأة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها - وبدا وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبلى كذلك * كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوى العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بغيركم بالباطل فليل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك - وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزاة فكانت

الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۖ وَمَأْوَهُمُ النَّارُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ
مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَافُونَ

الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ ثُمَّ حَذَفَ الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين
لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر الاثنين عن ذكر الثالث - وعطف قوله [وَمَأْوَهُمُ النَّارُ] عَلَى لَا يَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وَمَأْوَهُمُ النَّارُ - والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم * امر
بان يستأذن العبيد - وقيل العبيد و الاماء و الاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار [ثَلَاثَ مَرَّاتٍ] في اليوم و
الليلة - قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع و طرح ما ينام فيه من الثياب و لبس ثياب
اليقظة - وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة - و بعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة
و الالتحاف بثياب النوم و سمي كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم و تحفظهم
فيها و العورة الخلل و منها اعور الفارس و اعور المكان و الاعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستيذان
وراء هذه المرات و بين وجه العذري في قوله طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ يعني ان بكم و بهم حاجة الى المخالطة و المداخلة
يطوفون عليكم للخدمة و تطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لآتى الى الحرج -
و روي ان مدليج بن عمرو كان غلاما انصاري ارسله رسول الله وقت الظهر الى عمر ليدعوه فدخل عليه
و هو نائم و قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لودوت ان الله نهى ابائنا و ابناءنا و خدامنا ان لا يدخلوا علينا هذه
الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه و آله و سأم فوجده و قد أنزلت عليه هذه
الآية و هي احدى الآيات المنزل بسبب عمر - و قيل نزلت في اسماء بنت ابي مرشد قالت انا لندخل
على الرجل و المرأة و لعلهما يكونان في لحاف واحد - و قيل دخل عليها غلام لها كبد في وقت كرهت
دخوله فأتت رسول الله فقالت ان خدامنا و غلماننا يدخلون علينا في حال نكرها - و عن ابي
عمرو الحُلُم بالسكون - و قرئ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ بالنصب بدلا عن ثَلَاثَ مَرَّاتٍ اي اوقات ثَلَاثَ عورات - و عن
الاعمش عَوْرَاتٍ عَلَى لُغَةٍ هَذِيل - فَاِنْ قُلْتَ مَا مَحَلَّ [لَيْسَ عَلَيْكُمْ] - قُلْتَ اِذَا رَفَعْتَ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ كَانَ ذَلِكَ
فِي مَحَلِّ الرِّفْعِ عَلَى الْوَصْفِ وَالْمَعْنَى هُنَّ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ مَخْصُومَةٌ بِالْاِسْتِذَانِ - و اِذَا نَصَبْتَ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَحَلٌّ
وَ كَانَ كَلَامًا مَقْرَرًا لِأَمْرِ بِالْاِسْتِذَانِ فِي تِلْكَ الْاَحْوَالِ خَاصَّةً - فَاِنْ قُلْتَ بِمِ ارْتَفَعَ [بَعْضُكُمْ] - قُلْتَ بِالْاِبْتِدَاءِ وَ
خَبْرَهُ [عَلَى بَعْضٍ] عَلَى مَعْنَى طَائِفٍ عَلَى بَعْضٍ وَ حَذَفَ لَان طَوَافُونَ يَدُلُّ عَلَيْهِ - وَ يَجُوزُ اِنْ يَرْتَفِعُ بِيَطُوفٍ
مُضْمَرًا تِلْكَ الدَّلَالَةُ * [الْاَطْفَالُ مِنْكُمْ] اَي مِنَ الْاَحْرَارِ دُونَ الْمَمَالِيكِ [الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] يَرِيدُ الَّذِينَ بَلَغُوا الْحُلُمَ
مِنْ قَبْلِهِمْ وَ هُمُ الرِّجَالُ - اَوِ الَّذِينَ ذَكَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ فِي قَوْلِهِ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى
تَسْتَأْذِنُوا الْآيَةُ وَالْمَعْنَى اِنْ الْاَطْفَالُ مَأْذُونٌ لَهُمْ فِي الدَّخُولِ بِغَيْرِ اِذْنٍ اِلَّا فِي الْعَوْرَاتِ الثَّلَاثِ فَاِذَا اعْتَادَ

وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ ٥ وَإِنْ تُطِيعُوا تَهْتَدُوا ٦ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ٧ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ٨ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي
ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ٩ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ١٠ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ١١ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٢ لَا تَحْسَبَنَّ

سورة النور ٢٤

الجزء ١٨

ع ١٢

المبين كونه مقرونا بالآيات و المعجزات * الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولمن معه ومنكم
للبيان كاللتي في آخر سورة الفتح وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء
كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو
دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن سرهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان
الذبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة
يُضَبِّحُونَ فِي السَّالِحِ وَيَمْسُونَ فِيهِ حَتَّى قَالَ رَجُلٌ مَّا يَأْتِي عَلَيْنَا يَوْمَ نَأْمُنُ فِيهِ وَنَضَعُ السِّلَاحَ فَقَالَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا تَغْدِرُونَ إِلَّا سِيدِرًا حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ مُحْتَبِيًا لَيْسَ فِيهِ حَدِيدَةٌ
فَانْجَزَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَآظَهَرَهُمْ عَلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَافْتَتَحُوا بَعْدُ بِلَادَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَزَقُوا مَلِكَ
الْأَكَاسِرَةِ وَمَلَكُوا خَزَائِنَهُمْ وَاسْتَوْلُوا عَلَى الدُّنْيَا ثُمَّ خَرَجَ الَّذِينَ عَلَى خِلَافِ سِيرَتِهِمْ فَكَفَرُوا بِتِلْكَ الْإِنْعَامِ وَ
فَسَقُوا وَذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ يُمَلِّكَ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ فَتَصِيرُ مَلَكًا
ثُمَّ يَصِيرُ بِزَيْزَى قَطْعَ سَبِيلٍ وَسَفْكَ دَمَاءٍ وَاخْذَ أَمْوَالٍ بِغَيْرِ حَقِّهَا - وَقَرِئَ كَمَا اسْتَخْلَفَ عَلَى الْبَنَاءِ
لِلْمَفْعُولِ - وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ بِالتَّشْدِيدِ - فَإِنْ قُلْتَ إِنْ الْقِسْمَ الْمَتَلَقَى بِاللَّامِ وَالذَّوْنِ فِي [لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ] - قُلْتَ هُوَ
مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ وَعَدَهُمُ اللَّهُ وَأَقْسَمَ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ - أَوْ نَزَلَ وَعَدَ اللَّهُ فِي تَحْقِيقِهِ مَفْزَلَةُ الْقِسْمِ فَتَلْقَى بِمَا يَتَلَقَى بِهِ
الْقِسْمُ كَأَنَّهُ أَقْسَمَ اللَّهُ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ - فَإِنْ قُلْتَ مَا مَحَلٌ [يَعْبُدُونَنِي] - قُلْتَ أَنْ جَعَلْتَهُ اسْتِيفَانًا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَحَلٌّ كَانَ قَائِلًا
قَالَ مَا لَهُمْ يُسْتَخْلَفُونَ وَيُؤْمِنُونَ فَقَالَ يَعْبُدُونَنِي - وَانْ جَعَلْتَهُ حَالًا عَنْ وَعَدَهُمْ أَيْ وَعَدَهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ فِي حَالِ
عِبَادَتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ فَحَلَّهُ الذَّصْبُ - [وَمَنْ كَفَرَ] يَرِيدُ كُفْرَانَ النِّعْمَةِ كَقَوْلِهِ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ [فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ] أَيْ هُمُ الْكَامِلُونَ فِي فَسَقِهِمْ حَيْثُ كَفَرُوا تِلْكَ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ وَجَسَرُوا عَلَى غَمَطِهَا - فَإِنْ قُلْتَ
هَلْ فِي هَذِهِ آيَةٍ دَلِيلٌ عَلَى أَمْرِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ - قُلْتَ أَوْضَحَ دَلِيلٌ وَابْيَنُهُ لَأَنَّ الْمُسْتَخْلَفِينَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمُ * [وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ] مَعْطُوفٌ عَلَى أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَيْسَ بِبَعِيدٍ أَنْ يَقَعَ
بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ فَاصِلٌ وَأَنْ طَالَ لَأَنَّ حَقَّ الْمَعْطُوفِ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ - وَ
كُرِّرَتْ طَاعَةُ الرَّسُولِ تَاكِيدًا لَوَجُوبِهَا * وَقَرِئَ لَا تَحْسَبَنَّ بِالْيَاءِ وَفِيهِ أَوْجَهُ - أَنْ يَكُونَ مُعْجِزَيْنِ فِي الْأَرْضِ هُمَا
الْمَفْعُولَانِ وَالْمَعْنَى لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَحَدًا يُعْجِزُ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يَطْمَعُوهُمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ وَهَذَا
مَعْنَى قَوِي جَيِّدٌ - وَأَنْ يَكُونَ فِيهِ ضَمِيرُ الرَّسُولِ لِتَقْدِيمِ ذِكْرِهِ فِي قَوْلِهِ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ - وَأَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ لَا يَحْسَبَنَّ

اللَّهُ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنُؤْمِّرَنَّكُمْ لِيُخْرِجَنَّ ط قُلْ لَا تَقْسِمُوا ۚ
طَاعَةً مَّعْرُوفَةً ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ

لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويقيم لهم
جحدوه و ذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله فمن ثمة يأبون المحاكمة اليه * وعن الحسن
قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ بِالرَّفْعِ وَالنَّصَبِ اقْوَى لَانِ اَوَّلَى الْاِمَمِّينَ بِكُونِهِ اِمَّا لَكَانَ اَوْغْلُهُمَا فِي التَّعْرِيفِ وَاِنْ يَقُولُوا
اَوْغْلَ لَانَهُ لَا سَبِيلَ عَلَيْهِ لِلتَّنْكِيرِ بِخِلَافِ قَوْلِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَانَ هَذَا مِنْ قَبِيلِ كَانِ فِي قَوْلِهِ مَا كَانَ لِلَّهِ اَنْ
يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ - مَا يَكُونُ لَنَا اَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا - وَتَرَى لِيُحْكَمَ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ - فَاِنْ قُلْتَ اِلَى مَ اسْتَدَ بِحُكْمٍ وَ
لَا بُدَّ لَهُ مِنْ فَاعِلٍ - قُلْتَ هُوَ مُسْتَدٌ اِلَى مُصَدَّرَةٍ لَانِ مَعْنَاهُ لِيَفْعَلَ الْحُكْمَ بَيْنَهُمْ وَمِثْلُهُ جُمِعَ بَيْنَهُمَا وَالْفُ
بَيْنَهُمَا وَمِثْلُهُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ فِيمَنْ قَرَأَ بَيْنَكُمْ مَنْصُوبًا اِي وَقَعَ التَّقَطُّعُ بَيْنَكُمْ وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ مُجَابِرَةٌ لِقَوْلِهِ
دُعُوا - قَرِئَ وَيَتَّقِهِ بِكَسْرِ الْقَافِ وَالْهَاءِ مَعَ الْوَصْلِ - وَبَغَيْرِ وَصْلٍ وَبَسْكَوْنِ الْهَاءِ - وَبَسْكَوْنِ الْقَافِ وَكُسِرَ
الْهَاءُ شَبَّهَ تَقَّهَ بِكَتَفٍ فَخَفَّفَ كَقَوْلِهِ * ع * قَالَتْ سَلِيمَى اشْتَرَلْنَا سَوِيقًا * وَلَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ اسْبَابَ
الْفُوزِ * وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِهَا [وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ] فِي فَرَائِضِهِ [وَرَسُولَهُ] فِي سُنَنِهِ [وَيَخْشِ اللَّهَ] عَلَى
مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ [وَيَتَّقِهِ] فِي مَا يَسْتَقْبِلُ - وَعَنْ بَعْضِ الْمَلُوكِ اَنَّهُ سَأَلَ عَنْ آيَةٍ كَافِيَةٍ فَتَلَيَّتْ لَهُ هَذِهِ الْآيَةُ *
جَهْدَ يَمِينِهِ مُسْتَعَارٌ مِنْ جَهْدِ نَفْسِهِ اِذَا بَلَغَ اقْصَى وَسَعَهَا وَذَلِكَ اِذَا بَالِغٌ فِي الْيَمِينِ وَبَلَغَ غَايَةَ شِدَّتِهَا وَكَادَتْهَا -
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَنْ قَالَ بِاللَّهِ فَقَدْ جَهْدَ يَمِينِهِ - وَاصْلُ اقْسَمَ جَهْدَ الْيَمِينِ اقْسَمَ يَجْهَدُ الْيَمِينُ جَهْدًا فَحَذَفَ الْفِعْلُ
وَقَدَّمَ الْمَصْدَرَ فَوَضَعَ مَوْضِعَهُ مَضَافًا اِلَى الْمَفْعُولِ كَقَوْلِهِ فَضْرَبَ الرِّقَابَ وَحُكْمُ هَذَا الْمَنْصُوبِ حُكْمُ الْحَالِ كَاَنَّهُ قَالَ
جَاهِدِينَ اِيْمَانَهُمْ وَ [طَاعَةَ مَّعْرُوفَةً] خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ - اَوْ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ الْخَبَرُ اِي امْرُكُم وَالَّذِي
يَطْلُبُ مِنْكُمْ طَاعَةَ مَّعْرُوفَةٍ مُعْلُومَةٌ لَا يَشْكُ فِيهَا وَلَا يَرْتَابُ كطَاعَةِ الْخُلَصِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ طَابَقَ
بَاطِنُ امْرِهِمْ ظَاهِرُهُ لَا اِيْمَانُ تَقْسِمُونَ بِهَا بِاَفْوَاهِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ عَلَى خِلَافِهَا - اَوْ طَاعَتِكُمْ طَاعَةَ مَّعْرُوفَةٍ بِأَنِهَا بِالْقَوْلِ
دُونَ الْفِعْلِ - اَوْ طَاعَةَ مَّعْرُوفَةٍ امْتِلُ وَاَوَّلَى بِكُمْ مِنْ هَذِهِ الْاِيْمَانِ الْكَذِبَةُ - وَقَرَأَ الْيَزِيدِيُّ طَاعَةَ مَّعْرُوفَةً بِالنَّصَبِ
عَلَى مَعْنَى اطِيعُوا طَاعَةَ [اِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ] يَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِكُمْ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ سَرَائِرِكُمْ وَاَنَّهُ فَاضَحَكُمْ
لَا مُحَالَةَ وَمَجَازِيَكُمْ عَلَى نِفَاقِكُمْ * صَرَفَ الْكَلَامَ عَنِ الْغَيْبَةِ اِلَى الْخَطَابِ عَلَى طَرِيقَةِ الْاِتِّفَاتِ وَهُوَ اِبْلَغٌ فِي
تَبْكِيتِهِمْ يَرِيدُ اَنْ تَتَوَلَّوْا فَمَا ضَرَرْتُمُوهُ وَاِنَّمَا ضَرَرْتُمْ اَنْفُسَكُمْ فَاِنْ الرَّسُولُ لَيْسَ عَلَيْهِ اِلَّا مَا حَمَلَهُ اللَّهُ وَكَلَّفَهُ
مِنْ اِدَاءِ الرِّسَالَةِ اِذَا اِدَّى فَقَدْ خَرَجَ عَنْ عَهْدَةِ تَكْلِيفِهِ وَاَمَّا اَنْتُمْ فَعَلَيْكُمْ مَا كَلَّفْتُمْ مِنَ التَّلَقِّيِّ بِالْقَبُولِ وَ
الْاِذْعَانِ فَاِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَوَلَّيْتُمْ فَقَدْ عَرَضْتُمْ نَفُوسَكُمْ لِسُخْطِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ وَاِنْ اطَعْتُمُوهُ فَقَدْ احْرَزْتُمْ نَصِيْبَكُمْ
مِنْ الْخُرُوجِ عَنِ الضَّلَالَةِ اِلَى الْهَدْيِ فَالْنَفْعُ وَالضَّرَرُ عَائِدَانِ اِلَيْكُمْ وَمَا الرَّسُولُ اِلَّا نَاصِحٌ وَهَادٍ وَمَا عَلَيْهِ اِلَّا
اَنْ يَبْلُغَ مَا لَهُ نَفْعٌ فِي قَبُولِكُمْ وَلَا عَلَيْهِ ضَرَرٌ فِي تَوَلِّيَكُم - وَالْبَلَاغُ بِمَعْنَى التَّبْلِيغِ كَالْاِدَاءِ بِمَعْنَى التَّادِيَةِ - وَمَعْنَى

سورة النور ٢٤

الجزء ١٨

ع ١٢

الثالث

مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ ۖ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ۝ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝ إِنْ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ۚ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُخَشِ

معنى آخر و هو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل و ان تخللت بيذه وبيدها وسائط - قالوا خلق الملكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه و آدم من تراب خلقه منه - فان قلت لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب - قلت قدم ما هو اعرق في القدرة و هو الماشي بغير آلة مشي من ارجل او قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع - فان قلت لم سمي الزحف على البطن مشياً - قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر و نحوه استعارة الشفة مكان الجحفة و المشفر مكان الشفة و نحو ذلك - او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين [وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ] اشارة الى القائلين آمناً و اطعنا و الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف عن الايمان لا الفريق المتولي وحده و على الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايماناً انما كان ادعاء باللسان من غير مواطاة القلب لانه لو كان صادراً عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي و الاعراض - و التعريف في قوله بِالْمُؤْمِنِينَ دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت و هم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ۖ • معنى [إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ] الى رسول الله كقولك اعجبني زيد و كرمه تريد كرم زيد و منه قوله • ع • غلست قبل القطا و فرطه • اراد قبل فرط القطا - روي انها نزلت في بشر المنافق و خصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي بجرة الى رسول الله و المنافق بجرة الى كعب بن الاشرف و يقول ان محمدا يحيف علينا - و روي ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب خصومة في ماء و ارض فقال المغيرة اما محمد فلسف اتيه و لا احاكم اليه فانه يبغضني و انا اخاف ان يحيف علي - [إِلَيْهِ] صلة يأتوا لان اتي و جاء قد جاء معديين بالي - او يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة و هذا احسن لتقدم صلته و دلالة على الاختصاص و المعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر و العدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق فلا تنزعهم من آحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم امرعوا اليك و لم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم - ثم قسم الامر في مدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطال خوفهم حيفه بقوله [بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] اي

الْوَدْقُ يُخْرَجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ وَيُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يُصْرِفُهُ
 عَمَّنْ يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ۖ يَقْلِبُ اللَّهُ أَيْلَ وَالنَّهَارَ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۝
 وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ
 يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ۖ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ۖ وَاللَّهُ
 يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقًا مِنْهُمْ

مِنْ خِلَالِهِ - [وَيُنْزَلُ] بالتشديد - وَيَكَادُ سَنَا عَلَى الدَّغَامِ - وَبَرْقُهُ جَمْعُ بَرْقَةٍ وَهِيَ الْمَقْدَارُ مِنَ الْبَرْقِ كَالْغُرْفَةِ
 وَاللَّقْمَةِ - وَبَرْقُهُ بَضْمَتَيْنِ لِلاتِّبَاعِ كَمَا قِيلَ فِي جَمْعِ فَعْلَةٍ فَعَلَاتٍ كَطَلَمَاتٍ - وَسَنَا بَرْقُهُ عَلَى الْمَدِّ الْمَقْصُورُ
 بِمَعْنَى الضَّوءِ وَ الْمَمْدُودُ بِمَعْنَى الْعُلُوِّ وَ الْارْتِفَاعِ مِنْ قَوْلِكَ سَنِيٍّ لِّلْمَرْتَفَعِ - وَيُذْهِبُ بِالْأَبْصَارِ عَلَى زِيَادَةِ
 الْبَاءِ كَقَوْلِهِ وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَدَنِيِّ - وَهَذَا مِنْ تَعْدِيدِ الدَّلَائِلِ عَلَى رَبُوبِيَّتِهِ وَظُهُورِ أَمْرِهِ حَيْثُ
 ذَكَرَ تَسْبِيحَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كُلِّ مَا يُطِيرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ دَعَاءَهُمْ لَهُ وَ ابْتِهَالَهُمْ إِلَيْهِ وَ أَنَّهُ سَخَّرَ
 السَّحَابَ التَّسْخِيرَ الَّذِي وَصَفَهُ وَ مَا يُحْدِثُ فِيهِ مِنْ أَنْعَالِهِ حَتَّى يُنْزِلَ الْمَطَرَ مِنْهُ وَ أَنَّهُ يَقْسِمُ رَحْمَتَهُ بَيْنَ خَلْقِهِ
 وَ يَقْبِضُهَا وَ يَبْسُطُهَا عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ وَ يَرِيهِمُ الْبَرْقَ فِي السَّحَابِ الَّذِي يَكَادُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ لِيَعْتَبِرُوا وَ
 يُحْذَرُوا وَ يَعَاقِبُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ يُخَالِفُ بَيْنَهُمَا بِالطُّولِ وَ الْقَصْرِ وَ مَا هَذِهِ الْإِبْرَاهِيمُ فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ عَلَى
 وَجُودِهِ وَ ثَبَاتِهِ وَ دَلَائِلُ مُنَادِيَةٍ عَلَى صِفَاتِهِ لِمَنْ نَظَرَ وَ فَكَّرَ وَ تَبَصَّرَ وَ تَدَبَّرَ - فَإِنْ قُلْتَ مَتَى رَأَى رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلهُ وَسَلَّمَ تَسْبِيحَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَ دَعَاءَهُمْ وَ تَسْبِيحَ الطَّيْرِ وَ دَعَاءَهُ وَ تَنْزِيلَ الْمَطَرِ مِنْ جِبَالِ
 بَرَدٍ فِي السَّمَاءِ حَتَّى قِيلَ لَهُ أَلَمْ تَرَ - قُلْتَ أَعَلَيْهِمْ مِنْ جِهَةِ أَخْبَارِ اللَّهِ آيَاتِهِ بِذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الْوَحْيِ -
 فَإِنْ قُلْتَ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ مَنْ الْأَوَّلَى وَ الثَّانِيَةِ وَ الثَّلَاثَةِ فِي قَوْلِهِ مِنَ السَّمَاءِ - مِنْ جِبَالٍ - مِنْ بَرَدٍ - قُلْتَ
 الْأَوَّلَى لِبَتْدَاءِ الْغَايَةِ وَ الثَّانِيَةِ لِلتَّبَعِيضِ وَ الثَّلَاثَةِ لِلْبَيَانِ - أَوِ الْأَوَّلَى لِلْبَتْدَاءِ وَ الْآخِرَةُ لِلتَّبَعِيضِ وَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ
 يُنْزِلُ الْبَرَدَ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا وَ عَلَى الْأَوَّلِ مَفْعُولٌ يُنْزَلُ مِنْ جِبَالٍ - فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى مَنْ جِبَالٍ
 فِيهَا مِنْ بَرَدٍ - قُلْتَ فِيهِ مَعْنِيَانِ - أَحَدُهُمَا أَنْ يُخْلُقَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ جِبَالَ بَرَدٍ كَمَا خَلَقَ فِي الْأَرْضِ
 جِبَالَ حَجَرٍ - وَ الثَّانِي أَنْ يَرِيدَ الْكَثْرَةَ بِذِكْرِ الْجِبَالِ كَمَا يُقَالُ فَلَانِ يَمْلِكُ جِبَالًا مِنْ ذَهَبٍ - وَ قَرِئَ
 خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ وَ لَمَّا كَانَ اسْمُ الدَّابَّةِ مُوقَعًا عَلَى الْمُمَيَّزِ وَ غَيْرِ الْمُمَيَّزِ تَلَبَّ الْمُمَيَّزُ فَاعْطِيَ مَا وَرَاءَهُ
 حِكْمَةً كَانَ الدَّوَابُّ كُلُّهُمْ مُمَيَّزُونَ فَمِنْهُمْ تَمَّ قِيلَ فَمِنْهُمْ - وَ قِيلَ مَنْ يَمْشِي فِي الْمَاشِي عَلَى بَطْنٍ وَ الْمَاشِي
 عَلَى أَرْبَعٍ قَوَائِمٍ - فَإِنْ قُلْتَ لَمْ نَكِرَ الْمَاءَ فِي قَوْلِهِ مِنْ مَّاءٍ - قُلْتَ لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ
 نَوْعٍ مِنَ الْمَاءِ مُخْتَصٍ بِتِلْكَ الدَّابَّةِ - أَوْ خَلَقَهَا مِنْ مَاءٍ مُخْصُوصٍ وَ هُوَ الذُّنْفَةُ ثُمَّ خَالَفَ بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ
 مِنَ الذُّنْفَةِ فَمِنْهَا هَوَامٌّ وَ مِنْهَا بَهَائِمٌ وَ مِنْهَا نَاسٌ وَ نَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى تَسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ - وَ نُفَضِّلُ بَعْضَهَا
 عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ - فَإِنْ قُلْتَ فَمَا بَالُهُ مَعْرُوفًا فِي قَوْلِهِ وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ - قُلْتَ قَصْدُ تَمِّ

سورة الذر ٣٤

الجزء ١٨

ع ١١

كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَجَدَ اللَّهُ عَذَابَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ۖ وَاللَّهُ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ۝ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ۖ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۖ
 إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا ۖ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَتْ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝ وَاللَّهُ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى

من الارض كجيرة في جار - وقرئ بـقِيَعَاتٍ بقاء مملوطة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة - وقد جعل بعضهم
 بـقِيَعَاتٍ بقاء مدورة كرجل عزهاة - شبه ما يعمل من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة اللتي
 يحسبها تدفعه عذ الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه
 الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه و يجد زبانية الله عذبه يأخذونه
 فيعقلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة - و يحسبون انهم يحسنون
 صنعا - وقد منا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا - وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد
 كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام - اللجج العميق الكثير الماء
 منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر - وفي [اخرج] ضمير الواقع فيه [لم يكدرها] مبالغة في لم يرها اي
 لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله قول ذي الرمة * شعر * اذا غير النأي المحبين لم يكدر
 رئيس الهوى من حب مئة يبرح * اي لم يقرب من البراح فما باله يبرح - شبه اعمالهم اولا في فوات
 نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكندا ان لم يجد شيئا
 كغيره من السراب حتى وجد عذبة الزبانية تعتله الى الفار ولا يقتل ظمأ بالماء - وشبهها ثانيا في ظلمتها
 وسوادها لكونها باطلة - وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب - ثم قال ومن
 لم يؤله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لانور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان اللطاف
 انما تردف الايمان والعمل او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا وقوله ويضل
 الله الظالمين - وقرئ سحاب ظلمت على الاضافة - وسحاب ظلمت برفع سحاب وتنوينه وجرت ظلمت بدلا من
 ظلمات الاولى [صفت] يصفن اجنحتهن في الهواء - والضمير في [علم] لكل اوله وكذلك في [صلاته
 وتسبيحه] والصلوة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة اللتي
 لا يكاد العقلاء يهتدون اليها * [يزجي] يسوق ومذه البضاعة المزجاة اللتي يزجياها كل احد لا يرضاها - و
 السحاب يكون واحدا كالعما وجمعا كالرباب ومعنى تاليف الواحد انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض -
 و جاز بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله * بين الدخول فحومل * والركام المتراكم
 بعضه فوق بعض - والودق المطر - [من خلله] من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل - وقرئ

شَيْءٍ عَلَيْهِمْ ۖ فِي بُيُوتِ اِذْنِ اللّٰهِ اَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيْهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيْهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيْهِمْ
تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَاَقَامِ الصَّلٰوةَ وَآتَاوُا الزَّكٰوةَ ۚ يَخَافُوْنَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيْهِ الْقُلُوْبُ وَالْاَبْصَارُ ۖ لِيُجْزِيَهُمُ
اللّٰهُ اَحْسَنَ مَا عَمِلُوْا وَيَزِيْدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ط وَاللّٰهُ يَرْزُقُ مَن يَّشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا اَعْمَالُهُمْ

يرى في المسجد نور المشكوة التي من صفتها كيت وكيت - او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له
رجال في بيوت وفيها تكبير كقولك زيد في الدار جالس فيها - او بمحذوف كقوله في تسع ايت اي سبخوا
في بيوت - والمراد بالاذن الامر - ورفعها بغاؤها كقوله بئها - رفع سمكها فسوبها - وان يرفع ابراهيم القواعد
- وعن ابن عباس هي المساجد امر الله ان تبنى - او تعظيمها والرفع من قدرها - وعن الحسن ما
امر الله ان ترفع بالبذاء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه اوفق له وهو عام في كل ذكر - وعن ابن عباس
وان يتلى فيها كتابه - وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلاثة اعني له - فيها -
بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له - وتسبح بالتاء وكسر الباء - وعن ابي جعفر بالتاء
وفتح الباء وجهها ان يسند الى اوقات الغدو والاصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبوحة والمراد
ربها كصيد عليه يومان والمراد وحشهما - والاصال جمع اصل وهو العشي والمعنى باوقات الغدو اي
بالغدوات - وقرئ والايسال وهو الدخول في الاصيل يقال اصل كظهر واعتم - التجارة صناعة التاجر وهو
الذي يبيع ويشترى للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالباء ادخل
من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته الهتة ما لا يليه شراء شيء
يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين وذاك مظنون - واما ان يسمى الشرى تجارة اطلاقا
لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شرى - وقيل التجارة
لاهل الجلب تجر فلان في كذا اذا جلبه - التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما
اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه * ع * واخلفوك عد الامر الذي وعدوا *
وتقلب القلوب والابصار - اما ان تتقلب وتتغير في نفسها وهو ان تضطرب من الهول والفرع وتشخص
كقوله وان زأغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر - واما ان تتقلب احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد
ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر [احسن ما عملوا] اي
احسن جزاء اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى والمعنى يستحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا
ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من
التفضل وعطاء الله تعالى اما تفضل واما ثواب واما عوض [والله يرزق] ما يتفضل به [بغير حساب]
فاما الثواب وله حساب لكونه على حسب الاستحقاق * السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت
الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري - والقبيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي

سورة النور ٢٤
الجزء ١٨
ع ١٠

الزَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دَرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورَ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

إِلَى النُّورِ أَي مِنَ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ - وَاضَافَ النُّورَ إِلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِأَحَدٍ مَعْنِيَيْنِ - أَمَّا لِلدَّلَالَةِ عَلَى سَعَةِ إِشْرَاقِهِ وَفُشْوِ إِضْأَتِهِ حَتَّى تَضِيءَ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ - وَأَمَّا أَنْ يَرَادَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَانَّهُمْ يَسْتَضِيئُونَ بِهِ [مَثَلُ نُورِهِ] أَي صِفَةُ نُورِهِ الْعَجِيبَةُ الشَّانُ فِي الْإِضْأَةِ [كَمِشْكُوتٍ] كَصِفَةِ مَشْكُوتٍ وَهِيَ الْكَوَّةُ فِي الْجِدَارِ غَيْرِ الْغَافِذَةِ [فِيهَا مِصْبَاحٌ] سَرَاجٌ ضَخْمٌ ثَاقِبٌ [فِي زَجَاجَةٍ] أَرَادَ قَنْدِيلًا مِنْ زَجَاجٍ شَامِيٍّ أَزْهَرَ شَبَهَهُ فِي زَهْرَتِهِ بِأَحَدِ الدَّرَارِيِّ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَهِيَ الْمَشَاهِيرُ كَالْمَشْتَرِيِّ وَالزَّهْرَةُ وَالْمَرْيَخُ وَهَيْلٌ وَنَحْوُهَا تَوَقَّدَ هَذَا الْمِصْبَاحُ [مِنْ شَجَرَةٍ] أَي ابْتَدَأَ ثَقْوَبُهُ مِنْ شَجَرَةٍ الزَّيْتُونِ يَعْنِي زَيْتِ ذِبَالَتِهِ بِزَيْتِهَا [مُبْرَكَةٍ] كَثِيرَةِ الْمَنَافِعِ أَوْ لِأَنَّهَا تَنْبُتُ فِي الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَ فِيهَا لِلْعَالَمِينَ - وَقِيلَ بَارَكَ فِيهَا سَبْعُونَ نَبِيًّا مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِهِذِهِ الشَّجَرَةُ زَيْتُ الزَّيْتُونِ فَتَدَاوُوا بِهِ فَإِنَّهُ مَصْحَةٌ مِنَ الْبَاسُورِ [لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ] أَي مِنْبَتُهَا الشَّامُ وَاجُودُ الزَّيْتُونِ زَيْتُونُ الشَّامِ - وَقِيلَ لَا فِي مَضْحَى وَلَا مَقْنَأَةٍ وَلَكِنَّ الشَّمْسَ وَالظَّلَّ يَتَعَاقَبَانِ عَلَيْهَا وَذَلِكَ أَجُودُ لِحَمْلِهَا وَاصْفَى لِدَهْنِهَا - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا خَيْرَ فِي شَجَرَةٍ فِي مَقْنَأَةٍ وَلَا نَبَاتٍ فِي مَقْنَأَةٍ وَلَا خَيْرَ فِيهِمَا فِي مَضْحَى - وَقِيلَ لَيْسَتْ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فِي وَقْتِ شُرُوقِهَا أَوْ غُرُوبِهَا فَقَطْ بَلْ تَصِيدُهَا بِالْغَدَاةِ وَالْعِشِيِّ جَمِيعًا فَهِيَ شَرْقِيَّةٌ وَغَرْبِيَّةٌ ثُمَّ وَصَفَ الزَّيْتَ بِالصَّفَاءِ وَالْوَبِيصِ وَأَنَّهُ لَتَلَأُلُوءٌ [يَكَادُ] يُضِيءُ مَنْ غَيْرُ نَارٍ - [نُورٌ عَلَى نُورٍ] أَي هَذَا الَّذِي شَبَّهْتُ بِهِ الْحَقَّ نُورٌ مُتَضَاعَفٌ قَدْ تَنَاصَرَفِيهِ الْمَشْكُوتُ وَالزَّجَاجَةُ وَالْمِصْبَاحُ وَالزَّيْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِمَّا يَقْوَى النُّورُ وَيَزِيدُهُ إِشْرَاقًا وَيَمُدُّهُ بِإِضْأَةٍ بَقِيَّةٍ وَذَلِكَ أَنَّ الْمِصْبَاحَ إِذَا كَانَ فِي مَكَانٍ مُتَضَاقِقٍ كَالْمَشْكُوتِ كَانَ أَضْوَاءُ لَهُ وَاجْمَعَ لِنُورِهِ بِخِلَافِ الْمَكَانِ الْوَاسِعِ فَإِنَّ الضَّوْءَ يَنْبَثُ فِيهِ وَيَنْتَشِرُ وَالْقَنْدِيلُ أَعْوَنُ شَيْءٌ عَلَى زِيَادَةِ الْإِنَارَةِ وَكَذَلِكَ الزَّيْتُ وَصَفَاؤُهُ [يَهْدِي اللَّهُ] لِهَذَا النُّورِ الثَّاقِبِ [مَنْ يَشَاءُ] مَنْ عِبَادَهُ أَيِ يُوَفِّقُ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ مِنْ نَظَرٍ وَتَدَبُّرٍ بَعِيْنٍ عَقْلِهِ وَالْإِنْصَافِ مِنْ نَفْسِهِ وَلَمْ يَذْهَبْ عَنِ الْجَادَةِ الْمَوْصِلَةِ إِلَيْهِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَمَنْ لَمْ يَتَدَبَّرْ فَهُوَ كَالْأَعْمَى الَّذِي سَوَاءٌ عَلَيْهِ جَنَاحُ اللَّيْلِ أَمْ دَامَسَ وَضُحَاةُ النَّهَارِ الشَّامِسَ - وَعَنِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اللَّهُ نُّورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَيِ نَشْرَفِيهَا بِالْحَقِّ وَبَدَّهَ فِاضَاتُ بَنُورِهِ أَوْ ذَوْرَ قُلُوبِ أَهْلِهَا بِهِ - وَعَنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ مَثَلُ نُورٍ مِنْ أَمْنٍ بِهِ - وَقَرَأَ زَجَاجَةً - الزَّجَاجَةُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ - وَدَرِّيٌّ مَنْسُوبٌ إِلَى الدَّرَائِي أَيْضٌ مَثَلٌ لِي - وَدَرِّيٌّ بوزن سَكَيْتٍ يَدْرَأُ الظَّلَامَ بِضَوْءِهِ - وَدَرِّيٌّ كَمَرِّيَّقٍ - وَدَرِّيٌّ كَالسَّكِينَةِ عَنْ أَبِي زَيْدٍ - وَتَوَقَّدَ بِمَعْنَى تَتَوَقَّدُ وَالْفِعْلُ لِلزَّجَاجَةِ - وَتَوَقَّدَ بِالتَّخْفِيفِ - وَتَوَقَّدَ بِالتَّشْدِيدِ - وَتَوَقَّدَ بِحَذْفِ التَّاءِ وَفَتْحِ الْيَاءِ لِاجْتِمَاعِ حَرْفَيْنِ زَائِدَيْنِ وَهُوَ غَرِيبٌ - وَيَمَسُّهُ بِالْيَاءِ لِأَنَّ التَّانِثَ لَيْسَ بِحَقِيقَتِي وَالضَّمِيرُ فَاصِلٌ - [فِي بَيُوتٍ] - يَتَعَلَّقُ بِمَا قَبْلَهُ أَيِ كَمَشْكُوتٍ فِي بَعْضِ بَيْتٍ اللَّهُ وَهِيَ الْمَسَاجِدُ كَأَنَّهُ قِيلَ مَثَلُ نُورِهِ كَمَا

سورة النور ٢٤

الجزء ١٨

ع ١٠

اللَّهُ الَّذِي آتَاكُمْ ۖ وَلَا تَكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتَلِيَ عَنْكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِمَنْ خَلَا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ

يَحْطُّ لَهُ الرَّبْعُ - و عن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا - و عن عمر رضي الله عنه انه كاتب عبد الله له يكنى ابا امية وهو اول عبد كُتِب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعين به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك - وهذا عند ابي حنيفة على وجه الذنب وقال انه عقد معارضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع - وقيل معنى واتوهم اسلفوهم - وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب - وروي انه كان الحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه ان يكتبه فابى فنزلت - كانت اماء اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي راس النفاق ست جوار معاذة - ومسيكة - واميمة - وعمرة - واروى - وقبيلة يكرههن على البغاء و ضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت - ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي - فان قلت لم اقم قوله [ان اردن تحصنا] - قلت لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وامر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكراها ولا امره اكراها - وكلمة ان واينارها على اذا ايدان بان المساعدات كن يفعلن ذلك برغبة وطوعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر [غفور رحيم] لهم اولهن اولهم ولهن ان تابوا واصلحوا - وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم - فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكروهة على الزنا بخلاف المكروه عليه في انها غير ائمة - قلت لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه يقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عفيف او غيره حتى تسلم من الائم وربما قصرت عن الحد الذي تعتذر فيه فتكون ائمة [مبينات] هي الايات التي بينت في هذه السورة ووضحت في معاني الاحكام والحدود - ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف - وقرئ بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز - او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبيح لذي عيدين - و [مثلا] من امثال [من قبلكم] اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة [وموعظة] ما وعظ به في الايات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله - لولا ان سمعتموه - ولولا ان سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا - نظير قوله [الله نور السموات والارض] مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجودة والمعنى ذونور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات

مِنْ فَضْلِهِ ^ط وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ^ق وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ

سورة النور ٢٤

الجزء ١٨

ع ٩

أي استطاعة تزوج - و يجوز ان يراد بالنكاح ما يفتح به من المال [حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ] ترجية للمستعفين
و تقدمه وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك و تأميله لطفاً لهم في استعفائهم و ربطاً على
قلوبهم و ليظهر بذلك ان فضله اولى بالأعفاء و ادنى من الصلحاء - و ما احسن ما رتب هذه الاوامر
حيث امر اولاً - بما يعصم من الفتنة و يبعد من موقعة المعصية و هو غرض البصر - ثم بالنكاح الذي
يحصن به الدين و يقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام - ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء و عزفها
عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه - [وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ] مرفوع على
الابتداء - او منصوب بفعل مضمر يفسره فكَاتِبُوهُمْ كقولك زيداً فاضربه و دخلت الفاء لتضمن
معنى الشرط - و الكتاب و المكاتب كالعقاب و المعاتبة و هو ان يقول الرجل لملوكه كاتبتك على الف
درهم فان آذاها عتق و معناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال و كتبت لي
على نفسك ان تفني بذلك - او كتبت عليك الوفاء بالمال و كتبت علي العتق - و يجوز عند ابي حنيفة
حالاً و مؤجلاً و منجماً و غير منجّم لان الله تعالى لم يذكر التلجيم و قياماً على سائر العقود - و عند الشافعي
لا يجوز الا مؤجلاً و منجماً و لا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئاً فعقده حالاً منع من حصول
الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلاً - و يجوز عقده على مال قليل و كثير - و على خدمة في مدة معلومة -
و على عمل معلوم موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول و العرض و بناء دار قد اراه اجرها
وجصها و ما يبني به - و ان كاتبه على قيمته لم يجز فان آذاها عتق - و ان كاتبه على وظيف جاز لقلة الجهالة
و وجب الوسط و ليس له ان يطأ المكاتبه - و اذا أدى عتق و كان ولاء لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في
الاصل له - و هذا الامر للزبد عند عامة العلماء - و عن الحسن ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب و ان شاء لم
يكتب - و عن عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزومات الله - و عن ابن سيرين مثله و هو مذهب
داود [خيراً] قدرة على اداء ما يفارقون عليه - و قيل امانة و تكسباً - و عن سلمان ان مملوكاً له ابتغى ان
يكتبه فقال أعذك مال قال لا قال افتأمرني ان أكل غسالة ايدي الناس [وَأَتَوْهُمْ] امر للمسلمين على
وجه الوجوب باعانة المكاتبين و اعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله و في الرقاب
عند ابي حنيفة و اصحابه - فان قلت هل يحل لمولاه اذا كان غنياً ان يأخذ ما تصدق به عليه - قلت نعم و كذلك
اذا لم تف الصدقة بجميع البدل و عجز عن اداء الباقي طاب للمولى ما اخذه لانه لم يأخذه بسبب
الصدقة و لكن بسبب عقد المكاتبه كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له - و منه قوله
صلى الله عليه و آله و سلم في حديث بريدة مولى الرسول هولها صدقة و لذا هدية - و عند الشافعي هو
ايجاب على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة و ان لم يفعلوا أجبروا - و عن علي رضي الله عنه

جَمِيعًا آيَةُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ⑤ وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ط إِنْ يَكُونُوا
فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ط وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ⑥ وَلَيْسَتَغْنِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ

تأيمًا إذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبيين قال * شعر * فان تنكحي أُنكح و ان تتأيمي * و ان كنت أفتى
منكم أتأيم * وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم أنا نعوذ بك من العيئة والغيمة والايمة والكزَم
والقزم والمراد أنكحوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريككم - وقرى
من عبيدكم وهذا الامر للذنب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه - وقد يكون للوجوب في حق الاولياء عند
طلب المرأة ذلك - وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب - ومما يدل على كونه مندوباً اليه قوله صلى الله
عليه وآله وسلم من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح - وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس
مناً - وعنه إذا تزوج احدكم عجمي شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه - وعنه يا عياض لا تزوجن عجوزاً
ولا عاقراً فأنتي مكاثرو الاحاديث فيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاثار كثيرة وربما كان واجب
الترك اذا أدى الى معصية او مفسدة - وعن النبي عليه السلام اذا اتى على امّتي مائة وثمانون سنة فقد
حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال - وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تذال
المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذاك الزمان حلت العزبة - فان قلت لم خص الصالحين - قلت ليحصى
دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يُشفقون عليهم وينزلونهم منزلة
الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشانهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون
منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك - او اريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح - ينبغي ان تكون شريطة
الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئة ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان
مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريعة
منصومة في قوله وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ومن لم
ينس هذه الشريعة لم ينتصب معترضاً بعزب كان غنياً فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له
شيء ففني واصبح مسكيناً - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم انك تعلم الرزق بالنكاح - وشكى اليه رجل
الحاجة فقال عليك بالبائة - وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالبائة - ولقد كان
عندنا رجل رازح الحال ثم رأيت بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في اول
امري على ما علمت وذلك قبل ان أرزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي
الثاني زدت خيراً فلما تناموا ثلثة صب الله علي الخير صباً واصبحت الى ما ترى [وَاللَّهُ وَاسِعٌ] اي
غني ذو سعة لا يرزأه اغناء الخلائق ولكنه [عَلِيمٌ] يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر * [وَلَيْسَتَغْنِفِ] وليجتهد
في العقة وظلف النفس كان المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه [لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا]

أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِمْ أَوْ نِسَائِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ
لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ۖ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ

سورة النور ٢٤

الجزء ١٨

ع ٩

سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرركم آية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد
المرأة بمنزلة الاجنبي منها خصياً كان او فحلاً - وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معوية دخل عليها
ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معوية اترى ان المثلة به تحل ما حرم الله - وعند
ابن حنيفة لا يحل استخدام الخصى وامساكهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم -
فان قلت روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خصي فقبله - قلت لا يقبل فيما تعم به
البلوى الا حديث مكشوف فان صح فلعنه قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب - الاربعة الحاجة قيل هم
الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئاً من امرهن
او شيوخن صلحاء اذا كانوا معهم غصوا ابصارهم او بهم عذانة - وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او الحال -
والجبر على الوصفية - وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده ان المراد به الجمع ونحوه
نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً [لَمْ يَظْهَرُوا] إما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها
وبين غيرها - وإما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القران اخذه واطاقه اي لم يبلغوا وان
القدرة على الوطى - وقرئ عَوْرَتِ وهي لغة هذيل - فان قلت لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال - قلت
سئل الشعبي عن ذلك فقال لكلا يصفها العم عند ابنه والحال كذلك ومعناه ان سائر القربات يشترك
الاب والابن في المحرمية الا العم والحال وابناهما فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني
تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر -
كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعق خلخالها فيعلم انها ذات خلخال - وقيل كانت تضرب باحدى
رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين و اذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن اظهار الحلي
علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وابلغ - وامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد
الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين
جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا - وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه
في الجاهلية لعلمكم تسعدون في الدنيا والاخرة - فان قلت قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله
فما معنى هذه التوبة - قلت اراد بها ما يقوله العلماء ان من اذنب ذنباً ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره
ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقي ربه - وقرئ آيَةُ الْمُؤْمِنُونَ بضم
الهاء ووجه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اقتبعت حركتها
حركة ما قبلها - الايامى واليتامى اصلهما ايتام وبتائم فقلبا واليتم للرجل والمرأة وقد ام وامت و

مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُمْ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۚ وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۚ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ

المواقع انفسها متمكناً في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها - فان قلت ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها - قلت نعم - فان قلت أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة - قلت الامر كما قلت ولكن امر القراميل خلاف امر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه - فان قلت ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذي يلبسه الزينة منه - قلت الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقع الخاتم والفتحة والخضاب بالحناء - فان قلت لم يوضح مطلقا في الزينة الظاهرة - قلت لان سترها فيه حرج فان المرأة لا تجد بدا من مزاوله الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله [إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا] يعني الا ما جرت العادة والجملة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما يوضح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب واحتياج المرأة الى صحبتهم في الامفار للنزول والركوب وغير ذلك - كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن ومردوهرن وما حواليتها وكن يسدن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامر بان يسدنها من قدامهن حتى يغطيها - ويجوز ان يراه بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه - وعن عائشة ما رايت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرتحل فصعدت منه مدعة فاختمرن فاصبحن كان على رؤسهن الغراب - وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك يوتن غير يوتكم - قيل في نسائهن هن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن ابن عباس - والظاهر انه عن بنسائهن وما ملكن ايمانهن من في صحبتهم وخدمتهم من الحرائر والاماء والنساء كلهن مواء في حل نظر بعضهن الى بعض - وقيل ما ملكن ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا - وعن عائشة رضي الله عنها انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر - وعن

سورة النور ٢٤

الجزء ١٨

ع ٩

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ط وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ @ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ
يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ط ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ط إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ @ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ

ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفذاق وهي الخانات والرُّبَط وحوانيت البياعين - و المتاع المنفعة
كالاستكنان من الحر و البرد و ايواء الرحال و السلع و الشراء و البيع - و يروى ان ابا بكر رضي الله عنه
قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك آية في الاستيذان و انا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات
أفلا ندخلها الا باذن - و قيل الخربات يتبرز فيها و المتاع التبرز * [وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ] وعيد
للذين يدخلون الخربات و الدور الخالية من اهل الرينة * من للتبعيض و المراد غص البصر عما يحرم و
الاقتصار به على ما يحل - و يجوز الاخفش ان يكون مزيدة و اباه سيدييه - فان قلت كيف دخلت في
غص البصر دون حفظ الفروج - قلت دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا بأس بالنظر الى
شعورهن و صدورهن و ثديهن و اعضادهن و أسوقهن و اقدامهن و كذلك الجوارى المستعرضات و
الاجنبية ينظر الى وجهها و كفيها و قدمها في احدى الروايتين و اما امر الفرج فمضيئ و كفك فرقان
أبيح النظر الى ما استثنى منه و حُظر الجماع الا ما استثنى منه - و يجوز ان يرد مع حفظها عن الافشاء
الى ما لا يحل حفظها عن الابداء - و عن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا
فانه اراد به الاستتار - ثم اخبرانه [خَبِيرٌ] بافعالهم و احوالهم و كيف يُجِيلُونَ ابصارهم و كيف يصنعون بسائر
حواسهم و جوارحهم فعليهم ان يعرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى و حذر في كل حركة و سكون * الفشاء
مامورات ايضا بغص الابصار و لا يحل للمرأة ان تنظر من الاجنبى الى ما تحت سرتة الى ركبته و ان اشتهت
غصت بصرها رأساً و لا تنظر من المرأة الا الى مثل ذلك و غصها بصرها من الاجانب اصلاً و الى بها و احسن -
و منه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه و آله و سلم و عنده ميمونة
فاقبل ابن ام مكتوم و ذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس
اعمى لا يبصرنا قال اعمى و ان انتما السُّتْمَا تبصرانه - فان قلت لم قدم غص الابصار على حفظ
الفروج - قلت لان النظر بريد الزنا و رائد الفجور و البلوى فيه اشد و اكثر و لا يكاد يُقدَّر على
الاحتباس منه - الزينة ما تزينت به المرأة من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهراً منها كالخاتم
و الفتحة و الكحل و الخضاب فلا بأس بابدائه للاجانب و ما خفي منها كالسوار و الخلخال و الدملج و
القلادة و الاكليل و الوشاح و القُرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين - و ذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر
بالتصون و التستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع
و الساق و العضد و العنق و الرأس و الصدر و الاذن فنبهي عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم
يحل اليها لملاستها تلك المواقع بدليل ان النظر اليها غير ملاسمة لها لا مقال في حلة كان النظر الى

أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُونَهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ ۚ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ كَيْدَسَ

الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصَدَّ الله عن ذلك وعلَّم الاحسن والاجمل - وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك بيدنا انت في بيتك اذا رُفِعَ عليك الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله ولكن ابن الاذن الواعية - وفي قراءة عبد الله حَتَّى تَسْلَمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا - وعن ابن عباس وسعيد بن جبيرة انما هو حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا فَاخْطَا الْكَاتِبُ وَلَا يَعُولُ عَلَى هَذِهِ الرِوَايَةِ - وفي قراءة ابي حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا [ذَلِكُمْ] الاستيذان والتسليم - [خَيْرٌ لَكُمْ] من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دأمر لعظم ما ارتكب - وفي الحديث مَنْ مَبَقَّتْ عَيْنُهُ اسْتِذْنَانَهُ فَقَدْ دَمَرَ - وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم اسْتَأْذِنُ عَلَى امِّي قَالَ نَعَمْ قَالَ اِنهَا لَيْسَ لَهَا خَادِمٌ غَيْرِي اُسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا كَلِمَا دَخَلْتُ قَالَ اُتَحِبُّ اَنْ تَرَاهَا عَرِيَانَةً قَالَ الرَّجُلُ لَا قَالَ فَاَسْتَأْذِنُ [لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] ابي اُنْزِلَ عَلَيْكُمْ اَوْ قِيلَ لَكُمْ هَذَا ارَادَةَ اَنْ تَذَكَّرُوا وَتَعْتَظُوا وَتَعْمَلُوا بِمَا اَمَرْتُمْ بِهِ فِي بَابِ اسْتِذْنَانٍ - يَحْتَمِلُ [فَاِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا] مِنَ الْاُذْنَيْنِ فَلَا تَدْخُلُونَهَا وَاصْبِرُوا حَتَّى تَجِدُوا مَنْ يَأْذَنُ لَكُمْ - وَيَحْتَمِلُ فَاِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا مِنْ اَهْلِهَا وَلكم فيها حاجة فَلَا تَدْخُلُونَهَا اِلَّا بِاِذْنِ اَهْلِهَا وَذَلِكَ اِنْ اسْتِذْنَانٍ لَمْ يَشْرَعْ لَدُنَّ يَطْلُعُ الدَّامِرُ عَلَى عَوْرَةٍ وَلَا تَسْبِقُ عَيْنُهُ اِلَى مَا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ اِلَيْهِ فَقَطْ وَاِنَّمَا شَرَعَ لَدُنَّ يَوْقِفُ عَلَى الْاَحْوَالِ الَّتِي يَطُوبُهَا النَّاسُ فِي الْعَادَةِ عَنْ غَيْرِهِمْ وَيَتَحَقَّقُونَ مِنْ اِطْلَاعِ أَحَدٍ عَلَيْهَا وَلَئِنْ تَصَرَّفَ فِي مَلِكٍ غَيْرِكَ فَلَا بَدَّ مِنْ اَنْ يَكُونَ بِرِضَاهُ وَالْاَشْبَهُ الْغَضَبَ وَالتَّغْلِبَ [فَارْجِعُوا] اَبِي لَا تَلْحَقُوا فِي اِطْلَاقِ الْاُذْنِ وَلَا تَلْجُوا فِي تَسْهِيلِ الْحِجَابِ وَلَا تَقْفُوا عَلَى الْاَبْوَابِ مُنْتَظِرِينَ لَآنَ هَذَا مِمَّا يَجْلِبُ الْكَرَاهَةَ وَيَقْدَحُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ خُصُوصًا اِذَا كَانُوا ذَوِي مَرَّةٍ وَمُرْتَاضِينَ بِالْاَدَابِ الْحَسَنَةِ وَاِذَا نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ لِادَائِهِ اِلَى الْكَرَاهَةِ وَجِبَ الْانْتِهَاءُ عَنْ كُلِّ مَا يُوْذِي اِلَيْهَا مِنْ قَرَعِ الْبَابِ بَعْنَفٍ وَالتَّصْيِيحِ بِصَاحِبِ الدَّارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَدْخُلُ فِي عَادَاتِ مَنْ لَمْ يَتَهَذَّبْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ - وَعَنْ اَبِي عُبَيْدٍ مَا قَرَعْتُ بَابًا عَلَى عَالَمٍ قَطْ وَكَفَى بِقِصَّةِ بَنِي اسَدٍ زَاجِرَةً وَمَا نَزَلَ فِيهَا مِنْ قَوْلِهِ اِنَّ الَّذِيْنَ يُنَادُوْنَكَ مِنْ وَّرَاءِ الْحُجُرَاتِ فَاَنْ قُلْتَ هَلْ يَصَحُّ اَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى وَ اِنْ لَمْ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَ اَمَرْتُمْ بِالرَّجُوعِ فَاَمْتَثَلُوا وَلَا تَدْخُلُوا مَعَ كَرَاهَتِهِمْ - قُلْتَ بَعْدَ اَنْ جُزِمَ النَّهْيُ عَنِ الدَّخُولِ مَعَ فَقْدِ الْاُذْنِ وَحْدَهُ مِنْ اَهْلِ الدَّارِ حَاضِرِينَ وَ غَائِبِينَ لَمْ تَبْقَ شَبْهَةٌ فِي كَوْنِهِ مَذْهَبًا عَنْهُ مَعَ انْضِمَامِ الْاَمْرِ بِالرَّجُوعِ اِلَى فَقْدِ الْاُذْنِ - فَاَنْ قُلْتَ فَاِذَا عَرَضَ اَمْرٌ فِي دَارٍ مِنْ حَرِيقٍ اَوْ هَجُومٍ سَارِقٍ اَوْ ظُهُورِ مَذْكَرٍ يَجِبُ انْكَارُهُ - قُلْتَ ذَلِكَ مُسْتَثْنًى بِالْاَدِلَّةِ - اَبِي الرَّجُوعِ اَطِيبَ لَكُمْ وَ اَطْهَرَ لِمَا فِيهِ مِنْ سَلَامَةِ الصَّدُورِ وَ الْبَعْدِ مِنَ الرِّيبَةِ اَوْ اَنْفَعُ وَ اَنْمَى خَيْرًا - ثُمَّ اَوْعَدَ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ بِاَنَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَأْتُونَ وَمَا يَذَرُونَ مِمَّا خَوَّطَبُوا بِهِ فَمَوْفٍ جَزَاءُهُ عَلَيْهِ • اسْتِثْنَى مِنَ الْبُيُوتِ الَّتِي يَجِبُ اسْتِذْنَانُ عَلَى دَاخِلِهَا

الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا
بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا

سورة النور ٢٤
الجزء ١٨

ع ٩

عنده اساءة مسمي ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى ويجتنب محارمه اي [الْخَبِيثَاتِ] من القول
تُقال او تُعد [لِلْخَبِيثِينَ] من الرجال والنساء [وَالْخَبِيثُونَ] منهم يتعرضون [لِلْخَبِيثَاتِ] من القول و
كذلك الطَّيِّبَاتِ والطَّيِّبُونَ و[أُولَٰئِكَ] اشارة الى الطيبين وانهم مبرأون مما يقول الخبيثون من
خبثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رُميَتْ به من قول لا يطابق حالها في النزاهة و
الطيب - ويجوز ان يكون اشارة الى اهل البيت وانهم مبرأون مما يقول اهل الافك - وان يراد بالخبثات
والطبيبات النساء اي الخبائث يتزوجن الخبائث والخبائث الخبائث وكذلك اهل الطيب - وذكر
الرزق الكريم ههنا مثله في قوله وَاعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا - وعن عائشة لقد أُعطيَتْ تسعا ما اعطيتهن امرأة -
لقد نزل جبرئيل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر رسول الله ان يتزوجني - ولقد تزوجني بكرا
وما تزوج بكرا غيري - ولقد تُوفي وان رأسه لفي حجري - ولقد قُبر في بيتي - ولقد حقته الملكة في بيتي
وان الوحي ليُنزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان ليُنزل عليه وانا معه في لحافه - واني لابنة خليفته
وصديقه - ولقد نزل عذري من السماء - ولقد خلقت طيبة عند طيب - ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما *
[تَسْتَأْذِنُوا] فيه وجهان - احدهما انه من الاستيناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي
يطرق باب غيره لا يدري أ يؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا أُذن له استأنس
فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ وهذا من باب الكناية والرداف لان
هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن - والثاني ان يكون من الاستيناس الذي هو
الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفاً - والمعنى حتى تستعلموا
وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استأنس هل ترى احدا واستأنست فلم ار احدا اي
تعرفت واستعلمت ومنه بيت الذابغة * على مستأنس وحده * ويجوز ان يكون من الانس وهو ان
يتعرف هل ثمة انسان - وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة
والتكبيرة والتحميدة ويتنحج يؤذن اهل البيت - والتسليم ان يقول السلام عليكم أ ادخل ثلث مرات
فان أُذن له والا رجع - وعن ابي موسى الشعري انه اتى باب عمر رضي الله عنه فقال السلام عليكم
أ ادخل قالها ثلثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الاستينان ثلث - واستأذن
رجل على رسول الله فقال أ الرج فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا امرأة يقال لها روضة قومي الى هذا
فعلميه فانه لا يحسن ان يستأذن قولي له يقول السلام عليكم أ ادخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل - وكان
اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حيتيم مباحا وحيتيم مساء ثم يدخل فربما اصاب

الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۝ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ۚ

وكذلك البله من الرجال في قوله اكثر اهل الجنة البله - ورمى بالياء يشهد • والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء - وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما اورد به العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في انك عائشة ولا انزل من الايات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعذاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفطاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفقنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وبان آلسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما افكوا و بهتوا وانه يوفيههم جزاءهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك [ان الله هو الحق المبين] فارجز في ذلك واشبع وفصل واجمل وأكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفطاعة وما ذاك الا لامر - وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة وهذه منه مبالغة وتعظيم لامر الافك - ولقد برأ الله تعالى اربعة باربعة - برأ يوسف بلسان الشاهد وشهد شاهد من أهلها - وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه - وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها انتي عبد الله - وبرأ عائشة بهذه الايات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذا التبرية بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرية اولئك وما ذاك الا لظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتبديه على انافة محل ميد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين - ومن اراد ان يتحقق عظمة شأنه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الانك وليأمل كيف غضب الله له في حرمة وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابته - فان قلت ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المخصيت - قلت فيه وجهان - احدهما ان يراد بالمخصيات ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم وان يخصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم كانت المرادة اولاً - والثاني انها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحسان والغفلة والايان كما قال • ع • قدني من نصر الخبيبين قدني • اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداؤه يكتفون به بخبيبت ابنة وكان مضعوناً وكثيثة المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذاك في الصفة - فان قلت ما معنى قوله [هو الحق المبين] - قلت معناه ذو الحق البين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط

سورة النور ٢٤

الجزء ١٨

ع ٨

النصف

وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ ۖ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۖ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ۖ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۖ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَ

الشرايع و يعلمكم من الآداب الجميلة و يعظكم به من المواعظ الشافية و الله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة - المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة و ارادة و محبة لها - و عذاب الدنيا الحد و لقد ضرب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عبد الله بن ابي و حسنا و مسطحا و قعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف و كُف بصره - و قيل هو المراد بقوله و الذي تولى كبره منهم * [و الله يعلم] ما في القلوب من الاسرار و الضمائر [و انتم لا تعلمون] يعني انه قد علم محبة من احب الاشاعة و هو معاقبه عليها - و كرر المنة بترك المعالجة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمه و في هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة و كذلك في الثواب و الرزق و الرحيم - الفحشاء و الفاحشة ما افطر قلبه - قال ابو ذؤيب * ع * ضرائر حرمي تفاحش غارها * اي افطرت غيرتها - و كذلك المنكر ما تنكوه النفوس فتذفر عنه و لا ترتضيه - و قرئ خُطُوت بفتح الطاء و سكونها - و زكى بالتشديد و الضمير لله تعالى - و لولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة المحصنة لما طهر منكم احد آخر الدهر من دنس اثم الافك و لكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها [و] هو [سميع] لقولهم [عليم] بضمائهم و اخلاصهم * هو من ايتلى اذا حلف انتعال من الآلية - و قيل من قولهم ما الوت جهدا اذا لم تدخر منه شيئا و يشهد للاول قراءة الحسن و لا يتأل و المعنى لا يخلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين لاحسان - او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم و ان كانت بينهم و بينهم شحنة لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو و الصفح و ليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم و ذنوبهم - نزلت في شان مسطح و كان ابن خالة ابي بكر الصديق و كان فقيرا من فقراء المهاجرين و كان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط الى ان لا ينفق عليه و كفى به داعيا الى المجاملة و ترك الاشتغال بالمكافاة للمسيء - و يروى ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي و رجع الى مسطح نفقته و قال والله لا انزعها ابدا - و قرأ ابو حيوة و ابن قطيب ان توتوا بالتاء على الالتفات و يعضده قوله ألا تحبون ان يغفر الله لكم * [الغفلات] السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء و لا مكر لانهن لم يجربن الامور و لم يوزن الاحوال فلا يفتن لما تفتن له المجربات العرافات قال * شعر * ولقد لهوت بطفلة ميالة * بلهاء تظلي عني على اسرارها *

مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ق سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ٥ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ ابْدَأْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٥

يقال افاض في الحديث واندفع وهضب وخاض - [اِنْ] ظرف لَمَسْكُم اَوْ لَفَضْتُمْ [تَلَقُّونَهُ] يأخذه بعضهم من بعض يقال تَلَقَّى الْقَوْلَ وَتَلَقَّاهُ وَتَلَقَّفَهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَذَابَ عَلَيْهِ - وقرئ على الاصل تَتَلَقُّونَهُ - وَ اِنْ تَلَقُّونَهُ بَادِغَامِ الدَّالِ فِي التَّاء - وَتَلَقُّونَهُ مِنْ لِقَائِهِ بِمَعْنَى لِقَائِهِ - وَتَلَقُّونَ مِنَ الْقَائِنَةِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ - وَتَلَقُّونَهُ - وَتَلَقُّونَهُ مِنَ الْوَلَقِ وَالْإِلْقِ وَهُوَ الْكَذِبُ - وَتَلَقُّونَهُ مُحْكِمَةً عَنِ عَائِشَةَ - وَعَنْ سَفِيَانَ سَمِعْتُ أُمِّي تَقْرَأُ اِنْ تَتَلَقُّونَهُ وَكَانَ أَبُوهَا يَقْرَأُ بِحَرْفٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ [بِأَفْوَاهِهِمْ] وَالْقَوْلُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْفَمِ - قُلْتَ مَعْنَاهُ إِنْ الشَّيْءُ الْمَعْلُومُ يَكُونُ عِلْمُهُ فِي الْقَلْبِ فَيُتَرْجَمُ عَنْهُ اللِّسَانُ وَ هَذَا الْإِنْكَافُ لَيْسَ إِلَّا قَوْلًا يَجْرِي عَلَى السَّنَنِ وَيَدْرُ فِي أَفْوَاهِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَرْجُمَةٍ عَنْ عِلْمٍ بِهِ فِي الْقَلْبِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ - أَيْ تَحْسِبُونَهُ صَغِيرَةً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ كَبِيرَةٌ مُوجِبَةٌ - وَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ جَزَعٌ عِنْدَ الْمَوْتِ فَقِيلَ لَهُ فَقَالَ أَخَافُ ذَنْبًا لَمْ يَكُنْ مَعْنَى عَلَى بَالٍ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ - وَ فِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ لَا تَقُولُونَ لَشَيْءٍ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ حَقِيرَ نَعْلِهِ عِنْدَ اللَّهِ فَخَلَّةٌ وَهُوَ عِنْدَكُمْ نَقِيرٌ - وَصَفَهُمْ بِارْتِكَابِ ثَلَاثَةِ أَثَامٍ وَعَلَّقَ مَسَّ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ بِهَا - أَحَدُهَا تَلَقَّى الْإِنْكَافَ بِالسَّنَنِ وَذَلِكَ إِنْ الرَّجُلَ كَانَ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ مَا وَرَاءَكَ فَيُحَدِّثُهُ بِحَدِيثِ الْإِنْكَافِ حَتَّى شَاعَ وَانْتَشَرَ فَلَمْ يَبْقَ بَيْتٌ وَلَا نَادٍ إِلَّا طَارَ فِيهِ - وَالثَّانِي التَّكَلُّمُ بِمَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ - وَالثَّالِثُ اسْتِصْغَارُهُمْ لِذَلِكَ وَهُوَ عَظِيمَةٌ مِنَ الْعِظَائِمِ - فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ جَازَ الْفَصْلَ بَيْنَ لَوْلَا وَقُلْتُمْ - قُلْتَ لِلظَّرْفِ شَأْنٌ وَهُوَ تَنْزِيلُهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ مَنَزَلَةً أَنْفَسَهَا لَوْقَعُهَا فِيهَا وَانْهَافُهَا عَنْهَا فَلِذَلِكَ يَتَسَعُّ فِيهَا مَا لَا يَتَسَعُّ فِي غَيْرِهَا - فَإِنْ قُلْتَ فَإِنَّ فَائِدَةً فِي تَقْدِيمِ الظَّرْفِ حَتَّى أَوْقَعَ فَاصِلًا - قُلْتَ الْفَائِدَةُ فِيهِ بَيَانُ أَنَّهُ كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَفَادَوْا أَوَّلَ مَا سَمِعُوا بِالْإِنْكَافِ عَنْ التَّكَلُّمِ بِهِ فَلَمَّا كَانَ ذِكْرُ الْوَقْتِ أَهَمَّ وَجِبَ التَّقْدِيمُ - فَإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى يَكُونُ وَالْكَلَامُ بِدُونِهِ مُتَلَبِّبٌ لَوْ قِيلَ مَا لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا - قُلْتَ مَعْنَاهُ مَعْنَى يَنْبَغِي وَيَصَحُّ أَيْ مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا وَمَا يَصَحُّ لَنَا وَنَحْوُهُ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ - وَ[سُبْحَانَكَ] لِلتَّعَجُّبِ مِنْ عَظَمِ الْأَمْرِ - فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى التَّعَجُّبِ فِي كَلِمَةِ التَّسْبِيحِ - قُلْتَ الْأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَسْتَبِيحَ اللَّهُ عِنْدَ رُؤْيَا الْعَجِيبِ مِنْ صَنَائِعِهِ ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ مُتَعَجِّبٍ مِنْهُ - أَوْ لَتَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ تَكُونَ حَرَمَةٌ نَبِيَّةً فَاجِرَةً - فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ جَازَ أَنْ تَكُونَ امْرَأَةً النَّبِيِّ كَافِرَةً كَامْرَأَةَ نُوحٍ وَلُوطٍ وَلَمْ يَجْزَ أَنْ تَكُونَ فَاجِرَةً - قُلْتَ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَبْعُوثُونَ إِلَى الْكُفَرِ لِيُدْعَوْهُمْ وَاسْتَعْطَفَوْهُمْ فَيَجِبُ أَنْ لَا يَكُونَ مَعَهُمْ مَا يَنْفَرُهُمْ عَنْهُمْ وَلَمْ يَكُنْ الْكُفَرُ عَنْدهُمْ مِمَّا يَنْفَرُ وَامَّا الْكُشْحَنَةُ فَمِنْ أَعْظَمِ الْمُنْقَرَاتِ - أَيْ كَرَاهَةِ [أَنْ تَعُودُوا] أَوْ فِي أَنْ تَعُودُوا مِنْ قَوْلِكَ وَعَظْتَ فَلَانَا فِي كَذَا فَتَرَكَهُ - وَابْدَأَهُمْ مَا دَامُوا أَحْيَاءَ مُكَلَّفِينَ وَ[إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] فِيهِ تَهْيِيجٌ لَهُمْ لِيَتَعَطَّوْا وَتَذَكِيرٌ بِمَا يَوْجِبُ تَرْكَ الْعُودِ وَهُوَ اتِّصَافُهُمْ بِالْإِيمَانِ الصَّادِقِ عَنْ كُلِّ مَقْبَحٍ وَبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ الدَّلَالَاتِ عَلَى عِلْمِهِ وَحُكْمِهِ بِمَا يَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنْ

خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا افْكٌ مُبِينٌ ۖ لَوْلَا جَآؤُا عَلَيْهِ بِآرَبَعَةٍ شُهَدَآءَ ۖ فَاِذْ لَمْ يَآتُوْا بِالْبُهْدَآءِ فَاُولَٰئِكَ عِنْدَ اللّٰهِ هُمُ
الْكَاذِبُوْنَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِىْمَا اَفَضْتُمْ فِيْهِ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ۝ اِذْ تَلَقَّوْنَهُ
بِالسِّنَنِكُمْ وَتَقُوْلُوْنَ بَآقُوْا هَٰكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُوْنَهُ هَيِّئًا ۚ وَهُوَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظِيْمٌ ۝ وَلَوْلَا اِذْ سَمِعْتُمُوْهُ قُلْتُمْ

سورة النور ٢٤

الجزء ١٨

٧ ٤

لعبد الله لان معظم الشر كان منه - يحكى ان صفوان مرتبهودجها عليه وهو في ملا من قومه فقال من هذه
قالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم
جاء يقودها - والخطاب في قوله [هو خير لكم] لمن ساء ذلك من المؤمنين وخاتمة رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم و ابو بكر وعائشة و صفوان بن المعطل - ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم
لانه كان بلا مبينا ومحنة ظاهرة و انه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم
لشان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وتسليته له وتزويته لأم المؤمنين وتطهير لاهل البيت وتهويل
لن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجئه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيمة وفوائد
دينية واحكام و آداب لا تخفى على متأملها [بانفسهم] اي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات
كقوله وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَذَلِكَ نَحْوُ مَا يَرَوْنِ أَنْ اِبَا اِيُوبَ اَلْاَنْصَارِيَّ قَالَ لَمْ اِيُوبَ اَلْاَنْصَارِيَّ مَا يَقَال فَقَالَتْ
لَوْ كُنْتُ بِدَلْ صَفْوَانَ اُكْذِبْتُ قُظْنَ بِحَرَمَةِ رَسُوْلِ اللّٰهِ سَوْءٌ قَالَ لَا قَالَتْ وَلَوْ كُنْتُ اَنَا بِدَلْ عَائِشَةَ مَا خُنْتُ رَسُوْلَ
اللّٰهِ فَعَائِشَةُ خَيْرُ مَنْزِيٍّ وَ صَفْوَانُ خَيْرُ مَنْزِكٍ - فَاِنْ قُلْتَ هَلَا قِيلَ لَوْلَا اِذْ سَمِعْتُمُوْهُ ظَنَنْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا وَقُلْتُمْ
وَلَمْ نَعْدِلْ عَنِ الْخَطَابِ عَنِ الْغَيْبَةِ وَعَنِ الضَّمِيرِ اِلَى الظَّاهِرِ - قُلْتَ لِيُبَالِغَ بِالتَّوْبِيخِ بِطَرِيقَةِ اَلْاِتِّفَاتِ وَيَصْرَحَ بِلَفْظِ
الْاِيْمَانِ دَلَالَةً عَلَى اَنْ اَلْاِشْتِرَاكَ فِيْهِ مَقْتَضٍ اَنْ لَا يَصْدَقَ مُؤْمِنٌ عَلَى اَخِيْهِ وَلَا مُؤْمِنَةٌ عَلَى اَخْتِهَا قَوْلٌ غَائِبٌ وَلَا
طَاعِنٌ فِيْهِ تَنْبِيْهُ عَلَى اَنْ حَقَّ الْمُؤْمِنُ اِذَا سَمِعَ قَائِلًا فِي اَخِيْهِ اَنْ يَبْنِيَّ اَلْاَمْرِ فِيْهَا عَلَى الظَّنِّ لَا عَلَى الشَّكِّ وَ
اَنْ يَقُوْلَ بَمَلٍّ فِيْهِ بَغَاءٌ عَلَى ظَنِّهِ بِالْمُؤْمِنِ الْخَيْرِ [هَذَا اِفْكٌ مُّبِينٌ] هَكَذَا بِلَفْظِ الْمَصْرَحِ بِدِرَآءَةِ سَاحْتِهِ كَمَا
يَقُوْلُ الْمُسْتَدِيْقُ الْمَطْلَعُ عَلَى حَقِيْقَةِ الْحَالِ وَ هَذَا مِنَ الْاَدَبِ الْحَسَنِ الَّذِي قَلَّ الْقَائِمُ بِهِ وَ اَلْحَافِظُ لَهُ وَ
لَيْتَكَ تَجِدُ مَنْ يَسْمَعُ فَيَسْكُتُ وَ لَا يَشْبَعُ مَا سَمِعَهُ بِاَخْوَاتٍ - جَعَلَ اِلَهُ التَّفَصُّلَةِ يَدِينُ اَلرَّمِيَّ الصَّادِقَ وَ
اَلْكَاذِبَ ثَبُوْتَ شَهَادَةِ الشُّهُودِ الْاَرْبَعَةِ وَ اِنْتِفَآءُهَا وَ الَّذِيْنَ رَمَوْا عَائِشَةَ اَمْ تَكُنْ لَهُمْ بَيِّنَةٌ عَلَى قَوْلِهِمْ فَقَامَتْ عَلَيْهِمُ
اَلْحُجَّةُ وَ كَانُوا [عِنْدَ اللّٰهِ] اِيْ فِيْ حُكْمِهِ وَ شَرِيْعَتِهِ كَاذِبِيْنَ وَ هَذَا تَوْبِيْخٌ وَ تَعْنِيْفٌ لِلَّذِيْنَ سَمِعُوا الْاَفْكَ فَلَمْ
يُجَدُّوْا فِيْ دَفْعِهِ وَ اِنْكَارِهِ وَ اِحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ بِمَا هُوَ ظَاهِرٌ مَكْشُوْفٌ فِي الشَّرْعِ مِنْ وَجُوْبِ تَكْذِيْبِ الْقَاذِفِ
بَغَيْرِ بَيِّنَةٍ وَ التَّنْكِيلِ بِهِ اِذَا قَذَفَ اِمْرَاةٌ مَحْصَنَةً مِنْ عَرَضِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِيْنَ فَكَيْفَ بِأَمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ الصَّدِيْقَةِ
بِنْتِ الصَّدِيْقِ وَ حَرَمَةِ رَسُوْلِ اللّٰهِ وَ حُبِّيَّةِ حَبِيْبِ اللّٰهِ - لَوْلَا اَلرَّأْيُ اَللِّتَّحْضِيْضِ وَ هَذِهِ اَلْمَتَذَاعُ الشَّيْءِ لَوْ جُوْدُ
غَيْرِهِ - وَ الْمَعْنَى وَ لَوْلَا اَنْيْ قَضَيْتُ اَنْ اَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا بِضُرُوْبِ الدِّعْمِ اللَّتِيْ مِنْ جَمَلَتِهَا الْاِمْهَالُ
لِلتَّوْبَةِ وَ اَنْ اَتَرْحَمَ عَلَيْكُمْ فِي الْآخِرَةِ بِالْعَفْوِ وَ الْمَغْفِرَةِ لَعَاجَلْتُمْ بِالْعِقَابِ عَلَى مَا خُضْتُمْ فِيْهِ مِنْ حَدِيْثِ الْاَفْكَ

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۚ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِّكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَانَفُسِهِمْ

نزلت قرأها رسول الله على المنبر فقام عاصم بن عددي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين و ردت شهادته ابدا و فسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح و خرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شروجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سخماء فقال هذا والله سوالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله فكلّم خولة فقالت لا ادري ا لغيرة ادركنه ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولأعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليهما امين وقال القوم امين وقال لها ان كنت الّعمت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحيّنوا بها الولادة فان جاءت به اصابه اتيح يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جمائيا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به - قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله لشريك فقال صلى الله عليه وآله وسلم لولا الايمان لكان لي ولها شان - و قرئ ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة - اولانهم في معنى النفس اللّتي هي بدل - و وجه من قرأ أربع ان ينتصب لانه في حكم المصدر و العامل فيه المصدر الذي هو شهادة اّحدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة اّحدهم اربع شهادات بالله - و قرئ ان لعنة الله و ان غضب الله على تخفيف ان ورفع ما بعدها - و قرئ ان غضب الله على فعل الغضب - و قرئ بذنب الخماسين على معنى وتشهد الخامسة - فان قامت لم خصت الملازمة بان تخمس بغضب الله - قلت تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومذنبه بخلايتها و اطماعها و لذلك كانت مقدّمة في آية الجحد و يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم لخملة فالرجم اهون عليك من غضب الله - الفضل التفضل و جواب لولا متروك وتركه دال على امر عظيم لا يقتنه و رب مسكوت عنه ابغ من منطوق به - الافك ابغ ما يكون - من الكذب و الافتراء - و قيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك و اصله الافك وهو القلب لانه قول مأبوك عن وجهه و المراد ما أنك به على عائشة رضي الله عنها - والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين و كذلك العصاة و اعصوبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي رأس النفاق وزيد بن رفاع و حسان بن ثابت و مسطح بن اثانة و حمزة بنت جحش و من ساعدتهم - و قرئ كبره بالضم و الكسر و هو عظمه و الذي تولا عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ستم و انتهازه العرص و طلبه سبيلا الى انغميزة اي يصيب كل خائف في حديث الانك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خروصه - و العذاب العظيم

يُرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادة إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ⑤ والخامسة
 أن لعنت الله عليه إن كان من الكذابين ⑥ ويدرونها عذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكذابين ⑦
 والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ⑧ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وإن الله تواب حكيم ⑨

سورة النور ٢٤

الجزء ١٨

ع ٧

الكفرا هو من القذف مع الاسلام - قلت المسلمون لا يعباون بسب الكفار لانهم شهروا بعدواتهم والطعن فيهم
 بالباطل فلا يلحق المقدوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشد على القاذف
 من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار - فان قلت هل للمقدوف او للامام ان يعفو عن حد القاذف -
 قلت لهما ذلك قبل ان يشهد الشهود ويثبت الحد والمقدوف مذدوب الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه
 بالحد - ويحسن من الامام ان يحمل المقدوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل
 ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصلح عنه بمال -
 فان قلت هل يورث الحد - قلت عند ابي حنيفة لا يورث لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الحد لا يورث - وعند
 الشافعي يورث - واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط - وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت
 حين تاب مما قال في عائشة * قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا بالغا عاقلا غير محدود في القذف
 والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية - او
 زني - او رأيتك تزني - واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف
 الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان - واللعان ان يبدأ الرجل فيشهد اربع شهادات بالله
 انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكذابين
 فيما رماها به من الزنا - وتقول المرأة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكذابين فيما رماني به من الزنا ثم
 تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا - وعند
 الشافعي يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدا وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر
 الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله - وقال اللعان
 بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وبيت المقدس في مسجده - ولعان المشرك في الكنيسة
 وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون
 نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما - ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة
 واصحابه الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان - وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا - وعند الشافعي تقع بلعان
 الزوج - وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتأبد حكمها فاذا اكدب
 الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز ان يتزوجها - وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي
 فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه - وروي ان آية القذف لما

شَهَادَةُ أَبَدًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ

بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانية أو لمحصن يا زاني - يا ابن الزاني - يا ابن الزانية - يا ولد الزنا - لست لبيك - لست لرشدة - والقذف بغير الزنا ان يقول يا أكل الربوا - يا شارب الخمر - يا يهودي - يا مجوسي - يا فاسق - يا خبيث - يا ماص بظرامه فعليه التعزير ولا يداع به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه - وقال ابو يوسف يجوز ان يداع به تسعة وحبعون - وقال للامام ان يعزر الى المائة - وشروط احصان القذف خمسة - الحرية - والبلوغ - والعقل - والاسلام - والعفة - وقرى بأربعة شهادات بالتزويين وشهادة صفة - فان قلت كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين - قلت الواجب - عند ابي حنيفة واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد و ان جاؤا متفرقين كانوا قذنة - وعند الشافعي يجوز ان يحضروا متفرقين - فان قلت هل يجوز ان يكون زوج المقدوفة واحدا منهم - قلت يجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي - فان قلت كيف يجلد القاذف - قلت كما جلد الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو - والقاذفة ايضا كالزانية - واشد الضرب ضرب التعزير - ثم ضرب الزنا - ثم ضرب شرب الخمر - ثم ضرب القاذف - قالوا ان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للأعراض وردعا عن هتكها - فان قلت فاذا لم يكن المقدوف محصنا - قلت يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون المقدوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير - رد شهادة القاذف معلق عند ابي حنيفة باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفى لم تقبل شهادته ابدا وان تاب و كان من الأبرار الاتقياء - وعند الشافعي يتعلق رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان يرجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية - فابو حنيفة جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد و رد الشهادة عقيب الجلد على التابيد فكانوا مردودين الشهادة عنده في ابداهم وهو مدة حياتهم - وجعل قوله [وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية [وَالَّذِينَ تَابُوا] استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله [فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] - والشافعي جعل جزاء الشرط الجملة ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية - وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظيها ان تكون الجملة التامة بمجموعها جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وقسروهم اي فاجمعوهم لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجرودين ولا مردودين ولا مفسقين - فان قلت الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة كان القذف مع

المؤمنين ٥ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ٤ وحرم ذلك على
المؤمنين ٥ والذين يرْمُونِ الْمُحْصَنَاتِ فَمَثَلٌ بَارِعٌ شَهَادَةُ فَاجِلِهِمْ ثَمَنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ

سورة النور ٢٤
الجزء ١٨

ع ٦

الزنا والتفحُّب لا يرغب في نكاح الصالح من النساء واللاتي على خلاف صفته و إنما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله أو في مشركة - والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصالح من الرجال و ينفرون عنها و إنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين و نكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية و رغبته فيها و انخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محذور لما فيه من التشبه بالفساق و حضور موقع الذممة و التسبب لمؤ القالة فيه و الغيبة و انواع المفساد و مجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الأثام فكيف بمزاجعة الزاني و التفحُّب و قد نبه على ذلك بقوله و انكحوا الأيامى منكم و الصالحين من عبادكم و إمائكم - و قيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فنزلت - و عن عائشة رضي الله عنها أن الرجل إذا زنى بامرأة ليس له أن يتزوجها لهذه الآية و إذا باشرها كان زانيا و قد أجاز ابن عباس و شبهه بمن سرق ثم شجرة ثم اشتراه - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح و آخره نكاح و الحرام لا يحرم الحلال - و قيل المراد بالنكاح الوطء و ليس بقول الامرين - أحدهما أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد إلا في معنى العقد - و الثاني فساد المعنى و أدائه إلى قولك الزاني لا يزني إلا بزانية و الزانية لا يزني بها إلا زان - و قيل فنكاح الزانية كان محرماً في أول الإسلام ثم نسخ و الناسخ قوله و انكحوا الأيامى منكم - و قيل الاجماع - و روي ذلك عن سعيد بن المسيب - فإن قلت أي فرق بين معنى الجملة الأولى و معنى الثانية - قلت معنى الأولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفاف و لكن في الفواجر و معنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للعفاف و لكن للزناة و هما معنيان مختلفان - فإن قلت كيف قدمت الزانية على الزاني أولاً ثم قدم عليها ثانياً - قلت سيقى تلك الآية لعقوبتهما على ما جنى و المرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية لأنها لو لم تطمع الرجل و لم تؤمض له و لم تمكنه لم يطمع و لم يتمكن فلما كانت أصلاً و أولاً في ذلك بدى بذكرها و أما الثانية فمسوقة لذكر النكاح و الرجل أصل فيه لأنه هو الراغب و الخاطب و منه يبدأ الطلب - و عن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على الذمي و المرفوع فيه أيضاً معنى الذمي و لكن أبلغ و أكد كما أن رَحِمَكَ الله و يَرْحَمَكَ أبلغ من لِيَرْحَمَكَ - و يجوز أن يكون خبراً محضاً على معنى أن عادتهم جارية على ذلك و على المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة و يتصون عنها - و قرئ و حَرَّمَ بفتح الحاء - القذف يكون بالزنا و بغيره والذي دل على أن المراد قذفهم بالزنا شيئان - أحدهما ذكر المحصلات عقيب الزواني - و الثاني اشتراط أربعة شهاداء لأن القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان - و القذف

جَلْدَةٍ مَّاءٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنْ

قال لو سرقتم ناطمة بفت محمد لقطعتم يدها - وقوله [إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] من باب التهديد والهاب الغضب لله ولدينه - وقيل لا تفرحوا عليهما حتى لا تعطلوا الحدود او حتى لا توجعهما ضرباً - وفي الحديث يوتى بوال نقص من الحد سوطاً فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم به مني فيؤمر به الى النار و يوتى بمن زاد سوطاً فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار - وعن ابي هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة - وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلاً عالماً بصيراً يعقل كيف يضرب - والرجل تجلد قائماً على مجردة ليس عليه الا ازاره ضرباً وسطاً لا مبرحاً ولا هيناً مفرداً على الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا ثلثة الوجه والرأس والفرج - وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم - والمرأة تجلد قاعدة ولا ينفزع من ثيابها الا الحشو والفرد - وبهذه الآية استشهد ابو حنيفة على ان الجلد حد غير المحصن بلا تغريب - وما احتج به الشافعي على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وآله وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام - وما يروى عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابه بالآية او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب - وقول الشافعي في تغريب الحر واحد - وله في العبد ثلثة اقاويل - يغرب سنة كالحر - ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة - ولا يغرب كما قال ابو حنيفة - وبهذه الآية نسخ الحبس والذى في قوله فَأَمْسَكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ وقوله تعالى فَأَذَوَّهُمَا - قيل تسميته عذاباً دليل على انه عقوبة - ويجوز ان يسمى عذاباً لانه يمنع من المعادة كما سمي نكالا - الطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلثة او اربعة وهي صفة غالبية كانها الجماعة الحافة حول الشيء - وعن ابن عباس في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلاً من المصدقين بالله - وعن الحسن عشرة - وعن قتادة ثلثة فصاعداً - وعن عكرمة رجلان فصاعداً - وعن مجاهد الواحد فما فوقه - وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة اللتي يثبت بها هذا الحد - والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا وَقَالَ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الآخرة - فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء - ويورث الفقر - وينقص العمر - واما اللاتي في الآخرة فيوجت السخطة - وسوء الحساب - والخلود في النار ولذلك وفي الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتل المؤل وهو الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب ان يكون طائفة يحصل بها التشهير الواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة - واختصاصه المؤمنين لان ذلك افصح والفاقد بين صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلاً من المصدقين بالله - الفاسق الحديث الذي من شأنه

كلماتها ١٤٢ سورة النور مدنية وهي اربع وستون آية وتسع ركوعاً حروفها ٢٤ سورة النور ٢٤

الجزء ١٨

ع ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٥ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةً

وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا وَاعْظُمُوا وَلَا تَحْرِمْنَا وَأُتْرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا وَارْضَ عَنَّا وَارْضْنَا ثُمَّ قَالَ لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ عَشْرَ آيَاتٍ مِمَّنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ثُمَّ قَرَأَ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى خَتَمَ الْعَشْرَ •

سورة النور

[سُورَةٌ] خبر مبتدأ محذوف و [أَنْزَلْنَاهَا] صفة - او هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سُورَةَ أَنْزَلْنَاهَا - و قرئ بالنصب على زيدا ضربته و لا محل لأنزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه - او على دونك سورة - او اتل سورة و أنزلناها صفة - ومعنى [فَرَضْنَاهَا] فرضنا احكامها اللتي فيها و اصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعاً بها و التشديد للمبالغة في الايجاب و توكيده - او لان فيها فرائض شتى و انك تقول فَرَضْتُ الْفَرِيضَةَ وَفَرَضْتُ الْفَرَائِضَ - او لكثرة المفروض عليهم من السلف و من بعدهم [تَذَكَّرُونَ] بتشديد الدال وتخفيفها • رفعها على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي اي جلدتهما - و يجوز ان يكون الخبر فاجلدوا و انما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي و تضمينه معنى الشرط تقديره اللتي زنت والذي زنا فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه و قوله وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ - و قرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر و هو احسن من سُورَةَ أَنْزَلْنَاهَا لاجل الامر - و قرئ وَالزَّانِ بِلا ياء - و الجلد ضرب الجلد يقال جلدته كقولك ظهره و بطنه و رأسه - فان قلت هذا حكم جميع الزناة و الزواني او حكم بعضهم - قلت بل هو حكم من ليس بمُحْصَنٍ منهم فان الْمُحْصَنَ حكمه الرجم - و شرائط الاحصان عند ابي حنيفة ست الاسلام - و الحرية - و العقل و البلوغ - و التزوج بنكاح صحيح - و الدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان - و عند الشافعي الاسلام ليس بشرط لما روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجم يهوديين - و حجة ابي حنيفة قوله صلى الله عليه وآله و سلم من اشرك بالله فليس بمُحْصَنٍ - فان قلت اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة و الزواني لان قوله الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن - قلت الزانية و الزاني يدلان على الجنسيتين المنافيتين الجنسي العفيف و العفيفة دلالة مطلقة و الجنسية قائمة في الكل و البعض جميعاً فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك - و قرئ وَلَا يَأْخُذْكُمْ بِالْيَدِ - و رَأْفَةً بفتح الهمزة - و رَأْفَةً على فعالة و المعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله و يستعملوا الجِدَّةَ و المتانة فيه و لا يأخذهم اللين و الهوادة في استيفاء حادثة و كفى برسول الله اسوة في ذلك حيث

أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلُ الْعَادِينَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِيتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿٢٦﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿٢٧﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿٢٩﴾

او بعض رؤساء اهل النار - استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم واما هم فيه من عذابها لان
المتنحس يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة اليها - او لانهم كانوا في سرور وايام السرور
قصار - او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا وبتخهم على غفلتهم
التي كانوا عليها - وقرئ [فَسْئَلُ الْعَادِينَ] والمعنى لانعرف من عدد تلك السفين الا انا نستقله ونحسبه
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ لما نحن فيه من العذاب و ما فينا ان نعدها فسئل من فيه ان يعد و من يقدر ان يلقي
اليه فكرة - وقيل فسئل الملكة الذين يعدون اعمار العباد ويحصون اعمالهم - و قرئ الْعَادِينَ بالتخفيف
اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول - و قرئ الْعَادِينَ اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف
بمن دونهم - وعن ابن عباس انما هم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين • [عَبَثًا] حال اي عابثين
كقوله لَاعِبِينَ - او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان
تعبدكم وتكلفكم الشاق من الطاعات و ترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب
المحسن ونعاقب المسيء • [وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ] معطوف على أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ - ويجوز ان يكون معطوفا
على عَبَثًا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين - و قرئ تُرْجَعُونَ بفتح التاء • [الْحَقُّ] الذي يحق له الملك
لان كل شيء منه واليه - او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه • وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل
منه والخير والبركة - او لذبسته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما - و قرئ الْكَرِيمُ
بالرفع ونحو ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ [لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ] كقوله مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وهي صفة لازمة لحقوقه
يُطَيَّرُ بِجَذَائِهِ جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان - ويجوز ان يكون اعتراضا
بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالفائدة منه - و قرئ أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ
بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ هو فوضع الْكَافِرُونَ موضع الضمير لان مَنْ يَدْعُ
في معنى الجمع وكذلك حِسَابُهُ انه لا يفلاح في معنى حسابهم انهم لا يفلاحون - جعل فاتحة السورة قد آفلم
الْمُؤْمِنُونَ وورد في خاتمتها أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة - عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم من قرأ سورة المؤمنون بشرته الملكة بالروح والريحان و ما تقرب به عينه عند نزول ملك
الموت - وروي ان اول سورة قد آفلم وأخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ بربع
آيات من آخرها فقد نجا و آفلم - وعن عمر بن الخطاب كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا نزل عليه
الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يده وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا

سورة المؤمنون ٢٣

الجزء ١٨

ع ٥

مَوَازِينَهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْنِي تَتْلُوا عَلَيَّ مَقَالِدَهُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٩﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿٢٠﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٢١﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿٢٣﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿٢٤﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٢٦﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا

اللتي لها وزن و قدر عند الله تعالى من قوله تعالى فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا - [فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ] بدل من خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ و لا محل للمبدل و المبدل منه لان الصلة لا محل لها - او خبر بعد خبر لاوْلَيْكَ - او خبر مبتدأ محذوف - [تَلْفَحُ] تسفع - و قال الزجاج اللفح و النفع واحد الا ان اللفح اشد تأثيرا - و الكلوح ان يتقلص الشفتان و تتشمر عن الأسنان كما ترى الرؤس المشوية - و عن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق برأس اُخرج من التنور فغشي عليه ثلثة ايام و لياليهن - و روي عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه و تسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرتة - و قرئ كَلِحُونَ * [غَلَبَتْ عَلَيْنَا] ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك و املاكه - و الشقارة سوء العاقبة اللتي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم - قرئ [شِقْوَتُنَا] - و شِقَاوَتُنَا بفتح الشين و كسرهما فيهما * [اخْسَئُوا فِيهَا] ذلوا فيها و انزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسا الكلب و خسا بنفسه [وَلَا تُكَلِّمُونَ] في رفع العذاب فانه لا يرفع و لا يخفف - قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق و الزفير و العواء كعواء الكلاب لا يفهمون و لا يفقهون - و عن ابن عباس ان لهم ميت دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة رَبَّنَا ابْصُرْنَا و سَمِعْنَا فَيُجَابُونَ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي - فينادون الفَارَبْنَا اَمْتَنَا اِثْنَتَيْنِ فَيُجَابُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ - فينادون اِنَّا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ فَيُجَابُونَ اِنَّكُمْ مَا تُنَادُونَ - فينادون الفَارَبْنَا اَخْرَانَا فَيُجَابُونَ اَوْ لَمْ تَكُونُوا - فينادون الفَارَبْنَا اَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا فَيُجَابُونَ اَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ - فينادون الفَارَبْنَا اَرْجِعُونَا فَيُجَابُونَ اخْسَئُوا فِيهَا * في حرف ابني أَنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ بِالْفَتْحِ بمعنى لانه * السخري بالضم و الكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصومية في الخصوص - و عن الكسائي و الفراء ان المكسور من الهز و المضموم من السخرة و العبودية اي تسخروهم و استعبدوهم و الاول مذهب الخليل و سيبويه - قيل هم الصحابة - و قيل اهل الصقة خاصة و معناه اتخذتموهم هزرا و تشاغلتم بهم ساخرين [حَتَّىٰ أَنسَوَكُم] بتشاكلهم بهم على تلك الصفة [ذِكْرِي] فتركتموه اي تركتم ان تذكروني فتخانونني في اوليائي * و قرئ [أَنَّهُمْ] بالفتح - فالكسر استيناف اي قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء - و الفتح على انه مفعول جَزَيْتُهُمْ كقولك جزيتهم فوزهم * [قُلْ] في مصاحف اهل الكوفة - و قُلْ في مصاحف اهل الحرمين و البصرة و الشام - ففي قُلْ ضمير الله او المأمور بسؤالهم من الملكة - و في قُلْ ضمير الملك -

هَمَزَتِ الشَّيَاطِينُ ۖ وَاعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ۝ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي
أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۚ وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ
فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۝ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ

ان الشياطين يحضرون الناس على المعاصي و يغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حذالها على المشي
و نحو الهمز الاز في قوله تَوَزَّهُمْ أَزًّا - أمر بالتعود من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لذاته و بالتعود
من أن يحضروه اصلا و يحوموا حوله - عن ابن عباس عند تلاوة القرآن - و عن عكرمة عند النزاع • [حَتَّى]
يتعلق يَصِفُونَ اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت و الآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض
و التأكيد للاغضاء عنهم مستبعدا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم و يغريه على الانتصار منهم - او على
قوله وَ أَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله • ع • فان شئت حرمت النساء مواثم • و قوله
• ع • أَلَا فَرَحَمُونِي يَا آلَ مُحَمَّدٍ • اذا ايقن بالموت و اطاع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على ما فرط فيه من
الايمان و العمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة و قال [لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا] في الايمان الذي تركته و المعنى
لعلني اتي بما تركته من الايمان و اعمل فيه صالحا كما نقول لعلني ابني على أس تريد أو تمس أما و
أبني عليه - و قيل فِيمَا تَرَكْتُ من المال - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم اذا عاين المؤمن
الملئكة قالوا ترجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم و الاحزان بل قدومنا الى الله و اما الكافر فيقول
رَبِّ ارْجِعُونِ [كَلَّا] ردع عن طلب الرجعة و انكار و استبعاد - و المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها
مع بعض و هي قوله لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ [هُوَ قَائِلُهَا] لا محالة لا يخافها و لا يسكت عنها لاستيلاء
الحسرة عليه و تسلط الذم - او هُوَ قَائِلُهَا وحده لا يجاب اليها و لا تسمع منه [وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ] و الضمير
للجماعة اي امامهم حائل بينهم و بين الرجعة الى يوم البعث و ليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث
و انما هو اقتطاع كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة • الصَّوْرُ بفتح الواو و عن الحسن - و الصَّوْرُ
بالكسر و الفتح عن ابي رزين و هذا دليل لمن فسّر الصَّوْرُ بجمع الصورة - و نفى الانساب - يحتمل ان التقاطع يقع
بينهم حيث يتفرقون معاقبين و مثابين و لا يكون التواصل بينهم و التألف الا بالاعمال فتلغو الانساب
و تبطل و انه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف و التراحم بين الاقارب اذ يقر المرء من أخيه و أمه و أبيه و صاحبته
و يذبه - و عن ابن مسعود و لَا يَتَسَاءَلُونَ بادغام التاء في السين - فان قلت قد ناقض هذا و نحو قوله و لَا يَسْأَلُ
حَمِيمٌ حَمِيمًا قوله و أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ و قوله يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ فكيف التوفيق بينهما - قلت
فيه جوابان - احدهما ان يوم القيمة مقدارة خمسون الف سنة ففيه ازمدة و احوال مختلفة يتساءلون و يتعارفون في
بعضها و في بعضها لا يفطنون بذلك لشدة الهول و الفزع - و الثاني ان التذاكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت
الثانية قاموا فتعارفوا و تساءلوا عن ابن عباس • الْمَوَازِينُ جمع موزن و هي المورونات من الاعمال اي الصالحات

سورة المؤمنون ٢٣
الجزء ١٨
ع

لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۝ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِينِي مَا يُوعَدُونَ ۝ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَأَنَا عَلَى أَنْ تُرِيكَ
مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ۝ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ۝ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ

نحبة الولد إليه محال والشرك باطل [وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ] حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا * [لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا
خَلَقَ] لا نفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرايتهم ملك كل واحد منهم متميزا
من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متميزة وهم متغالبون
وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء - فان قلت اذا
لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لَذَهَبَ جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال
سائل - قلت الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ
عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين [عَمَّا يَصِفُونَ] من الانداد والاولاد [عَالِمُ الْغَيْبِ]
بالجبر صفة لله - وبالرفع خبر مبتدأ محذوف * ما والذون مؤكدتان اي ان كان لابد من ان تُرِينِي ما تعدهم
من العذاب في الدنيا او في الآخرة [فَلَا تَجْعَلْنِي] قريضا لهم ولا تُعَذِّبْنِي بعذابهم - عن الحسن اخبره الله
ان له في امته نقمة ولم يخبره افي حياته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعاء - فان قلت كيف يجوز
ان يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم - قلت يجوز ان يسأل العبد ربه
ما علم انه يفعله وان يستعين به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخبارا له واستغفارة
ملى الله عليه وآله وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك - وما احسن قول الحسن
في قول ابي بكر الصديق وَابْتَنَيْتُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ كَانَ يَعْلَمُ انه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه - وقري
إِنَّمَا تُرِينِي بالهمز كما قري فَاِمَّا قَرَرْتُ - وَلَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ وهي ضعيفة - وقوله رَبِّ مَرَّتَيْنِ قبل الشرط
وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجوار - كانوا يُذَكِّرُونَ الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له
لذلك ف قيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجد هذا الانكار * هو ابلغ من ان يقال
بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفيح عن اساءتهم ومقابلتها
بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفيح والاحسان وبذل الامتطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة
بازاء سيئة وهذه قضية قوله بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ - وعن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله و
السيئة الشرك - وعن مجاهد السلام يستلم عليه اذا لقيه - وعن الحسن الغضاء والصفيح - وقيل
هي منسوخة بآية السيف - وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤن الى ثلم دين
وازراء بمروءة [بِمَا يَصِفُونَ] بما يذكره من احوالك بخلاف صفتها - او بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله اعلم
بذلك منك واقدر على جزائهم * الهمز النخس - والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرأض والمعنى

ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝
بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ۝ قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا فَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَ
آبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝
قُلْ مَن يَدِينُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّى تُشْكِرُونَ ۝
بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلَهٍ إِذَا

كل خير - وقيل السموات مع التحير - فان قلت ما وزن استكان - قلت استعمل من الكون اي انتقل
من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال - ويجوز ان يكون افتعل من السكون
اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنزاج - فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكيدون - قلت لان المعنى
محتاجهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكيدوا ويتضرعوا حتى يفتح
عليهم باب العذاب الشديد - وقرئ ففتحنا * انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع
الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة مفاعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في آيات الله وافعاله
ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فما اغنى
عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بايات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار
بالمنعم بها وان لا يجعل له ند ولا شريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا [ذراكم]
خلقكم وبثكم بالتناسل [واليه] تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم * [وله اختلاف الليل والنهار] اي هو مختص
به وهو متوليها ولا يقدر على تصرفهما غيره - وقرئ يعقلون بالياء عن ابي عمر اي قال اهل مكة كما قال
الكفار قبلهم * الاساطير جمع اسطار جمع مطر قال روبة * ع * اني واسطار سطر سطر * وهي ما كتبه الاولون
مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق - اي اجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم
وتجوز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين * وقرئ [تدكرون] بحذف التاء
الثانية ومعناه افلا تتذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق و
كان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية - قرئ الاول باللام لا غير والاخير باللام وهو هكذا
في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام - وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف اهل البصرة وباللام على المعنى
لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ - ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها
لم تثبت في الرواية [افلا تتقون] افلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله * اجرت فلانا على فلان اذا
اغنته ماله ومنعته يعني وهو يعيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا * [تشكرون] تخضعون
عن توحيدة وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى - وقرئ آتيتهم واتيهم بالفتح والضم [بالحق] بان

سورة المؤمنون ٢٣
الجزء ١٨
ع ٤
الرب

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ وَإِنَّ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاَكِبُونَ ۝ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودُ فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝
وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ۖ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝ هُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي

وَعَظَّمَهُمْ أَوْ وَصِيَّتَهُمْ وَفَخَرَهُمْ - أَوْ بِالذِّكْرِ الَّذِي كَانُوا يَتَمَنُّونَهُ وَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ
الْمُخْلِصِينَ - وَقَرِئَ بِذِكْرِهِمْ - قَرِئَ خَرْجًا فَخَرَجَ - وَخَرْجًا فَخَرَجَ - وَهُوَ مَا تَخْرُجُهُ إِلَى الْأَمَامِ
مِنْ زَكَاةٍ أَرْضِكَ وَ إِلَى كُلِّ عَامِلٍ مِنْ أَجْرَتِهِ وَجُعِلَهُ - وَقِيلَ الْخَرْجُ مَا تَبَرَّعْتَ بِهِ وَالْخَرْجُ مَا لَزِمَكَ
أَدَاؤُهُ وَالْوَجْهَ أَنَّ الْخَرْجَ اخْصَ مِنْ الْخَرْجِ كَقَوْلِكَ خَرَجَ الْقَرْيَةُ وَخَرَجَ الْكُرْدُ وَ زِيَادَةُ اللَّفْظِ لَزِيَادَةِ الْمَعْنَى
وَلِذَلِكَ حَسَنَتْ قِرَاءَةُ مِنْ قَرَأَ [خَرْجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ] يَعْنِي أَمْ تَسْأَلُهُمْ عَلَى هِدَايَتِكَ لَهُمْ قَلِيلًا مِنْ عَطَاءِ
الْخَلْقِ فَالْكَثِيرِ مِنْ عَطَاءِ الْخَالِقِ خَيْرٌ - قَدْ لَزِمَهُمُ الْحُجَّةُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَ قَطَعَ مَعَاذِيرَهُمْ وَعَلَّلَهُمْ بِأَنَّ الَّذِي
أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مَعْرُوفٌ أَمْرٌ وَ حَالُهُ مَخْبُورٌ مَرَّةً وَعَلَنَهُ خَلِيقٌ بِأَن يَجْتَبِي مِثْلَهُ لِلرَّسَالَةِ مِنْ بَيْنِ
ظَهْرَانِيَّتِهِمْ وَ أَنَّهُ لَمْ يَعْضُ لَهُ حَتَّى يَدَّعِي بِمِثْلِ هَذِهِ الدَّعْوَى الْعَظِيمَةِ بِبَاطِلٍ وَلَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ سُلْطَانًا إِلَى
الذِّيلِ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَاسْتَعْطَاءِ أَمْوَالِهِمْ وَلَمْ يَدَّعِهِمْ إِلَّا إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ مَعَ إِبْرَازِ
الْمَكْنُونِ مِنْ أَدْوَانِهِمْ وَهُوَ اخْلَالُهُمْ بِالتَّدْبِيرِ وَ التَّمَلُّ وَ اسْتِهْذَارُهُمْ بِدِينِ الْأَبَاءِ الضَّلَالِ مِنْ غَيْرِ بَرَهَانٍ وَ تَعْلِيلِهِمْ
بِأَنَّهُمْ مَجْذُونُونَ بَعْدَ ظَهْوَرِ الْحَقِّ وَ ثَبَاتِ التَّصْدِيقِ مِنَ اللَّهِ بِالْمُعْجَزَاتِ وَ الْآيَاتِ النَّبِيَّةِ وَ كَرَاهَتِهِمْ لِلْحَقِّ وَ اعْرَاضِهِمْ
عَمَّا فِيهِ حَقُّهُمْ مِنَ الذِّكْرِ - يَحْتَمِلُ أَنَّ هَؤُلَاءِ وَصَفْتُهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ [لَنَّاَكِبُونَ] أَيَّ عَادِلُونَ عَنْ هَذَا
الصِّرَاطِ الْمَذْكُورِ وَهُوَ قَوْلُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ - وَ إِنَّ كُلَّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ فَهُوَ عَنْ الْقَصْدِ نَاكِبٌ * لَمَّا اسْلَمَ
ثُمَامَةُ بْنُ أُتَالٍ الْكَنْفِيُّ وَ لَحِقَ بِالْإِمَامَةِ وَ مَنَعَ الْمِيرَةَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَ أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالسِّنِينَ حَتَّى أَكَلُوا
الْعِلَازِجَاءَ أَبُو سَفْيَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ فَقَالَ لَهُ أَنْشُدْكَ اللَّهَ وَ الرَّحِمَ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ
بُعِثْتَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَقَالَ بَلَى فَقَالَ قَتَلْتَ الْأَبَاءَ بِالسَّيْفِ وَ الْإِبْنَاءَ بِالْجُوعِ - وَ الْمَعْنَى لَوْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ هَذَا
الضَّرَّ وَ هُوَ الْهَزَالُ وَ الْقَحْطُ الَّذِي أَصَابَهُمْ بِرَحْمَتِهِ عَلَيْهِمْ وَ وَجَدُوا الْخِصْبَ لَارْتَدَّوْا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ
الْاِسْتِكْبَارِ وَ عِدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ انْقِرَاطِهِمْ فِيهَا وَ لَذَهَبَ عَنْهُمْ هَذَا الْإِبْلَاسُ وَ هَذَا اِتِّمَلَقَ بَيْنَ يَدَيْهِ
يَسْتَرْحِمُونَهُ وَ اسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ بَأَنَّا أَخَذْنَاهُمْ أَوَّلًا بِالسَّيُوفِ وَ بَمَا جَرَى عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ قَتْلِ صُنَادِيدِهِمْ
وَ أَمْرِهِمْ فَمَا وَجَدْتَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ اسْتِكَانَةً وَ لَا تَضَرَّعَ حَتَّى فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابَ الْجُوعِ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنْ
الْأَسْرِ وَالْقَتْلِ وَ هُوَ أَطَمَّ الْعَذَابِ فَابْلَسُوا السَّاعَةَ وَ خَضَعَتْ رِقَابُهُمْ وَ جَاءَ أَعْدَاهُمْ وَ أَشَدَّهُمْ شَكِيمَةً فِي الْعَذَابِ يَسْتَعْطِفُكَ -
أَوْ مَحَنَاهُمْ بِكُلِّ مَحَنَةٍ مِنَ الْقَتْلِ وَ الْجُوعِ فَمَا رَأَى فِيهِمْ لَيْسَ مَقَادَةً وَ هُمْ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا عَذَّبُوا بِنَارِ جَهَنَّمَ فَحِينَئِذٍ
يَبْلِسُونَ كَقَوْلِهِ وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ - لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَ الْإِبْلَاسُ الْيَأْسُ مِنْ

عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿١٠﴾ مُنْكَبِرِينَ ﴿١١﴾ بِهِ سِمَرَ النَّجْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿١٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَكَثُرَهُم لِلْحَقِّ كِرْهُونَ ﴿١٥﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿١٦﴾

يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرًا وشعرًا وسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - أو يتنجسون والسمرون نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع - وقرى سمرًا - وسمارًا - وتنجرون - وتنجرون من التجرف في منطقه إذا افحش - والتجرف بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر إذا هذى - والتجرف بالفتح الهذيان * [القول] القرآن يقول أفلم يتدبروه - ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل [جاءهم ما لم يأت آبائهم] فلذلك انكروه واستبدعوه كقوله لتذنب قوما ما أنذر آبائهم فهم غفلون - أو ليخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الأمن ما لم يأت آبائهم حين خافوا الله فامنوا به وبكتبه ورسله وإطاعوه وأبائهم اسمعيل وأعقابهم من عدنان وقحطان - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا ربيعة ومضر فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسًا فإنه كان مسلمًا ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الإسلام وما شككتهم فيه من شيء فلا تشكوا في أن تبعًا كان مسلمًا - وروي في أن ضبة كان مسلمًا وكان على شريطة سليمان بن داود - [أم لم يعرفوا] محمدًا وصحة نسبه وحلوه في سطة هاشم وإمانته وصدقته وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها أبو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا - الجنة الجنون وكانوا يعلمون انه بري منها وانه أرجحهم عقلًا واثقهم ذهنًا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم وأهواءهم ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردًا ولا مدفعًا لانه الحق الأبلج والصراط المستقيم فاخلدوا إلى البهت وعولوا على الكذب من النسبة إلى الجنون والسحر والشعر - فان قلت قوله [وأكثروهم] فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق - قلت كان فيهم من يترك الإيمان به انفة واستنكافًا من توبيخ قومه وإن يقولوا صبا وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن أبي طالب - فان قلت يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح إسلامه - قلت يا سبحن الله كان أبا طالب كان أحملاً أعمام رسول الله حتى يشتهر إسلام حمزة والعباس ويخفى إسلام أبي طالب * دل بهذا على عظم شأن الحق وإن السموات والأرض ما قامت ولا من فيهن إلا به [ولو اتبع أهواءهم] لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام - أو أراد أن الحق الذي جاء به محمد وهو الإسلام لو اتبع أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة ولأهلك العالم ولم يزل يخر - وعن قتادة إن الحق هو الله ومعناه ولو كان الله ألبا يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان ألبا ولكن شيطانا ولما قدر على أن يمسك السموات والأرض [يذكرهم] بالكتاب الذي هو ذكرهم أي

سورة المؤمنون ٢٣

الجزء ١٨

ع ٣

رَجَعُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿١١﴾ وَلَا تَكُلِفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَا تَدِينَا كِتَابًا يَنْطِقُ بِالنِّحَىٰ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا ۖ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ ۚ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿١٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿١٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ ۚ إِنَّكُمْ مِمَّا لَا تَنْصُرُونَ ﴿١٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ

يُصَلِّي وَيُصُوم وَيَتَصَدَّق وَهُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ يَخَافُ اللَّهُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُ [يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ] يَحْتَمِلُ
مَعْنِيَيْنِ - احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها - و الثاني انهم يتعجلون في الدنيا
المنازع و رجوة الاكرام كما قال فاتهم الله ثواب الدنيا و حسن ثواب الآخرة - و اثبتة اجرة في
الدنيا و انه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سارع بها لهم فقد سارعوا في نيلها و تعجلوها و هذا
الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفى عن الكفار للمؤمنين - و قرى يَسْرِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ [لَهَا سَابِقُونَ] اي فاعلون السبق لاجلها - او سَابِقُونَ الناس لاجلها - او آياها سَابِقُونَ اي
يَنَالُونَهَا قَبْلَ الْآخِرَةِ حيث عجلت لهم في الدنيا - و يجوز ان يكون لَهَا سَابِقُونَ خبرا بعد خبر و معنى و هم لَهَا كَمَعْنَى
قوله ع * انت لها احمد من بين البشر * يعني ان هذا الذي و صف به الصالحين غير خارج من جد الوسع
و الطاقة و كذلك كل ما كلفه عبادة و ما عملوه من الانعال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كِتَابٍ يريد
اللوحة او صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤون منه يوم القيمة الا ما هو صدق و عدل لا زيادة فيه و لا نقصان و لا
يُظْلَمُ مِنْهُمْ أَحَدٌ - او اراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هؤلاء السابقين
بعد ان يستفرغ وسعه و يبذل طاقته فلا عليه و لَدِينَا كِتَابٌ فيه عمل السابق و المقتصد و لا نظم احدا من
حقه و لا لحظة دون درجته - [بَلْ قُلُوبُ] الكفرة في غفلة غامرة لها [مِنْ هَٰذَا] اي مما عليه هؤلاء الموصوفون
من المؤمنين [وَلَهُمْ أَعْمَالٌ] متجاوزة متخطية [لِذَٰلِكَ] اي لما رصف به المؤمنون [هُمْ لَهَا] معتادون
و بها صارون لا يَفْطَمُونَ عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب * و [حَتَّى] هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام
و الكلام الجملة الشرطية - و العذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه و آله
و مات فقال اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَىٰ مُصْرٍ و اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله
بالقحط حتى اكلوا الجيف و الكلاب و العظام المحترقة و القذ و الاولاد * الجوار الصراخ باستغاثة قال
ع * جَارُ سَاعَاتِ الدِّينِ لِرَبِّهِ * اي يقال لهم حينئذ [لَا تَجْعَرُوا] فان الجوار غير نافع لكم [مِمَّا لَا تَنْصُرُونَ] [بِهِ] للبيت العتيق او للحرم
كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم و الذي سوغ هذا الاضرار شهرتهم بالاستكبار بالبيت و انه لم تكن
لهم مفخرة الا انهم و لانه و القائمون به - و يجوز ان يرجع الى آيَتِي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي - و معنى
استكبارهم بالقران تكذيبهم به امتكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته - او يحدث لكم استماعه
استكبارا و عتوا فانتم مستكبرون بسببه - او يتعلق الباء بسمرا اي تسمرون بذكر القران و بالطعن فيه و كانوا

كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۖ وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ۖ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۖ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۖ ائْتَسِبُونَ أَنَّمَا يُنَادِيهِمْ فِيهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۖ نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۖ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ إِنْ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يَوْمَنُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۖ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

و الرجل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة و انما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه - والمراد بالطيبات ماحل وطاب - وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام - فالحلال الذي لا يعصى الله فيه - والصافي الذي لا ينسى الله فيه - والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل - او اريد ما يستطاب ويستند من المأكول والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله و اوتيهما الى ربوة ذات قرار ومعين - ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي اوتينا هما و قلنا لهما هذا اي اعلمنا هما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل - قرئ وان بالكسر على الاستيناف - وان بمعنى ولان - وان مخففة من الثقيلة و [امتكم] مرفوعة معها • وقرئ [زبرا] جمع زبور اي كتبنا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا - وزبرا قطعاً استعيرت من زبر الفضة والحديد - و زبرا مخففة الباء كرسل في رسل - اي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المنقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق - الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم و عمايقهم - او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال • ع • كانني ضارب في غمرة لعب • وعن علي رضي الله عنه في غمرتهم [حتى حين] الى ان يقتلوا او يموتوا - سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره • وقرئ يمدهم - ويسارع ويسرع باياء والفاعل الله سبحانه وتعالى - ويجوز في يسارع ويسرع ان يتضمن ضمير الممد به - ويسارع مبنيا للمفعول - والمعنى ان هذا الامداد ليس الاستدراجا لهم الى المعاصي واستجرا الى زيادة الاثم و هم يحسبونه مسارعة لهم في الخير وفيما لهم فيه نفع و اكرام و معاجلة بالثواب قبل وقته - ويجوز ان يراد في جزاء اخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين - و [بل] استدراك لقوله ائتسبون يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك اهو استدراج ام مسارعة في الخير - فان قلت اين الراجع من خبر ان الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميرة - قلت هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك من عزم الامور اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع امن الالباس [يؤتون ما اتوا] يعطون ما اعطوا - وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعائشة ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا - وعنها انها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويشرب الخمر و هو على ذلك يخاف الله قال لا يا بنت الصديق ولكن هو الذي

سورة المؤمنون ٢٣

الجزء ١٨

ع ٢

فَبَعَثْنَا لِقَوْمِ الْيُونُسَ ۖ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ ۖ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۖ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۖ فَقَالُوا إِنَّا نَحْنُ الْبَشَرُ مِثْلُكُمْ أَفَتَعْبُدُونَ ۙ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ۖ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۖ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ رَاسًا لِّآلِهَا ۖ وَابْنَهُمَا إِلَىٰ رُبُوعٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۖ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتكون جمعا للأحدثة التي هي مثل الأضحوكة والأعجوبة والأعجوبة وهي مما يتحدث به الناس تلهياً وتعجباً وهو المراد هنا - فإن قلت ما المراد بالسلطان المبين - قلت يجوز أن تراد العصا لأنها كانت أم آيات موسى وأولها وقد تعلق بها معجزات شتى من انقلابها حية - وتلقفها ما افكته السحرة - وانفلاق البحر - وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها - وكونها حارساً - وشمعة - وشجرة خضراء منمرة - ودلوا - ورشاء جعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطف عليها بقوله تعالى وجبريل وميكائيل - ويجوز أن تراد الآيات نفسها أي هي آيات وحجة بيّنة [عائناً] متكبرين إن فرعون علّا في الأرض لا يريدون علواً في الأرض - أو متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم * والبشر يكون واحداً وجمعاً بشراً موطياً - لبشريين - فإمّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ - و مِنْهُ وَغَيْرُ يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث إنكم إذا متلهم - وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ وَيُقَالُ إِضْماً هُمَا مِثْلُهُ وَهُنَّ امِثَالُهُنَّ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ [وَقَوْمُهُمَا] يعني بني إسرائيل كانوا يعبدوننا خضوعاً وتذلاً - أو لانه كان يدعى الإلهية فادعى للناس العبادات وإن طاعتهم له عبادة على الحقيقة * [مُوسَى الْكِتَابَ] أي قوم موسى التوراة لَعَلَّهُمْ [يعملون بشرائعها ومواظبها] كما قال عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم - ولا يجوز أن يرجع الضمير في لَعَلَّهُمْ إلى فرعون وملأئه لأن التوراة إنما أوتيتها بنو إسرائيل بعد اغراق فرعون وملأئه وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى - فَإِنْ قُلْتَ لَوْ قِيلَ لِأَيُّنَ هَلْ كَانَ يَكُونُ لَهُ وَجْهٌ - قُلْتَ نَعَمْ لَأَنَّ مَرْيَمَ وَلَدَتْ مِنْ غَيْرِ مَسِيحٍ وَعِيسَى رُوحٌ مِنَ اللَّهِ أُلْقِيَ إِلَيْهَا وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ وَكَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى مَعَ مَعْجَزَاتٍ أُخْرَى فَكَانَ آيَةً مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ وَاللُّغْظُ مُحْتَمَلٌ لِلتَّنْذِيرِ عَلَى تَقْدِيرٍ [وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ] آيَةً [وَأَمَّهُ آيَةً] ثُمَّ حَذَفْتَ الْإِشْرَافَ لِدَلَالَةِ الثَّانِيَةِ عَلَيْهَا - الرَّبُّوَّةُ وَالرِّبَاوَةُ فِي رَأْيِهَا الْحَرَكَاتُ - وَقُرَى رَبُّوَّةٌ وَرَبَاوَةٌ بِالضَّمِّ - وَرَبَاوَةٌ بِالْكَسْرِ وَهِيَ الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ - قِيلَ هِيَ أَيْلِيَا أَرْضُ بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَإِنَّمَا كَبِدُ الْأَرْضِ وَأَقْرَبُ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ بِثَمَانِيَةِ عَشْرٍ مِيلًا عَنْ كَعْبٍ - وَقِيلَ دِمَشْقُ وَغَوَظُهَا - وَعَنْ الْحَسَنِ فَلَسْطِينَ وَالرَّمْلَةُ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَلْزَمُوا هَذِهِ الرَّمْلَةَ رَمْلَةَ فَلَسْطِينَ فَانْهَى الرَّبُّوَّةَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ - وَقِيلَ مِصْرُ - وَالْقَرَارُ الْمُسْتَقَرُّ مِنْ أَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ مُنْبَسِطَةٍ - وَعَنْ قَتَادَةَ ذَاتُ ثَمَارٍ وَمَاءٌ يَعْنِي أَنَّهُ لِاجْلِ الثَّمَارِ يَسْتَقَرُّ فِيهَا مَا كُنْهَ - وَالْمَعِينُ الْمَاءُ الظَّاهِرُ الْجَارِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ - وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي زِيَادَةِ مِيَمِهِ وَأَصَالَتِهِ - فَوَجْهُ مَنْ جَعَلَهُ مَفْعُولًا أَنَّهُ مَدْرَكٌ بِالْعَيْنِ لظُهُورِهِ مِنْ عَانِهِ إِذَا أَدْرَكَهُ بَعِيدُهُ نَحْوَ رَكْبِهِ إِذَا ضَرَبَهُ بِرَكْبَتِهِ - وَوَجْهُ مَنْ جَعَلَهُ فَعِيَةً أَنَّهُ نَفَاعٌ بِظُهُورِهِ وَجَرِيهِ مِنَ الْمَاعُونِ وَهُوَ الْمَنْفَعَةُ * هَذَا النِّدَاءُ وَالْخُطَابُ لَيْسَا عَلَى ظَاهِرِهِمَا وَكَيْفَ

هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿١٠﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبْتُ ﴿١٢﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿١٣﴾ فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُدَّاءَ ﴿١٤﴾ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا أُخْرِجْنَ ﴿١٦﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولًا ثَمَرًا ﴿١٨﴾ كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَاهُمْ بِغَضٍّ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴿١٩﴾

مسعود أَيْعِدُّكُمْ إِذَا مِتُّمْ - قرئ [هَيْهَاتَ] بالفتح و لكسر و الضم كلها بتنوين - وبلا تنوين - و بالسكون على لفظ الوقف - فإِنْ قُلْتَ مَا تُوعِدُونَ هُوَ الْمُسْتَبْعَدُ و من حقه ان يرتفع بهيئات كما ارتفع في قوله * ع * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَاهْلُهُ * فما هذه اللام - قُلْتَ قَالَ الزَّجَاجُ فِي تَفْسِيرِهِ الْبَعْدُ لِمَا تُوعِدُونَ أَوْ بَعْدَ لِمَا تُوعِدُونَ فَمِنْ نَوْنٍ فَنَزَلَهُ مَنَزَلَةَ الْمَصْدَرِ - وفيه وجه آخر و هو ان يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هَيْتَ لَكَ لِبَيَانِ الْمَهِيَّتِ بِهِ - هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه و اصله اِنْ الْحَيَاةُ [إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا] ثُمَّ وَضَعَ هِيَ مَوْضِعَ الْحَيَاةِ لَانِ الْخَبَرَ يَدُلُّ عَلَيْهَا وَيَبَيِّنُهَا - وَمِنْهُ هِيَ الْغَفْسُ تَحْمِلُ مَا حُمِلَتْ - وَهِيَ الْعَرَبُ تَقُولُ مَا شَاءَتْ - وَالْمَعْنَى لَا حَيَاةَ إِلَّا هَذِهِ الْحَيَاةُ لَانِ اِنْ الذَّافِيَّةُ دَخَلَتْ عَلَى هِيَ الَّتِي فِي مَعْنَى الْحَيَاةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْجَنَسِ فَفَقَّهَهَا فَوَازَنَتْ لَا الَّتِي نَفَتْ مَا بَعْدَهَا نَفَى الْجَنَسِ [نَمُوتُ وَنَحْيَا] اَي يَمُوتُ بَعْضٌ وَيُولَدُ بَعْضٌ يَنْقَرُضُ قَرْنٌ وَيَأْتِي قَرْنٌ أُخَرُ - ثُمَّ قَالُوا مَا هُوَ إِلَّا مَقْتَرٌ عَلَى اللَّهِ نِيْمًا يَدْعِيهِ مِنْ اسْتِنْبَائِهِ لَهُ وَفِيمَا يَعْدُنَا مِنَ الْبَعْثِ وَمَا نَحْنُ بِمُصَدِّقِينَ * [قَلِيلٍ] صفة للزمان كقديم و حديث في قولك ما رأيت قديما و لا حديثا و في معناه عن قريب و ما تؤكد لمعنى قلة المدة و قصرها - [الصَّيْحَةُ] صيحة جبرئيل صاح عليهم فدمروهم [بِالْحَقِّ] بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك - أَوْ بِالْعَدْلِ مِنَ اللَّهِ مَنْ قَوْلِكَ فَلَانُ يَقْضَى بِالْحَقِّ إِذَا كَانَ عَادِلًا فِي قَضَائِهِ - شَبَّهَهُمْ فِي دِمَارِهِمْ بِالْغَنَاءِ وَهُوَ حَمِيلُ السَّيْلِ مِمَّا بَلَى وَاسْوَدَّ مِنَ الْعِيدَانِ وَ الْوَرَقِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فَجَعَلَهُ غَدَاً أَخَوِي وَ قَدْ جَاءَ مُشَدَّدًا فِي قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ * ع * مِنَ السَّيْلِ وَالْغَنَاءِ فَلَكُمُ مِغْزَلٌ * بَعْدًا وَ سَحْقًا وَ دَفْرًا وَ نَحْوَهَا مَصَادِرُ مَوْضُوعَةٍ مَوَاضِعِ أَعْمَالِهَا وَ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَصَادِرِ الَّتِي قَالَ سِيدُوهُ نَصَبَتْ بِأَعْمَالٍ لَا يَسْتَعْمَلُ أَظْهَارَهَا وَ مَعْنَى بَعْدًا بَعْدُ أَيْ هَلَكُوا يُقَالُ بَعْدَ بَعْدًا وَبَعْدًا نَحْوُ رَشِدَ رَشْدًا وَ رُشْدًا - وَ [لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] بَيَانٌ لِمَنْ دُعِيَ عَلَيْهِ بِالْبُعْدِ نَحْوُ هَيْتَ لَكَ - وَلِمَا تُوعِدُونَ - [قُرُونًا] قَوْمٌ صَالِحٌ وَ لُوطٌ وَ شَعِيبٌ وَ غَيْرُهُمْ - وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ - [أَجَلَهَا] الْوَقْتُ الَّذِي حَدَّ لَهَا لَهَا وَ كَتَبَ [تَدْرَأَ] فَعَلًا الْإِلْفُ لِلتَّانِيثِ لَانِ الرُّسُلَ جَمَاعَةٌ - وَ قُرِئَ تَدْرَأَ بِالتَّنْوِينِ وَ التَّاءُ بَدَلٌ مِنَ الْوَائِ كَمَا فِي تَوَلَّى وَ تَيَقَّوْرُ اَي مَتَوَاتِرِينَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ مِنَ الْوَتَرِ وَ هُوَ الْفَرْدُ - أَضَافَ الرُّسُلَ إِلَيْهِ تَعَالَى وَ إِلَى أَمَمِهِمْ وَ لَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ - وَ لَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ لَانِ الْإِضَافَةَ تَكُونُ بِالْمَلَابَسَةِ وَ الرُّسُولُ يَلْبَسُ الْمُرْسَلُ وَ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِ جَمِيعًا [فَاتَّبَعْنَا] الْأُمَمَ وَ الْقُرُونِ [بَعْضَهُمْ بَعْضًا] فِي الْهَلَاكِ [وَجَعَلْنَاهُمْ] أَخْبَارًا يَسْمُرُ بِهَا وَ يَتَعَجَّبُ مِنْهَا - الْآحَادِيثُ يَكُونُ اسْمُ جَمْعٍ لِلْحَدِيثِ وَمِنْهُ أَحَادِيثُ

سورة المؤمنون ٢٣

الجزء ١٨

ع ٢

الَّذِينَ نَجَّيْنَاهُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ وَقُلْ رَبِّ انْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبْرَكًا ۖ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۝ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ۝ فَارْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ وَاتَّرفَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخٰسِرُونَ ۝ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ۝ هِيَاهُ هِيَاهُ لِمَا تُوْعَدُونَ ۝ إِنَّ

اِحْتَرَبْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ] لانه في معنى فاذا استويتم - قلت لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي . وقرئ [مُنْزَلًا] بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله لِيَدْخِلْنَاهُمْ مَدْخَلًا يُرْضَوْنَ * [إِنَّ] هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشأن والقصة [كُنَّا مُبْتَلِينَ] اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد - او مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ * [قَرْنًا آخَرِينَ] هم عاد قوم هود عن ابن عباس رضي الله عنه و تشهد له حكاية الله قول هود وَادْكُرُوا اِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَصَحِّيْ قِصَّةُ هُودٍ عَلَى اَثَرِ قِصَّةِ نُوحٍ فِي سُوْرَةِ الْاَعْرَافِ وَسُوْرَةِ هُودٍ وَالشُّعْرَاءِ - فَانْ قُلْتُ حَقَّ ارْسَل ان يعدي بالي كاخواته اللتي هي وجهه وانفذ وبعث فما له عدي في القرآن بالي تارة وبفي اخرى كقوله كَذٰلِكَ اَرْسَلْنَاكَ فِيْ اُمَّةٍ - وَمَا اَرْسَلْنَا فِيْ قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ [فَارْسَلْنَا فِيْهِمْ رَحْمَةً] اي في عاد وفي موضع اخر الى عاد اَخَاهُمْ هُودًا - قلت لم يعد بفي كما عدي بالي ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال روية * ع * ارسلت فيها مصعبا ذا اقام * وقد جاء بعث على ذلك في قوله وَلَوْ شِئْنَا لَاعْتَمَدْنَا فِيْ كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيْرًا [اَنْ] مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول [اعبدوا الله] - فان قلت ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة - قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا و ههنا مع الواو فاي فرق بينهما - قلت الذي بغير واو على تقدير سوال سائل قال فما قال قومهم ف قيل له قالوا كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشدان ما هما . [بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ] بقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حنذا جوار مكة اي جوار الله في مكة - حذف الضمير والمعنى من مشروبكم - او حذف منه لدلالة ما قبله عليه [اِذَا] واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قالوهم من قومهم اي تخسرون عقولكم وتغبنون في ارائكم - ثني [اَنْكُمْ] للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومُخْرَجُونَ خبر عن الاول - او جعل اَنْكُمْ مُخْرَجُونَ مبتدأ و اِذَا مِتُّمْ خبرا على معنى اخراجكم اِذَا مِتُّمْ ثم اخبر بالجملة عن اَنْكُمْ - او رفع اَنْكُمْ مُخْرَجُونَ بفعل هو جزاء للشرط كانه قيل اِذَا مِتُّمْ وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن اَنْكُمْ - وفي قراءة ابن

أَمْرًا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ۝ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ

جذونه وقد علموا انه ارجح الناس عقلاً و ارزئهم قولاً - والحجزة المجنون او الجن اي به جن يخبلونه [حتى حين] اي احتملوه و اصبروا عليه الى زمان حتى يتجلى امره عن عاقبة فان افاق من جذونه و الا قتلتموه - في نصرته اهلاكم فكانه قال اهلاكم بسبب تكذيبهم ايتي - او انصرتني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذالك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصره عليهم - او انصرتني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم [باعيدنا] بحفظنا وكلاءنا كان معه من الله حقا يكلونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالثقة [و وحيدنا] اي نأمرك كيف تصنع ونعلمك - روي انه اوحى اليه ان يصنعها على مثال جو جوء الطائر - روي انه قيل لنوح اذا رايت الماء يغور من التنور فاركب انت و من معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امرأته فركب - وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار الى نوح - واختلف في مكانه - فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة و كان نوح عمل السفينة وسط المسجد - وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة - وقيل بالهند - وعن ابن عباس التنور وجه الارض - وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه - وعن علي رضي الله عنه فارالتنور طلع الفجر - وقيل معناه ان نوران التنور كان عند تنوير الفجر - وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو الاول - يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال ع * حتى اذا اسلكوهم في قنادة * [من كل زوجين] من كل امثلي زوجين وهما امة الذكر و امة الانثى كالجمل و النوق والحسن والريماك [اثنين] واحد من زوجين كالجمل والناقة والحسان والرمكة - روي انه لم يحمل الا ما ياد ويبيض - وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين تأكيد وزيادة بيان جيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقتم هذا الحسنى - ولقد سبقتم كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي - فان قلت لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة - قلت لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين و ايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم و بعد ان اولى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبدة للمعتبرين و لقد بالغ في ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم و النجاة منهم كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين - ثم امره ان يدعو بدعاء هو اهتم و انفع له وهو طلب ان ينزله في السفينة او في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين و ان يشفع الدعاء بالتداء عليه المطابق لمثله وهو قوله وانت خير المفلين - فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله [فاذا]

فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥٠﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ فَقَالَ الْمَلَأُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً ۚ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بَشَرٌ جَنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٥٥﴾ فَارْحِمْنَا إِلَهَ أَنْ أَصْدَعَ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحِّينَا فَإِنَّا جَاءُ

سورة الدوٰهون ٢٣

الجزء ١٨

ع ١

على الابتداء اي ومما انشئ لكم شجرة - [طور سيناء] و طور سينين لا يخلو - اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء و سينون - و اما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرعي القيس و كعلبك فيمن اضاف - فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة و فعلاء لا يكون الفه للتانيث كعلباء و حرياء - ومن فتح فلم يصرف لان الالف للتانيث كصحراء - وقيل هو جبل فلسطين - وقيل بين مصر و ايلة و منه نودي موسى - و قرأ الاعمش سيناء على القصر [بالدهن] في موضع الحال اي تَنَبَّت و فيها الدهن - و قرئ تَنَبَّت و فيه وجهان - احدهما ان انبت بمعنى نبت و انشد لزهير شعر * رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم * قطيئا لهم حتى اذا انبت البقل * و الثاني ان مفعوله محذوف اي تَنَبَّت زيتونها و فيه الزيت - و قرئ تَنَبَّت بضم التاء و فتح الباء و حكمه حكم تَنَبَّت - و قرأ ابن مسعود تَخْرِجُ الدَّهْنَ وَ صَبَغَ الْأَنْلَيْنِ - و غيره تَخْرِجُ بِالْدَّهْنِ - و في حرف ابي تَثْمُرُ بِالْدَّهْنِ - و عن بعضهم تَنَبَّتُ بِالْدَّهَانِ - و قرأ الاعمش وَ صَبَغَا - و قرئ وَ صَبَاغ وَ نَحْرُهُمَا دِغ وَ دِباغ - و الصبغ الغمس لايتدام - و قيل هي ابل شجرة نبتت بعد الطوفان و وصفها الله تعالى بالبركة في قوله تَرَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ - قرئ تَسْفِيكُمْ بقاء مفتوحة اي تسقيكم الانعام [وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ] اي تتعلق بها منافع من الركوب و الحمل و غير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من الخيل و البغال و الحمير و فيها منفعة زائدة و هي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها - و القصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة - و قرنها بالفلك اللتي هي السفائن لانها سفائن البرقال ذو الرمة * ع * سفينة بر تحت خدي زماصها * يريد صيدحها * [غَيْرُهُ] بالرفع على المحل - و بالجر على اللفظ و الجملة استئناف تجري مجرى التعليل الامر بالعبادة [أَفَلَا تَتَّقُونَ] افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم و خالقكم و رازقكم و شكر نعمته اللتي لا تحصى و واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء * [أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ] ان يطلب الفضل عليكم و يرأسكم كقرئ تعالى وَ تَكُونُ لَكُمْ الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ * [هَذَا] اشارة الى نوح عليه السلام - او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله - اي مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ - او بمثل هذا الذي يدعي و هو بشرانه رسول الله - و ما اعجب شان الضلال لم يرضوا للذوبة بغير و قد رضوا للالهية بحجر - وقولهم [مَا سَمِعْنَا بِهَذَا] يدل على انهم و اباؤهم كانوا في فترة متطاوله - او تكذبوا في ذلك لانهم اكلهم في الغي و تشمئهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم و بما عن لبهم من غير تميز منهم بين صدق و كذب الا تراهم كيف

خَافَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ۖ وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَافِقِينَ ۝ وَانزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ۝ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ۖ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاحِشٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَشَجَرَةً تُخْرِجُ مِنْ طُورٍ سِينَاءَ تُدْتَبِئُ بِالدَّهْنِ ۖ وَصَبِغٍ لِّلْأَكْلِيلِ ۝ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بَطْنِهَا وَلَكُمْ

التي فخلق بمكة كافرين ثم اسلم يوم الفتح - قرأ ابن ابي عبدة وابن محيصن لمائون - والفرق بين الميئت والمائت ان الميئت كالحي صفة ثابتة واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن و مائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله تعالى وضائق به صدرك - جعل الامانة اللتي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو عادة ما يفنيه ويعدمه دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع - فان قلت فانذا لا حيوة الا حيوة الانشاء و حيوة البعث - قلت ليس في ذكر الحيوتين نفى الثالثة وهي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشاء و الامانة و الاعادة و المطوي ذكرها من جنس الاعادة • الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة الذل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة - او لانها طرق الملائكة ومتقباتهم - وقيل الانالك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها - اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقهم [وما كُنَّا] عنها [غفلين] وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا - او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها و ينفعهم بانواع منافعها وما كان غافلا عنهم وما يصلحهم • [بقدر] بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة - او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم [فأسكنهم في الارض] كقوله فسلكه يذابيع في الارض - وقيل جعلناه ثابتا في الارض - وقيل انها خمسة انهار - سيحون نهر الهند - و جيحون نهر بلخ - و دجلة و الفرات نهر العراق - والذيل نهر مصر انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معاشهم وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه و ازالته - وقوله [على ذهاب به] من اوقع الذكرات واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه - وفيه ايدان باقتدار المذهب وانه لا يتعابا عليه شيء اذا اراده وهو ابلغ في اليعان من قوله قل اريتم ان اصبح صاركم غورا فمن ياتيكم بماء معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء و يقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر - خص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجر وافضلها و اجمعها للمنافع - و وصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين امرين بانه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبيا و يابس رطبيا وعنبا و تمرا وزبيبا - والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والامطباغ جميعا - ويجوز ان يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلبها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته اللتي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنة وجوه ارزاقكم و معاشكم منها ترتزقون وتعيشون و [شجرة] عطف على جنت - و قرئت مرفوعة

هَمْ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ۝ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۝ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝ ثُمَّ أَنْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ أَنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تَبْعَتُونَ ۝ وَلَقَدْ

سورة المؤمنون ٢٣
الجزء ١٨
ع ١٧

اوقاتهما وَيُقِيمُوا اركانها وَيُكَلِّمُوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان يتم به اوصافها - وايضا فقد رُحِدَتْ اولا
ليفاد الخشوع في جنس الصلوة ابي صلوة كانت وجمعت اخرا لتفاد المحافظة على اعدادها وهي
الصلوات الخمس - والوتر - والسفن المرتبة مع كل صلوة - و صلوة الجمعة - والعيدين - والجنائز - والاستسقاء
والكسوف - والخسوف - و صلوة الضحى - والتهجد - و صلوة التسبيح - و صلوة الحاجة وغيرها من الذوافل - ابي
اولئك الجامعون لهذه الاوصاف [هَمْ الْوَارِثُونَ] الاحقاء بان يسموا ورثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين
بقوله [الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ] فجاء بفخامة و جزالة لارثهم لا تخفى على الناظر - ومعنى الارث ما مر في
سورة مريم - انث الفردوس على تاويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لامناف الثمر - روي ان الله
بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب و لبنة من فضة و جعل خلالها المسلك الافر - وفي رواية و لبنة من
مسك مذرى و غرس فيها من جيد الفاكه و جيد الربحان • السئلة الخلاصة لانها تسئل من بين الكدر و فعالة
بغاء للقلة كالقلامة و القمامة - وعن الحسن ماء بين ظهرائي الطين - فان قلت ما الفرق بين من ومن -
قلت الاول للابتداء و الثاني للبيان كقوله من الاولان - فان قلت ما معنى [جَعَلْنَا] الانسان [نُطْفَةً] - قلت
معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة - القرار المستقر و المراد الرحم
وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقوله طريق سائر - او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحديث
هي و احرزت - قرئ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ - و [عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ] - و عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ - و عِظْمًا
فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ وضع الواحد مكان الجمع لزال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة [خَلَقَا آخَرَ] ابي خلقا
مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا و كان جمادا و ناطقا و كان ابكم و سميعا و كان
اسم و بصيرا و كان اكمة و اودع باطنه و ظاهره بل كل عضو من اعضائه و كل جزء من اجزائه عجائب فطرة
و غرائب حكمة لا تدرك بوصف الوصف و لا تبلغ بشرح الشارح - و قد احتج به ابو حنيفة فيمن غصب
بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة و لا يرد الفرخ لانه خلق اخر سوى البيضة [فَتَبَارَكَ اللَّهُ] فتعالى
امره في قدرته و علمه [أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ] ابي احسن المقدرين تقديرا فتترك ذكر المميز لدلالة الخالقين
عليه و نحوه طرح الماذون فيه في قوله اذن للذين يقتلون لدلالة الصلة - و روي عن عمران رسول الله
صلى الله عليه و آله و سلم لما بلغ قوله خَلَقَا آخَرَ قال فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ - و روي ان عبد الله
بن سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه و آله و سلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له النبي
صلى الله عليه و آله و سلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمدا نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى

وَالَّذِينَ هُمْ يُفَرِّجُهُمْ حَفِظُونَ ﴿١٧﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿١٨﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْعَدُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ

الفعل و الترك الشاقين على النفس اللذين هما قاعدتا بقاء التكليف - الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى - فالعين القدر الذي يُخرج المزكي من النصاب الى الفقير - والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية و على هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشد لامية بن ابي الصلت * شعر * المطعمون الطعام في السفة الأئمة والفاعلون للزكوات * ويجوز ان يراد بالزكوة العين و يقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة [على أزواجهم] في موضع الحال اي والآلين على أزواجهم - او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان - ومن ثمة سميت المرأة فراشا والمعنى انهم لفرزجهم حفظون في كافة الاحوال الا في حال فرزجهم او تسريهم - او تعلق على محذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على أزواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه - او تجعله صلة لحفظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفى كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت معنى ما طلبت منك الا فعلك - فان قلت هلا قيل من ملكك - قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث - جعل المستثنى حذوا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسخته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت [فالرؤك هم] الكاملون في العدوان المتناهون فيه - فان قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة - قلت لا لان المفكوحة نكاح المتعة من جملة الزواج اذا صح النكاح - وقرئ لآمانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانت الى اهلهما وقال وتؤنوا امثلكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليها وصاحبه - ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم - وقرئ [على صلواتهم] - فان قامت كيف كرر ذكر الصلوة اولا واخرى - قامت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلواتهم واخرى بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في

النَّاسِ ۚ فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ ۖ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۚ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝
 كلماتها ١٠٧٠ سورة المؤمنون مكية وهي مائة وثمان عشر آية وست ركوعاً حروفها ٤٥٣٨
 سورة المؤمنون ٢٣ الجزء ١٨ ع ١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ ٤

الأمه فهو خير مولى وناصر - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحج أعطي من الاجر كحجة حجتها و عمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفي ما بقي *

سورة المؤمنون

[قَدْ] نقيضة لما هي تثبت المتوقع و كما تنفيه و لا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه - و الفلاح الظفر بالمراد - و قيل البقاء في الخير و [أَفْلَحَ] دخل في الفلاح كأبشر دخل في البشارة - و يقال أفلحه أصاره الى الفلاح و عليه قراءة طلحة بن مصرف أفلح على البقاء للمفعول - و عنه أفلحوا على الكلوني البراغيث - ار على الابهام و التفسير - و عنه أفلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله * ع * فلو ان الأطباء كان حولي * فان قلت ما المؤمن - قلت هو في اللغة المصدق - و اما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين - احدهما ان كل من نطق بالشهادتين موطئاً قلبه لسانه فهو مؤمن - و الآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر والتقوى دون الفاسق - الخشوع في الصلوة خشية القلب و إلباد البصر - عن قتادة و هو الزامه موضع السجود - و عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يصلي رافعاً بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده فكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشان من شان الدنيا - و قيل هو جمع الهمة لها و الاعراض عما سواها - و من الخشوع ان يستعمل الاداب فيتوقى كف الثوب - و العبت بجسده و ثيابه - و الالتفات - و التمطي - و التثاوب - و التغميض - و تغطية الفم و السدل - و الفرقة - و التشبيل - و الاختصار - و تقليب الحصى - روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه ابصر رجلاً يعبت بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه - و نظر الحسن الى رجل يعبت بالحصى و هو يقول اللهم زجني الحور العين فقال بدس الخاطب انت تخطب وانت تعبت - فان قلت لم اضيفت الصلوة اليهم - قلت لان الصلوة دائرة بين المصلي و المصلي له فالمصلي هو المنتفع بها وحده و هي عتته و ذخيرته فهي صلوته - و اما المصلي له فغني متعال عن الحاجة اليها و الانتفاع بها [اللغو] ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب و الهزل و ما توجب المروة الغاء و اطراحة يعني ان بهم من الجدة ما يشغلهم عن الهزل - لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم

أَيُّدِيهِمْ وَمَا خَلَقَهُمْ ۖ وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۚ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمُّكُمُ الْمُسْلِمِينَ ۚ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى

للدكرشان ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثم دعا المؤمنين أولا الى الصلوة اللتي هي ذكر خاص ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات - وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلواتهم بركوع وسجود - وقيل معنى وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله - وعن ابن عباس في قوله وَافْعَلُوا الْخَيْرَ صلة الارحام ومكارم الاخلاق [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] اي افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقظين ولا تفكروا على اعمالكم - وعن عتبة بن عامر رضي الله عنه قال قامت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجد هما فلا تقرأهما - وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين - وبذلك احتج الشافعي فرأى سجدتين في سورة الحج - و ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرون السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة - [وَجَاهِدُوا] امر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر - عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعتنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر [فِي اللَّهِ] اي في ذات الله ومن اجله - يقال هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وجدا ومنه حَقَّ جِهَادُهُ - فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ - قامت الاضافة تكون بادنى ملاسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه - ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ع • ويوم شهدناه سائما وعامرا • [اجْتَبَاكُمْ] اختاركم لدينه وانصرتكم [وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ] فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والاروش ونحوه قوله يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَاُمَّةٌ مُحَمَّدٌ هِيَ الْاُمَّةُ الْمَرْحُومَةُ الموسومة بذلك في الكتب المقدمة - نصب المِلَّةَ بمضمون ما تقدمها كانه قيل وَسَّعَ دِينُكُمْ توسعة مِلَّةِ ابيكم ثم حذف المضاف و اقام المضاف اليه مقامه - او على الاختصاص اي اعني بالدين مِلَّةِ ابيكم كقولك الحمد لله الحميد - فان قلت لم يكن ابراهيم ابا للامة كلها - قلت هو ابو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكل ابا لأمته لان امة الرسول في حكم ارادة [هُوَ] يرجع الى الله تعالى - وقيل الى ابراهيم ويشهد للقول الاول قراءة ابي بن كعب الله سَمُّكُمْ [مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا] اي من قبل القران في سائر الكتب وفي القران اي فضلكم على الاسم وسماكم بهذا الاسم الاكرم [لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ] انه قد بلغكم [وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ] بان الرسل قد بلغتكم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية

يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۖ قُلْ أَفَأَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ ۖ الذَّارُ ۖ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ
 الْمَصِيرُ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۖ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا
 لَهُ ۖ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ۖ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۝ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۖ
 إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

[المذكر] الفظيع من التجهُّم والبسور - أو الإنكار كالمكرم بمعنى الاكرام - وقرئ يعرف والمذكر - والسطو
 الوثب والبطش - قرئ [الذار] بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كان قائلاً قال ما هو ف قيل النار اي هو النار -
 وبالنصب على الاختصاص - وبالجر على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على التالين و سطوكم عليهم -
 او مما اصابكم من الكراهة و الضجر بسبب ما تلي عليكم [وعدها الله] استيفاف كلام - ويحتمل ان يكون
 الذار مبتدأ وعدها خبراً - وان يكون حالا عفا اذا نصبتها او جررتها باضمار قد - فان قلت الذي جاء به
 ليس بمثل فكيف سماه مثلاً - قلت قد سميت الصفة او القصة الرائعة المتلقة بالاستحسان والاستغراب
 مثلاً تشبيهاً لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم * قرئ [يدعون] بالتاء والياء -
 ويدعون مبنياً للمفعول [لن] اخت لافي نفى المستقبل الا ان كن تنفيه نفياً مؤكداً وتاكيدده ههنا الدلالة
 على ان خلق الذباب منهم مستحيل منافي لحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا - فان قلت ما محال [ولو
 اجتمعوا له] - قلت النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم
 جميعاً لخلقهم وتعارفهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة
 على ان الشيطان قد خزنهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها
 والاحاطة بالمعلومات عن اخرها صوراً و تماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله و اذله واصغره
 واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا - و ادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاقل
 الازل لو اخطئ منهم شيئاً فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله [ضعف الطالب و
 المطلوب] كالتسوية بينهم و بين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف و اضعف
 لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب و ذاك مغلوب - و عن ابن عباس انهم كانوا يظنونها بالزعفران
 و رؤسها بالعسل و يغلثون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله [ما قدروا الله حق قدره]
 اي ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته بأمرها ولا يؤهلوه للعبادة و
 لا يتخذوه شريكاً له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيهاً به * هذا رد لما انكره من ان
 يكون الرسول من البشر و بيان ان رسل الله على ضربين ملئكة و بشر ثم ذكر انه تعالى ذراك للمدركات
 عالم باحوال المكلفين ما مضى منها و ما غبر لا تخفى عليه منهم خافية و اليه مرجع الامور كلها والذي
 هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل و ليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه و تدابيره و اختيار رسله *

سورة الحج ٢٢

الجزء ١٧

ع ١٥

تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِ ط وَيُمْسِكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ط إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ ٥
 وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ط إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ٦ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ
 فِي الْأَمْرِ وَادْعَ إِلَى رَبِّكَ ط إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ٧ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ اللَّهُ
 يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٩ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ط إِنَّ ذَلِكَ فِي
 كِتَابٍ ط إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ١٠ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ ط
 وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ١١ وَإِذَا تَنَادَى عَلَيْهِمْ أَتَيْنَا بِآيَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ط يَكَادُونَ

المسخرات - و قرى و الفلك بالرفع على الابتداء - [أَنْ تَقَعَ] كراهة أن تقع [الآ] بمشيئته * [أَحْيَاكُمْ] بعد أن كنتم
 جمادا ترابا و نطفة و علقة و مضغة [لَكَفُورٌ] ليجحود لما افاض عليه من ضروب النعم - هو نهى لرسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم أي لا تلتفت إلى قولهم ولا تمنعهم من أن ينازعوك - أو هو زجر لهم عن
 التعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة -
 روي أن بديل بن ورقاء و بشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم و لا تأكلون
 ما قتله الله يعذون الميتة - وقال الزجاج هو نهى له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربك فلان أي لا تضاربه
 وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا بين اثنين [فِي الْأَمْرِ] في الأمر الدين - وقيل في أمر النساءك -
 و قرى فَلَا يُنَازِعُكَ أي أثبت في دينك ثباتا لا يطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت
 للذبي صلى الله عليه وآله وسلم بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ
 آيَةِ اللَّهِ - وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ - وَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ و هيهات أن ترتع هممة رسول الله حول ذلك
 الحمى ولكنه واد على ما قلت لك من ارادة التهيج والاهاب - وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه
 أي غلبته أي لا يغلبتك في المنازعة - فان قلت لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالوار وقد نزعتم عن
 هذه - قلت لأن تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآية الواردة في أمر النساءك فعطفت على اخواتها
 و اما هذه فواقعة مع ابعاد عن معناها فلم تجد معطفا أي وان ابوا للجاجهم إلا المجادلة بعد اجتهداك
 ان لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بان الله اعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو
 مجازيكم به وهذا وعيد و انذار ولكن برفق ولين - [اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ] خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي
 يفصل بينكم بالصواب والعقاب ومسألة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مما كان يلقي منهم وكيف يخفى
 عليه ما يعملون - ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والأرض وقد كتبه في اللوح قبل
 حدوثه و الاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم *
 [وَيَعْبُدُونَ] ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سمائي من جهة الوحي والسمع ولا ألجأهم اليها علم
 ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم و يصوب مذهبهم

بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ ط إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۝
وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ
الْكَبِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ط إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ لَهُ مَا
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ

سورة الحج ٢٢

الجزء ١٧

ع ١٥

بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح إن
أثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصروا عاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن
عفا وأصلح فاجرة على الله - وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى - وَلِمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ - فَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ أي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصرته في كثرته الثانية من اخلاسه بالعفو
وإنتقامه من الباغي عليه - ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان أولى به
من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين - أورد دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لأنه لا
يوصف بالعفو إلا القادر على ضده - [ذَلِكَ] أي ذلك النصر بسبب أنه قادر ومن آيات قدرته البالغة أنه
[يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ - وَالنَّهَارَ فِي اللَّيْلِ] - أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما
يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والباغي والانصاف وأنه [سَمِيعٌ] لما يقولون [بَصِيرٌ]
بما يفعلون - فَإِنَّ قُلْتَ مَا مَعْنَى إِيلاج أَحَدِ الْمَلُوفِينَ فِي الْأُخْرَى - قُلْتَ تَحْصِيلُ ظِلْمَةٍ هَذَا فِي مَكَانِ ضِيَاءٍ
ذَاكَ بِغَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ وَضِيَاءُ ذَلِكَ فِي مَكَانِ ظِلْمَةٍ هَذَا بِظُلُوعِهَا كَمَا يَضِيءُ السَّرَبُ بِالسَّرَاجِ وَيُظْلَمُ بِفَقْدِهِ -
وَقِيلَ هُوَ زِيَادَتُهُ فِي أَحَدِهِمَا مَا يَنْقُصُ مِنَ الْأُخْرَى مِنَ السَّاعَاتِ - وَقُرِئَ [يَدْعُونَ] بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ - وَقُرِئَ الْيَمَانِي
وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ بِلَفْظِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ - وَالْوَارِاجَةُ إِلَى مَا لَأنَّهُ فِي مَعْنَى الْأَلْهَةِ أَيْ ذَلِكَ الْوَصْفُ بِخَلْقِ
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْحَاطَةِ بِمَا يَجْرِي فِيهِمَا وَإِدْرَاكُ كُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ بِسَبَبِ أَنَّهُ اللَّهُ الْحَقُّ الثَّابِتُ الْهَيْتَةُ وَ
أَنَّ كُلَّ مَا يَدْعَى إِلَيْهَا دُونَهُ بَاطِلٌ الدَّعْوَةُ وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ شَأْنًا وَأكْبَرُ سُلْطَانًا * قُرِئَ مَخْضَرَّةً أَيْ
ذَاتُ خَضَرٍ عَلَى مَفْعَلَةٍ كَمَبْقَلَةٍ وَمَسْبَعَةٍ - فَإِنَّ قُلْتَ هَلَا قِيلَ فَاصْبَحْتَ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ لَفْظُ الْمَضَارِعِ - قُلْتَ
لَنُكْتَةُ فِيهِ وَهِيَ أَفَادَةُ بَقَاءِ أَثَرِ الْمَطَرِ زَمَانًا بَعْدَ زَمَانٍ كَمَا تَقُولُ أَفْعَمَ عَلَيَّ فَلَانِ عَامٍ كَذَا فَارُوحٌ وَاغْدُو شَاكِرًا لَهُ
وَلَوْ قُلْتَ فَرُحْتُ وَغَدَوْتُ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ الْمَوْقِعُ - فَإِنَّ قُلْتَ فَمَا لَهُ رَفَعٌ وَلَمْ يَنْصَبْ جَوَابًا لِلِاسْتِفْهَامِ - قُلْتَ
لَوْ نَصَبَ لَأَعْطَى مَا هُوَ عَكْسُ الْغَرَضِ لِأَنَّ مَعْنَاهُ اثْبَاتُ الْإِخْضَارِ فَيَنْقَلِبُ بِالنَّصْبِ إِلَى نَفْيِ الْإِخْضَارِ -
مِثْلَهُ أَنْ تَقُولَ لِصَاحِبِكَ أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ فَتَشْكُرُ أَنْ نَصَبْتَهُ فَانْتَ نَافٍ لَشُكْرِهِ شَاكٍ تَفْرِيطُهُ فِيهِ
وَأِنْ رَفَعْتَهُ فَانْتَ مُثَبِّتٌ لِلشُّكْرِ وَهَذَا وَامِثَالُهُ مِمَّا يَجِبُ أَنْ يَرْغَبَ لَهُ مَنْ اتَّسَمَ بِالْعِلْمِ فِي عِلْمِ الْأَعْرَابِ
وَتَوْقِيرِ أَهْلِهِ [لَطِيفٌ] وَاصِلٌ عِلْمُهُ أَوْ فَضْلُهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ [خَبِيرٌ] بِمَصَالِحِ الْخَلْقِ وَمَنَافِعِهِمْ * [مَا
فِي الْأَرْضِ] مِنَ الْبِهَائِمِ مَذَلَّةٌ لِلرُّكُوبِ فِي الْبَرِّ وَمِنَ الْمَرَائِبِ جَارِيَةٌ فِي الْبَحْرِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ

حَكِيمٌ ۝ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۝ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ
بَعِيدٍ ۝ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۝ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدِ الَّذِينَ آمَنُوا
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۝
الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ ۝ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۝ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَلِئِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۝ وَإِنَّ
اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ۝ لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَنِهِ ۝ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ

تمنى كتاب الله اول ليلة • تمنى داود الزبور على رسل • وامنيته قراءته - وقيل تلك الغرائيق اشارة
الى الملكة اي هم الشفعاء لا الاصنام [فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ] اي يذهب به ويبطله [ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ
أَيُّهُ] اي يثبتها - والَّذِينَ [فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] المنافقون والشاككون و [الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ] المشركون المكذبون
[وَإِنَّ الظَّالِمِينَ] يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركون و اصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم
بالظلم [إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ] اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من اللقاء هو الحق من ربك والحكمة -
[وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى] ان يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل
منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعثرهم شبهة ولا
تنزل اقدامهم - و قرئ لَهُدِ الَّذِينَ آمَنُوا بالتنوين • الضمير في [مِرْيَةٍ مِنْهُ] للقرآن او للرسول - الْيَوْمَ الْعَقِيمُ
يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرون كانهن عقم لم يلدن - اولان المقاتلين
يقال لهم ابناء الحرب فاذا قُتِلُوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز - وقيل هو الذي لا خير
فيه يقال ربح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلحق شجرا - وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملكة فيه -
و عن الضحاك انه يوم القيمة وان المراد بالساعة مقدماته - ويجوز ان يراد بالساعة ويوم عقيم يوم القيمة
وكانه قيل حتى تأتيتهم الساعة او تأتيتهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير - فان قلت التنوين في [يَوْمَئِذٍ]
عن اي جملة تنوب - قلت تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تنزل مريتهم لقوله وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ • لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من
مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه واحسانا - وَاللَّهُ عَلِيمٌ بَدَرَجَاتِ الْعَامِلِينَ و مراتب
استحقاقهم [حَالِيمٌ] عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه - روي ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قُتِلُوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك
كما جاهدوا فما لنا ان مُتْنَا معك فانزل الله هاتين الايتين - تسمية الابتداء بالجزاء لملاسته له من حيث
انه سبب و ذلك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملاسة - فان قلت
كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع - قلت المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال

وَالْيَ الْمَصِيرُ ۖ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُدْعِيكُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ۖ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ۖ فَيَلْسَنُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَتَهُ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

سورة الحج ٢٢
الجزء ١٧
ع ١٣

و المرجع الي و الي حكمي - فان قلت لم كانت الاولى معطوفة بالغاء وهذه بالواو - قلت الاولى وقعت بدلاً عن قوله فكيف كان كثير و اما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله و لن يخلف الله وعده و ان يوماً عند ربك كالف سنة • يقال سعيد في امر فلان اذا اصلحه او افسده بسعيه - و عاجزة سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل عاجزة و عجزه و المعنى سَعَوْا في معانها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرًا و سحرًا و اماطيرو من تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم و تقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم - فان قلت كان القيد ان يقال إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ و نذير لذكر الفريقين بعده - قلت الحديث مسوق الى المشركين و يَأَيُّهَا النَّاسُ نداء لهم و هم الذين قيل فيهم أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ وَ وُصِفُوا بِالْأَسْتَعْجَالِ و انما اقحم المؤمنون و ثوابهم ليغاظوا * [مِنْ رَسُولٍ وَ لَا نَبِيٍّ] د ليل بين علي تغاير الرسول و النبي - و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم انه سُئِلَ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ مِائَةُ أَلْفٍ وَ أَرْبَعَةٌ وَ عِشْرُونَ أَلْفًا - قيل فكم الرسل منهم قال ثلث مائة و ثلثة عشر جمًا غفيرًا - و الفرق بينهما ان الرسل من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه و النبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب و انما امر ان يدعو الى شريعة من قبله - و السبب في نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لما عرض عنه قومه و شاقوه و خالفه عشيرته و لم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم و لحصره و تهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما يفرهم لعله يتخذ ذلك طريقًا الى استمالتهم و استنزالهم عن غيهم و عنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة و النجم و هو في نادي قومه و ذلك التمني في نفسه فاخذ يقرأها فلما بلغ قوله وَ مَنُوءَ النَّالِئَةِ الْآخِرَى [أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ] التي تمنها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو و الغلط الى ان قال تلك الغواني العلى و ان شفاعتهن لترتجى و روي الغرائقة و لم يفظن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه - و قيل نبهه جبرئيل عليه السلام - او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في اخرها سجد معه جميع من في النادي و طابت نفوسهم - و كان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله و ابتلاء زاد المنافقون به شكًا و ظلمة و المؤمنون نورًا و ايقانًا و المعنى ان الرسل و الانبياء من قبلك كانت هجيرا هم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في امانيتهم مثل ما القى في امنيته ارادة امتحان من حولهم و الله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف الامحان و انواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين و يزيد في عقاب المذبذبين - و قيل تمنى قرأ و انشد • شعر •

عُرُوشَهَا ذُرُوبًا مَّعْطَلَةً وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ۝ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ
فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
وَعْدَهُ ۚ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۝ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا ۚ

والمشيد المجتصص - او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقائها وقصر مشيد
اخليناه عن ساكنيه فترك ذاك لدلالة معطلة عليه - وفي هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه -
و روي ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة آلاف نفر ممن امن به ونجاهم الله من العذاب وهي
بحضر موت و انما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات و ثم بلدة عند البئر اسمها حاضواء بناتها قوم
صالح و امروا عليهم جلوس بن جلاس و اقاموا بها زمنا ثم كفروا و عبدوا صنما و ارسل الله اليهم حفظة
بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله و عطل بئرهم و خرب قصورهم • يحتمل انهم لم يسافروا فحسبوا على السفر
ليدروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم و يشاهدوا اثارهم فيعتبروا - وان يكونوا قد سافروا و رأوا ذلك و لكن لم
يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا و لم يروا - و قرى فيكون لهم قلوب بالياء اي يعقلون ما يجب ان يعقل من
التوحيد و يسمعون ما يجب سماعه من الوحي [فانها] الضمير ضمير الشأن و القصة بحجي و مذكرا و مؤنثا -
و في قراءة ابن مسعود فانه - و يجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار و في تعمي ضمير راجع اليه و
المعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها و انما العمى بقلوبهم - او لا يعتد بعمرى الابصار فكانه ليس بعمرى
بالاضافة الى عمى القلوب - فان قلت اي فائدة في ذكر الصدور - قلت الذي قد تعرف و اعتقد ان
العمى على الحقيقة مكانه البصر و هو ان تصاب الحدة بما يطمس نورها و استعماله في القلب استعارة
و مثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة و نفيه عن الابصار احتاج
هذا التصوير الى زيادة تعيين و فضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس
المضاء للسيف و لكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه و تثبت
لان محل المضاء هو هولا غير و كانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف و اثبتته للسانك فلتة و لا سهوا مني
و لكن تعمدت به آية بعينه تعمدًا • انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل و الاجل كانه قال و لم
يستعجلون به كانهم يجوزون الفوت و انما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف و الله عز و علا لا
يخلف الميعاد و ما وعدة ليصديقتهم و لو بعد حين و هو سبحانه حلیم لا يعجل و من حلمه و وقاره و
استقصارة المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم - و قيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من
يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من هذيك لان ايام الشدائد مستطالة - او كان ذلك اليوم
الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سنى العذاب - و قيل و لكن يخلف الله وعدة في النظرة و الامهال - و قرى
تعدون بالتاء و الياء - ثم قال و كم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينما ثم اخذتهم بالعذاب

وَيَبْعُ صَلَواتٍ وَ مَسْجِدٍ يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا ط وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ط إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٢﴾
 الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ط وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٣﴾
 وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَنُوحٌ وَعَادٌ وَنُوحٌ ﴿٢٤﴾ وَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ ﴿٢٥﴾ وَ أَصْحَابُ مَدْيَنَ ﴿٢٦﴾ وَ كَذَّبَ
 مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٧﴾ فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَارِيَةٌ عَلَى

سورة الحج ٢٢

الجزء ١٧

ع ١٢

للمسلمين مساجد - او لغلب المشركون في امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على المسلمين وعلى اهل
 الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين - و قرى دفاع - ولهدمت بالتخفيف - وسميت الكنيسة
 صلوة لانه يصلى فيها - وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوتا [مَنْ يَنْصُرُهُ] اي ينصر دينه و اوليائه *
 هو اخبار من الله بظهور الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين ان مكَّنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا
 وكيف يقومون بامر الدين - وعن عثمان رض هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا
 من الخير ما احدثوا - وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله لم يعط التمكين و نفاذ
 الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء - وعن الحسن هم امة
 محمد صلى الله عليه وآله وسلم - وقيل الذين منصوب بدل من قوله مَنْ يَنْصُرُهُ والظاهر انه مجرور تابع للذين
 اُخْرِجُوا [وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ] اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء
 كلمتهم • يقول لرسوله تسليته له لست بأرحدي في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك اقوامهم وكفاك بهم
 أسوة - فان قامت لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى - قلت لان موسى ما كذبه قومه بنوا
 اسرائيل وانما كذبه غير قومه و هم القبط - وفيه شيء آخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم
 وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره [الذكير] بمعنى الانكار والتغيير حيث
 ابدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكاً وبالعمارة خراباً • كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة
 او كرم فهو عرش - والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط - او الخالي من خوى المنزل اذا خلى
 من اهله و خوى بطن الحامل - وقوله [عَلَى عَرْشِهَا] لا يخلو من ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها
 ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف - او انها
 ساقطة - او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها - واما ان يكون خبراً بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على
 عَرْشِهَا اي قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان
 و بقيت الحيطان ماثلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة - فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب
 اعني وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَارِيَةٌ - قلت الاولى في محل النصب على الحال و الثانية لا محل لها لانها
 معطوفة على اهلكتها وهذا الفعل ليس له محل - قرأ الحسن معطلة من اعطله بمعنى عطاءه ومعنى
 المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقي منها لهلاك اهلها -

سورة الحج ٢٢

الجزء ١٧

ع ١٢

الثالث

وَالْمَعْتَرُ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لَعْنَكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ لَنْ يَذَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَذَّالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ط
كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتَكْبَرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ ط وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ۝ اِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ اٰمَنُوا ط اِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝ اَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتُلُونَ بِاَنَّهُمْ ظَلَمُوا ط وَاِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ
اُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ اِلَّا اَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ ط وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوَامِعُ

يطعنون في كذباتها و لولا تسخير الله لم تطق و لم تكن باعجز من بعض الوحوش اللتي هي اصغر منها جرماً
واقل قوة و كفى بما يتأبد من الابل شاهدا و عبرة * اي لن يصيب رضى الله اللحوم المتصدق بها و لا
الدماء المهراقة بالبحر و المراد اصحاب اللحوم و الدماء - و المعنى لن يرضي المضجون و المقربون ربهم الا
بمراعاة النية و الاخلاص و الاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به و غير ذلك من المحافظات الشرعية
و اوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية و التقريب و ان كثر ذلك منهم - و قرئ لن يذال
اللّه - و لكن يذاله بالتاء و الياء - و قيل كان اهل الجاهلية اذا نحرروا انبذوا نضحوا الدماء حول البيت
و لطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت * كثر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا
الله على هدايته اياكم لاعلام دينه و مناسك حجه بأن تكبروا و تهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى
الشكر و عدي تعديته * خص المؤمنين بدفعه عنهم و نصرته لهم كما قال انا لندصر رسلنا و الذين امنوا
وقال انهم لهم المصورون - و اخرى تحببونها نصر من الله و نتج قريب و جعل العلة في ذلك انه لا يحب
اضدادهم و هم الخونة الكفرة الذين يخونون الله و الرسول و يخونون اماناتهم و يكفرون نعم الله و يغمطونها -
و من قرأ يدفع فمعناه يدفع كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجي اقوى و اباح *
اذن و يقتلون قرئاً على لفظ المبني للفاعل و المفعول جميعاً و المعنى اذن لهم في القتال فحذف
الماذون فيه لدلالة يقتلون عليه [بأنهم ظلموا] اي بسبب كونهم مظلومين و هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه
و آله و سلم كان مشركوا مكة يؤذونهم اذى شديدا و كانوا يأتون رسول الله من بين مضروب و مشجوج يتظلمون
اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الآية و هي اول آية اذن فيها بالقتال
بعد ما نهى عنه في نيف و سبعين آية - و قيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة
فاذن لهم في مقاتلتهم و الاخبار بكونه قادراً على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سبيل كلام الجبابة
و ما مرم من دفعه عن الذين امنوا مؤذون بمثل هذه العدة ايضاً - [ان يقولوا] في محل الجرح على الابدال
من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار و التمكين لا موجب
الاخراج و التسيير و مثله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله - دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره و تسليطه
المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة و لولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في
ازمنتهم و على متعبداتهم فهدموها و لم يتركوا للنصارى بيعة و لا للرهبانهم صوامع و لا لليهود صلوات و لا

عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ط فَالَهُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلَمُوا ط وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ
وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۖ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥١﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا
لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ق فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ۚ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ
ع ١١

على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماءه على النساءك - وقرئ منسكاً
بفتح السين وكسرهما وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع [فَلَهُ أَسْلَمُوا] اي اخلصوا
له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالماً اي خالصة لا تشوبه باشرار - الْمُخْبِتُونَ المتواضعون الخاشعون من
الخبث وهو المطمئن من الارض - وقيل هم الذين لا يظلمون و اذا ظلموا لم ينتصروا - وقرأ الحسن
وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ بالنصب على تقدير النون - وقرأ ابن مسعود وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ على الاصل * الْبَدَنُ
جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة - ولان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألحق البقر
بالابل حين قال البدنة عن سبعة و البقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل - صارت البدنة في الشريعة
متنابلة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه و لا فالبدن هي الابل وعليه تدل الآية - وقرأ الحسن وَالْبَدَنَ
بضمين كثر في جمع ثمرة - وابن ابي اسحق بالضمين وتشديد النون على لفظ الوقف - وقرئ
بالنصب و الرنع كقوله وَالْقَمَرُ قَدَرْنَهُ [مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ] اي من آعلام الشريعة التي شرعها الله و اضافتها
الى اسمه تعظيم لها [لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ] كقوله لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ - ومن شان الحاج ان يحصر على شيء فيه
خير و منافع بشهادة الله - عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقبل له في
ذلك فقال سمعت ربي يقول لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ - وعن ابن عباس دنيا و آخرة - وعن ابراهيم من احتاج
الى ظهرها ركب و من احتاج الى لبنها شرب - و ذكر اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله
والله اكبر اللهم منك واليك [صَوَافٍ] قائمات قد صفهن ايديهن و ارجلهن - وقرئ صَوَافٍ من صفون
الفرس و هو ان يقوم على ثلث و ينصب الرابعة على طرف سُنْبِكِهِ لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم
على ثلث - وقرئ صَوَافٍ اي خوالص لوجه الله - وعن عمرو بن عبَّيد صَوَافٍ بالتدوين عوضاً من حروف
الاطلاق عند الوقف - وعن بعضهم صَوَافٍ نحو مثل العرب أعط القوس باريها بسكون الياء - وجوب الجنوب
وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقطت ووجبت الشمس جبة غربت و المعنى فاذا وجبت
جنوبها و سكنت نسائسها حل لكم الاكل منها و الاطعام [الْقَانِعَ] السائل من قنعت اليه و كذبت اذا
خضعت له و سألته قنوعاً [وَالْمُعْتَرِ] المتعرض بغير سوال - او القانع الراضي بما عذده و بما يعطى من غير سوال
من قنعت قنوعاً و قناعة - وَالْمُعْتَرِ المتعرض باسوال - وقرأ الحسن وَالْمُعْتَرِ عَرَّةً و عَرَّةً و اعتره و اعتراه بمعنى -
وقرأ ابو رجاء الْقَنَعَ وهو الراضي لا غير يقال قنَعَ فهو قَنَعٌ و قَانِعٌ - من الله على عباده و استحمد اليهم بان سخر لهم
البدن مثل التسخير الذي رأوا و علموا يأخذونها منقاداً للاخذ طيعة فيعقلونها و يحبسونها صافة قوائمها ثم

فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِينٍ ۝ ذَٰلِكَ قَوْلُ مَنْ يَعْظُمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ۝
لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ

قولهم هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ وما اشبه ذلك من افتراءهم - وقيل شهادة الزور - عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائماً واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشرار بالله عدلت شهادة الزور الاشرار بالله عدلت شهادة الزور الاشرار بالله وتلا هذه الآية - وقيل الكذب والبهتان - وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك - ويجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق - فان كان تشبيهاً مركباً فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاًكاً ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاخططته الطير فتفرق مَرَعاً في حواصلها - او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارج البعيدة - وان كان مفرقاً فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تنزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهادي المتلفة - وقرئ فَتَخَطَّفُهُ - وبكسر الخاء والطاء - وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصليهما تَخْتَفِطُهُ - وقرئ الرِّيحُ - تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسناً سماناً غالية الاثمان ويترك المكاس في شراها فقد كانوا يغالون في ثلث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والاضحية والرقبة - وروى ابن عمر عن ابيه انه اهدى نجية طابت منه بثلاث مائة دينار فسأل رسول الله ان يبيعهها ويشترى بثمنها بدنناً فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها - واهدى رسول الله مائة بدنة وفيها جمل لابي جهل في انفة برة من ذهب - وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه [فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ] اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى مَنْ ليرتبط به - وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء - [إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى] الى ان تنحرو ويتصدق بلحومها ويؤكل منها - و [ثُمَّ] للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال - والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ واعظم هذه المنافع وابعداها شوطاً في النفع [مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ] اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها في الحرم منتهية الى البيت كقوله هَدْيَا بَايَعُ الْكَعْبَةِ والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واقصل مسيركم بحدره - وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ العتيق بأباه • شرع الله لكل أمة ان ينسكوا له اي ينسكوا لوجهه

سورة الحج ٢٢

الجزء ١٧

ع ١٠

فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ۖ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ۚ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۚ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُنَالِي عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۖ حُذِّفُوا لِلَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ

ينذرونه به من اعمال البر في حجهم [وَلْيَطَّوَّفُوا] طواف الافاعمة وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل - وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع [الْعَتِيق] القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن - وعن قتادة اعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله - وعن مجاهد لم يملك قط - وعن مجاهد اعتق من الغرق - وقيل بيت كريم من قولهم عداق الطير والخيول - فان قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع - قلت ما قصد التسلط على البيت واما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاجراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهه فعل به ما فعل - [ذَٰلِكَ] خبر مبتدأ محذوف اي الامر والشان ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا - والحرمة ما لا يحل هذه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها - فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه - ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج - وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس - الكعبة الحرام - والمسجد الحرام - والبلد الحرام - والشهر الحرام - والمحرّم حتى يحل - [فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ] اي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراجعة والحفظ والقيام بمواعاتها - المثلوا لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى [إِلَّا مَا يُنَالِي عَلَيْكُمْ] اية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل شيئا كتحریم عبدة الاوثان بالبحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل الموقودة والميتة وغير ذلك - لما حث على تعظيم حرّماته واحمد من يعظمها اتبعه الامر باجتنب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا - وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديته في القبح والعمالة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان - وسمي الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعزي انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبة على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنبه انه رجس والرجس مجتنب - [مِنَ الْأَوْثَانِ] بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان - والزور من الزور والازرار هو الانحراف كما ان الافك من انك اذا صرفه - وقيل قول الزور

بِالتَّحَادِ بِظُلْمٍ نُدُّقُهُ مِنْ عَذَابِ الْيَوْمِ ۝ رَاٰذَ بَوَانَا لَابْرَهِيْمَ مَكَانَ الْبَيْتِ اَنْ لَا تُشْرِكَ بِيْ شَيْئًا وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ
لِلطَّائِفِيْنَ وَالْقَائِمِيْنَ وَالرُّكَّعِ السُّجُوْدِ ۝ وَ اَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلٰى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِيْنَ مِنْ
كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِيَشْهَدُوْا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ فِيْ اَيَّامٍ مَّعْلُوْمَاتٍ عَلٰى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْاَنْعَامِ ۝

ذنبا فهو كذلك - واذكر حين جعلنا [لَابْرَهِيْمَ مَكَانَ الْبَيْتِ] مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة -
رَفَعَ الْبَيْتَ اِلَى السَّمَاءِ اَيَّامَ الطُّوفَانِ وَ كَانَ مِنْ يَاقُوْتَةِ حِمْرٍ فَأَعْلَمَ اللّٰهُ اِبْرَهِيْمَ مَكَانَهُ بِرِيْحٍ اَرْسَاهَا يَقَالُ لَهَا
الْحَجَّوْجُ كُنْسَتْ مَا حَوْلَهُ فَبَنَاهُ عَلٰى اَسَمِهِ الْقَدِيْمِ - وَ اَنْ هِيَ الْمَفْسُورَةُ - فَانْ قُلْتُ كَيْفَ يَكُوْنُ النَّهْيُ عَنِ الشَّرِكِ
وَالْاَمْرُ بِتَطْهِيرِ الْبَيْتِ تَفْسِيْرًا لِلتَّبْوِيَةِ - قُلْتُ كَانَتْ التَّبْوِيَةُ مَقْصُوْدَةً مِنْ اَجْلِ الْعِبَادَةِ فَكَانَهُ قِيْلَ تَعْبُدُنَا
اِبْرَهِيْمَ قُلْنَا لَهُ [لَا تُشْرِكْ بِيْ شَيْئًا وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ] مِنْ الْاَصْنَامِ وَالْاَوْثَانِ وَالْاَقْدَارِ اِنْ تَطْرَحَ حَوْلَهُ - وَ قُرِئَ يُشْرِكُ
بِالْبَاءِ عَلٰى الْغَيْبَةِ - [وَ اَذِّنْ فِي النَّاسِ] نَادِيْهِمْ - وَ قَرَأَ ابْنُ مُحَيِّصٍ وَ اَذِّنْ - وَ النَّدَاءُ بِالْحَجِّ اِنْ يَقُوْلُ حَجُّوْا
اَوْ عَلَيْكُمْ بِالْحَجِّ - وَ رَوَى اَنَّهُ صَعِدَ اَبَا فَبِيْسٍ فَقَالَ يَا اَيُّهَا النَّاسُ حَجُّوْا بَيْتَ رَبِّكُمْ - وَ عَنْ الْحَسَنِ اَنَّهُ خَطَابَ لِرَمْلٍ
اللّٰهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ اٰلِهِ وَ سَلَّمَ اَمْرًا يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ [رِجَالًا] مُشَاةً جَمَعَ رَاجِلٌ كَقَائِمٍ وَ قِيَامٍ -
وَ قُرِئَ رِجَالًا بضم الراء مخفف الجيم وَ منقلبه - وَ رِجَالِيْ كَعَجَالِيْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - [وَ عَلٰى كُلِّ ضَامِرٍ]
حَالٌ مَعْطُوْفَةٌ عَلٰى حَالٍ كَانَهُ قَالَ رِجَالًا وَ رُكْبَانًا [يَأْتِيْنَ] صِفَةٌ لِّكُلِّ ضَامِرٍ لَّانَّهُ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ - وَ قُرِئَ يَأْتُوْنَ
صِفَةً لِلرِّجَالِ وَ الرُّكْبَانِ - وَ الْعَمِيقُ الْبَعِيْدُ - وَ قَرَأَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ مَعِيقٌ يَقَالُ بئرٌ بَعِيْدَةٌ الْعَمَقُ وَ الْمَعْقُ - نَكَّرَ
الْمَنَافِعَ لَّانَّهُ ارَادَ مَنَافِعَ مَخْتَصَةً بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ دِيْنِيَّةً وَ دُنْيَوِيَّةً لَا تَوْجِدُ فِيْ غَيْرِهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ - وَ عَنْ اَبِي
حَنِيفَةَ اَنَّهُ كَانَ يَفَاضِلُ بَيْنَ الْعِبَادَاتِ قَبْلَ اَنْ يَحُجَّ فَلَمَّا حَجَّ فَضَّلَ الْحَجَّ عَلٰى الْعِبَادَاتِ كُلِّهَا لِمَا شَهِدَ مِنْ
تِلْكَ الْخَصَائِصِ - وَ كَفَى عَنِ النُّحْرِ وَ الذَّبِيحِ بِذِكْرِ اسْمِ اللّٰهِ لَانَّ اَهْلَ الْاِسْلَامِ لَا يَنْفَكُوْنَ عَنْ ذِكْرِ اسْمِهِ اِذَا نَحَرُوا اَوْ
ذَبَحُوا - وَ فِيهِ تَذْيِيْعٌ عَلٰى اَنْ الْغَرَضَ الْاَصْلِيَّ فَيَمَّا يَنْقَرِبُ بِهِ اِلَى اللّٰهِ اِنْ يَذْكُرُ اسْمَهُ وَ قَدْ حَسَنَ الْكَلَامُ تَحْسِيْنًا يَتَنَبَّأُ
اَنْ جَمَعَ بَيْنَ قَوْلِهِ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ وَ قَوْلَهُ عَلٰى مَا رَزَقَهُمْ وَ لَوْ قِيْلَ لِيَنْحَرُوا فِيْ اَيَّامٍ مَّعْلُوْمَاتٍ بِبَهِيْمَةِ الْاَنْعَامِ لَمْ تَرُشِيْنًا
مِنْ ذَلِكَ الْحَسَنِ وَ الرُّوْعَةِ - الْاَيَّامُ الْمَعْلُوْمَاتُ اَيَّامُ الْعَشْرِ عِنْدَ اَبِيْ حَنِيفَةَ وَ هُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَ قَتَادَةَ - وَ عِنْدَ
صَاحِبِيهِ اَيَّامُ النُّحْرِ - الْبَهِيْمَةُ مَبْهَمَةٌ فِيْ كُلِّ ذَاتٍ اَرْبَعٌ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ فَبَيَّنْتَ بِالْاَنْعَامِ وَ هِيَ الْاَبْلُ وَ الْبَقَرُ
وَ الضَّأْنُ وَ الْمَعْزُ - الْاَمْرُ بِالْاَكْلِ مِنْهَا اَكْلُ اِبَاحَةٍ لَّانَّ اَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا لَا يَأْكُلُوْنَ مِنْ نَسَائِكِهِمْ - وَ يَجُوزُ اِنْ
يَكُوْنُ نَدْبًا لِمَا فِيْهِ مِنْ مَسَاوَاةِ الْفُقَرَاءِ وَ مَوَاسَاتِهِمْ وَ مِنْ اسْتِعْمَالِ التَّوَاضُعِ وَ مِنْ ثَمَّةِ اسْتِحْبَابِ الْفُقَهَاءِ اِنْ يَأْكُلُ
الْمَرْسَعُ مِنْ اُضْحِيَّتِهِ مَقْدَارَ الثَّلَاثِ - وَ عَنْ ابْنِ مَسْعُوْدٍ اَنَّهُ بَعَثَ بِهَدْيِيْ وَ قَالَ فِيْهِ اِذَا نَحَرْتَهُ فَكُلْ وَ تَصَدَّقْ
وَ اَبْعَثْ مِنْهُ اِلَى عَتَبَةِ يَعْنِيْ اِبْنَهُ وَ فِي الْحَدِيثِ كُلُّوْا وَ اَذْخِرُوْا وَ اَيْتَجِرُوْا [الْبَائِسُ] الَّذِيْ اَصَابَهُ بُوْسٌ
اَيُّ شِدَّةٍ وَ [الْفَقِيْرُ] الَّذِيْ اَضْعَفَهُ الْاَعْسَارُ * قَضَاءُ التَّفَثِّ قَصُّ الشَّارِبِ وَ الْاَظْفَارِ وَ نَتْفُ الْاِبْطِ وَ الْاسْتِحْدَادُ -
وَ التَّفَثُّ الْوَسْخُ وَ الْمَرَادُ اِزَالَةُ التَّفَثِّ - وَ قُرِئَ وَ لِيُؤْمِنُوْا بِتَشْدِيْدِ الْفَاءِ [نَذَرَهُمْ] مُوَاجِبَ حُجَّتِهِمْ - اَوْ مَا عَمِيَ

مَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ ۝ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ
وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا خُرِيرٌ ۝ وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ۖ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ۖ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ

سورة الحج ٢٢

الجزء ١٧

ع ٩

أُعِيدُوا فِيهَا - ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها
ضربوا بالمقامع فهزوا فيها مبعدين خريفا - [و] قيل لهم [ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ] و الحريق الغليظ من النار
المنتشر العظيم الاهلاك * [يُحَلَّوْنَ] عن ابن عباس من حلَّيت المرأة فهي حال [وَلُؤْلُؤًا] بالنصب
على و يؤتون لؤلؤا كقوله و حورا عينا - و لؤلؤا بقلب الهمزة الثانية واوا - و لؤلؤا بقلبهما واوين ثم بقلب
الثانية ياء كاذل - و لؤل كاذل فيمن جر - و لؤلؤ - و لؤلؤا بقلبهما يائين عن ابن عباس * وهداهم الله واهمهم
ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة * يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش
المضطهدين لا يراى حال ولا استقبال وانما يراى استمرار وجود الاحسان منه و النعشة في جميع ازمته و
اوقاته و منه قوله تعالى [وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ] اي الصدود منهم مستمر دائم [لِلنَّاسِ] اي الذين يقع
عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد و تاني و طاري و مكى و افاقي - و قد استشهد به اصحاب
ابي حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها - و عند الشافعي
لا يمتنع ذلك و قد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ و قال انسب الديار
الى مالكيها او غير مالكيها و اشترى عمر بن الخطاب دار السجن من مالكيه او غير مالكيه [سَوَاءً] بالنصب
قراءة حفص - و الباقيون على الرفع - و وجه النصب انه ثاني مفعولي جَعَلْنَاهُ اي مُسْتَوِيَا [الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ]
و في القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان - الالحاد العدول عن القصد واصله الاحاد الكافر وقوله [بِظُلْمٍ]
حالين مترادفتان و مفعول يُرِدْ متروك ليتناول كل متناول كانه قال و من يُرِدْ فيه مُرَادًا مَا عَادِلًا عن
القصد ظالما [نُذِقَهُ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ] يعني ان الواجب على مَنْ كان فيه ان يضبط نفسه و يسلك طريق
السداد و العدل في جميع ما يهتم به و يقصده - و قيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته - و عن
سعيد بن جبير الاحتكار - و عن عطاء قول الرجل في المباينة لا والله و بلى والله - و عن عبد الله بن عمر
انه كان له قسطان احدهما في الحِلِّ و الاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحِلِّ فقليل له
فقال كذا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله و بلى والله - و قرئ يُرِدْ بفتح الياء من الورد
و معناه مَنْ اتى فيه بالاحاد ظالما - و عن الحسن و مَنْ يُرِدْ الحادة بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على
الاتساع في الظرف كمكر اليل و معناه مَنْ يُرِدْ ان يُلحِد فيه ظالما و خبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط
عليه تقديره ان الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ نُذِيقُهُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ و كل مَنْ ارتكب فيه

سورة الحج ٢٢

المجموع ١٧

٨٣ ع

السجدة

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۚ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۖ هَذِهِ خُصَمِئُ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ إِيَابٌ مِّن نَّارٍ ۖ يَصُبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۖ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۚ وَلَهُمْ

فأسناده الى كثير منهم آخر مذاقضة - قلت لا انظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل واما ارفعه بفعل مضمرب دل عليه قوله يسجد اي يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين - او ارفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب - ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون - ويجوز ان يبالغ في تكثير المحققين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب - وقرئ حق بالضم - وقرئ حقا اي حق عليهم العذاب حقا - ومن اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن تجد له مكرما - وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه [يفعل ما يشاء] من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين • الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكله قيل هذين فوجان او فريقان مختصمان وقوله هذين للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يسمع ايدك حتى اذا خرجوا ولوقيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز - يراى المؤمنون والكفرون - قال ابن عباس رجع الى اهل الايمان الستة - [في ربهم] اي في دينه وصفاته - وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله امنا بمحمد وامننا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم [فالذين كفروا] هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة - وفي رواية عن الكسائي خصمن بالكسر - وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جنتهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة - ويجوز ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللبس بعضها فرق بعض ونحوه سرايتهم من قطران • الحميم الماء الحار - عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابها - [يصهر] يذاب - وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صب الحميم على رؤسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب احشاءهم وامعاءهم كما يذيب جلودهم وهو اباح من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم • والمقامع السياط - في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها - وقرأ الاعمش ردرا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما اردوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا

لِبَيْتِ الْمَوْلَى وَ لِبَيْتِ الْعَشِيرِ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝ مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى
السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ۝ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ
يُرِيدُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

شفيعاً لبَيْتِ الْمَوْلَى - وفي حرف عبد الله مَنْ ضُرَّه بغير لام - المولى الناصر - والعشيرُ صاحب كقوله فَبَيْتِ
الْقُرَيْنِ ۚ هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه
وَأَعَادِيهِ ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه و يغیظه انه لا يظفر بمطلوبة فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده
في ازالة ما يغیظه بان يفعل مايفعل من بلغ منه الغیظ كل مبلغ حتى مد حبله الى سماء بيته فاختنق فليظن
ليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغیظه - وسمي الاختناق قطعاً لان المختنق
يقطع نفسه بحبس مجارية - ومنه قيل للبهْر القطع - وسمي فعله كَيْدًا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر
على غيره - او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكذب به محسوده انما كان به نفسه - والمراد ليس في يده الا
ما ليس بمذهب لما يغیظه - وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة و ليصعد عليه فليقطع الوحي ان
ينزل عليه - وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطون ما وعد الله رسوله
من النصر و اخرون من المشركين يريدون اتباعه و يخشون ان لا يثبت امره فنزلت - وقد فسر النصر بالرزق -
وقيل معناه ان الرزاق بيد الله لا تنال الا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضى بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه
و ليس به صبور واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يردّه مرزوقاً - اي
ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله [آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ] ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون - او يثبت
الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبيّناً ۚ الفصل مطلق - يحتمل الفصل بينهم في الاحوال
والاماكن جميعاً فلا يجازيهم جزاء واحداً بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد - وقيل الاديان خمسة
اربعة للشيطان و واحد للرحمن - جعل الصابغون مع النصارى لانهم نوع منهم - وقيل يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يقضي
بينهم بي بين المؤمنين والكافرين - و ادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التوكيد ونحوه
قول جرير ۚ شعر ۚ ان الخليفة ان الله سربله ۚ مربال ملك به تُرجى الخواتيم ۚ سميت مطاوعتها له فيما
يحدث فيها من افعاله و يجريها عليه من تدبيره و تسخيرها لها سجوناً له تشبيها لمطاوعتها بادخل افعال
المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه - فان قلت فما تصنع بقوله [وَكَثِيرٌ
مَنْ النَّاسِ] وبما فيه من الاعتراضين - احدهما ان السجود على المعنى الذي فسرت به لا يسجده بعض
الناس دين بعض - والثاني ان السجود قد أُسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن اولاً

فِي الْقُبُورِ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّذِيرٍ ۝ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ
عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ۝ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ
يَدَكَ ۖ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي بَظْلَامَ لِلْعَبِيدِ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ
اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ اِنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ۖ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۖ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝
يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ۖ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۖ يَدْعُوا لَمَن ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ۖ

الجيد - وقيل عن الاعراض عن الذكر - وعن الحسن ثَانِي عَطْفِهِ بفتح العين اي مانع تعطفه [لِيُضِلَّ]
تعليل للمجادلة - قرئ بضم الياء وفتحها - فَإِنْ قَلَّتْ مَا كَانَ غَرَضُهُ مِنْ جِدَالِهِ الضَّلَالُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
فكيف عُلِّقَ بِهِ وَمَا كَانَ أَيْضًا مُهْتَدِيًا حَتَّى إِذَا جَادَلَ خَرَجَ بِالْجِدَالِ مِنَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ - قَلَّتْ لَمَّا
أَدَّى جِدَالَهُ إِلَى الضَّلَالِ جَعَلَ كَأَنَّهُ غَرَضُهُ وَلَمَّا كَانَ الْهُدَى مَعْرُضًا لَهُ فَتَرَكَهُ وَاعْرَضَ عَنْهُ وَاقْبَلَ عَلَى الْجِدَالِ
بِالْبَاطِلِ جَعَلَ كَالْخَارِجِ مِنَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ - وَخِزْيُهُ مَا أَصَابَهُ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الصَّغَارِ وَالْقَتْلِ - وَالسَّبَبُ
فِيمَا مُنِيَ بِهِ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ هُوَ مَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَعَدَلَ اللَّهُ فِي مُعَاقِبَتِهِ الْفَجَارَ وَاثَابَتْهُ
الصَّالِحِينَ • [عَلَى حَرْفٍ] عَلَى طَرَفٍ مِنَ الدِّينِ لَا فِي وَسْطِهِ وَقَلْبِهِ وَهَذَا مِثْلُ لُكُونِهِمْ عَلَى قَلْقٍ وَاضْطِرَابٍ
فِي دِينِهِمْ لَا عَلَى سُكُونٍ وَطُمَائِينَةٍ كَالَّذِي يَكُونُ عَلَى طَرَفٍ مِنَ الْعُسْكَرِ فَإِنْ أَحْسَسَ بِظَفَرٍ وَغَنِيمَةٍ قَرَّ وَاطْمَأَنَّ
وَالْأَفْرُو طَارَ عَلَى وَجْهِهِ - قَالُوا نَزَلَتْ فِي أَغَارِبٍ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ وَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا صَحَّ بَدَنُهُ وَتَلَجَّتْ فَرْسُهُ
مَهْرًا سَرِيًّا وَوَلَدَتْ أَمْرَأَتُهُ غُلَامًا سَوِيًّا وَكَثُرَ مَالُهُ وَوَسَّيَتْهُ قَالَتْ مَا أَصْبَحْتُ مِنْذُ دَخَلْتُ فِي دِينِي هَذَا إِلَّا
خَيْرًا وَاطْمَأَنَّ • وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ بِخِلَافِهِ قَالَتْ مَا أَصْبَحْتُ إِلَّا شَرًّا وَانْقَلَبَ - وَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا
مِّنَ الْيَهُودِ أَحْلَمَ فَاَصَابَتْهُ مَصَائِبٌ فَتَشَاءَمَ بِالْإِسْلَامِ فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَقْلَنِي فَقَالَ
نَ الْإِسْلَامُ لَا يَقَالُ فَنَزَلَتْ - الْمَصَابُ بِالْمَحْنَةِ بِتَرْكِ التَّسْلِيمِ لِقَضَاءِ اللَّهِ وَالْخُرُوجِ إِلَى مَا يُسَخِّطُ اللَّهُ جَامِعٌ
عَلَى نَفْسِهِ مُحْتَمِلِينَ - أَحَدُهُمَا ذَهَابَ مَا أُصِيبَ بِهِ - وَالثَّانِيَةُ ذَهَابُ ثَوَابِ الصَّابِرِينَ فَهُوَ خُسْرَانُ الدَّارِينَ -
وَ قَرِئَ خَاسِرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ - فَالنَّصْبُ عَلَى الْحَالِ - وَالرَّفْعُ عَلَى الْغَايَةِ - وَوَضَعَ الظَّاهِرُ
مَوْضِعَ الضَّمِيرِ وَهُوَ وَجْهٌ حَسَنٌ - أَوْ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُّتَّبِعٌ مُحَذَّرٌ - اسْتَعِيرَ [الضَّلَالُ الْبَعِيدُ] مِنْ ضَلَالٍ مَنْ أَبْعَدَ
فِي التِّيَّةِ ضَالًّا فَطَالَتْ وَبَعْدَتْ مَسَافَةُ ضَلَالَتِهِ - فَإِنْ قَلَّتِ الضَّرُورُ وَالذَّفْعُ مِنْفِيَانِ عَنِ الْأَصْنَامِ مُنْبَتَانِ لَهَا فِي
الْأَيْتَيْنِ وَهَذَا تَنَاقُضٌ - قَلَّتْ إِذَا حُصِّلَ الْمَعْنَى ذَهَبَ هَذَا الْوَهْمُ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَفَهُ الْكَافِرِ
بأنه يعبد جمادًا لَا يملك ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَهُوَ يَعْتَقِدُ فِيهِ بِجَهْلِهِ وَضَلَالِهِ أَنَّهُ يَسْتَنْفَعُ بِهِ حِينَ يَسْتَشْفَعُ بِهِ ثُمَّ
قَالَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَقُولُ هَذَا الْكَافِرُ بَدْعًا وَصُرَاحٌ حِينَ يَرَى اسْتِضْرَارَهُ بِالْأَصْنَامِ وَدُخُولَهُ النَّارَ بِعِبَادَتِهَا وَلَا يَرَى
أَثَرَ الشَّفَاعَةِ الَّتِي ادَّعَاهَا لَهَا [لَمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْتَسَ الْمَوْلَى وَلَيْتَسَ الْعَشِيرُ] - أَوْ كَرَّرَ يَدْعُوا كَأَنَّهُ
قَالَ يَدْعُوا يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ثُمَّ قَالَ لَمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ بِكَوْنِهِ
مَعْبُودًا أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ بِكَوْنِهِ

مِنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ ط وَنُقَرِّئُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ج ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً
 ثُمَّ لِنَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ح وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى وَمِنْكُمْ مَنْ يَرْدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ط وَتَرَى
 الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ٥ ذَلِكَ بَيِّنَاتٌ لِلَّذِينَ هُوَ الْحَقُّ
 وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٦ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ

سورة الحج ٢٢

الجزء ١٧

ع ٧

المبين إلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنزه الذكر ولا يحيط به الوصف - وقرأ ابن أبي
 عبدلة ليبيين لكم وقرأ بالياء - وقرأ ونقرو ونخرجكم بالفون والنصب - ويقرو ويخرجكم ويقرو ويخرجكم بالنصب
 والرفع - وعن يعقوب نقرأ بالفون وضم القاف من قر الماء إذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقرأ في الارحام
 ما يشاء ان يقره من ذلك [إلى أجل مسمى] وهو وقت الوضع آخر ستة اشهر - او تسعة - او سنتين - او اربع -
 او كما شاء وقدر وما لم يشأ اقراره مجتبه الارحام او اسقطته - و القراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل
 ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدرج لغرضين - احدهما ان نبين قدرتنا - والثاني ان نقرأ في الارحام من نقرأ
 حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لنبلغوا أشدكم وحده لان
 الغرض الدلالة على الجنس - ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلاً - الاشد كمال القوة والعقل والتمييز
 وهو من الفاظ الجمع التي لم يستعمل لها واحد كالاشدة والقنود والباطيل وغير ذلك و كانها شدة في غير
 شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع - و قرئ ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله [أرذل العمر]
 الهرم والخرف حتى يعود كهينته الاولى في اوان طفولته ضعيف البنية سخيף العقل قليل الفهم - بين
 انه كما قدر على ان يرفقه في درجات الريادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به
 الى الحالة السفلى [لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً] اي ليصير نساء بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشأ
 ان ينساه و يزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فنقول فلان فما يلبث لحظة
 الا سالك عنه - وقرأ ابو عمرو العُمر بسكون الميم - [الهامدة] الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث
 وظهورها و كونها مشاهدة معينة كرها الله في كتابه - [اهتزت وربت] تحركت بالنبات وانتفخت -
 و قرئ ربأت اي ارتفعت - [البهيج] الحسن السار للنظر اليه - اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني
 آدم و احياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في
 حصوله ولولا لم يتصور كونه وهو [ان الله هو الحق] اي الثابت الموجود وانه قادر على احياء الموتى وعلى
 كل مقدور و انه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد * عن ابن عباس
 انه ابو جهل بن هشام - وقيل كرز كما كررت سائر الاقاصيص - وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين -
 والمراد بالعلم العلم الضروري - وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة - وبالكذب المذير الوحي -
 اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلاثة - و ثني العطف عبارة عن الكبر والخلاء كتصغير الخد و لبي

يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَاةٍ مَنَّهُ يَضِلُّ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ
السَّعِيرِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ

تمييزه - وقيل و تراهم سُكَّارِي من الخوف و مَا هُمْ بِسُكَّارِي من الشراب - فان قلت لم قيل اولا ترون ثم
قيل ترى على الافراد - قلت لان الرؤية اولا عُلِّقَتْ بالزلزلة فجعل الناس جميعا راين لها وهي معلقة
اخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم - قيل نزلت في الضر
بن الحارث وكان جدلا يقول الملكة بذات الله والقرآن اساطير الارلين و الله غير قادر على احياء من بلي
وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله و ما لا يجوز من الصفات و الانفعال
و لا يرجع الى علم و لا يعرض فيه بضرر قاطع و ليس فيه اتباع للبرهان و لا نزول على النصفة فهو يخبط
خبط عشواء غير فارق بين الحق و الباطل و يتبع في ذلك خطوات كل شيطان غاب علم من حاله و ظهر
و تبين انه من جعله وليا له لم يثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة و الهداية الى النار - و ما ارى رؤساء
اهل الاهواء و البدع و الحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا اوليا بل هم
اشد الشياطين اضلالا و اقطعهم لطريق الحق حيث ذنوا الضلال تدرينا و لقذوه اشياءهم تلقينا و كانهم ساطوة
بلحومهم و دماهم و اياهم عذى من قال * شعر * و يارب مقفور الخطي بين قومه * طريق نجاة عندهم مستونهم *
و لو قرأوا في اللوح ما خط فيه من * بيان اعوجاج في طريقته عجزوا * اللهم تبئنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته
لملائكتك في سمواتك و انبيائك في ارضك و ادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين - و الكتبة عليه
مثل ابي كانما كتب اضلال من يتولاة عليه و رقم به لظهور ذلك في حاله - و قرئ انه فانه بالفتح و الكسر -
فمن فتح فلان الاول فاعل كتب و الثاني عطف عليه - و من كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كانما كتب
عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد - او على تقدير قيل - او على ان كتب فيه معنى
القول - احسن من البعث بالتحريك و نظيره الجلب و الطرد في الجلب و الطرد كانه قيل ان ارتبتم في
البعث فمزبل ربكم ان تنظروا في بداء خلقكم - و العلقه قطعة الدم الجامدة - و المضغة اللحمية الصغيرة
قدر ما يمضغ - و المخلقة المسواة الملساء من النقصان و العيب يقال خالق السواك و العود اذا سواه و ملسه
من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة امس
من العيوب و منها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم و صورهم و طولهم
و قصرهم و تمامهم و نقصانهم - و انما نقلناكم من حال الى حال و من خلقة الى خلقة [لنبيين لكم] بهذا التدرج
قدرتنا و حكمتنا و ان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا و لا تناسب بين الماء و
التراب و قدر على ان يجعل النطفة علقه و بينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقه مضغة و المضغة عظاما قدر
على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك و اهون في القياس - و ورود الفعل غير معدى الى

سورة الحج ٢٢

الجزء ١٧

ع ٧

النصف

حروفها
٥٤٣٢

سورة الحج مدنية وهي ثمان و سبعون آية و عشر ركوعاً

كلماتها

١٢٨٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۖ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرْوُنَهَا ۚ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَ مَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝ وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ

سورة الحج

[الزلزلة] شدة التحريك و الازعاج و ان يضاعف زلزل الاشياء عن مقارها و مراكزها - و لا تخلو [الساعة] من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي تنزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله - او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف و اجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بَلْ مَكْرُ الْإِيلِ وَ النَّهَارِ ۚ وَ هِيَ الزَّلْزَلَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا - و اختلف في وقتها - فعن الحسن انها تكون يوم القيمة - و عن علقمة و الشعبي عند طلوع الشمس من مغربها - أمر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة و وصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم و يتصوروها بعقولهم حتى يبنقوا على انفسهم و يرحموا من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزع الا ان يتردوا به - و روي ان هاتين الايتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فلم يركبوا باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب و لم يضربوا الخيام وقت النزول و لم يطبخوا قدرا و كانوا من بين حزين و باك و مفكر - [يَوْمَ تَرْوُنَهَا] منصوب بتذهل و الضمير للزلزلة - و قرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول - وَ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ أَي تَذْهَلُهَا الزَّلْزَلَةُ - و الدهول الذهاب عن الامر مع دهشة - فأن قلت لم قيل [مُرْضِعَةٍ] دون مرضع - قلت المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة نديها الصبي و المرضع التي شأنها ان ترضع و ان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مُرْضِعَةٌ ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه و قد ألقت الرضيع نديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة [عَمَّا أَرْضَعَتْ] عن ارضاعها - او عن الذي ارضعته و هو الطفل - و عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها الغير فطام وَ تَضَعُ الْحَامِلُ مَا فِي بطنها لغير تمام - قرئ وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَ مَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَ مَنْ رَفَعَ جَعَلَ النَّاسَ اسْمُ تَرَى وَ آتَتْهُ عَلَى تَارِيلِ الْجَمَاعَةِ - و قرئ سُكَارَىٰ وَ بِسُكَارَىٰ وَ هُوَ نَظِيرُ جَوْعَىٰ وَ عَطَشَىٰ فِي جَوْعَانٍ وَ عَطَشَانٍ - وَ سُكَارَىٰ وَ بِسُكَارَىٰ نَحْوُ كُسَالَىٰ وَ عَجَالَىٰ - و عن الاعمش سُكَارَىٰ وَ بِسُكَارَىٰ بِالضَّمِّ وَ هُوَ غَرِيبٌ - و المعنى وَ تَرَاهُمْ سُكَارَىٰ عَلَى التَّشْبِيهِ وَ مَا هُمْ بِسُكَارَىٰ عَلَى التَّحْقِيقِ وَلَٰكِنَّ مَا رَهَقَهُمْ مِنْ خَوْفِ عَذَابِ اللَّهِ هُوَ الَّذِي أَذْهَبَ عَقُولَهُمْ وَ طَيَّرَ تَمَيِّزَهُمْ وَ رَدَّهُمْ فِي نَحْوِ حَالٍ مِنْ يَذْهَبُ السُّكْرُ بِعَقْلِهِ وَ

لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۚ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ فَإِنْ قُولُوا فَقُلْ أَذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنِ أَذْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ۝ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبُ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۝ وَإِنِ أَذْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۖ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝ ع

المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها - وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم أخرت بسببه وامنوا عذاب الاستيصال • انما لقصر الحكم على شيء - او لقصر الشيء على حكم كقواك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لان [انما يوحى الي] مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد و [انما الهكم اله واحد] بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي الى رسول الله مقصور على استيثار الله بالوحدانية وفي قوله [فهل انتم مسلمون] ان الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد - وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع - ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي فتكون ما موصولة - اذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الانذار ومنه قوله فانذروا بحرب من الله ورسوله - وقول ابن حنزة • ع • اذنتنا ببيئتها اسماء • والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر الذبد واشاعه واذنهم جميعا بذلك [على سواء] اي مستويين في الاعلام به لم يطره عن احد منهم وكشف كلهم وقشر العصا عن لحائها و [ما توعدون] من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الفاة والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين في الاسلام و [ما تكمونون] في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو يجازيكم عليه - [و] ما [انري لعل] تاخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتنع لكم [الى حين] ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة - قرئ قل - و [قل] على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و [رب احكم] على الاكتفاء بالكسرة - و رب احكم على الضم وربي احكم على افعال التفضيل وربي احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر - ومعنى [بالحق] لا تحايهم وشد عليهم كما هو حقهم كما قال اشد وطأتك على مضر - قرئ [يصفون] بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان يكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب امالهم ونصر رسول الله والمؤمنين وخذلهم - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اقرب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن •

حَسِيَسَهَا ٤ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ٥ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ط هَذَا يَوْمُكُمْ
الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ٦ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ط كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ط وَعَدًا عَلَيْنَا ط
إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ٧ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ٨ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا
ع ٦

احزن - والفزع الأكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ -
و عن الحسن الانصراف الى النار - و عن الضحاك حين يطبق على النار - وقيل حين يذبح الموت على
صورة كبش املح - اي تستقبلهم الملكة مهديين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي
وعدكم ربكم قد حل * العامل في يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ط كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ط
و قرئ تَطْوِي السَّمَاءَ على البناء
للمفعول - والسَّجَلُ بوزن العُتْل - والسَّجَلُ بلفظ الدلو - وروي فيه الكسر وهو الصحيفة - اي كما يَطْوِي الطومار
للكتابه اي ليكتب فيه اولما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يقع على المكتوب - ومن جمع
فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة - وقيل السَّجَلُ ملك يطوي كتب بني آدم
اذا رُفِعَت اليه - وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة
المكتوب فيها [اَوَّلَ خَلْقٍ] مفعول نعيد الذي يفسره نُعِيدُهُ والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق
كما بدأناه تشبيهاً للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء - فان قلت وما اول الخلق حتى يُعِيدَهُ
كما بدأه - قلت اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولاً عن عدم يُعِيدُهُ ثانياً عن عدم - فان قلت ما بال
خلق منكراً - قلت هو كقولك هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال ولكنك وحدته و نكرته ارادة
تفصيلهم رجلاً رجلاً فكذلك معنى اَوَّلَ خَلْقٍ اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع -
و وجه آخر هو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نُعِيدُهُ وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدأناه
نُعِيدُهُ - و اَوَّلَ خَلْقٍ ظرف لبدأه اي اول ما خلق - او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت
في المعنى - [وَعَدًا] مصدر موكد لان قوله نُعِيدُهُ عدة للاعادة [إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ] اي قادرين على ان نفعل
ذلك * عن الشعبي زبور داود - والذكر التوراة - وقيل اسم الجنس ما أنزل على الانبياء من الكتب والذكر
ام الكتاب يعنى اللوح - اي يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله تعالى وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ
مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا - قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ - و عن ابن عباس هي ارض الجنة - وقيل الارض المقدسة يرثها امّة محمد صلى الله
عليه وآله وسلم * الاشارة الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة - والبلاغ
الكفاية وما تبليغ به البغية * ارسل صلى الله عليه وآله وسلم [رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ] لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه
ومن خالف ولم يتبع فانما اُتي من عذذ نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يُفَجِّرَ الله عيناً غديقة
فيسقي ناس زرعهم و مواشيهم بمائها فيفلقوا ويبقى ناس مفترطون عن السقي فيضيعوا فالعين

فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ يُؤْيَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ ۚ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ۝ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ إِلَهًا مَا وَرَدُوهَا ۚ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ۝
لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ

وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية - وقرئ يَنْسَلُونَ بضم السين ونسل وعسل اسرع - و [إِذَا] هِيَ اذا المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسدة الفاء كقوله تعالى إِذَا هُمْ يَقْذِرُونَ فاذا جاءت الفاء معها تعارفاً على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا [هِيَ] ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا - [يُؤْيَلْنَا] متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا * [مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ] يحتمل الاصنام و ابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم و اتباعهم خطواتهم في حكم عبادتهم و يُصَدِّقُهُ ما روي ان النبي صلى الله عليه و آله وسلم دخل المسجد و صناديد قريش في الحطيم و حول الكعبة ثلث مائة و ستون صنماً فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلّمه النبي صلى الله عليه و آله وسلم حتى أحمه ثم تلا عليهم إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ فاقبل عبد الله بن الزبير فرأهم يتهايمسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله أما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبير انت ا انت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك و رب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيز و النصارى عبدوا المسيح و بنوا مَليح عبدوا الملكة فقال صلى الله عليه و آله وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ يعني عزيز و المسيح و الملكة - فَاِنْ قُلْتَ لِمَ قُرْنُوا بِالْهَتَمِ - قُلْتَ لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم و حسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم و النظر الى وجه العدو باب من العذاب و لانهم قدروا انهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستشفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم - فَاِنْ قُلْتَ اِذَا عُذِّبَتْ بِمَا تَعْبُدُونَ الاصنام فما معنى [لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ] - قُلْتَ اذا كانوا هم و اصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير و ان لم يكن الزفيرين الا هم دون الاصنام للتغليب و لعدم الالباس - و الحصب المحسوب به اي يحصب بهم في الذار و الحصب الرمي - و قرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر - و حَصْبٌ بالضاد متحركا و ساكنا - و عن ابن مسعود يجعلون في تواييت من نار فلا يسمعون - و يجوز ان يُصِمُّهُمُ الله كما يُعْمِيهِمُ [الْحُسْنَىٰ] الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اما السعادة و اما البشري بالثواب و اما الترفيق للطاعة - يروي ان علياً رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال انا منهم و ابوبكر و عمر و عثمان و طلحة و الزبير و سعد و سعيد و عبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلوة فقام يجرد رداءه و هو يقول لَا يَسْمَعُونَ حَسْبُهَا - و الحسيس الصوت الذي يُحَسُّ - و الشهوة طلب النفس اللذة - و قرئ لَا يُحْزِنُهُمْ مِن

وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ٥ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ٦ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ٧
 كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ٨ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ ٩ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ١٠ وَحَرَّمَ عَلَى قَرْيَةٍ
 أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ١١ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ١٢ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ١٣

سورة الانبياء ٢١

الجزء ١٧

ع ٦

ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم اللتي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة [وَأَنَا] الهكم اله واحد [فَاعْبُدُونِ] - ونصب الحسن أُمَّتُكُمْ على البدل من هذه - ورفع أُمَّة خبرا - وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه - او نوى للثاني مبتدأ - والخطاب للناس كافة والاصل وتَقَطَّعْتُمْ الا ان الكلام حُرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما افسدوه الى اخيرين ويُقْبَحُ عندهم فعلهم و يقول لهم ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله و المعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعاً كما يتوزع الجماعة الشيء و يتقسمونه فيطير لهذا نصيب و لذلك نصيب تمثيلاً لاختلافهم فيه و صيرورتهم فرقاً و احزاباً شتى - ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم و مجازيهم • الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله شكر و قد نفى في الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا تكفر سعيه [وَأَنَا لَهُ كَاتِبُونَ] اي نحن كاتبوا ذلك السعي و مثبتوه في صحيفة عمله و ما نحن مثبتوه فهو غير ضائع و مثاب عليه صاحبه - استعير الحرام للممتنع وجوده و منه قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ اي منعهما منهم و ابي ان يكونا لهم - و قرى حَرَّمَ - و حَرَّمَ بالكسر و الفتح - و حَرَّمَ و معنَى [أَهْلَكْنَاهَا] عَزَمْنَا عَلَى أَهْلَكِهَا - او قَدَرْنَا أَهْلَكِهَا - و معنَى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام و الانابة - و مجاز الآية ان قوما عزم الله على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا و يُنْذِرُوا الى ان تقوم القيمة فحينئذ يرجعون و يقولون يُؤْبَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ يعنى انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم و يموتون عليه حتى يروا العذاب - و قرى أَنَّهُمْ بالكسر و حق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل و حرام على قرية اهلكناها ذاك و هو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح و السعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل [أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ] عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك - و القراءة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون و لا صلة على الوجه الاول - فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له و آية الثالث هي - قلت هي متعلقة بحَرَّمَ وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيمة وهي حتى اللتي يحكى بعدها الكلام و الكلام المحكي الجملة من الشرط و الجزاء اعني اذا و ما في حيزها حذف المضاف الى يا جوج و ما جوج و هو سدّها كما حذف المضاف الى القرية و هو اهلها - وقيل فتحت كما قيل أَهْلَكْنَاهَا - و قرى أَجُوجَ و هما قبيلتان من جنس الانس - يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها يا جوج و ما جوج [وَهُمْ] راجع الى الناس المسوقين الى المحشر - و قيل هم يا جوج و ما جوج يخرجون حين يفتح السد - الحَدَبُ النشر من الارض - و قرأ ابن عباس مِنْ كُلِّ حَدَبٍ

فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾
 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۖ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا
 وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿١٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَآصَلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ
 فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خُشِعِينَ ﴿٢٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَانَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا

الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما
 يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا والخطاب للمؤمنين [فِي الظُّلُمَاتِ]
 اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ وقوله
 يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ - وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل - وقيل ابتلع حوته حوت أكبر
 منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر - اي بانه [لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ] او بمعنى آي - عن النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إِلَّا استُجيب له - وعن الحسن ما نجاه الله
 إِلَّا اقْرَأَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِالظُّلَمِ [نُنْجِي] - وَنُنْجِي - وَنُجِّي وَالنُّون لَا تَدْغُمُ فِي الْجِيمِ وَمَنْ تَمَحَّلَ لَصَحَّتِهِ فَجَعَلَهُ
 فَعَلَ وَقَالَ نُجِّي النِّجَاءَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلَ الْيَاءَ وَاسْتَدْعَى إِلَى مَصْدَرَةٍ وَنَصَبَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنِّجَاءِ فَمَتَّعَسَفَ
 بَارِدُ التَّعَسُّفِ * سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا يَرْثُهُ وَلَا يَدْعُهُ وَحِيدًا بَلَا وَارِثَ ثُمَّ رَدَّ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ مُسْتَسْلِمًا فَقَالَ
 [وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ] اي ان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فانك خير وارث - اصلاح زوجه أَنْ جَعَلَهَا
 صَالِحَةً لِلْوَلَادَةِ بَعْدَ عُقْرِهَا - وَقِيلَ تَحْسِينِ خُلُقِهَا وَكَانَتْ سَيِّئَةً الْخُلُقِ - الضمير للمذكورين من الانبياء يريد
 انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومساعدتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون
 فِي الْأُمُورِ الْجَادُونَ - وَ قَرِئَ رَغْبًا وَرَهَبًا بِالْإِسْكَانِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ يَخْذَرُ الْآخِرَةَ - وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ [خُشِعِينَ]
 قَالَ الْحَسَنُ ذَلِكَ لِأَمْرِ اللَّهِ - وَعَنْ مُجَاهِدٍ الْخُشُوعَ الْخَوْفَ الدَّائِمَ فِي الْقَلْبِ - وَقِيلَ مُتَوَاضِعِينَ - وَسُئِلَ الْأَعْمَشُ
 فَقَالَ أَمَا أَنِّي سَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لَا تَدْرِي قُلْتُ أَفَدْنِي قَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ إِذَا ارْخَى سِتْرَهُ وَاغْلَقَ
 بَابَهُ فَلْيَرِ اللَّهَ مِنْهُ خَيْرًا لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّهُ إِنْ يَأْكُلُ خَشَنًا وَيَلْبَسُ خَشَنًا وَيُطَاطِقُ رَأْسَهُ [أَحْصَانَتْ فَرْجَهَا]
 أَحْصَانًا كَلِمًا مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ جَمِيعًا كَمَا قَالَتْ وَلَمْ يَمَسَّ سَنِيَّ بَشَرًا وَلَمْ أَلِكْ بَغِيًّا - فَانْقَامَتْ نَفْخَ الرُّوحِ
 فِي الْجَسَدِ عِبَارَةً عَنْ أَحْيَائِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي أَيِ أَحْيَيْتُهُ وَإِذَا ثَبَتَ
 ذَلِكَ كَانَ قَوْلُهُ [فَلَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا] ظَاهِرَ الْأَشْكَالِ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَحْيَاءِ مَرْيَمَ - قُلْتُ مَعْنَاهُ نَفَخْنَا الرُّوحَ
 فِي عِيسَى فِيهَا أَيِ أَحْيَيْنَاهُ فِي جَوْفِهَا وَنَحْوَ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ الزَّمَرُ نَفَخْتُ فِي بَيْتِ فُلَانٍ أَيِ نَفَخْتُ
 فِي الْمَزْمَارِ فِي بَيْتِهِ - وَ يُجَوُزُ أَنْ يَرَادَ وَفَعَلْنَا النِّفْخَ فِي مَرْيَمَ مِنْ جِهَةِ رُوحِنَا وَهُوَ جَبْرئِيلُ لِأَنَّهُ نَفَخَ فِي جَيْبِ
 دَرْعِهَا فَرَصَلَ النِّفْخَ إِلَى جَوْفِهَا - فَانْقَامَتْ هَلَا قِيلَ آيَتَيْنِ كَمَا قَالَ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ - قُلْتُ
 لِأَنَّ حَالَهُمَا بِمَجْمُوعِهِمَا آيَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ وَلادتها آيَةٌ مِنْ غَيْرِ فَحَلَّ * الْأُمَّةُ الْمِلَّةُ - وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى

صُرِّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرُنَا لِلْعَابِدِينَ ۝ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ط
كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ط إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغَاضِبًا

سورة الانبياء ٢١

الجزء ١٧

ع ٥

اي ناداه بائي مستني الضر - وقرئ اني بالكسر على اضمار القول - او لتضمن النداء معناه - والضر بالفتح
الضرر في كل شيء - وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البنايين لافتراق المعنيين -
الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة و ذكر ربه بغاية الرحمة و لم يصرح بالمطلوب -
ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليم بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشيت جردان بيتي على
العصي فقال لها الطف في السؤال لاجرم لاردتها ثوب وثب الفهود و ملأ بيتها حباً - كان ايوب عليه السلام
روميا من ولد اسحق بن ابراهيم وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر اهلته وماله - كان له سبعة بنين وسبع
بنات وله اصناف البهائم وخمس مائة فدان يتبعها خمس مائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب
ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثمانين سنة - وعن قتادة ثلث عشرة سنة -
وعن مقاتل سبعة اشهر وسبع ساعات - وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة
الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما
كشف الله عنه احيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم - وروي ان امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا -
اي لرَحْمَتِنَا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لانفسهم - او رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا لغيره من العابدين
ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اتيب في الدنيا والاخرة - قيل في ذي الكفل هو الياس - وقيل زكريا -
وقيل يوشع بن نون و كانه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة - وقيل كان له ضعف
عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم - وقيل خمسة من الانبياء ذورا اسمين - اسرائيل ويعقوب - الياس
وذي الكفل - عيسى والمسيح - يونس وذي النون - محمد وأحمد - النون الحوت فأضيف اليه - برم بقومه
لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فرائعهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا
لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله و كان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي
ببطن الحوت - ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها - وقرأ
ابوشرف مغضبا - وقرئ نقدر - ونقدر مخففا ومتقلا - ويقدر بالياء بالتخفيف - ويقدر - ويقدر على البناء
للمفعول مخففا ومتقلا - وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة - وعن ابن عباس انه دخل على
معوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي
يا معوية فقرأ هذه الآية وقال آو يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة - والمخفف
يصح ان يفسر بالقدرة على معنى أن لن نعمل فيه قدرتنا - وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله
ممثلة بحال من يظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله - ويجوز ان يسبق ذلك

وَدَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمُونَ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ۖ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ
وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَسَخْنَا مَع دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۖ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۝ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ
لِتُخَصِّنَكُمْ مِنْ بَاسِكُمْ ۚ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ۝ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا
فِيهَا ۖ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ۝ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ۚ وَكُنَّا لَهُمْ
حَافِظِينَ ۝ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الصُّرُورَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ

القيمة فينتفع بها المغمصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ثرادا - فان قلت فلو
وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها - قلت ابو حنيفة و اصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار
الا ان يكون مع البهيمه مائق او قائد - والشافعي يوجب الضمان بالليل - وفي قوله فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ دليل على
ان الاصبوب كان مع سليمان وفي قوله وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا دليل على انهما جميعا كانا على الصواب [يُسَبِّحْنَ]
حال بمعنى مستبحات - او استيناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن [وَالطَّيْرَ] اما معطوف على
الجبال - او مفعول معه - فان قلت لم قدمت الجبال على الطير - قلت لان تسخيرها و تسبيحها اعجب
و ادل على القدرة و ادخل في الاعجاز لانها جماد و الطير حيوان ناطق - روي انه كان يمر بالجبال مستبحا
وهي تجاوبه - وقيل كانت تسير معه حيث سار - فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح - قلت بان
يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى - وجواب آخر وهو ان يسبح من رآها تسير
بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به [وَكُنَّا فَاعِلِينَ] اي قادرين على ان نفعل هذا و ان
كان عجبا عندكم - وقيل وَكُنَّا نفعل مثل ذلك بالانبياء * اللبوس اللباس قال * ع * البس لكل حالة لبوسا *
والمراد الدرع - قال قتادة كانت صفائح فاوّل من سردها وحلقها داود فجمعت الحقة والتحصيلين - [لَتُخَصِّنَكُمْ] قرئ
بالنون - والتاء - والياء - وتخفيف الصاد - وتشديدها - فالنون لله عز وجل - والتاء للصنعة او لللبوس على تاويل
الدرع - والياء لداود او لللبوس * قرئ - [الرِّيحَ] - والرياح بالرفع والنصب فيهما - فالرفع على الابتداء - والنصب
على العطف على الجبال - فان قلت وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق
بينهما - قلت كانت في نفسها رَخِيَةً طَيِّبَةً كالنسيم فاذا مرت بكريسته ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال
عُدُوها شَهْرًا وَرَوَّاحَهَا شَهْرًا فكان جمعها بين الامرين ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها
لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحكم اية الى اية ومعجزة الى معجزة - وقيل كانت في وقت
رُخَاءٍ وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته - وقد احاط علمنا بكل شيء فنُجْرِي الاشياء كلها على ما
يقتضيه علمنا وحكمتنا - اي [يَغُوصُونَ] له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاذزون ذلك الى الاعمال
والمهن و بناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يَغُوصُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ -
والله حافظهم ان يزيغوا عن امره - او يبدلوا - او يغيروا - او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مستخرون فيه -

سورة الانبياء ٢١

الجزء ١٧

ع ٥

الْأَخْسَرِينَ ۖ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۖ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ۖ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۖ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ۖ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ۖ وَلُوطًا أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ۖ وَادْخُلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۖ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ

انه خرج الى الشام فقبل له الى ابن فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم - وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس - وروي انه نزل بفلسطين و لوط بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة • النافلة ولد الولد - وقيل سأل اسحق فاعطيه واعطى يعقوب [نافلة] اي زيادة وفضلا من غير سوال • [يهدون بأمرنا] فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مامور هو بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتناقل عنها و اول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهذا اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدي اميل [فعل الخير] اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة و ايتاء الزكاة - [حكما] حكمة وهو ما يجب فعله - او فضلا بين الخصوم - وقيل هو النبوة - و [القربة] سدوم - اي في اهل رحمتنا - او في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء • [من قبل] من قبل هؤلاء المذكورين - هو نصر الذي مطاوعه انتصر و سمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه - و الكرب الطوفان و ما كان فيه من تكذيب قومه • اي و اذكرهما واذ بدل منهما - و النفس الانتشار بالليل - و جمع الضمير لانه ارادهما والمتحاكمين اليهما - و قرى ليحكميهما - و الضمير في فقهمنها للحكومة او القوي - و قرى فاقهمنها - حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكم فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبدانها و اولادها و اصوافها و الحرث الى ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهنيته يوم افسد ثم يتراد ان فقال القضاء ما قضيت و امضى الحكم بذلك - فان قلت احكما بوحي ام باجتهاد - قلت قيل حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان - وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهد سليمان اشبه بالصواب - فان قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين - قلت اما وجه حكومة داود فلان الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجني عليه - كما قال ابو حذيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه - وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه - ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث - و وجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم و اوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر و النقصان - مثاله ما قال اصحاب الشافعي في من غصب عبدا فابق من يده انه يضمن

أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۖ أَفَبِكُمْ ۖ أَيْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۖ قَالُوا
خَرَقُوهُ وَأَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ ۖ قُلْنَا يَنْزِلُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ

فاعله اي فكسوا انفسهم على رؤسهم قرأ به رضوان بن عبد المعبود - [أَيْ] صوتُ اذا صَوَّتَ به علم ان صاحبه متضجر اضجرة ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق و زهوق الباطل فتأنف بهم - و اللام لبيان المتأنف به اي لكم ولألهتكم هذا التأنف - اجمعوا رأيهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وانتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق و لم يبق له مفرج الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حين عجزوا عن المعارضة - والذي اشار باحراقه نمرود - وعن ابن عمر رضي الله عنه رجل من أغراب العجم يريد الاكراد - و زوي انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوني و جمعوا شهرا اصناف الخشب الصلب حتى ان كانت المرأة تتمرص فتقول ان عافاني الله لاجمعن خطبا لابراهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبرئيل ينار كوني بَرْدًا وَسَلَامًا - ويحكي ما احرقته منه الا وثاقه وقال له جبرئيل حين رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سوالي علمه بحالي - وعن ابن عباس انما نجا بقوله حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ و اطل عليه نمرود من الصرح فاذا هو في روضة و معه جليش له من الملكة فقال اني مقرب الي الهك فذبح اربعة آلاف بقرة و كف عن ابراهيم و كان ابراهيم ان ذاك ابن ست عشرة سنة - و اختاروا المعاقبة بالنار لانها اهل ما يعاقب به و افطعه و لذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها - ومن ثم قالوا [إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ] اي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختراروا له اهل المعاقبات وهي الاحراق بالنار و الا فرطتم في نصرتها و لهذا عظموا النار و تكلفوا في تشهير امرها و تفخيم شأنها و لم يألوا جهدا في ذلك - جعلت النار لمطارعتها فعل الله و ارادته كما صور أمر بشي فامتثلته - و المعنى ذات برد و سلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد و سلام و المراد أبردي فيسلم منك ابراهيم - او ابردي بردا غير ضار - وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها - فان قلت كيف بردت النار و هي نار - قلت نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر و الاحراق و ابقاها على الاضاعة و الاشراق و الاشتعال كما كانت و الله على كل شيء قدير - و يجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم اذى حرها و يذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم و يدل عليه قوله على ابراهيم - [وَأَرَادُوا] ان يكيدوه و يمكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله و لقنه بالمبكت و فزعوا الى القوة و الجبروت فنصروا و قواه * نجيا من العراق الى الشام و بركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم و اثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية و قيل بارك الله فيه بكثرة الماء و الشجر و الثمر و الخصب و طيب عيش الغني و الفقير - و عن سفين

هَذَا بِالْهَيْدَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝ قَالُوا سَمِعْنَا نَتَّى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۝ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَهْلِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْدَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ أَنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ۝
فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ۝ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ۝ قَالَ

سورة الانبياء ٢١
الجزء ١٧
ع ٤

لأنك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع - واما الثاني فليس كذلك - فان قلت
إبراهيم ما هو - قلت قيل هو خبر مبتدأ محذوف - او منادى - والصحيح انه فاعل يُقَالُ لان المراد الاسم
لا المسمى [على أَهْلِ النَّاسِ] في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اي بمراى منهم و منظر -
فان قلت ما معنى الاستعلاء في على - قلت هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين
ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكفه منه [لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ] عليه بما سمع منه وبما فعله -
او يحضرون عقوبتنا له - روي ان الخبر بلغ فمرود و اشراف قومه فأمروا باخضاره - هذا من معارض
الكلام و لطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضية من علماء المعاني و القول فيه ان قصد ابراهيم
لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم و انما قصد تقريره لنفسه و اثباته لها على اسلوب
تعريضي يبلغ فيه عرضه من الزامهم الحجة و تبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا
بخط رشيد و انت شهير بحسن الخط انت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط او لا يقدر الا على
خرمسة فامدة فقلت له بل كتبتك انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه
عذك و اثباته للاثمي او المخرمش لان اثباته و الامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به و اثبات للمقادير -
و لقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة و كان غيظ كبرها اكبر و اشد لما رأى
من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهائه بها و حطمه لها و الفعل كما يسند
الى مباشرة يسند الى الحامل عليه - و يجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبه كانه قال لهم
ما تذكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا و اشد منه - و يحكى
انه قال فعله كَبِيرُهُمْ هَذَا غَضِبَ ان تُعْبَد معه هذه الصغار و هو اكبر منها - و قرأ محمد بن السميع فعلة
كَبِيرُهُمْ يعني فعله اي فاعل كَبِيرُهُمْ - فلما القاهم الحجر و اخذ بمخائقيهم رجعوا الى انفسهم
فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بِالْهَيْدَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ - نَكَسَتْهُ
قَلْبَتُهُ فجعلت امفله اعلاه و انتكس انقلب اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم و جازوا بالفكرة الصالحة
ثم انتكسوا و انقلبوا عن تلك الحالة فآخذوا في المجادلة بالباطل و المكابرة و ان هؤلاء مع تقاصر حالها
عن حال الحيوان الناطق الاله معبودة مضارة منهم - او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابراهيم مجادلين عنه
حين نفوا عنها القدرة على النطق - او قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا و انكسارا و انخزالا مما
بهتهم به ابراهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم - و قرئ نَكَسُوا بالنشديد - و نَكَسُوا على لفظ مما سمي

الْعَبِيدِينَ ۝ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ۖ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَتَاللَّهِ
لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولَّوْا مُدْبِرِينَ ۝ فَجَعَلَهُمْ جَذَاذَا ۖ إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝ قَالُوا مَن فَعَلَ

وحسبوا ان ما قاله انما قاله على وجه المزاج والمداعبة لا على طريق الجِدِّ فقالوا له هذا الذي جئتنا به اهو جد
و حق ام لعب وهزل • الضمير في [فَطَرَهُنَّ] للسموات والارض - او للتمائيل و كونه للتمائيل ادخل في تضليلهم
واثبت للاحتجاج عليهم - وشهادته على ذلك ادلوه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما يصح الدعوى بالشهادة
كانه قال وانا ابين ذلك و ابرهن عليه كما تبين الدعوى بالبيّنات لانني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على
اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه اباكم • قرأ معاذ بن
جبل بالله - و قرئ تَوَلَّوْا بمعنى تَوَلَّوْا ويقويها قوله فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ - فان قلت ما الفرق بين الباء و
الذاء - قلت ان الباء هي الاصل والذاء بدل من الواو المبدلة منها وان الذاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب
من تسهيل الكيد على يده وتأنيده لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر
في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه • ع • ولكن اذا الله
سنى عقد شيء تيسرا • روي ان ازر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببديت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا
بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم فنظر الى
الاصنام وكانت سبعين صنما مصطقة و ثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان
تضيئان بالليل فكسرها كلها بفأس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفأس في عنقه - عن قتادة قال
ذلك سرا من قومه - وروي سمعه رجل واحد - [جَذَاذَا] قطاعا من الجذ وهو القطع - و قرئ بالكسر والفتح -
و قرئ جَذَاذا جمع جذيد - وجَذَاذا جمع جذة - وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه
لما تسامعوه من انكاره لدينهم و سبه لالهتهم فبكتهم بما اجاب به من قوله بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْئَلُوهُمْ -
وعن الكلبي اليه الى كبيبرهم ومعنى هذا لعلمهم يَرْجِعُونَ اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات
فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفأس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب
وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في الهتهم وتعظيمهم لها - او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم
واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤمله للعبادة ان يرجع اليه في حل كل مشكل - فان قلت
فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في أعراقهم فاتي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى
يجعله ابراهيم غرضا - قلت ان ارجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم في عبادته على جهل
عظيم • اي ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجراته على الالهة الحقيقية
عندهم بالتوقيير والاعظام واما لانهم رأوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها - فان قلت ما حكم
الفاعلين بعد سَمْعَنَا فَنَّى واي فرق بينهما - قلت هما صفتان لغنى الا ان الاول وهو يَذْكُرُهُمْ لابد منه لسمع

حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَاحِاسِينَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ۝
 الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ۝ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ۝ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ۝
 وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۝
 قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ۝ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ
 سورة الانبياء ٢١
 الجزء ١٧
 ع ٤
 الربع

تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة - وقرئ مثقال حبة على
 كان الثامنة كقوله وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ - وقرأ ابن عباس ومجاهد آتَيْنَا بِهَا وهي مفاعلة من الاتيان بمعنى
 المجازاة والمكافاة لانهم آتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء - وقرأ حميد آتَيْنَا بِهَا من الثواب - وفي حرف ابي جئتنا بها -
 وانت ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه * اي [آتَيْنَا] هما [الْفُرْقَان] وهو التوراة [و]
 آتَيْنَا بِهِ [ضِيَاءً وَ ذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ] والمعنى انه في نفسه ضياء وذكر - او آتيناها بما فيه من الشرائع والمواظ
 ضياء وذكر - وعن ابن عباس الْفُرْقَان الفتح كقوله يَوْمَ الْفُرْقَانِ - وعن الضحاك فلق البحر - وعن محمد بن
 كعب المخرج من الشبهات - وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الْفُرْقَان - والذكر الموعظة - او ذكر
 ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم - او الشرف - محل [الَّذِينَ] جر على الوصفية - او نصب على المدح -
 ارفع عليه * [وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ] هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره * الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح
 قال الله تعالى فَإِنْ أَنْسَلْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ - وقرئ رُشْدًا وَ الرُّشْدُ كالْعُدْمِ وَ الْعُدْمُ وَ
 معنى اضافته اليه انه رشد مثله وانه رشد له شان - [مِنْ قَبْلُ] اي من قبل موسى وهرون - ومعنى علمه به انه علم
 منه احوالاً بديعة واسراراً عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى آلهة لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في
 خير من الناس انا عالم بفلان وكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزلة * [إِذْ] اما ان يتعلق
 بآتَيْنَا - او برُشْدُهُ - او بمخدوف اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت فقوله [مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ] تجاهل لهم
 وتغاب ليحقر الهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها - لم ينو للعاكفين مفعولاً واجراه مجرى ما
 لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها - فان قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله يَعْكُفُونَ عَلَى
 أَصْنَامِهِمْ - قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على * ما اقبل التقليد والقول المتقبل بغير
 برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعقروا
 لها جباههم وهم معتقدون انهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم
 وكفى اهل التقليد سباً ان عبدة الاصنام منهم * [أَنْتُمْ] من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان
 العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكنْ أَنْتَ وَ زُجْجَكَ الْجَنَّةَ اراد ان المقلدين و
 المقلدين جميعاً منحطون في سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير
 دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالاً بقوا متعجبين من تضاييله آتاهم

بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۖ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ
 أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ۖ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءُ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ۖ وَلَكِنَّ مَسْتَنَّمِ النَّفْحَةَ مِنْ عَذَابِ
 رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوْمَئِذٍ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۖ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ

معنى بل وقال أ [لَهُمُ الْهَيْئَةُ تَمَنُّعُهُمْ] من العذاب تتجاوز متعنا وحفظنا ثم استأنف فبيّن ان ما ليس بقادر على نصر نفسه و منعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره و ينصره ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلاًناهم و آباءهم الماضين الا تمتيعاً لهم بالحياة الدنيا و امهالاً كما متعنا غيرهم من الكفار و أمهلناهم [حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمْ] الامد و امتدت بهم ايام الروح و الطمانينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون و لا يَنْزِعُ عنهم ثوب امتعتهم واستمتعهم وذلك طمع فارغ و امل كاذب [أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا] ننقص ارض الكفر و دار الحرب و نحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها و اظهارهم على اهلها و ردها دار اسلام - فان قلت اي فائدة في قوله [نَأْتِي الْأَرْضَ] - قلت الفائدة فيه تصوير ما كان الله يُجْرِيه على ايدي المسلمين و ان عساكرهم و سرايهم كانت تغزو ارض المشركين و تأتيتها غالبية عليها ناقصة من اطرافها * قرئ [وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ] وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ بالياء اي لا تسمع انت أو لا يسمع رسول الله - وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ من أسمع - فان قلت الصَّم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المُنذر فكيف قيل [إِذَا مَا يُنذَرُونَ] - قلت اللام في الصَّم إشارة الى هَؤُلَاءِ المُنذَرين كائنة للعهد لا للجنس و الاصل و لا يسمعون اذا ما يُنذَرُونَ فوضع الظاهر موضع المضمرة للدلالة على تصاتهم و سدّهم أسماعهم اذا أُنذروا - اي هم على هذه الصفة من الجرأة و الجسارة على التصام من آيات الانذار [وَلَكِنَّ مَسْتَنَّمِ] من هذا الذي يُنذَرُونَ به ادنى شيء لا دعوا و اذلوا و اقرؤا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا و اعرضوا - وفي المس و النفخة ثلث مبالغات - لان النفخ في معنى القاة و النزارة يقال نفخته الدابة و هو رمح يسير - و نفخة بعطية رضح - و لبذاء المرأة - و صفت [الْمَوَازِينَ] بالقسط و هو العدل مبالغة كانها في انفسها قسط - او على حذف المضاف اي ذوات القسط - و اللام في [لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ] مثلها في قولك جنته لخمس ليدل خلون من الشهر - و منه بيت الذابغة * شعر * ترسمت آيات لها فعرفتها * لسنة اعوام و ذا العام سابع * و قيل لاهل يوم القيامة اي لاجلهم - فان قلت ما المراد بوضع الموازين - قلت فيه قولان - احدهما ايراد الحساب السوي و الجزاء على حسب الاعمال بالعدل و النصفة من غير ان يظلم عبادة مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات - و الثاني انه يضع الموازين الحقيقية و يزن بها الاعمال - عن الحسن هو ميزان له كفتان و لسان - و يروى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يُريه الميزان فلما رآه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة - فان قلت كيف توزن الاعمال و انما هي اعراض - قلت فيه قولان - احدهما توزن صحائف الاعمال - و الثاني

مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارُ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلِ
مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ط
بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ۝ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا ط لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْهَا يُصْحَبُونَ ۝

سورة الانبياء ٢١

الجزء ١٧

ع ٣

عليها ثم نهاهم وزجرهم كأنه قال ليس يبدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم
وسجيتكم - وعن ابن عباس انه اراد بالانسان آدم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبأخ فيه اراد ان يقوم -
وروي انه لما دخل الروح في عينه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام - وقيل خلقه الله
في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع في خلقه قبل مغيبها - وعن ابن عباس انه النضر بن
الحارث - والظاهر ان المراد الجنس - وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم * ع * والنخل يذبت بين الماء
والعجل * والله اعلم بصحته - فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ وقوله
وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق - قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره ان يغلبها
لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة - وقرئ خُلِقَ الْإِنْسَانُ * جواب [لَوْ] محذوف
وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعلمون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت
صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرון على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا
ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هوته عندهم -
ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين -
و [حين] منصوب بمضمر اي حين [لا يكفرون عن وُجُوهِهمُ النَّارُ] يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي
عنهم هذا الجهل العظيم اي لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم * يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فَبْهَتَ
الَّذِي كَفَرَ اي غلب ابراهيم الكافر - وقرأ الاعمش يَأْتِيهِمْ فَيَبْهَتُهُمْ على التذكير والضمير للوعد او للحين -
فان قلت فالام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة - قلت الى النار - او الى الوعد لانه في معنى النار
وهي التي وعدوها - او على تاويل العدة - او الموعدة - او الى الحين لانه في معنى الساعة - او الى البغطة -
وقيل في القراءة الاولى الضمير للساعة - وقرأ الاعمش بَغْتَةً بفتح الغين [وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ] تذكير بانظاره
اياهم وامهاله وتفسير وقت التذكير عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال * سلى رسول الله عن
استهزائهم به بان له في الانبياء عليهم السلام أسوة وان ما يفعلونه به يحقيق بهم كما حاق بالمستهزئين
بالانبياء ما فعلوا * [مِنَ الرَّحْمَنِ] اي من بأسه وعذابه [بَلْ هُمْ - مُّعْرِضُونَ] عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا
ان يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالى واصلحوا للسؤال عنه والمراد انه أمر رسوله بسؤالهم
عن الكالى ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلوهم ثم أضرب عن ذلك بما في أم من

فَلَاكِ يَسْبَحُونَ ۝ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۝ أَفَأَنْتَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۝ وَنَبِّئُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۝ وَالَّذِينَ تَرْجِعُونَ ۝ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا فَلَكَ إِلَّا هَزْوَاً ۝ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ ۝ وَهُمْ يَذْكُرُونَ الرَّحْمَنَ هُمْ كُفَرُونَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ۝ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝ وَيَقُولُونَ

والحيوان بامطارها [وهم] عن كونها آية بيّنة على الخالق [معرضون] - [كل] التفرين فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم [في فلانك يسبحون] والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم و ليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعها بالشمس والاقمار والشمس واحدة والقمر واحد - واما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة - فان قلت الجملة ما محلها - قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر - فان قلت كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما - قلت كما تقول رأيت زيدا وهذا متبرجة ويجوز ذاك اذا جاءت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً - اولا محل لها لاستينافها - فان قلت لكل واحد من القمرين فلان على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلانك - قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقتلهم سيفا اي كل واحد منهم - او كساهم وقتلهم هذين الجنسين فاكتفي بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس - كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفي الله عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يتخذ في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان ميت انت ايتقى هؤلاء وفي معناه قول القائل شعر • فقل للشامتين بنا افيقوا • ميلقى الشامتون كما لقينا • اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلاء وما يجب فيه الشكر من النعم واليذا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر واما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار - و [فتنة] مصدر موكد لنبلوكم من غير لفظه • الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سَمِعْنَا فَتَنَى يَذْكُرُهُمْ وقوله [أهذا الذي يذكركم] والمعنى انهم عاكفون بهمهم على ذكر الهتهم وما يجب ان لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم ان يذكرها ذاك بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدةانية فهم به كافرون ولا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك مُحَقَّقٌ وهم مبطلون - وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيئمة وقولهم وما الرحمن انسجد لِمَا تَأْمُرُنَا - وقيل بذكر الرحمن بما انزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهز والسخرية وهي الكفر بالله • كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار [ويقولون مئى هذا الوعد] فاراد نهيمهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولاً ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع

أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ۖ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سَبِيلًا لَعَلَّهُمْ يَرْتَدُّونَ ۝ وَجَعَلْنَا
السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۚ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَالنَّهَارَ وَاللَّيْلَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ كُلٌّ فِي
الْجُزْءِ ١٧

ع ٢

أَلَمْ يَرِ بِغَيْرِ دَاوٍ وَ رَتَقًا بفتح الداء و كلاهما في معنى المفعول كالخلق و الذفص اي كانتا مرتوتين -
فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع مرتوتين لانه مصدر فما بال الرتق - قلت هو على تقدير موصوف
اي كانتا شيئًا رتقًا - ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما - او كانت السموات متلاصقات
و كذلك الارضون لا فرج بينها ففتقها الله و فرج بينهما - وقيل فتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مضممة -
وانما قيل كانتا دون كُنَّ لان المراد جماعة السموات و جماعة الارض و نحوه قولهم لقاحان سوداران اي
جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر - فان قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك -
قلت فيه وجهان - احدهما انه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد - و
الثاني ان تلاصق الارض و السماء و تباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص
وهو القديم سبحانه ۝ [وَجَعَلْنَا] لا يخلو اما ان يتعدى الى واحد او اثنين - فان تعدى الى واحد فالمعنى
خلقنا من الماء كل حيوان كقوله وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ او كانا خلقنا من الماء لفرط احتياجه اليه
وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ - و ان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي
بسبب من الماء لا بد له منه - ومن هذا نحو من في قوله صلى الله عليه وآله سلم ما انا من دابة ولا الدابة مني -
وقرى حيا وهو المفعول الثاني و الطرف لغو - اي كراهة [أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ] و تضطرب - او لَانَّ لَا تَمِيدَ بِهِمْ
فحذف لا واللام و انما جاز حذف لا لعدم الالباس كما تزداد لذلك في نحو قوله لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ وَ
هذا مذهب الكوفيين - الفتح الطريق الواضح - فان قلت في العجاج معنى الوصف فما لها قدمت
على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا - قلت لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت
حالا كقوله ۝ ع ۝ لعزة موحشا طلل قديم ۝ فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى - قلت فيه وجهان - احدهما اعلام
بانه جعل فيها طرقا واسعة - والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما اُبهم ثمة - [مَحْفُوظًا]
حفظه بالامساك بقدرته من ان يقع على الارض و يتزلزل - او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه
من الملكة [عَنْ آيَاتِهَا] اي عما وضع الله فيها من الادلة و العبر بالشمس والقمر و هائل النيرات و مسائرهما
و طلوعها و غروبها على الحساب القويم و الترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة و القدرة الباهرة و
اي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على
عظمة شان من اوجدها عن عدم تدبرها ونصبها هذه النصب و اودعها ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا
هو عزت قدرته و لطف علمه - و قرى عَنْ آيَاتِهَا بالتوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس اي هم
متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية بالاستضاءة بقمرها والاهتداء بكواكبها و حيوة الارض

بَرَهَانَكُمْ ٢ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعْنِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي ٣ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ٤ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ٥ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ٦ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ٧ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ٨ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ٩ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلْيَنْجَزِ بِهِ جَهَنَّمَ ١٠ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ١١ أَوَلَمْ يَرَوْا أَن السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ١٢ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ١٣

بالذكر كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الأصل - والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم وهم - من بعد غلبهم ميعلون - وروي من معني ومن قبلي على من الاضافية في هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب و العذر فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل و بعد و عند و لكن وما اشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على اخواته - وقرئ ذكر معني و ذكر قبلي كانه قيل بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثمة جاء هذا الاعراض ومن هناك ورد هذا الانكار - وقرئ الحق بالرفع على توميض التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل - ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل - يوحى - و [نوحى] مشهورتان - وهذه الآية مقررة لما سبقها من أي التوحيد نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بذات الله نزهة ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احوال و صفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا - وقرئ مكرمون - ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقته والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيب الالم مناب الاضافة اي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه و كما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون و يذرون مما قدموا وآخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلا حاطتهم بذلك يضبطون انفسهم و يراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله و أهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله [مشفقون] اي متوقعون من اماراة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله - وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه رأى جبرئيل ليلة المعراج ساقطاً كالجلس من خشية الله - وبعد ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده و اننى عليهم و اضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجاً بالوعيد الشديد و انذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفضيع امر الشرك وتعظيم شأن التوحيد • قرئ

فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ⑥ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ⑦ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ٥ قُلْ هَاتُوا

مؤرة الانبياء ٢١

الجزء ١٧

ع ١

لأن الألهية لما صحت صحت معها الاقتدار على الابداء و الاعادة و نحو قوله من الأرض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكّي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايدان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الالهة على ضربين ارضية و سماوية و من ذلك حديث الأمة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها نفى الالهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله تعالى - و يجوز ان يراد الالهة من جنس الارض لانها اما ان تنحست من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الارض - فان قلت لابد من نكتة في قوله هم - قلت النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا الهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم - و قرأ الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها - وصفت الهة بالآ كما توصف بغير لو قيل الهة غير الله - فان قلت ما منعك من الرفع على البدل - قلت لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب و البدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله و لا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكُ و ذلك لان اعم العام يصح نفيه و لا يصح ايجابه و المعنى لو كان يتولاها و يدبر امر هما الهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا - وفيه دلالة على امرين - احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا - و الثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا آية وحده لقوله الا الله - فان قلت لم وجب الامران - قلت لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب و التذاكر و الاختلاف - وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري و لكن لا يجتمع فحلان في شئ و هذا ظاهر - و اما طريقة التمانع فلمتكلمين فيها تجارل و طراد و لان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت و تستقر • اذا كانت عادة الملوك و الجبابرة ان لا يسألهم من في مملكتهم عن افعالهم و عما يؤردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيباً و اجلاً مع جواز الخطاء و الزلل و انواع الفساد عليهم كان ملك الملوك و رب الارباب خالقهم و رازقهم اولى بان لا يسأل عن افعاله مع ما علم و استقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة و لا يجوز عليه الخطاء و لا فعل القبائح [وَهُمْ يُسْأَلُونَ] اي هم مملوكون مستعبدون خطائون فما اخلقهم بان يقال لهم ام فعلتم في كل شيء فاعلوه • كثر [أَمْ اتَّخَذُوا] من دونه الهة استفظاعاً لشانهم واستعظاماً لكرهم - اي وصفتم الله تعالى بان له شريكاً - [هَاتُوا] اي هاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل و اما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتاباً من كتب الالوين الا و توحيد الله و تنزيهه عن الانداد مدعو اليه و الاشراف به منهياً عنه متوعد عليه فيه - اي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر اي عظة للذين معي يعني امته و ذكر للذين قبلي يريد امم الانبياء - و قري ذكر من معي - و ذكر من قبلي بالتدوين و من مفعول منصوب

أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آلَاتٍ خُذْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا مُفْعِلِينَ ۝ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۝
وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝
يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ۝ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۝

و العجائب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب و انما سويناها للفوائد الدينية
و الحكم الربانية لتكون مطارج ابتكار و اعتبار و استدلال و نظير لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي
لا تعد و المرافق التي لا تحصى - ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب و انتفائه عن افعالي
هو ان الحكمة صارفة عنه و الا فانا قادر على اتخاذ ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير و قوله [لَاتَّخَذْنَاهُ
مِنْ لَدُنَّا] كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا - و قيل اللهو الولد بلغة اليمن - و قيل المرأة - و قيل من
لدنا اي من الملئكة لا من الانس ردا لولادة المسيح و عزير * [بل] اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب
و تنزيه منه لذاته كانه قال سبحانه ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا و موجب حكمتنا و استغنائنا
عن القبيح ان تغلب اللعب بالجد و ندحض الباطل بالحق و استعار لذلك القذف و الدمع تصويرا
لابطاله به و اهداره و محقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثم
قال [وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ] به مما لا يجوز عليه و على حكمته - و قرئ فَيَدْمَغُهُ بالنصب و هو في ضعف
قوله * شعر * سائر كمنزلي لبني تميم * و الحق بالحجاز فاستريحا * و قرئ فَيَدْمَغُهُ * [مَنْ عِنْدَهُ] هم الملئكة
و المراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل و البيان
لشرفهم و فضلهم على جميع خلقه - فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور و كان الابلاغ في وصفهم ان ينفى
عنهم ادنى الحسور - قلت في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور و اقصاه و انهم احقوا
لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا - فما يفعلون اي تسبيحهم متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله
فترة بفراغ او بشغل آخر - هذه ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل و الهزلة قد اذنت بالاضراب عما قبلها
و الانكار لما بعدها و المنكر هو اتخاذهم الهة [مَنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ] الموتى و لعمرى ان من اعظم
المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموت - فان قلت كيف انكر عليهم اتخاذ الهة تنشروا ما كانوا يدعون ذلك
لالهتهم و كيف وهم ابعد شيء عن هذه الدعوى و ذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله تعالى بانه خالق السموات
و الارض و لمن سألهم مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ و بانه القادر على المقدورات كلها و على النشأة
الاولى منكرين البعث و يَقُولُونَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ و كان عندهم من قبيل المحال الخارج عن
قدرة القادر كثنائي القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا - قلت الامر كما ذكرت و لكنهم بادعائهم
لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانفصال لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور و الانفصال من جملة
المقدورات و فيه باب من التهم بهم و التوبيخ و التجهيل و اشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعادها

يَرْكُضُونَ ۖ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ۖ قَالُوا يُؤَيَّلْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۖ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوُهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ۖ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ۖ لَوْ

سورة الانبياء ٢١
الجزء ١٧
ع ١

انه لما اخذتهم السيوف و نادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء ندموا و اعترفوا بالخطاء و ذلك حين لم ينفعهم الندم و ظاهر الآية على الكثرة و لعل ابن عباس ذكر حضور بانها احدى القرى التي ارادها الله بهذه الآية - فلما علموا شدة بطشتنا و عذابنا علم حس و مشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم - و الركض ضرب الدابة بالرجل و منه قوله اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب - و يجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم ف قيل لهم لا تركضوا و القول محذوف - فان قلت من القائل - قلت يحتمل ان يكون بعض الملئكة - او من ثم من المؤمنين - او يجعلون خلقا بان يقال لهم ذلك و ان لم يقل - او يقوله رب العزة و يسمعه ملكه لينفعهم في دينهم - او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم [و ارجعوا الى ما اترفتم فيه] من العيش الرافه و الحال الناعمة و الانراف ابطار النعمة و هي الترفة [لعلكم تسألون] تهكم بهم و توبيخ اي ارجعوا الى نعيمكم و مساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم و نزل باموالكم و مساكنكم فتجيبوا السائل عن علم و مشاهدة - او ارجعوا و اجلسوا كما كنتم في مجالسكم و ترتبوا في مراتبكم حتى يسالكم عبيدكم و حشمكم و من تملكون امره و ينفذ فيه امركم و نهيككم و يقولوا لكم بم تأمرون و ما ذا ترسمون و كيف نأتي و نذر كعادة المنعمين المتخدمين - او يسالكم الناس في آذيتكم المعاون في نوازل الخطوب و يستشيرونكم في المهمات و العوارض و يستشفون بتدابيركم و يستضيئون بارائكم - او يسالكم الوافدون عليكم و الطماع و يستمطرون سحائب اكفكم و يمترون اخلاف معروفكم و ايدايكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رياء الناس و طلب الذناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم و توبيخا الى توبيخ * [تلك] اشارة الى يؤيّلنا لانها دعوى كانه قيل فَمَا زَالَتْ تِلْكَ الدَّعْوَى دَعْوَاهُمْ و الدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى و اخِر دَعْوَاهُمْ اِنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - فان قلت لم سميت دعوى - قلت لان المؤول كانه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا وقتك - و تلك مرفوع - او منصوب اما او خبرا و كذلك دَعْوَاهُمْ - الحصيد الزرع المحصود اي جعلنهم مثل الحصيد شبههم به في استيصالهم و اصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد - و الضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ و المنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية - فان قلت كيف ينصب جعل ثلثة مفاعيل - قلت حكم الاثنين الاخيرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلاوا حامضا جعلته جامعا للطعين و كذلك معنى ذلك جعلنهم جامعين لمماثلة الحصيد و الخمود * اي و ما سويتنا هذا السقف المرفوع و هذا المهاد الموضوع و ما بينهما من اصناف الخلئق مشحونة بضروب البدائع

بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ۖ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ۖ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۖ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۖ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۖ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۖ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۖ فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَمْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا

قول واحد - و يجوز ان يكون تغزيباً من الله تعالى لا قوالهم في درج الفساد و ان قولهم الثاني افسد من الاول و الثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث - صحة التشبيه في قوله [كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ] من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للآيات بالآيات الا ترى انه لا فرق بين ان نقول ارسل محمد و بين قولك اتى محمد بالمعجزة * [أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ] فيه انهم اعتدى من الذين اقترحوا على انبيائهم الآيات وعهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث * امرهم ان يستعلموا اهل الذكروهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملئكة كما اعتقدوا و انما احوالهم على اولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم قال الله تعالى وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا فلا يكذبونهم فيما هم فيه ردة لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم * [لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ] صفة لجسداً و المعنى و ما جعلنا الانبياء قبله ذري جسد غير طاعمين و وحد الجسد لارادة الجنس كانه قال ذري ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ - فان قلت نعم قد ردة انكارهم ان يكون الرسول بشراً يأكل و يشرب بما ذكرت فما ذا ردة من قولهم بقوله [وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ] - قلت يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت - او يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم و يخلد إما معتقدين ان الملئكة لا يموتون او مستمين حيوتهم المتطاوله و بقاءهم الممتد خلوداً * [صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ] مثل و اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ و الاصل في الوعد و من قومه و منه صدقوهم القتال و صدقني سن بكرة [وَمَنْ نَشَاءُ] هم المؤمنون و من في بقائه مصلحة * [ذِكْرُكُمْ] شرفكم و صيتكم كما قال وَاِنَّهُ لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ - او موعظتكم - او فيه مكارم الاخلاق اللتي كنتم تطلبون بها الثناء و حسن الذكر كحسن الجوار و الوفاء بالعهد و صدق الحديث و اداء الامانة و السخاء و ما اشبه ذلك - [وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ] واردة عن غضب شديد و مناديه على سخط عظيم لان القصم اقطع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف القصم - و اراد بالقريه اهلها ولذلك وصفها بالظلم و قال [قَوْمًا آخَرِينَ] لان المعنى اهلكنا قوماً و انشأنا قوماً آخرين - و عن ابن عباس انها حضور وهي و سحول قريتان باليمن ينسب اليهما الثياب - و في الحديث كُفِّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي ثَوْبَيْنِ سَحُولِيَيْنِ - و روي حضوريين - بعث الله اليهم نبياً فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه الله على اهل بيت المقدس فاستأصلهم - و روي

سورة الانبياء ٢١

الجزء ١٧

ع ١٧

يَلْعَبُونَ ۖ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ ۚ وَاسْرُوا النَّجْوَى ۚ الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ۚ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۚ قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ

جدوى فطنتهم كأنهم لم يفتنوا أصلاً و ثبتوا على رأس غفلتهم و ذهولهم عن التأمل و التبصر بقلوبهم -
فإن قلت النجوى و هي اسم من التناجي لا تكون إلا خفية فما معنى قوله و اسرؤا - قلت معناه و بالغوا
في اخفائها - او جعلوها بحيث لا يفتن احد لتناجيهن و لا يعلم انهم متناجون - ابدل الذين ظلموا من
وارد اسرؤا اشعاراً بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسرؤا به - او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث -
او هو منصوب المحل على الذم - او هو مبتدأ خبره و اسرؤا النجوى قدم عليه و المعنى و هؤلاء اسرؤا النجوى
فوضع المظهر موضع المضمرة تسجيلاً على فعلهم بانه ظلم [هل هذا إلا بشر مثلكم افاتون السحر و انتم
تبصرون] هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي و اسرؤا هذا الحديث - و يجوز ان يتعلق
بقالوا مضمراً - اعتقدوا ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا يكون إلا ملكاً و ان كل من ادعى الرسالة
من البشر و جاء بالمعجزة فهو ساحر و معجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر و انتم
تُشاهدون و تعيرون انه سحر - فإن قلت لم اسرؤا هذا الحديث و بالغوا في اخفائه - قلت كان ذلك شبهة
التشاور فيما بينهم و التحاور في طلب الطريق الى هدم امره و عمل المنصوبة في التثبيط عنه و عادة
المتشاورين في خطب ان لا يشركوا اعداءهم في شوراها و يتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما امكن و استطاع
و منه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان و يرفع الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم - و يجوز
ان يسرؤا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و المؤمنون ان كان ما تدعونه
حقاً فآخبرونا بما امرنا به - فإن قلت هلا قيل يعلم السر لقوله و اسرؤا النجوى - قلت القول عام يشمل السر
و الجهر فكان في العلم به العلم بالسر و زيادة فكان أكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر
كما ان يعلم السراكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه [السميع العليم] لذاته فكيف تخفى عليه
خافية - فإن قلت فلم ترك هذا الاكد في سورة الفرقان في قوله قل انزلني الذي يعلم السر في السموات
و الأرض - قلت ليس بواجب ان يجيء بالاكذ في كل موضع و لكن يجيء بالوكيد تارة و بالاكذ اخرى كما
يجيء بالحسن في موضع و بالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتدانا و يجمع الغاية و ما دونها على ان اسلوب
تلك الآية خلاف اسلوب هذه من قبل انه قدم ههنا انهم اسرؤا النجوى فكأنه اراد ان يقول ان ربّي يعلم
ما اسرؤوا فوضع القول موضع ذلك للمبالغة و ثمة قصد وصف ذاته بان انزلني الذي يعلم السر في السموات
و الأرض فهو كقوله علام الغيوب - عالم الغيب - لا يعزب عنه مثقال ذرة - و قرئ قال ربّي حكاية لقول
النبي صلى الله عليه و آله و سلم لهم * اضربوا عن قلوبهم هو سحر الى انه تخاليط أحلام - ثم الى انه
كلام مفترى من عنده - ثم الى انه قول شاعر و هكذا الباطل لجامح و المبطل متحير رجاع غير ثابت على

حروفها
٥١٥٤

سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنا عشر آية و سبع ركوعا

كلماتها
١١٨٧

سورة الانبياء ٢١

الجزء ١٧

ع ١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥

اِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ٥ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ

سورة الانبياء

هذه اللم لا تخلص من ان تكون صلة لاقترب - او تأكيداً لاضافة الحساب اليهم كقولك ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي رحيلهم و نحوه ما اورده سيدييه في باب ما ينتهي فيه المستقر توكيداً عليك زيد حريص عليك و فيك زبد راغب فيك و منه قولهم لا ابا لك لان اللم مؤكدة لمعنى الاضافة و هذا الوجه اغرب من الاول - و المراد اقتراب الساعة و اذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب و الثواب و العقاب و غير ذلك و نحوه و اقترب الوعد الحق - فان قلت كيف وصف بالاقتراب و قد عدت دون هذا القول اكثر من خمس مائة عام - قلت هو مقترب عند الله و الدليل عليه قوله تعالى وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ - وَ كُنْ يُخَافُ اللَّهُ وَعْدَهُ - وَ انْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَنْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ وَ لان كل ايت و ان طالأت اوقات استقباله و ترقبه قريب و انما البعيد هو الذي وجد و انقضى و لان ما بقي من الدنيا اقصر و اقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان - و قال صلى الله عليه و اله و سلم بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ - و في خطبة بعض المتقدمين و لت الدنيا حذاء و لم يبق الا صُباة كُصْبَابَةُ الْاَنَاءِ و اذا كانت بقية الشيء و ان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلّة و قصر الذرع - و عن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون و هذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم و هو ما يلقوه من صفات المشركين - و صفهم بالغفلة مع الاعراض على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم و لا يتفطنون لما ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لابد من جزاء للمحسن و المسيء و اذا قرعت لهم العصا و نُبِّهوا عن سنة الغفلة و فطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الايات و النذر اعرضوا و سدوا آسماعهم و نغروا و قتر اعراسهم عن تنبيه المذنب و ايقاظ الموقظ بان الله يجدد لهم الذكر وقتاً فوقتاً و يحدث لهم الاية بعد الاية و السورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه و الموعظة لعلمهم يتعظون فما يزيدهم استماع الالي و السور و ما فيها من فنون المواعظ و البصائر اللتي هي احق الحق و اجد الجدة الا لعباً و تلهياً و استسخاراً - و الذكر هو الطائفة النازلة من القران - و قرأ ابن ابي عبدلة مُحَدَّثٌ بِالرَّفْعِ صِفَةً عَلَى الْمَحَلِّ - قوله [وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَأَهِيَّةً قُلُوبُهُمْ] حالان مترادفتان - او متداخلتان - و من قرأ لَأَهِيَّةً بِالرَّفْعِ فالحال واحدة لان لَأَهِيَّةً قُلُوبُهُمْ خبر بعد خبر لقوله وَهُمْ - و الالهية من لهي عنه اذا ذهل و غفل يعني انهم و ان فطنوا فهم في قلة

لِلتَّقْوَى ۝ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ وَكُنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ
مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزَى ۝ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ
فَتَرَبَّصُوا ۚ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ۝

سورة طه ٢٠

الجزء ١٩

ع ١٧

الأخرة الذي هو خَيْرُ منه في نفسه و آدوم - او ما رزقه من نعمة الاسلام والذبوة - او لان اموالهم الغالب عليها
الغصب و العرق و الحرمة من بعض الوجوه و الحلال خَيْرٌ و أَبْقَى لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل
و طاب دون ما حرم و خبث و الحرام لا يسمي رزقا - و عن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله
صلى الله عليه و آله و سلم الى يهودي و قال قُلْ له يقول لك رسول الله اقضني الى رجب فقال
والله لا اقضته الا برهن فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم اني لامين في السماء و اني لامين
في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت و لَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ ۝ [وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ] اي و اقبل انت
مع اهلك على عبادة الله و الصلوة و استعينوا بها على خصامتك و لا تهتم بامر الرزق و المعيشة فان
رزقك مكففي من عندنا و نحن رازقوك و [لَا تَسْأَلْكَ] ان ترزق نفسك و لا اهلك ففرغ بالك لامر الاخرة -
و في معناه قول الناس مَنْ كان في عمل الله كان الله في عمله - و عن عروة بن الزبير انه كان اذا
راعى ما عند السلاطين قرأ و لَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ الآية ثم ينادي الصلوة الصلوة رحمكم الله - و عن بكر بن
عبد الله المزني كان اذا اصابت اهله خصاصة قال قوموا فصلتوا بهذا امر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية •
اقتصرها على عادتهم في التعمت آية على الذبوة ف قيل لهم أَوَلَمْ تَأْتِكُمْ آية هي ام الآيات و اعظمها في
باب الاعجاز يعنى القرآن من قبل ان القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة و دليل صحته لانه
معجزة و تلك ليس بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها انتقار المحتج عليه الى
شهادة الحجة - و قرئ الصُّحُف بالتخفيف - ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل -
قرئ نَذَلَّ وَنُخْزَى على لفظ ما لم يسم فاعله • [كُلُّ] اي كل واحد متا و منكم [مُتَرَبِّصٌ] للعاقبة و لما يؤول اليه
امرنا و امركم - و قرئ السَّوَاءَ بمعنى الوسط و الجيد او المستوي - و السَّوِيَّ - و السَّوْنَى - و السَّوِيَّ تصغير السَّوِيَّ -
و قرئ فَنَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ - قال ابو رافع حفظته من النبي صلى الله عليه و آله و سلم - عن رسول الله
صلى الله عليه و آله و سلم مَنْ قرأ سورة طه اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين و الانصار - و قال لا يقرأ اهل
الجنة من القرآن الا طه و يسين •

لَعَلَّكَ تَرْضَى ۝ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۚ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۚ نَحْنُ نَرْزُقُكَ ۚ وَالْعَاقِبَةُ

النَّهَارِ] مختصا لهما بصلواتك - وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لا اجتماع القلب وهدو الرجل والخلو
بالرب وقال الله تعالى ان نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ اَشَدُّ وَطْأً وَاَقْوَمُ قِيْلًا وقال اَمِنْ هُوَ قَانِتٌ اَنَّهُ اَلَّيْلٌ مَّاجِدًا و
قَانِمًا وَاَنَّ اللَّيْلَ وَقْتُ السَّكُونِ وَالرَّاحَةِ فَاِذَا صُرِفَ اِلَى الْعِبَادَةِ كَانَتْ عَلَى النَّفْسِ اَشَدَّ وَاَشَقَّ وَلِلْبَدَنِ اَتْعَبَ
وَانْصَبَ فَكَانَتْ اَدْخَلَ فِي مَعْنَى التَّكْلِيفِ وَ اَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ - وَ قَدْ تَنَازَلَ التَّسْبِيحُ فِي اَنَاءِ اللَّيْلِ صَلَاةَ
الْعَتَمَةِ وَ فِي اطْرَافِ النَّهَارِ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ وَ صَلَاةَ الْفَجْرِ عَلَى التَّكْرَارِ اِرَادَةَ الْاِخْتِصَاصِ كَمَا اخْتَصَتْ فِي قَوْلِهِ
حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ عِنْدَ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ - فَاِنْ قُلْتَ مَا وَجَّهَ قَوْلُهُ وَ اطْرَافَ النَّهَارِ عَلَى الْجَمْعِ
وَاِنَّمَا هُوَ طَرَفَانِ كَمَا قَالَ اَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ - قُلْتَ اَلْوَجْهَ اَمِنْ الْاِبْسَاسِ وَ فِي التَّنْثِيَةِ زِيَادَةُ بَيَانٍ وَ نَظِيرُ مَجِيءِ
الْاَمْرَيْنِ فِي الْاِثْنَيْنِ مَجِيئُهُمَا فِي قَوْلِهِ * ظَهَرَا مِثْلَ ظَهْرِ التَّرْسَيْنِ * وَ قَرِئَ وَ اطْرَافَ النَّهَارِ عَطْفًا عَلَى اَنَامِي
الَّيْلِ - وَ [لَعَلَّ] لِلْمُخَاطَبِ اِي اذْكُرِ اللَّهَ فِي هَذِهِ الْاَوْقَاتِ طَمَعًا وَ رَجَاءً اِنْ تَنَالَّ عِنْدَ اللَّهِ مَا بِهِ [تَرْضَى] نَفْسُكَ وَ يَسَّرَ
قَلْبُكَ - وَ قَرِئَ تَرْضَى اِي يَرْضِيكَ رَبُّكَ * [وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ] اِي نَظَرَ عَيْنَيْكَ وَ مَدَّ النِّظَرَ تَطْوِيلُهُ وَ اَنْ لَا يَكُنْ يَرْدُهُ
اِسْتِحْسَانًا لِلْمَنْظُورِ اِلَيْهِ وَ اِعْجَابًا بِهِ وَ تَمَنِّيًا اِنْ يَكُونُ لَهُ كَمَا فَعَلَ نَظَارَةُ قَارُونَ حِينَ قَالُوا يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا
اَوْتِيَ قَارُونَ اِنَّهُ لَكَدُوٌّ حَظٌّ عَظِيمٌ حَتَّى وَاجِبُهُمْ اَوَّلُ الْعِلْمِ وَ الْاِيْمَانِ بِوَيْلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ اَمِنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا -
وَ فِيهِ اِنْ النِّظَرَ غَيْرَ الْمَمْدُودِ مَعْفُوعُهُ وَ ذَلِكَ مِثْلَ نَظَرٍ مِنْ بَادِهِ الشَّيْءِ بِالنِّظَرِ ثُمَّ غَضَّ الطَّرْفَ وَ لَمَّا كَانَ النِّظَرُ
اِلَى الزَّخَارِفِ كَالْمُرْكُوزِ فِي الطَّبَاعِ وَ اِنْ مَنْ اَبْصَرَ مِنْهَا شَيْئًا احَبَّ اِنْ يَمُدَّ اِلَيْهِ نَظْرَهُ وَ يَمْلَأُ مِنْهُ عَيْنَيْهِ قِيلَ
وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ اِي لَا تَفْعَلْ مَا اَنْتَ مُعْتَادٌ لَهُ وَ ضَارِبٌ بِهِ - وَ لَقَدْ شَدَّدَ الْعُلَمَاءُ مِنْ اَهْلِ التَّقْوَىٰ فِي وَجُوبِ
غَضِّ الْبَصَرِ عَنِ ابْنِيَةِ الظُّلْمَةِ وَ عُدَدِ الْفَسَقَةِ فِي الْاِبْسَاسِ وَ الْمَرَكَبِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ لِاَنَّهُمْ اِنَّمَا اتَّخَذُوا هَذِهِ الْاَشْيَاءَ
لَعْيُونَ النَّظَارَةَ فَالْناظِرُ اِلَيْهَا مُحْصِلٌ لِّغَرَضِهِمْ وَ كَالْمُغْرِبِ لَهُمْ عَلَى اتَّخَاذِهَا [اَزْوَاجًا مِنْهُمْ] اَصْنَافًا مِنَ الْكُفْرِ - وَ يَجُوزُ
اِنْ يَنْتَسِبُ حَالًا مِنْ هَؤُلَاءِ الضَّمِيرِ وَ الْفِعْلِ وَاقِعٌ عَلَى مِنْهُمْ كَاَنَّهُ قَالَ اِلَى الَّذِي مَتَّعْنَاهُ وَ هُوَ اَصْنَافٌ مِنْهُمْ
وَ نَاسًا مِنْهُمْ - فَاِنْ قُلْتَ عَلَامَ اِنْتِصَابِ [زَهْرَةَ] قُلْتَ عَلَى اَحَدِ اَرْبَعَةِ اَوْجِهٍ - عَلَى الذَّمِّ وَ هُوَ اِنْتِصَابٌ عَلَى
الْاِخْتِصَاصِ - وَ عَلَى تَضْمِينِ مَتَّعْنَا مَعْنَى اَعْطَيْنَا وَ خَوَّلْنَا وَ كَوْنِهِ مَفْعُولًا ثَانِيًا لَهُ - وَ عَلَى اِبْدَالِهِ مِنْ مَحَلِّ الْجَارِ
وَالْمَجْرُورِ - وَ عَلَى اِبْدَالِهِ مِنْ اَزْوَاجًا عَلَى تَقْدِيرِ ذَوِي زَهْرَةَ - فَاِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى الزَّهْرَةِ فَيَمْنُ حَرَكٌ - قُلْتَ
مَعْنَى الزَّهْرَةِ بَعِيْنُهُ وَ هُوَ الزَّيْنَةُ وَ الْبَهْجَةُ كَمَا جَاءَ فِي الْجَهْرَةِ الْجَهْرَةُ قَرِئَ اَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةَ - وَ اِنْ تَكُونُ جَمْعُ
زَاهِرٍ وَ صِفًا لَهُمْ بِاَنَّهُمْ زَاهَرُوا هَذِهِ الدُّنْيَا لَصَفَاءِ الْوَانِهِمْ مِمَّا يَلْمُونَ وَ يَتَنَعَّمُونَ وَ تَهْلُلُ وَجُوهَهُمْ وَ يَهْهَى زَيْتُهُمْ وَ
شَارَتُهُمْ بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ وَ الصَّالِحُونَ مِنَ شَحْوَبِ الْاَلْوَانِ وَ التَّقَشُّفِ فِي الثِّيَابِ [لِنَفْتِنَهُمْ] لِنَبْلُوهُمْ حَتَّى
يَسْتَوْجِبُوا الْعَذَابَ لَوْجُودِ الْكُفْرَانِ مِنْهُمْ - اَوْ لِنُعَذِّبَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ بِسَبَبِهِ [وَرِزْقُ رَبِّكَ] هُوَ مَا اَدْخَلَ مِنْ ثَوَابِ

فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۝ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ۝ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۝ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۝ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِنِهِمْ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ۝ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَانٍ وَّاجِلٌ مُّسَمًّى ۝ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۝ وَمِنْ أَنَاغٍ الْيَلِ فَسَبِّحْ وَاطَّرَافَ النَّهَارِ

سورة طه ٢٠

الجزء ١٤

ع ١٤

وَالْمَسْكَنَةِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ - وقال ولوأنهم أقاموا التَّوْبَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ - وقال ولو أن أهل القرى آمنوا واتَّقوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ - وقال احتغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا - وقال وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقينهم ماء غدقا - وعن الحسن هو الضريع والزقوم في النار - وعن أبي سعيد الخدري عذاب القبر - قرئ ونَحْشُرُهُ بِالْجُزْمِ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا لَأنه جواب الشرط - وقرئ ونَحْشُرُهُ بِسُكُونِ الْهَاءِ عَلَى لَفْظِ الْوَقْفِ وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وَجْهِهِمْ عَمِيًّا وَبَكْمًا وَصَمًّا وَكَمَا فَسَّرَ الزُّرْقُ بِالْعُمَى * [كَذَلِكَ] أي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر إليها بعين الاعتبار ولم تدبّر وتركها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك - لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى كانه قال وَلَلْحَشْرُ عَلَى الْعَمَى الَّذِي لَا يَزُولُ ابْدًا أَشَدُّ مِنْ ضِيقِ الْعَيْشِ الْمُنْقِضِي - أو أراد ولتركنا آياتنا في العمى أَشَدُّ وَأَبْقَى مِنْ تَرْكِه لآياتنا * فاعل [لَمْ يَهْدِ] الجملة بعده يريد ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ أي تركنا عليه هذا الكلام - ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول ويدل عليه القراءة بالذوق - وقرئ يَمْشُونَ يريد أن قريشا يتقلبون في بلاد عاد و ثمود و يمشون في مساكنهم و يعاينون آثار هلاكهم * الكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل أهلكنا عادًا و ثمودًا لازما لهؤلاء الكفرة - و اللزام اما مصدر لازم وصف به - و اما فِعَالٌ بِمَعْنَى مِفْعَلٍ أي ملزم كانه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لئلا نلزم خصم [وَاجِلٌ مُّسَمًّى] لا يخلو من أن يكون معطوفا على كَلِمَةٍ - أو على الضمير في كَانَ أي لكان الأخذ العاجل و اجل مسمى للزمين له كما كانا للزمين لعاد و ثمود و لم ينفرد الاجل المسمى دون الأخذ العاجل * [بِحَمْدِ رَبِّكَ] في موضع الحال أي وانت حامد لربك على أن وقفت للتسبيح و أعانك عليه - المراد بالتسبيح الصلوة - أو على ظاهرة - قدم الفعل على الاوقات أولاً والاوراق على الفعل آخرًا فكانه قال صل لله [قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ] يعنى الفجر [وَقَبْلَ غُرُوبِهَا] يعنى الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها - وتعمد [أَنَاغٍ الْيَلِ] و اطراف

سورة طه ٢٠ وَهْدَى ٥ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ٦ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ٧ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ

الجزء ١٩

ع ١٥

في اول الامر و كاد امشارفته و الدنومنه - قرعى - يُخَصِّفُ للتكثير و التكرير من خصف النعل و هو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان الورق بصواتهما للتستر و هو ورق التين - و قيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما - و قيل كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما و تركت هذه البقايا في اطراف الاصابع - عن ابن عباس لا شبهة في ان آدم عليه السلام لم يمثل ما رسم الله له و تخطى فيه ساحة الطاعة و ذلك هو العصيان و لما عصى خرج فعلمه من ان يكون رشدا و خيرا فكان غيلا لا محالة لان الغي خلاف الرشاد و لكن قوله وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى بهذا الاطلاق و بهذا التصريح و حيث لم يقل و زل آدم و اخطأ و ما اشبه ذلك مما يعتربه عن الزلات و الفرطات فيه لطف للمكلفين و مزجرة بليغة و موعظة كافة و كانه قيل لهم انظروا و اعتبروا كيف نعت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنقرة زلته بهذه الغلظة و بهذا اللفظ الشنيع فلا تنهاونوا بما يفرط منكم من السيئات و الصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر - و عن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل و هذا و ان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فَنِيَّ و بَقِيَّ فنا و بقى و هم بنوطي تفسير خبيث - فان قلت ما معنى [ثُمَّ اجْتَبَيْتُهُ رَبَّهُ] - قلت ثم قبله بعد التوبة و قربته اليه من جبي الي كذا فاجتبىته و نظيرة جلبت علي العروس فاجتلبيتها و منه قوله تعالى وَاِذَا لَمْ تَأْتِيَهُمْ بَايَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا اَي هَلَّا جلبت اليك فاجتبيتها و اصل الكلمة الجمع و يقولون اجتبى الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار [وَ هْدَى] اي وفقه لحفظ التوبة و غيره من اسباب العصمة و التقوى - لما كان آدم و حواء اصلي البشر و السببين الذين منهما نشأوا و تفرعوا جعلاهما البشري في انفسهما فخطبنا مخاطبتهم فقل [فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ] على لفظ الجماعة و نظيره اسنادهم الفعل الى السبب و هو في الحقيقة للمستب [هُدًى] كتاب و شريعة - و عن ابن عباس رضي الله عنه ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا و لا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى و المعنى ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله و امثل اوامره و انتهى عن نواهيه نجا من الضلال و من عقابه - الضحك مصدر يستوي في الوصف به المذكر و المؤنث - و قرعى ضنكى على فعلى و معنى ذلك ان مع الدين التسليم و القناعة و التوكل على الله و على قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماع و سهولة فيعيش عيشا رافعا كما قال تعالى فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً و المعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الزدياد من الدنيا مستط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضحك و حاله مظلمة - كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا ظلم عليه وقته و تشوش عليه رزقه و من الكفرة من ضرب الله عليه الذلة و المسكنة لكفرة قال الله تعالى وَ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ

عَزَمًا ۖ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ۖ أَبَى ۖ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ
فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ۖ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ۖ
فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ۖ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا
مَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفُ عَلَيْهِمَا مِنْ رَرِّ الْجَنَّةِ ۖ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۖ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ

لم يَقم عَنَفٌ وقيل له قام فلان وفلان فَمَنْ انت حتى تترفع عن القيام - فان قلت فكيف صح استناده وهو جَنَى
عن الملائكة - قلت عمل على حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج الاستثناء على ذلك
كقولك خرجوا الا فلانة لامرأة بين الرجال - [اَبَى] جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه -
ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فَسَجَدُوا - وان يكون معناه اظهر الالباء وتوقف وتنبط [فلا
يُخْرِجَنَّكَ] فلا يكون سببا لاجراجكما - وانما اسند الى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشتراكهما في
الخروج لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاهم كما ان في ضمن سعادتة سعادتهم فاختصر الكلام
باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة - او اريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب
برأس الرجل وهو راجع اليه - وروي انه اهبط الى آدم ثورا احمر فكان يحرق عليه ويمسح العرق من جبينه -
قَرَى وَأَنَّكَ بالكسر والفتح وجه الفتح العطف على أَلَّا تَجُوعَ - فان قلت ان لا تدخل على ان
فلا يقال ان أن زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها - قلت الواو لم توضع
ليكون ابدا نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان لم يمتنع
اجتماعهما كما امتنع اجتماع ان وان - الشبع والري والكسوة والكن هي الاقطاب اللتي يدور عليها
كفاف الانسان فذكره استجماعا له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب
كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا - وذكرها بلفظ النفي لنقائضها اللتي هي الجوع والعري والظما
والضحو ليطلق سمعه باسمي اصناف الشقوة اللتي حذرة منها حتى يتحامي السبب الموقع فيها
كرهة لها - فان قلت كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ واخرى بالياء -
قلت وسوسة الشيطان كقولته النكلى ووعوة الذئب ووقوة الدجاجة في انها حكايات للاصوات وحكمها حكم
صوت واجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي * ع * وسوس
يدعو مخلصا رب الفلق * فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله كقوله * ع * اجرس لها يا ابن ابي كباش * ومعنى
وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه واسر اليه - اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود
لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحيوة لان من باشر اثره حيي [وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى]
دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس الا ان تكونا ملكين بالكسر - طَفِقَ يفعل كذا مثل جعل
يفعل واخذ وانشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة - هي للشرع

فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۚ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ
 أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۚ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۖ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ

او فعل الخير والطاعة - والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة - وقرئ نَحْدُثُ - وتحدث بالذنوب و
 التاء اي تحدث انت - وسكن بعضهم التاء للتخفيف كما في * ع * فاليوم اشرب غير مستحقب * [فتعالى الله
 الملك الحق] استعظام له ولما يصرف عليه عبادة من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين
 ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكوته - ولما ذكر القرآن وانزاله قال
 على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبرئيل ما يوحى اليك من القرآن فتأني عليك ربنا يسمعك ويفهمك
 ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك
 لتعجل به - وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملًا حتى يأتيك البيان - وقرئ حتى نقضي اليك وحيه
 وقوله [رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا] متضمن للتواضع لله والشكر له عند ما علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب
 لطيفة في باب التعلم وادبًا جميلًا ما كان عندي فزديني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما -
 وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في العلم * يقال في اوامر الملوك وصاياهم تقدم
 الملك الى فلان و اعز اليه وعزم عليه وعهد اليه - عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه
 مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ - والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدها
 بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم فخالف الى ما نهى
 عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اماس امر بني آدم
 على ذلك وعرقهم راح فيه - فان قلت ما المراد بالنسيان - قلت يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر
 وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك
 النسيان - وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها - وقرئ فَنَسِيَ اي
 نساها الشيطان - العزم التصميم والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يؤثس الشيطان
 من التسويل له - والوجود يجوز - ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزمًا - وان يكون نقيض العدم كانه قال و
 عدمنا له عزمًا * [اذ] منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس وسوسته اليه
 وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده
 حتى يتبين لك انه لم يكن من اولي العزم والثبات - فان قلت ابليس كان جنيًا بدليل قوله تعالى كان من
 الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ فمن اين تناوله الامر وهو للملكة خاصة - قلت كان في صحبتهم وكان يعبد الله
 عبادتهم فلما امروا بالسجود لادم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم اجدر بان يتواضع كما لو قام
 لمقبل على المجلس عليه اهله وسمراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان

لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۝ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۝ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۝
وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَفُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۝ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا

سورة طه ٢٠

الجزء ١٧

ع ١٤

في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين - قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع
في وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على اباح ما يكون وذلك انك لو عمدت الى
قطعة ارض نسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتهم على ان لم يبق
فيها اعوجاج قط ثم امتطعت راي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقائيس الهندسية
لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفي الله
تعالى ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير و
الهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقل فيه عوج بالكسر -
الامت النتو اليسير يقال مده حبله حتى ما فيه امت - اضاف اليوم الى وقت نصف الجبال في قوله
[يَوْمَئِذٍ] اي يوم ان نُسفت - ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يَوْمَ الْقِيَمَةِ - والمراد [الداعي] الى المحشر
قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا يعدلون
[لا عوج له] اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته - اي خفضت
الاصوات من شدة الفزع وخفتت [فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا] وهو الركن الخفي ومنه الحروف المهموسة - وقيل هو
من هميس الابل وهو صوت اخفائها اذا مشيت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر [مَنْ] يصلح
ان يكون مرفوعا ومنصوبا - فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة
مَنْ اَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ - والنصب على المفعولية - ومعنى [اَذِنَ لَهُ] - وَرَضِيَ لَهُ [لاجله] اي اذن للشافع ورضي
قوله لاجله - ونحو هذه اللام في قوله وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ اصْنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ * اي [يعلم ما]
تقدمهم من الحوال وما يستقبلونه [وَلَا يُحِيطُونَ] بمعلوماته عِلْمًا - المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عابثوا
يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه
قوله فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا - وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِآمِرٍ - وقوله [وَقَدْ خَابَ] وما بعده اعتراض
كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر * الظلم ان يأخذ من صاحبه فوق حقه - والهضم
ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون ويسترجعون
واذا كالتهم يخسرون - اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم - وقرئ فلا يخف على
الغبي * [وَكَذَلِكَ] عطف على كَذَلِكَ نَقُصُّ اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء الايات المضمنة
للوعد انزلنا القرآن كله على هذه التورية مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يران منهم ترك المعاصي

يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۖ يَخَافَتُونَ بِهِتَمَّ أَنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ نَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۖ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ
فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۖ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ

حَمَلًا رَزَقَهُمْ كَمَا حَذَفَ فِي قَوْلِهِ نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ الْوَبُ الَّذِي هُوَ الْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ وَ مِنْهُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَسَاءَتْ مَصِيرًا أَيْ وَسَاءَتْ مَصِيرًا جَهَنَّمَ - فَإِنْ قُلْتَ اللَّامُ فِي لَهْمَ مَا هِيَ وَبِمَ تَتَعَلَّقُ -
قُلْتَ هِيَ لِلْبَيَانِ كَمَا فِي هَيْتَ لَكَ - فَإِنْ قُلْتَ مَا انْكَرْتَ أَنْ يَكُونَ فِي سَاءَ ضَمِيرُ الْوَزْرِ - قُلْتَ
لِيَصِحَّ أَنْ يَكُونَ فِي سَاءَ وَحُكْمُهُ حُكْمُ بَدَسٍ ضَمِيرُ شَيْءٍ بَعِيدُهُ غَيْرُ مَبْهُمٍ - فَإِنْ قُلْتَ فَلَا يَكُنْ سَاءَ الَّذِي
حُكْمُهُ حُكْمُ بَدَسٍ وَلِيَكُنْ سَاءَ الَّذِي مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى سَيِّدَتِ وَجْهَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَعْنَى أَهْمٌ وَاحْزَنٌ - قُلْتَ كِفَالُ
صَادًا عَنْهُ أَنْ يُوَدَّ كَلَامُ اللَّهِ إِلَى قَوْلِكَ وَاحْزَنُ الْوَزْرِ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حَمَلًا وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَخْرُجَ عَنْ عَهْدَةِ
هَذِهِ اللَّامِ وَعَهْدَةِ هَذَا الْمَنْصُوبِ - اسْتَدَّ الْإِنْفَاحُ إِلَى الْأَمْرِ بِهِ فَيَمْنُ قَرَأَ نَفْخُ بِالْفَوْنِ - أَوَّلَانِ الْمَلَكَةُ الْمُقَرَّبِينَ
وَإِسْرَافِيلَ مِنْهُمْ بِالْمَنْزِلَةِ الَّتِي هُمْ بِهَا مِنْ رَبِّ الْعِزَّةِ فَصَحَّ لِكِرَامَتِهِمْ عَلَيْهِ وَقَرِيبِهِمْ مِنْهُ أَنْ يَسْنُدَ مَا يَقُولُونَهُ
إِلَى ذَاتِهِ - وَقَرِئَ يَنْفُخُ بِلَفْظِ مَا لَمْ يَسْمَعْ فَاعْلَمْ - وَيَنْفُخُ - وَيَحْشُرُ بِالْيَاءِ الْمَفْتُوحَةِ عَلَى الْغَيْبَةِ وَالضَّمِيرِ
لِلَّهِ تَعَالَى أَوْ لِإِسْرَافِيلَ - وَامَّا يُحْشَرُ الْمُجْرِمُونَ فَلَمْ يَقْرَأْ بِهِ إِلَّا الْحَسَنَ - وَقَرِئَ فِي الصُّورِ بِنَفْخِ الْوَاجِعِ صَوْرَةٍ -
وَفِي الصُّورِ قَوْلَانِ - أَحَدُهُمَا أَنَّهُ بِمَعْنَى الصُّورِ وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ تَدُلُّ عَلَيْهِ - وَالثَّانِي أَنَّهُ الْقُرْنُ • قِيلَ فِي الزُّرْقِ
قَوْلَانِ - أَحَدُهُمَا أَنَّ الزُّرْقَةَ ابْغَضُ شَيْءٍ مِنَ الْوَانِ الْعَيُونِ إِلَى الْعَرَبِ لِأَنَّ الرُّومَ أَعْدَاءَهُمْ وَهُمْ زُرْقُ الْعَيُونِ
وَلِذَلِكَ قَالُوا فِي صِفَةِ الْعَدُوِّ أَسْوَدُ الْكَبِدِ أَصْهَبُ السِّبَالِ أَزْرَقُ الْعَيْنِ - وَالثَّانِي أَنَّ الْمُرَادَ الْعُمِّيَّ لِأَنَّ
حَدِيقَةَ مَنْ يَذْهَبُ نَوْرَ بَصَرِهِ تَزْرَقُ - تَخَافَتُهُمْ لَمَّا يَمْلَأُ صُدُورَهُمْ مِنَ الرُّعْبِ وَالْهَوْلِ - يَسْتَقْصِرُونَ مَدَّةَ
لَبِثِهِمْ فِي الدُّنْيَا - أَمَّا لَمَّا يُعَايِنُونَ مِنَ الشَّدَائِدِ الَّتِي تُذَكِّرُهُمْ أَيَّامَ الذِّمَّةِ وَالسُّرُورِ فَيَتَأَمَّلُونَ عَلَيْهَا وَيَصِفُونَهَا
بِالْقَصْرِ لِأَنَّ أَيَّامَ السُّرُورِ قَصَارٌ - وَامَّا لِأَنَّهَا ذَهَبَتْ عَنْهُمْ وَتَقَضَّتْ وَالدَّاهِبُ وَانْ طَالَتْ مَدَّتُهُ قَصِيرٌ بِالْإِنْتِهَاءِ -
وَمِنْهُ تَوْقِيعُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَعْتِزِ تَحْتَ إِطَالِ اللَّهِ بِقَاءِكَ كَفَى بِالْإِنْتِهَاءِ قَصْرًا - وَامَّا لِاسْتِطَالَتِهِمْ الْآخِرَةَ وَانْهَا
أَبَدٌ سَرْمَدٌ يَسْتَقْصِرُ إِلَيْهَا عَمْرُ الدُّنْيَا وَيَتَقَالُّ لَبِثُ أَهْلِهَا فِيهَا بِالْقِيَاسِ إِلَى لَبِثِهِمْ فِي الْآخِرَةِ وَقَدْ اسْتَرْجَحَ اللَّهُ
قَوْلَ مَنْ يَكُونُ أَشَدَّ تَقَالًُّا مِنْهُمْ فِي قَوْلِهِ [إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا] وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ
فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ - وَقِيلَ الْمُرَادُ لَبِثُهُمْ فِي الْقُبُورِ وَيَعْضُدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَيَوْمَ
تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ وَقَالَ الَّذِينَ ارْتَوَوْا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ • [يَنْسِفُهَا] يَجْعَلُهَا كَالرَّمْلِ ثُمَّ يَرْسِلُ عَلَيْهَا الرِّيحَ فَتَنْفِرُهَا كَمَا يَذَرِي
الطَّعَامَ [فَيَذَرُهَا] أَيْ فَيَذَرُ مَقَارَهَا وَمَرَكَزَهَا - أَوْ يَجْعَلُ الضَّمِيرَ لِلْأَرْضِ وَأَنْ لَمْ يَجْعَرْ لَهَا ذِكْرَ كَقَوْلِهِ مَا تَرَكْ
عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ - فَإِنْ قَامَتْ قَدْ فَرَّقُوا بَيْنَ الْعُوجِ وَالْعُوجِ قَالُوا الْعُوجُ بِالْكَسْرِ فِي الْمَعَانِي وَالْعُوجُ بِالْفَتْحِ

لَنْ تُخْلَفَهُ ۚ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۝ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ
 اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَبِمَعِ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَ قَدْ آتَيْنَاكَ
 مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۖ خَلِيدًا فِيهِ ۖ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ۝

سورة طه ٢٠

الجزء ١٧

ع ١٣

و العبة و الآبة وهي المرة من الاب وهو الطلب [لَنْ تُخْلَفَهُ] اي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على
 الشرك و الفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فانت ممن خسر
 الدنيا و الآخرة ذلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ - و قرى لَنْ تُخْلَفَهُ و هذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا
 قال الاعشى * شعر * اتوى و قصر ليله ليزودا * فمضى و اخلف من قتيلة موعدا * و عن ابن مسعود نُخْلَفَهُ
 بالنون اي لن يخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل كما مر في لَهَبٍ لَكَ [ظَلَمْتَ] - و ظَلَمْتَ و ظَلَمْتَ و الاصل
 ظَلَمْتَ فحذفوا اللام الاولى و نقلوا حركتها الى الظاء و منهم من لم ينقل [لَنُحَرِّقَنَّهُ] - و لَنُحَرِّقَنَّهُ - و لَنُحَرِّقَنَّهُ - و في
 حرف ابن مسعود لَنُذَبِّحَنَّهُ - و لَنُحَرِّقَنَّهُ - و لَنُحَرِّقَنَّهُ القراءتان من الاحراق - و ذكر ابو علي الفارسي في لَنُحَرِّقَنَّهُ
 انه يجوز ان يكون حَرَقَ مبالغة في حَرَقَ اذا برد بالمبرد و عليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن ابي
 طالب رضي الله عنه [لَنَنْسِفَنَّهُ] بكسر السين و ضمها و هذه عقوبة ثالثة وهي ابطال ما افتتن به و فتن
 و اهدار سعيه و هدم مكره و مَكْرُوا و مَكَرَ اللَّهُ و اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ - و قرأ طلحة اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 الرَّحْمَنُ رَبُّ الْعَرْشِ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا - و عن مجاهد و قتادة وَسِعَ وَجْهَهُ اَنْ وَسِعَ مَتَعِدٍ الى مفعول واحد
 و هو كُلُّ شَيْءٍ و اما عِلْمًا فانتصابه على التمييز و هو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين
 فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفاً زيدا عمراً فتد
 بالنقل ما كان فاعلا مفعولا * الكاف [فِي كَذَلِكَ] منصوب المحل و هذا موعده من الله عز وجل لرسوله اي
 مثل ذلك الاقتصاص و نحوه ما اقتصنا عليك قصة موسى و فرعون [نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ] سائر اخبار الامم
 و قصصهم و احوالهم تكتيرا لبياناتك و زيادة في معجزاتك و ليعتبر السامع و يزداد المستبصر في دينه
 بصيرة و تتأكد الحججة على من عاند و كابر - و ان هذا الذكر الذي اُتيتك يعني القرآن مشتملا على
 هذه الاقاصيص و الاخبار الحقيقية بالتفكر و الاعتبار لذكر عظيم و قرآن كريم فيه النجاة و السعادة لمن اقتبل عليه
 و [مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ] فقد هلك و شقي - يُرِيدُ بِالْوِزْرِ الْعُقُوبَةَ الثَقِيلَةَ الْبَاهِظَةَ سَمَاهَا وَزْرًا تشبيهاً في ثقلها على
 المعاقب و صعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل و ينقض ظهره و يلقي عليه بهمة - او لانها جزاء الوزر
 و هو الائم - و قرى يُحْمَلُ - جمع [خُلْدِينَ] على المعنى لان مَنْ مطلق متناول لغير معرض واحد و توحيد
 الضمير في أَعْرَضَ و ما بعده للحمل على اللفظ و نحوه قوله تعالى و مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ قَانَ لَهُ نَارُ
 جَهَنَّمَ خُلْدِينَ فِيهَا [فِيهِ] اي في ذلك الوزر او في احتماله - [سَاءَ] في حكم بدس و الضمير الذي فيه
 يجب ان يكون مبهما يفسره حملا و المخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء

سورة طه ٢٠

الجزء ١٩

ع ١٣

عُكْفَيْنِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۖ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ أَلا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۖ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۚ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَقْرُبْ قَوْلِي ۖ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسَامِرِي ۖ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۖ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۚ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا

بادرهم هرون بقوله [إِنَّمَا فَتَنَّاهُ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ] * [لَا] مزيدة والمعنى مَا مَنَعَكَ أَنْ تَتَّبِعَنِي فِي الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي وهَلَا قَاتَلْتُ مَنْ كَفَرَ بِمَنْ أَمِنَ وَمَا لَكَ لَمْ تَبَاشِرِ الْأَمْرَ كَمَا كُنْتُ أَبَاشِرُهُ إِنَّا لَوَكُنْتُ شَاهِدًا - أَوْ مَا لَكَ لَمْ تَلْحَقْنِي - قَرِئَ [بِلِحْيَتِي] بفتح اللام وهي لغة أهل الحجاز - كان موسى عليه السلام رجلاً حديداً مجبولاً على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلاً من دون الله بعد ما رأوا من الآيات العظام أَنَّ الْقِيَّ الْوَاحَ التَّوْحِيدَ لَمَّا غَلَبَ ذَهْنُهُ مِنَ الدَّهْشَةِ الْعَظِيمَةِ غَضَبًا لِلَّهِ وَاسْتِنكَافًا وَحُمِيَّةً وَعَنْفَ بَاخِيهِ وَخَلِيفَتَهُ عَلَى قَوْمِهِ فَاقْبَلَ عَلَيْهِ اقْبَالَ الْعَدُوِّ الْمَكْشِفِ قَابِضًا عَلَى شَعْرِ رَأْسِهِ وَكَانَ افْرَعٌ وَعَلَى شَعْرِ وَجْهِهِ سِجْرَةٌ إِلَيْهِ - أَيِ لَوْ قَاتَلْتُ بَعْضَهُمْ بِيَعْضٍ لَتَفَرَّقُوا وَتَفَانُوا فَاسْتَأْنَيْتُكَ أَنْ تَكُونَ أَتَى الْمَتَدَارِكَ بِنَفْسِكَ الْمُتَلَفِّي بِرَايِكَ وَخَشِيتُ عِقَابَكَ عَلَى أَطْرَاحِ مَا وَصَيْتَنِي مِنْ ضَمِّ النَّشْرِ وَحِفْظِ الدِّهْمَاءِ وَ أَمْ يَكُنْ لِي بَدٌّ مِنْ رِقْبَةٍ وَصَيْتِكَ وَ الْعَمَلِ عَلَى مُوجِبِهَا * الْخُطْبُ مَصْدَرُ خُطْبٍ الْأَمْرُ إِذَا طَلَبَهُ فَإِذَا قِيلَ لِمَنْ يَفْعَلُ شَيْئًا مَا خُطِبَكَ فَمَعْنَاهُ مَا طَلَبَكَ لَهُ * قَرِئَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ بِالْكَسْرِ وَالْمَعْنَى عَلِمْتُ مَا لَمْ تَعْلَمُوهُ وَفُطِنْتُ بِمَا لَمْ تَفْطَنُوا لَهُ - قَرَأَ الْحَسَنُ قَبْضَةً بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمُضْغَةُ وَ أَمَا الْقَبْضَةُ فَالْمِرَّةُ مِنَ الْقَبْضِ وَاطْلَاقُهَا عَلَى الْمَقْبُوضِ مِنْ تَسْمِيَةِ الْمَفْعُولِ بِالمصدر كضرب الأمير - وَقَرَأَ أَيْضًا فَقَبَضْتُ قَبْضَةً بِالصَّادِ فَالضَّادِ بِجَمِيعِ الْكَفِّ وَالضَّادِ بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ وَنَحْوَهُمَا الْخَضَمُ وَالْقَضْمُ الْخَاءُ بِجَمِيعِ الْفَمِّ وَالْقَافُ بِمَقْدَمِهِ - قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ مِنْ أَثَرِ فَرَسِ الرَّسُولِ - فَإِنْ قُلْتَ لِمَ سَمَّاهُ الرَّسُولَ دُونَ جَبْرِئِيلَ وَرُوحِ الْقُدُسِ - قُلْتَ حِينَ حَلَّ مِيْعَادُ الذَّهَابِ إِلَى الطُّورِ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَى مُوسَى جَبْرِئِيلَ رَاكِبَ حَيَزُومَ فَرَسٍ الْحَيَاةُ لِيَذْهَبَ بِهِ فَبَصَرَهُ السَّامِرِيُّ فَقَالَ إِنَّ لِهَذَا لَشَأْنًا فَقَبِضْ قَبْضَةً مِنْ تَرْتِبةِ مَوْطِنِهِ فَلَمَّا سَأَلَهُ مُوسَى عَنْ قِصَّتِهِ قَالَ قَبَضْتُ مِنْ أَثَرِ فَرَسِ الْمُرْسَلِ الْيَوْمَ حُلُولِ الْمِيْعَادِ وَلَعَلَّهُ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ جَبْرِئِيلُ * عَوَقِبَ فِي الدُّنْيَا بِعُقُوبَةٍ لَا شَيْءَ أَطَمَّ مِنْهَا وَ أَوْحَشَ وَ ذَلِكَ أَنَّهُ مَنَعَ مِنَ مَخَالِطَةِ النَّاسِ مِنْعًا كَلِيًّا وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ مُلَاقَاتَهُ وَ مَكَالَمَتَهُ وَ مَبَايِعَتَهُ وَ مُوَاجَهَتَهُ وَ كُلَّ مَا يُعَاشِ بِهِ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَ إِذَا اتَّفَقَ أَنْ يَمَاسَ أَحَدًا رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً حَمَّ الْمَاسَ وَ الْمَمْسُوسُ فَتَحَامَى النَّاسُ وَ تَحَامَوْهُ وَ كَانَ يَصِيحُ لَامِسَاسَ وَ عَادَ فِي النَّاسِ أَوْحَشَ مِنَ الْقَاتِلِ اللَّاجِئِ إِلَى الْحَرَمِ وَ مِنَ الْوَحْشِيِّ الْفَانِرِ فِي الْبَرِّيَّةِ - وَيُقَالُ أَنْ قَوْمَهُ بَاقٍ فِيهِمْ ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ - وَقَرِئَ لَامِسَاسَ بِوزن فَجَارٍ وَ نَحْوَهُ قَوْلُهُمْ فِي الظُّبَاءِ أَنْ وَرَدَتْ الْمَاءَ فَلَا عِبَادَ وَ أَنْ فَقَدْتَهُ فَلَا أَبَابَ وَ هِيَ أَعْلَامُ لِلْمَسَةِ

سورة طه ٢٠

الجزء ١٤

ع ١٣

أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يُحْلَ عَلَيَّكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ۖ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا
 أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۖ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُهُمْ
 وَإِلَهُ مُوسَى ۖ فَذَسَّى ۖ أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ۖ وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَ لَقَدْ قَالَ لَهُمْ
 هَارُونَ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۖ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ

متى رجع الى قومه - قلت بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة و عشر ذى الحجة * وعدهم الله سبحانه ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى وفور ولا وعد احسن من ذلك واجمل - حكى لنا انها كانت الف سورة كل سورة الف آية تحمل اسفارها سبعون جملا [العهد] الزمان يريد مدة مفارقتهم لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره و ما تركهم عليه من الايمان فآخلفوا موعده بعبادتهم العجل * [بملكنا] قرئ بالحركات الثلاث اي ما آخلفنا موعداك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا و خلقنا و رأينا لما آخلفناه و لكن غلبنا من جهة السامري و كيدته - اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرتها منهم - او ارادوا بالاوزار انها اثم و تبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب و ليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ [ففقدناها] في نار السامري التي ارقدها في الحفرة و امرنا ان نطرح فيها الحلي - و قرئ حملنا [فكذلك ألقى السامري] اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما آلقوا واما القى التربة التي اخذها من موطئ خيزوم فرس جبرئيل عليه السلام اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا [فأخرج لهم] السامري من الحفرة [عجلا] خلقه الله من الحلي التي مكنها الفار يخور كما تخور العجاجيل - فان قلت كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات - قلت انما يصح ان يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما اثرت بغيرها من الكرامات و هي ان يباشر فرسه بحافرة تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا انشأه الله انشاء عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشأ المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع - فان قلت فلم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل و ضلالا - قلت ليس بابل محنة محن الله بها عباده لئلا يتبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا و في الآخرة و يضل الله الظالمين و من عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب - و المراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل لامتحان اي امتحانهم بخلق العجل و حملهم السامري على الضلال و اوقعهم فيه حين قال لهم [هذا الهكم و اله موسى فذسى] اي فذسى موسى ان يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور - او فذسى السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر - [يرجع] من رفعه فعلى ان أن مخففة من الثقيلة - و من نصب فعلى انها الناصبة للفعال * [من قبل] ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتننوا به و استحسوه فقبل ان ينطق السامري

سورة طه ٢٠
الجزء ١٩
ع ١٢

أُولَئِكَ عَلَىٰ آثَرِي ۖ وَعَجَّلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۖ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۖ
فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَقْرِمُ آثَمُ يَدْعُوكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدْنَا حَسَنًا ۚ أَتَطَّالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ

التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة على الخير مبادئة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها وافضل * [وَمَا أَعَجَّلَكَ] اي اي شيء عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه و تنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضاء الله و زل عنه انه تعالى ما وقت أفعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة و علما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء - وليس لقول من جاوز ان يراى جميع قومه وان يكون قد فارقه قبل الميعاد وجه صحيح ياباه قوله هم أولاء على آثري - و عن ابي عمرو ويعقوب اثري بالكسر - وعن عيسى بن عمر اثري بالضم - وعنه ايضا اولى بالقصر والاثر افصح من الاثر و اما الاثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال اثر السيف و اثره وهو بمعنى الاثر غريب - فان قلت ما أعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاءك او الشوق الى كلامك و تنجز موعدهك وقوله هم أولاء على آثري كما ترى غير منطبق عليه - قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين - احدهما انكار العجلة في نفسها - والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر و تمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوقت رأسهم و مقدمهم - ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال [وَعَجَّلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ] - ولقائل ان يقول جاز بما ورد عليه من التهييب لعتاب الله فاذله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام - اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون و كانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنى عشر الفا - فان قلت في القصة انهم اقاموا بعد مفارقتة عشرين ليلة و حسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه اذنا قد فتنا قومك - قلت قد اخبر الله تعالى عن الفتنة المترتبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته - او افترض السامري غيبته فعزم على اضلالهم غيب انطلاقه و اخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا - قري و اضلهم السامري اي وهو اشداهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة - وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم - وقيل كان اهل باجرما - وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفرو كان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر * الاسف الشديد الغضب و منه قوله صلى الله عليه وآله و سلم في موت الفجأة رحمة للمؤمن و اخذة اسف للكافر - وقيل الحزين - فان قلت

دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ۝ فَاتَّبِعْهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۝ وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ۝
يُبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَمَّ وَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ۝
كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۝ وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ۝
وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ۝ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ۝ قَالَ هُمْ

سورة طه ٢٠

الجزء ١٩

ع ١٢

او صفة على فعل - او جمع يابس كصاحب و صحب وصف به الواحد تأكيداً كقوله ومعا جيعاً جعله
لفرط جوعه كجماعة جيع [لَا تَخْفُ] حال من الضمير في فاضرب - و قرئ لَا تَخْفُ عَلَى الْجَوَابِ -
و قرأ ابو حنيفة دركاً بالسكون و الدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون و جنوده
و لا يلحقونك - في [وَلَا تَخْشَى] اذا قرئ لَا تَخْفُ ثلثة اوجه - ان يستأنف كانه قيل و انت
لا تخشى اي و من شانك انك آمن لا تخشى - و ان لا تكون الالف المنقلبة عن الياء اللتي هي لام
الفعل و لكن زائدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله تعالى فَاصْلَوْنا السَّبِيلَ - وَ تَظُنُّونَ بِاللّٰهِ الظُّنُونَا - و ان يكون
مثل قوله ع * كان لم ترى قبلي اسيراً يمانياً * [مَا غَشِيَهُمْ] من باب الاختصار و من جوامع الكلم اللتي تستقل
مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله - و قرئ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَالتَّغْشِيَةُ
التَّغْطِيَةُ - وَفَاعِلُ غَشِيَهُمْ اِمَّا الله سبحانه و تعالى - او مَا غَشِيَهُمْ - او فرعون لانه الذي ورط جنوده و تسبب
لهلاكهم - و قوله وَمَا هَدَى تَهَكُّم به في قوله وَمَا اَهْدَيْكُمْ اِلَّا سَبِيلَ الرَّشَاقِ * [يُبْنِي إِسْرَءِيلَ] خطاب لهم
بعد انجائهم من البحر و اهلاك آل فرعون - وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله من الله عليهم
بما فعل بأبائهم و الوجه هو الاول اي قلنا يا بني اسرائيل و حذف القول كثير في القرآن - و قرئ أَنْجَيْنَاكُمْ
اِلَى رَزَقْتَكُمْ و على لفظ الوعد و المواعدة - و قرئ الْاَيْمَنِ بِالْجَمْعِ عَلَى الْجَوَارِ نَحْوُ جَحْرُ ضَبِّ خَرِبٍ - ذَكَرَهُمُ النِّعْمَةَ
فِي نَجَاتِهِمْ وَ هَلَاكَ عَدُوَّهُمْ وَ فِيمَا وَاَعَدَ مُوسَى صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ مِنَ الْمُنَاجَاةِ بِجَانِبِ الطُّورِ وَ كَتَبَ
التَّوْرَةَ فِي الْاَلْوَاحِ وَ اِنَّمَا عَدَى الْمَوَاعِدَةُ اِلَيْهِمْ لَانْهَا لَابَسْتُهُمْ وَ اتَّصَلَتْ بِهِمْ حَيْثُ كَانَتْ لِنَبِيِّهِمْ وَ نَقَبَاتِهِمْ
وَ اِلَيْهِمْ رَجَعَتْ مَنَافِعُهَا اللَّتِي قَامَ بِهَا دِينُهُمْ وَ شَرَعَهُمْ وَ فِيمَا اَفَاضَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَائِرِ نِعْمَةٍ وَ ارْزَاقِهِ * طَغْيَانُهُمْ
فِي النِّعْمَةِ اِنْ يَتَعَدَّوا حُدُودَ اللهِ فِيهَا - بَأَن يَكْفُرُوهَا وَ يَشْغَلُوهَا بِاللَّهُوِ وَ التَّنْعَمُ عَنِ الْقِيَامِ بِشُكْرِهَا - وَ اِنْ يَنْفَقُوهَا
فِي الْمَعَاصِي - وَ اِنْ يَزُودُوا حَقُوقَ الْفُقَرَاءِ فِيهَا - وَ اِنْ يَسْرِفُوا فِي انْفَاقِهَا - وَ اِنْ يَبْطَرُوا بِهَا وَ يَأْشُرُوا وَ يَتَكَبَّرُوا - قرئ
فَيَحِلَّ - وَ عَنْ عَبْدِ اللهِ لَا يَحِلُّ - وَ مَنْ يَحِلُّ - الْمَكْسُورُ فِي مَعْنَى الْوَجُوبِ مِنْ حَلِّ الدِّينِ يَحِلُّ اِذَا وَجِبَ
اِدَاؤُهُ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ - وَ الْمَضْمُومُ فِي مَعْنَى النِّزُولِ - وَ غَضَبُ اللهِ عِقُوبَاتُهُ وَ لَذَلِكَ
وَصَفَ بِالنِّزُولِ [هَوَى] هَلَاكَ وَ اَصْلُهُ اِنْ يَسْقُطُ مِنْ جِدَلٍ فَيَهْلِكُ قَالَتْ * شَعْرُ هَوَى مِنْ رَأْسٍ مَرْقَبَةٍ فَفُتَّتْ
تَحْتَهَا كَبِدُهُ * وَيَقُولُونَ هَوَتْ اَمَةٌ - اَوْ سَقَطَ سَقُوطاً لَا نَهْوَضُ بَعْدَهُ * الْاِهْتِدَاءُ هُوَ اسْتِقَامَةُ وَ الثَّبَاتُ عَلَى الْهَدْيِ
الْمَذْكُورِ وَ هُوَ التَّوْبَةُ وَ الْاِيْمَانُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَ نَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى اِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا - وَ كَلِمَةُ

سورة طه ٢٠ السحرة سجدا قالوا امنا بر رب هرون وموسى ٥ قَالَ اٰمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ اَنْ اٰذَنَ لَكُمْ ط اِنَّهٗ لَكَبِيْرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ٢١ فَلَا تَقْطَعْنَ اَيْدِيَكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَّ لَا تَصْلَبْنَكُمْ فِي جُذُوْعِ النَّخْلِ ٢٢ وَتَعْلَمْنَ اَيْنَا اَشَدُّ عَذَابًا وَاَبْقٰى ٥ قَالُوْا لَنْ نُّوْثِرَكَ عَلٰى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاَقْصِ مَا اَنْتَ قَاصٍ ط اِنَّمَا تُقْضِيْ هٰذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا ٥ اِنَّا اٰمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيْئَاتِنَا وَمَا اَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ط وَاللّٰهُ خَيْرٌ وَّاَبْقٰى ٥ اِنَّهٗ مِنْ يَّاتٍ رَبِّهٖ مُّجْرِمًا فَاِنْ لَهُ جَهَنَّمُ ط لَا يَمُوْتُ فِيْهَا وَلَا يُحْيٰى ٥ وَمَنْ يَّاتِهِ مُّؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّٰلِحٰتِ فَارْلَيْكَ لَهُمُ الدَّرَجٰتُ الْعُلٰى ٥ جَذْتُ عَدْنٍ تَجْوِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ط وَذٰلِكَ جَزَاؤُ مَنْ تَزَكٰى ٥ وَلَقَدْ اَوْحَيْنَا اِلٰى مُّوسٰى ٥ اَنْ اَسْرِ بِعِبَادِيْ فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيْقًا فِى الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ

الجزء ١٩

ع ١٢

الثالث

ثواب اهلها - وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم اللتي يصيرون اليها في الجنة - [لكبيركم] لعظيمكم يريد انه اسكرهم واعلاهم درجة في صناعتهم - او لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيرى و قال لي كبيرى كذا يريدون معلمهم واستاذهم في القرآن وفي كل شيء - قرى لاقطعن - ولاصلبن بالتخفيف - والقطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى و الرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الاخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال - ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدئ و ناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه آية - ومحل التجار والمجور والنصب على الحال اى لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف - شبه تمكّن المصلوب في الجذع بتمكّن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل [اينا] يريد نفسه لعنه الله و موسى عليه السلام بدليل قوله امنتّم له و اللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين وفيه نفاجئة باقتداره وقهره و ما الغة و ضربى به من تعذيب الناس بانواع العذاب و توضيع لموسى عليه السلام و استضعاف له مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء * [والذي فطرنا] عطف على ما جاءنا - او قسم - قرى تقضى هذه الحيوّة الدنيا وجهها ان الحيوّة فى القراءة المشهورة منتصبّة على الظرف فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة - روى ان السحرة يعنى رؤسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني اسرائيل و كان فرعون اكرهم على تعلم السحر - و روى انهم قالوا لفرعون انا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لان الساحر اذا نام بطل سحره نابى الا ان يعارضوه * [تزكى] تطهر من ادناس الذنوب - و عن ابن عباس قال لا اله الا الله - قيل في هذه الايات الثالث هي حكاية قولهم - وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية * [فاضرب لهم طريقا] فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله - اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا و يبسا ونحوهما العدم والعدم و من ثمة وصف به المونث فقيل شاتنا يبس و ناقتنا يبس اذا جف لبنها - و قرى يبسا و يابس - ولا يخلو اليبس من ان يكون مخففا عن اليبس -

إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْمَعُ ۝ فَارْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ۝ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ۝
وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا ط إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ ط وَلَا يُفْلِحُ السِّحْرُ حَيْثُ أَتَى ۝ فَالْقِيَ

سورة طه ٢٠

الجزء ١٩

ع ١١

لا غير فتقدير قوله تعالى فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ نَفَاجًا موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيتهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيتهم مخيلة اليه السعي - وقرئ عَصِيَّهُمْ بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دَلِيٍّ وَدَلِيٍّ وَقِسِيٍّ وَقِسِيٍّ - وقرئ تُخَيِّلُ على اسناده الى ضمير الحبال والعصية وابدال قوله أَنَّهُ تَسْمَعُ من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه - وَتُخَيِّلُ على كون الحبال والعصية مخيلة معيها - وَتُخَيِّلُ بمعنى تخيّل و طريقه طريق تُخَيِّلُ وَتُخَيِّلُ على ان الله هو المخيّل للمحنة والابتلاء - يروى انهم لَطَّخُوها بالزيتوق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيّلت ذلك - ايجاس الخوف اضمار شيء منه و كذلك توجّس الصوت تسمع نبأه يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله - وقيل خاف ان يخالجه الناس شك فلا يتبعوه [اِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى] فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستيناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلغظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل * وقوله [مَا فِي يَمِينِكَ] ولم يقل عصاك - جائز ان يكون تصغيرا لها اي لا تُبَالِ بكثرة حبالهم وعصيتهم والقي العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدره الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمتها - وجائز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء وانزرة عنده فالحق يتلقفها باذن الله ويمحقها - وقرئ تَلْقَفُ بالرفع على الاستيناف او على الحال اي اَلْقَهَا متلقفة - وقرئ تَلْقَفُ بالتخفيف [صَنَعُوا] ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ - قرئ [كَيْدٌ سِحْرٌ] بالرفع والنصب - فمن رفع فعلى ان ما موصولة - ومن نصب فعلى انها كافة - وقرئ كَيْدٌ سِحْرٌ بمعنى ذي سحر - او ذوي سحر - او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه وبذاته - او بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو - فان قلت لم وحد سحر ولم يجمع - قلت لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيّل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله وَلَا يُفْلِحُ السِّحْرُ اي هذا الجنس - فان قلت فلم نكر اولاً وعرف ثانياً - قلت انما نكر من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج * ع * في سعي دنيا طالما قد مدت * وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في امر آخرة المراد تنكير الامر كانه قيل انما صنعوا كيد سحري - وفي سعي دنيوي - وامر دنيوي واخري [حَيْثُ أَتَى] كقولهم حيث ستر و اية سلك وايضا كان - سبحانه الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيتهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالفين - وروي انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة وال نار و رأوا

سورة طه ٢٠
الجزء ١٤
ع ١١

مَنْ أَفْتَرَى ۖ فَنُنَازِعُوهُمُ بِهِمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ۖ قَالُوا إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرُونَ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْنَى ۖ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا ۖ وَقد أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ۖ قَالُوا يُمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ۖ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ

فسنغلبه وان كان من السماء فله امر - وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر - والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجادبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذين لساحرين فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وترويضه خوفا من غلبتهما وتبسيطاً للناس عن اتباعهما - قرأ ابو عمرو ان هذين لساحرين على الوجه الظاهر المكشوف - وابن كثير وحفص ان هذين لساحرين على قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان الذاتية والمخففة من الثقيلة - وقرأ ابي ان ذان الا لساحرين - وقرأ ابن مسعود ان هذين لساحرين بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى - وقيل في القراءة المشهورة [ان هذين لساحرين] هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء اللتي اخرها الف كعصا وسعدى فلم يلقبوها ياء في الجر والنصب - وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحرين خبر مبتدأ محذوف واللام داخله على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحق - سموا مذهبيهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون - وقيل ارادوا اهل طريقته المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل - وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه فاجمعوا كيدكم يعصده قوله فجمع كيدته - وقرئ [فاجمعوا كيدكم] اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها - امروا بان يأتوا صفا لانهم اهيب في صدر الرائيين - وروي انهم كانوا سبعة الف مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة - وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعبيدهم وصلواتهم مصطفىين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه - او يراد اتوا مصلى من المصليات [وقد افلح اليوم من استعلى] اعتراض يعني وقد فاز من غلب * ان مع ما بعده - اما منصوب بفعل مضمر - او مرفوع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر القاولك او القارنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وحفض جناح وتذبية على اعطاءهم النصبة من انفسهم وكان الله الهمهم ذلك وعلم موسى اختيار القائلهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكائد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه و سلط المعجزة على السحر فحقته وكانت اية نيرة للناظرين و عبدة بيينة للمعتبرين - يقال في اذا هذه اذا المفاجاة - والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية

مَوْعِدًا لَّنُخْلِفَهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُمِّيَ ⑤ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضَحَى ⑥ فَتَوَلَّى
فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ⑦ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ⑧ وَقَدْ خَابَ

سورة طه ٢٠

الجزء ١٩

ع ١١

من ان يجعل زمانا او مكانا او مصدرا - فان جعلته زمانا نظرا في ان قوله مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ مطابق له
لزمك شيان ان تجعل الزمان مُخْلَفًا وان يعضل عليك ناصب مَكَانًا - و ان جعلته مكانا لقوله مَكَانًا سُمِّيَ
لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ - وقراءة الحسن غير مطابقة له
مَكَانًا و زمانًا جميعا لانه قرأ يَوْمَ الزَّيْنَةِ بالنصب - فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد و يقدر مضاف
محذوف اي مكان موعدا و يجعل الضمير في نَحْلِفُهُ للموعود - و مَكَانًا بدل من المكان المحذوف - فان قلت
فكيف طابقه قوله مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ و لا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان -
قلت هو مطابق معنى و ان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر
باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان - و اما قراءة الحسن فالموعود فيها مصدر لا غير والمعنى
انجاز وعدكم يوم الزينة و طابق هذا ايضا من طريق المعنى - و يجوز ان لا يقدر مضاف محذوف و يكون
المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه - فان قلت فبم ينتصب مَكَانًا - قلت بالمصدر - او بفعل يدل
عليه المصدر - فان قلت فكيف يطابقه الجواب - قلت آما على قراءة الحسن فظاهر و آما على قراءة العامة
فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة - و يجوز على قراءة الحسن ان يكون مَوْعِدُكُمْ مبتدأ بمعنى الوقت و ضحى
خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه - و قيل في يَوْمَ الزَّيْنَةِ يوم عاشوراء و يوم النيروز و يوم
عيد كان لهم في كل عام و يوم كانوا يتخذون فيه سَوْقًا و يتزينون ذلك اليوم - قرئ نَحْلِفُهُ بالرفع على الوصف
للموعود - و بالجزم على جواب الامر - و قرئ سُمِّيَ و سُمِّيَ بالكسر و الضم و منونًا و غير منون و معناه منصفًا
بيننا وبينك - عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها
و من لم ينون فوجهه ان يجري الوصل مجرى الوقف - قرئ [وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ] بالقاء و الياء يريد
و ان تُخَشِّرَ فرعون - و ان يُخَشِّرَ اليوم - و يجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بالفظ الغيبة - اما على العادة
التي يخاطب بها الملوك - او خاطب القوم بقوله مَوْعِدُكُمْ و جعل يُخَشِّرَ لفرعون - و محل ان يُخَشِّرَ الرفع -
او الجرح عطفًا على اليَوْمَ - او الزَّيْنَةِ و انما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله و ظهور دينه و كبت الكافر
و زهوق الباطل على رؤس الأشهاد و في المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق و يكل
حد المبطلين و أشياعهم و يكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو و حضر و يشبع في جميع اهل الوبور
و المدر [لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا] اي لا تدعوا آياته و معجزاته سحرًا - قرئ [فَيُسْحِتَكُمْ] و السحت لغة اهل الحجاز
و الإسحاح لغة اهل نجد و بني تميم و منه قول الفرزدق • الَمْسَحَتَا اَوْ مَجْلَف • في بيت لا تزال الركب
تصطك في تسوية اعرابه - عن ابن عباس ان نُجَّوَاهُمْ اِنْ غَلَبَنَا مُوسَى اتبعناه - و عن قتادة ان كان ساحرا

لِرَبِّىَ النُّهَى ⑤ مِنْهَا خَلَقَكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ⑥ وَ لَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ
وَ أَبَى ⑦ قَالَ أَجِئْتَنَا لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى ⑧ فَلَمَّا تَبَيَّنَكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجَعَلَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكَ

ذَاتَ بَهْجَةٍ - وفيه تخصيص ايضا باننا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد - [أزواجاً] اصنافاً
سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض [شئى] صفة للزواج جمع شئيت كمرىض و مريض -
و يجوز ان يكون صفة للذبات و الذبات مصدر سمي به الذابت كما سمي بالذبت فاستوى فيه الواحد
والجمع يعني انها شئى مختلفة النفع و الطعم و اللون و الرائحة و الشكل بعضها يصلح للناس و بعضها
للبهائم - قالوا من نعمته عز و علا ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الأنعام و قد جعل الله علفها مما يفضل
عن حاجتهم ولا يقدرّون على اكله * اى قائلين [كلوا و ارعوا] حال من الضمير في فأخرجنا المعنى اخرجنا
اصناف الذبات اذنيّن في الانتفاع بها مبيحين ان يأكلوا بعضها و يعلفوا بعضها * اراد بخلقهم من الارض
خلق اصلهم و هو آدم عليه السلام منها - و قيل ان الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذي يدفن
فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب و النطفة معا - و اراد باخراجهم منها انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة
المختلطة بالتراب و يردّهم كما كانوا احياء و يخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الأجداث سراعاً * عدد الله
عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا و مهاداً يتقلبون عليها و سوى لهم فيها
مسالك يتروّدون فيها كيف شاؤا و انبت فيها اصناف الذبات التي منها اقواتهم و علوفات بهائمهم
وهي اصلهم الذي منه تفرّعوا و امهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا و من ثم قال رسول الله
صلّى الله عليه و آله و سلم تمشّحوا بالارض فانها بكم برة * [أريناه] بصرناه - او عرفناه صحتها و يقنّاه بها و انما
كذب لظلمه كقوله تعالى وَ جَعَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا وَقوله لَقَدْ عَلِمْت مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ
إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِصَافِرٍ - وفي قوله [آيَاتِنَا كُلَّهَا] وجهان - احدهما ان يحذى بهذا التعريف الاضافي حدّ
التعريف باللام لو قيل الآيات كلها اعني انها كانت لا تعطي الا تعريف العهد و الاشارة الى الآيات
المعاومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام - العصا - واليد - و فلق البحر - و الحجر - و الجراد
- و القمل - و الضفادع - و الدم - و نطق الجبل - و الثاني ان يكون موسى قد اراه آياته و عدد عليه ما أوّيه غيره
من الانبياء من آياتهم و معجزاتهم و هو نبى صادق لا فرق بين ما يخبر عنه و بين ما يشاهد به فكذبها
جميعها و أبى ان يقبل شيئاً منها - و قيل فكذب الآيات و أبى قبول الحق * بلوح من جيب قوله
[أَجِئْتَنَا لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ] ان فرائضه كانت ترعد خوفاً مما جاء به موسى لعلمه و ايقانه انه
على الحق و ان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له و ان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره و انه غالبه
على ملكه لا محالة - و قوله بِسِحْرِكَ تعلل و تحيرد الا فكيف يخفى عليه ان ساحراً لا يقدر ان يخرج ما
مثله من ارضه و يغلبه على ملكه بالسحر * لا يخلو الموعد في قوله تعالى [اجعل بيننا و بينك موعداً]

فَمَنْ رَبُّكُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ ۖ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ۖ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ۚ قَالَ عَلَّمَهَا
عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۚ لَا يَضِلُّ رَبِّي ۚ وَلَا يَنْسَى ۚ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَ
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِمَّنْ نَبَاتِ شَتَّى ۖ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

سورة طه ٢٠

الجزء ١٤

ع ١٠

اول مفعولِي اعطى اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفعون به - او ثانيهما اي اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه - او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والذاقة والرجل والمرأة فلم يزوج منهما شيء غير جنسه وما هو على خلاف خلقه - وقرى خلقه صفة للمضاف او للمضاف اليه اي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه [ثم هدى] اي عرف كيف يرتفع بما اعطى وكيف يتوصل اليه والله در هذا الجواب ما احضره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق * سألته عن حال من تقدم و خلا من القرون وعن شقاء من شقا منهم وسعادة من سعد فاجابه بان هذا سوال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب و علم احوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان يخطي شيئا او ينساه - يقال ضللت الشيء اذا اخطأته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمزول - وقرى يضل من اضله اذا ضيعه - وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه - ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادى كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطاء والنسيان كما يجوز ان عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل - اي [لا يضل] كما تفضل انت [ولا ينسى] كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة - [الذي جعل] مرفوع صفة لربي - او خبر مبتدأ محذوف - او منصوب على المدح وهذا من مظانه ومحارزه [مهذا] قراءة اهل الكوفة اي مهدها مهذا - او يتمه دونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهّد للصبي [سلك] من قوله تعالى ما سلككم في سقر - سلكه في قلوب المجرمين اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والارضية والبراري - [فأخرجنا] انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شيء على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء - ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها - آمن خلق السموات والارض و انزل لكم من السماء ماء فانبثنا به حدائق

سورة طه ٢٠

الجزء ١٩

ع ١٠

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ۝ قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ۝ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ ۝ فَآتَيْنَاهُ فُقُولًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۝ وَلَا تَعْذِيبُهُمْ ۝ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۝ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ۝ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَبَ وَتَوَلَّى ۝ قَالَ

على رجائكما وطمعكما وباشراً الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه و يحشد باقصى وسعه - و جدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة و قطع المعذرة ولو انا اهلكهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا نولا ارسلت الينا رسولا فنذبح ايديك - اي [يتذكر] و يتأمل فيبذل النصقة من نفسه و الادعان للحق [أو يخشى] ان يكون الامر كما تصفان فيجرح انكاره الى الهلكة * فرط سبق و تقدم و منه الفراط الذي يتقدم الواردة و فرس فرط يسبق الخيل اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة و يبادرنا بها - و قرى يفرط من افرطه غيره اذا حملة على العجلة خافا ان يحماه حامل على المعالجة بالعقاب من شيطان - او من جبروته و استكباره و ادعائه الربوبية - او من حبه الرياسة - او من قومه القبط المتمردين الذين حكي عنهم رب العزة قال الملائكة من قومه - و قال الملائكة من قومه - و قرى يفرط من الافراط في الذية اي نخاف ان يحول بيننا و بين تبليغ الرسالة بالمعجلة - او يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجل بناء على ما عرفنا و جربنا من شرارته و عتوه [أو أن يطغى] بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك و قسوة قلبه - و في المجيء به هكذا على الاطلاق و على سبيل الرمز باب من حسن الادب و تحاشي عن التفوه بالعظيمة * [معكما] اي حافظكما و ناصركما [أسمع و أرى] ما يجري بينكما و بينه من قول و فعل فافعل ما يوجب حفظي و نصرتي لكما - فجاثران يقدر اقوالكم و افعالكم - و جاثران لا يقدر شيء - و كانه قيل انا حافظ لكما و ناصر سامع مبصر و اذا كان الحافظ و الناصر كذلك تم الحفظ و صحت النصرة و ذهبت المبالاة بالعدو - كانت بنوا اسرائيل في ملكة فرعون و القبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر و البناء و نقل الحجارة و السخرة في كل شيء مع قتل الولدان و استخدام النساء - [قد جئناك بآية من ربك] جملة جارية من الجملة الاولى و هي انا رسولا ربك مجرى البيان و التفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها اللتي هي المجيء بالآية انما و حد قوله بآية و لم يثن و معه ايتان لان المراد في هذا الموضع تثبت الدعوى ببرهانها فكانه قال قد جئناك بمعجزة و برهان و حجة على ما ادعيناه من الرسالة و كذلك قد جئناكم ببينة من ربكم - فات بآية ان كنت من الصديقين - او لو جئناك بشيء مبين - يريد و سلام الملكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين و توبخ خزنة النار و العذاب على المكذبين * خاطب الاثنين ووجه النداء الى احدهما و هو موسى لانه الاصل في النبوة و هرون وزيره و تابعه - و يحتمل ان يحمله خبثه و دعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة هرون و الرتبة في لسان موسى و يدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين و لا يكاد يدين [خلقه]

أَخَذَكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَ قَتَلْتَ نَفْسًا
فَنَجَّيْنَكَ مِنَ الْغَمِّ وَ قَتَلْتَ فَتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ۚ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يُّمُوسَىٰ ۖ
وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۖ اذْهَبْ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بِأَيَّتِي لَا تَنْيَا فِي ذِكْرِي ۖ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ

سورة طه ٢٠

الجزء ١٤

ع ١٠

الذي استغاثه عليه الاسرائيلي قتلوه وهو ابن اسنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفاً من عقاب الله
و من اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي وَ نَجَّاهُ مِنْ
فِرْعَوْنَ اَنْ يُنْشِبَ فِيهِ اَظْفَارَهُ حين هاجر به الى مدين [فَتُونًا] يجوز ان يكون مصدراً على فَعُول
في المتعدي كالثبور والشكور والكفور - و جمع فتن او فتنه على ترك الاعتداد بقاء التانيث كحجوز و بدور
في حجة و بدرة اي فتنة ضروبا من الفتن - سأل سعيد بن جبير ابن عباس عنه فقال خلصناك
من محنة بعد محنة - ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير - والقته امه في البحر - وهم فرعون
بقتله - و قتل قبطياً - وأجر نفسه عشر سنين - و ضل الطريق - و تفرقت غنمه في ليلة مظلمة و كان يقول عند
كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير - و الفتنة المحنة و كل ما يشق على الانسان و كل ما يبتلى الله به
عباده فتنة قال وَ نَبِّئُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً - [مَدْيَنَ] على ثمانين مراحيل من مصر - وعن وهب انه كُتِبَ
عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين • اي سبق في قضائي وقدري ان
الكلم و استنبطك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر -
وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو رأس اربعين سنة - هذا تمثيل لما خوله من
منزلة التكريم والتقريب والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص
اهلاً لئلا يكون اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلاً فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر
ولا يسمع الا بعينه واذنه ولا ياتمن على مكنون سره الاسواء ضميره - الونى الفتور والتقصير - و قرئ تنيياً
بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تفسداني ولا ازال منكما على ذكر حيثما تقابتما واتخذنا ذكري جناحاً
تطيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني معتقدين ان امراً من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري -
ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات و تبليغ الرسالة من اجلها واعظمها
فكان جديراً بان يطلق عليه اسم الذكر - روي ان الله اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى - وقيل
سمع بمقبلة - وقيل الهم ذلك - قرئ ليتنا بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى هَلْ لَكَ اِلَىٰ اَنْ تَرْكَبَ
وَ اَهْدِيكَ اِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ لَان ظاهرة الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم - وقيل عداه شباباً
لا يهرم بعده و ملكاً لا ينزع منه الا بالموت وان يبقى له لذة الطعام والمشرب والمنكح الى حين موته -
وقيل لا تجبهاه بما يكره و الطفاه في القول لما له من حق تربية موسى و لما ثبت له من مثل حق
الابوة - وقيل كنياء وهو من ذوى الكنى الثلاث ابو العباس - و ابو الوليد - و ابو موة - والترجي لهما اي اذهبا

عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ۖ اِذْ اَوْحَيْنَا اِلَى اُمِّكَ مَا يُوْحَى ۖ اِنْ اَقْدَفْنِيْهِ فِى التَّابُوْتِ فَاَقْدِفْنِيْهِ فِى الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ
الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عُدُوْتِيْ وَعُدُوْتُهُ ۖ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّمَّنِيْ ۖ وَلِتُصْنَعَ عَلٰى عَيْنِيْ ۖ اِذْ تَمْشِيْ

وَقَذَفَ فِي قُلُوْبِهِمُ الرُّعْبَ وَكَذَلِكَ الرَّمِي قَالَ ع * غَلَامُ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحَسَنِ يَافَعَاهُ أَيِ حَصَلَ فِيهِ الْحَسَنُ وَوَضَعَهُ فِيهِ - وَالضَّمَاثِرُ كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى مُوسَى وَرَجُوعُ بَعْضِهَا إِلَيْهِ وَبَعْضُهَا إِلَى التَّابُوتِ فِيهِ هِجْنَةٌ لِّمَا يُوْدِي إِلَيْهِ مِنْ تَنَافُرِ النِّظَمِ - فَإِنْ قُلْتَ الْمَقْدُوفُ فِي الْبَحْرِ هُوَ التَّابُوتُ وَكَذَلِكَ الْمُلْقَى إِلَى السَّاحِلِ - قُلْتَ مَا ضَرَكَ لَوْ قُلْتَ الْمَقْدُوفُ وَالْمُلْقَى هُوَ مُوسَى فِي جَوْفِ التَّابُوتِ حَتَّى لَا تَفْرُقَ الضَّمَاثِرَ فَيَتَنَافَرُ عَلَيْكَ النِّظَمُ الَّذِي هُوَ أَمُّ اعْجَازِ الْقُرْآنِ وَالْقَانُونِ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ التَّحَدِّي وَمُرَاعَاتُهُ أَهَمُّ مَا يَجِبُ عَلَى الْمَفْسَرِ - لَمَّا كَانَتْ مَشِيَّةَ اللَّهِ وَارَادَتُهُ أَنْ لَا تَخْطِي جَرِيَّةَ مَاءِ الْيَمِّ الْوَصُولَ بِهِ إِلَى السَّاحِلِ وَالْقَارُوهُ إِلَيْهِ سَلَكَ فِي ذَلِكَ سَبِيلَ الْمَجَازِ وَجَعَلَ الْيَمَّ كَأَنَّهُ ذُو تَمْيِيزٍ أَمْرٌ بِذَلِكَ لِيُطِيعَ الْأَمْرُ وَيُمَثِّلَ رَسْمَهُ فَقِيلَ [فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ] - رَوَى أَنَهَا جَعَلَتْ فِي التَّابُوتِ قِطْعًا مَحَلُوجًا فَوَضَعَتْهُ فِيهِ وَجَصَصَتْهُ وَقَيَّرَتْهُ ثُمَّ أَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ وَكَانَ يَشْرَعُ مِنْهُ إِلَى بَسْتَانَ فِرْعَوْنَ نَهْرٌ كَبِيرٌ فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رَأْسِ بَرَكَةٍ مَعَ أُسَيَّةَ إِذَا بِالتَّابُوتِ فَامْرَأَةً فَاخْرَجَ فَفَتَحَ فَإِذَا صَبِيٌّ أَصْبَحَ النَّاسَ وَجْهًا فَأَحْبَبَهُ عَدُوُّ اللَّهِ حُبًّا شَدِيدًا لَا يَتِمَالَكُ أَنْ يَصْبِرَ عَنْهُ - وَظَاهَرَ اللَّفْظُ عَلَى أَنَّ الْبَحْرَ الْقَاهُ بِسَاحِلِهِ وَهُوَ شَاطِئُهُ لِأَنَّ الْمَاءَ يَسْخُلُهُ أَيِ يَقْشُرُهُ وَقَذَفَ بِهِ ثُمَّ فَالْتَقَطَ مِنَ السَّاحِلِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ الْقَاهُ الْيَمَّ بِمَوْضِعٍ مِنَ السَّاحِلِ فِيهِ قُوَّةٌ نَهْرُ فِرْعَوْنَ ثُمَّ آدَاهُ النَّهْرُ إِلَى حَيْثُ الْبَرَكَةُ - [مِّمَّنِيْ] لَا يَخْلُو - إِمَّا أَنْ يَكُونَ يَتَعَلَّقُ بِالْقَيْتِ فَيَكُونُ الْمَعْنَى عَلَى أَنِّي أَحْبَبْتُكَ وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ أَحْبَبَتْهُ الْقُلُوبُ - وَإِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمَقْدُوفٍ وَهُوَ صِفَةٌ لِمَحَبَّةٍ أَيْ مَحَبَّةٌ حَاصِلَةٌ أَوْ وَاقِعَةٌ مِنِّْي قَدْ رَكَزَتْهُ أَنَا فِي الْقُلُوبِ وَزَرَعَتْهُ فِيهَا فَلِذَلِكَ أَحْبَبَكَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ مِنْ إِبْصَرَكَ - رَوَى أَنَّهُ كَانَتْ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةٌ جَمَالٍ وَفِي عَيْنَيْهِ مَلَاخَةٌ لَا يَكَادُ يَصْبِرُ عَنْهُ مَنْ رَأَاهُ - [عَلٰى عَيْنِيْ] لِتَرْبِيٍّ وَيَحْسَنُ إِلَيْكَ وَأَنَا مُرَاعِيكَ وَرَاقِبُكَ كَمَا يَرَاعِي الرَّجُلُ الشَّيْءَ بِعَيْنَيْهِ إِذَا اعْتَدَى بِهِ وَتَقُولُ لِلصَّانِعِ اصْنَعْ هَذَا عَلَيَّ عَيْنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ لئَلَّا تَخَالَفَ بِهِ عَنْ مَرَادِي وَبِغْيَتِي - وَلِتُصْنَعَ مَعْطُوفٌ عَلَى عِلَّةٍ مَضْمُومَةٌ مِثْلُ لِيَتَعَطَّفَ عَلَيْكَ وَتُرَأْمَ وَنَحْوُهُ - أَوْ حَذَفَ مَعْلَلُهُ أَيْ وَلِتُصْنَعَ فَعَلْتُ ذَلِكَ - وَقَرِئَ وَلِتُصْنَعَ - وَلِتُصْنَعَ بِكُسْرِ اللَّامِ وَسُكُونِهَا وَالْجَزْمُ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ - وَقَرِئَ وَلِتُصْنَعَ بِفَتْحِ النَّاءِ وَالنَّصَبِ أَيْ لِيَكُونَ عَمَلُكَ وَتَصَرُّفُكَ عَلَى عَيْنِ مَنْنِي - الْعَامِلُ فِي إِذْ تَمْشِي الْقَيْتُ أَوْ تُصْنَعَ - وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ إِذْ اَوْحَيْنَا - فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ يَصِحُّ الْبَدَلُ وَالْوَقْتَانِ مُخْتَلِفَانِ مُتَبَاعِدَانِ - قُلْتَ كَمَا يَصِحُّ وَإِنْ اتَّسَعَ الْوَقْتُ وَتَبَاعَدَ طَرَفَاهُ أَنْ يَقُولَ لَكَ الرَّجُلُ لَقَيْتُ فَلَنَا سَنَةً كَذَا فَتَقُولُ وَأَنَا لَقَيْتُهُ إِذْ ذَاكَ وَرَبَّمَا لَقِيَهُ هُوَ فِي أَوَّلِهَا وَأَنْتَ فِي آخِرِهَا - يَرَوِي أَنَّ أَخْتَهُ وَاسْمَهَا مَرْيَمَ جَاءَتْ مُتَعَرِّفَةً خَبِرَهُ فَصَادَفَتْهُمْ يَطْلُبُونَ لَهُ مَرْضَعَةً يَقْبَلُ نَدِيهَا وَذَاكَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَقْبَلُ نَدِي أَمْرَأَةٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ فَجَاءَتْ بِالْأَمِّ فَقَبِلَ نَدِيهَا - وَيَرَوِي أَنَّ أُمِّيَّةَ اسْتَرْهَبَتْهُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَتَبَنَّنَتْهُ وَهِيَ الَّتِي أَشْفَقَتْ عَلَيْهِ وَطَلَبَتْ لَهُ الْمَرَاضِعَ • هِيَ نَفْسُ الْقِبْطِيِّ

سَبَّحَكَ كَثِيرًا ۖ وَنَذَرَكُكَ كَثِيرًا ۖ اِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ۝ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ۝ وَلَقَدْ مَنَّآ

سورة طه ٢٠

الجزء ١٩

ع ١٠

ورفع الابهام بذكرهما فكان أكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح مدري ويسر امرى على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقى الاجمال والتفصيل - عن ابن عباس كان في لسانه رثة لما روي من حديث الجمرة - ويروي ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرا - ولما دعاه قال الى ابي رب تدعوني قال الى الذي ابرا يدي وقد عجزت عنها - وعن بعضهم انما لم تبرا يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتعقد بينهما حرمة المواكلة - واختلف في زوال العقدة بكمالها - فقيل بقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين - وكان في لسان الحسين بن علي رثة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورثها من عمه موسى - وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك - وفي تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لسانى انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيذا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لسانى صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لسانى - الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره وموئنه - او من الوزران الملك يعتصم برايه ويلتجى اليه في اموره - او من الموازرة وهي المعارضة عن الاصمعي قال وكان القياس ازير فقامت الهمزة الى الوار وجه قلبها ان فعلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشيرو جليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر واخواته والى الموازرة [وزيرا - وهرون] مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة - اولى وزيرا مفعولا وهرون عطف بيان للوزير - واخي في الوجهين بدل من هرون - وان جعل عطف بيان اخر جاز وحسن - قرأوا جميعا اشدن - واشركه على الدعاء - وابن عامر وحده اشدن - واشركه على الجواب - وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدن - وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدن به ازري - ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدن به خبره ويوقف على هرون - الازر القوة وازره قواه اي اجعله شريكى في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه مهيم الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر - [اِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا] اي عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشايد لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا * السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى مأكول * الوحي الى ام موسى - اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى واذا اوحيت الى الحواريين - او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما الى مريم - او يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه - او يلهمها كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي - وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى - ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول - القذف مستعمل في معنى اللقاء والوضع ومنه قوله تعالى

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ طَغَىٰ ۖ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۖ ۝ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ۖ ۝
يَقْقُوهَا قَوْلِي ۖ وَاجْعَلْ لِّي زَيْبًا مِّنْ أَهْلِي ۖ ۝ هَرُونَ أَخِي ۖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۖ ۝ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۖ ۝ كَيْ

عند الاهوال والمخاوف - وعن ابن عباس انقلبتم ثعباناً ذكراً يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر - وعن بعضهم انما خافها لانه عرّف ما لقي آدم منها - وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحيتها - السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين - فيجوز ان ينتصب على الظرف اي سنعيدها في طريقها الاولى اي في حال ما كانت عصاً - وان يكون اعاد منقولا من عادة بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير * ع * وعادك ان تلاقيا عداء * فيتعدى الى مفعولين - ووجه ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلاً بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها انشيت اول ما انشيت عصاً ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها كما انشأناها اولاً - ونصب سيرتها بفعل مضمراي تسير سيرتها الاولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المأرب التي عرفتها * قيل لكل ناحية جناحان كجناحي العسكر لمجتبئيه وجناحا الانسان جنباة والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران المراد الى جذبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج - السوء الرداءة والقبیح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة وكان جذيمة صاحب الزباء ابرص فكنوا عنه بالبرش والبرص ابغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة و اسماعهم لاسمه متحاجة فكان جديراً بان يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف ولا احز للمفاصل من كذايات القرآن وادابه - يروى انه كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يعشى البصر [بيضاء - الآية] حالاً معاً ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء - وفي نصب آية وجه آخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لئلا يترك اي خذ هذه الآية ايضاً بعد قلب العصا حية لفريك بهاتين الايتين بعض آياتنا الكبرى - او لئلا يترك بهما الكبرى من آياتنا الكبرى فعلمنا ذلك * لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغى لعنه الله عرف انه كلف امراً عظيماً و خطباً جسيماً يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط و صدر فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليماً حمولاً يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد الذي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وان يسهل عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها من مزاولة معاذم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب - فان قلت لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدون مستتب - قلت قد ابهم الكلام اولاً فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثمة مشروحا وميسراً ثم بين

أُخْرَى ۖ قَالَ أَفَلَا يَمُوسَى ۖ فَالْقِدْهَا نَازَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ۖ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ۖ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى ۖ لِذُرِّيَّتِكَ مِنْ أَيْنَا الْكُبْرَى ۖ إِذْ هَبْ

سورة طه ٢٠

الجزء ١٦

ع ٩

ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى اخت الكسرة - وقرأ الحسن عصامي بكسر الياء لا لتقاء الساكنين و هو مثل قراءة حمزة بِمُصْرَخِي - وعن ابن ابي اسحق سكن الياء [أَتَوَكَّؤُا عَائِيهَا] اَعْتَمَدُ عليها اذا اعيتت او وقفت على رأس القطيع و عند الطفرة - هَشَّ الورق خبطه اي اخبطه على رؤس غنمي تأكله - وعن لقمان بن عاد * شعر * اكلت حِقًّا و ابن لَبُون و جذع * وهَشَّة نخب وسيلاً دفع * والحمد لله من غير شبع * سمعته من غير واحد من العرب و نخب واد قريب من الطائف كثير السدر - وفي قراءة النخعي اهش وكلاهما من هَشَّ الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته - وعن عكرمة احس بالسين اي انحي عليها زاجراً لها والهس زجر الغنم - ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه احس بما يعقب هذا السؤال من امر عظيم يحدثه الله فقال ما هي الا عصاً لا تنفع الا منافع بذات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقاً للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه - ويجوز ان يريد عزو علا ان يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يرثه على عقب ذلك الآية العظيمة كانه يقول له اين انت عن هذه المنفعة العظمى و المأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة و مأربة كنت تعتد بها وتحفل بشأنها - وقالوا انما سألته ليدسط منه ويقلل هيئته - وقالوا انما اجمل موسى ليسأله عن تلك المأرب فيزيد في اكرامه - وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل - وقالوا اسم العصا نبعة - وقيل في المأرب كانت ذات شعبتين ومحجن - فاذا طال الغصن جناء بالمحجن - واذا طلب كسره لواء بالشعبتين - واذا سار القاهها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكفافة والحلاب وغيرها - واذا كان في البرية ركزها و عرض الزندين على شعبتيهما والقي عليها الكساء واستظل - واذا قصر رشاؤه وصله بها - وكان يقاتل السباع بها عن غنمه - وقيل كان فيها من المعجزات - انه كان يستقي بها فتطول بطول البير وتصير شعبتاهما دلو - وتكونان شمعتين بالليل - واذا ظهر عدو حاربت عنه - واذا انتهى ثمرة ركزها فأرقت و اثمرت - وكان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه - ويركزها فيذبغ الماء فاذا رفعها نصب - وكانت تقيه الهوام * السعي المشي بسرعة وخفة حركة - فان قلت كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجبان والتعبان - قلت اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير واما التعبان والجبان فبينهما تناف لان التعبان العظيم من الحيات والجبان الدقيق وفي ذلك وجهان - احدهما انها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم و يتزايد جرمها حتى تصير تعبانا فاريد بالجبان اول حالها وبالتعبان مآلها - والثاني انها كانت في شخص التعبان و سرعة حركة الجبان والدليل عليه قوله تعالى فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ - وقيل كان لها عرف كعرف الفرس - وقيل كان بين لحبيها اربعون فراعاً - لما رأى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفر ما يملك البشر

أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ٥ فَلَا يَصْدَقُ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ٥ وَمَا
تِلْكَ بِبَيِّنَاتٍ يُؤْمِنُ ٥ قَالَ هِيَ عَصَايَ ٥ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ

كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا ذكرها - ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله -
او بتقدير حذف المضاف اي لذكر صلوتي - اولان الذكر والنسيان من الله في الحقيقة - وقرأ رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم للذكري * اي [اَكَادُ أَخْفِيهَا] فلا اقول هي ائنة لقرط ارادتي اخفاءها و لولا ما في
الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به - وقيل معناه اَكَادُ أَخْفِيهَا من نفسي ولا دليل
في الكلام على هذا المحذوف و محذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي
اَكَادُ أَخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي - وفي بعض المصاحف اَكَادُ أَخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ أَظْهَرَكُمْ عَلَيْهَا - وعن ابي
الدرداء وسعيد بن جبير أَخْفِيهَا بالقبح من خفاء اذا اظهره اي قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة - وقد
جاء في بعض اللغات اخفاء بمعنى خفاء و به فسر بيت امرئ القيس * شعر * فان تدفنا الداء لانخفه * وان
تبعثوا الحرب لانقعد * فَاَكَادُ أَخْفِيهَا محتمل للمعنيين [لِتُجْزَى] متعلق بآتيئة [بِمَا تَسْعَى] بِسَعِيهَا * اي
لا يصدقك عن تصديقها و الضمير للقيمة - ويجوز ان يكون للصلوة - فان قلت العبارة لنهي من لا يؤمن
عن صد موسى والمقصود نهى موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق فكيف صلت هذه
العبارة لاداء هذا المقصود - قلت فيه وجهان :- احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب
فذكر السبب ليدل على المسبب - والثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمة
فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا اربنك بهذا المراد نبيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك
سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى
لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه يعني ان من لا يؤمن بالآخرة
هم الجحيم الغفير ان لا شيء اطم على الكفرة ولا هم اشد له نكيرا من البعث فلا يهولئك وفور دهمائهم
وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزية قدمك واعلم انهم و ان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه
هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبرة - وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل و زجر بليغ عن التقليد
وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد و اهله * [تِلْكَ بِبَيِّنَاتٍ] كقوله وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا فِي انْتِصَابِ
الحال بمعنى الاشارة - ويجوز ان يكون تِلْكَ اسما موصولا صلته بِبَيِّنَاتٍ - انما سأل ليريه عظم ما يخترعه
عز و علا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضاضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب
اليه وينبئه على قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة
حديد ثم يريك بعد ايام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب
الصنعة وانيق السرد - قرأ ابن ابي اسحق عَصَايَ على لغة هذيل ومثله يَبْشَرِي ارادوا كسر ما قبل

فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۖ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۖ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ

سورة طه ٢٠

الجزء ١٩

ع ٩

مغمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شغل و المعنى ذري هدى - او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى و معنى الاستعلاء في على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال حيدوبه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد - اولان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكلفوها قياما و قعودا كانوا مشرفين عليها - و منه قول الاعشى * ع * و بات على النار الذدى و المخلق * قرأ ابو عمرو و ابن كثير اني بالفتح اي نودي باني انا ربك - و كسر الباقون اي نودي فليل يا موسى - اولان الذداء ضرب من القول فعومل معاملته - تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة و تحقيق المعرفة و اماطة الشبهة - روي انه لما نودي يموسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك و ان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع جهاتي الست و اسمعه بجميع اعضاءي - و روي انه حين انتهى رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تنقد و يسمع تسبيح الملكة و رأى نورا عظيما فخاف و بهت فالتقيت عليه السكينة ثم نودي و كانت الشجرة عوسجة - و روي كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت - و عن ابن اسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع و ارجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم - قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي و قتادة - و قيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به - و قيل لان الحفوة تواضع لله و من ثمة طاف السلف بالكعبة حافين - و منهم من استعظم دخول المسجد بنعليه و كان اذا نذر منه الدخول منتعلا تصدق - و القرآن يدل على ان ذلك احترام للبقعة و تعظيم لها و تشريف لقدسها - و روي انه خلع نعليه و القاهما من وراء الوادي [طوى] بالضم و الكسر منصرف و غير منصرف بتاويل المكان والبقعة - و قيل طوى مرتين نحو نذى اي نودي ندائين - او قدس الوادي كرة بعد كرة [اخترتك] اصطفتك للنبوة - و قرأ حمزة و انا اخترتك [لما يوحى] للذي يوحى - اوللوحى تعلق اللام باستمع او باخترتك * [لذكرني] فان ذكرني ان أعبد و يصلى لي - او لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الذاكر عن مجاهد - اولاني ذكرتها في الكتب و امرت بها - اولان اذكرك بالمدح و الثناء و اجعل لك لسان صدق - اولذكرني خاصة لا تشوبه بذكر غيري - اولاخلاص ذكرني و طلب وجهي لاتراعي بها ولا تقصد بها غرضا آخر - اولتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم و توكيل همهم و افكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - اولاوقات ذكرني وهي مواقيت الصلوة كقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كلبا موقوتا - والام مثلها في قولك جئت لك لوقت كذا - و كان ذلك لست ليال خلون و قوله تعالى يلبثني قدمت ليحياتي - و قد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها - و كان حق العبارة ان يقال لذكرها

سورة طه ٢٠
الجزء ١٤
ع ٩

تَجَهَّرَ بِالنَّوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۝ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۝ وَ هَلْ آتَيْتَكَ حَدِيثَ
مُوسَى ۝ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ۝
فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَى ۝ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۝ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ

الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساراته
عندهم قولهم جواد و منه قول الله تعالى وَ قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ اى هو بخيل - بَلْ يَدُهُ مَبْسُوطَةٌ
اى هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفكير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة
عن علم البديان مسيرة اعوام [مَا تَحْتَ الثَّرَى] ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب - وعن
السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة * اى [يَعْلَمُ] ما أسررتة الى غيرك [وَ أَخْفَى] من
ذلك و هو ما اخطرته ببالك - او ما أسررتة في نفسك و أَخْفَى منه و هو ما سترته فيها - وعن
بعضهم ان أَخْفَى فعل يعنى انه يعلم اسرار العباد و أَخْفَى عنهم ما يعلمه هو كقوله يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِعِلْمِهِ و ليس بذلك - فَان قُلْتَ كيف طابق الجزء الشرط - قَالَتْ معناه ان
تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك - فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله وَ اذْكُرْ
رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ - واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله
وانما هو لغرض اخر [الْحُسْنَى] ثانيث الاحسن و صفت بها السماء لان حكمها حكم المونث كقولك
الجماعة الحسنى و مثلها مَارِبُ أُخْرَى - وَمِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى والذي فضلت به اسماءه في الحسن سائر
الاسماء دلالتها على معانى التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن *
فقاه بقصة موسى ليتأسى به في تحمل اعباء الذبوة و تكاليف الرسالة و الصبر على مقاساة الشدائد
حتى ينال عند الله الفوز و المقام المحمود - يجوز ان ينتصب [اِنْ] ظرفا للحديث لانه حدث - او لمضمراى
حين [رَأَى نَارًا] كان كيت وكيت - او مفعولا لا ذكر - استاذن موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه و خرج
باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثاجة و قد ضل الطريق و تفرقت ماشيته و لا ماء
عنده و قدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك - قيل كانت ليلة جمعة [امْكُثُوا] اقيموا في مكانكم - الايناس
الابصار البين الذي لاشبهة فيه و منه انسان العين لانه يتبين به الشيء و الانس لظهورهم كما قيل
الجن لاستتارهم - و قيل هو ابصار ما يونس به - لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حقه لهم بكلمة
ان ليوطن انفسهم و لما كان الاتيان بالقبس و وجود الهدى متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء
و الطمع و قال لَعَلِّي و لم يقطع فيقول اني آتيتكم لللا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به - القبس النار المقتبسة
في رأس ورد او فتيلة او غيرهما و منه قيل المقتبسة لما يقتبس فيه من شقفة او نحوها [هُدًى] اى
قوما يهدوننى الطريق - او ينفعونني بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد و قتادة و ذلك لان افكار الابرار

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝ لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۝ وَإِنْ

سورة طه ٢٠

الجزء ١٤

ع ٩

قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط - فإني قلت أما يجوز أن يقول ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله أن تحبب أعمالكم - قلت بلى ولكنها نصب طارئة كالنصب في واختار موسى قومه وأما النصب في تذكيرة فهي كالتي في ضربت زيدا لأنه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها - فإني قلت هل يجوز أن تكون تذكيرة بدلا من محل لتشقى - قلت لا لاختلاف الجندين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي لا فيه بمعنى لكن - ويحتمل أن يكون المعنى أنا أنزلنا إليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الإسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكيرة وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكيرة حالا ومفعولا له [لَمَنْ يَخْشَى] لمن يؤول أمره إلى الخشية ولمن يعلم الله منه أنه يبدل بالكفر إيمانا وبالقسوة خشية - في نصب [تَنْزِيلًا] وجوه - أن يكون بدلا من تذكيرة إذا جعل حالا لا إذا كان مفعولا له لأن الشيء لا يعمل بنفسه - وأن ينصب بنزل مضمرا - وأن ينصب بأنزلنا لأن معني ما أنزلناه إلا تذكيرة أنزلناه تذكيرة - وأن ينصب على المدح والاختصاص - وأن ينصب بِيَخْشَى مفعولا به أي أنزله الله تذكيرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حَسَنٌ وَاَعْرَابُ بَيْنٌ - وقرئ تَنْزِيلٌ بالرفع على خبر مبتدأ محذوف - ما بعد تَنْزِيلًا إلى قوله لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى تعظيم وتفخيم لشان المنزل لنسبته إلى من هذه أفعاله وصفاته ولا يخلو من أن يكون متعلقه - إما تَنْزِيلًا نفسه فيقع صلة له - وإما محذوفا فيقع صفة له - فإني قلت ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب - قلت غير واحدة - منها عادة الافتدائ في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة - ومنها أن هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة - ومنها أنه قال أولا أنزلنا ففخم بالاسناد إلى ضمير الواحد المطاع ثم نثني بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين - ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبرئيل والملائكة النازلين معه - وصف السموات بالعلو دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها - قرئ الرَّحْمَنُ مجرورا صفة لمن خلق - والرفع أحسن لأنه - إما أن يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن - وإما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه إلى مَنْ خَلَقَ - فإني قلت الجملة التي هي عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ما محلها إذا جررت الرحمن أو رفعت على المدح - قلت إذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير - وأن رفعت جاز أن تكون كذلك وأن تكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ - لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملكا وإن لم يقعد على السرير البتة قالوه أيضا لشهرته في ذلك المعنى ومسارته ملك في موداه وإن كان اشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر ونحو قولك يد فلان مبدسوط ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين

سورة طه ٢٠	كلماتها ١٣٥١	سورة طه مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية وثمان ركوعات	حروفها ٥٤٧٦
الجزء ١٧			
ع ٩			

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٥

طه ٥ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ٥ إِلَّا تَذَكُّرٌ لِّمَن يَخْشَى ٥ تَنزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ٥

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ مَرْيَمَ أُعْطِيَ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ كَذَّبَ زَكْرِيَّا وَصَدَّقَ بِهِ وَيُحْيِي
و مَرْيَمَ وَعِيسَى وَابْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَاسْمَاعِيلَ وَادْرِيسَ وَعَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ
دَعَا اللَّهَ فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ *

سورة طه

أبو عمرو فتح الطاء لاستعلائها وأمال الهاء - وفخمها ابن كثير وابن عامر على الأصل - والباقيون أمالوها - وعن الحسن
طه وفسر بانه أمر بالوطء وإن النذبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقوم في تجمده على إحدى رجليه فأمر
بأن يطأ الأرض بقدميه معا وإن الأصل طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت في يطاء فيمن قال لاهذاك المرتع
ثم بنى عليه الأمر الهاء للسكت - ويجوز أن يكتب بشطري الأسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين -
والله أعلم بصحة ما يقال إن طه في لغة علب في معنى يا رجل ولعل عكاً تصرفوا في يا هذا كأنهم في لغتهم
قالون الياء طاء فقالوا في ياطا واختصروا هذا فاختصروا على ها وأثر الصنعة ظاهراً لا يخفى في البيت المستشهد
به * شعر * إن السفاهة طه في خلائكم * لا قدس الله أخلاق الملعين * والأقوال الثلاثة في الفواتح أعنى اللتي
قدمتها في أول الكشف عن حقائق التنزيل هي اللتي يعول عليها الباء المتقنون [مَا أَنزَلْنَا] أن جعلت طه تعديداً
للأسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام - وإن جعلتها اسماً للسورة احتملت أن تكون خبراً عنها وهي
في موضع المبتدأ والقُرآن ظاهر أوقع موقع الضمير لأنها قرآن وإن تكون جواباً لها وهي قسم - وقري ما نزل
عَلَيْكَ الْقُرْآنُ [لِتَشْقَى] لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا بك قوله
فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ وَالشَّقَاءُ يَجِيءُ فِي مَعْنَى التَّعَبِ وَمِنْهُ الْمَثَلُ اتَّعَبُ مِنْ رَأْنِ مُمْهِرٍ وَاشْقَى مِنْ
رَأْنِ مُمْهِرٍ - أي ما عليك إلا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تقط في أداء
الرسالة والموعظة الحسنة - وقيل إن أبا جهل والضربين الحارث قال له أنك شقي لأنك تركت دين أبائك
فأريد بذلك أن دين الإسلام وهذا القرآن هو السُّلَمُ إلى نيل كل فوز والسبب في ذلك كل سعادة وما فيه
الكفرة هو الشقاوة بعينها - وروي أنه صلى الله عليه وآله وسلم صلى بالليل حتى استغدت قدماه فقال له
جبرئيل أتق على نفسك فإن لها عليك حقاً أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها
المشقة الفادحة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لَتَشْقَى وَتَذَكُّرٌ علة للفعل إلا أن الأول
وجب مجيئه مع اللام لأنه ليس لفاعِلِ الفعل المَعْلَلِ ففاته شريطة الانتصاب على المفعولية - والثاني جاز

سورة مريم ١٩

الجزء ١٤

ع ٨

النصف

وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا ۖ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۖ وَكُلَّمَا أَتَيْهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۖ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۖ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ۖ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ ۖ هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۖ

على اصله قبل الاضافة • الإحصاء الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه و احاط بهم وعددهم عدًا - الذين اعتقدوا في الملكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين - احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدًا - والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادًا في عبادته كما يخدم الناس ابذاء الملوك خدمتهم لابائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملكة ومن الناس الا وهو يأتى الرحمن اي ياربى اليه و يلتجى الى ربوبيته عبدًا متفقدًا مطيعًا خاشعًا خاشيًا راجيًا كما يفعل العبيد و كما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعي له هؤلاء الضالّ ونحوه قوله تعالى أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ وَكُلُّهُمْ مَتَّعِدُونَ فِي مَلَكُوتِهِ مَقْهُورُونَ بقهره وهو مهيمون عليهم محيط بهم وبجمال أمورهم و تفاصيلها و كيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من أحوالهم - وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردًا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم برأء منهم • قرأ جناح بن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للأسباب التي يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصاً منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم العرب والهيبة اعظاماً لهم واجلاً لمكانهم - والسين - اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذٍ ممتقون بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام - واما ان يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم - وروى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الآية - وعن ابن عباس يعني يحببهم الله ويحببهم الى خلقه - وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى يا جبرئيل قد احببت فلانا فاحببه فيحبه جبرئيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض - وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه • هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به و انذر فانما انزلناه [بلسانك] اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه [لبشر به] وتذير - واللذان الشداد الخصومة بالباطل الأخذون في كل لديد اي في كل شق من المرء والجدال لفرط لجاحهم يريد اهل مكة وقوله [وكم اهلكنا] تخويف لهم و انذار - وقرى تحش من حسه اذا شعربه ومنه الحواس والمحسوسات - وقرأ حنظلة تسمع مضارع اسمعت - والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون - عن رسول

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۖ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۖ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يُنْبِغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۖ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى - وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ - يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا - قرئ [إدًّا] بالكسر والفتح قال ابن خالويه الإد والآء العجب - وقيل العظيم المذكور الآء الشدة - وأذني الأمر وأذني انقلبي وعظم علي أدّا [تَكَادُ] قراءة الكسائي ونازع بالياء - وقرئ [يَتَفَطَّرْنَ] الانفطار من فطرة إذا شقه والتفطر من فطرة إذا شقه وكرر الفعل فيه - وقرأ ابن مسعود يَنْصَدِعْنَ - أي تُهَدّ [هَدًّا] - أو مهددة - أو مفعول له أي لأنها تُهَدّ - فإن قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال ومن ابن توتر هذه الكلمة في الجملادات - قلت فيه وجهان - أحدهما إن الله سبحانه يقول كِدْتُ أَفْعَلُ هَذَا بِالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ عِنْدَ وَجُودِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ غَضَبًا مِنِّي عَلَى مَنْ تَفَوَّهَ بِهَا لَوْ لَا حِلْمِي وَقَارِي وَإِنِّي لَا أَعْتَجِلُ بِالْعُقُوبَةِ كَمَا قَالَ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا - والثاني أن يكون استعظامًا للكلمة وتهيؤًا من فظاعتها وتصويرًا لآثرها في الدين وهدمها لأركانها وقواعد وان مثال ذلك الأثر في المحسوسات أن يصيب هذه الأجرام العظيمة اللتي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي قوله لَقَدْ جِئْتُمْ وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَخَاطَبَةِ بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبية على عظم ما قالوا - في [أَنْ دَعَوْا] ثلاثة أوجه - أن يكون مجرورًا بدلًا من الهاء في مِنْهُ كقوله * شعر * على حالة لو أن في القوم حاتمًا * على جوده لضرن بالماء حاتم * ومنصوبًا بتقدير سقوط اللام وانضاء الفعل أي هَدًّا لِأَنْ دَعَوْا عِلَّ الْخُرُورَ بِالْهَدِّ وَالْهَدِّ دَعَاءُ الْوَلَدِ لِلرَّحْمَنِ - ومرفوعًا بأنه فاعل هَدًّا أي هَدَّهَا دَعَاءُ الْوَلَدِ لِلرَّحْمَنِ - وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة أنه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل أن اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم * شعر * فليذكر كشف عن بصرك غطاؤه * فانت وجميع ما عندك عطاؤه * فمن أضاف إليه ولدًا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو مَنْ دَعَى بِمَعْنَى سَمَى المتعدي إلى مفعولين فاختصر على أحدهما الذي هو الثاني طلبًا للعموم والاحتاطة بكل ما دعي له ولدًا أو مَنْ دَعَى بِمَعْنَى نَسَبَ الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام مَنْ أَدْعَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ وَقَوْلُ الشَّاعِر * ع * أَنَا بَذِي نَهْشَلُ لَأَدْعِي لَاب * أي لَأَنْتَسِبُ إِلَيْهِ - انبغى مطاوع بغى إذا طلب أي ما يَدَّئِي لَهُ اتِّخَاذُ الْوَلَدِ وَمَا يَنْطَلِبُ لَوْ طُلِبَ مَثَلًا لِأَنَّهُ مُحَالٌ غَيْرُ دَاخِلٍ تَحْتَ الصَّحَّةِ أَمَّا الْوَلَادَةُ الْمَعْرُوفَةُ فَلَا مَقَالَ فِي اسْتِحَالَتِهَا وَآمَّا التَّبَنِّي فَلَا يَكُونُ إِلَّا فِيمَا هُوَ مِنْ جِنْسِ الْمَتَّبَنِّي وَلَيْسَ لِلْقَدِيمِ سُبْحَانَهُ جِنْسٌ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عَلَوْا كَبِيرًا - [مَنْ] موصوفة لأنها وقعت بعد كُلِّ نَكْرَةٍ وَقَوْعَهَا بَعْدَ رَبِّ فِي قَوْلِهِ * ع * رَبِّ مِنْ أَنْصَجَتْ غِيظًا صَدْرَهُ * وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة أَيْ الرَّحْمَنَ

أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزَّهُمْ أَزًّا ۖ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ۖ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ
إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ ۖ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا ۖ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ

سورة مريم ١٩

الجزء ١٤

ع ٨

تصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهم ما هم لذلك في اتباع الشياطين وما تسوّل لهم * عجّلوا عليه بهذا اذا استعجلته منه اي [لَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ] بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شُرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها الساعة التي تعدّ فيها لوعدت ونحوه قوله تعالى وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَهُمْ يَوْمَ يَوْمٍ مَا يُوْعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ - وعن ابن عباس انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك - وعن ابن السّمّاك انه كان عند المامون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما ينفد - نصب يوم بمضمرا اي يوم نحشرون ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف - او اذكر يوم نحشرون - ويجوز ان ينتصب بلا يملكون - ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاء على الملوك منتظرين للكرامة عندهم - وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على ثوب رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت - وذكر الكافرون بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء - والورد العطاش لان من يرد الماء لا يردّه الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال * شعر * ريدي ريدي ورد قطاة صماء * كدرية اعجبها برد الماء * فسمي به الواردون - وقرأ الحسن يحشرون المتقون - ويساق المجرمون - الواو في [لَا يَمْلِكُونَ] ان جعل ضميرا فهو للعباد و دل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة - ويجوز ان تكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل [مَنِ اتَّخَذَ] لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل - او على الفاعلية - ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعته من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم - واتخذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل - وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لاصحابه ذات يوم اعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عذد الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء - اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك بانني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلفني الى نفسي تقربني من الشر وتبعدني من الخير واني لا اتق الا برحمتك فاجعل لي عذدك عهدا فانك توفيتني يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد - فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين لهم عذد الرحمن عهد فيدخلون الجنة - وقيل كلمة الشهادة - او يكون من عهد الامير الى فلان بهذا اذا امر به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعته

سورة مريم ١٩ فَرَدًّا ۝ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيُكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝ كَلَّا ۖ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝ أَلَمْ تَرَ

الجزء ١٩

ع ٨

مَا يَقُولُ و معنى مَا يَقُولُ و هو المال و الولد يقول الرجل انا املك كذا فنقول له ولي فوق ما تقول - و يحتمل انه قد تمنى و طمع ان يؤتيه الله فى الدنيا مالا و ولدا و بلغت به اشعبيته ان تأتى على ذلك فى قوله لَاؤْتَيْنَّ لانه جواب قسم مضمرة و من يتألى على الله يكذبه فيقول الله تعالى هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نثره منه فى العاقبة [وَيَأْتِينَا فَرْدًا] غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل و لقد جننونا فرداى الآية فما يجدي عليه تمنيه و تأليه - و يحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلفا بينه و بين ان يقوله و يأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له - او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبتة فى صحيفته لنضرب به وجهه فى الموقف و نعيظه به وَيَأْتِينَا عَالِي فَقْرَةٍ و مسكنته فردا من المال و الولد لم نؤله سؤله و لم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعه قوله و وبأله و فقد المطموع فيه - فردا على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خلدن لانه و غيره سواء فى اتيانه فردا حين ياتي ثم يتفاوتون بعد ذلك * اى ليتعززوا بالهتيم حيث يكونون لهم عند الله شفعا و انصارا ينقذونهم من العذاب [كَلَّا] ردع لهم و انكار لتعززهم بالالهة - و قرأ ابن نهيك كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ اى سيجحدون كَلَّا سيجفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه - و فى محتسب ابن جنى كَلَّا بفتح الكاف و التنوين و زعم ان معناه كل هذا الراي و الاعتقاد كَلَّا - و لقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كَلَّا اللتي هي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما فى قواربرا - و الضمير فى [سَيَكْفُرُونَ] للالهة اى سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون و الله ما عبدتمونا و انتم كاذبون قال الله تعالى و اذا رَا الَّذِينَ اَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَاَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ اِنَّكُمْ لَكَذِبُونَ - او للمشركين اى ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ اَلَا قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ [عَلَيْهِمْ ضِدًّا] فى مقابلة لهم عزرا والمراد ضد العز و هو الذل و الهوان اى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه و ارادوه كانه قيل و يكونون عليهم ذلا لا لهم عزرا - او يكونون عليهم عوناً و الضد العون يقال من اصدادكم اى من اعوانكم فكان العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك و ينافيه باعانتك لك عليه - فان قلت لم وحد - قلت وحد توحيد قوله صلى الله عليه و آله وسلم و هم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم و انهم كشيء واحد لفرط تضامهم و توافقهم - و معنى كون الالهة عونا عليهم انهم وقود النار و حصب جهنم و لانهم عبدوا بسبب عبادتها - و ان رجعت الواو فى سَيَكْفُرُونَ وَيَكُونُونَ الى المشركين فان المعنى و يكونون عليهم اى اعداءهم ضدا اى كفره بهم بعد ان كانوا يعبدونها * الاز و الهز و الاستفزاز اخوات و معناها التهديد و شدة الازعاج اى تغريمهم على المعاصي و تبيجهم لها بالوساوس و التسويلات و المعنى خلدنا بينهم و بينهم و لم فمنعهم و لو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم بعد الايات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار و اقاربهم و ملاجتهم و معاندتهم للرسول و استهزائهم بالدين من تماديهم فى الغي و افراطهم فى العناد و

سورة مريم ١٩

الجزء ١٤

ع ٧

خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا ۝ اَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَدَّآ ۝ اَطْلَعَ الْغَيْبِ اَمْ
اَتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۝ كَلَّا ۝ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۝ وَنُرْسِلُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا

ضرب وجيع * ثم بني عليه خير ثوابا - وفيه ضرب من التهم الذي هو اغيظ للمتعبد من ان يقال له عقابك الفار -
فان قلت فما وجه التفضيل في الخير كان لمفاخرهم شركا فيه - قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف
احر من الشتاء اي ابلغ في حرة من الشتاء في برده * لما كانت مشاهدة الاشياء ورويتها طريقا
الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا اراءيت في معنى اخبر و الغاء جاءت لانفاة معناها
الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر و اذكر حديثه عقيب حديث اولئك - [اطلع الغيب]
من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع الذئبة قال جرير * ع * لا نيت مطلع الجبال و عورا * ويقولون مر
مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالا له ولاختيار هذه الكلمة شان يقول او قد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى
الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار - والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه و تأتى عليه لا يتوصل اليه
الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب و اما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك - قرأ حمزة
والكسائي ولدا و هو جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب - و عن يحيى بن يعمر و لدا
بالكسر - و قيل في العهد كلمة الشهادة - و عن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول - و عن
الكلبي هل عهد الله اليه انه يؤتاه ذلك - عن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة و المشهور انها في العاص
بن وائل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقضيت له فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله
لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولاحين تبعت قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني
وس يكون لي ثمة مال و ولد فاعطيك - و قيل صاغ له خباب حليا فاقضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم
تبعثون و ان في الجنة ذهبا وفضة و حريرا فانا اقضيك ثمة فاني اوتى مالا و ولدا حينئذ [كلا] ردع
و تنبيه على الخطاء اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه و يتمناه فليتردد عنه - فان قلت كيف قيل
[سنكتب] بسين التسويف و هو كما قاله كتب من غير تاخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد - قلت فيه وجهان - احد هما سنظهور له و نعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله * ع * اذا ما انتسبنا
لم تلدني لثيمة * اي تبين و علم بالانتساب اني لست بابن لثيمة - والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف
انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار و ان تطاول به الزمان و استأخر فجرد ههنا لمعنى الوعيد [و نمد له
من العذاب] اي نطول له من العذاب ما يستأهله و نعد به بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزئون - او نريده
من العذاب و نضاعف له من المدد يقال مدة و امدة بمعنى وتدل عليه قراءة علي بن ابي طالب رضي الله
عنه و نمد له بالضم - و أكد ذلك بالمصبر و ذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به
غضبه [و نرسله ما يقول] اي نرسله ما زعم انه يذاله في الآخرة و نعطي من يستحقه - والمعنى

سورة مريم ١٩ السَّاعَةُ ط فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا @ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ط وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ

الجزء ١٤

ع ٧

أم الوليد بنا * دهرًا و صاراثًا البيت خرنيا * قري على خمسة اوجه [رئيًا] وهو المنظور الهيئة فعل بمعنى
مفعول من رأيت - ورئيًا على القلب كقولهم رآء في رأى ورئيًا على قلب الهمزة ياء و الادغام او من الري
الذي هو النعمة و الترفة من قولهم ريان من النعيم - ورئيًا على حذف الهمزة رأسًا ووجهه ان يخفف المقلوب
وهو رئيًا بحذف همزته و القاء حركتها على الياء الساكنة قبلها - وزبًا و اشتقاقه من الزبي وهو الجمع لان
الزبي محاسن مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء * اي مدله الرحمن يعني امهله و املى له في العمر
فأخرج على لفظ الامر ايدانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمأمور به الممثل لتقطع معاذير الضال
ويقال له يوم القيمة أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر - او كقوله إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزِدُوا إِلَهُم - أو مَنْ كَانَ فِي
الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا فِي معنى الدعاء بان يمهل الله و ينقس في مدة حياته - في هذه الآية وجهان -
احدهما ان تكون متصلة بالآية التي هي رابعها و الايتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفرق بين خيّر مقامًا
وَ أَحْسَنَ نَدِيًّا [حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ] اي لا يبرحون يقولون هذا القول و يتولعون به لا يتكلمون عنه الى ان
يشاهدوا الموعود رأي عين [إِمَّا الْعَذَابَ] في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم و تعذيبهم اياهم قتلًا و اسرا و اظهار
الله دينه على الدين كله على ايديهم - واما يوم القيمة و ما ينالهم من الخزي و النكال فحيث يعلمون عند
المعاينة ان الامر على عكس ما قدره و انهم [شَرٌّ مَكَانًا وَ أضعف جُنْدًا] لا خير مقامًا و احسن نديًا و ان
المؤمنين على خلاف صفتهم - و الثاني ان تتصل بما يليها و المعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في
ضلاتهم و الخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم و بان اللطاف لا تنفع فيهم و ليسوا من اهلها و المراد بالضلالة
ما دعاهم من جهلهم و غلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلاتهم الى ان يعاينوا نصرة
الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة و مقدماتها - فان قلت حتى هذه ما هي - قلت هي التي تحكى بعدها
الجميل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ - فَسَيَعْلَمُونَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أضعف جُنْدًا
في مقابلة خيّر مقامًا وَ أَحْسَنَ نَدِيًّا لان مقامهم هو مكانهم و مسكنهم و الندي المجلس الجامع لوجوه قومهم
واعوانهم و انصارهم و الجند هم الانصار و الاعوان * [يَزِيدُ] معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع
الخبر تقديره من كان في الضلالة مدًا و يمد له الرحمن و يزيد اي يزيد في ضلال الضلال بخذلانه و يزيد
المهتدين هداية بتوفيقه [وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ] اعمال الآخرة كلها - و قيل الصلوات - و قيل
مبحان الله و الحمد لله و لا اله الا الله و الله اكبر اي هي [خَيْرٌ ثَوَابًا] من مفاخرات الكفار [وَ خَيْرٌ مَرَدًا] اي
مرجعًا و عاقبة - او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد و هل يرد بكاي زندا - فان قلت كيف قيل خيّر
ثَوَابًا كَانَ لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه - قلت كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله
فَاعْبُدُوا بِالْصَّيْلَمِ وقوله * شعر * شجعاء جرتها الذميل تلوكة * أصلا اذا راح المطي غرائنا * وقوله * ع * تحية بينهم

رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۖ وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بِزَبَأٍ قَالِ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَآحْسَنُ نَدِيًّا ۖ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ
أَثَانًا وَرَيْثًا ۖ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا

سورة مريم ١٩

الجزء ١٩

ع ٧

و عن ابن مسعود والحسن وقادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليهما - وعن ابن عباس قد يرد
الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين - ووردت القافلة البلاد وان لم تدخله ولكن قربت
منه - وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحتمي جسده في الدنيا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم
وسلم الحتمي من فيح جهنم - وفي الحديث الحتمي حظ كل مؤمن من النار - ويجوز ان يراد بالورود جثوهم
حوالها - وان اريد الكفار خاصة فالمعنى بين - [الحتم] مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم
خلق الله و ضرب الاميراي كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى به وعزم على ان
لا يكون غيره * قرئ [نُنَجِّي] - ونُنَجِّي - ونُنَجِّي على ما لم يسم فاعله - ان اريد الجنس باسره
فهو ظاهر - وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم - نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا أَن المتقين يساقون الى الجنة عقيب
ورود الكفار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون - وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجمحدري وابن ابي ليلى
ثُمَّ نُنَجِّي بفتح التاء اي هناك وقوله [وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا] دليل على ان المراد بالورود الجثو حوالها
وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم جائنين * [بَيِّنَات] مرقلات
الفاظ ملخصات المعاني بيِّنَات المقاصد اما محكمات - او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين
الرسول قولا او فعلا - او ظاهرات الاعجاز تُحَدِّي بها فلم يقدر على معارضتها - او حججا وبراهين - والوجه ان تكون
حالا مؤكدة كقوله وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّآيَاتِ اللَّهِ لَا تَكُونُ إِلَّا وَاضِحَةً وَحُجَّجًا [لِلَّذِينَ آمَنُوا] يحتمل انهم يذاتقون
المؤمنين بذلك و يواجهونهم به وانهم يفوهون به لاجلهم وفي معذاتهم كقوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ
آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ - قرأ ابن كثير مَقَامًا بالضم وهو موضع الإقامة والمنزل - والباقيون بالفتح
وهو موضع القيام والمراد المكل والموضع - و[الندي] المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى
انهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك مبالغهم من العلم قالوا اي
الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل
والنقص والرفعة والضعفة - و يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة
ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم * [كَمْ] مفعول [أَهْلَكْنَا] ومن تبيين لابهامها
اي كثيرا [مِنَ الْقُرُونِ] اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم - و[هُمْ أَحْسَنُ] في محل النصب
صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية - [الاثاث] مناع البيت -
وقيل هو ما جد من الفرش والخُرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي * شعر * تقادم العهد من

سورة مريم ١٩ آيهم أشد على الرحمن عتياً ٥ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً ٥ وإن منكم إلا وادها ٥ كان على

الجزء ١٩

ع ٧

بالخصوص فالمعنى أنهم يُعْتَلُونَ من المحشر إلى شاطئ جهنم عدلاً على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجنثو قال الله تعالى وتري كل أمة جاثية على العادة المعهودة في مواقع المقالات و المناقلات من تجاثي أهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحصى وخلاف الطمانينة - ولما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيحبسون على ركبهم حبوا - وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثياً حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لأنه من توابع التوقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب * المراد بالشيعة و هي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت أي تبعت غاوباً من الغواية قال الله تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم - أو أراد بالذين هم أولى بها صلياً المنتزعين كما هم كانه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين و دركاتهم اسفل وعذابهم أشد - ويجوز أن يريد بأشدهم عتياً رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضللاً ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون - وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم - واختلف في أعراب أيهم أشد فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديرة لنزوع الذين يقال فيهم أيهم أشد - وسيدويه على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى أوجي به لأعرب - وقيل أيهم هو أشد - ويجوز أن يكون النزاع واقعاً على من كل شيعة كقوله وهبنا لهم من رحمتنا أي لنزوع بعض كل شيعة وكان قائلاً قال من هم فقيل أيهم أشد عتياً - وأيهم أشد بالنصب عن طلحة بن مصرف و عن معاذ بن مسلم الهراء استأذ الفراء - فإن قامت به يتعلق على والباء فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه - قلت هما للبيان لا للمصلحة - أو يتعلقان بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن و صليهم أولى بالنار كقولهم هو أشد على خصمه وهو أولى بكذا * [وإن منكم] التفات إلى الإنسان تعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وإن منكم - أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور - فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي خامدة فيعبرها المؤمنون و تنهار بغيرهم - عن ابن عباس يردونها كأنها أهالة - وروي دواية - وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة - وعنه رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى برؤا فاجر إلا دخلها فتكمن على المؤمنين برؤا وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى أن النار ضجيجاً من بردها وأما قوله أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها -

قَبْلَ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ۝ قَوْرَبِكْ لَحْشَرْتَهُمْ وَالشَّيْطَانِ ثُمَّ لَحْشَرْتَهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثْيًا ۝ ثُمَّ لَنَزَعْنَنَ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ

سورة مريم ١٩
الجزء ١٤

ع ٧

واضحل عنها معنى التعريف وما في إذا ما للتوكيد ايضاً فكانهم قالوا احقاً انا سنخرج احياء حين يتمكن
فيذا الموت والهالك على وجه الاستنكار والاستبعاد - والمراد الخروج من الارض - او من حال الفناء - اوهو من
قولهم خرج فلان عالماً وخرج شجاعاً اذا كان نادراً في ذلك يريد ساخرج حياً نادراً على سبيل الهزؤ -
وقرأ الحسن و ابو حيوة لسوف اخرج - وعن طلحة بن مصرف لساخرج قراءة ابن مسعود ولسيغطيك -
وتقديم الظرف و ايلولة حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوّة منكراً ومنه جاء انكارهم
فهو كقولك للمسيء الى المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اسأت اليه - الواء عطفت لا يذكّر على
يقول ووسطت همزة انكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني يقول ذلك ولا يذكّر حال النشأة
الاولى حتى لا يذكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب و ادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر
والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التاليف مشكونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذر
على مثال واقتداء بموتف ولكن اختراعاً و ابداعاً من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد
تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تاليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها
وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله [وَلَمْ يَكْ شَيْئًا] دليل على هذا المعنى
وكذلك قوله وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ على ان رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل
ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظير في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث
بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفاً عن صفحة جهله - القراء كلهم على لا يذكّر بالتشديد الا نافعاً وابن عامر
وعاصم فقد خففوا - وفي حرف ابي يذكّر - من قبل من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه * في اتسام
الله تعالى باسمه تقدّست اسماءه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تفخيم لشان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم و رفع منه كما رفع من شان السماء والارض في قوله قَوْرَبِكْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ -
والواو في [وَالشَّيْطَانِ] - يجوز ان تكون للعطف ومعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع
قرنائهم من الشياطين الذين اغوهم يقرن كل كانر مع شيطان في سلسلة - فان قلت هذا اذا اريد بالانسان
الكفرة خاصة فان اريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين - قلت اذا حشر جميع الفاس
حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة - فان قلت
هلا عزل السعداء عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء - قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر واحضروا
حيث تجاثوا حول جهنم و اوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا
لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيطهم
من معادة اولياء الله و شماتتهم بهم - فان قلت ما معنى احضارهم [جِثْيًا] - قلت - اما اذا فسر الانسان

خَلَقْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ٥ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ٥ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ٥ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ٥ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِيتٌ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ٥ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ

الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة - وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة اي وما نزل الجنة الابان من الله علينا بنواب اعمالنا و امرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة و المترتبة و الحاضرة اللطيف في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريراً لقولهم وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَاسِيًّا لاعمال العاملين غافلاً عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت لسماء والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم فحين عرفته على هذه الصفة فاقبل على العمل و اعبدته يثيبك كما اثنى غيرك من المتقين - وقرأ الاعرج وَمَا يَنْزِلُ بِالْيَاءِ عَلَى الْحِكَايَةِ عَنْ جِبْرِئِيلَ وَالضَّمِيرُ لِلْوَحْيِ - وعن ابن مسعود اَلْأَيْقُولُ رَبُّكَ - يجب ان يكون الخلاف في النسي من مثله في البغي - [رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] بدل من رَبُّكَ - ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هورب السموات والارض فاعبدته كقوله ع * وقائلة خولان فانكح فئاتهم * وعلى هذا الوجه - يجوز ان يكون وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة - فان قلت هلا عدني اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا - قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته اريد ان العبادة تورث عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهين ولا يضيق صدرك عن القاء عدائك من اهل الكتاب اليك الاغاليط و عن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك - اي لم يستم شيء بالله قط و كانوا يقولون لاصنامهم الهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه - وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره - ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية - وقيل مثلاً وشبهها اي اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته و الاصطبار على مشاقها وتكاليفها * يحتمل ان يراد بالانسان الجنس بامره - وان يراد بعض الجنس وهم الكفرة - فان قلت لم جازت ارادة الاناسي كلهم و كلهم غير قائلين ذلك - قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسنادها الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا و انما القاتل رجل منهم وقال الفرزدق * شعر * فسيف بني عبس وقد ضربوا به * نبا بيدتي ورقاء عن رأس خالد * فقد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدتي ورقاء و هو ورقاء ابن زهير بن جذيمة العبسي - فان قلت بم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم - قلت بفعل مضمرب يدل عليه المذكور - فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جاءت حرف الاستقبال - قلت لم تجامعها الا مخلصاً للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۚ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا

الجزء ١٩

ع ٦

فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلؤل من قراع الكتاب * اولي سمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقص على الاستثناء المذق - اولان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهرة من باب اللغو وفضول الحديث لو لا ما فيه من فائدة الاكرام - من الناس من يأكل الوجبة - ومنهم من يأكل متى وجد وهي عادة المنهزمين - ومنهم من يتغذى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة - ولا يكون ثمة ليل ولا نهار ولكن على التقدير - ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء - وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين * [نُورِثُ] - وقرئ نُورِثُ استعارة اي نُبْقِي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيمة قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى - وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا * [وَمَا نَنْزِلُ] حكاية قول جبرئيل حين استبطأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - روي انه احتبس اربعين يوما - وقيل خمسة عشر - وذلك حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذئب القرنين والروح فلم يدرك كيف يجيب رجاء ان يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبرئيل قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابطأت حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني كنت اشوق ولكنني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله هذه الآية وسورة الضحى - والنزول على معنيين - معنى النزول على مهل - ومعنى النزول على الاطلاق كقوله * شعر * فليست لادسي ولكن لملائك * تنزل من جو السماء يصوب * لانه مطارع نزل ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللاق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزلنا في الاحياء وقتنا غيب وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة - وله ما قد امننا وخلفنا من الجهات والامكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فأتى لنا ان نقلب في ملكوته الا اذا رأى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه - وقيل ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الآخرة [وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ] ما بين الفختين وهو اربعون سنة - وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها - وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فناءنا - وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والارض والمعنى انه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف تقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته وبأمرنا به وبأذن لنا فيه - وقيل معنى [وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا] وما كان تاركا لك كقوله مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَالِي اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس

سورة مريم ١٩
الجزء ١٤
ع ٦
السجدة

عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَبُكِّيًا ۖ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۖ جَنَّتٌ عَدْنٌ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۚ وَلَهُمْ فِيهَا زَوْجَةٌ بَكْرَةٌ وَعِشْيَا ۖ

يدعوني سجدة التلاوة بما يلبق بآيتها - فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المستبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك - وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك - وان قرأ هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهدئين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك • خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب الشر خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير وعيد في ضمان الشر - عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب - وعن ابراهيم ومجاهد اغاوها بالناخير - وينصر الاول قوله الا من تاب وامن يعنى الكفار - وعن علي رضي الله عنه في قوله [واتبعوا الشهوات] من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور - وعن قتادة هو في هذه الامة - وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع - كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال • شعرة فمن يلق خيرا يحمد الناس امرة • ومن يغو لا يعدم على الغي الاثما • وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق اثما اي مجازاة اثم - او غيا عن طريق الجنة - وقيل غي واد في جهنم تستعيز منه اوديتها - وروى الاخفش يلقون - قرى [يدخلون] - ويدخلون - اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونهم بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى ما منعك - او لا يظلمون البتة - اي شيئا من الظلم • اما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي - وعدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الإقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العدن لذلك - او هو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولو لا ذلك لما ساغ الابدال لان الزكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها باللاتي - وقرى جنت عدن - وجنة عدن بالرفع على الابتداء - اي وعدا وهي غائبة عنهم غير حاضرة - او هم غائبون عنها لا يشاهدونها - او بتصديق الغيب والايان به - وقيل في [ماتيا] مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأتونها - او هو من قولك اتى اليه احسانا اي كان وعدة مفعولا منجزا • اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما - واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلم عليكم لا نبتغي الجاهلين - نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا - اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله • شعرة • ولا عيب

سورة مريم ١٩

الجزء ١٩

ع ٦

إِدْرِيسَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ
 آدَمَ ۖ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۖ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَٰئِيلَ ۖ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۖ إِذَا تُتْلَىٰ

في الامر بالصالح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وَاَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْاَقْرَبِينَ -
 وَاْمُرْ اَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ - قُواْ اَنْفُسَكُمْ وَاَهْلِيكُمْ نَارًا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فلاحسان الديني اولى -
 وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان اسم النبيين في عداد اهاليهم - وفيه ان من حق الصالح ان
 لا يألوا نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يحفظهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك •
 قيل سمي ادريسا لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان انفعلا من الدرس
 لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتداعه من الصرف دليل العجمة - وكذلك ابليس
 اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون - ولا يعقوب من العقب - ولا اسرائيل باسرايل كما زعم ابن السكيت
 ومن لم يتحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهذات - ويجوز ان يكون معنى ادريس في
 تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس - المكان العلي شرف النبوة و الزلفى
 عند الله وقد انزل الله تعالى عليه ثلثين صحيفة - وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب -
 و اول من خاط الثياب ولبسها و كانوا يلبسون الجلود - وعن انس بن مالك يرفعه انه رفع الى السماء
 الرابعة - وعن ابن عباس الى السماء السادسة - وعن الحسن الى الجنة لاشيء اعلى من الجنة - وعن
 الثابت الجعدي انه لما انشد عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشعر الذي اخبره شعر • بلغنا السماء
 مجدنا وسعادنا • وانا لخرجوا فوق ذلك مظهرا • قال له رسول الله الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة •
 [اُولَٰئِكَ] اشارة الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى ادريس - ومن في من النبيين للبيان مثلها
 في قوله تعالى في اخر سورة الفتح وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً لِّاٰنْ جَمِيعِ الْاَنْبِيَاءِ
 منعم عليهم - ومن الثانية للتبعيض - وكان ادريس من ذرية ادم لقربه منه لانه جد ابي نوح - و ابراهيم من
 ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح - واسماعيل من ذرية ابراهيم - وموسى وهرون وزكريا ويحيى
 من ذرية اسرائيل - وكذلك عيسى لان مريم من ذريته - [وَمِمَّنْ هَدَيْنَا] يحتمل العطف على من الاولى
 والثانية ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا تلتى كلاما مستانفا - وان جعلته صفة له كان خبرا - قرأ
 شبل بن عباد المكي يَتْلَى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل - البكي جمع بالك كالسجود
 والقعود في جمع ساجد وقاعد - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا
 فتباكوا - وعن صالح المرمي قرأت القرآن على رسول الله في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاي
 البكاء - وعن ابن عباس اذا قرأت سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم
 فليبك قلبه - وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتكأزنوا - وقالوا

سورة مريم ١٩
الجزء ١٤
ع ٦

بِي حَفِيًّا ۝ وَاعْتَزِلْكُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۝ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ
وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا
لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ
الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۝ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۖ إِنَّهُ كَانَ
صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ۖ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ

عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا آيَةً فَالْوَاعِدُ هُوَ ابْرَاهِيمَ لَا أَزْرِي مَا قَالَ وَافْعُرْ لِأَبِي الْأَعْنُ قَوْلُهُ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَتَشْهَدُ لَهُ
قِرَاءَةُ حَمَانَ الرَّابِئَةِ وَعَدَهَا آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ [الْحَقِّي] الْبَلِيغُ فِي الْبَرِّ وَالْإِلْفَافِ حَقِّي بِهِ وَتَحَقَّقِي بِهِ * ارَادَ
بِالْعِزَالِ الْمَهَاجِرَةَ إِلَى الشَّامِ - الْمَرَادُ بِالدُّعَاءِ الْعِبَادَةَ لِأَنَّهُ مِنْهَا وَمِنْ وَسَائِطِهَا وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ - وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ الدُّعَاءُ الَّذِي حَكَاهُ اللَّهُ تَعَالَى
فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ - عَرَضَ بِشَقَاوَتِهِمْ بِدُعَاءِ الْهَيْهَاتُ فِي قَوْلِهِ [عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا] مَعَ التَّوَضُّعِ لِلَّهِ فِي
كَلِمَةِ عَسَىٰ وَمَا فِيهِ مِنْ هَضْمِ النَّفْسِ * مَا خَسِرَ عَلَى اللَّهِ أَحَدٌ تَرَكَ الْكُفَّارَ الْفَسَقَةَ لَوَجْهٍ فَعَوَّضَهُ أَوْلَادًا
مُؤْمِنِينَ أَنْبِيَاءَ [مِنْ رَحْمَتِنَا] هِيَ الذَّبْوَةُ عَنِ الْحَسَنِ - وَعَنِ الْكَلْبِيِّ الْمَالِ وَالْوَلَدِ وَتَكُونُ عَامَّةً فِي كُلِّ خَيْرٍ
دِينِي وَدُنْيَوِي أَوْ تَوْه - لِسَانَ الصِّدْقِ الْغَنَاءُ الْحَسَنُ وَتُجَرُّ بِاللِّسَانِ عَمَّا يَوْجَدُ بِاللِّسَانِ كَمَا عُبِّرَ بِالْيَدِ عَمَّا يَطْلُقُ
بِالْيَدِ وَهِيَ الْعَطِيَّةُ قَالَ * ع * أَنِّي اتَّقِي لِسَانَ لَا أَسْرُبُهَا * يُرِيدُ الرِّسَالَةَ وَلِسَانَ الْعَرَبِ لُغَتُهُمْ وَكَلَامُهُمْ - اسْتِجَابَ
اللَّهُ دَعْوَتَهُ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ فَصِيرَةً قَدَوَةً حَتَّى آدَعَاهُ أَهْلُ الْإِدْيَانِ كُلُّهُمْ وَقَالَ تَعَالَى
مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ - وَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا - ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاعْطَى ذَلِكَ ذَرْيَتَهُ
فَاعْلَمِي ذِكْرَهُمْ وَاتْنِي عَلَيْهِمْ كَمَا أَعْلَى ذِكْرَهُ وَاتْنِي عَلَيْهِ * الْمُخْلِصُ بِالْكَسْرِ الَّذِي أَخْلَصَ الْعِبَادَةَ عَنِ
الشُّرْكِ وَالرِّبَا - أَوْ أَخْلَصَ نَفْسَهُ وَاسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ - وَبِالْفَتْحِ الَّذِي أَخْلَصَهُ اللَّهُ - الرَّسُولُ الَّذِي مَعَهُ كِتَابٌ
مِنَ الْأَنْبِيَاءِ - وَالنَّبِيُّ الَّذِي يَنْبِئُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ كِتَابٌ كَيُوشَعُ * [الْأَيْمَنِ] مِنَ الْيَمِينِ أَيْ
مِنْ نَاحِيَةِ الْيَمَنِ - أَوْ مِنَ الْيَمَنِ صِفَةً لِلطُّورِ أَوْ لِلْجَانِبِ - شَبَّهَهُ بِمَنْ قَرَّبَهُ بَعْضُ الْعِظَمَاءِ لِلْمُنَاجَاةِ حَيْثُ
كَلَّمَهُ بِغَيْرِ وَاسْطَةِ مَلِكٍ - وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَرَّبَهُ حَتَّى سَمِعَ صَرِيْفَ الْقَلَمِ الَّذِي كُتِبَتْ بِهِ التَّوْرَةُ [مِنْ رَحْمَتِنَا]
مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِنَا لَهُ وَتَرَفُّنَا عَلَيْهِ وَهَبْنَا لَهُ هَارُونَ - أَوْ بَعْضَ رَحْمَتِنَا كَمَا قَوْلُهُ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا
وَ أَخَاهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ بَدَلُ وَ هَارُونَ عَطْفٌ بَيَانٌ كَقَوْلِكَ رَأَيْتُ رَجُلًا أَخَالَ زَيْدًا وَكَانَ هَارُونَ أَكْبَرَ مِنْ
مُوسَى فَوَقَعَتْ الْهَيْبَةُ عَلَى مُعَاوَدَتِهِ وَمَوَازَرَتِهِ كَذَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ * ذَكَرَ إِسْمَاعِيلُ بِصِدْقِ الْوَعْدِ وَأَنْ كَانَ
مَوْجُودًا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَشْرِيفًا لَهُ وَإِكْرَامًا كَالْتَلْقِيْبِ نَحْوِ الْحَايِمِ وَالْأَوَّاهِ وَالصِّدِّيقِ وَلِأَنَّهُ الْمَشْهُورُ
الْمُتَوَاصِفُ مِنْ خِصَالِهِ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ وَعَدَ صَاحِبًا لَهُ أَنْ يَنْتَظِرَهُ فِي مَكَانٍ فَانْتَظَرَهُ سَنَةً وَنَاصِيكًا
أَنَّهُ وَعَدَ مِنْ نَفْسِهِ لَصِدْقٍ عَلَى الذَّبْحِ فَوَفَّى حَيْثُ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * كَانَ يُبْدَأُ بِأَهْلِهِ

يَا بَيْتَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابُ مَنْ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي
يَا بَرَاهِيمَ ۚ لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۝ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۚ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ

سورة مريم ١٩

الجزء ١٤

ع ٥

أكبر من العذاب وذلك ان رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماء الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال وَرِضْوَانُ مَنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فكذاك ولاية الشيطان اللتي هي معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه واعظم - وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله يَا بَيْتَ تَوَسَّلْ إِلَيْهِ وَاسْتَعِظْ أَمْثَلُ مَا فِي مَا لَا يَسْمَعُ - وَمَا لَمْ يَأْتِكْ - يجوز ان تكون موصولة و موصوفة والمفعول في لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ منمسي غير منموي كقولك ليس به استماع ولا إبصار - وشيئا يحتمل وجهين - أحدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيئا من الغناء - ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين - والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك - قَدْ جَاءَنِي فِيهِ تَجَدُّدُ الْعِلْمِ عِنْدَهُ - لَمَّا أَطْلَعَهُ عَلَى سَمَاجَةِ صُورَةِ أَمْرِهِ وَهَدَمَ مَذْهَبَهُ بِالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ وَنَاصِحَةِ الْمَنَاصِحَةِ الْعَجِيبَةِ مَعَ تِلْكَ الْمَلَاطِفَاتِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ بِغَضَاضَةِ الْكُفْرِ وَغِلْظَةِ الْعِنَادِ فَذَادَهُ بِاسْمِهِ وَلَمْ يَقَابِلْ بِأَبْتِ بَيْتِ ابْنِي وَقَدَّمَ الْخَبَرَ عَلَى الْمَبْتَدَأِ فِي قَوْلِهِ [أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي] لَأنه كان أهم عنده و هو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب و الإنكار لرغبته عن إلهه و ان إلهه ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان و تلج لصدر النبي عليه السلام عما كان يلقي من مثل ذلك من كفار قومه [لَأَرْجُمَنَّكَ] لارميئك بلساني يريد به الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن - اولاً قتلذك من رجم الزاني - اولاً طردتك رمياً بالحجارة و اصل الرجم الرمي بالرجام [مَلِيًّا] زماناً طويلاً من الملاءة - او مَلِيًّا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح فلان مَلِيًّا بكذا اذا كان مطيقاً له مضطرباً به - فَاَنْ قَلَّتْ عِلَامُ عَطْفٍ وَاهْجُرْنِي - قَلَّتْ عَلَى مَعْطُوفٍ عَلَيْهِ مَحْذُوفٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ابي فاحذرنى و اهجرني لان لَأَرْجُمَنَّكَ تهديد وتقريع * [سَلَامٌ عَلَيْكَ] سلام توديع و متاركة كقوله تعالى لَمَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ وَقَوْلُهُ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ مَتَارَكَةِ الْمَنْصُوحِ وَالْحَالِ هَذِهِ - وَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ دَعَا لَهُ بِالسَّلَامَةِ اسْتِمَالَةً لَهُ أَلَا تَرَى أَنَّهُ وَعَدَهُ الْاسْتِغْفَارَ - فَإِنْ قَلَّتْ كَيْفَ جَازَ لَهُ أَنْ يَسْتَغْفَرَ لِلْكَافِرِ وَأَنْ يَعِدَهُ ذَلِكَ - قَلَّتْ قَالُوا أَرَادَ اشْتِرَاطَ التَّوْبَةِ عَنِ الْكُفْرِ كَمَا تَرَدُّ الْوَامِرُ وَالْفَوَاهِي الشَّرْعِيَّةُ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَرَادُ اشْتِرَاطُ الْإِيمَانِ وَكَمَا يُؤْمَرُ الْمَحْدُوثُ وَالْفَقِيرُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَيُرَادُ اشْتِرَاطُ الْوُضُوءِ وَالنَّصَابِ - وَقَالُوا إِنَّمَا اسْتَغْفَرَ لَهُ بِقَوْلِهِ وَاعْفُ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ لَأنه وعده ان يؤمن و استشهدوا بقوله تعالى وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ - وَلِقَائِلُ أَنْ يَقُولَ الَّذِي مَنَعَ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ لِلْكَافِرِ إِنَّمَا هُوَ السَّمْعُ فَامَّا الْقَضِيَّةُ الْعَقْلِيَّةُ فَلَا تَأْبَاهُ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْوَعْدُ بِالْاسْتِغْفَارِ وَالْوَفَاءُ بِهِ قَبْلَ وَرُودِ السَّمْعِ بَدَأَ عَلَى قَضِيَّةِ الْعَقْلِ وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى صِحَّتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ فَلَوْ كَانَ شَارِطاً لِلإِيمَانِ لَمْ يَكُنْ مَسْتَنْكراً وَمُسْتَنْثى عما وجبت فيه الأسوة واما

مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝ يَابْتَ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۝

فيه من الخطاء العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقل وانسلخ عن قضية التمييز ومن العبادة اللتي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللفظ والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا - حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوحى الله الى ابراهيم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل البرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواني وذلك انه طلب منه اول العلة في خطاه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميّزا سميّعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستسخف عقل من اهله للعبادة وصفه بالربوبية وسجل عليه بالغبي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحقق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المنيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعثوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عباده الى جماد ليس به حس وشعور فلا يسمع يا عبدة ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان يستدفعه بلاء فيدفعه او تسخج لك حاجة فيكفيها - ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الغائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك [فاتبعني] اتجلك من ان تضل وتتيه - ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك ادم وابناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حقت النظر عابد الشيطان الا ان ابراهيم لامعانه في الاخلاص ولا رتقاء همته في الربانية لم يذكر من جزائتي الشيطان الا اللتي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لادم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمرا فكرة واطبق على ذهنه - ثم رجع بتخويفه سوء العاقبة وما يجرة ما هو فيه من التبعة والويل ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال [اخاف ان يمسك عذاب] فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياءه واوليائه

صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ
يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا نَحْنُ ذَرْئُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۖ أَنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا
نَبِيًّا ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ

سورة مريم ١٩

الجزء ١٤

ع ٥

بالكسر بغير واو وبأن الله ابي بسبب ذلك فاعبدوه - [الاحزاب] اليهود والنصارى عن الكلبي - وقيل النصارى
للتحزبهم ثلث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية - وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء - لما قص عليهم قصة
عيسى اختلفوا فيه من بين الناس - [من مشهد يوم عظيم] اي من شهودهم هول الحساب والجزاء في
يوم القيمة - او من مكان الشهود فيه وهو الموقف - او من وقت الشهود - او من شهادة ذلك اليوم عليهم
وان تشهد عليهم الملكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال - او من مكان الشهادة - او
وقتها - وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامة * لا يوصف الله تعالى بالتعجب وانما المراد ان استماعهم
وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا - وقيل معناه التهديد بما سيسمعون
وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم - اوقع الظاهر اعني الظلمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من
ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم - والمراد بالضلال المبين اغفال النظر و
الاستماع * [قضي الامر] فرغ من الحساب وتصدر الفريقان الى الجنة والنار - وعن النبي صلى الله عليه
واله وسلم انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران - واذ بدل من يوم الحسرة - او منصوب بالحسرة
[وهم في غفلة] متعلق بقوله في ضلال مبين - عن الحسن وانذرهم اعتراض - او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم
على هذه الحال غافلين غير مؤمنين * يحتمل انه يميئتهم ويخرب ديارهم - وانه يقضي اجسادهم ويقضي الارض
ويذهب بها * [الصدق] من ابنية المبالغة ونظيره الضحك والنطق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق
به من غيوب الله واياته وكُتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسائل اي كان
مصدقاً بجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين - او كان بليغا
في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق ومصداق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة
وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله اعني ابراهيم واذ قال نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل اخاك -
ويجوز ان يتعلق ان بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اياه
تلك المخاطبات - والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله
وانزل عليهم نبا ابراهيم والا فالله عز وعا هو ذاكرة وموردة في تذييله - التاء في يابست عوض من ياء الاضافة
ولا يقال يا ابني لئلا يجمع بين العوض والمعوذ منه وقل يا ابتنا لكون الالف بدلا من الياء وشبه ذلك
سيبويه بآئذق وتعويض الياء فيه بدلا عن الواو الساقطة - انظر حين اراد ان ينصح اياه ويعظه فيما كان متورطا

كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۖ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ۖ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبْرَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۖ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَذَا

معناه ان ذلك سبق في قضائه - او جعل الاتي لا محالة كانه قد وجد [مُبْرَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفاعا حيث كُنْتُ - وقيل معلما للخير - قري وبرا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره - او نصبه بفعل في معنى اَوْصَانِي وهو كَلَّفَنِي لان اوصاني بالصلاة وكَلَّفَنِيهَا واحد - [وَالسَّلَامُ عَلَيَّ] قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقواك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى وذلك السلام الموجة الى يحيى في المواطن الثلاثة موجة الي والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم واعدائها من اليهود - وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عَرَضَ بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى يعني ان العذاب على من كَذَبَ وتولى وكان المقام مقام مذاكرة وعناد فهو مَبْنِيَّةٌ لِنَحْوِ هَذَا من التعريض - قرأ عاصم وابن عامر [قَوْلَ الْحَقِّ] بالنصب - وعن ابن مسعود قَالَ الْحَقِّ وَقَالَ اللَّهُ - وعن الحسن قَوْلَ الْحَقِّ بضم القاف وكذلك في الانعام قَوْلُهُ الْحَقِّ والقَوْلُ والقَالَ والقَوْلُ في معنى واحد كالرَّهْبِ والرَّهَبِ والرَّهْبِ وارتفاعه على انه خبر بعد خبر - او بدل - او خبر مبتدأ محذوف - واما انتصابه فعلى المدح ان فُسِّرَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ - وعلى انه مصدر موكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقواك هو عبد الله حقا والحق لا الباطل - وانما قيل لعيسى كَلِمَةَ اللَّهِ وقَوْلَ الْحَقِّ لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كُنْ من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سَمِيَ الْعُشْبُ بِالسَّمَاءِ وَالشَّجَمُ بِالْأَرْضِ - ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل - وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ اي امره حق يقين وهم فيه شاكون [يَمْتَرُونَ] يشكون - والمريّة الشك - او يتمارون يتلاحون قالت اليهود سَجَرَ كَذَابٍ - وقالت النصارى ابْنُ اللَّهِ - وَثَابِتٌ ثَلَاثَةٌ - وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه تَمْتَرُونَ على الخطاب - وعن ابي بن كعب قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي كَانَ النَّاسُ فِيهِ يَمْتَرُونَ * كَذَبَ النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه مما لايتأتى ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه ان من المحال غير المستقيم ان يكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد - ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد - والقول ههنا مجازو معناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبّه ذلك بامر الامر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل - قرأ المدنيون و ابو عمرو بفتح آن ومعناه ولانه رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ كقوله وَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا - او الاستار و ابو عبيد بالكسر على الابتداء - وفي حرف ابي ان الله

سورة مريم ١٩

الجزء ١٤

ع ١٤

إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ۖ فَكَلِمِي ۖ وَاشْرَبِي ۖ وَقَرِّي ۖ عَيْنًا ۖ فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا
فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۖ فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا
غَرِيبًا ۖ يَا خُوتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ۖ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ

وَاشْرَبِي ۖ وَقَرِّي ۖ عَيْنًا] اي و طيبني نفسا و لا تغتمني و ارفضي عنك ما احزنك و اهمك - و قرري و قرري
بالكسر لغة نجد - [تَرَيْنَ] بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو و هذا من لغة من يقول لبأت بالحج و حلات
الصوب و ذلك لتأخر بين الهمزة و حرف اللين في الابدال - [صَوْمًا] صمنا - وفي مصحف عبد الله صمنا - وعن
انس بن مالك رضي الله عنه مثله - و قيل صياما لانهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم - و قد نهى رسول الله صلى
الله عليه و آله و سلم عن صوم الصمت لانه نسخ في امته - امرها الله بان تذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين
لها في كلام لمعنيين - احدهما ان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يدري به ساحتها - و الثاني كراهة مجادلة
السفهاء و مناقلتهم و فيه ان السكوت عن السفية واجب و من اذل الناس سفية لم يجد مصافها - قيل اخبرتهم
بانها نذرت الصوم بالاشارة - و قيل سوغ لها ذلك بالنطق [انسيًا] اي اكلم الملكة دون الانس * الفري البديع
و هو من فري الجلد * [هارون] كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل - و قيل هو اخو موسى عليه السلام -
و عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم انما عنوا هارون النبي و كانت من اعقابه في طبقة الأخوة و بينها و بينه الف
سنة و اكثر - و عن السدي كانت من اولاده - و انما قيل اخت هارون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا
منهم - و قيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به و لم ترد
اخوة الغصب - ذكر ان هارون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هارون تبركا به و باسمه فقالوا كنا
نشبهك بهرون هذا - و قرأ عمر بن لحياء التيمي ما كان أبوك امروء سوء - و قيل احتمل يوسف النجار مريم
و ابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تغلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق
فقال يا امه ابشري فاني عبد الله و مسيحه فلما دخلت به على قومها و هم اهل بيت صالحون تباكوا
و قالوا ذلك - و قيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها * [فآشارت اليه] اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه -
و قيل كان المستنطق لعيسى عليه السلام زكريا - و عن السدي لما اشارت اليه غضبوا و قالوا لسخريتها بنا اشد
علينا من زناها - و روي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع و اقبل عليهم بوجهه و اتكا على يساره و اشار
بسبابة - و قيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان [كان] لايقاع مضمون الجملة
في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه و بعيدة و هو ههنا لقريبه خاصة و الدال عليه معنى الكلام و انه مسوق
للتعجب - و وجه اخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا
في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا - انطقه الله اولاً بانه عبد الله رداً لقول النصارى - و الكتاب
هو الانجيل - و اختلفوا في نبوته فقيل اعطيتها في طفولته اكمل الله عقله و استدبأه طفلاً نظراً في ظاهر الآية - و قيل

سورة مريم ١٩ قَبْلَ هَذَا وَكَذَتْ نَسِيًا مِّنْهَا ۖ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۖ وَهَٰزِي

الجزء ١٩

ع ٤

عَظِيمٍ - وعن يونس العرب إذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا أنساءكم أي الشيء اليسير نحو العصا والقدرح والشظاظ - تمت لو كانت شيئاً تافهاً لا يؤبه له من شأنه وحقه أن ينسى في العادة وقد نسي وأطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله - أو لشدة التكليف عليها أن بهتوها وهي عارفة ببراءة المساحة وبضد ما قُرئت به من اختصاص الله إياها بغاية الاجلال والاکرام لانه مقام دحض قلماً تثبت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيباً تعاب به وتعنف بسببه - أو لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها - وقرأ ابن وثاب والاعمش وحمزة نَسِيًا بِالْفَتْحِ - قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر - ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل - وقرأ محمد بن كعب القرظي نَسَاً بِالْهَمْزَةِ وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته ونزارته - وقرأ الاعمش مِّنْهَا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنجر * مِّنْ تَحْتِهَا هو جبرئيل - قيل كان يقبل الولد كالقابلة - وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وابي عمرو - وقيل تَحْتِهَا اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الأنهر - وقيل كان اسفل منها تحت الكمة فصاح بها لا تحزني - وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص [مِنْ تَحْتِهَا] وفي نَادِيهَا ضمير الملك او عيسى - وعن قتادة الضمير في تَحْتِهَا للنخلة - وقرأ زبر وعلقمة فحاطبها مِّنْ تَحْتِهَا - سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن السري فقال هو الجدول قال لبيد * شعر * فتوسطا عرض السري فصدا * مسجورة متجاوزاً قلامها * وقيل هو من السرور والمراد عيسى - وعن الحسن كان والله عبداً سرياً - فان قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسأى بالسري والرطب - قلت لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تُربان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة من العادات خارقة لما افوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس بدع من شأنها - [تُسْقَطُ] فيه تسع قراءات * تَسْقَطُ بادغام التاء - وتَسْقَطُ باظهار التائين - وتَسْقَطُ بطرح التاء الثانية - ويسْقَطُ بالياء وادغام التاء - وتُسْقَطُ - ويسْقَطُ - وتُسْقَطُ التاء للنخلة والياء للجذع - و[رُطْبًا] تمييز او مفعول على حسب القراءة - وعن المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذلك - والباء في يجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله تعالى وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ - او على معنى افعلنى الهزبه كقوله * ع * يجرح في عراقبيها نصلي * قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك - وقالوا كان من العجوة - وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل - وقيل اذا عمر ولدها لم يكن لها خير من الرطب - عن طلحة بن سليمان جنيأ بكسر الجيم للاتباع أي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين - احدهما الاكل والشرب - والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله [فكلمي]

مَقْضِيًّا ۝ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۝ فَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ۝ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ

سورة مريم ١٩

الجزء ١٤

ع ٤

ذلك - او هو معطوف على تعليل مضمري لنبيين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولنجزي كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه [مقضيًا] مقدرا مسطورا في اللوح لابد لك من جريه عليك - او كان امرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه آية ورحمة - والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين - عن ابن عباس فاطمأت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت - وقيل كانت مدة الحمل ستة اشهر - وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر - وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى - وقيل ثلث ساعات - وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة وضعت في ساعة حين زالت الشمس من يومها - وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته - وقيل حملته وهي بنت ثلث عشرة سنة - وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل - وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره [فانتبذت به] اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله * ع * تدوس بنا الجماجم والتريبا * اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى تَنَبَّأَ بِالذَّهْنِ اَي تَنَبَّأَ وَدَهْنُهَا فِيهَا - الجار والمجرور في موضع الحال - [قصيا] بعيدا من اهلها وراء الجبل - وقيل اقصى الدار - وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه جبرئيل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها * [اجاء] منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الاجاء الا تترك لا تقول جئت المكان واجاءني زيد كما تقول بلغته وابلغني ونظيره اتي حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتي المكان واتانيه فلان * قرأ ابن كثير في رواية المَخَاض بالكسر يقال مخضت الحامل مَخَاضًا وَمَخَاضًا وهو تمخض الولد في بطنها - طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء - والتعريف لا يخلو - اما ان يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم وابن الصعق كان تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل - واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها والان النخلة اقل شيء صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جميع الايات فيها اختارها لها والجأها اليها - قرئ [مِتُّ] بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات - النسي اسم ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبيح اسم ما من شأنه ان يذبح في قوله تعالى وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ

سورة مريم ١٩

الجزء ١٤

ع ٤

الربع

يَمُوتُ وَيَوْمَ يُدْعَىٰ حَيًّا ۖ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۖ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۖ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۖ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۖ قَالَ كَذَلِكَ ۖ قَالَ رَبِّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ۖ وَكَانَ امْرَأًا

[إِذْ] بدل من مَرْيَمَ بدل الاشتغال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه - و الانتباز الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس - وقيل قعدت في مشرقه للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يستترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة آدمي شاب امرء وضيء الوجه جعد الشعر [سَوِيًّا] سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الادمية شيئا - او حسن الصورة مستوي الخلق - وانما مُثِّلَ لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدأ لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها ورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها - وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشقة وراء الجبل فاتاها الملك - وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسم يوسف من خدم بيت المقدس - وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباز مريم مكانا شرقيا - الروح جبرئيل لان الدين يحكى به وبوحيه - او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقربا كما تقول لحبيبك انت روعي - وقرأ ابو حنيفة رُوحًا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فَمَا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرُوحٌ وَرَنَحَانٌ - اولانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا - ارادت ان كان يرجى منك ان تتقى الله وتخشاه وتحفل بالاستعانة به فاني عائدة به منك كقوله تعالى بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ - اي [إِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ] من استعذت به [لَا هَبَ لَكِ] لاكون سببا في هبة الغلام بالذبح في الدرع - وفي بعض المصاحف [إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ أَمْرِي أَنْ أَهَبَ لَكِ] او هي حكاية لقوله عز وجل - جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله مَنْ قَبِلَ أَنْ تَمْسُوهُنَّ - او لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ والزنا ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما اشبه ذلك وليس بقرين ان يراعى فيه الكنايات والآداب - و البغي الفاجرة اللتي تبغى الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء - وقال ابن جنبي في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان فهو عن المنكر [وَلِنَجْعَلَهُ] تعليل معلله محذوف اي ولنجعله [آيَةً لِلنَّاسِ] فعلنا

فَإِنْ قُلْتُمْ لَمْ يَطْلُبْ أَوَّلًا وَهُوَ أَمْرُهُ عَلَى صِفَةِ الْعَنِيِّ وَالْعَقْرِ فَلَمَّا أَسْعَفَ بِطَلَبَتِهِ اسْتَعَجَبَ وَاسْتَعْجَبَ -
قُلْتُمْ لِيَجَابَ بِمَا أُجِيبَ بِهِ فَيَزِدَادُ الْمُؤْمِنُونَ إِيقَانًا وَيُرْتَدِعُ الْمُبْطِلُونَ وَالْأَفْمَعْتُ زَكْرِيَّا أَوَّلًا وَأُخْرًا كَانَ
عَلَى مِنْهَاجٍ وَاحِدٍ فِي أَنْ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ السَّبَابِ - إِي بَلَّغْتُ [عُنْيًا] وَهُوَ الْيَبْسُ وَالْجَسَاةُ فِي الْمَفَاصِلِ
وَالْعِظَامِ كَالْعُودِ الْقَاحِلِ يُقَالُ عَنَى الْعُودَ وَعَسَا مِنْ أَجْلِ الْكِبَرِ وَالطَّعْنُ فِي السِّنِّ الْعَالِيَةِ - أَوْ بَلَّغْتُ مِنْ
مَدَارِجِ الْكِبَرِ وَمَرَاتِبِهِ مَا يَسْمَى عُنْيًا - وَقُرَأَ ابْنُ وَثَابٍ وَحُمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ بِكسر العينِ وَكَذَاكَ صِلِيًّا - وَابْنُ
مَسْعُودٍ بِفَتْحِهِمَا فِيهِمَا - وَقُرَأَ أَبِي وَمَجَاهِدٌ عُسَيَّا [كَذَاكَ] الْكَافُ زَنْعَ إِي الْأَمْرَ كَذَاكَ تَصْدِيقٌ لَهُ ثُمَّ
ابْتَدَأَ [قَالَ رَبُّكَ] - وَأَنْصَبَ بِقَالَ - وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى مَبْهَمٍ يَفْسَرُهُ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَنَحْوُهُ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ
الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ - وَقُرَأَ الْحَسَنُ وَهُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلَا يُخْرَجُ هَذَا إِلَّا عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ إِي
الْأَمْرَ كَمَا قُلْتُمْ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يَهْوَنُ عَلَيَّ - وَوَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنْ يُشَارَ بِذَلِكَ إِلَى مَا تَقْدُمُ مِنْ وَعْدِ اللَّهِ
لَا إِلَى قَوْلٍ زَكْرِيَّا - وَقَالَ مَحْذُوفٌ فِي كِلْتَا الْقَرَأَتَيْنِ إِي قَالَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ قَالَ وَهُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَأَنْ شُدَّتْ
لَمْ تَنْوِهِ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَخَاطَبُ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ وَوَعْدُهُ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - [شَيْئًا] لِأَنَّ الْمَعْدُومَ لَيْسَ بِشَيْءٍ -
أَوْ شَيْئًا يَعْتَدِبُهُ كَقَوْلِهِمْ عَجِبْتُ مِنْ لَاشَيْءٍ وَقَوْلُهُ * ع * إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَنَهُ رَجُلًا * وَقُرَأَ الْأَعْمَشُ وَالْكَسَائِيُّ
وَابْنُ وَثَابٍ خَلَقْنَاكَ * إِي أَجْعَلْ لِي عِلَامَةً أَعْلَمُ بِهَا وَقَوْعَ مَا بَشَّرْتُ بِهِ قَالَ عَلَامَتُكَ إِنْ تُمْنَعُ الْكَلَامُ
فَلَا تَطِيقُهُ وَأَنْتَ سَلِيمُ الْجَوَارِحِ سِوَى الْخَلْقِ مَا بَكَ خَرَسَ وَلَا بُكْمٌ - دَلَّ ذِكْرُ اللَّيَالِيِّ هَذَا وَالْإِيَّامُ فِي آلِ عِمْرَانَ
عَلَى أَنَّ الْمَنْعَ مِنَ الْكَلَامِ اسْتِمْرَارُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ - [أَوْحَى] إِشَارَةٌ عَنْ مَجَاهِدٍ وَيَشْهَدُهُ إِلَّا رَمَزًا - وَعَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ كَتَبَ لَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ - [سَبَّحُوا] إِي صَلُّوا - أَوْ عَلَى الظَّاهِرِ وَأَنَّ هِيَ الْمَفْسُورَةُ * إِي خُذِ التَّوْرَةَ بِجَدِّ
وَاسْتَظْهَارِ بِالتَّوْفِيقِ وَالتَّائِيدِ [الْحُكْمُ] وَالْحِكْمَةُ وَمِنْهُ وَاحِكُمْ كَحُكْمِ فِتْنَةِ الْحَيِّ يُقَالُ حَكَمَ حَكْمًا كَحُكْمِ
وَهُوَ الْفَهْمُ لِلتَّوْرَةِ وَالْفَقْهُ فِي الدِّينِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَقِيلَ دَعَا الصَّبِيَّانِ إِلَى اللَّعْبِ وَهُوَ صَبِيٌّ فَقَالَ
مَا لِلْعَبِّ خُلُقْنَا - عَنِ الضَّحَّاكِ وَ عَنْ مَعْمَرِ الْعَقْلُ - وَقِيلَ الذُّبُورَةُ لِأَنَّ اللَّهَ أَحْكَمَ عَقْلُهُ فِي صِبَاةٍ وَأَوْحَى إِلَيْهِ
[حَذَانًا] رَحْمَةً لِأَبْوَيْهِ وَغَيْرِهِمَا وَتَعْطَفًا وَشَفَقَةً أَنْشَدَ سَيْبُوهُ * شَعْرٌ * وَقَالَ حَنَانٌ مَا أَتَى بِكَ هَهُنَا * أَوْ
نَسَبَ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفٌ * وَقِيلَ حَنَانًا مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ - وَحَنٌّ فِي مَعْنَى ارْتِيَاخٍ وَاشْتِاقٍ ثُمَّ اسْتَعْمَلَ
فِي الْعَطْفِ وَالرَّأْفَةِ - وَقِيلَ لِلَّهِ حَنَانٌ كَمَا قِيلَ رَحِيمٌ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ - وَالزُّكُورَةُ الطَّهَارَةُ - وَقِيلَ الصَّدَقَةُ
إِي يَتَعَطَّفُ عَلَى النَّاسِ وَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِمْ * سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ - قَالَ ابْنُ عِيَيْنَةَ إِنَّهَا أَوْحَشُ الْمَوَاطِنِ

وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ۖ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۚ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ يٰزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي

اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدي به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه [من ورأني] بعد موتي - وقرأ ابن كثير من ورأني بالقصر - وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف - او بمعنى الولاية في الموالى اي خفت فعل الموالى وهو تبدلهم وسوء خلافتهم من ورأني - او خفت الذين يلون الامر من ورأني - وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالى من ورأني وهذا على معنيين - احدهما ان يكون ورأني بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالى اي قتلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه - والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد [من لدنك] تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده والافهت لي وليا يرثني كاف - او اراد اختراعا منك بلا سبب لاني وامراتي لانصلح للولادة [يرثني ويرث] الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردا يصدقني - وعن ابن عباس والجدري يرثني وارث ال يعقوب - وعن الجدري اويرث علي تصغير وارث وقال غليم صغير - وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان - والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال - وقيل يرثني الحبرة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته ورثت منه لغتان - وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق - وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا - وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود [سميا] لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي الشنع جديرة بالاثرة وايها كانت العرب تنتهي في التسمية لكونها انوة وانبه وانزة عن الذبذ حتى قال القائل في مدح قوم * شعر * شنع الاسامي مسبلي أزر * حمير تمس الارض بالهدب * وقال رؤبة للنسابة الكندي البكري وقد سأل عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت - وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع - قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهت بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقير وانه كان حصورا - اي كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الوند لاختلال احد السببين فحين اختل السببان جميعا ارزقه -

كلماتها
٩٤٨

سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون آية وست ركوعا
حرونها
٣٩٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَيْلَعَصَ ۝ ذِكْرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي

سورة مريم

[كَيْلَعَصَ] بفتح الهاء وكسر الياء حمزة - وبكسرهما عامم - وبضمهما الحسن - وقرأ الحسن ذِكْرَ رَحْمَةٍ رَبِّكَ أي هذا المتلو من القرآن ذِكْرَ رَحْمَةٍ رَبِّكَ - وقرئ ذِكْرٌ عَلَى الامر - راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سِيَانٍ فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل في الاخلاص - وعن الحسن نِدَاءً لا رياء فيه - او اخفاء لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرية والشيخوخة - او اسره من مواليه الذين خافهم - او خَفَّتْ صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خُفَاتٌ وسمعه تارأت - واختلف في سن زكريا ف قيل ستون - وخمس وستون - وسبعون - وخمس وسبعون - وثمانون - قرئ [وَهْنٌ] بالحركات الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بذائه فاذا وهن تداعى و تساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصليه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن - ووحدته لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها - ادغام السين في الشين عن ابي عمرو - شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعور فشوة فيه واخذ منه كل مأخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعور ومنبته وهو الرأس واخرج الشيب مميزا ولم يصف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا فمن ثمة فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة - توصل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة - وعن بعضهم ان محتاجا سأل قال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توصل بنا اليك وقضى حاجته - كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنوعه شرار بني

رسالة في...

رسالة في...

...



...

مكتبة

...

النصف الثاني

من الكشف عن حقائق التنزيل

للامام العلامة ابي القاسم [جابر الله] محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي رحمه الله تعالى



طبع في مطبع الليسي الواقع في دار الامارة

كلكتة

حذ ١٢٧٩ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

هو المحيى

بسم الله الرحمن الرحيم

Table with 10 columns and 10 rows. The text is extremely faint and illegible.

Kingston



Zamašārī, Maḥmūd Ibn-ʿUmar <<az->>, / Lees, William Nassau / Hādīm, ʿ
usain

The Qoran with the commentary of the Imam Aboo al-Qasim Mahmood bin 'Omar
al-Zamakhshari, entitled 'The Kashshaf 'an Haqaiq al-Tanzil'

Bd.: 2

Calcutta (1856)

2 A.or. 42-2

urn:nbn:de:bvb:12-bsb10210810-0